إتحاف السادة المتقين

بشرح إحياء علوم الدين

تصنيف خاتمة المحققين وعمدة ذوي الفضائل من المدققين
العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
رحمه الله وأثابه من فيض فضله جزيل الرضا آمين .

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الأحياء في بعض مواضع من شرحه فتتميماً للفائدة وضعنا الأحياء المذكور في هامش هذا الشرح ولأجل زيادة الفائدة بدأنا في أول الهامش بوضع كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر بن شيخ عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي قدس الله سره .

وبالهامش أيضاً بعد تمام الكتاب المذكور كتاب الاملا عن اشكالات الاحيا تصنيف الامام الغزالي رد به على بعض اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الاحيا وقد صار وضع كتاب الاملا بأول هامش الصحيفة ومتن الاحيا بآخره وفصل بينهما بجلية .

الجزء التاسع

دار الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

(كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثانى من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين)

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الله ناصر كل صابر الحمد لله الذى جعل الحمد مفتاحا لذكره * ومصباحا يهتدى به من وفق لشكره * وسببا للمزيد من فضله ونعمته * ودليلا على آلائه وعظمته * أحمده على ما أخذ وأعطى * وعلى ما أبلى وابتلى * الباطن لكل خفيه * الحاضر لكل سريره * العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون * وتخفى الظنون * واسأله الصبر على بلوائه والشكر على نعمائه * وأشهد أن لا اله الا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه ولا مكفور دينه * ولا مجحود تكوينه شهادة من صدقت نيته * وصفت دخلته * وخلص يقينه * وثقلت موازينه * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله ونجيه وحبيبه * وبعيثه ونجيبه المختار من خلائقه * والمفتاح لشرح حقائقه * والمختص بفضائل كراماته والمصطفى لمكارم رسالاته شهادة يوافق فيها السر الاعلان * والقلب اللسان * صلى الله عليه وعلى آله الانجم الهداة * وأصحابه السادة الكرام الثقات * وسلم تسليما كثيرا *(أما بعد)* فهذا شرح (كتاب الصبر والشكر) وهو الثانى من الربع الرابع والثانى والثلاثون من كتب الاحياء للامام الهمام حجة الاسلام علم الائمة الاعلام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى قدس الله سره وضاعف بره * ونفع باسرار علومه ومتع أبصار العارفين فى رياض معارفه وفهومه سلكت فيه منهاج الايضاح والبيان * والافصاح والتبيان لنظم عقود جواهره الفرائد الحسان * وضبط قواعد فوائده المهذبة المؤسسة الاركان * مع كشف العويصات * وتنبيه الى الاشارات * وعزو الاخبار الى الرواة * والآثار الى الوعاة وتوجيه الاقوال عن الثقات * متجنبا عن الاعتساف والتطويل * مائلا عن تكثر القال والقيل * متوكلا على المولى المنعم الجليل فى التيسير والتسهيل * سائلا منه ان ينفع به قارئه وكاتبه والناظر فيه * وان يبلغنا من فضله واحسانه

ما

مانؤمله ونرتجيه * انه ولى ذلك والقادر عليه لا اله الا هو عليه توكلت واليه أنيب * قال رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أهل الحمد والثناء) أصل الثناء من الثنى وهو العطف ومنه الاثنان لعطف أحدهما على الآخر والثناء لعطف المناقب فى المدح وقد تقدم ذكر الحمد والثناء وبيان النسبة بينهما فى أول كتاب العلم ومعنى كونه أهلا لهما أى مستحقا لهما لكماله فى ذاته وصفاته فلا يليق بهما ولا يستحقهما الا هو جل ذكره وتناؤه (المنفرد) وفى نسخة المتفرد (برداء الكبرياء) أى العظمة والجلال وفيه تلميح الى الحديث القدسى قال الله تعالى الكبرياء ردائى وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب ذم الكبر والعجب وسبق الكلام على الانفراد والتفرد فى كتاب قواعد العقائد (المتوحد بصفات المجد والعلاء) المجد السعة فى الكرم والجلال والعز والشرف والعلاء رفعة القدر أى هو تعالى مختص بتلك الصفات فلا يشاركه فيها أحد (المؤيد بصفوة الاولياء) أى خاصتهم (بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء) والسراء والضراء حالتا المسرة والمضرة والبلاء اسم من الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان واختبار الله تعالى لعباده تارة بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا فصار المنحة والمحنة بلاء فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين (والصلاة على) سيدنا (محمد سيد الانبياء) أى رئيسهم وزعيمهم وقد ثبتت سيادته على ولد آدم بالاخبار الصحيحة (وعلى أصحابه سادة الاصفياء وعلى آله قادة البررة الاتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء) أى تدوم أبد الآباد فلا تفنى (ومصونة) أى محفوظة (بالتعاقب) أى التوالى والتكرار (عن التصرم والانقضاء) أى الانقطاع والانتهاء وحكم افراد الصلاة عن السلام تقدم البحث فيه فى أول كتاب العلم (أما بعد فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الاخبار) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشى عن أنس ويزيد ضعيف اهـ قلت وكذلك رواه البيهقى فى الشعب ولكن بلفظ نصف فى الصبر ونصف فى الشكر (وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا) فالصبور هو الذى لا تحمله العجلة على المسارعة الى الفعل قبل أوانه بل ينزل الامور بقدر معلوم ويجريها على سنن محدود يؤخرها عن آجالها المقدرة لها تأخير متكاسل ولا يقدمها على أوقاتها تقديم مستعجل بل يودع كل شئ فى أوانه على الوجه الذى يجب أن يكون وكما ينبغى وكل ذلك فى غير مقاساة داع على مضادة الارادة والشكور هو الذى يجازى بيسير الطاعات كثير الدرجات ويعطى بالعمل فى أيام معدودة نعيما فى الآخرة غير محدود ومن جازى الحسنة باضعافها يقال انه شكور بتلك الحسنة ومن اثنى على المحسن أيضا فيقال انه شكور فان نظرت الى معنى الزيادة فى المجازاة لم يكن الشكور المطلق الا هو سبحانه لان زيادته فى المجازاة غير محصورة ولا محدودة وان نظرت الى معنى الثناء فثناء كل مثن على فعل غيره والرب تعالى اذا اثنى على أعمال عباده فقد اثنى على فعل نفسه لان أعمالهم من خلقه وان كان الذى أعطى فاثنى شكورا فالذى أعطى واثنى على المعطى أحق بان يكون شكورا فثناء الله على عباده عطية منه (فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطرى الايمان ثم هو غفلة عن) معرفة (وصفين من أوصاف الرحمن) جل وعز (ولا سبيل الى القرب من الله تعالى الا بالايمان) به (وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان) وهو الصبر والشكر (ومن به الايمان) وهو الصبور الشكور (والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فما أحوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن) بحمد الله تعالى (نوضح كلا الشطرين فى كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر ان شاء الله تعالى) أى فلم يفرد لكل واحد منهما كتابا كما فعله غيره من المتكلمين على مقامات اليقين

(الشطر الاول فى الصبر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله أهل الحمد والثناء المتفرد برداء الكبرياء المتوحد بصفات المجد والعلاء المؤيد بصفوة الاولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلاة على محمد سيد الانبياء وعلى أصحابه سادة الاصفياء وعلى آله قادة البررة الاتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء (أما بعد) فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الاخبار وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطرى الايمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن ولا سبيل الى الوصول الى القرب من الله تعالى الا بالايمان وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان ومن به الايمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فما أحوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين فى كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر ان شاء الله تعالى

(الشطر الاول فى الصبر)

وفيه بيان فضيلة الصبر و بيان حده وحقيقته و بيان كونه نصف الايمان و بيان اختلاف أساميه باختلاف متعلقاته و بيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف و بيان مظان الحاجة الى الصبر و بيان دواء الصبر ومايستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده ان شاء الله تعالى

وهو المقام الثانى من مقامات اليقين (وفيه بيان فضيلة الصبر و بيان حده وحقيقته و بيان كونه نصف الايمان و بيان اختلاف أساميه باختلاف متعلقاته و بيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف و بيان مظان الحاجة الى الصبر و بيان دواء الصبر ومايستعان به عليه فهى سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده ان شاء الله تعالى)

(بيان فضيلة الصبر)

من الكتاب والسنة اعلم انه (قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف) جليلة (وذكر الصبر فى القرآن فى نيف وسبعين موضعا) وعن الامام أحمد انه ذكر الله الصبر فى القرآن فى نحو من تسعين موضعا بتقديم التاء على السين نقله صاحب القاموس فى البصائر وهو مقام شريف اثنى الله عليه فى كتابه (وأضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها) أى تلك الدرجات والخيرات (ثمرة له) ونتيجة وهو فى القرآن على سبعة عشر نوعا * الاول انه جعل الصابرين أئمة المتقين وقرن الصبر باليقين وان بالصبر واليقين ينال الامامة فى الدين (فقال عزمن قائل وجعلنامنهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا) وكانوا بآياتنا يوقنون قال ابن عيينة فى هذه الآية أخذوا برأس الامر فجعلهم الله رؤساء * النوع الثانى انه تمم عليهم كلمة الحسنى فى الدين (و) منه (تمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) * النوع الثالث ايجابه الجزاء لهم باحسن أعمالهم (و) منه (قال) تعالى (ولنجزين الذين صبروا أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) * النوع الرابع مضاعفة أجرهم على كل عمل (و) منه (قال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) * النوع الخامس رفع جزائهم فوق كل جزاء فجعله بلا نهاية ولاحد (و) منه (قال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فما من قربة الا وأجرها بتقدير وحساب الا الصبر) فقد أوجب الجزاء للمتصف به بغير حساب وحدود دل ذلك على انه من أفضل المقامات (ولاجل كون الصوم من الصبر فانه نصف الصبر) رواه ابن ماجه والبيهقى من حديث أبى هريرة بلفظ الصيام نصف الصبر (قال الله تعالى الصوم لى وأنا أجزى به) رواه الشيخان والنسائى وابن حبان من حديث أبى هريرة بلفظ قال الله عزوجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به الحديث وعند الطبرانى وابن النجار من حديث ابن مسعود بلفظ هو له الا الصوم هو لى الحديث وقد تقدم الكلام عليه مفصلا فى كتاب أسرار الصوم (فاضافه الى نفسه) تشريفا له (من بين سائر العبادات) * النوع السادس (وعد الصابرين بانه معهم) أى أوجب لهم معية تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم ليست معية عامة أعنى معية العلم والاحاطة (فقال واصبروا ان الله مع الصابرين) فهذا اخبار منه تعالى انه معهم ومن كان معه الله غالب لمن كان معه عدة وهذا كما قال وانتم الاعلون والله معكم (و) * النوع السابع (علق النصرة) والمدد بجنده (على الصبر فقال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) فاشترط الصبر والتقوى لامداده بجنده ونصره وتأييده وفى الحديث النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا رواه أبو نعيم والخطيب وابن النجار عن أنس مرفوعا (و) * النوع الثامن (جمع للصابرين بين أمور) ثلاثة (لم يجمعها لغيرهم) وقد فرقها على جل العبادات بعد البشارة فى الآخرة والعقبى (فقال) تعالى (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين) وهذا من باب التدلى (واستقصاء جميع الآيات فى مقام الصبر يطول) ولكن نذكر بقية الانواع التى سبق الوعد بها * فمن ذلك وهو النوع التاسع الامر به وقد تقدم مثاله فى سياق المصنف وهو قوله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وكقوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة وقوله واصبر واوصابروا وقوله واصبر وماصبرك الا بالله * النوع العاشر النهى عن ضده كقوله

(بيان فضيلة الصبر) قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر فى القرآن فى نيف وسبعين موضعا وأضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عزمن قائل وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا أجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فما من قربة الا وأجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر وانه نصف الصبر قال الله تعالى الصوم لى وأنا أجزى به فأضافه الى نفسه من بين سائر العبادات و وعد الصابرين بانه معهم فقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات فى مقام الصبر يطول

تعالى

تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقوله لا تولوهم الادبار فان تولية الادبار ترك الصبر والمصابرة * النوع الحادى عشر الثناء على أهله كقوله تعالى الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار وقوله والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ونظائره كثيرة * النوع الثانى عشر ايجاب محبته لهم كقوله تعالى والله يحب الصابرين * النوع الثالث عشر اخباره بان الصبر خير لهم كقوله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وكقوله وان تصبروا فهو خير لكم * النوع الرابع عشر اطلاق البشرى لاهل الصبر كقوله تعالى وبشر الصابرين * النوع الخامس عشر الاخبار بان أهل الصبر مع أهل العزائم كقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور * النوع السادس عشر الاخبار بانه ما يلقى الاعمال الصالحة وجزاءها الا أهل الصبر كقوله تعالى ولا يلقاها الا الصابرون وقوله وما يلقاها الا الذين صبروا * النوع السابع عشر الاخبار بان الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب ودخول الجنة انما نالوه بالصبر كقوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (وأما الاخبار) الواردة فى فضيلة الصبر (فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان) رواه أبو نعيم والخطيب والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود بزيادة واليقين الايمان كله وقد تقدم (على ما سيأتى وجه كونه نصفا وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم) كذا فى النسخ وفى القوت ان أقل ما أوتيتم (اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على ما أنتم عليه أحب الى من أن يوافينى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح الدنيا عليكم بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا الآية) تقدم هذا الحديث فى كتاب العلم مختصرا وذكر العراقى انه لم يجده هكذا بطوله وهو هكذا فى القوت وعزاه الى أبى امامة الباهلى من رواية شهر بن حوشب عنه وسيأتى بتمامه فى آخر كتاب الزهد فى الفصول التى نلحقها بخاتمته (وروى جابر) بن عبد الله رضى الله عنه (انه سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان) ماهو (فقال) هو (الصبر والسماحة) قال صاحب القاموس وهذا من أجمع الكلام وأعظمه برهانا وأوعبه لمقامات الايمان من أولها الى آخرها فان النفس يراد منها شيئان بذل ما أمرت به واعطاؤه فالحامل عليه السماحة وترك ما نهيت عنه والبعد عنه فالحامل عليه الصبر اهـ وقد سبقه البيهقى بهذا فقال يعنى بالصبر الصبر عن محارم الله وبالسماحة أن يسمح باداء ما افترض عليه انتهى وتبعهما امام الطائفة الحسن البصرى فقال يعنى الصبر عن المعصية والسماحة على اداء الفرائض قال العراقى رواه الطبرانى فى مكارم الاخلاق وابن حبان فى الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعيف ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده اهـ قلت وذكر صاحب القوت انه من رواية ابن المنذر عن جابر وقد رواه أبو يعلى كذلك وقوله فى يوسف انه ضعيف هو قول النسائى وروى الذهبى عنه انه قال فيه انه متروك ثم ساق له مما أنكر عليه هذا الخبر وأما حديث عبيد بن عمير عن أبيه وهو عمير بن واقد الليثى له صحبة فاخرجه البخارى فى التاريخ بلفظ أفضل الايمان الصبر والسماحة ورواه الديلمى هكذا فى مسند الفردوس من حديث معقل بن يسار وعزاه صاحب القاموس الى كتاب الادب المفرد للبخارى بلفظ المصنف (وقال) صلى الله عليه وسلم (الصبر كنز من كنوز الجنة) قال العراقى غريب لم أجده اهـ قلت ربما يشهد له ما رواه سعيد بن منصور والخطيب من حديث على رضى الله عنه أربعة من كنز الجنة اخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وصلة الرحم وقول لا حول ولا قوة الا بالله وهذا لان كتمان المصيبة من جملة الصبر ويحتمل أن يكون من كنوز الخير بدل من كنوز الجنة وقد روى ذلك من قول الحسن البصرى الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله

وأما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سيأتى وجه كونه نصفا وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على ما أنتم عليه أحب الى من ان يوافينى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا أجرهم الآية وروى جابر انه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال أيضا الصبر كنز من كنوز الجنة

الالعبد كريم عنده (وسئل) صلى الله عليه وسلم (مرة ماالايمان فقال الصبر) أى بجميع أنواعه الآتى ذكرها فيهاتتم مراتب الايمان وقدأحاله العراقى على حديث على الآتى ذكره للمصنف فى الآثار ولفظه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولايخفى انهما حديثان متغايران فتأمل (وهذايشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة) وقد تقدم فى كتاب التوبة وفى كتاب الحج أى معظم أركانه فكذلك الصبر معظم أركان الايمان (وقال أيضا) صلى الله عليه وسلم (أفضل الاعمال ماأكرهت عليه النفوس) هكذاهوفى القوت واستطرد ذكره فى كتاب التوبة فقال ثم على التائب أن يعمل فى قطع معتاد ان كان ثم ليصبر على مجاهدة النفس فى الهوى ان بلى به ثم قال فهذه الخصال من أفضل أعمال المريدين وأزكاها ومعهاتلهم النفس المطمئنة رشدها وتقواها وبها تخرج من وصف الامارة بالسوء الى وصف المطمئنة الى اخلاق الايمان وهذا أحد المعانى فى الخبر المشهور أفضل الاعمال ماأكرهت عليه النفوس لان النفس تكره خلاف الهوى والهوى ضدالحق والله تعالى يحب الحق فصاراجبار النفس على خلاف الهوى على وفاق الحق لان محبة الحق من أفضل الاعمال اهـ وقال العراقى لاأصل له مرفوعاوانماهومن قول عمر بن عبد العزيز هكذارواه ابن أبى الدنيافى كتاب محاسبة النفس (وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام) ياداود (تخلق باخلاقى وان من اخلاقى انى أناالصبور) نقله صاحب الرسالة والتخلق باخلاق الله تعالى والتحلى بمعانى صفاته واسمائه بقدرمايتصور فى حقه ليصير بذلك ربانيافيسميه الملأ الاعلى من الملائكة على بساط القرب وسيأتى الكلام على ذلك (وفى حديث عطاء) بن أبى رباح التابعى المكى الثقة (عن ابن عباس رضى الله عنه قال (لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر) بن الخطاب رضى الله عنه وكان مع النبى صلى الله عليه وسلم او كان جالسامعهم اذذاك فاجاب نيابة عنهم وقال (نعم يارسول الله قال وماعلامة ايمانكم قالوانشكر على الرخاء) أى الرخص والسعة (ونصبر على البلاء) أى الاختبار والشدة (ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون أنتم ورب الكعبة) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط من رواية يوسف ابن ميمون وهومنكرالحديث عن عطاء اهـ (وقال صلى الله عليه وسلم فى الصبر على ماتكره خيركثير) ولفظ القوت ان فى الصبر على ماتكره خيرا كثيرا قال العراقى رواه الترمذى من حديث ابن عباس وقد تقدم (وقال المسيح عليه السلام انكم لاتدركون ماتحبون الابصبركم على ماتكرهون) ولفظ القوت الابالصبر (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوكان الصبر رجلالكان كريما والله يحب الصابرين) قال العراقى رواه الطبرانى من حديث عائشة وفيه صبح بن دينار ضعفه العقيلى اهـ قلت ورواه كذلك أبو نعيم فى الحلية من طريق صبح بن دينار البلدى عن المعافى بن عمران عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن عائشة ثم قال غريب تفرد به المعافى (والاخبار فى هذا) الباب (ممالاتحصى) لكثرتها ومن ذلك مارواه الديلمى بلااسناد من حديث الحسين بن على رضى الله عنهما الصبرمفتاح الفرج والزهد غنى الابد وروى القضاعى من حديث ابن عمر وابن عباس انتظار الفرج بالصبر عبادة وروى الطبرانى فى الكبير من حديث الحكم بن عمير الثمالى الصبر والاحتساب من عتق الرقاب ويدخل الله صاحبهن الجنة بغير حساب (وأماالآثار) فى الصبر (فقد وجد فى رسالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الاشعرى) رضى الله عنه أرسلهااليه حين كان واليابالبصرة (عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران أحدهماأفضل من الآخر الصبر فى المصيبات حسن وأفضل منه الصبر على ماحرم الله تعالى واعلم ان الصبر ملاك الايمان وذلك بان التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر) رواه ابراهيم بن بشار الرمادى عن سفيان عن والد ادريس بن عبدالله عن سعيد بن أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه وكان أبوموسى قد

وسئل مرة ماالايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أفضل الاعمال ماأكرهت عليه النفوس وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق باخلاقى وان من أخلاقى انى أناالصبور وفى حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر نعم يارسول الله قال وماعلامة ايمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم فى الصبر على ماتكره خيركثير وقال المسيح عليه السلام انكم لاتدركون ماتحبون الابصبركم على ماتكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوكان الصبر رجلالكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار فى هذا لاتحصى (وأما الآثار) فقد وجد فى رسالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الاشعرى عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما أفضل من الآخر الصبر فى المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عماحرم الله تعالى واعلم ان الصبر ملاك الايمان وذلك بان التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر

اوصى

أوصى الى ابنه أبي بردة رسائل عمر التي كان يكتبها اليه (وقال علي رضي الله عنه بني الايمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل) ولفظ القوت وقد جعل علي رضي الله عنه الصبر ركنا من أركان الايمان وقرنه بالجهاد والعدل والايقان فقال بني الايمان على أربع دعائم على اليقين والصبر والجهاد والعدل اهـ قلت وقدروى ذلك من حديث علي مرفوعا قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن السندي حدثنا الحسن بن علويه القطان حدثنا اسمعيل بن عيسى العطار حدثنا اسحق بن بشر حدثنا مقاتل عن قتادة عن خلاس بن عمرو قال كنا جلوسا عند علي بن أبي طالب اذ أتاه رجل من خزاعة فقال يا أمير المؤمنين هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعت الاسلام قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بني الاسلام على أربعة أركان على الصبر واليقين والجهاد والعدل الحديث وهو طويل وقد تقدم بعضه في كتاب التوبة ثم قال صاحب الحلية كذا رواه خلاس بن عمرو مرفوعا وخالف الرواة عن علي فقال الاسلام ورواه الاصبغ بن نباتة عن علي فقال الايمان ورواه الحرث عن علي موقوفا مختصرا ورواه قبيصة بن جابر عن علي من قوله ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن علي من قوله اهـ قلت وبلفظ الايمان موقوفا رواه صاحب نهج البلاغة (وقال) علي رضي الله عنه (أيضا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له) كذا في القوت ولكن بلفظ انما الصبر من الايمان وهكذا رواه البيهقي في الشعب باسناده اليه قال الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا قطع الرأس مات الجسد ثم قال علي وافعاصوته اما انه لا ايمان لمن لا صبر له وروى صاحب نهج البلاغة قال علي رضي الله عنه أوصيكم بخمس لو ضربتم اليها آباط الابل لكانت لذلك أهلا لا يرجون أحد منكم الا ربه ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحيين أحد اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ولا يستحيين أحد اذا لم يتعلم الشئ أن يتعلمه وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في ايمان لا صبر معه انتهى وقد روى أوله مرفوعا من حديث أنس رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف (وكان عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه يقول نعم العدلان) مثنى العدل بكسر العين والدال المهملتين وهو الحمل زنة ومعنى اذ كل منهما عديل للآخر وقال ابن فارس العدل الذي يعادل في الوزن والقدر وعدله بالفتح ما يقوم مقامه من غير جنسه وفي المصباح عدل الشئ بالكسر مثله من جنسه ومقداره (ونعمت العلاوة للصابر يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة) بالكسر (ما يحمل فوق العدلين على البعير) فيكون كعدل ثالث وفي المصباح ما يعلق على البعير بعد حمله مثل الاداوة والسفرة والجمع علاوى (أشار الى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) كذا في القوت وقد أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في السنن وابن أبي الدنيا في العزاء عن عمر بن الخطاب قال نعم العدلان ونعم العلاوة الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون نعم العلاوة (وكان حبيب بن أبي حبيب) العجلي أبو عمرو البصري نزيل الكوفة صدوق يخطئ روى له الترمذي (اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب) يعني داود عليه السلام (بكى وقال واعجباه أعطى واثنى أي هو المعطي للصبر وهو المثني عليه) والرب اذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه لأن أعمالهم من خلقه (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر) نقله صاحب القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا موسى بن هارون الحافظ حدثنا أبو الربيع وداود بن رشيد قالا حدثنا بقية حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان حدثني يزيد بن رشد الهمداني أبو عثمان عن أبي الدرداء انه كان يقول ذروة الايمان الصبر للحكم والرضى بالقدر والاخلاص للتوكل والاستسلام للرب تعالى (هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل فأما من

وقال علي كرم الله وجهه بني الايمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال أيضا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابر يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير وأشار به الى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وكان حبيب بن أبي حبيب اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب بكى وقال واعجباه أعطى وأثنى أي هو المعطي للصبر وهو المثني وقال أبو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل وأما من

حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف) فلابد من معرفة الموصوف الذى هو حقيقة الصبر (فلنذكر حقيقته ومعناه وبالله التوفيق)

(بيان حقيقة الصبر ومعناه)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الصبر مقام) شريف (من مقامات الدين) وهو ثانى مقام من مقامات اليقين (ومنزل) منيف (من منازل السالكين) فى طريق الحق لا يستغنى عنه سالك ألبتة الا رجل انسلخ من غفلته الى حضرة ربه فان هذا المنزل لا يعرفه ولا يبدو رحوله الى أن يرجع الى بشريته وانسانيته (وجميع مقامات الدين انما تنتظم من ثلاثة أمور معارف وأحوال وأعمال) وذلك لان المقامات كلها من الايمان بالله ولله كما دل عليه قوله تعالى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى وللايمان بالله ولله عقود كثيرة لا نهاية لها على ما أشرنا اليه فى أول كتاب التوبة وكل عقد من هذه العقود أصل ولذلك الاصل فرع وللفرع ثمرة (فالمعارف هى الاصول) الثابتة فى القلوب بما أمرها الله بها من النظر والاعتبار (وهى تورث الاحوال) أى ان لتلك الاصول فروعا تنشأ عنها هى مواجيد القلوب وأحوال لها بسبب ما جبلها عليه من محبة سعادتها وكمالها (والاحوال تثمر الاعمال) أى ان لذلك الاحوال ثمارا هى الاعمال الناشئة عن أحوال القلوب وبها النجاة والكمال فالعلم هو الاصل الذى هو عقد من عقود الايمان بالله أو لله والحال ما ينشأ عنه من المواجيد والعمل هو ما تنشئه المواجيد على القلوب والجوارح من الاعمال (فالمعارف كالاشجار) فانها ثابتة فى القلوب ثبوت الاشجار فى الارض (والاحوال كالاغصان) فانها متفرعة عن تلك المعارف تفرع الاغصان عن الاشجار (والاعمال كالثمار) فانها تنشأ من تلك الاحوال نشأة الثمار من الاغصان وقد بين ذلك قوله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة الآية وتقدمت الاشارة اليه أول كتاب التوبة (وهذا مطرد فى جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف) فقط التى هى الاصول (وتارة يطلق على الكل) أى عليها مع ما ينشأ منها ويثمر منها (كما ذكرناه فى اختلاف اسم الايمان والاسلام فى كتاب قواعد العقائد وكذا الصبر) من جملة عقود الايمان بالله ولله (لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة) تنشأ عن تلك المعرفة هى كالفرع لها (فالصبر على التحقيق عبارة عنهما) عن تلك المعرفة والحالة (والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين) الموجودات (والملائكة والانس والبهائم فان الصبر خاصية الانس) أى مخصوص بنوع الانسان لتركبه من طرفى مشابهة الملائكة والبهائم (فلا يتصور ذلك فى البهائم والملائكة أما) عدم تصوره (فى البهائم فلنقصانها) وتسفل درجتها فى نفس الحياة التى بها شرفها لان الحى هو الدراك الفعال وفى ادراك البهيمة نقص وفى فعلها نقص أما ادراكها فنقصانها انه مقصور على الحواس وادراك الحس قاصر لانه لا يدرك الاشياء الا بمماسة أو بقرب منها فالحس معزول عن الادراك ان لم يكن مماسة ولا قرب فان اللمس والذوق يحتاجان الى المماسة والسمع والبصر والشم يحتاجون الى القرب وكل موجود لا يتصور فيه مماسة ولا قرب فالحس معزول عن ادراكه فى هذه الحالة وأما فعلها فسيأتى فى سياق المصنف قريبا (وأما) عدم تصوره (فى الملائكة فلكمالها) وعلو درجتها (وبيانه ان البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة) أى منقادة (لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة فى مقابلة مقتضى الشهوة صبرا) وهو اشارة الى نقصانها فى فعلها (وأما الملائكة عليهم السلام فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى تحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن) مطالعة (حضرة الجلال بجند

حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف فلنذكر حقيقته ومعناه وبالله التوفيق

(بيان حقيقة الصبر ومعناه) اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين انما تنتظم من ثلاثة أمور معارف وأحوال وأعمال فالمعارف هى الاصول وهى تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار وهذا مطرد فى جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه فى اختلاف اسم الايمان والاسلام فى كتاب قواعد العقائد وكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والانس والبهائم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك فى البهائم والملائكة أما فى البهائم فلنقصانها وأما فى الملائكة فلكمالها وبيانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة فى مقابلة مقتضى الشهوة صبرا وأما الملائكة عليهم السلام فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى تحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند

آخر

آخر يغلب الصوارف وأما الانسان فانه خلق فى ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء الذى هو محتاج اليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند فى مقابلة جند آخر قام القتال بينهما التضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس فى الصبى الا جند الهوى كما فى البهائم ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده أكرم بنى آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين أحدهما يهديه والآخر يقوّيه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين احداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذى اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهواتها فى الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ وأما الدواء النافع مع كونه مضرا فى الحال فلا تطلبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة فى العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية مالم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها فى نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد كما ان نور الهداية أيضا يختلف فى الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التى بها فارق الانسان البهائم فى قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين و باعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى

آخر يغلب الصوارف) ولتقدسها عن الشهوة كانت داعية للقرب الى الله تعالى (وأما الانسان) فدرجته متوسطة بين الدرجتين فكأنه مركب من بهيمة وملكية (فانه خلق فى ابتداء الصبى ناقصا مثل البهيمة) أى فى الادراك اذ ليس له منه أوّلا الا الحواس التى يحتاج فى الادراك بها الى طلب القرب فى المحسوس بالسعى والحركة الى ان يشرق عليه نور العقل المتصرف فى ملكوت السموات والارض من غير حاجة الى حركة بالبدن وطلب قرب أو مماسة مع المدرك له بل مدركه الامور المقدسة عن قبول القرب والبعد بالمكان (لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء الذى هو محتاج اليه) فهى مستولية عليه (ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة) وفى اثناء ذلك يظهر فيه شهوة الغضب و بحسب مقتضى كل هذه الشهوات يكون انبعاثه (ثم شهوة النكاح على الترتيب) الى أن يظهر فيه الرغبة فى طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى تلك الشهوات (وليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند فى مقابلة جند آخر قام القتال بينهما التضاد مقتضياتهما ومطالبتهما وليس فى الصبى الا جند الهوى كما فى البهائم) يدعو الى أفعال ملائمة لشهوته (ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده) وكرمه (أكرم بنى آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم) اذ قد خصهم بالكمال فى الادراك وفى العقل (فوكل به) أى بكل واحد منهم (عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين أحدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن) رتبة (البهائم واختص بصفتين احداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله و) الثانية (معرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذى اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصالح العواقب بل الى مقتضى شهواتها فى الحال فقط فلذلك لا يطلب الا اللذيذ فاما الدواء النافع مع كونه مضرا فى الحال فلا تطلبه) ولا ترغب اليه (ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات لها مغبات مكروهة فى العاقبة) يقال للامر غب بالكسر ومغبة أى عاقبة (ولكن لم تكن هذه الهداية كافية مالم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها فى نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها) من أصلها (عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود) باطنة (لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوات فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد) والمعونة (كما ان نور الهداية أيضا يختلف فى الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التى بها فارق الانسان البهائم فى قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا) لكون تلك القوة تبعث الى أمور الدين (ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى) لكونها تبعث الى هوى النفس (وليفهم ان القتال قائم بين باعث الدين و باعث الهوى والحرب بينهما سجال) أى متوال لا ينقطع (ومعركة هذا القتال) أى ميدانه ومحله (قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله) ومعرفة هذا من الايمان لله تعالى وهو تصديق الله تعالى فيما أخبر به من عداوة النفس والشيطان والشهوات للعقل والمعرفة والملك الملهم للخير وان الشهوات والنفس من حزب الشيطان والمعرفة والعقل والملائكة من جند الله

فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر فى دفعها التحق باتباع الشياطين فاذن ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذى هو فى مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات فى الدنيا والآخرة فاذا قوى يقينه أعنى المعرفة التى تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوى ثبات باعث الدين واذا قوى ثباته تمت الافعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين واذا عرفت أن رتبة الملك الهادى أعلى من رتبة الملك المقوى لم يخف عليك أن جانب اليمين الذى هو أشرف الجانبين من جنبتى الدست ينبغى أن يكون مسلما له فهو اذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال وللعبد طوران فى الغفلة والفكر وفى الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسىء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب اقباله له حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسىء اليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين أما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة

كما

وحزبه وهذا الايمان واجب لا يستغنى عنه سالك لطريق الله تعالى (فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الشهوة فان ثبت) هذا الباعث (حتى قهره) أى باعث الشهوة (واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين) وأنزله الله فى جواره ومتعه بالنظر الى وجهه (وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر فى دفعها التحق باتباع الشياطين) ووسم عليه بميسم الابعاد عن حضرة رب العالمين (فاذا ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذى هو فى مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات فى الدنيا والآخرة فاذا قوى يقينه أعنى المعرفة التى تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوى ثبات باعث الدين واذا قوى ثباته تمت الافعال) الصادرة عنه (على خلاف ما تتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها) والقدر الواجب من ثبات باعث الدين تقويته بالوعد والوعيد وسائر البواعث الحادثة المقوية له الى ان يغلب وينتصر ويفوز بالخلع السنية الموعودة له ولو لم يكن الا قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وان تغافل وتلاشى فى أمره ولم يستمد بمزايا من الملك خذل وغلب وحق عليه كلمة العذاب بقضاء الله وقدره قال الله تعالى ولو شاء الله ما أشركوا ولو شاء الله ما اقتتلوا ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيره اياهما وهما من) جملة (الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين) قال الله عز وجل كلا بل تكذبون بيوم الدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون روى ابن جرير عن ابن عباس قال جعل الله على ابن آدم حافظين فى الليل وحافظين فى النهار يحفظان عمله ويكتبان أثره وروى البزار من حديث ابن عباس ان الله ينهاكم عن التعرى فاستحيوا من ملائكة الله الذين منهم الكرام الكاتبون الذين لا يفارقونكم الا عند احدى ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل فان اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو بغيره وفيه حفص بن سليمان لين الحديث وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الظهيرة فرأى رجلا يغتسل بفلاة من الارض فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فاتقوا الله واكرموا الكرام الكاتبين الذين معكم ليس يفارقونكم الا عند احدى منزلتين حيث يكون الرجل عند خلائه أو يكون مع أهله لانهم كرام كما سماهم الله فاذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بجرم حائط أو بغيره فانهم لا ينظرون اليه (واذا عرفت ان رتبة الملك الهادى أعلى من رتبة الملك المقوى لم يخف عليك ان جانب اليمين الذى هو أشرف الجانبين من جنبتى الدست ينبغى أن يكون مسلما له) موكولا اليه (فهو اذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال وللعبد طوران فى الغفلة والفكر وفى الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسىء اليه فيكتب اعراضه) عنه (سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له اقباله به حسنة وكذا بالاسترسال وهو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسىء اليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة وانما تثبت) وفى نسخة ثبتت (هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة)

وأما الكاتبين فلاثباتهما الحسنات والسيئات وانما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجملة ما تعلق بهما من جملة عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة وكل شئ من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى

وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا امافي القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملا من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا آحادا والهول الاول هو هول القيامة الصغرى ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان أرضك الخاصة بك تزلزل في الموت فانك تعلم أن الزلزلة اذا نزلت ببلدة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم انك أرضي مخلوق من التراب

وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فأما بدن غيرك فليس بحظك والارض التي أنت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان وانما تخاف من تزلزله أن يتزلزل بدنك بسببه والا فالهواء أبدا متزلزل وأنت لا تخشاه اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي أرضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك سماء أرضك وقلبك شمس أرضك وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم

كما وصفهم الله تعالى بذلك وهم كما وصفوا (وأما الكاتبين فلاثباتهما الحسنات والسيئات) في صحائف أعمال العباد (وانما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب) أي باطنه (ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجملة ما يتعلق بهما من جملة عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة) والملك (وكل شئ من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم) وانما تدركه البصائر الصافية المصقولة بانوار العرفان (ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من حديث أنس بسند ضعيف انتهى قلت وعند ابن لال في مكارم الاخلاق والديلمي من حديث أنس اذا مات أحدكم فقد قامت قيامته واعبدوا الله كأنكم ترونه واستغفروه كل ساعة وروى العسكري في الامثال من حديث أنس أكثروا ذكر الموت فانكم ان ذكرتموه في غنى كدره عليكم وان ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم الموت القيامة اذا مات أحدكم فقد قامت قيامته يرى ماله من خير وشر وفيه داود بن المحبر كذاب عن عنبسة بن عبد الرحمن متروك متهم عن محمد بن زاذان قال البخاري لا يكتب حديثه ورواه ابن لال في المكارم بلفظ أكثروا ذكر الموت فان ذلك تمحيص للذنوب وتزهيد في الدنيا الموت القيامة وعند ابن أبي الدنيا فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وسنده ضعيف جدا وروى الطبراني من طريق زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة القيامة وانما قيامة الرجل موته ومن رواية سفيان عن أبي قيس قال شهدت جنازة فيها علقمة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته (وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى) أي افرادا (كما خلقناكم أول مرة) أي في وقت الولادة (وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أي حاسبا (امافي القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق) من الاول الى الآخر (فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق) ورؤس الاشهاد (وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا آحادا) كما دل عليه قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا الآية (والهول الاول هو هول القيامة الصغرى) يعني به هول (الموت ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير فان للقيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا) الموعود بها في القيامة الكبرى في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها (فان أرضك الخاصة بك بدنك تزلزل في الموت) أي تضطرب وترتج (فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلدة صدق ان يقال قد زلزلت أرضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت عليه من غير نقصان واعلم انك أرضي مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فاما بدن غيرك فليس بحظك والارض التي أنت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان) لحلولك فيه (وانما تخاف من تزلزله ان يتزلزل بدنك بسببه والا فالهوى أبدا متزلزل وأنت لا تخشاه) ولا تعبأ به (اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي أرضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال أرضك) أي بمنزلتها لصلابتها بالاضافة الى سائر أجزاء البدن (وأطرافك أشجار أرضك) لارتفاعها كارتفاع الاشجار (ورأسك سماء أرضك) لعلوها كعلو السماء (وقلبك شمس أرضك) أي بمنزلتها في السماء في تنويرها (وسمعك وبصرك وسائر حواسك الظاهرة نجوم

سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك وشعورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا الى جميع أجزائك فاذا انهدم بالموت
أركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد
نسفت الجبال نسفا فاذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا فاذا أبطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت
النجوم انكدارا فاذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار

تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالاخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الارض فمدت حتى ألقت مافيها وتخلت ولست أطول بجميع موازنة الاحوال والاهوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ولا يفوتك من القيامة الكبرى شئ مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر الى الكواكب والاعمى يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانها قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه اذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لا رأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والخوف بعد أسفل والهول بعد مؤخر
وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال واعلم وغيرها
أن هذه الصغرى وان طولنا في وصفها فانا لم نذكر عشر عشير أوصافها وهي بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة
الكبرى فان للانسان ولادتين احداهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام فهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم وله في
سلوكه الى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة

سمائك) أي بمنزلتها (ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك) أي بمنزلته في اسالة الفوهات (وشعورك
النابتة في البدن (نبات أرضك) أي بمنزلته في النمو (وهكذا الى جميع أجزائك) وقد أشار اليه المصنف
في كيمياء السعادة فقال ان نفس ابن آدم مختصرة من العالم وفيها من كل صورة في العالم أثر منه لان
هذه العظام كالجبال ولحمه كالتراب وشعره كالنبات ورأسه مثل السماء وحواسه مثل الكواكب (فاذا
انهدمت بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها) أي اضطرابها المقدر لها (فاذا انفصل العظام
واللحوم) من بعضها (فقد حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا أرمت العظام) أي بليت
وتخربت (فقد نسفت الجبال نسفا) يشير بذلك الى قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها
ربي نسفا وفي نسخة فقد بست الجبال بسا (فاذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا)
أي لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا أريد رفعه لف أو لف ضوءها فذهب
انبساطه في الآفاق وزال أثره (فاذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا)
أي أظلمت وانقضت (فاذا تشقق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا) أي صارت شقة شقة أو انشقت
بالغمام (فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك) وذلك عند الموت فان الجبين لا تعرق الا عند معاينة
الاهوال ولا هول أعظم من الموت (فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالاخرى وهما
مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا) أي تركت مهملة والعشار هي النوق اللاتي أتى على حملهن عشرة
أشهر جمع عشراء (فاذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الارض فمدت) أي بسطت بان تزال جبالها
وآكامها (حتى ألقت مافيها) أي في جوفها (وتخلت) أي تكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق
شئ في بطنها (ولست أطول بجميع موازنة الاحوال والاهوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك
هذه القيامة الصغرى) وتعاين أهوالها (ولا يفوتك من القيامة الكبرى شئ مما يخصك بل ما يخص
غيرك) أيضا (فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر
الى الكواكب والاعمى) الذي ذهب بصره (يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها
لانها قد كسفت في حقه دفعة واحدة فهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره) ممن يراه (ومن
انشق رأسه فقد انشقت سماؤه اذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس) لسموه أي علوه وارتفاعه ولذا
سمي السحاب سماء بهذا الاعتبار (فمن لا رأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي
القيامة الصغرى) المشار اليها في الحديث المذكور (والخوف بعد أسفل والهول بعد مدخر وذلك اذا
جاءت الطامة الكبرى) أي المصيبة العظمى تطم على الكل وتعم (وارتفع الخصوص وبطلت السموات
والارض) ومحيت آثارها (ونسفت الجبال) نسفا فصارت هباء منبثا (وتمت الاهوال واعلم ان هذه
الصغرى وان طولنا في وصفها فانا لم نذكر عشر عشير أوصافها بالنسبة الى القيامة الكبرى) وهي
(كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين احداهما الخروج من الصلب
والترائب الى مستودع الارحام فهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم) كما أخبر عنه سبحانه في كتابه
العزيز (وله في سلوكه الى الكمال منازل) يسلكها (وأطوار) ينتقل اليها (من نطفة وعلقة ومضغة

وغيرها الى أن يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم
الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا الى الرحم

بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالاولى ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشأة الثانية الا على قياس النشأة الاولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين واليه الاشارة بقوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الاهوال فان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى أوما سمعت قول سيد الانبياء كفى بالموت واعظا أوما سمعت بكربه عليه السلام عند الموت حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم هون على محمد سكرات الموت أوما تستحي من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا

الى أهلهم يرجعون فيأتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون ويأتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن أفيظنون أنهم في الدنيا خالدون أولم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون أم

وغيرها الى ان يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم) وسعته (فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا الى الرحم بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالاولى) قال الله تعالى (ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشأة الثانية الا على قياس النشأة الاولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في النشأتين) الاولى والثانية (واليه الاشارة بقوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين) الصغرى والكبرى (مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى أحد العالمين) عالم الملك فقط (وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال) اذ هو ممسوخ العين اليمنى كما ورد ذلك في الاخبار (فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين) قد ضربت الغفلة على بصائرنا حجبا (وكيف تغفل وبين يديك هذه الاهوال) والمصائب والاوحال (فان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال) واغواء العدو الخيال (فلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى أوما سمعت قول سيد الانبياء) صلى الله عليه وسلم (كفى بالموت واعظا) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الربيع بن بدر وهو ضعيف ورواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد انتهى هكذا هو في نسخة كتاب العراقي عقبة بن عامر والصواب عمار بن ياسر فقد رواه الطبراني والبيهقي في الشعب والقضاعي في مسند الشهاب والعسكري في الامثال من طريق يونس بن عبيد عن الحسن عن عمار بن ياسر مرفوعا ولفظه كفى بالموت واعظا وكفى بالموت غنى وكفى بالعبادة شغلا وعند الطبراني وحده أيضا بلفظ كفى بالموت واعظا وكفى باليقين غنى وروى العسكري في الامثال من طريق يحيي بن اسحق عن ابن لهيعة عن جبير بن أبي حكيم عن أنس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان فلانا جاري يؤذيني فقال اصبر على أذاه وكف عنه أذاك قال فما لبث الا يسيرا اذ جاء فقال يا رسول الله ان جاري ذاك مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالدهر واعظا وبالموت مفرقا ورواه كذلك ابن السني في عمل يوم وليلة وروى ابن أبي الدنيا في كتاب البر والصلة من رواية عبد الرحمن الحبلي مرسلا كفى بالموت مفرقا وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن الربيع بن أنس مرسلا كفى بالموت مزهدا في الدنيا ومرغبا في الآخرة (أوما سمعت بكربه صلى الله عليه وسلم عند الموت) وقوله ان للموت سكرات وان للموت فزعا (حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم هون على محمد سكرات الموت) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ اللهم أعني على سكرات الموت (أوما تستحي من استبطائك هجوم الموت) والساعة (اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون) ولفظ التنزيل ما ينظرون أي لا ينتظرون (الا صيحة واحدة) هي النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) أي يختصمون في معاملاتهم لا يخطر ببالهم أمرها لقوله تعالى فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون (فلا يستطيعون توصية) من شئ من أمورهم (ولا الى أهلهم يرجعون) فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم (فيأتيهم المرض نذيرا من الموت) أي مخوفا منه (فلا ينزجرون) ولا يتعظون (ويأتيهم الشيب رسولا منه) بدنو أجلهم (فما يعتبرون) ولا ينتبهون (فياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) فان المستهزئ بالناصح المخلص المنوط بنصحه خير الدارين أحق بان يتحسر ويتحسر عليه (أفيظنون انهم في الدنيا خالدون ألم يروا) أي ألم يعلموا (كم أهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون) أي ألم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم وكونهم غير راجعين اليهم (أم

يحسبون أن الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ان كل لما جميع لدينا محضرون ولكن ما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا
عنها معرضين وذلك لانا جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا
يؤمنون ولنرجع الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الى أمور هي أعلى من علوم المعاملة فنقول قد ظهر ان الصبر عبارة عن

ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيأ على الصبيان والمجانين اذ قد ذكرنا ان الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل الى الاستفادة فلا يتصور منهما اقبال واعراض وهما لا يكتبان الا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والاعراض ولعمري انه قد تظهر مبادي اشراق نور الهداية عند سن التمييز وتنمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح الى أن يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد الى مضار الآخرة بل الى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب على تركها في الآخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق ان كان من الابرار وكان على سمت الكرام الكاتبين البررة الاخيار
أن يكتب على الصبي سيئته وحسنته على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه
المعارف
بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما ناله
الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين والصديقين واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار الى أصبعيه
الكريمتين صلى الله عليه وسلم *(بيان كون الصبر نصف الايمان)* اعلم ان الايمان تارة يختص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين

يحسبون ان الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا) حرف ردع وزجر (ان كل لما جميع لدينا
محضرون) يوم القيامة للجزاء (ولكن ما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين)
لاعتيادهم على العناد وتمرنهم عليه (وذلك لانا جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) أي قد أحاط
بهم سدان (فأغشيناهم) أي غطينا على أبصارهم (فهم لا يبصرون) قدامهم ووراءهم فهم محبوسون
في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم
لا يؤمنون ولنرجع الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الى أمور) من علوم المكاشفة (هي أعلى من
علوم المعاملة فنقول قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة)
بين الباعثين (من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين) وهما الملكان الموكلان بكل
شخص منهم فيكتبان الآثار ويحفظان الاعمال (ولا يكتبان شيأ على الصبيان والمجانين) ففي الخبر
رفع القلم عن الصبي حتى يبلغ وعن المجنون حتى يعقل (اذ قد ذكرنا ان الحسنة في الاقبال على الاستفادة
منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان والمجانين سبيل الى الاستفادة فلا يتصور منهما اقبال
واعراض وهما لا يكتبان الا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والاعراض ولعمري قد
تظهر مبادي اشراق نور الهداية عند) بلوغ الصبي (سن التمييز وتنمو على التدريج) شيأ فشيأ
(الى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح) في أول ظهوره (الى أن يطلع قرص الشمس) بارزا للعيون
(ولكنها هداية قاصرة لا ترشد الى مضار الآخرة بل الى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات
ناجزا) فروى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث ابن عمر مروا أولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع
واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين الحديث (ولا يعاقب في الآخرة ولا يكتب عليه في الصحائف
ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل) ان كان يتيما (والولي البر الشفيق ان كان من الابرار وكان
على سمت الكرام الكاتبين البررة الاخيار أن يكتب على الصبي سيئته وحسنته على صحيفة قلبه فيكتبه
عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب) كما في مضمون الخبر السابق (فكل ولي
هذا سمته في حق الصبي فقد ورث اخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب
من رب العالمين كما ناله الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين والصديقين) من عباده الصالحين (واليه
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين وأشار الى أصبعيه الكريمتين صلى الله عليه
وسلم) رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن حبان من حديث سهل بن سعد بلفظ أنا وكافل
اليتيم في الجنة وأشار بالسبابة والوسطى وقد تقدم ورواه أيضا الطبراني في الكبير من حديث أبي امامة
وروى أبو يعلى من حديث عائشة أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وجمع بين السبابة والوسطى
الحديث وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه وروى عبد الرزاق والحكيم والطبراني والبيهقي والخرائطي
في مكارم الاخلاق وابن عساكر من رواية بنت مرة البهزية عن أبيها أنا وكافل اليتيم له أو لغيره
اذا اتقى الله في الجنة كهاتين وأشار باصبعه المسبحة والوسطى

(بيان كون الصبر نصف الايمان)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الايمان تارة يختص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين) وهي

وتارة يختص بالاعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف أبواب وللاعمال أبواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناها في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين (أحدهما) ان يطلق على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان أحدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى آخره

(الاعتبار الثاني) أن يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر و بالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطرى الايمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع أيضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة و باعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا

المعارف (وتارة) يختص في اطلاقه (بالاعمال الصالحة الصادرة عنها) أي عن تلك التصديقات (وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف والاعمال أبواب) كثيرة (ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها) بالاطلاق الثالث (كان الايمان نيفا وسبعين بابا) كما في خبر أبي هريرة عند الترمذي الايمان بضع وسبعون بابا فأدناها اماطة الاذى عن الطريق وأرفعها قول لا اله الا الله وقال حسن صحيح وعند ابن حبان الايمان سبعون أو اثنان وسبعون بابا أرفعه لا اله الا الله وأدناه اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وقد تقدم (واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات) فليراجع هناك (ولكن الصبر نصف الايمان) كما ورد في الخبر (باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين أحدهما أن يطلق) الايمان (على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان أحدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما) أي اليقين والصبر (فقال ان من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث) الخ من رواية شهر بن حوشب عن أبي امامة مرفوعا وقد تقدم قريبا وبهذا الاعتبار أيضا يكون اليقين نصف الايمان لانه أحد ركنيه و يقرر كون الصبر نصف الايمان بوجه آخر وهو انه كما سيأتي ان الصبر عن المعاصي أشرف من الصبر على الطاعات لان الآفات الداخلة على الطاعات من جهة المعاصي لان للعدو حظا في دخول الآفات عليها وكل أحد يقدر على القيام بالطاعة ولا يقدر على ترك المعصية الا الصديقون والصبر على المصائب أشرف من الصبر على المعاصي اذ لا ألم في ترك المعاصي والمصائب محك الايمان ولان الصبر عن المعاصي يكون في الغالب من مشاهدة الوعد والوعيد والصبر على المصائب في الغالب لا يكون الا عن مشاهدة القضاء والقدر والقضاء والقدر من الايمان بالله والوعد والوعيد من الايمان بالله وما نشأ عن الايمان بالله تعالى كان أفضل و بشرف الصبر بشرف المصبور فيه والمصبور لاجله وبه يعرف سر قوله الصبر نصف الايمان لان النصف الاول هو العلم والنصف الثاني هو العمل (الاعتبار الثاني أن يطلق الايمان) (على الاحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر و بالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطرى الايمان بهذا الاعتبار كما ان اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال ابن مسعود) رضي الله عنه (الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر) كذا في القوت وقد رواه البيهقي بنحوه (وقد يرفع أيضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) كما رواه البيهقي والديلمي من حديث أنس وقد تقدم (ولما كان الصبر صبرا عن بواعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة و باعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر) كما رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وتقدم (لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا

الاعتبار ربع الايمان فهكذا ينبغي أن تفهم تقديرات الشرع بحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الايمان فان اسم الايمان يطلق

(بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ماعنه الصبر)

اعلم ان الصبر ضربان أحدهما ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة امامن العبادات أو من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان عن احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده التذمر وان كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا

على

الاعتبار ربع الايمان) وباعتبارات الصبر لا يتم الا بعمل يثمره وعمل هو ثمرته يكون الصبر الايمان كله كما في الحديث وباعتبار ان مدار اليقين على الايمان بالله وبقضائه وقدره وماجاء به رسله مع الثقة بوعده ووعيده فهو متضمن لكل مايجب الايمان به يكون اليقين الايمان كله كما في تتمة خبر ابن مسعود السابق ولما كان الرضا بالقضاء نظام التوحيد ومنتهى درجة الزاهدين يكون الصبر الرضا كما في خبر أبي موسى الاشعري عند الحكيم وابن عساكر ومن ثم قالوا اليقين الايمان بالقدر والسكون اليه (فهكذا ينبغي أن يفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال ولنسبتها الى الايمان والاصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الايمان وان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة) واعتبارات شتى

(بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ماعنه الصبر)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الصبر) في اللغة الحبس والكف في ضيق ومنه قتل فلان صبرا اذا أمسك وحبس للقتل قال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية أي احبس نفسك معهم وهو (ضربان ضرب بدني) ويقال له الجسمي أيضا وذلك (كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها) على قدر قوة البدن ونهايته معلومة وأكثرها لذوي الجسوم الخشنة وليس ذلك بفضيلة تامة ولهذا قال الشاعر

والصبر بالارواح يعرف فضله * صبر الملوك وليس بالاجسام

(وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة امامن العبادات) كان يصلي حتى ترم رجلاه أو يصوم مواصلا حتى تسقط قوته (أومن غيرها) كالمشي الكثير ورفع الحجر الثقيل (واما بالاحتمال) وهو الانفعالي (كالصبر على الضرب الشديد) بالمقارع (والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع) نصا أوقياسا أواستحبابا (ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي) وذلك بان يكف النفس (عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى) وبه تتعلق الفضيلة (ثم هذا الصبر) ضربان (ان كان صبرا عن) تناول (شهوة البطن والفرج سمي عفة) فالعفة لا تتعلق الا بالقوى الشهوية ولا تتعلق من القوى الشهوية الا بالملاذ الحيوانية وهي المعلقة بالغارين البطن والفرج دون الالوان الحسنة والالحان الطيبة والاشكال المنتظمة والعفة أس الفضائل وانما تتعلق بضبط القلب عن التطلع للشهوات البدنية ومن اعتقاد مايكون جالبا للبغي والعدوان وتمامها يتعلق بحفظ الجوارح (وان كان عن احتمال مكروه) وهو الضرب الثاني وهذا قد (اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر) وأخصر (من ذلك اختلفت أساميه بحسب اختلاف مواقعه فان كان) ذلك (في) نزول (مصيبة اقتصر) به (على اسم الصبر) ولم يتعد به هذا الاسم (وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع) والحزن (وهو اطلاق دواعي الهوى يسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود) ولدم الصدور (وشق الجيوب وغيرها) مماينشا كلها (وان كان) ذلك (في احتمال الغنى) فقد (سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر) وقال بعضهم ضبط النفس في الاشياء الملذة والصبر يقال في الاشياء المحزنة وقال بعضهم بل هما في الاسماء المترادفة على معنى واحد (وان كان) ذلك (في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم) و هو امساك النفس عن قضاء وطر (الغضب سمي حلما ويضاده التذمر) بالذال المعجمة (وان كان في بذل المال وانفاقه سمي سخاء ويضاده التبذير وان كان) ذلك (في نائبة من نوائب الزمان مضجرة) أي مقلقة (سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام) وامساكه في الضمير (سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما) ويضاده الافشاء (وان كان من فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا

على قدر يسير من الحظوظ سمى قناعة ويضاده الشره فأكثر أخلاق الايمان داخل فى الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه أكثر أعماله وأعزها كما قال الحج عرفة وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين فى البأساء أى المصيبة والضراء أى الفقر وحين البأس أى المحاربة أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فاذا هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعانى من الاسامى يظن أن هذه الاحوال مختلفة فى ذواتها وحقائقها من حيث رأى

الاسامى مختلفة والذى يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعانى أولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامى فانها دالة على المعانى فالمعانى هى الاصول والالفاظ هى التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لابد وأن يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه

(بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف)

اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة أحوال (أحدها) ان يقهر داعى الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلاجرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم

واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين واياهم ينادى المنادى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية *(الحالة الثانية)* أن تغلب دواعى الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد ليأسه من المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا أعداء الله فى قلوبهم التى هى سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله واليهم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا

على قدر يسير من الحظوظ سمى قناعة ويضاده الشره) محركة (فأكثر أخلاق الايمان داخل فى الصبر ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان قال هو الصبر) كما تقدم قريبا لانه أكثر أعماله وأعزها (كما قال) صلى الله عليه وسلم (الحج عرفة) تقدم فى كتاب التوبة وفى كتاب الحج (وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبرا) فى آية واحدة (فقال والصابرين فى البأساء أى المصيبة والضراء أى الفقر وحين البأس أى المحاربة) فهذا صبر عام ولما كان أشق شئ على النفوس وأصعبه على الطباع وفيه عزائم الامور اشترط الله على المتقين والصادقين والصابرين الصبر على الشدائد والمكاره وحقق بالصبر صدقهم وتقواهم وأكمل به وصفهم وأعمال برهم فقال (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فاذا هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها) فاختلفت الاسامى لذلك واستدلوا بذلك على فضيلته فى نفسه وانه مقصود لذاته (ومن يأخذ المعانى من الاسامى يظن ان هذه أحوال مختلفة فى ذواتها وحقائقها من حيث رأى الاسامى مختلفة) وهذا نظر قاصر (والذى يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله) مما أفيض به على بصيرته (يلحظ المعانى أولا فيطلع على حقائقها) الاصلية (ثم يلاحظ الاسامى فانها وضعت دالة على المعانى فالمعانى هى الاصول والالفاظ هى التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لابد وان يزل) قدمه (والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى أفمن يمشى مكبا) يعثر كل ساعة ويخر (على وجهه أهدى) لوعرة طريقه واختلاف أجزائه ولذلك قابله بقوله (أم من يمشى سويا) قائما سالما من العثار (على صراط مستقيم) مستوى الاجزاء والجهة (فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات) فكان سببا لعثارهم (نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه آمين)

(بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة أحوال احداها ان يقهر داعى الهوى) ويصدمه مرة (فلا تبقى له قوة المنازعة) مع باعث الدين أصلا (ويتوصل اليه بدوام الصبر) فى أحواله كلها (وعند هذا يقال من صبر ظفر) أى نال الفوز والفلاح أو المراد من صبر على مخاتلة عدوه ظفر به (والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون) لصعوبة القيام بالدوام (فلاجرم هم الصديقون المقربون الذين) وصفهم الله تعالى فى كتابه العزيز فقال الذين (قالوا ربنا الله) أقروا بربوبية المعبود وقيامه به واحاطته عليه وذلك خلاصة التوحيد (ثم استقاموا) على هذا الاقرار تتنزل عليهم الملائكة الآية (فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم) فى التوحيد (واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين واياهم ينادى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية) وهؤلاء هم السابقون (الحالة الثانية ان تغلب دواعى الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشيطان) فيستولى عليها (ولا يجاهد ليأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون) الظالمون لانفسهم (وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهوتهم) أى تملكتهم وجعلتهم كالارقاء (وغلبت عليهم شقوتهم) وسوء حظهم (فحكموا أعداء الله فى قلوبهم التى هى سر من أسرار الله تعالى) والمراد بها اللطيفة الربانية لا المضغة اللحمانية بدليل قوله (وأمر من أوامره والبهم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا

كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال أنا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلست أطمع فيها أو لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار عقله في يد شهواته كمسلم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله أسيرا عندهم لانه بفاحش جنايته يشبه أنه سخر ما كان حقه أن لا يستسخر وسلط ما حقه أن يتسلط عليه وانما استحق المسلم أن يكون متسلطا لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وانما استحق الكافر أن يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه فهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلما لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلمه الى أبغض أعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستجابه لنقمته لان الهوى أبغض اله عبد في الارض عند الله تعالى والعقل اعز موجود خلق على وجه الارض (الحالة الثالثة) أن يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد مثله لا من الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه أيضا ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما أن يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيأ منها أو يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ

كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وكذلك قوله تعالى ولو شاء الله ما أشركوا وقوله ولو شاء الله ما اقتتلوا وقوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم) وبارت تجارتهم (وقيل لمن قصد ارشادهم) بلسان الوحي (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحمق) ونهاية الجهل (كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه) أي ملكها (وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله) الاماني رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم في ذم الغرور (وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال أنا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلست أطمع فيها أو لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا) أي مملوكا (لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار عقله في يد شهواته كمسلم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه) أي يستخدمونه (في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها) من موضع الى موضع (ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلما أو يسلمه الى الكفار ويجعله أسيرا عندهم لان تفاحش جنايته سببه انه سخر ما كان حقه ان لا يستسخر وسلط من كان حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطا لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وانما يستحق الكافر ان يكون مسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه فهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلما لكافر) أي جعله رقيقا له (بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه) المحسن له (فاخذ أعز أولاده وسلمه الى) يد (بعض أعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستجابه) أي استحقاقه (لنقمته لان الهوى ابغض اله عبد في الارض عند الله تعالى) وقد روي ذلك من حديث أبي امامة بلفظ ابغض اله عبد عند الله في الارض هو الهوى هكذا رواه الطبراني في الكبير باسناد ضعيف (والعقل أعز موجود خلق في الارض) وقد وردت فيه أخبار تقدم ذكرها في آخر كتاب العلم * (الحالة الثالثة ان يكون الحرب سجالا) * ودولا (بين الجندين فتارة له اليد) أي الغلبة والقهر (عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد لا من الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين) قال الله تعالى فيهم وآخرون (اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم) ان الله غفور رحيم (هذا باعتبار القوة والضعف وتتطرق اليه ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه) لا يخلو (اما ان يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيأ منها أو يغلب بعضها دون بعض) فالحالة الاولى للسابقين والثانية للظالمين والثالثة للمقتصدين (وتنزيل قوله تعالى) وآخرون اعترفوا بذنوبهم (خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ) عسى الله أن يتوب عليهم ان الله

غفور

على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض أولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم أضل سبيلا اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل
ولم أر في عيوب الناس عيبا * كنقص القادرين على التمام وينقسم الصبر أيضا باعتبار اليسر والعسر الى مايشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا والى مايكون من غير شدة تعب بل يحصل بادنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر واذا دامت التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بادنى حملة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته اعياء ولا لغوب ولا اضطرب فيه نفسه ولا ينبهر ولا يقوى على أن يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا كما سيأتي في كتاب الرضا فالرضا أعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاثة مقامات * أولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين * وثانيها الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين * وثالثها المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر

غفور رحيم (على من غلب بعض الشهوات دون بعض أولى) من تنزيله على الحالة الثانية (والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم أضل اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له وعطله) أي أهمله (فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل)

(ولم أر في عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام)

وفي نسخة نقصا بدل شيأ فانه قبيح بذي العقل ان يكون بهيمة وقد أمكنه ان يكون انسانا أو انسانا وقد أمكنه ان يكون ملكا وان يرضى بقنية معارة وحياة مستردة وله ان يتخذ قنية مخلدة وحياة مؤبدة (وينقسم الصبر أيضا باعتبار اليسر والعسر الى مايشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا) وصاحبه متصبر أي متكلف الصبر وحامل نفسه عليه (والى مايكون من غير شدة تعب بل يحصل بادنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر) والى مايكتسب الصبر و يبتلى به ويخص ذلك باسم الاصطبار فالمراتب ثلاثة وهي في الوصف والكيف وهناك مرتبتان أخريان في القدر والكم وهما الصبور والصبار فالصبور العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره والصبار الشديد الصبر فكملت المراتب خمسة وأعمها الصابر (واذا دامت التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر) وسهل عليه (ولذلك قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) فتيسيره للحالة اليسرى هو ادامته على الصبر على طاعته وتسهيله عليه (ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع الضعيف بادنى حملة عليه وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته) اياه (اعياء ولا لغوب) أي تعب (ولا اضطرب فيه نفسه ولا ينبهر) أي لا ينقطع نفسه من الضعف (ولا يقوى على ان يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين) وهو كناية عن الشدة (فهكذا تكون المصادمة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على الحقيقة صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اندفعت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى) أي غلب وقهر (وتيسر الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا) و باعتبار ذلك يكون الصبر الرضا أي ينفتح له بابه (كما سيأتي في آخر كتاب الرضا) ان شاء الله تعالى (فالرضا أعلى مقاما من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر خير كثير) قال العراقي رواه الترمذي من حديث ابن عباس (وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاث مقامات أولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين) وهذه المراتب كما تراها على طريق الترقي فالتحقق بالصبر يفتح باب الوصول الى التلذذ بالبلوى وهذه حالة التائبين ثم الى مقام الرضا ثم الى مقام المحبة (وسنبين في كتاب المحبة) ان شاء الله تعالى (ان مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما ان مقام الرضا أعلى من مقام الصبر) اعلم ان متعلقات الرضا والصبر والشكر والمحبة متحدة لا اختلاف فيها فاذا اتحدت أعمال المقامات فلا يصح التفاضل فيها الا بأسبابها وأحوالها التي هي محدثات على الاعمال فانظر فليس الخبر كالعيان ان السالك لا يدعى باسم عمله انما يدعى باسم حاله فتقول هذا حاله الصبر وهذا حاله الرضا وهذا حاله الشكر وهذا حاله المحبة لان حال الصبر تصدر عنه الطاعة بعد ألم ومدافعة العدو الداعي الى المعصية و بعد مشقة ومقاساة وحال الرضا تصدر عنه الطاعة باستسلام وانقياد واذعان بلا منازع وحال الشكر تصدر عنه الطاعة بفرح وسرور

وكان هذا الانقسام يجرى فى صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا * واعلم ان الصبر أيضا ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه
ومحرم * فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور ركمن تقطع يده أو يدوله وهو يصبر عليه

سا كاولكن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة و يسكت على ما يجرى على أهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه وهو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة فى الشرع فليكن الشرع محك الصبر فيكون الصبر نصف الايمان لا ينبغى أن يخيل اليك أن جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة * (بيان مظان الحاجة الى الصبر وأن العبد لا يستغنى عنه فى حال من الاحوال) * اعلم أن جميع ما يلقى العبد فى هذه الحياة لا يخلو من نوعين أحدهما هو الذى يوافق هواه والآخر هو الذى لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر فى كل واحد منهما وهو فى جميع الاحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو اذا لا يستغنى قط عن الصبر (النوع الاول) ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال

والركون اليها والانهماك فى ملاذها المباحة منها أخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى أن رآه
استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافى لا يصبر عليها الا صديق وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء

واهتمام وحال المحبة تصدر عنه الطاعة بحلاوة وطلاوة ونشاط ولو بذل روحه مما أحس بالملل ولهذا الكلام بقية يأتى ذكرها بعد (وكان هذا الانقسام يجرى فى صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا) لا فى صبر عام شامل لجميع افراده فقد روى عن الحسن وغيره الصبر على ثلاثة معان صبر عن المعصية وهو أفضلها وصبر على الطاعة وصبر على المصائب وقد روى ذلك من حديث ابن عباس الصبر ثلاثة فصبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية الحديث فهذه التقاسيم باعتبار متعلق الصبر (واعلم أن الصبر أيضا ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يدوله وهو يصبر عليه ساكتا ولكن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة و يسكت على ما يجرى على أهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة فى الشرع) وهذا يدلك ان الصبر لا يراد لذاته ولفظ القوت الصبر فرض ونفل يعرف ذلك بمعرفة الاحكام فما كان أمرا وايجابا فالصبر عليه أو عنه فرض وما كان حثا وندبا فالصبر عليه أو عنه ندب وفضل (فليكن الشرع محك الصبر) فما كان المصبور عليه أو عنه من المأمورات فهو فرض أو من المندوبات فهو فضل (فيكون الصبر نصف الايمان ولا ينبغى أن يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد منه) أى من الصبر المحمود (أنواع من الصبر مخصوصة) وقال القطب الجيلانى قدس سره فى فتوح الغيب لابد للعبد من أمر يفعله ونهى يجتنبه وقدر يصبر عليه وذلك متعلق بطرفين طرف من جهة الرب وطرف من جهة العبد فالاول هو انه سبحانه على عبده حكمين كونى قدرى وشرعى دينى فالكونى متعلق بخلقه والشرعى بامره فالاول يتوقف حصول الثواب فيه على الصبر والثانى لا يتم الا به فرجع الدين كله الى هذه القواعد الثلاثة الصبر على المقدور وترك المحظور وفعل المأمور وأما الطرف الثانى فان العبد لا ينفك عن هذه الثلاثة أيضا ولا يسقط عنه ما بقى التكليف فقيام عبودية القدر على ساق الصبر ولا يستوى الا عليه كما لا تستوى السنبلة الا على ساقها وهذه الثلاثة قد وقعت الاشارة اليها بآية أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك

(بيان مظان الحاجة الى استعمال الصبر)

فى الطاعات وغيرها (وان العبد لا يستغنى عنه فى حال من الاحوال اعلم) وفقك الله تعالى (ان جميع ما يلقاه العبد فى هذه الحياة) الدنيا (لا يخلو من نوعين أحدهما هو الذى يوافق هواه والآخر هو الذى لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر فى كل واحد منهما وهو فى جميع الاحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو اذا لا يستغنى قط عن الصبر النوع الاول ما يوافق الهوى وهو الصحة) فى البدن (والسلامة) من الآفات (والمال والجاه وكثرة العشيرة) من بنيه وبنى عمه (واتساع الاسباب) المحصلة لذلك (وكثرة الاتباع) من المماليك والاجراء (والانصار) والاعوان (وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك فى ملاذها المباحة أخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز ردعا لمن كفر بنعمة الله لطغيانه كلا ان الانسان ليطغى أى يتجاوز عن الحدود ان رآه استغنى أى رأى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذا جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد قاله البيضاوى (حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافى لا يصبر عليها الا صديق) ولفظ القوت ويقال ان البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن والباقى سواء (وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء) ولفظ القوت وكان سهل يقول الصبر على العوافى أشد من الصبر على

والبلاء

ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وقال عز وجل ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة محزنة ولما نظر عليه السلام الى ولده الحسن رضي الله عنه يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة اني لما رأيت ابني يتعثر لم أملك نفسي أن أخذته ففي ذلك عبرة لأولي الأبصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن اليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب وأن يرعى حقوق الله في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي وانما كان الصبر على السراء أشد لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا تقدر والصبر على الحجامة والفصد اذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجائع عند غيبة

البلاء (و) كذلك (لما فتحت أموال الدنيا) من سائر البلاد (على الصحابة رضي الله عنهم) وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه فنالوا من العيش واتسعوا (قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر) فعظموا الاختبار بالسراء وهو ما سر على الاختبار بالضراء وهو ما ضر قال الطبراني حدثنا عبد الرحمن بن جابر الطائي حدثنا بشر بن شبيب بن أبي حمزة عن أبيه عن الزهري عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال قال عبد الرحمن بن عوف بلينا بالضراء فصبرنا و بلينا بالسراء فلم نصبر (وكذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) لان فيها ما يسر فيشغل عن ذكر الله تعالى (وقال عز وجل ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) لان في الازواج والاولاد ما يفرح به فيوافق فيهم الهوى و يخالف بودهم المولى فصاروا أعداء في العقبى لما يؤل اليه من شأنهم (وقال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة محزنة) رواه أبو يعلى الموصلي من حديث أبي سعيد بلفظ الولد ثمر القلب وانه مبخلة مجبنة محزنة وقد تقدم ورواه أحمد وابن سعد والطبراني من حديث يعلى بن مرة العامري الولد مبخلة مجبنة وان آخر وطأة وطئها الله بوج وتقدم أيضا (ولما نظر صلى الله عليه وسلم الى ولده الحسن) رضي الله عنه (يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه وقال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة اني لما رأيت ابني) هذا (يتعثر) في قميصه (لم أملك نفسي ان أخذته) قال العراقي رواه أصحاب السنن من حديث بريدة وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذي حسن غريب انتهى قلت رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبيهقي والضياء كلهم من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه قال صدق الله ورسوله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان و يعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي و رفعتهما و روى ابن ماجه من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام قال جاء الحسن والحسين يستبقان الى النبي صلى الله عليه وسلم فضمهما اليه وقال الولد مبخلة مجبنة و روى العسكري في الامثال والحاكم في صحيحه من طريق معمر عن ابن خثيم عن محمد بن الاسود بن خلف عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ حسنا فقبله ثم أقبل عليهم فقال ان الولد مجبنة مبخلة وأحسبه قال محهلة وتقدم و روى العسكري من حديث عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وهو محتضن حسنا وحسينا وهو يقول انكم لتجبنون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله (ففي ذلك عبرة لأولي الابصار وقد جمع الله بين ما سر وضر) وجعلهما من وصف المتقين ومدحهما بالاحسان معهما فقال تعالى أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها ان لا يركن اليها و يعلم ان كل ذلك مستودع عنده أي بمنزلة الوديعة وعسى ان يسترجع على القرب) الى المودع (وان لا يرسل نفسه في الفرح بها) والركون اليها (ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب وان يؤد حقوق الله تعالى في ماله بالانفاق منه) في المواضع اللائقة (وفي بدنه ببذل المعونة للخلق) على قدر استطاعته (وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه) وقال صاحب القوت ومن الصبر صبر على العوافي ان لا يجريها في مخالفة والصبر على الغنى ان لا يبذل في لهوى والصبر على النعمة ان لا يستعين بها على معصية فحاجة المؤمن على الصبر في هذه المعاني ومطالبته بالصبر عليها الحاجته ومطالبته بالصبر على المكاره والفقر والصبر على الشدائد والضر اه (وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي) ان شاء الله تعالى (وانما كان الصبر على السراء أشد لانه مقرون بالقدرة) والتمكن (ومن العصمة ان لا تقدر) هو من قول علي رضي الله عنه كما تقدم والمشهور على الالسنة ان لا تجد (والصبر على الحجامة والفصد اذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجائع عند غيبة

الطعام أقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا اعظمت فتنة السراء *(النوع الثاني)* مالا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي أولا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب أولا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام *(القسم الاول)* ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان (الضرب الاول) الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مضمرة ما أظهره فرعون من قوله أنا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فاظهره اذ استخف قومه فأطاعوه وما من أحد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر الا عن اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فاذا العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال الاولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس وقد نبه عليه تعالى
صلوات الله عليه اذ قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات *الحالة الثانية حالة العمل كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى آخر العمل الاخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا أي صبروا الى تمام العمل *الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم وكما قال

الطعام أقدر على الصبر منه اذا حضرته الاطعمة الطيبة اللذيذة) المشتهاة (وقدر عليها) من غير مانع حقيقي أو حكمي (فلهذا اعظمت فتنة السراء *النوع الثاني مالا يوافق الهوى والطبع) ولا يلائمه (وذلك لا يخلو اما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي أولا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب أولا يرتبط) أوله (باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام القسم الاول ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان الضرب الاول الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد) وفيه مشقة (لان النفس بطبعها تنفر عن) ذل (العبودية وتشتهي) عز (الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي مضمرة ما أظهره فرعون من قوله أنا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا فاظهر) ما كان مضمرا في قلبه (اذ استخف قومه) أي وجدهم اخفاء العقول (فأطاعوه) وامتثلوا له (وما من أحد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره) بلسانه (فان استشاطته) أي احتقاره (وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر الا عن اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء) يشير الى الحديث القدسي المتقدم بذكر من نازعني رداءها الكبرياء قصمته (فاذا العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد) فانهما عبادتان مشتركان في المال والبدن (فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلاثة أحوال الاولى قبل الطاعة) أي قبل الشروع فيها (وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعقد العزم على الاخلاص وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص) على ما سيأتي بيانه في كتاب الاخلاص (وآفات الرياء ومكايد النفس) على ما تقدم في كتاب ذم الرياء (وقد نبه عليه صلى الله عليه وسلم اذ قال انما الاعمال بالنية ولكل امرئ مانوى) متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا المعنى قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال) جل ذكره (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات) أشار اليه صاحب القوت وهذا يسمى الصبر لله (الحالة الثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله تعالى في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى آخر العمل الاخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور الى الفراغ) منه ويتأنى ويترك العجلة حتى ينقضي صحيح الاركان كامل السنن والهيئات (وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا أي صبروا الى تمام العمل) وهذا يسمى الصبر مع الله (الحالة الثالثة الصبر بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه) لغيره (و) عن (التظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب ومن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال

تعالى لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والاذى فقد أبطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى فى قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاء ذى القربى هو المروءة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر

المعاصى فما أحوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصى فى قوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصى مقتضى باعث الهوى وأشد أنواع الصبر عن المعاصى الصبر عن المعاصى التى صارت مألوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت العادة الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشياطين على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعهما ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصى اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وأنواع المزح المؤذى للقلوب وضروب الكلمات التى يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفى علومهم وسيرهم ومناصبهم فان ذلك فى ظاهره غيبة وفى باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان احداهما نفى الغير والاخرى اثبات نفسه وبها تتم له الربوبية التى هى فى طبعه وهى ضد ما أمر به من العبودية ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا فى المحاورات يعسر الصبر عنها وهى أكثر الموبقات حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار فى أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد فى الخبر من ان الغيبة أشد من الزنا

تعالى ولا تبطلوا أعمالكم وكما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة على المن والاذى فقد أبطل عمله) وأحبط اجره وقال بعض السلف لا يتم المعروف الا بثلاث تعجيله وتصغيره وكتمه وكذلك الصبر بترك التكبر به على أحد من العباد والادلال به على الله بل رؤية المنة والفضل وما أحوج العبادة الى الصبر فى عدم دخول هذه الآفات عليها وهذا القسم يسمى الصبر بالله واليه الاشارة بقوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله (والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى فى قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاء ذى القربى هو المروءة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر الضرب الثانى المعاصى فما أحوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله أنواع المعاصى فى قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) وقال صاحب القوت ومن الصبر كف الاذى عن الخلق وهو مقام العادلين يدخل فى قوله ان الله يأمر بالعدل ثم احتمال الاذى من الخلق وهو مقام المحسنين يدخل فى قوله تعالى والاحسان ومن الصبر الصبر على الانفاق واعطاء أهل الحقوق حقوقهم الاقرب فالاقرب وهذا مقام المقربين يدخل فى قوله تعالى وايتاء ذى القربى ومنه الصبر عن الفحشاء وهو الامر الفاحش فى العلم والايمان والصبر على المنكر وهو ما أنكره العلماء والصبر عن البغى وهو التطاول والعلو ومجاوزة الحد بالكبر والاسراف فى أمور الدنيا فهذه الآية جامعة لمعنى الصبر وهو قطب القرآن ثلاث منها الصبر على العدل والاحسان والاعطاء وثلاث منها الصبر عن الفحشاء والمنكر والبغى وكان ابن مسعود يقول هذه الآية اجمع آية فى كتاب الله لامر ونهى (وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه) قال العراقى رواه ابن ماجه بالشطر الاول والنسائى فى الكبرى بالشطر الثانى كلاهما من حديث فضالة بن عبيد باسناد جيد وقد تقدما (والمعاصى مقتضى باعث الهوى) وفى نسخة بواعث الهوى (وأشد أنواع الصبر عن المعاصى الصبر عن المعاصى التى صارت مألوفة) للطبع (بالعادة) واعتاد عليها وأنس بها (فان العادة) كما قالوا (طبيعة خامسة) زائدة على الطباع الاربعة (فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها) وازالتها (ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس) وأشد (كالصبر عن معاصى اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وأنواع المزح المؤذى للقلوب وضروب الكلمات التى يقصد بها الازراء والاستحقار) من ذلك (ذكر الموتى والقدح فيهم وفى علومهم وسيرهم) وأحوالهم (ومناصبهم فان ذلك فى ظاهره غيبة وفى باطنه ثناء على النفس) ومدح لها (فللنفس فيه شهوتان احداهما نفى الغير والاخرى اثبات نفسه وبها) أى بهذه الشهوة وفى نسخة بهما (تتم له الربوبية التى هى) مضمرة (فى طبعه وهى ضد ما أمر به من العبودية) فى قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا فى المحاورات يعسر الصبر عنها حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب) وذلك (لكثرة تكريرها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار فى اعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد فى الخبر من ان الغيبة أشد من الزنا) رواه ابن النجار من حديث جابر والديلمى من حديث أبى سعيد وتمام الحديث وان الرجل يزنى

ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر على ذلك فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على
السكوت مع المخالطة وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان
حركة الخواطر باختلاج الوسواس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلا الا أن يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن أصبح وهمومه هم واحد والا فان لم يستعمل الفكر في شئ معين لم يتصور فتور الوسواس عنه (القسم الثاني) ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو أوذي بفعل أو قول وجني عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه ثم قال يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر وقال تعالى ودع أذاهم وتوكل على الله وقال تعالى واصبر على ما يقولون واهجرهم
هجرا جميلا وقال تعالى ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الآية وقال تعالى ولتسمعن من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور أي تصبروا عن المكافأة ولذلك
مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
ظلمه

فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه وقد تقدم في آفات اللسان
(ومن لم يملك لسانه) وفي نسخة نفسه (في المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد) عن
الناس (فلا ينجيه) من ذلك (غيره فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة) معهم
(وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة
اللسان حركة الخواطر) من الباطن (باختلاج الوسواس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر
عنه أصلا الا أن يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه) و يستولي عليه (كمن أصبح وهمومه هم واحد)
أي اجتمعت في هم واحد ولم تتشعب به (والا فان لم يستعمل الفكر في شئ معين لم يتصور فتور الوسواس عنه)
أبدا (القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو أوذي بفعل أو قول وجني عليه في
نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة
رضوان الله عليهم ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى) ولفظ القوت قال بعض العلماء ما كنا
نعد ايمان من لم يؤذ فيحتمل الاذى و يصبر عليه ايمانا وقد فعل الله ذلك قال اختبارا وأخبر ان ذلك ليس منه
عذابا وانما هو فتنة وبلاء من الناس فصار ذلك فتنة عليهم وابتلاء لهم فصار رحمة للمؤذى وخيرا في قوله
تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله أي ليس ذلك عذابا انما
هو رحمة باطنة كقوله تعالى وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا أي لم أهنك بالفقر كما لم
أكرم الآخر بالنعيم اكراما وعلى هذا خاطب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالصبر الذي أمره به فقال فاصبر
على ما يقولون واذكر عبدنا داود فسلاه به وفضله عليه ومن الصبر حبس النفس عن المكافأة على الاذى
توكلا على المولى (قال) الله (عز وجل ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وهذا صبر
أهل الخصوص وقد قال بعض أهل المعرفة لا يثبت لعبد مقام في التوكل حتى يؤذى و يصبر على الاذى وقد
ذكره الله تعالى في قوله ولنصبرن على ما آذيتمونا الآية (وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا
فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاحمرت وجنتاه ثم قال يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر) قال ذلك يوم حنين اذ أعطى
الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الابل وأعطى غيرهم أقل من ذلك فقال رجل ان هذه القسمة
ما أريد بها وجه الله فقاله صلى الله عليه وسلم رواه أحمد والشيخان من حديث ابن مسعود وقد تقدم (وقال
تعالى) لحبيبه صلى الله عليه وسلم (فدع أذاهم وتوكل على الله وقال تعالى فاصبر على ما يقولون واهجرهم
هجرا جميلا) بعد قوله فاتخذه وكيلا ففهمهما ان مقام التوكل لا يثبت حتى يصبر على الاذى وهو أول مقام
الرضا (وقال) تعالى (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الآية وقال) تعالى لتبلون في
أموالكم وأنفسكم (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) ففي أول الآية اشارة الى المقام الثاني من مقامات الرضا وهو صبر النفس
على أحكام البلاء وفي السياق الذي يليه اشارة الى أول مقام الرضا وهو الصبر على الاذى وفي آخره قرن
التقوى بالصبر والتقوى جامع كل خير كما ان الصبر داخل في كل خير وفي جمعهما أوتي عزائم الامور وكان
من المحسنين (أي ان تصبروا عن) الاذى (والمكافأة) وتتقوا عند الابتلاء والمكاره وكذلك قوله تعالى انه
من يتق و يصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين (ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره
فقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وقال تعالى ولمن انتصر بعد

ظلمه فاولئك ماعليهم من سبيل الآية ثم قال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فالاول عنى به المكافاة والانتصار بالحق من العدل والعدل حسن والثانى هو الصبر والعفو من الاحسان والفضل وهو أحسن ومن ذلك قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الآية فاستماع القول هو العدل واتباع الاحسن هو العفو وفيه المدح بالهداية والعقل وهذا مقام المحسنين قيل هم الذين لا يظلمون فاذا ظلموا لم ينتصروا فالمدح بالوصف لاهل هذا المقام هو بالاخبات وهو الخشوع والطمأنينة الى الجزاء من الله فى الآخرة لقرب اللقاء وسرعة فناء الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك) رواه ابن النجار من حديث على بلفظ صل من قطعك واحسن الى من أساء اليك وقل الحق ولو على نفسك وقد تقدم (ورأيت فى الانجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام لقد قيل لكم) يعنى فى التوراة وغيره من كتب السماء (من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحوّل اليه الخد الايسر ومن أخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك أمر بالصبر على الاذى فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر) وقد تقدم انه أوّل مقام من مقامات الرضا (لانه يتعاون فيه على باعث الدين و باعث الشهوة والغضب جميعا القسم الثالث ما لا يدخل تحت حصر الاختيار أوّله وآخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضاء و بالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر) وهو ثانى مقام من مقامات الرضا المقرب التام لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أكثر الناس بلاء ثم الامثل فالامثل ولقوله سبحانه فى المجمل ولربك فاصبر ثم فسره فى الكلام المفسر فقال فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا (قال ابن عباس) رضى الله عنهما (الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه) باعتبار متعلقه (صبر على اداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة) أى منزلة عالية فى الجنة (وصبر عن محارم الله فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة) ولفظ القوت وروينا عن ابن عباس الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه صبر على اداء فرائض الله وصبر على محارم الله وصبر فى المصيبة عند الصدمة الاولى فمن صبر على اداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة ومن صبر عن محارم الله فله ستمائة درجة ومن صبر فى المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة اهـ قلت وهذا قد روى مرفوعا من حديث على رضى الله عنه رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصبر وأبو الشيخ فى كتاب الثواب والديلمى فى مسند الفردوس كلهم من طريق عبد الله بن محمد بن زيرك عن عمر بن على عن عمر بن يونس اليمانى عن مدرك بن محمد السدوسى عن رجل يقال له على عن على رضى الله عنه رفعه الصبر ثلاثة فصبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الارض الى منتهى الارضين ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش مرتين وهذا صريح فى ان الصبر على المقدور أدنى المراتب ثم الصبر على المأمور ثم عن المحظور وله وجه وذلك لان الصبر على مجرد القدر يأتى به البر والفاجر والمؤمن والكافر فلا بد لكل منهم الصبر عليه اختيارا أو اضطرارا والصبر على الاوامر فوقه ودون الصبر عن المحرمات فان الاوامر أكثرها محبوب للنفس لما فيها من العدل والاحسان والاخلاص والبر والصبر على المخالفات صبر على مخالفة هوى النفس وحملها على خير طبعها وهو أشق شئ وأصعبه والصبر عن المعاصى التى أكثرها محاب للنفوس فقد ترك المحبوب العاجل فى هذه الدار لمحبوب آجل فى دار أخرى ولا يصبر على ذلك الا الصديقون وهذه الثلاثة محاب النفوس الزكية الفاضلة قالوا والناس من باب جهة النفس عن لذاتها وحميتها مع قيام داعى التناول وقوله خطب مهول ولهذا

وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك ورأيت فى الانجيل قال عيسى ابن مريم عليه السلام لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحوّل اليه الخد الايسر ومن أخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك أمر بالصبر على الاذى فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لانه يتعاون فيه باعث الدين و باعث الشهوة والغضب جميعا (القسم الثالث) ما لا يدخل تحت حصر الاختيار أوّله وآخره كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضاء وبالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضى الله عنهما الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه صبر على اداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة

كان باب قربان النهي مسدودا و باب الامر مقيدا بالمستطاع ومن ثم كانت عامة العقوبات على المنهيات وأما ترك المأمور فلم يرتب الله عليه حدا معينا وأعظم المأمورات الصلاة وقد اختلف هل فيه حد أم لا وبهذا استبان سر الترتيب الواقع في حديث على رضى الله عنه وأما الترتيب الواقع في خبر ابن عباس على ماذكره المصنف تبعا لصاحب القوت فله أيضا وجه وقد أشار اليه المصنف بقوله (وانما فضلت هذه المرتبة مع انها من الفضائل على ماقبلها وهى من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فاما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الانبياء لانه بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس) وذكر صاحب القوت عقب قول ابن عباس السابق مانصه وهذا يحتاج الى تفسير لم يقصد ابن عباس ان الصبر على المصيبة أفضل من الصبر على المحارم ومن الصبر على اداء الفرائض لان الصبر في ذلك من مزيد أحوال المسلمين والصبر على المصيبة من مقامات اليقين فانما فضل المقام في اليقين على المقام في الاسلام (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم انى أسألك من اليقين ماتهون به على مصائب الدنيا) رواه الترمذى والنسائى والحاكم وصححه من حديث ابن عمر وحسنه الترمذى وقد تقدم في كتاب الدعوات (فهذا صبر مستنده حسن اليقين) وأحسن الناس صبرا عند المصائب أكثرهم يقينا وأكثر الناس جزعا وسخطا في المصائب أقلهم يقينا وأكثرهم حبا للدنيا ومثله مارواه سلمة بن وردان عن أنس رفعه من ترك المراء وهو محق بنى الله له في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له في وسط الجنة ومن ترك الكذب بنى له في ربض الجنة فقد علمت ان ترك الكذب والمراء مبطلا فرض وواجب فينبغي أن يكون أفضل ولكن المعنى فيه أن الكذب باطل يتركه المسلمون والمراء والعبد محق صادق ثم لا يمارى زهدا في التظاهر ورغبة في الصمت والسلامة فلا يصبر على هذا الا المتقون وهم خصوص المؤمنين فقامه من اليقين والزهد وايثار الصمت والخمول على الكلام والشهرة أفضل فهو اليقين فصار هذا الموقن مقامه أفضل من عموم المؤمنين الذين يتركون الكذب والمماراة وان كان أفرض وأوجب فهذا بيان ذلك ومعناه و يقال من علامة التسليم للقضاء حسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين فاما اشتراط الصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فكأنه يقال كل شئ يبدو صغيرا ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر فاشترط لعظم الثواب لها عند أول كبرها قبل ٧ صغرها وفي صدقة القلب أول مايبعثه الشئ فينظر الى نظر الله عزوجل فيستحى فيحسن الصبر كما قال تعالى فانك باعيننا وهذا مقام المتوكلين على الله تعالى كل هذا السياق في كتاب القوت وقال بعض من اختصر الاحياء وزاد عليه مانصه اما آداب الصبر فقد تقدم ان حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في محاربة باعث الهوى ومقابلته فليبدأ في ذلك بالاهم فالاهم فالمجاهدة الباطنة كالمجاهدة الظاهرة قال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فالبداية بترك المحظورات وهو واجب ثم بالمكروهات وهو مستحب ثم بفضول المباحات الشاغلة عن رب الارض والسموات وهى قربة فان قيل لم فرقت بين المستحب والقربة وهما واحد فأقول بينهما عند التحقيق فرق وذلك ان الله تعالى بمنه وفضله اثابنا على كل حسنة ثوابا عاجلا وثوابا آجلا ومن جملة الثواب العاجل أن يثيبك على تلك الحسنة حسنة تناسبها وتليها في الدرجة فاذا تركت مكروها الله اثابك الله عليه بترك مكروه هو ادق منه في الرتبة واذا تركت مباحا شاغلا فتح لقلبك بسببه بابا اليه فحقيقة القربة نفحة من نفحات الرحمة تكشف لقلب العبد وجود الله وجماله فبترك فضول المباحات بسبب ذلك و يعرف هذا من يفرق بين حق النفس وحظها فان كنت من أهل الذوق والا فالتصديق به واجب ثم لابد ان البداءة بالواجب من الطاعات و يقدم الاوجب على الواجب ومايفوت على مالا يفوت وهذا واجب ثم يقدم أفضل الفضائل فافضلها و يترك الفاضل للافضل اذا لم يمكن الجمع بينهما او الدعاء للظالم والشفقة عليه من هذا النوع وهو من مقامات المحسنين ثم الصبر على المصائب بالتثبت

وانما فضلت هذه الرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهى من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الانبياء لانه بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اسألك من اليقين ما تهوّن على به مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن اليقين

عند الصدمة الاولى لان كل شئ يوجد صغيرا ثم يأخذ فى النماء والزيادة الا المصيبة فانها تبدو عظيمة ثم تصغر وتأخذ فى النقصان وهذا واجب فان غفل وجزع ثم رجع عن غفلته وندم واسترجع كان ندمه واسترجاعه توبة له وقد قلنا ان التوبة تصح من كل ذنب ويدخل فى هذا النوع الصبر على المحن ومكافأة الجانى بما هو معصية حرام ومكافأته بما هو مباح مكروه لذهاب الملائكة وعدم اجابتها عنه وان تألم فى باطنه ولكن ترك المكافأة عليه فى الظاهر فهو أحسن حالا من الاول ولا يدخل فى نهى التحريم لان الالم لم يدخل تحت اختيار العبد والرب تعالى لا يكلف العباد ولا يؤاخذهم الا بما يدخل تحت اختيارهم ويستحب علاج الالم وتكسبه الى أن يستوى عند القلب وجود الاذى وعدمه كما تكتسب الطاعة والمشقة ويجتنب المعاصى فان فرح بالجناية ودعا للجانى فهذه هى القربة الصديقية ولا يحصل هذا الا لعبد فتح نور التوحيد قلبه فارتفعت عن قلبه رؤية الوسائط وشاهد المتوحد بالافعال ويعرفه ايمانه ان سيده اختار له ذلك ليزكى قلبه وينمى له نوره الى هنا كلامه (وكان أبو سليمان) الدارانى رحمه الله تعالى (يقول والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره) نقله صاحب الرسالة قال سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا جعفر الرازى يقول سمعت عباسا يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سألت أبا سليمان عن الصبر فقال فذكره (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا أو انشر له ديوانا) قال العراقى رواه ابن عدى فى الكامل من حديث أنس بسند ضعيف اهـ قلت وكذلك رواه الحكيم فى النوادر والديلمى فى مسند الفردوس (وقال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة) رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبى الدنيا فى الفرج بعد الشدة من حديث ابن عمر دون قوله بالصبر وكذا رواه أبو سعيد المالينى فى مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة وللترمذى من حديث ابن مسعود أفضل العبادة انتظار الفرج وتقدم فى الدعوات انتهى قلت وممن رواه دون قوله بالصبر ابن عدى والخطيب من حديث أنس بسند ضعيف ورواه الترمذى وحسنه من حديث ابن مسعود فى أثناء حديث وقد روى من حديث على بمثل لفظ القضاعى رواه ابن عبد البر والبيهقى وروى ابن أبى الدنيا وابن عساكر من حديث على بلفظ انتظار الفرج عبادة ومن رضى بالقليل من الرزق رضى الله عنه بالقليل من العمل (وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرنى) بالمد (فى مصيبتى واعقبنى خيرا منها الا فعل الله به ذلك) قال العراقى رواه مسلم من حديث أم سلمة انتهى قلت لفظ مسلم ما من عبد يصيب مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا آجره الله فى مصيبته واخلف له خيرا منها قالت فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخلف الله خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أحمد عن أم سلمة قالت اتانى أبو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سررت به قال لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا فعل ذلك به قالت أم سلمة فحفظت ذلك منه فلما توفى أبو سلمة استرجعت وقلت اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منه ثم رجعت الى نفسى وقلت من أين لى خير من أبى سلمة فأبدلنى الله بابى سلمة خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الطيالسى وأبو نعيم فى الحلية بلفظ ما من عبد يصاب بمصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتى فآجرنى منها واعقبنى منها خيرا الا أعطاه الله ذلك وروى ابن سعد فى الطبقات من حديث أم سلمة ما من عبد يصاب بمصيبة فيفزع الى ما أمره الله به من قول انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرنى فى مصيبتى هذه وعوضنى خيرا منها الا آجره

وقال أبو سليمان والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال النبى صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن انصب له ميزانا او أنشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرنى فى مصيبتى وأعقبنى خيرا منها الا فعل الله به ذلك

الله فى مصيبته وكان قمناأن يعوّضه الله منها خيرا منهـا و روى أحمد وابن ماجه من حديث الحسين بن على مامن مسلم ولامسلمة يصاب مصيبة فيذكرها وان طال عهـدها فيحدث لذلك استرجاعا الاجعل الله له عند ذلك فأعطاه مثـل أجرها يوم أصيب (وقال أنس) رضى الله عنه (حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسـلم ان الله عز وجل قال ياجبريل ماجزاء من سلبت كريمتيه) أى عينيه ويقال للعين كريمة لكونها مكرمة عند صاحبها (قال) جبريل (سبحانك لاعلم لنـا الا ماعلمتنا قال) الله عز وجل (جزاؤه الخلود فى دارى والنظر الى وجهى) قال العراقى رواه الطـبرانى فى الاوسط من رواية أبى ظلال القسملى واسمه هلال أحد الضعفاء عن أنس و رواه البخارى بلفظ ان الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوّضته منهما الجنة و رواه ابن عدى وأبو يعلى بلفظ اذا أخذت كريمتى عبـدلم أرض له ثوابا دون الجنة قلت يارسول الله وان كانت واحدة قال وان كانت واحدة وفيـه سعيد بن سليم قال ابن عدى ضعيف انتهى قلت و روى الترمذى من حـديث أنس وقال حسـن غريب بلفظ ان الله تعالى يقول اذا أخذت كريمتى عبد فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة و رواه من حديث أبى هريرة وقال حسـن صحيح بلفظ يقول الله عز وجل من أذهبت حبيبتيه فصـبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنـة و رواه هناد كذلك و روى الطبرانى فى الكبير وابن السنى فى عمل يوم وليلة وابن عساكر من حديث أبى أمامة ان الله تعالى يقول يا ابن آدم اذا أخذت منك كريمتيك فصبرت واحتسبت عنـد الصدمة الاولى لم أرض لك ثوابا دون الجنة و رواه أحمد وابن ماجه مثله بلفظ يقول الله تعالى يا ابن آدم و روى عبـد بن حميد وسمويه وابن عساكر من حديث أنس قال الله عز وجل وعزتى لاأقبض كريمتى عبد فيصبر لحكمى و يرضى بقضائى فارضى له بثواب دون الجنة وحديث أنس عند البخارى رواه أيضا أحمد وزاد يعـنى عينيه و رواه كذلك الطبرانى فى الكبير من حديث جرير وفى لفظ له من حديثه قال الله عز وجـل من سلبت كريمتيه عوّضته منهما الجنة و روى ابن حبان والطبرانى وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر من حديث العرباض بن سارية قال الله عز وجل اذا سلبت من عبدى كريمتيه وهو بهما ضنين لم أرض له بهما ثوابا دون الجنة اذا حمدنى عليهما و رواه الطبرانى وحده من حديث أبى أمامـة نحوه بلفظ قال ربكم و روى أحمد وأبو يعلى من حديث أنس قال ربكم من أذهبت كريمتيه ثم صبر واحتسب كان ثوابه الجنة و روى أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس بلفظ يقول الله لاأذهب بصفيتى عبد فارضى له ثوابا دون الجنة (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر ولم يشكنى الى عوّاده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فاذا أبرأته أبرأته ولاذنب له وان توفيتـه فالى رحمتى) قال العراقى رواه مالك فى الموطأ من حديث عطاء بن يسار مرسلا وقال ابن عبد البر فى التمهيد رواه عباد بن كثـير عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد انتهى وعباد بن كثـير ضعيف و رواه البيهـقى موقوفا على أبى هريرة انتهى قلت وقد رواه الحاكم مرفوعا من حـديث أبى هريرة بلفظ قال الله تعالى اذا ابتليت عبـدى المؤمن فلم يشكنى الى عوّاده أطلقته من اسارى ثم أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل وقد رواه البيهقى كذلك و رواه الطبرانى وابن عساكر من حديث أنس بلفظ ثلاث من كنوز البر اخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى يقول الله تعالى اذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر ولم يشكنى الى عوّاده ثم أبرأته أبدلته لحما خيرا من لحـمه ودما خيرا من دمه وان أرسلته أرسلته ولاذنب عليـه وان توفيتـه توفيتـه الى رحمتى (وقال داود عليـه السلام) فى بعض مخاطباته مع الله عز وجل (يارب ماجزاء الحزين الذى يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الايمان فلا أنزعه عنـه أبدا) رواه الديلمى وابن عساكر من حـديث ابن مسعود وفيه جسر بن فرقد ضعيف ولفظه قال داود عليه السلام الهى ماجزاء من شيع ميتا الى قبره ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان تشيعه ملائكتى فتصـلى على

وقال أنس حدثنى رسول الله صـلى الله عليه وسلم ان الله عـز وجـل قال ياجبريل ماجزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لاعـلم لنا الا ماعلمتنا قال تعـالى جزاؤه الخـلود فى دارى والنظر الى وجهى وقال صلى الله عليـه وسلم يقول الله عز وجـل اذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر ولم يشـكنى الى عوّاده أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فاذا ابرأته ابرأته ولاذنب له وان توفيته فالى رحمتى وقال داود عليـه السلام يارب ماجزاء الحزين الذى يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه لباس الايمان فـلا انزعه عنه أبدا

روحه

روحه فى الارواح قال اللهم فما جزاء من يعزى حزينا ابتغاء مرضاتك قال ان ألبسه لباس التقوى واستره به من النار فأدخله الجنة الحديث (وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فى خطبته ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوّض منها الصبر الا كان ما عوّضته منها أفضل مما انتزع منه وقرأ قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) أخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الجبار حدثنا سعيد بن غانم عن محمد بن عمرو قال سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب فقال ما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فعاضه مما انتزع منه الصبر الا ما كان عاضه خيرا مما انتزع منه ثم قرأ هذه الآية انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقد نقله كذلك صاحب العوارف (وسئل فضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله قيل وكيف ذلك قال الراضى لا يتمنى فوق منزلته) وكانه يشير الى ثانى مقام من مقامات الصبر الذى هو درجة الزاهدين واليه يشير ما رواه الحكيم والديلمى وابن عساكر من حديث أبى موسى الاشعرى الصبر الرضا وفى لفظ الصبر رضا يعنى ان التحقق بالصبر هو الذى يفتح الوصول الى مقام الرضا (وقيل حبس الشبلى رحمه الله تعالى) وقتا (فى المارستان) هو دار المرضى (فدخل عليه جماعة فقال) لهم (من أنتم قالوا أحباؤك جاؤك زائرين فأخذ يرميهم بالحجارة) اختبارا لمحبتهم له (فأخذوا يهربون منه فقال) لهم (لو كنتم أحبائى) صادقين (لصبرتم على بلائى) اعتبارا بنفسه فيما هو فيه من بلاء السجن فى المارستان ونسبته الى الجنون وليس بمجنون نقله القشيرى فى الرسالة (وكان بعض العارفين فى جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها) أى يقرأ ما فيها (وكان فيها واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) ولفظ القشيرى فى الرسالة وقال بعضهم كنت بمكة فرأيت فقيرا طاف بالبيت وأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها ومر ولما كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته أياما وهو يفعل مثل ذلك فيوما من الايام طاف ونظر فى الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا فأخرجت الرقعة من جيبه فاذا فيها واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا (وقيل ان امرأة فتح) بن شخرف (الموصلى) وكانت من العارفات (عثرت) أى وقعت برجلها (فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدين ألم الوجع فقالت ان لذة ثوابه أزالت عن قلبى مرارة وجعه) أورد المصنف هذه القصة هنا استدلالا بها على الصبر على البلايا ومعلوم ان المستلذ بالبلية لا يعد صابرا حقيقة ولذلك لم يوصف سيدنا أيوب عليه السلام بالصبار فقال تعالى انا وجدناه صابرا ولم يقل صبارا لكونه كان يستلذ ما نزل به فى بعض أحيانه (وقال داود لسليمان عليهما السلام) يختبره بم يستدل على تقوى المؤمن فقال (يستدل على تقوى المؤمن بثلاث) خصال الاولى (حسن التوكل فيما لم ينل و) الثانية (حسن الرضا فيما قد نال و) الثالثة (حسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك) قال العراقى لم أجده مرفوعا وانما رواه ابن أبى الدنيا فى المرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من الصبر ان لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تزكى نفسك انتهى قلت وقال صاحب القوت وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا مقطوعا الصبر فى ثلاث الصبر عن تزكية النفس والصبر عن شكوى المصيبة والصبر على الرضا بقضاء الله خيره وشره (وروى عن بعض الصالحين انه خرج يوما) الى السوق فساوم شيأ من الطعام (و) كانت (فى كمه صرة) فيها دراهم فاراد ان يدفع لصاحب الطعام منها فضرب بيده عليها (فافتقدها فاذا هى قد أخذت من كمه) أى اختلست أو انحلت الصرة فوقعت الدراهم (فقال بارك الله فيها لعله أحوج اليها منى) فهذا من الصبر على المصيبة وعدم اظهار الجزع وقد وقع مثل هذا لابن مسعود رضى الله عنه (وروى عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى أبى حذيفة) بن عتبة بن ربيعة بن عتبة بن عبد شمس أحد السابقين الاولين وكان من أكثرهم قرآنا (فى القتلى) وكان معه لواء المهاجرين روى ابن المبارك فى كتاب الجهاد له انه قال حينئذ بئس حامل القرآن انا يعنى ان فررت

منها أفضل مما انتزع منه وقرأ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله قيل وكيف ذلك قال الراضى لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلى رحمه الله فى المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم قالوا أحباؤك جاؤك زائرين فاخذ يرميهم بالحجارة فاخذوا يهربون فقال لو كنتم أحبائى لصبرتم على بلائى وكان بعض العارفين فى جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقيل ان امرأة فتح الموصلى عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبى مرارة وجعه وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وروى عن بعض الصالحين انه خرج يوما وفى كمه صرة فافتقدها فاذا هى قد أخذت من كمه فقال بارك الله فيها لعله أحوج اليها منى وروى عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولى أبى حذيفة فى القتلى

وبه رمق فقلت له أسقيك ماء فقال جرني قليلا الى العدو واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبر
سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو
مضطر شاء أم أبى فان كان
المراد به ان لا تكون في
نفسه كراهية المصيبة فذلك
غير داخل في الاختيار فاعلم
انه انما يخرج عن مقام
الصابرين بالجزع وشق
الجيوب وضرب الخدود
والمبالغة في الشكوى
واظهار الكآبة وتغيير
العادة في الملبس والمفرش
والمطعم وهذه الامور داخلة
تحت اختياره فينبغي أن
يجتنب جميعها ويظهر الرضا
بقضاء الله تعالى ويبقى
مستمرا على عادته ويعتقد
أن ذلك كان وديعة
فاسترجعت كما روى عن
الرميصاء أم سليم رحمها الله
انها قالت توفي ابن لي وزوجي
أبو طلحة غائب فقمت
فسجيته في ناحية البيت
فقدم أبو طلحة فقمت
فهيأت له افطاره فجعل
ياكل فقال كيف الصبي
فقلت باحسن حال بحمد
الله ومنه فانه لم يكن منذ
اشتكى باسكن منه الليلة ثم
تصنعت له أحسن ما كنت
اتصنع له قبل ذلك حتى أصاب
مني حاجته ثم قلت ألا تعجب
من جيراننا قال ما لهم قلت
أعيروا عارية فلما طلبت
منهم واسترجعت جزعوا
فقال بئس ما صنعوا فقلت
هذا ابنك كان عارية من
الله تعالى وان الله قد قبضه
اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فلقد رأيت
لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرؤا القرآن وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة فاذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة

فقطعت يمينه فاخذه بيساره فاعتنقه الى ان صرع فقال لاصحابه ما فعل أبو حذيفة يعني مولاه قيل قتل قال فاضجعوني بجنبه (وبه رمق) أي بقية الروح (فقلت أسقيك ماء فقال جرني قليلا الى) جهة (العدو واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته) ومات على حالته ولم يشرب الماء فارسل عمر ميراثه الى مولاته ثبيتة (فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء أم أبى فان كان المراد به ان لا تكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود) والهلع والتسخط (والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة) أي الحزن (وتغير العادة في الملبس والمفرش والمطعم وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها) فانه يفسد واجب الصبر ويحبط عمله في أجر المصيبة بل يأثم على فعله (و) عليه (ان يظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته) في سائر أحواله ومن فعل شيأ مما تقدم ذكره فلا ثواب له على مصيبة لان نفس المصيبة لا ثواب عليها لان الله لا يثيب العباد الا على ما يدخل تحت اختيارهم وانما الثواب على الصبر لا على المصيبة بل هو آثم في تسخطه على قضاء ربه (و) عليه ان (يعتقد ان ذلك كان وديعة) عنده (فاسترجعت كما روى عن الرميصاء أم سليم رضي الله عنها) هي ابنة ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الانصارية وهي أم أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتهرت بكنيتها واختلف في اسمها على أقوال سهلة أو رميلة أو رميثة أو مليكة أو الرميصاء أو الغميصاء وقيل بل هما لقبان لها (انها قالت توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة) زيد بن سهل (غائب) وكانت قد أسلمت مع السابقين الى الاسلام من الانصار فغضب زوجها مالك بن النضر وخرج الى الشام فمات بها فتزوجت بعده أبا طلحة وكان صداقها الاسلام (فقمت فسجيته) أي غطيته (في ناحية البيت فقدم أبو طلحة) من غيبته (فقمت فهيأت له افطاره فجعل يأكل فقال كيف الصبي) وكان مريضا (فقلت باحسن حال بحمد الله فانه لم يكن منذ اشتكى خيرا منه الليلة ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته) يعني خالطها (فقلت ألا تعجب من جيراننا قال ما لهم قلت أعير واعارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وان الله تعالى قبضه اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فلقد رأيت لهما بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرؤا القرآن) قال العراقي رواه الطبراني في الكبير ومن طريقه أبو نعيم في الحلية والقصة في الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف انتهى قلت قصتها في الصحيح لما مات ولدها من أبي طلحة فقالت لما دخل لا يذكر أحد ذلك لابي طلحة قبل فلما جاء وسأل عن ولده قالت هو أسكن ما كان فظن انه عوفي وقام وأكل ثم تزينت له وتطيبت فنام معها وأصاب معها فلما أصبحت قالت له احتسب ولدك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال بارك الله لكما في ليلتكما فجاءت بولد وهو عبد الله بن أبي طلحة فانجب ورزق أولادا اقرؤا القرآن منهم عشرة كملا (وروى جابر) بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه (انه صلى الله عليه وسلم قال رأيتني دخلت الجنة فاذا بالرميصاء امرأة أبي طلحة) قال العراقي رواه النسائي في الكبرى باسناد صحيح انتهى قلت رواه من طريق عبد العزيز بن أبي سلمة عن محمد بن المنكدر عن جابر وقال ابن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثنا حميد عن أنس قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فاذا أنا بالغميصاء بنت ملحان ومن طريق حماد عن ثابت عن أنس نحوه لكن قال الرميصاء أورده ما في ترجمة أم سليم وقد رواه أيضا أحمد ومسلم

وقد قيل الصبر الجميل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع اذ يكون من جميع الحاضرين لاجل الموت سواء ولان البكاء توجع القلب على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالمقدم على الحجامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه اذا عظم ألمه وسيأتي ذلك في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى وكتب ابن أبي نجيح يعزي بعض الخلفاء ان أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاه له واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك واعلم ان أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه فاذا مهما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن وأكثر جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بد وان يحصل منه ماهو مقدر فهو كيفما كان تضييع زمان

والنسائي وأبو يعلى وابن حبان كلهم من حديث أنس بالروايتين (وقد قيل) في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا (الصبر الجميل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة اذ يشبه غيره) ولفظ القشيري في الرسالة هو أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو (ولا يخرجه من حد الصابرين توجع القلب) ورقته (ولا فيضان العين بالدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم) من مارية القبطية (فاضت عيناه) بالدموع (فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء) قال العراقي متفق عليه من حديث أنس باختلاف (بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالمقدم على الحجامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه) بالدمع (اذا عظم ألمه وسيأتي في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى) ومما لا يخرجه من حد الصابرين أيضا حكاية المصيبة للتداوي وللعالم يتعلم منه الصبر والرضا والصديق ليعرف الحال لا على قصد الشكوى لان هذا مما تعم به البلوى (وكتب ابن أبي نجيح) هكذا هو في النسخ أبو يسار المكي الثقفي مولاهم وأبو نجيح كعظيم اسمه يسار روى له الجماعة وفي نسخة القوت ابن أبي يحيى وهو عبد الله ابن محمد بن أبي يحيى الاسلمي لقبه سحبل وقد ينسب الى جده روى له أبو داود (يعزي بعض الخلفاء فكتب ان أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاه واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك واعلم ان أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه) والحمد لله رب العالمين كذا نقله صاحب القوت (فاذا دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصيبات وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة) ففي اظهار المصيبة والوجع والتحدث بها قدح في الصبر مفوت للاجر وكتمانها رأس الصبر وقد شكا الاحنف بن قيس الى عمه وجع ضرسه وكدره فقال مه لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة فما شكوتها لاحد فكتمان هؤلاء الثلاثة كنز يدخر لصاحبه ليوم فاقته لا يطلع على ثوابه ملك ولا يدفع الى خصمائه بل يعوضهم الله من باقي أعماله أو خزائن فضله ليبقى له كنزه وذلك اذا كان صبرا منه ورضا عن ربه وحياء منه ان يشكو أو يستغني باحد من خلقه وهذا قد روى مرفوعا وانما تبع المصنف فيه صاحب القوت حيث لم يصرح برفعه فقد رواه أبو نعيم في الحلية وكذا البيهقي من حديث زافر بن سليمان عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر رفعه ثم قال أبو نعيم غريب تفرد به زافر عن عبد العزيز انتهى وقال الذهبي زافر بن سليمان قال ابن عدي لا يتابع على حديثه وعبد العزيز بن أبي رواد يروى عن نافع عن ابن عمر نسخة موضوعة وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وروى الطبراني من حديث أنس ثلاث من كنوز البر كتمان الشكوى وكتمان المصيبة وكتمان الصدقة ورواه الطبراني أيضا وابن عساكر من حديثه ثلاث من كنوز البر اخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى يقول الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر الحديث وقد تقدم قريبا وبهذا ظهر ان الحديث له أصل وايراد ابن الجوزي اياه في الموضوعات فيه نظر (فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال) لا يخص منها حال دون حال ولا فعل دون فعل (فان الذي كفي الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن) أبدا (وأكثر جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بد وان يحصل منه ماهو مقدر) من الازل (فهو كيفما كان تضييع زمان) فاى

وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب فى نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة الله تعالى فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه فى المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر فى وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه فى جميع عمره أو من يتوهم انه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أمارة له منه بل يقدر المخالفة من أخلص الناس فى حبه حتى فى أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر فى كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به فى مخالفته ولا يزال فى شغل دائم فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا لما خلق الله من الطين فابى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتنى من نار وخلقته من طين فاذا حيث لم يسجد الملعون لابينا آدم صلوات الله عليه وسلامه فلا ينبغى أن يطمع فى سجوده لاولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده واذعانه وانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح هذا ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما أن الانبطاح بين يدى المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغى أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق أن الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا أن تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين فى الاستثناء عن سلطنة

فائدة فى شئ فات ولم يمكن تلافيه أم أى فائدة فى شئ هو غيب لا يدرى كيف يكون واليه أشار القائل

ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى أنت فيها

(وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره) وكل منهما نفيس (فاذا غفل القلب فى نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة الله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة الله تعالى) ويحظى بمزيد القرب منه (فهو مغبون) أى خسر (هذا اذا كان فكره ووسواسه فى المباحات) الشرعية (وكان ذلك مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر فى وجوه الحيل) وأنواع الخداع (لقضاء الشهوات) النفسية (اذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه فى جميع عمره أو من يتوهم انه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور امارة) أى علامة (له منه) تدل على ذلك (بل يقدر المخالفة من أخلص فى حبه) وأحبهم اليه (حتى فى أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له) فى أمره أو غرضه (ثم يتفكر فى كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به فى مخالفته) فيطول الحال ويكثر الاشتغال (ولا يزال فى شغل دائم) لا ينتهى الى حد (فللشيطان جندان جند يطير وجند يسير والوسواس) العارض منه (عبارة عن حركة جنده الطيارة والشهوة عبارة عن حركة جنده السيارة وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار) كما هو نص الكتاب العزيز (والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين) اذ لا يكون فخارا بصلصل الا بدخوله فى النار (والطين طبيعته السكون) والاستقرار والبرودة (والنار طبعها الحركة) والاضطراب والحرارة (فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمئن عن حركته ساجدا لما خلق من الطين فأبى) أى امتنع (واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتنى من نار وخلقته من طين) وان النار أشرف من الطين فكيف يسجد الشريف للمشروف (فاذا حيث لم يسجد الملعون لابينا آدم عليه السلام فلا ينبغى ان يطمع فى سجوده لاولاده) وقد وقع ذلك فى مراجعته لبعض الانبياء حين قال له ألا تطلب من الله ان يتوب على فقال نعم فرفع يديه وسأله ذلك وراجعه فى قبول توبة ابليس فجاء الخطاب نعم ان سجد لقبر آدم عليه السلام فقال له ذلك النبى فقال أنا لم أسجد له وهو حى فكيف أسجد له وهو ميت (ومهما كف عن القلب وسواسه وعداوته وطيرانه وجولانه فقد اظهر انقياده واذعانه فى الجملة (فانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود) ومعناه فى الباطن (وانما وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانكباب بين يدى) الرجل (المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغى ان يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب) والملكوت (وتحقق أن الشيطان من المنظرين) أى من الذين قد أمهلوا (فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا أن تصبح وهمومك كلها هم واحد لا تتشعب بك فى الاودية فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيك) ولا يتمكن منك مادمت كذلك كانك فى حصن منيع (فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين) ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (الداخلين فى الاستثناء عن سلطنة

هـذا اللعين ولاتظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجرى من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء فى القدح فانك ان أردت ان يخلو القـدح عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره فقد طمعت فى غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لامحالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم فى الدين يخلو عن جولان الشيطان والافمن غفل عن الله تعالى ولو فى لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزدوج أفراخه أيضا وتبيض مرة أخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسرى شيأ فشيأ على الاتصال فالشهوة فى نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لاتبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم تكن شهوة فاذا اذا تأملت علمت أن اعدى عدوك شهوتك وهى صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوّف ماهو فقال هى نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه *(بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه)* اعلم ان الذى أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا أو ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون

هذا اللعين) كما فى الكتاب العزيز (ولاتظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجرى من ابن آدم مجرى الدم) كما فى الخبر ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم رواه أحمد والشيخان من حديث أنس وقد تقدم ذكره وتقدم أيضا الاختلاف فيه انه هل هو على حقيقته بان جعل له قوّة وقدرة على الجرى فى باطن الانسان فى مجارى دمه أو على الاستعارة لكثرة اغوائه ووسوسته وانه لايفارق الانسان كما لايفارقه دمه (وسيلانه مثل الهواء فى القدح فانك ان أردت ان يخلو القدح عن الهواء من غير ان تشغله بالماء أو بغيره فقد طمعت فى غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لامحالة فذلك القلب المشغول بفكر مهم فى الدين يخلو عن جولان الشياطين) فيه (والافمن غفل عن الله تعالى ولو فى لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال) الله (تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن) أى يغفل عنه ولم يهتد الى طريقه (نقيض له شيطانا فهو له قرين) أى مقارن له لايفارقه فى أحواله (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشاب الفارغ) قال العراقى غريب لم أجده قلت روى صاحب الحلية فى ترجمة ابن مسعود انه قال انى لاكره ان أرى الرجل فارغا لافى عمل دنيا ولا آخرة وفى لفظ له انى لامقت الرجل ان أراه فارغا ليس فى شئ من عمل الدنيا ولافى عمل الآخرة (وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزدوج افراخه أيضا وتبيض مرة أخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا يزال تتولد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسرى شيأ فشيأ) وقليلا فقليلا (على الاتصال فالشهوة فى نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لاتبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم تكن شهوة) ولذلك قالوا النار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله (فاذا اذا تأملت علمت ان اعدى عدوّك شهوتك وهى صفة نفسك) ففى الخبر اعدى عدوّك نفسك التى بين جنبيك وفى رواية زوجتك التى تضاجعك وروى العسكرى عن سعيد بن أبى هلال مرسلا ليس عدوّك الذى ان قتلته كان لك نورا وان قتلك دخلت الجنة ولكن أعدى الاعداء لك نفسك التى بين جنبيك (ولذلك قال) أبو المغيث (الحسين بن منصور) بن أبى بكر بن عمر بن عبد الله بن الليث بن أبى بكر بن أبى صالح بن عبد الله ابن أبى أيوب الانصارى (الحلاج) صحب الجنيد والثورى وغيرهما واختلف الناس فيه فافتى كثير من العلماء باباحة دمه فقتل يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى القعدة سنة ٣٠٩ (حين كان يصلب) وذلك ببغداد (وقد سئل عن التصوّف فقيل) له ماهو (فقال هو نفسك ان لم تشغلها) بالذكر والفكر (شغلتك) بما يبعدك عن حضرة الله (فاذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة) ذمها الشارع (وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك) لما فيه من الوساوس والخطرات (وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت) نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

(بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الذى أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء) روى أبو نعيم فى الطب من حديث أبى هريرة ان الذى أنزل الداء أنزل معه الدواء ورواه ابن السنى والحاكم بلفظ ان الذى أنزل الداء أنزل الشفاء (فالصبر وان كان شاقا) على النفس (أو ممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون) مركب من

العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر
وكما أن أقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منه مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيفاء ذلك
مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس
يملك معها فرجه أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين أردنا أن يغلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه الا تقوية من أردنا أن تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فاما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة أمور أحدها أن تنظر الى مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة الثاني قطع أسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك
القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها
بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهو سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه الا تغميض الاجفان
أو الهرب من صوب رميه فانه انما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه الثالث تسلية النفس بالمباح
من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات من جنسه ما يغني عن المحظورات منه وهذا هو العلاج الانفع
الاكثر

(العلم والعمل فالعلم والعمل هما الاخلاط التي منهما تركب الادوية) النافعة (لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل آخر وكما أن أقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منه مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها) لان النفس ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي أن يسعى لحفظها وجلب مزيد قوة لها واكتساب زيادة صفاء لها فان كانت ناقصة عادمة الكمال والصفاء وجب العلاج بضد العلة المطلوب زوالها فيعالج مرض الجهل بالعلم ومرض البخل بالسخاء ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا (واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث لا يملك معها فرجه) في حال يقظته ونومه (أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه) بالتطلع (أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا تزال تحدثه) في سره (بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر) والمراقبة (والاعمال الصالحة فنقول) في علاجه (قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين أردنا ان يغلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه الا تقوية من أردنا ان تكون له اليد العليا) أي الغلبة (وتضعيف الآخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فاما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة أمور أحدها ان تنظر الى مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة اللذيذة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن) تناول (اللحم) في المأكولات (و) عن (الاطعمة المهيجة للشهوة) في طبعها أو بملابسة الابازير (الثاني قطع أسبابه المهيجة له في الحال فانه انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة) ومن ذلك قولهم من ادار ناظره اتعب خاطره (وهذا يحصل) علاجه (بالعزلة) عن الناس مرة (والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور) الجميلة (المشتهاة) بالطبع (والفرار منها بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس) رواه الحاكم والبيهقي من حديث حذيفة بلفظ النظرة سهم من سهام ابليس مسمومة فمن تركها من خوف الله اثابه ايمانا يجد حلاوته في قلبه وروى الحكيم الترمذي في النوادر من حديث علي النظر الى محاسن المرأة سهم من سهام ابليس فمن صرف بصره عنها رزقه الله عبادة يجد حلاوتها وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر نظر المؤمن في محاسن المرأة سهم من سهام ابليس مسموم من تركها من خشية الله ورجاء ما عنده آتاه الله بذلك عبادة تبلغه لذتها وقد تقدم ذكر هذا الحديث مرارا (وهذا سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه) ويتترس به (الا تغميض الاجفان والهرب من صوب رميه) وقد روى الديلمي من حديث أبي هريرة يقول الله تعالى يا ابن آدم ان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقين فاطبقهما عليه الحديث (فانه يرمي هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه) وامنت من شره (الثالث تسلية النفس بالمباحات من الجنس الذي يشتهيه وذلك بالنكاح) مع حليلته (فان كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات من جنسه ما يغني عن المحظور منه وهذا هو العلاج الانفع) والدواء

في حق الاكثر فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فتسقط قوته والثاني يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها والثالث يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر به على التأديب وأما تقوية باعث الدين فانما تكون بطريقين أحدهما اطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي أوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الاثر ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر ومن أسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي أن يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان فتارة يضعف وتارة يقوى فان قوي قوي باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر وأقل ما أوتي الناس الصبر وعزيمة اليقين والثاني أن يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرئ عليها وتقوى منته في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة فقوة الممارسين للاعمال الشاقة تزيد على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتأكد بالممارسة فالعلاج الاول يضاهي اطماع المصارع بالخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى

الاكبر (في حق الاكثر فان قطع الغذاء) مطلقا (يضعف عن سائر الاعمال) الصالحة التي تستدعي القوة (ثم قد لا تقمع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم) يا أيها الناس (عليكم بالباءة) أي النكاح (فان لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) رواه الطبراني في الاوسط والضياء من حديث أنس وقد تقدم في كتاب النكاح (فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح) أي العاصية عن التأديب (وعن الكلب الضاري) أي اللهج بأكل لحم الصيد (ليضعف فتسقط قوته و) العلاج (الثاني يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها) بالعين والحس (و) العلاج (الثالث يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر على التأديب) والرياضة (وأما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين أحدهما اطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا) والقدر الواجب منه تقويته بالوعد والوعيد أو بما رأيته من البواعث الحادثة المقوية له الى أن يغلب وينتصر ويفوز بالخلع السنية الموعودة له (وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي أوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الاثر ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات وانه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر) كأنه يشير الى أثر ابن عباس المتقدم ان من صبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة تبع الصاحب القوت وقد تقدم الكلام عليه وان المروي من حديثه على خلاف ذلك (ومن أسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي أن يحزن بفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان) بالترغيب والترهيب وبالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى والايمان بهذا واجب والشريعة طافحة بهذا والقرآن من فاتحته الى خاتمته ترغيب وترهيب وتذكير يتذكر به اللبيب فاذا قرأ العبد القرآن بالتدبر والاصغاء أحضر قلبه وتفكر فيما رتب الله تعالى على الطاعات من الجزاء والكرامات وعلى المخالفات قوي ايمانه ويقينه واليه أشار المصنف بقوله (فتارة يضعف وتارة يقوى فان قوي قوي باعث الدين وهيجه تهييجا شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر وأقل ما أوتي الناس الصبر وعزيمة اليقين) كما روي ذلك من حديث شهر بن حوشب عن أبي امامة رفعه وقد تقدم ذكره واذا قوي يقينه انهزم كيد الشيطان وحزبه واذا قوي يقينه بالقضاء والقدر صبر على ما ابتلاه الله وان اتسعت معرفته حتى يرى المصيبة نعمة حصل منه الشكر عوضا عن الصبر وارتفع بذلك درجته عند الله تعالى (والثاني أن يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرئ عليها وتقوى منته) أي قوته (في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر عنها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين) للاحمال الثقيلة (والفلاحين) لمعاناة أعمال الاعراض (والمقاتلين) في الحروب (وبالجملة فقوة الممارسين للاعمال الشاقة تزيد على قوة الخياطين والعطارين) وهم الصيادلة (والفقهاء) في المدارس (والصالحين) في الزوايا (وذلك لان قواهم لم تتأكد بالممارسة) والمزاولة (فالعلاج الاول يضاهي اطماع المصارع بالخلعة عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة) والانعام (كما وعد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى) عليه السلام

حيث قال وانكم اذالمن المقربين والثانى يضاهى تعويد الصبى الذى يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يأنس به ويستجرئ عليه وتقوى فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عوّد نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد فهذا منهاج العلاج فى جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما أشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب وهذا لا علاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء ثم الاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفى مالم تصر الهموم هما واحدا وهو الله تعالى ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفى ذلك مالم يكن له مجال فى الفكر وسير بالباطن فى ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المترتبة فى كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور فان الفكر بالباطن هو الذى يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو فى جميع أوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء من انسان وطغيان من مخالط اذ لا يستغنى عن مخالطة من يعينه فى بعض أسباب المعيشة فهذا أحد الانواع الشاغلة * وأما النوع الثانى فهو ضرورى أشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش فان تهيئة ذلك أيضا تحوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الاوقات وان لم تهجم به ملمة أو واقعة وفى تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر وينكشف فيه من أسرار الله تعالى فى ملكوت السموات والارض مالا يقدر على عشر عشيره فى زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء الى هذا هو أقصى المقامات التى يمكن أن تناله

بالاكتساب

(حيث قال وانكم اذا لمن المقربين و) العلاج (الثانى أيضا يضاهى تعويد الصبى الذى يراد منه المصارعة والمقاتلة مباشرة أسباب ذلك) منذ زمن الصبا (حتى يأنس به ويستجرئ عليه وتقوى فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عوّد نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد فهذا منهاج العلاج فى جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما أشدها كف الباطن عن حديث النفس) وتوارد الهواجس على الخواطر (وانما يشتد ذلك على من تفرغ له) بهمته بالكلية (بان قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة) والانفراد عن الخلق (وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوساوس لا تزال تجاذبه من جانب الى جانب) وتحول بينه وبين شغله (وهذا لا علاج له البتة الا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء) والاقارب والمعارف (ثم الاعتزال) عنهم (الى زاوية) من زوايا البلد (بعد احراز قدر يسير من القوت) يقيم به صلبه (وبعد القناعة به) واتخاذ رفيق صالح يعينه على أحواله (ثم ترك ذلك كله لا يكفى مالم تصر الهموم هما واحدا وهو الله تعالى) فلا يكون له هم الا هو ولا شغل الا به (ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفى ذلك مالم يكن له مجال فى الفكر وسير بالباطن فى ملكوت السموات والارض وعجائب صنع الله تعالى فيهما وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى اذا استولى ذلك على قلبه) وغلب (دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه) ومايغمر قلبه من همزاته (وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المرتبة فى كل لحظة) أو فى كل وقت مخصوص (من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور) اذ القراءة والاذكار من غير حضور القلب لا تجدى نفعا (فان الفكر بالباطن هو الذى يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة) الجارية على اللسان فى منزلة حديث النفس (ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم من الاوقات الا بعضها) أى بالشرط المذكور (اذ لا يخلو فى جميع أوقاته من حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء من اناس وطغيان من مخالط اذ لا يستغنى عن مخالطة من يعينه فى بعض أسباب المعيشة) بحسب الضرورة الطارئة (فهذا أحد الانواع الشاغلة) عن الذكر والفكر (وأما النوع الثانى فهو ضرورى أشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش فان تهيئة ذلك أيضا تحوج الى شغل ان تولاه بنفسه) يشغله عما هو بصدده (وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه) فى بعض الاحوال والاحيان ضرورة (ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الاوقات ان لم تهجم به ملمة أو واقعة) من ملمات الدهر ووقائعه (وفى تلك الاوقات يصفو القلب) عن الكدر (ويتيسر الفكر) فيتوجه على قلبه بفكره وهو ذاكر ومراقب عليه (وينكشف فيه من أسرار الله تعالى فى ملكوت السموات والارض مالا يقدر على عشر عشيره فى زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق) وذلك الانكشاف لا حد له فيقف عليه (والانتهاء الى هذا) المقام (هو أقصى المقامات التى يمكن ان تنال

بالاكتساب والجهد فأما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله تعالى فى الاحوال والاعمال فذلك يجرى مجرى الصيد وهو بحسب
الرزق فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ والمعوّل وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانها توازى
أعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد فى أن يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب
الدنيا فان المجذوب الى أسفل سافلين لا ينجذب الى أعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ان لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية اذ قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وهذا من أعلى أنواع الرزق والامور السماوية غائبة عنا فلا ندرى متى ييسر الله تعالى أسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب أجله كالذى يصلح الارض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه الامطار ولا يدرى متى يقدر الله أسباب المطر الا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته انه لا يخلى سنة عن مطر فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغى أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الارادة والاخلاص
وعرضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار فى أوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى انتظار تلك النفحات فى الاوقات الشريفة
وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما فى يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فان الهمم والانفاس أسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار
رحمته حتى تستدر بها الامطار فى أوقات الاستسقاء وهى لاستدرار أمطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت أشد مناسبة

بالاكتساب والجهد) بقدر الطاقة البشرية (فأما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله فى الاعمال
والاحوال فذلك يجرى مجرى الصيد وهو بحسب الرزق) المقسوم (فقد يقل الجهد ويجل الصيد)
أى يعظم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (وقد يطول الجهد ويقل الحظ) فلا ينال مقدار جهده (والمعوّل
وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانها توازى أعمال الثقلين) وعلى هذا بناء سلوك الشيخ
أبى على الفارمدى قدس سره وهو شيخ المصنف فالجذب عنده مقدم على السلوك واليه ذهب بعض
الشيوخ فى الطريقة العلية النقشبندية ومن يتيسر له هذا الحال أولا يأمرونه بمراقبة الجلالة ثم بذكر
النفى والاثبات وذهب بعضهم الى ان السلوك مقدم على الجذب وان الجذب نتيجة السلوك فمن قال بذلك
يأمر المريد أوّلا بذكر النفى والاثبات ثم بمراقبة الجلالة (وليس ذلك باختيار العبد) أى حصول الجذبة
الالهية لكونه من ارادات الحق (نعم اختيار العبد فى ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه
جواذب الدنيا) فيتخلى عنها فيكون حريا بورود الجذبة الالهية اليه (فان المجذوب الى أسفل السافلين
لا ينجذب الى أعلى عليين وكل مهموم على الدنيا) حريص على تحصيلها (فهو منجذب اليها) لا يلوى على غيرها
(فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ان لربكم فى أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا
لها) رواه الطبرانى فى الكبير وابن النجار من حديث محمد بن سلمة بلفظ فتعرضوا له لعله ان تصيبكم نفحة
منها فلا تشقون بعده أبدا وقد تقدم فى الجمعة والمراد بالنفحات هنا التجليات المقربات والتعرض لها
بتطهير القلب وتزكيته من الاكدار والاخلاق الذميمة والطلب منه فى كل وقت فانه لا يدرى فى أى وقت
يكون فتح خزائن المنن (وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية اذ قال تعالى وفى السماء
رزقكم وما توعدون) والرزق رزقان ظاهر وهى الاقوات والاطعمة وذلك للظواهر وهى الابدان وباطن
وهى المعارف والمكاشفات وذلك للقلوب والاسرار (وهذا من أعلى أنواع الرزق) وأشرفها فان ثمرته
حياة الابد وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد الى مدة قريبة الامد والله تعالى هو المتولى بخلق الرزقين
والمتفضل بالايصال الى كلا الفريقين (والامور السماوية غائبة عنا فلا ندرى متى ييسر الله تعالى
أسباب الرزق) المعنوى (فما علينا الا تفريغ المحل) عن المشغلات (والانتظار لنزول الرحمة) فيه
(وبلوغ الكتاب أجله) أى منتهاه الذى قدرله (كالذى يصلح الارض وينقيها من الحشيش ويبث فيها
البذر وكل ذلك لا ينفعه) وفى نسخة لا ينفعها (الامطار ولا يدرى متى يقدر الله أسباب المطر الا انه يثق
بفضل الله تعالى ورحمته ان لا يخلى سنة عن مطر) كما جرت به سنته (فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم
عن جذبة من الجذبات) الالهية (ونفحة من النفحات) الرحمانية (فينبغى أن يكون العبد قد طهر القلب
عن حشيش الشهوات وبذر فيها بذر الارادة والاخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار
الامطار فى أوقات الربيع وعند ظهور الغيث فيقوى انتظار تلك النفحات فى الاوقات الشريفة وعند
اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما فى يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان) فان هذه أيام شريفة وأوقات
منيفة تجتمع فيها الهموم وتتوجه القلوب بحضورها الى الله تعالى فانتظار النفحات الالهية يكون قويا
(فان الهمم والانفاس أسباب بحكم تقدير الله لاستدرار) اخلاف (رحمته) وفيوضاته (حتى) انه
(تستدر بها) أى بالهمم والانفاس (الامطار فى أوقات الاستسقاء) عند حصول الجدب (وهى لاستدرار
أمطار المكاشفات) الالهية (ولطائف المعارف) السبحانية (من خزائن الملكوت) الغيبية (أشد مناسبة

منها الاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من أقطار الجبال والبحار بل الاحوال والمكاشفات حاضرة معك فى قلبك وانما أنت مشغول عنها
بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الا الى ان تنكسر الشهوة و يرفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من باطن القلب
واظهار ماء الارض بحفر القنى أسهل وأقرب من استنزال الماء اليها من مكان بعيد منخفض عنها ولكونه حاضرا فى القلب
ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الايمان تذكرا فقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى وليتذكر أولو الالباب وقال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وانما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر قال الجنيد رحمه الله السير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق فى حب الحق شديد والسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق وأشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع أغلب اللذات فى الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون أغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهى الربوبية والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لامور
الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من أمر ربى مذموما
وليس القلب مذموما على حبه ذلك وانما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر اذ حسده على كونه من
عالم الامر فأضله وأغواه وكيف يكون

منها لاستدرار قطرات الماء) عن السماء (واستجرار الغيوم من أقطار البحار والجبال بل الاحوال
والمكاشفات حاضرة معك فى قلبك وانما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك و بينها
فلا تحتاج) الى شئ من خارج (الا الى ان تنكسر الشهوة) والشبق (و يرفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف)
المتنوعة (من باطن القلب) مما يلى عالم الملكوت (واظهار ماء الارض بحفر القنى أسهل وأقرب من
استنزال الماء اليها من مكان بعيد منخفض عنها) وأولى بوصف الدوام والثبات لحصول الامدادات
التى لا تنقطع اذ المستنزل من المكان الآخر قد ينقطع ولا يثبت (ولكونه حاضرا فى القلب ومنسيا
بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الايمان) ذكرا (وتذكرا) وتذكرة وذكرى (فقال تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) والمراد به القرآن لكونه يذكر باللسان وبالقلب (وقال تعالى
وليتذكر أولو الالباب) أى ليتعظوا (وقال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ولا
يكون الذكر الا بعد النسيان وقال تعالى ان فى ذلك تذكرة وقال تعالى ان فى ذلك لذكرى (فهذا هو علاج
الصبر عن الوساوس والشواغل) الجاذبة من طريق الحق (وهو آخر درجات الصبر) وأشدها على
السالكين وفيها تزل أقدام الاقوياء فضلا عن الضعفاء (وانما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن
الخواطر) فاذا فرغ منها استقبله هذا الباب العظيم الهائل فان وجد شيخا كاملا فليعتصم به ولا يفارقه
وهو بعد هذا المنزل اما هالك أو مالك لانه يرى الخواطر تأتيه كامواج البحر تبهر أبصار القلوب رؤيتها
فكيف التوسط فى لججها ومن أجل هذه (قال الجنيد) قدس سره (المسير من الدنيا الى الآخرة سهل
هين (على المؤمن وهجران الخلق فى حب الحق شديد والمسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد
والصبر مع الله أشد) هكذا رواه القشيرى فى الرسالة سماعا عن أبى عبد الرحمن السلمى قال سمعت
الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول فذكره والمعنى ان المسير من الدنيا
سهل وان كان فيه صعوبة ما من حيث فراق محبوبه وذلك لكمال الجزاء وهجران الخلق فى طاعة الله
شديد لمخالفته هوى النفس من حظوظها والمسير من النفس بعدم الالتفات لهواها الى الله تعالى بالعمل
المحض أمره شديد للمخالفة المذكورة والصبر مع الله حتى لا يرجع الصابر الى الالتفات لهواها أشد مما
ذكر (فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق) فانظر فما أغزر علمه فانه ليس فى
الطريق عائق رابع اما العائق الاول للدنيا والعائق الثانى اقبال الخلق على المريد والعائق الثالث حوم
الشياطين بين القلب و بين الملكوت وليس له علاج الا الاعتماد على الله ثم الاعتصام بالشيخ المفيد ثم
الاقبال على معانى الذكر بكنه الهمة فمن كان لله كان الله ثم تخفيفه العلائق ما استطاع فانه لا مطمع فى
الورع قبل القناعة ولا فى الزهد قبل الورع ولا فى فراغ القلب قبل الزهد ولا فى الفكر قبل المعرفة ولا فى
المعرفة قبل الفكر ولا فى المحبة قبل المعرفة (وأشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان لذة
الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع أغلب اللذات فى الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا يكون أعلى
اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهى الربوبية والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما
فيه من المناسبة لامور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من أمر ربى وليس القلب مذموما
على حبه ذلك وانما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد) من رحمة الله تعالى
(عن عالم الامر اذ حسده على كونه من عالم الامر فاضله وأغواه) عن طريق الرشد (وكيف يكون

مذموما عليه وهو بطالب سعادة الآخرة فليس بطالب الابقاء لافناء فيه وعز الاذل فيه وأمنا لاخوف فيه وغنى لافقر فيه وكمالا لانقصان فيه وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد أن يطلب ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لامحالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب بانواع الآلام ومحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو فى الدنيا وملك مخلد دائم لايشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا فى العاجلة فجاء الشيطان وتوسل اليه بواسطة العجلة التى فى طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل اليه بواسطة الحمق فوعده بالغرور فى الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال صلى الله عليه وسلم والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر امكانه ولم يتدل الموفق بحبل غروره اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين بقوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار مكر الشيطان فى كافة الخلق أرسل الله الملائكة الى الرسل وأوحوا اليهم ماتم على الخلق من اهلاك العدو واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقى عن الملك المجازى الذى لا أصل له ان سلم ولا دوام له أصلا فنادوا فيهم يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل فالتوراة والانجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وابراهيم وكل كتاب منزل ما أنزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد والمراد منهم أن يكونوا ملوكا فى الدنيا ملوكا فى الآخرة أما ملك الدنيا فالزهد فيها والقناعة باليسير منها

مذموما عليه وهو بطالب سعادة الآخرة) وهو أعلى النعم الموهوبة وأشرفها (ومن يطلب سعادة الآخرة ليس بطالب الابقاء لافناء فيه وعز الاذل فيه وأمنا لاخوف فيه وغنى لافقر فيه وكمالا لانقصان فيه) اوقدرة لاعجز فيها وعلما لاجهل فيه واليه الاشارة بقوله تعالى وأما الذين سعدوا ففى الجنة الآية ولا يمكن الوصول لذلك الا باكتساب الفضائل النفيسة واستعمالها (وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد ان يطلب ملكا عظيما لا آخر له وطالب الملك طالب للعز والعلو والكمال لامحالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب بأنواع الآلام) والاكدار (وملحوق بسرعة الانصرام) أى الانقطاع (ولكنه عاجل وهو فى الدنيا وملك مخلد دائم لايشوبه كدر ولا ألم) أى لايخالطه (ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل) أى متأخر (وقد خلق الانسان عجولا راغبا فى العاجلة) كما فى نص القرآن (فجاء الشيطان وتوصل اليه بواسطة العجلة التى فى طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل اليه بواسطة الحمق) وهو فساد جوهر العقل (فوعده بالغرور فى الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق) وفى رواية والفاجر (من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله) الامانى رواه أحمد والترمذى وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم (فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر امكانه ولم يتدل الموفق بحبل غروره) ولم ينخدع (اذ علم مداخل مكره) ومطاوى خدعه (فاعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين) وفى نسخة فعبر تعالى عن المخذولين وقال (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أى يدعونها (وقال تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وقال تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) فى آيات كثيرة تشير الى أحوال المخذولين ممن آثر الدنيا على الآخرة (ولما استطار مكر الشيطان فى كافة الخلق) وانتشر خدعه اياهم (أرسل الله الملائكة الى الرسل) عليهم السلام (وأوحى) وفى نسخة فاوحوا (اليهم ماتم على الخلق من اهلاك العدو واغوائه) واضلاله (فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقى عن الملك المجازى الذى لا أصل له ان سلم) من الكدورات (ولا دوام له أصلا فنادوا فيهم) بما حكى الله تعالى عنهم فى كتابه العزيز (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله) أى فى جهاد أعداء الله (اثاقلتم الى الارض) فامتنعتم من الخروج (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل فالتوراة والانجيل والزبور والقرآن وصحف موسى) عليه السلام (وكل كتاب منزل ما أنزل الا لدعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد) روى عبد بن حميد وابن مردويه وأبو نعيم وابن عساكر من حديث أبى ذر قال قلت يارسول الله كم أنزل الله من كتاب قال مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين وعلى ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت يارسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال أمثال كلها قلت فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها قلت فهل أنزل الله عليك شيأ مما كان فى صحف ابراهيم وموسى قال نعم قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى (والمراد منهم أن يكونوا ملوكا فى الدنيا ملوكا فى الآخرة اما ملك الدنيا فبالزهد فيها والقناعة باليسير منها) بقدر ما يبلغه الى الآخرة

وأماملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لافناء فيه وعز الاذل فيه وقرة عين أخفيت فى هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه بان ملك الآخرة يفوت به اذ الدنيا والآخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا تسلم له أيضا ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم فى التدبيرات وكذا سائر أسباب الجاه ثم مهما تسلم وتتم الاسباب ينقضى العمر حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح والزهد فى الدنيا لما أن كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده عنه ومعنى الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين واشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لفرجه وبطنه وسائر اغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بمخنقه الى حيث يريد ويهوى فما أعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الا معكوسا فى الدنيا منكوسا فى الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف أطلب منك حاجة وملكى أعظم من ملكك فقال كيف قال من أنت عبده فهو عبد لى فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيد لى فهذا اذا هو الملك فى الدنيا وهو الذى يسوق الى الملك فى الآخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاشتداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط فى ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه يسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا فى الحال وترجو به ملكا فى الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان ألف الجاه وأنس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه فى العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد وأن يضيف اليه العمل وعمله فى ثلاثة أمور أحدها أن يهرب عن موضع الجاه

(وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لافناء فيه وعزا لاذل فيه وقرة عين أخفيت فى هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس) يشير الى قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (والشيطان قد يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه بان ملك الآخرة يفوت به اذ الدنيا والآخرة ضرتان) أى بمنزلتهما ان أرضيت احداهما سخطت الاخرى وهكذا مثلهما على رضى الله عنه وتقدم فى كتاب العلم (ولعلمه بان الدنيا لا تسلم له أيضا) لانه يفارقها عن قرب (ولو كانت تسلم لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم فى التدبيرات وكذلك سائر أسباب الجاه) والرياسات (ثم مهما تسلم وتتم الاسباب) لما يوافق راحته وهواه (ينقضى العمر) وينتهى (حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا) أى محصودا منكسرا (كان لم تغن بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا فقال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما) أى يابسا متكسرا (تذروه الرياح) وكان الله على كل شئ مقتدرا (والزهد فى الدنيا لما ان كان ملكا حاضرا حسده الشيطان عليه فصده عنه) أى منعه (ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين ولاشارة الايمان) فلا يخالفان مقتضاهما (وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا) كاملا (وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لفرجه وبطنه وسائر أغراضه) ومهماته (فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بمخنقه) أى حلقومه (الى حيث يريد ويهوى فما أعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الا معكوسا فى الدنيا منكوسا فى الآخرة) مكبا على وجهه (ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة) لك الينا (قال كيف أطلب منك حاجة وملكى أعظم من ملكك قال) كيف ذلك (قال من أنت عبده فهو عبدى فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيدى فهذا اذا هو الملك فى الدنيا وهو الذى يسوق الى الملك فى الآخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاشتداد على الصراط المستقيم) فلم يفرطوا ولم يفرطوا (فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخر والعبودية ومدخل الغلط) والاشتباه (فى ذلك وكيف تعمية الشيطان وتلبيسه) وخدعه ومكره (فيسهل عليك النزوع من الملك والجاه والاعراض عنهما والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا فى الحال وترجو به ملكا فى الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان ألف الجاه وأنس به ورسخ فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه فى العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد وان يضيف اليه العمل وعمله فى ثلاثة أمور أحدها ان يهرب عن موضع

الجاه كي لا يشاهد اسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور والحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الارض اذ قال تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها * الثاني ان يكلف نفسه في أعماله أفعالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من

قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة * الثالث ان يرعى في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض و يسلي نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيأ فشيأ الى ان يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى واليه الاشارة بقوله عليه السلام لا تشادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه فاذا ماذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه الى ماذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات فاتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الآحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر الى حال يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيأ لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكي عن بعض

الجاه حتى لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور) الحسان (الحركة للشهوة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الارض اذ قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني أن يكلف نفسه في أعماله افعالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل) وهو خلاف التصون (وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بما يناقضها) وفي نسخة بنقائضها (حتى يترسخ باعتياد ذلك ضد ما قد رسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة الثالث ان يرعى في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل) وترك التكلف (فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض و يسلي نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيأ فشيأ الى ان يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين) أي صلب شديد (فاوغل فيه برفق) أي سر فيه من غير تحمل ما لا تطيق والايغال السير الشديد والوغول الدخول في الشئ (ولا تبغض الى نفسك عبادة الله تعالى فان المنبت) وهو من انقطع به في السفر وعطبت راحلته (لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) أي فلا هو قطع الارض التي قصدها ولا هو أبقى ظهره ينتفع به رواه أحمد والبزار والبيهقي والعسكري في الامثال من حديث جابر وضعف وقد روى مختصرا من حديث أنس ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق رواه هكذا أحمد والضياء و يروى ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله الى عباده فان المنبت لا يقطع سفرا ولا يستبقي ظهرا رواه البيهقي من حديث عائشة و يروى أيضا مثل سياق المصنف الا انه قال بعد قوله برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة ربك فان المنبت لا سفرا قطع ولا ظهرا أبقى فاعمل عمل امرئ يظن ان لن يموت أبدا واحذر حذر من يخشى أن يموت غدا وفي لفظ يظن انه لن يموت الا هرما رواه البيهقي والعسكري من حديث ابن عمر وقال البيهقي روى هذا الحديث من طرق موصولا ومرسلا ومرفوعا وموقوفا وفيه اضطراب ورجح البخاري في التاريخ ارساله وقد تقدم في كتاب ترتيب الاوراد (و بقوله صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه) رواه البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ لن يشاد هذا الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وقد تقدم أيضا في كتاب ترتيب الاوراد (فاذا ماذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه الى ماذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات واتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الآحاد يطول ومن راعى التدريج) والتلطف (ترقى به الصبر الى حالة لا يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيأ لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق) الصحيح (وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا) عليه (فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكي عن بعض

العارفين انه سال) أبابكر (الشبلي) قدس سره (في الصبر أيه أشد فقال الصبر في الله) وهو الصبر على تغيير الاخلاق المذمومة والاتصاف بالمحمودة والاشتغال بانواع الطاعات (فقال لافقال الصبر لله) تعالى وهو الصبر على ما يرد على القلب من الله تعالى وهو متأدب معه في حمل ما يرد منه راض بذلك (قال لاقال الصبر مع الله) وهو الصبر على ذلك مع التبري من الحول والقوة (قال لاقال فايش) أي أي شئ هو (قال الصبر عن الله) وهو أن يبعد الله العبد عنه بعد تقريبه اليه فيلازم الباب و يتمرغ في التراب (فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه) ان (تتلف) لان قلبه لم يحمل البعد ولا سماع ذكره فهذا الصبر مذموم وهذا قد أورده القشيري في الرسالة سماعا عن محمد بن الحسين قال سمعت علي بن عبدالله البصري يقول وقف رجل على الشبلي فقال أي صبر أشد على الصابرين فذكره وقال بعضهم الصبر لله ما كان في أول العبادات والصبر مع الله ما كان في اثنائها والصبر بالله ما كان بعد الفراغ منها (وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا أي اصبروا في الله) تعالى أي في طاعته (وصابروا بالله) تعالى أي بعونه (ورابطوا مع الله) تعالى أي بالادب معه ودوام تعظيمه نقله القشيري وقيل الصبر دون المصابرة والمصابرة دون المرابطة وقيل اصبروا بنفوسكم على طاعة الله وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله ورابطوا باسراركم على الشوق الى الله وقيل حالك التي أنت فيها رباطك ومادون الله تعالى اعداؤك فاحسن المرابطة في رباط حالك وقيل المصابرة هي الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر في الصبر فيعجز الصبر عن الصبر كما قيل صابر الصبر فاستغاث به الصـ * ـبر فصاح المحب بالصبر صبرا

كل ذلك نقله القشيري (وقيل الصبر لله عناء) أي مشقة وكلفة (والصبر بالله بقاء) أي عون منه (والصبر مع الله وفاء) لما امتحن به (والصبر عن الله جفاء) أي بعد واعراض عنه نقله القشيري و زاد بعد قوله بقاء والصبر في الله بلاء أي اختبار وامتحان بما ينزل من القضاء (وقد قيل في ذلك) شعر

(والصبر عنك فمذموم عواقبه * والصبر في سائر الاشياء محمود)

نقله القشيري وأورد أيضا

وكيف الصبر عن حل مني * بمنزلة اليمين من الشمال

اذا لعب الرجال بكل شئ * رأيت الحب يلعب بالرجال

(وقيل أيضا) (والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه لا يحمد)

أورده القشيري بعد قوله وقال يحيى بن معاذ الرازي صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبرون وأنشد فذكره وقال الشيخ عبدالله الانصاري ومن أضعف الصبر الصبر لله وهو صبر العامة وفوقه الصبر بالله وهو صبر المريدين وفوقه الصبر على أحكام الله وهو صبر السالكين ومعنى كلامه ان صبر العامة لله أي رجاء ثوابه وخوف عقابه وصبر المريدين بالله أي بقوة الله ومعونته بهم لا يرون لانفسهم صبرا ولا قوة عليه بل حالهم التحقق بلا حول ولا قوة الا بالله علما ومعرفة وحالا وفوقها الصبر على الله أي على أحكامه هذا تقرير كلامه قال صاحب البصائر والصواب ان الصبر لله فوق الصبر بالله وأعلى درجة وأجل شانا فان الصبر لله متعلق بالالهية والصبر به متعلق بربوبيته وما تعلق بالالهية أكمل وأعلى مما تعلق بربوبيته ولان الصبر له عبادة والصبر به استعانة والاستعانة وسيلة والعبادة غاية والغاية مرادة لنفسها والوسيلة مرادة لغيرها ولان الصبر به مشترك بين المؤمن والكافر والبر والفاجر فكل من شهد الحقيقة الكونية صبر به وأما الصبر به فمنزلة الانبياء والرسل والصديقين ولان الصبر له صبر فيما هو حق له محبوب مرضي لديه والصبر قد يكون في ذلك وقد يكون فيما هو مسخوط له وقد يكون في مكروه أو مباح فاين هذا من هذا وأما تسمية الصبر على أحكامه صبرا عليه فلا مشاحة في العبارة بعد معرفة المعنى والله أعلم (هذا آخر ما أردنا شرحه في علوم الصبر واسراره) وقد بقي في الباب بعض مهمات لم يشر اليها المصنف

مما

العارفين انه سأل الشبلي عن الصبر أيه أشد فقال الصبر في الله تعالى فقال لافقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لاقال فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله و رابطوا مع الله وقيل الصبر لله عناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقد قيل في معناه والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في سائر الاشياء محمود وقيل أيضا الصبر يحمل في المواطن كلها الا عليك فانه لا يجمل هذا آخر ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأسراره

عما هو فى كتب الشيوخ قال القشيرى فى الرسالة قال أبو القاسم الحكيم قوله تعالى واصبر أمر بالعبادة وقوله وما صبرك الا بالله عبودية فمن ترقى من درجة لك الى درجة بك فقد انتقل من درجة العبادة الى درجة العبودية قال صلى الله عليه وسلم بك أحيا وبك أموت وقال ذو النون المصرى الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة وقال ابن عطاء الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الادب وقيل هو الغنى فى البلوى بلا ظهور شكوى وقال أبو عثمان الصبار الذى عود نفسه الهجوم على المكاره وقيل الصبر المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية وقال عمرو بن عثمان الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة وقال رويم الصبر ترك الشكوى وقال ذو النون الصبر هو الاستعانة بالله وقال أبو عبد الرحمن السلمى أنشدنى أبو بكر الرازى قال انشدنى ابن عطاء لنفسه

سأصبر كى ترضى وأتلف حسرة * وحسبى أن ترضى ويتلفنى صبرى

وسمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول الصبر كاسمه وقال على رضى الله عنه الصبر مطية لا تكبو وقال أبو محمد الحريرى الصبر ان لا تفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما والصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان اثقال المحنة وانشد بعضهم

صبرت ولم اطلع هواك على صبرى * وأخفيت ما بى منك عن موضع الصبر
مخافة ان يشكوى ضميرى صبابتى * الى دمعتى سرا فتجرى ولا أدرى

وقيل تجرع الصبر فان قتلك قتلك شهيدا وان أحياك أحياك عزيزا وقيل الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر فى المحن عنوان الفرج وفى بعض الاخبار بعينى ما يتحمل المتحملون لاجلى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت وكان ابن شبرمة اذا نزل به بلاء قال سحابة ثم تنقشع وسئل السرى عن الصبر فجعل يتكلم فيه فدب على رجله عقرب وهى تضربه بابرتها ضربات كثيرة وهو ساكن فقيل له لم تنحها فقال استحييت من الله تعالى ان أتكلم فى الصبر ولا أصبر وفى بعض الاخبار الفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة وأوحى الله الى بعض أنبيائه أنزلت بعبدى بلائى فدعانى فماطلته بالاجابة فشكانى فقلت عبدى كيف أرحمك من شئ به أرحمك وسمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول ان الصبر حده ان لا تعترض على التقدير فأما اظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافى الصبر قال الله تعالى فى قصة أيوب عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب مع ما أخبر عنه انه قال مسنى الضر وسمعته يقول استخرج منه هذه المقالة يعنى قوله مسنى الضر ليكون متنفسا للضعفاء هذه الامة وسمعته يقول حقيقة الصبر الخروج عن البلاء على حسب الدخول فيه مثل أيوب عليه السلام قال فى آخر بلائه مسنى الضر الآية فحفظ أدب الخطاب حيث عرض بقوله وأنت أرحم الراحمين ولم يصرح بقوله ارحمنى * واعلم ان الصبر على ضربين صبر العابدين وصبر المحبين فصبر العابدين أحسنه أن يكون محفوظا وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضا وفى معناه أنشد

تبين يوم البين ان اعتزامه * على الصبر من احدى الظنون الكواذب

وفى هذا المعنى سمعت الاستاذ أبا على يقول أصبح يعقوب عليه السلام وقد وعد الصبر من نفسه فقال فصبر جميل أى فشأنى صبر جميل ثم لم يمس حتى قال يا أسفا على يوسف الى هنا كله كلام القشيرى وقال صاحب العوارف لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر فالصبر عرك النفس وبالعرك تلين والصبر جار فى الصابر مجرى الانفاس لانه يحتاج الى الصبر عن كل منهى ومكروه ومذموم ظاهرا وباطنا والعلم يدل والصبر يقبل فلا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر ومن كان العلم سياسته فى الظاهر والباطن لا يتم له ذلك الا اذا كان الصبر مستقره ومسكنه والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بدون الآخر ومصدرهما الغريزة العقلية وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما

و بالصبر تحامل على النفس و بالعلم ترقى الى الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والجسد ليستقر كل واحد منهما فى مستقره وفى ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال وبانفصال أحدهما عن الآخر أعنى العلم والصبر ميل أحدهما الى الآخر أعنى النفس والروح وبيان ذلك يدق وناهيك بشرف الصبر قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واصبر وماصبرك الا بالله أضاف الصبر الى نفسه لشريف مكانه وتكميل النعمة به ثم نقل مراجعة الرجل مع الشبلى فى أشد الصبر كما تقدم ذكره ثم قال وعندى فى معنى الصبر عن الله وجه ولكونه من أشد الصبر على الصابرين وجه وذلك ان الصبر عن الله يكون فى أخص معاملة المشاهدة ثم يرجع العبد عن مولاه استحياء واجلالا وتنطف بصيرته خجلا وذوبانا و يتغير فى مفاوز استكانته وتخفيه لاحساسه بعظيم أمر التجلى وهذا من أشد الصبر لانه يود استدامة هذا الحال تأدية لحق الجلال والروح تود أن تكتحل بصيرتها باشعة نور الجمال وكما أن النفس منازعة لعموم حال الصبر فالروح فى هذا الصبر منازعة فاشتد الصبر عن الله تعالى لذلك وقال جعفر الصادق رحمه الله تعالى أمر الله تعالى أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الاعلى للرسول صلى الله عليه وسلم حيث جعل صبره بالله لابنفسه فقال وماصبرك الا بالله الى هنا كلام صاحب العوارف وقال صاحب القوت فى شرح مقام الصبر قال بعض الصحابة ماذا جعل الله من الشفاء والفضل فى التقوى والصبر قلت وهذا تصحيف من صاحب القوت أو من الكاتب نبه على ذلك أبو الحسن نصر بن أحمد الفارسى قال انما هو من قول النبى صلى الله عليه وسلم ماذا فى الامرين من الشفاء الثفاء والصبر يعنى بالثفاء حب الرشاد والصبر هو المرثم قال صاحب القوت وكان سهل يقول الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة الصبر عن المعصية ثم الصبر على الطاعة وقال فى معنى قوله تعالى استعينوا بالله واصبروا أى استعينوا بالله على أمر الله واصبروا على أدب الله وكان يقول الصالحون فى المؤمنين قليل والصابرون فى الصالحين قليل فجعل الصبر خاصية الصدق وجعل الصابرين خصوص الصادقين وكذلك الله سبحانه رفع الصابرين على الصادقين فى ترتيب المقامات فجعل الصبر مقاما فى الصدق فى قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية على ان الواو للجمع والصبر ينقسم الى عملين أحدهما الاصلاح للدين الابه والثانى هو أصل فساد الدين ثم يتنوع الصبر فيكون صابرا على الذى فيه صلاح الدين فيكمل به ايمانه و يكون صابرا عن الذى فيه فساد الدين فيحسن به يقينه وكان ميمون بن مهران يقول الايمان والتصديق والمعرفة والصبر شئ واحد ثم قال فمن صبر عن الطمع فى الخلق أخرجه الصبر الى الورع ومن صبر على الورع فى الدين أدخله الصبر فى الزهد ومن طمع فى التصديق الكاذب أدخله الطمع فى حب الدنيا ومن استشعر حب الدنيا أخرجه حبها من حقيقة الدين وقدر و ينادوتى بأشكر أهل الارض فيجزيه جزاء الشاكرين و يؤتى بأصبر أهل الارض فيقال أترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين وجاء فى الخبر ان لابواب الجنة مصراعين يأتى عليها زحام الا باب الصبر فانه مصراع واحد لايدخل منه الا الصابرون أهل البلاء فى الدنيا واحد بعد واحد وللصبر معنيان أحدهما منوط بالآخر لايتم كل واحد منهما الا بصاحبه فمن كان التقوى مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر أفضل الاحوال من حيث كان التقوى أفضل المقامات اذ الاتقى هو الاكرم عند الله والاكرم عند الله هو الافضل وقيل لسفيان الثورى ما أفضل الاعمال قال الصبر عند الابتلاء وقال بعض العلماء لايطمئن طامع فى مدح الله تعالى وحسن ثنائه عليه قبل أن يبتليه فيصبر له ولايطمعن أحد فى حقيقة الايمان وحسن اليقين قبل أن يمدحه الله تعالى و يثنى عليه ولو أظهر الله تعالى على جوارحه سائر الاعمال ثم لم يمدحه بوصف ولم يثن عليه بخير لم يؤمن عليه سوء الخاتمة وذلك من أخلاق الله تعالى انه اذا أحب عبدا أو رضى عمله مدحه ووصفه فمن ابتلاه بكراهة ومشقة أو

هوى أو شهوة فصبر لذلك أو صبر عن ذلك فانه تعالى يمدحه و يثنى عليه بكرمه وجوده فيدخل هذا العبد
فى أسماء الموصوفين و يصير واحدا من الممدوحين فعندها يثبت قدمه من الزلل و يختم له بما سبق له من
صالح العمل وأفضل الصبر الصبر على الله تعالى بالمجالسة والاصغاء اليه وعكوف الهمم عليه وقوة الوجد
به وهذا لخصوص المقربين أو حياء منه أو حباله أو تسليما له أو تفويضا اليه وهو السكون تحت جريان
الاقدار وشهودها من الانعام ومن حسن تدبير الاقتسام وشهود المشيئة له والحكمة فيها والقصد بالابتلاء
بها وهو داخل فى قوله تعالى ولربك فاصبر وفى قوله تعالى فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وقال سهل فى
تأويل قول على رضى الله عنه ان الله يحب كل عبد نومة قال هو الساكن تحت جريان الاحكام عن
الكراهة والاعتراض وقال عمر بن عبد العزيز أصبحت ومالى سرور الا فى مواضع القدر و يقال من
علامات اليقين التسليم للقضاء بحسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين والصبر أيضا على اظهار
الكرامات وهى الاخبار بكشف القدرة والآيات داخل فى حسن الادب من المعاملات وهذا فى معنى
الحياء من الله تعالى وهذا طريق المحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد ومن فضائل الصبر حبس النفس
عن حب الحمد والمدح والرياسة وقد روينا فى خبر مقطوع الصبر فى ثلاث الصبر عن تزكية النفس
والصبر عن شكوى المصيبة والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى خيره وشره * واعلم ان أكثر معاصى
الخلق فى شيئين قلة الصبر عما يحبون أو قلة الصبر عما يكرهون وقد قرن الله الكراهة بالخير والمحبة
بالشر فى قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وهو الصبر
وهو أول فريضة مثل أول الاخلاص والصبر أيضا حيلة من لاحيلة له لان الامر اذا كان بيد غيرك لم
يكن لك الا الصبر عليه ولان الشئ اذا كان لا يأتيك الا قليلا قليلا وأنت تحتاج اليه لم يكن لك الا الصبر
عليه والا انقطع ذلك القليل وأصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرت له لانه لو قوى يقينه كان
الآجل من الوعد عاجلا اذا كان الواعد صادقا فحسن صبره لقوة الثقة بالاعطاء ولا يصبر العبد الا
لاجل معنيين مشاهدة العوض وهو أدناهما وهذا حال المؤمنين ومقام اصحاب اليمين أو النظر الى
المعوّض وهو حال الموقنين ومقام المقربين فمن شهد العوض غنى بالصبر ومن نظر الى المعوّض حمله النظر
والتصبر على الصبر هو مجاهدة النفس وحملها على الصبر و ترغيبها فيه وهو التعمل للصبر بمنزلة التزهد
وهو أن يعمل فى أسباب الزهد لتحصيل الزهد والزهد والصبر هو التحقق بالوصف وذلك هو المقام الى
هنا كلام صاحب القوت وقال صاحب البصائر نقلا عن بعض المشايخ كان صبر يوسف عليه السلام
عن طاعة امرأة العزيز أكمل من صبره على القاء اخوته اياه فى الجب و بيعهم وتفريقهم بينه و بين
أبيه فان هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها ليس للعبد حيلة فيها عن الصبر وأما صبره
عن المعصية فصبر اختيار و رضا ومحاربة للنفس ولاسيما مع أسباب تقوى معها داعية الموافقة فانه كان
شابا وداعية الشاب اليها قوية وكان عزبا ليس له مايعوضه و يرد شهوته وغريبا والغريب لايستحى فى
بلد غربته مما يستحى منه بين أصحابه وأهله و يحسبونه مملوكا والمملوك ليس وازعه كوازع الحر والمرأة
جميلة وذات منصب وقد غاب الرقيب وهى الداعية له الى نفسها والحريصة على ذلك أشد الحرص ومع
ذلك توعدته بالسجن ان لم يفعل فمع هذه الدواعى كلها صبر اختيارا وايثارا لما عند الله وأين هذا من صبره
فى الجب على ماليس من كسبه والصبر على اداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات فان
مصلحة فعل الطاعة أحب الى الشارع من مصلحة ترك المعصية ومفسدة عدم الطاعة أبغض اليه وأكره
من مفسدة وجود المعصية * واعلم ان الشكوى الى الله عز وجل لاتنافى الصبر فان يعقوب عليه السلام
وعد بالصبر الجميل والنبى اذا وعد لايخلف ثم قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله وكذلك أيوب عليه السلام
أخبر الله عنه انه وجده صابرا مع قوله مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين وانما ينافى الصبر شكوى الله لا

الشكوى الى الله كما روى بعضهم يشكو الى آخر فاقة وضرورة فقال ياهذا تشكو من يرحمك الى من لا يرحمك ثم أنشد

واذا اعترتك بلية فاصبر لها * صبر الكريم فانه بك أرحم
واذا شكوت الى ابن آدم لانما * تشكو الرحيم الى الذى لا يرحم

والله أعلم

(الشطر الثانى من الكتاب فى الشكر) وهو المقام الثالث من مقامات اليقين (وله أركان ثلاثة الاول فى فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه الثانى فى حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة الثالث فى بيان الافضل من الشكر والصبر الركن الاول فى نفس الشكر) وفيه بيان فضيلته وحقيقته وأحكامه وأقسامه

(بيان فضيلة الشكر)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر فى كتابه) العزيز وأمر به (مع انه) تعالى عظم الذكر حيث (قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروالى ولا تكفرون) فصار الشكر أكبر لاقترانه به ورضى بالشكر مجازاة من عباده لفرط كرمه لان قوله تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروالى خرج فى لفظ المجازاة لتحقق الامر وتعظيم الشكر لان الفاء للشرط والجزاء والكاف المتقدمة للتمثيل فقوله تعالى فاذكرونى متصل بقوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى واشكروالى والمعنى كمثل ما أرسلت فيكم رسولا منكم فاشكروا وهم يكتفون عن مثل بالكاف كما يكتفون عن سوف بالسين وهذا تفضيل للشكر عظيم لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى (وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) فقرن الشكر بالايمان ورفع بوجودهما العذاب (وقال تعالى وسنجزى الشاكرين) وقال أيضا وسيجزى الله الشاكرين (وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو) طريق (الشكر) هذا أحد الوجوه فى الآية نقله صاحب القوت وقال فلولا أن الشكر طريق قريب يوصل الى الله تعالى لما عمل العدوّ فى قطعه (ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين فى الخلق فقال ولا تجد أكثرهم شاكرين) فلولا ان الشاكر حبيب رب العالمين ما قال ذلك (و) كذلك (قال تعالى وقليل من عبادى الشكور) كما قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وفى الآية تنبيه على أن توفية شكر الله صعب ولذلك لم يثن بالشكر من أوليائه الاعلى اثنين قال فى وصف ابراهيم عليه السلام شاكرا لانعمه وقال فى نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا (وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن) فيه (فقال) واذ تأذن ربكم (لئن شكرتم لازيدنكم) ولئن كفرتم ان عذابى لشديد (واستثنى فى خمسة أشياء فى الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال) تعالى (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال) تعالى (ويرزق من يشاء وقال) تعالى (ويتوب الله على من يشاء) وقال أيضا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء فالشاكر على مزيد والشكور فى نهاية المزيد وهو الذى يكثر شكره على القليل من العطاء ويتكرر منه الشكر والثناء على الشئ الواحد من النعم (وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم) لانه سماه باسم من أسمائه والمزيد هو الى المنعم يجعله ما شاء فافضل المزيد حسن اليقين ومشاهدة الصفات وأول المزيد شهود النعمة انها من المنعم بها من غير حول ولا قوة الا بالله وأوسط المزيد دوام الحال ومتابعة الخدمة والاستعمال وقد يكون المزيد اخلاقا وقد يكون علوما وقد يكون فى الآخرة تثبيتا عند فراق الدنيا وقال صاحب البصائر واذا وصف الله بالشكر فى قوله انه شكور حليم فانما يعنى به انعامه على عباده وجزاءه بما أقامه من العبادة (وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة) وختام تمنيهم (فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) نتبوأ من الجنة حيث نشاء (وقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) فلولا انه أحب الاعمال اليه ما بقاهم عليه لديه ومما يدل على فضيلة الشكر

(الشطر الثانى) من الكتاب فى الشكر
(الثانى) فى حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة
(الثالث) فى بيان الافضل من الشكر والصبر

(الركن الاول فى نفس الشكر)

(بيان فضيلة الشكر)

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر فى كتابه مع أنه قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروالى ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزى الشاكرين وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين فى الخلق فقال ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادى الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى فى خمسة أشياء فى الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال ويرزق من يشاء بغير حساب وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من أخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

من

من الآيات قوله تعالى اعملوا آل داود شكرا واختلف فيه فقيل هو منصوب على التمييز والمعنى اعملوا
ما تعملونه شكرا لله وقيل هو مفعول لقوله اعملوا ولم يقل اشكروا لينبه على التزام الانواع الثلاثة من
الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح وقال الله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى والله
أخرجكم من بطون أمهاتكم الى قوله لعلكم تشكرون وقال تعالى ان فى ذلك لآية لكل صبار شكور وقال
تعالى وان تشكروا يرضه لكم فجعل رضاه عن عباده مشروطا بالشكر وهى منقبة عظيمة له (وأما الاخبار فقد
قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) قال العراقى علقه البخارى وأسنده الترمذى
وحسنه وابن ماجه من حديث أبى هريرة ورواه ابن ماجه من حديث سنان بن سنة وفى اسناده اختلاف اه
قلت وكذلك رواه أحمد والحاكم والبيهقى من حديث أبى هريرة ولفظ الترمذى حسن غريب وأما لفظ
ابن ماجه من حديث سنان بن سنة الاسلمى وله صحبة الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر وقد رواه
كذلك أحمد والدارمى والبغوى والطبرانى والضياء وسنة ضبطوه بالفتح على الصواب وقد أشار الحافظ الى
الاختلاف الواقع فى سنده فى الاصابة فراجعه *(تنبيه)* قال الطيبى قد تقرر فى علم المعانى ان التشبيه
يستدعى جهة جامعة والشكر نتيجة النعماء كما ان الصبر نتيجة البلاء فكيف شبه الشاكر بالصابر *وجوابه
انه ورد الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فقد يتوهم ان ثواب شكر الطاعم يقصر عن ثواب صبر الصائم
فازيل توهمه به يعنى هما سيان فى الثواب ولان الشاكر لما رأى النعمة من الله تعالى وحبس نفسه على
محبة المنعم بالقلب واظهارها باللسان نال درجة الصابر فالتشبيه واقع فى حبس النفس بالمحبة والجهة الجامعة
حبس النفس مطلقا (وروى عن عطاء بن أبى رباح) فيما أخرجه أبو القاسم القشيرى فى الرسالة فقال
أخبرنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان الاهوازى أخبرنا أبو الحسن الصفار حدثنا الاسقاطى حدثنا
منجاب حدثنا يعلى عن أبى جناب عن عطاء (قال دخلت على عائشة رضى الله عنها) مع عبيد بن عمير
(فقلت) يا أم المؤمنين (أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأى)
شئ من (شأنه لم يكن عجبا) انه (أتانى ليلة فدخل معى فى فراشى أو قالت فى لحافى حتى مس جلدى جلده ثم
قال يا ابنة أبى بكر ذرينى) أى اتركينى (أتعبد لربى قالت قلت انى أحب قربك منى) ثم وافقته فى مطلوبه
(لكنى أوثر هواك فاذنت له) فيه (فقام الى قربة) من (ماء) وكانت معلقة فحلها (فتوضأ) منها (فلم يكثر
صب الماء) أى توضأ وضوءا خفيفا ولفظ الرسالة فاكثر صب الماء أى على أعضائه فاحسن وضوءه (ثم قام
يصلى فبكى) وهو قائم (حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى) وهو راكع (ثم رفع رأسه فبكى ثم
سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه) بالمد أى أعلمه (بالصلاة) أى صلاة الفجر
(فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم
لا أفعل ذلك) أى أبكى (وقد أنزل الله على ان فى خلق السموات والارض الآية) قال العراقى رواه أبو
الشيخ ابن حبان فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن طريقه ابن الجوزى وفيه ابن جناب
واسمه يحيى بن أبى حية ضعفه الجمهور ورواه ابن حبان فى صحيحه من رواية عبد الملك بن سليمان عن عطاء
دون قولها وأى شأنه لم يكن عجبا وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصرا على آخر الحديث اه
قلت لقد ابعد الشيخ النجعة وهذا قد أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وابن أبى الدنيا فى
التفكر وابن حبان فى صحيحه وابن عساكر كلهم من طريق عطاء قال قلت لعائشة أخبرينى الحديث
وفى آخره ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ولفظ الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه
فقيل له تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا قال ابن حجر فى
شرح الشمائل وقد ظن من سأله صلى الله عليه وسلم فى سبب تحمله المشقة فى العبادة ان سببها اما خوف
الذنب أو رجاء المغفرة فأفادهم ان لها سببا آخر أتم وأكمل هو الشكر على التأهل لهاتيك المغفرة واجزال

(وأما الاخبار) فقد قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم الطاعم الشاكر
بمنزلة الصائم الصابر وروى
عن عطاء انه قال دخلت
على عائشة رضى الله عنها
فقلت أخبرينا بأعجب
ما رأيت من رسول الله صلى
الله عليه وسلم فبكت وقالت
وأى شأنه لم يكن عجبا أتانى
ليلة فدخل معى فى فراشى
أو قالت فى لحافى حتى مس
جلدى جلده ثم قال يا ابنة
أبى بكر ذرينى أتعبد لربى
قالت قلت انى أحب قربك
لكنى أوثر هواك فاذنت له
فقام الى قربة ماء فتوضأ فلم
يكثر صب الماء ثم قام يصلى
فبكى حتى سالت دموعه
على صدره ثم ركع فبكى ثم
سجد فبكى ثم رفع رأسه
فبكى فلم يزل كذلك يبكى
حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة
فقلت يا رسول الله ما يبكيك
وقد غفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تأخر قال أفلا
أكون عبدا شكورا ولم لا
أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى
على ان فى خلق السموات
والارض الآية

النعمة وهو اعنى الشكر الاعتراف بالنعمة والقيام فى الخدمة ببذل المجهود فمن أدام ذلك كان شكورا
وقليل ماهم ولم يفز أحد بكمال هذه المرتبة غير نبينا صلى الله عليه وسلم ثم سائر الانبياء عليهم السلام وانما
ألزموا بذلك فى الجد فى العبادة وعظيم الخشية لعلمهم بعظيم نعمة ربهم عليهم ابتداء بها فضلا ومنة من غير
سابقة توجب استحقاقها اداء لبعض الشكر والا فحقوقه تعالى أعظم من ان يقوم بها أحد من خلقه (وهذا
يدل على ان البكاء ينبغى ان لا ينقطع أبدا والى هذا السر يشير ماروى) فى بعض الاخبار (انه مر بعض
الانبياء) من بنى اسرائيل (بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه) لمخالفته العادة (فانطقه الله تعالى
معه فسأله عن سبب ذلك (فقال منذ سمعت قوله) تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا (وقودها الناس والحجارة
فانا أبكى من خوفه) أى من خوفى اياه ان يجعلنى من تلك الحجارة قال (فسأله) تعالى (ان يجيره من
النار فاجاره) بوحى منه اليه وعلم الحجر بذلك (ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك) الحال (فقال لم تبكى الآن) وقد
غفر الله لك بدعائى (فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور) هكذا نقله القشيرى فى الرسالة
وأنشدوا فى المعنى

هجم السرور على حتى اننى * من فرط ماقد سرنى أبكانى
يا عين صار الدمع عندى عادة * تبكين فى فرح وفى أحزان

و يقال ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة (وقلب العبد كالحجارة) أى فى شدته و يبسه (أو أشد
قسوة) منها وذلك بنص القرآن (ولا تزول قسوته الا بالبكاء فى حال الخوف والشكر جميعا) فانه يلينه
و يزيل صلابته (و روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون) أى كثيرو الحمد
لله تعالى على نعمه (فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل) يارسول الله (ومن الحامدون قال
الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفى لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء) قال العراقى
رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بلفظ أول من يدعى الى الجنة
الحامدون الحديث وفيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور اهـ قلت لفظ الطبرانى أول من يدعى الى الجنة يوم
القيامة الحامدون الذين يحمدون الله على السراء والضراء ورواه كذلك أبو الشيخ والحاكم وابن مردويه
(وقال صلى الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن) هكذا هو فى القوت وقال العراقى لم أجد له أصلا و فى الصحيح
الكبرياء رداؤه وقد تقدم فى العلم (وأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام انى رضيت بالشكر مكافاة من
أوليائى فى كلام طويل) هكذا هو فى القوت قال وقد روينا فى أخبار أيوب عليه السلام ان الله سبحانه أوحى
اليه فذكره (وأوحى الله اليه أيضا فى صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها ألهمتهم الشكر
وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الى أزيدهم) نقله صاحب القوت فقال وروينا فى مناجاة
أيوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه فى صفة الصابرين فذكره وهذا غاية الفضل (ولما نزل فى
الكنوز مانزل) وهو قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الآية (قال عمر رضى الله عنه فأى المال
نتخذ فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر باقتناء القلب الشاكر)
واتخاذه مالا فى الآخرة (بدلا عن المال) فى الدنيا وشكر القلب هو مشاهدة المنعم فى النعمة وظهور المعطى
عند العطاء حتى ترى النعمة عنده منه والعطاء عنه لان الشكر عند الشاكرين معرفة القلب و وصفه
لا وصف اللسان كذا فى القوت وقد عزاه الى ثوبان وعمر رضى الله عنهما قلت رواه أحمد والترمذى وحسنه
وابن ماجه وأبو نعيم فى الحلية من حديث ثوبان ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة
تعين على أمر الآخرة وقد تقدم فى كتاب النكاح (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (الشكر نصف الايمان)
وقد روى من حديث أنس مرفوعا الايمان نصفان نصف فى الصبر ونصف فى الشكر رواه الديلمى والبيهقى
وقد تقدم قريبا من الاخبار الواردة فى الشكر انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ انى أحبك فلا تنس ان تقول
فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وفى الترمذى من بعض دعائه المشهور

وهذا يدل على ان البكاء ينبغى أن لا ينقطع أبدا والى هذا السر يشير ماروى انه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فانا أبكى من خوفه فسأله أن يجيره من النار فاجاره ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكى الآن فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء فى حال الخوف والشكر جميعا وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال و فى لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن وأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام انى رضيت بالشكر مكافأة من أوليائى فى كلام طويل وأوحى الله تعالى اليه أيضا فى صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم و بالنظر الى أزيدهم ولما نزل فى الكنوز مانزل قال عمر رضى الله عنه أى المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود الشكر نصف الايمان

(بيان حد الشكر وحقيقته) اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه و يتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولابد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة

بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه (فالاصل الاول) العلم وهو علم بثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لابد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لابد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فأما في حق الله تعالى فلا يتم الا بان يعرف ان النعم كلها من الله وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس اذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد

بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وقال ليس شئ من الاذكار يضاعف مثل ما يضاعف الحمد لله ولا تظنن أن هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه

رب اجعلني لك شكارا لك ذكارا لك رهابا لك مطواعا لك مخبتا اليك أواها منيبا وفي حديث عمر الحمد على النعمة أمان لزوالها وفي حديث ابن عمر والحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده

(بيان حد الشكر وحقيقته)

(اعلم) انهم قد اختلفوا في الفرق بين الحمد والشكر أيهما افضل وفي الحديث المتقدم الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره والفرق بينهما ان الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه وأخص من جهة متعلقاته والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الاسباب ومعنى هذا ان الشكر يكون بالقلب خضوعا واستكانة وباللسان ثناء واعترافا وبالجوارح طاعة وانقيادا ومتعلقه النعم دون الاوصاف الذاتية فلا يقال شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه وهو المحمود بها كما هو محمود على احسانه وعدله والشكر يكون على الاحسان والنعم فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس فان الشكر يقع بالجوارح والحمد باللسان فاذا عرفت ذلك فاعلم (ان الشكر من جملة مقامات السالكين) وهو الثالث من مقامات اليقين (وهو أيضا) كما تقدم (ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل) وبه يتضح الفرق بين المقامات والاحوال وقد تقدم الكلام عليه في شرح كتاب التوبة (أما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم وأما الحال فهو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولابد من بيان ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر) على ما سيأتي بيانه (قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه فالاصل الاول العلم وهو العلم بثلاثة أمور بعين النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لابد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لابد من معرفتها هذا في حق غير الله) تعالى (والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس اذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس) وأعني به تنزيه الرب عن الجسمية وتوابعها (ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد) وهي الرتبة الثانية (ثم يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط) وانه هو الذي أفاض الوجود عليه (بل الكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة) من رتب الايمان (اذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة) تقدم في كتاب الاذكار والدعوات قال صاحب القوت ليس لان الحمد أعلى من التوحيد ولكن لفضل مقام الشكر ولان الله تعالى افتتح به كلامه في كتابه (وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله) قال العراقي رواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر انتهى قلت ورواه كذلك الحاكم وعند البيهقي وابن النجار أفضل الدعاء لا اله الا الله وأفضل الذكر الحمد لله (وقال) صلى الله عليه وسلم (ليس شئ من الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده مرفوعا وانما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن ابراهيم النخعي قال يقال ان الحمد أكثر الكلام تضعيفا (ولا تظن ان هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه

الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من أبواب الايمان واليقين واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشئ فان رأى لوزيره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك وايصاله اليه فهو اشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك نعم لا يغض من توحيده في حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه والكاغد الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل الموصل والخازن أيضا مضطران من جهة الملك في الايصال وانه لو رد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم اليه شيأ فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركا في توحيده من اضافة النعمة الى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل اليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي وألقى في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة في أن يعطيك ما أعطاك وأن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل الا به وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ولو لم يعلم أن منفعته في منفعتك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة أخرى هو يرجوها وانما الذي أنعم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال الله عز وجل علم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكرا

الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس) اذ التسبيح لغة التقديس والتنزيه يقال سبحت الله أي نزهته عما يقوله الجاحدون (ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد) اذ معناها لا معبود بحق الا الله (والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق) لا غيره وهو المنعم المطلق (فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من أبواب الايمان واليقين) ومنهما يدخل اليهما (واعلم ان تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الاعمال فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشئ فان رأى لوزيره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك وايصاله) اليه فهو اشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه (فيتوزع) أي ينقسم (فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك) في الحقيقة (نعم لا يغض من توحيده في حق الملك وكمال شكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغد الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بانفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل أو الخازن أيضا مضطران من جهة الملك في الايصال فانه لو رد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وأمر جزم يخاف عاقبته) لو خالفه (لما سلم شيأ) من تلك النعمة (فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركا في توحيده من اضافة النعمة الى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره كالقلم مثلا في يد الكاتب والحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما أعطاه ذرة مما في يده) أي قليلا من النعمة (فهو مضطر) لا محالة (اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي) والبواعث (وألقى في نفسه ان خيره في الدنيا والآخرة في ان يعطيك ما أعطاك وان الغرض المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل الا به وبعد ان خلق الله له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ولو لم يعلم ان منفعته في منفعتك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة أخرى هو يرجوها) في نفسه (وانما الذي أنعم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال الله عز وجل علم ان كل ذلك مني فكانت معرفته شكرا) نقله القشيري في الرسالة ورواه الحكيم في النوادر عن الحسن مرسلا بلفظ قال موسى يارب كيف

شكرك

فاذا لا تشكر الا بان تعرف أن الكل منه فان خالجك ريب فى هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل و بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك فى الفرح و بنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل * (الاصل الثانى) * الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو أيضا فى نفسه شكر على تجرده كما أن المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان حاويا شرطه وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلا فنقول الملك الذى يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس على انسان يتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة

أوجه أحدها أن يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له فى الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده فى صحراء فاخذه لكان فرحه مثل ذلك الفرح الوجه الثانى أن يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس فى صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائه عن الفرس أصلا أو استحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل فى قلب الملك الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه فيخرج فى خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقى الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله فى قلب الملك أن يعطيه فرسا ويعتنى به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة أيضا بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة و بين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثانية داخلة فى معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التى تستحثه على الانعام فى المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام فى الفرح الثالث وهو أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى والنزول فى جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا

شكرك قال علم ان ذلك منى فكان ذلك شكره (فاذا لا تشكر الا بان تعرف ان الكل منه فان خالجك ريب) أى داخلك شك (فى هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك فى الفرح و بنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل * الاصل الثانى الحالة المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة التواضع والخشوع) وفى نسخة مع هيئة الخضوع والتواضع (وهو أيضا فى نفسه شكر على تجرده) أى بمفرده (كما ان المعرفة شكر) بمفردها (وانما تكون) تلك الحالة (شكرا اذا كان جامعا شروطه) أى الشكر (وشروطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلا) ليتضح لك به فهم المقصود (فنقول الملك الذى يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس) من افراسه المتزينة (على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس) المذكور (من ثلاثة أوجه أحدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وأنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس) للكر والفر (وهذا فرح من لا حظ له فى الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده فى صحراء) مجانا (فاخذه لكان مثل ذلك الفرح الوجه الثانى ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس فى صحراء وأعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائه عن الفرس أو لاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل) أى المنزلة (فى قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج فى خدمة الملك ويحتمل المشقة فى السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقى الى درجة الوزارة) وهى درجة تتلو درجة الملك (من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله فى قلب الملك أو يعطيه فرسا ويعتنى به هذا القدر من العناية بل هو طالب ان لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته) وعلى يده (ثم انه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة أيضا بل مشاهدة الملك) فى غالب أحواله (والقرب منه) فى سائر أحيانه (حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة و بين الوزارة دون القرب) منه (لاختار القرب) على الوزارة (فهذه ثلاث درجات الاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى وهذا حال من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر) فانه رؤية للنعمة لا للمنعم (والثانية داخلة) وفى نسخة والثانى داخل (فى معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التى تستحثه على الانعام فى المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام فى الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى والنزول فى جواره والنظر الى وجهه على الدوام) من غير انقطاع ولا انصرام (فهذا هو الرتبة العليا)

التي اليها تنتهي الآمال والاماني (وامارته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للآخرة ومعينة عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه) أي تشغله (عن ذكر الله تعالى وتصده) أي تمنعه (عن سبيله فانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة) وموافقة لطبعه (كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد) وأصيل (ومهملج) أي سريع السير في الركض (بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه) ومكانته لديه (ولذلك قال الشبلي رحمه الله تعالى الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة) نقله القشيري في الرسالة أي بان يكون السابق منهما الى القلب رؤية المنعم وهذا كما قال بعضهم ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله أي الغالب على القلب رؤية الله ومراقبته فاي شئ حدث فيه لا يكون منذكرا له رؤية الله فانه ذاكر غير غافل عنه (وقال الخواص) هو أبو اسحق ابراهيم بن أحمد من اقران الجنيد (شكر العامة) يكون (على المطعم والملبس والمشرب) ونحوها من النعم الظاهرة (وشكر الخاصة) يكون (على واردات القلوب) مما يرد عليها من المعاني التي يعرفها الاولياء تصرف الغفلات عن القلوب بالورع والزهد وغيرهما وهذا القول نسبه القشيري في الرسالة الى أبي عثمان سعيد بن اسمعيل الحيري تلميذ أبي حفص الحداد ولفظه وقال أبو عثمان شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني (وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس) الظاهرة (من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه) وهي اللذة المعنوية (وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات) وتمكنت منه (كما يلتذ بعض الناس باكل الطين) وذلك لفساد مزاجه (وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة) ويستكرهها (ويستحلي الاشياء المرة) البشعة (حتى قيل) قائله المتنبي

(ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

فاذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم تكن ابل فمعزى) وهو جار مجرى الامثال (فان لم يكن هذا فالدرجة الثانية) بان يفرح بالنعمة لا من حيث انها نعمة بل من حيث انه يستدل بها على عناية المنعم به (أما) الدرجة (الاولى فخارجة عن كل حساب) وذلك بان يفرح بالنعمة من حيث انها نعمة فقط ويكون نظره مقصورا عليها (فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله فينعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها اليه * الاصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير) والصلاح (واضماره لكافة الخلق) أي عامتهم (وأما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه) باي صيغة كانت (وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته) قال القشيري في الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الاستاذ أبا سهل الصعلوكي يقول سمعت المرتعش يقول سمعت الجنيد يقول كنت بين يدي السري العب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا تعصي الله تعالى بنعمه فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك قال الجنيد فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري (حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه) ولفظ الرسالة وقيل شكر العينين ان تستر عيبا تراه بصاحبك وشكر الاذنين ان تستر عيبا تسمعه فيه (فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء) وهو بيان لشكر هذه الافعال وقال صاحب القوت وأما شكر الجوارح للمنعم

وأمارته أن لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله لانه ليس
يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم
مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رحمه الله الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال الخواص رحمه الله شكر العامة على المطعم والملبس والمشرب وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة كما قيل

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

فاذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم تكن ابل فمعزى فان لم يكن هذا فالدرجة الثانية أما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها اليه *(الاصل الثالث)* العمل بموجب الفرح الحاصل
من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق وأما باللسان
فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى
ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الاذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الاعضاء

والشكر باللسان لاظهار الرضاعن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذى أردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شئ الى عبد مملوك لا يقدر على شئ فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وافضى به الضعف الى الشكوى ان تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلى والقادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روى أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا أمير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها الينا فضلك وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف

المفضل فهو ان لا يعصيه بنعمة من نعمه وان يستعين بنعمته على طاعته ولا يستعين بها على معاصيه فيكون قد كفرها كما قال تعالى بدلوا نعمة الله كفرا قيل استعانوا بنعمه على معاصيه فيكون قد كفرها فالخلق لا يقدرون على تبديل نعمة الله ولكن معناه بدلوا شكر نعمة الله كفرا وهذا من المضمر معناه الظاهر ودليله عليه لانه أمرهم بالطاعة بالنعم فخالفوه فعصوه بها فكان ذلك تبديلهم لما أمر (والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت فقال بخير فأعاد) عليه (السؤال) ثانية كيف أنت فقال بخير (حتى قال) الرجل (في) المرة (الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال) صلى الله عليه وسلم (هذا الذى أردت منك) يعنى اظهار الحمد والشكر والثناء قال العراقى رواه الطبرانى في الدعاء من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعا نحوه وقال في الثالثة بخير أحمد الله وهذا معضل ورواه في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو وليس فيه تكرار السؤال وقال أحمد الله اليك وفيه رشدين ابن سعد ضعفه الجمهور لسوء حفظه ورواه مالك في الموطأ موقوفا على عمر باسناد صحيح (وكان السلف يتساءلون) اذا التقوا (عن أحوالهم ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا) بشكره (والمستنطق له به مطيعا) باستخراجه اياه منه فيكون شريكه في ذلك لانه سبب ذكره تعالى (وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر الله) تعالى (أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين) فمن علمت انه يشكو مولاه ويتكره عندك قضاء اذا سألته عن حاله فلا تسأله فتكون أنت سببا لشكواه وشريكا في جهله وما أقبح بالعبد ان يشكو مولاه (وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك) الذى ليس كمثله شئ (وبيده) ملكوت (كل شئ الى عبد مملوك لا يقدر على شئ) ومثله كل شئ (والاحرى بالعبد اذا لم يحسن الصبر الى القضاء والبلاء وأفضى به الضعف) أى ضعف اليقين (الى الشكوى) ولا بد (ان تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلى والقادر على ازالة البلاء ولذا قال يعقوب عليه السلام انما أشكو بثى) وحزنى الى الله (وذل العبد لمولاه عز والشكوى ذل واظهار الذل للعبيد مع كونهم اذلاء قبيح) ولفظ القوت ويعلم ان الذل والصبر عند المنع عز وشرف وهو أفضل وأنفس عند العلماء من التعزز بالعبيد والشرف بهم وان الطمع التذلل اليهم والاستشراف الى عبد مملوك مثلك ذل ذليل وحسن الذل للعزيز كحسن الذل للحبيب وقبح الذل للذليل كقبح الذل للعدو وقد (قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم) والعبادة هى الخدمة والطاعة بذل ولا يحسن بالعبد المقبل ان يظهر فقره وفاقته الى غير مولاه الذى يلى تدبيره ويتولاه لانه عليم خبير بحاله يسمعه ويراه وهو أعلم بما يصلحه منه (فالشكر باللسان) وحسن الثناء وجميل البشر للنعماء وتعديد النعم والآلاء (من جملة الشكر) لان معنى الشكر في اللغة هو الكشف والاظهار يقال كثر وشكر بمعنى اذا كشف عن ثغره وأظهره فيكون اظهار الشكر وكشفه باللسان ما ذكرناه (وقد روى ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى في أيام خلافته (فقام شاب) من الوفد (ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر) بضم الكاف فيهما أى قدموا للتكلم الاكبر فالاكبر وهذا اللفظ قد روى مرفوعا في حديث سهل بن أبى حثمة رواه الشيخان وأبو داود (فقال يا أمير المؤمنين لو كان الامر) أى التقدم ههنا (بالسن لكان) غيرك مقدما عليك اذ (في المسلمين من هو أسن منك) لعرف فضله ورفعته على من معه (فقال تكلم فقال) يا أمير المؤمنين (لسنا وفد الرغبة) أى لطلب لشئ منك (ولا وفد الرهبة) أى الخوف لشئ نطلب منك خلاصه (أما الرغبة فقد أوصلها الينا فضلك) ونحن ببلادنا (وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك) ونحن كذلك ببلادنا (وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف)

فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته فأما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر طفيليا اشارة الى أن معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة اشارة الى حال من أحوال القلب على الخصوص وهؤلاء أقوالهم تعرب عن أحوالهم فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لانهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما لا يهمهم أو يتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحناها كانوا يشكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل أصلا الا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني أم يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون

على مانحن عليه من فضلك وامنك نقله القشيري في الرسالة ولفظه وقيل قدم وفد على عمر بن عبد العزيز وكان فيهم شاب فأخذ يخطب فقال عمر الكبر الكبر فقال الشاب يا أمير المؤمنين لو كان الامر بالسن فذكره وفائدة ذلك التأكيد في طلب تبليغ الشكر لمن يستحقه فاذا كان المنعم حاضرا والنعم متوالية والقلب واللسان صامت عن الشكر كان من أقبح القبائح عادة وشرعا (فهذه هي اصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته فأما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع) نقله القشيري في الرسالة ولفظه وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق فذكره (فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب) فالاعتراف من جملة أحوال القلب والخضوع ظهوره على اللسان وهو أيضا سبب للشكر لا نفسه وقد ذكر القشيري أيضا ان الشكر ينقسم الى ثلاثة أقسام شكر باللسان فهو اعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والاركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة وسيأتي ذكر القسم الثالث (وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه) ولفظ الرسالة ويحتمل ان يقال حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر احسانه اليه وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر احسانه له (نظر الى مجرد عمل اللسان) لان الثناء والمدح من عمل اللسان خاصة (وقول القائل ان الشكر هو اعتكاف على بساط الشهود) أي حضور الفضل ورؤيته (بادامة حفظ الحرمة) وهذا هو القسم الثالث من أقسام الشكر وهو شكر القلب كما في الرسالة وحقيقة الشكر انما تحصل باجتماع هذه الثلاثة مع الامكان وهو (جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان) الذي هو الاعتراف بالنعمة بنعت الخضوع وقريب منه قول أبي بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الحرمة ولكن هذا سبب للشكر لا نفسه وليس بجامع كالقول السابق (وقول حمدون القصار) وهو أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة النيسابوري منه انتشر مذهب الملامتية بنيسابور وصحب أبا تراب النخشبي ومسلم الباروسي مات سنة احدى وتسعين ومائتين (شكر النعمة ان ترى نفسك في الشكر طفيليا) نقله القشيري أي تضيف النعمة الى فاعلها وتبرأ من اضافتها اليك وهو (اشارة الى ان معنى المعرفة من معاني الشكر فقط) كأنه يرجع الى الاعتراف بالنعمة واضافتها للمنعم ويقرب منه قول بعضهم الشكر اضافة النعم الى موليها بنعت الاستكانة وهذا أيضا يرجع الى معنى الاعتراف وليس بجامع حقيقة الشكر (وقول الجنيد) قدس سره (ان الشكر ان لا ترى نفسك أهلا للنعمة) نقله القشيري أي لان من لم ير ذلك ورأى ان النعمة فضل من الله تعالى استحيا من الله ان يكون شكره جزاء عليها لانه اذا لاحظ شكره نعمة أخرى احتاج الى شكر فهو يتبرأ من ان يكون شاكرا أبدا وهو (اشارة الى حال من أحوال القلب على الخصوص) ويقرب منه قول يحيى بن معاذ لست بشاكر مادمت تشكر وغاية الشكر التحير (وهؤلاء) السادة (أقوالهم تعرب) أي تفصح (عن أحوالهم) التي هي ثمرات أعمالهم (فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالين) مختلفتين (لانهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة) أي الثابتة في الحال (الغالبة عليهم) في الوقت (اشتغالا بما يهمهم عما لا يهمهم أو يتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا) منهم (على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه) فمن ذلك قول بعضهم حقيقة الشكر نطق القلب واقراره بانعام الرب وقيل هو الاستقامة في عموم الاحوال وقال أبو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر وقال رويم الشكر استفراغ الطاعة وقيل الشكر التلذذ بثنائه على مالم يستوجبه من عطائه وقيل هو قيد موجود وصيد مفقود وقيل هو الغيبة عن الشكر برؤية المنعم (فلا ينبغي ان تظن ان ماذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل أصلا الا ان تعرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان) الذي هو الكشف والاظهار (هل يشمل جميع المعاني) المذكورة (أو يتناول بعضا مقصودا) بالذات (وبقية المعاني تكون

من

من توابعه ولوازمه ولسنا نقصد فى هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة فى شئ والله الموفق برحمته (بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر فى حق الله تعالى) لعلك يخطر ببالك أن الشكر انما يعقل فى حق منعم هو صاحب حظ فى الشكر فانا نشكر الملوك اما بالثناء ليزيد محلهم فى القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التى هى اعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثول بين أيديهم فى صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم الا بشئ من ذلك وهذا محال فى حق الله تعالى من وجهين أحدهما أن الله تعالى منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه ركعا سجدا فشكرنا اياه بما لا حظ له فيه يضاهى شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام فى بيوتنا أو نسجد أو نركع اذ لا حظ للملك فيه وهو غائب لا علم له ولا حظ لله تعالى فى أفعالنا كلها * الوجه الثانى أن كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر الامور التى هى أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا الملك مركوبا فأخذنا مركوبا آخر له وركبناه وأعطانا الملك مركوبا آخر لم يكن الثانى شكرا للاول منا بل كان الثانى يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة أخرى فيؤدى الى أن يكون الشكر محالا فى حق الله تعالى من هذين الوجهين ولسنا نشك فى الامرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام فقال يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفى لفظ آخر وشكرى لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتنى وفى خبر آخر اذا عرفت أن النعمة منى رضيت منك بذلك شكرا فان قلت فقد فهمت السؤال وفهمى قاصر عن ادراك معنى ما أوحى اليهم فانى أعلم استحالة الشكر لله تعالى فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكأن الحاصل يرجع الى أن من لم يشكر فقد شكر وأن قبول الخلعة الثانية

من توابعها ولوازمها ولسنا نقصد فى هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة فى شئ) والله الموفق برحمته *(بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر فى حق الله تعالى)*

اعلم انه (لعلك يخطر ببالك) ويسبق الى ذهنك (ان الشكر انما يعقل فى حق منعم هو صاحب حظ فى الشكر) ينتفع به (فانا نشكر الملوك اما بالثناء ليزيد محلهم فى القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التى هى اعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثول بين أيديهم فى صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم) أى جماعتهم (وسبب لزيادة جاههم فلا نكون شاكرين لهم الا بشئ من ذلك وهذا محال فى حق الله تعالى من وجهين أحدهما ان الله تعالى منزه عن الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء) فى المدح (ومن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه راكعا وساجدا فشكرنا اياه بما لا حظ له فيه يضاهى شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام فى بيوتنا أو نسجد أو نركع اذ لا حظ للملك فيه ولا حظ لله تعالى فى أعمالنا كلها) لغناه عنها (والوجه الثانى ان كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا ودواعينا وسائر الامور التى هى أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا الملك مركوبا فأخذنا مركوبا آخر له وركبناه وأعطانا مركوبا آخر لم يكن الثانى شكرا للاول منا بل كان الثانى يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة أخرى فيؤدى الى أن يكون الشكر محالا فى حق الله تعالى من هذين الوجهين) أما الوجه الاول فظاهر وأما الثانى فلانه يستلزم ان لا يتناهى (ولسنا نشك فى الامرين جميعا والشرع قد ورد به) فانه قد ثبت كل من تقديس الله تعالى عن الحظوظ والاغراض وتنزيهه عن الاحتياج الى الاعانة وتكثير السواد وان جميع حركاتنا وسكناتنا من خلق الله تعالى ومن نعمه علينا (فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام فقال يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع ان أشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك) وفى القوت وفى أخبار موسى وداود عليهما السلام يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع شكرك الا بنعمة ثانية من نعمك (وفى لفظ آخر وشكرك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتنى وفى لفظ آخر اذا عرفت ان النعم منى) فقد (رضيت منك بذلك شكرا) هذا كله لفظ القوت ولفظ الرسالة وقيل قال داود عليه السلام الهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك توجب شكرا فاوحى الله اليه الآن قد شكرتنى (فان قلت فقد فهمت السؤال) أى سؤال موسى عليه السلام (وفهمى قاصر عن ادراك معنى ما أوحى) اليهم جوابا لسؤالهم (فانى أعلم استحالة الشكر لله تعالى فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر) وهو غير ظاهر (وان قبول الخلعة الثانية

من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن درك السرفيه فان أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم فى نفسه فاعلم ان هذا

قرع باب من المعارف وهى أعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها الى ملامح ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس فى الوجود غيره وأن كل شئ هالك الاوجهه وأن ذلك صدق فى كل حال أزلا وأبدا لان الغير هو الذى يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لاوجود له بل هو محال أن يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وماليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذى لو قدر عدم غيره بقى موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولاقيوم الاواحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك فاذا ليس فى الوجود غير الحى القيوم وهو الواحد الصمد فان نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور

وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبى حبيب حيث قرأ انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب
فقال واعجباه أعطى وأثنى اشارة الى انه اذا أثنى على اعطائه فعلى نفسه أثنى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهنى

من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن درك السر فيه) لدقته وغموضه (فان أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم فى نفسه فاعلم ان هذا قرع باب من) أبواب (المعارف) الذوقية (وهى أعلى علوم المعاملة) لتعلقها بعالم الغيب ولا يليق بكشف أسرارها (ولكننا نشير الى ملامح) واشارات (ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور) فاما كونه المشكور فظاهر وأما كونه الشاكر فانه هو الموفق لعبيده لان يشكروا وهو الذى ألهم على ألسنتهم وقلوبهم الثناء له فبهذا الاعتبار يسمى شاكرا (فانه المحب وانه المحبوب) كما يشير لذلك قوله تعالى يحبهم ويحبونه (وهذا نظر من عرف انه ليس فى الوجود غيره وان كل شئ هالك الاوجهه وان ذلك صدق فى كل حال أزلا وأبدا) وهذا النظر لمن ترقى من حضيض المجاز الى ذروة الحقيقة واستكمل معراجه فرأى بالمشاهدة العيانية ان ليس فى الوجود الا الله وان كل شئ هالك الاوجهه لانه يصير هالكا فى وقت من الاوقات بل هو هالك ازلا وأبدا لا يتصوّر الا كذلك (لان الغير هو الذى يتصوّر أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير) ان اعتبر فى ذاته من حيث ذاته (فلاوجود له بل هو) عدم محض و (محال ان يوجد) واذا اعتبر من الوجه الذى يسرى اليه الوجود من الاول رؤى موجودا الافى ذاته لكن من الوجه الذى يلى موجوده فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شئ وجهان وجه الى نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله موجود فاذا لاموجود الا الله ووجهه فاذا كل شئ هالك الاوجهه ازلا وابدا وقد اشار اليه المصنف بقوله (اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه) أو بذاته (وماليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه هو الذى لو قدر عدم غيره بقى موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده ووجود غيره فهو قيوم) وبيان ذلك ان الاشياء تنقسم الى مالا يقوم بنفسه ويفتقر الى محل كالاعراض والاوصاف فيقال فيها انها ليست قائمة بانفسها والى مالا يحتاج الى محل فيقال قائم بنفسه كالجواهر الاان الجوهر وان استغنى عن محل يقوم به فليس مستغنيا عن أمور لابد منها لوجوده ويكون شرطا فى وجوده فلا يكون قائما بنفسه لانه محتاج فى قوامه الى وجود غيره وان لم يحتج مع ذلك الى محل فان كان موجودا يكفى ذاته بذاته ولاقوام له بغيره ولا يشترط فى دوام وجوده وجود غيره فهو القائم بنفسه مطلقا فان كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصوّر للاشياء وجود ولادوام وجود الابه فهو القيوم لان قوامه بذاته وقوام كل شئ به (ولاقيوم الا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك فاذا ليس فى الوجود غير الحى القيوم وهو الواحد الصمد) الفرد الاحد جل شأنه (فان نظرت من هذا المقام عرفت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب) فانك ان نظرت الى معنى الثناء فثناء كل مثن على فعل غيره والله تعالى اذا اثنى على أعمال عباده فقد اثنى على فعل نفسه لان أعمالهم من خلقه قال الله تعالى والله خلقكم وما تعملون وان كان الذى أعطى فاثنى شكورا فالذى أعطى واثنى على المعطى أحق أن يكون شكورا (ومن ههنا نظر حبيب بن أبى حبيب) البجلى البصرى أبو عمر نزيل الكوفة تقدم ذكره (حيث قرأ) قوله تعالى (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أوّاب فقال واعجباه أعطى واثنى) فهذا ثناء الله على عباده وهو (اشارة الى أنه اذا اثنى على اعطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد) الفضل بن أحمد بن محمد المعروف بابن أبى الحسن (الميهنى) صاحب كرامات حدث عن أبى على زاهر بن أحمد السرخسى وعنه أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصارى مات بميهنة وهى بكسر الميم وسكون المثناة التحتية وهاء مفتوحة ونون قرية بخابران بين سرخس وابيورد

حيث قرئ بين يديه يحبهم و يحبونه فقال لعمرى يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه أشار به الى أنه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة
عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلك فلا يخفى عليك أن المصنف اذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع اذا أحب صنعته فقد أحب نفسه
والوالد اذا أحب ولده من حيث انه ولده فقد أحب نفسه وكل ما فى الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعته فان أحبه فما أحب الا
نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى
فنى عن نفسه وعن غير الله فلم يرالا الله تعالى فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم و يقول كيف فنى وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل فى كل يوم أرطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعانى كلامهم وضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم غدا أعظم اذ قال تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فهذا أحد النظرين * النظر الثانى نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم وانكروا أن
يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم فى كلتا العينين
لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذى هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا
أنفسهم ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا وفرق بين
الموجود وبين الموجد وليس فى الوجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد

وأبيورد سنة ٣٣٠ (حيث قرئ بين يديه) قوله تعالى (يحبهم ويحبونه فقال لعمرى يحبهم ودعه يحبهم ودعهم يحبونه فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه) فهو قد (أشار به الى أنه المحب وانه المحبوب) وفى تقديم يحبهم اشارة الى انه لولا سبق محبته لنا لما أحببناه (وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلك فلا يخفى عليك ان المصنف اذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع اذا أحب صنعته فقد أحب نفسه والوالد اذا أحب ولده من حيث انه ولده فقد أحب نفسه وكل ما فى الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله وصنعته) بيد قدرته و بديع حكمته (فان أحبه فما أحب الا نفسه) بهذا الاعتبار (فاذا لا يحب الا نفسه فبحق أحب ما أحب) وهو يفتح بابا عظيما من علوم المكاشفة (وهذا كله نظر بعين التوحيد) المحض وهو الذى أشار اليه حبيب بن أبى حبيب وأبو سعيد الميهنى (وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى فنى عن نفسه وعن غير الله فلم يرالا الله تعالى) وذلك عند استيلاء أمر الحق سبحانه عليه فيغلب كون الحق على كونه فيسلب عنه اختياره وارادته فلا يرى للغير وجودا الا بالحق (فمن لا يفهم هذا) ولا يذوقه (ينكر عليهم) بجمود ذهنه (و يقول كيف فنى وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل فى كل يوم عدة أرطال من الخبز) و يشرب كذا وكذا من الماء (فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعانى كلامهم) وغفلتهم عن أحوالهم (وضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين) أى يكونوا ممن يضحك عليهم (واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) أى يستهزؤن (واذا مروا بهم يتغامزون) أى يغمز بعضهم بعضا و يشيرون باعينهم (واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين) أى ملتذين بالسخرية (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) فنسبوهم الى الضلال (وما أرسلوا عليهم) أى على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أعمالهم و يشهدون برشدهم وضلالهم (ثم بين ان ضحك العارفين عليهم أعظم اذ قال تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) حين يرونهم اذلاء مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الجنة فيقال لهم أخرجوا اليها فاذا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم حال كونهم (على الارائك ينظرون) هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون (وكذلك أمة نوح عليه السلام) لما أراد الله اهلاكهم بالغرق وأمر نوح عليه السلام بعمل السفينة (كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة) و يستهزؤن به (فقال) عليه السلام (ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فهذا أحد النظرين) المذكورين (النظر الثانى نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود أنفسهم وانكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون) المحجوبون بمحض الظلمة (وعماهم فى كلتى العينين لانهم نفوا ماهو الثابت تحقيقا وهو القيوم) المطلق (الذى هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا دوام لوجودهم بل (ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا) من الوجه الذى يلى الموجد (لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود) بنفسه (و بين الموجد) بايجاد غيره (وليس فى الوجود الا موجود واحد وموجد فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد

هالك وفان واذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام * الفريق الثانى ليس بهم عمى ولكن بهم عور لانهم يبصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما ان الذى قبله جاحد تحقيقا فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فهذا القدر من اثبات التفاوت والبعض من الموجود الآخر دخل فى حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيد فى أنواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد فى بصره يظهر له نقصان ما اثبته سوى الله تعالى فان بقى فى سلوكه كذلك فلا يزال يفضى به النقصان الى المحو فينمحى عن رؤية ما سوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك نقصا فى وجود ما سوى الله تعالى دخل فى أوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فهذا تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على ألسنة رسله هى الكحل الذى به يحصل أنوار الابصار والانبياء هم الكحالون وقد جاؤا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه أن لا يرى الا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون أيضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين فى أوائل أبواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته فى بعض الاحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز

لكل الى شأو العلا حركات * ولكن عزيز فى الرجال ثبات

ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقيل له واسجد واقترب قال فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم ير الا الله وأفعاله فاستعاذ بفعله من فعله

هالك وفان واذا كان كل من عليها فان) وزائل مضمحل ازلا وأبدا (فلا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والاكرام * الفريق الثانى ليس بهم عمى ولكن بهم عور لانهم يبصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فاثبت موجودا آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا) لانه أشرك مع الله تعالى موجودا آخر (كما كان الذى قبله جاحدا تحقيقا) لانه جحد ما هو الحق الثابت (فان جاوز حد العمى الى العمش) وهو ضعف البصر بسيلان الدمع (أدرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا) وقسم الموجود الى واجب وممكن (فهذا القدر من اثبات التفاوت) بين الموجودين (والبعض من الموجود الآخر دخل فى حد التوحيد) أى أوائله (ثم ان كحل بصره بما يزيد فى أنواره فيقل عمشه) وسيلان دمعه (وبقدر ما يزيد فى بصره يظهر له نقصان ما أثبته سوى الله تعالى فان بقى فى سلوكه كذلك فلا يزال يفضى به النقصان الى المحو فينمحى عن رؤية ما سوى الله تعالى فلا يرى) فى الوجود (الا الله تعالى فيكون) بذلك (قد بلغ كمال التوحيد) فاذا كمال التوحيد المحو عن رؤية ما سوى الله تعالى ذاتا وفعلا (وحيث أدرك نقصانا فى وجود ما سوى الله تعالى دخل فى أوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فهذا تتفاوت درجات الموحدين) وتختلف مشاربهم وأذواقهم (وكتب الله المنزلة على رسله هى الكحل الذى تحصل به أنوار الابصار) وبهذا الاعتبار سميت أنوارا (والانبياء) عليهم السلام (هم الكحالون وقد جاؤا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله) الدالة على التوحيد (ومعناه) فى الحقيقة (أن لا يرى الا الواحد الحق) قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون (والواصلون الى كمال التوحيد الاقلون والجاحدون والمشركون أيضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكانوا داخلين فى أوائل أبواب التوحيد دخولا ضعيفا) بهذا الخيال القائم فى اذهانهم (والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته فى بعض الاحوال) والاحيان (فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف) يذهب سريعا و(لا يثبت) فهو أشبه شئ بالاحوال (وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا) فيكون أشبه شئ بالمقامات (ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز) كما قيل

(لكل الى شأو العلا حركات * ولكن عزيز فى الرجال ثبات)

ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقيل له) كلا لا تطعه و(اسجد واقترب) أى دم على سجودك وتقرب من ربك وقال مجاهد أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ألا تسمعون يقول اسجد واقترب أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر ولما سجد (قال فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) رواه مسلم من حديث عائشة بلفظ أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك والباقى سواء وقد تقدم (فقوله أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله عن فعله) وهذا قسم من الفناء المطلق وهو ان يتجلى الحق لعبده بطريق الافعال ويسلب عنه اختياره

وارادته

ثم اقترب ففنى عن مشاهدة الأفعال وترقى الى مصادر الافعال وهى الصفات فقال أعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم رأى ذلك نقصانا
فى التوحيد فاقترب ورقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال أعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية

واراد ته فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلا الا بالحق (ثم اقترب ففنى عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهى الصفات فقال أعوذ برضاك من سخطك وهما) أى الرضا والسخط (صفتان) من صفات الله تعالى (ثم رأى ذلك نقصانا فى التوحيد فاقترب فرقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال أعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه فى غير رؤية فعل وصفة ولكن رأى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال أنت كما أثنيت على نفسك لا أحصى ثناء عليك) أى انى لا أطيق بمحامدك وصفات الهيتك وانما أنت المحيط بها وحدك (فقوله لا أحصى خبر عن فنائه نفسه وخروجه عن مشاهدتها وقوله أنت كما أثنيت على نفسك بيان انه المثنى وهو المثنى عليه) وهو الذى أشار اليه الصديق رضى الله عنه حيث قال العجز عن درك الادراك ادراك (وان الكل منه بدا واليه يعودوان كل شئ هالك الا وجهه) وانه لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته الا بالحيرة والدهشة (فكان أول مقامه) صلى الله عليه وسلم (نهاية مقام الموحدين وهو أن لا يرى) فى الوجود (الا الله وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الى ماذا انتهت نهايته اذا انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق) وهذا المقام غاية ما ينتهى اليه من ثم له مقام الفناء المطلق (ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من رتبة الى أخرى الا ويرى الاولى بعدا) من الله تعالى (بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله تعالى من الاولى ويرى ذلك نقصا فى سلوكه وتقصيرا فى مقامه) وهو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين (واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى وابن حبان من حديث الاغر بن يسار المزنى بلفظ انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وقد تقدم فى كتاب التوبة وقبله فى كتاب الدعوات (فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق البعض أوائلها وان كان مجاوزا أقصى غايات الخلق ولكن كان نقصا بالاضافة الى أواخرها فكان استغفاره لذلك) وقد تقدم الكلام عليه (ولما قالت عائشة رضى الله عنها) للنبى صلى الله عليه وسلم (قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء فى السجود وما هذا الجهد الشديد فقال أفلا أكون عبدا شكورا) رواه أبو الشيخ الاصبهانى فى كتاب أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم وهو بقية حديث عطاء عنها المتقدم قبل هذا بتسعة أحاديث وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصرا وهو كذلك فى الصحيحين مختصرا من حديث المغيرة بن شعبة وقوله أفلا الفاء للسببية من محذوف أى أترك تلك الكلفة نظرا الى تلك المغفرة فلا أكون عبدا شكورا لا بل ألزمها وان غفر لى لأكون عبدا شكورا فالمعنى ان المغفرة سبب ذلك التكلف شكرا فكيف أتركه بل أفعله لاكون مبالغا فى الشكر بحسب الامكان البشرى ومن ثم أتى بلفظ العبودية لانها أخص أوصافه صلى الله عليه وسلم ولذا ذكرها تعالى فى أعلى المقامات وأفضل الاحوال اذ هى مقتضى النسبة المستلزمة للقيام باعلى الخدمة وهو الشكر اذ العبد اذا لاحظ كونه عبدا وان مالكه مع ذلك أنعم عليه بما لم يكن فى حسابه علم تأكد وجوب الشكر والمبالغة فيه عليه أو (معناه أفلا أكون طالبا للمزيد فى المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال لئن شكرتم لازيدنكم) وقد تقدم قريبا وقيل تقدير الكلام اذا أنعم على بالانعام الواسع أفلا أكون عبدا شكورا أى أيصير هذا الانعام سببا لخروجى عن دائرة المبالغين فى الشكر والاستفهام للانكار سببية مثل هذا الانعام لعدم كونه عبدا شكورا ولا يخفى تكلفه ويصح أن يكون التقدير غفر لى ما تقدم وما تأخر لعلمه بانى أكون مبالغا فى عبادته فأكون عبدا شكورا

فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقوله صلى الله عليه وسلم لا أحصى خبر عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها وقوله أنت كما أثنيت على نفسك بيان انه المثنى والمثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود وأن كل شئ هالك الا وجهه فكان أول مقاماته نهاية مقامات الموحدين وهو أن لا يرى الا الله تعالى وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الى ماذا انتهت نهايته اذا انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من رتبة الى أخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصا فى سلوكه وتقصيرا فى مقامه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى حتى استغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين
مقاما بعضها فوق البعض أولها وان كان مجاوزا أقصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الى آخرها فكان استغفاره لذلك ولما
قالت عائشة رضى الله عنها أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء فى السجود وما هذا الجهد الشديد قال أفلا أكون
عبدا شكورا معناه أفلا أكون طالبا للمزيد فى المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم

واذ تغاغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول الانبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم و بين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا يعرف ذلك الا بمثال فاقول يمكنك ان تفهم ان ملكا من الملوك أرسل الى عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد و يقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احداهما أن يكون قصده من وصول العبد الى حضرته أن يقوم ببعض مهماته و يكون له عناية في خدمته والثانية أن لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة تغني فيه غناء وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه و ينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به فنزل العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى والثانية غير محال ثم اعلم أن العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته مالم يقم بخدمته التي أرادها الملك منه وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ومع ذلك يتصور أن يكون شاكرا وكافرا و يكون شكره بان يستعمل ما أنفذه اليه مولاه فيما أحبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه فهما لبس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته أي استعمالها بما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضا نعمته اذ أهملها وعطلها وان كان هذا دون مالو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منه فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا الآية فاذا نعم الله تعالى آلات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة

فلا أكون كذلك وهذا قريب من الاول (واذ) قد (تغاغلنا في بحار) علوم (المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول الانبياء) عليهم السلام (بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه) آنفا (ولكن بينهم و بين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله) من أوله الى آخره (تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا تعرف ذلك الا بمثال) يضرب لك (فأقول يمكنك ان تفهم ان ملكا من الملوك أرسل الى عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا) من المال (لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد و يقرب من حضرة الملك ثم تكون له حالتان احداهما أن يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم) ذلك العبد (ببعض مهماته و يكون له غناء في خدمته والثانية أن لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة تغني فيه غناء وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه و ينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به و بانتفاعه فنزلة العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى) لتنزيهه عن الافتقار والاحتياج الى معين (والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته مالم يقم بخدمته التي أرادها الملك منه وأما الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا أو كافرا او يكون شكره بان يستعمل ما أنفذه اليه مولاه فيما أحبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله) أي يهمله (أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه فهما لبس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد الا في الطريق) الذي يوصله اليه (فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضا نعمته) في هذه الصورة (اذ أهملها وعطلها وان كان هذا دون مالو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى الشهوات) أي استعمالها (لتكمل بها أبدانهم فيبعدون بها من حضرته وانما سعادتهم في القرب منه فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا الآية فاذا نعم الله) تعالى (آلات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة

القرب والله تعالى غنى عنه قرب أم بعد والعبد فهو بين أن يستعملها فى الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين أن يستعملها فى معصيته فقد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها ولم يستعملها فى طاعة ولا معصية فهو أيضا كفران النعمة بالتضييع وكل ما خلق فى الدنيا انما خلق آلة للعبد ليتوصل به الى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله فى الاسباب التى استعملها فى الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها فى طريق البعد فهو كافر جار فى غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذى منع من افشائه وقد انحل بهذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وبهذا أيضا ينحل الثانى فانا لم نعن بالشكر الا انصراف نعمة الله فى جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة فى جهة المحبة بفعل الله فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله فقد أثنى عليك وثناؤه نعمة أخرى منه اليك فهو الذى أعطى وهو الذى أثنى وصار أحد فعليه سببا لانصراف فعله الثانى الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بانك شاكر بمعنى انك محل المعنى الذى الشكر عبارة عنه لا بمعنى انك موجده كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق للعلم وموجده ولكن بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية لك وأنت شئ اذ جعلك خالق الاشياء شيأ وانما أنت لا شئ اذ كنت أنت ظانا لنفسك شيأ من ذاتك فأما باعتبار النظر الى الذى جعل الاشياء أشياء فانت شئ اذ جعلك شيأ فان قطع النظر عن جعله كنت لا شئ تحقيقا والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له لما قيل له يا رسول الله ففيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل فتبين ان الخلق مجارى قدرة الله تعالى ومحل أفعاله وان كانوا هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله اعملوا

القرب والله تعالى غنى عنه قرب أم بعد والعبد فهو بين ان يستعملها فى الطاعة فيكون قد شكره لموافقته محبة مولاه وبين ان يستعملها فى معصيته فقد كفره لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر والمعصية) كما هو بنص القرآن (وان عطلها) وأهملها (ولم يستعملها فى طاعته ولا معصيته فهو أيضا كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق فى الدنيا انما خلق آلة للعبد ليتوصل به الى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله فى الاسباب التى استعملها فى الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها فى طريق البعد) عن حضرة الله تعالى (فهو كافر جار فى غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة) الازلية (ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه) وقد تقدم شئ من ذلك فى كتاب قواعد العقائد (ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذى منع من افشائه) واظهاره وروى الطبرانى من حديث ابن مسعود اذا ذكر القدر فامسكوا وسيأتى قريبا (وقد انحل بهذا) الذى أوردناه (الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن للمشكور) حظ فكيف يكون الشكر وبهذا أيضا ينحل الاشكال (الثانى فانا لم نعن بالشكر الا انصراف نعمة الله فى جهة محبة الله) تعالى (فاذا انصرفت النعمة فى جهة المحبة بفعل الله) تعالى (فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله فقد أثنى عليك وثناؤه نعمة أخرى منه اليك فهو الذى أعطى وهو الذى أثنى) كما بينه قول حبيب بن أبى حبيب السابق ذكره (وصار أحد فعليه سببا لانصراف فعله الثانى الى جهة محبته فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بانك شاكر بمعنى أنك محل المعنى الذى الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجده كما أنك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى أنك محل له) ومظهر لتجليه (وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية لك وأنت شئ) لثبوتك فى الاعيان (اذ جعلك خالق الاشياء شيأ وانما أنت لا شئ) فى الحقيقة (اذ كنت أنت أنت) فى الازل (ظانا لنفسك شيئية من ذلك فاما باعتبار النظر الى الذى جعل الاشياء أشياء) أى موجودة فى الاعيان (فانت شئ اذ جعلك شيأ فان قطع النظر عن جعله شيأ كنت لا شئ تحقيقا والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له) أى اعملوا بظاهر ما أمرتم فكل من خلق مهيئ ومصروف لامر خلق ذلك الامر له فلا يقدر ألبتة على عمل غيره وهذا القول قاله (لما قيل له ففيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل) رواه الطبرانى من حديث ابن عباس وعمران بن حصين بلفظ قال رجل يا رسول الله أنعمل فيما جرت به المقادير وجف به القلم أو شئ نستأنفه فقال بل بما جرت به المقادير وجف به القلم قال ففيم العمل قال اعملوا الخ ورجاله ثقات وروى الشيخان من حديث على قال كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فأتانا النبى صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على ما كتب فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له (فبين) صلى الله عليه وسلم (ان الخلق مجارى قدر الله ومحل أفعاله وان كانوا هم أيضا من افعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله اعملوا)

وان كان جاريا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من أفعاله وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة الى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية أيضا من أفعال الله تعالى وهو سبب لحركة الاعضاء وهي أيضا من أفعال الله تعالى ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أي الاول شرط للثاني كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الارادة والكل من افعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض أي هو شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض أفعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض أفعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه فان قلت فلم قال الله تعالى عملوا والا فأنتم معاقبون مذمومون على العصيان وما الينا شئ فكيف نذم وانما الكل الى الله تعالى فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب للوصول الى جوار الله والله تعالى مسبب الاسباب ومرتبها فمن سبق له في الازل السعادة يسر له هذه الاسباب حتى يقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بأن كلا ميسر لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا الملك
واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم أجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فما من أحد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الله الواحد القهار ولا قادر الا

من الاسلوب الحكيم منعهم عن الاتكال وترك العمل وأمرهم بامساك ما يجب على العبد من امتثال أمر ربه وعبوديته عاجلا وتفويض الامر اليه آجلا يعني أنتم عبيد ولا بد لكم من العبودية فعليكم بما أمرتم به واياكم والتصرف في الامور الالهية لآية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فلا تجعلوا العبادة وتركها سببا مستقلا لدخول الجنة والنار بل هو أمارات وعلامات ولا بد في الايجاب من لطف الله وخذلانه وهذا القول (وان كان جاريا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعاله وهو سبب لعلم الخلق بان العلم نافع وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة الى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية أيضا من أفعال الله تعالى وهو سبب لحركة الاعضاء وهي أيضا من أفعال الله تعالى ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أي الاول شرط للثاني كما كان خلق جوهر الجسم سببا لخلق العرض) لاجل ان يقوم به (اذ لا يخلق العرض قبله) لعدم استقلاله بالقيام (و) كما كان (خلق الحياة شرطا لخلق العلم وخلق العلم شرطا لخلق الارادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض أي هي شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهر ولا يستعد لقبول) صفة (العلم الا ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض أفعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض أفعاله موجد لغيره) كما يقوله من قال بالتولد ويرد عليهم قوله تعالى تؤتي كل حين باذن ربها ففيه دليل على ان لا يصدر منا فعل من أفعالنا الا وهو موجود بقدرته على ما قدرته مشيئته (بل ممهد شرط الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه) وهو توحيد الافعال (فان قلت فلم قال الله تعالى) على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (اعملوا والا فأنتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما الينا شئ فكيف نذم وانما الكل الى الله تعالى فاعلم ان هذا القول من الله سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي) أي التباعد (عن دار الغرور وذلك سبب الوصول الى جوار الله) تعالى في دار كرامته (والله تعالى مسبب الاسباب ومرتبها) على أبدع نظام (فمن سبق له في الازل السعادة) الموعودة (يسر له هذه الاسباب حتى تقوده بسلسلتها الى الجنة) وفي نسخة الى الخير (ويعبر عن مثله بان كلا ميسر لما خلق له ومن لم تسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم فاذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقي في حزب الشيطان) فاذا صار في ذلك الحزب شمله قوله تعالى (وان جهنم لموعدهم أجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من أقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل) يشير الى ما رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل وعند البخاري عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل وعند أبي نعيم في الحلية عجبت لاقوام يقادون الى الجنة في السلاسل وهم كارهون ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة بهذا اللفظ الا انه قال يساقون (فما من أحد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الواحد القهار ولا قادر الا

الملك الجبار واذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين فشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى فانه أصل أسباب الهلاك *(بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه)* اعلم ان فعل الشكر وترك الكفر لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه اذ معنى الشكر استعمال نعمه تعالى في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما بترك الاستعمال أو باستعمالها في مكارهه ولتمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدركان أحدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فمن لا يطلع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلا وأما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه اذ ما خلق شيأ في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية أما الجلية فكالعلم بان الحكمة في خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فتتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا الآية

الملك الجبار) جل شأنه (فاذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين وشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص) وقال في مشكاة الانوار عند ذكر حقيقة الحقائق ان أهل المشاهدة العيانية لا يفتقرون الى قيام القيامة ليسمعوا نداء البارى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبدا (ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعماء فانه أصل أسباب الهلاك) الابدي والله الموفق بفضله

(بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان فعل الشكر وترك الكفر لا يتم الا بمعرفة ما يحبه) الله (تعالى عما يكرهه اذ معنى الشكر استعماله نعمه في محابه) ومراضيه قال القشيري في الرسالة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول كان السرى اذا أراد ان ينفعني سألني فقال لي يوما يا أبا القاسم ايش الشكر فقلت ان لا يستعان بشئ من نعم الله تعالى على معاصيه فقال من أين لك هذا فقلت من مجالستك (ومعنى الكفر نقيض ذلك) اذ حقيقته ستر نعمة المنعم فترك أداء شكرها (اما بترك الاستعمال) فيدعها معطلة (أو باستعماله) اياها (في مكارهه) ومساخطه (ولتمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدركان أحدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار) من كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم (والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير) صعب المنال (وهو لاجل ذلك عزيز) الوجود (فلذلك أرسل الله الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فمن لا يطلع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلا) لعدم احاطته بجميع الاحكام (وأما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه اذ ما خلق شيأ في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية أما الجلية فكالعلم بان الحكمة في خلق الشمس أن يحصل به الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشا) أي ظرفا للحركة في المعيشة اي وقت معاش ينقلبون لتحصيل المعيشة أو حياة يبعثون فيها عن النوم (والليل لباسا) أي غطاء يستر بظلمته من أراد الاختفاء (فتتيسر الحركة عند الابصار) بنور النهار (والسكون عند الاستتار) بظلمة الليل (فهذا من جملة حكمة الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة) لا يطلع عليها الا أهل البصيرة (وكذلك معرفة الحكمة في الغيم) وهو السحاب المسخر بين السماء والارض (ونزول الامطار) منه وذلك (كانشقاق الارض بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى) في تعداد النعم الخارجية فلينظر الانسان الى طعامه (انا صببنا الماء صبا) أي من السحب (ثم شققنا الارض شقا) أي بالنبات أو بالكرات وأسند الشق الى نفسه وهو من اسناد الفعل الى السبب (فأنبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنبا وقضبا) يعني الرطبة (وزيتونا ونخلا الآية) وتمامها وحدائق غلبا وفاكهة وأبا

واما الحكمة فى سائر الكواكب السيارة منها والثوابت نخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذى يحتمله فهم الخلق انها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر اليها وأشار اليه قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشرة الى ألف الى عشرة آلاف وكذا أعضاء الحيوان تنقسم الى ما يعرف حكمته كالعلم بان العين للابصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشى والرجل للمشى لا للشم فاما الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكبد والكلية وآحاد العروق والاعصاب والعضلات ومافيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها سائر الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا بالاضافة الى ما فى علم الله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كل من استعمل شيأ فى جهة غير الجهة التى خلق لها ولا على الوجه الذى أريد به فقد كفر نعمة الله تعالى فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره ومن نظر الى وجه غير المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه فى دينه ودنياه ويتقى بهما ما يضره فيهما فقد استعملهما فى غير ما أريد تا به وهذا لان المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بها على الوصول الى الله تعالى ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به فى الدنيا والتجافى عن غرور الدنيا ولا أنس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالغذاء ولا يتم الغذاء الا بالارض والماء والهواء ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الاعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله تعالى هى النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة فلذلك قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق الآية فكل من استعمل شيأ فى غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله فى جميع الاسباب التى لابد منها الاقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكم الخفية التى ليست فى غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريقة الشكر والكفران على المنعم فنقول

متاعا لكم ولانعامكم أى فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف (وأما الحكمة فى سائر الكواكب السيارة منها) وهى السبعة التى تقطع الفلك (والثوابت) التى لا تسير (نخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذى يحتمله فهم الخلق انها زينة السماء لتستلذ العين بالنظر اليها وأشار اليه بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا) أى القربى منكم (بزينة الكواكب) أى زينة هى الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة من قرأ بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه وفى الآية وجوه أخر (فجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته واعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشرة الى ألف) وفى نسخة من حكمة واحدة الى عشرة آلاف (وكذلك أعضاء الحيوان) وفى نسخة الحيوانات (تنقسم الى ما يعرف حكمته كالعلم بان العين للابصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشى والرجل للمشى لا للشم فاما الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكبد والكلية وآحاد العروق) المختلفة والاعصاب والعضلات (ومافيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف) والالتواء (والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها كافة الناس والذين يعرفونها) كاهل التشريح (لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا بالاضافة الى ما فى علم الله تعالى فما أوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كل من استعمل شيأ فى جهة غير الجهة التى خلق لها ولا على الوجه الذى أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره ومن نظر الى وجه غير محرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذ الابصار يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه فى دينه ودنياه ويتقى بهما ما يضره فيهما فقد استعملهما فى غير ما أريد اله وهذا لان المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله تعالى ولا وصول اليه الا بمحبته والانس به فى الدنيا والتجافى) أى التباعد (عن غرور الدنيا ولا أنس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر) والمراقبة لجلاله وكماله (ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام البدن) الذى هو بمنزلة المركب له (ولا يبقى البدن الا بالارض) فى استقراره عليها (والماء والهواء والغذاء) فى انتعاشه بها (ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الاعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل) بقاء (البدن والبدن مطية النفس) تركب عليه وتستعين به الى الوصول الى الآخرة (والراجع الى الله تعالى هى النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة) كما يدل عليه قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك فى أحد وجوه التفسير (فلذلك قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أى ليدوموا على العبادة والمعرفة (فكل من استعمل شيأ فى غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله) تعالى (فى جميع الاسباب التى لابد منها الاقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكم الخفية التى ليست فى غاية الخفاء حتى يعتبر بها ويعلم طريق الشكر والكفران على المنعم

فنقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في أعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشترى دارا بثياب أو عبدا بخف أو دقيقا بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدرى ان الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينهما يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت

المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوى من غير المساوى فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكمين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل يسوى مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث انهما مساويان بشئ واحد اذا متساويان. وانما أمكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدي ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل ولحكمة أخرى وهي التوسل بهما الى سائر الاشياء لانهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في اعيانهما ونسبتهما الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوبا فانه لم يملك الا الثوب فلو احتاج الى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في دابة مثلا فاحتيج الى شئ هو في صورته كأنه ليس بشئ وهو في معناه كأنه كل الاشياء والشئ انما تستوى نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما أيضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه

فنقول من) جملة (نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا) وملاكها (وهما حجران) كسائر الحجارة (لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه) ومسكنه (وسائر حاجاته) اللازمة (وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه) في بعض الاحيان (ويحتاج الى الزعفران) لحاجة دعته اليه (فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدير) يرجع اليه (اذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشترى دارا بثياب أو عبدا بخف أو دقيقا بحمار فهذه أشياء لا تناسب فيها فلا يدرى ان الجمل كم يسوى بالزعفران فتتعذر المعاملات جدا) ويشتبه أمرها (فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينهما يحكم فيها بحكم عدل) وسط (فيعرف عن كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوى من غير المساوى فخلق الله الدنانير والدراهم حاكمين متوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما) في المعاملات (فيقال هذا الجمل يسوى مائة مثلا وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهما من حيث انهما متساويان بشئ واحد اذا متساويان وانما أمكن التعديل بالتقدير) والتخمين (اذ لا غرض في اعيانهما ولو كان في اعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقهما الله تعالى لتتداولهما الايدي ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل) والسوية (ولحكمة أخرى وهي التوسل بهما الى سائر الاشياء لانهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في اعيانهما ونسبتهما الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوبا فانه لا يملك الا الثوب) فقط (فلو احتاج الى طعام ربما يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في ذاته مثلا فاحتيج الى شئ هو في صورته كأنه ليس بشئ وهو في معناه كأنه كل الاشياء) واليه يشير قول الشاعر

* اذا صح كاف الكيس فالكل حاصل *

(والشئ انما تستوى نسبته الى المختلفات اذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون) عند مقابلتها (فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف) الذي هو أحد أقسام الكلمة الثلاثة (لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما أيضا حكم) خفية (يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فاذا من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه

اذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة اذ لا غرض للآحاد في أعيانهما
فانهما حجران وانما خلقا لتتداولهما الايدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة المقادير مقوّمة للمراتب فاخبر الله تعالى الذين يعجزون
عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة أخبر
هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن ادراكه فقال
تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير
آنية من ذهب أو فضة فقد
كفر النعمة وكان أسوأ
حالا ممن كنز لان مثال هذا
مثال من استسخر حاكم
البلد في الحياكة والمكس
والاعمال التي يقوم بها
أخساء الناس والحبس
أهون منه وذلك أن
الخزف والحديد والرصاص
والنحاس تنوب مناب
الذهب والفضة في حفظ
المائعات عن أن تتبدد
وانما الاواني لحفظ المائعات
ولا يكفي الخزف والحديد
في المقصود الذي أريد به
النقود فمن لم ينكشف هذا
انكشف له بالترجمة الالهية
وقيل له من شرب في آنية
من ذهب أو فضة فكأنما
يجرجر في بطنه نار جهنم
وكل من عامل معاملة الربا
على الدراهم والدنانير فقد
كفر النعمة وظلم لانهما
خلقا لغيرهما لا لانفسهما
اذ لا غرض في عينهما فاذا
اتجر في عينهما فقد اتخذهما
مقصودا على خلاف وضع
الحكمة اذ طلب النقد لغير
ما وضع له ظلم ومن معه ثوب
ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاما ودابة اذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر يدا
ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير لا غرض في أعيانهما وموقعهما في الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قال
النحويون ان الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من الالوان فاما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية
عمله فيبقى النقد متقيدا عنده و ينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد
الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم (فان قلت) فلم جاز بيع أحد النقدين بالآخر

اذا كنز فقد ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة اذ لا غرض للآحاد في أعيانهما فانهما حجران وانما خلقا لتتداولهما الايدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقوّمة للمراتب فاخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر) الظاهر (بل بعين البصيرة) الباطنة (أخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله) المرسل اليهم (حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن ادراكه) وفهم معناه (فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) وقد تقدم الكلام على الآية في كتاب الزكاة (وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالا ممن كنز) ولم ينفق (لان مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس و) غيرهما من (الاعمال التي يقوم بها أخساء الناس) وأرذالهم (والحبس أهون منه وذلك ان الخزف والحديد والرصاص والنحاس) وغيرها من المنطرقات (ينوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات أن تتبدد) أي تتفرق (وانما) تتخذ (الاواني لحفظ المائعات) والحفظ يحصل بغيرهما (ولا يكفي الخزف والحديد) والرصاص (في المقصود الذي أريد به النقود) في الغالب وان كان يتعامل ببعضها في بعض الاقطار لكن على سبيل التبعية لهما (فمن لم ينكشف له هذا) المعنى (كشف له بالترجمة الالهية وقيل انه من شرب في آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم) لم يصرح المصنف بكونه حديثا وهو متفق عليه من حديث أم سلمة كما قاله العراقي ولفظ مسلم من شرب في اناء من ذهب أو فضة فانما يجرجر في بطنه نارا من جهنم وروى البيهقي في المعرفة والخطيب وابن عساكر من حديث ابن عمر من شرب في اناء ذهب أو فضة أو اناء فيه شئ من ذلك انما يجرجر في بطنه نار جهنم و روى ابن ماجه من حديث عائشة من شرب في اناء فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم (وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم) أي تعدى ووضع الشئ في غير موضعه (لانهما خلقا لغيرهما لا لانفسهما اذ لا غرض في عينهما فاذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة) الالهية (اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاما ودابة اذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فانهما وسيلتان الى الغير لا غرض في أعيانهما وموقعهما في الاموال كموقع الحرف في الكلام كما قاله النحويون ان الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره) كما عرفه ابن الحاجب في كافيته (وكموقع المرآة من الالوان فاما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد متقيدا عنده و يتنزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم فان قلت فلم جاز بيع أحد النقدين بالآخر) أي بيع الذهب بالفضة والفضة بالذهب متفاضلين

ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم أن أحد النقدين يخالف الآخر في مقصود التوسل اذ قد تيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوسل به الى غيره وأما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الارض وأخذه بعينه ونحن لا نخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم الى وضع الدرهم على الارض وأخذه بعينه فلا نمنع مما لا تتشوق النفوس اليه الا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينتظم العقد وان طلب زيادة في الرديء فذلك مما قد يقصده فلا جرم نمنعه منه ونحكم بان جيدها ورديها سواء لان الجودة والرداءة ينبغي أن ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر الى مضافات دقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فانما لم يجز ذلك لانه لا يقدم على هذا الا مسامح قاصد للاحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد وأجر والمعاوضة لا حمد فيها ولا أجر فهو أيضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها فان فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الايدي و يؤخر عنها الا كل الذي أريدت له فما خلق الله الطعام الا ليؤكل والحاجة الى الاطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستغني عنها الى المحتاج ولا يعامل على الاطعمة الا مستغن عنها اذ من معه طعام فلم لا يأكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام يكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ماذكرناه في كتاب آداب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذور اذ أحدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض و بائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عابث فلا يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت في الجودة

يدا بيد وهو بالاتفاق لا يبيع الذهب بالذهب منفردا والورق بالورق منفردا أو تبرهما ومضروبهما وحليهما الا مثلا بمثل وزنا بوزن يدا بيد (ولم جاز بيع الدراهم بمثله فاعلم ان أحد النقدين يخالف الآخر في مقصود التوسل اذ قد يتيسر التوصل باحدهما من حيث كثرته كالدراهم فتتفرق في الحاجات قليلا قليلا ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوسل به الى غيره وأما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث ان ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا) في أوصافهما (ولا يشتغل به تاجر فانه حيث جرى مجرى وضع الدرهم على الارض وأخذه بعينه عبثا ولعبا ونحن لا نخاف على العقلاء بان يصرفوا أوقاتهم الى وضع الدراهم على الارض وأخذها فلا نمنع مما لا تتشوف النفوس اليه الا أن يكون أحدهما أجود من الآخر (وذلك أيضا لا يتصور جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء) الدون (فلا ينتظم العقد وان طلب زيادة في الرديء فذلك مما قد يقصده فلا جرم نمنعه منه ونحكم بان جيدها ورديها سواء لان الجودة والرداءة ينبغي أن ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر الى مضافات دقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فانما لم يجز ذلك) من طريق الزيادة والنساء جميعا (لانه لا يقدم على هذا الا مسامح قاصد للاحسان في القرض وهو مكرمة) قد حث عليه الشارع و وردت في فضله أخبار (مندوحة عنه) أي متسع (لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد وأجر) معا (والمعاوضة لا حمد فيها ولا أجر فهو أيضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها) التي خلقت لها (فان فتح باب المعاملة فيها يوجب تغييرها في الايدي و يؤخر عنها الاكل الذي أريدت له فما خلق الطعام الا ليؤكل والحاجة الى الاطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستغني عنها الى المحتاج) اليها (ولا يتعامل على الاطعمة أي فيستغني عنها اذ من معه الطعام فلم لا يأكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ماذكرناه في كتاب آداب الكسب) والمعاش من ذلك حديث ابن عمر المحتكر ملعون رواه الحاكم ومنها حديث أبي هريرة من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة الله و رسوله رواه أحمد (نعم بائع البر بالتمر معذور اذ أحدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض و بائع صاع من البر بصاع منه (غير معذور) لانهما جنس واحد (ولكنه عابث فلا يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت في الجودة) و بيع صاع من البر بصاع من شعير مبني على اختلافهم هل هو جنس واحد او جنسان فقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد في أظهر روايتيه هما جنسان فعلى هذا يجوز بالمفاضلة والمماثلة لان أحدهما لا يسد مسد الآخر وقال مالك وأحمد في الرواية الاخرى هما جنس واحد فلا يجوز بيع

ومقابلة الجيد بمثله من الردىء لا يرضى به صاحب الجيد وأما جيد برديئين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات والجيد يساوى الردىء فى أصل الفائدة (٦٨) ويخالفه فى وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع فى تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات فانه أقوى من جميع ما أوردناه فى الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعى رحمه الله فى التخصيص بالاطعمة دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه لكانت الثياب والدواب أولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم المذاهب فيه اذ خصصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد أن ينضبط بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم أحرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق فى اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فعين المعنى بكمال قوته يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولان أصول هذه المعانى لا تختلف فيها الشرائع وانما تختلف فى وجوه التحديد كما يحد لحكمة شرع عيسى بن مريم عليهما السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعو الى كثيره والداخل فى الحدود داخل فى التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل المعنى بالجملة الاصلية فهذا مثال واحد

بعضهما ببعض الامثلا بمثل يدا بيد ومع جوازه يكون عابثا (ومقابلة الجيد بمثله من الردىء لا يرضى به صاحب الجيد وأما جيد برديئين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات يضطر اليها الانسان أبدا والجيد يساوى الردىء فى أصل الفائدة) الذى هو الغذاء (ويخالفه فى وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع فى تحريم الربا) وقد أشار الى نحو ذلك القفال فى محاسن الشريعة (وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن) الاشتغال فى (فن الفقه) وذلك عند خروجه من دار السلام ببغداد (فلنلحق هذا بفن الفقهيات فانه أقوى من جميع ما أوردناه فى الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعى رحمه الله تعالى) على غيره (فى التخصيص بالاطعمة دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه لكانت الثياب والدواب أولى بالدخول فيه ولولا الملح لكان مذهب مالك رحمه الله تعالى أقوى المذاهب فيه اذ خصصه بالاقوات) وتفصيل ذلك انهم اختلفوا فى علة جريان الربا المحرم فى غير الاعيان الستة المنصوص عليها فقال أبو حنيفة وأحمد العلة فى الذهب والفضة الوزن والجنس وكل ما جمعه الوزن والجنس فالتحريم ثابت فيه اذا باعه متفاضلا كالذهب والفضة ثم يتعدى منها الى الحديد والرصاص والنحاس وما أشبهه وقال مالك والشافعى العلة فى الذهب والفضة الثمنية فلا يجرى الربا عندهما فى الحديد والنحاس وما أشبههما وقال أبو حنيفة فى أظهر الروايات عنه وهى اختيار الخرقى من الحنابلة وشيوخ أصحابه العلة فى الاعيان الاربعة الباقية الكيل والجنس فكل ما جمعه الكيل والجنس فالتحريم فيه ثابت اذا بيع متفاضلا كالحنطة والشعير والنورة والجص والاشنان وما أشبهه وعن أحمد رواية ثانية فى علة الاعيان الاربعة انها مأكول مكيل أو مأكول موزون فعلى هذه الرواية لا ربا فيما يؤكل وليس بمكيل ولا موزون مثل الرمان والسفرجل والبطيخ والخيار ولا فى غير المأكول مما يكال ويوزن كالنورة والجص والاشنان وعنه رواية ثالثة فى علة الاعيان الاربعة انه مأكول جنس فعلى هذه الرواية يحرم ما كان مأكولا خاصة ويدخل فى التحريم سائر المأكولات ويخرج منه ما ليس مأكولا وقال مالك العلة فى الاعيان الاربعة كونها مقتاتة وما يصلح للقوت فى جنس مدخر فيدخل تحريم الربا فى ذلك كله كالاقوات المدخرة واللحوم والالبان والخلول والزيوت والعنب والزبيب والزيتون والعسل والسكر وقال الشافعى فى الجديد ان العلة فى الاعيان الاربعة انها مطعومة جنس فعلى هذا يجرى الربا عنده فى الرمان والسفرجل والبيض ونحوه كالرواية الثالثة عن أحمد وقال فى القديم مطعومة مكيلة أو موزونة فعلى هذا لا يجرى الربا بمجرد الطعم فى المطعومات ذكر ذلك كله الوزير فى الافصاح وتقدم فى كتاب آداب الكسب (ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد وان ينضبط بحد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت) كما ذهب اليه مالك (وكان ممكنا بالمطعوم) كما ذهب اليه الشافعى (فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم أحرى) أى أشمل (لكل ما هو ضرورة البقاء) ودوام العيش (وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق فى اتباع) وفى نسخة فى تتبع (جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فعين المعنى بكمال قوته يختلف بالاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال) الله (تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولان أصول هذه المعانى لا تختلف فيها الشرائع وانما تختلف فى وجوه التحديد كما يحد شرع عيسى عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعو الى كثيره والداخل فى الحدود داخل فى التحريم بحكم الجنس) وفى نسخة بحكمة الحسم لها (كما دخل أصل المعنى بالحكمة الاصلية فهذا مثال واحد

الحكمة خفية من حكم النقدين فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ماخلق لحكمة فلا ينبغي أن يصرف عنها ولا يعرف هذا الا من قد عرف الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ولكن لا تصادف جواهر الحكم فى قلوب هى مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر الا أولو الالباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فانه اما شكر واما كفر اذ لا يتصور ان ينفك عنهما و بعض ذلك نصفه فى لسان الفقه الذى تناطق به عوام الناس بالكراهة و بعضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالحظر فأقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين اذ خلق الله لك اليدين وجعل احداهما أقوى من الاخرى فاستحق الاقوى بمزيد رجحانه فى الغالب التشريف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر الا بالعدل ثم أحوجك من أعطاك اليدين الى أعمال بعضها شريف كأخذ المصحف وبعضها خسيس كازالة النجاسة فاذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بصقت مثلا فى جهة القبلة أو استقبلتها فى قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى فى خلق الجهات وخلق سعة العالم لانه خلق الجهات لتكون متسعك فى حركاتك وقسم الجهات الى مالم يشرفها والى ماشرفها بأن وضع فيها بيتا أضافه الى نفسه استمالة لقلبك اليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك فى تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك وكذلك انقسمت أفعالك الى ماهى شريفة كالطاعات والى ماهى خسيسة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فاذا رميت بصاقك الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التى بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداءة فى الحظوظ ينبغى أن تكون بالاشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الخف والرجل وهذا عند العارفين كبيرة وان سماه الفقيه مكروها حتى ان بعضهم كان قد جمع اكرارا من الحنطة وكان يتصدق بها فسئل عن سببه فقال لبست المداس

الحكمة خفية من حكم النقدين فينبغي ان يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ماخلق لحكمة فلا ينبغي ان يصرف عنها ولا يعرف هذا الا من قد عرف الحكمة) وأتى من بابها (ومن أوتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) يشير الى قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا (ولكن لا تصادف جواهر الحكم فى قلوب هى مزابل الشهوات) ومقارها (وملاعب الشياطين) ومحال وساوسها (بل لا يذكر الا أولوا الالباب) أشار به الى تمام الآية المذكورة (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء) رواه أحمد من حديث أبى هريرة بنحوه وقد تقدم فى كتاب أسرار الصوم (واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فانه) لا يخلو (اما شكر واما كفر اذ لا يتصور ان ينفك عنهما و بعض ذلك نصفه فى لسان الفقه الذى تناطق به عوام الناس) وهم المشتغلون بالعلوم الظاهرة (بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب) وهم المشتغلون بعلوم الآخرة (موصوف بالحظر فأقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين اذ خلق الله لك اليدين وجعل احداهما أقوى من الاخرى) وهى اليمنى وهذا هو الاغلب فلا يناقضه الاعسر وهو الذى يسراه أقوى من اليمنى لندوره (فاستحق الاقوى بمزيد رجحانه فى الغالب التشريف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن) منهج (العدل والله تعالى (لا يأمر الا بالعدل) لقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان (ثم أحوجك من أعطاك اليدين الى أعمال بعضها شريف كأخذ المصحف وبعضها خسيس كازالة النجاسة فاذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه) أى نقصت (وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بصقت مثلا فى جهة القبلة أو استقبلتها فى قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى فى خلق الجهات وخلق سعة العالم لانه خلق الجهات لتكون متسعك فى حركاتك وقسم الجهات الى مالم يشرفها والى ماشرفها بان وضع فيها بيتا أضافه الى نفسه) تشريفا له بذلك (واستمالة لقلبك اليه ليتقيد به قلبك) ويحترمه (فيتقيد بسببه بدنك فى تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك وكذلك انقسمت أفعالك الى ماهى شريفة كالطاعات والى ماهى خسيسة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فاذا رميت بصاقك الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله عليك بوضع القبلة التى بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداءة فى الحظوظ ينبغى أن يكون بالاشرفية فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة) لما فيه من مناقضة مقام العدل والوفاء (وانما سماه الفقيه مكروها) وخفف أمره على العامة (حتى ان بعضهم) أى من العارفين (كان قد جمع اكرارا) جمع كر بالضم أى احمالا (من الحنطة وكان يتصدق بها) على المحتاجين (فسئل عن سببه فقال لبست المداس) أى

مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فاريدان أكفره بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الامر فى هذه الامور لانه مسكين بلى باصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام وهم مغموسون فى ظلمات أطم وأعظم من ان تظهر أمثال هذه الظلمات بالاضافة اليها فقبيح أن يقال الذى شرب الخمر وأخذ القدح بيساره فقد تعدى من وجهين أحدهما الشرب والآخر الاخذ باليسار ومن باع خمرا فى وقت النداء يوم الجمعة فقبيح أن يقال خان من وجهين أحدهما بيع الخمر والآخر البيع فى وقت النداء ومن قضى حاجته فى محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح ان يذكر تركه الادب (٧٠) فى قضاء الحاجة من حيث انه لم يجعل القبلة عن يمينه فالمعاصى كلها ظلمات وبعضها فوق بعض فينمحق بعضها فى جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل سكينه بغير اذنه ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير اذنه حكم ونكاية فى نفسه فكل ماراعاه الانبياء والاولياء من الآداب وتسامحنا فيه فى الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة والا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران النعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر فى العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب الى عالم البعد الذى هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى فى خلق الاشجار وخلق اليد أما اليد فانها لم تخلق للعبث بل للطاعة والاعمال المعينة على الطاعة وأما الشجر فانما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق اليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى اختص نشوه لاعلى وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذ الشجر والحيوان جعلا فداء لاغراض الانسان فانهما جميعا فانيان هالكان فافناء الاخس فى بقاء الاشرف مدة ما أقرب الى العدل من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه نعم اذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وان كان محتاجا لان كل شجرة بعينها لاتفى بحاجات عباد الله كلهم بل تفى بحاجة واحد ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما فصاحب الاختصاص هو الذى حصل البذر ووضعه فى الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فيرجح جانبه بذلك فان نبت ذلك فى موات الارض لابسقى آدمى

الفعل (مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا) من غير اختيار (فأريدان أكفره بالصدقة) ولعله وجد الحنطة عزيزة فلذلك اختار التصدق بها أو لكونها مما يعم النفع بها أكثر من غيرها (نعم الفقيه لايقدر على تفخيم الامر فى هذه الامور لانه مسكين بلى) أى امتحن (باصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام) فى بلادتهم وحرصهم (وهم متغمسون) وفى نسخة مغموسون (فى ظلمات) وهمية (أطم وأعظم من ان تظهر أمثال هذه الظلمات بالاضافة اليها فقبيح أن يقال الذى شرب الخمر وأخذ القدح بيساره فقد تعدى) الحد الشرعى (من وجهين أحدهما الشرب والآخر الاخذ باليسار ومن باع خمرا) وفى نسخة خمرا (فى وقت النداء) وهو الاذان الثانى (يوم الجمعة فقبيح أن يقال خالف من وجهين أحدهما بيع الخمر) وفى نسخة الخمر (والآخر البيع فى وقت النداء ومن قضى حاجته فى محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح أن يذكر تركه الادب فى قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة عن يمينه فالمعاصى كلها ظلمات وبعضها فوق بعض) فى القبح (فينمحق بعضها) ويضمحل (فى جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل سكينه بغير اذنه ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق) وفى نسخة لم يكن (لاستعمال السكين بغير اذنه حكم ونكاية فى نفسه فكل ماراعاه الانبياء والاولياء من الآداب) الظاهرة (وتسامحنا فيه فى الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة والا فكل هذه المكاره عدول من العدل) المأمور به (وكفران النعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر فى العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب الى عالم البعد الذى هو مستقر الشياطين كما) ان عالم القرب هو مستقر الملائكة (وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة من غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله فى خلق الاشجار وخلق اليد أما اليد فانها لم تخلق للعبث) بها (بل للطاعة والاعمال المعينة على الطاعة وأما الشجر فانما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق اليها) أى الى عروقها (الماء) من باطن الارض (وخلق فيها قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده) بظله وثمره (فكسره قبل منتهى نشوه لاعلى وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذ الشجر والحيوان جعل) كل منهما (فداء لاغراض الانسان فانهما جميعا فانيان هالكان وافناء الاخس) رتبة (فى بقاء الاشرف مدة ما أقرب الى العدول من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله تعالى وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه نعم ان كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وان كان محتاجا) اليه (لان كل شجرة بعينها فلاتفى بحاجات عباد الله كلهم بل تفى بحاجة واحد ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما فصاحب الاختصاص هو الذى حصل البذر ووضعه فى الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد) والخدمة فى نموه ونشأته (فهو أولى به من غيره فترجح جانبه بذلك فان نبت فى موات الارض) من نفسه (لابسقى آدمى

اختص بغرسه أو بغرسه فلابد من طلب اختصاص آخر وهو السبق الى أخذه فالسابق خاصية السبق فالعـدل هو أن يكون أولى به وعبر الفـقهاء عن هـذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض اذ لاملك الا لملك الملوك الذى له مافى السموات والارض وكيف يكون العبـد مالكا وهو فى نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله وقد أذن لهم فى الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيـده فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليه براجمه فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها من يده لم

يمكن منه لا لان اللقمة صارت ملكا له بالاخـذ باليـد فان اليد وصاحب اليد أيضا مملوك ولكن اذا كانت كل لقمة بعينها لاتفى بحاجـة كل العبيد فالعدل فى التخصيص عنـد حصول ضرب من التـرجيح والاختصاص والاخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لايدلى بذلك الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغى ان تفهم أمر الله فى عباده ولذلك نقول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجتـه وكنزه وأمسكه وفى عباد الله من يحتاج اليـه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضـة ولا ينفقونها فى سبيل الله وانما سبيـل الله طاعتـه وزاد الخلـق فى طاعته أموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم لايدخل هذا فى حد فتاوى الفقه لان مقادير الحاجات خفية والنفوس فى استشـعار الفـقر فى الاستقبال مختلفة وأواخر الاعمـار غير معلومة فتكاليف العوام ذلك يجرى مجرى تكاليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غيرمهم وهو بحكم نقصانهم لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم فى اللعب واللهو واباحتنا ذلك اياهـم لايدل على أن اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار فى الانفاق على قدر الزكاة لضرورة ماجبلوا عليه من البخل لايدل على انه غاية الحق وقد أشار القرآن اليه اذ قال تعالى ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق الذى لا كدورة فيه والعدل الذى لاظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله الا بقدر زاد الراكب فكل عباد الله ركاب لمطايا الابدان الى حضرة الملك الديان فمن أخذ زيادة عليه ثم منعه عن راكب آخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى

اختص بغرسه) أى منبته بالملكية (أو بغرسه) بان وضع بذره فى تلك الارض وتعهده بالسقى (فلابد من طلب اختصاص آخر وهو السبق الى أخذه فالسابق خاصية السبق فالعدل ان يكون هو أولى به) وهو ترجيح فى حقه (وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو) فى الحقيقة (مجاز محض) أى خالص لا شوب للحقيقة فيه (اذ لاملك) حقيقة (الا لملك الملوك) جـل شأنه (الذى له مافى السموات والارض) ومافى يد العبد فهو مستعار مردود (وكيف يكون العبد مالكا) هو (فى نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره) لان وجوده مستعار من وجود غيره وماله الوجود من غيره موجود مستعار لاقوام له بنفسه بل اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما وجوده من حيث نسبته الى غيره وذلك ليس بوجود حقيـقى ونسبة المستعار الى المسـتعير مجاز محض (نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله) المفروشة (وقد أذن لهم فى الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدته لعبيده) فهـم شركاء فيها (فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه) أى مفاصل أصابعه (فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لان اللقمة صارت ملكا له بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد أيضا مملوك ولكن اذا كانت لقمة بعينها لاتفى بحاجة كل العبيد فالعدل فى التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لايدلى) أى لايتقرب (بذلك الاختصاص عن مزاحمته) وانتزاع اللقـمة منه (فهكذا ينبغى ان تفهم أمر الله فى عباده ولذلك نقول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجتـه وكنزه وأمسكه) ولم ينفقه (وفى عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم) ولو أدى زكاة ما كـنزه وهو أحـد الوجوه فى الآية (وهو من الذين) قال الله تعالى فى حقهم والذين (يكنزون الذهب والفضـة ولا ينفقونها فى سبيل الله) فبشرهم بعذاب أليم (وانما سبيل الله طاعته وزاد الخلق فى الطاعة) وفى نسخة فى طاعتـه (أموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم هذا لايدخل فى حد فتاوى الفقه لان مقادير الحاجات خفية) لاتدرك (والنفوس فى استشعار الفقر فى الاستقبال مختلفة وأواخر الاعمار غير معلومة فتكاليف العوام ذلك يجرى مجرى تكاليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غيرمهم وهم بحكم نقصانهم) فى عقولهم (لايطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم فى اللعب واللهو واباحتنا ذلك اياهم لايدل على ان اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار فى الانفاق على قـدر الزكوات لضرورة ماجبلوا عليه من البخل لايدل على انه غاية الحق) والى هذا يشير ما ورد كل مال أدى زكاته فليس بكنز (وقد أشار القرآن اليه اذ قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم) أى يبالغ فى سؤالكم حـتى لا تبقوا منها شيأ الا وقد صرفتموه فى سبيل الحق (تبخلوا) وذلك بمقتضى الجبلية (بل الحق الذى لا كدورة فيـه والعدل الذى لاظلم فيه ان لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله الا بقـدر زاد الراكب) كما ورد ذلك فى الخبر بلفظ وليكن زاد أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب أى فان الراكب لايحمل من الزاد الا قدر كفايته فقط (فكل عباد الله ركاب لمطايا الابدان الى حضرة الملك الديان) وسنوهم منازلهم (فمتى أخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب آخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل خارج عن مقصود الحكمة وكافر نعـمة الله تعالى

عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الاسباب التى بها عرف ان ماسوى زاد الراكب وبال عليه فى الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله) تعالى (فى جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا تفى الا بالقليل) لكثرة أنواع الموجودات فتكثر الحكم (وانما أوردنا هذا القدر لتعلم علة الصدق فى قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور و) تعلم (فرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذا) الذى أوردناه (كله وأمورا أخر وراء هذا تنقضى الاعمار دون استقصاء مباديها فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة) وهى لسان العرب (وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير) فان التفسير بيان لظاهر اللفظ والمعنى هو ما يكون بيانا لباطنه (فان قلت فقد رجع حاصل الكلام الى ان الله تعالى حكمة فى كل شئ وانه جعل بعض أفعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من أن تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو ان فعل العبد ينقسم الى ما يتم الحكمة والى ما يدفعها هو أيضا من فعل الله تعالى فاين العبد فى البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا أخرى فاعلم ان تمام التحقيق فى هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق الى تلويحات) أى اشارات (بمباديها) أى أوائلها (ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة) مختصرة (عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الايضاع) أى الاسراع (فى السير فضلا عن ان يجول فى جو الملكوت جولان الطير فنقول ان لله تعالى فى جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من ان تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها) التى هى من حيث هى هى (فلم تكن لها عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعى اللغات من ان يمتد طرف فهمهم الى مبادى اشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش) جمع خفاش طائر معروف (عن نور الشمس لا لغموض فى نور الشمس ولكن لضعف أبصار الخفافيش) فانها لا تحتمل نورها (فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها الى ان يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة توهم من مبادى حقائقها شيأ ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هى القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم فى الوجود الى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعيرت لها بمثل الضرورة التى سبقت عبارة المشيئة) وهى معنى يكون الفعل مرادا وهى أعم من وجه من

عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الاسباب التى بها عرف أن ماسوى زاد الراكب وبال عليه فى الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى فى جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا تفى الا بالقليل وانما أوردنا هذا القدر لتعلم علة الصدق فى قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأمورا أخر وراء ذلك تنقضى الاعمار دون استقصاء مباديها فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير فان قلت فقد رجع حاصل هذا الكلام الى أن الله تعالى حكمة فى كل شئ وانه جعل بعض أفعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من أن تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو أن فعل العبد المنقسم الى ما يتم الحكمة والى ما يرفعها هو أيضا من فعل الله تعالى فاين العبد فى البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا أخرى فاعلم أن تمام التحقيق فى هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق الى تلويحات بمباديها ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الايضاع فى السير فضلا عن أن يجول فى جو الملكوت جولان الطير فنقول ان الله عز وجل فى جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها فى العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعى اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم الى مبادى اشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض فى نور الشمس ولكن لضعف فى أبصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها الى أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادى حقائقها شيأ ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هى القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم فى الوجود الى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التى سبقت عبارة المشيئة

الارادة

فهي توهم منها أمرا مجملا عند المتناطقين باللغات التي هي حروف وأصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذي هو غاية حكمتها والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة توهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمرا مجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم أيضا من خلقه واختراعه الى من سبقت له المشيئة الازلية أن يستعمله لاستيفاق حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم والى من سبقت لهم في الازل أن يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها في بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين في اتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه في الازل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال وظهر على من ارتضاه في الازل فعل انساقت بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر وأردف بخلعة الثناء والاطراء زيادة في الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجمال ثم أثنى وأعطى النكال ثم قبح وأردى وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينته قال يا جميل ما أجملك وأجمل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على الجمال فهو المثني عليه بكل حال وكأنه لم يثن من حيث المعنى الاعلى نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور في أزل الازل وهكذا تتسلسل الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وأمر حزم استعير له لفظ القضاء وقيل انه كلمح بالبصر أو هو أقرب ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بازاء الامر الواحد الكلي

الارادة وقد يستعمل كل منهما مقام الآخر (فهي توهم أمرا مجملا) في ايجاد معدوم أو اعدام موجود (عند المتناطقين باللغات التي هي حروف وأصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذي هو غاية حكمتها والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشيئة لرجوعها الى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلاف واستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة توهم) وفي نسخة يفهم (لفظ المحبة والكراهة منها أمرا مجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم أيضا من خلقه واختراعه الى من سبقت له في المشيئة الازلية ان يستعمله لاستيعاب حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم والى من سبقت لهم في الازل ان يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها في بعض الامور فان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين في اتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه في الازل بحكم مشيئته فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال) أي العذاب (وظهر على من ارتضاه في الازل) بحكم مشيئته (فعل انساقت بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر وأردف) ذلك (بخلعة الثناء والاطراء زيادة في الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه تعالى أعطى الجمال ثم أثنى) عليه (وأعطى النكال ثم قبح وازرى) عليه (وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ من أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينته قال) له (يا جميل ما أجملك وأجمل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل) أي معطي الجمال (وهو المثني على الجمال فهو المثني عليه بكل حال وكأنه لم يثن من حيث المعنى) اذ أثنى (الاعلى نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور في أزل الازل وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وأمر حزم استعير له لفظ القضاء) وهو فصل الامر قولا أو فعلا (وقيل انه كلمح البصر أو هو أقرب) واليه الاشارة بقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون (ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم وبما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر) محركة (فكان لفظ القضاء بازاء الامر الواحد الكلي) الالهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الاحوال الجارية من

ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادى الى غير نهاية وقيل ان شيأ من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الامر والاحتواء على مجامعه فالجوا عما لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وامتلأت مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله تعالى فى السموات والارض وكان زيتهم أولا صافيا يكاد يضىء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورا على نور فأشرقت أقطار الملكوت بين أيديهم بنور ربها فأدركوا الامور كلها كما هى عليه فقيل لهم تأدبوا بآداب الله تعالى واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للحيطان آذانا وحواليكم ضعفاء الابصار فسيروا بسير أضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا بأخلاق الله تعالى وانزلوا الى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب فى جنح الليل فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيا به حياة المترددين فى كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل لهم

شربنا شرابا طيبا عند طيب * كذاك شراب الطيبين يطيب

وهو

شربنا وأهرقنا على الارض فضلة * وللارض من كأس الكرام نصيب

فهكذا كان أول هذا الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت أهلا له واذا كنت أهلا له فتحت العين وأبصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك

الازل الى الابد (ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادى الى غير نهاية) فالقضاء أخص من القدر (وقيل ان شيأ من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر) وقال المصنف فى المقصد الاسنى معنى الحكمة ترتيب الاسباب وتوجيهها الى المسببات وهو تعالى الحكيم المطلق لانه سبب كل الاسباب جملتها وتفصيلها ومن الحكم يتشعب القضاء والقدر فتدبيره أصل وضع الاسباب لتتوجه الى المسببات هو حكمه وايجاده للاسباب الكلية الاصلية الثابتة المستقرة التى لا تحول ولا تزول الى وقت معلوم ووضعه اياها ونصبه لها هو قضاؤه وتوجيه هذه الاسباب بحركاتها المتناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة الى المسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة هو قدره فالحكم هو التدبير الاولى الكلى والامر الازلى الذى هو كلمح البصر والقضاء هو الوضع الكلى للاسباب الكلية الدائمة والقدر هو توجيه الاسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة الى مسبباتها المعدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص ولذلك لا يخرج شئ عن قضائه وقدره (فخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل وكان بعضهم لقصوره) فى العرفان (لا يطيق ملاحظة كنه هذا الامر والاحتواء) أى الاشتمال وفى نسخة الاحتراز من الحوز والمعنى واحد (على مجامعه فالجوا عما لم يطيقوا خوض غمرته) وهى معظم الماء (بلجام المنع وقيل لهم) بلسان الحال (اسكتوا فما لهذا خلقتم) فلا تخوضوا فيه قال الله تعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) ففيه اشارة الى هذا الالجام (وامتلأت مشكاة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله تعالى) المنتشر ضياؤه (فى السموات والارض) يشير الى قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية والمشكاة هى الكوة فى الحائط يوضع فيها المصباح (وكان زيتهم) وهو الاستعداد (أولا صافيا) من كدورات الاوهام (يكاد يضىء) أى يشعل لكمال صفائه (ولو لم تمسسه نار) بعد (فمسته نار فاشتعل نورا على نور فأشرقت أقطار الملكوت) وهو عالم الغيب المختص (بين أيديهم بنور ربها) يشير الى قوله تعالى وأشرقت الارض بنور ربها (فأدركوا الامور كلها كما هى عليها) بكنهها وحقيقتها (فقيل لهم تأدبوا بآداب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا) وهو بعض حديث ابن مسعود رواه الطبرانى وأبو نعيم وابن صصرى فى أماليه وحسنه بلفظ اذا ذكر أصحابى فامسكوا واذا ذكرت النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا ورواه الطبرانى أيضا من حديث ثوبان وابن عدى من حديث عمر ولم يصرح المصنف بكونه حديثا وقد تقدم فى كتاب العلم (فان للحيطان آذانا) وهو مثل مشهور (وحواليكم ضعفاء الابصار فسيروا بسير أضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش) فانهم لا يطيقون (فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا بأخلاق الله تعالى) وتحلوا بمعانى صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور فى حقكم (وانزلوا الى السماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما تقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب فى جنح الليل) وهو ظلامه واختلاطه (فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيا به حياة المترددين فى كمال نور الشمس فكانوا) وفى نسخة وكانوا (كما قيل)

(شربنا شرابا طيبا عند طيب * كذاك شراب الطيبين يطيب)

(* شربنا وأهرقنا على الارض فضلة *) أى سكبنا عليها ما فضل منها

(* وللارض من كاس الكرام نصيب * فهكذا كان أول الامر وآخره فلا تفهمه الا اذا كنت أهلا له واذا كنت أهلا له) وساعدتك العناية (فتحت العين وأبصرت) الطريق (فلا تحتاج الى قائد يقودك)

والاعمى يمكن أن يقاد ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجر وراءه أعمى واذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يمكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة أن يعبر بنفسه وربما لم يقدر على أن يستجر وراءه آخر فهذه أمور نسبة السير عليها الى السير على ماهو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء

الى المشي على الارض والسباحة يمكن أن تتعلم فأما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعليم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام يقال انه مشى على الماء فقال صلى الله عليه وسلم لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا الى أفهام الخلق اذ عرف انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر أن له عبدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والامين وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين ثم أحال الارشاد الى جبريل فقال تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده وأحال الاغواء على ابليس فقال تعالى ليضلهم عن سبيله والاغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه الى العبد الذي غضب عليه والارشاد سياقه لهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال فالملك اذا كان محتاجا الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا يعين للحجامة والتنظيف الا أقبحهما وأخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب الا الى أحسنهما وأكملهما

وهو المرشد (والاعمى يمكن أن يقاد ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على ان يطير عليه و) لكن لم يقدر على ان يستجر وراءه أعمى لضيق الطريق (واذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يمكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر على ان يستجر وراءه) رجلا (آخر) لعدم قوته أو خوفه من الهلاك (فهذه أمور نسبة السير عليها الى السير على ماهو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء الى المشي على الارض والسباحة) على الماء (يمكن أن تتعلم فأما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام يقال انه مشى على الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء) قال العراقي هذا حديث منكر لا يعرف هكذا والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر بن عبد الله المزني قال فقد الحواريون نبيهم فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا الى البحر اذا هو قد أقبل يمشي على الماء فذكر حديثا فيه ان عيسى قال لو ان لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء وروى الديلمي في مسند الفردوس باسناد ضعيف من حديث معاذ بن جبل لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال انتهى قلت وروى ابن أبي الدنيا أيضا وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال قيل لعيسى بن مريم بأي شئ تمشي على الماء قال بالايمان واليقين قالوا فانا آمنا كما آمنت وأيقنا كما أيقنت قال فامشوا اذا فمشوا معه فجاء الموج فغرقوا فقال لهم عيسى ما لكم فقالوا خفنا الموج قال ألا خفتم رب الموج فأخرجهم ثم ضرب بيده الى الارض فقبض منها فاذا في احدى يديه ذهب وفي الاخرى مدر فقال أيهما أحلى في قلوبكم قالوا الذهب قال فانهما عندي سواء (فهذه رموز واشارات الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق اذ عرف) على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه) وذلك في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر) تعالى (ان له عبدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والامين) وقد ذكر بهذه الاسماء في القرآن فجبريل سريانية معناه عبد الله وسمي روح القدس لان الروح ما به حياة الانفس وأضيف الى القدس لنزاهته وصفاء اشراقه وسمي الامين لامانته في تبليغ وحي الله تعالى الى رسله (وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين) قال تعالى مطاع ثم أمين (ويبغض الآخر واسمه ابليس) افعيل من البلس وهو التحير (وهو اللعين المنظر) أي المطرود الممهل (الى يوم الدين ثم أحال الارشاد الى جبريل فقال قل) يا محمد (نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) وقال تعالى نزل به الروح الامين وأيدناه بروح القدس (وأحال الاغواء الى ابليس فقال ليضلهم عن سبيله والاغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه الى العبد الذي أبغضه) وفي نسخة غضب عليه (والارشاد) هو (سياقه لهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال فالملك اذا كان محتاجا الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات) والاوساخ (وكان له عبدان فلا يعين للحجامة والتنظيف الا أقبحهما وأخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب الا الى أحسنهما) وجها (وأكملهما)

وأحبهما اليه ولا ينبغي أن تقول هذا فعلي ولم يكون فعله دون فعلي فانك أخطأت اذ أضفت ذلك الى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب انما العدل فان عدله تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها وتارة يتم فيك فانك أيضا من أفعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وعملك وسائر أسباب حركاتك في التعبير هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة الا أنك لا ترى الا نفسك فتظن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه الى نفسك وانما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليلا الى لعب المشعبذ الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك بانفسها وانما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤسها في يد المشعبذ وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد وأما العقلاء فانهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون كيف تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبذ الذي الامر اليه والجاذبة بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة الى العلماء ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيحيلون عليها والعلماء يعلمون انهم محركون الا انهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الاكثرون الا العارفون والعلماء الراسخون فانهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الاطراف بأشخاص أهل الارض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا أيضا ملائكة السموات مصروفة الى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كي لا يعصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقيل وفي السماء رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل اليهم من القدر والامر فقيل خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما وهذه أمور

عقلا (وأحبهما اليه فلا ينبغي ان تقول هذا فعلي ولم يكون فعله دون فعلي فانك أخطأت اذ أضفت ذلك الى نفسك) جهلا منك (بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب انما العدل فانه تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها وتارة يتم بك فانك أيضا من أفعاله) بل كل ما في الوجود هو من أفعال الله تعالى (فداعيتك وقدرتك وعلمك وسائر أسباب حركاتك في التعيين هو الذي رتبه بالعدل ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة) ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله فمن أراد فهم ذلك فليحط علما بافعال الله تعالى كلها وليبتدئ بمعرفة عجائب نفسك فتتفرغ للتأمل فيها وفيما يكتنفها من الاجسام (الا أنك لا ترى الا نفسك فتظن ان ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه الى نفسك) وتنسى ترتيب الاسباب وتوجهها الى المسببات باقصى وجوه العدل (وانما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليلا الى لعب المشعبذ) ويقال المشعوذ من الشعبذة والشعوذة وهو ان يرى الانسان منه ما ليس له حقيقة وقد بينه بقوله (الذي يخرج صورا) مختلفة الاشكال (من وراء حجاب) رفيع (ترقص وتزعق وتقوم وتقعد) وتمشي وتقف (وهي مؤلفة من صور لا تتحرك بانفسها وانما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤسها في يد المشعبذ وهو محتجب) وراء حجاب (عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم ان تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد وأما العقلاء) المميزون (فانهم يعلمون ان ذلك تحريك وليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبذ الذي الامر اليه والجاذبة بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان الا العلماء) وفي نسخة بالنسبة الى العلماء (ينظرون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيحيلون عليها والعلماء يعرفون انهم محركون الا أنهم لا يعلمون كيفية التحريك وهم الاكثرون) فيكتفون بالعلم الاجمالي (الا العارفون) منهم (والعلماء الراسخون فانهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطا دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الاطراف باشخاص أهل الارض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا أيضا أبصار ملائكة السموات مصروفة الى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) فهم مسخرون لذلك (وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون) وقال وما ننزله الا بقدر معلوم (وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل عليهم من الامر والقدر فقال خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) وقال تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها (وهذه أمور) الهية (لا

لايعلم تأويلها الا الله والراسخون فى العلم وعبر ابن عباس رضى الله عنهما عن اختصاص الراسخين فى العلم بعلوم لاتحتملها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الامر بينهن فقال لوذكرت ماأعرفه من معنى هذه الآية لرجمتمونى وفى لفظ آخر لقلتم انه كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ماليس منه فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملا فى اتمام حكمة الله تعالى فاشكر العباد أحبهم الى الله وأقربهم اليه وأقربهم الى الله الملائكة ولهم أيضا ترتيب ومامنهم الاوله مقام معلوم وأعلاهم فى رتبة القرب ملك اسمه اسرافيل عليه السلام وانما علو درجتهم لانهم فى أنفسهم كرام بررة وقد أصلح الله تعالى بهم الانبياء عليهم السلام وهم أشرف مخلوق على وجه الارض ويلى درجتهم درجة الانبياء فانهم فى أنفسهم أخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته وأعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم اذ أكمل الله به الدين وختم به النبيين ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فانهم فى أنفسهم صالحون وقد أصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الانبياء فانه أكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء ثم يلى العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط فلم تتم حكمة الله بهم بل فيهم ومن عداهؤلاء فهمج رعاع * واعلم أن السلطان

(لايعلم تأويلها الا الله والراسخون فى العلم) بتعليم الله اياهم وتفهيم الامور الالهية بالامور العرفية عسير جدا وانما نذكر الامثلة لاجل التنبيه عليها (وعبر ابن عباس) رضى الله عنه (عن اختصاص الراسخين فى العلم بعلوم لاتحملها افهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الامر بينهن فقال لوذكرت ما أعرفه) وفى نسخة ماعرفت فيه (من معنى هذه الآية لرجمتمونى وفى لفظ آخر لقلتم انه كافر) وذلك لان افهامهم قاصرة لاتحتمل المعانى الدقيقة من أسرار الربوبية واليه يشير ماورد افشاء سر الربوبية كفر (ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ماليس منه فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملا فى اتمام حكمة الله تعالى فاشكر العباد) أى أكثرهم شكرا (أحبهم الى الله تعالى وأقربهم اليه وأقربهم الى الله تعالى الملائكة) وذلك بالسعى فى اكتساب الممكن من هذه الصفة والتخلق بها يصير رفيقا للملأ الاعلى من الملائكة فانهم على بساط القرب فمن ضرب الى شبه من صفاتهم نال شيأ من قربهم بقدر مانال من أوصافهم المقربة لهم الى الله تعالى (ولهم) أى للملائكة (أيضا ترتيب ومامنهم الاوله مقام معلوم) فى بساط القرب وكلهم مقربون ودرجات قربهم متفاوتة (وأعلاهم فى رتبة القرب اسرافيل عليه السلام) وهو صاحب الصور وقال المصنف فى مشكاة الانوار قد انكشف لارباب البصائر ان الانوار الملكوتية انما وجدت على الترتيب بحيث يقتبس بعضها من بعض وان المقرب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد أن يكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل فان فيهم الاقرب بقرب درجته من حضرة الربوبية التى هى منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهما درجات تستعصى على الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتيبهم فى مقاماتهم فى صفوفهم وانهم كما وصفوا به انفسهم اذ قالوا ومامنا الاله مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون (وانما علو درجتهم لانهم فى أنفسهم كرام بررة وقد أصلح الله بهم الانبياء) بايصال الوحى اليهم (وهم) أى الانبياء (أشرف مخلوق على وجه الارض وتلى درجتهم درجة الانبياء فانهم فى أنفسهم أخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق) الى مافيه نجاتهم وعصمتهم (وتمم بهم حكمته) فى الخلق (وأعلاهم رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اذ أكمل به الدين) الذى ارتضاه (وختم به النبيين) والمرسلين كما يشير الى كل منهما قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وقوله تعالى وخاتم النبيين (ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء) وورثوا منهم علما وحكمة (فانهم فى أنفسهم صالحون وقد أصلح الله بهم سائر الخلق) بارشادهم اياهم الى طريق الحق (ودرجة كل واحد بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم) أى يلى درجة الانبياء (السلاطين بالعدل لانهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم) فكل من العلماء والسلاطين فى درجة واحدة ولكن مع اعتبارين مختلفين (ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الانبياء) عليهم السلام (فانه اكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم) ومعاشهم ومعادهم (ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء) فقد روى أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبرانى والبيهقى من حديث ابن عمر بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لاشريك له وجعل رزقى فى ظل رمحى وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى الحديث (ثم يلى العلماء الصالحون الذين أصلحوا دينهم) وفى نسخة أنفسهم (فقط فلم تتم حكمة الله بهم الا فيهم) فهؤلاء كذلك لهم درجة ما فى القرب (ومن عداهؤلاء فهمج رعاع) لايعبأ بهم (واعلم ان السلطان) المتولى لامور المملكة أعم من أن يكون

خليفة أوملكا وان كان فى مصطلح أهل الفن فرق بين الثلاثة تقدمت الاشارة اليه فى كتاب العلم (به قوام الدين) ونظامه وملاكه (فلا ينبغى ان يستحقر) أويهان (وان كان ظالما) غشوما (فاسقا) متعديا للحدود الشرعية (قال عمرو بن العاص رحمه الله تعالى امام غشوم خير من فتنة تدوم) والغشوم هو الظالم (وقال النبى صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فان أحسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان أساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر) قال العراقى رواه مسلم من حديث أم سلمة تستعمل عليكم أمراء فيعرفون وينكرون ورواه الترمذى بلفظ سيكون أمراء وقال حسن صحيح وللبزار بسند ضعيف من حديث ابن عمر السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر وان جار أوحاف أوظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر وأما قوله وما يصلح الله بهم أكثر فلم أجده بهذا اللفظ الا انه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فزع اليه الناس لما أنكر واسيرة الوليد بن عقبة فقال عبد الله اصبروا فان جور امامكم خمسين سنة خير من هرج سنة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكر حديثا فيه والامارة الفاجرة خير من الهرج رواه الطبرانى فى الكبير باسناد لا بأس به انتهى قلت بل هو فى حديث الربيع بن عميلة عن ابن مسعود رفعه سيليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فمن عمل منهم بطاعة الله فلهم الاجر وعليكم الشكر ومن عمل منهم بمعصية الله فعليهم الوزر وعليكم الصبر رواه هكذا البيهقى فى الشعب وأبو نعيم فى العادلين وابن النجار فى التاريخ وقد نبه على ذلك الحافظ السخاوى فى هامش المغنى مختصرا ووجدت بعض سياق المصنف فى حديث أبى هريرة سيليكم بعدى ولاة فيليكم البر ببره ويليكم الفاجر بفجوره فاسمعوا لهم وأطيعوا فى كل ماوافق الحق وصلوا وراءهم فان أحسنوا فلكم ولهم وان أساؤا فلكم وعليهم رواه ابن جرير والدارقطنى وابن النجار باسناد ضعيف وفى خبر آخر سيكون من بعدى أمراء فأدوا اليهم طاعتهم فان الامير مثل المجن يتقى به فان صلحوا واتقوا وأمروكم بخير فلكم ولهم وان أساؤا وأمروكم به فعليهم وأنتم منه برآء وان الامير اذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم رواه الطبرانى فى الكبير عن شريح بن عبيد قال أخبرنى جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمرو بن الاسود والمقدام بن معدى كرب وأبو امامة (وقال سهل التسترى رحمه الله تعالى (من أنكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل) أيضا (أى الناس خير فقال السلطان فقيل) له (انا كنا نرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة أموال المسلمين ونظرة الى سلامة أبدانهم فيطلع فى صحيفته فيغفر له جميع ذنبه وكان) أيضا (يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصا يقص) وفى نسخة قاصا يقصون وروى صاحب الحلية فى ترجمة عبد الله بن المبارك من قوله

الله يدفع بالسلطان معضلة * عن ديننا رحمة منه ورضوانا
لولا الائمة لم تأمن لنا سبل * وكان أضعفنا نهبا لا قوانا

*(الركن الثانى من أركان الشكر ما عليه الشكر وهو النعمة فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فان احصاء نعم الله تعالى) الموهوبة والمكتسبة (على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم أمورا كلية تجرى مجرى القوانين فى معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد والله الموفق للصواب)

(بيان حقيقة النعمة وأقسامها)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر) أى مختار (فانه يسمى نعمة ولكن النعمة هى السعادة الاخروية) واليها الاشارة بقوله تعالى وأما الذين سعدوا ففى الجنة الآية

به قوام الدين فلا ينبغى أن يستحقر وان كان ظالما فاسقا قال عمرو بن العاص رحمه الله امام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبى صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فان أحسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان أساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل من أنكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل أى الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة أموال المسلمين ونظرة الى سلامة أبدانهم فيطلع فى صحيفته فيغفر له جميع ذنبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصا يقصون *(الركن الثانى من أركان الشكر ما عليه الشكر)* وهو النعمة فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فان احصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم أمورا كلية تجرى مجرى القوانين فى معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد والله الموفق للصواب *(بيان حقيقة النعمة وأقسامها)* اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هى السعادة الاخروية وذلك

وتسمية ماسواها نعمة وسعادة اماغلط واما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لاتعين على الآخرة نعمة فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخروية أصدق فكل سبب يوصل الى سعادة الآخرة ويعين عليها اما بواسطة واحدة أو بوسائط فان تسميته نعمة صحيحة وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات *(القسمة الاولى)* ان الامور كلها بالاضافة الينا تنقسم الى

ماهو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ماهو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ماينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوات والى مايضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي البصائر وتظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع اذا وجد عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا واذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق اليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة و يتقلد المنة ممن يهديه اليه ويقربه منه ويهيء له أسبابه فلذلك تمنع الام ولدها من الحجامة والاب يدعوه اليها فان الاب لكمال عقله يلمح العاقبة والام لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال والصبي لجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه و يأنس اليها والى شفقتها و يقدر الاب عدواله ولو عقل لعلم أن الام عدو باطنا في صورة صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى أمراض وآلام أشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك تعمل به مالا يعمل به العدو

وذلك هو الخير المحض والفضيلة الصدق وهو أربعة أشياء بقاء بلا فناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر (وتسمية ماسواها نعمة وسعادة اماغلط واما مجاز) اما لكونه معاونا في بلوغ ذلك أو قائما فيه (كتسمية السعادة الدنيوية التي لاتعين على الآخرة نعمة فان ذلك غلط) محض (وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا) في حد ذاته (ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخروية أصدق فكل سبب يوصل الى سعادة الآخرة ويعين عليها اما بواسطة واحدة أو بوسائط) متعددة (فان تسميته نعمة صحيح وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية) وكل ماأفضى الى النعمة نعمة كما ان كل ماأعان على خير وسعادة فهو خير وسعادة (والاسباب المعينة) على الخير (واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات) *(القسمة الاولى)* (ان الامور) التي هي معينة ونافعة في بلوغ السعادة الاخروية (كلها بالاضافة الينا) متفاوتة الاحوال وهي (تنقسم الى ماهو نافع) في جميع الاحوال على كل وجه (في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ماهو ضار فيهما جميعا) في سائر الاحوال وعلى كل وجه (كالجهل وسوء الخلق والى ماينفع في الحال) و لكن (يضر في المآل) فهو نفع في حال دون حال وعلى وجه دون وجه وذلك (كالتلذذ باتباع الشهوات) والاخلاد اليها (والى مايضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل) فهو ضرر في حال دون حال وعلى وجه دون وجه وذلك (كقمع الشهوات ومخالفة النفس) فالاقسام أربعة (فالنافع في الحال وفي المآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار منهما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما) كالجهل وسوء الخلق (والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي الابصار و يظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع اذا وجد عسلا فيه سم) ساعة (فانه يعده نعمة ان كان جاهلا) به (واذا علمه علم ان ذلك بلاء سيق اليه) فيجتنبه (والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع) أي الكريه (في الحال المر مذاقه) أي طعمه (الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء) سيق اليه (والعاقل) الكامل (يعده نعمة و يتقلد المنة ممن يهديه اليه و يقربه منه و يهيء له أسبابه) و يمكنه منه (فلذلك تمنع الام ولدها من الحجامة) في البلاد الحارة (والاب يدعوه اليها فان الاب لكمال عقله يلمح العاقبة) أي المآل (والام لفرط حبها) له (وقصورها) في عقلها (تلحظ الحال) دون المآل (والصبي لجهله يتقلد منة أمه دون أبيه و يأنس اليها و) يميل (الى شفقتها و يقدر الاب عدواله ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق) فهي كما قال القائل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

(لان منعها اياه) أي ولدها (من الحجامة) في الوقت المحتاج (يسوقه الى امراض وآلام أشد من الحجامة) فيما بعد (ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل) فان عقل العدو ربما يصده عن كثير مما يعادي به (وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك يعمل به مالا يعمل به العدو) فحق العاقل أن يعرف تلك الامور بحقائقها حتى لا يقع الخطأ عليه في اختياره الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس والناس في مجاريها طالب خير وهارب من شر كما قال الشاعر

(قسمة ثانية) اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن تنقسم الى ما نفعه أكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ما ضره أكثر من نفعه فى حق أكثر الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافئ ضرره نفعه وهذه أمور تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر فينفقه فى سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة فى حقه ورب انسان يستضر بالقليل أيضا اذ لايزال مستصغراله شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء فى حقه *(قسمة ثالثة)* اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى ماهو مؤثر لذاته لا لغيره والى مؤثر لغيره والى مؤثر لذاته ولغيره *فالاول ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الاخرى التى لا انقضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها *الثانى ما يقصد لغيره ولا غرض أصلا فى ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجة لو كانت لا تنقضى بها لكانت هى والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايصال اليها صارت عند الجهال محبوبة فى نفسها حتى يجمعوها ويكنزوها ويتصارفوا عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذى يجمع بينه وبينه ثم ينسى فى محبة الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال *الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين الى لقاء الله تعالى أو ليتوصل بها الى استيفاء لذات الدنيا وتقصد أيضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن الشئ الذى تراد سلامة الرجل لاجله فيريد أيضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر

كل يحاول حيلة يرجو بها * دفع المضرة واجتلاب المنفعه
والمرء يغلط فى تصرف حاله * فلربما اختار العناء على الدعه

لكن قد يحسب الشحم فيمن شحمه ورم ويقدر فى الشئ انه رزق نافع وحشوه سم ناقع فلذلك يحق على العاقل أن يجلى بصيرته ويعرف من كل ما يطلب حقيقته لئلا يكون كمن يريد حبلا ينتطق به فرأى حية فظنها مبتغاه فاخذها فلدغته *(قسمة ثانية)* (اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها) لشدة الاختلاط وذلك (كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن ينقسم) ذلك (الى ما نفعه أكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ما ضره أكثر من نفعه فى حق أكثر الاشخاص كالمال الكثير) الزائد فى الكفاية (والجاه الواسع) عند ذوى الاموال (والى ما يكافئ) أى يقابل (ضرره نفعه وهذه أمور تختلف باختلاف الاشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر فينفقه فى سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة فى حقه) اذ لم يطغه (ورب انسان يستضر بالقليل) من المال (أيضا اذ لا يزال مستصغرا له) أى مستحقرا (شاكيا من ربه) فى خلوته وجلوته غير راض عنه فيما قسمه له (طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان) وقلة التوفيق (بلاء فى حقه) فحق العاقل أن يتحرى فى تلك الامور ويعطى النعم استحقاقها *(قسمة ثالثة)* (اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى ماهو مؤثر لذاته والى) ماهو (مؤثر لغيره) لا لذاته (والى) ماهو (مؤثر لذاته ولغيره) معا (فالاول) من الاقسام (ما يؤثر لذاته لا لغيره) وهو (كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه) وكذلك السعادة النفسية (وبالجملة سعادة الآخرة التى لا انقضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها *الثانى) من الاقسام (ما يقصد لغيره ولا غرض أيضا فى ذاته) وهذا (كالدراهم والدنانير فان الحاجات) الضرورية (لو كانت لا تنقضى بها لكانت هى والحصباء بمثابة واحدة) أى بمنزلة سواء (ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايصال اليها) كما قال القائل

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فارسل رسولا هو الدرهم

(صارت عند الجهال محبوبة فى أنفسها حتى) انهم (يجمعونها ويكنزونها) ويتقاتلون عندها (ويتصارفون عليها بالربا ويظنون انها مقصودة) لذاتها (ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذى يجمع بينه وبينه ثم ينسى فى محبة الرسول) الذى هو الواسطة (محبة الاصل) الذى هو المحبوب (فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال *الثالث) من الاقسام (ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين الى لقاء الله تعالى) وهو قصد العارفين (أو ليتوصل بها الى استيفاء لذات) الدنيا وهو قصد الجاهلين (وتقصد أيضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن الشئ الذى تراد سلامة الرجل لاجله فيريد أيضا سلامة الرجل) وصحتها (من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر

لذاته

لذاته ولغيره أيضا فهو نعمة ولكن دون الاول فاما مالا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان فى أنفسهما من حيث انهما جوهران بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة فى حق من يقصد أمرا ليس يمكنه أن يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التى هى ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء فى حقه ولا يكونان نعمة (قسمة رابعة) اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع ولذيذ وجميل فاللذيذ هو الذى تدرك راحته فى الحال والنافع هو الذى يفيد فى المآل والجميل هو الذى يستحسن فى سائر الاحوال والشرور أيضا تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذى اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة أما فى الخير فكالعلم والحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة وأما فى الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحس الجاهل بألم جهله اذا عرف انه جاهل وذلك بأن يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال فى عذاب دائم لا محالة والضرب الثانى المقيد وهو الذى جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع المتأ كلة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع فقد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح فى الحال الى أن يحين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كالقاء المال فى البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال نافع للنفس فى نجاتها والنافع قسمان ضرورى كالايمان وحسن الخلق فى الايصال الى سعادة الآخرة وأعنى بهما العلم والعمل اذ لا يقوم مقامهما

لذاته ولغيره أيضا فهو نعمة ولكن دون الاول) فى الرتبة (فاما مالا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان فى أنفسهما من حيث انهما جوهران بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة فى حق من يقصد أمرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التى هى ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما) عنده (عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء فى حقه ولا يكونان نعمة) فحق العاقل ان يكتفى بالقدر الضرورى منهما

(قسمة رابعة)

(اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع ولذيذ وجميل فاللذيذ هو الذى تدرك راحته فى الحال والنافع هو الذى يفيد فى المآل والجميل هو الذى يستحسن فى سائر الاحوال والشرور أيضا تنقسم الى ضار ونافع وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد والمطلق هو الذى اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة أما فى الخير فكالعلم والحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة وأما فى الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحس الجاهل بالم جهله اذا عرف انه جاهل) وذلك (بان يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر) وايثار الراحة والدعة وغيرهما من (الشهوات البدنية من التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال فى عذاب دائم لا محالة والضرب الثانى مقيد وهو الذى جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض) أى شيأ من أوصاف الخيرات وشيأ من أوصاف الشرور (فرب نافع) مؤذ (مؤلم كقطع الاصبع الزائدة) وفى نسخة المتآكلة (والسلعة الخارجة من البدن) كجدع قصير أنفه فانه وان نفعه فى ادراك الثار فقد آذاه (ورب نافع قبيح كالحمق) وهو فساد جوهر العقل (فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح فى الحال الى ان يحين وقت هلاكه) فهذا وان نفعه باعتبار ذلك فهو جدا قبيح (ورب نافع من وجه ضار من وجه كالقاء المال فى البحر عند خوف الغرق) أى لمن فى سفينة نخاف الغرق فالقى متاعه فى الماء فتخلصت السفينة (فانه ضار للمال نافع للنفس فى نجاتها) والوجهان مختلفان وكل ما نفعه وجماله ولذته أطول مدة وأعم عائدة فهو افضل * فان قيل ما الفرق بين الخير والسعادة والفضيلة والنافع فاعلم ان الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الذى يتشوقه كل عاقل بل الكل ٧ بلا شهوية ويضاده الشر وهو المحترز من أجل نفسه والمحترز غيره من أجله والسعادة المطلقة حسن الحياة فى الآخرة وهى الاربع التى تقدم ذكرها وقد يقال لما يتوصل به الى هذه الاربع سعادة ويضادها الشقاوة وأما الفضيلة فاسم لما يحصل به الانسان مزية على الغير بان يتوصل به الى السعادة ويضادها الرذيلة وأما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير (و) اذا علمت ذلك فاعلم ان (النافع قسمان ضرورى) وهو مالا يمكن الوصول أى المطلوب الا به (كالايمان وحسن الخلق فى الايصال الى سعادة الآخرة وأعنى بهما العلم والعمل) الصالح للمكلفين (اذ لا يقوم مقامهما

البتة غيرهما والى مالا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا فى تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينها أيضا بما يقوم مقامه (قسمة خامسة)
اعلم أن النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع عقلية وبدنية مشتركة
مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات أما العقلية فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها السمع

أى البتة غيرهما والى مالا يكون ضروريا) وهو الذى قد يسد غيره مسده (كالسكنجبين مثلا فى تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينها أيضا بما يقوم مقامه) وكل نافع فقد يسمى فضيلة وسعادة وخيرا لكونه مبلغا الى ذلك والله أعلم

(قسمة خامسة)

(اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع) لذة (عقلية و) لذة (بدنية) وهى على قسمين اما (مشتركة مع بعض الحيوانات و) اما (بدنية مشتركة) مع جميع الحيوانات (أما) اللذة (العقلية فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه أقل اللذات وجودا وهى أشرفها أما قلتها فلان العلم لا يستلذه الا العالم والحكمة لا يستلذها الا الحكيم وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسمهم وأما شرفها فلانها لازمة لا تزول أبدا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ودائمة لا تمل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستثقل) ولو أنه لا عمل منها (والعلم والحكمة قط لا يتصور أن تمل وتستثقل) فحق العاقل أن يرغب الى الله فى أن يعطيه ما فيه مصلحة مما لا سبيل له بنفسه الى اكتسابه وأن يبذل جهده مستعينا بالله فى اكتساب ماله كسبه و بلوغ الاعلى فالاعلى منه على الترتيب فبذلك يشرف (ومن قدر على الشريف الباقى أبد الآباد اذا رضى بالخسيس الفانى فى أقرب الآماد فهو مصاب فى عقله محروم بشقاوته وادباره) ومن ضيع أنفس المقتنيات مع التمكن من تحصيله فهو دنىء الهمة راض بخسيس الحال (وأقل أمر فيه ان) كلا من (العلم والعقل) اذا حصل لا يغيب و (لا يحتاج) فى حفظه (الى أعوان وحفظة بخلاف المال) وغيره من المقتنيات الحالية (اذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق والمال يصرف والولاية يعزل عنها والعلم لا تمتد اليه أيدى السراق بالاخذ ولا أيدى السلاطين بالعزل فيكون صاحبه فى روح الامن أبدا وصاحب المال والجاه فى كرب الخوف أبدا) وتقدم الكلام على ضده المجمل تفصيلا فى كتاب العلم (ثم العلم نافع ولذيذ وجميل) عاجلا وآجلا ومطلقا (فى كل حال أبدا) أى فى كل زمان وكل مكان ولذا كان أفضل الفضائل النفسية (والمال) وكذا الجاه وهما من الخيرات المتوسطة (تارة يجذب الى الهلاك) اذا كان مع الجهل (وتارة يجذب الى النجاة) اذا كان مع العلم (ولذلك ذم الله تعالى المال فى القرآن فى مواضع) كثيرة ونبه على كونه سببا للشر فقال انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم الآية ولذلك قيل السعيد هو الخبير العاقل غنيا كان أو فقيرا قويا كان أو ضعيفا (وان سماه خيرا فى مواضع) كقوله تعالى ان ترك خيرا ولكنه قد يكون خيرا لبعض الناس وشرا لبعضهم فمعلوم انه كان شرا لمن قال تعالى فيه الذى جمع مالا وعدده يحسب ان ماله أخلده (وأما قصور أكثر الخلق عن ادراك لذة العلم) والحكمة (فاما لعدم الذوق) وهو تناول الشئ بالفم لادراك الطعم هذا هو الاصل (ومن لم يذق لم يعرف ولم يشتق اذ الشوق تبع للذوق) واليه الاشارة بقول القائل

ولو يذوق عاذلى صبابتى * صبا معى لكنه ما ذاقها

(واما لفساد أمزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات) فان لها تأثيرا ظاهرا فى تغيير الامزجة

والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه أقل اللذات وجودا وهى أشرفها أما قلتها فلان العلم لا يستلذه الا العالم والحكمة لا يستلذها الا الحكيم وما أقل اهل العلم والحكمة وما أكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم وأما شرفها فلانها لازمة لا تزول أبدا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ودائمة لا تمل فالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستثقل والعلم والحكمة قط لا يتصور أن تمل وتستثقل ومن قدر على الشريف الباقى أبد الآباد اذا رضى بالخسيس الفانى فى أقرب الآماد فهو مصاب فى عقله محروم لشقاوته وادباره وأقل أمر فيه ان العلم والعقل لا يحتاج الى أعوان وحفظة بخلاف المال اذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق والولاية يعزل عنها والعلم لا تمتد اليه أيدى السراق بالاخذ ولا
أيدى السلاطين بالعزل فيكون صاحبه فى روح الامن أبدا وصاحب المال والجاه فى كرب الخوف (كالمريض
أبدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل فى كل حال أبدا والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال فى القرآن فى
مواضع وان سماه خيرا فى مواضع وأما قصور أكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق اذ الشوق تبع
الذوق واما لفساد أمزجتهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات

كالمريض الذى لايدرك حلاوة العسل ويراه مرا وأما القصور ففطنتهم اذلم تخلق لهم بعد الصفة التى بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذى لايدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لايدل على انها ليست لذيذة ولا استطابته اللبن تدل على انه ألذ الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة امامن لم يحى باطنه كالطفل واما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات واما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى فى قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله عزوجل لينذر من كان حيا اشارة الى من لم يحى حياة باطنة وكل حى بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وان كان عند الجهال من الاحياء ولذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالابدان * الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود فى الاسد والنمر وبعض الحيوانات * الثالثة مايشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهى أخسها ولذلك اشترك فيها كل مادب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبثت به لذة الغلبة وهو أشدها التصاقا بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لاسيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب وآخر مايخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة وأما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياسة لايقوى على كسرها الا الصديقون فأما قمعها بالكلية حتى لايقع بها الاحساس على الدوام وفى اختلاف الاحوال فيشبه أن يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى فى أحوال لايقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لايدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لاتقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى أربعة أقسام قلب لايحب الا الله تعالى ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لايدرى مالذة المعرفة ومامعنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الانس بالله سبحانه والتلذذ

(كالمريض الذى لايدرك حلاوة العسل ويراه مرا) كما قال المتنبى

ومن يك ذافم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

(وأما القصور ففطرتهم) التى فطروا عليها (اذلم تخلق لهم بعد الصفة التى بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذى لايدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لايدل على انها ليست لذيذة ولا استطابته اللبن يدل على انه ألذ الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة امامن لم يحى بعد باطنه كالطفل) فانه غير متهيئ لذلك (واما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات) فانها تميت القلوب (واما من مرض بسبب اتباع الشهوات) ولم يمت بعد فكل هؤلاء قاصرون عن درك اللذة المعنوية (وقوله تعالى) فى حق المنافقين (فى قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله تعالى لينذر من كان حيا اشارة الى من لم يحى حياة باطنة) وليس المراد به الحياة الظاهرة (وكل حى بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى) أى يعد منهم (وان كان) هو (عند الجهال) يعد (من الاحياء ولذلك كان الشهداء) فى سبيل الله (احياء عند ربهم يرزقون فرحين) كما أخبر بذلك عنهم الله تعالى (وان كانوا موتى بالابدان الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء) والقهر (وذلك موجود فى الاسد والنمر وبعض الحيوانات) من السباع والوحوش (الثالثة مايشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهى أخسها) رتبة (ولذلك اشترك فيها كل مادب) على الارض (ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبثت به لذة الغلبة وهى أشدها التصاقا بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالث فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لاسيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين) وخرج العارفون من الدنيا ولم يذوقوا أطيب من هذا (ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب وآخر مايخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة) كما قاله سهل رحمه الله تعالى (وأما شره البطن والفرج فكسره) وقهره (مما يقوى عليه الصالحون) من عباد الله تعالى (وشهوة الرياسة لايقوى على كسرها) وفى نسخة قهرها (الا الصديقون فأما قمعها بالكلية حتى لايقع بها الاحساس على الدوام وفى اختلاف الاحوال فيشبه أن يكون خارجا عن مقدور البشر) اذلابد من معاودة فى بعض الاحوال بمقتضى ماجبل عليه البشر (ثم تغلب لذة معرفة الله تعالى فى أحوال لايقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لايدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة لكن تكون مقهورة) بالعقل (لاتقوى على حمل النفوس على العدول عن) منهج (العدل) المأموربه (وعند هذا تنقسم القلوب الى أربعة أقسام قلب لايحب الا الله ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لايدرى مالذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الانس بالله والتلذذ

بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى أوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية و يعتريه في بعض الاحوال تلذذ بالعلم والمعرفة أما الاول فان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد وأما الثاني فالدنيا طافحة به وأما الثالث والرابع فوجودان ولكن على غاية الندور ولا يتصور أن يكون ذلك الا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وانما تكون كثرته في الاعصار القريبة من أعصار الانبياء عليهم السلام فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقرب الساعة

و يقضي الله أمرا كان مفعولا وانما وجب أن يكون هذا نادرا لانه مبادي ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال الا نادرا وأكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فان الدنيا مرآة الآخرة فانها عبارة عن عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما أن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وان كانت هي الثانية في رتبة الوجود فانها أولى في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة أولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شئ من عالم الملك الا و يعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الخلق به تعالى فقال فاعتبروا يا أولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وسينفتح الى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء نارا من شأنها أن تطلع على الافئدة الا ان بينه و بين ادراك ألمها حجابا فاذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم والجماعة

بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى أوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية و يعتريه في بعض الاحوال تلذذ بالعلم والمعرفة أما الاول وان كان ممكنا في الوجود) لا يستحيله العقل (فهو في غاية البعد وأما الثاني فالدنيا طافحة به) أي ممتلئة (وأما الثالث والرابع فوجود ولكن على غاية الندور ولا يتصور ان يكون الا نادرا شاذا) قليل الوجود (وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة وانما تكون كثرته في الاعصار القريبة من أعصار الانبياء عليهم السلام) لكثرة الانوار فيها (فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقرب الساعة و يقضي الله أمرا كان مفعولا وانما وجب أن يكون هذا نادرا لانه مبادي ملك الآخرة والملك عزيز والملوك) يقلون و (لا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال) في الدنيا (الا نادرا وأكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فان الدنيا مرآة الآخرة) بها يتراءى ما في الآخرة (فانها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب) المختص (وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما ان الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وان كانت هي الثانية في رتبة الوجود فانها أولى في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة أولا فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعا في المعرفة وانقلب المتأخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس) غريب المعنى (ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت) وفي هذا العالم عجائب تستحقر اليها بالاضافة الى عالم الشهادة وهو بالاضافة الى عالم الملكوت كالقشرة بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة بالاضافة الى النور وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك يسمى العالم العلوي والروحاني والنوراني وفي مقابلته العالم السفلي والجسماني والظلماني قال الله تعالى وعنده مفاتح الغيب أي من عنده تنزل أسباب الموجودات في عالم الشهادة اذ عالم الشهادة أثر من آثار ذلك العالم يجري منه مجرى الظل بالاضافة الى الشخص ومجرى الثمر بالاضافة الى المثمر والمسبب بالاضافة الى السبب ومفاتيح معرفة المسببات لا تؤثر من الاسباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم الملكوت والمشبه لا يخلو من موازاة الشبه ومحاكاته نوعا من المحاكاة على قرب أو على بعد فلو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقي من أحدهما الى الآخر فجعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شئ من هذا العالم الا وهو مثال شئ من ذلك العالم وربما كان الشئ الواحد مثالا لاشياء من الملكوت وربما كان للشئ الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا ماثله نوعا من المماثلة وطابقه نوعا من المطابقة (فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شئ من عالم الملك) والشهادة (الا و يعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره) ذلك (عبرة) وهو بالكسر من الاعتبار (وقد أمر الخلق به فقال فاعتبروا يا أولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وسينفتح الى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملئ نارا) أوقدها الله تعالى (شأنها ان تطلع على الافئدة) أي تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها (الا ان بينه و بين ادراك ألمها حجابا فاذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك) الالم (وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم) من أهل السنة

استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجحيم تدرك مرة بادراك يسمى علم اليقين ومرة بادراك آخر يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون الا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفروا حظهم من نور اليقين فلذلك قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم أي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين أي في الآخرة فاذا قد ظهر أن القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون الاعز يزا كالشخص الصالح لملك الدنيا *(قسمة سادسة)* حاوية لمجامع النعم اعلم أن النعم تنقسم الى ماهي غاية مطلوبة لذاتها والى ماهي مطلوبة لاجل الغاية أما الغاية فانها سعادة الآخرة و يرجع حاصلها الى أربعة أمور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الآخرة وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس وذلك في وقت حفر الخندق في شدة الضر وقال ذلك مرة في السرور ومنعا للنفس من الركون الى سرور الدنيا وذلك عند احداق الناس به في حجة الوداع وقال رجل اللهم اني أسألك تمام النعمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهل تعلم ماتمام النعمة قال لا قال تمام النعمة دخول الجنة وأما الوسائل فتنقسم الى الاقرب الاخص كفضائل النفس والى مايليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني والى مايليه في القرب و يجاوز الى غير البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من المال والاهل والعشيرة والى مايجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس و بين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية فهي اذا أربعة أنواع *(النوع الاول وهو الاخص)* الفضائل النفسية و يرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها الى الايمان وحسن الخلق و ينقسم الايمان الى علم المكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته و رسله والى علوم المعاملة وحسن الخلق ينقسم

والجماعة (استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان) وهما موجودتان الآن فالجنة فوق السموات والنار تحت الارضين (ولكن الجحيم تدرك مرة بادراك يسمى علم اليقين) وهو ما أعطاه الدليل مقصور الامر على ماهو عليه (ومرة بادراك آخر يسمى عين اليقين) وهو ما أعطته المشاهدة والكشف (وعين اليقين لا يكون الا في الآخرة) لانها محل الشهود والكشف (وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفروا حظهم من نور اليقين) وهو مشاهدة الغيوب بصفات القلوب وملاحظة الاسرار بمحافظة الافكار (فلذلك قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم أي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين أي في الآخرة فاذا قد ظهر ان القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون الاعز يزا كالشخص الصالح لملك الدنيا)

(قسمة سادسة حاوية لجميع النعم)

الموهوبة والمكتسبة (اعلم ان النعم) وان كانت لا تحصى مفصلة فانها بالقول المجمل خمسة أنواع و بيان ذلك انها (تنقسم الى ماهي غاية مطلوبة لذاتها والى ماهي مطلوبة لاجل الغاية أما الغاية فانها سعادة الآخرة) وهي أعلاها وأشرفها واياها قصد بقوله تعالى وأما الذين سعدوا ففي الجنة الآية (و يرجع حاصلها الى أربعة أمور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر بعده) ومنهم من ذكر بدل الجملة الثانية وقدرة لا عجز عنها (وهي الخير) المحض والفضيلة الصرف (والنعمة الحقيقية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم) اللهم (لا عيش الا عيش الآخرة وقال ذلك) مرتين (مرة في) حال (الشدة تسلية للنفس وذلك وقت حفر الخندق في شدة الضر) وهذا قد رواه الطيالسي وأحمد والشيخان والثلاثة من حديث أنس ورواه أيضا أحمد والشيخان من حديث سهل بن سعد وفي لفظ اللهم لا خير الا خير الآخرة وروى الحاكم من حديث أنس اللهم لا خير الا خير الآخرة فبارك في الانصار والمهاجره (وقال ذلك مرة في) حال (السرور ومنعا للنفس من الركون الى سرور الدنيا وذلك عند احداق الناس به في حجة الوداع) روى ذلك مرسلا ورواه الحاكم متصلا وصححه وتقدم في كتاب الحج وروى الحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس لبيك اللهم لبيك انما الخير خير الآخرة (وقال رجل اللهم اني أسألك تمام النعمة فقال صلى الله عليه وسلم وهل تعلم ماتمام النعمة قال لا قال دخول الجنة) قال العراقي رواه الترمذي من حديث معاذ بسند حسن انتهى قلت ورواه الطبراني بلفظ أتدري ماتمام النعمة تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار (وأما الوسائل) التي يتوصل بها الى الغاية (فتنقسم الى الاقرب الاخص كفضائل النفس) وهو الاول (والى مايليه في القرب كفضائل البدن) وهو الثاني (والى مايليه في القرب و يجاوز الى غير البدن) كالاسباب المطيفة بالبدن من المال (والاهل والعشيرة) وهو الثالث (والى مايجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس و بين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية) وهو الرابع (فهي اذا أربعة أنواع) النفسية والبدنية والخارجية والتوفيقية وهي مع السعادة الاخروية خمسة أنواع (النوع الاول وهو الاخص) الاقرب (الفضائل النفسية) ولا يمكن الوصول الى السعادة الاخروية الا باكتسابها واستعمالها كما قال تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها الآية وأصول ذلك أربعة أشياء العقل وكماله العلم والعفة وكمالها الورع والشجاعة وكمالها المجاهدة والعدالة وكمالها الانصاف وقد فصله المصنف بقوله (و يرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها الى) أصلين عظيمين (الايمان وحسن الخلق و ينقسم الايمان الى علم المكاشفة وهو العلم بالله وصفاته وملائكته ورسله والى علم المعاملة) وهو مجاهدة البدن في الطاعات (وحسن الخلق ينقسم

الى قسمين ترك مقتضى الشهوات والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل فى الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لايمتنع أصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقدامه واحجامه بالميزان العدل الذى أنزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالى أن لا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فمن خصى نفسه ليزيل شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والامن من الآفات أو ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان ومن انهمك فى شهوة البطن والفرج فقد طغى فى الميزان وانما

العدل أن يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان فاذا الفضائل الخاصة بالنفس المقربة الى الله تعالى أربعة علم مكاشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا فى غالب الامر الا بالنوع الثانى وهو الفضائل البدنية وهى أربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الامور الاربعة الا بالنوع الثالث وهى النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهى أربعة المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشئ من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع وهى الاسباب التى تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهى أربعة هداية الله ورشده وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها الى أربعة وقسمنا كل واحدة من الاربعة الى أربعة وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض اما حاجة ضرورية اونافعة أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل الى الوصول الى سعادة الآخرة البتة الا بهما فليس للانسان الا ما سعى وليس لاحد فى الآخرة الا ما تزوّد من الدنيا فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكسب هذه العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضرورى وأما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة (فان قلت) فما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم الخارجة من المال والاهل

الى قسمين) أحدهما ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه (العفة و) الثانى (مراعاة العدل فى الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لايمتنع أصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقدامه واحجامه بالميزان العدل الذى أنزل الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالى) والسماء رفعها ووضع الميزان (ألا تطغوا فى الميزان) أى لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانفاق (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) أى لا تنقصوه (فمن خصى نفسه لترك شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والامن من الآفات أو ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان) فان كل ذلك غير مناسب لميزان العدالة (ومن انهمك فى شهوة البطن والفرج فقد طغى فى الميزان) واعتدى (وانما العدل) الحقيقى الذى به قامت السموات والارض (ان يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان) على السواء (فاذا الفضائل الخاصة بالنفس المقربة الى الله تعالى أربعة علم مكاشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة) فكمال علم المكاشفة العلم وكمال علم المعاملة المجاهدة وكمال العفة الورع وكمال العدالة الانصاف وهى المعبر عنها بالدين (ولا يتم هذا فى غالب الامر الا بالنوع الثانى وهو الفضائل البدنية وهى أربعة) أشياء (الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الامور الاربعة الا بالنوع الثالث وهى النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهى أربعة) أشياء (المال والاهل والجاه) ومنهم من ذكر العز بدله (وكرم العشيرة ولا ينتفع بشئ من هذه الاسباب الخارجة والبدنية) ولا سبيل الى تحصيلها (الا بالنوع الرابع) الذى هو توفيق الله عز وجل (وهى الاسباب التى تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهى أربعة) أشياء (هداية الله ورشده وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ست عشرة اذ قسمناها الى أربعة وقسمنا كل واحد من الاربعة الى أربعة) ويجمع ذلك خمسة أنواع هى عشرون ضربا ليس للانسان مدخل فى اكتسابها الا فيما هو نفسى فقط ثم أشار المصنف الى حاجة بعض هذه الفضائل الى بعض فقال (وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى بعض اما حاجة ضرورية) بحيث لو لم يوجد ذلك لم يصح وجود الآخر (أو) حاجة (نافعة) بحيث لو لم توجد لاختل حال الآخر (أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن الخلق) وهى الفضائل النفسية (اذ لا سبيل الى الوصول الى سعادة الآخرة) الحقيقية (ألبتة الا بهما) أى باكتسابهما (فليس للانسان الا ما سعى) وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى (وليس لاحد فى الآخرة الا ما تزود من الدنيا) ولذلك قال الله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها الآية فبين ان لا مطمع لمن أراد الوصول اليها الا بالسعى (فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكسب العلوم) النافعة (وتهذيب الاخلاق) وتصفيتها من الرذائل (الى صحة البدن وقوته ضرورى) لانه لا سبيل الى تحصيلها الا بها (وأما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم) والفضائل (النفسية والبدنية الى النعم الخارجة) المطيفة بالانسان (مثل المال والعز والاهل) وكرم العشيرة فانها لا تغنى عنها (فان ذلك لو عدم) وأمكن ان يتصور حصولها لمن ليس له ذلك (ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة فان قلت فما وجه الحاجة لطريق الآخرة) وحصول سعادتها (الى النعم الخارجة) المطيفة بالبدن (من المال والاهل والجاه

والجاه والعشيرة فاعلم أن هذه الاسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود أما المال فالفقير فى طلب العلم والكمال وليس له كفاية كساع الى الهيجا بغير سلاح وكبازى يروم الصيد بلا جناح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال صلى الله عليه وسلم نعم العون على تقوى الله المال وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات فى طلب الاقوات وفى تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعيم فقال الغنى فانى رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال الامن فانى رأيت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال العافية فانى رأيت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فانى رأيت الهرم لا عيش له وكان ما ذكره اشارة الى نعيم الدنيا ولكن من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وأما الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة وقال صلى الله عليه وسلم فى الولد اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد فى كتاب

والجاه والعشيرة) وما نفعها فى بلوغها (فاعلم ان هذه الاسباب جارية مجرى الجناح) للطائر (المبلغ) لحاجته (و) بمنزلة (الآلة المسهلة للمقصود) وان لم تكن الحاجة اليها فى بلوغ ذلك ضرورية (فاما المال فالفقير) المعدم (فى طلب العلم والكمال) وتحرى المكارم (وليس له كفاية) هو (كساع الى الهيجاء بغير سلاح) والهيجاء ميدان الحرب فمن سعى اليها بغير سلاح فأحرى به ان يخفق سعيه وهو مصراع بيت (وكباز يروم الصيد بلا جناح) فكيف يصطاد وفضله مغطى كماء تحت أرض ونار كامنة فى صخر وما أصدق ما قال الشاعر

والمرء يرفعه الغنى * والفقر منقصة وذل

وقال آخر

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

(ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح) رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من حديث عمرو بن العاص بسند حسن وقد تقدم (وقال) صلى الله عليه وسلم (نعم العون على تقوى الله المال) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر ورواه أبو القاسم البغوى من رواية ابن المنكدر مرسلا ومن طريقه رواه القضاعى فى مسند الشهاب هكذا مرسلا انتهى قلت ورواه أيضا ابن لال فى مكارم الاخلاق من حديث جابر (كيف ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات فى طلب القوت وفى تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض) بسبب قلة المال (لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر) والمراقبة (ولا تندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك) بفقدان المال يشكل بلوغ الفضائل فمن ذلك انه (يحرم فضيلة الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات) وكثيرا من القرب (وقال بعض الحكماء و) قد (قيل له ما النعيم فقال الغنى فانى رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال العافية فانى رأيت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فانى رأيت الهرم لا عيش له) نقله صاحب القوت الا انه زاد بعد العافية قيل زدنا قال الامن فانى رأيت الخائف لا عيش له وقال فى آخره قيل زدنا قال لا أجد مزيدا ثم قال وبعض ما ذكره هو أحد الوجوه فى قوله تعالى أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا قيل الشباب وقيل الفراغ ويقال الامن والصحة (وكان ما ذكر اشارة الى نعيم الدنيا ولكنه من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) هكذا أورده صاحب القوت وقد رواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى الدرداء بهذا السياق ولم يقل بحذافيرها وفى آخره زيادة ورواه البخارى فى الادب المفرد والترمذى وقال حسن غريب وابن ماجه والطبرانى من رواية سلمة بن عبيد الله بن محصن الخطمى عن أبيه رفعه من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وقد تقدم فى كتاب الكسب والمعاش (وأما الاهل) كالزوجة والاقارب (والولد الصالح) وتقييده به موافقة لما فى الحديث (فلا يخفى وجه الحاجة اليهما) فالمرأة مزرعة الرجل قيضها الله ليزرع فيها زرعه كما قال تعالى نساؤكم حرث لكم (اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة) قال العراقى لم أجد له اسنادا ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة اهـ قلت ورواه كذلك أحمد وهناد والنسائى ورواه أبو نعيم وابن عساكر من حديث جابر وروى أيضا أحمد ومسلم وأبو يعلى والحارث بن أبى اسامة من حديث عبد الله بن عمر بلفظ وليس من متاع الدنيا شئ أفضل من المرأة الصالحة (وقال) صلى الله عليه وسلم (فى الولد) أى فى نفعه (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث) رواه أحمد والبخارى فى الادب المفرد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث أبى هريرة اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة الا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وقد تقدم فى كتاب النكاح (وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد فى كتاب

النكاح وأما الاقارب فهما كثر أولاد الرجل وأقاربه كانواله مثل الاعين والايدى فيتيسرله بسببهم من الامور الدنيوية المهمة
فى دينه مالوانفرد به لطال شغله وكل مايفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهواذا نعمة وأما العزوالجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضيم ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوّش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وانما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الاملك القلوب كما لا معنى للغنى الاملك الدراهم ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الاذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج أيضا الى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبياء الذين لاملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم أو الاستئثار والاستكثار فى الدنيا بمتابعتهم ولا تظنن أن نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره وأكمل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن فى القلوب حبه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة (فان قلت) كرم العشيرة وشرف الاهل هو من النعم أم لا (فاقول) نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش

النكاح) فلتراجع هنالك (وأما الاقارب) فنعم العون على بلوغ السعادة (فهما كثر أولاد الرجل وأقاربه) وخالصوه (كانواله مثل الاعين) والآذان (والايدى فيتيسرله بسببهم من الامور الدنيوية المهمة فى دينه مالو انفرد به لطال شغله) وقد قال تعالى حاكيا عن لوط عليه السلام لو ان لى بكم قوّة أو آوى الى ركن شديد وقال الشاعر

ألم تر أن جمع القوم يخشى * وان حريم واحدهم مباح

(وأما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضيم) ويتأبى عن تحملهما ومن لاعزله لا يمكنه أن يذود عن حريمه (ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا ينفك) فى دهره (عن عدوّ يؤذيه و) ان لم يكن له عدوّ فلا يخلو عن (ظالم) غشوم (يشوّش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه و) من المعلوم ان (قلبه رأس ماله) الذى يتجربه (وانما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان) اخوان (توأمان) وقريبان مؤتلفان ومؤديان الى عمارة البلاد وصلاح العباد وقيل أيضا الدين أس والسلطان حارس ومالا أس له فمهدوم ومالا حارس له فضائع وسمى الله تعالى الحجة سلطانا لقهرها أولى البصائر (قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الاملك القلوب) كما تقدم فى كتاب ذم الجاه (كما لا معنى للغنى الاملك الدراهم ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الاذى عنه) فاذا الجاه تبع للمال (فكما يحتاج الانسان) فى تعيشه (الى سقف) يظله من حر الشمس و(يدفع عنه المطر و) الى (جبة و) هى المقطعة من الصوف (تدفع عنه البرد) اذا لبسها (وكلب يدفع الذئب) العادى (عن ماشيته) ان كان من أصحاب المواشى (فيحتاج أيضا الى من يدفع الشر به عن نفسه) ويحكى ان الشافعى رحمه الله تعالى لما ودعه مالك رحمه الله تعالى أوصاه بكلمات منها واتخذ لنفسك جاها لئلا تطالك الاراذل (وعلى هذا القصد كان الانبياء) عليهم السلام (الذين لاملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه) لتمشية أمورهم الدينية (وكذلك علماء الدين) سلفا وخلفا (لا على قصد التناول من خزائنهم أو الاستئثار والاستكثار فى الدنيا بمتابعتهم) حاشاهم الله عن ذلك (ولا تظنن ان نعمة الله) تعالى (على رسوله) صلى الله عليه وسلم (حيث نصره وأكمل دينه) وأتم عليه نعمته (وأظهره على جميع اعدائه ومكن له فى القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كانت) تلك (أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة) من محل مولده قال العراقى رواه الشيخان من حديث عائشة انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت يوم العقبة اذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل الحديث وللترمذى وصححه وابن ماجه من حديث أنس لقد أخفت فى الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ولقد أتى على ثلاثون مابين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد الاشئ يواريه ابط بلال قال الترمذى يعنى هذا حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه بلال وللبخارى عن عروة قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ماصنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبى معيط جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فوضع رداءه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فدفعه عنه الحديث وللبزار وأبى يعلى من حديث أنس قال لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشى عليه فقام أبو بكر ينادى ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله واسناده صحيح على شرط مسلم (فان قلت فكرم العشيرة وشرف الآباء من النعم أم لا فاقول نعم) والمراد بكرم العشيرة الحسب والشرف والشرف أخص مما ثر الآباء والعشيرة ولذلك قيل للعلوية اشراف (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش) قال العراقى رواه النسائى والحاكم من حديث أنس باسناد صحيح اه

قلت ورواه كذلك ابن أبي شيبة والبيهقي ورواه أيضا من حديث علي ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث أبي برزة بزيادة في آخره ورواه الطيالسي وأحمد والنسائي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والضياء من حديث أنس أيضا بزيادة في آخره ورواه الحاكم من حديث علي بزيادة في آخره (ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس ارومة في نسب آدم) الارومة بالضم الاصل قال العراقي وهذا معلوم فروى مسلم من حديث واثلة بن الاسقع مرفوعا ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفي رواية الترمذي ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والمطلب بن ربيعة وصححه والمطلب بن أبي وداعة وحسنه ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم وفي حديث ابن عباس ان الله خلق الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسما وللبزار من حديث ابن عباس ما بال أقوام يبتذلون أصلي فوالله لانا أفضلهم أصلا وخيرهم موضعا واعلم ان الاخلاق نتائج الامزجة ومزاج الاب كثيرا ما يتأدى الى الابن كالالوان والخلق والصور (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم) وانكحوا (الاكفاء) وانكحوا اليهم رواه ابن ماجه من حديث عائشة وقد تقدم في كتاب النكاح وفي لفظ اطلبوا مواضع الاكفاء لنطفكم فان الرجل ربما أشبه أخواله (وقال) صلى الله عليه وسلم (اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء) رواه الدارقطني في الافراد والرامهرمزي والعسكري في الامثال وابن عدي والقضاعي والخطيب في ايضاح الملتبس والديلمي من حديث أبي سعيد وقد تقدم أيضا في كتاب النكاح (فهذا أيضا من النعم ولست أعني به الانتساب الى الظلمة وأرباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أئمة العلماء والى الصالحين الابرار المتوسمين بالعلم والعمل) ومن الناس من لا يعد شرف الاصل فضيلة وقال كما يأتي للمصنف بعد المرء بنفسه لا بابيه واستدل بقول علي رضي الله عنه الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقول الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

وقول الآخر

بجد كل جد لا بجد * وهل جد بلا جد بمجد

وقول الحكيم الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية وليس كما ظن لان كرم الاعمام والاخوال مخيلة لكرم المرء ومظنة له فالفرع وان كان قد يفسد أحيانا فمعلوم ان أصله يورثه الفضيلة والرذيلة وانه لا يكون من النخل الحنظل ولا من الحنظل النخل ولذلك قال الشاعر

وما يك من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطي الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

وقيل

ان السري اذا سرى فبنفسه * وابن السري اذا سرى اسراهما

وما ذكر من نحو قول علي رضي الله عنه الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه حث للناس على اقتباس العلم ونهي عن الاقتصار على مآثر الآباء فان المآثر الموروثة قليلة الغناء ما لم يضامها فضيلة النفس لان ذلك انما يحمد لكي يوجد الفرع مثله ومتى اختلف الفرع وتخلف فانه يخبر باحد شيئين اما بتكذيب من يدعي الشرف لعنصره أو بتكذيبه في انتسابه الى ذلك العنصر وما فيه ما حط لمختار فالمحمود أن يكون الاصل في الفصل راسخا والفرع به شامخا كما قال الشاعر

زانوا قديمهم بحسن حديثهم * وكريم اخلاق وحسن خصال

ومن لم يجتمع له الامران فلان يكون المرء شريف النفس دنيء الاصل أولى من أن يكون دنيء النفس شريف الاصل قال الشاعر

ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة في نسب آدم عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم الاكفاء وقال صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا أيضا من النعم ولست أعني به الانتساب الى الظلمة وأرباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أئمة العلماء والى الصالحين والابرار المتوسمين بالعلم والعمل

فما الشرف الموروث لادر دره * بمحتسب الا بآخر مكتسب

اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة * من المثمرات اعتده الناس فى الحطب

ومتى كان عنصره فى الحقيقة سنيا وهو فى نفسه دنيا فذلك آت امامن اهماله نفسه وشؤمها واما التعوده عادات قبيحة وصحبة اشرار وغيرذلك من العوارض المفسدة للعناصر الكريمة فليس سبب الرذيلة شيأ واحدا (فان قلت فما غناء الفضائل البدنية) وهى الصحة والقوّة والجمال وطول العمر وقد ذكرت انه لاسبيل الى تحصيل الفضائل النفسية الابها وانها لاتغنى عنها فما غناؤها (فأقول لاخفاء بشدة الحاجة الى الصحة والى القوّة والى طول العمر اذلايتم علم ولاعمل الابها) أى بهذه الثلاثة فاما الحاجة الى الاولين فواضح وأما طول العمر فلولاه لقل حظ الانسان من السعادات الدنيوية التى لولاها لما نيلت السعادات الاخروية (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله) وفى بعض النسخ أفضل السعادة طول العمر فى عبادة الله قال العراقى غريب بهذا اللفظ وللترمذى من حديث أبى بكران رجلا قال يارسول الله أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح اهـ قلت ورواه كذلك أحمد وابن زنجويه والطبرانى والحاكم والبيهقى وفى آخره زيادة وشر الناس من طال عمره وساء عمله والجملة الاولى فقط رواها أيضا عبدالله بن بسر مرفوعا أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذى وقال حسن غريب والطبرانى والبيهقى والضياء واعلم انه قد استهان قوم بذلك وقالوا كفى بالمرء أن يكون صحيح البدن بريئا عن الامراض الشاغلة عن تحرى الفضائل العقلية وليس كذلك فالبدن للنفس بمنزلة الآلة للصانع والسفينة للربان اللتين بهما صار صانعا وربانا وجميع أجزاء البدن بالقول المجمل أربعة العظام التى تجرى للبدن مجرى الالواح للسفينة والعصب الذى يجرى مجرى الرباط الذى تشد به الالواح واللحم الذى يجرى مجرى الحشو للرباطات والجلد الذى يجرى مجرى الغشاء لجميعها فاذا اعتدلت هذه الاربعة بان تعتدل فيها القوى الاربع وهى الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة سمى ذلك الصحة ولولا صحة البدن لما حصل انتفاع به وأما القوّة فهى جودة تركيب هذه الاركان الاربعة وهى العظام والعصب واللحم والجلد وما يتبعها وبها يصلح البدن للسعى والتصرف فى أمور الدنيا والآخرة (وانما يستحقر من جلته) أى من جملة هذا النوع (امر الجمال فيقال يكفى أن يكون البدن) صحيحا قويا (سليما من الامراض الشاغلة عن تحرى الخيرات) والفضائل النفسية (ولعمرى الجمال قليل الغنى ولكنه من الخيرات أيضا امافى الدنيا فلايخفى نفعه فيها واما فى الآخرة فمن وجهين أحدهما ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة أقرب وجاهه فى الصدور أوسع فكانه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات) أى تيسيرها (لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فهو معين على الآخرة بواسطتها) فبهذا الاعتبار صار الجمال ينتفع به فى أمور الآخرة (والثانى ان الجمال فى الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه) بالايمان (تأدى الى البدن) اشراقها وكل شخص فله حكمان أحدهما من قبل جسمه وهو منظره والآخر من قبل نفسه وهو مخبره (فالمخبر والمنظر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عوّل أصحاب الفراسة فى معرفة مكارم النفس) وأحوالها الباطنة (على هيآت البدن) وفزعوا اليها (أوّلا فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن) أى تظهر فيها آثار النفس كالمرآة يستدل بها عليها (ولذلك يظهر فيه) أى فى كل من الوجه والعين والاولى فيهما ليرجع الضمير اليهما (اثر الغضب والسرور والغم) والرضا والسخط ولذلك عبر بالوجه عن الجملة وعن أنفس القوم فقيل فلان وجه القوم وعينهم وحتى قال الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وكون الوجه المقبول فى دلالته على فضيلة النفس وان لم يكن حكما لازما فهو على الاعم والاكثر (ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما فى النفس) وقل صورة حسنة تتبعها نفس رديئة فنقش الخواتيم تبدو من

(فان قلت) فما معنى الفضائل البدنية فاقول لاخفاء بشدة الحاجة الى الصحة والقوة والى طول العمر اذلايتم علم وعمل الا بهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله تعالى وانما يستحقر من جلته أمر الجمال فيقال يكفى أن يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة عن تحرى الخيرات ولعمرى الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات أيضا أما فى الدنيا فلا يخفى نفعه فيها وأما فى الآخرة فمن وجهين أحدهما أن القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة أقرب وجاهه فى الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها والثانى أن الجمال فى الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عوّل أصحاب الفراسة فى معرفة مكارم النفس على هيآت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما فى النفس

الطين (وقيل مافى الارض قبيح الاووجهه أحسن مافيه) حكى انه (استعرض المأمون) هوعبدالله ابن هرون العباسى (جيشا فعرض عليه رجل قبيح) الوجه (فاستنطقه فاذاهو الكن فاسقط اسمه) أى أمر باسقاطه (من الديوان) اى من جريدة الخراج (وقال ان الروح ان أشرقت على الظاهر فصباحة أوعلى الباطن ففصاحة وهذا) أراه (ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه) قال العراقى رواه أبو يعلى من رواية اسمعيل بن عياش عن جبرة بنت محمد ابن سباع عن أمها عن عائشة وجبرة وأمها لاأعرف حالهما ورواه ابن حبان من وجه آخر فى الضعفاء من حديثها ورواه البزار والطبرانى وابن عدى وابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر وله طرق كلها ضعيفة اهـ قلت وجدت بخط تلميذه الحافظ ابن حجر فى هامش الكتاب مالفظه جبرة بفتح الجيم وسكون الموحدة قاله الذهبى وقال مشهورة وهى من اتباع التابعين والحديث المذكور أخرجه أبو يعلى والدارقطنى فى المؤتلف فى ترجمة جبرة فى حرف الجيم من طريق اسمعيل بن عياش عنها عن أبيها محمد بن ثابت وليس لامها فى هذا الحديث رواية وكانه وقع فى النسخة التى نقل منها شيخنا تصحيف أبيها فصار عن أمها وأمها غير معروفة كما قال شيخنا وقول الذهبى ان جبرة مشهورة يريد برواية الحديث لا انها معروفة بالتوثيق اهـ قلت ورواه البخارى فى التاريخ فقال حدثنى ابراهيم هو المنذر حدثنا عبد الرحمن ابن أبى بكر المليكى عن امرأته جبرة ابنة محمد بن ثابت بن سباع عن أبيها عن عائشة والمليكى صدوق لكنه ينفرد بما لا يتابع عليه بما لا يحتمل حتى قيل انه متروك ولكنه لم يتهم بالكذب بل توبع فرواه أبو يعلى فى مسنده فقال حدثنا داود بن رشيد حدثنا اسمعيل عن جبرة به ومن طرق هذا الحديث مارواه تمام والطبرانى والبيهقى والخطيب من طريق سفيان الثورى عن طلحة بن عمرو عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس رفعه اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ولفظ تمام التمسوا وطلحة متروك الحديث الا انه لم يتهم بكذب وقيل عنه عن عطاء عن أبى هريرة بدل ابن عباس الا ان ذلك أثبت وأخرج الطبرانى حديث ابن عباس من طريق مجاهد عنه وقال أراه رفعه ورجاله موثقون الا عبد الله بن خراش بن حوشب مع ان ابن حبان وثقه ولكنه ربما أخطأ وضعفه غيره وبما ذكرنا ظهر انه لا يتهيأ الحكم على المتن بالوضع كما أشار اليه الحافظ ابن حجر ومن طرق هذا الحديث مارواه الطبرانى من طريق يزيد بن خصيفة عن أبيه عن جده مرفوعا بلفظ التمسوا وكذا هو عند أبى يعلى وله طرق عن أنس وجابر وابن عمر ويزيد المستملى وأبى بكرة وأبى هريرة ولفظ أكثرهم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ولفظ المستملى اذا طلبتم الحاجات فاطلبوها الى الحسان الوجوه فحديث أنس أخرجه ابن عساكر وحديث جابر أخرجه الطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر وحديث ابن عمر رواه ابن عدى وحديث أبى بكرة رواه تمام فى فوائده وحديث أبى هريرة رواه تمام والخطيب فى رواة مالك وفى لفظ اطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه رواه ابن أبى الدنيا من حديث ابن عمرو ورواه الخرائطى فى اعتلال القلوب وتمام عن جابر ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى هريرة ورواه الخرائطى من حديث عائشة ويروى من الزيادة على لفظ الباب وتسموا بخياركم واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه رواه ابن عساكر من حديث عائشة بسند ضعيف وعند ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج عن عمرو بن دينار مرسلا اطلبوا حوائجكم عند حسان الوجوه فان قضى حاجتك قضاها بوجه طليق وان ردك ردك بوجه طليق فرب حسن الوجه ذميمه عند طلب الحاجة ورب ذميم الوجه حسنه عند طلب الحاجة ونحوه قيل لابن عباس كم من رجل قبيح الوجه قضاء للحوائج قال انما نعنى حسن الوجه عند الطالب (وقال عمر رضى الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم) وقد روى معنى ذلك مرفوعا رواه البزار من حديث قتادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه اذا أبردتم الى بريدا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لا نعلم رواه بهذا الاسناد الا قتادة وله

وقيل مافى الارض قبيح الاووجهه أحسن مافيه واستعرض المأمون جيشا فعرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فاذا هو ألكن فاسقط اسمه من الديوان وقال الروح اذا أشرقت على الظاهر فصباحة أوعلى الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند صباح الوجوه وقال عمر رضى الله تعالى عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم

أيضا من حديث عمر بن أبي خثعم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعه اذا بعثتم الى رجلا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم ومن الاشعار القديمة فى معنى الحديث السابق ما روى عن ابن عباس انه أنشد قول الشاعر

ابن شرط النبي اذ قال يوما * اطلبوا الخير فى صباح الوجوه

ولابن رواحة أو حسان كما رواه العسكرى فى الامثال

قد سمعنا نبينا قال قولا * هو لمن يطلب الحوائج راحه

اغتدوا واطلبوا الحوائج ممن * زين الله وجهه بصباحه

وأنشد ابن عائشة أبياتا منها

دل على معروفه وجهه * بورك هذا هاديا من دليل

ومنها

يدل على معروفه حسن وجهه * ومازال حسن الوجه احدى الشواهد

(وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين) فى الاقرأ والاعلم والاصلح (فاحسنهم وجها أولاهم بالامامة) فكل من كان أكمل فهو أفضل لان المقصود كثرة الجماعة ورغبة الناس فيه أكثر واجتماعهم أوفر وفى سياق كتب أصحابنا الاحق بالامامة الاعلم بالسنة ثم الاقرأ ثم الاورع ثم الاسن فان استووا فى السن فاحسنهم خلقا فان استووا فاصبحهم وجها (وقال تعالى ممتنا بذلك) ان الله اصطفاه عليكم (وزاده بسطة فى العلم والجسم) وقال وزاده فى الخلق بسطة فكفاك هذا من البيان فى فضل كمال الجسم (ولسنا نعنى بالجمال) ههنا (ما يحرك الشهوة) أى ما يتعلق به شهوة الرجال والنساء (فان ذلك أنوثة) وفى بعض النسخ أنثوية (وانما نعنى به) معنيين آخرين أحدهما (ارتفاع القامة) وامتدادها (على الاستقامة) الذى يكون من الحرارة الغريزية فان الحرارة اذا حصلت رفعت اجزاء الجسم الى العلو كالنبات اذا نجم كلما كان أطلب للعلو فى منبته كان أشرق فى جنسه ولذلك كثر المدح بطول القامة نحو قوله

كان درور القنطرية علقت * علاثقها منه بجذع مقوم

وقول الآخر

اشم طويل الساعدين كأنما * نياط نجادا سيفه بلواء

والثانى أن يكون مقدداقوى العصب طويل الاطراف الذراع ممتدها رحب (مع الاعتدال فى اللحم) والشحم بان لا يكون مثقلا بهما ولا فارغا عنهما (وتناسب الاعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليه) كما قال الشاعر

فتى قد قد السيف لا متضائل * ولا رهل لباته ومبادنه

(فان قلت فقد أدخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد فى حيز النعم) وجعلتها من الخيرات والفضائل (وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة) وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه رواه أحمد والترمذى وقال حسن صحيح والدارمى والطبرانى من حديث كعب بن مالك وقد تقدم فى كتاب ذم الجاه والبخل (وقال على رضى الله عنه فى ذم النسب الناس أبناء ما يحسنون و) قال أيضا (قيمة كل امرئ ما يحسنه) رواهما الشريف الموسوى فى نهج البلاغة وهما من جوامع كلمه (وقيل المرء بنفسه لا بابيه) ومثله قول الآخر الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية ومثله من اسجاع الحريرى * تبا لمفتخر * بعظم نخر (فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى الى ادراك الامور على ماهى عليه ثم تنزيل النقل على وفق ما ظهر له بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه) المذكورات (نعم معينة على أمر

وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجها أولاهم بالامامة وقال تعالى ممتنا بذلك وزاده بسطة فى العلم والجسم ولسنا نعنى بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك أنوثة وانما نعنى به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال فى اللحم وتناسب الاعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليه (فان قلت) فقد ادخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد فى حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال عز وجل انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال على كرم الله وجهه فى ذم النسب الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا * فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى الى ادراك العلوم على ماهى عليه ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر

الآخرة لا سبيل الى جحدها الا ان فيهما افتتانا ومخاوف فمثال المال مثال الحية التى فيها ترياق نافع وسم ناقع فان أصابها المعزم الذى يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وان أصابها السوادى الغر فهى عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذى تحته أصناف الجواهر واللآلئ فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة

وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه وان خاضه جاهلا بذلك فقد هلك فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى الله تعالى المال وكذلك مدح الجاه والعز اذ منّ الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بان أظهره على الدين كله وحببه فى قلوب الخلق وهو المعنى بالجاه ولكن المنقول فى مدحهما قليل والمنقول فى ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذاك لان الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص فى بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا فى أعيانهما مذمومين بالاضافة الى كل أحد لما تصور أن ينضاف الى النبوّة الملك كما كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولا أن ينضاف اليها الغنى كما كان لسليمان عليه السلام فالناس كلهم صبيان والاموال حيات والانبياء والعارفون معزمون فقد يضر الصبى ما لا يضر المعزم نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه وقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها الاجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية اذا رآها يلعب بها فيهلك فله غرض فى الترياق وله غرض فى حفظ الولد فواجب عليه أن يزن غرضه فى الترياق بغرضه فى حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو أخذها لاخذها الصبى ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه أن يهرب عن الحية اذا رآها

الآخرة لا سبيل الى جحدها) وانكارها (الا ان فيهما افتتانا ومخاوف فمثال المال) اذا نظرت اليه (مثال الحية التى فيها ترياق نافع) وذلك فى لحمها اعدا رأسها وذنبها (وسم ناقع) وذلك فى اطرافها (فان أصابها المعزم) أى صاحب العزيمة (الذى يعرف وجه الاحتراز عن سمها) ويتقيه (و) يعرف (طريق استخراج ترياقها النافع) بان يمسكها من محل رقبتها فيجمع بينه وبين ذنبها فيقطعهما بسكين حادة فى ضربة واحدة ثم يستقطر ما بقى من لحمها فهذا هو الذى يدخل فى الترياق (كانت نعمة) فى حقه لانه يقاوم المسمومات كلها (وان أصابها السوادى الغر) بكسر الغين المعجمة أى الغبى الجاهل بطرق عزائمها وامساكها (فهى عليه بلاء وهلاك) فانه لا يأمن أن تنطوى عليه فتنهشه (وهو) أيضا (مثل البحر الذى تحته أصناف الجواهر واللآلئ فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص) فيه (وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر) من حيوان وغيره (فقد ظفر بنعمه) وهى حوز الجواهر واللآلئ (وان خاضه جاهلا بذلك فقد هلك) أى عرض نفسه للهلاك (فلذلك مدح الله تعالى المال) فى مواضع من كتابه العزيز (وسماه خيرا) وذلك قوله تعالى ان ترك خيرا وقد ذكر المفسرون ان المراد به المال (ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على تقوى الله المال) وقد تقدم قريبا (وكذلك مدح الجاه والعز اذ من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بان أظهره على الدين كله وحببه فى قلوب الخلق) أجمعين (و) هذا (هو المعنى) أى المقصود (بالجاه ولكن المنقول فى مدحهما) اى العز والجاه (قليل والمنقول فى ذم الجاه والمال كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب) والاجتلاب والملك قريبان (وانما كثر هذا) يعنى ذم المال والجاه (وقل ذاك) يعنى مدح العز والجاه (لان الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص فى بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره) أى الاطلاع والاخذ (ولو كانا فى أعيانهما مذمومين بالاضافة الى كل أحد لما تصور أن ينضاف الى النبوّة الملك) الذى لا يتم الا بالمال والجاه (كما كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولا أن ينضاف اليها) أى الى النبوّة (الغنى) فانه كناية عن وفر المال (كما كان لسليمان عليه السلام فالناس كلهم) فى هذه الدار (صبيان) مغفلون (والاموال حيات) أى بمنزلتها (والانبياء عليهم السلام (والعارفون) من علماء الآخرة (معزمون) أى أصحاب عزائم ورقى (فقد يضر الصبى ما لا يضر المعزم) لمعرفة ماله وعليه فهؤلاء اذا تناولوا المال جرى مجرى راق يتناول الحية قد عرف نفعها وضررها وأمن سمها وشرها فيتحرون الوجه الذى ينتفعون به وينفع غيرهم وغيرهم ليس كذلك فما أسرع الهلاك اليه فكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف بنفع الحية أن يقتدى بالراقى فى تناول الحية والتصرف فيها كذلك لا يجوز للجاهل أن يقتدى بالعارفين فى تناول اعراض الدنيا (نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه واصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو أخذها لاجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية اذا رآها يلعب بها فيهلك وله غرض فى) تحصيل (الترياق وله غرض فى حفظ الولد فواجب عليه أن يزن غرضه فى الترياق بغرضه فى حفظ الولد فاذا كان يقدر على الصبر من الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو أخذها لاخذها الصبى ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه أن يهرب عن الحية اذا رآها) ويرى ذلك

و يشير على الصبي بالهرب و يقبح صورتها في عينه و يعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجو منه أحد ولا يحدثه أصلا بما فيها من نفع الترياق فان ذلك ربما
يغره فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص اذا علم أنه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك

للصبي (و يشير على الصبي بالهرب) من بين يديها (و يقبح صورتها في عينه و يعرفه) انها عدوة ابن آدم (ان فيها سما قاتلا لا ينجو منه أحد) ولا يقبل دواء (ولا يحدثه أصلا بما فيها من نفع الترياق فان ذلك ربما يغره) أي يوقعه في الغرور (فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك الغوّاص اذا علم انه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه) وسلك طريقه (أو هلك فوجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والنهر) و يعرفه ان السلامة في الساحل (فان كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما رأى والده يحوم حول الساحل فواجب عليه أن يبعد عن الساحل مع الصبي فلا يقرب منه بين يديه) أصلا فيكون زجراله كليا (فكذلك الامة في حجر الانبياء عليهم السلام كالصبيان والاغبياء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم مثل الوالد لولده) أي في الشفقة والرحمة وارادة الخير رواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله لولده وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ مثلي ومثل الناس ولفظ مسلم ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فانا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه ولمسلم من حديث جابر وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تفلتون من يدي اهـ قلت حديث أبي هريرة رواه أيضا أحمد والترمذي وفي لفظ بعضهم مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما اضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن و يغلبنه فيقتحمن فيها وحديث جابر رواه أيضا الطيالسي وأحمد وأوله مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن عنها (وحظهم الاوفر في حفظ أولادهم من المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس لهم في المال حظ الا بقدر القوت فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل) عنه (فلم يمسكوه بل انفقوه) في سبيله (فان الانفاق فيه هو الترياق) وفيه الشفاء (وفي الامساك السم) وفيه الهلاك (ولو فتح للناس باب كسب المال و رغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك و رغبوا عن ترياق الانفاق ولذلك قبحت الاموال والمعني به تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا) والميل الى اعراضها (ولذاتها) الحاصلة (فاما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل) منها (الى الخيرات) الدينية (فليس بمذموم وحق كل مسافر) في طريق بعيدة (ان لا يحمل الا بقدر) ما يكفيه من (زاده في السفر اذا صمم العزم على ان يختص بما يحمله) لا يشاركه فيه غيره (فاما ان سمحت نفسه باطعام يطعمه) الغير (وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار) منه (وقوله صلى الله عليه وسلم ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب) قال العراقي رواه ابن ماجه والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال بلغة ومال مثل زاد الراكب وقال صحيح الاسناد * قلت هو من رواية سفيان عن أشياخه غير مسمين وقال ابن ماجه عهد الى ان يكفي أحدكم مثل زاد الراكب اهـ قلت ورواه كذلك أحمد وابن سعد وهناد وأبو يعلى وابن أبي الدنيا والروياني والبغوي والطبراني وابن حبان والبيهقي وابن عساكر والضياء كلهم من حديث سلمان زاد واحتى يلقاني ورواه ابن عساكر من حديث عمرو أبي الدرداء وفي لفظ لابن ماجه وابن حبان والطبراني من حديث سلمان ليكف الرجل منكم زاد الراكب وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية ونوع طرقه قال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا محمد بن شعيب التاجر حدثنا محمد بن عيسى الدامغاني حدثنا جرير عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال دخل سعد على سلمان يعوده فقال ابشر أبا عبد الله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنك قال كيف يا سعد وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب كذا رواه الدامغاني عن جرير عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر وقال ابو

فواجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والنهر فان كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما رأى والده يحوم حول الساحل فواجب عليه أن يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه فكذلك الامة في حجر الانبياء عليهم السلام كالصبيان الاغبياء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم مثل الوالد لولده وقال صلى الله عليه وسلم انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم وحظهم الاوفر في حفظ أولادهم عن المهالك فانهم لم يبعثوا الا لذلك وليس لهم في المال حظ الا بقدر القوت فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل أنفقوه فان الانفاق فيه الترياق وفي الامساك السم ولو فتح للناس باب كسب المال و رغبوا فيه لمالوا الى سم الامساك و رغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك قبحت الاموال والمعني به تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها فاما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس بمذموم وحق كل مسافر
أن لا يحمل الا بقدر زاده في السفر اذا صمم العزم على أن يختص بما يحمله فاما اذا سمحت نفسه باطعام
الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار وقوله عليه السلام ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب

معاوية وغيره عن الاعمش عن أبي سفيان عن أشياخه حدثنا محمد بن أحمد أبو أحمد حدثنا عبد الله بن
شيرويه حدثنا اسحق بن راهويه حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن أشياخه ان سعد بن
أبي وقاص دخل على سلمان يعوده فبكى سلمان فقال له سعد ما يبكيك تلقى أصحابك وترد على رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحوض وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض فقال ما أبكي جزعا من الموت
ولا حرصا على الدنيا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الينا فقال ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد
الراكب وهذه الاساود حولي وانما حوله مطهرة أو اجانة ونحوها فقال له سعد اعهد الينا عهدا نأخذ
به بعدك فقال له أذكر ربك عند همك اذا هممت وعند حكمك اذا حكمت وعند يدك اذا قسمت رواه
مورق العجلي والحسن البصري وسعيد بن المسيب وعامر بن عبد الله عن سلمان حدثنا أبي حدثنا زكريا
الساجي حدثنا هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن حبيب عن الحسن وحميد عن مورق العجلي ان سلمان
لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال عهد عهده الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليكن بلاغ
أحدكم كزاد الراكب قالا فلما مات نظروا في بيته فلم يروا في بيته الا كافا ووطاء ومتاعا قوم نحوا من عشرين
درهما ومن رواه عن الحسن السري بن يحيى والربيع بن صبيح والفضل بن دلهم ومنصور بن زاذان وغيرهم
عن الحسن حدثنا أبو بحر محمد بن الحسن بن كوثر حدثنا بشر بن موسى حدثنا عبد الصمد بن حسان
حدثنا السري بن يحيى عن الحسن قال لما حضر سلمان الوفاة جعل يبكي فقيل له يا أبا عبد الله ما يبكيك أليس
فارقت رسول الله وهو عنك راض فقال والله ما بي جزع الموت ولكن رسول الله عهد الينا عهدا فقال ليكن
متاع أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وحديث سعيد بن المسيب حدثناه أبي قال حدثنا زكريا الساجي
حدثنا هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب ان سعد بن مالك وعبد الله بن
مسعود دخلا على سلمان يعودانه فبكى فقالا ما يبكيك أبا عبد الله فقال عهد عهده الينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يحفظه أحد منا قال ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب وحديث عامر بن عبد الله حدثناه أبو
عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب قال أخبرني أبو هانئ عن أبي
عبد الرحمن الحبلي عن عامر بن عبد الله عن سلمان الخير انه حين حضره الموت عرفنا به بعض الجزع فقالوا
ما يجزعك أبا عبد الله وقد كان لك سابقة في الخير شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغازي حسنة
وفتوحا عظاما فقال يحزنني ان حبيبي محمدا صلى الله عليه وسلم عهد الينا حين فارقنا فقال ليكف المؤمن كزاد
الراكب فهذا الذي أحزنني قال فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر دينارا قال عامر بن عبد الله دينارا
واتفق الباقون على بضعة عشر درهما ورواه أنس بن مالك عن سلمان حدثناه عبد الله بن محمد بن جعفر
حدثنا أحمد بن عمرو البزاز حدثنا الحسن بن أبي الربيع الجرجاني حدثنا عبد الرزاق حدثنا جعفر بن
سليمان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال دخلت على سلمان فقلت له لم تبكي فقال ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم عهد الي عهدا أن يكون زادك في الدنيا كزاد الراكب حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن
عبد الله الحضرمي حدثني محمد بن عبيد بن ميمون الجدعاني حدثنا عتاب بن بشير عن علي بن بذيمة قال بيع
متاع سلمان فبلغ أربعة عشر درهما (معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان فيمن يروى هذا الحديث ويعمل
به يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة) وكأنه يشير الى ما رواه أبو
نعيم في الحلية عن أبي بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثنا سيار حدثنا جعفر
حدثنا هشام حدثنا الحسن قال كان عطاء سلمان خمسة آلاف درهم وكان أميرا على زهاء ثلاثين ألفا
من المسلمين وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها واذا خرج عطاؤه أمضاه ويأكل من
سفيف يده وروى أحمد في الزهد من طريق عبد الله بن بريدة قال كان سلمان يعمل بيديه فاذا أصاب شيأ
اشترى به لحما أو سمكا ثم يدعو المجذمين فيأكلونه معه (ولماذا كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاغنياء

معناه لانفسكم خاصة والا فقد كان فيمن يروى هذا الحديث ويعمل به من يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة ولماذا كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الاغنياء

يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه فأذن له فنزل جبريل عليه السلام وقال مره بأن يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث فإذا النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج دواؤها بدائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب منها متقيا داءها ومستخرجا دواءها ومن لا يثق بها فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الأخطار فلا تعدل بالسلامة شيأ في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه * فإن قلت فما معنى النعم التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتسديد فاعلم أن التوفيق لا يستغنى عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين إرادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما أن الإلحاد عبارة عن الميل فخصص بمن مال إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق ولذلك قيل

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

فأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها لأن داعية الإنسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن أين ينفعه مجرد الإرادة فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى أي بهدايته فقيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا

يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه) وكان من أغنياء الصحابة (في أن يخرج من جميع ما يملكه فأذن له فنزل جبريل عليه السلام وقال مره بأن يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث) قال العراقي رواه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الإسناد قلت كلا فيه خالد بن أبي مالك ضعيف جدا اهـ قلت أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا جعفر بن محمد الفريابي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بن أبي رباح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا فأقرض الله يطلق لك قدميك قال ابن عوف وما الذي أقرض الله قال تتبرأ مما أمسيت فيه قال من كله أجمع يا رسول الله قال نعم فخرج ابن عوف وهو يهم بذلك فأتاه جبريل فقال مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل فإذا فعل ذلك كانت كفارة لما هو فيه (فإذا النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج داؤها بدوائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب منها متقيا داءها ومستخرجا دواءها ومن لا يثق بها فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الأخطار فلا تعدل بالسلامة شيأ في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهداه الطريقة فإن قلت فما معنى النعم التوفيقية) التي لا تحصل الفضائل الخارجية إلا بها (وهي الراجعة إلى) أربعة أشياء (الهداية والرشد والتأييد والتسديد فاعلم أن التوفيق لا يستغنى عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين إرادة العبد) وفعله (وبين قضاء الله وقدره) والاتفاق ومطاوعة التوفيق يقال وفقه فاتفق (و) لكن (هذا يشمل الخير والشر) جميعا (وما هو سعادة وما هو شقاوة) فيقال اتفاق جيد واتفاق رديء فالتوفيق وإن كان في الأصل موضوعا على وجه يصلح استعماله فيهما جميعا (ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة) فقط (من جملة قضاء الله وقدره كما أن الإلحاد) في الأصل (عبارة عن الميل) ومنه اللحد في القبر (فخصص بمن يميل إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد) وأشباههما (ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق) كما قال الحكيم الذي لا يستغني الإنسان عنه في كل حال التوفيق (ولذلك قيل)

(إذا لم يكن عون من الله للفتى * فأكثر ما يجني عليه اجتهاده)

وأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب السعادة) ولا إلى شيء من الفضائل (إلا بها) أي بهداية الله ورحمته ويجب على كل إنسان أن يعلم ذلك (لأن داعية الإنسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فمن أين ينفعه مجرد الإرادة فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية) فهي مبدأ الخيرات ومنتهاها كما (قال) الله (تعالى ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال تعالى) مخاطبا للناس (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى أي بهدايته فقيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا) تنبيها على أنه لو توهمت رحمته مرتفعة ابتداء وانتهاء ما كان لنا سبيل إلى ذلك قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة وفي رواية لمسلم ما من أحد يدخله عمله الجنة الحديث

كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبذولة ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب وان كانت لا تعمي الابصار قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومن جملة المعميات الالف والعادة وحب استحبابهما وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على أمة الآية وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى أبشرا منا واحدا نتبعه فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية

الحديث واتفقا عليه من حديث عائشة وانفرد به مسلم من حديث جابر وقد تقدم انتهى قلت وتمام حديث أبي هريرة عند الشيخين فسددوا وقاربوا ولا يتمنى أحدكم الموت اما محسن فلعله يزداد خيرا واما مسيء فلعله يستعتب وفي لفظ لهما لن ينجي أحدا منكم عمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدني الله برحمته ولكن سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وروى ابن قانع والطبراني والضياء من حديث شريك بن طارق لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدني الله منه برحمة وفضل وفي لفظ للطبراني ما من أحد يدخل الجنة بعمل وقال الا برحمة منه وروى أحمد وعبد بن حميد من حديث أبي سعيد لن يدخل أحد الجنة الا برحمة الله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله (وللهداية ثلاث منازل) في الدنيا (الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليهما بقوله تعالى وهديناه النجدين) هذا هو المشهور في التفسير وقيل طريق الثواب والعقاب وقيل طريق العقل والشرع وقال مجاهد الثديين وكذلك قوله تعالى انا هديناه السبيل وقوله تعالى وهديناهما الصراط المستقيم (وقد أنعم الله به على كافة عباده) المكلفين (بعضه بالعقل) والفطنة والمعارف الضرورية فعم به كل مكلف بل كل شيء حسب احتماله كما قال تعالى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى فهذا هو القسم الاول من المنزلة الاولى وأشار الى القسم الثاني بقوله (وبعضه على لسان الرسل) أي الهداية التي جعلت للناس بدعائه اياهم على ألسنة الانبياء والرسل وانزال القرآن (ولذلك قال الله تعالى) وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ولما كانت الهداية والتعليم يقتضي شيئين تعريفا من المعرف وتعرفا في المعرف وبهما تتم الهداية والتعليم فانه متى حصل البذل من الهادي والمعلم ولم يصح القبول صح ان يقال لم يهتد ولم يعلم اعتبارا بعدم القبول وصح ان يقال هدى وعلم اعتبارا ببذله وعلى الاعتبار الثاني ينزل قوله تعالى (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول) التي هي مبدأ الهداية (وهي مبذولة) لهم (ولا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب) أي تغطي على بصيرتها (وان كانت لا تعمي الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وعمى عين القلب الباطنة أشد من عمى العين الظاهرة واليه الاشارة بقوله تعالى أم على قلوب اقفالها (ومن جملة المعميات الالف والعادة) بالشيء (وحب استحبابهما وعنه العبارة بقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة) وانا على آثارهم مقتدون وكذا قوله صلى الله عليه وسلم حبك للشيء يعمي ويصم (وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وقد تقدم الكلام عليه (وقوله تعالى أبشرا منا واحدا نتبعه) انا اذا لفي ضلال وسعر فكل ذلك منشؤه التكبر على المؤمنين والتحاسد على ما أعطاهم الله تعالى (فهذه هي المعميات التي منعت الاهتداء) وأشدها حب الدنيا فانه رأس كل خطيئة (والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة) التي هي الاولى (وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالا بعد حال بحسب استزادته) من العلم والعمل الصالح وهو التوفيق الذي يختص به من اهتدى (وهي ثمرة المجاهدة قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى) وآتاهم تقواهم وقوله تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه (والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وامكان تعلم العلوم به) وعبر بعضهم عن هذه الهداية بنور الولاية التي هي في أفق نور النبوة ولعل هذا التعبير أوفق للمقام من تعبير المصنف (وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة اليه وان كان الكل

بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وامكان تعلم العلوم وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة اليه وان كان الكل

له نورا يمشى به فى الناس والمعنى بقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه * وأما الرشد فنعنى به العناية الالهية التى تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده فتقوى به على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبى اذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره فقد أعطى الهداية وميز بها عن الجاهل الذى لا يدرى أنه يضره ولكن ما أعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكمل من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهى نعمة عظيمة * وأما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب المطلوب وتيسرها عليه ليشتد فى صوب الصواب فى أسرع وقت فان الهداية بمجردها لا تكفى بل لا بد من هداية محركة للداعية وهى الرشد والرشد لا يكفى بل لا بد من تيسر الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية اليه فالهداية محض

من جهته تعالى فقال تعالى قل ان هدى الله هو الهدى) فأضاف ذلك الى لفظ الله تعظيما له كقوله بيت الله ثم قال هو الهدى فجعله الهدى المطلق وكذلك قوله تعالى هدى للمتقين فالهدى والهداية فى موضوع اللغة واحد ولكن قد خص الله لفظ الهدى بما تولاه وأعطاه واختص هو به دون ما هو الى الانسان (وهو المسمى حياة فى قوله تعالى أو من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس و) نورا (بقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) و بقوله تعالى يا أيها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أى نورا تفرقون به بين الحق والباطل و بحرى هذه المنازل الثلاثة يتوصل الى الهداية للجنة فى الآخرة وهى المذكورة فى قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله الآية وهذه الهدايات الاربع مرتبة فمن لم يحصل له الاولى لا يحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه ومن لم يحصل له الثانية لا يحصل له الثالثة والرابعة والانسان لا يقدر ان يهدى أحدا الا بالدعاء أو تعريف الطرق دون سائر الهدايات والى سائر الهدايات أشار بقوله انك لا تهدى من أحببت وكل هداية ذكر الله فيها انه منع الكافرين والظالمين فهى الهداية الثالثة التى هى التوفيق الذى يختص به المهتدون والرابعة التى هى الثواب فى الآخرة وادخال الجنة المشار اليها بقوله تعالى كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى قوله والله لا يهدى القوم الظالمين وكل هداية نفاها عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن البشر وذكر انهم غير قادرين عليها فهى ما عدا المختص به من الدعاء وتعريف الطريق وذلك كاعطاء العقل والتوفيق وادخال الجنة والى هذا المعنى أشار بقوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله ومن يهد الله فهو المهتد أى طالب الهدى ومتحريه هو الذى يوفقه ويهديه الى طريق الجنة لا من ضاده فيتحرى طريق الضلالة والكفر كقوله والله لا يهدى القوم الكافرين وقوله ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار الكاذب الكفار هو الذى لا يقبل هدايته فان ذلك راجع الى هذا وان لم يكن موضوعا لذلك ومن لم يقبل هدايته لم يهتد وأما قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فقد قيل عنى به الهداية العامة التى هى العقل وألسنة الانبياء وأمرنا بان نقول ولكن بألسنتنا وان كان قد فعل ليعطينا ثوابا كما أمرنا ان نقول اللهم صل على محمد وان كان قد صلى عليه بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبى وقيل ان ذلك دعاء بحفظنا من اغواء الغواة واستهواء الشهوات وقيل هو سؤال للتوفيق الموعود فى قوله والذين اهتدوا زادهم هدى (وأما الرشد فنعنى به العناية الالهية التى تعين الانسان) فى أموره (عند توجهه الى مقاصده فتقوّى به على ما فيه) كذا فى النسخ ونص الذريعة فتقربه عما فيه (صلاحه وتفتره) اى تكسله (عما فيه فساده و) أكثر ما (يكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) وكثيرا ما يكون ذلك بتقوية العزم أو فسخه واليه توجه قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه (فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبى اذا بلغ خبيرا بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء) أى كيفية نموّ المال (ولكنه مع ذلك يبذر فيه تبذيرا ولا يريد الاستنماء لا يسمى رشيدا لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره وأعطى الهداية وميز بها عن الجاهل الذى لا يدرى انه يضره ولكن ما أعطى الرشد فالرشد أكمل من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهى نعمة) عظيمة من النعم التوفيقية (وأما التسديد فهو توجيه حركاته الى صوب) الغرض (المطلوب وتيسيرها عليه) بان تقوم ارادته وحركته نحوه (ليستد فى صوب الصواب) ويهجم عليه (فى أسرع وقت) يمكن الوصول فيه اليه وهو المراد بقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فى أحد الوجوه (فان الهداية بمجردها لا تكفى بل لا بد من هداية محركة للداعية وهى الرشد والرشد لا يكفى بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد فيما انبعثت الداعية اليه فالهداية محض

التعريف

التعريف والرشد هو تنبيه الداعية للتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضاء فى صوب السداد وأما التأييد فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله عز وجل اذ أيدتك بروح القدس وتقرب منه العصمة وهى عبارة عن جود الهى يسبح فى الباطن يقوى

به الانسان على تحرى الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس واياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه فهذه هى مجامع النعم ولن تتثبت الا بما يخوله الله من الفهم الصافى الثاقب والسمع الواعى والقلب البصير المتواضع المراعى والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذى يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعداء ويستدعى كل واحد من هذه الاسباب الستة عشر أسبابا وتستدعى تلك الاسباب أسبابا الى أن تنتهى بالآخرة الى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها أنموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وبالله التوفيق

(بيان وجه الانموذج فى كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصاء) اعلم أنا جمعنا النعم فى ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة فى الرتبة المتأخرة فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصى الاسباب التى بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الاكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التى بها تتم نعمة الاكل

التعريف) والدلالة بلطف (والرشد هو تنبيه الداعية للتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة ونصرة بتحريك الاعضاء فى صوب السداد) والنصرة من الله تعالى معونة للانبياء والاولياء وصالحى العباد بما يؤدى الى صلاحهم عاجلا وآجلا وذلك تارة يكون من خارج بمن يقيضه الله تعالى فيعينه وتارة من داخل بان يقوى قلوب الاولياء أو يلقى رعبا فى قلوب الاعداء وعلى ذلك قوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا الآية وقوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وأما ما يختص بسعادة الدنيا ولا يعتبر فيه العاقبة فيقال لها الدول والدولة وعلى هذا قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وقوله فى وصف الفئ كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم (وأما التأييد فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى اذ أيدتك بروح القدس) وهو مثال للاول (وتقرب منه العصمة وهى عبارة عن جود الهى) أى فيض من فيوضاته (يسبح فى الباطن) أى يعرض فيه (يقوى به الانسان على تحرى الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع) له (من باطنه غير محسوس) أى وان لم يكن منعا محسوسا (واياه عنى بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه) وقد روى ان يوسف عليه السلام رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو عاض على ابهامه فأحجم وليس ذلك بمانع ينافى التكليف كما توهمه بعض المتكلمين فان ذلك كان تصورا منه وتذكرا لما كان قد حذره منه وعلى هذا قال لنصرف عنه السوء والفحشاء الآية ومن عصمته تعالى ان يكرر الوعيد على من يريد عصمته لئلا يغفل ساعة عن مراعاة نفسه كقوله تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين (فهذه هى مجامع النعم ولن تستثبت الا بما يخوله الله) أى بنعمه (من الفهم الصافى الثاقب والسمع الواعى) لما يحفظه (والقلب البصير المتواضع المراعى و) تقييض (المعلم الناصح) له والتوفيق الموافق (و) امداده من (المال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته) هكذا فى النسخ ولفظ الذريعة وامداده من المال بما لا يقعد به عن مغزاه قلته ولا يشغله عنه كثرته (و) من العشيرة و(العز الذى يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعداء) وعن الغض منه من جهة الاغنياء وان يخوله من كبر الهمة وقوة العزيمة ما يحفظه عن التشوق للمنازل الدنية والتأخر عن بلوغ كل منزلة سنية (ويستدعى كل واحد من هذه الاسباب الستة عشر أسبابا وتستدعى تلك الاسباب أسبابا الى ان تنتهى بالآخرة الى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين وذلك رب الارباب ومسبب الاسباب) جل جلاله وعم نواله (واذا كانت تلك الاسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها) أى طلب نهايتها (فلنذكر منها أنموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وبالله التوفيق) وهو حسبى ونعم الوكيل

(بيان وجه الانموذج فى كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن حد الحصر والاحصاء)

(اعلم) هداك الله تعالى (انا جمعنا) فيما تقدم (النعم) الموهوبة والمكتسبة (فى ستة عشر ضربا) من ضرب أربعة فى أربعة فالاربعة أصول ولكل أصل أربعة (وجعلنا صحة البدن) وسلامته من الاسقام (نعمة من النعم الواقعة فى الرتبة المتأخرة) لانها من جملة الفضائل البدنية المكملة للفضائل النفسية (فهذه النعمة الواحدة لو أردنا ان نستقصى الاسباب التى بها تمت هذه النعمة) أى نطلب نهايتها (لم نقدر عليها ولكن الاكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التى بها تتم نعمة الاكل

فلا يخفى أن الاكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة لابد لها من جسم متحرك هو آلتها ولابد لها من قدرة على الحركة ولابد
من ارادة للحركة ولابد من علم بالمراد وادراك له ولابد للآكل من مأكول ولابد للمأكول من أصل منه يحصل ولابد له من صانع يصلحه فلنذكر
أسباب الادراك ثم أسباب الارادات ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء *(الطرف
الاول فى نعم الله تعالى فى خلق أسباب الادراك)* اعلم ان الله تعالى خلق النبات وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التى لا تنمى ولا تغذى فان النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء الى نفسه من جهة أصله وعروقه التى فى الارض وهى له آلات فيها يجتذب الغذاء وهى العروق الدقيقة التى تراها فى كل ورقة ثم تغلظ أصولها ثم تتشعب ولا تزال تستدق وتتشعب الى عروق شعرية تنبسط فى أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر الا أن النبات مع هذا الكمال ناقص فانه اذا أعوزه غذاء يساق اليه ومماس أصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة فى طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمة الله تعالى فى خلق الحواس الخمس التى هى آلة الادراك فأولها حاسة اللمس وانما خلقت

النبات

لك حتى اذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور
حيوان الا ويكون له هذا الحس لانه ان لم يحس أصلا فليس بحيوان وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه ويماسه فان الاحساس بما
يبعد منه احساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التى فى الطين فانها اذا غرز فيها ابرة انقبضت للهرب لا كالنبات فان

(ولا يخفى ان الآكل فعل) لانه هيئة حاصلة للآكل بسبب كونه آكلا (وكل فعل من هذا النوع فهو حركة) لانه خروج من الفعل الى القوة بالتدريج (وكل حركة فلابد لها من جسم متحرك) وتكون تلك الحركة عارضة لذاته والجسم ماله طول وعرض وعمق (هو) أى ذلك الجسم (آلتها ولابد لها) أى لتلك الحركة (من قدرة على الحركة ولابد لها من ارادة للحركة ولابد) مع ذلك (من علم بالمراد) وادراك له ولابد للآكل من مأكول ولابد للمأكول من أصل منه يحصل وجوده (ولابد له من صانع يصلحه) ويهيئه للآكل (فلنذكر أسباب الادراك أولا ثم أسباب الارادات ثم أسباب القدرة ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح) والاشارة (لا على سبيل الاستقصاء) والاحاطة

(الطرف الاول) (فى) بيان (نعم الله تعالى فى خلق أسباب الادراك اعلم ان الله تعالى خلق النبات) وهو مايخرج من الارض من الناميات سواء كان له ساق كالشجر أم لا كالنجم لكن خص عرفا بما لا ساق له (وهو أكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التى تنمو) نموا (ولا تغذى فان النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء الى نفسه من جهة أصله وعروقه التى) هى (فى) باطن (الارض وهى له آلات بها يجتذب الغذاء وهى العروق الدقيقة التى تراها فى كل ورقة تغلظ أصولها) وهى منابت الاوراق (ثم تتشعب وتتفرق ولا تزال تستدق وتتشعب) أى تنقسم (الى عروق) دقيقة (شعرية) أى مثل الشعر فى الدقة (تنبسط فى اجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر الا ان النبات مع هذا الكمال) بالاضافة الى الجواهر المذكورة (ناقص فانه لو أعوزه) أى أحوجه (غذاء يساق اليه ويماس أصله جف ويبس) وذهبت نضارته (ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب انما يكون لمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك) أى لا قدرة له على الانتقال من موضعه (فمن نعمة الله عليك ان خلق لك آلة الاحساس وآلة الحركة فى طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمة الله) تعالى (فى خلق الحواس الخمس) الظاهرة (التى هى آلة الادراك) وتحقيق المقام ان الافعال الصادرة انما تصدر عن القوى لا عن الجسم فان الجسم لا يفعل من حيث الجسمية بل بالقوة التى فيه أو بقوة متعلقة به فالقوة مبدأ الفعل وكل فاعل اما قوة أو ذو قوة تفعل بقوته فالفاعل هو القوة والجسم آلة فى الافعال فباستعماله على الوجه الاليق تستكمل اذا عرفت هذا *فاعلم ان النفس قد عرف تجردها وكونها فى أول انشائها ناقصة محتاجة الى الاستكمال بالاجسام ولم يمكنها معرفة الجسم ومافيه من المعانى من غير آلة جزئية فخلق البارى جل جلاله حواس ظاهرة تدرك بواسطتها الاجسام وعوارضها المكتسبة من الفيض العقلى بحسب استعدادها من الالوان والاشكال والطعوم والروائح وغير ذلك وحواس باطنة تدرك بها أنواعا أخرى من المعارف وهذه الحواس آلات للنفس تستخدمها فى مهماتها ومقاصدها ويحصل لها شعور بالمحسوسات بواسطتها فالحواس الظاهرة خمسة (فأولها حاسة اللمس) وهى قوة منبثة فى جميع البدن تدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحوها عند الاتصال به (وانما خلقت لك) هذه القوة (حتى اذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا يتصور حيوان الا ويكون له هذا الحس لانه ان لم يحس أصلا فليس بحيوان) ولذلك قالوا الحيوان جسم نام حساس متحرك (وأنقص درجات الحس ان يحس بما يلاصقه ويماسه) ويتصل به (فان الاحساس بما يبعد منه احساس أتم لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التى فى الطين فانها اذا غرز فيها ابرة انقبضت للهرب لا كالنبات فان

النبات يقطع فلا ينقبض اذ لا يحس بالقطع الا انك لو لم يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصا كالدود
لا يقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه الى نفسك فقط فافتقرت الى
حس) آخر (تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم) وهي قوة مودعة في الزائدتين الناتئتين في مقدم الدماغ
الشبيهتين بحلمتي الثدي بها تدرك الروائح بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية ذي الرائحة الى الخيشوم
(الا انك تدري به الرائحة ولا تدري انها جاءت من أي ناحية فتحتاج ان تطوف كثيرا من الجوانب فربما
تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه وربما لم تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك الا هذا فخلق لك
البصر) وهي قوة مودعة في العصبتين المجوفتين اللتين يلتقيان ثم يفترقان تتأدى الى العين بها الاضواء
والالوان والاشكال (لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا
هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر
عدوا لا حجاب بينك وبينه وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا ينكشف الحجاب الا بعد قرب العدو
منك (فتعجز عن الهرب) من بين يديه (فخلق لك السمع) وهو قوة مودعة في العصب المفروش في مقعر
الصماخ به تدرك الاصوات بطريق وصول الهواء المتكيفة بكيفية الصوت الى الصماخ (حتى تدرك به
الاصوات) والنغمات اللذيذة والبشعة الحاصلة من تصادم الاجسام (من وراء الجدران عند جريان
الحركات) بواسطة الروح المودع في العصب على حد مخصوص من القرب والبعد وشدة الصوت ورفعته
(لانك لا تدرك بالبصر الا شيأ حاضرا وأما الغائب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف وأصوات
تدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام من سائر الحيوانات) وقاعدة
تشكل الهواء بمقاطع الحروف غير صحيحة لكون الهواء غير حافظ للشكل لانه سريع الالتئام ثم
بتشوش ما عند أذنه من الهواء ينبغي ان لا يسمع شيأ لتشوش التموجات واضطرابها وقول القائل بان
الصوت يخرق الهواء وينفذ فيه غير سديد فانه اذا تشوش الهواء المجاور للاذن بالكلية لا يبقى للبعض
قوة النفوذ والامتياز عن الباقي وأما ما قيل ان الصوت متعلق بقلع أو قرع لا كيف اتفق بل عند حركة من
الهواء بعنف فلا ينبغي ان تفهم كونهما داخلين في حقيقة الصوت لبقاء الصوت بعد الفراغ عنهما والصواب
ان الصوت لا يعرف بشئ أصلا وكذا بسائط جميع المحسوسات فان التعريفات لا بد وان تنتهي الى معلومات
مستغنية عن التعريف لكون التسلسل باطلا واذا وجبت النهاية ولا شئ أظهر من المحسوسات لان جميع
علومنا منتزعة منها وهي المعلومات الاولية وبها تعرف مركباتها فحقيقة الصوت لا تعرف لمن لا سمع له
وكذلك الضوء لمن لا بصر له ومن كان له فهو مستغن عن التعريف فالصوت أمر بسيط صورته في العقل
كصورته في الحس وحقيقته انه صوت فقط وكذا اللون وسائر المحسوسات وأما ان سبب الصوت قلع أو قرع
وان الهواء شرط واذا لم يكن على سبيل حصول القاطع كان على وجه آخر شرطا فهو بحث آخر لا مدخل
له في حقيقة الصوت والله أعلم (وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق) وهي قوة منبثة في العصب
المفروش على جرم اللسان تدرك بها الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية وبسائط الطعوم هي الحلاوة
والمرارة والحموضة والعفوصة والقبض والحرافة والملوحة والدسومة وواحد لا طعم له ويسمى التفه (اذ
يصل الغذاء اليك فلا تدرك انه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يضرب في أصلها كل مائع
ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها) أي يبسها وليست النفس دراكة بمجرد هذه الا لات
بل هذه محال لها خواص واستعدادات مختلفة وأمزجة مخصوصة اذا وصل اليها الروح النفساني اللطيف
وحال فيها استعد بذلك لان تفيض النفس عليه هيئة مستعدة بتلك الهيئة لان يكون مرآة للنفس تشاهد
بواسطة استعماله على وجوه مخصوصة العالم الحسي وخواصه لمناسبة ما بين النفس وذلك الروح الذي
حصل له بتردده في تلك الآلة هيئة مخصوصة تقتضي ان تشاهد به النفس عند الاستعمال نوعا من المعلومات

حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه الى نفسك فقط فافتقرت الى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم الا انك تدرك به الرائحة ولا تدري انها جاءت من أي ناحية فتحتاج الى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه وربما تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك الا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا ينكشف الحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات لانك لا تدرك بالبصر الا شيأ حاضرا وأما الغائب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذاء
اليك فلا تدرك انه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يصب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها

ثم كل ذلك لا يكفيك لولم يخلق فى مقـدمة دماغك ادراك آخر يسمى حسامشتركا تتأدى اليه هـذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الامر عليك فانك اذا أكلت شـيأ أصفر مثلا فوجدته مرامخالفـا لك فتركته فاذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف انه مر مضر مالم تذقـه

(ثم كل ذلك لا يكفيك لولم يخلق فى مقـدمة دماغك ادراك آخر يسمى حسا مشتركا تتادى اليه هـذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه) وهذا على رأى المشائين فانهـم يزعمون ان الحواس الباطنة أيضا خمسة أولها الحس المشترك وهو الذى تجتمع عنـده مثل جميع المحسوسات الظاهرة فيدركها مشاهدة والصور التى يراها النائمون والمحرورون فيه يتمثل على رأيهم ومحله البطن المقدم من الدماغ والثانية الخيال وهى خزانة الحس المشترك ومحله البطن المقدم أيضا لـكنه يميل الى اليسار قليلا والثالثة الوهـم ومحله البطن الاوسط من الدماغ والرابعة الحافظة وهى خزانة الوهم ومحلها فى البطن المؤخر منـه والخامسة المدركة ومحلها البطن الاوسط منه أيضا وأما الاشراقيون فلا يثبتون ادراك شئ منها الا المتخيلة فقط وقد تقـدم الـكلام عليه (ولولاه لطال الامر عليك فانك اذا أكلت شيأ أصفر مثلا فوجدته مرامخالفالك فتركته فاذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف انه مر مالم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك اذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنـه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلابد من حاكم تجتمع عنـده الصفرة والمرارة جميعا حتى اذا أدرك الصـفرة حكم بانه مر فيمتنع من تناوله ثانيا) وكل ذلك على رأى المشائين وأما أفلاطون وجماعة من الاقدمين فقد أقاموا دلائل ابطلوا بها الحافظة والخيال وانطباع الاشباح فى العـين وهى بعينها تبطل الحس المشترك أيضا وكل صورة فى الدماغ فلا تبقى الا المتخيلة وهى بعينها المتوهمة التى حكمها لا يخالف حكم المتوهمة (وهـذا كله تشاركك فيه الحيوانات اذ للشاة هـذه الحواس كلها فلولم يكن لك الا هـذا كنت ناقصا فان البهيمة تحتال عليها فتؤخـذ فلا تدرى كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص اذا قيـدت وقد تلقى نفسها فى بئر ولا تدرى ان ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه فى الحال ويضرها فى ثانى الحال فتمرض وتموت اذ ليس لها الا الاحساس بالحاضر) فقط (فاما ادراك العواقب فلا يميزك الله تعالى وأكرمك بصـفة أخرى هى أشرف من الكل وهو العقل) وهو الاستعداد المحض لادراك المعقولات وهو قوة محضة خالية عن الفعل كما فى الاطفال ويقال له العقل الهيولانى لان النفس فى هذه المرتبة تشبه الهيولى الاولى الخالية فى حد ذاتها عن الصور كلها (فبه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها وما يضره فى المآل وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتأليفها واعداد أسبابها فتنتفع بعقلك فى الاكل الذى هو سبب صحتك وهو أخس فوائد العقل وأقل الحكم فيـه بل الحكمة الـكبرى فيـه معرفة الله تعالى) بطريق أسمائه وصفاته (و) معرفة (أفعاله ومعرفة الحكمة فى عالمه الحسى (وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس فى حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الاخبار الموكلين بنواحى المملكة وقد وكلت كل واحدة منها) أى من تلك الحواس (بامر تختص بها) دون غيرها (فواحدة منها) موكلة (باخبار الالوان) والاشكال والمقادير وغـيرها وهى حاسة البصر فان النفس تشعر بما ذكر اذا وقعت العين فى مقابلة الشئ (والاخرى باخبار الاصوات) الثقيلة والخفيفة الحاصلة عن تصادم الاجسام وهى حاسة السمع (والاخرى باخبار الروائح) الطيبة والـكريهة بواسطة انتقال الهواء الواصل الى الانف من الجسم ذى الرائحة وهى حاسة الشم (والاخرى باخبار الطعوم) من الحلاوة والمرارة والحموضة والعفوصة والقبض والحرافة والملوحة والدسومة وهى حاسة الذوق (والاخرى باخبار الحر والبرد) والرطوبة واليبوسـة ويعـبرون عنها بالـكيفيات الاربـع (والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها) من الثقل والخفة وهى حاسة اللمس وهى أدون هذه الادراكات ثم الذوق ثم الشم

يدرك المـرارة ولا يدرك الصفرة فلابد من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعا حتى اذا أدرك الصـفرة حكم بانه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله تشاركك فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس كلها فلولم يكن لك الا هـذا لـكنت ناقصا فان البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدرى كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص اذا قيدت وقد تلقى نفسها فى بـئر ولا تدرى أن ذلك يهلكها ولذلك قـد تأكل البهيمة ما تستلذه فى الحال ويضرهـا فى ثانى الحـال فتمرض وتموت اذ ليس لها الا الاحساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا يميزك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هى أشرف من الـكل وهو العقل فبه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها فى الحال والمآل وبه تدرك كيفية طبخ الاطعـمة وتأليفها واعداد أسـبابها فتنتفع بعقلك فى الاكل الذى هو سبب صحتك وهو أحسن فوائد العقل وأقل الحكم فيـه بل الحـكمة الـكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله ومعرفة الحـكمة فى عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس فى حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الاخبار الموكلين بنواحى المملـكة وقـد وكلت كل واحدة منها بامر تختص به فواحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الروائح والاخرى باخبار الطعوم والاخرى باخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها (وهذه

وهــذه البرد والجواسيس يقتصون الاخبار من أقطار المملكة ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشــترك قاعد فى مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصــص والكتب الواردة من نواحى العالم فيأخذها وهى مختومة ويسلمها اذليس له الا أخذهـا و جمعها وحفظها فاما معرفة حقائق مافيهــا فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذى هــو الامير والملك سلم الانهــا آت اليه مختومة فيفتشها الملك و يطلع منها عــلى أسرار المملكة ويحكم فيهــا باحكام عجيبة لايمكن استقصاؤهــا فى هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهى الاعضاء مرة فى الطلب ومرة فى الهرب ومرة فى اتمام التــدبيرات التى تعن له فهذه سياقة نعمة الله عليــك فى الادراكات ولا تظنن أنا استوفيناها فان الحواس الظاهرة هى بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفــة بعضــها رطوبات وبعضها أغشية وبعض الاغشــية كانها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة و بعض تلك الرطوبات كانه بياض البيض و بعضها كانه الجمد ولكل واحدة من هــذه الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئــة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الاطباء والكحالون كلهم

(وهذه البرد) بضمتين جمع بريد الرسول (والجواسيس يقتصون الاخبار) أى يتتبعونها (من اقطار المملكة) واطرافها (و يسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد فى مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب) الواردة (على باب الملك يجمع القصص والكتب) الواردة من نواحى العالم فيأخذها من يد الجواسيس (وهى مختومة و يسلمها) الى الملك (اذ ليس له الا أخذها و جمعها وحفظها) الى وقت الحاجة (وأما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذى هو الامير والملك سلم الانهاآت) وهو رفع القصص لانه يذكر فيها دائما وانهى اليه كذا وكذا (اليه مختومة فيفضها الملك) وفى نسخة فيفتشها (و يطلع منها على أسرار المملكة و يحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها) فى هــذا المقام وقد يفحص صاحب الاخبار عن تلك القصص فيسقط منها ما يراه حشوا و يرفع الباقى صافيا الى حضرة الملك فيميزه و يرفعه و يعرف مضاره ومنافعه و يسلمه الى خازنه وهى القوة الحافظة الى وقت حاجته فحينئذ يتقدم باخراجه (و بحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهى الاعضاء مرة فى الطلب ومرة فى الهرب ومرة فى اتمام تدبيرات تعن له) أى تعرض (فهذه سياقة نعمة الله) تعالى (عليك فى الادراكات ولا تظنن اننا استوفيناها فان الحواس الظاهرة) الخمس (هى بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات و بعضها أغشية و بعض الاغشية كانها نسج العنكبوت و بعضها كالمشيمة و بعض تلك الرطوبات كانه بياض البيض و بعضها كانه الجمد ولكل واحد من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الاطباء والكحالون كلهم) و بيان ذلك ان كلا من العين مركب من سبع طبقات وثلاث رطوبات وهى العصب والعضل والعروق وقد سمى المصنف الكل طبقات وفيه تسامح لا يضر وكيفية تركيبها ان العصبة المجوفة التى هى أول العصب الخارج من الدماغ تخرج من القحف الى قعر العين وعليها غشاآن هما غشاء الدماغ فاذا برزت عن العين وصارت فى جوفة عظم العين فارقها الغشاء الغليظ وصار غشاء ولباسا على عظم العين و يسمى هذا الغشاء الطبقة الصلبية ثم يفارقها الغشاء الرقيق فيصير غشاء ولباسا بعد الصلبية وتسمى الطبقة المشيمية لشبهها بالمشيمة لانها ذات عروق كثيرة ثم تصير هذه العصبية نفسها الى المجوفة عريضة و يصير منها غشاء بعد الاولين و يسمى الطبقة الشبكية ثم يتكون فى وسط هذا الغشاء جسم رطب لين فى لون الزجاج الذائب وقوامه وتسمى الرطوبة الزجاجية و يتكون فى وسط هذا الجسم جسم آخر مستدير الا ان فى جانبه الخارجى أدنى تفرطح لتظهر فيه اشباح المرئيات وفى جانب الداخل نتو ليتوصل بالعصبة المجوفة كما ينبغى وتسمى الرطوبة الجليدية تشبيها بالجليد فى صفائه و يسمى البردية أيضا لشبهها بالبردة فى شكلها وصفائها وشفيفها و يحفظ الزجاجية من الجليدية بمقدار النصف و يعلو النصف الآخر جسم شبيه بنسيج العنكبوت شديد الصقال والصفاء يسمى الطبقــة العنكبوتية ثم يعلو هذه الطبقة جسم سائل فى لون بياض البيض وقوامه يسمى الرطوبة البيضية و يعلو البيضية جسم رقيق مخمل الداخل أملس الخارج و يختلف لونه فى الابدان فربما كان شديد السواد و ربما كان دون ذلك فى وسطه حيث يحاذى الجليدية ثقب يتسع و يضيق فى حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية الى الضوء فيضيق عند الضوء الشديد و يتسع فى الظلمة و يسمى هذا الثقب الحدقة وهذا الغشاء الطبقة العنبية فى خمل باطنها وملاسة ظاهرها والثقب الذى فى وسطها و بعضــهم يقول ان لون هــذه الطبقة هو الاسمانجونى ليكون نور الباصرة فيها معتدلا اذ لا لون أنسب وأوفق لنور الباصرة من هذا لان لون السواد يقبض النور المذكور والبياض يفرقه وهــذا اللون متوسط بين السواد والبياض ولا نجد فى الالوان ما هو فى حاق الوسط بينهما مثل هذا اللون و يعلو هذه الطبقة جسم كثيف صلب صاف شفاف يشبه صحيفة رقيقة من قرن أبيض و يسمى الطبقة القرنية غير

فهذا فى حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن تستوفى حكم الله تعالى وأنواع نعمه فى جسم البصر وطبقاته فى مجلدات كثيرة مع أن جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه فهذه مرامز الى نعم الله تعالى بخلق الادراكات

(الطرف الثانى فى أصناف النعم فى خلق الارادات)

اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل فى الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الاشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا فى حقه فاضطررت الى أن يكون لك ميل الى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضى الذى يضطرك الى التناول حتى تتناول وتغتذى فتبقى بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكت نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها لا كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا انصب فى أسفله حتى يفسد فيحتاج الى آدمى يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك

انها تتلون بلون الطبقة التى تحتها المسماة بالعنبية كما اذا الصق وراء جام من زجاج شئ ذو لون فيخيل ذلك المكان من الزجاج بلون ذلك الشئ ولونها مختلف فى الناس ففى بعض يكون زرقاء وفى بعض يكون شهلاء وفى بعض يكون سوداء ويعلو هذه الطبقة ويغشيها لا كلها بل الى موضع سواد العين جسم أبيض اللون صلب يسمى الطبقة الملتحمة وهى التى تلى الهواء وهو بياض العين ونباته من الجلد الذى على القحف من خارج وجوهره من لحم أبيض دسم وقد امتزج بعضلة العين وأحكم على القرنية فلهذا يسمى بالملتحمة ونبات القرنية من الصلبية ونبات العنبية من المشيمة ونبات العنكبوتية من الشبكية هكذا رتب بعضهم هذه الطبقات والرطوبات أعنى جعل الاول الطبقة الصلبية ثم الطبقة المشيمية ثم الطبقة الشبكية ثم الرطوبة الجليدية ثم الطبقة العنكبوتية ثم الرطوبة البيضية ثم باقى الطبقات وبعضهم جعل الرطوبة البيضية تالية للرطوبة الجليدية بين الزجاجية والبيضية ليأخذ الغذاء من الزجاجية وتدفع البيضية عنها أشعة الشمس ونحوها وجعل الطبقات الاربع أعنى العنكبوتية والعنبية والقرنية والملتحمة تالية للرطوبات الثلاث المتتالية وأشرف أجزاء العين انما هو الرطوبة الجليدية وسائر الطبقات والرطوبات لاجل مصلحته فالزجاجية والطبقات الثلاث المتصلة بها قد أحاطت بنصف الجليدية من جانب الرطوبة البيضية والطبقات الاربع المتصلة بها محيطة بنصفها الآخر من جانب آخر وهى موضوعة فى الوسط صيانة لها وحرزا (فهذا فى حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس) ومن أعجب ما فى حاسة السمع ان فى داخلها فضاء موضوعا مجوفا ذا تقعير يؤدى اليه ثقبة وقد انبسط غشاء منتسج من ليف عصب الحس المذكور على محيط ذلك الفضاء كانبساط الجلد على الطبل وبهذا الغشاء يكون السمع عند ما يقرعه الصوت لان فى ذلك الفضاء هواء راكدا فكلما وصل الهواء الخارجى المتموج الى العصب حرك الهواء الداخل فيصادمان فى العصب معا فيدرك الصوت (بل لا يمكن ان تستوفى حكم الله تعالى وأنواع نعمه فى جسم البصر وطبقاته) المذكورة (فى مجلدات كثيرة) قد تكفل ببيان بعضها أهل التشريح (مع ان جملته لا تزيد على جوزة صغيرة) أى فى المقدار (فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه) التى ركبها الله تعالى فيه (فهذه مرامز) أى اشارات (الى نعم الله تعالى بخلق الادراكات) والله أعلم

(الطرف الثانى) (فى) بيان (أصناف النعم التى فى خلق الادراكات اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل فى الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا) مهملا (فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الاشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا فى حقه فاضطررت الى أن يكون لك ميل الى ما يوافقك) ويلائم مزاجك يسمى شهوة (و) ان تكون (نفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضى) أى المطالب (الذى يضطرك) أى يلجئك (الى التناول) منه (حتى تتناول وتغتذى فتبقى بالغذاء وهذا) القدر (مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا أخذت مقدار الحاجة) منه (أسرفت) وتجاوزت (وأهلكت نفسك فخلق الله سبحانه لك الكراهة عند الشبع لتترك بها الاكل لا كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا انصب فى أسافله حتى يفسد فيحتاج الى آدمى يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى) حتى يصلح (وكما خلق لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك) وها تان هما الشهوتان واحداهما تحدث عن الاخرى (ولو قصصنا عليك

عجائب صنع الله تعالى فى خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من المنى ودم الحيض وكيفية خلق الانثيين والعروق السالكة اليهما من الفقار الذى هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة فى بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع فى بعضها فتتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها فى أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة أجزائها الى رأس ويد ورجل وبطن وظهر وسائر الاعضاء لقضيت من أنواع نعم الله تعالى عليك فى مبدأ خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن ولكنا لسنا نريد أن نتعرض الا لنعم الله تعالى فى الاكل وحده كى

لا يطول الكلام فاذا شهوة الطعام أحد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تأتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذى به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات ولاخذ منك كل ما حصلته من الغذاء فان كل واحد يشتهى ما فى يديك فتحتاج الى داعية فى دفعه ومقاتلته وهى داعية الغضب الذى به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما يضر وينفع فى الحال وأما فى المآل فلا يكفى فيه هذه الارادة فخلق الله تعالى لك ارادة أخرى مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك فى الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة أفردت بها عن البهائم اكراما لبنى آدم كما أفردت بمعرفة العواقب وقد سمينا هذه الارادة باعثا دينيا وفصلناه فى كتاب الصبر تفصيلا أوفى من هذا * (الطرف الثالث فى نعم الله تعالى فى خلق القدرة وآلة الحركة) * اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والهرب فكم من مريض مشتاق الى شئ بعيد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه ان يمشى اليه لفقد رجله أو لا يمكنه ان يتناوله لفقد يده أو لفلج وخدر فيهما فلا بد من آلات للحركة وقدرة فى تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهية هربا

عجائب صنع الله فى خلق الرحم وخلق دم الحيض وتأليف الجنين من النطفة ودم الحيض) فى الرحم الذى هو من المرأة بمنزلة الذكر من الرجل (وكيفية خلق الانثيين) وهما ركنا من لحم أبيض غدوى دسم ومن عروق وشريانات وهما آلتا المنى ومعدناه اذ المنى ينزل اليهما من جميع الاعضاء من كل عضو جزء (والعروق السالكة اليهما من الفقار الذى هو مستقر النطفة) وهى فقرات الظهر (وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب) وهى ضلوع صدرها أو ما وى الترقوتين أو ما بين الثديين والترقوتين أو أربع اضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته (بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة فى بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع فى بعضها فتتشكل بشكل الاناث) وهو مربوط برباطات مسلسلة متصلة بخرز الظهر وبجانب السرة والمثانة تحفظه على وضعه وله زائدتان يسميان قرنى الرحم وخلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة ينصب منهما منى المرأة الى تجويف الرحم (وكيفية ادارتها فى أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة أجزائها الى رأس ورجل وبطن وظهر ويد وسائر الاعضاء لقضيت من أنواع نعم الله عليك فى مبدأ خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله تعالى فى الاكل وحده كيلا يطول الكلام) ويتسع المجال ويخرج عن مقصود الكتاب (فاذا شهوة الطعام أحد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تأتيك المهلكات من الجوانب) الاربعة (فلو لم يخلق فيك الغضب الذى به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات) وهدفا للمهلكات (ولاخذ منك كل ما حصلت من الغذاء فان كل أحد يشتهى ما فى يدك فتحتاج الى داعية فى دفعه) عنك (ومقاتلته وهى داعية الغضب الذى به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا يدعوان الا الى ما يضر وينفع فى الحال أما فى المآل فلا تكفى هذه الارادة فخلق الله لك ارادة أخرى مسخرة) أى منقادة (تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرين تحت ادراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك فى الاحتراز عنها ما لم يكن ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة) قد (أفردت بها عن البهائم) وميزت بها عنها (اكراما لبنى آدم كما أفردت بمعرفة العواقب) التى هى من خواص العقل (وقد سميناها هذه الارادة باعثا دينيا وفصلناه فى كتاب الصبر أوفى من هذا) فراجعه والله أعلم

*(الطرف الثالث) (فى) بيان (نعم الله تعالى فى خلق القدرة وآلات الحركة اعلم) وفقك الله تعالى (ان الحس لا يفيد الا الادراك) وقد تقدم ان كل حاسة لها ادراك خاص (والارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب او) الى (الهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والهرب فكم من زمن) وهو المريض الذى يطول به المرض زمانا طويلا (مشتاق الى شئ بعيد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه ان يمشى اليه لفقد رجله أو لا يمكنه أن يتناوله لفقد يده أو لفلج وخدر فيهما) خاصة مع صحة الجسم (فلا بد من آلات للحركة وقدرة فى تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا

فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضاء التى تنظر الى ظاهرها ولا تعرف أسرارها) وماخلقت له (فمنها ماهو للطلب والهرب كالرجل للانسان) فانه بها يطلب ما يريد ويهرب عما لا يريد (والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها ماهى للدفع) عنه (كالاسلحة للانسان والقرون للحيوانات وفى هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها مايكثر اعداؤه و يبعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة) لتحصيل غذائه ولئلا يدركه الطالب (ومنها ماخلق له أربع قوائم) ولا زيادة عليها وماوجد فى بعضها من زيادات الارجل فهى بمنزلة الزائدة أو المعينة (ومنها ماله رجلان) كبنى آدم والطيور (ومنها مايدب) على بطنه كالحيات وما أشبهها (وذكر ذلك يطول) ولم يخلق للحيات مايكون بمنزلة السلاح لها فعوّض عنها بالهيبة فلا تخرج على جماعة الا و يتفرقون من هيبتها (فلنذكر الاعضاء التى بها يتم الاكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول رؤيتك الطعام من بعد وحركتك اليه لا تكفى مالم تأخذه) وفى نسخة مالم تتمكن من أخذه (فافتقرت) لامحالة (الى آلة باطشة فأنعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدّتان الى الاشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك فى الجهات فتمتد وتنثنى اليك) بسهولة (فلا تكون كخشبة منصوبة) تمتد ولا تنثنى (ثم جعل رأس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هى الاصابع وجعلها فى صفين بحيث يكون الابهام فى جانب ويدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها) الحكيم تعالى شأنه (وضعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت آلة للضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت آلة فى القبض) و بيان ذلك ان للساعدين أربعة عظام لكل اثنان هما الزندان طولهما من المرفق الى الرسغ أحدهما كبير موضوع فى الاسفل يلى الخنصر و يقال له الزند الاسفل و يسمى باسم جملة الساعد ذراعا وثانيهما صغير موضوع فوق ما يلى الابهام و يقال له الزند الاعلى وانما جعل كذلك لان الحامل يجب أن يكون أقوى من المحمول وقولنا فوق وأسفل انما هو عند مايكون الساعد منصوبا بحيث يقبل باطنه و باطن الكف على البدن وانما ألف الساعد من عظمين لاحتياجه الى مفصلين ينبسط و ينقبض باحدهما وهو المفصل الملتئم بين الزند الاسفل ٧ وذلك لان الزند الاسفل له فى أعلاه رأسان فيما بينهما حز شبيه بسنى اليونان هكذا (<) فينبسط الساعد به انبساطا يصير جملة اليد ممدودة وتنقبض بحيث يلحق الكف الكتف فاذا أريد البسط دخل رأس الزند الاسفل الذى هو من خلف فى نقرة له مهيأة فى طرف الحز من العضد من خلف واستقر فيها فيمنع الساعد ان ينثنى الى خلف واذا أريد القبض دخل رأس الزند الاسفل من قدام فى نقرة أخرى فى طرف ذلك الحز من قدام فاستقر فيها فلا تنقبض اليد ولا ينثنى أكثر من ذلك و ينكب بالمفصل الآخر على وجهه و ينقلب على قفاه وهو المفصل الملتئم بين الزند الاعلى والعضد اذ الطرف الوحشى من طرف العضد مما يلى الساعد يدخل فى نقرة فيها طرف الزند الاعلى فيدور الزند عليه وأما عظام رسغ اليدين فهى ستة عشر لكل ثمانية وهى عظام صلبة صلدة عديمة المخ سبعة منها انضدت صفين فالصف الاعلى من ثلاثة والاسفل من أربعة وذلك لان أعلى الرسغ موصول بعضو ضيق الطرف ليس بين عظميه فى هذا الجانب زرجة أعنى الساعد وأسفله بعضو عريض أعنى مشط الكف وأما الثامن فانما خلق لحفظ عصبة هنالك تأتى الكف لا للرسغ خاصة وللرسغ مفصلان أحدهما كبير يلتئم بدخول الثلاثة العليا فى حفرة فى طرف الساعد محفورة فى رأس الزندين جميعا و بهذا المفصل يكون انقباض الرسغ وانبساطه والثانى صغير يلتئم بدخول زائدة فى طرف الزند الاسفل مما يلى الخنصر فى نقرة العظم الذى فى هذا الموضع من عظام الرسغ فيدور الرسغ على تلك الزائدة وبهذا المفصل ينكب الرسغ و ينقلب وأما عظام الكفين فهى ثمانية لكل أربعة وهى كالمتوسط بين أربعة الرسغ والاصابع الاربع سوى الابهام وطرفها الذى يلى الرسغ متصل به اتصالا محكما بمار بطته وتبقى بحيث لا تظهر فيه حركة ورؤس العظام فى هذا الطرف متصل بعضها

فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضاء التى تنظر الى ظاهرها ولا تعرف أسرارها فمنها ماهو للطلب والهرب كالرجل للانسان والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها ماهو للدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوان وفى هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها مايكثر اعداؤه و يبعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ماخلق له أربع قوائم ومنها ماله رجلان ومنها مايدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التى بها يتم الاكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول رؤيتك الطعام من بعد وحركتك اليه لا تكفى مالم تتمكن من ان تأخذه فافتقرت الى آلة باطشة فأنعم الله تعالى عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدّتان الى الاشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك فى الجهات فتمتد وتنثنى اليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل رأس اليد عريضا بخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هى الاصابع وجعلها فى صفين بحيث يكون الابهام فى جانب ويدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعا ان بسطتها كانت لك مجرفة وان ضممتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت لك آلة للضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة فى القبض

بعض أيضا اتصالا شديدا بعظام الرسغ حتى لو كشط جلدة الكف وجدت هذه العظام متصلة ببعد وصولها عن الحس وأما رؤس التى فى الطرف الآخر فبينها فرج مادامت الاصابع منفرجة وهى تنضم بانضمام الاصابع وأما عظام أصابع اليدين فهى ثلاثون لكل خمسة عشر وكل أصبع مؤلف من ثلاثة عظام تسمى الانامل والسلاميات يتصل بعضها ببعض بمفاصل موثقة بربط وكذا الابهام الا ان العظم الاول منه مربوط بالرسغ لابالمشط كالاربع الاخر وقيل هو متصل بطرف الزند الاعلى بمفصل واسع سلس لانه يحتاج الى حركة واسعة ليلتقى به الاصابع الاربع (ثم خلق لها أظفارا) وهى امامن العظام واما أجسام عظمية موصولة بالسلاميات الاخيرة من الاصابع مربوطة مع اللحم والجلد برباطات من جنس الاوتار وقد يصير اليها عصب وو ريد وشرانيات يؤدى اليها الحياة والغذاء (وأسند اليها رؤس الاصابع حتى لاتتفتت) ولاتهن عند الشد على الشئ هذا أحد منافع الاظفار (و) الثانية من منافعها (حتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة) الصغيرة (التى لاتحويها الا الاصابع فتأخذها برؤس أظفارك) والمنفعة الثالثة ان تتمكن من الحك والتنقية والرابعة ان تكون سلاحا لك فى بعض الاوقات واليه يشير ما ورد فى الخبر وأما الظفر فمدى الحبشة والثلاثة الاولى أولى بنوع الانسان والرابعة ببعض الحيوانات ولذا وردت السنة فى تقليمها متى طالت وخلقت مستديرة الاطراف من عظام لينة لتنطام من تحت مايصاكها فلا تنصدع وخلقت نابتة دائما وفى كل ذلك حكم خفية لا يعلمها الا الراسخون فى العلم (ثم هب انك أخذت الطعام باليد فمن أين يكفيك هذا مالم يصل الى المعدة وهى فى الباطن فلابد وان يكون من الظاهر دهليز اليها حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا الطعام الى المعدة مع مافيه) أى فى الفم (من الحكم الكثيرة) مابين ظاهرة وخفية (سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة) وأجلها النطق الذى هو سبب السعادات كلها (ثم ان وضعت الطعام فى الفم وهو) أى الطعام (قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه) لضيق المدخل (فتحتاج الى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين) هذا على الاجمال وبالتفصيل فعظام اللحى الاعلى أربعة عشر ستة فى العينين لكل ثلاثة واثنان فى الوجنتين وهما كبيران (وركب فيهما) أكثر (الاسنان) سوى الثنايا والرباعيات العليا واثنان صغيران وفيهما ثقبتان من المنخرين الى الفم واثنان فى طرف اللحى وفيهما بقية الاسنان واثنان فى الانف وأما عظام اللحى الاسفل فطرف كل منهما من أسفل فى موضع الذقن يلتحم بصاحبه والآخر من فوق له شعبتان (وطبق الاضراس من العليا على السفلى لتطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة الى القطع ثم يحتاج الى الطحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحين كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والى مايصلح للكسر كالانياب) اعلم ان الاسنان اثنان وثلاثون وفى كل لحى ستة عشر أربعة من قدام وهى الثنيتان والرباعيتان ويقال لها القطاعة اذ يقطع بها مايؤكل من الطعام اللين وهى عراض حادة الرؤس واثنتان من جانبى الاربع ويقال لهما النابان وهما حادتا الرؤس عريضتا الاصول يكسر بهما ماصلب من الطعام ولكل من هذه الست أصل واحد وخمس فى كل من الجانبين وهى عراض خشنة الرؤس وتسمى الاضراس والطواحين لانها تطحن الطعام وتسحق ولكل منها اذا كان من فوق ثلاثة أصول وقد يكون لاقصاها أربعة وان كان من أسفل أصلان وقد يكون لاقصاها ثلاثة أصول وانما جعل أصول الاضراس أكثر لشدة عملها ودوامه وانما جعل أصول الفوقانية منها أكثر من أصول التحتانية لتعلقها وربما عدمت النواجذ منها فى بعض الناس وهى الاربعة الطرفانية فتكون اسنانه ثمانية وعشرين والنواجذ تنبت فى الاكثر فى وسط زمان النمو وهو بعد البلوغ الى الوقوف وذلك الوقوف قريب من ثلاثين سنة ولذلك تسمى أسنان الحلم (ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحى ولولاه لما تيسر الا ضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك

ثم خلق لها أظفارا وأسند اليها رؤس الاصابع حتى لاتتفتت وحتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة التى لا تحويها الاصابع فتأخذها برؤس أظفارك ثم هب انك أخذت الطعام باليدين فمن أين يكفيك هذا مالم يصل الى المعدة وهى فى الباطن فلابد وان يكون من الظاهر دهليز اليها حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان وضعت الطعام فى الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج الى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا على السفلى لتطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة الى القطع ثم يحتاج الى الطحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحين كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والى مايصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحى ولولا ذلك لما تيسر الا ضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك

لا يتم الطحن فجعل اللحى الاسفل متحركا حركة دورية واللحى الاعلى ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله تعالى فان كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الاسفل ويدور

الاعلى الا هذا الرحى الذي صنعه الله تعالى اذ يدور ومنه الاسفل على الاعلى فسبحانه ما أعظم شانه وأعز سلطانه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام فى فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان أو كيف تستجره الاسنان الى نفسها أو كيف يتصرف باليد فى داخل الفم فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان فانه يطوف فى جوانب الفم و يرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التى ترد الطعام الى الرحى هذا مع ما فيه من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق والحكم التى لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع الا بان ينزلق الى الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى الطعام من بعد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب أشداقك والطعام بعد بعيد عنك ثم هذا الطعام المطحون المنعجن من يوصله الى المعدة وهو فى الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا يد فى المعدة حتى تمتد فتجتذب الطعام فانظر كيف هيأ الله تعالى المرىء والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطه فيهوى الى المعدة فى دهليز المرىء فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل

لا يتم الطحن فجعل اللحى الاسفل متحركا حركة دورية واللحى الاعلى ثابتا لا يتحرك) أى ان الثنايا والرباعيات تتماس وتتلاقى فى حالة العض ولو لم يكن كذلك لم يتم العض على الاشياء وذلك يكون بجذب الفك الى قدام حتى يلاقى بعضها بعضا وعند المضغ والطحن يرجع الفك الى مكانه فتدخل الثنايا والرباعيات السفلانيات الى داخل وتحيد عن موازاة العالية فيتم بذلك للاضراس وقوع بعضها على بعض وذلك لانه لا يمكن عن تلاقى الثنايا والرباعيات التى فى اللحى الاعلى وفى اللحى الاسفل ان تتلاقى الاضراس (فانظر الى عجيب صنع الله تعالى) وبديع حكمته (فان كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الاسفل ويدور الاعلى) ولو تحرك الاسفل لفسد (الا هذا الرحى الذى صنعه الله تعالى اذ يدور ومنه الاسفل على الاعلى) وسر ذلك ان الله تعالى قد وضع خزائن الحواس فى اللحى الاعلى فلو دار الفك الاعلى لخيف من تطرق الخلل والفساد على تلك الخزائن وقد استثنى مما ذكر التمساح فقد قالوا كل حيوان يتحرك فكه الاسفل عند المضغ الا التمساح (فسبحانه ما أعظم شانه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام فى فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام الى ما تحت الاسنان أو كيف تستجره الاسنان الى نفسها أو كيف يتصرف باليدين فى داخل الفم فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان) وركبه من لحم وعروق وشريانات وعصب حساس وغشاء متصل بغشاء المرىء (فانه يطوف فى جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة) الى طحن أو كسر أو مضغ (كالمجرفة التى ترد الطعام الى الرحى) وذلك ان جوهره لحم أبيض رخو مجلل بالغشاء المذكور وقد التفت به عروق صغار كثيرة فيها دم هو سبب حمرة لونه وتحته عروق وشريانات وأعصاب كثيرة فوق ما يستحقه قدره من العظم (هذا مع ما فيه من فائدة الذوق) اذ موضع قوته العصب المفروش عليه (وعجائب قوة النطق) وهى القوة الانسانية التى يكون بها الكلام (والحكم التى لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع) والازدراد (الا بان ينزلق الى الحلق) وهو الفضاء الذى فى أقصى الفم وفيه مجريان أحدهما قصبة الرئة والثانى المرىء ولا يكون التزلق الا (بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها) وهما فوهتان وهما ساكبتا اللعاب وبهما يبقى فى اللسان وما حوله النداوة الطبيعية (و) هذا اللعاب (ينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الامر فانك ترى الطعام من بعد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تتحلب أشداقك والطعام بعد بعيد عنك ثم هذا الطعام المطحون المنعجن من يوصله الى المعدة وهو فى الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا فى المعدة يد حتى تمتد فتجتذب الطعام فانظر كيف هيأ الله تعالى المرىء والحنجرة) فالمرىء هو منفذ الطعام والشراب متصل بالحلقوم الذى يجرى فيه الطعام والشراب وهو مؤلف من لحم وأغشية والحنجرة مؤلفة من غضاريف ثلاثة (وجعل على رأسها طبقات) منها داخلة وهى شبيهة بالاغشية ومنها خارجة وهى أكثر جبية (تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطه فيهوى الى المعدة فى دهليز المرىء) واعلم ان فى الحنجرة رطوبة دسمة لزجة كائنة فى تضاعيف غضاريف الحنجرة بها يكون الصوت صافيا فاذا عرض لاحد حمى محرقة تحترق تلك الرطوبة فلا يقدر على اخراج الصوت وكذا من تكلم كثيرا أو سافر فى هواء حار يابس فانهما لا يقدران على التكلم الا اذا بلاحلقهما بالماء أو بشىء آخر رطب (فاذا ورد) طعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل

لا بد
تقدر على أن تدفعه باليد ولا يد فى المعدة حتى تمتد فتجتذب الطعام فانظر كيف هيأ الله تعالى المرىء والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطه فيهوى الى المعدة فى دهليز المرىء فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لان يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل

لابد وأن يطبخ طبخا تاما تتشابه اجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوى
عليه وتنغلق عليه الابواب فلا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج) اعلم ان المعدة جسم مستدير الهيئة
مركب من اللحم والعصب والعروق والشرايين والغشاءين وهى مؤلفة من طبقتين والطبقة الظاهرة
لحمية وكلما بعدت المعدة عن المرىء اتسعت وصار المرىء كالعنق ولها من أسفل ثقب أضيق من فمها
يسمى البوّاب وعند اشتمال المعدة على الغذاء وانضمامها ينغلق البوّاب بحيث لا يخرج عنه أصلا حتى
الماء الى أن يتم الهضم ثم ينفتح ليصير مافى المعدة الى الامعاء الاثنى عشر ويبقى مفتوحا الى أن يتم فعل
الدافعة ومبدأ الاتساع يسمى فم المعدة وهو عند ماينقطع عظام القص وهو عار عن اللحم وباقيه هو العضو
المسمى بالمعدة وموضعها فوق السرة وهى مربوطة مع الفقار ومع غيرها من الاحشاء بأربطة وثيقة تمسكه
وكذا جميع الاحشاء قد أحكم ربطها ودعامها بقدر شرفها وشدة الحاجة اليها والخوف عليها فاذا ورد
الغذاء فى البدن تهضمه الطبيعة هضوما أربعة أى تعده لان يصير جزأ من البدن وابتداء الهضم الاول
عند المضغ بسبب ان سطح الفم متصل بسطح المعدة بل لانهما سطح واحد وفيه منه قوة هاضمة فاذا لاقى
الممضوغ أحاله احالة ما ويعين على ذلك الريق المستفيد بالنضج الواقع فيه حرارة غريزية ثم اذا ورد على المعدة
انهضم الهضم التام الاول لا بحرارة المعدة وحدها بل (وبالحرارة التى تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة) أيضا
(اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال) فان الطحال قد يسخن به لا بجوهره بل بالشرايين
والاوردة الكثيرة التى فيه (ومن قدام الترب) الشحمى القابل للحرارة المؤديها الى المعدة (ومن خلف
لحم الصلب) أى العرق العظيم الممتد على الصلب من خلف المعدة ومن فوق القلب بتوسط تسخينه
للحجاب لانه حاجز بين القلب والمعدة فهو يسخن الحجاب ثم يسخن الحجاب المعدة ومن تحت المرارة بما فيها
من الصفراء (فتتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير)
بذاته فى كثير من الحيوان كجوارح الصيد والجمل والحية من غير شرب ماء وبمعونة مايخالطه من المشروب فى
أكثره (مائعا متشابها) أى كيلوسا وهو جوهر سيال (يصلح للنفوذ فى تجاويف العروق وعند ذلك يشبه
ماء الشعير) وهو الكشك الثخين (فى تشابه اجزائه وهو بعد لا يصلح للتغذية) اعلم ان جسم المعدة
مؤلف من ثلاث طبقات احداها يأخذ ليفه طولا والثانية يأخذ ليفه عرضا والثالثة يأخذ ليفه وراباً
وليس فى المرىء ليف مورب لعدم الاحتياج الى الماسكة هناك ويوجد اللحم فى الطبقة الخارجة عند قعر
المعدة أكثر ليكون أسخن فيجود الهضم وذلك ان قعرها بعيد عن القلب والكبد المسخنين بالمجاورة
فاحتيج الى فضل تسخين وقد وصل الى فم المعدة شعبة من عصب الحس وانبسط فيه وبواسطته يدرى ألم
الجوع والحاجة الى الغذاء ولهذا لا يحس بألم الجوع الا فى فم المعدة والشريان والاجوف قد أتيا من
القلب والكبد الى محدب المعدة ونسجت شعبهما بعضها ببعض وأصل الثرب وهو عضو مؤلف من طبقتين
غشائيتين يراكب احداهما على الاخرى وتخلل بينهما شحم كثير وشعب دقاق فى العروق والشرايين اذ هو
يبتدئ من فم المعدة ويمر منتهاها الى معاء قولون وانه كجراب لو اوعى شيأ سيالا لامسكه وتنتسج طبقاته
من الصفاق ومن شظايا العروق والشريان ثم تترشح اليها رطوبة لزجة دهنية هى الشحم وهو كبطانة
للصفاق وظهارة للمعدة ومنفعته تقوية الاحشاء وتسخينها وفوق الثرب غشاء قوى يسمى الصفاق يحفظ
الامعاء على أوضاعها وفوق الصفاق تكون عضلات البطن المسماة بالمراق والصفاق والمراق يحفظان
حرارة الاحشاء وقد نبت أصل الصفاق من فوق الحجاب ثم انبسط الى الاضلاع من داخل البطن ثم نزل الى
أسفل المثانة وهناك يوجد فيه منفذان ضيقان تنفذ فيهما العروق والرباطات النازلة الى الانثيين وقد ظن
بعض الناس ان المعدة تغتذى من الكيلوس وهو خطأ لان الكيلوس لا يصلح للغذاء دون أن يصير الى
الكبد وينهضم فيها ويستحيل الى الدم وباقى الاخلاط ثم يمتاز الدم عنها كما فيكون غذاء للاعضاء

لابد وأن يطبخ طبخا تاما
حتى تتشابه أجزاؤه فخلق
الله تعالى المعدة على هيئة
قدر فيقع فيها الطعام
فتحتوى عليه وتنغلق عليه
الابواب فلا يزال لابثا فيها حتى
يتم الهضم والنضج بالحرارة
التى تحيط بالمعدة من الاعضاء
الباطنة اذ من جانبها الايمن
الكبد ومن الايسر الطحال
ومن قدام الترائب ومن خلف
لحم الصلب فتتعدى الحرارة
اليها من تسخين هذه
الاعضاء عن الجوانب حتى
ينطبخ الطعام ويصير مائعا
متشابها يصلح للنفوذ فى
تجاويف العروق وعند
ذلك يشبه ماء الشعير فى تشابه
أجزائه ورقته وهو بعد
لا يصلح للتغذية

واليه أشار المصنف بقوله (فخلق الله بينها و بين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى
ينصب الطعام فيها فيتهيأ الى الكبد) يشير الى ان ذلك الكيلوس بعد ذلك ينجذب لطيفه بواسطة جاذبة
الكبد ودافعة المعدة والامعاء من أواخر المعدة ومن الامعاء فيندفع من طريق العروق المسماة باساريقا
وهى عروق دقاق صلاب متصلة بالامعاء كلها و يأخذ المعدة الى العرق المسمى بباب الكبد و ينفذ فى الكبد
فى اجزاء وفروع للباب داخلة متصغرة متضائلة كالشعر ملاقية لفوهات اجزاء أصل العرق الطالع من حدبة
الكبد (والكبد جسم) مركب من اللحم والعروق والشرايين والغشاء الذى يسترها و يحفظها على وضعها
وليس لها فى نفسها حس لكن لغشائها حس كثير (معجون من طينة الدم) أى لونه ولحمه شبيه بالدم الجامد
(حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة فى اجزاء الكبد) ونباتها منه وشكله هلالى وموضعه
الجانب الايمن تحت الضلوع العالية من ضلوع الخلف وظهره ملاصق بتلك الضلوع فى بعض الناس دون
بعض و بطنه ملاصق بالمعدة اعلاه فيما بين حجاب الصدر وأسفله ينتهى الى الخاصرة مربوط باربطة تتصل
بالغشاء الذى عليه وله تقعير فى الجانب الذى يلى المعدة وله قوة مصاصة بها يجذب الكيلوس من المعدة وآلته
لهذا العمل العروق المسماة بالماساريقا وفيها القوة المصاصة كما فى الكبد (فينصب الطعام الرقيق النافذ
فيها و ينتشر فى اجزائها) أى يتفرق فى ليف هذه العروق فيصير الكبد كأنها بكليتها ملاقية لكلية هذا
الكيلوس (حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر) وهذا
هو الهضم الثانى (و يحصل له هيئة الدم الصافى الصالح لغذاء الاعضاء الا ان حرارة الكبد هى التى تنضج
هذا الدم فتتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد فى جميع ما يطبخ احداهما شبيهة بالدردى والعكر) وهو
ما يبقى فى أسفل الزيت (وهو الخلط السوداوى) والمراد بالخلط الكيموس وهو جسم رطب يستحيل اليه
الغذاء أولا (والاخرى شبيهة بالرغوة وهى الصفراء) أى فى كل انطباخ لمثل هذا الكيلوس يحصل شئ
كالرغوة وشئ كالرسوب وربما كان معهما ماشئ الى الاحتراق ان أفرط الطبخ أو شئ كالفج ان قصر
الطبخ فالرغوة هى الصفراء والرسوب هو السوداء وهما طبيعيان والمحترق لطيفة صفراء محترقة وكثيفة
سوداء ردية وهما غير طبيعيين وأما الشئ المتصفى من هذه الجملة نضيجا فهو الدم ثم الصفراء اما طبيعية وهى
رغوة الدم حمراء اللون ناصعته بحيث تضرب الى صفرة كشعر الزعفران فاذا تولدت فى الكبد انقسمت
قسمان قسم يذهب مع الدم ليخالط الدم فى تغذية الاعضاء التى يستحق أن يكون فى غذائها جزء صالح من
الصفراء مثل الرئة و يلطف الدم لينفذ فى المسالك الضيقة وقسم يتصفى الى المرارة ليخلص البدن من الفضل
و يغذى المرارة وان ينصب منه قسط من المرارة الى الامعاء ليغسلها من الثفل والبلغم اللزج والى عضل
المقعدة ليحس بالحاجة الى التبرز واما غير طبيعية اما الاختلاطها بالبلغم الغليظ وهى المحية واما الاحتراقها
فى نفسها وهى الرمادية وهذان الصنفان يعرفان بالصفراء المحترقة والثانى منهما ينقسم الى كراثى وزنجارى
ولكل منهما أحكام وهما انما يتولدان فى المعدة غالبا وقد ينصبان من العروق والكبد الى المعدة نادرا
(ولولم تفصل عنهما الفضلتان فسد مزاج الاعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما
عنقا ممدودا الى الكبد داخلا فى تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية و يجلب الطحال العكر السوداوى
فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية ولولاها لما انتشر فى تلك العروق الشعرية
ولا خرج منها متصاعدا الى الاعضاء) اعلم ان المرارة عضو عصبانى ذو طبقة واحدة وهى كربطة منسوجة
من الانواع الثلاث من الليف المستقيم والعريض والمورب معلقة من الكبد من ناحية المعدة وهى وعاء
الصفراء و بالوعتها وهى موضوعة على الزائدة الكبيرة من زوائد الكبد وله منفذان أحدهما متصل
الى تقعير الكبد فيه يصير الصفراء اليها والثانى متصل الى الامعاء الاثنى عشر ينفذ فيه ما فضل من
الصفراء و ينزل الى الامعاء المذكورة ثم يصير الى الامعاء الاخر لدفع الثفل وتنظيف الامعاء من الرطوبات

الغليظة

فخلق الله تعالى بينها و بين
الكبد مجارى من العروق
وجعل لها فوهات كثيرة حتى
ينصب الطعام فيها فيتهيأ
الى الكبد والكبد معجون
من طينة الدم حتى كأنه
دم وفيه عروق كثيرة شعرية
منتشرة فى أجزاء الكبد
فينصب الطعام الرقيق
النافذ فيها و ينتشر فى أجزائها
حتى تستولى عليه قوة
الكبد فتصبغه بلون الدم
فيستقر فيها ريثما يحصل له
نضج آخر و يحصل له هيئة
الدم الصافى الصالح لغذاء
الاعضاء الا أن حرارة الكبد
هى التى تنضج هذا الدم
فيتولد من هذا الدم فضلتان
كما يتولد فى جميع ما يطبخ
احداهما شبيهة بالدردى
والعكر وهو الخلط السوداوى
والاخرى شبيهة بالرغوة
وهى الصفراء ولولم تفصل
عنها الفضلتان فسد مزاج
الاعضاء فخلق الله تعالى
المرارة والطحال وجعل لكل
واحد منهما عنقا ممدودا الى
الكبد داخلا فى تجويفه
فتجذب المرارة الفضلة
الصفراوية و يجذب الطحال
العكر السوداوى فيبقى
الدم صافيا ليس فيه الا زيادة
رقة ورطوبة لما فيه من
المائية ولولاها لما انتشر فى
تلك العروق الشعرية ولا
خرج منها متصاعدا الى
الاعضاء

الغليظة بواسطة الحدة وأما الطحال فهو عضو مستطيل الشكل كاللسان سخيف اللحم كمد اللون وهو
وعاء السوداء و بالوعتها وموضعه فى الجانب الايسر من ضلوع الخلف والمعدة و يلزم المعدة من جانب وضلوع
الخلف من آخر وأكثره تحت المعدة وقد ربط بر بط متصلة بالغشاء الذى عليه وجعل متخلخلا ليستقر
السوداء المنجذب اليه فى تضاعيفه وجعل فيه الشرايين الكثيرة و ينبت عنه قناتان احداهما عن طرفه
و يتصل بالكبد عند تقعيره والثانية من داخله وتتصل بالمعدة وبها يندفع شئ من السوداء الى المعدة
لتنبيه شهوة الطعام ثم ان الدم بعد مادام فى الكبد يكون ارق مما ينبغى لفضل المائية المحتاج اليها الترقيق
الكيلوس وتنفيذه فى المسالك الضيقة وتنفصل عنها كما تنفصل عن الكبد فينجذب عنه فى عرق نازل
الى الكليتين واليه أشار المصنف بقوله (فخلق الله سبحانه الكليتين وأخرج من كل واحدة) منهما (عنقا
طويلا الى الكبد) وكل منهما مركب من لحم مكتنز صلب قليل الحمرة وعروق وشراينات وهما موضوعتان
عن جنبتى خرز الصلب بالقرب من الكبد اليمنى وشكلهما كنصف دائرة ومحدبهما الى طرف خرز
الظهر ليتمكن الانسان من الانحناء بسهولة وجوهرهما مندمج صلب لئلا ينفذ فيهما لا الماء الرقيق
ومزاجهما يميل الى البرودة والرطوبة بسبب الاوردة والشراينات فيهما وتنكسر بذلك حدة الصفراء
النازلة اليهما مع الماء فلا تحرق المثانة اذا نزلت اليها ولا حس لهما لئلا يحسا بحدة الصفراء الممزوجة
بالماء النازل اليهما فيحفظ الماء ريثما ينطبخ فينهضم قدر من الدم المخالط لذلك أيضا بحيث يصلح لان
يكون غذاء لهما (ومن عجائب حكمة الله تعالى ان عنقهما ليس داخلا فى تجويف الكبد بل متصل
بالعروق الطالعة من حدبة الكبد) وهو عرق عظيم أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره (حتى يجذب
مائيتها بعد الطلوع من العروق الدقيقة) الشعرية (التى فى الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج
من العروق) فيغذى الكليتين الدسومة والدموية من تلك المائية و يندفع باقيها الى المثانة والاحليل
(فاذا انفصلت منه المائية) الفضلية عن الدم عند خروجه من الكبد (فقد صار الدم صافيا من الفضلات
الثلاث نقيا من كل ما يفسد الغذاء) وصارت المائية الى هذين المنفذين فتجذبهما الكليتان فيكون
الغذاء الواصل الى الاعضاء بلا مائية فضلية والثانى من كل منهما يمر متسفلا حتى يصل بالمثانة و يسميان
الحالبين وهما مجرى البول وانما جعل الكليتان ثنتين لان أكثر أعضاء البدن زوج والدماغ ينقسم بقسمين
وكذا الاعصاب والعضلات والعروق والشرايين فكان البدن بدنان وان كان فى الحقيقة واحدا فجعل
الكليتين ثنتين ليعمل كل منهما عمله من جانب ولما كان القلب أشرف الاعضاء وكذا الرئة لانها خادمة
للقلب وجب أن يكون غذاؤهما أصفى وانضج من غذاء جميع الاعضاء فلهذا اقدر الخالق تعالى شأنه ان
العرق الذى يوصل غذاء هذين العضوين اليهما نزل من الكبد الى الكليتين ونفذ فيهما ثم خرج منهما
ورجع الى فوق لتجذب الكليتان بقوتهما المصاصة المائية المصاحبة للدم الذى فيه الغذائية هذين
العضوين الشريفين ولينضج الدم المذكور فى هذه المسافة الطويلة و يتصل غذاؤهما اليهما صافيا نضجا
(ثم ان الله تعالى اطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع أقساما وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك فى
البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا و باطنا فيجرى الدم الصافى فيها) بعد اندفاعه فى العرق العظيم
الطالع من حدبة الكبد المسمى بالاجوف فيسلك فى الاوردة المتشعبة منه ثم فى جداول الاوردة ثم فى سواقى
الجداول ثم فى رواضع السواقى ثم فى العروق الشعرية الكثيفة فينهضم بالهضم الثالث (و يصل الى سائر
الاعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية) أى كهيئة الشعر فى الدقة (كعروق الاوراق) الظاهرة
فيها (والاشجار) المستبطنة فى الارض (بحيث لاتدرك بالابصار) لدقتها وخفائها (فيصل منها الغذاء
بالرشح الى سائر الاعضاء) فيحصل لنصيب كل عضو عنده هضم رابع (ولو حل بالمرارة آفة فسد الدم
وحصل منه الامراض الصفراوية) وذلك بان يتفق قصور فى جذبها الصفراء من الكبد بدم الكبد

فخلق الله سبحانه الكليتين
وأخرج من كل واحد
منهما عنقا طويلا الى
الكبد ومن عجائب حكمة
الله تعالى أن عنقهما ليس
داخلا فى تجويف الكبد
بل متصل بالعروق الطالعة
من حدبة الكبد حتى
يجذب مائيتها بعد الطلوع
من العروق الدقيقة التى فى
الكبد اذ لو اجتذب قبل
ذلك لغلظ ولم يخرج من
العروق فاذا انفصلت منه
المائية فقد صار الدم صافيا
من الفضلات الثلاث نقيا
من كل ما يفسد الغذاء ثم ان
الله تعالى أطلع من الكبد
عروقا ثم قسمها بعد الطلوع
أقساما وشعب كل قسم
بشعب وانتشر ذلك فى البدن
كله من الفرق الى القدم
ظاهرا وباطنا فيجرى الدم
الصافى فيها ويصل الى سائر
الاعضاء حتى تصير العروق
المنقسمة شعرية كعروق
الاوراق والاشجار بحيث
لاتدرك بالابصار فيصل منها
الغذاء بالرشح الى سائر
الاعضاء ولو حلت بالمرارة آفة
فلم تجذب الفضلة الصفراوية
فسد الدم وحصل منه
الامراض الصفراوية

فترتفع الصفراء فى الكبد فحدثت الحميات الحادة وان اتفق دفعها الى اعضاء البول قبل الوقت اللائق
بذلك حدثت قرحة المثانة وحرقتها وان تفرقت فى جميع البدن حدثت أمراض (كاليرقان) وهو
حركة تغيرفاحش فى اللون الى صفرة أوسواد أوهمامعابجريان الخلط الى الجلد (والبثور) وهى من
جنس الاورام وهى أنواع ومنهاصفراوية كالنملة (والجمرة) والنار الفارسية وان نزلت الى الامعاء تولد
السحج والاسهال الصفراوى (وان حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوى) الحامض
العفص لضعفه (حدثت الامراض السوداوية) فى البدن (كالبهق)الاسود (والجذام والماليخوليا
وغيرها) كالقوباوالدوالى وداء الفيل وان قصرفى الجذب فلم يستوف ماينبغى جذبه تولد ورم الكبد
وسقوط شهوة الطعام وان اندفع الى المعدة أكثرممايبغى تولد الشهوة الكلبية وان كان فيمايجذب
الى المعدة حموضة من غير عفوصة تولد الغثيان فان كان كثيراتولد القىء وان نزل ذلك أى الحامض من
المعدة الى الامعاء تولد السحج السوداوى المهلك (وان لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقاء
وغيره) من الامراض اذالماء لايصلح للغذائية بل هومركب الغذاء أعنى الدم فاذا انفصل عن الدم
زالت الحاجة اليه وكل شئ زالت الحاجة اليه اذابقى فى البدن يتولد منه مرض (ثم انظر الى حكمة
الفاطر الحكيم) جل شأنه (كيف رتب منافع على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة) وهى الصفراوية
والسوداوية والبلغمية (فاما المرارة) التى هى وعاء الصفراء (فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بعنق
آخرالى الامعاء) قد تقدم ان المرارة عضو عصبانى ذوطبقة واحدة وله منفذان أحدهما هوالجاذب
للصفراء والثانى ينفذفيه الصفراء ثم يصير الى الامعاء الاثنى عشرثم الى الامعاء الاخر (فيحصل له فى نقل
الطعام رطوبة مزلقة ويحدث فى الامعاء لذع يحركها للدفع فتنضغط حتى يندفع الثفل و ينزلق) وتنظف
الامعاء من الرطوبات الغليظة بواسطة الحدة (وتكون صفرته لذلك) وقد سمى المصنف هذين المنفذين
عنقين وهماعند الاطباء منفذان قالوا وفى بعض الناس يوجد منفذ آخر صغيرمنها الى قعر المعدة ينفذفيه
بعض من الصفراء فيدخل المعدة وقد يكون هذا المنفذ فى بعض الناس كبيراحتى يكون أكبر من المنفذ
المتصل بالمعى المذكور فبهذا السبب ينصب فى المعدة صفراء كثير وصاحبه يكون دائمامبتلى بمرارة الفم
وسوء الهضم وفساد الغذاء فى المعدة والدوار و يبوسة الطبع والغثيان (وأما الطحال فانه يحيل تلك
الفضلة احالة يحصل بهافيه حموضة وقبض ثم يرسل منها كل يوم شيأ الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضة
و ينبهها و يثيرها) أى يحركها (ويخرج الباقى مع الثفل وأما الكلية فانها تغتذى بمافى تلك المائية من دم
وترسل الباقى الى المثانة) من الحالبين ويسميهما الاطباء البربخين ثم فى الغذاء جوهرصالح لان يتشبه بالمغتذى
وجوهرغيرصالح له وهوالفضلة ففى كل هضم يحصل فضلة ففضلة الهضم الاول تندفع الى طريق الامعاء
وهى البخر وفضلة الهضم الثانى يندفع أكثرها بالبول وباقيها من الطحال والمرارة وفضلة الهضمين الآخرين
يندفع بالتحلل الذى لايحس بالعرق والوسخ الخارج من منافذ طبيعية محسوسة كالانف والاذن وغير
محسوسة كالمسام أوخارجة عن الطبع كما فى الاورام المنفجرة والبثرات والجدرى وبماينبت من زوائد
البدن كالشعروالظفر (ولنقتصر على هذا القدرمن بيان نعم الله تعالى فى الاسباب التى أعدت للاكل
ولوذكرنا كيفية احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه
وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب الى سائر البدن و بواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركب
الاعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام
وكل ذلك محتاج اليه للاكل ولامور أخرسواه) ومجمل القول فى العروق ان الكبد مقعر الباطن محدب
الظاهر و يطلع من محدبه عرق عظيم يسمى الاجوف لسعة تجويفه بالنسبة الى تجاويف ماسار يقاوذلك

كاليرقان والبثور والجمرة وان حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوى حدثت الامراض السوداوية
كالبهق والجذام
والماليخوليا وغيرها وان
لم تندفع المائية نحو الكلى
حدث منه الاستسقاء وغيره
ثم انظر الى حكمة الفاطر
الحكيم كيف رتب المنافع
على هذه الفضلات الخسيسة
أما المرارة فانها تجذب باحد
عنقيها وتقذف بالعنق
الآخر الى الامعاء ليحصل
له فى نقل الطعام رطوبة
مزلقة و يحدث فى الامعاء
لذع يحركها للدفع فتنضغط
حتى يندفع الثفل و ينزلق
وتكون صفرته لذلك
وأما الطحال فانه يحيل تلك
الفضلة احالة يحصل بها فيه
حموضة وقبض ثم يرسل منها
فى كل يوم شيأ الى فم المعدة
فيحرك الشهوة بحموضته
و ينبهها و يثيرها و يخرج
الباقى مع الثفل وأما الكلية
فانها تغتذى بما فى تلك
المائية من دم وترسل الباقى
الى المثانة ولنقتصر على هذا
القدر من بيان نعم الله تعالى
فى الاسباب التى أعدت
للاكل ولوذكرنا كيفية
احتياج الكبد الى القلب
والدماغ واحتياج كل واحد
من هذه الاعضاء الرئيسة
الى صاحبه وكيفية انشعاب
العروق الضوارب من القلب
الى سائر البدن و بواسطتها
يصل الحس وكيفية انشعاب
العروق السواكن من
الكبد الى سائر البدن و بواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركب الاعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها
وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام وكل ذلك محتاج اليه للاكل ولامور أخر سواه

يسهل

يسهل نفوذ الدم فيه وأصل التشعب شعب كثيرة دقيقة جدا كالشعر مستقر فاذا طلع ليس يمر كبير شئ حتى ينقسم قسمين الاول وهو الاعظم يأخذ نحو أعالى البدن ليسقى الاعضاء العالية فيمر حتى يلاصق الحجاب و ينقسم منه هنالك عرقان يتفرقان ثم ينفذ الحجاب فاذا انفذه انقسمت منه عروق دقيقة واتصلت بالغشاء الذى يقسم الصدر بقسمين و بغلاف القلب و بالقوة المسماة بالغوثة وتفرقت فيها ثم يتشعب فيها شعبة عظيمة تتصل بالاذن اليمنى من اذن القلب وتنقسم هذه الشعبة ثلاثة أقسام واذا جاوز القلب مر على استقامته الى ان يجاوز الترقوتين و ينقسم حينئذ فى مسلكه هذا شعب صغار فى كل واحد من الجانبين يسقى مايحاذيها و يخرج منها شعب الى خارج فيسقى العضل وعند محاذاته للابط يخرج منه الى خارج شعبة عظيمة يأتى اليد من ناحية الابط وهو المسمى بالباسليق فاذا حاذى بالترقوتين الوسط منهما موضع اللبة انقسم قسمين قسم آخذ الى ناحية اليمين وقسم آخذ الى ناحية اليسار وانقسم كل منهما الى قسمين أحدهما ركب الكتف وجاء الى اليد من الجانب الوحشى وهو العرق المسمى بالقيفال والثانى انقسم الى قسمين فى كل جانب وهما الوداج الغائر والوداج الظاهر ولايتم ذبح الحيوان الابقطع هذين و يتشعب من العرق الكتفى فى مروره بالعضد شعب صغار و يسقى ظاهر العضد ومن الابطى شعب صغار يسقى باطنه فاذا قار بامفصل المرفق انقسما فيكون منهما العرق المسمى بالاكحل ومن الابطى العرق الذى بين البنصر والخنصر المسمى بالاسيلم والقسم الثانى من الاجوف يأخذ نحو أسافل البدن فيركب خرز الظهر آخذا الى الاسفل و يتشعب منه شعب يأتى لفائف الكل وأغشيتها ثم شعبتان يصيران الى الانثيين فاذا بلغ آخر الخرز انقسم قسمين أحدهما آخذ نحو الرجل اليمنى والثانى نحو اليسرى حتى اذا بلغا منشا الركبة انقسم ثلاثة أقسام منها المابض والصافن وعرق النسا و يتشعب من كل منها شعب كثيرة فهذا معرفة العروق السواكن المسماة بالاوردة وأما الضوارب المسماة بالشرايين فمنبتها التجويف الايسر من القلب و يخرج من هذا التجويف شريانان أحدهما صغير غير متضاعف يسمى الشريان الوريدى والثانى كبير جدا و يسمى الابهر وفى الاوردة عرق مضاعف يسمى الوريد الشريانى وهو شعبة من الاجوف متصلة بالاذن اليمنى من أذنى القلب كما تقدم ذكرها وهى أعظم عروق القلب لان سائر عروقه يوصل اليه نسيم الهواء وهذا يوصل اليه الغذاء والابهر عند طلوعه يتشعب منه شعبتان احداهما تأخذ نحو أعالى البدن و يتشعب منها شعب صغار فى العضد والثانية تصعد الى ظاهر الوجه والرأس وتتفرق فيما هنالك من الاعضاء الظاهرة وقد يظهر بعض هذا القسم خلف الاذن من الصدغ وأما الاعضاء فهى أجسام كثيفة متكونة من الرطوبات المحمودة وهى اما مفردة أو مركبة فالمفردة هى التى أى جزء محسوس أخذت منها كان مشاركا للكل فى الطبع والمزاج ولذلك يسمى متشابه الاعضاء وهى العظم ثم الغضروف ثم الوتر ثم العصب ثم الوتر ثم الرباط ثم الاوردة وهى العروق السواكن ثم الاغشية ثم اللحم ثم الشحم ثم المخ ثم الجلد ثم الشعر والمركبة هى التى تكون فيها أجزاء محسوسة مخالفة بالطبع والمزاج وتركيبها اما ان يكون أوليا كالعضل لانه مركب من الاعضاء المفردة التى هى العصب والرباط واللحم والغشاء أو ثانيا كالعين لانها مركبة من الاعضاء المركبة التى هى الطبقات أو ثالثا كالوجه لانه مركب من الانف والخد وغيرهما وكل واحد منهما مركب ثانيا أو رابعا كالرأس فانه مركب من الدماغ والوجه والاذن ومن الاعضاء المركبة الاعضاء الرئيسة وهى القلب والدماغ والكبد والانثيان وأما العظام فجملتها امائتان وثمانية وأربعون سوى السمسمانيات وسوى العظم الشبيه باللام وسوى العظام الذى فى القلب فانهما عند بعض الناس من جنس الغضروف (بل فى الآدمى آلاف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظة وكثرة الانقسام وقلته) على ماهو مودع فى كتب التشريح (ولاشئ منها الاوفيه حكمة) واحدة (أو اثنتان أوثلاث أوأربع الى عشرة وزيادة)

بل فى الآدمى آلاف من العضلات والعروق والاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شئ منها الاوفيه حكمة اثنتان أوثلاث أوأربع الى عشر وزيادة

وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى عليك أولا لتقوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله سبحانه الا الاكل وهو أخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتأكل والحمار أيضا يعلم انه يجوع فيأكل و يتعب فينام و يشتهي فيجامع و يستنهض فينهض و يرمح فاذا لم تعرف أنت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك وهذا الذي رمزنا اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط فقس على الاجمال ما أهملناه من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى مالم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر الآن من علم شيئا من هذا أدرك شمة من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب و يسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من أجزاء البدن الا و يحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل الى جزء الا و يحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سببا له بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الاطباء الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب السراج له كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما أن السراج اذا انقطع زيته انطفأ فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه وكما أن الفتيلة قد تحترق فتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفئ

على ذلك (وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تعالى عليك أولا لتقوى بعدها على الشكر) عليها (فانك لا تعرف من نعمة الله سبحانه الا الاكل وهو أخسها) أي أقلها مقدارا (ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتأكل والحمار يعلم أيضا انه يجوع فيأكل و يتعب فينام و يشتهي فيجامع و يستريح فينهض و يرمح فاذا لم تعرف أنت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك وهذا الذي رمزنا اليه بالايجاز) أي الاختصار (قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط فقس على الاجمال ما أهملناه) أي تركنا ذكره (من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل) الذي على الخواطر (وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة الى مالم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة في بحر الآن من علم شيأ من هذا) بقوة عرفانه (أدرك شمة من معاني قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها وادراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب و يسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من أجزاء البدن الا و يحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة أو غيرها) اعلم ان الروح عند الاطباء جسم لطيف بخاري يتولد من الدم الوارد على القلب في البطن الايسر منه وفائدة وجوده في البدن ان يكون حاملا للقوى حتى ينتقل و يجري في البدن بتوسطه لان القوى لكونها من الاعراض لا تنتقل بدون المحال ولذلك صار أصنافها كأصنافها فان الروح اذا تولد في القلب يسمى روحا حيوانيا لكونه حاملا للقوة الحيوانية فينفذ في الشرايين الى الاعضاء فيفيدها الحياة وجزء صالح من هذا الروح يصعد الى الدماغ فيغيره الى مزاج أحد يصير به روحا نفسانيا أي روحا صالحا لان يكون مركبا للقوى النفسانية فتصدر أفعالها عنه وجزء ليس بكثير في المقدار من هذا الروح أي الحيواني يصير الى جانب الكبد فيغيره تغيرا يصير به روحا طبيعيا أي روحا مستعدا لقبول القوى الطبيعية فتصدر أفعال منه وأما القوى فهي هيئات في الجسم الحيواني بها يمكن ان يفعل أفعاله بالذات وهي ثلاثة أجناس أحدها القوى الطبيعية والثانية القوى النفسانية والثالثة القوى الحيوانية ومن القوى الطبيعية ما هي متصرفة لاجل الشخص وهي الغاذية والنامية ومنها ما هي متصرفة لاجل النوع وهي قوتان المولدة والمصورة والغاذية تخدمها قوى أربع الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة وأما القوى النفسانية فمنها محركة وهي الشوقية والغضبية والفاعلة والمدركة وأما القوة الحيوانية فهي مبدأ لحركة القلب والشرايين ولحركة الجوهر الروحي اللطيف الى الاعضاء فهي (كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل الى جزء الا و يحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سببا له بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي يسميه الاطباء الروح ومحله القلب) ثم يجول في البدن بتوسطه وهذا هو المسمى بالروح الحيواني عندهم كما تقدم (ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة) وهو موضع السراج (والدم الاسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحياة الظاهرة له في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفأ) وذهب نوره (فسراج الروح أيضا ينطفئ مهما انقطع غذاؤه وكما ان الفتيلة قد تحترق فتصير رمادا بحيث لا تقبل الزيت فينطفئ

السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذى تشبث به هذا البخار فى القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفئ مع وجود الغذاء فانه لا يقبل
الغذاء الذى يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به وكما أن السراج تارة ينطفئ بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب
من خارج كريح عاصف فكذلك الروح تارة تنطفئ بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما أن انطفاء السراج بفناء الزيت
أو بفساد الفتيلة أو بريح عاصف أو باطفاء انسان لا يكون الا بأسباب مقدرة فى علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح
وكما أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذى أجل له فى أم الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكما أن

السراج اذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح اذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقته أنواره التى كان يستفيدها من الروح وهى أنوار الاحساسات والقدر والارادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة فهذا أيضا رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وعجائب صنعه وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى عز وجل فتعسا لمن كفر بالله تعسا وسحقا لمن كفر نعمته سحقا فان قلت فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح فلم يزد عن أن قال قل الروح من أمر ربى فلم يصفه لهم على هذا الوجه فاعلم أن هذه غفلة عن الاشتراك الواقع فى لفظ الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطول بذكرها ونحن انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا تسميه الاطباء روحا وقد عرفوا صفته ووجوده

وكيفية سريانه فى الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى فى الاعضاء به حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا أن ذلك لوقوع سدة فى
مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ
فى شباك العصب وبواسطته يتادى من القلب الى سائر الاعضاء وما يرتقى اليه معرفة الاطباء فامره سهل نازل وأما الروح التى هى الاصل وهى
التى اذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصة فى وصفه الا بان يقال هو أمر ربانى كما قال تعالى قل الروح
من أمر ربى والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول

السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذى تشبث به هذا البخار فى القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب
فينطفئ مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذى تبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا يتشبث النار
به وكما ان السراج تارة ينطفئ بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة) ينطفئ (بسبب من خارج كريح عاصف)
أو اطفاء انسان (فكذلك الروح تارة تنطفئ بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما ان
انطفاء السراج بفناء الزيت أو بفساد الفتيلة أو بريح عاصف أو باطفاء انسان لا يكون الا بأسباب مقدرة
مرتبة فى علم الله تعالى ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكما ان انطفاء السراج هو منتهى
وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذى أجل له فى أم الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكما ان السراج اذا انطفأ أظلم
البيت كله فالروح اذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقت أنواره التى كان يستفيدها من الروح وهى أنوار
الاحساسات) الظاهرة والباطنة (والقدر) وهى القوى (والارادات وسائر ما يجمعه معنى لفظ الحياة
فهذا أيضا رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وعجائب صنعه و) بدائع (حكمته ليعلم انه لو كان
البحر) مع سعته (مدادا) والشجر أقلاما والبحر يمدها (لكلمات ربه) أى لاحصائها (لنفد البحر)
أى فرغ وفنى (قبل أن تنفد كلماته) وفى بعض النسخ قبل ان تنفد كلمات ربى الآية (فتعسا لمن
كفر بالله تعسا وسحقا لمن كفر نعمته سحقا) يقال تعس تعسا من حد نفع أكب على وجهه وعثر وقيل
هلك وقيل لزمه الشر وهو تاعس وتعس من حد تعب لغة فيه فهو تعيس و يقرأ هذا بالحركة وبالهمزة
فيقال تعسه الله وأتعسه والسحق بالضم البعد يقال فى الدعاء سحقا له وبعدا (فان قلت فقد وصفت الروح
ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الروح) وكان السائل له عنه طائفة من اليهود (فلم يزد ان
قال قل الروح من أمر ربى فلم يصفه لهم على هذا الوجه) وهو متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد
تقدم فى شرح عجائب القلب (فاعلم ان هذه غفلة عن الاشتراك الواقع فى لفظ الروح فان الروح تطلق
لمعان كثيرة لا نطيل بذكرها) وقد ذكرنا شيأ منها فى شرح عجائب القلب (ونحن انما وصفنا من جملتها
جسما لطيفا) بخاريا يتولد من الدم الوارد على القلب فى البطن الايسر منه (تسميه الاطباء روحا وقد
عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه فى الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى فى الاعضاء به)
وقسموه الى حيوانى ونفسانى وطبيعى (حتى اذا خدر بعض الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع سدة فى مجرى
هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل) ينظرون (منابت الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها
بما يفتح السدة) فيزول الخدر (فان هذا الجسم بلطفه ينفذ فى شباك العصب وبواسطته يتأدى من
القلب الى سائر الاعضاء) على الوجه الذى تقدم ذكره (وما يرتقى اليه معرفة الاطباء فامره سهل نازل)
الدرجة (وأما الروح التى هى الاصل وهى التى اذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من أسرار الله
تعالى) المكتومة التى لا يطلع عليها الا هو (لم نصفه ولا رخصة فى وصفه الا بان يقال هو أمر ربانى كما قال
تعالى قل الروح من أمر ربى والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها) ولا تمثيلها (بل تتحير فيها عقول

أكثر الخلق وأما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات وتتنزل فى ذكر مبادى وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة فى مضيقهما فلا يدرك بالعقل شئ من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك النور فى عالم النبوة والولاية نسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق أطوارا فكما يدرك الصبى المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ماوراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك المشرب أعز من أن يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا

أكثر الخلق وأما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك الاصوات) فانه من ادراكات السمع والبصر قاصر عنه (وتتنزل فى ذكر مبادى وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة فى مضيقهما فلا يدرك بالعقل شئ من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك فى عالم النبوة والولاية) به تنكشف حقائقه (ونسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى الخلق أطوارا) مختلفة (فلا يدرك الصبى المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ماوراءها لان ذلك طور لم يبلغه وانه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق) تعالى (بنور الايمان واليقين) ثم يختلف ادراك ذلك بحسب قوة الايمان وضعفها (وذلك المشرب أعز من أن يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد) وفى نسخة الا الواحد بعد الواحد (ولجناب الحق) تعالى (صدر وفى مقدمة الصدر مجال وميدان رحب) أى واسع (وعلى أول الميدان عتبة هى مستقر ذلك الامر الربانى فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان) وأن يكون من رجاله (فكيف بالانتهاء الى ماوراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه) معرفة كلية (لم يعرف ربه) وهو المفهوم من قولهم من عرف نفسه عرف ربه (وأنى يصادف هذا فى خزانة الاطباء ومن أين للطبيب ان يلاحظه بل المعنى الذى يسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الربانى كالكرة) فى الميدان (التى يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبيى وظن انه ادرك الامر الربانى كان كمن رأى الكرة التى يحركها صولجان الملك فظن انه رأى الملك ولا يشك فى انه خطأ فاحش وهذا الخطأ أفحش منه جدا ولما كانت العقول التى بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يتحدث عنه بل أمره ان يكلم الناس على قدر عقولهم) كما ورد ذلك فى الخبر (ولم يذكر الله تعالى فى كتابه من حقيقة هذا الامر شيأ لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته أما نسبته ففى قوله تعالى) قل الروح (من أمر ربى وأما فعله فقد ذكره فى قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ولنرجع الآن الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى فى الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى فى آلات الاكل) وبالله التوفيق

(الطرف الرابع) (فى) بيان (نعم الله تعالى فى الاصول التى منها تحصل الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الآدمى بعد ذلك بصنعته) ومعالجته (اعلم) وفقك الله تعالى (ان الاطعمة كثيرة ولله تعالى فى خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متوالية) أى متتابعة (لا تتناهى وذكر ذلك فى كل طعام مما يطول) بيانه (فان الاطعمة) لا تخلو (اما أدوية واما فواكه واما أغذية فلنأخذ الاغذية فانها الاصل)

واحد بعد واحد ولجناب الحق صدر وفى مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى أول الميدان عتبة هى مستقر ذلك الامر الربانى فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال أن يصل الميدان فكيف بالانتهاء الى ماوراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه وأنى يصادف هذا فى خزانة الاطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه بل المعنى المسمى روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الربانى كالكرة التى يحركها صولجان الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبى فظن انه أدرك الامر الربانى كان كمن رأى الكرة التى يحركها صولجان الملك فظن انه رأى الملك ولا يشك فى أن خطاه فاحش وهذا الخطأ أفحش منه جدا ولما كانت العقول التى بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر

لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر فى
الله تعالى فى كتابه من حقيقة هذا الامر شيأ لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته أما نسبته ففى قوله تعالى من أمر ربى وأما فعله فقد ذكر فى قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ولنرجع الآن الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تعالى فى الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى فى آلات الاكل * (الطرف الرابع فى نعم الله تعالى فى الاصول التى يحصل منها الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها الآدمى بعد ذلك بصنعته) * اعلم أن الاطعمة كثيرة ولله تعالى فى خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متوالية لا تتناهى وذكر ذلك فى كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما أدوية واما فواكه واما أغذية فلنأخذ الاغذية فانها الاصل

ولنأخذ من جملتها حبة من البر ولندع سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها فنيت و بقيت جائعا فما أحوجك الى أن تنمو الحبة فى نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفى بتمام حاجتك فخلق الله تعالى فى حبة الحنطة من القوى ما يغتذى به كما خلق فيك فان النبات انما يفارقك فى الحس والحركة ولا يخالفك فى الاغتذاء لانه يغتذى بالماء و يجتذب الى باطنه بواسطة العروق كما تغتذى أنت وتجتذب ولسنا نطنب فى ذكر آلات النبات فى اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذى بكل شئ بل تحتاج الى شئ مخصوص بدليل أنك لو تركتها فى البيت لم تزد لانه ليس يحيط بها الا هواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ولو تركتها فى الماء لم تزد ولو تركتها فى أرض لا ماء فيها لم تزد بل لابد من أرض فيها ماء يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ثم لا يكفى الماء والتراب اذ لو تركت فى أرض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركها فى أرض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح وانما القاحها فى ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان فى برد مفرط وشتاء شات فتحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائه الى هذه الاربعة فانظر الى ماذا يحتاج كل واحد اذ يحتاج الماء لينساق الى أرض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقى فانظر كيف خلق الله البحار وفجر العيون وأجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى أقطار الارض وهى سحب ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضى فى وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشى ونعم الله فى الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها وأما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض فى وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان فى الفواكه انعقاد وصلابة

فى قوام الابدان (ولنأخذ من جملتها حبة من البر) وهو أشرف الحبوب (ولندع سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها فنيت وبقيت جائعا فما أحوجك الى ان تنمو الحبة فى نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفى بتمام حاجتك فخلق الله تعالى فى حب الحنطة من القوى ما تغتذى كما خلق فيك) من تلك القوى (فان النبات انما يفارقك فى الحس والحركة ولا يخالفك فى الاغتذاء لانه يغتذى بالماء و يجتذب الى باطنه بواسطة العروق) المستبطنة فى الارض (كما تغتذى أنت وتجتذب ولسنا نطنب فى ذكر آلات النبات فى اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذى بكل شئ بل تحتاج الى شئ مخصوص بدليل انك لو تركتها فى البيت لم تزد ولو تركتها فى أرض لا ماء فيها لم تزد) أيضا (بل لابد من أرض فيها ماء يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا رخوا) (واليه الاشارة بقوله تعالى) فى جملة تعداد النعم (انا صببنا الماء صبا) أى من السحاب (ثم شققنا الارض شقا) ونسبة الشق اليه مجاز (فانبتنا فيها حبا وعنبا) وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا (ثم لا يكفى الماء والتراب اذ لو تركت فى أرض ندية) بالماء لكنها (صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركها فى أرض رخوة متخلخلة يتخلل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح) أى ذات لقاح وقد ألقحت الريح السحاب (وانما القاحها فى ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان فى برد مفرط أو شتاء شات فتحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائه الى هذه الاربعة فانظر الى ماذا يحتاج كل واحد اذ يحتاج الماء لينساق الى أرض الزراعة من البحار والعيون والانهار والسواقى فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون وأجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها) لغور العيون والانهار فى الارض (فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى أقطار العالم وهى سحب ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضى فى وقت الربيع والخريف حسب الحاجة) اليه (وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشى ونعم الله فى الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها وأما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء والارض وكلاهما باردان) طبعا (فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض) اذ هى فى الفلك الرابع (مسخنة للارض فى وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد و) يحصل (الحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان فى الفواكه انعقاد وصلابة

فتفتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار فى ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا ظلتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتغلب على رأسك الرطوبة التى يعبر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضا ولا نطول فيما لا مطمع فى استقصائه بل نقول كل كوكب فى السماء

فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفى قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس فى أعضاء بدنك عضو الا لفائدة فليس فى أعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد وآحاد أجسامه كالاعضاء له وهى متعاونة تعاون أعضاء بدنك فى جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغى أن تظن أن الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله سبحانه فى أمور جعلت أسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهى عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهى عنه فى النجوم أمران أحدهما ان تصدق بانها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر * والثانى تصديق المنجمين فى تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التى لا يشترك كافة الخلق فى دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى فى الارض وفى النبات وفى الحيوان ليس قادحا فى الدين بل هو حق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح فى الدين

نبوته

فتفتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها) أى يلونها ألوانا مختلفة (بتقدير الفاطر الحكيم) جل جلاله فالشمس طباخ والقمر صباغ (ولذلك لو كانت الاشجار فى ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة) لا ينتفع بها (حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا أظلتها شجرة كبيرة) حتى ان بعض أغصانها البارزة الى السماء أحسن وأنور من التى تحت الظلال (وتعرف ترطيب القمر بان تكشف له رأسك بالليل) عند نومك (فتغلب على رأسك الرطوبة التى يعبر عنها بالزكام) وهو عندهم عبارة عن تحلب فضول رطبة من بطنى الدماغ المقدمين الى المنخرين (فكما يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضا ولا نطول فيما لا مطمع فى استقصائه بل نقول كل كوكب فى السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفى قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا) كذا (قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس فى أعضاء بدنك عضو الا لفائدة) خاصة (فليس فى أعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة) وحكمة (والعالم كله) اذا تصورته (كشخص واحد وآحاد أجسامه كالاعضاء له وهى متعاونة تعاون أعضاء بدنك فى جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغى أن تظن ان الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله) منقادات به (فى أمور جعلت أسبابا لها بحكم الحكمة) الالهية (مخالف للشرع كما ورد فيه من النهى عن تصديق المنجمين) روى أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث معاوية بن الحكم السلمى قال قلت يا رسول الله أمورا كنا نصنعها فى الجاهلية كنا نأتى الكهان قال فلا تأتوا الكهان الحديث قال ابن الاثير فى النهاية ان منهم من كان يسمى الطبيب والمنجم كاهنا قلت وبهذا يتم الاستدلال بالحديث (وعن علم النجوم) روى أحمد وأبو داود وابن ماجه بسند صحيح والبيهقى من حديث ابن عباس من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد وللطبرانى من حديث ابن مسعود وثوبان اذا ذكر النجوم فامسكوا واسنادهما ضعيف وقد تقدم قريبا فى كتاب العلم (بل المنهى عنه فى النجوم أمران أحدهما ان تصدق بانها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر) والعياذ بالله منه (والثانى تصديق المنجمين فى تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التى لا يشترك كافة الخلق فى دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم أحكام النجوم كانت معجزة لبعض الانبياء) قيل هو ادريس وقيل هو دانيال (عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم) وانمحى بانقطاع نبوته وقد ورد مثل ذلك فى الخط روى أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث معاوية بن الحكم السلمى قال قلت يا رسول الله انى حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالاسلام الى أن قال ومنا رجال يخطون فقال كان نبى من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك (فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى فى الارض وفى النبات والحيوان ليس بقادح فى الدين بل هو الحق) عند أهل الحق (ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح فى الدين) اذ قد سد بابه بموت ذلك النبى الذى كان ذلك علما على

وكذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك أخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمى النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالته حمى الهواء على طلوع الشمس واذا سألت عن تغير وجه الانسان فقال قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه بذلك وقس بهذا سائر الآثار الا أن الآثار بعضها

معلوم و بعضها مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذا الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرأ قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فلله تعالى في ملكوت السموات والآفاق والانفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فان من أحب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حباله فكذلك الامر في عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه كما اذا رأيت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تعجب من اللعب فانها خرق محركة لا متحركة ولكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الابصار فاذا المقصود أن غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها

نبوته (وكذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك أخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمى النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالته حمو الهواء على طلوع الشمس واذا سألت عن تغير وجه الانسان) أي عن انقلاب لونه (فقال قرعتني الشمس) أي ضربتني بحرها وأنا سالك (في الطريق) فأثرت (فاسود وجهي) وفيه يقول الشاعر

جاء الحبيب الذي أهوى من السفر * والشمس قد أثرت في وجهه أثرا

(لم يلزمك تكذيبه وقس بهذا سائر الآثار الا ان الآثار بعضها معلوم و بعضها مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه ولا القول بحدس وتخمين والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس و بعضه) معلوم (لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر) عند تعرية الرأس (فان الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرأ قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا الآية ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته) محركة وهو ما أسبل من اللحية (ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل) فيها (و يقتصر من فهم ملكوت السموات على ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا فمن قنع بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته) قال العراقي رواه الثعلبي من حديث ابن عباس بلفظ ولم يتفكر فيها وفيه أبو خباب يحيى بن أبي حية ضعيف اهـ قلت ورواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا في التفكر وابن حبان في صحيحه وابن عساكر من رواية عطاء قال قلت لعائشة أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وقد تقدم ذكره قريبا في بيان فضيلة الشكر وفي آخره ولم لا أفعل وقد أنزل الله على هذه الليلة ان في خلق السموات والارض الآية ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وقد أشار العراقي هنالك انه أخرجه أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن طريقه ابن الجوزي و روى الديلمي من حديث عائشة ويل لمن قرأ هذه الآية ثم لم يتفكر فيها يعني ان في خلق السموات والارض الآية و روى ابن أبي الدنيا في التفكر عن سفيان رفعه من قرأ آخر سورة آل عمران فلم يتفكر فيها ويله فعد بأصابعه عشرا قيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن وهو يعقلهن (فلله تعالى في ملكوت السماء والآفاق والانفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبوب لله تعالى فان من أحب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه) وغرائبه (حباله فكذلك الامر في عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه) وتركيبه على أبدع نظام (بل تصنيف المصنفين) من عباده (من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده) فانه الذي ألهم ذلك وأرشده اليه (فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتأليفه بما أنعم عليه من هدايته وتسديده) وتوفيقه (وتعريفه) اياه ولولا ذلك لما تم له التصنيف (كما اذا رأيت لعب) بضم ففتح جمع لعبة (المشعوذ) وهي التي تعمل من خرق على هيئة بني آدم (ترقص وتتحرك) وتقوم وتقعد (حركة موزونة متناسبة فلا تعجب من اللعب فانها خرق محركة) يحركها غيرها (لا متحركة) بانفسها (ولكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط) شعرية (دقيقة خفية عن الابصار فاذا المقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها

ولا تتم حركاتها الا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى ذلك الى أسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما أهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات (الطرف الخامس في نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك) اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد تبعد عنهم الاطعمة وتحول بينهم بينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح مع انهم لا يغنيهم في غالب الامر شيئا بل يجمعون فاما أن تغرق بها السفن أو تنهبها قطاع الطريق أو يموتوا في بعض البلاد فيأخذها السلاطين

وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشد أعدائهم لو عرفوا فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبوا الاخطار ويغرروا بالارواح في ركوب البحر فيحملون الاطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب اليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج وتأمل ما يحتاج اليه الحيوانات

من أسبابها وادواتها وعلفها وما تحتاج اليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك الخشب غير ممكن ويتمادى ذلك الى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها طلبا للايجاز *(الطرف السادس في اصلاح الاطعمة)* اعلم أن الذي ينبت في الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى أمور أخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام يطول فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض فأول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير الارض والفدان

ولا تتم حركاتها الا بملائكة سماوية يحركونها) بامر الله سبحانه (وكذلك يتمادى ذلك الى أسباب) أخر (بعيدة) يتوقف عليها (تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما أهملناه) أي تركناه (ولنقتصر على هذا) القدر (من ذكر أسباب غذاء النبات) و بالله التوفيق

(الطرف الخامس) (في) بيان (نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك اعلم) أرشدك الله تعالى (ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض) شرقها وغربها وشمالها وجنوبها (وقد تبعد عنهم الاطعمة) ولا يمكنهم تحصيلها (وتحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشره الربح مع انهم لا يغنيهم في غالب الامر شيأ بل يجمعون فاما أن تغرق بها) أي بتلك الاطعمة (السفن) ان كانوا في البحر (أو تنهبها قطاع الطريق) ان كانوا في البر (أو يموتون في بعض البلاد فيأخذها السلاطين) ظلما وعدوانا (وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشد أعدائهم لو عرفوا) فانهم يتمنون موته لاجل المال (فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبوا الاخطار) أي الامور الصعبة (ويغرروا بالارواح في ركوب البحر فيحملون الاطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب اليك فانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن) وهي علم مستقل (وكيفية الركوب فيها) وتمشيتها فوق الماء بالمجاديف (وانظر كيف خلق الحيوانات) بانواعها (وسخرها للركوب والحمل في البراري) كما أشار اليه قوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا وقوله تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس (فانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة) في الركض (والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الاعباء) أي الاحمال (الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج) ولولا ذلك وكلفت أنت ذلك لتعبت تعبا شديدا (وتحمل ما تحتاج اليه الحيوانات من أسبابها وادواتها وعلفها وما تحتاج اليه السفن فقد خلق الله جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى ذلك الى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها) الآن (طلبا للايجاز) وبالله التوفيق

(الطرف السادس) (في) بيان (اصلاح الاطعمة اعلم) ارشدك الله تعالى (ان الذي ينبت في الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى أمور أخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام يطول فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض فأول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي به يثير الارض والفدان) وهو

وجميع أسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتأمل
عدد هذه الافعال التي ذكرناها ومالم نذكره وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره
وانظر الى أعمال الصناع في اصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرهما وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد
والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت علمت أن رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك يامسكين مالم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدئ من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى آخر الاعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تأمل كثرة أعمال الانسان في تلك الآلات حتى ان الابرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد أن تمر على يد الابري خمسا وعشرين مرة ويتعاطى في كل مرة منها عملا فلولم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل المنجل الذي تحصد به البر مثلا بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من
نطفة قذرة لان يعمل هذه الاعمال العجيبة والصنائع الغريبة فانظر الى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيتناولان الشئ معا ويقطعانه بسرعة ولولم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر

الخشب الذي يوضع على عنق الثورين (وجميع أسبابه) وآلاته (ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة) معلومة (ثم تنقية الارض من الحشيش) الذي ينبت في أصول الزرع فان تركه مما يضعف قوة الزرع وقوة الارض (ثم الحصاد) بالمناجل (ثم الفرك) حتى تخلص الحبة من قشرها (والتنقية) مما يجاوره (ثم الطحن) بين الحجرين (ثم العجن) بالماء (ثم الخبز) في التنور (فتأمل عدد هذه الافعال التي ذكرناها ومالم نذكره وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى أعمال الصناع في اصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيره وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس) منفردا ومجموعا (وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والاحجار والمعادن) التي يستخرج منها كل ماذكر (وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث) يحضر بين يديك و(يصلح لاكلك يامسكين مالم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدئ من الملك الذي يزجي) أي يسوق (السحاب لينزل الماء) على الارض التي أمر بها (الى آخر الاعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق) ويكمل نظامهم وقد تقدم ان أصول الصناعات التي لاقوام للعالم دونها أربعة الزراعة والحياكة والبناية والسياسة ومنها ماهي مرشحة لكل واحد وخادمة له كالحدادة للزراعة والقصارة والخياطة للحياكة ويدخل تحت كل قسم من ذلك أنواع لاتحصى وفي القوت يقال ان الرغيف لا يستدير حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صنعة من السماء والارض ومابينهما من الاجسام والاعراض والافلاك والرياح والليل والنهار وبني آدم وصنائعهم والبهائم ومعادن الارض أولها ميكائيل الذي يكيل الماء من الخزائن فيطرقه على السحاب ثم السحاب التي تحمله وترسله ثم الرياح التي تحمل السحاب والرعد والبرق والملكان اللذان يسوقان السحاب وآخرها الخباز فاذا استدار رغيف طلبه سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع فهذه كلها تتم في حضور رغيف فكيف بما زاد عليه مما وراءه (حتى ان الابرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك) في الوقت الشاتي (لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان تمر على يد الابري) بكسر الهمزة فقتح منسوب الى الابر جمع الابرة (خمسا وعشرين مرة ويتعاطى في كل مرة منها عملا) مستقلا (فلولم يجمع الله تعالى البلاد) وفي نسخة العباد (ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل المنجل) بكسر الميم (الذي تحصد به البر مثلا بعد نباته) وتهيئته لان يحصد (لنفد عمرك) أي فني وذهب (وعجزت عنه أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة) أي متغيرة (لان يعمل هذه الاعمال العجيبة والصنائع الغريبة) وهذا يدل على ان أصول الصناعات والمكاسب مأخوذة من وحي اما بسماع من الملأ الاعلى وهذا هو الحق أو بالهام من الله تعالى في قلبه (فانظر الى المقراض مثلا وهو جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيتناولان الشئ معا ويقطعانه بسرعة) وأصل الجلم القطع ومنه الجلم بحركة المقراض ويقال له أيضا الجلمان بالتثنية كما يقال فيه المقراض والمقراضان والقلم والقلمان ويجوز أن يجعل الجلمان والقلمان اسما واحدا على فعلان كالشرطان والدبران وتجعل النون حرف اعراب ويجوز ان يبقيا على بابهما في اعراب المثنى (ولولم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا) من أهل الحكمة (وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر) بالاذابة (والى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر

الواحد منا عمر نوح وأوتى أكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق فى اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها فسبحان من أحق ذوى الابصار بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلا أو عن الحداد أو عن الحجام الذى هو أخس الاعمال أو عن الحائك أو عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الاذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنوجز القول فى هذه الطبقة أيضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء

(الطرف السابع فى اصلاح المصلحين) (١٢٢) اعلم أن هؤلاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم وسلط الانس والمحبة عليهم ولو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم فلاجل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق والخانات وسائر أصناف البقاع مما يطول احصاؤه ثم هذه المحبة تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففى جبلة الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك مما يؤدى الى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدهم بالقوة والعدة والاسباب وألقى رعبهم فى قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الرؤساء والقضاة والشحن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء عليهم السلام حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع فى حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة فى ضبطهم وكشفوا من أحكام الامامة

الواحد منا) دهرطويلا مثل (عمر نوح) عليه السلام (وأوتى أكمل العقول لقصر عمره من استنباط الطريق فى اصلاح هذه الآلة وحدها فضلا عن غيرها) ويقال ان الحكيم الذى استنبط طريق عمل المقراض لما أتم عمله مات فرحا (فسبحان من أحق ذوى الابصار بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلا أو عن الحداد أو عن الحجام الذى هو أخس الاعمال أو عن الحائك أو عن واحد من جملة الصناع ما يصيبك من الاذى) والتعب (وكيف تضطرب عليك أمورك كلها) ولا ينتظم حالك (فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنوجز القول فى هذه الطبقة أيضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء) وبالله التوفيق

(الطرف السابع) (فى) بيان (اصلاح المصلحين اعلم) هداك الله تعالى (ان هؤلاء الصناع المصلحين للاطعمة) خصوصا (وغيرها) عموما (لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم) مع اختلاف أشكالهم وأجناسهم (وسلط الانس والمحبة عليهم ولو أنفقت ما فى الارض) من الاموال (جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم فلاجل هذا الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا) وتعاونوا (وبنوا المدن والبلاد) والقرى (ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة) بعضها بقرب بعض (ورتبوا الاسواق) لمعاملاتهم (والخانات) لسكنى من يرد عليهم (وسائر أصناف البقاع) كالحمامات وغيرها (مما يطول احصاؤها ثم هذه المحبة) قد (تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففى جبلة الانسان الغيظ والحسد) والانفة (والمنافسة وذلك مما يؤدى الى التقاتل والتنافر فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين) والملوك والامراء (وأمدهم بالقوة) الظاهرة والعدة من السلاح وغيره (والاسباب) والآلات (وألقى رعبهم فى قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكرها) ولم يخالفوهم فيما يأمرونهم (و) انظر (كيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد يتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الرؤساء) وهم الامراء (والقضاة والشحن) جمع شحنة بالكسر وهو الحاكم على البلد (وزعماء الاسواق) والمحلات وهم رؤساؤها (واضطروا الخلق) أى ألجؤهم (الى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء) والرسل عليهم السلام (حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع فى حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة فى ضبطهم) وترتيبهم (وكشفوا من أحكام الامامة

والسلطنة

والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به الى اصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف أصلح الله تعالى الانبياء بالملائكة وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض الى أن ينتهى الى الملك المقرب الذى لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الاطعمة والسلطان يصلح الصناع والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والعلماء يصلحون السلاطين والملائكة

والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به الى صلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف أصلح الله الانبياء بالملائكة) عليهم السلام (وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض الى ان ينتهى الى الملك المقرب الذى لا واسطة بينه وبين الله تعالى) وهو اسرافيل عليه السلام (فالخباز يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الاطعمة والسلطان يصلح الصناع) بعدله فيهم (والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم) لما ورد العلماء ورثة الانبياء (والعلماء يصلحون السلاطين) كما قال القائل

ان الملوك ليحكمون على الورى * وعلى الملوك لتحكم العلماء

ومجمل القول فيه ان السياسة أربعة اضرب الاول سياسة الانبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم والثانى سياسة الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم والثالث الحكماء وحكمهم على باطن الخواص والرابع الفقهاء والوعاظ وحكمهم على بواطن العامة (والملائكة يصلحون الانبياء) عليهم السلام وهكذا الامر (الى أن ينتهى الى حضرة الربوبية التى هى ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشؤ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب) جل شأنه (ولولا فضله وكرمه اذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا) أى لاجلنا (لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعمة الله تعالى ولولا عزله ايانا عن ان نطمح بعين الطمع الى الاحاطة بكنه نعمه لتشوقنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء) وطلب الغايات (ولكنه تعالى عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلمنا فباذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطى لما منع ولا مانع لما أعطى لانا فى كل لحظة من لحظات العمر نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) وهو اشارة الى مقام العارفين الذين ترقوا من حضيض المجاز الى ارتفاع الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية ان ليس فى الوجود الا الله وان كل شئ هالك الا وجهه ولم يفتقر هؤلاء الى قيام القيامة ليسمعوا النداء المذكور بل هؤلاء لا يفارق سمعهم أبدا (فالحمد لله الذى ميزنا عن الكفار وأسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار) وبالله التوفيق

(الطرف الثامن) (فى) بيان (نعمة الله تعالى فى خلق الملائكة عليهم السلام) اعلم انه (ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله فى خلق الملائكة باصلاح الانبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحى اليهم) بالامانة (ولا تظنن انهم مقتصرون فى أفعالهم على ذلك القدر) يقال اقصر واقتصر بمعنى واحد (بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة فى ثلاث طبقات الملائكة الارضية والسماوية وحملة العرش) قال المصنف فى مشكاة الانوار قد انكشف لارباب البصائر ان الانوار الملكوتية وجدت على ترتيب بعضها أعلى من بعض وان المقرب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد ان تكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل عليهما السلام وان فيهم الاقرب بقرب درجته من حضرة الربوبية التى هى منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهما درجات تستعصى على الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتيبهم فى مقاماتهم فى صفوفهم (فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء

يصلحون الانبياء الى أن ينتهى الى حضرة الربوبية التى هى ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى ولولا عزله ايانا عن أن نطمح بعين الطمع الى الاحاطة بكنه نعمه لتشوقنا الى طلب الاحاطة والاستقصاء ولكنه تعالى عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلمنا فباذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطى لما منع ولا مانع لما أعطى لانا فى كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله الذى ميزنا عن الكفار وأسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار

(الطرف الثامن فى بيان نعمة الله تعالى فى خلق الملائكة عليهم السلام) ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله فى خلق الملائكة باصلاح الانبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحى اليهم ولا تظنن انهم مقتصرون فى أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة فى ثلاث طبقات الملائكة الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء

الذى ذكرناه دون مايجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يغتذى الا بان يوكل به
سبعة من الملائكة هو أقله الى عشرة الى مائة الى ماوراء ذلك وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف وذلك الغذاء
يصير دما فى آخر الامر ثم يصير لحما وعظما واذا صار لحما وعظما تم اغتذاؤك والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهى لا تتحرك
بانفسها ولا تتغير بانفسها ومجرد الطبع لا يكفى فى ترددها فى أطوارها كما أن البر بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا مخبوزا الا بصناع
فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما وعروقا وعصبا الا بصناع والصناع فى الباطن هم الملائكة كما أن الصناع فى الظاهر هم أهل البلد وقد
أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة (١٢٤) وباطنة فلا ينبغى أن تغفل عن نعمه الباطنة فاقول لا بد من ملك يجذب الغذاء الى جوار
اللحم والعظم فان الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء فى جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق أو العظم ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس يلصق مااكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير فى الالصاق فيلحق بالمستدير مالا يبطل استدارته وبالعريض مالا يزيل عرضه وبالمجوف مالا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على أنف الصبى مايجمع على فخذه لكبر أنفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقته بل ينبغى أن يسوق الى الاجفان مع
رقتها والى الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى العظم مع صلابته مايليق بكل واحد منها من حيث
القدر والشكل والا لبطلت الصورة وربما بعض المواضع وضعف بعض المواضع بل لو لم يراع هذا الملك العدل فى القسمة والتقسيط فساق الى
رأس الصبى وسائر بدنه من الغذاء ماينمو به الا احدى الرجلين مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت فى حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت
ترى شخصا فى ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبى فلا ينتفع بنفسه البتة فمراعاة هذه الهندسة فى هذه القسمة مفوضة الى ملك من
الملائكة ولا تظنن أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فان محيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدرى مايقول فهذه هى الملائكة الارضية وقد
شغلوا بك وأنت فى النوم

الذى ذكرناه دون مايجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرهما واعلم ان كل جزء من أجزاء بدنك بل من
أجزاء النبات لا يغتذى الا بان يوكل به سبعة من الملائكة هو أقله الى عشرة الى مائة الى وراء ذلك) مما
لا نهاية له (وبيانه ان معنى الغذاء ان يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف) وهلك (وذلك الغذاء
يصير دما) صالحا (فى آخر الامر) وذلك بعد الهضوم الاربعة على الترتيب الذى ذكرناه آنفا (ثم يصير
ذلك الدم الحاصل من الغذاء) لحما وعظما تم اغتذاؤك واللحم والدم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار
فهى لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ومجرد الطبع لا يكفى فى ترددها فى أطوارها) السبعة (كما ان
البر بنفسه لا يصير دقيقا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا مخبوزا الا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما وعظما
وعرقا وعصبا ومخا الا بصناع والصناع فى الباطن هم الملائكة كما ان الصناع فى الظاهر هم أهل البلد
وقد أسبغ الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغى ان تغفل عن نعمه الباطنة) وقد اختلف فى تفسير
النعم الظاهرة والباطنة على أقوال وأشار اليها التاج السبكى فى مفيد النعم وألف فيها الجلال السيوطى رسالة
ذكر فيها ماأورده السبكى وزاد (فاقول لا بد من ملك يجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم فان الغذاء
لا يتحرك بنفسه) بل لا بد من ملك آخر يمسك الغذاء فى جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة الدم ولا بد من
رابع يكسوه صورة اللحم والعرق والعظم) والعصب (ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة
الغذاء) الى مخارج البراز (ولا بد من سادس يلصق مااكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم
باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى المقادير فى الالصاق فيلحق بالمستدير مالا يبطل استدارته
وبالعريض مالا يزيل عرضه وبالمجوف مالا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع
مثلا من الغذاء على أنف الصبى مايجمع على فخذه لكبر أنفه وبطل تجويفه) اللائق به (وتشوهت)
لذلك (صورته) الظاهرة فان الجمال فى الانف (بل ينبغى ان يسوق الى الاجفان مع رقتها والى الحدقة
مع صفائها والى الفخذ مع غلظها والى العظم مع صلابته مايليق بكل واحد منها من حيث القدر
والشكل والا لبطلت الصورة) المعهودة (وربما) أى كبر وعظم (بعض المواضع وضعف بعض المواضع
بل لو لم يراع هذا الملك) الموكل (العدل فى القسمة والتقسيط) بان يعطى كل جزء قسطه الحقيق به
(فساق الى رأس الصبى وسائر بدنه من الغذاء ماينمو به الا احدى الرجلين مثلا لبقيت تلك الرجل كما
كانت فى حد الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا فى ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها
رجل صبى فلا ينتفع به البتة فمراعاة هذه الهندسة فى بيان القسمة مفوضة الى ملك من الملائكة ولا تظنن
ان الدم بطبعه يهندس شكل نفسه) كما ذهب اليه الطبائعيون (فان محيل هذه الامور على الطبع جاهل
لا يدرى مايقول) فالقول به باطل كالقول بالتولد (فهذه هى الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وأنت فى النوم

تستريح

تستريح وفى الغفلة تتردد وهم يصلحون الغذاء فى باطنك ولا خبر لك منهم وذلك فى كل جزء من أجزائك الذى لا يتجزأ حتى يفتقر بعض الاجزاء
كالعين والقلب الى أكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للايجاز والملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية
على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام والاخبار الواردة فى الملائكة الموكلين بالسموات والارض واجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب الى جانب أكثر من أن تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به فان قلت فهلا فوضت هذه الافعال الى ملك واحد ولم افتقر الى سبعة أملاك والحنطة أيضا تحتاج الى من يطحن أولا ثم الى من يميز عنها النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الماء عليه ثالثا ثم الى من يعجن رابعا ثم الى من يقطعه كرات مدورة خامسا ثم الى من يرقها رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا فاعلم أن خلقة
الملائكة تخالف خلقة الانس وما من واحد منهم الا وهو وحدانى الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل
واحد واليه الاشارة بقوله تعالى

تستريح وفى الغفلة تتردد وهم يعملون الغذاء فى باطنك ولا خبر لك منهم وذلك فى كل جزء من أجزائك
التى لا تتجزأ حتى يفتقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى أكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للايجاز
والملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله تعالى ومدد
الملائكة السماوية من حملة العرش) فانهم المقربون لقربهم من النور الاقصى وهم على ترتيب كذلك
(والمنعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد) الملك (المهيمن القدوس المتفرد بالملك والملكوت والعزة
والجبروت جبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام) جل شأنه (والاخبار الواردة فى
الملائكة الموكلين بالسموات والارض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب
ينجر من جانب الى جانب أكثر من ان تحصى فلذلك ترك الاستشهاد به) قال العراقى ففى الصحيحين من
حديث أبى ذر فى قصة الاسراء قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح وفيه حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها
افتح الحديث ولهما من حديث أبى هريرة ان لله ملائكة يطوفون فى الطرق وللنسائى من حديث ابن
مسعود ان لله ملائكة سياحين يبلغونى من أمتى السلام وفى الصحيحين من حديث عائشة فى قصة عرضه
على ابن عبد ياليل فنادانى ملك الجبال ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين الحديث ولهما من حديث
أنس ان الله وكل بالرحم ملكا الحديث وروى الديلمى فى مسند الفردوس من حديث بريدة الاسلمى
ما من نبت ينبت الا و بحفه ملك موكل به حتى يحصد الحديث وفيه محمد بن صالح الطبرى وأبو الحسن
البكراوى واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضعيف وللطبرانى من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف
ان لله ملائكة ينزلون فى كل ليلة يحبسون الكلال عن دواب الغزاة الا دابة فى عنقها جرس وللترمذى
وحسنه من حديث ابن عباس قالت اليهود يا أبا القاسم خبرنا عن الرعد قال ملك موكل بالسحاب ولمسلم
من حديث أبى هريرة بينما رجل بفلاة من الارض سمع من سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب
فأفرغ ماءه فى حرة الحديث انتهى قلت حديث ابن مسعود رواه كذلك عبد الرزاق وأحمد وابن حبان
والطبرانى وأبو الشيخ فى العظمة وأبو نعيم فى الحلية والحاكم والبيهقى وحديث بريدة الاسلمى تمامه
فايما امرئ وطئ ذلك النبت يلعنه ذلك الملك وحديث ابن عباس فى الرعد لفظه عند الترمذى الرعد ملك
موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله والصوت الذى تسمعون زجره
بالسحاب اذا زجره حتى ينتهى الى حيث أمره وحديث أبى هريرة عند مسلم لفظه عنده وعند أحمد بينا
رجل بفلاة من الارض فسمع صوتا فى سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة
فاذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فاذا رجل قائم فى حديقته يحوّل الماء
بمسحاته فقال له يا عبد الله ما اسمك قال فلان للاسم الذى سمع فى السحابة فقال له يا عبد الله لم تسألنى عن
اسمى قال انى سمعت صوتا فى السحابة التى هذا ماؤها يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها قال
أما اذ قلت هذا فانى أنظر الى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالى ثلثا وأرد فيها ثلثا (فان قلت فهلا
فوضت هذه الافعال) كلها (الى ملك واحد ولم افتقر الى سبعة أملاك والحنطة أيضا تحتاج الى من يطحن
أولا ثم الى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الماء عليه) ثالثا (ثم الى من يعجن رابعا ثم
الى من يقطعه كرات مدورة خامسا ثم الى من يرققها رغفانا عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا
ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس
ظاهرا فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس وما من واحد منهم الا وهو وحدانى الصفة ليس فيه
خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشارة بقوله تعالى) حكاية عنهم

ومامنا الا له مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم فى تعين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع فى ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمهما ولاهما ينازعان الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد التى هى آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذى يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحدانى الصفة فلم يكن وحدانى الفعل ولذلك ترى الانسان يطيع الله مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن فى طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية فى حقهم فلا جرم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع أبدا والساجد منهم ساجد أبدا والقائم قائم أبدا لا اختلاف فى أفعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف فى طاعتك مرة ومعصيتك أخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا باشارتك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا والملائكة احياء عالمون بما يعملون فاذا هذه نعمة الله عليك فى الملائكة الارضية والسماوية وحاجتك اليهما فى غرض الاكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكرها فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف آحاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات فاذا قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه

يذروا

اذ وصفوا به أنفسهم اذ قالوا (ومامنا الا له مقام معلوم) أى فلا نتعداه (فلذلك ليس بينها تنافس وتقاتل بل مثالهم فى تعيين مرتبة كل واحد وفعله مثال الحواس الخمس فان البصر لا يزاحم السمع فى ادراك الاصوات) فانه ليس من ادراكاته (ولا الشم يزاحمهما) فيما خصا به (ولاهما ينازعان الشم) فيما خص به (وليس كاليد والرجل فانك قد تبطش بأصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد) فان الرجل انما وضعت لمشى بها وليس من خواصها البطش وانما هو لليد (وقد تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد التى هى آلة الضرب) كما هو عادة المغاربة (ولا كالانسان الواحد الذى يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدول) أى الصرف (عن) طريق (العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه فانه ليس وحدانى الصفة فلم يكن وحدانى الفعل ولذلك ترى الانسان يطيع الله مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن فى طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية فى حقهم فلا جرم) هم كما وصفهم الله تعالى فى كتابه العزيز (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) كما قال تعالى (يسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع منهم راكع أبدا والساجد منهم ساجد أبدا والقائم منهم قائم أبدا لا اختلاف فى أفعالهم ولا فتور ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه) وقد روى أبو الشيخ فى العظمة والبيهقى والخطيب وابن عساكر من حديث رجل من الصحابة ان لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ما منهم ملك تقطر من عينه دمعة الا وقعت ملكا قائما يسبح وملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة وصفوفا لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فنظروا اليه وقالوا سبحانك ما عبدناك كما ينبغى لك وروى الديلمى من حديث ابن عمر ان لله ملائكة فى السماء الدنيا خشوعا منذ خلقت السموات والارض الى ان تقوم الساعة يقولون سبحان ذى الملكوت فاذا كان يوم القيامة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ولله ملائكة فى السماء الثانية ركوعا منذ خلقت السموات والارض الى ان تقوم الساعة فاذا كان يوم القيامة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ولله ملائكة فى السماء السادسة سجودا منذ خلقت السموات والارض الى ان تقوم الساعة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك (وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن ان تشبه بطاعة أطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف فى طاعتك مرة ومعصيتك أخرى بل كان منتظرا لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا باشارتك فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه) آخر (اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا والملائكة أحياء عالمون بما يفعلون) ولا يلزم من التشبيه ان يكون المشبه عين المشبه به من سائر الوجوه كما هو المقرر (فاذا هذه نعمة الله عليك فى الملائكة الارضية والسماوية وحاجتك اليهما فى غرض الاكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكرها فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف آحاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات فاذا قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ثم قال) تعالى (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) ففيه تنبيه لاولى الالباب الذين وصل لهم القول ليتذكروا ان

فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر للنعمة الظاهرة بل أقول كل من عصى الله تعالى ولو فى تطريفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه فى السموات والارض وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والارض والحيوانات والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره أيضا به فان لله تعالى فى كل تطريفة بالجفن نعمتين فى نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله تعالى فى سوادها انها تجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله فى ترتيبها صفا واحدا أن يكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا للاقذاء التى تتناثر فى الهواء وله فى كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصبها وله فى اشتباك الاهداب نعمة أعظم من الكل وهو أن غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر فيجمع الاجفان مقدار ما تتشابك الاهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان أصاب الحدقة غبار فقد خلق أطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالصقالة للمرآة فيطبقها مرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة من الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما من الغبار واذ

يذروا ظاهر الاثم شكر الظاهر النعم ويذروا باطن الاثم شكر الباطن النعم (فترك باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة) المخالفة (واضمار الشر للناس الى غير ذلك من آثام القلوب) مما تقدم ذكرها (هو الشكر للنعم الباطنة) مثل معافاة القلوب وسلامة العقود (وترك الاثم الظاهر بالجوارح) من معانى حظوظ النفوس (شكر للنعمة الظاهرة) مثل عوافى الاجسام ووجود الكفايات من الاموال (بل أقول كل من عصى الله تعالى ولو فى تطريفة واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه فى السموات والارض وما بينهما فان كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والارض والحيوان والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره أيضا به فان لله تعالى فى كل تطريفة بالجفن نعمتين فى نفس الجفن اذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل) اعلم ان منفعة العضل ان الانسان اذا أراد ان يقرب عضوا من آخر حرك العضل فتشنجت وزاد فى عرضها ونقص من طولها واذا أراد التبعيد حركها فاسترخت وزاد فى طولها ونقص فى عرضها فحصل المقصود والعضو الذى يحرك عضوا كبيرا يكون كبيرا كالذى فى الفخذ والذى يحرك عضوا صغيرا يكون صغيرا كالعضلات المحركة للاجفان العليا فانها صغار جدا وليس لها أوتار فاذا علمت ذلك فللعين أربع وعشرون عضلة ثلاثة لتحريك الجفن رأسها معلق فى العظم الحاوى للعين وترها يميز فى وسط طى الغشاء الذى يكون منه الجفن ويتصل بوسط حافة الجفن وهو يفتحه والثانية والثالثة موضوعتان فى موق العين مدفونتان فى حفرتها وتراهما يأتيان حافة الجفن ويتصلان به من جانبه وهما يغمضان العين باطباقهما الجفن وذلك اذا فعل كل منهما فعلها فان نال احداهما آفة انطبق بعض الجفن ويبقى باقيه مفتوحا وواحدة وقيل ثنتان وقيل ثلاثة قد عم العصبة المجوفة التى يكون بها البصر وتثبتها حتى لا تنالهما بسبب لينها عند التحديق الشديد ان تنقطع وست عضلات تحرك العين أربعة الى الاستقامة الواحدة تميلها الى فوق والثانية تحفظها الى أسفل والثالثة تحركها يمنة والرابعة تحركها يسرة واثنتان على الاستدارة فهذه عشرة أو احدى عشرة أو اثنتا عشرة لعين وللاخرى مثلها (وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله فى سوادها انه) أى الشعر الاسود (يجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه) فلا لون انسب وأوفق لنور الباصرة من السواد (ونعمة الله فى ترتيبها صفا واحدا أن يكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا للاقذاء التى تتناثر فى الهواء) فتتعلق به ولا تصل الى الداخل (وله فى كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصبها) وله فى منابت الشعر نعمة أخرى وهو ان جعل بين كل شعرة فاصلا لئلا يلتزق مع بعضه (وله فى اشتباك الاهداب نعمة أعظم من الكل وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر فيجمع الاجفان مقدار ما تتشابك الاهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان أصاب الحدقة غبار فقد خلق أطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان) وبقيت الحدقة صافية (والذباب لما لم يكن لحدقتيه جفن خلق له يدين) زائدتين (فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما عن الغبار) وهذا أحسن الوجوه وقيل انما يفعل ذلك لكونه لم يقع على جسد النبى صلى الله عليه وسلم فهو أبدا يلطم وجهه وفيه نظر (واذ

تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره الى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب ولعلنا نستأنف له كتابا مقصودا فيه ان أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله تعالى فلنرجع الى غرضنا فنقول من نظر الى غير محرم قد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى فى الاجفان ولا تقوم الاجفان الا بعين ولا العين الا بالرأس ولا الرأس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شئ من ذلك

الا بالسموات ولا السموات الا بالملائكة فان الكل كالشئ الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض فاذا قد كفر كل نعمة فى الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه ولذلك ورد فى الاخبار أن البقعة التى يجتمع فيها الناس اما أن تلعنهم اذا تفرقوا أو تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شئ حتى الحوت فى البحر وان الملائكة يلعنون العصاة فى ألفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة الى أن العاصى بتطريفة واحدة جنى على جميع ما فى الملك والملكوت وقد أهلك نفسه الا أن يتبع السيئة بحسنة تمحوها فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه وأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام يا أيوب ما من عبد لى من الآدميين الا ومعه ملكان فاذا شكرنى على نعمائى قال الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكرين علو رتبة عندى أنى أشكر شكرهم وملائكتى يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكى عليهم وكما عرفت أن فى كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم ان فى كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع الروح الهواء الى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وفى كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك فى كل لحظة آلاف آلاف نعمة فى كل جزء من أجزاء بدنك بل فى كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك أم لا

تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره الى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب ولعلنا نستأنف له كتابا مقصودا فيه ان أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله تعالى) وقد حقق الله تعالى مأموله ويسر له تأليفه وقد عده ابن السبكى فى جملة مؤلفاته كما تقدم ذلك فى مقدمة كتاب العلم (فلنرجع الى غرضنا فنقول من نظر الى غير محرم قد كفر بفتح العين) فى حيث لا يحل (نعمة الله تعالى فى الاجفان ولا تقوم الاجفان الا بعين ولا العين الا بالرأس ولا الرأس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شئ من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملائكة فان الكل كالشئ الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض فاذا قد كفر كل نعمة لله فى الوجود من منتهى الثريا الى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه بكفران النعمة ولذلك ورد فى الاخبار ان البقعة التى يجتمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا أو تستغفر لهم) قال العراقى لم أجد له أصلا (وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شئ حتى الحوت فى البحر) تقدم فى كتاب العلم (وان الملائكة يلعنون العصاة) قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة ان الملائكة لتلعن أحدكم اذا أشار الى أخيه بحديدة وان كان أخاه لابيه وأمه اهـ قلت وكذلك رواه أحمد وأبو نعيم فى الحلية (فى ألفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة الى أن العاصى ولو بتطريفة واحدة جنى على جميع ما فى الملك والملكوت وقد أهلك نفسه الا أن يتبع السيئة بحسنة تمحوها) كما ورد ذلك فى حديث أبى ذر واتبع السيئة الحسنة تمحها (فيستبدل اللعن بالاستغفار فعسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه) بفضله وكرمه وورد فى بعض الاخبار (أوحى الله الى أيوب عليه السلام يا أيوب ما من عبد لى من الآدميين الا ومعه ملكان فاذا شكرنى على نعمائى قال الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا) وزدهم شكرا وزدهم من النعماء (فكفى بالشاكرين) يا أيوب (علو رتبة عندى انى أشكر شكرهم وملائكتى يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكى عليهم) فكن لى يا أيوب شاكرا ولآلائى ذاكرا ولا تذكرنى حتى أذكرك ولا تشكرلى حتى أشكر أعمالك أنا أوفق أوليائى لصالح الاعمال وأشكرهم على وفقهم واقتضيتهم الشكر ورضيت به مكافأة فرضيت بالقليل عن الكثير وتقبلت القليل وجازيت عليه بالجزيل وشر العبيد عندى من لم يشكرنى الا وقت حاجته ولم يتفرغ بين يدى الا فى وقت عقوبته كذا أورده بكماله صاحب القوت (وكما عرفت ان فى كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم ان فى كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة) لكل منهما اثنتاعشرة ساعة (وفى كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك فى كل لحظة آلاف آلاف نعمة فى كل جزء من أجزاء بدنك بل فى كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك أم لا) ولفظ القوت ويقال ان تحت كل شعرة فى جسم العبد نعمة وفى جسم الانسان ثلاثمائة

ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف أشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت أصلها وان طمست رأسها وكذا ورد في الاثر أن من لم يعرف نعم الله الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصير لا تقع عينه في العالم على شئ ولا يلم خاطره بوجود الا ويتحقق أن الله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع *(بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر)* اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم انهم ان عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عزوجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان أما الغفلة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها أن الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ماذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصا به فلا يعده نعمة ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ولو أخذ بخنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حار أو في بئر فيه هواء ثقل برطوبة الماء ماتوا غما فان ابتلى احد منهم بشئ من ذلك ثم نجا بما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على أن تسلب عنهم

وستون مفصلا وكذلك العظام وفي كل طرفة نعمتان وفي كل نفس نعمتان وفي كل دقيقة تأتي عليه من عمره نعم لا تحصى والدقيقة جزء من اثني عشر جزأ من شعيرة والشعيرة جزء من اثني عشر جزأ من ساعة والانفاس أربعة وعشرون ألف نفس في اليوم والليلة (ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف أشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان أن لينت أصلها وان طمست رأسها) نقله صاحب القوت (وكذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعم الله) عليه (الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه) نقله صاحب القوت وهو في الحلية من قول أبي الدرداء رواه من طريق أحمد بن حنبل حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا يونس بن عبيد عن الحسن قال أبو الدرداء من لم يعرف نعمة الله عليه الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه ومن لم يكن غنيا في الدنيا فلا دنيا له قال صاحب القوت ويقال ان في باطن الجسم من النعم سبعة أضعاف النعم الذي في ظاهره وان في القلب من النعم أضعاف ما في الجسم كله من النعم وان نعم الايمان بالله والعلم واليقين أضعاف نعم الاجسام والقلوب فهذه كلها نعم مضاعفة على نعم مترادفة لا يحصيها الا من أنعم بها ولا يعلمها الا من خلقها ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير سوى نعم المطعم والمشرب والملبس والمنكح من دخول ذلك وخروجه وكثرة تكرره وترايده بان أدخل مهناه وأخرج اذاه وبقي في الجسم قواه وبان طيب مدخله ويسر مخرجه وبقي منفعته وما أحال من صورته وغير من صفته للتزهيد والذم والاعتبار والتذكرة وتلك أيضا نعم (وجميع ماذكرناه يرجع الى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصير لا تقع عينه في العالم على شئ ولا يلم خاطره بوجود الا ويتحقق ان الله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع) وبالله التوفيق

(بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر)

(اعلم) هداك الله تعالى (انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها) اذ من لم يعرفها كيف يقوم بشكرها فالشكر فرع المعرفة فاذا جهل النعمة لم يعرفها واذا لم يعرفها لم يشكر عليها واذا لم يشكر انقطع مزيده ومن انقطع عنه المزيد فهو في نقصان ما ادعى وأيضا فان لم يشكر النعم لجهله بها كفرها فان كفرها أدركه العذاب الشديد الا ان تداركه نعمة من ربه (ثم انهم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها) بمجرد (أن يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله) من غير فهم معنى ما يقول (ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عزوجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين) الاولى معرفة النعمة والثانية معرفة معنى الشكر عليها (الا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان) عليه (أما الغفلة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملة ماذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء) هو برودته (ولو أخذ بخنقهم) هو محل القلادة من العنق (لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حار) ولا منفذ له (أو في بئر فيه هواء ثقل برطوبة الماء ماتوا غما فان ابتلى واحد منهم بشئ من ذلك ثم نجا بما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان تسلب عنهم

النعمة ثم ترد عليهم فى بعض الاحوال والنعمة فى جميع الاحوال أولى بان تشكر فى بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الا أن تعمى عينه
فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحس به وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق و بذل لهم فى جميع الاحوال فلم يعده الجاهل
نعمة وهـذا الجاهل مثل العبد السوء حقه أن يضرب دائما حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك
الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذى يتطرق الاختصاص اليـه من حيث الكثرة والقلة و ينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما شكا
بعضهم فقره الى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتمامه به فقال له أيسرك انك أعمى ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال

أيسرك انك أخرس ولك
عشرة آلاف درهم فقال لا
فقال أيسرك انك اقطع
اليـدين والرجلين ولك
عشرون ألفا فقال لا فقال
أيسرك انك مجنـون ولك
عشرة آلاف درهم فقال
لا فقال أما تستحيي أن
تشكو مولاك وله عندك
عـروض بخمسـين ألفا
وحكى ان بعض القراء اشتد
به الفقر حتى ضاق به ذرعا
فـرأى فى المنام كان قائلا
يقول له تود انا أنسيناك من
القرآن سورة الانعام وان
لك ألف دينار قال لا قال
فسورة هود قال لا قال فسورة
يوسف قال لا فعـدد عليه
سورا ثم قال فعلك قيمة مائة
ألف دينار وأنت تشكو
فاصبح وقد سرى عنه ودخل
ابن السماك عـلى بعض
الخلفاء وبيده كوز ماء يشربه
فقال له عظنى فقال لو لم تعط
هذه الشربة الا ببذل جميع
أموالك والا بقيت عطشان
فهـل كنت تعطيه قال نعم
فقال لو لم تعط الا بملك كله
فهل كنت تتركه قال نعم
قال فلا تفرح بملك لا يساوى

شربة ماء فهذا تبين ان نعمة الله تعالى على العبد فى شربة عند العطش أعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مائلة الى اذا
اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو أمعن النظر فى
أحواله رأى من الله نعمة أو نعما كثيرة تخصه لا تشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها أحد وذلك يعترف
به كل عبد فى ثلاثة أمور فى العقل والخلق والعلم أما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله فى عقله يعتقد انه أعقل الناس وقل من يسأل
الله العقل وان من شرف العقل ان يفرح به الخالى عنه كما يفرح به المتصف به فاذا كان اعتقاده انه أعقل الناس فواجب عليه ان يشكره لانه

النعمة) برهة (ثم ترد عليهم فى بعض الاحوال والنعمة فى جميع الاحوال أولى بان تشكر من النعمة فى
بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره الى ان تعمى عينه فعند ذلك لو أعيد عليه) نوره (أحس به وشكره
وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق) وكل من السعة والعموم من مقتضيات هذه الصفة (و بذل
لهم فى جميع الاحوال فلم يعده الجاهلون نعمة) فغفلوا عن الشكر عليها (وهذا الجاهل مثل العبد السوء
حقه أن يضرب دائما) لمخالفة سيره فى أوامره ونواهيه (حتى اذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فان ترك ضربه
على الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذى يتطرق الاختصاص اليـه
من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم) فى سائر أحوالهم (كما شكا بعضهم
فقره الى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتمامه به) ولفظ القوت وحدثت عن رجل شكا الى
بعض أهـل المدينة فقره وأظهر لذلك غمه (فقال له الرجل أيسرك انك أعمى ولك عشرة آلاف درهـم
فقال لا فقال أيسرك انك أخرس ولك عشرة آلاف قال لا فقال أيسرك انك أقطع اليدين والرجلين ولك
عشرون ألفا قال لا قال أيسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف قال لا فقال أما تستحيي ان تشكو مولاك وله
عندك عروض بخمسين ألفا) قال صاحب القوت وهذا كما قال لان فى الانسان قيم هذه الاشياء من الجوارح
وزيادة من المال لانها ديات جوارحه لو قطعت (وحكى ان بعض القراء) أى العلماء ولفظ القوت وحدثنى
بعض الشيوخ فى معناه ان بعض القراء المقربين (اشتد به الفقر حتى) أحزنه و (ضاق به ذرعا) قال (فرأى فى
المنام كان قائلا يقول له تود انا أنسيناك من القرآن سورة الانعام وان لك ألف دينار قال لا قال فسورة هود
قال لا قال فسورة يوسف قال لا فعدد عليه سورا ثم قال فعلك قيمة مائة ألف دينار) هكذا فى القوت وفى بعض
نسخ الكتاب قيمة ما يبلغ آلافا (وانك تشكو) الفقر (فاصبح وقد سرى عنه همه) أى انكشف و زال
(ودخل) محمد بن صبيح (بن السماك) الواعظ البغدادى تقدمت ترجمته مرارا (على بعض الخلفاء)
العباسية (وبيده كوز ماء يشربه فقال له عظنى فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع أموالك والا
بقيت عطشانا فهل كنت تعطيه قال نعم فقال لو لم تعط الا بملك كله فهل كنت تتركه قال نعم قال فلا تفرح
بملك لا يساوى شربة ماء فهذا تبين ان نعمة الله تعالى على العبد فى شربة ماء عنـد العطش أعظم من ملك
الارض كلها واذا كانت الطباع مائلة الى اعتـداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم
العامة) المبذولة للخلق كلهم (فلنذكر اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو أمعن النظر
فى أحواله) وتأمل بصافى بصيرته (رأى من الله تعالى نعمة أو نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس
كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما) يتفق انه (لا يشاركه فيها أحد وذلك يعترف به كل عبـد
فى ثلاثة أمور فى العقل والخلق والعلم اما العقل فما من عبد لله تعالى الا وهو راض عن الله تعالى فى عقله
يعتقد انه أعقل الناس و) لذا (قلما يسئل الله العقل) ومن المعلوم (أن من شرف العـقل أن يفرح به
الخالى عنـه كما يفرح به المتصف به فاذا كان اعتقاده انه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره لانه

ان كان كذلك فالشكر واجب عليه وان لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة فى حقه فمن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح به و يشكر عليه فان أخذ الكنز من حيث لا يدرى فيبقى فرحه بحسب اعتقاده و يبقى شكره لانه فى حقه كالباقى وأما الخلق فمامن عبد الاو يرى من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمها من حيث يرى نفسه بريأ عنها فاذا لم يشتغل بذم الغير فينبغى أن يشتغل بشكر الله تعالى اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيئ وأما العلم فمامن أحد الاو يعرف من بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره ماهو منفرد به ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه أحد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فاذن لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذى أرسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد امامطلقا واما فى بعض الامور فلننزل عن هذه الطبقة الى طبقة أخرى أعم منها قليلا فنقول مامن عبد الاوقد رزقه الله تعالى فى صورته أو شخصه أو اخلاقه أو صفاته أو أهله أوولده أومسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقاربه أوعزه أو جاهه أو فى سائر محابه أمورا لو سلب ذلك منه وأعطى ماخصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا أنثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصائص وان كان فيها عموم أيضا فان هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض بها بل له أمور لا يبدلها باحوال الآدميين أيضا وذلك اما أن يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الاكثر فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله أحسن من حال غيره واذا كان لا يعرف شخص يرضى لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما فى أمر خاص فاذا لله تعالى عليه نعم ليست له على أحد من عباده سواه وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة يراهم أقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه فى الحال أكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر الى من فوقه ليزدرى نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر الى من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوى

اذا كان كذلك) فى حقيقة الامر (فالشكر واجب عليه وان لم يكن) كذلك (ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة فى حقه فمن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح به و يشكر عليه فان أخذ الكنز من حيث لا يدرى فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لانه فى حقه كالباقى) فكذلك العقل فانه بمنزلة الكنز المدفون (وأما الخلق فمامن عبد الا و يرى من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمها من حيث يرى نفسه بريأ عنها) خالصا منها (فان لم يشتغل بذم الغير فينبغى أن يشتغل بشكر الله تعالى اذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيئ) ففيه نعمتان عليه ماشكران فبحسب كل ماوجه الى غيرك من المذام نعما عليك بمثل ماوجه اليك من المحاسن لان النفوس كنفس واحد والمشيئة والقدرة واحدة فقد رجحت بانك من أحسن الخلق فذلك من فضل الله عليك (وأما العلم فمامن أحد الا و يعرف من بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره ماهو منفرد به ولو انكشف الغطاء) و زال الحجاب (حتى اطلع عليه أحد من الخلق لافتضح) حاله عنده (فكيف لو اطلع الناس كافة فاذا لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذى أرسله على وجه مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد) فلا تدرى أى النعمتين أعظم اظهار الجميل أوستر القبيح وقد مدح الله سبحانه بهما فى الدعاء المأثور يامن أظهر الجميل وستر القبيح (فهذه ثلاث من النعم خاصة يعترف بها كل عبد امامطلقا واما فى بعض الامور فلننزل عن هذه الطبقة الى طبقة أخرى أعم منها قليلا فنقول مامن عبد الاوقد رزقه الله تعالى فى صورته أو شخصه أو أخلاقه أوصفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه وأقاربه أو عزه أو جاهه أو فى سائر محابه) الدنيوية (أمورا لو أسلب ذلك منه وأعطى ماخصص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا أنثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصائص وان كان فيها عموم أيضا فان هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض به) وفى القوت وأول نعمة عقلناها ان جعلنا موجودين دون سائر المعدومات ثم جعلنا حيوانا دون سائر الموات ثم جعلنا بشرا دون سائر الحيوان ثم ان جعلنا ذكورا دون الاناث ثم تصويرنا فى أحسن تقويم ثم عوافى القلب من الزيغ عن السنة ومن الميل الى دواعى النفس الامارة بالسوء ثم صحة الاجسام ثم كثيف الستر ثم حسن الكفاية للحاجات ثم صنوف ماأظهر من الازواج للاوقات (بل له أمور لا يبدلها باحوال الآدميين أيضا وذلك اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الاكثر فاذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله أحسن من حال غيره فان كان لا يعرف شخصا يرضى لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما فى أمر خاص فاذا لله تعالى نعم ليست له على أحد من عباده سواه وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين عنده فانه لا محالة يراهم أقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه فى الحال أكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر الى من هو فوقه ليزدرى) أى يحتقر (نعم الله على نفسه ولا ينظر الى من هو دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله لا يسوى

دنياه بدينه أليس) هو (اذا الامته نفسه) وعاتبته (على سيئة يفارقها يعتـذر اليها بان فى الفساق كثرة فينظر أبدا فى الدين الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره فى الدنيا كذلك فاذا كان حال أكثر الخلق فى الدين خيرا منه وحاله فى الدنيا خيرا من حال أكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر) وفى القوت وفى الشكر مقامات عن مشاهدين أعلاهـما الذى يشكر على المكاره والبلاء والشدائد والادواء والمقام الثانى ان ينظر الى من هو دونه ممن فضل هو عليه فى أمور الدنيا وفى أحوال الدين فيعظم نعمة الله عليه بسلامة قلبه وعافيته مما ابتلى الآخر به و يعظم نعمة الدنيا عليه لما أغناه الله وكفاه فيما أحوج اليه والجاه فليشكر على ذلك ثم ينظر الى من هو فوقه فى الدين ممن فضل عليه بعلم الايمان و بحسن اليقين فيمقت نفسه و يزرى عليها و ينافس فى مثل ما رأى من أحوال من هو فوقه فيرغب فيها فاذا كان كذلك كان من الشاكرين ودخل تحت اسم الممدوحين (ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من نظر فى الدنيا الى من هو دونه ونظر فى الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا وشاكرا ومن نظر فى الدنيا الى من هو فوقه وفى الدين الى من هو دونه لم يكتبه الله لا صابرا ولا شاكرا) قال العراقى رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه المثنى ابن الصباح ضعيف انتهى قلت ورواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حـديث أنس لكن بتقديم الجملة الثانية على الاولى وروى أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من فوقكم فهو أجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم أما البخارى فرواه من طريق الاعرج والباقون من طريق همام وأبى صالح ثلاثتهم عن أبى هريرة وفى لفظ لمسلم اذا نظر أحدكم الى من فضله الله عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل ممن فضل عليه ولاحمد وابن حبان فى أثناء حديث عن أبى ذر أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم ان أنظر الى من هو دونى ولا أنظر الى من هو فوقى وعند هناد والبيهقى اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه فى المال والجسم فلينظر الى من هو دونه فى المال والجسم (فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لاسيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن) ولفظ القوت ومن أفضل النعم وأجلها نعمة الايمان بالله تعالى ثم نعمة الرسول ثم نعمة القرآن (ثم الفراغ والصحة والامن) وبكل من هـذه الثلاثة الاخيرة فسر قوله تعالى أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا (وغير ذلك) كنعمة الغنى والشباب (ولذلك قيل

من شاء عيشا رحيبا يستطيب به * فى دينه ثم فى دنياه اقبالا
فلينظرن الى من فوقه ورعا * ولينظرن الى من دونه مالا)

وقال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله) هكذا فى القوت وقال العراقى لم أجده بهذا اللفظ (وهذا) ان صح فهو (اشارة الى نعمة العلم وقال صلى الله عليه وسلم ان القرآن هو الغنى الذى لا غنى بعده ولا فقر بعده) قال العراقى رواه أبو يعلى والطبرانى من حـديث أنس بسند ضعيف بلفظ ان القرآن غـنى لا فقر بعده ولا غـنى دونه قال الدارقطنى رواه أبو معاوية عن الاعمش عن يزيد الرقاشى عن الحسن مرسلا وهو أشبه بالصواب انتهى قلت ورواه محمد بن نصر والبيهقى والخطيب بلفظ القرآن بدون ان وسنده ضعيف (وقال) صلى الله عليه وسلم (من آتاه الله القرآن فظن ان أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله) قال العراقى رواه البخارى فى التاريخ من حديث رجاء الغنوى بلفظ من آتاه الله حفظ كتابه وظن ان أحدا أولى منه فقد صغر أعظم النعم ورجاء مختلف فى صحبته وورد من حـديث عبد الله بن عمرو وجابر والبراء نحوه وكلها ضعيفة وقد تقدم فى فضل القرآن انتهى قلت ورواه البيهقى كذلك ولفظه من أعطاه الله ورواه ابن حبان وقال رجاء تابعى ثقة يروى المراسيل وأورده صاحب القوت وقال وفى لفظ آخر فقد استخف بما أنزل الله (وقال صلى الله عليه وسلم كفى باليقين غنى) قال العراقى رواه الطبرانى من حديث عمار بن ياسر ورواه ابن أبى الدنيا فى القناعة موقوفا عليه وقد تقدم انتهى وأورده صاحب القوت

لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره فى الدنيا كذلك فاذا كان حال أكثر الخلق فى الدين خيرا منه وحاله فى الدنيا خيرا من حال أكثر الخلق فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من نظر فى الدنيا الى من هو دونه ونظر فى الدين الى من هو فوقه كتبه الله صابرا وشاكرا ومن نظر فى الدنيا الى من هو فوقه وفى الدين الى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لاسيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك ولذلك قيل

من شاء عيشا رحيبا يستطيل به * فى دينه ثم فى دنياه اقبالا
فلينظرن الى من فوقه ورعا * ولينظرن الى من دونه مالا

وقال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله وهـذا اشارة الى نعمة العلم وقال عليه السلام ان القرآن هو الغنى الذى لا غنى بعده ولا فقر معه وقال عليه السلام من آتاه الله القرآن فظن ان أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال عليه السلام كفى باليقين غنى

وقال بعض السلف يقول الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة ان عبدا أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتى عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه وعما فى يد أخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال اذا ما القوت يأتيك * كذا الصحة والامن وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن بل أرشق العبارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالضاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع انها بال عليهم ولا يشكرون نعمة الله فى هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم فى الايمان الذى به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغى أن لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من أموال واتباع وانصار وقيل له خذها عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضى به الى قرب الله تعالى فى الآخرة بل لو قيل له لك فى الآخرة ما ترجوه بكماله خذ هذه اللذات فى الدنيا بدلا عن التلذذ بالعلم فى الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لا يفى مرجوها بمخوفها ولا لذتها بالمها ولا فرحها بغمها هكذا كانت الى الآن وهكذا تكون ما بقى الزمان اذ ما خلقت لذات الدنيا الا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليها واستعصت كالمرأة الجميلة ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغنى حتى اذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها فى تعب قائم وعناء دائم وكل ذلك باغتراره بلذة النظر اليها فى لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره فهكذا وقعت أرباب الدنيا فى شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغى أن تقول ان المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فان المقبل عليها أيضا متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتألم المعرض يفضى الى لذة فى الآخرة وتألم المقبل يفضى الى الالم فى

وقال القرآن هو حق اليقين (وقال بعض السلف يقول الله تعالى ان عبدا أغنيته عن ثلاث لقد أتممت عليه نعمتى) أغنيته (عن سلطان يأتيه) أى جعلته غنيا (و) أغنيته (عن طبيب يداويه) أى جعلته صحيحا سليما (و) أغنيته (عما فى يد أخيه) أى جعلته قانعا بما فى يده نقله صاحب القوت (وعبر الشاعر عن هذا فقال

اذا القوت تأتى لك * والصحة والامن
وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن)

كذا هو فى القوت وفى بعض نسخ الكتاب اذا ما القوت يأتى لك وفى أخرى اذا القوت يأتيك كذا الصحة (بل أرشق العبارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالضاد) يشير الى ما اشتهر على الالسنة أنا أفصح من نطق بالضاد قال ابن كثير معناه صحيح ولكن لا أصل له (حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقال من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) تقدم الكلام عليه غير مرة (ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث) وهى الامن والصحة والقوت (مع انها بال عليهم ولا يشكرون نعمة الله عليهم فى الايمان الذى به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم) الذى لا يفنى (فان البصير) أى صاحب البصيرة (ينبغى ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان) فانها من أفضل النعم الباطنة (بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من أموال) وأعراض (وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضا عن علمك) ومعرفتك (بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه) ولم يقبله (وذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضى به الى قرب الله سبحانه وتعالى فى الآخرة) وما ذكر فى عوضه فكله فان ولا يقربه الى جوار الله تعالى (بل لو قيل له لك فى الآخرة ما ترجوه بكماله خذ هذه اللذات فى الدنيا بدلا عن التلذذ بالعلم فى الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة ومشوشة لا يفى مرجوها بمخوفها ولا ألمها بلذتها ولا فرحها بغمها) فانها ان حلت أوحلت أوجلت أوجلت أوكست أوكست (هكذا روى) من أول الزمان (الى الآن وهكذا يكون ما بقى الزمان) ودار الملوان (اذ ما خلقت لذات الدنيا الا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع حتى اذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليها) وامتنعت (واستعصت) فهى (كالمرأة الجميلة ظاهرها تتزين للشاب الشبق) الكثير الشهوة (الغبى) الغافل عن العواقب (حتى اذا تقيد بها قلبه) وعلق بها باطنه (استعصت عليه) وجمحت (واحتجبت عنه) ولم تواصله (فلا يزال معها فى تعب قائم وعناء دائم وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر اليها فى لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره) فى ماله وعرضه وجسده (فهكذا وقعت أرباب الدنيا فى شباك الدنيا وحبائلها) وخدعها (ولا ينبغى ان تقول ان المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فان المقبل عليها أيضا متألم بالصبر عليها و) على (حفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتألم المعرض) عنها (يفضى الى لذة فى الآخرة) وهى القرب من جوار الله تعالى (وتألم) المقبل عليها (يفضى الى ألم فى

الآخرة فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله
ما لا يرجون فاذا انما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة فان قلت فما علاج هذه القلوب
الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر فأقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا اليه من أصناف نعم الله تعالى العامة
وأما القلوب البليدة التي لا تعد النعمة نعمة الا اذا خصتها أو شعرت بالبلاء معها فسبيله أن ينظر أبدا الى من دونه و يفعل ما كان
يفعله بعض الصوفية اذ كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الامراض ويشكر الله تعالى ويشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بانواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الامن ويحضر المقابر فيعلم ان أحب الاشياء الى الموتى أن يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا أما من عصى الله فليتدارك وأما من أطاع فليزد في طاعته فان يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غبني اذ ضيعت بعض الاوقات في المباحات وأما العاصي فغبنه ظاهر فاذا شاهد المقابر وعلم أن
احب الاشياء اليهم ان يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر الى ما يشتهي أهل القبور
العود لاجله ليكون ذلك معرفته لنعم الله تعالى في بقية العمر بل الامهال في كل نفس من الانفاس واذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف
العمر الى ما خلق العمر لاجله وهو التزود من الدنيا للآخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر وقد كان
الربيع بن خيثم مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيدا للمعرفة فكان قد حفر في داره قبرا فكان يضع غلا في عنقه و ينام في لحده ثم
يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا ثم يقوم و يقول يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد ومما ينبغي أن تعالج به

القلوب

الآخرة) وهو البعد عن جوار الله تعالى (فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ولا تهنوا) أي
لا تضعفوا (في ابتغاء القوم) أي طلبهم ومقاتلتهم لاعلاء كلمة الحق (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) وهو اشارة الى تلك اللذة (فاذا انما انسد طريق الشكر على
الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة) وبانسداد طريق الشكر حرموا
طريق المزيد وورثهم ذلك النقصان أبدا (فان قلت فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله
تعالى فعساها تشكر فأقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا اليه من أصناف نعم الله
تعالى العامة) المبذولة على الخلق (وأما القلوب) الجامدة (البليدة التي لا تعد النعمة نعمة الا اذا خصتها
أو شعر بالبلاء معها فسبيله ان ينظر ابدا الى من هو دونه) في أمور الدنيا (و يفعل ما كان يفعله بعض)
السادة (الصوفية اذ كان يحضر كل يوم دار المرضى) وهي المارستان (والمقابر والمواضع التي تقام فيها
الحدود) الشرعية (فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته
وسلامته) من تلك البلايا (فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الامراض و) كان يحضر المواضع
التي تقام فيها الحدود (يشاهد الجناة) هم الجانون على أنفسهم (الذين يقتلون) قصاصا (وتقطع
أطرافهم) في السرقة (ويعذبون بأنواع العذاب) في حد الخمر والقذف وغير ذلك أو من طريق السياسة
(ليشكر الله تعالى على عصمته) وحفظه (من الجنايات) الشرعية (ومن تلك العقوبات ويشكر الله
تعالى على نعمة الامن) حيث لا يطالبه أحد بدم أو ذمة أو غير ذلك (و) كان (يحضر المقابر فيعلم ان أحب
الاشياء الى الموتى ان يردوا الى الدنيا ولو يوما واحدا) كما ورد ذلك في الاخبار (أما من عصى الله فليتدارك
وأما من أطاع الله فليزد في طاعته وان يوم القيامة) هو (يوم التغابن) كما سماه الله تعالى في كتابه ذلك
يوم التغابن (فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما
أعظم غبني) وخسارتي (اذ ضيعت بعض الاوقات في المباحات وأما العاصي فغبنه ظاهر) يرى غيره
يحسن الجزاء على أعماله وهذا قد ضيع عمره في الغفلة والعصيان فلا أغبن منه (فاذا شاهد المقابر وعلم
ان أحب الاشياء اليهم) أي الى أصحاب المقابر (ان يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له فيصرف بقية
العمر الى ما يشتهي أهل القبور العود) الى الدنيا (لاجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله تعالى في بقية العمر
بل في الامهال في كل نفس من الانفاس واذا عرف تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما خلق لاجله
وهو التزود من الدنيا للآخرة) كما هو حقيقة الشكر عند العارفين (فهذا علاج هذه القلوب الغافلة
لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر وكان الربيع بن خيثم) الثوري الكوفي الفقيه الزاهد (مع تمام
استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيدا للمعرفة) الحاصلة (له فكان قد حفر في داره قبرا فكان يضع
غلا في عنقه و ينام في لحده ثم يقول) هذه الآية (رب ارجعون لعلي أعمل صالحا ثم يقوم و يقول)
مخاطبا لنفسه (يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل ان تسأل الرجوع فلا ترد ومما ينبغي ان تعالج به

القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول عليكم بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال الله سبحانه ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فهذا تمام هـذا الركن

(الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر)

القلوب البعيدة عن الشكر ان تعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى عليكم بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم) نقله صاحب القوت (وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر) نقله صاحب القوت (وفي الخبر ما عظمت نعمة الله على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال) قال العراقي رواه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بن جبل بلفظ الا عظمت مؤنة الناس اليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة الحديث ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال انه موضوع على حجاج الاعور انتهى قلت حديث معاذ رواه أيضا أبو سعيد السمان في مشيخته وأبو اسحق المستملي في معجمه والبيهقي وضعفه والخطيب وابن النجار وفيه أحمد بن معدان العبدي قال أبو حاتم مجهول والحديث الذي رواه باطل ورواه الشيرازي في الالقاب عن عمر بن الخطاب موقوفا ورواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج من حديث عائشة بلفظ الا اشتدت عليه مؤنة الناس وتقدم في كتاب ذم البخل والمال بلفظ من عظمت وتقدم الكلام عليه هناك فراجعه (وقال الله سبحانه ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) قيل لا يغير نعمه عليهم حتى يغيروها بتضييع الشكر فيعاقبهم بالتغير والوجه الآخر لا يغير ما بهم من عقوبة حتى يغيروا معاصيهم بالتوبة فذكر بذلك السبب الاول من حكمه ثم ذكر السبب الثاني من حكمته وهو مسبب الاسباب بمشيئته وحكمته (فهذا تمام هذا الركن) الثاني وبالله التوفيق

(الركن الثالث) (من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر)

(بيان اجتماع الصبر والشكر على شئ واحد)

(اعلم) أيها السالك (لعلك تقول ماذكرته في النعم اشارة الى أن الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير الى ان البلاء لا وجود له أصلا فما معنى الصبر اذا وان كان البلاء موجودا فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون انا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر يستدعي ألما والشكر يستدعي فرحا وهما يتضادان) فكيف يجتمعان (وما معنى ماذكرتموه من ان الله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم ان البلاء موجود كما أن النعمة موجودة والقول باثبات النعمة يوجب القول باثبات البلاء لانهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق ان النعمة تنقسم الى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول) والقرب (في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فالايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه) آخر ولا تعد من الخيرات المتوسطة (فكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى اما مدة) من الزمن (واما أبدا واما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي الى البلاء المطلق وأما) البلاء (المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة أما البلاء المطلق في الدين فقد لا يؤمر بالصبر عليه فان الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذلك المعصية بل حق الكافر

(بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شئ واحد) لعلك تقول ماذكرته في النعم اشارة الى ان الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير الى أن البلاء لا وجود له أصلا فما معنى الصبر اذا وان كان البلاء موجودا فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون انا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر على البلاء يستدعي ألما والشكر يستدعي فرحا وهما يتضادان وما معنى ماذكرتموه من أن الله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم ان البلاء موجود كما ان النعمة موجودة والقول باثبات النعمة يوجب القول باثبات البلاء لانهما متضادان ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم الى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فكالايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما والى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه فكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى اما مدة واما أبدا واما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي الى البلاء المطلق وأما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة أما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لان الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر

أن يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعرف انه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف انه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بازالة الالم وانما الصبر على ألم ليس الى العبد ازالته فاذا رجع الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور

أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلا يجوز أن يكون سببا لهلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده والصحة أيضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالاضافة اليه فكذلك ما من بلاء الا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالاضافة الى حاله فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الاقسام الستة عشر من النعم سوى الايمان وحسن الخلق فانها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون اضدادها اذا نعما في حقهم اذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الامور بلاء ويكون فقدها نعمة مثاله جهل الانسان بأجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه فربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والآخرة بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله تعالى وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف ذلك وآذى كان اثمه لا محالة أعظم فليس من آذى نبيا أو وليا وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف

ان يترك كفره وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعرف انه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب غشية) أصابته (أو غيرها) مما يذهل العقل (فلا صبر عليه والعاصي يعرف انه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فانه لا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بازالة الالم وانما الصبر على ألم ليس للعبد ازالته فاذا رجع الصبر في الدنيا الى ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور أن تجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغنى مثلا يجوز أن يكون سبب هلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده) وانصاره ويؤخذ منه ذلك المال (والصحة أيضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالاضافة اليه فكذلك ما من بلاء) من البلايا التي تصيب العبد (الا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالاضافة الى حاله فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى) وتجاوز الحدود (قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) ولكن ينزل بقدر ما يشاء (وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) فجعل الطغيان ثمرة الاستغناء (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه) الطعام والشراب يخاف عليه رواه أحمد وابن عساكر من حديث محمود بن لبيد بلفظ كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه ورواه كذلك الحاكم من حديث أبي سعيد وروى الديلمي من حديث أنس ان الله ليحمي المؤمن من الدنيا نظرا وشفقة عليه كما يحمي المريض أهله الطعام وروى الروياني وأبو الشيخ في الثواب والحسن بن سفيان وابن عساكر وابن النجار من حديث حذيفة ان الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي المريض أهله الطعام وقد تقدم (وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه من الاقسام الستة عشر من النعم) من ضرب أربعة في أربعة (سوى الايمان وحسن الخلق فانها تتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون اضدادها اذا نعما في حقهم اذ قد سبق ان المعرفة كمال ونعمة فانها صفة من صفات الله تعالى) باعتبار كونها مرادفة للعلم (ولكن قد تكون على العبد في بعض الامور بلاء ويكون فقدها نعمة مثاله جهل الانسان بأجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش) أي تكدر (وطال بذلك غمه) ولم يتهن في أحواله فابهامه من النعم اللطيفة (وكذلك جهله بما يضمره الناس) أي يخفونه (عليه) في قلوبهم (من معارفه وأقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر) وانكشف الحال (واطلع عليه لطال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام) منهم ليشفي غيظه فيهم (وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو عرفها) بما فيه (أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والآخرة) اما في الدنيا فلاشتغاله بابغاضه وتضييع أوقاته وأما في الآخرة فلما يترتب عليه من المؤاخذات (بل جهله بالخصال في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله تعالى وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف ذلك وآذى كان اثمه لا محالة أعظم فليس من آذى نبيا أو وليا وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف) ولفظ القوت ومن كبائر النعم ثلاث من جهلها أضاع الشكر عليها ومعرفتها شكر العارفين أولها استتار الله عز وجل

بقدرته وعزته عن الابصار ولو ظهر للعباد العيان لكانت معاصيهم كفر الانهم لم يكونوا ينقصون من المعاصي المكتوبة عليهم جناح بعوضة ولانه تعالى كان يظهر بوصف لا يمتنعون معه من المعاصي وو راء هذا سائر الغيوب الانهم كانوا يكفرون بالمواجهة لانتهاك حرمة المشاهدة وأيضا لما كان لهم في الايمان من عظيم درجات مالهم الآن لانهم حينئذ يؤمنون بالشهادة وهم اليوم يؤمنون بالغيب فرفعت لهم الدرجات بحق اليقين ولذلك مدحهم الله تعالى ووصفهم والنعمة الثانية اخفاء القدر والآيات عن عموم الخلق لانها من سر الغيب وصلاح العبيد واستقامة الدنيا والدين ولو ظهرت لهم لكانت خطاياهم الصغائر كبائر مع معاينة الآيات ولما ضوعفت لهم على أعمالهم الحسنات كمضاعفتها الآن للايمان بالغيب والنعمة الثالثة تغييب الآجال عنهم اذ لو علموا بها لما كانوا يزدادون ولا ينقصون من أعمالهم الخير والشر ذرة فكان ذلك مع علمهم بالاجل أشد مطالبة لهم وأوقع للحجة عليهم وأخفى ذلك عنهم معذرة لهم من حيث لا يعلمون ولطفا بهم ونظرا اليهم من حيث لا يحتسبون ثم بعد ذلك من لطائف النعم شمول ستره لهم احتجب بعضهم عن بعض وسترهم عند العلماء والصالحين ولولا ذلك لما نظروا اليهم ثم حجب الصالحين عنهم ولو أظهر عليهم آيات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقربهم منه لبطل ثواب المحسنين اليهم ولحرم قبول احسانهم عليهم ولحبطت أعمال المسيئين اليهم ففي حجب ذلك وستره ما عمل العاملون لهم في الخير والشر على الرجاء وحسن الظن بالغيب ووراء حجاب اليقين وتاخرت عقوبات المؤذين لهم عن المعاجلة لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله وجليل قدرهم ففي ستر هذا نعم عظيمة على الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة على المنتهكين لحرمتهم المصغرين لشعائر الله من أجلهم اذا كانوا أساروا اليهم من وراء حجاب فهذا هو لطف خفي من لطف المنعم اللطيف الوهاب كما جاء في الخبر يقول الله تعالى من آذى وليا من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة ثم ان المنابر ولي يكون مثل ذلك مثل من آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل أن يخبره انه رسول الله وان الله تعالى نبأه فلا يكون وزره وزر من انتهك حرمة نبي قد كان أعلمه انه نبي الله لعظيم حرمة النبوة وروينا عن جعفر الصادق وغيره من السلف في معنى هذه النعم التي أوجبنا الشكر في اخفائها قال ان الله تعالى خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيأ لعل رضاه فيه وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقروا منها شيأ لعل غضبه فيها وخبأ ولايته في عباده المؤمنين فلا تحقروا منهم أحدا لعله ولي الله عز وجل اهـ (ومنها ابهام الله تعالى أمر القيامة) متى تقوم (وابهامه ليلة القدر) في أي ليلة من ليالي شهر رمضان (وابهامه ساعة الجمعة) التي لا يوافقها عبد مسلم ودعا الله بشئ الا استجيب له (وابهامه بعض الكبائر) كما تقدم ذلك في كتاب التوبة (فكل ذلك نعمة لان هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد) وقد زيد على ماذكر الصلاة الوسطى فان الله تعالى أخفاها كذلك لطفا منه ومنة لتوفير الدواعي على الاجتهاد (فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق) لا خطأ فيه (وذلك مطرد في حق كل أحد) اطرادا شائعا (ولا يستثنى عنه بالظن الا الآلام التي يخلقها في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق المتألم بها فان لم تكن نعمة في حقه كالالم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووسمه بشرته) بالنار أو النيلج (فانه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لان مصائب قوم عند قوم فوائد) وهو نصف مصراع بيت (ولولا ان الله خلق العذاب وعذب به طائفة) من العباد (لما عرف المتنعمون قدر نعمه ولا كثر فرحهم بها ففرح أهل الجنة انما يتضاعف اذا تفكروا في آلام أهل النار) وسمعوا تضاغيهم فيها فيحمدون الله تعالى على ماهم فيه من النعيم ويشتد فرحهم (أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليها من حيث انها عامة مبذولة) ولا بضوء القمر كذلك (ولا يشتد فرحهم بالنظر الى زينة السماء) الدنيا (وهي أحسن من كل بستان لهم في الارض يجتهدون

ومنها ابهام الله تعالى أمر القيامة وابهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وابهامه بعض الكبائر فكل ذلك نعمة لان هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل أحد ولا يستثنى عنه بالظن الا الآلام التي يخلقها في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق المتألم بها فان لم تكن نعمة في حقه كالالم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووسمه بشرته فانه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لان مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا أن الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمه ولا كثر فرحهم بها ففرح أهل الجنة انما يتضاعف اذا تفكروا في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليها من حيث انها عامة مبذولة ولا يشتد فرحهم بالنظر الى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الارض يجتهدون

فى عمارته ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذا قد صح ماذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيأ الا وفيه حكمة ولا
خلق شيأ الا وفيه نعمة اما على جميع عباده أو على بعضهم فاذا فى خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضا اما على المبتلى أو على غير المبتلى فاذا كل حالة لا
توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا فان قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا
صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح فاعلم أن الشئ الواحد قد يغتم به من وجه و يفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث
الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفى كل فقر ومرض وخوف وبلاء فى الدنيا خمسة أمور ينبغى أن يفرح العاقل بها و يشكر عليها * أحدها أن كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها اذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله تعالى و زادها ماذا كان يرده ويحجزه فليشكر اذ لم تكن أعظم منها فى الدنيا * الثانى انه كان يمكن أن تكون مصيبته فى دينه قال رجل لسهل رضى الله تعالى عنه دخل اللص بيتى وأخذ متاعى فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلاة والسلام فى دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتى فى دينى وقال عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه ما ابتليت ببلاء الا كان لله تعالى على فيه أربع نعم اذ لم يكن فى دينى واذ لم يكن أعظم منه واذ لم أحرم الرضا به واذ أرجو الثواب عليه وكان لبعض أرباب القلوب
صديق فحبسه السلطان فأرسل اليه يعلمه و يشكو اليه فقال له اشكر الله فضربه فارسل اليه يعلمه و يشكو وكذلك
اليه فقال اشكر الله فجئ بمجوسى فحبس عنده وكان مبطونا فقيد وجعل حلقة من قيده فى رجله وحلقة فى رجل المجوسى فأرسل اليه فقال
اشكر الله فكان المجوسى يحتاج الى أن يقوم مرات وهو يحتاج أن يقوم معه و يقف على رأسه حتى يقضى حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر
الله فقال الى متى هذا وأى بلاء أعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذى فى وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع

فى عمارته) وترتيبه (ولكن زينة السماء لما عمت) على الخلق (لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذا قد صح ماذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيأ الا وفيه حكمة) اما ظاهرة واما باطنة (ولا خلق شيأ الا وفيه نعمة اما على جميع عباده أو على بعضهم فاذا فى خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضا اما على المبتلى) به (أو على غير المبتلى فاذا كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا) فهذا وجه اجتماعهما فى محل واحد (فان قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح فاعلم ان الشئ الواحد قد يغتم به من وجه و يفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفى كل فقر ومرض وخوف و بلاء فى الدنيا خمسة أمور) ولفظ القوت ويقال مامن مصيبة الا ولله تعالى فيها خمس نعم اهـ (ينبغى ان يفرح العاقل بها و يشكر عليها أحدها ان كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها اذ مقدورات الله لا تتناهى فلو ضعفها الله تعالى و زادها ماذا كان يرده ويحجزه) عن ذلك (فليشكر اذ لم تكن أعظم منها فى الدنيا الثانى انه كان يمكن ان تكون مصيبته فى دينه) حكى انه (قال رجل لسهل) بن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى (دخل اللص بيتى وأخذ متاعى) فقال له على وجه التذكير بما فوق ذلك من البلايا (اشكر الله لو دخل) اللص الذى هو (الشيطان قلبك فافسد) عليك (التوحيد ماذا كنت تصنع) عرفه بذلك نعمة الله عليه فيما عرفه عنه من البلاء الذى هو أعظم من بلائه فان بلاء الآخرة أشد من بلاء الدنيا أورده القشيرى فى الرسالة (ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام فى دعائه اذ قال اللهم لا تجعل مصيبتى فى دينى) أى لانها أعظم من مصيبة الدنيا (وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما ابتليت ببلاء الا وكان لله تعالى على فيه أربع نعم) أولها (اذ) لم يكن ذلك البلاء (فى دينى و) الثانية (اذ لم يكن أعظم منه و) الثالثة (اذ لم أحرم الرضا به و) الرابعة (اذ أرجو الثواب عليه و) قيل (كان لبعض أرباب القلوب صديق) فابتلى بكذب عليه أو بغيره (فحبسه السلطان فارسل اليه) أى الى صاحبه بذلك (فقال) له صاحبه أى كتب اليه (اشكر الله تعالى فضربه) السلطان فكتب اليه يخبره (فقال) أى فكتب اليه (اشكر الله تعالى فجئ) اليه فى الحبس (بمجوسى فحبس عنده وكان مبطونا فقيد وجعل حلقة من قيده فى رجله وحلقة) من رجل هذا (فى رجل المجوسى) بحيث لا يمشى أحدهما الا بمشى الآخر (فارسل اليه) يخبره (فقال) أى فكتب اليه فى الجواب (اشكر الله تعالى فكان المجوسى يحتاج أن يقوم) بسبب بطنه لبيت الخلاء (مرات) عديدة بالليل (وهو) أى هذا الصديق (يحتاج ان يقوم معه و يقف على رأسه حتى يقضى حاجته) ثم يرجعا مكانهما (فكتب اليه بذلك فقال) أى فكتب اليه فى الجواب (اشكر الله تعالى فقال) أى فكتب اليه (الى متى) تقول (هذا) يعنى قولك اشكر الله (وأى بلاء أعظم من هذا) البلاء (فقال) أى فكتب اليه يقول (لو جعل الزنار الذى فى وسطه على وسطك) كما وضع القيد الذى فى رجله فى رجلك والزنار كرمان علامة الشرك (ماذا كنت تصنع) نبهه بذلك على انه مامن بلاء الا وفوقه ماهو أعظم منه من بلايا الدين والدنيا وعلى ان كل ذلك بقضائه وقدره وقد سلمك الله من بلاء الشرك فاشكر الله تعالى على ذلك أورده القشيرى فى الرسالة وفى القوت

فاذا مامن انسان قد أصيب ببلاء الا ولو تأمل حق التأمل فى سوء أدبه ظاهرا او باطنا فى حق مولاه لكان يرى انه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وآجلا ومن استحق عليك ان يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق عليك أن يقطع يديك فترك احداهما فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ فى شارع فصب على رأسه طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ماهذه السجدة فقال كنت أنتظر ان تصب على النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم ألا تخرج الى الاستسقاء فقد احتبست الامطار فقال أنتم تستبطؤن المطر وأنا أستبطئ الحجر * فان قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتى ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر قد خبئ له ماهو أكثر وانما أمهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وأما المعاصى فمن أين تعلم ان فى العالم من هو أعصى منه ورب خاطر بسوء أدب فى حق الله تعالى وفى صفاته أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصى بالجوارح ولذلك قال تعالى فى مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن أين تعلم ان غيرك أعصى منك ثم لعله قد أخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك فى الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهذا هو الوجه الثالث فى الشكر وهو انه مامن عقوبة الا وكان يتصور ان تؤخر الى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب أخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلى اذ أسباب التسلى مقطوعة بالكلية فى الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته فى الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا أذنب ذنبا فاصابته شدة أو بلاء فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا

وكذلك اذا رأيت مبتلى فى دينه بصفات المنافقين أو مبتلى بنفسه باخلاق المتكبرين أو منهمكا فيما عليه من أفعال الفاسقين عددت جميع ذلك نعما عليك من الله تعالى اذ لم يجعلك كذلك لانك قد كنت أنت ذاك لولا فضل الله عليك ورحمته فتحسب كل ماوجه الى غيرك من الشر أو صرف عنه من الخير نعما عليك بمثل ماوجه به من الخير اليك وصرف من الشر عنك لان النفوس كنفس واحدة فى الامر بالسوء والمشيئة والقدرة واحدة فقدر حمك بما صرف من السوء عنك فذلك من نعم الله عليك (فاذا مامن انسان قد أصيب ببلاء الا ولو تأمل حق التأمل فى سوء أدبه ظاهرا او باطنا فى حق مولاه لكان يرى انه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وآجلا ومن استحق عليك ان يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة) مثلا (فهو مستحق للشكر و) كذا (من استحق عليك أن يقطع يديك) جميعا (فترك احداهما فهو مستحق للشكر) ولو ضربك مائة سوط كاملا أو قطع يديك جميعا ماذا كنت تصنع (ولذلك مر بعض الشيوخ فى شارع فصب على رأسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر) ولم يتغير حاله الذى كان عليه (فقيل له) أى قال له أصحابه الذين شاهدوا ذلك منه (ماهذه السجدة) فى هذه الحالة (فقال كنت أنتظر ان تصب على النار فالاقتصار على الرماد نعمة) هذا نظر العارفين بالله حيث جعل صب الرماد عليه مصالحة عن النار التى كان يستحقها (وقيل لبعضهم ألا تخرج الى الاستسقاء فقد احتبست الامطار فقال أنتم تستبطؤن المطر وأنا أستبطئ الحجر) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا ابو عمرو وعثمان بن محمد العثمانى حدثنا اسمعيل بن على حدثنا هرون بن حميد حدثنا سيار حدثنا جعفر قال قلنا لمالك بن دينار ألا تدعو لك قارئا يقرأ قال ان الثكلى لا تحتاج الى نائحة فقلنا له ألا تستسقى قال أنتم تستبطؤن المطر لكنى أستبطئ الحجارة (فان قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتى ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر قد خبئ له) من العذاب (أكثر وانما أمهل) وترك (حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما) وقال تعالى وأملى لهم ان كيدى متين (وأما العاصى فمن أين يعلم ان فى العالم من هو أعصى منه ورب خاطر) يخطر (بسوء أدب فى حق الله تعالى وفى صفاته) ماهو (أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصى بالجوارح ولذلك قال تعالى فى مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن أين تعلم ان غيرك أعصى منك ثم لعله قد أخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك فى الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك وهكذا هو الوجه الثالث فى الشكر) على المصيبة من الوجوه الخمسة (وهو انه مامن عقوبة الا وكان يتصور أن تؤخر الى الآخرة) فيعظم عذابها (ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها) أى أثرها (ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلى) عنها باسباب اخر (اذ أسباب التسلى مقطوعة بالكلية فى الآخرة عن المعذبين) لانقطاع الاحساب والانساب (ومن عجلت عقوبته فى الدنيا فلا يعاقب ثانيا) اذ الجمع بين العقوبتين مما يخالف الكرم (اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا أذنب ذنبا فاصابته شدة أو بلاء فى الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانيا) قال العراقى رواه الترمذى وابن ماجه من حديث على من أصاب فى الدنيا ذنبا عوقب به فالله أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده الحديث لفظ ابن ماجه وقال الترمذى من أصاب حدا فعجل عقوبته فى الدنيا وقال حسن وللشيخين من حديث عبادة بن الصامت ومن أصاب من ذلك شيأ فعوقب به فهو كفارة له الحديث اه قلت وتمام الحديث عند الترمذى ومن أصاب حدا فستره الله عليه فالله أكرم من أن يعود فى شئ

* الرابع ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لابد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أومن جميعها فهذه نعمة * الخامس ان ثوابها أكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة من وجهين أحدهما الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والادب فكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب والاعضاء حتى العين التي هي أعز الاشياء قد تكون سببا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو أعز الامور قد يكون سببا لهلاكه فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين أو صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى فما من شئ من هذه الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا اذا رأوا ثواب الله على البلايا كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه وأباه على ضربه وتأديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أتم وأوفر من عناية الآباء بالاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لاتتهم الله في شئ قضاه عليك ونظر صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له

قد عفا عنه وقال حسن غريب ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في حسن الظن والحاكم والبيهقي وقد روي ذلك أيضا من حديث خزيمة بن ثابت ولفظه من أصاب منكم ذنبا مما نهى الله تعالى عنه فاقيم عليه حده فهو كفارة ذنبه رواه الحسن بن سفيان وأبو نعيم وفي لفظه من أصاب ذنبا فاقيم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارته رواه أحمد والدارمي وابن جرير والدارقطني والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والضياء ورواه ابن النجار بلفظ من أذنب ذنبا ورواه أحمد وابن جرير وصححه من حديث علي بلفظ من أذنب في الدنيا ذنبا فعوقب به فالله أعدل من ان يثني عقوبته على عبده الحديث (الرابع ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب) لامحالة (وكان لابد من وصولها وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أومن جميعها فهذه نعمة) ان تأملت فيها (الخامس ان ثوابها أكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة) نقله صاحب القوت وذلك (من وجهين أحدهما الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والادب) أي عن تحصيلهما (فكان يخسر جميع عمره) ويندم على جهله (فكذلك المال والاهل والاقارب) ففي الخبر سيأتي زمان يكون هلاك أحدكم على يدي زوجته وولده (والاعضاء حتى العين التي هي أعز الاشياء قد تكون سببا لهلاك الانسان في بعض الاحوال) اذا لم يغضها عن الحرام (بل العقل الذي هو أعز الامور قد يكون سببا لهلاكه فالملحدة) الخارجون عن عقائد الجماعة (غدا يتمنون ان لو كانوا مجانين أو صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله) عز وجل فان الذي أمالهم من زيغ عقائدهم انما هو من تغليبهم جهة العقل على النقل (فما من شئ من هذه الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا) والمصائب التي أصابتهم في الدنيا (اذا رأوا ثواب البلاء) مضاعفا (كما يشكر الصبي بعد) زمان (العقل والبلوغ) الى مراتب الرجال (أستاذه وأباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب) والضرب وهو العلم والمعرفة (والبلاء من الله تعالى) على عباده (تاديب) لهم (وعنايته بعباده أتم وأوفر من عناية الآباء بالاولاد فقد روي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لاتتهم الله في شئ قضاه عليك) قال العراقي رواه أحمد والطبراني من حديث عبادة بزيادة في أوله وفي اسناده ابن لهيعة (ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء فضحك فسئل) عن ضحكه (فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له) قال العراقي رواه مسلم من حديث صهيب دون نظره الى السماء وضحكه عجبا لامر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له والنسائي في اليوم والليلة من حديث سعد بن أبي وقاص عجبت من قضاء الله للمؤمن ان أصابه خير حمد ربه وشكر الحديث انتهى قلت حديث صهيب رواه كذلك أحمد والدارمي وابن حبان وعند الطبراني عجبت من قضاء الله للمسلم كله خير ان أصابته سراء فشكر آجره الله عز وجل وان أصابته ضراء فصبر آجره الله عز وجل فكل قضاء الله للمسلم خير وأما حديث سعد بن ابي وقاص فتمامه وان أصابته مصيبة حمد ربه وصبر يؤجر المؤمن في كل شئ حتى في اللقمة يرفعها الى في امرأته ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والبيهقي في الضياء وفي لفظ للطيالسي عجبت للمسلم اذا أصابته مصيبة احتسب وصبر واذا أصابه خير حمد الله وشكر ان المسلم يؤجر في كل شئ حتى في اللقمة يرفعها الى فيه ورواه كذلك عبد بن حميد

والبيهقي

* الوجه الثاني ان رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا ورأس أسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب الى الدنيا وأسبابها وأنسه بها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم يأنس بها وصارت سجنا عليه وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد الا الحياة الدنيا ورضي بها واطمأن اليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذا في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به وأما التألم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة الى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانا أو يسقيك دواء نافعا بشعا مجانا فانك تتألم وتفرح فتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للنضارة وعلم انه يخرج منها لا محالة فرأى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالا وبلاء عليه لانه يورث الانس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من أن يطلع عليه الملك فيعذبه فاصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل ما يحقق أنسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلايا ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بان ثواب المصيبة أكبر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة وحكي ان اعرابيا عزى ابن عباس على أبيه فقال اصبر نكن بك صابرين فانما * صبر الرعية بعد صبر الراس

والبيهقي وفي الباب عن أنس عجبا للمؤمن ان الله لا يقضي له قضاء الا كان خيرا له رواه كذلك ابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن منيع وأما التبسم والنظر الى السماء فقد روي من وجه آخر من حديث ابن مسعود قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم قلنا يا رسول الله مم تبسمت قال عجبت للمؤمن وجزعه من السقم لو كان يعلم ماله من السقم لاحب أن يكون سقيما حتى يلقى ربه عز وجل ثم تبسم الثانية ورفع رأسه الى السماء فنظر اليها فقالوا مم تبسمت قال عجبت الملكين نزلا من السماء يلتمسان مؤمنا في مصلاه الحديث (الوجه الثاني ان رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا) كما ورد معنى ذلك في الخبر (ورأس أسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور) بان يبعد عنها وعن الاسباب التي تقربه اليها (ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب الى الدنيا وأسبابها وانسه بها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته) لها لتعلق قلبه بها (واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه من الدنيا ولم يسكن اليها ولم يأنس بها وصارت سجنا عليه وكان نجاته منها) بالموت (غاية اللذة كالخلاص من السجن) فيفرح كما يفرح الذي خرج من سجن (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (و) ليس المراد بالكافر هنا من أشرك بالله في توحيده ولم يصدق رسوله بل (الكافر كل من أعرض عن الله تعالى) بقلبه (فلم يرد الا الحياة الدنيا ورضي بها واطمأن اليها) وهذا المعنى يتصور في بعض من تحلى بظاهر الايمان (والمؤمن) هنا (كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب) وتمكنه منه (يسري فيه الشرك الخفي) أخفى من دبيب النمل (بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق) ولا يريد سواه (فاذا في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به وأما التألم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة الى الحجامة فمن يتولى حجامتك مجانا) بلا عوض (أو يسقيك دواء نافعا بشعا) أي كريها (وهو مجان) من غير عوض (فانك تتألم وتفرح وتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الامور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال) ببشاعته (وينفع في المآل) فالصبر يتعلق بالاول والشكر يتعلق بالثاني (بل من دخل دار ملك للنضارة) أي التفرج (وعلم انه يخرج منها لا محالة فرأى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالا وبلاء عليه لانه يورثه الانس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من ان يطلع عليه الملك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه) يجب مقابلتها بالشكر (والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون منها من باب اللحد فكل ما يحقق أنسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر على المصيبة) وبه اتضح معنى الوجه الخامس (وحكي ان اعرابيا عزى ابن عباس على أبيه) رضي الله عنهما (فقال) ولفظ القوت وحدثت ان العباس لما توفي قعد عبد الله للتعزية فدخل الناس أفواجا يعزونه فكان فيمن دخل اعرابي فانشا يقول

(اصبر نكن بك صابرين فانما * صبر الرعية بعد صبر الراس

خير من العباس أجرك بعده * والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس) رضى الله عنه (ماعزانى أحد أحسن من تعزيته) واستحسن ذلك ثم قال صاحب القوت وعندنا فى قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار قيل ظلوم بالسخط كفار بالنعم وفى قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود قيل وهو الذى يشكو المصائب و ينسى النعم ولو علم ان مع كل مصيبة عشر نعم بحذائها او زيادة قلت شكواه و بدلها شكرا ثم ان المصائب لاتخلو من ثلاثة أقسام كلها نعم من الله تعالى اما أن تكون درجة وهذا للمقربين والمحسنين أو تكون كفارة وهذا لخصوص أصحاب اليمين وللابرار أو تكون عقوبة وهذا للكافة من المسلمين فتعجيل العقوبة فى الدنيا رحمة ونعمة ومعرفة هذه النعم طريق للشاكرين (والاخبار الواردة فى الصبر على المصائب كثيرة) منها (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه) أى نيل منه بالمصائب و يبتليه بها قال العراقى رواه البخارى من حديث أبى هريرة انتهى قلت ورواه كذلك أحمد والنسائى وابن حبان وقد تقدم الكلام على هذا الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان أنصب له ميزانا أو انشر له ديوانا) رواه الحكيم فى النوادر والديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس وقد أغفله العراقى (وقال صلى الله عليه وسلم مامن عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرنى فى مصيبتى وأعقبنى خيرا منها الافعل الله له ذلك) رواه الطيالسى وأحمد وأبو نعيم فى الحلية من رواية أم سلمة عن أبى سلمة بلفظ مامن عبد يصاب بمصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتى فاجرنى فيها وأعقبنى منها خيرا الا أعطاه الله ذلك ورواه ابن سعد فى الطبقات بلفظ مامن عبد يصاب بمصيبة فيفزع الى ما أمره الله به من قول انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرنى فى مصيبتى هذه وعضنى خيرا منها الا آجره الله فى مصيبته وكان قمنا ان يعوضه الله خيرا منها وقد أغفله العراقى (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود فى دارى والنظر الى وجهى) رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط من حديث جرير بلفظ عوضته عنهما الجنة ورواه أبو يعلى وابن حبان والضياء من حديث ابن عباس قال الله تعالى اذا أخذت كريمتى عبد فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة وقد تقدم الكلام عليه وأغفله العراقى (وروى أن رجلا قال يارسول الله ذهب مالى وسقم جسمى فقال صلى الله عليه وسلم لاخير فى عبد لايذهب ماله ولايسقم جسمه ان الله اذا أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض والكفارات من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد فيه لين انتهى قلت الجملة الاولى قد رويت من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى بلفظ لاخير فى مال لا يرزأ وجسد لا ينال منه والجملة الثانية روى نحوها من حديث أبى عتبة الخولانى بلفظ ان الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا ابتلاه فاذا ابتلاه اقتناه قالوا يارسول الله وما اقتناه قال لم يترك له مالا ولا ولدا رواه الطبرانى وابن عساكر وروى البيهقى من حديث أبى هريرة ان الله اذا أحب عبدا ابتلاه ليسمع صوته وعند هناد ليسمع تضرعه وعن الحسن مرسلا ان الله اذا أحب قوما ابتلاهم رواه البيهقى وروى أحمد من حديث محمود بن لبيد ان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع (وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك) قال العراقى رواه أبو داود فى رواية ابن داسة وابن العبد من حديث محمد بن خالد السلمى عن أبيه عن جده وليس فى رواية اللؤلؤى ورواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من هذا الوجه ومحمد بن خالد لم يرو عنه الا أبو المليح الحسن بن عمر الرقى وكذلك لم يرو عن خالد الا ابنه محمد وذكر أبو نعيم ان ابن منده سمى جده اللجلاج بن حكيم فالله أعلم وعلى هذا فابنه خالد بن اللجلاج هو غير خالد بن اللجلاج العامرى ذاك مشهور روى عنه جماعة ورواه ابن منده وأبو نعيم وابن عبد البر فى

خير من العباس أجرك بعده والله خير منك للعباس فقال ابن عباس ماعزانى أحد أحسن من تعزيته والاخبار الواردة فى الصبر على المصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا وقال عليه السلام مامن عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرنى فى مصيبتى وأعقبنى خيرا منها الافعل الله ذلك به وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود فى دارى والنظر الى وجهى وروى أن رجلا قال يارسول الله ذهب مالى وسقم جسمى فقال صلى الله عليه وسلم لاخير فى عبد لايذهب ماله ولايسقم جسمه وان الله اذا أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك

الصحابة من رواية عبدالله بن أبي اياس بن أبي فاطمة عن أبيه عن جده و رواه البيهقي من رواية ابراهيم السلمي عن أبيه عن جده فالله أعلم انتهى و رواه كذلك هناد بن السري من حديث ابن مسعود و رواه ابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه الحاكم وتعقب وقال الحافظ في الاصابة روى ابن شاهين من طريق الوليد بن صالح عن أبي المليح الرقي حدثنا محمد بن خالد بن زيد بن جارية بالجيم عن أبيه عن جده سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان للعبد عند الله درجة لم ينلها اياها ابتلاه في الدنيا ثم صبره على البلاء لينيله تلك الدرجة قال وقد رواه ابن منده في ترجمة اللجلاج بن حكيم السلمي وزعم انه أخو الجاف بن حكيم وانه في أهل الجزيرة وساق حديثه من طريق أبي المليح أيضا الا أنه لم يسم والد خالد بل قال عن محمد بن خالد عن أبيه عن جده وكذا أورده البخاري في ترجمة محمد بن خالد وأخرجه أبو داود من رواية ابن داسة عنه في السنن ولم أر والد خالد سمي الا في رواية ابن شاهين وقال البغوي في الكنى أبو خالد السلمي جد محمد بن خالد ثم أورد له هذا الحديث من طريق ابي المليح عن محمد بن خالد السلمي عن جده وكانت له صحبة وأما حديث أبي فاطمة فقال الحافظ في الاصابة في ترجمة أبي فاطمة الضمري قال البخاري قال ابن أبي أويس حدثني أخي عن حماد بن أبي حميد عن مسلم بن عقيل مولى الزرقيين دخلت على عبيد ر ابن أبي اياس بن أبي فاطمة الضمري فقال يا أبا عقيل حدثني أبي عن جدي قال اقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يحب ان يصح فلا يسقم الحديث وفيه ان الله ليبتلي المؤمن وما يبتليه الا لكرامته عليه أو ٧ لعله فان له منزلة عنده فلا يبلغه تلك المنزلة الا ببلائه له هكذا أورده في ترجمة أبي عقيل المذكور و وقع لنا بعلو في المعرفة لابن منده من طريق أبي عامر العقدي عن محمد بن أبي حميد وهو حماد عن مسلم ابن عقيل عن عبدالله بن أبي اياس عن أبيه عن جده قال ابن منده رواه رشدين بن سعد عن زهرة بن معبد عن عبدالله قال الحافظ الا انه سمى أباه أنسا بدل اياس كذا قال وقد ساقه الحاكم أبو أحمد من طريق رشدين ف قال اياس فلعل الوهم من النسخة (وعن خباب بن الارت) بتشديد المثناة بن جندلة بن سعد بن خزيمة التميمي و يقال الخزاعي أبو عبدالله أسلم سادس ستة وكان من المستضعفين شهد بدرا وما بعدها ونزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين منصرف على من صفين عن ثلاث وستين سنة (قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يارسول الله ألا تدعو الله تستنصره لنا فجلس محمرا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له في الارض حفرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعله فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه) قال العراقي رواه البخاري قلت ورواه كذلك أحمد وأبو داود والنسائي وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا عبدالله بن جعفر بن اسحق الموصلي حدثنا محمد بن أحمد بن المثنى حدثنا جعفر بن عون حدثنا اسمعيل بن أبي خالد عن قيس عن خباب قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع في بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تدعو الله ألا تستنصر الله لنا فجلس محمرا وجهه ثم قال والله ان من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه شئ أو يمشط بامشاط الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه عن دينه شئ وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء الى حضرموت لا يخشى الا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تعجلون (وعن على كرم الله وجهه قال ايما رجل حبسه السلطان فمات فهو شهيد فان ضربه فمات فهو شهيد) هذا أثر أورده في خلال الاخبار (وقال صلى الله عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك) تقدم الكلام عليه وروى صاحب الحلية عن أبي الدرداء قال ثلاث من ملاك أمر ابن آدم لا تشك مصيبتك ولا تحدث بوجعك ولا تزك نفسك بلسانك (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى ألا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت) وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق شعبة عن معاوية بن قسدة قال قال أبو

وعن خباب بن الارت قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يارسول الله ألا تدعو الله تستنصره فجلس محمرا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له في الارض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه وعن على كرم الله وجهه قال أيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فهو شهيد وان ضربه فمات فهو شهيد وقال عليه السلام من اجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه تولدون للموت وتعمرون الخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى ألا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف وان دعاه ثانيا فقال يارب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تسألني شيأ الا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو خير وادخرت لك عندي ما هو أفضل منه فاذا كان يوم القيامة جيء بأهل الاعمال فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال شكا نبي من الانبياء عليهم السلام الى ربه فقال يارب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوى عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ عليك وعلى معاصيك تزوى عنه البلاء وتبسط له الدنيا فأوحى الله تعالى اليه ان العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فأزوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فأجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له في الرزق وأزوي عنه البلاء فأجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فأجزيه بسيئاته وروي انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست يصيبك الاذى ألست تحزن فهذا مما تجزون به يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك أيضا

الدرداء ثلاث أحبهن ويكرههن الناس الفقر والمرض والموت ومن طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن شيخ عن أبي الدرداء قال أحب الموت اشتياقا الى ربي وأحب الفقر تواضعا لربي وأحب المرض تكفيرا لخطيئتي ومن طريق سعيد بن أبي هلال ان أبا الدرداء كان يقول يامعشر أهل دمشق ألا تستحيون تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تبلغون الحديث (وعن أنس) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا وأراد ان يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف فان دعاه ثانيا فقال يارب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تسألني شيأ الا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو خير أو ادخرت لك عندي ما هو أفضل منه فاذا كان يوم القيامة جيء بأهل الاعمال فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصيام والصدقة والحج ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كانوا يصب عليهم البلاء صبا فيود أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشي عن أنس اختصر منه دون قوله فاذا كان يوم القيامة الخ وبكر بن خنيس والرقاشي ضعيفان ورواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب بتمامه وأدخل بين بكر وبين الرقاشي ضرار بن عمرو وهو أيضا ضعيف اهـ قلت وروى الطبراني في الكبير من حديث أنس اذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا وثجه ثجا وروى البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا اذا أحب الله عبدا ألصق به البلاء فان الله يريد أن يصافيه وروى الديلمي من حديث علي اذا أراد الله بالعبد ألم به الفقر والمرض فان الله يريد ان يصافيه وروى ابن النجار في تاريخه من حديث عمر بن الخطاب اذا كان يوم القيامة جيء بأهل البلاء فلا ينشر لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان ولا يوضع لهم صراط ويصب عليهم الاجر صبا وروى الطبراني من حديث ابن عباس يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان فيصب عليهم الاجر صبا حتى ان أهل العافية في الدنيا ليتمنون في الموقف ان أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله لهم (وعن ابن عباس) رضي الله عنه (قال شكا نبي من الانبياء) يعني من بني اسرائيل (الى ربه فقال يارب المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوى عنه الدنيا) أي تصرفها عنه (وتعرض له البلاء) من الفقر والمرض (ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترئ عليك وعلى معاصيك تزوى عنه البلاء) أي تصرفه عنه (وتبسط له الدنيا فأوحى الله اليه ان العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي) كما قال تعالى في كتابه العزيز وان من شئ الا يسبح بحمده (فيكون المؤمن عليه من الذنوب فأزوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون) ذلك (كفارة لذنوبه حتى يلقاني فأجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له في الرزق وأزوي عنه البلاء فأجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني) في الآخرة (فأجزيه بسيئاته) وهذا أيضا أثر أورده في خلال الاخبار (وروي انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست يصيبك الاذى أليس تحزن فهذا ما تجزون به يعني ان جميع ما يصيبك) من المرض والاذى والحزن (يكون كفارة لذنوبك) قال العراقي رواه أحمد من رواية من لم يسم عن أبي بكر ورواه الترمذي من وجه آخر بلفظ آخر وضعفه قال وليس له اسناد صحيح وقال الدارقطني وروى

وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك
استدراج ثم قرأ قوله تعالى
فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا
عليهم أبواب كل شئ يعنى
لما تركوا ما أمروا به فتحنا
عليهم أبواب الخير حتى اذا
فرحوا بما أوتوا أى بما
أعطوا من الخير أخذناهم
بغتة وعن الحسن البصرى
رحمه الله أن رجلا من
الصحابة رضى الله عنهم رأى
امرأة كان يعرفها فى
الجاهلية فكلمها ثم تركها
فجعل الرجل يلتفت اليها
وهو يمشى فصدمه حائط
فأثر فى وجهه فأتى النبى صلى
الله عليه وسلم فأخبره فقال
صلى الله عليه وسلم اذا أراد
الله بعبد خيرا عجل له عقوبة
ذنبه فى الدنيا وقال على كرم
الله وجهه ألا أخبركم بأرجى
آية فى القرآن قالوا بلى فقرأ
عليهم وما أصابكم من مصيبة
فبما كسبت أيديكم ويعفو
عن كثير فالمصائب فى الدنيا
بكسب الاوزار فاذا عاقبه
الله فى الدنيا فالله أكرم من
أن يعذبه ثانيا وان عفا عنه
فى الدنيا فالله أكرم من أن
يعذبه يوم القيامة وعن أنس
رضى الله تعالى عنه عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال
ما تجرع عبد قط جرعتين
أحب الى الله من جرعة
غيظ ردها بحلم وجرعة مصيبة
يصبر الرجل لها ولا قطرت
قطرة أحب الى الله من قطرة
دم اهريقت فى سبيل الله أو قطرة دمع فى سواد الليل
وهو ساجد ولا يراه الا الله وما خطا عبد خطوتين أحب الى الله تعالى من خطوة الى صلاة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم

أيضا من حديث عمرو ومن حديث الزبير قال ليس فيها شئ يثبت (وعن عقبة بن عامر) الجهنى رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه سلم انه قال اذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج وقرأ قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ يعنى لما تركوا ما أمروا) به (فتحنا عليهم أبواب الخير حتى اذا فرحوا بما أوتوا أى بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة) أى فجاة قال العراقى رواه أحمد والطبرانى والبيهقى فى الشعب بسند حسن (وعن الحسن) بن يسار (البصرى رحمه الله تعالى ان رجلا من الصحابة رضى الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها فى الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشى فصدمه حائط فأثر فى وجهه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا) قال العراقى رواه أحمد والطبرانى باسناد صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن مغفل مرفوعا متصلا ووصله الطبرانى أيضا من رواية الحسن عن عمار بن ياسر ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقد روى الترمذى وابن ماجه المرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذى اهـ قلت ورواه هناد بن السرى من مرسل الحسن اذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبته فى الدنيا واذا أراد الله بعبد شرا أخر عقوبته الى يوم القيامة حتى يأتيه كانه عير فيطرحه فى النار ورواه الحاكم من حديث أنس وابن عدى من حديث أبى هريرة بلفظ اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وحديث الحسن عن عبد الله بن مغفل قد رواه أيضا الحاكم والبيهقى (وقال على كرم الله وجهه ألا أخبركم بأرجى آية فى القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم) قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير قال فالمصائب فى الدنيا بكسب الاوزار) أى بسبب ارتكابها (فاذا عاقبه الله فى الدنيا فالله أكرم من ان يعذبه ثانيا وان عفا عنه فى الدنيا فالله أكرم من ان يعذبه يوم القيامة) تقدم قريبا حديث على من رواية الترمذى بلفظ من أصاب فى الدنيا ذنبا عوقب به والله اعدل من ان يثنى عقوبته على عبده ومن أصاب حدا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من ان يعود فى شئ قد عفا عنه ومن رواية ابن ماجه الا انه قال من أصاب حدا فعجل عقوبته فى الدنيا فالله اعدل الحديث وقد رواه أيضا ابن أبى الدنيا فى حسن الظن والحاكم والبيهقى (وعن أنس رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما تجرع عبد قط جرعتين أحب الى الله من جرعة غيظ ردها بحلم و) من (جرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة أحب الى الله من قطرة دم اهريقت فى سبيل الله وقطرة دمع فى سواد الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله وما خطا عبد خطوتين أحب الى الله من خطوة الى الصلاة الفريضة و) من (خطوة الى صلة الرحم) قال العراقى رواه أبو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق من حديث على بن أبى طالب دون ذكر القطرتين وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكى منكر الحديث وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر باسناد جيد ما من جرعة أعظم أجرا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله وروى الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى امامة ما قطر فى الارض قطرة أحب الى الله عز وجل من دم رجل مسلم فى سبيل الله أو قطرة دمع فى سواد الليل الحديث وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكى منكر الحديث اهـ قلت وروى ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب من حديث ابن عباس ما من جرعة أحب الى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد الا ملأ الله جوفه ايمانا وروى حديث ابن عمر بلفظ ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله هكذا رواه أحمد وابن أبى الدنيا فى ذم الغضب والطبرانى والبيهقى وروى ابن المبارك فى الزهد عن الحسن مرسلا ما من جرعة أحب الى الله من جرعة غيظ كظمها رجل أو جرعة صبر على مصيبة وما قطرة أحب الى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم اهريقت فى سبيل الله وروى أبو الشيخ من حديث ابن عمر ما من خطوة أعظم أجرا من خطوة

وعن أبي الدرداء قال توفي ابن لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأتاه ملكان فجثيا بين يديه في زي الخصوم فقال أحدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فأفسده فقال للآخر ما تقول فقال أخذت الجادة فأتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فإذا الطريق عليه فقال سليمان عليه السلام ولم بذرت على الطريق أما علمت أن لا بد للناس من الطريق قال فلم

تحزن على ولدك أما علمت أن الموت سبيل الآخرة فتاب سليمان الى ربه ولم يجزع على ولد بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بني لأن تكون في ميزاني أحب الي من أن أكون في ميزانك فقال يا أبت لأن يكون ما تحب أحب الي من أن يكون ما أحب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نعي اليه ابنة له فاسترجع وقال عورة سترها الله تعالى ومؤنة كفاها الله وأجر قد ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما أمر الله تعالى قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وعن ابن المبارك انه مات له ابن فعزاه مجوسي يعرفه فقال له ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه وقال بعض العلماء ان الله ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الارض وماله ذنب وقال الفضيل ان الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير وقال حاتم الاصم ان الله عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس على الاغنياء بسليمان وعلى الفقراء بالمسيح وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بأيوب صلوات الله عليهم وروى ان زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني اسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى رأس زكريا فأن منه أنة فأوحى الله تعالى اليه يا زكريا لئن صعدت منك أنة ثانية لأمحونك من ديوان النبوة فعض زكريا عليه السلام على الصبر حتى قطع شطرين

مشاها رجل الى صف يسده وتمام حديث أبي امامة عند الديلمي بعد قوله سواد الليل من خشية الله لا يراه احد الا الله عز وجل (وعن أبي الدرداء) رضي الله عنه (قال توفي ابن لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأتاه ملكان فجثيا بين يديه في زي الخصوم فقال أحدهما بذرت بذرا فلما استحصد) أي حان ان يحصد (مر به هذا فأفسده فقال سليمان للآخر ما تقول فقال أخذت الجادة) أي شارع الطريق الذي يسلكه الناس (فأتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فإذا الطريق عليه فقال سليمان عليه السلام) للرجل المدعي (ولم بذرت على الطريق اما علمت ان لا بد للناس من الطريق قال) الرجل (فلم تحزن على ولدك اما علمت ان الموت سبيل الآخرة) لا بد للناس من المرور عليها (فتاب سليمان) عليه السلام (الى ربه) لما نبهه على ذلك (ولم يجزع على ولد بعد ذلك ودخل عمر بن عبد العزيز) الاموي رحمه الله تعالى (على ابن له مريض) قيل هو عبد الملك (فقال) له (يا بني لأن تكون في ميزاني أحب الي من أن أكون في ميزانك فقال يا أبت لأن يكون ما تحب أحب الي من أن يكون ما أحب) أخرجه أبو نعيم في الحلية (و) روي (عن ابن عباس) رضي الله عنه (انه نعي اليه ابنة له) أي أخبر بموتها (فاسترجع) أي قال انا لله وانا اليه راجعون وصبر (وقال عورة سترها الله) تعالى (ومؤنة كفاها الله) تعالى (وأجر ساقه الله) تعالى (ثم نزل) عن سريره (فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما أمر الله) تعالى قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة (و) يحكى (عن ابن المبارك) عبد الله رحمه الله تعالى (انه مات ابن له فعزاه مجوسي يعرفه فقال له ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام) يعني الصبر (فقال ابن المبارك) لاصحابه (اكتبوا عنه هذه) القولة أي فانها من الحكم (وقال بعض العلماء ان الله عز وجل ليبتلي العبد بالبلاء حتى يمشي على الارض وماله ذنب) ومضى هذا في الحديث المرفوع روى الطبراني من رواية محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رفعه ان الله يبتلي عبده بالسقم حتى يكفر عنه كل ذنب وروى الحاكم وتمام وابن عساكر من حديث أبي هريرة ان الله ليبتلي عبده المؤمن بالسقم حتى يخلق يكفر ذلك عنه كل ذنب (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ان الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير) وقد روي نحو ذلك في المرفوع روى الروياني وأبو الشيخ والحسن بن سفيان وابن عساكر وابن النجار من حديث حذيفة ان الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير الحديث (وقال حاتم الاصم) رحمه الله تعالى (ان الله عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس على الاغنياء بسليمان) بن داود (وعلى الفقراء بالمسيح) عيسى بن مريم (وعلى العبيد) أي الارقاء (بيوسف) بن يعقوب (وعلى المرضى بأيوب صلوات الله عليهم) أجمعين (وروي ان زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني اسرائيل لما أحس منهم الشر (واختفى في الشجرة) فانها انشقت بنصفين فدخل في بطنها ثم التأمت (فعرفوا ذلك) وذلك ان ابليس أمسك طرفا من ثوبه فبقي بارزا فلما جاء بنو اسرائيل يفتشون عليه فأخبرهم انه في بطن الشجرة فلم يصدقوه فأراهم طرف ثوبه فعرفوه (فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى رأس زكريا) عليه السلام (فأن منه أنة) أي من ألم ما لقي من المنشار (فأوحى الله تعالى اليه) ان (يا زكريا لئن صعدت منك أنة ثانية لأمحونك من ديوان النبوة فعض زكريا عليه السلام على الصبر حتى قطع بشطرين) ولم يئن ويقال انه كان يذكر حين وصل المنشار الى حلقه الشريف فما زال يذكر من

حلقه

خلقه حتى نشر وسمواهذا الذكر ذكر المنشار وهو من أذكار اتباع القطب باأحمد الميسوى قدس سره (وقال ابو مسعود البلخى) رحمه الله تعالى (من أصيب بمصيبة فرق ثوبا او ضرب صدرا فكأنما أخذ رمحا يريد ان يقاتل به ربه عزوجل) هكذا فى النسخ وأبو مسعود هذا لم أعرف من حاله شيأ وفى بعض النسخ ابن مسعود فليحرر (وقال لقمان) رحمه الله تعالى (لابنه يابنى ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء واذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط) يستأنس للشطر الاول بما رواه الطبرانى والحاكم من حديث أبى امامة ان الله ليجرب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز فذلك الذى حماه الله من الشبهات ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك فذلك الذى يشك بعض الشك ومنهم من يخرج كالذهب الاسود فذلك الذى قد افتتن قال الحاكم صحيح وقد تعقب بعفير بن معدان وهو ضعيف وأما الشطر الثانى فقد رواه الطبرانى فى الاوسط والبيهقى والضياء من حديث أنس اذا أحب الله قوما ابتلاهم ورواه أحمد فى الزهد عن وهب بن منبه مرسلا وروى أحمد والبيهقى من حديث محمود بن لبيد اذا احب الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع (وقال) أبو بحر (الاحنف بن قيس) بن معاوية التميمى السعدى البصرى وكان احنف الرجلين جميعا واسمه صخر ثقة مأمون قليل الحديث (اصبحت يوما اشتكى ضرسى فقلت لعمى صعصعة بن معاوية بن حصين التميمى له صحبة (مانمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا فقال اكثرت من ضرسك فى ليلة واحدة وقد ذهبت عينى هذه منذ ثلاثين سنة ماعلم بها احد) قال الزبير بن بكار حدثنى محمد بن سلام عن الاحنف بن قيس انه قال لاصحابه أتعجبون من حلمى وخلقى وانما هذا شئ استفدته من عمى صعصعة بن معاوية شكوت اليه وجعا فى بطنى فاسكتنى مرتين ثم قال لى يا ابن أخى لاتشك الذى نزل بك الى أحد فان الناس رجلان اما صديق فيسوءه واما عدو فيسره ولكن اشك الذى نزل بك الى الذى ابتلاك ولا تشك قط الى مخلوق مثلك لايستطيع أن يدفع عن نفسه مثل الذى نزل بك يا ابن أخى ان لى عشرين سنة لاأرى بعينى هذه سهلا ولا جبلا فما شكوت ذلك لزوجتى ولا غيرها اه وروى المزى فى تهذيب الكمال عن الاحنف قال ذهبت عينى منذ أربعين سنة ماشكوتها الاحد (وأوحى الله الى عزير عليه السلام) ياعزير (اذا نزلت بك بلية فلا تشكنى الى خلقى كما لا أشكوك الى ملائكتى اذا صعدت بمساويك وفضائحك) رواه الديلمى من حديث أبى هريرة بلفظ أوحى الله تعالى الى أخى العزير ان أصابتك مصيبة فلا تشكنى الى خلقى فقد أصابنى منك مصائب كثيرة ولم أشكك الى ملائكتى ياعزير اعصنى بقدر طاقتك على عذابى وسلنى حوائجك على مقدار عملك لى ولا تأمن مكرى حتى تدخل جنتى فاهتز عزير يبكى فاوحى الله تعالى اليه لاتبك ياعزير فان عصيتنى بجهلك غفرت لك بحلمى لانى كريم لا أعجل بالعقوبة على عبادى وأنا أرحم الراحمين

(بيان فضل النعمة على البلاء)

(لعلك تقول) ان (هذه الاخبار) التى سقتها بتمامها (تدل على ان البلاء خير فى الدنيا من النعيم) لما يترتب عليه من الثواب الجزيل (فهل لنا ان نسأل الله البلاء) لحوز ذلك الثواب الموعود (فاقول لاوجه لذلك لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستعيذ فى دعائه من بلاء الدنيا والآخرة) قال العراقى رواه احمد من حديث بسر بن أبى ارطاة بلفظ أجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة واسناده جيد ولابى داود من حديث عائشة اللهم انى أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة وفيه بقية وهو مدلس ورواه بالعنعنة اه قلت حديث بسر بن أبى ارطاة رواه أيضا ابن حبان والباوردى وابن قانع وابن أبى عاصم والطبرانى والحاكم والضياء ولفظه اللهم أحسن عاقبتنا فى الامور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة وفى لفظ للطبرانى اللهم أحسن عاقبتى فى الامور كلها واجرنى من خزى الدنيا وعذاب الآخرة

وقال أبو مسعود البلخى من أصيب بمصيبة فرق ثوبا أو ضرب صدرا فكأنما أخذ رمحا يريد أن يقاتل به ربه عزوجل وقال لقمان رحمه الله لابنه يابنى ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء فاذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط وقال الاحنف بن قيس أصبحت يوما اشتكى ضرسى فقلت لعمى مانمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا فقال لقد أكثرت من ضرسك فى ليلة واحدة وقد ذهبت عينى هذه منذ ثلاثين سنة ماعلم بها أحد وأوحى الله تعالى الى عزير عليه السلام اذا نزلت بك بلية فلا تشكنى الى خلقى واشك الى كما لا أشكوك الى ملائكتى اذا صعدت مساويك وفضائحك نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجميل فى الدنيا والآخرة

(بيان فضل النعمة على البلاء)

لعلك تقول هذه الاخبار تدل على أن البلاء خير فى الدنيا من النعم فهل لنا ان نسأل الله البلاء فاقول لاوجه لذلك لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستعيذ فى دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة

من كان ذلك دعاءه مات قبل أن يصيبه البلاء ورو ى مسلم وأبو داود والترمذى من حديث ابن عمر اللهم انى أعوذبك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك (وكان يقول هو والانبياء عليهم السلام ربنا آتنافى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة) قال العراقى رواه الشيخان من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعو بها النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم آتنا الحديث ولابى داود والنسائى من حديث عبدالله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مابين الركعتين ربنا آتنا الحديث اهـ قلت عند الشيخين بزيادة وقنا عذاب النار وكذلك رواه أحمد وأبو داود وأما دعوة الانبياء عليهم السلام كذلك فقد تقدم فى كتاب الحج (وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وغيره) رواه أحمد والنسائى والطبرانى والحاكم من حديث عبدالله بن عمرو اللهم انى أعوذبك من غلبة الدين وغلبة العدوّ وشماتة الاعداء وقد تقدم فى كتاب الدعوات (وقال على كرم الله وجهه) فى مرضه (اللهم انى أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله البلاء فاسأله العافية) قال العراقى رواه الترمذى من حديث معاذ فى اثناء حديث وحسنه ولم يسم عليا وانما قال سمع رجلا وله وللنسائى فى اليوم والليلة من حديث على كنت شاكيا فمربى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا أقول الحديث وفيه وان كان بلاء فصبرنى فضربه برجله وقال اللهم عافه واشفه وقال حسن صحيح (وروى) أبو بكر (الصديق رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية فما أعطى أحد أفضل من العافية الا اليقين) أورده صاحب القوت الا انه قال فما أعطى عبد وقال العراقى رواه ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة باسناد جيد وقد تقدم قلت ورواه أحمد والحميدى والعوفى فى مسانيدهم والترمذى وحسنه والضياء بلفظ سلوا الله العفو والعافية فان أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية ورواه ابن أبى شيبة وأحمد أيضا والحاكم بلفظ سلوا الله العفو والعافية واليقين فى الاولى والآخرة فانه ما أوتى العبد بعد اليقين خيرا من العافية ورواه البيهقى فى الشعب بلفظ سلوا الله اليقين والعافية (وأشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجهل والشك فعافية القلب أعلى من عافية البدن) ولفظ القوت بعد ايراد حديث أبى بكر رضى الله عنه ففضل العافية على كل عطاء ورفع اليقين فوق العافية لان بالعافية يتم نعيم الدنيا واليقين معه وجود نعيم الآخرة فلليقين فضل على العافية كفضل الدوام على الانتقال والعافية سلامة الابدان من العلل والاسقام واليقين سلامة الاديان من الزيغ والاهواء فهاتان نعمتان يستوعبان عظيم الشكر من العبد كما استوعب القلب والجسم جسيم النعمة من الملك ومن أقوى المعانى فى قوله عزوجل الا من أتى الله بقلب سليم أى سالم من الشك والشرك والسالم الصحيح المعافى وبوجود عافية اليقين فى القلوب عدم الشك والنفاق وهى أمراض القلوب كما قال فى قلوبهم مرض قيل شك ونفاق وعافية القلب أيضا من الكبائر كما قال تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض يعنى الزنا (وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى الخير الذى لاشر فيه العافية مع الشكر) والصبر عند المصيبة (فكم من منعم عليه غير شاكر) وكم من مبتلى غير صابر نقله صاحب القوت وروى نحوه عن مطرف بن عبدالله انه كان يقول نظرت ما خير لاشر فيه ولا آفة ولكل شئ آفة فما وجدته الا ان يعافى عبد فيشكر (وقال مطرف بن عبدالله) بن الشخير البصرى رحمه الله تعالى من ثقات التابعين تقدمت ترجمته (لان أعافى فاشكر أحب الى من أن ابتلى فاصبر) أى لان مقام العوافى أقرب الى السلامة فلذلك اختار حال الشكر على الصبر لان الصبر حال أهل البلاء كذا فى القوت وهذا القول رواه أبو نعيم فى الحلية حدثنا ابراهيم بن عبدالله حدثنا محمد بن اسحق حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا أبو عوانة عن قتادة قال قال مطرف لان أعافى فذكره (و) معنى ذلك فيما (قال صلى الله عليه وسلم فى دعائه وعافيتك أحب الى) كذا فى القوت قال العراقى رواه ابن الجوزى فى السيرة فى دعائه يوم خرج الى الطائف بلفظ وعافيتك أوسع لى وكذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الدعاء من رواية حسان بن عطية مرسلا ورواه أبو عبدالله بن منده من

وكان يقول هو والانبياء عليهم السلام ربنا آتنافى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وغيرها وقال على كرم الله وجهه اللهم انى أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله البلاء فاسأله العافية وروى الصديق رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية فما أعطى أحد أفضل من العافية الا اليقين وأشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب أعلى من عافية البدن وقال الحسن رحمه الله الخير الذى لاشر فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال مطرف بن عبدالله لان أعافى فأشكر أحب الى من ان ابتلى فاصبر وقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه وعافيتك أحب الى

حديث

حديث عبد الله بن جعفر مسندا وفيه من يجهل (وهذا أظهر من ان يحتاج الى) اقامة (دليل واستشهاد
وهذا الان البلاء صار نعمة باعتبارين أحدهما بالاضافة الى ماهو أكثر منه امافى الدنيا أوفى الدين
و) الاعتبار (الآخر بالاضافة الى مايرجى من الثواب) وقد يفترقان وقد يجتمعان (فينبغى ان يسأل الله
تعالى تمام النعمة فى الدنيا ودفع مافوقه من البلاء و يسأله الثواب فى الآخرة على الشكر على النعمة)
وروى الطبرانى من حديث ان النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم انى اسألك النعمة وتمامها فقال
أتدرى ماتمام النعمة تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار (فانه) تعالى (قادر على ان يعطى على الشكر
مايعطيه على الصبر فان قلت فقد قال بعضهم أود أن أكون جسرا على النار يعبر على الخلق كلهم فينجون
وأكون أنا فى النار) فهل هذا القول صحيح أم لا (وقال سمنون) بن حمزة البغدادى أبو الحسن وقيل
أبو القاسم ويعرف بالمحب صحب السرى وأبا أحمد القلانسى ومحمد بن على القصاب وأكثر كلامه فى المحبة
وكان كبير الشان مات قبل الجنيد كما قيل (رحمه الله تعالى)

(وليس لى فى سواك حظ * فكيفما شئت فاختبرنى)
ان كان يرجو سواك قلبى * لانلت سؤلى ولا التمنى

ومن هذا الوادى قوله أيضا

وكان فؤادى خاليا قبل حبكم * وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبى هواك أجابه * فلست أراه عن فنائك يبرح
رميت ببين منك ان كنت كاذبا * وان كنت فى الدنيا بغيرك أفرح
وان كان شئ فى البلاد بأسرها * اذا غبت عن عينى بعينى يصلح
فان شئت واصلنى وان شئت لاتصل * فلست أرى قلبى لغيرك يصلح

(فهذا) وأمثال ذلك (من كلام هؤلاء) المحبين الهائمين (سؤال للبلاء) وتعرض له (فاعلم انه حكى عن
سمنون) قائل هذا الكلام (انه بلى بعد) انشاده (هذا البيت بعلة الحصر) أى احتباس البول من ساعته
فمكث أربعة عشر يوما يلتوى كما تلتوى الحية على الرمل يتقلب يمينا وشمالا واعترف بالعجز من نفسه
(فكان بعد ذلك يدور على أبواب المكاتب) التى فيها الصبيان يتعلمون القرآن (ويقول للصبيان)
لكونهم لم يذنبوا وهم مشتغلون بتعلم كتاب الله تعالى رجاء اجابة دعائهم (ادعوا لعمكم الكذاب) فى دعواه
نقله القشيرى فى الرسالة ثم قال وقيل بل أنشد هذه الابيات فقال بعض أصحابه لبعض سمعت البارحة وكنت
بالرستاق صوت أستاذنا سمنون يدعو الله ويتضرع اليه ويسأله الشفاء فقال آخر وأنا أيضا كنت سمعت
هذا البارحة وكنت بالموضع الفلانى فقال ثالث ورابع مثل هذا فاخبر سمنون وكان قد امتحن بعلة الحصر
وكان يصبر ولا يجزع فلما سمعهم يقولون هذا ولم يكن هو دعا ولا نطق بشئ علم بان المقصود منه اظهار الجزع
تأدبا بالعبودية وسترا لحاله فاخذ يطوف على المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب اهـ قال الشارح يقال
انه لما أطلق بوله قال يارب تبت اليك وأنشد

أنا راض بطول صدك عنى * ليس الا لأن ذاك هواكا
فامتحن بالجفا ضميرى على الود * ودعنى معلقا برجاكا

(وأما محبة الانسان ليكون هو فى النار دون سائر الخلق فغير ممكن ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن
المحب بنفسه حبا لمثل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع فى الكلام ولو زايله سكره) أى
فارقه (علم ان ماغلب عليه كان حالة) عارضة (لاحقيقة لها فما تسمعه من هذا الفن فهو من كلام العشاق)
فى حال الاستغراق (الذين أفرط بهم حبهم) وأشربوا قلوبهم اياه (وكلام) العشاق المهيمين (يستلذ
سماعه ولا يعول عليه) ولا يستشهد به على مقام (كما حكى ان فاختة) طائر معروف (كان يراودها زوجها)

وهذا أظهر من أن يحتاج فيه الى دليل واستشهاد وهذا الان البلاء صار نعمة باعتبارين أحدهما بالاضافة الى ماهو أكثر منه امافى الدنيا أوفى الدين والآخر بالاضافة الى مايرجى من الثواب فينبغى ان يسأل الله تمام النعمة فى الدنيا ودفع مافوقه من البلاء ويسأله الثواب فى الآخرة على الشكر على نعمته فانه قادر على ان يعطى على الشكر مالا يعطيه على الصبر فان قلت فقد قال بعضهم أود أن أكون جسرا على النار يعبر على الخلق كلهم فينجون وأكون أنا فى النار وقال سمنون رحمه الله تعالى

وليس لى فى سواك حظ * فكيفما شئت فاختبرنى

فهذا من هؤلاء سؤال للبلاء فاعلم انه حكى عن سمنون المحب رحمه الله انه بلى بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور على أبواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب وأما محبة الانسان ليكون هو فى النار دون سائر الخلق فغير ممكنة ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه حبا لمثل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع فى الكلام ولو زايله سكره علم ان ماغلب عليه كان حالة لاحقيقة لها فما سمعته من هذا الفن فهو من كلام العشاق الذين أفرط حبهم وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكى ان فاختة كان يراودها زوجها

فتمنعه فقال ما الذى يمنعك عنى و لو أردت أن أقلب لك الكونين مع ملك سليمان ظهر البطن لفعلته لاجلك فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبى الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال وقال الشاعر أريد وصاله و يريد هجرى * فاترك ما أريد لما يريد وهو أيضا محال ومعناه انى أريد مالا يريد لان من أراد الوصال ما أراد الهجر فكيف أراد الهجر الذى لم يرده بل لا يصدق هذا الكلام الا بتأو يلين أحدهما ان يكون ذلك فى بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه الذى يتوصل به الى مراد الوصال فى الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الى الرضا والرضا وسيلة الى وصال المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوبة فيكون مثاله مثال محب المال اذا أسلم درهما فى درهمين فهو يحب الدرهمين يترك الدرهم فى الحال * الثانى ان يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث انه رضاه فقط و يكون له لذة فى استشعاره رضا محبوبه منه تزيد تلك اللذة على لذته فى مشاهدته مع كراهته فعند ذلك يتصوّر ان يريد مافيه الرضا فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى أن صارت لذتهم فى البلاء مع استشعارهم رضا الله عنهم أكثر من لذتهم فى العافية من غير شعور الرضا فهؤلاء اذا قدروا رضاه فى البلاء صار البلاء أحب اليهم من العافية وهذه حالة لا يبعد وقوعها فى غلبات الحب ولكنها لا تثبت وان ثبتت مثلا فهل هى حالة صحيحة أم حالة اقتضتها حالة أخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق أن العافية الله خير من البلاء فنسأل الله تعالى المنان بفضله على جميع خلقه العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين *(بيان الافضل من الصبر والشكر)* اعلم ان الناس اختلفوا فى ذلك فقال قائلون الصبر أفضل من الشكر وقال آخرون الشكر أفضل وقال آخرون هما سيان وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال

للسفاد (فتمنعه) منه (فقال) لها (ما يمنعك عنى ولو أردت اقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلت لاجلك فسمعه سليمان عليه السلام) لانه كان قد أوتى منطق الطير (فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبى الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال) ومن هذا القبيل كلام الليل يمحوه النهار (وقول الشاعر)

(أريد وصاله و يريد هجرى * فاترك ما أريد لما يريد)

(هو أيضا محال ومعناه انى أريد مالا أريد لان من أراد الوصال ما أراد الهجر الذى لم يرده) ولا يبعد انه أراد ان لا تكون له ارادة بدون ارادة الله وان تكون ارادته تابعة لارادته وصلا أو هجرا قربا أو بعدا وفيه قال أبو يزيد قدس سره لما قيل له ما تريد أريد ان لا أريد * واعترضه صاحب منازل السالكين فقال هذه أيضا ارادة ونوقش بانها ارادة مطلوبة و بانها داخلة فى قوله لا أريد * والحاصل انه من باب كمال الرضا (بل لا يصدق فى هذا الكلام الا بتأويلين أحدهما أن يكون ذلك فى بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه الذى يتوصل به الى مراد الوصال فى الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضا والرضا وسيلة الوصال الى المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوبة فيكون مثاله مثال محب المال اذا أسلم درهما فى درهمين فهو محب الدرهمين بترك الدرهم فى الحال الثانى ان يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث انه رضاه فقط وتكون له لذة فى استشعاره رضا محبوبه منه تزيد تلك اللذة على لذته فى مشاهدته مع كراهته فعند ذلك يتصوّر ان يريد مافيه الرضا فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى ان صارت لذتهم فى استشعارهم رضا الله تعالى عنهم أكثر من لذتهم فى العافية من غير شعور الرضا فهؤلاء اذا قدروا رضاه فى البلاء صار البلاء أحب اليهم من العافية وهذه حالة لا يبعد وقوعها فى غلبات الحب) وجذبات الشوق (ولكنها لا تثبت) بل تزول وتنتقل وهكذا شأن الاحوال (وان ثبتت مثلا فهى حالة صحيحة) مستقلة (أم حالة اقتضتها حالة أخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر) ومحل تأمل والذى يظهر ان الحق القول الثانى وانها تنشأ عن حالة أخرى ترد على القلب (وذكر تحقيقه) بالتفصيل (لا يليق بما نحن فيه) لانه من علوم المكاشفة (وقد ظهر بما سبق ان العافية خير من البلاء فنسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين)

(بيان الافضل من الصبر والشكر)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الناس اختلفوا فى ذلك فقال قائلون الصبر أفضل من الشكر) وهم الاكثرون وظاهر الكتاب والسنة يدلان عليه (وقال آخرون الشكر أفضل) من الصبر وقد ذهب اليه بعض العارفين ورجحوه بسبع ترجيحات وسيأتى ذكرها فى آخر الباب (وقال آخرون هما سيان) أى مستويان فى الدرجة والمقام (لافضيلة لاحدهما على الآخر) اذ كل منهما مقام وليس يمكن الترجيح بين مقامين لان فى كل مقام طبقات متفاوتة وهذا مذهب القدماء من العلماء اذ سئل بعضهم عن عبدين ابتلى أحدهما فصبر وأنعم على الآخر فشكر فقال كلاهما سواء لان الله تعالى أثنى على عبدين احدهما صابر والآخر شاكر بثناء واحد فقال فى وصف أيوب عليه السلام نعم العبد انه أوّاب وقال فى وصف سليمان عليه السلام نعم العبد انه أوّاب وهذا المذهب مرجوح كما سيأتى بيانه (وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال) وهذا مذهب المحققين من أهل المعرفة يقولون انه لا يجتمع عبدان فى مقام بالسواء لا بد أن يكون أحدهما بعمل أو علم أو وجد أو مشاهدة لتفاوت أوجه بمشاهدات وان كان الصواب والقصد واحدا وقال

واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق أولى فنقول فى بيان ذلك مقامان *(المقام الاول)* البيان على سبيل التساهل وهو ان ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتفتيش بحقيقته وهو البيان الذى ينبغى ان يخاطب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من الكلام الذى ينبغى أن يعتمده الوعاظ

الله تعالى ولكل وجهة هو موليها وقال تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا وقيل اقصد وأقرب طريقا (واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق أولى فنقول فى بيان ذلك مقامان المقام الاول البيان على سبيل التساهل وهو أن ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتفتيش) والبحث (بحقيقته وهو البيان الذى ينبغى ان يخاطب به عوام الخلق لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة) أى الخفية (وهذا الفن) أى النوع من الكلام (هو الذى ينبغى ان يعتمده الوعاظ) فى وعظهم (اذ) هم حكام العامة و (مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم) بحسب حالهم (والظئر المشفقة) وهى بالكسر وسكون الهمزة المرأة تحضن ولد غيرها (لا ينبغى ان تصلح الصبى الطفل) الرضيع (بالطيور والسمان وضروب الحلاوات) فانها تضر بمعدته (بل باللبن اللطيف وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة) ولذائذ الاغذية (الى ان يصير محتملا لها بقوته) التى تنمو فيه على التدريج (و يفارق الضعف الذى هو عليه فى بنيته فنقول هذا المقام فى البيان يابى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع) من الكتاب والسنة (وذلك يقتضى تفضيل الصبر على الشكر (فان الشكر وان وردت أخبار كثيرة فى فضله) مما تقدم بعضها (فاذا أضيف اليه ما ورد فى فضيلة الصبر كان فضائل الصبر أكثر بل فيه الفاظ صريحة فى التفضيل) اما من الكتاب فكقوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا فالشاكر يؤتى أجره مرة فاشبه مقام الصبر مقام الخوف واشبه مقام الشكر مقام الرجاء وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقد اتفقوا على تفضيل الخوف على الرجاء من حيث اتفق أهل المعرفة على فضل العلم على العمل فالصبر من مقامه الخوف وقرب حال الصابر فى الفضل من مقامه والشكر حال من مقامات الرجاء كذلك يقرب حال الشاكر من قربه ومن السنة (كقوله صلى الله عليه وسلم من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر) ومن أوتى خصلة منهما لم يبال مافاته من قيام الليل وصيام النهار وقد تقدم الكلام عليه فى مبحث الصبر فقرب الصبر باليقين الذى لا شئ أعز منه ولا اجل وارتفاع الاعمال وعلو العلوم به (وفى الخبر يؤتى باشكر أهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين و يؤتى باصبر أهل الارض فيقال له اما ترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر) عليه (فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين) كذا أورده صاحب القوت وقال العراقى لم أجد له أصلا (وقد) يفضل الصبر على الشكر بوجه آخر وهو ان الصبر حال البلاء والشكر حال النعمة والبلاء أفضل لانه على النفس اشق (قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) والشاكر يؤتى أجره بحساب لانه انما هو تحقيق الوصف ونفى ما عداه وقد رفع على رضى الله عنه الصبر على أرفع مقامات اليقين فقال فى حديثه الطويل الذى وصف فيه شعب الايمان والصبر على أربع دعائم على الشوق والاشفاق والزهد والترقب فمن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب ومن ارتقب الموت سارع فى الخيرات فجعل هذه المقامات أركان الصبر لانها توجد عنه ويحتاج اليه فى جميعها وجعل الزهد أحد أركانه (وأما قوله) صلى الله عليه وسلم (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (فهو دليل على الفضيلة فى الصبر اذ ذكر ذلك فى معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة

اذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم والظئر المشفقة لا ينبغى ان تصلح الصبى الطفل بالطيور والسمان وضروب الحلاوات بل باللبن اللطيف وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير محتملا لها بقوته و يفارق الضعف الذى هو عليه فى بنيته فنقول هذا المقام فى البيان يابى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضى تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت أخبار كثيرة فى فضله فاذا أضيف اليه ما ورد فى فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر بل فيه ألفاظ صريحة فى التفضيل كقوله صلى الله عليه وسلم من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفى الخبر يؤتى باشكر أهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين و يؤتى باصبر أهل الارض فيقال له اما ترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وأما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فهو دليل على ان الفضيلة فى الصبر اذ ذكر ذلك فى معرض المبالغة لرفع درجة الشكر فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق الشكر به مبالغة

في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل) قال العراقي رواه الحرث بن أبي اسامة في مسنده بالشطر الاول من حديث أبي موسى بسند ضعيف والطبراني بالشطر الثاني من حديثه بسند ضعيف أيضا ان امرأة قالت كتب الله الجهاد على الرجال فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة قال طاعة أزواجهن وفي رواية ماجزاء غزوة المرأة قال طاعة الزوج الحديث اهـ قلت وروى الشطر الاول أيضا ابن زنجويه في ترغيبه والقضاعي في مسند الشهاب وابن عساكر وفي لفظ للآخرين الفقراء بدل المساكين وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها وجهاد الضعفاء الحج (وكقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ مدمن الخمر ورواه بلفظ شارب الخمر الحرث بن أبي اسامة من حديث عبد الله بن عمرو وكلاهما ضعيف وقال ابن عدي ان حديث أبي هريرة اخطأ فيه محمد بن سليمان بن الاصبهاني اهـ قلت ورواه بلفظ المصنف البزار من حديث عبد الله بن عمرو وفي سنده قطر بن خليفة صدوق ووثقه أحمد وابن معين ورواه بلفظ مدمن البخاري في تاريخه وابن حبان من حديث أبي هريرة ومن رواية محمد بن عبد الله عن أبيه (وأبدا المشبه به أعلى رتبة) من المشبه والا لما حسن وجه التشبيه (فكذلك قوله) صلى الله عليه وسلم (الصبر نصف الايمان) رواه أبو نعيم والخطيب والبيهقي من حديث ابن مسعود وقد تقدم (لايدل على ان الشكر مثله وهو كقوله) صلى الله عليه وسلم (الصوم نصف الصبر) رواه ابن ماجه والبيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم (فان كل ماينقسم بنصفين يسمى أحدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت) في الدرجات (كما يقال الايمان هو العلم والعمل) وروى ابن النجار من حديث عبد الله بن أبي أوفى الايمان قول وعمل وروى ابن ماجه والطبراني وهمام والبيهقي والخطيب وابن عساكر من حديث علي الايمان عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالاركان (فالعمل هو نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم) وقد اتفق أهل المعرفة على ان العلم أفضل من العمل ثم أشار المصنف الى نوع آخر من الاستدلال على تفضيل الصبر بحال سيدنا سليمان عليه السلام وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وفي أثناء ذلك الاشعار بالرد على من يقول انهما سيان وبيان ذلك انه قد تقدم قول من قال ان الصبر والشكر سيان لا ترجح لاحدهما على الآخر وانه استدل بحال أيوب وسليمان عليهما السلام حيث أثنى عليهما بثناء واحد وفي هذا غفلة عن لطائف الافهام وذهاب عن حقيقة تدبر الكلام اذ بين ثناء الله تعالى على أيوب عليه السلام في الفضل على ثنائه على سليمان عليه السلام ثلاثة عشر معنى وشرك سليمان عليه السلام بعد ذلك في وصفين آخرين وأفرد أيوب عليه السلام بفضل ثناء ثلاثة عشر أول ذلك قوله تعالى في مدحه واذكر فهذه كلمة مباهاة باهى بأيوب عليه السلام عند رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرفه وفضله بقوله تعالى واذكر يامحمد فأمره بذكره والاقتداء به كقوله تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل قيل هم أهل الشدائد والبلاء منهم أيوب عليه السلام قرضوا بالمقاريض ونشروا بالمناشير وكانوا سبعين نبيا وقيل هم ابراهيم واسحق ويعقوب وهؤلاء آباء الانبياء وأفاضلهم كقوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم وكقوله واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي والابصار يعني أصحاب القوة والتمكين وأهل البصائر واليقين ثم رفع أيوب الى مقامهم فضمه اليهم وجعله سلوة له صلى الله عليه وسلم ثم ذكره اياه وذكر به ثم قال عبدنا فاضافه اليه اضافة تخصيص وتقريب ولم يدخل بينه وبينه لام تعريف فيقول عبد النا فالحقه بنظرائه من أهل البلاء في قوله واذكر عبدنا ابراهيم واسحق ويعقوب وهم أهل البلاء الذين باهى بهم الانبياء وجعل من ذرياتهم الاصفياء فاضاف أيوب اليهم في حسن الثناء وفي لفظ التذكرة به في الثناء ثم قال نادى ربه فأفرده بنفسه لنفسه وانفرد له في الخطاب بوصفه وقال مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فوصفه بمواجهة التملق له ولطيف المناجاة فظهر له بوصف الرحمة فاستراح اليه فناداه

في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل وكقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن وأبدا المشبه به ينبغي أن يكون اعلى رتبة فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان لايدل على ان الشكر مثله وهو كقوله عليه السلام الصوم نصف الصبر فان كل ماينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل هو نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل يساوي العلم

فشكا اليه واستغاث به فأشبه مقامه مقام موسى و يونس عليهما السلام فى قولهما تبت اليك وفى قول
الآخر لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وهذا خطاب المشاهدة ونظر المواجهة ثم وصفه بالاستجابة
له وأهله بكشف الضر عنه وجعل كلامه سببا لتنفيذ قدرته ومكانا لمجارى حكمته ومفتاحا لفتح اجابته
ثم قال بعد ذلك كله و وهبنا له أهله فزاد على سليمان عليه السلام فى الوصف اذ كان بين من وهب لاهله
و بين من وهب له أهله فضل فى المدح لانه قال فى وصف سليمان و وهبنا لداود سليمان فاشبه فضل أيوب
فى ذلك على سليمان كفضل موسى على هرون عليهم السلام لانه قال فى فضل موسى عليه السلام وتفضيله
على هرون عليه السلام و وهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وكذلك قال فى مدح داود ووهبنا لداود سليمان
فوهب لموسى أخاه كما وهب لداود ابنه وأشبه مقام أيوب فى المباهاة والتذكرة به مقام داود عليه السلام
لانه قال أيضا فى وصفه لنبيه صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود وكذلك قال فى نعت
أيوب واذكر عبدنا أيوب فقد شبه أيوب بداود وموسى عليهما السلام فى المعنى ورفعه اليهما فى المقام وهما
فى نفوسنا أفضل من سليمان عليه السلام فاشبه أن يكون حال أيوب أعلى من حال سليمان عليهما السلام
وعلم الله المقدم ولكن هذا ألقى فى قلوبنا والله أعلم ثم قال بعد ذلك رحمة منا اذ ذكر نفسه و وصفه عند عبده
تشريفا له وتعظيما ثم قال وذكرى لاولى الالباب فجعله اماما للعقلاء وقدوة لاهل الصبر والبلاء وتذكرة
وسلوة من الكرب للاصفياء ثم قال عز وجل انا وجدناه صابرا فذكر نفسه سبحانه ذكرا ثانيا لعبده ووصل
اسمه باسمه حباله وقربا منه لان النون والالف فى وجدناه اسمه تعالى والهاء اسم عبده أيوب ثم قال صابرا
فوصفه بالصبر فاظهر مكانه فى القوة ثم قال فى آخر أوصافه نعم العبد انه أوّاب فهذا أول وصف سليمان
وآخره ههنا شركه فى الثناء وزاد أيوب بما تقدم من المدح والوصف الذى لا يقوم له شئ وذلك من قوله تعالى
واذكر عبدنا أيوب الى قوله أوّاب وجعل فى أول وصف سليمان بانه وهبه لابيه داود فصار حسنة من
حسنات داود واشتمل قوله نعم العبد انه أوّاب على أول وصفه وأوسطه وهو آخر وصف أيوب عليهم السلام
أجمعين (و) قد جاء (فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم) انه قال (آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان
ابن داود) عليهما السلام (لمكان ملكه وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه)
هكذا أورده صاحب القوت ومعنى الشطر الاول حديث معاذ الآتى ذكره بعد بحديث وروى البزار من
حديث أنس آخر من يدخل الجنة من أغنياء أمتى عبد الرحمن بن عوف وفيه أغلب بن تميم ضعيف قاله
العراقى (وفى خبر آخر) ولفظ القوت وفى لفظ آخر (يدخل سليمان) بن داود الجنة (بعد الانبياء
بأربعين خريفا) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ودينار
الحبشى أحد الكذابين على أنس والحديث منكر وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث معاذ بن جبل
يدخل الانبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة بأربعين عاما وقال لم يروه الا شعيب بن خالد وهو كوفى ثقة
(وفى الخبر أبواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد وأول من يدخله أهل البلاء امامهم
أيوب عليه السلام) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقى لم أجد له أصلا ولا فى الاحاديث الواردة فى
مصاريع أبواب الجنة مفرقة ثم قال صاحب القوت وقد زاد أيوب على سليمان عليهما السلام بعموم هذه
الآثار لانه سيد أهل البلاء وتذكرة وعبرة لاولى النهى وامام أهل الصبر والضر والابتلاء ثم أشار المصنف
الى تفصيل آخر فى تفضيل الصبر فقال (وكل ما ورد فى فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لان الصبر حال
الفقير والشكر حال الغنى) فمن فضل الشكر على الصبر فى المعنى فكأنه فضل الغنى على الفقر وليس هذا
مذهب أحد من القدماء انما هذه طريقة علماء الدنيا طرقوا لنفوسهم بذلك وطرقوا للخلق الى نفوسهم
من ذلك لان من فضل الغنى على الفقر فقد فضل الرغبة على الزهد والعز على الذل والكبر على التواضع وفى
هذا تفضيل الراغبين والاغنياء على الزاهدين والفقراء ويخرج ذلك الى تفضيل أبناء الدنيا على أبناء

وفى الخبر عن النبى صلى
الله عليه وسلم آخر الانبياء
دخولا الجنة سليمان بن
داود عليهما السلام لمكان
ملكه وآخر أصحابى دخولا
الجنة عبد الرحمن بن عوف
لمكان غناه وفى خبر آخر
يدخل سليمان بعد الانبياء
بأربعين خريفا وفى الخبر
أبواب الجنة كلها مصراعان
الا باب الصبر فانه مصراع
واحد وأول من يدخله أهل
البلاء أمامهم أيوب عليه
السلام وكل ما ورد فى
فضائل الفقر يدل على
فضيلة الصبر لان الصبر حال
الفقير والشكر حال الغنى

فهذا هو المقام الذى يقنع العوام ويكفيهم فى الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم *(المقام الثانى)* هو البيان الذى نقصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل أمرين مبهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الابهام مالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف يشتمل على أقسام لا يمكن الموازنة بين الجملة والجملة بل يجب ان تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما فى الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من أمور ثلاثة علوم وأحوال وأعمال والشكر والصبر وسائر المقامات هى كذلك وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين فى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال والاعمال هى الافضل وأما أرباب البصائر فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لامحالة أفضل منه وأما آحاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا أضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد الاحوال اذا أضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد المعارف وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهى أرفع من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة لانها تراد للمعاملة ففائدتها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد اذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص أفضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بافضل من العمل القاصر فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله تعالى فى ذاته وصفاته وافعاله فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهى الغاية التى تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل هى عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب فى الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها فى الآخرة فهى المعرفة الحرة التى لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها فى الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضى الى بعض

اما

الآخرة (فهذا هو المقام الذى يقنع العوام ويكفيهم فى الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم) اذ ليس فيه صرف عن ظواهر الكتاب والسنة (المقام الثانى وهو البيان الذى نقصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الامور بطريق الكشف والايضاح) والتبيين والافصاح (فنقول فيه كل أمرين مبهمين) أى غير معلومى الحقائق (لا يمكن الموازنة بينهما مع) وجود (الابهام) فيهما (مالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما) فيرتفع الابهام (وكل مكشوف) معلوم بحقيقته (يشتمل على أقسام) متنوعة (لا يمكن الموازنة بين الجملة والجملة بل يجب ان تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان) وبه يتوصل الى الموازنة بين الجملة والجملة (والصبر والشكر أقسامهما وشعبهما كثيرة) كما تقدم ذكرها (فلا يتبين حكمهما فى الرجحان والنقصان مع الاجمال فنقول قد ذكرنا) فى كتاب التوبة (ان هذه المقامات) التسعة من مقامات اليقين (تنتظم من أمور ثلاثة علوم وأحوال وأعمال) فالعلوم هى الاصول والاحوال ما تنشأ عنها من المواجيد والاعمال ما تنشئها المواجيد على القلوب والجوارح من الاعمال (والشكر والصبر وسائر المقامات) مما ذكر ومما سيذكر (هى كذلك) لابد فى انتظامها الى الامور المذكورة (وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين الى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال والاعمال هى الافضل) فهذا نظر أرباب الظواهر (وأما أرباب البصائر فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال) عندهم (انما تراد للاحوال والاحوال) انما (تراد للعلوم فالافضل العلوم) وهى المعارف فى كل مقام (ثم الاحوال) الناشئة عن مواجيد تلك المعارف (ثم الاعمال) على هذا الترتيب (لان كل مراد لغيره فذلك الغير لامحالة أفضل منه وأما آحاد هذه الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا أضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد الاحوال وآحاد المعارف) أى اذا أضيف بعضها الى بعض (وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهى ارفع) رتبة (من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة) نفسها (فانها) اى تلك العلوم (تراد للمعاملة ففائدتها اصلاح العمل وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد اذا كان علمه مما يعم نفعه) على الكل (فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بافضل من العمل القاصر) واذا عرفت ذلك (فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله تعالى) وعظمته (فى ذاته وصفاته وأفعاله فارفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه) فى ذاته وصفاته وأفعاله (وهى الغاية التى تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها) وهى القرب من جوار الله تعالى (بل هى عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب فى الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها فى الآخرة) عند معاينة الحقائق (فهى المعرفة الحرة التى لاقيد عليها فلا تتقيد بغيرها) وجعلها حرة نظرا الى انفكاكها عن ربقة التقييد بالغير (وكل ما عداها من المعارف) بمنزلة (عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها انما تراد لاجلها) لا لذاتها (ولما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها فى الافضاء الى معرفة الله تعالى فان بعض المعارف يفضى الى بعض

امابواسطة أو بوسائط كثيرة فكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل وأما الاحوال فنعني بها أحوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق فاذا فضائل الاحوال بقدر تأثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعداده لان تحصل له علوم المكاشفة وكما ان تصقيل المرآة يحتاج الى ان يتقدم على تمامه أحوال للمرآة بعضها أقرب الى الصقالة من بعض فكذلك أحوال القلب فالحالة القريبة أو المقربة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لامحالة بسبب القرب من المقصود وهكذا ترتيب الاعمال فان تأثيرها في تأكيد صفاء القلب وجلب الاحوال اليه وكل عمل اما ان يجلب اليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان يجلب اليه حالة مهيئة للمكاشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الاول المعصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها و ذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا بالقول المطلق ربما نقول الصلاة النافلة أفضل من كل عبادة نافلة وان الحج أفضل من الصدقة وان قيام الليل أفضل من غيره ولكن التحقيق فيه ان الغني الذي معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على امساكه فاخراج الدرهم له أفضل من قيام ليال وصيام أيام لان الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها أو منعه الشبع عن صفاء الفكر من علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاما هذا المدبر اذ لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولاهو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله الى حال غيره وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن اذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به بل حقه أن ينظر في المهلك الذي استولى عليه والشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيل صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة بل لا يزيله الا اخراج المال فعليه ان يتصدق بما معه وتفصيل هذا مما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع اليه فاذا باعتبار هذه الاحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب المطلق فيه خطأ اذ لو قال لنا قائل الخبز أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب حق الا أن الخبز للجائع أفضل والماء للعطشان أفضل فان اجتمعا فلينظر الى الاغلب فان كان العطش

امابواسطة) واحدة (أو بوسائط كثيرة فكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل) فهذه معرفة الموازنة في العلوم والمعارف (وأما الاحوال فنعني بها أحوال القلب في تصفيته وتطهيره من شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفا) عنها (اتضح له حقيقة الحق) وهذا انما ينشأ من مواجيد المعارف (فاذا فضائل الاحوال بقدر تأثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعداده) أي تهيئته (لان تحصل له علوم المكاشفة) التي هي المرادة لذاتها (وكما ان تصقيل المرآة) عن الكدورات (يحتاج الى ان يتقدم على تمامه أحوال للمرآة بعضها أقرب الى الصقالة من بعض فكذلك أحوال القلب فالحالة القريبة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لامحالة بسبب القرب من المقصود) فهذه معرفة الموازنة في الاحوال (وهكذا ترتيب الاعمال فان تأثيرها في تأكيد صفاء القلب) وطهارته من الادناس (وجلب الاحوال اليه وكل عمل) فاما أن يجلب اليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة ظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا) وبهجاتها (واما ان يجلب) اليه (حالة مهيئة للمكاشفة موجبة صفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الاول المعصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي) باسرها (من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا بالقول المطلق ربما نقول الصلاة النافلة أفضل من كل عبادة نافلة وان الحج أفضل من الصدقة وان قيام الليل أفضل من غيره) وهو على اطلاقه صحيح (ولكن التحقيق فيه ان الغني الذي معه مال كثير وقد غلبه البخل وحب المال على امساكه فاخراج درهم له أفضل من قيام ليال وصيام أيام لان الصيام يليق بمن غلبه شهوة البطن فأراد كسرها) برياضة الصوم (أو منعه الشبع عن صفاء الفكر في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع) لينفتح له باب المعرفة في الله تعالى (فاما هذا المدبر ان لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولاهو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله الى حال غيره وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن لذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به) لاختلاف العلتين (بل حقه ان ينظر في المهلك الذي استولى عليه) وغلب طبعه (والشح المطاع) وهو الذي يكون هو مغلوباله وذلك كما عليه بمنزلة الامير المطاع فيعمل بموجب أوامره ولا يطيع باعث الدين أبدا وهو (من جملة المهلكات) كما ورد ذلك في الخبر ثلاث منجيات وثلاث مهلكات الحديث وقد تقدم في كتاب ذم البخل (ولا يزيل صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة) منه لانفكاك الجهتين (بل لا يزيله الا اخراج المال) عن ملكه (فعليه ان يتصدق بما معه) هذا هو الافضل في حقه (وتفصيل هذا مما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع اليه) فانه مهم (فاذا باعتبار هذه الاحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطأ اذ لو قال لنا قائل الخبز أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب حق الا ان الخبز للجائع أفضل والماء للعطشان أفضل فان اجتمعا فلينظر الى الاغلب فان كان العطش

هو الاغلب فالماء افضل وان كان الجوع أغلب فالخبز افضل فان تساويا فهما متساويان وكذا اذا قيل السكنجبين أفضل أم شراب اللينوفر لم
يصح الجواب عنه مطلقا أصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين أفضل أم عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء لان السكنجبين مراد له وما يراد لغيره فذلك
الغير أفضل منه لامحالة فاذا في بذل المال عمل وهو الانفاق و يحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب و يتهيأ القلب بسبب
خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وحبه فالافضل المعرفة ودونها الحال ودونها العمل فان قلت فقد حث الشرع على الاعمال و بالغ في
ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال تعالى ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون الفعل
والانفاق هو الافضل فاعلم
ان الطبيب اذا أثنى على
الدواء لم يدل على ان الدواء
مراد لعينه أو على انه أفضل
من الصحة والشفاء الحاصل
به ولكن الاعمال علاج
لمرض القلوب ومرض
القلوب مما لا يشعر به غالبا
فهو كبرص على وجه من
لا مرآة معه فانه لا يشعر به
ولو ذكر له لا يصدق به
والسبيل معه المبالغة في
الثناء على غسل الوجه بماء
الورد مثلا ان كان ماء الورد
يزيل البرص حتى يستحثه
فرط الثناء على المواظبة عليه
فيزول مرضه فانه لو ذكر
له أن المقصود زوال البرص
عن وجهك ربما ترك
العلاج وزعم أن وجهه
لا عيب فيه ولنضرب مثلا
أقرب من هذا فنقول من له
ولد علمه العلم والقرآن وأراد
ان يثبت ذلك في حفظه بحيث
لا يزول عنه وعلم انه لو أمره
بالتكرار و الدراسة ليبقى
له محفوظا لقال انه محفوظ
ولا حاجة بي الى تكرار
ودراسة لانه يظن ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبدا وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك من
بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعليم العبيد القرآن وانه قد استخدم لتعليمهم فيشكل
عليه الامر فيقول ما بالي قد استخدمت لاجل العبيد وأنا أجل منهم وأعز عند الوالد واعلم أن أبي لو أراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفي
به واعلم انه لا نقصان لابي بفقد هؤلاء العبيد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعلمهم اعتمادا على استغناء أبيه
وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن و يبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق
الاباحة وقالوا ان الله تعالى غني عن عبادتنا وعن أن يستقرض منا فاي معنى لقوله

(هو الاغلب فالماء أفضل فان تساويا فهما متساويان) لا فضيلة لاحدهما على الآخر (وكذا اذا قيل
السكنجبين أفضل أم شراب اللينوفر) وفي نسخة النيلوفر وهو نبات يخرج في البرك والانهار عند زيادة الماء
وله زهر اسمانجوني والشراب المتخذ منه مبرد مرطب نافع للسعال والشوصة وذات الجنب مقو للقلب
مسكن للعطش مزيل للسهر الكائن من الحرارة ملين للطبيعة نافع من الصداع وهو مع حلاوته لا يستحيل
صفراء بخلاف سائر الاشربة الحلوة (لم يصح الجواب عنه مطلقا أصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين أفضل أم
عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء) أفضل (لان السكنجبين مراد له وما يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه
لامحالة فاذا في بذل المال عمل وهو الانفاق و يحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب
و يتهيأ القلب بسبب خروج حب الدنيا منه) أي من القلب (لمعرفة الله تعالى وحبه فالافضل المعرفة
ودونها الحال ودونها العمل) على هذا الترتيب (فان قلت فقد حث الشرع على الاعمال و بالغ في
ذكر فضلها حتى طلب الصدقات في قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) وقال تعالى (ويأخذ
الصدقات) وغير ذلك مما ورد الحث عليه في الكتاب والسنة (فكيف لا يكون الفعل والانفاق هو الافضل
فاعلم ان الطبيب اذا أثنى على الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه أو على انه أفضل من الصحة والشفاء
الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالبا) لخفائه عنا (فهو
كبرص على وجه من لا مرآة معه فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به والسبيل معه المبالغة في الثناء على
غسل الوجه بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه
فيزول برصه فانه لو ذكر له ان المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم ان وجهه لا عيب
فيه ولنضرب مثلا أقرب من هذا فنقول من له ولد علمه العلم أو القرآن وأراد ان يثبت ذلك في حفظه بحيث
لا يزول عنه وعلم انه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى) في ذهنه (محفوظا لقال انه محفوظ ولا حاجة الى
تكرار ودراسة لانه يظن ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبدا) وليس كما ظن (وكان له عبيد فامر الولد
بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين
ان المقصود تعليم القرآن) فقط (وانه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الامر فيقول ما بالي قد استخدمت
لاجل العبيد وأنا أجل منهم) قدرا (وأعز عند الوالد واعلم ان أبي لو أراد تعليم العبيد لقدر عليه دون
تكليفي به) بان يكلف به غيري (واعلم أنه لا نقصان لابي بفقد هؤلاء العبيد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن
فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعلمهم اعتمادا على استغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم
والقرآن و يبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد انخدع بهذا الخيال طائفة) ممن خفت عقولهم
(وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله تعالى غني عن عبادتنا وعن ان يستقرض منا وأي معنى لقوله

من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف أموالنا اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار
واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وقالوا أيضا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانظر
كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء أهلك بالصدق واذا شاء أسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به
كثيرا فهؤلاء لما ظنوا أنهم استخدموا لاجل المساكين والفقراء أولاجل الله تعالى ثم قالوا الاحظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا
سواء أنفقنا أو أمسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يشعر بانه كان المقصود ثبات
صفة العلم في نفسه وتأكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وانما كان ذلك من الوالد تلطفا به في استجراره الى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فاذا المسكين الآخذ لمالك يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا أنت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادما بان يكون له غرض في أن يصنع شيأ بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها ونهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها أوساخ أموال الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع
المهلكات والقلب بحسب تأثيرها مستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الاصلي الذي ينبغي أن يرجع اليه في
معرفة فضائل الاعمال والاحوال والمعارف ولنرجع الآن الى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول في كل واحد منهما معرفة وحال
وعمل فلا يجوز أن تقابل المعرفة في أحدهما بالحال أو العمل في الآخر بل يقابل كل واحد منها بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب
يظهر الفضل ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر أن يرى نعمة العينين مثلا من الله
تعالى ومعرفة الصابر أن يرى العمى من الله وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا ان اعتبرتا في البلاء والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون
على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان الشكر

من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين أطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف أموالنا
اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا
أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) ان أنتم الا في ضلال مبين (وقالوا أيضا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانظر
كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء أهلك بالصدق واذا شاء
أسعد بالجهل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) يعني القرآن (فهؤلاء لما ظنوا اذ ظنوا انهم استخدموا لاجل
المساكين والفقراء أو لاجل الله تعالى ثم قالوا الاحظ لنا في المساكين ولاحظ لله فينا وفي أموالنا سواء أنفقنا أو
أمسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن ان مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يشعر بانه كان المقصود
ثبات صفة العلم في نفسه وتأكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وانما كان ذلك من الوالد
تلطفا به في استجراره الى ما فيه سعادته فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق) واستولى الشيطان
على عقله (فاذا المسكين الآخذ لمالك يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك
لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك) الحاصلة من تبيغ الدم
(فالحجام خادم لك لا أنت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادما) لك (بان يكون له غرض في ان
يصنع شيأ بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها من خبائث الصفات) لقوله تعالى خذ من
أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها الآية (امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها ونهى عنها
كما نهى عن كسب الحجام) رواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود وقد تقدم (وسماها) أي الصدقات
(أوساخ الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها) قال العراقي رواه مسلم من حديث عبد المطلب بن ربيعة ان
هذه الصدقة لا تحل لنا انما هي أوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد وفي رواية له أوساخ الناس اهـ
قلت ورواه ابو داود والنسائي بلفظ ان هذه الصدقات انما هي أوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد
(والمقصود ان الاعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات والقلب بحسب تأثيرها مستعد لقبول
الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون الاصلي الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفة فضائل
الاعمال والاحوال والمعارف فلنرجع الآن الى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول في كل
واحد منهما معرفة وحال وعمل) اذ تقدم ان المقامات لا تنتظم الا بهؤلاء الثلاثة (فلا يجوز ان تقابل المعرفة في
أحدهما بالحال والعمل في الآخر بل يقابل كل واحد بنظيره حتى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر
الفضل) والترجيح (ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا الى معرفة واحدة اذ معرفة
الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلا من الله تعالى) فيشكر (ومعرفة الصابر ان يرى العمى من الله) فيصبر
(وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا ان اعتبرته في البلاء والمصائب وقد بينا ان الصبر قد يكون عن
الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر لان الصبر على الطاعة) هو عين شكر الطاعة (لان الشكر

يرجع الى صرف نعمة الله تعالى الى ماهو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين فى مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو أن يصرع به باعث الشهوة فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشئ على نفسه فاذا مجارى الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلاء وقد ظهر حكمهما فى الطاعة والمعصية وأما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة اما أن تقع ضرورية كالعينين مثلا واما أن تقع فى محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال أما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى فى بعض المعاصى وشكر البصير عليهما من حيث العمل بامرين أحدهما أن لا يستعين بهما على معصية والآخر أن يستعملهما فى الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو عن الصبر فان الاعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا النعمة العينين وان اتبع النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر فى شكره وكذا اذا استعان بالعينين على الطاعة فلابد أيضا فيه من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به الى معرفة الله سبحانه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلا وقد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى عليهما السلام وغيره من الانبياء لانه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلا ولكان الكمال فى أن يسلب الانسان الاطراف كلها ويترك كلحم على وضم وذلك محال جدا لان كل واحد احتمال من هذه الاعضاء آلة فى الدين يفوت بفوتها ذلك الركن من الدين وشكرها باستعمالها فيما هى آلة فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر وأما ما يقع فى محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة وهو محتاج الى ما وراءه ففى الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقر ووجود الزيادة نعمة وشكرها أن تصرف الى الخيرات أو أن لا تستعمل فى المعصية فان أضيف الصبر الى الشكر الذى هو صرف الى الطاعة فالشكر أفضل لانه تضمن الصبر أيضا وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه

يرجع الى صرف نعمة الله تعالى الى ماهو مقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى) ومقاومته (فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو أن يصرع به باعث الشهوة) اى يقهر ويكسر (فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معبر واحد فكيف يفضل الشئ على نفسه) وهذا فيه تأييد لقول من ذهب الى انهما سيان ومما يدل عليه انهم قالوا ان متعلقات كل من الصبر والشكر والرضا والمحبة متحدة لا اختلاف فيها واذا اتحدت أعمال المقامات فلا يصح التفاضل فيها الا باسبابها أو أحوالها التى هى حوادث عن الاعمال (فاذا مجارى الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلايا وقد ظهر حكمهما فى الطاعة والمعصية أما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة اما ان تكون تقع ضرورية كالعينين مثلا واما ان تقع فى محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال أما العينان فصبر الاعمى عنهما ان لا يظهر الشكوى ويضمر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى فى معنى المعاصى) وفى نسخة بعض المعاصى (وشكر البصير عليهما من حيث العمل بامرين أحدهما ان لا يستعين بهما على معصية والآخر ان يستعملهما فى الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو عن الصبر فان الاعمى) قد (كفى الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكرا النعمة العينين وان اتبع النظر) مرة بعد (الاولى كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر فى شكره وكذا اذا استعان بالعينين على الطاعة فلابد فيه أيضا من الصبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر الى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به الى معرفة الله سبحانه فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلا وقد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى عليه السلام لانه) أى شعيبا (صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر ولكان الكمال فى ان يسلب الانسان الاطراف كلها ويترك كاللحم على وضم) أى اللوح من الخشب الذى كان يوضع عليه لحم الجزور ويقسم (وذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة فى الدين فيفوت بفواتها ذلك الركن من الدين وشكرها باستعمالها فيما هى فيه آلة من الدين وذلك لا يكون الا بصبر وأما ما يقع فى محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يؤت الا قدر الضرورة وهو محتاج الى ما وراءه ففى الصبر عنه مجاهدة) شديدة (وهو جهاد الفقراء) أى بمنزلة الجهاد لهم (ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان تصرف الى الخيرات وان لا تستعمل فى المعصية فان أضيف الصبر الى الشكر الذى هو صرف الى الطاعة فالشكر أفضل لانه تضمن الصبر أيضا) والحاصل ان الشكر داخل فى الصبر والصبر جامع للشكر لان من صبر عن ان يعصى الله بنعمته فقد شكرها ومن صبر نفسه على طاعة الله فقد شكر نعمته (وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه

احتمال ألم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى شيئين أفضل من شئ واحد وان الجملة أعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين أبعاضها وأما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر والفقير الصابر أفضل من الغني الممسك ماله الصارف اياه الى المباحات لا من الغني الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها وأحسن الرضا على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعى لا محالة قوة والغني اتبع نهمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح فيه مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضا الا ان القوة التي عنها يصدر صبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي يدل العمل عليها (١٥٩) فان الاعمال لا تراد الا لاحوال القلوب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو أفضل لا محالة وجميع ما ورد من تفضيل أجر الصبر على أجر الشكر في الآيات والاخبار انما أريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعمة الاموال والغنى بها والسابق الى الافهام من الشكر أن يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص أشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وأزعجها أتم حالا ممن متع صفته ونعمها والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه ويقال كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فاصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده واتلاف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر

احتمال ألم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى ان شيئين افضل من شئ واحد وان الجملة أعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل اذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين أبعاضها وأما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر والفقير الصابر أفضل من الغني الممسك ماله الصارف اياه الى المباحات لا من الغني الصارف ماله الى الخيرات) الاخروية (لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها) أي قوتها (وأحسن الرضا على بلاء أمر الله تعالى وهذه الحالة تستدعى لا محالة قوة والغني اتبع نهمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح وفي المباح مندوحة عن الحرام) أي سعة عنه (ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضا الا ان القوة التي يصدر عنها صبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي يدل العمل عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال القلب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو أفضل لا محالة وجميع ما ورد من تفضيل أجر الصبر على أجر الشكر في الآيات والاخبار انما أريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعمة الاموال والغنى بها والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لان يصرفها الى الطاعة فاذا الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار) سيد الطائفة (الجنيد رحمه الله تعالى حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم) كذا في النسخ ولفظ القوت وقد سئل الجنيد عن غني شاكر وفقير صابر أيهما أفضل قال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم (وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تؤلم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وأزعجها أتم حالة ممن متع صفته ونعمها) هذا نقل كلام الجنيد (والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه ويقال كان أبو العباس) أحمد بن محمد بن سهل (بن عطاء) الادمي من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم وكان كبير الشان وهو من اقران الجنيد وصحب ابراهيم المارستاني مات سنة تسع وثلاثمائة (قد خالفه في ذلك) أي فيما ذهب اليه من تفضيل الصابر على الشاكر (وقال الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد) فيما يقال (فاصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وتلف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد أصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر) هكذا نقله صاحب القوت وقال القشيري في الرسالة وقيل ان يحيى بن معاذ الرازي

تكلم بمبلغ فى تفضيل الغنى على الفقير وأعطى ثلاثين ألف درهم فقال بعض المشايخ لا بارك الله له فى هذا المال فخرج الى نيسابور ووقع عليه اللص وأخذ ذلك المال منه (ومهما لاحظت المعانى التى ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها فى بعض الاحوال فرب فقير صابر أفضل من غنى شاكر كما سبق) تقريره (ورب غنى شاكر أفضل من فقير صابر) قال صاحب القوت فاما تفصيل التفضيل فعلى ثلاثة أوجه احدها ان المقامات أعلى من الاحوال وقد يكون الصبر والشكر حالين وقد يكونان مقامين فمن كان مقامه الصبر وكان حاله الشكر عليه فهو أفضل لانه صاحب مقام ومن كان مقامه الشكر وكان حاله الصبر عليه فحاله مزيد لمقامه فقد صار مزيد الشاكر فى مقامه * الوجه الثانى من التفضيل المقربون أعلى مقاما من أصحاب اليمين فالصابرون من المقربين أفضل من الشاكرين من أصحاب اليمين والشاكرون والمقربون أفضل من الصابرين من أصحاب اليمين * فان قيل فان كان الشاكر والصابر من المقربين فايهما أفضل عند ذلك فقد قلنا ان اثنين لا يتفقان فى مقام من كل وجه لانفراد الوجه بمعانى لطائف اللطيفة بمثل ما انفردت الوجوه بلطيفة الصفة مع تشابه الصفات واشتباه الادوات وأفضلهما حينئذ اعرفهما لانه أحبهما اليه تعالى وأقربهما منه وأحسنهما يقينا لان اليقين أعز ما أنزل الله عز وجل ثم قال وجه آخر من بيان التفضيل * نقول ان الصبر عما يوجب الشكر أفضل وان الشكر على ما يوجب الصبر أفضل وهذا يختلف باختلاف الاحوال تفسيره ان الصبر عن حظ النفس وعن التنعم والترفه أفضل ان كان عبدا حاله النعمة فالصبر عن النعيم والغنى مقام فى المعرفة وهو أفضل لان فيه الزهد المجمع على تفضيله ونقول ان الشكر على الفقر والبلاء والمصائب أفضل ان كان عبدا حاله الجهد والبلاء فالشكر عليه مقام له فى المعرفة فهو حينئذ أفضل لان فيه الرضا المتفق على فضله وقال فى موضع آخر من كتابه ومن الناس من يقول ان الصبر أفضل من الشكر وليس يمكن بينهما تفضيل عند أهل التحصيل من قبل ان الشكر مقام الجلة من الموقنين والترجيح بين جماعة على جماعة لا يصح من قبل تفاوتهم فى اليقين والمشاهدات لان بعض الصابرين أفضل من بعض الشاكرين بفضل معرفته وحسن صبره وخصوص الشاكرين أفضل من عموم الصابرين لحسن يقينه وعلو شهادته ولكن تفصيل ذلك من طريق الاحوال والمقامات انا نقول والله أعلم ان الصبر عن النعيم أفضل لان فيه الزهد والخوف وهما أعلى المقامات وان الشكر على المكاره أفضل لان فيه البلاء والرضا وان الصبر على الشدائد والضراء أفضل من الشكر على النعم والسراء من قبل انه أشق على النفس وان الصبر مع حال الغنى والمقدرة ان يعصى بذلك أفضل من الشكر على النعم من قبل ان الصبر عن المعاصى بالنعم أفضل من الطاعة لمن جاهد نفسه فيها فاذا شكر على ما يصبر عليه فقد صار البلاء عنده نعمة وهذا أفضل لانها مشاهدة المقربين واذا صبر عما يشكر عليه من النعم كان أفضل لانها حال الزاهدين وفى الخبر نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يعنى الاقرب شبها بنا فالاقرب فرفع أهل البلاء اليه ووصف نفسه به وجعلهم الامثل فالامثل منه فمن كان به صلى الله عليه وسلم أمثل كان هو الافضل فقد كان صلى الله عليه وسلم شاكرا على شدة بلائه وكذلك الشاكر من الصابرين يكون أفضل لشكره على البلاء اذ هو الامثل والاقرب الى وصف الانبياء وكل مقام من مقامات اليقين يحتاج الى صبر والى شكر وأحدهما لا يتم الا بالآخر لان الصبر يحتاج الى شكر عليه ليكمل والشكر يحتاج الى صبر عليه ليستوجب المزيد وقد قرن الله تعالى بينهما ووصف المؤمنين بهما فقال ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور اهـ كلام صاحب القوت وربما أفرط بعض الصوفية وقال الفقير الشاكر أفضل من الغنى الشاكر (و) أما قولهم الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر فان (ذلك هو الغنى الذى يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقى يصرفه الى الخيرات أو يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسنح) أى تعرض (حتى يصرف ذلك) (اليها ثم اذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت) أى شهرة بين الناس (ولا لتقليد منة بل اداء لحق الله

ومهما لاحظت المعانى التى ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها فى بعض الاحوال فرب فقير صابر أفضل من غنى شاكر كما سبق ورب غنى شاكر أفضل من فقير صابر وذلك هو الغنى الذى يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقى يصرفه الى الخيرات أو يمسكه على اعتقاد انه خازن للمحتاجين والمساكين وانما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف اليها ثم اذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا لتقليد منة بل اداء لحق الله

تعالى فى تفقد عباده فهذا أفضل من الفقير الصابر) بهذا الاعتبار (فان قلت فهذا) الذى ذكرته (لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة) والملك (وذلك يستشعر ألم الصبر) على العدم (فان كان متألما لفراق المال فينجبر ذلك بلذته فى القدرة على الانفاق فاعلم ان الذى نراه ان من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكمل حالا ممن ينفقه وهو بخيل به وانما يقتطعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة) فليراجع هنالك (فايلام النفس ليس مطلوبا بالعينه بل لتأديبها) أى لتتأدب (وذلك يضاهى ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب أكمل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة فى البداية) أى فى ابتداء السلوك (ولا يحتاج اليهما فى النهاية بل النهاية أن يصير ما كان مؤلما فى حقه لذيذا عنده) وهو مقام الرضا وينشأ عن المحبة (كما يصير التعلم عند الصبى العاقل لذيذا وقد كان مؤلما له أولا ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلين فى) درجة (البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان) فى نقصهم (أطلق الجنيد) رحمه الله تعالى (القول بان الذى يؤلم صفته أفضل وهو كما قال صحيح فيما أراده من عموم الخلق فاذا اذا كنت لاتفصل الجواب وتطلقه لارادة الاكثر فاطلق القول بان الصبر أفضل من الشكر لانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام) واليه ذهب أكثر الصوفية قديما وحديثا ورأيت الكمال أبا بكر محمد بن اسحق الصوفى قد جنح فى كتابه مقاصد المنجيات الى تفضيل الشكر على الصبر وترجيحه عليه وكلامه فيه غريب فاحببت ان أورده بتمامه ولا أترك منه شيأ لتمام الفائدة اذ هو من وادى كلام المصنف فقال الفرع الثانى فى فضل الشكر على الصبر اختلاف العلماء فى ذلك بين المرجح لاحدهما والمسوى لهما ولا شك ان الصبر مقام محمود تعرف فضيلته بالشرع والتجربة ولكن قد تقرر ان المقامات منازل ولها ترتيب فى السلوك كالشرط والمشروط والوسيلة والمقصود ومن النوادر ان يصل السالك الى مقصود قبل الدخول فى وسيلته ولا شك ان الصبر منزل يضع التائب قدمه الاول فيه وقد قطع عقبات كثيرة فيصفو قلب السالك وتحلو له العبادة و ينكشف له الوجود فيرى نعم الله الدارة عليه ظاهرة و باطنة فيفرح بنعم الله و يسلك الطريق بحال الشكر بعد ان كان سالكا بحال الصبر ونفس السلوك لا يختلف وانما تختلف الاحوال الباعثة عليه والعمل الواحد لايحث عليه حالان شرعيان لان سوادين لا يكونان فى محل واحد فى زمن واحد احترازا بذلك عن وازع الطبع فانه يحث وازع الشرع فى زمان واحد نعم يكون أحدهما السالك والثانى فعلا لحقيقته وقوته واستيلائه وقد ترجح الشكر عندى بهذه المقدمة وبترجيحات سبعة هى معروضة عليك فنذكر أولا حقيقة التفاضل ثم نورد فيها ما وعدنا به حقيقة التفاضل بين الاشياء الفضيلة مأخوذة من الفضل وهو الزيادة فهما تشارك شيئان فى أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه ولا يصح التفاضل بين عملين من حيث ان أحدهما أشق على فاعله فقد قال صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون أعلاها لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق وليس مدر أس البئر من الطريق باسهل من قول لا اله الا الله وقد أثنى الله على أعمال الملائكة بعدم السآمة والملل والانقطاع وان تسبيحهم يجرى منا مجرى النفس وذلك غاية الملاذ ولا من حيث كثرة الثناء على أحدهما دون الآخر فقد شوقنا ربنا جل جلاله الى الجنة وما فيها أكثر مما شوقنا من النظر الى وجهه تعالى ولا قائل بان لذات الجنة أفضل من لذة النظر الى وجهه تعالى فعلى هذا تعرف ان حقيقة التفاضل وزن ذات الشيئين وصفاتهما بميزان البراهين فايهما رجح فهو الافضل مثال ذلك الشكر أرجح من الصبر بسبعة أسباب أحدها ان الله تعالى تسمى بهما جميعا فجاء فى الحديث الذى أخرجه الترمذى الصبور وجاء فى كتاب الله الشكور فكما قيل فى الصبور مضمن فى الشكور وزاد عليه بثنائه على نفسه وعلى عباده بكلامه القديم ولا يوجد مثل هذا فى اسمه الصبور الثانى النظر فى سببهما وسبب الصبر معرفة الآلاء وسبب الشكر معرفة ذى النعماء وشتان بين المعرفتين الثالث النظر فى حالهما فحال الصبر

تعالى فى تفقد عباده فهذا أفضل من الفقير الصابر فان قلت فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لان هذا يستشعر لذة القدرة وذاك يستشعر ألم الصبر فان كان متألما بفراق المال فينجبر ذلك بلذته فى القدرة على الانفاق فاعلم ان الذى نراه ان من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكمل حالا ممن ينفقه وهو بخيل به وانما يقتطعه عن نفسه قهرا وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فايلام النفس ليس مطلوبا بالعينه بل لتأديبها وذلك يضاهى ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب أكمل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج الى الايلام والمجاهدة فى البداية ولا يحتاج اليهما فى النهاية بل النهاية ان يصير ما كان مؤلما فى حقه لذيذا عنده كما يصير التعلم عند الصبى العاقل لذيذا وقد كان مؤلما له أولا ولكن لما كان الناس كلهم الا الاقلين فى البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان أطلق الجنيد القول بان الذى يؤلم صفته أفضل وهو كما قال صحيح فيما أراده من عموم الخلق فاذا اذا كنت لاتفصل الجواب وتطلقه لارادة الاكثر فاطلق القول بان الصبر أفضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام

فاذا أردت التحقيق ففصل فان للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية و وراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر و وراءه الشكر
على البلاء وهو وراء الرضا اذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح

به وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها ويدخل في جملتها أمور دونها فان حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر أيضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر اذ قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدى المنعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر وما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهى درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد فى الاخبار والآثار وقد روى

عن بعضهم انه قال رأيت فى بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن فى السن فسألته عن حاله فقال انى كنت في ابتداء عمرى أهوى ابنة عم لى وهى كذلك كانت تهوانى فاتفق انها زوجت منى فليلة زفافها قلت تعالى حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك

زيادة

استدعاء المكابدة والمجاهدة للغلبة وحال الشكر استدعاء الفرح برؤية المنة والخادم الفرح أفضل من المتكلف عند المخدوم الرابع النظر فى أعمالهما فعمل الصبر محنة وابتلاء وعمل الشكر نعمة مشكور عليها عند الشاكر وفرق بين من شهد التكاليف محنة وابتلاء فيصبر عليه أو بين من براها نعمة تشوقه الى جوار الله تعالى فيشكر عليها الخامس النظر فى علاجهما وعلاج الصبر رؤية الجزاء للظفر وعلاج الشكر رؤية المريد لطاعة المجيد السادس النظر فى استدامتهما فى السلوك فالشكر مستصحب للسالك فى كل مقام وحال والاحوال والمقامات لانهاية لها فالشكر على ذلك لانهاية له والصبر ينقطع عنه أول مقام من مقامات الرضا بالاجماع من مشايخ السلوك السابع النظر فى الاستدامة المطلقة اذ لو فرضنا ان الصبر دائم لكان الى الموت والشكر فى الآخرة من المؤمن والكافر قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وقال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده فهذا يعم المؤمن والكافر فهذه سبع ترجيحات كافية للمتأمل فهكذا ينبغى أن يكون الترجيح بين شيئين اذا رجح أحدهما على فى الارتقاء اليه والله أعلم انتهى كلامه (فاذا أردت التحقيق ففصل فان للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهة و وراءها الرضا) بعقدورالله تعالى (وهو مقام وراء الصبر و وراءه الشكر على البلاء وهو) مقام (وراء الرضا اذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها ويدخل فى جملتها أمور دونها) أى دون تلك الدرجات (فان) توفيقنا للحسنى وتيسيرنا لليسرى ثم صرف الكفر وأخلاق الكفرة وأعمالهم ثم تزيين الايمان وتحبيبه الينا وتكريه الفسوق والعصيان فضلا منه ومنة من جملة النعم بعد الايمان فشكر ذلك لا يقام به الا بما وهب وأنعم به من المعرفة بذلك والمعونة و (حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق) من العبد بل مضاف الى نعمه (شكر والعلم بان الشكر أيضا نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط) بالدعاء لهم وحسن الثناء عليهم بانهم ظروف للعطاء وأسباب المعطى تخلقا باخلاق المولى (شكر اذ قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله) رواه أحمد والترمذى من حديث أبى سعيد وابن جرير من حديث أبى هريرة والطبرانى من حديث جرير وقد تقدم فى كتاب الزكاة (وقد ذكرنا حقيقة ذلك فى كتاب أسرار الزكاة) فليرجع اليه (وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدى المنعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها) وتعظيم حقيرها (شكر) لان طائفة هلكت باستصغار الاشياء واستحقار وجود المنافع بها جهلا بحكمة الله تعالى) واستصغار النعمة وكان ذلك كفرا بالنعم (وما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهى درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل أحدها على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص فى اللفظ العام كما ورد فى الاخبار والآثار) على ما تقدم ذكرها (وقد روى) كذا فى النسخ والاولى حكى كما هو نص الرسالة (عن بعضهم انه قال رأيت فى بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن فى السن) كثيرا وعنده عجوز (فسألته عن حاله فقال انى كنت فى ابتداء عمرى أهوى) أى أحب (ابنة عم لى وهى كذلك تهوانى) أى تحبنى (فاتفق انها زوجت منى فليلة زفافها) وفى بعض نسخ الرسالة فلما زفت الى بالليل (قلت تعالى حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا) أى على اجتماعنا على وجه حلال (فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا الى صاحبه) لينال شهوته منه (فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك) مع

زيادة أى قال كل منا لصاحبه تعالى نحيي هذه الليلة شكرا لله تعالى على مامنّ علينا به من الاجتماع وما وفقناله من الشكر (فصلينا طول الليلة) ودمنا على ذلك (فمنذ سبعين أوثمانين سنة ونحن على تلك الحالة) وفى بعض نسخ الرسالة على تلك الصفة (كل ليلة) ثم قال هو لها (أليس) الامر (كذلك يافلانة) وسماها باسمها (قالت) له (العجوز هو كما يقول الشيخ) وهكذا يكون حال من عرف مقدار النعم ورغب فى توالبها عليه فيشكرها بالقلب والعقل واللسان هكذا أورد هذه القصة القشيرى فى الرسالة (فانظر اليهما لوصبرا على بلاء الفرقة ان لولم يجمع الله بينهما وانسب صبر الفرقة الى شكر الوصال على هذا الوجه) وفائدة ذكر العجوز والشيخ الاعلام بانهما داما على الاشتغال بالله من حالة الصبا الى تلك الحالة (فلا يخفى عليك ان هذا الشكر أفضل فاذا الوقوف على حقائق المفضلات الا بتفصيل كما سبق) وأما ترجيح بعض على بعض على الاطلاق من غير اطلاع على حقائق المفضلات فلا تحقق فيه لان من اطلع على مقاصد الشريعة ووسائلها عرف الفاضل والافضل من نفس الحقائق واطلع على حكمة الشرع فى ذلك (والله تعالى أعلم) وبه تم كتاب الصبر والشكر والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد أفضل المخلوقات وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى مابعد يوم الممات قال مؤلفه وكان الفراغ من تحريرذلك فى الثالثة من ليلة الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة ١٢٠٠ وكتبه مؤلفه المذكور استاذنا أبو الفيض سيدى محمد مرتضى الحسينى غفر الله له بمنه وكرمه حامدا الله ومصليا ومستغفرا

(بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر)

الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر * والرجاء بالخوف والخوف بالرجاء والذكر * أحمده على آلائه كما أحمده على بلائه * وأستعينه على هذه النفوس البطاء عما أمرت به * السراع الى مانهيت عنه * واستغفره مما أحاط به علمه وأحصاه كتابه * علم غير قاصر وكتاب غير مغادر * وأومن به ايمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود * ايمانا نفى اخلاصه الشرك * ويقينه الشك * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل * لا يخف ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان منه * وعلى آله الاطهار * وصحابته الأئمة الابرار * وعلى من تبعهم باحسان * الى مابعد يوم القرار * أما بعد فهذا شرح *(كتاب الرجاء والخوف)* وهو الثالث من الربع الرابع والثالث والثلاثون من كتب الاحياء للامام الهمام حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى أفاض الله علينا من لطائف علومه وأذاقنا حلاوة فهومه وأجزل قراه وجعل جنة الفردوس مأواه جلوت فيه عن عرائس حقائقه المخدره ونفائس رقائقه المضنونة المستره وسلكت فيه منهاج الايضاح لعباراته والافصاح عن مرمى اشاراته ممتطيا عزائم الاعتقاد والانتصاف متجنبا عن التطويل والاعتساف راجيا من المولى الكريم الاعانة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق انه لا رب غيره ولا خير الا خيره الكافى الكفيل وهو حسبى ونعم الوكيل قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) رجاء كل خائف من العذاب الاليم (الحمد لله المرجو لطفه) أى رفقه ورأفته (وثوابه) أى جزاؤه ويستعمل فى الشر والخير لكن المتعارف فى الخير واستعماله فى الشر استعارة كاستعارة البشارة فيه (المخوف مكره) وهو ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الادب (وعقابه) وهو الايلام الذى يتعقب به جرم سابق وفى المرجو والمخوف براعة الاستهلال وبين الثواب والعقاب حسن المقابلة (الذى عمر قلوب أوليائه بروح رجائه) الروح بالفتح ماتلذبه النفس أصله من الريح (حتى ساقهم بلطائف آلائه الى النزول) أى الاستقرار (بفنائه) أى ساحة حضرته وهى جنة القرب (والعدول) أى الصرف (عن دار بلائه) أى امتحانه (التى هى مستقر أعدائه) وهى نار البعد وبين الاولياء والاعداء حسن المقابلة (وصرف بسياط التخويف وزجره العنيف) أى الشديد (وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته)

فصلينا طول الليل فمنذ سبعين أوثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة أليس كذلك يافلانة قالت العجوز هو كما يقول الشيخ فانظر اليهما لوصبرا على بلاء الفرقة أن لولم يجمع الله بينهما وانسب صبر الفرقة الى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك أن هذا الشكر أفضل فاذا الوقوف على حقائق المفضلات الا بتفصيل كما سبق والله أعلم

(كتاب الخوف والرجاء وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه الذى عمر قلوب أوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه الى النزول بفنائه والعدول عن دار بلائه التى هى مستقر أعدائه وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته

وصدهم عن التعرض لائمته والتهدف لسخطه ونقمته قود الاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق واللطف الى

وهي الجنة فانها تسمى دار الثواب ودار الكرامة (وصدهم) أي منعهم (عن التعرض لائمته) وهي الملامة اسم من اللوم (والتهدف) وهو التعرض للهدف (لسخطه ونقمته) أي غضبه وانتقامه (قودا) أي جذبا (لاصناف الخلق) على تباينهم وكثرتهم (بسلاسل القهر والعنف) تارة (وازمة الرفق واللطف) أخرى (الى جنته) والازمة جمع زمام وهو ما يقاد به وفيه ايماء الى الخبر الوارد عجب ربنا من قوم يقادون بالسلاسل الى الجنة وقد تقدم (والصلاة) والسلام (على) سيدنا (محمد سيد أنبيائه وخير خليقته) أي مخلوقاته (وعلى آله وأصحابه وعترته) العترة نسل الانسان وقيل أقارب الرجل الادنون (أما بعد فان الرجاء والخوف جناحان) أي بمنزلتهما للطائر (بهما يطير المقربون) الى الحضرة الذين تم سلوكهم (الى كل مقام محمود) وفيه اشارة الى انهما حالان وقد يكون المقام حالا وبالعكس كما سيأتي ونقل القشيري عن أبي علي الروذباري قال الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر اذا استويا استوى الطير وتم طيرانه واذا نقص أحدهما وقع فيه النقص واذا ذهب صار الطائر في حد الموت وفي قوله مقام محمود اشارة لما سيأتي له ان الرجاء مقام محمود كما أن ضده مذموم (ومطيتان) أي بمنزلتهما والمطية ما يمتطى ظهرها أي يركب (بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة) وهي الثنية بين الجبلين (كؤد) أي صعبة المرتقى والمنحدر (فلا يقود) أي لا يسوق (الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء) أي الاطراف (ثقيل الاعباء) أي الاحمال (محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والاعضاء الأزمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات الاسياط التخويف وسطوات التعنيف) وفي الفقرتين تلميح الى حديث حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (فلابد اذا من بيان حقائقهما) أي الرجاء والخوف (وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما) وليس المراد بالتضاد هنا انهما مما يستحيل اجتماعهما في موضع واحد وانما يتعاقبان كالسواد والبياض فسيأتي للمصنف قريبا ان الخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له وانما المراد به هنا معنى التعاند والتصاعب والا لما أمكن الجمع بينهما (ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد) اذ لابد للمؤمن من اجتماعهما وعدم انفكاك أحدهما وهذا بخلاف غير المصنف كالقشيري وصاحب القوت فانهما ذكرا كل واحد منهما في باب مستقل (يشتمل) ذلك الكتاب (على شطرين الشطر الاول في الرجاء) وانما قدمه ايماء الى ان الوصول به أرجى للسالك كما لا يخفى (والشطر الثاني في الخوف أما الشطر الاول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي يجتلب به الرجاء) وانما قدم القشيري باب الخوف على باب الرجاء وتبعه صاحب عين العلم لان الخوف حال أهل الابتداء بخلاف الرجاء فانه حال أهل الانتهاء ولكل وجهة

(بيان حقيقة الرجاء)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الرجاء) بالمد لغة الامل وهو (من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين) وهو المقام الرابع من مقامات اليقين والسالك والطالب واحد الا انه خص السالك بطالب طريق الحق فالطالب أعم وهو واجب لانه من عقود الايمان بكمال الله تعالى ثم اعلم ان هذا العلم الذي نحن بصدده يترتب على قواعد شتى لو وضعها المصنف في موضع واحد لاختل نظام الترتيب وعسر البناء عليها عند الحاجة اليها فاختار ان يضع في كل كتاب قاعدة مناسبة له ويبني عليها أمثاله فقد أشار الى القاعدة المناسبة لهذا الباب ولما يأتي بعده من الاحوال في انقسام أحوال القلوب بقوله (وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت وأقام) كأنه أشار به الى وجه تسميته أي يسمى المقام مقاما لثبوته واستقراره (وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال) أي يسمى الحال حالا لتحوله وسرعة زواله (كما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب) هذا أصل لونه الذي لا يتغير عنه وقد يحمر لعارض فيثبت فيه (والى سريعة الزوال كصفرة الوجل) فان

جنته والصلاة على محمد سيد أنبيائه وخير خليقته وعلى آله وأصحابه وعترته (أما بعد) فان الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤد فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء ثقيل الاعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والاعضاء الأزمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات الاسياط التخويف وسطوات التعنيف فلابد اذا من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على شطرين الشطر الاول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف (أما الشطر الاول) فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي يجتلب به الرجاء *(بيان حقيقة الرجاء)* اعلم ان الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت وأقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما أن الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريعة الزوال كصفرة الوجل

والى ماهو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذى هو غير (١٦٥) ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب

وهذا جار فى كل وصف من أوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء أيضا يتم من حال وعلم وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضى العمل وكان الرجاء اسم للحال من جملة الثلاثة وبيانه أن كل مايلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود فى الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر فى الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمى ذكرا وتذكرا وان كان ماخطر بقلبك موجودا فى الحال سمى وجدا وذوقا وادراكا وانما سمى وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شئ فى الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمى انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه ألم فى القلب سمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة فى القلب وارتياح سمى ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ماهو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لابد وأن يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحق عليه أصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمنى أصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب

الانسان اذا عراه خوف يصفر لونه فاذا زال الخوف رجع الى لونه (والى ماهو بينهما كصفرة المريض) فتارة تثبت وتارة تزول (فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذى هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب) واختلفت اشارات الشيوخ فى الحال والمقام ووجود الاشتباه فيهما لمكان تشابههما فى أنفسهما وتداخلهما فتراءى للبعض الشئ حالا وتراءى للبعض مقاما وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخلهما وأحسن مايفرق به بينهما ما أشار اليه المصنف على ان اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق وقد يكون الشئ بعينه حالا ثم يصير مقاما والعبد بالاحوال يرتقى الى المقامات (وهذا جار فى كل وصف من أوصاف القلب) فما يعرف وصف من أوصافه الا وفيه حال ومقام (وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء أيضا يتم من حال وعلم وعمل) فانه مامن مقام الا وهو ينتظم من هؤلاء الثلاثة والعمل ميراث الحال والحال ميراث العلم (فالعلم سبب يثمر الحال) أى بمنزلة شجرة والحال ثمرتها (والحال يقتضى العمل) فانه بمنزلة الغصن (وكان الرجاء اسم للحال من جملة الثلاثة) المذكورة (وبيانه ان كل مايلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود فى الحال والى موجود فيما مضى) من الزمان (والى منتظر فى الاستقبال) أى فيما سيأتى (فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمى ذكرا وتذكرا) وندما وأسفا فالذكر وجود الشئ فى القلب أو اللسان وذلك لان الشئ له أربع درجات وجوده فى ذاته ووجوده فى قلب الانسان ووجوده فى لفظه ووجوده فى كتابته فوجوده فى ذاته هو سبب لوجوده فى قلب الانسان ووجوده فى قلبه هو سبب لوجوده فى لسانه ووجوده فى كتابته ويقال للوجودين الاولين الذكر وأما التذكر فهو محاولة القوة العقلية لاسترجاع مافات بالنسيان (وان كان ماخطر بقلبك موجودا فى الحال سمى وجدا وذوقا وادراكا) وفرحا وسرورا (وانما سمى وجدا لانها حالة تجدها من نفسك) وانما سمى ذوقا على التشبيه بالذوق الذى هو تناول الشئ بالفم لادراك الطعم وانما سمى ادراكا لانه أحاط عليه علما بكماله (وان كان قد خطر ببالك وجود شئ فى الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمى انتظارا له أو توقعا) فالانتظار هو الثبات لتوقع مايكون فى الحال والتوقع تفعل من الوقوع بمعنى الحصول أى تكلف حصول الشئ فى يده (فان كان المنتظر مكروها حصل منه ألم فى القلب سمى خوفا واشفاقا) وحزنا وقبضا وغما وكمدا وقد اختلفت عباراتهم فى الخوف فقيل هو توقع مكروه أو فوت محبوب وقيل هو حذر النفس من أمور ظاهرها تضره وقيل توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة وأما الاشفاق فعناية مختلطة بخوف لان المشفق يحب المشفق عليه ويخاف مايلحقه فاذا عدى بمن فمعنى الخوف فيه أظهر أو بعن فمعنى العناية فيه أظهر (وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة فى القلب وارتياح سمى ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ماهو محبوب عنده) عن امارة مظنونة أو معلومة هذا هو معناه العرفى وقال بعضهم هو ظن يقتضى حصول مافيه مسرة وقيل هو ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما وقيل تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلا وقال القشيرى فى الرسالة هو تعليق القلب بمحبوب سيحصل فى المستقبل وكما ان الخوف يقع فى مستقبل الزمان فكذلك الرجاء يحصل لما تؤمل فى الاستقبال (ولكن ذلك المحبوب المتوقع لابد وان يكون له سبب) ما تقدمه (فان كان انتظاره لاجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحق عليه أصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمنى أصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب) وطلب لما لا طمع فى وقوعه كليت الشباب يعود وقال القشيرى والفرق بين الرجاء والتمنى ان التمنى يصاحبه الكسل ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعكسه صاحب

وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد فيه أما ما يقطع به فلا اذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر وأخاف انقطاعه وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو

بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضا طيبة وألقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه في أوقاته ثم نقى الشوك عن الارض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة الى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلا ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر في أرض طيبة لكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع أيضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الايمان في اتمام أسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور وقال صلى الله عليه وسلم الاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا

الرجاء (وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد فيه) ويكون التوقع عن امارة اما مظنونة أو معلومة (أما ما يقطع به فلا اذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك) أي طلوعها وغروبها في وقتهما (مقطوع به نعم يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه) فان نزوله وانقطاعه ليس لهما وقت معين يقطع به (وقد علم أرباب القلوب) ممن نور الله بصيرته (ان الدنيا مزرعة للآخرة) كما ورد ذلك في الخبر (والقلب كالارض) في قبوله لما يرد عليه (والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها فالقلب المستهتر بالدنيا) أي المولع بها (المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر) أي لا يزيد ولا ينمو (ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد الا ما زرع) فان من زرع حصد (ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه في أوقاته) وهو في مبدأ نشأته (ثم نقى الارض من الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده) بعد النبات بان يصفر أوراقه ويضعف قوته (ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق) من الرياح المحرقة (والآفات المفسدة) من الدود والجليد وغيرهما (الى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في أرض صلبة) لا تنبت أو (سبخة) أو (مرتفعة لا ينصب اليها الماء و) هو مع ذلك (لم يشتغل بتعهد البذر أصلا ثم انتظر الحصاد سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر في أرض طيبة ولكن لا ماء لها ولكن ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع أيضا) كالاراضي المصرية (سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات) والموانع (فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة) المفضية الى المغفرة والرحمة الكاملة الشاملة (كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام أسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات وترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة) وعلو الدرجات (فانتظاره حمق وغرور) في الحالات (قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت و) (الاحمق) وفي لفظ العاجز (من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله) رواه أحمد والترمذي وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس والحاكم من حديث شداد ابن أوس وقد تقدم (وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) هو اسم واد في جهنم (وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى

الادنى و يقولون سيغفر لنا * وذم الله تعالى صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذا العبد المجتهد فى الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة وأما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة وأما قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه و يلومها و يشتهي التوبة و يشتاق اليها (١٦٧) فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب ولذلك قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم أيضا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فاما من ينهمك فيما يكره الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر فى أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهده بسقي ولا تنقية * قال يحيى بن معاذ من أعظم الاغترار عندي التمادي فى الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله عز وجل مع الافراط

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجري على اليبس

فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت انه حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الارض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها أصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التعهد فمن عرف أن الارض سبخة وأن الماء معوز وان البذر لا ينبت فيترك لامحالة تفقد الارض والتعب فى تعهدها والرجاء محمود لانه باعث واليأس

الادنى و يقولون سيغفر لنا وذم الله تعالى صاحب البستان) بفلسطين واسمه أبو فطرس (اذ دخل جنته وقال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا) فكل ذلك يدل على ان انتظار المغفرة والدرجات العالية مع الانهماك فى الشهوات النفسية حمق وغرور وعجز ثم أشار المصنف الى مظان الحاجة الى استعمال الرجاء وان لاستعماله مواطن بقوله (فاذا العبد المجتهد فى الطاعات المجتنب للمعاصي) الا الصغائر التي لا يخلو من مثلها البشر غير الانبياء (حقيق بان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة) كما فى الخبر الآتي قريبا هذا هو الموطن الاول (وأما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة) وهذا هو الموطن الثاني (وأما قبول التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه و يلومها فيشتهي التوبة و يشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله التوفيق للتوبة لان كراهية المعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب) المغلب لجانب الرجاء (الذي قد يفضي الى التوبة) وهذا هو الموطن الثالث (وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب) وتعهدها بتمامها (ولذلك قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا) أي السيئات واللذات (وجاهدوا فى سبيل الله) أي بتكثير الطاعات (أولئك يرجون رحمة الله معناه أولئك يستحقون أن يرجوا) رحمة ربهم (وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم أيضا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء) مشيرا البعد منزلتهم بلفظ أولئك (فاما من ينهمك فيما يكره الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع) اليه (فرجاؤه المغفرة حمق) وغرور كما قيل الغرة بالله أن يعمل الرجل بمعصية الله و يتمنى مغفرته ورجاءه (كرجاء من بث البذر فى أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهده بسقي ولا تنقية) واصلاح (قال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (من أعظم الاغترار عندي التمادي فى الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله عز وجل مع الافراط فى أمل وأنشد)

ما بال دينك ترضى أن تدنسه * وثوبك الدهر مغسول من الدنس

(ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجري على اليبس

فاذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت انه حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الارض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها فلا يفتر عن تعهدها أصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وأن الماء معوز) أي قليل الوجود (وأن البذر لا ينبت فيترك لامحالة تفقد الارض والتعب فى تعهدها والرجاء محمود) مقامه (لانه باعث) على العمل حاث عليه كالخوف (واليأس)

مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل والخوف ليس بضد للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما ان
الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذا حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الاحوال

ومن آثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فان هذه الاحوال لابد وان تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك أو شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل ويدل على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله واذا قدرت على شئ منه سارعت اليه وأيقنت بثوابه واذا فاتني منه شئ حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك للاخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي أوديتها هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير فمن ارتجى أن يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه) اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لان أقرب العباد الى الله تعالى بالله
أحبهم له والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن

الذي هو ضده (مذموم وهو ضده لانه صارف عن العمل) ولفظ القشيري فالرجاء محمود والتمني معلول (والخوف ليس بضد للرجاء) كما يتبادر الى الاذهان (بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو) أي الخوف باعث آخر بطريق آخر بطريق الرهبة كما ان الرجاء (باعث بطريق الرغبة) لان السبب الموجب للخوف هو بعينه سبب الرجاء لان الصفات القديمة تعلقت بكل موجود في الوجود ومتعلقاتها لا تنقضي سرمدا فهي التي يصدر عنها كل ما ساء وسر ونفع وضر فقد قهر وجبر واعطى ومنع كل ذلك على أتم أنواع الكمال فمن عرف ذلك من صفاته تعالى خافه ورجاه وهذا هو الرجاء لذاته الذي لا يتوقع بحسنة ولا يندفع بسيئة انما ينشأ من فضل الله الذي هو فضله لمن اختصه في أزله من عباده كما ان الخوف ينشأ عن عدل الله الذي هو عدله لمن أبعده عن حضرته في أزله وينتفع بهذا الرجاء من أخرجه خوف الذنوب والعيوب الى اليأس والقنوط وينتفع بالخوف الذي يراد لذاته من أخرجه رؤية كثرة الاعمال الى الادلال والامن والاغترار (فاذا حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الاحوال) ولاستعماله مواطن ثلاثة قد أشار اليها المصنف قريبا (و) أما علاماته فهي ما تصدر (من آثاره) من (التلذذ بدوام الاقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له) عند الدعاء والسؤال ولذلك ألحق الحليمي رحمه الله تعالى الدعاء بالرجاء وذكر له أركانا وآدابا وقد تقدم بيان ذلك تفصيلا في كتاب الدعوات فليراجع من هناك (فان هذه الاحوال لابد وان تظهر في كل من يرجو ملكا من الملوك أو شخصا من الاشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فان كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني) فليستأنف التوبة والاقبال على العمل بالجد والاجتهاد حتى تظهر عليه تلك الاحوال (فهذا هو البيان) المفصح (لحال الرجاء ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل ويدل على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد الخيل) بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي رضي الله عنه (اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله واذا قدرت على شئ منه سارعت اليه وأيقنت بثوابه واذا فاتني منه شئ حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك للاخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي أوديتها هلكت) قال العراقي رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وفيه انه قال له أنت زيد الخير وكذا قال ابن أبي حاتم سماه النبي صلى الله عليه وسلم الخير سمعت أبي يقول ذلك اهـ قلت ورواه ابن شاهين من طريق سنين مولى بني هاشم عن الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل راكب حتى أناخ فقال يا رسول الله اني أتيتك من مسيرة تسع أسألك عن خصلتين فقال ما اسمك قال أنا زيد الخيل قال بل أنت زيد الخير سل قال أسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فذكر الحديث بطوله وأخرجه ابن عدي في ترجمة سنين وضعفه (فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أريد به الخير فمن ارتجى أن يكون مرادا بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور) في وادي الملامات وبالله التوفيق

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لان أقرب العباد الى الله أحبهم) أي أكثرهم حبا (له) وانسابه (والحب يغلب بالرجاء) لا بالخوف ويحتمل أن يكون هذا وجه تقديم الرجاء على الخوف في الذكر (واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه فالراجي ثوابه أكثر حبا له من الخائف من عقابه) وهو اعتبار صحيح (ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن)

بالله تعالى (رغائب) أي مرغبات (لاسيما في وقت الموت) سواء عرف نفسه بالاساءة أم لا وقال القشيري ومن عرف نفسه بالاساءة فينبغي أن يكون خوفه غالبا على رجائه انتهى وهذا غير مقيد وقت الموت وفي القوت ولولا ان الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ماطلبه العلماء في آخر الاوقات عند فراق العمر ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله حسن الخاتمة لطول الحياة وكذلك قيل ان الخوف أفضل مادام حيا فاذا حضر الموت فالرجاء أفضل (قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله) ان الله يغفر الذنوب جميعا (فحرم أصل اليأس) الذي هو ضد الرجاء والقنوط بمعناه قال تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون (وفي اخبار يعقوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف هذه المدة قال لا قال لانك قلت) لاخوته (أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت الذئب) عليه (ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له) نقله صاحب القوت زاد في رواية عن الله تعالى انه أوحى اليه من سبق عنايتي بك ان جعلت نفسي عندك أرحم الراحمين فرجوتني ولولا ذلك لكنت أجعل نفسي عندك أبخل الباخلين (وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله) قال العراقي رواه مسلم من حديث جابر اه قلت ورواه كذلك الطيالسي وأحمد وعبد ابن حميد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وروى ابن جميع في معجمه والخطيب وابن عساكر من حديث أنس لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله تعالى فان حسن الظن بالله ثمن الجنة قال الذهبي فيه أبو نواس الشاعر فسقه ظاهر فليس باهل أن يروى عنه (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء) قال العراقي رواه ابن حبان من حديث واثلة بن الاسقع وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة دون قوله فليظن بي ماشاء اه قلت وبمثل رواية الصحيحين رواه الطبراني عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وحديث واثلة رواه أيضا ابن أبي الدنيا والحكيم وابن عدي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي وتمام ولفظهم قال الله عز وجل والباقي سواء وفي رواية للطبراني في الاوسط وأبي نعيم في الحلية وابن عساكر ان الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدي بي ان خيرا فخير وان شرا فشر ورواه كذلك الشيرازي في الالقاب من حديث أنس وروى أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة قال الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي ان ظن خيرا فله وان ظن شرا فله ورواية الصحيحين من حديث أبي هريرة يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي الحديث وفي رواية لمسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني والله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة الحديث (ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع) أي حالة نزوع الروح منه (فقال كيف تجدك فقال أجدني أخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أنس وقال النووي اسناده جيد اه قلت وروى البيهقي من مرسل سعيد بن المسيب رفعه ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن الا أعطاه الله الرجاء وآمنه الخوف (وقال علي رضي الله عنه لرجل أخرجه الخوف الى القنوط ياهذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك) كذا في القوت ورواه الشريف الموسوي في نهج البلاغة قال صاحب القوت صدق رضي الله عنه لان اليأس من روح الله الذي يستريح اليه المكروب من الذنوب والقنوط من رحمة الله التي يرجوها بالغيوب أعظم من ذنوبه وهو أشد من جميع عيوبه لانه قطع بهواه على صفات الله المرجوة وحكم على كرم الله بصفاته المذمومة وكان ذلك من أكبر الكبائر وان كانت ذنوبه كبائر (وقال سفيان) الثوري رحمه الله تعالى (من أذنب ذنبا فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه قال) سفيان (لان الله عز وجل عير) أي عاب (قوما فقال) تعالى (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) فاصبحتم من

رغائب لاسيما في وقت الموت قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله فحرم أصل اليأس وفي أخبار يعقوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف قال لا قال لانك قلت أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في النزع فقال كيف تجدك فقال أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف وقال علي رضي الله عنه لرجل أخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه ياهذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك وقال سفيان من أذنب ذنبا فعلم ان الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه قال لان الله عز وجل عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم

الخاسرين (وقال تعالى) في مثله (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) أى هالكين ففي دليل خطابه ان من ظن ظنا حسنا كان من أهل النجاة هكذا أورده صاحب القوت ثم قال وقد جاء في الاثر من أذنب ذنبا فاحزنه ذلك غفرله ذنبه وان لم يستغفر قلت وقول سفيان المذكور سيأتى معناه في أحاديث الرجاء قريبا (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فان لقنه الله حجته قال رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرت لك) قال العراقى رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدرى باسناد جيد وقد تقدم في كتاب الامر بالمعروف (وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس) أى يعاملهم بالدين (فيسامح الغنى ويتجاوز عن المعسر فلقى الله) تعالى (ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه ان يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات) قال العراقى رواه مسلم من حديث أبي مسعود حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شئ الا انه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه ان يتجاوزوا عن المعسر فقال قال الله عز وجل نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه واتفقا عليه من حديث حذيفة وأبي هريرة بنحوه اهـ قلت حديث أبي مسعود رواه كذلك أحمد والبخارى في الادب المفرد والترمذى وقال حسن صحيح والطبرانى والحاكم والبيهقى وأبو مسعود راويه هو عقبة بن عمرو البدوى الصحابى رضى الله عنه ورواه أحمد والشيخان وابن ماجه من حديث حذيفة وأبي مسعود معا ان رجلا ممن كان قبلكم أتاه ملك الموت ليقبض نفسه فقال له هل عملت من خير قال ما أعلم قال له انظر قال ما أعلم شيأ غير انى كنت أبايع الناس وأجازفهم فانظر المعسر وأتجاوز عن الموسر فادخله الله الجنة وروى البزار وابن حبان والحاكم وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة ان رجلا لم يعمل خيرا قط وكان يداين الناس فيقول لرسوله خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله ان يتجاوز عنا فلما هلك قال الله عز وجل هل عملت خيرا قط قال لا الا انه كان لى غلام وكنت أداين الناس فاذا بعثته يتقاضى قلت له خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا قال الله تعالى قد تجاوزت عنك وفي رواية لاحمد والبخارى ومسلم والنسائى وابن حبان كان رجل تاجر يداين الناس فكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فلقى الله فتجاوز عنه (ولما قال) لهم (صلى الله عليه وسلم) يعظهم (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون) أى تضربون (صدوركم وتجأرون) أى تتضرعون (الى ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال ان ربك يقول لم تقنط عبادى) قال (فخرج عليهم) رسول الله صلى الله عليه وسلم (فرجاهم وشوقهم) هكذا هو في سياق القوت ولفظ القشيرى في الرسالة وفي بعض التفاسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أصحابه من باب بنى شيبة فرآهم يضحكون فقال تضحكون لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم مر ورجع القهقرى وقال نزل على جبريل وأتى بقوله نبئ عبادى انى أنا الغفور الرحيم اهـ وقال العراقى رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديث أنس ورواه بزيادة ولخرجتم الى الصعدات أحمد والحاكم وقد تقدم اهـ قلت أما المتفق عليه من حديث أنس الى قوله كثيرا رواه أيضا أحمد والدارمى والنسائى والترمذى وابن ماجه وابن حبان ورواه أيضا أحمد والبخارى والترمذى من حديث أبي هريرة ورواه ابن عساكر والطبرانى من حديث سمرة ورواه ابن عساكر أيضا من حديث أبي الدرداء ورواه بزيادة ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تنجون أولا تنجون الطبرانى والحاكم والبيهقى من حديث أبي الدرداء ورواه بزيادة ولما ساغ لكم الطعام والشراب بعد قوله كثيرا الحاكم من حديث أبي ذر وروى الحاكم من حديث أبي هريرة لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا يظهر النفاق وترتفع الامانة الحديث وروى أبو نعيم في الحلية من طريق حزام بن حكيم قال قال أبو الدرداء لو تعلمون ما أنتم راؤن بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا على شهوة ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه ولخرجتم الى الصعدات تضربون صدوركم

وتبكون

وقال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رأيت المنكر أن تنكره فان لقنه الله حجته قال رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرته لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس فيسامح الغنى ويتجاوز عن المعسر فلقى الله ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات وقال تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون الى ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال ان ربك يقول لك لم تقنط عبادى فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم

وفي الخبر ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام أحبني وأحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يارب كيف أحببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لايعرفون مني الا الجميل وروى أبان بن أبي عياش في النوم وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء فقال أوقفني الله تعالى بين يديه فقال ماالذي حملك على ذلك فعلت أردت ان أحببك الى خلقك فقال قد غفرت لك وروي يحيى بن أكثم بعد موته في النوم فقيل له مافعل الله بك فقال أوقفني الله بين يديه وقال ياشيخ السوء فعلت وفعلت قال فأخذني من الرعب مايعلم الله ثم قلت يارب ماهكذا احدثت عنك فقال وماحدثت عني فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام انك قلت أناعند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء وكنت أظنك أن لاتعذبني فقال الله عزوجل صدق جبريل وصدق نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فالبست ومشي بين يدي الولدان الى الجنة فقلت ياهامن فرحة وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم قال فيقول له الله تعالى يوم القيامة اليوم أؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي ياحنان يامنان فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فائتني بعبدي قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى له كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان قال فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي

وتبكون على أنفسكم (وفي الخبر ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام) ياداود (أحبني وأحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يارب) هذا أحبك وأحب من يحبك و(كيف أحببك الى خلقك قال أذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لايعرفون مني الا الجميل) هكذا هو في القوت الا انه قال أوحى الله الى داود وغيره من الانبياء ثم ساقه ولم يقل وفي الخبر ولذلك قال العراقي لم أجدله أصلا وكأنه من الاسرائيليات (وروى أبان بن أبي عياش) البصري أبو اسمعيل العبدي واسم أبيه فيروز روى له أبوداود مات في حدود الاربعين (في النوم) بعد موته (وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء) والرخص فقال له الرائي مافعل الله بك (فقال أوقفني الله تعالى بين يديه فقال ماالذي حملك على ذلك) أي على أن حدثت عني بما حدثت به من الرخص قال (فقلت يارب أحببت ان أحببك الى خلقك فقال قد غفرت لك) هكذا أورده صاحب القوت (وروى) القاضي (يحيى بن أكثم) بن محمد بن قطان التميمي المروزي أبو محمد فقيه صدوق روى له الترمذي وكان يرى الرواية بالاجازة والوجادة ولذلك كثر فيه الكلام مات عن ثلاث وثمانين سنة في أواخر سنة اثنتين وأربعين ومائة (بعد موته في النوم فقيل له مافعل الله بك فقال أوقفني بين يديه وقال ياشيخ السوء فعلت وفعلت قال فأخذني من الرعب) والفزع (مايعلم الله ثم قلت يارب ماهكذا احدثت عنك فقال وماحدثت عني فقلت حدثني عبد الرزاق) بن همام بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصغاني ثقة حافظ مصنف شهير عمي في آخر عمره مات سنة احدى عشرة ومائة عن خمس وثمانين سنة روى له الجماعة (عن معمر) ابن راشد الازدي مولاهم بن عروة البصري نزيل اليمن ثقة ثبت فاضل مات سنة أربع وخمسين عن ثمان وخمسين سنة روى له الجماعة (عن الزهري) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب المدني الفقيه الثبت المشهور (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (عن نبيك صلى الله عليه وسلم انك قلت) تباركت وتعاليت (أناعند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء و) قد (كنت أظن بك ان لاتعذبني فقال عزوجل صدق نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت أنت قال فالبست) أي من خلع الجنة (ومشي بين يدي الولدان الى الجنة فقلت ياهامن فرحة) هكذا أورده صاحب القوت وحديث أنا عند ظن عبدي بي تقدم ذكره قريبا من رواية واثلة بن الاسقع عند ابن حبان بهذا السياق وليس هو من حديث أنس وأورده القشيري من وجه آخر فقال سمعت أبا الحسن عبد الرحمن بن ابراهيم بن محمد المزكي قال حدثنا أبوزكريا يحيى بن محمد الاديب قال حدثنا الفضل بن صدقة حدثنا أبو عبد الله الحسن ابن عبد الله بن سعيد قال كان يحيى بن أكثم القاضي صديقا لي وكان يودني وأوده فمات يحيى فكنت أشتهي ان أراه في المنام فاقول له مافعل الله بك فرأيته ليلة في المنام فقلت له مافعل الله بك قال غفر لي الا انه وبخني ثم قال لي يايحيى خلطت علي في دار الدنيا فقلت يارب اتكلت على حديث حدثني به أبو معاوية الضرير عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك قلت اني لاستحيي ان أعذب ذا شيبة بالنار فقال قد عفوت عنك يايحيى وصدق نبيي الا انك خلطت علي في دار الدنيا (وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس) من رحمة الله تعالى (ويشدد عليهم) بالانذار والتخويف (قال فيقول الله تعالى له يوم القيامة اليوم أؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها) كذا في القوت وقال العراقي رواه البيهقي في الشعب عن زيد بن أسلم فذكره مقطوعا (وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي ياحنان يامنان فيقول الله تعالى لجبريل) عليه السلام (اذهب فأتني بعبدي قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى له كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي

ويلتفت الى وراءه فيقول الله عزوجل الى أى شئ تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعيدنى اليها بعد اذ أخرجتنى منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله والبيهقى فى الشعب وضعفه من حديث أنس اه قلت وروى أحمد من حديث عبادة بن الصامت وفضالة بن عبيد معا اذا كان يوم القيامة وفرغ الله تعالى من قضاء الخلق فيبقى رجلان فيؤمر بهما الى النار فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تعالى ردوه فيردونه فيقول له لم التفت فيقول كنت أرجو ان تدخلنى الجنة فيؤمر به الى الجنة فيقول لقد أعطانى الله عزوجل حتى لو أطعمت أهل الجنة ما نقص ما عندى شيأ وأما لفظ حديث أنس عند البيهقى ان عبدا فى جهنم ينادى ألف سنة ياحنان يامنان فيقول الله لجبريل اذهب ائتنى بعبدى هذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار مكبين يبكون فيرجع الى ربه عزوجل فيخبره فيقول ائتنى به فانه فى مكان كذا وكذا فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول له ياعبدى كيف وجدت مكانك ومقيلك فيقول يارب شر مكان وشر مقيل فيقول ردوا عبدى فيقول يارب ما كنت أرجو اذ أخرجتنى منها أن تعيدنى فيها فيقول دعوا عبدى وقد رواه كذلك أحمد وابن خزيمة (فدل هذا على ان رجاءه كان سبب نجاته) من النار ولفظ القوت وروينا فى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يخرج من النار فيوقف بين يدى الله عزوجل فيقول له كيف وجدت مكانك الحديث ثم قال فقد صار الرجاء طريقه الى الجنة كما كان الخوف طريق صاحبه فى الدنيا الى النار وروينا ان الآخر سعى مبادرا الى النار لما قال ردوه فقيل له فى ذلك فقال لقد ذقت من وبال معصيتك فى الدنيا ما خفت من عذابك فى الآخرة وقال خفت ان أعصيه فى الآخرة كما عصيته فى الدنيا فقال اذهبوا به الى الجنة نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

(بيان دواء الرجاء والسبيل الذى يحصل منه حال الرجاء ويغلب)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان هذا الدواء يحتاج اليه أحد رجلين اما رجل غلب عليه اليأس) من روح الله تعالى (فترك العبادة) من أصلها (واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف فى المواظبة على العبادة فاضر بنفسه وأهله) وهذا هو الموطن الرابع من مواطن استعمال الرجاء وقد تقدمت الاشارة للمواطن الثلاثة ثم هذا العبد الذى أورثه الافراط فى الخوف الى القنوط اما بسبب كثرة الذنوب أو بسبب الجهل بجود الله وكرمه وقبوله للتوبة من العبد المذنب اذا رجع اليه فهذا داء عظيم يجب دواؤه بالرجاء كما يشير اليه المصنف فيما بعد (وهذان رجلان مائلان عن) حد (الاعتدال الى طرفى الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج) يردهما الى الاعتدال (فاما العاصى المغرور والمتمنى على الله) المغفرة والدرجات العالية (مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصى فادوية الرجاء تنقلب سموما مهلكة فى حقه وتنزل منزلة العسل الذى هو شفاء) للناس بنص القرآن أى (لمن غلب عليه البرد) منهم فى مزاجه اما من اصله أو من عارض (وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة) فى مزاجه اما من طبع أو من عارض وهذا مما اتفق عليه العارفون بالطب والمتكلمون على الخواص (بل المغرور) المتمنى (لا يستعمل فى حقه الا أدوية الخوف والاسباب المهيجة له) لتكون مزيلة لمرض غروره والامراض لا تعالج الا باضدادها (فلهذا يجب ان يكون واعظ) العامة من (الخلق) وكذا الاستاذ والمعلم حكيما بصيرا (متلطفا) عارفا بنبضهم (ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها) ويهيجها (فان المطلوب) فى كل شئ (هو العدل والقصد فى الصفات والاخلاق كلها وخير الامور أوساطها) كما ورد ذلك فى الخبر وتقدم ذكره (فاذا جاوز الوسط الى أحد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد فى ميله عن الوسط وهذا الزمان) يعنى به زمانه الذى كان فيه وهو رأس الاربعمائة بعد الهجرة (زمان لا ينبغى ان يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء) وما يترخص فيه (بل المبالغة فى التخويف) والتحذير (أيضا تكاد) أى تقرب (لا تردهم الى جادة الحق وسنن الصواب)

ويلتفت الى وراءه فيقول الله عزوجل الى أى شئ تلتفت فيقول لقد رجوت أن لا تعيدنى اليها بعد اذ أخرجتنى منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

(بيان دواء الرجاء والسبيل الذى يحصل منه حال الرجاء ويغلب)

اعلم أن هذا الدواء يحتاج اليه أحد رجلين اما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف فى المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال الى طرفى الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما الى الاعتدال فاما العاصى المغرور والمتمنى على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصى فادوية الرجاء تنقلب سموما مهلكة فى حقه وتنزل منزلة العسل الذى هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل فى حقه الا أدوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان المطلوب هو العدل والقصد فى الصفات والاخلاق كلها وخير الامور أوساطها فاذا جاوز الوسط الى أحد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد فى ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغى أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء بل المبالغة فى التخويف أيضا تكاد أن لا تردهم الى جادة الحق وسنن

الصواب فأما ذكر أسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا
استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كانوا مالوا الى الرجاء حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون فى طغيانهم

تماديا قال على كرم الله وجهه انما العالم الذى لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل فى حق الآيس أو فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لانهما جامعان لاسباب الشفاء فى حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الانبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الاخرق الذى يظن أن كل شئ من الادوية صالح لكل مريض كيفما كان * وحال الرجاء يغلب بشيئين أحدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات والاخبار والآثار * أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه فى أصناف النعم من كتاب الشكر حتى اذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده فى الدنيا وعجائب حكمه التى راعاها فى فطرة الانسان حتى أعد له فى الدنيا كل ما هو ضرورى له فى دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو
محتاج اليه كالاصابع والاظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم
بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزية جمال فالعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده فى أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده
أن تفوتهم المزايد والمزايا فى الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان

الصواب) أى طريقه (فأما ذكر أسباب الرجاء) والرخص (فيهلكهم ويرديهم) أى توقعهم فى
الردى (بالكلية ولكنها لما كانت أخف) وقعا (على القلوب وألذ عند النفوس) وأروح عند الاسماع
(ولم يكن غرض الوعاظ) وأرباب الكراسى (الا استمالة القلوب) اليهم (واستنطاق الخلق بالثناء)
عليهم كيفما كانوا (مالوا الى الرجاء) والرخص حتى ازداد الفساد فسادا وازداد المنهمكون فى الطغيان
تماديا قال على كرم الله وجهه انما العالم الذى لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله
تعالى ولفظه فى نهج البلاغة الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح
الله ولم يؤمنهم من مكر الله وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبى حدثنا أبو جعفر محمد بن ابراهيم بن الحكم
حدثنا يعقوب بن ابراهيم الدورقى حدثنا شجاع بن الوليد عن زياد بن خيثمة عن أبى اسحق عن عاصم
ابن حمزة عن على رضى الله عنه قال الا ان الفقيه كل الفقيه الذى لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم
من عذاب الله ولا يرخص لهم فى معصية الله ولا يدع القرآن رغبة عنه الى غيره ولا خير فى عبادة لا علم فيها
ولا خير فى علم لا فهم فيه ولا خير فى قراءة لا تدبر فيها (ونحن نذكر أسباب الرجاء ليستعمل فى حق الآيس)
من روح الله (وفيمن غلب عليه الخوف) وأفرط عليه حتى أخرجه الى القنوط من رحمة الله (اقتداء
بكتاب الله) عز وجل (وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لانهما
جامعان لاسباب الشفاء فى حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الانبياء) كما ورد ذلك
فى الخبر وذلك (بحسب الحاجة) والاضطرار (استعمال الطبيب الحاذق) الذى يضع الهناء مواضع
النقب (لا استعمال الاخرق) الجاهل (الذى يظن ان كل شئ من الادوية صالح لكل مريض
كيفما كان وحال الرجاء يغلب بشيئين أحدهما الاعتبار) وهو افتعال من العبرة (والآخر استقراء
الآيات والاخبار والآثار) أى تتبعها (أما الاعتبار فهو) استقراء أول الوجود فانك ترى الوجود
من قمة العرش الى منتهى الفرش خيرا كله ولم يكن فيه من الشر الا ما ينسب الى جنس المكلفين
والمكلفون فى جزء يسير من الارض والارض جزء يسير من الدنيا وما الدنيا فى الآخرة الا كما يضع أحدكم
أصبعه فى اليم وهذا ظاهر فى الاستقراء لان عالم الآخرة أوسع من عالم الدنيا بل ملك من الملائكة يعدل
الخلق أجمع فموجبات الرحمة فى الوجود أكثر من موجبات الغضب ولذلك آثار كثيرة أثنى بها على نفسه
فقال الرحمن الرحيم الفتاح الكريم الجواد الاكرم التواب الوهاب العفو الغفور الشكور الصمد
المجيب الودود البر الرزاق اللطيف الرؤف المحسن المنعم المنان الرفيق الهادى مع ما يضاف الى هذا من
الرضا والمحبة والذكر والمشى والهرولة وما أشبه هذا فالنظر الى آثار هذه الافعال وما ورد من الاخبار فى
فضائل الاعمال شفاء للايأس وترويح للخائف وترغيب للمعتدل ومن الاعتبار أيضا (ان يتأمل جميع
ما ذكرناه فى أصناف النعم) الستة عشر (من كتاب الشكر حتى اذا علم لطائف نعم الله لعباده فى الدنيا
وعجائب حكمه التى راعاها فى فطرة الانسان) أى خلقته (حتى أعد له فى الدنيا كل ما هو ضرورى له فى
دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج اليه كالاصابع والاظفار وما هو زينة له كاستقواس
الحاجبين) أى كونهما على صورة القوس ثم سواهما (واختلاف ألوان العينين) من بياض وسواد
(وحمرة الشفتين وغير ذلك مما لا ينثلم بفقده غرض مقصود) أى لا ينتقص ولا يفوت (وانما كان يفوت
به مزية جمال) الصورة (فالعناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده فى أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده
ان يفوتهم المزايد والمزايا فى الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان

نظر اشافيا علم أن أكثر الخلق قدهيئ له أسباب السعادة فى الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وان أخبر بانه لا يعذب بعد الموت أبدا مثلا أو لا يحشر أصلا فليست كراهتهم للعدم الا لان أسباب النعم أغلب لامحالة وانما الذى يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا فى حال نادرة وواقعة هاجمة غريبة فاذا كان حال أكثر الخلق فى الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا فالغالب ان أمر الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تؤمل حق التأمل قوى به أسباب الرجاء ومن الاعتبار أيضا النظر فى حكمة الشريعة وسننها فى مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة فى البقرة من أقوى أسباب الرجاء فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل من رزقه فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدى عبده الى طريق الاحتياط فى حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذى لا عوض له منه

(الفن الثانى استقراء الآيات والاخبار)

فما ورد فى الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض وأخبر تعالى ان النار أعدها لاعدائه وانما خوف بها أولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى واتقوا النار التى أعدت للكافرين وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وقال عز وجل وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم و يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل فى أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم

نظر اشافيا علم ان أكثر الخلق قدهيئ له أسباب السعادة فى الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت) ومفارقتها (وان أخبر بانه لا يعذب بعد الموت مثلا أو لا يحشر أصلا فليس كراهتهم للعدم) الذى هو الموت (الا لان أسباب النعم أغلب لامحالة وانما الذى يتمنى الموت نادر) قليل (ثم) اذا فرض تمنيه فانه (لا يتمناه الا فى حالة نادرة و واقعة هاجمة غريبة) هجمت عليه ولم يرمنها الانفكاك فاختار بطن الارض على ظهرها (فاذا حال أكثر الخلق فى الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا) ولن تجد لسنة الله تحويلا (فالغالب ان أمر الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا) الذى ذكرناه مع ماسبق من غلبة الرحمة (اذا تؤمل حق التأمل قوى به أسباب الرجاء) للآيسين (ومن الاعتبار أيضا النظر فى حكمة الشريعة) المطهرة (وسننها فى) أحكام (مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة) الطويلة المذكورة (فى) سورة (البقرة من أقوى أسباب الرجاء) وهى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه الى قوله والله بما تعملون عليم (فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل) بالنسبة الى الآخرة (ورزق الانسان منها قليل) بالاضافة الى رزق سائر الحيوانات (والدين قليل من رزقه فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدى عباده الى طريق الاحتياط فى حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذى لا عوض له منه) فى دنياه وعقباه ولفظ القوت وكان بعض الراجين من العارفين اذا تلا هذه الآية آية الدين التى فى سورة البقرة يسر بذلك ويستبشر لها ويعظم رجاؤه عندها فقيل له فى ذلك انه ليس فيها رجاء ولاما يوجب رجاء الاستبشار فقال بل فيها رجاء عظيم فقال ان الدنيا كلها قليل ورزق الانسان فيها قليل وهذا الدين من رزقه فقليل من قليل ثم ان الله احتاط فى ذلك ودقق النظر الى بان وكد دينى بالشهود والكتاب وأنزل الله فيه أطول آية ولو فاتنى ذلك لم أبال به فكيف يكون فعله بى فى الآخرة التى لا عوض لى من نفسى فيها

(الفن الثانى استقراء الآيات)

القرآنية (والاخبار) النبوية (فما ورد فى الرجاء) من ذلك كثير (خارج عن الحصر) والضبط ولكن يذكر هنا من كل ذلك ماينفع الراجين (أما الآيات فقد قال الله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) وهذه أرجى آية فى القرآن (و) روينا (فى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم) وفى المشهورة المتواترة بحذفها قال العراقى رواه الترمذى من حديث أسماء بنت يزيد وقال حسن غريب (وقال تعالى) مخبرا عن الملائكة الحافين حول العرش (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض وأخبر تعالى ان النار أعدها لاعدائه وانما خوف بها أولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده و) مثله (قال) تعالى (واتقوا النار التى أعدت للكافرين وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وقال تعالى) فى عفوه عن الظالمين (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل يسال فى أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية) يعنى (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقى لم أجده بهذا اللفظ وروى ابن أبى حاتم والثعلبى فى تفسيريهما من رواية على بن زيد بن جدعان عن سعيد

سعيد بن المسيب قال لما أنزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما تهنى أحد العيش الحديث (و) جاء (فى تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد) صلى الله عليه وسلم (وأحد من أمته فى النار) هكذا أورده صاحب القوت والقائل لذلك ابن عباس رواه الخطيب فى تلخيص المتشابه بسنده عنه ورواه ابن جرير من طريق السدى عن ابن عباس بلفظ من رضا محمد ان لا يدخل أحد من أهل بيته النار ورواه البيهقى فى الشعب من طريق سعيد بن جبير عنه قال رضاه ان تدخل أمته الجنة كلهم (وكان أبو جعفر محمد بن على) بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم (يقول أنتم يا أهل العراق تقولون أرجى آية فى كتاب الله عز وجل قوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية فى كتاب الله تعالى قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى) وعده ربه تعالى ان يرضيه فى أمته هكذا أورده صاحب القوت وروى ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية من طريق حرب بن شريح قال قلت لابى جعفر محمد بن على بن الحسين أرأيت هذه الشفاعة التى يتحدث بها أهل العراق أحق هى قال اى والله حدثنى عمى محمد بن الحنفية عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أشفع لامتى حتى يناديني ربى رضيت يا محمد فأقول نعم يارب رضيت ثم أقبل على فقال انكم تقولون يا معشر أهل العراق ان أرجى آية فى كتاب الله قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قلت انا لنقول كذلك ولكنا أهل البيت نقول ان أرجى آية فى كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهى الشفاعة ومن الآيات الدالة على الرجاء قوله تعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما وقوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ فدخلت جهنم وغيرها فى توسعة الرحمة من حيث كن شيأ وقوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون معناه خصوص الرحمة وصفوها الا كنهها اذ لا نهاية للرحمة لانها صفة الراحم الذى لا حد له ولانه لم يخرج عن رحمته كل شئ كما لم يخرج من حكمته وقدرته شئ لان جهنم والنار الكبرى ليس كنه عذابه ولا كلية تعذيبه فمن ظن ذلك به فلم يعرفه ولانه انما أظهر من عذابه مقدار طاقة الخلق كما انه أظهر من ملكه ونعمه مقدار مصالح الخلق ولا يصلح للخلق ولا يطيقون اظهارا أكثر مما أظهر من النعيم والعذاب بل لا ينبغى لهم ان يعرفوا فوق ما أبدى لان نهاية تعذيبه وتنعيمه من نهاية ملكه الذى هو قائم به وملكه عن غاية قدرته وسلطانه ولا نهاية لذلك ولا يطيق الخلق كله اظهار ذلك أيضا عن تعالى صفاته ونهاية معانى أسمائه المتناهيات ولا سبيل الى كشف ذلك من الغيوب فسبحان من لا نهاية لقدرته ولا حد لعظمته ولا أمد لسلطانه وكذلك شهدوا ما سمعوا من قوله تعالى انه كان حليما غفورا وكان الله عليما حليما فعلموا ان المغفرة على سعة كمال الحلم لسعة العلم فلما رأوا عظيم علمه رجوا عظيم مغفرته ولما شهدوا كثيف ستره أملوا جميل عفوه (وأما الاخبار فقد روى أبو موسى) عبد الله بن قيس الاشعرى رضى الله عنه (عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أمتى أمة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة عجل عقابها فى الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار) قال صاحب القوت وبناه فى حديث أبى بردة عن أبيه عن أبى موسى وقال العراقى رواه أبو داود دون قوله فاذا كان يوم القيامة الخ ورواه ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وهى صحيحة من حديث أبى موسى كما يأتى فى الحديث الذى يليه انتهى قلت لفظ أبى داود أمتى هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة انما عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا ورواه كذلك الطبرانى والحاكم وروى الحاكم فى الكنى من حديث أنس أمتى أمة مرحومة مغفور لها متاب عليها وروى الخطيب فى المتفق والمفترق وابن النجار من حديث ابن عباس أمتى أمة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة اذا كان يوم القيامة أعطى الله كل رجل من أمتى رجلا من أهل الاديان فكان فداءه من النار وفيه عبد الله بن ضرار عن أبيه قال

وفى تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد وواحد من أمته فى النار وكان أبو جعفر محمد بن على يقول أنتم أهل العراق تقولون ارجى آية فى كتاب الله عز وجل قوله قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن أهل البيت نقول ارجى آية فى كتاب الله تعالى قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى * وأما الاخبار فقد روى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أمتى أمة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة عجل الله عقابها فى الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من أمتى رجل من أهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار

وفى لفظ آخر يأتى كل رجل
من هذه الامة بيهودى أو
نصرانى الى جهنم فيقول هذا
فدائى من النار فيلقى فيها
وقال صلى الله عليه وسلم
الحمى من فيح جهنم وهى
حظ المؤمن من النار وروى
فى تفسير قوله تعالى يوم
لا يخزى الله النبى والذين
آمنوا معه ان الله تعالى
أوحى الى نبيه عليه الصلاة
والسلام انى أجعل حساب
أمتك اليك قال لا يارب
أنت أرحم بهم منى فقال
اذا لا نخزيك فيهم وروى
عن أنس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم سأل ربه فى
ذنوب أمته فقال يارب
اجعل حسابهم الى لئلا
يطلع على مساويهم غيرى
فاوحى الله تعالى اليه هم
أمتك وهم عبادى وأنا أرحم
بهم منك لا أجعل حسابهم
الى غيرى لئلا تنظر الى
مساويهم أنت ولا غيرك
وقال صلى الله عليه وسلم
حياتى خير لكم وموتى خير
لكم أما حياتى فاسن لكم
السنن وأشرع لكم
الشرائع وأما موتى فان
أعمالكم تعرض على فما
رأيت منها حسنا حمدت
الله عليه وما رأيت منها سيأ
استغفرت الله تعالى لكم

ابن معين لا يكتب حديثه (وفى لفظ آخر يأتى كل رجل من هذه الامة بيهودى أو نصرانى الى جهنم فيقول
هذا فدائى من النار فيلقى فيها) كذا أورده صاحب القوت وقال العراقى رواه مسلم من حديث أبى موسى
اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار وفى رواية لا يموت
رجل مسلم الا أدخل الله مكانه من النار يهوديا أو نصرانيا انتهى قلت وفى لفظ لمسلم أعطى الله كل رجل
من هذه الامة رجلا من الكفار فيقال له هذا فداؤك من النار رواه هكذا عن أبى بردة عن أبى موسى وفى
لفظ للطبرانى فى الكبير وفى الاوسط والحاكم فى الكنى اذا كان يوم القيامة بعث الله الى كل مؤمن ملكا
معه كافر فيقول الملك للمؤمن يا مؤمن هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار وفى لفظ لاحد اذا كان يوم
القيامة لم يبق مؤمن الا أتى بيهودى أو نصرانى حتى يدفع اليه فيقال له هذا فداؤك من النار وعند أبى نعيم
فى الحلية اذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق فى صعيد واحد ثم يرفع لكل قوم آلهتهم الحديث وفيه
فيقال لاهل التوحيد ارفعوا رؤسكم فقد أوجب الله لكم الجنة وجعل مكان كل رجل منهم يهوديا أو
نصرانيا فى النار وأما الرواية الثانية لمسلم لا يموت رجل الحديث فقد رواه كذلك ابن حبان والطبرانى
(وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمن من النار) قال العراقى رواه أحمد من رواية
أبى صالح الاشعرى عن أبى امامة وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه انتهى قلت ويقال هو الانصارى
روى له ابن ماجه فى كتاب التفسير له وقد رواه أيضا الطبرانى وابن مردويه وأبو بكر الشافعى فى
الغيلانيات ولفظ الكل الحمى كير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار وفى الصحيحين الحمى
من فيح جهنم فأبردوها بالماء وروى الطبرانى وابن قانع وابن مردويه والشيرازى فى الالقاب وابن
عساكر من حديث أبى ريحانة الانصارى الحمى كير من جهنم وهى نصيب المؤمن من النار وعند ابن النجار
من كير جهنم وهى حظ المؤمن من النار وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث أنس الحمى حظ المؤمن من
النار وزاد ابن عساكر من حديث عثمان بن عفان يوم القيامة وروى البزار من حديث عائشة الحمى
حظ كل مؤمن من النار ورواه كذلك القضاعى من حديث ابن مسعود بزيادة وحمى ليلة تكفر خطايا
سنة مجرمة (وروى فى تفسير قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا) الآية (ان الله تعالى
أوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم انى أجعل حساب أمتك اليك قال لا يارب أنت خير لهم منى فقال اذا
لا نخزيك فيهم) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله
قلت وروى أحمد وابن عساكر من حديث حذيفة ان ربى استشارنى فى أمتى ماذا أفعل بهم فقلت ما شئت
يارب هم خلقك وعبادك فاستشارنى الثانية فقلت له كذلك فاستشارنى الثالثة فقلت له كذلك فقال
تعالى انى لن أخزيك فى أمتك يا أحمد الحديث (وروى عن أنس) بن مالك رضى الله عنه (ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سأل ربه فى ذنوب أمته فقال يارب اجعل حسابهم الى لئلا يطلع على مساويهم غيرى
فاوحى الله تعالى اليه هم أمتك وهم عبادى وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم الى غيرى لئلا تنظر الى
مساويهم أنت ولا غيرك) هكذا أورده صاحب القوت عن سلمة بن وردان عن أنس وقال العراقى لم
أقف له على أصل (وقال صلى الله عليه وسلم حياتى) أى فى الدنيا (خير لكم وموتى خير لكم) ولفظ خير
أريد به التفضيل لا الافضلية فلا توصل بمن وليست بمعنى الافضل وانما المقصود ان فى كل من حياته وموته
خيرا لا أن هذا خير من هذا ولا هذا خير من هذا كما توهم (أما حياتى فاسن لكم السنن وأشرع لكم
الشرائع وأما موتى فان أعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسنا حمدت الله عليه وما رأيت منها سيأ
استغفر الله لكم) أى أطلب لكم مغفرة الصغائر وتخفيف عقوبات الكبائر هكذا هو فى القوت وقال
العراقى رواه البزار من حديث ابن مسعود ورجاله رجال الصحيح الا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن رواد
وان أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائى فقد ضعفه كثيرون وفى رواية الحرث ابن أبى أسامة فى

مسنده من حديث أنس بنحوه باسناد ضعيف انتهى قلت لفظ الحرث بن أبى أسامة حياتى خير لكم
ينزل على الوحى من السماء فاخبركم بما يحل لكم وما يحرم عليكم وموتى خير لكم تعرض على أعمالكم
كل خميس فما كان من حسن حمدت الله عليه وما كان من ذنب استوهبت لكم ذنوبكم ورواه الحرث
أيضا مختصرا بلفظ حياتى خير لكم ومماتى خير لكم ورواه كذلك أبو نصر اليونارتى فى معجمه وابن النجار
وروى ابن سعد فى الطبقات عن بكر بن عبد الله المزنى مرسلا حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم فاذا
أنا مت كانت وفاتى خيرا لكم تعرض على أعمالكم فان رأيت خيرا حمدت الله وان رأيت شرا استغفرت
لكم (وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل عليه السلام أتدرى ما تفسير يا كريم
العفو هو ان عفا عن السيآت برحمته بدلها حسنات بكرمه) هكذا هو فى القوت وقال العراقى لم أجده
عن النبى صلى الله عليه وسلم والموجود ان هذا كان بين ابراهيم الخليل وجبريل عليهما السلام هكذا
رواه أبو الشيخ فى كتاب العظمة من قول عتبة بن الوليد ورواه البيهقى فى الشعب من رواية عتبة بن الوليد
قال حدثنى بعض الزهاد فذكره (وسمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم انى أسألك تمام النعمة
فقال وهل تدرى ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة) رواه الطبرانى من حديث معاذ بزيادة والنجاة
من النار وقد تقدم ورواه ابن أبى شيبة وأحمد والبخارى فى الادب والترمذى والبيهقى فى الاسماء بلفظ
يا ابن آدم هل تدرى ما تمام النعمة فان من تمام النعمة الفوز من النار ودخول الجنة وفى لفظ للترمذى
من تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار (قال العلماء قد أتم نعمته برضاه الاسلام لنا اذ قال) ولفظ
القوت وقد أخبرنا الله عز وجل انه قد أتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا فهذا دليل على دخول الجنة
فقال تعالى (وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) وقد أشركنا فى ذلك مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنحن نرجو المغفرة لذنوبنا بفضله تعالى فقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته
عليك (وفى الخبر اذا أذنب العبد ذنبا فاستغفر يقول الله عز وجل للملائكة انظروا الى عبدى أذنب
ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أنى قد غفرت له) كذا فى القوت وقال العراقى
متفق عليه من حديث أبى هريرة ان عبدا أذنب ذنبا فقال أى رب أذنبت ذنبا فاغفر لى الحديث وفى
رواية أذنب عبد ذنبا فقال الحديث انتهى قلت لفظ المتفق عليه ان عبدا أصاب ذنبا فقال رب أذنبت
فاغفره فقال ربه أعلم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا
فقال رب أذنبت آخر فاغفره لى قال ربه علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى
فليعمل ما شاء ورواه كذلك أحمد وابن حبان وروى الحاكم من حديث أنس من أذنب ذنبا فعلم ان له
ربا ان شاء أن يغفر له غفر له وان شاء أن يعذبه عذبه كان حقا على الله ان يغفره وصححه الحاكم وتعقبه
الذهبى فقال كلا والله كيف يكون صحيحا وفيه جابر بن مرزوق وهو نكرة ورواه أبو نعيم فى الحلية من
وجه آخر وهذا قد تقدم للمصنف وروى الطبرانى فى الصغير والاوسط بسند ضعيف حديث ابن مسعود
من أذنب ذنبا فعلم ان له ربا غفر له وان لم يستغفر وهذا أيضا قد تقدم (وفى الخبر لو أذنب العبد حتى تبلغ
ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرنى ورجانى) كذا أورده صاحب القوت وقال العراقى رواه
الترمذى من حديث أنس يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك وقال حسن
انتهى قلت لفظ الترمذى قال الله عز وجل يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ولا
أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقراب
الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيأ لاتيتك بقرابها مغفرة وقال حسن غريب وقد رواه كذلك الضياء
فى المختارة ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس ورواه ابن النجار من حديث أبى هريرة ورواه
البيهقى من حديث أبى ذر وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب العسر والحكيم وابن حبان فى الضعفاء من حديث

وقال صلى الله عليه وسلم
يوما يا كريم العفو فقال
جبريل عليه السلام أتدرى
ما تفسير يا كريم العفو هو
ان عفا عن السيآت برحمته
بدلها حسنات بكرمه وسمع
النبى صلى الله عليه وسلم
رجلا يقول اللهم انى أسألك
تمام النعمة فقال هل
تدرى ما تمام النعمة قال لا
قال دخول الجنة قال
العلماء قد أتم الله علينا نعمته
برضاه الاسلام لنا اذ قال
تعالى وأتممت عليكم نعمتى
ورضيت لكم الاسلام دينا
وفى الخبر اذا أذنب العبد
ذنبا فاستغفر الله يقول الله
عز وجل للملائكة انظروا
الى عبدى أذنب ذنبا فعلم
ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ
بالذنب أشهدكم انى قد
غفرت له وفى الخبر لو أذنب
العبد حتى تبلغ ذنوبه
عنان السماء غفرتها له
ما استغفرنى ورجانى

أنس ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرني (وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقرابها
مغفرة) مالم يشرك بي شيأ كذا لفظ القوت وقال العراقي رواه مسلم من حديث أبي ذر ومن لقيني بقراب
الارض خطيئة لا يشرك بي شيأ لقيته بمثلها مغفرة وللترمذي من حديث أنس الذي قبله يا ابن آدم لو لقيتني
الحديث انتهى قلت لفظ حديث مسلم يقول الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن عمل
سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر ومن عمل قراب الارض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيأ جعلت له مثلها مغفرة
الحديث ورواه كذلك أحمد وابن ماجه وأبو عوانة وفي لفظ للطيالسي قال ربكم عز وجل الحسنة بعشر
والسيئة بواحدة أو أغفرها ومن لقيني بقراب الارض خطيئة لا يشرك بي شيأ لقيته بقراب الارض مغفرة
الحديث وروى الطبراني والبيهقي من حديث أبي الدرداء قال الله عز وجل يا ابن آدم مهما عبدتني
ورجوتني ولم تشرك بي شيأ غفرت لك على ما كان فيك وان استقبلتني بملء السماء والارض خطايا
وذنوبا استقبلتك بملئهن من المغفرة واغفر لك ولا أبالي ورواه كذلك الشيرازي في الالقاب (وفي الحديث
ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا أذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي
لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألق هذه السيئة حتى ألقي من
حسناته واحدة من تضعيف العشرة وأرفع له تسع حسنات فيلقي عنه هذه السيئة) هكذا أورده صاحب
القوت وزاد ويقال ان الله تعالى جعل في قلب صاحب اليمين من الرحمة للعبد أضعاف ما جعل في قلب
صاحب الشمال مع انه أمره عليه فاذا عمل العبد الحسنة فرح بها ملك اليمين ويقال فرح بها الملائكة
فيكتب للعبد بفرحهم الحسنات انتهى وقال العراقي رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أبي
أمامة بسند فيه لين باللفظ الاول ورواه أيضا أطول منه وفيه ان صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال
وليس فيه انه يأمر صاحب الشمال بالقاء السيئة حتى يلقي من حسناته واحدة ولم أجد لذلك أصلا (وروى
أنس) رضي الله عنه (في حديث طويل انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال
اعرابي) كان حاضر المجلس (فان تاب عنه قال) صلى الله عليه وسلم (محي عنه) من صحيفته (قال)
الاعرابي (فان عاد) الى الذنب (قال صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال) صلى الله
عليه وسلم (محي من صحيفته قال) الاعرابي (الى متى) يارسول الله (قال) صلى الله عليه وسلم (الى ان
يستغفر ويتوب الى الله عز وجل ان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد
بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله الى
سبعمائة ضعف فاذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فاذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله
عز وجل) هكذا هو في القوت وقال العراقي رواه البزار والبيهقي في الشعب بلفظ جاء رجل فقال يارسول
الله اني أذنبت قال استغفر ربك قال فاستغفر ربي ثم أعود قال فاذا عدت فاستغفر ربك ثلاث مرات أو
أربعا قال استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور وفيه أبو بدر بشار بن الحكم المصري منكر
الحديث وروى الطبراني والبيهقي فيه أيضا من حديث عقبة بن عامر أحدنا يذنب قال يكتب عليه قال
ثم يستغفر منه ويتوب قال يغفر له ويتاب عليه قال فيعود الحديث وفيه ولا يمل حتى تملوا واسناده حسن
ورواه الطبراني في الاوسط من حديث عائشة بسند ضعيف وسمى الرجل السائل حبيب بن الحرث وليس
في الحديثين قوله في آخره فاذا هم العبد بحسنة الخ وفي الصحيحين بنحوه من حديث ابن عباس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم
بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة فان هم بسيئة فلم يعملها
كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة زاد مسلم في رواية أو محاها الله ولا
يهلك على الله الا هالك ولهما نحوه من حديث أبي هريرة انتهى قلت حديث أبي هريرة هذا رواه كذلك

وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقراب الارض مغفرة وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا أذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألق هذه السيئة حتى ألقي من حسناته واحدة تضعيف العشر وأرفع له تسع حسنات فتلقى عنه السيئة وروى أنس في حديث انه عليه الصلاة والسلام قال اذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال اعرابي وان تاب عنه قال محي عنه قال فان عاد قال النبي صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال الى متى قال الى أن يستغفر ويتوب الى الله عز وجل ان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها فان عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى الى سبعمائة ضعف واذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فاذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل

وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى لا أصوم الا الشهر لا أزيد عليه ولا أصلى الا الخمس لا أزيد عليها وليس لله فى مالى صدقة ولا حج ولا تطوع أين أنا اذا مت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معى اذا حفظت قلبك من اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب وعينيك من اثنتين النظر الى ما حرم الله وأن تزدرى بهما مسلما دخلت معى الجنة على راحتى هاتين وفى الحديث الطويل لانس ان الاعرابى قال يارسول الله من يلى حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابى فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابى فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابى ألا لا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابى وفيه أيضا ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولى من أولياء الله تعالى قال الاعرابى ومن أولياء الله تعالى قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت قول الله عز وجل الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفى بعض الاخبار المؤمن أفضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة وفى الخبر خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة

أجد وأما حديث ابن عباس فى الصحيحين فاوله ان الله كتب الحسنات والسيآت ثم بين ذلك فمن هم بحسنة الحديث وروى الديلمى من حديث عبد الله بن أبى أوفى من هم بذنب ثم تركه كانت له حسنة وروى هناد من حديث أنس اذا هم الرجل بحسنة فعملها كتبت له عشر حسنات واذا هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واذا هم بسيئة فعملها كتبت عليه سيئة واذا هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة لتركه السيئة (وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى لا أصوم الا الشهر) أى شهر رمضان (لا أزيد عليه ولا أصلى الا الخمس لا أزيد عليها وليس لله فى مالى صدقة ولا حج ولا أتطوع أين أنا اذا مت فقال النبي صلى الله عليه وسلم معى فى الجنة قال يارسول الله معك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم معى ان حفظت قلبك من اثنتين الغل والحسد ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب وعينيك من اثنتين النظر الى ما حرم الله وان تزدرى بهما مسلما دخلت معى الجنة على راحتى هاتين) كذا فى القوت وتقدم فى كتاب ذم الحقد والحسد (وفى الحديث الطويل لانس) رضى الله عنه (ان الاعرابى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم) يارسول الله (من يلى حساب الخلق) يوم القيامة (فقال) صلى الله عليه وسلم (الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابى فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابى قال ان الكريم اذا قدر عفا) وفى لفظ تجاوز (واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابى ألا لا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابى) هكذا هو فى القوت وقال العراقى لم أجد له أصلا (وفيه أيضا) أى فى حديث أنس المذكور (ان الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولى من أولياء الله تعالى قال الاعرابى ومن أولياء الله تعالى قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت قول الله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) هكذا هو فى القوت (وفى بعض الاخبار) ولفظ القوت وفى الخبر المنفرد (المؤمن أفضل من الكعبة) قال العراقى رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ ما أعظمك وأعظم حرمتك والذى نفسى بيده لحرمة المؤمن أعظم حرمة منك ماله ودمه وان نظن به الا خيرا وشيخه نصر بن محمد بن سليمان الحمصى ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان وقد تقدم انتهى قلت لفظ ابن ماجه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة وهو يقول ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وان نظن به الا خيرا ولابن أبى شيبة من طريق مجالد عن الشعبى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمسلم أعظم حرمة منك فقد حرم الله دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء وعند البيهقى من طريق مجاهد عن ابن عباس نحوه وفيه حفص بن عبد الرحمن وقال صاحب القوت وفى الخبر المشهور عن ابن عمر وأبى هريرة وكعب الاحبار انه صلى الله عليه وسلم نظر الى الكعبة فقال ما أشرفك وأعظمك والمؤمن أعظم درجة عند الله منك (و) قال صلى الله عليه وسلم (المؤمن طيب طاهر) قال العراقى لم أجده بهذا اللفظ وفى الصحيحين من حديث حذيفة المؤمن لا ينجس (و) قال صلى الله عليه وسلم (المؤمن أكرم على الله من الملائكة) قال العراقى رواه ابن ماجه من رواية أبى المهزم يزيد بن سفيان عن أبى هريرة بلفظ المؤمن أكرم من بعض ملائكته وأبو المهزم تركه شعبة وضعفه ابن معين ورواه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من هذا الوجه بلفظ المصنف انتهى قلت ونحو هذا الحديث قول عمرو بن العاص ليس شئ أكرم على الله من ابن آدم قالت الملائكة قال أولئك بمنزلة الشمس والقمر أولئك مجبورون أخرجه البيهقى وقال ان الصحيح وقفه ورفعه بعضهم وهو ضعيف وروى ابن النجار عن حكامة حدثنا أبى عن أخيه مالك بن دينار عن أنس رفعه المؤمن أكرم على الله من الملائكة المقربين (وفى الخبر خلق الله جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة) كذا فى القوت وقال العراقى لم أجده مرفوعا هكذا ويغنى

عنعمار رواه البخارى من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم يجاء بهم الى الجنة بالسلاسل (وفى خبر آخر يقول الله عز وجل انما خلقت الخلق ليربحوا على ولم أخلقهم لاربح عليهم) كذا فى القوت وقال العراقى لم أقف له على أصل قلت ولفظ القشيرى فى الرسالة وقيل أوحى الله الى داود عليه السلام قل لهم انى لم أخلقهم لاربح عليهم وانما خلقتهم ليربحوا على انتهى فظهر انه خبر اسرائيلى (وفى حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) انه قال (ماخلق الله شيأ الا جعل له مايغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه) أورده صاحب القوت من رواية عطاء بن يسار عن أبي سعيد وقال العراقى رواه أبو الشيخ فى الثواب وفيه عبد الرحيم بن كردم جهله أبو حاتم وقال صاحب الميزان ليس بواه ولا هو بمجهول انتهى قلت لفظ أبي الشيخ ماخلق الله من شئ الا وقد خلق له مايغلبه وخلق رحمته تغلب غضبه ورواه كذلك الحاكم وصححه وتعقب (وفى الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل ان يخلق الخلق ان رحمتى تغلب غضبى) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وفى لفظ لابن ماجه ان الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه ان رحمتى تغلب غضبى وقد تقدم (وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك) رضى الله عنهما (انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقى الله لا يشرك به شيأ حرمت عليه النار ولا يدخلها من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان) هذه أربعة أحاديث ساقها جملة واحدة تبعا لصاحب القوت أما الحديث الاول فقال العراقى رواه الطبرانى فى الدعاء بلفظ من شهد من حديث معاذ وهو فى اليوم والليلة للنسائى بلفظ من مات يشهد من حديث معاذ ومن حديث أنس وتقدم فى الاذكار انتهى قلت ورواه الحاكم من حديث أنس بلفظ من قال لا اله الا الله وجبت له الجنة وروى النسائى والطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عمر بلفظ من شهد أن لا اله الا الله دخل الجنة ورواه كذلك من حديث عمر ورواه تمام فى فوائده من رواية جابر عن عمر وروى أحمد ومسلم والنسائى وابن حبان وابن خزيمة من حديث عثمان من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة وأما الحديث الثانى فقال العراقى رواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث معاذ بلفظ دخل الجنة انتهى قلت ورواه كذلك أحمد والطبرانى والبيهقى كلهم من حديث معاذ ورواه ابن سعد فى الطبقات من حديث أبي سعيد الخدرى وأما الحديث الثالث فقال العراقى رواه الشيخان من حديث أنس انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ مامن عبد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله على النار وفى رواية من لقى الله لا يشرك به شيأ دخل الجنة ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ جعله الله فى الجنة وللنسائى من حديث أبي عمرة الانصارى فى أثناء حديث فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنى رسول الله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما الا حجب عن النار يوم القيامة انتهى قلت حديث أنس عند الشيخين رواه أيضا الحاكم عن معاذ وسعيد بن الحرث بن عبد المطلب معا ولفظه من لقى الله وهو لا يشرك به شيأ دخل الجنة ورواه أيضا أحمد من حديث معاذ وأبي الدرداء معا وروى البيهقى وابن عساكر من حديث جابر من لقى الله لا يشرك به شيأ دخل الجنة ومن لقى الله يشرك به شيأ دخل النار وأما الحديث الرابع فقال العراقى رواه أحمد من حديث سهل بن بيضاء من شهد أن لا اله الا الله حرمه الله على النار وفيه انقطاع وله من حديث عثمان بن عفان انى لاعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه الا حرمه الله على النار قال عمر بن الخطاب هى كلمة الاخلاص واسناده صحيح ولكن هذا ونحوه مخالف لما ثبت فى الاحاديث الصحيحة من دخول جماعة من الموحدين النار واخراجهم بالشفاعة نعم لا يبقى فى النار من فى قلبه وزن ذرة من ايمان كما هو متفق عليه من حديث أبي سعيد وفيه من وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فأخرجوه وقال مسلم من خير بدل ايمان (وفى خبر آخر لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد) ولفظ القوت من رحمته بدل من جنته قال العراقى متفق عليه من حديث أبي هريرة (ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان زلزلة

وفى خبر آخر يقول الله عز وجل انما خلقت الخلق ليربحوا على ولم أخلقهم لاربح عليهم وفى حديث أبي سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخلق الله تعالى شيأ الا جعل له مايغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه وفى الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق ان رحمتى تغلب غضبى وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقى الله لا يشرك به شيأ حرمت عليه النار ولا يدخلها من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وفى خبر آخر لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان زلزلة

الساعة شئ عظيم قال أتدرون أى يوم هذا هذا يوم يقال) فيه (لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول) آدم (كم فيقال) له (من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة قال) الراوى (فابلس القوم) أى وقعوا فى حيرة (وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم) ذلك (عن الاشغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالكم لاتعملون) وتصنعون (فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ماحدثتنا بهذا فقال كم أنتم فى الامم أين باويل) بالباء الموحدة وفى بعض النسخ بالتاء الفوقية (وتاريس) بالفوقية وآخره سين مهملة وتبت (ومنسك ويأجوج ومأجوج) وهؤلاء كلهم من أولاد آدم (أمم لايحصيها الا الله تعالى) ولكل هؤلاء بقية الى يوم القيامة فى مشارق الشمس كما ان يأجوج ومأجوج فى مغاربها (انما انتم فى سائر الامم كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود وكالرقمة فى ذراع الدابة) هكذا هو فى سياق القوت والرقمة الشية قال العراقى رواه الترمذى من حديث عمران بن حصين وقال حسن صحيح قلت هو من رواية الحسن البصرى عن عمران ولم يسمع منه وفى الصحيحين نحوه من حديث أبى سعيد اهـ قلت ورواه كذلك ابن جرير وابن مردويه من حديث عمران ولفظهم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفاوت بين أصحابه فى السير فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بهاتين الآيتين يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المطى وعرفوا انه عنده قول يقوله فقال هل تدرون أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم ينادى الله فيه آدم فيقول يا آدم ابعث بعث النار فيقول أى رب مابعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا فى الجنة فتعبس القوم حتى ما أبدوا بضاحكة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بأصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذى نفس محمد بيده انكم لمع خليقتين ما كانتا مع شئ الا أكثرتاه يأجوج ومأجوج ومن مات من بنى آدم ومن بنى ابليس فسرى عن القوم ثم قال اعملوا وابشروا فوالذى نفس محمد بيده ما أنتم فى الناس الا كالشامة فى جنب البعير وكالرقمة فى ذراع الدابة وفى لفظ الترمذى قال لما نزلت يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد أنزلت عليه هذه وهو فى سفر فقال أتدرون أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار قال يارب ومابعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة فانشأ المسلمون يبكون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا فانها لم تكن نبوة قط الا كان جاهلية فيؤخذ العدد من الجاهلية فان تمت والا أكملت من المنافقين وما مثلكم الا كمثل الرقمة فى ذراع الدابة أو كالشامة فى جنب البعير ثم قال انى لارجوا ان تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ثم قال انى لارجوا ان تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا وقال لا أدرى قال الثلثين أم لا ورواه كذلك سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه من طرق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين رضى الله عنه وقد روى عن الحسن البصرى أيضا مرسلا قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة العسيرة ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم فذكر نحو حديث عمران الا انه زاد فيه لم يكن رسولان الا كان بينهما فترة من الجاهلية فهم أهل النار وانكم بين ظهرانى خليقتين لا يعادهما أحد من أهل الارض الا كثر وهم يأجوج ومأجوج وهم أهل النار وتكمل العدة من المنافقين وأما حديث أبى سعيد الخدرى فلفظه فى الصحيحين يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك ربنا وسعديك فيقول ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار فيقول يارب ومابعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال فشق ذلك على الناس فقالوا يارسول الله من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ويبقى الواحد فاينا ذلك

الساعة شئ عظيم قال أتدرون أى يوم هذا هذا يوم يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالكم لاتعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ماحدثتنا بهذا فقال كم أنتم فى الامم أين تاويل وتاريس ومنسك ويأجوج ومأجوج أمم لايحصيها الا الله تعالى انما أنتم فى سائر الامم كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود وكالرقمة فى ذراع الدابة

الواحد فقال من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم واحد وهل أنتم في الامم الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في الثور الابيض وقد رواه كذلك أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات وفي الباب أنس وابن عباس وأبو موسى أما حديث أنس فرواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه ولفظه نزلت يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسيرله فرفع بها صوته حتى ثاب اليه أصحابه فقال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقول الله لآدم يا آدم فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فكبر ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وابشروا فوالذى نفسي بيده ما أنتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة وان معكم لخليقتين ما كانتا في شئ قط الا أكثرتاه يأجوج ومأجوج ومن هلك من كفرة الجن والانس وأما حديث ابن عباس فرواه البزار وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه ولفظه تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وأصحابه عنده يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم فقال هل تدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله يا آدم قم فابعث بعث النار فيقول ربكم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة ثم قال اعملوا وابشروا فاشتق ذلك على القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لارجو ان تكونوا شطر أهل الجنة ثم قال اعملوا وابشروا فانكم بين خليقتين لم تكونا مع أحد الا كثرتاه يأجوج ومأجوج وانما أنتم في الامم كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة وانما أمتي جزء من ألف جزء ورواه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه بلفظ بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره في غزوة بني المصطلق اذ أنزل الله عليه يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم الى قوله شديد فلما أنزلت عليه وقف على ناقته ثم رفع بها صوته فتلاها على أصحابه فقال لهم تعلمون أي ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم يا آدم ابعث بعث النار من ولدك فيقول يارب من كل كم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة فبكى المسلمون بكاء شديدا ودخل عليهم أمر شديد فقال والذى نفس محمد بيده ما أنتم في الامم الا كالشعرة البيضاء في الشاة السوداء وانى لارجو ان تكونوا نصف أهل الجنة بل أرجو ان تكونوا ثلثى أهل الجنة وأما حديث أبي موسى فهو نحو من حديث ابن عباس أخرجه ابن مردويه في التفسير (فانظر كيف كان) صلى الله عليه وسلم (يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بازمة الرجاء الى الله تعالى اذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما أخرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى) حد (افراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد والآخر لم يكن مناقضا للاول ولكن ذكر في الاول ما رآه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر فعلى الواعظ) على العامة (ان يقتدى بسيد الوعاظ) صلى الله عليه وسلم (فيتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة) اليها (بعد ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه) قال صاحب القوت مقام الرجاء هو جند من جنود الله تعالى يستخرج من بعض العباد ما لا يستخرج غيره لان بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرم والاحسان ويقبل ويطمئن معاملة النعم والامتنان ما لا يوجد ذلك منها عند التخويف والترهيب بل قد يقطعها ذلك ويوحشها اذ جعل الرجاء طريقها فوجدت فيه قلوبها ومثل الرجاء في الاحوال مثل العوافي والغنى في الانسان من الناس من يقبل قلبه ويجتمع همه عندهما ويوجد نشاطه وتحسن معاملته بهما كما قيل عن الله تعالى ان من عبادى ما لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك ومن عبادى ما لا يصلحه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك انى أدبر عبادى بعلمي انى بهم عليم خبير فكذلك من عبادى من لا يصلحه الا الرجاء ولا يستقيم قلبه الا عليه ولا تحسن معاملته الا بوجود حسن

فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء الى الله تعالى اذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما أخرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد والآخر لم يكن مناقضا للاول ولكن ذكر في الاول ما رآه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر فعلى الواعظ أن يقتدى بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه

الظن به فهو طريقه اليه ومقامه منه ومنه علمه به وعنده يجد قلبه معه (وفى الخبر لولم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم) قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى أيوب اه قلت لفظه عند مسلم لولا انكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم وقد رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والترمذى وقال حسن غريب وأما سياق المصنف فقد رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو الا انه قال ثم يغفر لهم (وفى لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق آخر فيذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم) كذا فى القوت قال أى ان وصفه سبحانه المغفرة والرحمة ولابد ان يخلق مقتضى وصفه حتى يحق وصفه عليه هذا كما يقول فى علم المغفرة ان الله سبحانه من كل اسم وصفا ومن كل وصف فعلا وفى هذا سر المغفرة ومنه معرفة الخصوص قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة قريبا منه اه قلت ورواه أحمد والطبرانى من حديث ابن عباس لولم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم وروى الشيرازى فى الالقاب من حديث أبى هريرة لولا انكم أيتها الامة تذنبون لاتخذ الله عبادا يذنبون فيغفر لهم وروى ابن عساكر من حديث أنس ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم شكوا اليه انا نصيب من الذنوب فقال لهم لولا انكم تذنبون لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم (وفى الخبر لولم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل وما هو قال العجب) كذا فى القوت قال العراقى رواه البزار وابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث أنس وتقدم فى ذم الكبر والعجب اه قلت وفى لفظ لولم تكونوا تذنبون لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب هكذا رواه الخرائطى فى مساوى الاخلاق والحاكم فى تاريخه وأبو نعيم ورواه الديلمى من حديث أبى سعيد قال صاحب القوت ولعمرى ان العجب من صفات النفس المتكبرة وهو يحبط الاعمال وهو من كبار أعمال القلوب والذنوب من أخلاق النفس الشهوانية ولان يبتلى العبد الشهوانى بعشر شهوات من شهوات النفس خير له من ان يبتلى بصفة من صفات النفس مثل الكبر والعجب والبغى والحسد وحب المدح وطلب الذكر لان هذه منها معانى صفات الربوبية ومنها أخلاق الابالسة وبها هلك ابليس وشهوات النفس من وصف الخلقة وبها عصى آدم ربه فاجتباه بعدها وهدى (وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها) قال العراقى متفق عليه من حديث عمر بنحوه (وفى الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه) قال العراقى رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله من حديث حذيفة باسناد ضعيف اه قلت ورواه الطبرانى فى الشعب بلفظ والذى نفسى بيده ليغفرن الله الحديث (وفى الخبر ان لله مائة رحمة ادخر منها تسعا وتسعين رحمة وأظهر منها فى الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسعة والتسعين ثم يبسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارض قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة اه قلت لفظ مسلم ان الله عز وجل مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ورواه كذلك ابن ماجه ورواه مسلم أيضا من حديث سلمان وعند البيهقى من حديث أبى هريرة ان الله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة فى دار الدنيا فمن ثم يعطف الرجل على ولده والطير على فراخه فاذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق وعند مسدد من حديث سلمان ان الله تعالى مائة رحمة منها رحمة تتراحم بها الخلق وتسعة وتسعين ليوم القيامة وعند الحاكم من حديث أبى هريرة ان الله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة بين أهل الدنيا فوسعتهم الى آجالهم وأخر تسعا وتسعين رحمة لاوليائه وان الله قابض تلك الرحمة التى قسمها بين أهل الدنيا الى التسع والتسعين فيكملها مائة رحمة لاوليائه يوم القيامة (وفى الخبر ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله قال

وفى الخبر لولم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم وفى لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفى الخبر لولم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل وما هو قال العجب وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفى الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه وفى الخبر ان لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعا وتسعين رحمة وأظهر منها فى الدنيا رحمة واحدة فبها يتراحم الخلق فتحن الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارض قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك وفى الخبر ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله قال

ولا أنا الا ان يتغمدنى الله برحمته) متفق عليه من حديث أبى هريرة وعند ابن حبان ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت الحديث وفى آخره ولكن سددوا وعند الطبرانى من حديث أبى موسى ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة قيل ولا أنت الحديث ورواه كذلك ابن حبان والبغوى وابن قانع والطبرانى أيضا من حديث شريك بن طارق قال البغوى ولا أعلم له غيره وهذا الحديث قد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم اعملوا وابشروا واعلموا ان أحدا لن ينجيه عمله) قد تقدم أيضا (وقال صلى الله عليه وسلم انى اختبأت شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى) قال العراقى رواه الشيخان من حديث أبى هريرة لكل نبى دعوة وانى خبأت دعوتى شفاعة لامتى ورواه مسلم من حديث أنس وللترمذى من حديثه وصححه وابن ماجه من حديث جابر شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى اهـ قلت لفظ الصحيحين من حديث أبى هريرة لكل نبى دعوة يدعو بها فاريد ان أختبئ دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة وقد رواه أحمد كذلك وفى لفظ لمسلم من حديث جابر لكل نبى دعوة قد دعا بها فى أمته وانى قد خبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة وفى لفظ لمسلم من حديث أبى هريرة لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة ورواه كذلك الترمذى وابن ماجه وفى لفظ للشيخين من حديث أبى هريرة لكل نبى دعوة دعا بها فى أمته فاستجيب له وانى أريد ان شاء الله ان أدخر دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة وفى لفظ لمسلم لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له فيؤتاها وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة وأما حديث شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى فقد رواه أنس وجابر وابن عمرو وكعب بن عجرة وابن عباس فحديث أنس رواه أحمد وأبو داود والترمذى وقال حسن صحيح غريب وابن أبى عاصم والبزار وأبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان وصححاه والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى وقال انه اسناد صحيح والضياء فى المختارة كلهم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عنه ورواه أيضا أحمد وأبو داود وابن خزيمة والبيهقى من طريق سعيد ابن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بلفظ الشفاعة لاهل الكبائر من أمتى ورواه البيهقى من طريق يزيد الرقاشى عن أنس بلفظ قلنا يا رسول الله ان تشفع قال لاهل الكبائر من أمتى وأهل العظائم وأهل الدماء ومن طريق زياد النميرى عن أنس بلفظ ان شفاعتى أو ان الشفاعة لاهل الكبائر وأما حديث جابر فرواه الطيالسى والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم فى صحاحهم والبيهقى وأبو نعيم فى الحلية والضياء كلهم من طريق زهير بن محمد عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن أبيه عنه وقد رواه عن زهير عمرو بن أبى سلمة ومحمد بن ثابت البنانى والوليد بن مسلم وأما حديث ابن عمر فرواه الخطيب فى التاريخ وأما حديث كعب بن عجرة فرواه الدارقطنى فى الافراد والخطيب فى التاريخ وفى البعث للبيهقى من طريق الشعبى عنه قال قلت يا رسول الله الشفاعة الشفاعة فقال شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى وأما حديث ابن عباس فرواه الطبرانى فى الكبير وقد روى عن أبى الدرداء ولكن بلفظ الذنوب بدل الكبائر رواه الخطيب فى التاريخ ولفظه شفاعتى لاهل الذنوب من أمتى قال أبو الدرداء وان زنى وان سرق قال نعم وان زنى وان سرق على رغم أنف أبى الدرداء (أترونها للمطيعين المتقين بل هى للمتلوثين المخلطين) قال العراقى رواه ابن ماجه من حديث أبى موسى وأحمد من حديث ابن عمر خيرت بين الشفاعة وبين ان يدخل نصف أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لانها أعم وأكفى أترونها للمتقين الحديث وفيه من لم يسم اهـ قلت رواه كذلك من حديث ابن عمر الحسن بن عرفة فى جزئه والطبرانى وابن النجار ومن حديث أبى موسى رواه أيضا الطبرانى ولفظ الجميع شطر أمتى بدل نصف وفيه أفترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين (وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة السهلة) قال العراقى رواه أحمد من حديث أبى امامة بسند ضعيف دون قوله السهلة وله وللطبرانى من حديث ابن عباس أحب الدين الى الله الحنيفية السمحة وفيه محمد بن اسحق رواه بالعنعنة اهـ قلت ترجم البخارى فى صحيحه باب أحب الدين الى الله الحنيفية السمحة وقد رواه أيضا بدون

ولا أنا الا ان يتغمدنى الله برحمته وقال عليه أفضل الصلاة والسلام اعملوا وابشروا واعلموا ان أحدا لن ينجيه عمله وقال صلى الله عليه وسلم انى اختبأت شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى أترونها للمطيعين المتقين بل هى للمتلوثين المخلطين وقال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السمحة السهلة

للمؤمنين فى قولهم ولا تحمل علينا اصرا وقال تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية عن على رضى الله تعالى عنهما انه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال ياجبريل وما الصفح الجميل قال عليه السلام اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال ياجبريل فالله تعالى أكرم من ان يعاتب من عفا عنه فبكى جبريل وبكى النبى صلى الله عليه وسلم فبعث الله تعالى اليهما ميكائيل عليه السلام وقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هذا مالا يشبه كرمى * والاخبار الواردة فى أسباب الرجاء أكثر من ان تحصى * (وأما الآثار) * فقد قال على كرم الله وجهه من أذنب ذنبا فستره الله عليه فى الدنيا فالله أكرم أن يكشف ستره فى الآخرة ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه فى الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده فى الآخرة وقال الثورى ما أحب أن يجعل حسابى الى أبوى لانى أعلم ان الله تعالى أرحم بى منهما وقال بعض السلف للمؤمن اذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى أسود بن سالم بخطه

لفظ السهلة الديلمى من حديث عائشة وابن سعد فى الطبقات عن حبيب بن أبى ثابت مرسلا ورواه الخطيب وابن النجار من حديث جابر بزيادة ومن خالف سنتى فليس منى وأما حديث ابن عباس أحب الدين الخ فرواه أيضا البخارى فى الادب المفرد والبزار من طريق داود بن الحصين عن عكرمة عنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاديان أحب الى الله تعالى قال الحنيفية السمحة وله طرق ورواه البزار أيضا عن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عن جده ورواه بزيادة فاذا رأيت أمتى لا يقولون للظالم أنت ظالم فقد تودع منهم الحاكم والنرسى فى الغرائب وابن عساكر وأبو موسى المدينى فى المعرفة من حديث أسعد بن عبد الله بن مالك الخزاعى (وقال صلى الله عليه وسلم أحب أن يعلم أهل الكتابين أن فى ديننا سماحة) قال العراقى رواه أبو عبيد فى غريب الحديث وأحمد اهـ قلت رواه الديلمى من طريق عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فى حديث الحبشة ولعبهم ونظر عائشة اليهم قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلم اليهود ان فى ديننا فسحة وانى بعثت بالحنيفية السمحة رواه أحمد هكذا من طريق ابن أبى الزناد عن أبيه قال قال لى عروة ان عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تعنى يوم الحبشة لتعلم وذكره بلفظ انى أرسلت بدل بعثت وسنده حسن (ويدل على معناه استجابة الله للمؤمنين فى قولهم) ربنا (ولا تحمل علينا اصرا) كما حملته على الذين من قبلنا فقال قد فعلت (وقال) الله عز وجل ومن أحسن من الله قيلا (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) فهذه العلوم هى أسباب قوة الرجاء فى أولى الالباب كيف وقد جاء بما يغلب حكم الرجاء من غير اغترار ماروى عن الله تعالى انا الى الرحمة والعفو أقرب منى الى العقوبة (وروى) أبو القاسم (محمد بن) على بن أبى طالب الهاشمى المدنى ابن (الحنفية) منسوب الى أمه من بنى حنيفة ثقة عالم مات بعد الثمانين (عن) أبيه (على رضى الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قال) صلى الله عليه وسلم (ياجبريل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال ياجبريل فالله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه فبكى جبريل وبكى النبى صلى الله عليه وسلم فبعث الله اليهما ميكائيل عليه السلام وقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هذا مالا يشبه كرمى) هكذا هو فى القوت وقال العراقى رواه ابن مردويه فى التفسير موقوفا على على مختصرا قال الرضا بغير عتاب ولم يذكر بقية الحديث وفى اسناده نظر انتهى قلت وكذلك رواه ابن النحاس من قول على ورواه البيهقى فى الشعب من قول ابن عباس (والاخبار الواردة فى أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى) وبعضها لا يصلح ذكره لعموم الناس (أما الآثار فقد قال على كرم الله وجهه من أذنب ذنبا فستره الله عليه فى الدنيا فالله أكرم ان يكشف ستره فى الآخرة ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه فى الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده فى الآخرة) وفى لفظ آخر لا يذنب عبد فى الدنيا فيستره عليه الا غفره له فى الآخرة هكذا هو فى القوت وأورده الشريف الموسوى فى نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين قلت وقد روى ذلك مرفوعا من حديث على رضى الله عنه بلفظ من أذنب فى الدنيا ذنبا فعوقب به فالله أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده ومن أذنب ذنبا فى الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود فى شئ قد عفا عنه هكذا رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وابن جرير والحاكم وصححاه وقد تقدم (وقال) سفيان (الثورى) رحمه الله تعالى (ما أحب ان يجعل حسابى الى أبوى لانى أعلم ان الله تعالى أرحم بى منهما) كذا فى القوت وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال بعض السلف المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه) نقله صاحب القوت ويشهد له ماجاء فى الاثر اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله ملائكته وبقاع الارض معاصيه وبدلها حسنات حتى يرد القيامة وليس شئ عليه (وكتب محمد بن مصعب) بن صدقة القرقسانى صدوق روى له الترمذى وابن ماجه مات سنة ثمان وثمانين (الى الاسود بن سالم بخطه) هكذا فى النسخ بان الكاتب هو محمد بن مصعب

والمكتوب اليه هو الاسود بن سالم والذى فى القوت وحدثت عن محمد بن مصعب قال كتب الى أسود بن سالم بخطه (ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو يقول يارب) فاذا قال يارب (حجبت الملائكة صوته وكذا) اذا قال المرة (الثانية) يارب حجبت الملائكة صوته (و) كذا اذا قال المرة (الثالثة) يارب حجبت الملائكة صوته (حتى اذا قال) المرة (الرابعة يارب قال) ولفظ القوت يقول (الله تعالى حتى متى تحجبون صوت عبدى عنى قد علم عبدى انه ليس له رب يغفر الذنوب غيرى أشهدكم انى قد غفرت له) أورده صاحب القوت و يشهد له الخبر الذى تقدم قريبا اذا أذنب العبد فاستغفر الله يقول الله للملائكة انظروا الى عبدى أذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب و يأخذ بالذنب أشهدكم انى قد غفرت له (وقال) أبو اسحق (ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (خلا لى الطواف) ذات (ليلة مطيرة مظلمة فوقفت فى الملتزم عند الباب فقلت يارب اعصمنى حتى لا أعصيك أبدا فهتف بى هاتف من البيت يا ابراهيم أنت تسألنى العصمة وكل عبادى المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر) أى ان وصفه سبحانه المغفرة والرحمة ولابد ان يخلق مقتضى وصفه حتى يحق وصفه عليه هذا كما يقول فى علم المغفرة ان له سبحانه من كل اسم وصفا ومن كل وصف فعلا وفى هذا سر المعرفة ومنه معرفة الخصوص ثم هذا الذى ساقه المصنف هو سياق صاحب القوت ولفظ القشيرى فى الرسالة و يحكى عن ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه انه قال كنت أنتظر مدة من الزمان ان يخلو المطاف لى فكانت ليلة بها مطر شديد فخلا المطاف فدخلت الطواف وكنت أقول اللهم اعصمنى اللهم اعصمنى فسمعت هاتفا يقول لى يا ابن أدهم أنت تسألنى العصمة وكل الناس يسألونى العصمة فاذا عصمتكم فلمن أرحم انتهى وفى ذلك دلالة على انه سبق فى علمه انه لابد من وقوع المعصية والرحمة وقد تقع الرحمة ولا معصية فمن رحمته عصمة الانبياء وحفظ الاولياء وقد قال الله تعالى ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا وأراد بما ذكر أن ينبه ابن أدهم على ان لا يسأله ماليس له به علم كما فى قصة نوح عليه السلام اذ سؤال العبد العصمة عما لا علم به فقد يكون فى معلومه انه ممن يعصى فسؤاله المغفرة أولى به وأقرب للعبودية و يجوز أن يسأل العبد ربه ان يحفظه و يصونه عن سائر المعاصى وأما العصمة فمن خصائص الانبياء وقد اختلف فى جواز سؤالها لغيرهم فقائل بالمنع وقائل بالجواز كما أوردناه فى شرح الحزب الكبير لابى الحسن الشاذلى فليراجع (وكان الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير فى ملكوت السموات ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب) نقله صاحب القوت (وقال) أبو القاسم (الجنيد) قدس سره (ان بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين) نقله صاحب القوت (و) يروى انه (لقى) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصرى (أبانا) وهو ابن أبى عياش المتقدم ذكره قريبا وكان أبان ممن يحدث العامة باحاديث الرجاء والرخص (فقال له كم تحدث الناس بالرخص) ولا تخوفهم (فقال يا أبا يحيى انى لارجو ان ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق به كساءك هذا من الفرح) نقله صاحب القوت (وفى حديث ربعى) بكسر الراء وسكون الموحدة وكسر العين المهملة وياء النسبة (ابن حراش) بكسر الحاء المهملة وآخره شين معجمة وهو ابن جحش بن عمرو بن عبد الله بن بجاد بن عبد بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس العبسى أبو مريم الكوفى (عن أخيه) مسعود بن حراش قال ابن المدينى بنو حراش ثلاثة ربعى وربيع ومسعود ولم يروعن مسعود شئ الا كلامه بعد الموت (وكان ربعى من خيار التابعين) قدم الشام وسمع خطبة عمر بالجابية وقال العجلى تابعى ثقة من خيار الناس لم يكذب كذبة قط كان له ابنان عاصيان على الحجاج فقيل للحجاج ان أباهما لم يكذب كذبة قط لو أرسلت اليه فسألته عنهما فأرسل اليه فقال أين ابناك قال هما فى البيت فقال قد عفونا عنهما بصدقك وروى ان ربعيا آلى ان لا يضحك حتى يعلم أين مصيره فما ضحك الا بعد موته وآلى أخوه ربعى بعده ان لا يضحك حتى يعلم أفى الجنة هو أوفى النار قال غاسله فلم يزل متبسما على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا قال أبو نعيم وغير

واحد

ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو يقول يارب حجبت الملائكة صوته وكذا الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة يارب قال الله تعالى حتى متى تحجبون عنى صوت عبدى قد علم عبدى انه ليس له رب يغفر الذنوب غيرى أشهدكم انى قد غفرت له وقال ابراهيم بن أدهم رحمة الله عليه خلا لى الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت فى الملتزم عند الباب فقلت يارب اعصمنى حتى لا أعصيك أبدا فهتف بى هاتف من البيت يا ابراهيم أنت تسألنى العصمة وكل عبادى المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير فى ملكوت السموات ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب وقال الجنيد رحمه الله تعالى ان بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين ولقى مالك بن دينار أبانا فقال له الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى انى لارجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح وفى حديث ربعى بن حراش عن أخيه وكان من خيار التابعين

وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات أخي ربعي سجي بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا وقال انى لقيت ربي عز
وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان وانى رأيت الامر أيسر مما تظنون فلا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني وأصحابه
حتى أرجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة وقعت فى طست فحملناه ودفناه وفى الحديث أن رجلين من بنى اسرائيل تواخيا فى
الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا وكان يعظه ويزجره فكان يقول دعني وربي أبعثت على رقيبا
حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة أيستطيع أحد أن يحظر رحمتي على عبادي اذهب أنت فقد غفرت لك ثم يقول للعابد وأنت فقد أوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته وروى أيضا ان لصا كان يقطع الطريق فى بنى اسرائيل أربعين سنة فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بنى اسرائيل من الحواريين فقال اللص فى نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول فى نفسه مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد قال وأحس الحواري به فقال فى نفسه هذا يمشي الى جانبي فضم نفسه ومشى الى عيسى عليه الصلاة والسلام فمشى بجنبه فبقي اللص خلفه فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام قل لهما ليستأنفا
العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما أما الحواري فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيآته بما ازدرى على
نفسه فأخبرهما بذلك وضم اللص اليه فى سياحته وجعله من حواريه وروى عن مسروق ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ عنقه
بعض العصاة حتى ألزق الحصى بجبهته قال فرفع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مغضبا

واحد مات فى خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة وصلى عليه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن
الخطاب روى له الجماعة (وهو) أى أخوه وهو مسعود (ممن تكلم بعد الموت) على الصحيح كما تقدم
عن ابن المديني ولكن روى البيهقي باسناده فى الدلائل عن ربعي ان المتكلم بعد الموت أخوه الربيع
(قال) ربعي (لما مات أخي مسعود أو الربيع سجي بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن
وجهه واستوى قاعدا وقال انى لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان وانى
رأيت الامر أيسر مما تظنون فلا تفتروا) أى لا تكسلوا وفى بعض النسخ ولا تغتروا من الاغترار (ان
محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني وأصحابه حتى أرجع اليهم قال) ربعي (ثم طرح نفسه فكأنها كانت
حصاة وقعت فى طست فحملناه ودفناه) كذا هو فى سياق القوت (وفى الحديث ان رجلين من بنى اسرائيل
تواخيا فى الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه) أى بالمعاصي (وكان الآخر عابدا وكان) هذا
العابد (يعظه ويزجره) وينهاه (فكان يقول دعني وربي أبعثت على رقيبا) أى تراقب أحوالي وأعمالي
(حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة أيستطيع
أحد أن يحظر) أى يمنع (رحمتي على عبادي) ولفظ القوت أتستطيع ان تحظر رحمتي على عبادي
(اذهب فقد غفرت لك ثم يقول للعابد وأنت فقد أوجبت لك النار قال) صلى الله عليه وسلم (فوالذي نفسي
بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته) هكذا هو فى القوت وقال العراقي رواه أبو داود من حديث
أبي هريرة باسناد جيد اهـ قلت لفظ أبي داود كان رجلان فى بنى اسرائيل متواخيان وكان أحدهما
مذنبا والآخر مجتهدا فى العبادة وكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول اقصر فوجده يوما
على ذنب فقال له اقصر فقال خلني وربي أبعثت على رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة
فقبض روحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالما أو كنت على ما فى يدي قادرا
وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به الى النار وهكذا رواه أحمد أيضا
(وروى أيضا) فى معناه (ان لصا كان يقطع الطريق فى بنى اسرائيل أربعين سنة فمر عيسى عليه السلام
وخلفه عابد من عباد بنى اسرائيل) من الحواريين (فقال اللص فى نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه
لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال (فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري
ويقول فى نفسه مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد قال وأحس الحواري به فقال فى نفسه هذا يمشي الى
جانبي) قال (فضم نفسه ومشى) وتقدم (الى عيسى عليه السلام فمشى بجنبه فبقي اللص خلفه) قال (فأوحى
الله الى عيسى عليه السلام قل لهما ليستأنفا العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما أما الحواري
فقد أحبطت عمله وحسناته لعجبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيآته بما ازدرى على نفسه) قال
(فأخبرهما بذلك وضم اللص اليه فى سياحته وجعله من حوارييه) هكذا نقله صاحب القوت (وروى
عن) أبي عائشة (مسروق) بن الاجدع بن مالك الهمداني الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة اثنتين
وستين (ان نبيا من الانبياء) من بنى اسرائيل (كان) يوما (ساجدا فوطئ عنقه بعض العتاة) جمع
العاتي وهو المتمرد (حتى ألزق الحصى بجبهته) من شدة وطأته (قال فرفع النبي عليه السلام رأسه مغضبا

فقال اذهب فلن يغفر الله لك فأوحى الله تعالى اليه تتألى على فى عبادى انى قد غفرت له ويقرب من هذا ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم فى صلاته فنزل عليه قوله تعالى ليس لك من الامر شئ الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للاسلام وروى فى الاثر أن رجلين كانا من العابدين متساويين فى العبادة قال فاذا أدخلا الجنة رفع أحدهما فى الدرجات العلى على صاحبه فيقول يارب ما كان هذا فى الدنيا بأكثر منى عبادة فرفعته على فى عليين فيقول الله سبحانه انه كان يسألنى فى الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألنى النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء أفضل لان المحبة أغلب على الراجى منها على الخائف فكم من فرق فى الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه واكرامه ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانما تسألون كريما وقال اذا سألتم الله فاعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الاعلى فان الله تعالى لا يتعاظمه شئ

فقال اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه تتألى على فى عبادى انى قد غفرت له) نقله صاحب القوت وأغفله العراقى لانه ليس على شرطه وقد رواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن مسعود كان رجل يصلى فلما سجد أتاه رجل فوطئ على رقبته فقال الذى تحته والله لا يغفر الله لك أبدا فقال الله عز وجل تألى على عبدى انى لا أغفر لعبدى فانى قد غفرت له وروى مسلم وأبو عوانة وابن حبان والطبرانى من حديث جندب ان رجلا قال والله لا يغفر الله لفلان قال الله تعالى منذ الذى يتالى على ان لا أغفر لفلان فانى قد غفرت لفلان وأحبطت عملك (ويقرب من هذا ما روى ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم فى صلاته فنزل عليه قوله تعالى) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم الى قوله تعالى (ليس لك من الامر شئ الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للاسلام) هكذا هو فى القوت قال العراقى رواه البخارى من حديث ابن عمر انه كان اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الآخرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله عز وجل عليه ليس لك من الامر شئ الى قوله فانهم ظالمون ورواه الترمذى وسماهم أبا سفيان والحرث بن هشام وصفوان بن أمية وزاد فتاب عليهم فأسلموا فحسن اسلامهم وقال حسن غريب وفى رواية له أربعة نفر ولم يسمهم وقال وهداهم الله للاسلام وقال حسن غريب صحيح قلت وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب الصلاة مبسوطا (وروى فى الاثر ان رجلين كانا من العابدين) من عباد بنى اسرائيل (متساويين فى العبادة قال فاذا أدخلا الجنة رفع أحدهما فى الدرجات العلى على صاحبه فيقول يارب ما كان هذا فى الدنيا بأكثر منى عبادة فرفعته على فى) أعلى (عليين فيقول الله سبحانه انه كان يسألنى فى الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألنى النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله) هكذا أورده صاحب القوت وتبعه المصنف نظرا الى قوله وروى فى الاثر أورده فى خلال الاخبار المرفوعة على انه ليس بمرفوع ولذا لم يتعرض له العراقى وقد رواه العقيلى والخطيب من حديث أبى هريرة بلفظ ان رجلا دخل الجنة فرأى عبده فوق درجته فقال يارب هذا عبدى فوق درجتى فقال له نعم جزيته بعمله وجزيتك بعملك (وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء أفضل لان المحبة أغلب على الرجاء منها على الخائف فكم من فرق فى الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه واكرامه ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن) ولطف التملق له وقوة الطمع فيه فقد قيل فى قوله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين أى احسنوا الظن بالله وفى الخبر حسن الظن بالله من حسن عبادة الله عز وجل رواه أبو داود وابن حبان من حديث أبى هريرة (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانما تسألون كريما) قال العراقى لم أجده بهذا اللفظ وللترمذى من حديث ابن مسعود سلوا الله من فضله فان الله يحب ان يسئل انتهى قلت هو بقية من الحديث الذى يتلوه كما يدل له سياق صاحب القوت على ما نذكره وحديث ابن مسعود هذا رواه أيضا الطبرانى وابن عدى والبيهقى بزيادة وأفضل العبادة انتظار الفرج ورواه أيضا ابن جرير عن حكيم بن جبير عن رجل لم يسم (وقال) صلى الله عليه وسلم (اذا سألتم الله فأعظموا الرغبة وسلوا الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شئ) قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة اذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لى ان شئت ولكن ليعزم وليعظم الرغبة فان الله عز وجل لا يتعاظمه شئ أعطاه وللبخارى من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة ورواه الترمذى من حديث معاذ وعبادة بن الصامت انتهى قلت ولفظ القوت ومن الرجاء افتعال الطاعات وحسن الموافقات ينوى بها ويسأل مولاه الكريم عظيم الرغائب وجليل المواهب لما وهب له من حسن الظن به كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله تعالى فاعظموا الرغبة وسلوا الفردوس الاعلى فان الله لا يتعاظمه شئ وفى حديث آخر فاكثروا وسلوا الدرجات العلى فانما تسألون جوادا كريما اهـ أما

حديث

وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك بن أنس فى العشية التى قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لا أدرى ما أقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله مالم يكن لكم فى حساب ثم ما برحنا حتى أغمضناه وقال يحيى بن معاذ فى مناجاته يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى اياك مع الاعمال لانى اعتمد فى الاعمال على الاخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدنى فى الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف وقيل ان مجوسيا استضاف ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال ان أسلمت أضفتك فمر المجوسى فأوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك فمر ابراهيم يسعى خلف المجوسى فرده واضافه فقال له المجوسى ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال له المجوسى أهكذا يعاملنى ثم قال اعرض على الاسلام فأسلم ورأى الاستاذ أبو سهل الصعلوكى أبا سهل الزجاجى فى المنام وكان يقول بوعيد الابد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر أهون مما توهمنا

حديث أبى هريرة عند مسلم فقد رواه البخارى فى الادب المفرد من حديث أبى سعيد وروى ابن أبى شيبة والشيخان والنسائى من حديث أنس اذا دعا أحدكم فليعزم المسئلة فى الدعاء ولا يقل اللهم ان شئت فاعطنى فان الله لا مستكره له وروى ابن حبان من حديث أبى هريرة اذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فانه لا يتعاظم على الله شئ وروى الطبرانى من حديث العرباض اذا سألتم الله تعالى فسلوه الفردوس فانه سر الجنة وروى ابن حبان من حديث عائشة اذا سأل أحدكم فليكثر فانما يسأل ربه وروى عبد بن حميد فى تفسيره والطبرانى والحاكم وصححه وتعقب وابن مردويه من حديث أبى امامة سلوا الله الفردوس فانها سرة الجنة الحديث (وقال بكر بن سليم الصوّاف) أبو سليمان الطائفى سكن المدينة مقبول روى له البخارى فى الادب المفرد وابن ماجه (دخلنا على) أبى عبد الله (مالك بن أنس) الامام رضى الله عنه (فى العشية التى قبض فيها فقلنا يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لا أدرى ما أقول لكم) أى مما رأيت الآن من اكرام الله لى ومن صور الملائكة الذين يعالجون الروح بحيث عجزت ان أعبر عنه بلسانى (الا انكم ستعاينون من عفو الله مالم يكن لكم فى حساب ثم ما برحنا) من مكاننا (حتى أغمضناه) هكذا هو فى القوت وهو فى كتاب حسن الظن بالله لابى بكر بن أبى الدنيا ومن طريقه أخرجه القشيرى فى الرسالة فقال وسمعته يعنى أبا عبد الرحمن السلمى يقول حدثنا أبو العباس البغدادى حدثنا الحسن بن صفوان حدثنا ابن أبى الدنيا قال حدثت عن بكر بن سليم الصوّاف قال دخلنا على مالك بن أنس فساقه (وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (فى مناجاته يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى اياك مع الاعمال لانى أعبد) هكذا فى النسخ ولفظ الرسالة لانى أجدنى اعتمد (فى الاعمال على الاخلاص وكيف أحرزها) أى احفظها من الآفة (وانا بالآفة) من الرياء والعجب والكبر وغيرها (معروف وأجدنى فى الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف) هكذا أورده القشيرى فى الرسالة (وقيل ان مجوسيا استضاف ابراهيم الخليل عليه السلام) أى طلب منه ان يضيفه (فقال) له ان (أسلمت استضفتك) كذا فى النسخ والاولى أضفتك كما هو نص الرسالة (فمر المجوسى) أى جاوزه وهو يقول اذا أسلمت أى منة تكون لك على (فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن) من منذ (سبعين سنة نطعمه على كفره فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك) من الحرج (فمر ابراهيم) عليه السلام (يسعى خلف المجوسى فرده وأضافه فقال له المجوسى ما السبب فيما) أى فى الذى (بدا لك فذكر له) ذلك (فقال له المجوسى أهكذا يعاملنى) وفى رواية نعم الرب رب يعاتب نبيه فى عدوه (ثم قال اعرض على الاسلام) فعرضه عليه (فاسلم) وجه تعلق هذا بالرجاء انه تعالى يجعل الاسباب الضعيفة موصلة لغفران الذنوب العظيمة فاذا علم العبد بذلك تعلق قلبه بمحبوبه من جلب نفع أو دفع ضرر فيما ذكره اشارة الى ان الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة حيث بسطها لاعدائه وبسط رحمته الدنيوية تعم الكافر والمسلم بخلاف الاخروية كما قال تعالى وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ولما رأى المجوسى فضل الله تعالى عليه فى معاتبته نبيه لاجل عدوه وشكر ذلك جازاه بتوفيقه للاسلام (و) قال القشيرى فى الرسالة سمعت الشيخ أبا على الدقاق رحمه الله تعالى يقول (رأى الاستاذ أبو سهل) محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هرون بن موسى بن عيسى العجلى (الصعلوكى) بفتح الصاد وسكون العين المهملتين (النيسابورى) امام الشافعية فى عصره تفقه على أبى على الثقفى بنيسابور وروى عن أبى بكر بن خزيمة وأبى العباس السراج وعبد الرحمن بن أبى حاتم وعنه الحاكم أبو عبد الله وأبو حفص عمر بن أحمد بن مسرور الزاهد وتوفى سنة ٣٩٦ عن ثلاث وسبعين بنيسابور (أبا سهل الزجاجى ٧ فى المنام وكان يقول بوعيد الابد) أى يعتقد بان الله تعالى اذا توعد على معصية بعقاب فلا بد من وقوعه وهو غفلة منه عن شرطه فان ذلك يغفره اذا شاء كما قال ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء (فقال له كيف حالك فقال وجدنا الامر أهون) وفى رواية أسهل (مما توهمنا) يحتمل أن يكون الله غفر له اعتقاده

٧ هنا بياض بالاصل

ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا أستاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي وحكي ان أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء قال فجاؤا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا وأسأنا

قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت اما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه فقال اذهبوا به فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال وقيل كان رجل شريب جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيأ من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيأ و يقول من دفع اليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع الغلام اليه الدراهم فقال منصور ما الذي تريد أن أدعو لك فقال لي سيد أريد أن أتخلص منه فدعا منصور وقال الاخرى فقال أن يخلف الله على دراهمي فدعا ثم قال الاخرى قال أن يتوب الله على سيدي فدعا ثم قال الاخرى فقال أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال له سيده لم أبطأت فقص عليه القصة قال وبم دعا فقال سألت لنفسي العتق فقال له اذهب فأنت حر قال وايش الثاني قال أن يخلف الله على الدراهم قال لك أربعة آلاف درهم وايش الثالث قال أن يتوب الله عليك قال تبت الى الله تعالى قال وايش الرابع قال أن يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر قال هذا الواحد ليس الى فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلا يقول له أنت فعلت ما كان اليك افترى أني لا أفعل ما الي قد غفرت لك وللغلام وللمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين وروى عن عبد الوهاب بن عبد الحميد

المذكور لغفلته عن شرطه و يحتمل انه تاب عن اعتقاده قبل موته ولم يعلم الرائي حاله فلما رآه في المنام وسأله عن حاله أخبره بما ذكر (ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكي في المنام) ولفظ الرسالة سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول رأيت أبا سهل الصعلوكي في المنام (على هيئة حسنة لا توصف فقال له بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي بحسن ظني بربي) مرتين هكذا أورده القشيري في كتاب الرجاء ثم أعاده في آخر الكتاب (وحكي ان أبا العباس) أحمد بن عمر (بن سريج) بسين مضمومة وآخره جيم البغدادي أحد أئمة الشافعية (رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار تعالى سبحانه وتعالى يقول أين العلماء قال فجاؤا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا وأسأنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت اما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه) وذلك قوله تعالى و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء (فقال اذهبوا به فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال) حكاه القشيري في الرسالة وفيه دلالة على جواز الغفران لمن لم يشرك بالله كالآية التي أشار اليها وهي بشرى عظيمة لابن سريج وهو انه مغفور له وقد اعترف هو ومن معه بالتقصير ومن اعترف بتقصيره رجا المغفرة (وقيل كان رجل شريب) أي كثير الشرب للخمر (جمع قوما من ندمائه) أي جماعة ممن ينادمونه في الشرب (ودفع الى غلامه) وكان صالحا ينكر عليه ذلك (أربعة دراهم وأمره ان يشتري) بها (شيأ من الفواكه للمجلس) أي لاهل مجلسه (فمر الغلام بباب مجلس) الشيخ أبي السري (منصور بن عمار) الواعظ أصله من مرو وأقام بالبصرة وكان من المذكرين ترجمه القشيري في الرسالة (وهو يسأل لفقير شيأ و يقول من دفع اليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع اليه الغلام الدراهم) لانه رأى ان هذا أولى مما أمره به سيده وهان عليه مشقة الضرب والالم من سيده حتى لا يقع في هذا المنكر الشديد وظن منصور انه مالك الدراهم (فقال) له (منصور ما الذي تريد) مني (أن أدعو لك) به (فقال لي سيد أريد ان أتخلص منه) بالعتق لاخلص مما يدخلني فيه مما لا أحبه (فدعا) له (منصور) بذلك (وقال ما) الدعاء (الآخر فقال ان يخلف) الله (على دراهمي) التي دفعتها للفقير وأردها الى سيدي وأقول لا أعصي ما أمرتني به (فدعا) له بذلك (ثم قال) له (ما) الدعاء (الآخر فقال ان يتوب الله على سيدي) بان يوفقه للتوبة مما هو مرتكبه لاستريح من ضرره بالكلية (فدعا) بذلك (ثم قال وما الآخر فقال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم) أي جلسائه (فدعا منصور) بذلك (فرجع الغلام) الى سيده (فقال له سيده لم أبطأت فقص عليه القصة) فأثر فيه صدقه واستحسن فعله (فقال وبم دعا قال سألت لنفسي العتق) فدعا لي به (قال اذهب فأنت حر) لوجه الله تعالى (قال وايش) المدعو به (الثاني) أي أي شئ هو (قال أن يخلف الله على الدراهم) لاردها لك (قال لك أربعة آلاف درهم قال وايش الثالث قال ان يتوب الله عليك قال تبت الى الله تعالى قال وايش الرابع قال ان يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر) أي الواعظ وهو منصور (قال هذا الواحد ليس الي) بل الى الله تعالى (فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلا يقول) له (أنت فعلت ما كان اليك أفترى اني لا أفعل ما الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين) أورده هكذا القشيري في الرسالة وفيه دلالة على انه تعالى أكرم الاكرمين وانه يجازي بالخير الكثير على العمل اليسير وهو موضع الاستدلال على الرجاء لان سيد الغلام لما تكرم باليسير غفر الله له ولغلامه ولمن كان سببا في ذلك (وروى عن) أبي محمد (عبد الوهاب بن عبد الحميد) بن الصلت بن عبيد الله بن الحكم بن أبي العاص (الثقفي)

(الثقفى) البصرى قدم بغداد فى زمن المنصور وحدث بها قال ابن معين ثقة مات سنة أربع وتسعين ومائة روى له الجماعة (قال رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحملون جنازة قال فأخذت مكان المرأة وذهبنا الى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت فقلت للمرأة ما كان هذا الميت منك) أى ما نسبته منك (قالت) هو (ابنى قلت ولم يكن لكم جيران) يحملونها (قالت بلى ولكن صغروا أمره) وحقروه (قلت وايش كان هذا قالت) هو (مخنث) بالمثلثة وبكسر النون وبفتحهما (قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلى وأعطيتها دراهم وحنطة وثيابا قال) وغت (فرأيت تلك الليلة كأنه أتانى آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لى فقلت له من أنت فقال) أنا (المخنث الذى دفنتمونى) اليوم (رحمنى ربى باحتقار الناس اياى) وكلامهم فى حكاه القشيرى فى الرسالة وفيه دلالة على انه تعالى يجازى بالخير الكثير على العمل اليسير (وقال) القشيرى فى الرسالة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر الحربى يقول سمعت (ابراهيم الاطروش) يقول (كنا قعودا ببغداد مع) أبى محفوظ (معروف) بن فيروز (الكرخى) قدس سره (على الدجلة) وهى نهر ببغداد (اذ مر بنا أحداث) أى شبان (فى زورق) أى سفينة صغيرة (يضربون بالدف ويشربون) الخمر (ويلعبون) بالملاهى (فقالوا لمعروف اما تراهم) كيف (يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهى كما فرحتهم فى الدنيا ففرحهم فى الآخرة فقال القوم انما سألناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم فى الآخرة فقد تاب عليهم) أى واذا تابوا زال عنكم ما تكرهون فيحصل مطلوبكم من الدعاء عليهم وهذا من كمال المعرفة والسياسة فى تغيير المنكر الذى لا يتمكن العبد من ازالته بقوة الجاه والسطوة فسلك معروف فى ازالته مسلك السؤال وطلب الفضل من الله فى ان يغير أحوالهم عما هى عليه لانه تعالى هو الفاعل بهم ما هم فيه فقال ما قال فاعلمهم بذلك ان التغيير فى هذا الوقت لمثل هؤلاء انما هو بالدعاء لهم بالتوبة وبين ذلك بقوله اذا فرحهم فى الآخرة فقد تاب عليهم (وكان بعض السلف يقول فى دعائه يارب وأى أهل دهر) أى زمان (لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة) أى تامة (ورزقك عليهم دارا) أى واسعا متصلا (سبحانك ما أحلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة حتى كأنك يا ربنا انما تطاع سبحانك ما أحلمك تعصى وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى كأنك يا ربنا لا تغضب) وقد بقى مما يتعلق بالرجاء من كتابى القوت والرسالة وغيرهما مما لم يذكره المصنف وقد أحببت ان أسوقه لتمام الفائدة قال صاحب القوت عن بعض السلف كل عاص فانه يعصى تحت كنف الرحمن فمن ألقى عليه كنفه ستر عورته ومن رفع عنه كنفه افتضح والرجاء اسم لقوة الطمع فى الشئ بمنزلة الخوف اسم لقوة الحذر من الشئ ولذلك أقام الله الطمع مقام الرجاء فى التسمية وأقام الحذر مقام الخوف فقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهو وصف من أوصاف المؤمنين وخلق من أخلاق الايمان لا يصح الا به كما لا يصح الايمان الا بالخوف فالرجاء بمنزلة أحد جناحى الطائر لا يطير الا بجناحيه كذلك لا يؤمن حتى يرجو من آمن به ويخافه وكان ابن مسعود يحلف بالله ما أحسن عبد ظنه بالله الا أعطاه الله ذلك لان الخير كله بيده أى فاذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه لان الذى حسن ظنه به هو الذى اراد ان يحققه له وروينا عن يوسف بن اسباط قال سمعت سفيان الثورى يقول فى قول الله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين قال أى أحسنوا بالله الظن والرجاء مقام جليل وحال شريف نبيل لا يصلح الا للكرماء من أهل العلم والحياء وهو حال يحول عليهم بعد مقام الخوف يروحون به الكرب ويستريحون اليه من مقارفة الذنب ومن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء ومن لم يقم فى مقامات الخوف لم يرفع الى مقامات أهل الرجاء على صحة وصفاء ورجاء كل عبد من حقيقة خوفه ومكاشفته عن اخلاق مرجوة من معنى ما كان كوشف به من صفات مخوفة فان كان أقيم مقام المخوفات من المخلوقات مثل الذنوب والعيوب والاسباب رفع من حيث تلك المقامات الى مقامات الرجاء بتحقيق الوعد وغفران الذنب وتشويق

الثقفى قال رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحملون جنازة قال فأخذت مكان المرأة وذهبنا الى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت فقلت للمرأة من كان هذا الميت منك قالت ابنى قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صغروا أمره قلت وايش كان هذا قالت مخنثا قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلى وأعطيتها دراهم وحنطة وثيابا قال فرأيت تلك الليلة كأنه أتانى آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكرنى فقلت من أنت فقال المخنث الذى دفنتمونى اليوم رحمنى ربى باحتقار الناس اياى وقال ابراهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخى على دجلة اذ مر احداث فى زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون فقالوا لمعروف أما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال الهى كما فرحتهم فى الدنيا ففرحهم فى الآخرة فقال القوم انما سألناك أن تدعو عليهم فقال اذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم وكان بعض السلف يقول فى دعائه يارب وأى أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك ما أحلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى كأنك يا ربنا لا تغضب

الجنان ومافيهامن الاوصاف الحسان وهذه مواجهات أصحاب اليمين وان كان أقيم مقام مخاوف الصفات عن مشاهدة معانى الذات مثل سابق العلم وسوء الخاتمة وخفى المكر وباطن الاستدراج وبطش القدرة وحكم الكبر والجبرية رفع من حيث هذه المقامات الى مقام المحبة والرضا فرجا من معانى الاخلاق والاسماء الكرم والاحسان والفضل والعطف واللطف والامتنان وليس يصلح ان نخبر بكل مانعلم من شهادة أهل الرجاء فى مقامات الرجاء من قبل انه لا يصلح لعموم المؤمنين وهو يفسد من لم يرد به أشد الفساد فليس يصلح الا بخصوصه ولا يجذب ولا يستجيب له من المحبين ولا محبة الا بعد نصح القلب من المخافة فالمؤمن بين الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه وكلسان الميزان بين كفتيه ومنه قول مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وللمؤمن فى اعتدال الخوف والرجاء مقامان أعلاهما مقام المقربين وهو ماحال عليهم من مقام مشاهدة الصفات المخوفة والاخلاق المرجوة والثانى مقام أصحاب اليمين وهو ماعرفوه من بدائع الاحكام وتفاوت الاقسام من ذلك انه تعالى أنعم على الخلق بفضله عن كرمه اختيارا الا اجبارا فلما أعلمهم ذلك رجوا تمام النعمة من حيث ابتداؤها ومن ههنا طمع السحرة فى المغفرة لما ابتدؤا بالايمان فقالوا انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين أى من حيث جعلنا أول المؤمنين من هذا المكان نرجو بأن يغفر لنا بان جعلنا مؤمنين به فرجوه منه وقد ذم الله تعالى عبدا أوجده نعمة ثم سلبها فايس من عودها عليه فقال تعالى ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ثم استثنى عباده الصابرين عليه الصالحين له فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ثم ان الخلق خلقوا على أربع طبقات فى كل طبقة طائفة فمنهم من يعيش مؤمنا ويموت مؤمنا فمن ههنا رجاؤهم لانفسهم وغيرهم من المؤمنين اذ قد أعطاهم فرجوا ان يتم عليهم نعمته وان لا يسلبهم بفضل مابه بدأهم ومنهم من يعيش مؤمنا ويموت كافرا فهذا موضع خوفهم عليه وعلى غيرهم لمكان علمهم بهذا الحكم ولغيب حكم الله تعالى بعلمه السابق فيهم ومن الناس من يعيش كافرا ويموت مؤمنا ومن الناس من يعيش كافرا ويموت كافرا فهذان الحكمان أوجبا رجاءهم الثانى للمشرك اذا رأوه فلم يقطعوا الظاهره أيضا وخوفا ثانيا ان يموت على تلك الحالة وان كان ذلك هو حقيقة عند الله تعالى فعلم المؤمن بهذه الاحكام الاربعة وزن خوفه ورجائه معا فاعتدل حاله بذلك الاعتدال ايمانه به وحكم على الخلق بالظاهر ووكل الى علام غيوب السرائر ولم يقطع على عبد بظاهره من الشر بل يرجو له مابطن عند الله من الخير ولم يشهد لنفسه ولا لغيره بظاهر الخير بل يخاف ان يكون قد استسر عند الله باطن شر الا ان حال التمام ان يخاف العبد على نفسه ويرجو لغيره لان ذلك هو وجد المؤمنين من قبل انهم مأمورون بحسن الظن فهم يحسنون الظن بالناس ويخرجون لهم المعاذير بسلامة الصدور وتسليم ماغاب الى من اليه تصير الامور ثم هم فى ذلك يسيؤن الظن بنفوسهم لمعرفتهم بصفاتها ويوقعون الملام عليها ولا يحتجون لها لباطن الاشفاق منهم عليهم والخوف التزكية منهم لهم فمن غلب عليه هذان المعنيان فقد مكر به حتى يحسن الظن بنفسه ويسيء ظنه بغيره فيكون خائفا على الناس راجيا لنفسه عاذرا لنفسه محتجا لها لائما الناس ذاما لهم فهذه من أخلاق المنافقين ثم ان للراجى حالا من مقامه وللحال علامة من رجائه فمن علامة الرجاء عن مشاهدة المرجو دوام المعاملة وحسن التقرب اليه وكثرة التحبب بالنوافل لحسن ظنه به وجميل أمنه منه وانه يتقبل صالح ما أمر به تفضلا منه من حيث كرمه لا من حيث الواجب عليه ولا الاستحقاق منا فانه أيضا يكفر سيء ماعمله احسانا منه ورحمة من حيث لطفه بنا وعطفه علينا لاخلاقه السنية والطافه الخفية لا من حيث اللزوم بل من حيث حسن الظن به ومقام الرجاء كسائر مقامات اليقين منها فرض ونفل فعلى العبد فرض ان يرجو مولاه وخالقه ومعبوده ورازقه من حيث كرمه وفضله لا من حيث نظره الى صفات نفسه ولؤمه وقد كان سهل يقول من سال الله شيأ فنظر الى نفسه وأعماله لا يرى الاجابة حتى يكون ناظرا الى الله وحده والى لطفه وكرمه ويكون موقنا بالاجابة ولا يقبل الله عملا ولا دعاء الا من موقن بالاجابة مخلص فاذا شهد التوحيد ونظر

الى الوحدانية فقد فتح له بابا من العبادة ثم يتفاوت الراجون فى فضائل الرجاء فالمقربون منهم رجوا النصيب الاعلى من القرب والتجلى لمعانى الصفات مما عرفوه وهذا من علمهم به وأصحاب اليمين فى الراجين رجوا النصيب الاوفر من مزيده والفضل الاجزل من عطائه يقينا بما وعد ومن الرجاء انشراح الصدر باعمال البر وسرعة السبق والمبادرة بها خوف فوتها ورجاء قبولها ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاء انتجاز الموعود ومنه قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ومن الرجاء كثرة التلاوة لكلام الله تعالى واقام الصلاة التى هى خدمة المعبود و بذل المال سرا وعلانية وان لا يشتغل عن ذلك بتجارة الدنيا كما وصف المحققين من الراجين اذ يقول تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ومن الرجاء القنوت فى ساعات الليل وهو طول القيام للتهجد والدعاء عند تجافى الجنوب عن المضاجع لما وقر فى الصدور والقلوب من المخاوف وكذلك وصف الله تعالى الراجين بهذا فى قوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة و يرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فسمى أهل الرجاء والحذر وأهل التهجد آناء الليل علماء وحصل من دليل الكلام ان من لم يخف ولم يرج غير عالم لنفيه المساواة بينهما وهذا مما حذف خبره اكتفاء باحد وصفيه اذ فى الكلام دليل عليه فالرجاء هو أول مقام من اليقين عند المقربين وهو ظاهر أوصاف الصديقين ولا يكمل فى قلب عبد ولا يتحقق به صاحبه حتى تجتمع فيه هذه الاوصاف الايمان بالله والمهاجرة اليه والمجاهدة فيه وتلاوة القرآن واقام الصلاة والانفاق فى سبيل الله ثم السجود آناء الليل والقيام والحذر مع ذلك كله فهذه جمل أوصاف الراجين وهو أول أحوال الموقنين ثم تتزايد الاعمال فى ذلك ظاهرا و باطنا بالجوارح والقلوب عن تزايد الانوار والعلوم ومكاشفات الغيوب بالاوصاف المرجوة وفصل الخطاب ان الخوف والرجاء طريقان الى مقامين فالخوف طريق العلماء الى مقام العلم والرجاء طريق العاملين الى مقام العمل وقد وصف الله الراجين مع الاعمال الصالحة لقوة رجائهم بالخوف تكملة لصدق الرجاء وتتمة لعظيم الغبطة به فقال تعالى مخبرا عنهم فى حال وفائهم وأعمال برهم انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا وقال تعالى يوفون بالنذر و يخافون يوما من قبل ان الخوف مرتبط بالرجاء فمن تحقق بالرجاء صار عنه الخوف ان يقطع به دون مأرجاه وقال أهل العربية فى قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أى الذين لا يخافون عقوبات الله تعالى فاذا كان هذا أمره بالمغفرة لمن لا يرجو فكيف يكون عفوه وفضله على من رجوه و بعضهم يقول فى معنى قوله تعالى وترجون من الله مالا يرجون أى تخافون منه مالا يخافون فلولا انهما عند العلماء كشئ واحد ما فسر أحدهما بالآخر ومن الرجاء الانس بالله تعالى فى الخلوات ومن الانس به الانس بالعلماء والتقرب الى الاولياء وارتفاع الوحشة بمجالسة أهل الخير وسعة الصدور والروح عندهم ومن الرجاء سقوط ثقل المعاونة على البر والتقوى لوجود حلاوة الاعمال والمسارعة اليها أو الحث لاهلها عليها أو الحزن على فوتها والفرح بدركها ومن الرجاء التلذذ بدوام حسن الاقبال والتنعم بمناجاة ذى الجلال وحسن الاصغاء الى محادثة القريب والتلطف فى التملق للحبيب وحسن الظن به فى العفو الجميل ومنال الفضل الجزيل وقال بعض العارفين للتوحيد نور وللشرك نار ونور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشرك وقد كان يحيى بن معاذ يقول فى مقامات الرجاء اذا كان توحيد ساعة يحبط ذنوب خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة ماذا يصنع بالذنوب وقد قال سهل لا يصح الخوف الا لاهل الرجاء وقال مرة العلماء مقطوعون الا الخائفين والخائفون مقطوعون الا الراجين وكان يجعل الرجاء مقاما فى المحبة وهو عند العلماء أول مقام المحبة ثم يعلو فى الحب على قدر ارتفاعه فى الرجاء وحسن الظن وفى الخبر اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم و ينفرهم وقال بشر الحافى سكون النفس الى المدح أضر عليها من المعاصى ورأى يوسف بن الحسين مخنثا فأعرض عنه ازدراء عليه فالتفت المخنث اليه فقال

وأنت أيضا يكفيك مابك ففزع من قوله وقال أى شئ تعلم بى قال لان عندك انك خير منى فاعترف يوسف بذلك فتاب واستغفر وكان بعض الراجين يفهم من قوله تعالى اذا تلا وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون يرجو بذلك بوادى الجود والكرم والاحسان مالم يحتسبه فى الدنيا قط ويقال ان حملة العرش يتجاوبون بأصوات سبحانك على حلمك بعد علمك سبحانك على عفوك بعد قدرتك فللراجين من العارفين فهوم من السمع للكلام نحو علو نظرهم عن سمو علومهم بمعانى الصفات فكل صاحب مقام يشهد من مقامه ويسمع من حيث شهادته فاعلاهم شهادة الصديقين ثم الشهداء ثم الصالحين ثم خصوص المؤمنين فبه تبارك وتعالى استدلوا عليه وبه نظروا اليه هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وكان سهل يقول المؤمن يعيش فى سعة الرحمة والمؤمن يعيش فى سعة الحلم فصفاته تعالى كاملات فمن شهد ترجح بعضها على بعض دخل عليه النقص من مشاهدته لقصور علمه عن تمام علم من فوقه من الشهداء ولاجل مقامه المراد به دون طريق الصديقين من الاقوياء فعاد ذلك على العبد فصار مقامه له فى القرب والبعد تعالى وصف المشهود عن النقصان والحد ومثل الرجاء من الخوف مثل الرخصة من العزائم وفى الخبر ان الله تعالى يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وفى لفظ آخر أبلغ من هذا أو كذا ان الله تعالى يحب أن تقبل رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته وفى الخبر ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض نفسك الى عبادة الله تعالى وخير الدين أيسره وقال هلك المتعمقون هلك المتنطعون وفى أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى نظر اليه منتبذا وحدانيا فقال مالك وحدانيا فقال عاديت الخلق فيك قال أو ما علمت ان محبتى أن تعطف على عبادى وتأخذ عليهم بالفضل هنالك أكتبك من أوليائى وأحبائى ولا تنظر الى عبيدى نظرة جفاء ولا قسوة فاذا أنت قد أبطلت أجرك فاحفظ عنى ثلاثا خالص حبيبى مخالصة وخالق أهل الدنيا مخالقة ودينك فقلد نيه وروينا عن الضحاك ان العبد ليدنو من ربه عند العرض فيقول له عبدى أتحصى عملك فيقول الهى كيف أحصيه من دونك وأنت الحافظ للاشياء فيذكره الله تعالى جميع ذنوبه فى الدنيا ويقول لم أجعل للذنوب رائحة توجد منك ولم أجعل فى وجهك شينها وأنا أغفرها لك اليوم على ما كان منك بايمانك بى وتصديقك المرسلين ومن الرجاء شدة الشوق الى ما شوق اليه الكريم وسرعة التنافس فى كل نفيس ندب اليه الرحيم والاخبار فى حقيقة الرجاء تزيد المغترين اغترارا وتزيد المستدرجين بالستر والنعم خسارا وهو مزيد التوابين الصادقين وقرة عين للمحبين المخاصين وسرور لاهل الكرم والحياء وروح وارتياح لذوى العصمة والوفاء ينصح به كرمهم ويشتد عنده حياؤهم وترتاح اليه عقولهم فهؤلاء يستخرج منهم الرجاء وحسن الظن من العبادات مالا يستخرجه الخوف ان المخاوف تقطع عن أكثر المعاملات فصار الرجاء طريقا لاهله وصار واجدين به كما قال عمر رضى الله عنه رحم الله صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه أى يترك المعاصى للرجاء لا للخوف فصار الرجاء طريقه فهؤلاء هم الراجون حقا وهذه علامتهم ولمثل هؤلاء ذكرنا الاسباب التى توجب الرجاء وتولد حسن الظن فى قلوب أهل الصفاء المعصومين من الهوى الموفقين لحسن خدمة المولى فهذه جل أحكام الرجاء وأوصاف الراجين فمن تحقق بجميعها فقد استحق درجات أهل الرجاء وهو عند الله تعالى من المقربين ومن كان فيه وصف من هذه الاوصاف فله مقام من الرجاء واعلم ان مقامات اليقين لا يزيل بعضها فى بعض فمن غلب عليه حال منها عن وجد مشاهدته وصف بما غلب عليه واستحق ما سوى ذلك من المقامات فيه ومن عمل بشرط مقام منها فقام بحكم الله فيه نقل الى ما سواه وكان المقام الاول له علما والثانى الذى أقيم فيه له وجدا فكتم الوجد لانه سره وعبر عن العلم لانه قد جاوزه فصار علانيته ومقام الرجاء هو جند من جنود الله يستخرج من بعض العباد مالا يستخرج غيره لان بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرم والاحسان ويقبل ويطمئن معاملة النعم والامتنان مالا يوجد ذلك منها عند التخويف والترهيب بل قد

يقطعها

يقطعها ذلك و يوحشها اذ قد جعل الرجاء طريقها فوجدت فيه قلوبهم الى هنا انتهى كلام صاحب القوت وقد حذفت منها أشياء كثيرة وقال القشيرى فى الرسالة قال الله تعالى من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وأسند عن العلاء بن زيد قال دخلت على مالك بن دينار فرأيت عنده شهر بن حوشب فلما خرجنا من عنده قلت لشهر يرحمك الله زوّدنى زوّدك الله فقال نعم حدثتنى عمتى أم الدرداء عن أبى الدرداء عن نبى الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قال ربكم عز وجل عبدى ما عبدتنى و رجوتنى ولم تشرك بى شيأ غفرت لك ما كان منك ولو استقبلتنى بملء الارض خطايا وذنوبا استقبلتك بملئهن مغفرة فاغفر لك ولا أبالى وتكلموا فى الرجاء فقال شاه الكرمانى علامة الرجاء حسن الطاعة وقيل الرجاء هو ثقة الجود من القديم وقيل هو النظر الى سعة رحمة الله تعالى وسئل أحمد بن عاصم الانطاكى ما علامة الرجاء فى العبد قال أن يكون اذا أحاط به الاحسان ألهم الشكر راجيا لتمام النعمة من الله عليه فى الدنيا وتمام عفوه فى الآخرة وقال أبو عبد الله بن خفيف الرجاء استبشار بوجود فضله وقيل ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجوّ المحبوب وقيل هو رؤية الجلال بعين الجمال وقيل هو قرب القلب من ملاطفة الرب وقيل سرور الفؤاد بحسن المعاد وقال يحيى بن معاذ الهى أحلى العطايا فى قلبى رجاؤك وأعذب الكلام على لسانى ثناؤك وأحب الساعات الى ساعة يكون فيها لقاؤك وكلموا ذا النون المصرى وهو فى النزع فقال لا تشغلونى فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معى وأسند عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم فقلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله أو يضحك ربنا عز وجل قال والذى نفسى بيده انه ليضحك فقال لا نعدم منه خيرا اذا ضحك ورؤى مالك بن دينار فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال قدمت على ربى بذنوب كثيرة محاها عنى حسن ظنى بالله تعالى وقيل كان ابن المبارك يقاتل علجا مرة فدخل وقت صلاة العلج فاستمهله فأمهله فلما سجد للشمس أراد ابن المبارك ان يضربه بالسيف فسمع من الهواء قائلا يقول وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا فأمسك فلما سلم المجوسى قال لم أمسكت عما هممت به فذكر له ما سمع فقال المجوسى نعم الرب رب يعاتب وليه فى عدوّه وأسلم وحسن اسلامه وقيل انما أوقعهم فى الذنب حين سمى نفسه عفوّا وقيل لو قال لا أغفر الذنوب لم يذنب مسلم قط ولكنه لما قال و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء طمعوا فى مغفرته وقيل حج رياح القيسى حجات كثيرة فقال يوما وقد وقف تحت الميزاب الهى وهبت من حجاتى كذا وكذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعشرة من أصحابه العشرة واثنتين من والدى والباقى من المسلمين ولم يحبس شيأ لنفسه فسمع هاتفا يقول يا هذا تتسخى علينا لاغفرن لك ولابويك ولمن شهد شهادة الحق سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول مر أبو عمرو البيكندى يوما بسكة فرأى قوما أرادوا اخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكى فقيل انها أمه فرحمها أبو عمرو فتشفع له اليهم وقال هبوه منى فى هذه المرة فان عاد الى فساده فشأنكم واياه فوهبوه منه فمضى أبو عمرو فلما كان بعد أيام اجتاز بتلك السكة فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال فى نفسه لعل الشاب عاد الى فساده فنفى من المحلة فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب فخرجت العجوز وقالت انه مات فسألها عن حاله فقالت لما قرب أجله قال لى لا تخبرى الجيران بموتى فلقد آذيتهم فانهم سيشتمونى ولا يحضرون جنازتى فاذا دفنتينى فهذا خاتم لى مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم فادفنيه معى فاذا فرغت من دفنى تشفعى لى الى ربى قالت ففعلت وصيته فلما انصرفت عن رأس قبره سمعت صوته يقول انصرفى يا أماه فقد قدمت على رب كريم انتهى كلام القشيرى ولنعد الى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى (فهذه هى الاسباب التى بها يجلب روح الرجاء الى قلوب الخائفين والآيسين وأما الحمقى المغرورون فلا ينبغى ان يسمعوا شيأ من ذلك) فانها تزيدهم اغترارا بالله (بل يسمعون ما سنورده فى أسباب الخوف فان أكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبى العرم) أى

فهذه هى الاسباب التى بها يجلب روح الرجاء الى قلوب الخائفين والآيسين فأما الحمقى المغرورون فلا ينبغى أن يسمعوا شيأ من ذلك بل يسمعون ما سنورده فى أسباب الخوف فان اكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبى العرم

النشيط (لا يستقيم الا بالسوط والعصا واظهار الخشونة فى الكلام) ولفظ القوت وأكثر النفوس لا تصلح الا على الخوف كعبيد السوء لا يستقيمون الا بالسوط والعصا ويواجهون بالسيف صلتا (وأماضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح فى الدنيا والدين) نسأله تعالى التوفيق

(فصل) فى بيان لواحق الرجاء اعلم ان من لواحق الرجاء الرغبة ولنبسط الكلام فى الرغبة اعلم انه لما كانت حقيقة الرجاء تعلق القلب بمأمول يحصل فى الاستقبال بعد جريان أسبابه كانت الرغبة استيلاء هذا الحال على الراجى حتى كانه يشاهد بها المأمول فالرغبة كمال الرجاء ومنتهى حقيقته وهى تعلقه بضد كل ما يذكر من المخاوف فى كتاب الخوف ولا تزال مصحوبة بالتمادام للحظ واختيار فاذا ارتقيت عن ذلك بالفناء بالتوحيد فحينئذ لا رغبة ولا رهبة الى ان ترجع الى بشريتك وانسانيتك فافهم ذلك الكلام على البسط اعلم ان القلوب كما تنقبض بالخوف تنبسط بروح الرجاء وهذا يدل على فضيلة الرجاء على الخوف كما سيأتى الكلام عليه لان القلوب اذا انبسطت انشرحت واذا انشرحت انفتح لها طرق الهدى قال الله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فيهدى الله بذلك النور الى حضرته فيبقى مبسوطا لديه مستوراحاله عن الخلق برداء العلم وجلباب التقوى فأعزز بهذا المقام ما أجله وبالله التوفيق

(الشطر الثانى من الكتاب فى الخوف)

(وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات الخوف وبيان أقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان أحوال الخائفين من الانبياء) عليهم السلام (والصالحين) رحمهم الله تعالى

(بيان حقيقة الخوف)

(اعلم) رحمك الله تعالى (ان الخوف) هو الخامس من مقامات اليقين وهو باب عظيم من أبواب الايمان وقد تقدم ان أحوال القلوب تنقسم الى مقامات وأحوال وحالات متوسطة بينهما وهذا بالنسبة الى الثبات وسرعة الزوال وان الحالة المتوسطة متى دامت ألحقت بالمقام ومتى زالت ألحقت بالحال وكذلك أحوال القلب وان الخوف لا يتعلق الا بمشكوك فيه أو مظنون فالخوف (عبارة عن تألم القلب واحتراقه) وانزعاجه (بسبب توقع مكروه فى الاستقبال وقد ظهر هذا فى بيان حقيقة الرجاء) فلا يعاد ثانيا وله لواحق الحزن والقبض والاشفاق والخشوع فحقيقة الحزن ألم يطرق القلب وتوجع لحاصل مكروه أو على فائت محبوب فان كان المحبوب والمكروه محمودين كان له حكمهما فى الوجوب والفضيلة وان كانا مكروهين كان له حكمهما فى الحظر والكراهة وحقيقة القبض هم يطرق القلب تارة يعلم سببه وتارة لا فأما ما يعلم سببه فحكمه حكم الحزن ومالم يعلم سببه فهو عقوبة من الله بسبب الافراط فى البسط يتأدب به المريدون المائلون عن الاعتدال وحقيقة الاشفاق اتحاد الخوف والرجاء واعتدالهما وسيجىء حكم ذلك وحقيقة الخشوع سكون القلب والجوارح وعدم حركتهما لما عاين القلب من عظيم أو مفزع واذا عرفت هذه الحقائق فاعلم ان (من انس بالله وملك الحق قلبه) بأن لم يبق فيه سواه (وصار ابن وقته) بل وأبا وقته (مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل) من الايام (فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فانهما) كما قال الواسطى (زمامان) مستوليان (يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها) أى سكونها الى حالتها واستحسانها ما هى عليه من طاعتها أو جزعها أو يأسها من فضل ربها عند مخالفتها فهما يصدانها عن ذلك لانها ان استحسنت أحوالها وركنت الى أعمالها زجرها الخوف وان يئست من فضل ربها وقنطت لسوء حالها جذبها الرجاء للسلامة ولفظ قول الواسطى زمامان على النفوس لئلا تخرج الى رعوناتها كذا فى الرسالة (والى هذا أشار) أبو الحسن بنان ابن محمد الجمال (الواسطى) نزيل مصر والمتوفى بها سنة عشر وثلاثمائة وكان كبير الشان صاحب

لا يستقيم الا بالسوط والعصا واظهار الخشونة فى الكلام وأما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح فى الدين والدنيا

(الشطر الثانى من الكتاب فى الخوف) وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجاته وبيان أقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان أحوال الخائفين من الانبياء صلوات الله عليهم والصالحين رحمة الله عليهم ونسأل الله حسن التوفيق

(بيان حقيقة الخوف)

اعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال وقد ظهر هذا فى بيان حقيقة الرجاء ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها والى هذا أشار الواسطى

حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال أيضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة (١٩٧) لرجاء ولا لخوف و بالجملة فالمحب اذا
شغل قلبه فى مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصانا فى الشهود وانما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الآن انما نتكلم فى أوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم أيضا من علم وحال وعمل أما العلم فهو العلم بالسبب المفضى الى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع فى يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك فى نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه فى حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذى وقع فى مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهى حرصه وسطوته على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه
كخوف من وقع فى مجرى سيل أو جوار حريق فان الماء يخاف لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار على الاحراق فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحراق القلب وتألمه وذلك الاحراق هو الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته

الكرامات رحمه الله تعالى (حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد) قال القشيرى وهذا اللفظ فيه اشكال أى لان الخوف مطلوب فكيف يكون حجابا بين الخائف وربه معناه ان الخائف متطلع لوقت ثان وأبناء الوقت لا تطلع لهم فى المستقبل وحسنات الابرار سيئات المقربين انتهى فعدوا التطلع لوقت ثان حجابا وهو لان تطلع العبد الى غير وقته تفرقة واشتغاله بوقته جمع واعترضه بعضهم بان ذلك لا يدل على تفرقة خارجة عن مقام الخوف لان متعلق كل مقام من ضرورة التخلق به ملاحظة فهو جمع لا تفرقة قال والاولى أن يقال العبد اذا وقف وسكن مع حالته فى الخوف استحسن مقامه فيه وكونه استعان به على خلاصه من المكروهات ونشط به فى الطاعات فوقوفه معه مع استحسانه له حجاب بينه وبين ربه بمعنى انه منعه من انتقاله الى ما هو أعلى منه وأقرب الى ربه (وقال) الواسطى (أيضا اذا ظهر الحق على السرائر) بان أظهر الله لصاحبها من جلاله وجماله ما شغله عن احساسه بنفسه فضلا عن غيره من المخلوقات (لا يبقى فيها) أى فى تلك السرائر (فضلة) من الاحساس (لرجاء ولا لخوف) نقله القشيرى ويؤيده ظاهر قوله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هذا بالنسبة الى الخواص الكرام وأما بالنسبة الى الصلحاء من العوام فمعناه لا خوف عليهم بلحوق العقاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب فى العقبى قال القشيرى بعد ان نقل كلام الواسطى السابق وهذا فيه اشكال أى على من لم يعرف اصطلاح القوم لان الخوف والرجاء مطلوبان فكيف يثنى بفقدهما وجوابه ان معناه اذا اصطلمت شواهد الحق تعالى الاسرار ملكتها فلا يبقى فيها مساغ لذكر حدثان والخوف والرجاء من آثار بقاء الاحساس بأحكام البشرية (وبالجملة فالمحب اذا أشغل قلبه فى مشاهدة المحبوب بخوف الفراق) فى المستقبل (كان ذلك نقصانا فى الشهود) اذ القلب ليس له الا وجهة واحدة (وانما دوام الشهود غاية المقامات) ونهاية الدرجات (ولكنا الآن انما نتكلم فى أوائل المقامات فنقول حال الخوف ينتظم أيضا من علم وحال وعمل) لانه من المقامات وكل مقام فهو كذلك (أما العلم فهو العلم بالسبب المفضى الى المكروه) وانما بدأ به لان كل ما لا ينكشف سببه لا تتضح حقيقته ولا تعرف فضيلته (وذلك كمن جنى على ملك) من الملوك (ثم وقع فى يده) أى فى حوزته (فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات) أى الخلاص (ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية) أى الموصلة (الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك فى نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه فى حقه وكان هذا الخائف عاطلا) عاريا (عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف) أى لابسها (بل من صفة المخوف كالذى وقع فى مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهى سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع فى مجرى سيل أو جوار حريق فان الماء يخاف) منه (لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار) مجبولة بطبعها (على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه) وانزعاجه (وذلك الاحتراق هو الخوف فكذا الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته) القديمة من العلم والارادة والقدرة والكلام أما العلم فالعلم بالسعيد والشقى وانه فى ذلك على أتم أنواع الكمال وأما الارادة فبتخصيصها ما كشفه العلم من الاسعاد والاشقاء وأما القدرة فايجادها نفس الاسعاد والاشقاء فى الوقت الذى خصصته الارادة من غير تقدم ولا تأخر وأما الكلام فاخباره ايانا بالاسباب المسعدة والاسباب المشقية والاسباب منها ما اطلع عليه العباد من ان الطاعة مسعدة وان المعصية مشقية ومنها ما خفى فلا اطلاع لاحد عليه وذلك لخفى المكر والالطاف الموجبات للتقريب

والابعاد فهذه أبواب من الايمان يجب التصديق بها كلها (و) مما يجب عليه في معرفته في توحيد الافعال (انه) تعالى (لو أهلك العالمين) جميعا (لم يبال ولم يمنعه مانع) لوحدة ذاته ففي الحديث لما خلق الله آدم ومسح على ظهره فاستخرج منه ذريته فقبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقبض أخرى فقال هؤلاء في النار ولا أبالي (وتارة يكون) الخوف (لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي) أي ارتكابها وملابستها وذلك يستدعي ان يعرف أولا ان كل ماسوى الله تعالى قابل للاهلاك والاتلاف والعقاب لما تقدم من نقص العدم وما لحقه بعد الايجاد من نقص الافتقار الى الله تعالى وكيف لا وذات الانسان أضعف ذوات العالم كلمة الكلمة الطيبة تنعش قلبه وقرصة البقة تزعج بدنه وليس فيه جزء ثالث فاذا عرف العبد هذا أحس بذله وعجزه وقبوله تأثره بالمحقرات فكيف يقهر جبار السموات ثم علمه ان لسيده عليه نعما تترى ظاهرة وباطنة عقابية وحسية ثم علمه بكثرة جنايته على مناهج سيده وشريعته وأن النعم قابلة السلب والذهاب والجنايات مرتب عليها العذاب هذه معرفته بنفسه في هذا الباب وفي باب علاج الكبر فان لكل باب معرفة تناسبه والايمان بالاعتراف بذل العبودية وكثرة النعم واستحقاق العقوبة على الجنايات واجب وهو فرض عين (وتارة يكون) الخوف (بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه) على ماذكرناه (ومعرفته بجلال الله تعالى وتعاليه واستغنائه) على ماسردناه (وانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون تكون قوة خوفه) ومن نقصت معرفته فيهما يضعف خوفه (فاخوف الناس لربهم أعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أنا أخوفكم لله) قال العراقي رواه البخاري من حديث أنس والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له وللشيخين من حديث عائشة والله لانا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية انتهى قلت وروى أحمد من حديث رجل من الانصار أنا أتقاكم لله وأعلمكم بحدود الله (ولذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) وهم العارفون بانفسهم وبربهم (ثم اذا كملت المعرفة أورثت حالة الخوف واحتراق القلب ثم تفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات أما في البدن فبالنحول والصفار) مع الكدرة (والغشية والزعقة والبكاء وقد) يغلب ذلك عليه حتى (تنشق به المرارة فتفضي الى الموت أو يصعد الى الدماغ فيفسد العقل) ويصير لا يعي (أو يقوى فيورث القنوط واليأس وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وبقيدها في الطاعات تلافيا) أي تداركا (لما فرط) منه (واستعداده للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه) ويتألم على حاله وما هو فيه من فساد دينه (بل) الخائف (من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه) أي بسببه ولفظ القشيري في الرسالة وقيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه انما الخائف من يترك ما يخاف ان يعذب عليه انتهى فالخوف المحمود ما صان العبد عن الاخلال بشئ من المأمورات أو الوقوع في شئ من المنهيات (وقال أبو القاسم الحكيم من خاف شيأ هرب منه ومن خاف الله هرب اليه) نقله القشيري في الرسالة والحكيم هذا هو أبو القاسم اسحق بن محمد بن اسمعيل بن ابراهيم السمرقندي ولي قضاء سمرقند مدة ودونت حكمته وانتشر في الارض ذكره روى عنه أبو جعفر بن منيب السمرقندي وغيره ومعنى قوله ان الخوف حقيقة انما يكون من الله لانه الفاعل لكل مخوف فاذا خاف العبد غير الله مع غفلته عن الله هرب منه واذا ذكر الله وخشي ان يسلطه عليه هرب الى الله أي رجع اليه فلا مهرب من المخوفات الا الغافل عن الله والا فمن علم انها مسخرة بيد الله هرب ورجع الى الله القادر على خلاصه منها لا غيره (وقيل لذي النون) المصري قدس سره (متى يكون العبد خائفا) ولفظ الرسالة متى يتيسر على العبد سبيل الخوف (قال اذا أنزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي) من كل شئ (مخافة طول السقام) أي متى أنزلها منزلته وعرف ضعفها وعجزها عن تحصيل ما ينفعها ودفع ما يضرها الا بالله وأدام النظر في ذلك سهل عليه أمر الخوف أي عمل بمقتضاه وبعد عما يخشاه ولم يلتفت لما يطرقه من المشقة في ارتكاب المخالفة لهواه لما يؤمله في عقباه ولذلك شبهه بالمريض

وانه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون تكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وربه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أنا أخوفكم لله وكذلك قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة أورثت جلال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات أما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنشق به المرارة فيفضي الى الموت أو يصعد الى الدماغ فيفسد العقل أو يقوى فيورث القنوط واليأس وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه وقال أبو القاسم الحكيم من خاف شيأ هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون متى يكون العبد خائفا قال اذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام

وأما في الصفات فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال (١٩٩) من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري انه يغفل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الاعمال أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى أن يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أعم لانه كف عن كل محظور وأعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا وراءه اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الآخرة مما قبلها مجرى

الذي يحتاج الى الادوية ويتحمل في تناولها ما تكرهه نفسه وتأباه رجاء العافية من سقمه وبلواه (وأما في الصفات فهو بان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه) ويحبه (اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف) قال القشيري سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت ابراهيم بن شيبان يقول اذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه (وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحسد والحقد) وسائر أوصاف الرعونة (بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتضرع لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة) والتفكر (والضنة بالانفاس واللحظات) أي البخل بها فلا تمر في غير ذكر الله (ومؤاخذة النفس في الخطرات) التي تمر (والخطوات التي يخطو بها والكلمات) وعلى هذه الاصول بناء السادة النقشبندية في طريقتهم العلية التي منها حفظ الانفاس والعقل في النفس والنظر على القدم والتذكر والرجوع وغير ذلك مما هو مذكور في محله (ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري انه يغفل عنه فيفلت) أي يخلص (أو يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة) رضوان الله عليهم منهم أبو بكر الصديق وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وأبو الدرداء (والتابعين) منهم القاسم بن محمد بن أبي بكر والحسن البصري وكميل بن زياد ومطرف بن عبد الله وغيرهم (وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله) وعظمته (وصفاته) الحسنى (وأفعاله و) بحسب قوة المعرفة (بعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الاعمال ان يمتنع عن المحظورات) الشرعية (ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا) وحقيقته مجانبة الشئ حذرا من ضرره وله درجات أربع ذكرت في كتاب الحلال والحرام (فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى) وهذه هي الدرجة الثالثة من درجات الورع وهي ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف أداءه الى محرم وهو ورع المتقين (اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى نفسا من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا) وهو فعيل من الصدق للمبالغة فيه (ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أعم لانه كف عن كل محظور وأعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا وراءه اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الآخرة مما قبلها مجرى

الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل) وقال صاحب القوت الخوف اسم جامع لمقامات المتقين ثم يشتمل على أهل طبقات خمس فى كل طبقة ثلاث مقامات فالمقام الاول من الخوف وهو التقوى وفى هذا المقام المتقون والصالحون والعاملون والمقام الثانى هو الحذر وفى هذا المقام الزاهدون والورعون والخاشعون والمقام الثالث هو الخشية وفى هذا طبقات العالمين والعابدين والمحسنين والمقام الرابع الوجل وهذا للذاكرين والمخبتين والعارفين والمقام الخامس هو الاشفاق وهو للصديقين والشاهدين والمحبين وخصوص المقربين وخوف هؤلاء عن معرفة الصفات لاجل الموصوف لاعن مشاهدة الاكتساب لاجل العقوبات وقال فى موضع آخر ان الخائف يوصف ماغلب عليه من الحال عما قوى عليه من الشهادة ويندرج الرجاء فى مقامه فيكون الرجاء له مشهودا والخوف منه وجدا ويوصف الراجى بما قوى عليه من الحال عن غلبة شهادته وينطوى الخوف فى مقامه فيصير الخوف له علما والرجاء له وجدا ولكنه للمخوف تعالى فيتناهى الخوف ولا نهاية للمرجو فيقتضى منه الرجاء فاما الشهيد الموقن العالم المقرب فبالحالين جميعا يوصف مع اعتدالهما وبالوصفين جميعا يعرف مع استوائهما ثم يغلب عليه الوصف التام والحال الكامل من القيام بشهادة التوحيد والتحقيق بحق المعرفة لموجب المزيد فاذا عرف به اندرج الوصفان فيه فيقال صديق لانه تحقق بالصدق فى جميع معانيه فأغنى من أن يقال مخلص ثم يقال عارف لانه قد رسخ فى العلم رسوخ الجبل فكفى أن يقال صادق ثم يقال مقرب لانه أشهد القرب فاقترب فلم يحتج أن يقال عالم وهذه أسماء الكمال وصفات التمام لا يفتقر الى ذكر حال ولا يوصف بصفة مقال كما يقال فى غيره من ذكر الاحوال خائف أو راج لوجودهما فيه بالكشف واعتدالهما عنده بالسواء لان الخوف والرجاء قد فاضا عليه ثم غاصا فيه فاذا قلت عارف أو مقرب أو صديق فقد دخل فيه حال محب ووصف خائف ومقام راج ونعت عالم وسمة عامل لامحالة (كما أنك تقول) فى تعالى الانساب واندراجها فى عوالى الاحساب (الانسان اما عربى واما عجمى والعربى اما قرشى أو غيره والقرشى اما هاشمى أو غيره والهاشمى اما علوى أو غيره والعلوى اما حسنى أو حسينى فاذا ذكرت انه حسنى مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوى وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه) ولفظ القوت فاذا قلت فلان هاشمى استغنيت ان تقول عربى أو قرشى لان كل هاشمى عربى قرشى لامحالة ثم تصفه بعد ذلك بوصف التمام والكمال أيضا كما ذكرناه فى قولنا عارف فتندرج الانساب فيه فتقول فلان حسنى فاكتفيت ان تقول قرشى أو هاشمى أو علوى وان كان قرشيا هاشميا علويا بالاشك انه قد عرف ان كل حسنى فهو قرشى هاشمى علوى لامحالة فأما ان تقول فلان عربى أو قرشى أو هاشمى فهو مقصور على ما وسمته به لانه قد يكون علويا وهو الغاية فى الحسب ثم لا يكون حسنيا فتنقص رتبة منزلته ويكون قرشيا غير هاشمى فينحط درجة وقد يكون عربيا غير قرشى فينزل مرتبة فيلزمه وصف ماعرفته حسب فاذا قلت حسنى لادخلت الاحساب كلها فيه وغنيت ان تصفه بما دونها (فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت انه تقى وورع وعفيف) ولفظ القوت كذلك قولنا عارف أو موقن أو مقرب أو صديق هو اسم التمام والكمال فى السمات التى عرفت بها كل المقامات تدخل الاحوال والمقامات فى هذه السمات فاكتفيت ان تقول هو مؤمن أو صالح أو عابد أو زاهد أو خائف أو راج كما رتبنا فى الاحساب من قولنا فلان حسنى دخل فيه كل حسب رفيع وكفينا ان نقول عربى أو قرشى أو هاشمى أو علوى ان جميع ذلك داخل فيه لان العارف لا يرسم بحال دون حال اذ قد غاصت فيه الاحوال ولا يرسم بمقام دون مقام اذ قد استوعب كل مقام بحقيقة معناه عارف بالمعروف الذى هو بكل نهاية وفضل موصوف وغموض غربته عند غير ابناء جنسه أن ينكروه فان تعرف اليهم به أو عرفوه بهم فليس بعارف (فلا ينبغى أن تظن ان كثرة هذه الاسامى تدل على معان كثيرة متباينة ليختلط عليك كما اختلط على من طلب المعانى من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ بالمعانى

الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل كما انك تقول الانسان اما عربى واما عجمى والعربى اما قرشى أو غيره والقرشى اما هاشمى أو غيره والهاشمى اما علوى أو غيره والعلوى اما حسنى أو حسينى فاذا ذكرت انه حسنى مثلا فقد وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوى وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه فكذلك اذا قلت صديق فقد قلت انه تقى وورع وعفيف فلا ينبغى أن تظن ان كثرة هذه الاسامى تدل على معانى كثيرة متباينة فيختلط عليك كما اختلاط على من طلب المعانى من الالفاظ ولم يتبع الالفاظ المعانى

فهذه اشارة الى مجامع معانى الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما

(بيان درجات الخوف واختلافه فى القوة والضعف)

اعلم ان الخوف محمود وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى والاصلح للبهيمة أن لا تخلو عن سوط وكذا الصبى ولكن ذلك لا يدل على أن المبالغة فى الضرب محمودة وكذلك الخوف له قصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذى يجرى مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذى تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألما مبرحا فلا يسوقها الى القصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء ولست أعنى بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين بأسمائهم فانهم أبعد الناس عن الخوف بل أعنى العلماء بالله وبأيامه وأفعاله وذلك مما قد عز وجوده الآن ولذلك قال الفضيل ابن عياض اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت وأشار به الى أن الخوف هو الذى يكف الجوارح عن المعاصى ويقيدها بالطاعات ومالم يؤثر فى الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفا وأما المفرط فانه الذى يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضا لانه يمنع من العمل وقد يخرج الخوف أيضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشأه الجهل والعجز أما الجهل فانه ليس يدرى عاقبة أمره ولو عرف لم يكن خائفا لان المخوف هو الذى يتردد فيه وأما العجز فهو أنه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة الى نقص الآدمى وانما المحمود فى نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله به فليس بكمال فى ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص هو أعظم

فهذه اشارة الى مجامع معانى الخوف وما يكتنفه من جانبه كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما) ودخل فيه ما يتعلق بثمرته وعلمه الذى هو الورع والله الموفق

(بيان درجات الخوف واختلافه فى القوة والضعف)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الخوف محمود) ومطلوب وفرض عين (وربما يظن ان كل ما هو محمود فكلما كان أقوى وأكثر كان أحمد وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى) قال القشيرى سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن على الحيرى يقول سمعت محفوظا يقول سمعت أبا حفص يقول الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه (والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبى) العرم (ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة فى الضرب محمود) كما هو ظاهر (وكذلك الخوف له قصور) وهو مرتبة التفريط (وله افراط) وهو مرتبة التجاوز (وله اعتدال) وهو مرتبة الوسط (والمحمود) من ذلك (هو الاعتدال والوسط) لخبر الامور أوساطها (فاما القاصر منه فهو الذى يجرى مجرى رقة النساء تخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فتورث البكاء وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل) عظيم مخوف (فاذا غاب ذلك السبب عن الحس) والمشاهدة (رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذى تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألما مبرحا فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفون والعلماء) ولذا قال سهل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر (ولست أعنى بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم فانهم أبعد الناس عن الخوف بل أعنى به العلماء بالله) وبآلائه (وبآياته وأفعاله وذلك مما قد عز وجوده الآن ولذلك قال الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى (اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت) اذ ليس وصفك وصف من يخاف الله نقله صاحب القوت (وأشار به الى ان الخوف هو الذى يكف الجوارح عن المعاصى ويقيدها بالطاعات ومالم يؤثر فى الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفا وأما المفرط فهو الذى يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضا لانه يمنع من العمل) وربما أورثه الكفر فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشأه الجهل والعجز أما الجهل فانه ليس يدرى عاقبة أمره ولو عرف لم يكن خائفا لان الخوف هو الذى يتردد فيه وأما العجز فهو انه متعرض لمحذور ولا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة الى نقص الآدمى وانما المحمود فى نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصف الله تعالى به و) أما (ما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس كمالا فى ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص أعظم

منه كما يكون احتمال ألم الدواء محمودا لانه أهون من ألم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف أيضا الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذى يقتل الصبى والسوط الذى يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباب الرجاء وأكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضى الى القنوط أو أحد هذه الامور فكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضى الى المراد المقصود منه وما

منه كما يكون احتمال ألم الدواء محمودا لانه أهون من ألم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم) لما تقدم انه يمنع العمل (وقد يخرج الخوف أيضا الى المرض والضعف) الشديدين (و) الى (ألم الوله) والحيرة (والدهشة وزوال العقل وقد يخرج الى الموت اذا أثر فى المرارة وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذى يقتل الصبى والسوط الذى يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضوا من أعضائها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاء) فيما تقدم من الاخبار (وأكثر منها ليعالج بها صدمة الخوف المفرط المفضى الى القنوط أو أحد هذه الامور) المذكورة (فكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضى الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم) الا ان ما يفضى منه الى اليأس والقنوط فهو حرام وان لم يوجب ذلك ولكن أدى الى فساد العقل وضعف البدن فانه مكروه لخروجه عن الاعتدال المحبوب (وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعى الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح فى هذه الاسباب فهو مذموم) والقدر الواجب منه ما يحث على فعل الواجبات وترك المحظورات ويستحب استيلاؤه على القلب حتى ينفى بذلك كل سبب يشغل عن الله (فان قلت فمن خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما) وقد ذكرت ان الخوف اذا تجاوز عن حد الاعتدال حتى أدى الى الموت فهو مذموم (فاعلم ان معنى كونه شهيدا انه له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات فى ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فأما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره فى طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة) لما ورد طوبى لمن طال عمره وحسن عمله (بل للسالك الى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقى فى درجات المعارف فى كل لحظة رتبة شهيد وشهداء) ولذا ورد يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء وقال صاحب القوت اذا جاوز الخوف الحد خرج به الى ان يسرى الى النفس فيحرقها فيكون له شهادة وليس هذا بارفع مقامات الخائفين فى باب العلوم والمشاهدات عن مكاشفة تجلى الصفات الا انه قد قال بعضهم ما شهداء بدر باعظم أجرا ممن مات وجدا وهذه صفات ضعاف المريدين اذ للعلماء الموقنين بكل شهادة من اليقين أجر شهيد وبكل معاينة قدرة من مقتدر ليلة قدر ومن كل قصد محجة بتعظيم عظيم حجة وبكل عمارة قلب بحال محبة عمرة (ولولا هذا لكانت رتبة صبى يقتل أو مجنون يفترسه سبع أعلى من رتبة نبى أو ولى يموت حتف أنفه وهو محال فلا ينبغى ان يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله) كما ورد معناه فى الخبر (فكل ما أبطل العمر أو العقل أو الصحة التى يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى أمور وان كان بعض أقسامها فضيلة بالاضافة الى أمور أخرى كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة النبيين والصديقين فان الخوف اذا لم يؤثر فى العمل فان وجوده كعدمه مثل السوط الذى لا يزيد فى حركة الدابة وان أثر فله درجات بحسب ظهور أثره وان لم يحمل الا على العفة وهو الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فان أثمر الورع فهو أعلى) لعلو رتبة الورع على العفة (وأقصى درجاته) أى الخوف (ان يثمر درجات الصديقين وهوان) يستولى على القلب حتى (يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى

يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الاسباب الموصلة الى الله تعالى وكل ذلك يستدعى الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح فى هذه الاسباب فهو مذموم فان قلت من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما فاعلم أن معنى كونه شهيدا أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات فى ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقائه وطول عمره فى طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك الى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقى فى درجات المعارف فى كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولولا هذا لكانت رتبة صبى يقتل أو مجنون يفترسه سبع أعلى من رتبة نبى أو ولى يموت حتف أنفه

وهو محال فلا ينبغى أن يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر فى طاعة الله تعالى فكل ما أبطل العمر أو العقل أو الصحة التى يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى أمور وان كان بعض أقسامها فضيلة بالاضافة الى أمور أخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة المتقين والصديقين فاذن الخوف ان لم يؤثر فى العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذى لا يزيد فى حركة الدابة وان أثر فله درجات بحسب ظهور أثره فان لم يحمل الا على العفة وهى الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فاذا أثمر الورع فهو أعلى وأقصى درجاته أن يثمر درجات الصديقين وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى

حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهذا أقصى ما يحمد منه) لان الغاية المقصودة ان يموت العبد محبا لله تعالى ولا تحصل المحبة الا بالذكر والفكر ولا يحصلان الا بفراغ القلب عن شواغل الدنيا وعلائقها ولا يكف عنها الا الخوف فاذا عرفت منزلته من الدين فلا تتعداها (وذلك مع بقاء الصحة والعقل) وجملة القول فى تفصيل هذه المخاوف ان للخوف سبع مفائض يفيض اليها من القلب فالى أى مفيض فاض من القلب اليه أتلف صاحبه به الا ما يستثنى فقد يفيض الخوف من القلب الى المرارة فيحرقها وهؤلاء هم الذين يموتون من الغشى وهم ضعفاء العمال وقد يطير الخوف من القلب الى الدماغ فيخرق العقل فيتيه العبد فيذهب الحال و يسقط المقام وقد يحل الخوف الرئة فيشقها فيذهب الاكل والشرب حتى يسل الجسم و ينشف الدم وهذا لاهل الجوع والطى والاصفرار وقد يسكن الخوف الكبد فيورث الكمد و يحدث الفكر الطويل والسهر وهذا من أفضلها وفى هذا الخوف العلم والمشاهدة وهو من خوف العالمين وقد يقدح الخوف فى الفرائص وهى لحمة الكتف ومنه يكون الاضطراب والارتعاش واختلاف الحركة وقد يبدا الخوف من القلب مغشى العقل فيمحى سلطانه كقهر سلطان القدرة محو الشمس اذا برزت ضوء القمر البادى الذى يبدو على السمر من خزائن الملكوت فيضعف لحمة العقل و يضطرب الجسم لضعفه فلا يتمكن العبد من القرار لضعف صفته وهؤلاء أشبه بالفضل وأدخل فى العلم وقد سلك فى هذه الطريق أفاضل أهل القلوب وهم فى التابعين كثير منهم الربيع بن خيثم وأويس القرنى وزرارة بن أوفى ونظراؤهم ولم ينكر هذا عليهم الصحابة ممن عرفه مثل عمر وابن مسعود وحذيفة رضى الله عنهم وقد كان عمر يغشى عليه حتى يقع و يضطرب كالبعير وكان سعيد بن جريج من خيار الصحابة ومن أمراء الاجناد وكان يغشى عليه وقد يفيض الخوف من القلب الى النفس فيحرق الشهوات و يطفئ شعل الهوى وهذا أحمد المخاوف وأعلاها وهؤلاء أفضل الخائفين وأرفعهم مقاما وهو خوف النبيين والصديقين وخصوص الشهداء وليس فوق هذا وصف يغبط عليه خائف ولا يفرح به عارف (فان جاوز هذا) عن حد الاعتدال (الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجاء و بغيره حتى يزول) أى ان جاوز الخوف هذه الاوصاف فقد خرج عن حده وجاوز قدره فحينئذ يجب معالجته بما يزيله ثم ان لم يعصم العبد من مجاوزة حد الخوف خرج به الى أحد ثلاثة معان خيرها ان يسرى الى النفس فيحرقها فيتلف العبد وأوسطها ان يعلو الى الدماغ فتنحل عقدة العقل لذوبه فتضطرب الطبائع لانحلال عقدة العقل ثم تختلط المزاجات فيكون منه الوسواس والهذيان والوله والتره وهذا مكروه عند العلماء وعاقبته غير محمودة وقد أصاب ذلك بعض المحبين فى مقام المحبة فانطبق عليهم فولهوا بوجده ومنهم من فزع ذلك من قلبه فسرى عنهم فنطقوا بعلم وصفه (ولذلك كان) أبو محمد (سهل) التسترى رحمه الله تعالى (يقول للمريدين الملازمين للجوع أياما كثيرة) من أهل عبادان (احفظوا عقولكم) باستعمال الدسم (فانه لم يكن ولى لله ناقص العقل) نقله صاحب القوت وقد ذكر فى كتاب رياضة النفس و يؤيده ما اشتهر على لسان العامة ما اتخذ الله وليا جاهلا ولو اتخذه لعلمه قال صاحب القوت وحدثنى بعض اخوانى قال كنا حول أبى الحسن بن سالم فدخل شاب عريان فوقف على الحلقة يهذى فزجرناه نطارده فقال لنا الشيخ دعوه حتى يقضى ما فى نفسه قال وكان يتكلم بوساوس من معانى التوحيد و بهذيان مختلط من علوم المعارف الى ان فتر وسكن ثم انصرف فقال لنا أبو الحسن لا بارك الله فى العلماء السوء ثم قال لم يكن فى أصحابنا أحسن عقلا ولا أكثر تعبدا ولا اجتهادا من هذا الشاب وكنت انهاه عن العسف بنفسه والحل عليها وآمره باكل الدسم والحلواء فكان مستقيم الامر ففارقنا وذهب الى أهل عبادان فقالوا له ان ابن سالم قد ركن الى الدنيا وترك العبادة والاجتهاد وأمروه بالجوع الدائم والطى وترك الدسم والحلاوة حتى أحرق دماغه و زال عقله فذهب الحال و بطلت العبادة والمعنى الثالث من مذموم الخوف وهو شرها فى المجاورة أن يعظم و يقوى فيذهب الرجاء اذ لم يواجه بعلم الاخلاق من

حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهذا أقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجاء و بغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع أياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولى ناقص العقل

(بيان أقسام الخوف بالاضافة الى مايخاف منه) اعلم ان الخوف لايتحقق الابانتظار مكروه والمكروه اما أن يكون مكروها فى ذاته كالنار
واما أن يكون مكروها لانه يفضى الى المكروه كما تكره المعاصى لادائها الى مكروه فى الآخرة كما يكره المريض الفواكه
المضرة لادائها الى الموت فلابد لكل خائف من ان يتمثل فى نفسه مكروها من أحد القسمين ويقوى انتظاره فى قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ماليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة أوخوف نقض التوبة ونكث العهد أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى أوخوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة أو خوف الميل عن الاستقامة أوخوف استيلاء العادة فى اتباع الشهوات المألوفة أو خوف ان يكله الله تعالى الى حسناته التى اتكل عليها وتعزز بها فى عباد الله أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه أوخوف الاشتغال عن الله بغير الله أوخوف الاستدراج بتواتر النعم أو خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله مالم يكن يحتسب أو خوف تبعات الناس عنده فى الغيبة والخيانة والغش
واضمار السوء أوخوف مالايدرى انه يحدث فى بقية عمره أوخوف تعجيل العقوبة فى الدنيا والافتضاح قبل الموت أو يخاف
خوف الاغترار بزخارف الدنيا أوخوف اطلاع الله على سريرته فى حال غفلته عنه أوخوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء أوخوف السابقة
التى سبقت له فى الازل فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضى الى المخوف فمن

الجود والكرم والافضال وقديم الاحسان وخفى الامتنان فهذه المعانى بها تعديل المقام من فرط الاهتمام وترويح الحال من كروب الاثقال فلا يساعده القدر بذلك فيخرجه وجده الى القنوط من رحمة الله و يعطف به همه على الاياس من روح الله وتوقعه شهادته على الهرب من قرب الله دخلت عليهم المشاهدة من قبل المواجهة بالانصاف والعدل بعيار العقل واتلاف الحد فجاوزت بهم العلم باخلاقه المرجوة من الكرم وخفى الالطاف فبعدت بهم الحدود من قبل قوة نظرهم الى الاكتساب والحكم على الحاكم الراحم بعقولهم وعلومهم من غير تفويض منهم الى مشيئة ولا استسلام فحجبوا بذلك على صحة ماذكرناه ان أكثر هذه كانت فى البصريين والعسكريين وأهل عبادان وكان مذهبهم القدر فوقعوا فى غاية الخطر والله الموفق

(بيان أقسام الخوف بالاضافة الى مايخاف منها)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الخوف المتحقق لايكون) وفى نسخة ان الخوف لايتحقق (الا بانتظار مكروه) فى الاستقبال (و) ذلك (المكروه) لايخلو (اما أن يكون مكروها فى ذاته كالنار) مثلا (واما أن يكون مكروها) لا لذاته بل (لانه يفضى الى المكروه) فتكون كراهته عارضة (كما تكره المعاصى) لا لذاتها ولكن (لادائها الى مكروه فى الآخرة) وهو العتاب والعذاب (و) هذا (كما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها الى الموت فلابد لكل خائف من ان يتمثل فى نفسه مكروه من أحد القسمين و يقوى انتظاره فى قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم ماليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة أوخوف نقض التوبة) بعد العصمة (أو) خوف (نكث العهد) بالخيانة (أوخوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى) أوخوف وهن العزم بعد القوة أوخوف قلة الوفاء بترك المعاملة بالصفا (أوخوف زوال الرقة القلب وتبدلها بالقساوة) أوخوف حدوث الفترة بعد الشره عن المعاملة أوخوف ظهور الصفة بعد استتار الشهوة والآفة (أوخوف الميل عن الاستقامة أوخوف استيلاء العادة فى اتباع الشهوات المألوفة) أوخوف الجنايات والاكتساب أوخوف الوعد وسوء العقاب أوخوف التقصير عن الامر بتسبيب الاسباب أوخوف مجاوزة الحد أوخوف سلب المزيد أوخوف حجاب اليقظة عن القلب بالغفلة أوخوف قطع الفتنة من العقل بالوسوسة (أو خوف ان يكله الله الى حسناته التى اتكل عليها وتعزز بها فى عباد الله أوخوف البطر بكثرة نعم الله عليه أوخوف الاشتغال عن الله بغير الله أوخوف الاستدراج بتواتر النعم أوخوف انكشاف غوائل طاعته حيث يبدو له من الله مالم يكن يحتسب أوخوف تبعات الناس عنده فى الغيبة والخيانة واضمار السوء) أوخوف الوقوع فى الفتنة بتسبيب الخدعة بالمحنة انا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر أوخوف البلوى بعود جرى العادة أوخوف الرجوع عن قصد الارادة أوخوف استذلال المهانة بعد الكرامة أوخوف الحور بعد الكور وهو الرجوع عن المحجة بعد ايقاع الحكم عليه الى طريق الهدى (أوخوف مالايدرى انه يحدث فى بقية عمره أوخوف تعجيل العقوبة فى الدنيا أو الافتضاح قبل الموت أوخوف الاغترار بزخارف الدنيا أوخوف اطلاع الله على سريرته فى حال غفلته عنه أوخوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء) أو اطلاع الله عليهم عند ماسلف من ذنوبهم ونظره اليهم على قبيح أعمالهم فيعرض عنهم و يمقتهم (أوخوف السابقة التى سبقت له فى الازل فهذه كلها مخاوف العارفين) وطرقات الطالبين و بعضها أعلى من بعض وفيها ماهو أشد من بعض (ولكل واحدة خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضى الى المخوف فمن

يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة والذى يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر وأعلى الاقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل أسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ماسبق به القضاء فى أم الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك فى حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حز الرقبة ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه عماذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وانه ما الذى خطر له فى حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا التفات الى السبب فهو أعلى من الالتفات الى ماهو فرع فكذلك الالتفات الى القضاء الازلى الذى جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات الى مايظهر فى الابد واليه أشار النبى صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة باسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله والاعمال بالخواتيم

يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام من العادة والذى يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس) والخطرات (وهكذا الى بقية الاقسام) المذكورة (وأغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر) أى صعب ذو خطر (وأعلى الاقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل أسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ماسبق به من القضاء فى أم الكتاب) قال صاحب القوت وقد نوع بعض العارفين خوف المؤمنين على مقامين فقال قلوب الابرار معلقة بالخاتمة يقولون ليت شعرى ماذا يختم لنا به وقلوب المقربين معلقة بالسابقة يقولون ترى ماذا سبق لنا منه وهذان المقامان عن مشاهدتين احداهما أعلى وأنفذ من الاخرى لحالين أحدهما أتم وأكمل وهذا كما قيل ذنوب المقربين حسنات الابرار أى ما يرغب فيه الابرار فهو عندهم باب قد زهد فيه المقربون فهو عندهم حجاب ومن حقت عليه كلمة العذاب وسبق له من مدده الختم بسوء الاكتساب لم ينفعه شئ فهو فى بطالة لا أحرله ولا عاقبة من قبل ان سوء الخاتمة قد يكون فى وسط العمر فلا ينتظر بها آخره اذهما فى سبق العلم سواء فالخاتمة حينئذ فاتحة والوقتان واحد فينظر اليه نظرة بعد فهو يزداد باعماله بعدا فاذا انقطعت الآجال وتناهت الاعمال تناهى فى الابعاد فحل فى دار البعد (والخائف من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك فى حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حز الرقبة) أى هلاكه (ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة اليهما ولم يصل التوقيع اليهما بعد فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وانه عماذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وانه ما الذى خطر له فى حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا التفات الى السبب وهو أعلى من الالتفات الى ماهو فرع فكذلك الالتفات الى القضاء الازلى الذى جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات الى ماهو يظهر فى الابد) بعدما كان فى حيز العدم (واليه أشار النبى صلى الله عليه وسلم حيث كان) ذات يوم (على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار باسمائهم واسماء آبائهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة) وهذا يكون عند بلوغ الروح التراقى وتكون النفس قد خرجت من جميع الجسد واجتمعت فى القلب الى الحلقوم وهذا هو شبر كما فى الرواية الاخرى وفواق الناقة هو ما بين الحلبتين وقيل هو شوط من عدوها بين سيرين (وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة) وهذا من تقليبات القلوب عن حقيقة وجهة التوحيد الى وجهة الضلال والشرك عندما يبدو من زوال عقل الدنيا وذهاب علم المعقول فيبدو له من الله مالم يكن يحتسب (السعيد من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله والاعمال بالخواتيم) قال العراقى رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب اهـ قلت وروى الطبرانى والبزار من حديث ابن عمر وان العبد يلبث مؤمنا أحقابا ثم أحقابا ثم يموت والله عز وجل عليه ساخط وان العبد يلبث كافرا احقابا ثم احقابا ثم يموت والله عز وجل عنه راض وروى الخطيب من حديث عائشة ان العبد ليعمل الزمن الطويل من عمره أو كله بعمل أهل الجنة وانه لمكتوب عند الله من أهل النار وان العبد ليعمل الزمن الطويل من عمره أو أكثره بعمل أهل النار وانه لمكتوب عند الله من أهل الجنة وروى الطبرانى من حديث ابن مسعود ان العبد يولد مؤمنا ويعيش مؤمنا

وهذا كانقسام الخائفين الى من يخاف معصيته وجنايته والى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجـلاله وأوصافه التي تقتضي الهيبة
لامحالة فهـذا أعلى رتبـة
ولذلك يبـقى خوفـه وان
كان في طاعة الصـديقين
وأما الآخر فهو في عرصة
الغرور والامن ان واظب
على الطاعات فالخوف من
المعصية خوف الصالحـين
والخوف من الله خـوف
الموحدين والصديقين وهو
ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل
من عرفه وعرف صـفاته
علم من صفاته ماهو جدير
بان يخاف من غـير جناية
بـل العاصي لو عرف الله
حق المعرفة لخاف الله ولم
يخف معصـيته ولولا أنه
مخوّف في نفسـه لما سخره
للمعصية ويسر له سـبيلها
ومهد له أسبابها فان تيسير
أسباب المعصـية ابعاد ولم
يسبق منـه قبل المعصـية
معصية استحق بها ان يسخر
للمعصـية وتجرى عليـه
أسبابها ولا سبق قبل الطاعة
وسيلة توسل بها من يسرت
له الطاعات ومهـد له سبيل
القربات فالعاصي قد قضى
عليه بالمعصـية شاء أم أبى
وكذا المطيـع فالذي يرفع
محمدا صلى الله عليه وسلم الى
أعلى عليين من غير وسيلة
سبقت منه قبـل وجوده
ويضع أبا جهـل في أسفل
سافلين من غير جناية سبقت
منه قبل وجوده جدير بان
يخاف منه لصفة جلاله فان
من أطاع الله أطاع بان سلط
عليه ارادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى وتخصيصه
لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة وآتاه الاسباب والقدرة فكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي وجب اكرام هذا

ويموت كافرا وان العبد يولد كافرا ويعيش كافرا ويموت مؤمنا وان العبد ليعمل برهة من دهره بالسعادة ثم يدركه ما كتب له فيموت شقيا وان العبد ليعمل برهة من دهره بالشقاء ثم يدركه ما كتب له فيموت سعيدا وقال صاحب القوت بعد ان ذكر خوف أهل الخصوص وقد جاء معنى ما ذكرناه في حديثين احدهما عام والآخر خاص وكل من لم يستعمل قلبه في بدايته ويجعل الخوف حشو ارادته لم ينجب في خاتمته ولم يكن اماما للمتقين عند علو معرفته وأعلى الخوف أن يكون قلبه معلقا بخوف الخاتمة ولا يسكن الى عـلم ولا عمل ولا يقطع على النجاة بشئ من العلوم وان علت ولا لسبب من الاعمال وان جلت لعلمه بتحقيق الخواتم فقـد قيل انما يوزن من الاعمال خواتيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى يقال انه من أهل الجنة وفي خبر آخر حتى ما يبقى بينه وبين الجنة الا شـبر وفي لفظ آخر الا فواق ناقة ثم يسبق عليـه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار قال ولا يتأتى في هذا المقدار من الوقت شئ من عمل الجسم بالجوارح انما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول وهو شرك التوحيد الذي لم يكن في الحياة الدنيا مشاهدا له ظهر له بيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وبدت فيه حاله كما تظهر له أعماله السيئة فيستحليها قلبه أو ينطق بها لسانه أو يخامرها وجده فتكون هي خاتمته التي تخرج عليها روحـه وذلك هو سابقته التي سبقت له من الكتاب كما قال تعالى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يكون عنـد مفارقة الروح الجسد انا لموفوهم نصيبهم غير منقوص اهـ وروى البزار من حديث أبي هريرة السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه وسنده صحيح وروى مسلم وابن ماجه وابن عساكر من حديث معاوية انما الاعمال بخواتيمها الحديث وقد تقـدم ومن هنا خوف العارفين حيث انهم لم يعرفوا انهم من أي القبضتين المذكورتين ومن أي الفريقين المذكورين في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وفي قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد وقوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقوله اما شاكرا واما كفورا (وهذا كانقسام الخائفين الى من يخاف معصيته وجنايته والى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله) وعظمته (وأوصافه التي تقتضي الهيبة لامحالة فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه) ويدوم ويستمر (وان كان في طاعة الصديقين وأما الآخر) وهو الذي يخاف معصيته وجنايته (فهو في عرصة الغرور والامن ان واظب على الطاعات فالخوف من المعصية) والجناية (خوف الصالحين) من المؤمنـين (والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى فكل من عرفه وعرف صفاته عـلم من صفاته ماهو جـدير بأن يخاف من غـير جناية بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته) ومن ذلك قول عمر في صهيب رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه (ولولا انه مخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها ومهد له أسبابها فان تيسير أسـباب المعصـية ابعاد) وطرد عن الحضرة (ولم تسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يسخر للمعصية وتجرى عليـه أسبابها ولا سبق قبل الطاعة له وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات فالعاصي قد قضى عليـه بالمعصية شاء أم أبى وكذا المطيع) قد قضى عليه بالطاعة شاء أم أبى (فالذي يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى أعلى عليين من غـير وسيلة سبقت منه قبل وجوده) بل هو محض عناية وفضـل (ويضع أبا جهل) واضرابه (في أسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بان يخاف منه لصفة جـلاله فان من أطاع الله أطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة) وسهل له سبيلها (وآتاه الله القدرة) عليها (وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة وآتاه الاسباب والقدرة وكان الفعل بعد القدرة والارادة ضروريا فليت شعري ما الذي أوجب اكرام هذا

وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذى أوجب اهانة الآخر وابعاده بتسليط دواعى (٢٠٧) المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلى من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذى لا يجوز افشاؤه ولا يمكن تفهم الخوف منه فى صفاته جل جلاله الا بالمثال ولولا اذن الشرع لم يتجرئ على ذكره ذو بصيرة فقد جاء فى الخبر ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود خفنى كما تخاف السبع الضارى فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يقفك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل أن السبع يخاف لا لجناية سبقت اليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالى فان قتلك لم يرق قلبه ولم يتألم بقتلك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت اليك حيا كنت أو ميتا بل اهلاك ألف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة اذ لا يقدح ذلك فى عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التى هى أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق فى قوله هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وهؤلاء الى النار ولا أبالى

وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذى أوجب اهانة الآخر وابعاده بتسليط دواعى المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلى من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل) وهذا هو الخوف الذى يراد لذاته الى ان ينكشف عند الخاتمة بما سبق به القضاء الازلى وهو خوف العارفين ويجب اعتقاد ذلك لانه من عقود الايمان بالله اذ لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون لان أحكام الرب تعالى فى العباد على ما اقتضته ارادته ومشيئته لا لرعاية لاصلاح العباد وكلما ازدادت المعرفة بهذا زاد الخوف (ووراء هذا المعنى سر القدر الذى لا يجوز افشاؤه) وقد جاء فى الخبر القدر سر الله فلا تفشوه فهنا خطاب لمن كوشف به وفى لفظ آخر ستر الله فهذا خطاب لمن لم يكاشف به وهذا نهى عن السؤال عنه وهو داخل فى قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم أى لا تتبع نفسك علم مالم تكلف ولا تسأل عما لا يجعل من علمك ولم يوكل اليك فتصنع بما لا يعنيك كما كلفته وقوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام لا تسألنى ما ليس لك به علم أى عما ليس من علمك الذى جعلته علما لك هذا هو علمى وسرى فى خلقى وهو من معنى قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أى ليس هو مما يصلح ان تتعلمه وتسأل عنه لانى لم أتعبدك به قال صاحب القوت وليس يصلح ان يكشف سر المخاوف من الخاتمة والسابقة لان ذلك يكون من حقائق معنى الصفات التى ظهرت عن حقيقة الذات فأظهرت بدائع الافعال وغرائب المآل وأعادت الاحكام على من أظهر بها وجعل لها من حقت عليه الكلمات وجعل نصيبه من معانى هذه السرائر من الصفات فيؤدى ذلك منا الى كشف باطن الاوصاف وهو من سر القدر وقد نهى عن افشائه فى غير خبر (ولا يمكن تفهم الخوف منه فى صفاته الا بالمثال ولولا اذن الشرع) بضرب الامثلة (لم يتجرئ على ذكره ذو بصيرة) ولم يقدم عليه لصعوبة المقام (فقد جاء فى الخبر ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود خفنى كما تخاف السبع الضارى) قال العراقى لم أجد له أصلا ولعل المصنف قصد بايراده انه من الاسرائيليات فانه عبر عنه بقوله جاء فى الخبر وكثيرا ما يعبر بذلك عن الاسرائيليات التى هى غير مرفوعة (فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وان كان لا يقفك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله) ممن له علم باسراره المخفية ممن كوشف بها (والحاصل ان السبع يخاف لا لجناية) من الانسان سبقت اليه بل لصفته و بطشه وسطوته و) ما ألبس وجهه من (كبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالى فان قتلك لم يرق قلبه ولم يتألم لقتلك وان خلاك) أى تركك (لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت اليك حيا كنت أو ميتا بل اهلاك ألف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة) أى طريقة واحدة (اذ لا يقدح ذلك فى عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى) وكذلك مثل النبى صلى الله عليه وسلم للرجل الذى أوصاه بالحياء مثله بالرجل الصالح فى قوله استح من الله كما تستحى من الرجل الصالح فانما تستحى من الرجل الصالح لوصفه لانه يقتضى الحياء ويوجب على الناظر اليه الاستحياء فالحياء أيضا وان كان ألطف فهو باب من الخوف لانه يمنع و يردع كما يرتدع من المخافة ويمتنع (ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التى هى أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق فى قوله) تعالى فيما رواه أحمد وابن سعد والحكيم والحاكم من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمى رضى الله عنه بسند رجاله ثقات ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال (هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وهؤلاء الى النار ولا أبالى) قيل يا رسول الله على ماذا نعمل قال على مواقع القدر وفى حديث عمر ابن الخطاب ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره بشماله فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل

ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة *(الطبقة الثانية من الخائفين) أن يتمثل فى أنفسهم ماهو المكروه
وذلك مثل سكرات الموت وشدته أوسؤال منكر ونكير أوعذاب القبر أوهول المطلع أوهيبة الموقف بين يدى الله تعالى
والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير أوالخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه أوالخوف من النار وأغلالها وأهوالها أوالخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة فى نفسها فهى لا محالة مخوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وماقبل ذلك خوف العاملين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بألم البعد والفراق واذا ذكرله أن العارف لايخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك فى باطنه منكرا وتعجب منه فى نفسه وربما أنكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع اياه من انكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد والافباطنه لايصدق به لانه لايعرف الالذة البطن والفرج والعين بالنظر الى الالوان والوجوه الحسان
وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم فأما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهلا له ومن كان أهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره فالى هذه الاقسام يرجع خوف الخائفين نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه *(بيان

أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار رواه مالك وأحمد وعبد بن حميد والبخارى فى تاريخه وأبوداود والترمذى وحسنه والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن حبان والآجرى فى الشريعة وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقى فى الاسماء والصفات والضياء فى المختارة والمعنى لا أبالى من سلامة أحد اذ لا يجب على الله شئ لامن اثابة المطيع ولامن تعذيب العاصى أولا أبالى من طاعة مطيع ولامن معصية عاص أولا أبالى لعدم تأثير الاثابة والتعذيب فى زيادة ملكى ونقصانه أولا أبالى لانى متصرف فى ملكى أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد بالعدل أولانى متفضل غير مائل عادل غير جائر (ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة) وبالله التوفيق

(الطبقة الثانية من الخائفين)

(ان يتمثل فى أنفسهم ماهو المكروه) فى ذاته اعلم ان الخوف الذى يراد لغيره على قسمين لانا قدمنا ان لله تعالى على العبد نعما يخاف سلبها وله جنايات يخاف العقوبة عليها فن القسم الثانى الذى هو خوف العقوبات المرتبة على الجنايات وهو السوط الذى يساق به الاخساء من العبيد وليتناول العبيد (وذلك مثل) خوف مايقع فى الدنيا من خسف وكسف ومحنة وفقر و (سكرات الموت وشدته أو) مايقع فى الآخرة امامن (سؤال منكر ونكير) فى القبر (أو) من (عذاب القبر أو) من (هول المطلع أو) من (هيبة الموقف بين يدى الله تعالى أو) من (الحياء من كشف الستر أوالسؤال) فى الموقف (عن النقير والقطمير أوالخوف من) مزلة (الصراط وحدته وكيفية العبور عليه) باختلاف الاحوال أوخوف المحشر والميزان (أوالخوف من النار وأغلالها) وانكالها (وأهوالها) وأشار المصنف الى القسم الاول وهو خوف سلب النعم بقوله (أوالخوف من الحرمان من الجنة دار النعيم والملك المقيم و) نحو ذلك مثل الخوف (عن نقصان الدرجات) العلى (والخوف من الحجاب عن الله تعالى) وهو يكف عن شاغل الاكوان وكذلك الخوف من الفراق وهو يكف عن ملابسة الشهوات ثم خوف قلع أسباب الاتصال وهو يحث على معرفة النعمة ورؤية المنة ثم خوف نسيانه وهو يحث على اليقظة وعدم الغفلة ثم قطع أسباب الخير والتلاقى وهو يحث على مجالسة الصالحين والمذكرين والتوابين (وكل هذه الاسباب مكروهة فى نفسها فهى لامحالة مخوفة) وتحث على ترك المحظورات وفعل الطاعات فان لم تحث عليها فلا فائدة فيه وتزداد المعصية به غلظة لانها المخالفة على مشاهدة الوعيد وكل حال يراد لغيره ففائدته ان يؤدى الى مقصوده فان لم يؤد كان العلم حجة (وتختلف أحوال الخائفين فيها وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى) فانه أشد العذاب عند أولى الالباب (وهو خوف العارفين وماقبل ذلك) هو (خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين) من المؤمنين (ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته) لم يهتد الى الكمال (ولم يشعر بلذة الوصال ولا بألم البعد والفراق واذا ذكر له ان العارف لايخاف النار انما يخاف الحجاب وجد ذلك فى باطنه منكرا وتعجب منه فى نفسه) كما قال الشاعر

ولو يذوق عاذلى صبابتى * صبا معى لكنه ماذاقها

(وربما أنكر لذة النظر الى وجه الله الكريم) فى دار النعيم (لولا منع الشرع اياه من انكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد والافباطنه لايصدق به لانه لايعرف) هو (الالذة البطن والفرج والعين بالنظر الى الالوان) المختلفة من الزهور وغيرها (والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم) لان فهومهم لاتحتمل ذلك (وتفصيل ذلك وشرحه) يطول ومع طوله فانه (حرام على من ليس أهلا له ومن كان أهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره والى هذه الاقسام يرجع خوف الخائفين) وبالله التوفيق

(بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه) اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والاخبار * أما الاعتبار فسبيله أن فضيلة الشئ بقدر غنائه فى الافضاء الى سعادة لقاء الله تعالى فى الآخرة اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا فى لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر غايته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله فى الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به فى الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشئ كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فان فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصى ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهى الاعمال الفاضلة المحمودة التى تقرب الى الله زلفى * وأما بطريق الاقتباس من الآيات والاخبار فما ورد فى فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهى مجامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى وهدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وصفهم بالعلم لخشيتهم وقال عز وجل رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء فى خبر موسى عليه أفضل الصلاة والسلام وأما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف أفردهم بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم

(بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه)

(اعلم ان فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والاخبار أما الاعتبار فسبيله) أن تعرف (ان فضيلة الشئ بقدر غنائه فى الافضاء الى سعادة لقاء الله تعالى اذ لا مقصود سوى السعادة) اذ هى الغاية المطلوبة (ولا سعادة للعبد الا فى لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله فى الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به فى الدنيا) فيموت على ذلك (ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة) لانها فرعها فمن لم يعرف لم يحب (ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر) فى مشاهدة جلاله تعالى (ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر) لآلاء الله تعالى (ولا يتيسر الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب) وفراغه منه (ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات) وكف النفس عنها (ولا تنقمع الشهوة بشئ كما تنقمع بنار الخوف) فاذا عرفت منزلته من الدين فلا تتعداها (فالخوف هو النار المحرقة للشهوات) والمزيل لآثارآفتها (فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصى ويحث على الطاعات) وهو القدر الواجب منه وأما استيلاؤه على القلب فهو مستحب (ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق) قريبا انه يستحب اكتسابه وتذكاره عند وجود أسبابه مثل قراءة تلك ملك يوم الدين وغير المغضوب عليهم وعند تذكر ما أعده الله للعصاة وعند الكسوف والخسوف والصواعق والزلازل يكون هذا تعبدا لله تعالى ولو كنت فيما هو أشرف منه كما تنتقل من قراءة القرآن الى اجابة المؤذن من أجل انها عبادة الوقت فالعالم هو القائم بما هو أولى بالوقت (وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهى الاعمال الفاضلة المحمودة التى تقرب الى الله زلفى) وفى هذا القدر مقنع لاهل التأمل والاعتبار وعبرة لاولى الابصار (وأما بطريق الاقتباس من الآيات والاخبار فما ورد فى فضيلة الخوف خارج عن الحصر) والاحصاء (وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين) ما فرقه على المؤمنين (بين الهدى والعلم والرحمة والرضوان وهى مجامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) والرهبة من لواحق الخوف ومقام من مقاماته (وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم بالعلم لخشيتهم) أى جعل الخشية مقاما فى العلم حققه بها والخشية مقام من مقامات الخوف وقال تعالى وما يعقلها الا العالمون فرفع العلم عن العقل وجعله مقاما فيه (وقال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) والخشية كما ذكر من مقامات الخوف فخص الرضوان باهل الخشية (وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم) بالله تعالى (ولذلك جاء فى خبر موسى عليه السلام وأما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه) كذا فى القوت وهو من الاسرائيليات (فانظر كيف أفردهم) من غير مشاركة (بمرافقة الرفيق الاعلى) كما حققهم اليوم بشهادة التصديق وهذا مقام من النبوة فهم مع الانبياء فى الرتبة (وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء) كما ورد بذلك الخبر (ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم) قال الله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ثم قال فى وصف

ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول أسألك الرفيق الاعلى فاذن ان نظر الى ثمره فهو العلم وان نظر الى (٢١٠) ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضائلهما حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة به كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله أجمعين وقد خصص الله تعالى التقوى بالاضافة الى نفسه فقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ولذلك أوصى الله تعالى الاولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال عز وجل وخافون ان كنتم مؤمنين فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الايمان فلذلك لا يتصور ان ينفك مؤمن عن خوف وان ضعف و يكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم فاذاهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم فيقول يا أيها الناس انى قد أنصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم انما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس انى قد جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم الا ان تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وارفع نسبي أين المتقون فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب

منازلهم وحسن أولئك رفيقا يعني رفقاء عبر عن جماعتهم بالواحد لانهم كأنهم واحد وقد يكون رفيقا مقام في الجنة لعلو عليين واليه أشار بقوله (ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول أسألك الرفيق الاعلى) قال العراقي متفق عليه من حديث عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح انه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير فلما نزل به ورأسه في حجري غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره الى سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فعلمت انه لا يختارنا وعرفت انه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح الحديث انتهى قلت ورواه أحمد مختصرا ورواه الترمذي في الشمائل مطولا ثم جاء في خبر موسى عليه السلام فأولئك لهم الرفيق الاعلى فدل على انهم مع الانبياء بتفسير النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وشرف مقامهم فوق كل مقام لطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك (فأما ان نظر الى ثمره) الذي هو السبب (فهو العلم) أو الى حقيقته فالخشية (وان نظر الى ثمرته فالورع والتقوى) والكف عما سوى الله (ولا يخفى ما ورد في فضائلهما) أي الورع والتقوى وبعد اذ فهمت سببه وحقيقته وثمرته سهل عليك معرفة فضيلته (حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة به كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة) مخصوصة (برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على سيدنا محمد وآله أجمعين وقد خصص الله التقوى بالاضافة الى نفسه) تشريفا له ومعنى وصله به وأكرم عباده عليه تعظيما له (فقال) في هذين المعنيين (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق وقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وفي القوت والخوف اسم لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة ينتظم هذا المعنى في قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (ولذلك أوصى الله تعالى الاولين والآخرين بالتقوى فقال ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله) وهذه الآية قطب القرآن لان مدار القرآن كله على هذا (وقال عز وجل وخافون ان كنتم مؤمنين فأمر بالخوف) منه (وأوجبه وشرطه) ولفظ الرسالة والخوف من الله تعالى هو ان يخاف ان يعاقبه الله اما في الدنيا واما في الآخرة وقد فرض الله على العباد ان يخافوه فقال وخافون ان كنتم مؤمنين وقال فاياي فارهبون (فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه) كما ان قوة خوفه تكون بحسب قوة معرفته وايمانه (وقال صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم يا أيها الناس انى قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم انما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس انى جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم الا ان تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي الا أين المتقون فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط والحاكم في المستدرك بسند ضعيف والثعلبي في التفسير مقتصرا على آخره انى جعلت نسبا الحديث من حديث أبي هريرة اهـ قلت ورواه كذلك ابن مردويه مطولا ولفظ الحاكم ان الله تعالى يقول يوم القيامة أمرتكم فضيعتم ما عهدت اليكم ورفعتم أنسابكم فاليوم أرفع نسبي وأضع انسابكم أين المتقون ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقد صححه وتعقب ورواه كذلك ابن مردويه والبيهقي وفي الباب عن علي حديثه عند الخطيب ولفظه اذا كان يوم

القيامة

القيامة وقف العباد بين يدى الله تعالى غرلا بهما فيقول الله تعالى عبادى أمرتكم فضيعتم أمرى ورفعت أنسابكم فتفاخرتم بها اليوم أضع أنسابكم أنا الملك الديان أين المتقون أين المتقون ان أكرمكم عند الله أتقاكم (وقال صلى الله عليه وسلم رأس الحكمة) أى أصلها وأسها (مخافة الله) وفى لفظ خشية الله قال العراقى رواه ابن لال فى مكارم الاخلاق والبيهقى فى الشعب وضعفه من حديث ابن مسعود ورواه فى دلائل النبوة من حديث عقبة بن عامر ولا يصح أيضا اه قلت ورواه أيضا الحكيم فى النوادر من حديث ابن مسعود (وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ان أردت ان تلقانى فأكثر من الخوف بعدى) قال العراقى لم أقف له على أصل (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (من خاف الله دله الخوف على كل خير) أى أرشده الى كل ما فيه خير اما ظاهرا واما باطنا (وقال) أبو بكر (الشبلى) رحمه الله تعالى (ما خفت الله يوما الا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط) فالحكمة هى أسرار المعارف المكنونة والعبرة اسم من الاعتبار (وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (ما من مؤمن يعمل سيئة الا وتلحقه حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين أسدين) فان خاف منهما محيت له وان أقدم على رجائه رحم له (وفى خبر موسى عليه السلام وأما الورعون فانه لا يبقى أحد الا ناقشته الحساب وفتشت عما فى يديه الا الورعين فانى استحييهم وأجلهم ان أوقفهم للحساب) كذا فى القوت وروى الحكيم فى النوادر من حديث ابن عباس قال الله تعالى يا موسى انه ان يلقانى عبدى فى حاضر القيامة الا فتشته عما فى يديه الا ما كان من الورعين فانى استحييهم وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب ولم يتعرض له العراقى هنا لكونه من الاسرائيليات وليس من المرفوع لكن تقدم للمصنف فى أوائل الكتاب هذا الخبر بعينه وقال هنالك وفى الخبر ثم ساق هذا وأما الورعون فانى استحييهم وقال العراقى هنالك لم أقف له على أصل وقد دللنا هنالك على أصله (والورع والتقوى اسام اشتقت من معان شرطها الخوف فان خلا عن الخوف لم يسم بهذه الاسامى وكذلك ما ورد فى فضائل الذكر لا يخفى وقد جعله الله مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى) والخشية من مقامات الخوف ثم قال ويتجنبها الاشقى أى يتجنب التذكرة الشقى فجعل من عدم الخوف شقيا وحرمه التذكرة فخوف عموم المؤمنين بظاهر القلب عن ظاهر العلم بالعقد وخوف خصوصهم وهم الموقنون بباطن القلب عن باطن العلم بالوجد فاما خوف اليقين فهو للصديقين من شهداء العارفين عن مشاهدة ما أمر به من الصفات المخوفة (وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فان أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة واذا خافنى فى الدنيا امنته يوم القيامة) قال العراقى رواه ابن حبان فى صحيحه والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة ورواه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسلا اه قلت وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث شداد بن أوس قال الله عز وجل وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى امنين ولا خوفين ان هو أمننى فى الدنيا أخفته يوم أجمع عبادى وان هو خافنى فى الدنيا امنته يوم أجمع عبادى وأما حديث أبى هريرة فقد رواه كذلك ابن المبارك فى الزهد وكلهم من رواية سلمة عنه ومرسل الحسن رواه كذلك الحكيم فى النوادر ولكن لفظه يقول الله وعزتى وعند ابن عساكر من حديث أنس يقول الله عز وجل وعزتى وجلالى وارتفاعى فوق خلقى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع لعبدى امنين من خافنى فى الدنيا امنته اليوم ومن امننى فى الدنيا أخفته اليوم (وقال صلى الله عليه وسلم من خاف الله تعالى خافه كل شئ ومن خاف غير الله خوفه من كل شئ) قال العراقى رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أبى امامة بسند ضعيف جدا ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين باسناد معضل وقد تقدم اه قلت ورواه أبو الشيخ أيضا من حديث واثلة بلفظ من خاف الله أخاف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شئ ورواه الحكيم بلفظ من اتقى الله أخاف الله منه كل شئ ومن لم يتق الله أهابه من كل شئ ورواه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم الكرجى فى أماليه والرافعى فى تاريخه من حديث ابن عمر

وقال عليه الصلاة والسلام رأس الحكمة مخافة الله وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود ان أردت ان تلقانى فأكثر من الخوف بعدى وقال الفضيل من خاف الله دله الخوف على كل خير وقال الشبلى رحمه الله ما خفت الله يوما الا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن يعمل سيئة الا يلحقها حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين أسدين وفى خبر موسى عليه الصلاة والسلام وأما الورعون فانه لا يبقى أحد الا ناقشته الحساب وفتشت عما فى يديه الا الورعين فانى استحيى منهم وأجلهم ان أوقفهم للحساب والورع والتقوى اسام اشتقت من معان شرطها الخوف فان خلت عن الخوف لم تسم بهذه الاسامى وكذلك ما ورد فى فضائل الذكر لا يخفى وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فان أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة واذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من خاف الله تعالى خافه كل شئ ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شئ

(وقال صلى الله عليه وسلم أتمكم عقلا أشدكم خوفا لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظرا) قال العراقي لم أقف له على أصل ولم يصح في فضل العقل شئ (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة) نقله القشيري في الرسالة أي لان خوفه من الفقر يحمله على أن يشح بمامعه على نفسه وعياله و يخل بقيامه بكثير من الواجبات كفرض ولده ووالده وحق زكاته و يقع في كثير من المحرمات لتحصيل المال كالتلبيس والغش في العيوب وتعاطي المعاملات الفاسدة فلو خاف من النار كما يخاف من الفقر لهرب من أسباب دخولها وتعاطى أسباب دخول الجنة ولما غلبت عليه الشهوات (وقال ذو النون) المصري رحمه الله تعالى (من خاف الله ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه) وهو داخل القلب (وقال) أيضا (ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء) أي في حال صحته وقوة شبابه (فاذا غلب الرجاء) في القلب (تشوش القلب) أي اضطرب وآل أمره الى الفساد ومثله قول الداراني اذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب (وكان أبو الحسين الضرير) رحمه الله تعالى (يقول علامة السعادة خوف الشقاوة) أي مخافة أن تدركه (لان الخوف زمام بين الله تعالى و بين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (من آمن الخلق غدا) أي من أكثرهم امنا في يوم القيامة (فقال أشدهم خوفا اليوم) أي في الدنيا (وقال) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (لا تجد الخوف) أي لا تكون خائفا خوفا حقيقيا (حتى تأكل الحلال وقيل للحسن) البصري رحمه الله تعالى (يا أبا سعيد) وهي كنية الحسن (كيف نصنع نجالس أقواما يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير) أي تزول من مواضعها من شدة الخوف (قال) الحسن (والله انك ان تخالط أقواما يخوفونك حتى يدركك الامن خير لك من ان تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف) فيه استحسان لتغليب جانب الخوف على الرجاء (وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (ما فارق الخوف قلبا الا خرب) قال القشيري سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الحسين بن احمد الصفار يقول سمعت محمد بن المسيب يقول سمعت هاشم بن خالد يقول سمعت أبا سليمان الداراني يقول ذلك والمعنى ان الخوف درجات ومن انتقل من مقام شريف ان لم يحذر مما يفسده عليه أولا يكمل أولا يرقيه الى ما هو اعلى منه فسد عليه ما هو فيه فلا يستغنى مقام عن الخوف (و) قال القشيري في الرسالة أخبرنا على ابن أحمد الاهوازي أخبرنا أحمد بن عبيد حدثنا محمد بن عثمان حدثنا القاسم بن محمد حدثنا يحيى بن يمان عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب قال (قالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله) قوله تعالى (الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يسرق و يزني) و يشرب الخمر (قال لا بل الرجل يصوم و يصلي و يتصدق و يخاف ان لا يقبل منه) ففيه دليل على ان الخوف يكون مع كمال طاعة العبد لكونه لا يعرف صحة عمله ولا قبوله لخفاء ما يطرق الاعمال من الآفات قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد قلت بل منقطع بين عائشة و بين عبد الرحمن بن سعيد بن وهب قال الترمذي وروى عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة اهـ قلت لفظ الترمذي رواه كذلك الفريابي وأحمد وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب واللفظ الثاني الذي أشار له الترمذي رواه ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن الانباري في المصاحف وابن مردويه عن أبي هريرة قالت عائشة يا رسول الله والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة هم الذين يخطؤن و يعملون بالمعاصي وفي لفظ هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه قال لا ولكنهم الذين يصلون و يصومون و يتصدقون وقلوبهم وجلة (والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشئ ثناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الامن كما ان ضد الرجاء الياس وكما دل مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الامن على فضيلة الخوف

وقال صلى الله عليه وسلم أتمكم عقلا أشدكم خوفا لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة وقال ذو النون رحمه الله تعالى من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه وقال ذو النون أيضا ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان أبو الحسين الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غدا فقال أشدهم خوفا اليوم وقال سهل رحمه الله لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال وقيل للحسن يا أبا سعيد كيف نصنع نجالس أقواما يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال والله انك ان تخالط أقواما يخوفونك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق و يزني قال لا بل الرجل يصوم و يصلي ويتصدق و يخاف أن لا يقبل منه والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشئ ثناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الامن كما أن ضد الرجاء اليأس وكما دلت مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الامن على فضيلة الخوف

المضاد

المضادله بل نقول كل ماورد فى فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلابد وأن يخاف فوته فان كان لايخاف فوته فهو اذا لايحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز أن يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الآخر فى الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذا المحبوب الذى يجوز وجوده يجوز عدمه لامحالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لامحالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم أحد طرفى الشك قد يترجح على الآخر بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفى الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال عز وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى مالكم لاترجون لله وقارا أى لاتخافون وكثيرا ماورد فى القرآن الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما اذ عادة العرب التعبير عن الشئ بما يلازمه بل أقول كل ماورد فى فضل البكاء من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى فليضحكوا

المضادله بل نقول كل ماورد فى فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلابد وأن يخاف فواته فان كان لايخاف فواته فهو اذا لايحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر) ولفظ الفوت فى باب الرجاء ومن علامة صحة الرجاء فى العبد كون الخوف باطنا فى رجائه لانه لما تحقق برجاء شئ خاف فوته لعظم المرجو فى قلبه وشدة اغتباطه به فهو لا ينفك فى حال رجائه من الخوف لفوت الرجاء (نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان) وهذا خلاف ماقاله بعضهم انه لايجوز أن يتغلب أحدهما على الآخر لاستوائهما فى التعلق بالاسباب فتأمل ذلك (ويجوز أن يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الآخر فى الحال لغفلته عنه وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه) أو مظنون (اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف) كما سبق (فاذا المحبوب الذى يجوز وجوده ويجوز عدمه لامحالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتقابلان لامحالة اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه نعم أحد طرفى الشك قد يترجح بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا) وهذا هو المراد لغيره وأما المراد لذاته فانه مبنى على الشك (فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وغاب الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس) فهذا معنى غلبة أحدهما على الآخر ولو استويا فى التعلق بالاسباب (وعلى كل حال فهما) وصفان (متلازمان) لاينفك أحدهما عن الآخر (وكذلك قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال عز وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء) وسموه به (فقال تعالى) على هذه اللغة (مالكم لاترجون لله وقارا أى لاتخافون) لله عظمة اجمعوا على هذا التفسير وهو مخرج على قولهم مالك لاترجو كذا وهم يريدون مالك لاتخاف وهو أيضا أحد وجهى تفسير قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه أى يخاف من لقائه (وكثيرا ماورد فى القرآن الرجاء بمعنى الخوف) كما فى قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أى يخافون عقوبات الله وكذا قوله تعالى وترجون من الله مالا يرجون أى يخافون منه مالا يخافون (لتلازمهما) ولولا انهما كشئ واحد لما فسر أحدهما بالآخر (اذ عادة العرب التعبير عن الشئ بما يلازمه) أى من مذهبهم ان الشئ اذا كان لازما للشئ أو وصفا له أو سببا عنه أن يعبروا عنه به ومثل أحدهما من الآخر مثل اليوم من الليلة لما لم ينفك أحدهما عن الآخر جاز أن يعبر عن المدة باحدهما فيقال ثلاثة أيام ويقال ثلاث ليال ومنه قوله تعالى مخبرا عن قصة واحدة قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاث ليال سويا ثم قال ثلاثة أيام الا رمزا فلما لم يكن اليوم ينفك عن ليلته والليلة لاتنفك عن يومها أخبر عن أحدهما بالآخر لان أحدهما متصل بصاحبه فصارا كشئ واحد فكيف وان الليل والنهار أحدهما لابسة والآخر مندرج فيه لايظهر الا أحدهما بحكمة الله تعالى وقدرته لتفاوت أحكامه فيهما وافتراق انعامه بهما فاذا ظهر النهار اندرج الليل فيه بقدرة الله تعالى واذا ظهر الليل استتر النهار لحكمة الله تعالى وهو حقيقة ايلاج أحدهما فى الآخر وتحقيق تكوير أحدهما على صاحبه فكذلك حقيقة الرجاء من الخوف فى معانى الملكوت اذا ظهر الخوف كان العبد خائفا وظهرت عليه أحكام الخوف من مشاهدة التجلى بوصف الخوف فسمى العبد خائفا لغلبته عليه ويظهر الرجاء من خوفه واذا ظهر الرجاء كان العبد خائفا راجيا وظهرت منه أحكام الرجاء من مشاهدة تجلى الربوبية بوصف مرجو فوصف العبد به لانه الاغلب عليه وبان الخوف فى رجائه (بل أقول كل ماورد فى فضل البكاء من خشية الله فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى فليضحكوا

قليلا وليبكوا كثيرا) وفى حديث أنس لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقد سبق (وقال تعالى) فى وصفه الباكين من العلماء فى السجود لمزيد اليقين بالخشوع ويخرون للاذقان (يبكون ويزيدهم خشوعا وقال عزوجل أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون) أى رافعون رؤسكم متحيرون فاسجدوا لله واعبدوا (وقال صلى الله عليه وسلم مامن عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيأ من حر وجهه الاحرمه الله على النار) قال العراقى رواه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف اهـ قلت وروى ابن النجار من حديث أنس مامن عين خرج منها مثل الذباب من الدموع من مخافة الله الا أمنها الله يوم الفزع الاكبر وعند الحاكم من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الارض من دموعه لم يعذبه الله يوم القيامة (وقال صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة ورقها) قال العراقى رواه الطبرانى والبيهقى من حديث العباس بسند ضعيف اهـ قلت ولفظهما جلد العبد وفيه عن الشجرة البالية ورقها ورواه كذلك الحكيم فى النوادر وأبو بكر الشافعى وسمويه فى فوائده والخطيب (وقال صلى الله عليه وسلم لايلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع) قال العراقى رواه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة اهـ قلت وزاد الترمذى والنسائى ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى مسلم أبدا وقد رواه كذلك أحمد وهناد والحاكم والبيهقى وقال القشيرى فى الرسالة أخبرنا أبو بكر بن عبدوس الحيرى أنبأنا أبو بكر بن دلويه الدقاق حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عامر بن أبى الفرات حدثنا المسعودى عن محمد بن عبد الرحمن عن عيسى ابن طلحة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره وعند البيهقى وحده لايلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم (وقال عقبة بن عامر) الجهنى رضى الله عنه قلت (ما النجاة يارسول الله قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت والترمذى وحسنه وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب وقد تقدم فى كتاب الصمت ورواه أحمد من حديث أبى امامة والطبرانى من حديث ابن مسعود ولفظهما أملك بدل أمسك (وقالت عائشة رضى الله عنها قلت يارسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى) أغفله العراقى (وقال صلى الله عليه وسلم مامن قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم اهريقت فى سبيل الله تعالى) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أبى امامة وقال حسن غريب وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقنى عينين هطالتين تشفيان) القلب (بذروف الدمع) وفى لفظ الدموع (قبل ان تصير) وفى لفظ تكون (الدموع دما والاضراس جمرا) قال العراقى رواه الطبرانى فى الكبير وفى الدعاء وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر باسناد حسن ورواه الحسين المروزى فى زياداته على الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية سالم بن عبد الله مرسلا دون ذكر أبيه وذكر الدارقطنى فى العلل ان من قال فيه عن أبيه وهم وانما هو عن سالم بن عبد الله مرسلا قال وسالم هذا يشبه أن يكون سالم بن عبد الله المحاربى وليس با بن عمر اهـ وماذكره من انه سالم المحاربى هو الذى يدل عليه كلام البخارى فى التاريخ ومسلم فى الكنى وابن أبى حاتم عن أبيه وأبى أحمد الحاكم فان الراوى له عن سالم ثابت بن شريح أبو سلمة وانما ذكروا له رواية عن سالم المحاربى والله أعلم نعم حكى ابن عساكر فى تاريخه الخلاف فى ان الذى يروى عنه سالم المحاربى أو سالم بن عبد الله بن عمر اهـ قلت ومن جزم انه سالم المحاربى لا ابن عمر أبو زرعة كما هو بخط الحافظ ابن حجر (وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لاظل الاظله ذكر منهم رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) رواه أحمد والشيخان والنسائى وابن حبان من حديث أبى هريرة ورواه الترمذى عن أبى هريرة أو عن أبى سعيد

قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا وقال عزوجل أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون وقال صلى الله عليه وسلم مامن عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيأ من حر وجهه الاحرمه الله على النار وقال صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم لايلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع وقال عقبة بن عامر ما النجاة يارسول الله قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت عائشة رضى الله عنها قلت يارسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال صلى الله عليه وسلم مامن قطرة احب الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى او قطرة دم اهريقت فى سبيل الله سبحانه وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقنى عينين هطالتين تشفيان بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دما والاضراس جمرا وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لاظل الاظله وذكر منهم رجلا ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

ورواه

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان محمد بن المنكدر رحمه الله اذا بكى مسح وجهه
ولحيته بدموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ابكوا فان لم تبكوا
فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال أبو سليمان الداراني
رحمه الله ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة فان سالت دموعه اطفأ الله باول قطرة منها بحارا من النيران ولو أن رجلا بكى في أمة ما عذبت تلك الامة وقال أبو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والطرب من الشوق وقال كعب الاحبار رضي الله عنه والذي نفسي بيده لان أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب الي من ان أتصدق بجبل من ذهب وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لان أدمع دمعة من خشية الله أحب الي من ان أتصدق بالف دينار وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت الى أهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي قد نافقت
حيث تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادي نافق حنظلة فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال كلا لم
ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافق حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا لم ينافق حنظلة فقلت
يارسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا
ونسيت

ورواه مسلم عنهما معا وقد تقدم مرارا (وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك) أي ليتكلف البكاء (وكان) أبو عبد الله (محمد بن المنكدر) بن عبد الله بن الهدير التيمي من حفاظ التابعين مات سنة ثلاثين ومائة عن نيف وسبعين سنة روى له الجماعة قال ابن حبان من سادات القراء لا يتمالك من البكاء اذا قرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغني ان النار لا تأكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر ظهره) رواه أحمد في الزهد حدثنا وكيع حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولو تعلمون حق العلم لصرخ أحدكم حتى ينقطع صوته ولسجد حتى ينقطع صلبه ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه وروي من طريق قسامة بن زهير قال خطبنا أبو موسى الاشعري بالبصرة فقال أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت (وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة فان سالت دموعه أطفأ الله بأول قطرة منها بحارا من النيران ولو ان رجلا بكى في أمة ما عذبت تلك الامة) نقله صاحب القوت أي اذا كان بكاؤه من خشية الله تعالى (وقال أبو سليمان) رحمه الله تعالى (أيضا البكاء من الخوف) أي منشؤه منه لانه انما يخاف ان يحل به مكروه أو يفوته محبوب كما تقدم فمنه يحصل البكاء (والرجاء من الطرب والشوق) لما يؤمله في الاستقبال (وقال كعب الاحبار) رحمه الله تعالى (والذي نفسي بيده لان أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب الي من ان أتصدق بجبل من ذهب) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال عبد الله بن عمر) بن الخطاب رضي الله عنهما (لان أدمع دمعة من خشية الله أحب الي من ان أتصدق بجبل من ذهب) وفي لفظ بالف دينار أخرجه أبو نعيم في الحلية (وروي عن) أبي ربعي (حنظلة) ابن الربيع بن صيفي بن رباح بن الحرث بن معاوية بن مجاشع التميمي الاسدي المعروف بالكاتب أخو رباح بن الربيع وابن اخي أكثم بن صيفي حكيم العرب نزل الكوفة ثم انتقل الى قرقيسياء وله ولاخيه صحبة قال الواقدي كتب للنبي صلى الله عليه وسلم مرة كتابا فسمي بذلك الكاتب وكانت الكتابة في العرب قليلة وقال ابن البرقي سمي الكاتب لانه كتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي وتوفي بعد علي وكان معتزلا للفتنة حتى مات جاء عنه حديثان روى له مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه (قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون) أي سالت دموعها (وعرفنا أنفسنا) أي كرهناها (فرجعت الى أهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنت عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا ما في الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه فقلت في نفسي قد نافقت حتى تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت أنادي نافق حنظلة فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فاخبرته الخبر فقال كلا لم ينافق حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافق حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا لم ينافق فقلت يارسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت الى أهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت

ما كان عندك عليه فقال يا حنظلة لو انكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة فى الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة) قال العراقى رواه مسلم مختصرا اه قلت ولفظه حدثنا يحيى بن يحيى التميمى وقطن بن نسير واللفظ ليحيى أخبرنا جعفر بن سليمان عن سعيد بن اياس الجريرى عن أبى عثمان النهدى عن حنظلة الاسيدى قال وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقينى أبو بكر رضى الله عنه فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ما تقول قال قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى عين فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الازواج والاولاد والضيعات فنسينا كثيرا قال أبو بكر فوالله انا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذاك قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار كأنا رأى عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات فنسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات (فاذا كل ما ورد فى فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الامن فهو دلالة على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلق به اما تعلق السبب أو تعلق المسبب) وهذه عباراتهم فى الخوف قال القشيرى فى الرسالة سمعت أبا على الدقاق يقول الخوف على مراتب الخوف والخشية والهيبة فالخوف من شروط الايمان وقضيته قال الله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين والخشية من شرط العلم قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والهيبة من شرط المعرفة قال الله تعالى ويحذركم الله نفسه وقال أبو القاسم الحكيم الخوف على ضربين رهبة وخشية فصاحب الرهب يلتجئ الى الرب اذا خاف ورهب وهرب يصح أن يقال هما واحد مثل جذب وجبذ فاذا هرب انجذب فى مقتضى هواه كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم فاذا كبحهم لجام العلم وقاموا بحق الشرع فهو الخشية وقال أبو حفص الخوف سراج القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر سمعت أبا على الدقاق يقول الخوف أن لا تعلل نفسك بعسى وسوف وقال أبو عمرو الدمشقى الخائف من يخاف نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان وقال ابن الجلاء الخائف من يأمن المخوفات وقيل للفضيل مالنا لا نرى خائفا فقال لو كنتم خائفين لرأيتم الخائفين ان الخائف لا يراه الا الخائفون وان الثكلى تحب ان ترى الثكلى وقال شاه الكرمانى علامة الخوف الحزن الدائم وقال معاذ بن جبل ان المؤمن لا يطمئن قلبه ولا يسكن روعه حتى يخلف جسر جهنم خلفه وقال بشر الحافى الخوف ملك لا يسكن الا فى قلب متق وقال أبو عثمان الحيرى عيب الخائف فى خوفه السكون لانه أمر خفى وقال النورى الخائف هرب من ربه الى ربه وقال بعضهم علامة الخوف التحير على باب الغيب وقال الجنيد الخوف توقع العقوبة مع مجارى الانفاس وقال أبو سليمان الدارانى ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقال أبو عثمان صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرا وباطنا وقال ذو النون الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فاذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق وقال حاتم الاصم لكل شئ زينة وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف قصر الامل وقال رجل لبشر أراك تخاف الموت فقال القدوم على الله شديد وقال ابن المبارك الذى يهيج الخوف حتى يسكن فى القلب دوام المراقبة فى السر والعلانية وقيل الخوف قوة العلم بمجارى الاحكام وقيل الخوف حركة القلب بجلال الرب وقال الحسين من خاف من شئ سوى الله أو رجا سواه أغلق عليه أبواب كل شئ وسلط عليه المخافة وحجب بسبعين حجابا أيسرها الشك وان مما أوجب شدة خوفهم فكرتهم فى العواقب وخشية تغير أحوالهم قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

(بيان ان الافضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الاخبار فى فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر اليهما

ما كان عندك عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا حنظلة لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة فى الطرق وعلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة فاذا كل ما ورد فى فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الامن فهو دلالة على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلق به اما تعلق السبب أو تعلق المسبب

(بيان أن الافضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما)*

اعلم أن الاخبار فى فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر اليهما

فيعتبر به شك في أن الافضل أيهما وقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز أفضل أم الماء وجوابه أن يقال الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع أغلب فالخبز أفضل وان كان العطش أغلب فالماء أفضل وان استويا فهما متساويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجاء دواآن يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر (٢١٧) الله تعالى والاغترار به فالخوف أفضل وان كان الاغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلقا الخوف أفضل على التأويل الذي يقال فيه الخبز أفضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة الى الخبز أكثر فهو أفضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لان المعاصي والاغترار على الخلق أغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب وليس وراء المحبة مقام وأما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الاصلح لا لفظ الافضل فنقول أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصي فاما التقي الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وروى أن عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك لو أتيته بحسنات أهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو أتيته بسيئات أهل الارض غفرها لك ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس

فيعتبر به شك في ان الافضل أيهما وقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد) فان أعمال المقامات اذا اتحدت فلا يصح التفاضل فيها الا باسبابها وأحوالها التي هي حوات على الاعمال بل (يضاهي) قوله (قول القائل الخبز أفضل أم الماء وجوابه أن يقال الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب فان كان الجوع أغلب فالخبز أفضل وان كان العطش أغلب فالماء أفضل وان استويا فهما متساويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجاء دواآن يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف أفضل وان كان الاغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى فالرجاء أفضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلق الخوف) الذي يراد لذاته هو (أفضل) مطلقا (على التأويل الذي يقال فيه الخبز أفضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة الى الخبز أكثر فبهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لان المعاصي والاغترار على الخلق أغلب) فالخوف يربط زمام ابتهاج المحبين وانبساطهم عن الافراط الى الاعتدال (فان نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء) أفضل (لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوفين من بحر الغضب) وشتان بينهما (لان من لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب) وموجبات الرحمة في الوجود أكثر من موجبات الغضب (وليس وراء المحبة مقام) لانها من الغايات (وأما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الاصلح لا الافضل فنقول أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصي) وكثرة الاغترار (فأما التقي الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا) هو قول مطرف بن عبد الله رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق حدثنا محمد بن الصباح حدثنا سفيان قال قال مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوجدا سواء لا يزيد أحدهما على صاحبه (وروى ان عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده) يعظه يا بني (خف الله خوفا ترى انك لو أتيته بحسنات أهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو أتيته بسيئات أهل الارض غفرها لك) وكما أوصى لقمان ابنه فقال يا بني خف الله خوفا لا تيأس فيه من رحمته وارجه رجاء لا تأمن مكره وفي لفظ آخر وارجه رجاء أشد من خوفك فقال وكيف أستطيع ذلك وانما لي قلب واحد قال أما علمت ان المؤمن كذي قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر وفي القوت وكان علي رضي الله عنه يقول عليكم بالنمط الاوسط يرجع اليه العالي ويرتفع عنه الداني وهذا قول فصل غير شطط ولا هزل وهو طريق أهل السنة ومذهب أولي المعرفة فصدق الرجاء واعتدال الخوف به من حقيقة العلم بالله والمؤمن حقا هو المعتدل بين الرجاء والخوف (ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت أن أكون ذلك الرجل ولو نودي ليدخل النار كل الناس

الا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوي خوفه ورجاؤه فأما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثني من الذين أمروا بدخول النار كان ذلك دليلا على اغتراره فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن تساوي خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلب رجاؤه كما سبق في أول كتاب الرجاء وان قوته ينبغي أن تكون بحسب قوة أسبابه كما مثل بالزرع والبذر ومعلوم أن من بث البذر الصحيح في أرض نقية وواظب على تعهدها وجاء بشروط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي أن تكون أحوال المتقين فاعلم أن من يأخذ المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله وذلك وان أوردناه مثالا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة الارض ونقاؤها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها وانما مثال مسألتنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في أرض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها وهي في بلاد ليس يدري أتكثر الصواعق فيها أم لا فمثل هذا الزارع وان أدى كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مسألتنا هو الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخفايا الاخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب مثله ثم الحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك مما لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لامحالة كما سيحكى في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فأما أن يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه انه هل يعرف به من آثار النفاق شيأ اذ كان قد خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين

الا رجلا واحدا لرجوت أن أكون ذلك الرجل) رواه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن معمر حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني حدثنا يحيى بن عبد الله البابلتي حدثنا الاوزاعي حدثنا يحيى بن كثير عن عمر ابن الخطاب قال لو نادى مناد من السماء أيها الناس انكم داخلون الجنة كلكم أجمعون الا رجلا واحدا لخفت أن أكون أنا هو ولو نادى مناد أيها الناس انكم داخلون النار الا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا هو (وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي) لانهما لا ينبنيان على سابقة ولا وسيلة بل على كمال العلم والارادة بخفي المكر والالطاف والشك فيما يصدر عنهما متساو فلا يغلب أحدهما الآخر (فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوي خوفه ورجاؤه فان قلت مثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يساوي خوفه رجاءه بل ينبغي أن يغلب رجاؤه كما سبق أول كتاب الرجاء وان قوته ينبغي ان تكون بحسب قوة أسبابه كما مثل بالبذر والزرع) ومر في كتاب الرجاء (ومعلوم ان من بث البذر الصحيح) عن التسويس (في أرض نقية) صالحة (وواظب على تعهدها) ومراعاتها (وجاء بشروط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهكذا ينبغي ان تكون أحوال المتقين فاعلم ان من يأخذ المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله) أي خطؤه (وذلك وان أوردناه مثالا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة اذ علم بالتجربة صحة الارض ونقاؤها) عن المؤذيات (وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها وانما مثال مسألتنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في أرض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها وهي في بلاد ليس يدري أتكثر بها الصواعق أم لا فمثل هذا الزارع وان أدى كنه مجهوده) أي خالصه (وجاء بكل مقصوده فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مسألتنا هو الايمان وشروط صحته دقيقة والارض القلب وخفايا خبثه وصفاؤه من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخفايا الاخلاق فيه غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان سلم في الحال فذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب ثم الحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك مما لا يجرب فمن عرف حقائق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لامحالة كما سيحكى في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين) ومن بعدهم (وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه) فصار في الاعتدال (فأما ان يغلب رجاؤه) على خوفه (فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة) بن اليمان (رضي الله عنه انه هل يعرف به من آثار النفاق شيأ اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصه بعلم المنافقين) قال العراقي روى مسلم من حديث

حذيفة

فمن ذا الذى يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفى وان اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه واخفاء عيبه عنه وان وثق به فمن أين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه و بين الجنة الا شبر وفى رواية الا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار وقدر فواق الناقة لا يحتمل عملا بالجوارح انما هو بمقدار خاطر يختلج فى القلب عند الموت فيقتضى خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذن أقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه وغلبة الرجاء فى غالب الناس تكون مستندة للاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله تعالى بينهما فى وصف من أثنى عليهم فقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل و يدعوننا رغبا ورهبا وأين مثل عمر رضى الله عنه فالخلق الموجودون فى هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك فى المعاصى فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذى يحث على العمل و يكدر جميع الشهوات و يزعج القلب عن الركون الى الدنيا و يدعوه الى التجافى عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذى لا يؤثر فى الكف والحث ودون اليأس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق فى بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه فى مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام فى محجة الاذكار وقال مكحول الدمشقى من عبد الله بالخوف فهو حرورى ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ ومن عبده بالمحبة فهو زنديق

حذيفة فى أصحابى اثنا عشر منافقا ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط الحديث اه قلت ورواه كذلك أحمد (فمن ذا الذى يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفى وان اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه واخفاء عيبه منه وان وثق به فمن أين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة) حتى يقال انه من أهل الجنة وفى لفظ (حتى لا يبقى بينه و بين الجنة الا شبر وفى رواية الا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار) هكذا هو فى القوت وقد سبق ذكره قريبا وقال العراقى روى مسلم من حديث أبى هريرة ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وللطبرانى فى الاوسط سبعين سنة واسناده حسن وللشيخين فى اثناء حديث لابن مسعود ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها الا ذراع الحديث ليس فيه زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شبر ولا فواق ناقة اه قلت وتمام حديث أبى هريرة فيجعله من أهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم الله عمله بعمل أهل الجنة فيجعله الله من أهل الجنة فيدخله الجنة ورواه كذلك أحمد (وقدر فواق ناقة) وكذا الشبر (لا يحتمل عملا) أى لا يتأتى فى هذا المقدار من الوقت شئ من عمل الجسم (بالجوارح انما هو) من أعمال القلوب بمشاهدة العقول (بمقدار خاطر يختلج فى القلب عند الموت فيقتضى خاتمة السوء) وذلك هو شرك التوحيد الذى لم يكن فى الحياة الدنيا شاهداله ظهر له بيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وبدت فيه حاله كما تظهر له أعماله السيئة فيستحليها قلبه أو ينطق بها لسانه أو يخامرها وجده فتكون هى خاتمته التى تخرج عليها روحه وذلك هو سابقته التى سبقت له من الكتاب كما قال تعالى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص (فكيف يؤمن ذلك فاذا أقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه وأما غلبة الرجاء فى غالب الناس يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله بينهما فى وصف من اثنى عليهم فقال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا) والطمع هو الرجاء (وقال عز وجل ويدعوننا رغبا ورهبا) والرغبة من الرجاء والرهبة من الخوف (وأين مثل عمر رضى الله عنه) فى قوته وثباته (فالخلق الموجودون فى هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف) على الرجاء (بشرط ان لا يخرجهم) الى اليأس من روح الله (وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك فى المعاصى فان ذلك قنوط) وهو كفر (وليس بخوف وانما الخوف هو الذى يحث على العمل و يكدر جميع الشهوات) و يستأصلها (و يزعج القلب عن الركون الى الدنيا) أى الميل اليها (و يدعوه الى التجافى عن دار الغرور) واذا تحقق ذلك (فهو الخوف المحمود) شرعا (دون حديث النفس الذى لا يؤثر الكف) عن المنهيات (والحث) على المأمورات (ودون اليأس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (من عبد الله تعالى بمحض الخوف) أى دون الرجاء (غرق فى بحار الافكار) اذ الخوف يحمله الى كل واد (ومن عبده بمحض الرجاء) أى دون الخوف (تاه فى مفاوز الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام فى محجة الاذكار) نقله صاحب القوت (وقال مكحول الدمشقى) هكذا فى سائر النسخ ولفظ القوت وقال مكحول النسفى فى معناه الا انه أفرط فيه (من عبد الله بالخوف فهو حرورى ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ ومن عبده بالمحبة فهو زنديق) كذا فى النسخ

ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد فاذا لابد من الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف على الموت أما عند الموت فالاصلح غلبة الرجاء وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق أسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه و يعين على تعجيل موته وأما روح الرجاء فانه يقوى قلبه و يحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه ولا ينبغي ان يفارق أحد الدنيا الا محبا لله تعالى ليكون محبا للقاء الله تعالى فان من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والرجاء تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم والاعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوب به عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء والاصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه و بين ما يشتهيه ولا يخفى حال من يحال بينه و بين ما يشتهيه فاذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذا سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح الى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن وخلى بينه و بين محبوبه بلا مانع ولا مكدر فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب واجعل فضلا عما أعده الله لعباده الصالحين مما لم تر عين ولم تسمع اذن ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما أعده الله تعالى للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة و رضوا بها واطمأنوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي والنكال فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين و يلحقنا بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعاء الا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن فالاولى ان ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني الى حبك

ولفظ القوت فهو جهمي اي يتجهم عليه بالمقال و يتجاوز الحد في الافعال (ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد) شبه هذه المقامات من معاني المقالات للمبالغة من طريق المعنى لا على التحقيق أي انه اذا انفرد بحال منها لا بد وان يخرج من معيار علم أو عن سنة أو معروف أو معتاد مألوف فاذا جمعها فقد استقام على العلم والسنة وهو وصف العالم العارف الظاهري الباطني (فاذا لابد من الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن) عند صحة طواعيته وذلك الى (قبل الاشراف على الموت أما عند الموت) وشدة المرض (فالاصلح) في حقه تغليب جانب (الرجاء وحسن الظن) بالله تعالى (لان الخوف) كما سبق (جار مجرى السوط الباعث على العمل) بالجوارح (وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل) ولا يتأتى منه (ثم) هو لا (يطيق أسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه) وهو بكسر النون عرق معلق به القلب (و يعين على تعجيل موته وأما روح الرجاء فانه يقوى قلبه و يحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه ولا ينبغي ان يفارق أحد الدنيا الا محبا لله تعالى ليكون محبا للقاء الله تعالى فان من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه كما ورد ذلك في الخبر وتقدم (والرجاء تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم) والمعارف (والاعمال كلها معرفة الله تعالى) واليه يشير تفسير ابن عباس للعبادة بها (حتى تثمر) تلك المعرفة (المحبة) المحضة (فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه و) لا يخفى انه (من قدم على محبوب به عظم سروره) وذلك (على قدر محبته) من قبل (ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فهما كان الغالب على القلب عند الموت حب الاهل والمال والولد والمسكن والعقار والرفقاء والاصحاب) وبالجملة كل ما يشغله عن الله تعالى (فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا) اذا (جنته) التي يتمتع بها (اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه و بين ما يشتهيه ولا يخفى حال من يحال بينه و بين ما يشتهيه) فانه يتكدر عيشه ولا يصفو خاطره (فأما اذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذا سجنه اذ السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الانسراح الى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن وخلى بينه و بين محبوبه بلا مانع ولا مكدر) وهذا هو معنى الخبر السابق ذكره الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقب موته من الثواب والعقاب فضلا عما أعد الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولا خطر على قلب بشر) كما في خبر أبي هريرة (وفضلا عما أعد الله للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب الخزي والنكال فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين و يلحقنا بالصالحين) من عباده (ولا مطمع في اجابة هذا الدعاء الا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره) من كل ما يشغله عنه (من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن) وأهل وأصحاب (فالاولى ان ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني الى حبك

واجعل حبك أحب الى من الماء البارد والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لانه أجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لانه أحرق لنار الشهوات وأقمع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه وقال تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لابنه عند الموت اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله ان يحبب الله تعالى الى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام أن حببني الى عبادي فقال بماذا قال بان تذكر لهم آلائي ونعمائي فاذا غاية السعادة ان يموت محبا لله تعالى وانما تحصل المحبة بالمعرفة وباخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن المانع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن أفلت فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له انه مات البارحة

(بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف)

اعلم ان ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء لان أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا

واجعل حبك أحب الى من الماء البارد) رواه الترمذي من حديث أبي الدرداء وقد تقدم في كتاب الاذكار والدعوات (والغرض ان غلبة الرجاء عند الموت أصلح لانه أجلب للمحبة) والانس (وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لانه أحرق لنار الشهوات وأقمع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه) رواه مسلم من حديث جابر وقد تقدم قريبا (وقال) صلى الله عليه وسلم (قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء) رواه ابن أبي الدنيا والحاكم وابن حبان وابن عدي والطبراني والحاكم والبيهقي وتمام كلهم من حديث واثلة وقد تقدم قريبا في فضيلة الرجاء (ولما حضر سليمان) بن طرخان (التيمي الوفاة) ولفظ القوت ولما احتضر سليمان التيمي (قال لابنه يا بني (حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به) كذا في القوت وابنه هو المعتمر ابن سليمان وهذا قد أخرجه المزني في التهذيب بسنده الى المعتمر قال قال أبي عند موته يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به قال ابن سعد كان سليمان من العباد المجتهدين وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد فيصليان في هذا المسجد مرة وفي هذا المسجد مرة حتى يصبحا (وكذلك لما حضر سفيان الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع) ولفظ القوت وكذلك لما احتضر الثوري الوفاة جعل (العلماء حوله يرجونه و) كذلك (قال أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (لابنه) عبد الله (عند الموت أذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن) فلولا ان الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في آخر الاوقات عند فراق العمر ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله حسن الخاتمة لطول الحياة (والمقصود من ذلك كله ان يحبب الله تعالى الى نفسه ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان حببني الى عبادي فقال بماذا قال بان تذكرهم آلائي ونعمائي) تقدم ذكره قريبا (فاذا غاية السعادة) ونهاية الفوز (ان يموت العبد) حالة كونه (محبا لله تعالى) أي يفارق هذا العالم وهو متصف بهذا الوصف (وانما تحصل المحبة بالمعرفة) فان من لم يعرف كيف يحب (و باخراج حب الدنيا من القلب) بان لا يميل اليها باطنا وان كان لابد له منها في الظاهر بحسب عروض الحاجات الضرورية (حتى تصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب) أي من وصاله ومشاهدته وملاقاته (ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (في المنام وهو يطير) في الهواء (فسأله) عن حاله (فقال الآن أفلت) أي خلصت من السجن (فلما أصبح سأل عن حاله فقيل انه مات البارحة) فدلت رؤياه على انه كان محبوسا كالطير في القفص فلما مات وصل الى مطلوبه كما يفلت الطير بعد حبسه والله الموفق

(بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف)

(اعلم) وفقك الله تعالى (أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء لان أول مقامات الدين) هو (اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله تعالى واليوم الآخر) والجنة والنار وله درجات ومراتب قد تقدم ذكرها في كتاب العلم (وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار و) يثير (الرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره) أي شدائد الامور مما تكرهها النفوس (فلا يصبر على تحملها الا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات) أي الملاذ النفسية من كل ما تميل اليه النفوس (فلا يصبر على قمعها) أي دفعها ومنعها (الا بقوة الخوف ولذلك قال علي كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا) وفي لفظ تبتل

عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدى مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام ويؤدى دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة ويؤدى كمال المعرفة والانس الى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب فى سلوك منازل الدين وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهرا وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فاذا فيما ذكرناه فى علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جلى فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر ومثاله ان الصبى اذا كان فى بيت فدخل عليه سبع أوحية ربما كان لايخاف وربما مد اليد الى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها فاذا نظر الصبى الى أبيه وهو ترتعد فرائصه ويحتال فى الهرب منها قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه فى الهرب لخوف الاب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته وأما خوف الابن فايمان بمجرد التقليد لانه يحسن الظن بأبيه ويعلم انه لايخاف الامن سبب مخوف فى نفسه فيعلم ان السبع مخوف ولا يعرف وجهه واذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثانى الخوف منه فاما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته مايقتضى الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله عز وجل اتقوا الله حق تقاته وأما الاول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر فى أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب فى الآخرة وتزول أيضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم

(عن الشهوات) أى انقطع عنها (ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات) كذا فى القوت وقد روى مرفوعا من طريقه بلفظ من اشتاق الى الجنة سابق الى الخيرات ومن أشفق من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت صبر عن اللذات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات رواه البيهقى وتمام وابن عساكر وابن النجار (ثم يؤدى مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر فيه على الدوام) أى كل من الذكر والفكر من غير انقطاع بل يكون بازائهما فاذا سئم من الذكر اشتغل بالمراقبة والتفكر ثم اذا أراد أن ينفصل عنه فليعد الى الذكر حتى يثبت له الدوام ولا يتخلل بينهما الشيطان (ويؤدى دوام الذكر الى الانس) بالله تعالى (ودوام الفكر) يؤدى (الى كمال المعرفة) بالله تعالى (ويؤدى كمال المعرفة والانس الى المحبة) وهو أعلى المقامات (ويتبعها) أى المحبة (مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات) الآتى ذكرها (فهذا هو الترتيب فى سلوك منازل) السائرين (فى الدين) وفى عروج مقامات الطائرين اليه (فليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء وليس بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهرا وباطنا ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق) وأذن له بالدخول فيه (الا الهداية والمعرفة) لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة والانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب) كيف كان (والثقة بعنايته وهو) بعينه مقام (التوكل فاذا فيما ذكرناه فى علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جلى) أى اجمالى (فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر) وتقريب ذلك الى الاذهان انما يكون بمثال يضرب له فى الظاهر فيقيس الغائب على الشاهد (ومثاله ان الصبى اذا كان فى بيت فدخل عليه سبع أوحية ربما كان لايخاف وربما مد اليد الى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف) فى الحال (من الحية) أو من السبع (وهرب منها فاذا نظر الصبى الى أبيه وهو ترتعد فرائصه ويحتال فى الهرب قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه فى الهرب لخوف الاب عن بصيرة) وعقل (ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته وأما خوف الابن فايمان بمجرد التقليد) والتبعية (لانه يحسن الظن بأبيه ويعلم انه لايخاف الامن سبب مخوف فى نفسه فيعلم ان السبع مخوف) وان الحية مخوفة (ولا يعرف وجهه) لجهله (واذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثانى الخوف منه فى ذاته فاما الخوف منه) تعالى فى ذاته (فهو خوف العلماء) بالله (وأرباب القلوب) والبصائر النافذة (العارفين من صفاته) تعالى (مايقتضى الهيبة والخوف والحذر) وهى صفات الربوبية (المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فأما الاول فهو خوف عموم الخلق) أى الخوف من عذابه (وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية) وقد يقوى ذلك وقد يضعف (وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر فى أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب فى الآخرة وتزول أيضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم) فى حركاتهم

فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تأثير وأما الثاني وهو الاعلى فان يكون الله هو المخوف أعني ان يخاف البعد والحجاب عنه ويرجو القرب منه * قال ذو النون رحمه الله تعالى خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم المؤمنين أيضا حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند الى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى المعزم يقدم على أخذ الحية فينظر اليه ويغتر به فيتجرأ على أخذها تقليدا له كما احترز من أخذها تقليدا لابيه والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذا من ارتقى الى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج الى علاج لجلب الخوف الى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام خفني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد ابليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ترجمه قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي وان خطر ببالك أنه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فتأمل انه لم عد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم عد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء أم أبى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بها بالضرورة فان كان أبعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل الى غير نهاية أو يقف لا محالة على أول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم اذ قال احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند ربهما فحج آدم موسى عليه السلام

حركاتهم وسكناتهم (فان فاتت المشاهدة فالسماع) أي التلقف من الافواه (لا يخلو عن تأثير وأما الثاني وهو الاعلى) مقاما (فان يكون الله) عز وجل (هو المخوف أعني ان يخاف البعد) عنه (والحجاب منه ويرجو القرب منه) ويدل لذلك ما (قال ذو النون) المصري رحمه الله تعالى (خوف النار عند خوف الفراق كقطرات قطرت في بحر لجي) أي فما يكون مقدارها بالنسبة الى البحر المتلاطم الامواج (وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) وهو مقام كمل العارفين (ولعموم المؤمنين أيضا حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد) لغيره (يضاهي خوف الصبي من الحية) أو السبع (تقليدا لابيه) اذا رآه قد هرب منها (وذلك لا يستند الى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى المعزم) وهو الذي يمسك الحيات بالعزائم (فينظر اليه ويغتر به فيتجرأ على أخذها تقليدا له) فيكون فيه هلاكه (والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على استمرار) وملازمة (فاذا من ارتقى الى ذروة المعرفة) أي صار في أعلاها (وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف كما ان من عرف السبع ورأى نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج الى جلب الخوف الى قلبه بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى الى نبيه) داود (عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري) وهو من الاسرائيليات وقد تقدم الكلام عليه قريبا (ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة) الى حضرته (من غير وسيلة) منهم (سابقة) تستدعي قربهم (وأبعد ابليس من غير جريمة سالفة) توجب ابعاده (بل صفته على ما ترجم قوله تعالى) في الحديث القدسي المتقدم بذكره قبض قبضة من بني آدم فقال (هؤلاء في الجنة ولا أبالي) وقبض أخرى منهم فقال (هؤلاء في النار ولا أبالي) لكن يشترط في هذه المعرفة أن يكون الفكر فيها بامعان فانه هو المستجلب للخوف والا فالفكر الخفيف لا ينضج قساوة القلب أرأيت لو أوقدت نارا تحت قدر ثم أخذت قبل الانضاج ثم أوقدت ثم أخذت في الوقود وما حصل الانضاج فلا بد من الاقبال بكنه الهمة على الفكر المحتاج اليه حتى ينضج القلب على الفور لئلا يفنى الزمان ولا يحصل المقصود (وان خطر ببالك انه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فتأمل انه لم عد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم عد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء أم أبى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا بالضرورة فان كان أبعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل لغير نهاية أو يقف لا محالة على أول لا غاية له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم اذ قال احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحج آدم موسى) رواه الخطيب من حديث أنس دون قوله عند ربهما وفي لفظ آخر

قال موسى أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الالواح فيها تبيان كل شئ وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال افتلومنى على أن عملت عملا كتبه الله على قبل أن أعمله وقبل أن يخلقنى بأربعين سنة قال (٢٢٤) صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فمن عرف السبب فى هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع فى قبضة القدرة وقوع الصبى الضعيف فى مخالب السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم لكن اذا أضيف الى من لا يعرفه سمى اتفاقا وان أضيف الى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقا والواقع فى مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان سلط عليه الجوع افترس وان سلط عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو الله فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وان الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقهم القدر المتفرع عن القضاء الجزم الازلى الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلا سخر والاسباب بها شاؤا أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلا سخر والاسباب بها شاؤا أم أبوا فلا يرى أحد نفسه فى ملتطم أمواج القدر الا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع الى مقام الاستبصار فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والآثار فيطالع أحوال الخائفين العارفين وأقوالهم وينسب عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين

احتج آدم وموسى (فقال موسى أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك الى الارض) ولفظ الجماعة بعد قوله جنته أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم (فقال آدم أنت موسى) ولفظ الجماعة فقال آدم ياموسى أنت (الذى اصطفاك الله برسالته وكلامه وأعطاك الالواح فيها تبيان كل شئ وقربك نجيا فبكم وجدت الله قد كتب التوراة قبل ان أخلق قال بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومنى على ان عملت عملا كتبه الله على قبل ان أعمله قبل ان يخلقنى بأربعين سنة) ولفظ الجماعة بعد قوله وكلامه وأنزل عليك التوراة أتلومنى على أمر كتبه الله على قبل ان يخلقنى (قال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى) أى غلب عليه فى الحجة رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة ورواه عبد ابن حميد وأبو يعلى وابن مردويه من حديث أبى سعيد ورواه أبو بكر فى الغيلانيات والخطيب من حديث أبى موسى ورواه النسائى وأبو يعلى والطبرانى والآجرى فى الشريعة والضياء من حديث جندب البجلى (فمن عرف السبب فى هذا الامر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف) ولكن يختلف فى قوته وضعفه بحسب اختلاف المقامات والرتب (فان كل عبد فهو واقع فى قبضة القدرة وقوع الصبى الضعيف فى مخالب السبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه) ويتركه (وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق أسباب) كثيرة (مرتبة بقدر معلوم) وحد ينتهى اليه (لكن اذا أضيف لمن لا يعرفه سمى اتفاقا وان أضيف الى علم الله لم يجز ان يسمى اتفاقا والواقع فى مخاليب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان سلط الله عليه الجوع افترس وان سلط عليه الغفلة خلى وترك فانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته) من البطش والسطوة والجراءة (فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل اذا كشف الغطاء علم ان الخوف من السبع هو غير الخوف من الله تعالى لان المهلك بواسطة السبع هو الله تعالى) فهو مثال غير منطبق على الممثل به من كل وجه عند التأمل (فاعلم ان سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وان الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الازلى الى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلا سخر والاسباب بها شاؤا أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلا سخر والاسباب بها شاؤا أم أبوا) وروى مسلم من حديث عائشة ان الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا (فلا يرى أحد نفسه فى ملتطم أمواج القدر الا غلبه الخوف بالضرورة فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع الى مقام الاستبصار) والاعتبار (فسبيله ان يعالج بسماع الاخبار والآثار ويطالع أحوال الخائفين وأقوالهم) ويجالس الصالحين والمذكرين بأيام الله وذكر الامم المغضوب عليهم والفكر فى آثار الصفات الموجبة للخوف فقد أثنى بها على نفسه وخوف بها عباده (وينسب عقولهم ومناصبهم الى مناصب الراجين المغرورين)

المغرورين) وعقولهم (فلا يتمارى) أى لا يشك (فى ان الاقتداء بهم أولى لانهم الانبياء والاولياء والعلماء) والصالحون من عباده (وأما الآمنون فهم الفراعنة الجهال الاغبياء أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الاولين والآخرين) روى أحمد والترمذى وابن ماجه من حديث أبى سعيد أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر الحديث ورواه الطبرانى من حديث عبد الله بن سلام (وكان أشد الناس خوفا) تقدم قبل هذا بخمسة وعشرين حديثا قوله والله انى لاخشاكم لله وقوله انى لاعلمهم بالله وأشدهم له خشية (حتى روى انه كان يصلى على طفل) منفوس (ففى رواية انه سمع فى دعائه) له (يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار) كذا فى القوت وقال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى على صبى أو صبية وقال لو كان أحد نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبى واختلف فى اسناده فرواه فى الكبير من حديث أبى أيوب ان صبيا دفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو افلت أحد من ضمة القبر لافلت هذا الصبى (وفى رواية ثانية انه سمع قائلة تقول هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك انه كذلك والله انى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدرى ما يصنع بى ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم) كذا فى القوت وقال العراقى رواه مسلم من حديث عائشة قالت توفى صبى فقالت طوبى له عصفور من عصافير الجنة الحديث وليس فيه فغضب وقد تقدم (وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا على جنازة عثمان بن مظعون) رضى الله عنه (وكان من المهاجرين الاولين من) الشهداء وهو أول من مات بالمدينة (لما قالت أم سلمة) رضى الله عنها (هنيأ لك الجنة) فقال لها صلى الله عليه وسلم ما قال (فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله ما أزكى أحدا بعد عثمان) كذا فى القوت وقال العراقى رواه البخارى من حديث أم العلاء الانصارية وهى القائلة رحمة الله عليك أبا السائب شهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال وما يدريك الحديث وورد ان التى قالت ذلك أم خارجة بن زيد ولم أجد فيه ذكر أم سلمة اهـ قلت لفظ الصحيح عن أم العلاء قالت لما مات عثمان بن مظعون قلت شهادتى عليك أبا السائب لقد أكرمك الله الحديث وقوله وورد ان التى قالت ذلك أم خارجة بن زيد قلت قال ابن عبد البر فى ترجمة أم العلاء الانصارية يقال انها والدة خارجة بن زيد بن ثابت الراوى عنها روى حديثها الشيخان من رواية الزهرى عن خارجة بن زيد عن أم العلاء الانصارية قالت طار لنا عثمان بن مظعون فى السكنى لما اقترعت الانصار فذكر الحديث فى فضل عثمان بن مظعون وفيه انها رأت لعثمان عينا جارية فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ذلك عمله وفى الحديث قولها المتقدم شهادتى عليك أبا السائب لقد أكرمك الله والحديث المذكور الذى جاء فيه التصريح بانه من قول أم خارجة بن زيد رواه أحمد والطبرانى من طريق يزيد بن أبى حبيب عن سالم بن النضر عن خارجة بن زيد عن أمه ان عثمان بن مظعون لما قبض قالت أم خارجة طبت أبا السائب الحديث قال الحافظ فهذا ظاهر فى ان أم العلاء هى والدة خارجة المذكور (و) أعجب من ذلك ما روى انه (قال) أبو القاسم (محمد بن) على بن أبى طالب وهو ابن (خولة الحنفية) وهى ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبد الله بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة من سبى أهل الردة (والله لا أزكى أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبى الذى ولدنى قال فثارت الشيعة عليه) حين سمعوا ذلك منه (فأخذ يذكر فضائل على ومناقبه) نقله صاحب القوت (وروى فى حديث آخر ان رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك فلعله كان يتكلم

المغرورين فلا يتمارى فى أن الاقتداء بهم أولى لانهم الانبياء والاولياء والعلماء وأما الآمنون فهم الفراعنة والجهال والاغبياء أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الاولين والآخرين وكان أشد الناس خوفا حتى روى انه كان يصلى على طفل ففى رواية انه سمع فى دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفى رواية ثانية انه سمع قائلا يقول هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك انه كذلك والله انى رسول الله وما أدرى ما يصنع بى ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الاولين لما قالت أم سلمة هنيأ لك الجنة فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله لا أزكى أحدا بعد عثمان وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا أزكى أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبى الذى ولدنى قال فثارت الشيعة عليه فأخذ يذكر من فضائل على ومناقبه وروى فى حديث آخر عن رجل من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم

بمالا يعنيه ويمنع مالا يضره) كذا فى القوت وقال العراقى رواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ ان أمه قالت هنيأ لك يابنى الجنة ورواه البيهقى فى الشعب الا انه قال فقالت أمه هنيأ لك الشهادة وهو عند الترمذى الا انه قال ان رجلا قال له ابشر بالجنة وقد تقدم فى ذم المال والبخل مع اختلاف (وفى حديث آخر انه صلى الله عليه وسلم دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيأ لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله فقال المريض هى أمى يارسول الله فقال ومايدريك لعل فلانا كان يتكلم بمالا يعنيه ويبخل بمالا يغنيه) كذا فى القوت وبيض له العراقى (وكيف لايخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتنى هود واخواتها) رواه الطبرانى من حديث عقبة بن عامر والترمذى فى الشمائل وأبو يعلى والطبرانى من حديث أبى جحيفة وفى لفظ شيبتنى هود (وسورة الواقعة) والمرسلات (واذا الشمس كورت وعم يتساءلون) رواه الترمذى والحاكم من حديث ابن عباس ورواه الحاكم أيضا عنه عن أبى بكر وفى لفظ شيبتنى هود واخواتها الواقعة والحاقة واذا الشمس كورت رواه الطبرانى وابن مردويه من حديث سهل بن سعد وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب السماع (فقال العلماء لعل ذلك لما فى سورة هود من الابعاد كقوله تعالى ألا بعدا لعاد قوم هود ألا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) فهذا هو الذى شيبه صلى الله عليه وسلم (مع علمه صلى الله عليه وسلم بانه لوشاء الله ما أشركوا اذ لوشاء لآتى كل نفس هداها) كما قال تعالى ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى (وفى سورة الواقعة) قوله تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) أى وقعت السابقة ممن سبقت له السابقة وحقت الحاقة بمن حقت عليه الحاقة (أى جف القلم بما هو كائن) روى أحمد من حديث ابن عمرو ان الله خلق خلقه فى ظلمة الحديث وفيه فلذلك أقول جف القلم بما هو كائن (وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرفوعين فى الدنيا واما رافعة قوما كانوا مخفوضين فى الدنيا) حين ظهرت الحقائق وكشفت عواقب الخلائق وفيها فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم فهذا هو حق اليقين الحاقة ما الحاقة اذا وقعت الواقعة بمن حقت عليه الكلمة (وفى سورة التكوير أهوال يوم القيامة) وهى خواتم المصير لمن أيقن (وانكشاف الخاتمة) وفيها تجلى معانى الغضب لمن عاين آخر ذلك (وهو قوله تعالى واذا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت) هذا فصل الخطاب أى عند تسعير النيران واقتراب الجنان حينئذ يتبين للنفس ما أحضرت من شر يصلح له الجحيم وخير يصلح للنعيم ويعلم اذ ذاك من أى أهل الدارين يكون وفى أى المنزلين يحل فكم من قلوب قد تقطعت حسرات على الابعاد من الجنان بعد اقترابها وكم من نفوس تصاعدت زفرات عند يقينها معاينة النيران انها تصيبها وكم من ابصار ذليلة خاشعة لمشاهدة الاهوال وكم من عقول طاشت لمعاينة الزلزال (وفى عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه الآية وقوله تعالى لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وهذا الذى عزاه المصنف لبعض العلماء ساقه صاحب القوت وجها بقوله ولعل المشهور فى هذا الحديث الذى صرح به العلماء ان المراد منه ان فى هذه السور من أهوال يوم القيامة وتباين أحوال السعداء والاشقياء والامر بالاستقامة كما أمر مما يليق بعالى مقامه الذى لا يمكن بشرا ان يتحمله ومن غير ذلك مما لا يستوعب بعضه الادوان حافل ما يوجب استيلاء سلطان الخوف والحزن سيما على اتباعه وأمته بعظيم رأفته ورحمته لهم ودوام الفكر فيما يصلحهم وتتابع الغم مما يوبهم أو يصدر عنهم واشتغال القلب والبدن باحوالهم ومصالحهم الظاهرة والباطنة وهذا كله مستوجب لضعف القوى البدنية وضعفها مستلزم لضعف الحرارة الغريزية وبضعفها يسرع الشيب ويظهر قبل وقته ولكن لما كان عنده صلى الله عليه وسلم من انشراح

بمالا ينفعه ويمنع مالا يضره وفى حديث آخر انه دخل صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيأ لك الجنة فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله تعالى فقال المريض هى أمى يارسول الله فقال ومايدريك لعل فلانا كان يتكلم بمالا يعنيه ويبخل بمالا يغنيه وكيف لايخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتنى هود وأخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما فى سورة هود من الابعاد كقوله تعالى ألا بعدا لعاد قوم هود ألا بعدا لثمود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود مع علمه صلى الله عليه وسلم بانه لوشاء الله ما أشركوا اذ لوشاء لآتى كل نفس هداها وفى سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة أى جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة اما خافضة قوما كانوا مرفوعين فى الدنيا واما رافعة قوما كانوا مخفوضين فى الدنيا وفى سورة التكوير أهوال يوم القيامة وانكشاف الخاتمة وهو قوله تعالى واذا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت وفى عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه الآية وقوله تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا

والقرآن من أوله الى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولولم يكن فيه الاقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا اذ
علق المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن آحادها وأشد منه قوله تعالى فامامن تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من
المفلحين وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم وقوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان وقوله عز وجل أفامنوا مكر الله الآية وقوله وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا الآيتين وقوله تعالى وان منكم الاواردها الآية وقوله اعملوا ماشئتم الآية وقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآيتين وقوله تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل الآية وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الى آخر السورة فهذه أربعة شروط للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء مع مافاض عليهم من النعم لانهم لم يامنوا مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روى ان النبى وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفا من الله تعالى فاوحى الله اليهما لم تبكيان وقد أمنتكما فقالا ومن يامن مكرك وكأنهما اذ علما أن الله هو علام الغيوب وانه لاوقوف لهما على غاية الامور لم يامنا ان يكون قوله
قد أمنتكما ابتلاء وامتحانا لهما ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد أمنا من المكر وما وفيا بقولهما كما كان ابراهيم صلى الله عليه
وسلم لما وضع فى المنجنيق قال حسبى الله وكانت هذه من

الصدر واتساع القلب وتوالى أنوار اليقين والقرب ما يسلبه كل هم وحزن لم يقدر ذلك ان يستولى الاعلى قدر يسير من شعره الشريف ليكون فيه مظهر الجلال والجمال وليتبين ان جماله صلى الله عليه وسلم غالب على جلاله والله أعلم (والقرآن من أوله الى آخره مخاوف لمن قرأ بتدبر) وتأمل (ولو لم يكن فيه الاقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا) فى المقصود (اذ علق المغفرة) على (أربع شروط يعجز العبد عن آحادها) وهى التوبة ثم الايمان ثم العمل الصالح ثم الاهتداء (وأشد منه قوله تعالى فامامن تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) أى من وجدت فيه هذه الشروط الثلاثة فعسى ولعل ان يعد من زمرة أهل الفلاح أى الفوز والنجاة (وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم وقوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان وقوله تعالى أفأمنوا مكر الله الآية وقوله تعالى وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا الآيتين وقوله تعالى وان منكم الاواردها الآية وقوله تعالى اعملوا ماشئتم الآية وقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآيتين وقوله تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل الآية) فهذه المخاوف وهى من المحكمات ليس فيها أمر ولا زجر وردت فى السوابق الاول والخواتم الاخر وجاءت بالخبر عن قديم الخبر فيها سرائر الغيوب وغرائب الفهوم ومخاوف القلوب وزواجر النفوس وبصائر العقول لمن كان له قلب وهى من آى المطالع لاهل الاشراف على شرفات العرش والاعراف (وكذا قوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الى آخر السورة فهذه أربعة شروط للخلاص من الخسران) وهى الايمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر (وانما كان خوف الانبياء مع ما فاض عليهم من النعم) الظاهرة والباطنة (لانهم لم يأمنوا مكر الله تعالى ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) وقد كثرت الاخبار فيمن عبد الله واجتهد أكثر عمره ثم أحبط ذلك بعجب ساعة أو كلمة كبر أو بازرائه على غيره وجاءت الاخبار باعمال ترفع الى السماء ويبنى بها الدرجات العلى ثم ينظر الله الى صاحبها نظرة بعد أو بمقته فتنهدم الدرجات وتسقط المنازل (حتى روى) فى الخبر المشهور (ان النبى صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام بكيا خوفا من الله عز وجل فأوحى الله اليهما لم تبكيان وقد أمنتكما فقالا ومن يأمن مكرك) كذا فى القوت وقال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط وابن شاهين فى شرح السنة من حديث عمر ورويناه فى مجلس من أمالى أبى سعيد النقاش بسند ضعيف (وكأنهما اذ علما ان الله هو علام الغيوب وانه لاوقوف لهما على غاية الامور ولم يأمنا ان يكون قوله قد أمنتكما ابتلاء وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد أمنا من المكر وما وفيا بقولهما) وعبارة القوت فلولا انهما علما ان مكره لانهاية له لان حكمه لاغاية له لم يقولا ومن يأمن مكرك مع قوله وقد أمنتكما ولكن قد انتهى مكره بقوله ولكانا قد وقفا على آخر مكره لكن خافا من بقية المكر الذى هو غيب عنهما وعلما انهما لا يقفان على كنه غيب الله تعالى اذ هو علام الغيوب فلا نهاية لعلام فى علم ولا غاية للغيوب بوصف فلم يحكم عليهما القول لعنايته بهما وفضل نظره لهما ولانهما على مزيد من معرفة الصفات اذ المكر عن الوصف واظهار القول لا يقضى على باطن الوصف فكأنهما خافا ان يكون قوله عز وجل قد أمنتكما مكرى مكرا منه بالقول على وصف مخصوص عن حكمه قد استأثر بعلمه يختبر بذلك حالهما وينظر كيف يعملان تعبدا منه لهما به اذ الابتلاء وصفه من قبل ان المبتلى اسمه قد يترك مقتضى وصفه لتحقيق اسمه ولا يبدل سنته التى قد خلت فى عباده (كما كان) خليله (ابراهيم صلى الله عليه وسلم) اختبره (لما وضع فى المنجنيق) وأهوى به فى الهواء (قال حسبى الله وكانت) هذه القولة (من

الدعاوى العظام فامتحن وعورض بجبريل فى الهواء حتى قال ألك حاجة فقال أما اليك فلا فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله حسبى الله فأخبر الله تعالى عنه فقال وابراهيم الذى وفى أى بموجب قوله حسبى الله وبمثل هذا أخبر عن موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا اننى معكما

أسمع وأرى ومع هذا لما ألقى السحرة سحرهم أوجس موسى فى نفسه خيفة اذ لم يأمن مكر الله والتبس الامر عليه حتى جدد عليه الامن وقيل له لا تخف انك أنت الاعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الارض أحد يعبدك فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه دع عنك مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضى الله عنه مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعانى صفاته التى يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال المسيح صلى الله عليه وسلم لما قيل له أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك وقال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الآية فوض الامر الى المشيئة وأخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بأنه ليس له من الامر شئ وان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذى قطع قلوب العارفين

الدعاوى العظام فامتحن وعورض بجبريل فى الهواء حتى قال ألك حاجة فقال أما اليك فلا) فأثبت لنفسه حاجة كما هو مقتضى وصف الخلة (فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبى الله) وصدق القول بالعمل (فأخبر الله تعالى عنه فقال وابراهيم الذى وفى أى بموجب قوله حسبى الله) ولان الله تعالى لا يدخل تحت الاحكام ولا يلزمه ما حكم به على الانام ولا يختبر صدقه تعالى ولا يجوز أن يوصف بضد الصدق ان بدل الكلام هو بتبديل منه لان أحكامه وكلامه قائم به فله ان يبدل منه به ما شاء بما شاء وهو الصادق فى الكلام من العادل فى الحكمين الحاكم فى الحالين لانه حاكم عليه ولا حكم يلزمه فيه لانه قد جاوز العلوم والعقول التى هى أماكن للحدود من الامر والنهى وفات الرسوم التى هى أواسط الاحكام والاقدار وفى مشاهدة ما ذكرناه علم دقيق من علوم التوحيد ومقام رفيع من أحوال الموحد (وبمثل هذا) المعنى (أخبر عن) كليمه (موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال اننا نخاف أن يفرط علينا أو ان يطغى) يعنى فرعون (قال لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى ومع هذا لما ألقى السحرة سحرهم أوجس موسى فى نفسه خيفة اذ لم يأمن مكر الله والتباس الامر عليه) بان يكون قد أسر عنه فى غيبه وقد استأثر عن نفسه تعالى ما لم يظهره له فى القول لمعرفته عليه السلام بخفى المكر وباطن الوصف ولعله انه لم يعطه الحكم اذ هو محكوم عليه مقهور فخاف خوفا ثانيا (حتى جدد عليه الامن) بحكم ثان (وقيل له لا تخف انك أنت الاعلى) لا تخف انك من الآمنين فاطمأن الى القائل ولم يسكن الى الاظهار الاول لعلمه بسعة علمه انه هو علام الغيوب التى لا نهاية لها ولان القول احكام والحاكم لا تحكم عليه الاحكام كما لا تعود عليه الاحكام وانما تفصل الاحكام من الحاكم العلام ثم تعود على المحكومات أبدا ولانه جلت قدرته لا يلزمه ما ألزم الخلق الذين هم تحت الحكم ولا يدخل تحت معيار العقل والعلم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم) فى دعائه (اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الارض أحد يعبدك فقال أبو بكر رضى الله عنه دع عنك مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك) قال العراقى رواه البخارى من حديث ابن عباس بلفظ اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم الحديث (فكان مقام الصديق) رضى الله عنه (مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله لانه لم يصدر الا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعانى صفاته التى يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ومن عرف حقيقة المعرفة و) عرف (قصور معرفته عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال المسيح) عيسى بن مريم (صلى الله عليه وسلم لما قيل له أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله) وقد علم انه لم يقله فلما عرض له بالقول فزع نخاف ان يكون قاله وان الله يؤاخذه به اذ جعله سبحانه (قال ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك وقال) مثل هذا فى يوم القيامة (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الآية فوض الامر الى المشيئة) لعزته وحكمته (وأخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بانه ليس له من الامر شئ) وان الله يحكم فى خلقه كيف شاء من غير سبب منهم (فان الامور مرتبطة بالمشيئة ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس) أى تخمين (وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذى قطع قلوب العارفين)

العارفين اذ الطامة الكبرى هى ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالى بك ان أهلكك فقد أهلك امثالك ممن لا يحصى ولم يزل فى الدنيا يعذبهم بانواع
الآلام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقال تعالى وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم الآية فكيف لا يخاف ما حق
من القول فى الازل ولا يطمع فى تداركه ولو كان الامر أنفا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم فيه واستقراء

خفى السابقة من جلى الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التى سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضى تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات تزيد نيران الخوف اشعالا ولا تمكنها من الانطفاء وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وان القلب أشد تقلبا من القدر فى غليانها وقد قال مقلب القلوب عز وجل ان عذاب ربهم غير مأمون فاجهل الناس من أمنه وهو ينادى بالتحذير من الامن ولولا ان الله لطف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء

لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء رحمة لخواص الله وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب قال بعض العارفين لو حالت بينى وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لانى لا أدرى ما ظهر له من التقلب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لانى لا أدرى ما يعرض لقلبى بين باب الحجرة وباب الدار وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد أمن على ايمانه أن يسلبه عند الموت الا سلبه

العارفين) ولذلك لا يصلح ان يكشف حقيقة تفصيله فى كتاب خشية الانكار (اذ الطامة الكبرى هو ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالى بك ان أهلكك فقد أهلك امثالك ممن لا يحصى ولم يزل فى الدنيا يعذبهم بانواع الآلام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقال تعالى وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم الآية فكيف لا يخاف ما حق من القول فى الازل ولا مطمع فى تداركه ولو كان الامر انفا) وفى نسخة معاينا (لكانت الاطماع تمتد الى حيلة ولكن ليس الا التسليم واستقراء خفى أسباب السابقة من جلى الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التى سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له) كما ورد ذلك فى الخبر اعملوا فكل ميسر لما خلق له (وان كانت الخيرات كلها ميسرة وكان القلب بالكلية منقطعا عن الدنيا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا كان هذا يقتضى تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات تزيد نيران الخوف اشتعالا ولا تمكنها من الانطفاء وكيف يؤمن تغيير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) روى الحاكم من حديث جابر ان قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف شاء وقد تقدم فى قواعد العقائد (وانه أشد تقلبا من القدر فى غليانها) كما فى الخبر وتقدم فى عجائب القلب (وقد قال مقلب القلوب) جل جلاله (ان عذاب ربهم غير مأمون فاجهل الناس من أمنه وهو ينادى بالتحذير من الامن) وأعلمهم من خاف فى الامن حتى يخرج من دار الخوف الى مقام امين وهذا خوف لا يقوم له شئ وكرب لا يوازيه مقام ولا عمل (ولولا ان الله لطف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف) ولاخرجهم الى القنوط ولولا انه روحها بروح الانسان بحسن الظن لادخلهم فى اليأس ولكن اذا كان هو المعدل والمروح كيف لا يعتدل الخوف والرجاء حكمة بالغة وحكم نافذ لعلم سابق وقدر جار حقيقته ماشاء الله لا قوة الا بالله (فاسباب الرجاء رحمة من الله تعالى) لعباده (وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف تقلب القلوب قال بعض العارفين لو حال بينى وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لانى لا أدرى ما ظهر له من التقلب) كذا فى القوت (وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام) دون الشهادة قيل ولم قال (لانى لا أدرى ما يعرض لقلبى) من المشاهدة فيما (بين باب الحجرة وباب الدار) فيغيره عن التوحيد كذا فى القوت قال وروينا عن زهير بن نعيم البابى قال ما أكثر همى ذنوبى انما أخاف ما هو أعظم على من الذنوب ان أسلب التوحيد وأموت على غيره (وكان أبو الدرداء) رضى الله عنه (يحلف بالله ما أحد آمن على ايمانه أن يسلبه عند الموت الا سلبه) وقال مرة فما سلبه عبد فوجد له فقدا قال صاحب القوت فهذا على أمرين أحدهما

ان يخفى ذلك عليه فلا يعلم بسلب ايمانه لخفى مكر الله به والثانى ان يظلم قلبه و يسود لطول الغفلة وكثافة الرين فلا يبالى بفقده اذ فقد هيا قلبه على قلة المبالاة وترك الاكتراث لذلك فيهون عليه فقد الايمان وقد كان بعض العلماء يقول من أعطى التوحيد أعطيه بكماله ومن منعه منعه بكماله اذ كان التوحيد فى نفسه لا يتبعض (وكان) أبو محمد (سهل) التسترى رحمه الله (يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطوة) وهمة (وعند كل حركة) يخافون البعد من الله تعالى (وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال) ويؤتون ما أتوا (وقلوبهم وجلة) ولفظ القوت وهم الذين مدح الله وجلة قلوبهم وقال أيضا لا يصح خوفه حتى يخاف من الحسنات كما يخاف السيئات وقال أيضا أعلى الخوف ان يخاف سبق علم الله تعالى فيه و يحذر ان يكون منه حدث خلاف السنة يجره الى الكفر وقال أيضا خوف التعظيم ميراث خوف السابقة (ولما احتضر سفيان) الثورى رحمه الله تعالى (جعل يبكى و يجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أوعلى ذنوبى أبكى لو علمت انى أموت على التوحيد لم أبال بان ألقى الله بامثال الجبال من الخطايا) وقال مرة ذنوبى أهون من هذا ورفع حبة من الارض انما أخاف ان أسلب التوحيد فى آخر الوقت وقد كان رحمه الله أحد الخائفين كما سيأتى فى الحكايات (وحكى عن بعض الخائفين) ولفظ القوت وحدثنى بعض اخوانى عن بعض الصادقين وكان خائفا (انه أوصى بعض اخوانه) فقال (اذا حضرتنى الوفاة فاقعد عند رأسى) فاذا عاينت فانظر الى (فان رأيتنى مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل البلد وقل هذا عرس المنفلت) الحاذق (وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس) انى مت على غير الاسلام (حتى لا يغتروا بشهود جنازتى ليحضر جنازتى من أحب على بصيرة لئلا يلحقنى الرياء بعد الموت) فاكون قد خدعتهم حيا وميتا (قال) له صاحبه (و بم أعلم ذلك فذكر له علامة) وهى انه قال له ضع أصبعك فى كفى فان أمسكتها وشددت عليها فاعلم انى قد مت على التوحيد وان أرسلتها ونبذتها فاعلم ان حالى سيئة ففعل (فرأى علامة التوحيد عند موته) بان قبض على أصبعه وشدها فلم يخرجها من كفه الا بعد موته قال فنفذ وصيته (فاشترى السكر واللوز وفرقه عند موته) كما أمر قال ولم أحدث بذلك أحدا الا خصوص اخوانى من العلماء وذلك ان العبد مهما عمل فى حياته من سوء أعيد ذكره عليه عند فراق الحياة وقلب قلبه فيه وأشهد وجده اياه عند آخر ساعة من وفاته فان استحلى ذلك بقلبه واستهوته نفسه وقف معه وسكن اليه فاذا وقف معه حسب عليه وجعل عملا من أعماله الا انه من أعمال القلوب فى الوقت وقد تقدم سعيه فيه وهواه قبل الوقت وكان ذلك فاتبع سببا وان قل وكان هو الخاتمة فسبحان متبع الاسباب وجاعلها أبوابا ومقيض القرناء وجاعلها حجابا (وكان) أبو محمد (سهل) التسترى رحمه الله (يقول المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصى والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر) نقله صاحب القوت قال (و) كذلك (كان أبو يزيد) البسطامى رحمه الله تعالى قبله (يقول اذا ذهبت الى المسجد كان فى وسطى زنارا أخاف ان يذهب بى الى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع على الزنار فهذا لى فى كل يوم خمس مرات) هذا لعلمهم بسرعة تقلب القلوب فى قدرة الغيوب كذا فى القوت وقال القشيرى فى الرسالة وقال أبو يزيد منذ ثلاثين سنة أصلى واعتقادى فى نفسى عند كل صلاة أصليها كانى مجوسى أريد ان أقطع زنارى اﻫ قال الشارح فسره فى موضع آخر فقال كنت ثنتى عشرة سنة حداد نفسى وخمس سنين مرآة قلبى وسنة نظر فيما بينهما فاذا فى وسطى زنار ظاهر فعملت فى قطعه ثنتى عشرة سنة ثم نظرت فاذا فى وسطى زنار باطنى فعملت فى قطعه خمس سنين فلما قطعه راى الخلق كلهم وهو منهم موتى فكبر عليهم أربع تكبيرات وذلك لان الحداد شأنه ان يحمى الحديد و يطرقه ليصفيه ويخرج وسخه فقال كنت أعدل جوارحى وخواطرى بالخوف والرجاء هذه المدة حتى اعتدلت على الشريعة فرأيت فى نفسى التفاتا الى الخلق ليعرفوا ما أنا عليه من

الطاعة

وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى اذ قال وقلوبهم وجلة ولما احتضر سفيان جعل يبكى و يجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أوعلى ذنوبى أبكى لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبال بان ألقى الله بامثال الجبال من الخطايا وحكى عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرتنى الوفاة فاقعد عند راسى فان رأيتنى مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل البلد وقل هذا عرس المنفلت وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتى ليحضر جنازتى من أحب على بصيرة لئلا يلحقنى الرياء بعد الوفاة قال وبم أعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه وكان سهل يقول المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصى والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر وكان أبو يزيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان فى وسطى زنار أخاف أن يذهب بى الى البيعة وبيت النار حتى ادخل المسجد فينقطع عنى الزنار فهذا لى فى كل يوم خمس مرات

الطاعة الخالصة فشبه نفسه حيث التفت فى عمله الى غير الله بعلامة الشرك وهى الزنار الظاهر فعمل فى قطعه فلما تخلص منه أعجب بنفسه وهواه وجد نفسه على ذلك ونسى منة ربه عليه فلما أدرك ذلك رأى زنارا باطنا حيث جعل لنفسه أثرا فى طاعته فلما من الله برؤية فضله عليه وان جميع الخلق كالموتى فى انهم لا يضرون ولا ينفعون كبر عليهم أربع تكبيرات فذكر الله وحده واستند اليه دون غيره فقوله كأنى فى صلاتى مجوسى يعنى فى المدة التى كان يعمل فيها فى قطع الزنار الظاهر مع ماقبلها والله أعلم (و)قد (روى) معنى ذلك (عن المسيح عليه السلام انه قال يامعشر الحواريين انتم تخافون المعاصى ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر) كذا فى القوت (وروى فى أخبار الانبياء) عليهم السلام (ان نبيا منهم (شكا الى الله تعالى الجوع والقمل والعرى سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله) تعالى (اليه عبدى أما رضيت ان عصمت قلبك) أى حفظته من (ان تكفر بى حتى تسألنى الدنيا فاخذ التراب فوضعه على رأسه وقال بلى قد رضيت يارب فاعصمنى من الكفر) فلم يذكر نعمته عليه بنبوته وعرضه للكفر وجوز دخوله عليه بعد النبوة فاعترف بذلك فاعتصم كذا فى القوت (واذا كان خوف العارفين مع رسوخ اقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لايخافه الضعفاء) بل هم بطريق الاولى (ولسوء الخاتمة والنفاق أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والكبر وجملة من الصفات المذمومة) وقد روى فى معنى حديث من غش أمتى فعليه لعنة الله قيل وماغش أمتك قال ان يبتدع لهم بدعة فيتبع عليها فاذا فعل ذلك فقد غشهم (ولذلك اشتد خوف الصحابة) رضوان الله عليهم (من النفاق) كما هو معروف من سيرهم وأحوالهم (حتى قال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (لو أعلم انى برىء من النفاق كان أحب الى مما طلعت عليه الشمس) هذا مع فضله وزهده وورعه نقله صاحب القوت (وماعنوا به النفاق الذى هو ضد أصل الايمان) كما يتبادر الى الاذهان (بل المراد به مايجتمع مع أصل الايمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أربع) خصال (من كن فيه) أى وجدن (فهو منافق خالص وان صلى وصام وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها) أى يتركها (من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفى لفظ آخر واذا عاهد غدر) ولفظ القوت ومن المخاوف خوف النفاق قد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يخافون النفاق قد كان يكون فيهم شعبة منه أو دقيقة من حيث لا يعلمون هذا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه فهو منافق وفى حديث عبد الله بن عمرو أربع ورويناها خمسا من ثلاثة أحاديث جمعناها فكانت خمس خصال من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وفى لفظ آخر أربع من كن فيه فقد أدمج النفاق من فرقه الى قدمه ومن كانت فيه واحدة منهن ففيه شعبة من نفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر واذا عاهد غدر قال فجعل بعضنا ينظر الى بعض تعجبا اذا لم يكن الرجل كلها قال انى كنت وعدته ان أزوجه ابنتى وأخاف ان ألقى الله بثلث النفاق وقد كانوا يقولون الكذب باب من النفاق ومن عزائم الاخبار وشدائدها خبران وردا بأربعة أخلاق انها لاتوجد فى مؤمن أحدهما قوله صلى الله عليه وسلم يجبل المؤمن على كل خلق الا الخيانة وبعضها الكذب مجانب الايمان وقد يدخل الكذب فى الافعال والاحوال دخوله فى المقال وليس يعرى من الكذب اليوم الا الصديقون دون الصادقين والخبر الآخر قوله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق وليس يعرى من البخل على مذهب أهل المعرفة فى هذا الوقت الا الابدال فقد سئل بعضهم عن البخل فقال هو ان تملك الشئ فتدعى ملكه لتمنع الغير ان يأخذه منك قال بعض العارفين البخل من لم يؤثر بالشئ مع الحاجة اليه فوجود بعض هذه الاخلاق الدنية وهى من صفات النفس وجبلة الطبع وآفات العقل موجب للخوف من النفاق فان هذه علامة نقص أو فقد اليقين اذ

وروى عن المسيح عليه الصلاة والسلام انه قال يامعشر الحواريين انتم تخافون المعاصى ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر وروى فى أخبار الانبياء ان نبيا شكا الى الله تعالى الجوع والقمل والعرى سنين وكان لباسه الصوف فاوحى الله تعالى اليه عبدى أما رضيت ان عصمت قلبك ان تكفر بى حتى تسألنى الدنيا فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال بلى قد رضيت يارب فاعصمنى من الكفر فاذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لايخاف الضعفاء ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو أعلم انى برىء من النفاق كان أحب الى مما طلعت عليه الشمس وماعنوا به النفاق الذى هو ضد أصل الايمان بل المراد به مايجتمع مع أصل الايمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صلى وصام وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفى لفظ آخر واذا عاهد غدر

العلامات قد توجد والدلائل فى الحال قد تشهد ويتأخر حكمها ووقوع حقائقها الى المآل اه والحديث المذكور قد تقدم فى قواعد العقائد وقد رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفى لفظ للشيخين اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر رواه كذلك الخرائطى فى مساوى الاخلاق وابن عساكر من رواية مسروق عن ابن مسعود (وقد فسر الصحابة) رضى الله عنهم (والتابعون النفاق بتفسير لا يخلو عن شئ منه الا صديق اذ قال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (ان من النفاق) لفظ القوت وكان يقول كانوا يعدون (اختلاف السر والعلانية) واختلاف الظاهر والباطن (واختلاف اللسان والقلب) نفاقا (و) قال مرة كانوا يعدون (اختلاف) القول والعمل (والمدخل والمخرج) نفاقا (ومن الذى يخلو من هذه المعانى بل صارت هذه الامور مألوفة بين الناس معتادة ونسى كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة) فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة بن اليمان (رضى الله عنه ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا) حتى يلقى الله و(انى لاسمعها من أحدكم) ليتكلم بها (فى اليوم) ولفظ القوت فى المجلس (الواحد عشر مرات) ولفظ القوت خمس مرات رواه أحمد عن عبد الله بن نمير حدثنا رزين الجهنى حدثنا أبو الرقاد قال خرجت مع مولاى وأنا غلام فدفعت الى حذيفة ويقول ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا وانى لاسمعها من أحدكم فى المقعد الواحد أربع مرات لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحضن على الخير أو ليسحتنكم الله جميعا بعذاب أو ليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم وقد رواه أبو نعيم فى الحلية من طريقه وتقدم فى قواعد العقائد (وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر) وفى لفظ من الموبقات قال العراقى رواه البخارى من حديث أنس والبزار من حديث أبى سعيد وأحمد والحاكم من حديث عبادة وصحح اسناده وتقدم فى التوبة قلت وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن حذيفة قال المنافقون اليوم شر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذ ذاك يسرونه وهم اليوم يعلنونه قال صاحب القوت وهذا كما قال اعلان المعاصى والجهار بها أعظم من التستر والتخفى لانها اذا أسرت لم تضر الا صاحبها واذا أعلنت ضرت العامة ونكأت فى الاسلام وأوهنت شأن الدين (وقال بعضهم علامة النفاق ان يكره من الناس ما يأتى مثله) نقله صاحب القوت قال (و) روينا مسندا من النفاق (ان يحب على شئ من الجور وان يبغض على شئ من الحق) وسئل وهب من المنافق قال الذى يحب المدح ويكره الذم وروى مسندا من طريق أهل البيت من علامة المنافق أن يحب أن يحمد فى جميع أموره (وقيل من النفاق انه اذا مدح بشئ ليس فيه أعجبه ذلك) كذا فى القوت وعلامات النفاق أكثر من ان تحصى هى سبعون علامة ولا يعرى من النفاق الا طبقات ثلاث الصديقون والشهداء والصالحون وهؤلاء الذين ضمهم الله الى الانبياء ووصفهم بكمال النعمة عليهم وعافاهم من الحسرة بالبلوى ووقاهم آفة الاهوال كمال ايمانهم وصفاء يقينهم وحقيقة معرفتهم دقائق النفاق وخفايا الشرك عن نقصان التوحيد وضعف اليقين وترادف الشهوات وتزايد العادات عن قوة النفس وتظاهر صفاتها فهذه أوجبت المخاوف على المؤمنين خشية مقت الله تعالى وخوف حبوط الاعمال من حيث لا يشعرون (وقال رجل لابن عمر) رضى الله عنهما (انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون) ويعلم الله فى قلوبنا خلاف ذلك وقال مرة ندخل عليهم فنمدحهم (فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال) ابن عمر (كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله

عليه

وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شئ منه الا صديق اذ قال الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المدخل والمخرج ومن الذى يخلو عن هذه المعانى بل صارت هذه الامور مألوفة بين الناس معتادة ونسى كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال حذيفة رضى الله تعالى عنه ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا انى لاسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق أن تكره من الناس ما تأتى مثله وأن تحب على شئ من الجور وأن تبغض على شئ من الحق وقيل من النفاق انه اذا مدح بشئ ليس فيه أعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر رحمه الله انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم فيما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم وروى انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد من ذلك ماروى أن نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يتكلمون

فى شئ من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق وكان يقول انه يأتى على القلب ساعة يمتلئ بالايمان حتى لايكون للنفاق فيه مغرز ابرة ويأتى عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لايكون للايمان فيه مغرز ابرة فقد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الخاتمة وأن سببه أمور تتقدمه منها البدع ومنها المعاصى ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن شئ من جملة ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من أمن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين انى أخاف على نفسى النفاق فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين التفات الى السابقة والخاتمة خائفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لايدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لايدرى ما الله قاض فيه فوالذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار والله المستعان

عليه وسلم) كذا نقله صاحب القوت (وروى) عنه من طريق آخر (انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه) ولفظ القوت بسب الحجاج ويذمه (فقال) له (أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال) ابن عمر اما هذا فقد (كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) كذا فى القوت وقد تقدم فى قواعد العقائد قال العراقى ولم أجد فيه ذكر الحجاج قلت ذكر الحجاج فيه فى الغيلانيات قال صاحب القوت ولعمرى لقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يكون بعدى أمراء من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولن يرد على الحوض ولكن من كره وأنكر (وأشد من ذلك ماروى ان نفرا قعدوا على باب حذيفة) رضى الله عنه (ينتظرونه فكانوا يتكلمون فى شئ من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا) وفى القوت أفيضوا بدل تكلموا (فقال) قد (كنا نعد) مثل (هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال العراقى لم أجد له أصلا (وهذا حذيفة) رضى الله عنه (كان) قد (خص بعلم المنافقين) حتى ان عمر رضى الله عنه كان يقول له هل تعلم فى شيأ من النفاق (وكان يقول انه تأتى على القلب ساعة يمتلئ بالايمان حتى لايكون للنفاق فيه مغرز ابرة وتأتى عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لايكون للايمان فيه مغرز ابرة) يعنى به هذا عند قوة صفات النفس بالهوى وامتلائها بالشهوة يغيب الايمان ويحتجب احتجاب الشمس تحت السحاب فيرتفع حكمه عن اظهار أحكامه الموجبة لمقتضاه من الورع أو الزهد أو المراقبة أو المخافة كما يرتفع حكم شعاع الشمس اذا حجبت بكثف السحاب على الارض ولم يقع منها ضوء وعلى هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لايزنى الزانى وهو مؤمن الحديث وفى الخبر الآخر مثل الايمان كالقميص يلبسه احيانا ويخلعه احيانا وقد يكون امتلاء القلب بالنفاق بدلا عن امتلائه بالايمان فى وقت دخول الشك عليه لانه يرفع اليقين وعدم اليقين هو مكان لوجود النفاق أو فى وقت انكار القدرة من قدرة الله تعالى وحين تكذيبه فانه من آياته فوجود ذلك نقص للايمان وينقص الايمان دخول النفاق فان بغت الموت فى هذه الساعة التى يمتلئ القلب فيها نفاقا حتى لايكون للايمان فيه مغرز ابرة أليس يكون ذلك خاتمته بالنفاق وكذلك ان فجأه الامر بغتة عند احدى الخصال الخمس المذكورة فى حديث عبد الله ابن عمرو أليس ذلك يصير فى آخر عمره من سوء الخاتمة (فقد عرفت بهذا ان خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببه أمور متقدمة منها البدع ومنها المعاصى ومنها النفاق) وقد يخوف الخصوص اذا جعلوا سبب ابتلاء ان يلحقهم منه ذنب وان لم يكن فيه قصد ولا عليهم منه حكم من ذلك قول مريم الصديقة ياليتنى مت قبل هذا لما جعلت محنة للامة وعلى ذلك قول عيسى عليه السلام لما سئل الشفاعة انى لست هناك انى أخاف لانى قد عبدت من دون الله تعالى ومن أعجب ما أضيف الى العبد فعله مما لا يفعله الا انه أجرى عليه وجعل مكانا فيه (ومتى يخلو العبد عن شئ من جملة ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من أمن النفاق فهو منافق) كذا فى القوت (وقال بعضهم لبعض العارفين انى أخاف على نفسى النفاق قال لو كنت منافقا لما خفت النفاق) ولفظ القوت جاء رجل الى حذيفة باكيا قال هلكت قال مالك قال انى أخاف النفاق فقال له لو كنت منافقا لم تخف النفاق ان المنافق قد أمن النفاق فجعل خوف النفاق أمنه وحسب الآمن منه علما لوجوده (فلا يزال العارف بين الالتفات الى السابقة فالخاتمة خائفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لايدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لايدرى ما الله قاض فيه فوالذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار) قال العراقى رواه البيهقى فى الشعب من رواية الحسن

(بيان معنى سوء الخاتمة) فان قلت ان أكثر هؤلاء يرجع خوفهم الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين احداهما أعظم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة الهائلة فأن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه و بين الله تعالى أبدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه و يستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكسا رأسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تأخذ الا المحجوبين عنه فاما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه الى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد أطفأ لهبي فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالامر مخطر لان المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة الا أن أصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب وان كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وان يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين فان قلت فما ذكرته يقتضي أن تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة فاعلم أن كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الايمان بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو أن

عن رجل من الصحابة وقد تقدم في ذم الدنيا وذكره ابن المبارك في الزهد بلاغا وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجه ولده في مسند الفردوس اهـ قلت لفظ ابن المبارك في كتاب الزهد المؤمن عبد بين مخافتين من ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الله فيه ومن عمر قد بقي لا يدري ماذا يصيب فيه من المهلكات

(بيان معنى سوء الخاتمة)

(فان قلت ان أكثر هؤلاء) أي الصالحين (يرجع خوفهم الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم) هداك الله تعالى (ان سوء الخاتمة على رتبتين احداهما أعظم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة الهائلة فأن يغلب على القلب عند سكرات الموت) وشدائده (وظهور أهواله اما الشك واما الجحود فتقبض الروح على حالة غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه و بين الله تعالى أبدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد) الملازم (و) الرتبة (الثانية وهي دونها) أي دون الاولى (ان يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه) أي يغمره (حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكسا رأسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب) عن الله تعالى (نزل العذاب) لا محالة (اذ نار الله الموقدة) المشار اليها في الآية (لا تأخذ الا المحجوبين عنه فاما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف الى الله تعالى) المشار اليه في قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم أي سليم عن حب الدنيا (تقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد أطفأ لهبي) روى ذلك من حديث يعلى بن منية تقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي والخطيب وضعفه البيهقي ورواه الحكيم في النوادر بلفظ ان النار تقول (فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فان الامر مخطر لان المرء يموت على ما عاش عليه) كما انه يبعث على ما مات عليه (ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة) حيث لا تنفع (الا ان أصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حبة مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب) كما في الخبر أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من ايمان (وان كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد وان يخرجه من النار ولو بعد حين ولو بعد آلاف سنين) فقد روى من مرسل الحسن يخرج من النار رجل بعد ألف عام وقد تقدم ذلك (فان قلت فما ذكرته يقتضي ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة فاعلم ان من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن و) عن (نور الايمان بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهوان

القبر

القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وانه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار فلا تفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما تختلف أصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم المناقشة في الحساب والافتضاح على ملأ من الاشهاد في القيامة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهوان الزبانية الى آخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي مترددا في جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الا ان تغمده الله برحمته ولا تظنن أن محل الايمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها الى أن يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الاجزاء المتفرقة وتعاد اليها الروح التي هي محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على حالة تضاد هذه الحالة ان كانت والعياذ بالله شقية فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة فاعلم ان أسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها أما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين * أحدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت أعماله صالحة ولست أعني مذهبا فاقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل أعني بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق

القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة) رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب وتقدم في الاذكار (وانه قد يفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به الاخبار) قال العراقي لم أجد له أصلا (فلا تفارقه روحه الا وقد نزل البلاء به ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما تختلف أصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر) تقدم في قواعد العقائد (والتعذيب بعده) تقدم فيه أيضا (ثم المناقشة في الحساب) تقدم فيه أيضا (والافضاح على ملا من الاشهاد في القيامة) قال العراقي روى أحمد والطبراني من حديث ابن عمر باسناد جيد من انتفى من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه الله على رؤس الاشهاد وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أما الكافر والمنافق فينادي بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم وللطبراني والعقيلي في الضعفاء من حديث الفضل بن عباس فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وهو حديث طويل منكر اه قلت حديث ابن عمر الذي عند أحمد والطبراني قد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية وعند الكل بعد قوله الاشهاد قصاص بقصاص وأما الحديث الاخير فقد رواه أيضا القضاعي كلهم من رواية القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس عن أخيه الفضل به مرفوعا (ثم بعد ذلك خطر الصراط) تقدم في قواعد العقائد (وهول الزبانية) قال العراقي روى الطبراني من حديث أنس الزبانية يوم القيامة أسرع الى فسقة حملة القرآن منها الى عبدة الاوثان والنيران قال صاحب الميزان حديث منكر وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلا في خزنة جهنم ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب اه قلت وبقية حديث أنس عند الطبراني بعد قوله النيران فيقولون يبدأ بنا قبل عبدة الاوثان فيقولون ليس من يعلم كمن لا يعلم (الى آخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي مرددا في جميع أحواله بين أصناف العذاب) وأنواعه (وهو في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته) ويتداركه بلطفه وكرمه (ولا تظن ان محل الايمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها) أي يفرقها (الى ان يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الاجزاء المتفرقة وتعاد اليها الروح التي هي محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على حالة تضاد هذه الحال ان كانت والعياذ بالله شقية) فقد روى الطبراني من حديث كعب بن مالك وأم مبشر معا أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر تعلق في شجر الجنة حتى يردها الله الى أجسادها يوم القيامة وروى الطبراني من حديث كعب بن مالك وحده أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تعلق حيث شاءت وروى ابن زنجويه في فوائده من رواية نعيم بن سالم عن أنس رفعه أرواح الشهداء تجعل في حواصل طير خضر معلقة في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت الحديث (فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة فاعلم ان أسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في فنين أحدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد) دخلت عليه المشاهدة من قبل المواجهة بالانصاف والعدل بعيار العقل واتلاف الحد من قبل قوة النظر في الاكتساب (فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت أعماله صالحة) ويدلك على ذلك ان أكثر هذه المخاوف كانت في البصريين وأهل عبادان والعسكر وكان مذهبهم القدر فوقعوا في غاية الخطر (ولست أعني مذهبا فاقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل أعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف) ماهو (الحق

فيعتقده على خلاف ما هو عليه اما برأيه ومعقوله ونظره الذى به يجادل الخصم وعليه يعوّل وبه يغتر واما أخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له فى حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادى سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه أخطأ فى هذا الاعتقاد خاصة لاتكاله فيه الى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه فى هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود الى أصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله عز وجل قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وكما أنه قد ينكشف فى النوم ما سيكون فى المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف فى سكرات الموت بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هى المانعة للقلب من أن ينظر الى الملكوت فيطالع ما فى اللوح المحفوظ لتنكشف له الامور على ما هى عليه فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سبب الشك فى بقية الاعتقادات وكل من اعتقد فى الله تعالى وفى صفاته وافعاله شيأ على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالرأى والمعقول فهو فى هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفى لدفع هذا الخطر بل لا ينجى منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر أعنى الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا فى البحث والنظر ولم يشرعوا فى الكلام استقلالا ولا صغوا الى أصناف المتكلمين فى تقليد أقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله

فيعتقده على خلاف ما هو عليه اما برأيه ومعقوله ونظره الذى به يجادل الخصم وعليه يعول وبه يغتر) وذلك مثل أصحاب عمرو بن عبيد وعطاء الغزال والعطوية والفوطية وأصحاب المنزلة بين المنزلتين (واما أخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه فربما ينكشف له فى حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا) فيتمنى انه لم يعط عقلا (اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادى سكراته منه فقد ينكشف به بعض الامور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به) وجازما (متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه أخطأ فى هذا الاعتقاد لاتكاله فيه الى رأيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن ان كل ما اعتقده لا أصل له ان لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته و) سببا (لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه فى هذه الخطرة قبل ان يتثبت ويعود الى أصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وبقوله تعالى وبدا لهم سيآت ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) فكم من مغبوط فى أحواله تقلبت عليه الحال ومنى بمقارفة قبيح الاعمال فبدل بالانس وحشة وبالحضور غيبة (وكما انه قد ينكشف فى النوم ما سيكون فى المستقبل وذلك بسبب خفة اشتغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف فى سكرات الموت بعض الامور) مما كان محجوبا عنه (اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هى المانعة للقلب ان ينظر الى الملكوت فيطالع) عجائب هذا العالم ويطالع (ما فى اللوح المحفوظ لتنكشف له الامور على ما هى عليه فيكون مثل هذه الحال سبب الكشف ويكون الكشف سبب الشك فى بقية الاعتقادات وكل من اعتقد فى الله تعالى وفى صفاته وأفعاله شيأ على خلاف ما هو به اما تقليدا) لآبائه ومشايخه (واما نظرا بالرأى والمعقول فهو فى هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفى أعنى لا يكفى لدفع هذا الخطر بل لا ينجى منه الا الاعتقاد الحق والبله) الغافلون (بمعزل عن هذا الخطر اعنى الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا مجملا راسخا) قويا (كالاعراب) سكان البادية (والسوادية) ساكنى الريف (وسائر العوام الذين لم يخوضوا فى البحث والنظر ولم يشرعوا فى الكلام استقلالا ولا أصغوا الى أصناف المتكلمين فى تقليد أقاويلهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله) رواه البيهقى فى الشعب والبزار والديلمى والخلعى فى فوائده كلهم من طريق سلامة بن روح بن خالد قال قال عقيل حدثنى ابن شهاب عن أنس مرفوعا وسلامة فيه لين ولم يسمع من جد أبيه عقيل انما أخذ من كتبه وعد هذا الحديث فى افراده لكن هو عند القضاعى من طريق يحيى بن أيوب حدثنا عقيل به وهو فى الكنجروذيات من طريق محمد بن العلاء الايلى عن يونس بن يزيد عن الزهرى وقال العسكرى انه غريب من حديث الزهرى وهو من حديث يونس عنه أغرب لا أعلمه الا من هذا الوجه وله شاهد عند البيهقى أيضا من حديث مصعب بن ماهان عن

الثورى

ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض فى الكلام والتفتيش عن هذه الامور وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعا وبكل ماجاء من الظواهر مع اعتقاد نفى التشبيه ومنعوهم عن الخوض فى التأويل لان الخطر فى البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤدة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة وهداية الله تعالى بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وماذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض والقلوب لما ألقى اليها فى مبدا النشأة آلفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين فى أول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام فى الله وفى صفاته بالرأى والمعقول مع تفاوت الناس فى قرائحهم واختلافهم فى طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعى الكمال أوالاحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكد ذلك بطول الالف فيهم فانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق فى أن يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ماوافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان ويظن أن ماوقع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ولتعلمن نبأه بعد حين وينبغى أن ينشد فى هؤلاء عند كشف الغطاء

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

واعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض فى البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته وهو فى ملتطم الامواج يرمى به موج الى موج فربما يتفق أن يلقيه الى الساحل وذلك بعيد والهلاك عليه أغلب وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع الادلة التى حرروها فى تعصباتهم أو دون

الثورى عن محمد بن المنكدر عن جابر وقال عقبه انه بهذا الاسناد منكر وجاء عن سهل التسترى فى تفسيره قال هم الذين والهت قلوبهم وشغلت بالله عز وجل وعن أبى عثمان هو الابله فى دنياه الفقيه فى دينه وعن الاوزاعى قال هو الاعمى عن الشر البصير بالخير أخرجهما البيهقى فى الشعب وقد تقدم هذا الحديث (ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض فى الكلام والتفتيش عن هذه الامور وأمروا الخلق ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعا وبكل ماجاء من الظواهر) فى الكتاب والسنة (مع اعتقاد نفى التشبيه) واثبات التنزيه والتقديس (ومنعوهم فى الخوض عن التأويل) وفتح هذا الباب رأسا (لان الخطر فى البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤدة) أى متعبة (ومسالكه وعرة) اى صعبة (والعقول عن درك جلال الله تعالى) وعظمته (قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة) فلا تهتدى اليها (وماذكره الباحثون ببضاعة عقولهم) وآرائهم (مضطرب) ومتناقض (ومتعارض والقلوب لما ألقى اليها فى مبدا النشأة آلفة وبه متعلقة) وآنسة (والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة) عن الآباء (أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين فى أول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام فى الله وفى صفاته بالرأى والمعقول مع تفاوت الناس فى قرائحهم واختلافهم فى طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعى الكمال والاحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم) المستمعين لهم (وتأكد ذلك بطول الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق فى أن يشتغلوا بالاعمال الصالحة) من العبادة من صلاة وصيام وقراءة وأذكار (ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشى الهذيان) وثارت التعصبات (ونزل كل جاهل على ماوافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان ويظن ان ماقنع به من حدس وتخمين) هو (علم اليقين وحق اليقين) كلا (ولتعلمن نبأه بعد حين وينبغى أن ينشد فى هؤلاء عند كشف الغطاء هذان البيتان

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر)

وقال القشيرى فى الرسالة سمعت الاستاذ أبا على الدقاق ينشدهما كثيرا اه أنشدنى اياهما الشيخ الاديب عبد الله بن عبد الله بن سلامة المؤذن قال انشدنى اياهما شيخنا أبو المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحنفى قدس سره قبل موته بيسير فكان آخر ما سمعه منه (واعلم يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسله وكتبه وخاض فى البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته وهو فى ملتطم الامواج يرميه موج الى موج فربما يتفق ان يلقيه الى الساحل) فينجو (وذلك بعيد والهلاك عليه أغلب وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم اما مع الادلة التى حرروها فى تعصباتهم أو دون

الادلة فانه ان كان شا كافيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص وكل خائض فى البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة الذى هو مشرق فى عالم الولاية والنبوة وذلك هو الكبريت الاحمر وأنى يتيسر وانما يسلم عن هـذا الخطر البله من العوام أو الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا فى هذا الفضول فهذا أحد الاسباب المخطرة فى سوء الخاتمة وأما السبب الثانى فهو ضعف الايمان فى الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى فى القلب موضع لحب الله تعالى الا من حيث حديث النفس ولا يظهر له أثر فى مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك فى اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة النفوس على القلب فلا يزال يطفئ مافيه من نور الايمان على ضـعفه حتى يصـير طبعا ورينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعنى حب الله ضـعفا لما يبـدو من استشعار فراق الدنيا وهى المحبوب الغالب عـلى القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث انه من الله فيخشى أن يثور فى باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما أن الذى يحب ولده حبا ضعيفا اذا أخـذ ولده أمواله التى هى أحب اليه من ولده وأحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه فى تلك اللحظـة التى خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذى يفضى الى مثل هذه الخاتمة هو غلبـة حب الدنيا والركون اليها والفرح باسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد فى قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر وحب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الداء العضال قد عم أصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الا من عرفه ولهذا قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره الآية فاذا كل من فارقته روحه فى حالة خطرة الانكار عـلى الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبـه فى تفريقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه فيكون موته قدوما عـلى ما أبغضه وفراقا لما أحبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق اذا قدم به على مولاه قهرا

وجرا

الادلة ان كان شا كافيه فهو فاسد الدين وان كان واثقا به فهو آمن من مكر الله مغـتر بعقله الناقص وكل خائض فى البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين) لا محالة (الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة الذى هو مشرق فى عالم النبوة والولاية وذلك هو الكبريت الاحمر) فى عـزة وجوده (وانى يتيسر) ذلك (وانما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام والذين شغلهم خوف النار بطاعة الله) تعالى (فلم يخوضوا فى هذا الفضول فهذا أحد الاسباب المخطرة فى سوء الخاتمـة وأما السبب الثانى فهو ضعف الايمان فى الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب) وغلبته عليه (ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا) لانهما ضدان (فيصير بحيث لا يبقى فى القلب موضع لحب الله تعالى الا من حيث حديث نفس لا يظهر له أثر فى مخالفة النفس والعـدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك فى اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفئ ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا ورينا) واليه يشير قوله تعالى فطبـع على قلوبهم فهم لا يفقهون وقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهـم ما كانوا يكسبون (فاذا جاءت سكرات الموت) وشداته (ازداد ذلك الحب أعنى حب الله تعالى ضعفا لما يبـدو من استشعار فراق الدنيا وهى المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضمـيره) أى يتحرك (بانكار ما قـدر عليـه من الموت وكراهته ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان يثور فى باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما ان الذى يحب ولده حبا ضعيفا اذا أخذ ولده أمواله التى هى أحب اليه من ولده وأحرقها) وأتلفها (انقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه فى تلك اللحظة التى خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذى يفضى الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها والفرح باسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله تعالى فمن وجد فى قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وان كان يحب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر) لان العبرة بالغالب (وحب الدنيا رأس كل خطيئة) كما ورد (وهو الداء العضال) أى الصعب (وقد عم أصناف الخلق) واستغرقهم (وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى اذ لا يحبه الا من عرفه) فالمحبة ثمرة المعرفة (ولهذا قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشـيرتكم وأموال اقـترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره الآية) أى الى آخرها (فاذا من فارقته روحه فى حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه فى تفريقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه) الدنيوية (فيكون موته قدوما على ما أبغضه وفراقا لما أحبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض) الممقوت (الآبق اذا قـدم به على مولاه قهرا)

فلا يخفى ما يستحقه من الخزى والنكال وأما الذى يتوفى على الحب فانه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذى تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار طمعا فى لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام [(وأما الخاتمة الثانية) التى هى دون الاولى وليست مقتضية للخلود فى النار فلها أيضا سببان أحدهما كثرة المعاصى وان قوى الايمان والآخر ضعف الايمان وان قلت المعاصى وذلك لان مقارفة المعاصى سببها غلبة الشهوات ورسوخها فى القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما ألفه الانسان فى عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات كان أكثر ما يحضره ذكر طاعة الله وان كان ميله الاكثر الى المعاصى غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تقبض روحه عند

غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصى فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى فالذى لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو أبعد عن هذا الخطر والذى لم يقارف ذنبا أصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذى غلبت عليه المعاصى وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم فى حقه جدا ونعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى فى منامه جملة من الاحوال التى عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته فى اليقظة وحتى ان المراهق الذى يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع فى اليقظة ولو بقى كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى أن الذى قضى عمره فى الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذى قضى عمره فى التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر فى حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف أو بسبب آخر من الاسباب والموت شبيه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضى ذلك تذكر المألوف وعوده الى القلب وأحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره فى القلب طول الالف فطول الالف بالمعاصى والطاعات أيضا مرجح وكذلك تخالف أيضا منامات الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الالف سببا لان تتمثل صورة فاحشة فى قلبه وتميل اليها نفسه فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمته وان كان أصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما أن ما يخطر فى اليقظة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى نعرف بعضها ولا نعرف بعضها كما أنا نعلم أن الخاطر ينتقل من الشئ الى ما يناسبه اما بالمشابهة

وجرا (فلا يخفى ما يستحقه من الخزى والنكال) وأنواع الهوان (وأما الذى يتوفى على الحب فانه يقدم على الله قدوم العبد المحسن) المطيع (المشتاق الى مولاه الذى تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار) من شدائدها (طمعا فى لقائه) ورجاء فى مشاهدته (فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام وبدائع الانعام وأما الخاتمة الثانية التى هى دون الاولى وليست مقتضية للخلود فى النار فلها أيضا سببان أحدهما كثرة المعاصى وان قوى الايمان والآخر ضعف الايمان وان قلت المعاصى وذلك لان مقارفة المعاصى) أى ملابستها (سبب غلبة الشهوات ورسوخها فى القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما ألفه الانسان فى عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى المعاصى غلب ذكرها على قلبه عند موته فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصى فتقيدبها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى) لاشتغاله بما تقيد به قلبه (والذى لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة) أى المرة بعد المرة (فهو أبعد عن هذا الخطر والذى لم يقارف ذنبا أصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذى غلبت عليه المعاصى وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم فى حقه جدا ويعرف هذا بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى فى منامه جملة من الاحوال التى عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته) أو يقاربها (فى اليقظة وحتى ان المراهق) وهو من قارب الاحتلام (الذى يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع فى اليقظة ولو بقى كذلك مدة لما راى عند الاحتلام صورة الوقاع) لانه لم يعهده قبل ذلك (ثم لا يخفى ان الذى قضى عمره فى الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذى قضى عمره فى التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر فى حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف أو بسبب آخر من الاسباب والموت شبه النوم) ولذلك قيل انه أخوه (ولكنه فوقه) بمراتب (ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضى ذلك تذكر المألوف وعوده الى القلب واحد الاسباب المرجحة لحصول ذكره فى القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصى والطاعات أيضا مرجح ولذلك تخالف منامات الصالحين منامات الفساق فيكون غلبة الالف سببا لان يتمثل فى قلبه صورة فاحشة وتميل اليها نفسه فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء الخاتمة وان كان أصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها) بسببه (وكما أن ما يخطر فى اليقظة انما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى يعرف بعضها) بتعريف الله اياه (ولا يعرف بعضها كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشئ الى ما يناسبه اما بالمشابهة أو

واما بالمضادة واما بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس منه أما بالمشابهة فبان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا آخر واما بالمضادة فبان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا ويتأمل فى شدة التفاوت بينهما وأما بالمقارنة فبان ينظر الى فرس قد رآه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شئ الى شئ ولا يدرى وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة وواسطتين مثل أن ينتقل من شئ الى شئ ثان ومنه الى شئ ثالث ثم ينسى الثانى ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن يكون بينه وبين الثانى مناسبة وبين الثانى والاول مناسبة فكذلك لانتقالات الخواطر فى المنامات أسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فعلى هذا والعلم عند الله من كانت الخياطة أكثر أشغاله فانك تراه يومئ الى رأسه كأنه يأخذ ابرته ليخيط بها او يبل أصبعه التى لها عادة بالكشتبان ويأخذ الازار من فوقه ويقدره ويشبره كأنه يتعاطى تفصيله ثم يمد يده الى المقراض ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصى والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر فى فطامة نفسه عنها وفى قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذى يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتى الشهادة فيقول خمسة ستة أربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذى طال الفه له قبل الموت وقال بعض العارفين من السلف العرش جوهرة تتلألأ نورا فلا يكون العبد على حال الا انطبع مثاله فى العرش على الصورة التى كان عليها فاذا كان فى سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف مايجل عن الوصف وماذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النائم يدرك مايكون فى المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهى جزء من أجزاء النبوة فاذا رجع سوء الخاتمة الى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف فيه تأثير فلهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو أراد الانسان أن لا يرى فى المنام الا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وان كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لاتدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة مايظهر فى النوم لما غلب

بالمضادة أو بالمقاربة بان يكون قد ورد على الحس معه أما بالمشابهة فبان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا آخر) سواه وهو مشابه له فى جماله (واما بالمضادة فبان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا ويتأمل فى شدة التفاوت بينهما) فى الجمال والقبح (وأما بالمقاربة فبان ينظر الى فرس) كان (قد رآه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان) بانتقال الخاطر اليه (وقد ينتقل الخاطر من شئ الى شئ ولا يدرى وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة وبواسطتين) وأكثر (مثل ان ينتقل من شئ الى شئ ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثانى ولا يكون بين الثالث والاول مناسبة) ظاهرة توجب انتقال الخاطر اليه (ولكن يكون بينه وبين الثانى مناسبة وبين الثانى والاول مناسبة) اما قريبة أو بعيدة (فكذلك لانتقالات الخواطر فى المنامات أسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فان الخواطر تنتقل فيها فى أمور بعضها مرتبط بالبعض بأسباب مختلفة ومن أراد أن يكف خاطره من الانتقالات الى المعاصى والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر فى فطامه نفسه عنها وفى قمع الشهوات عن القلب فهذا هو القدر الذى يدخل تحت الاختيار) والمراد بطول العمر هنا معظمه وهو أيام السلوك حتى يتمرن على الفطام والقمع والافات شغل عمره كله فيه حتى يتفرغ لمعرفة الله تعالى (ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ماعاش عليه ويحشر على مامات عليه) كما فى الخبر (وكذلك نقل عن بقال) وهو من يبيع الفواكه اليابسة وغيرها فقيل (انه كان يلقن عند الموت كلمتا الشهادة فيقول خمسة ستة أربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذى طال الفه قبل الموت) فغلب على لسانه ولم يوفق للشهادتين (وقال بعض العارفين من السلف ان العرش جوهرة تتلألأ نورا فلا يكون العبد على حال) من أحواله (الا انطبع مثاله فى العرش على الصورة التى كان عليها فاذا كان فى سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف مايجل عن الوصف) نقله صاحب القوت (وماذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان النائم يدرك مايكون فى المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من أجزاء النبوة) كما ورد ذلك فى الخبر (فاذا رجع سوء الخاتمة الى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله تعالى والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف فيه تأثير فلهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو أراد الانسان ان لا يرى فى المنام الا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك) ولم يمكنه (وان كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لاتدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة مايظهر فى النوم لما غلبت

في اليقظة حتى سمعت الشيخ أبا على الفارمذي رحمة الله عليه يصف لي وجوب حسن أدب المريد لشيخه وان لا يكون في قلبه انكار لكل مايقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي أبي القاسم الكركاني مناما لي وقلت رأيتك قلت لي كذا فقلت لم ذاك قال فهجرني شهرا ولم يكلمني وقال لولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة وانكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان في منامه خلاف مايغلب في اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذي نسمح بذكره في علم المعاملة من أسرار أمر الخاتمة وماوراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة وقد ظهر لك بهذا أن الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم أن ذلك محال أوعسير فلابد وان يغلب عليك من الخوف ماغلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك كما سنحكيه من أحوال الانبياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان أعمال العمر كلها ضائعة ان لم يسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكلة جدا ولذلك كان مطرف بن عبدالله يقول اني لاأعجب ممن هلك كيف هلك ولكني أعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقدمات على الخير والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا وكان الثوري يوما يبكي فقيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالآن نبكي على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة

في اليقظة حتى سمعت الشيخ أبا على) الفضل بن محمد بن على (الفارمذي) فاء وألف وراء وميم وذال معجمة نسبة الى فارمذ قرية بطوس وهو لسان خراسان وشيخها وصاحب الطريقة والحقيقة بها حسن الوعظ روى عن محمد بن عبدالله بن باكويه الشيرازي وابن مسرور وعنه عبد الغافر الفارسي وأبو الخير جامع الشفاء وتوفي بطوس سنة سبع وسبعين وأربعمائة وأولاده أبو المحاسن على وأبو الفضل محمد وأبو بكر عبد الواحد كلهم علماء فضلاء زهاد (رحمه الله تعالى يصف لي وجوب حسن أدب المريد لشيخه وان لا يكون في قلبه انكار لكل مايقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت لشيخي أبي القاسم) عبدالرحمن بن على (الكركاني) الطوسي وكركان تعريب جرجان قال ياقوت في المشترك جميع العرب لايقولونها الا بالكاف وهي بين طبرستان وخراسان وقيل من خراسان وقيل من طبرستان والله أعلم اهـ وكان أبو على الفارمذي قد صاهر أبا القاسم الكركاني هذا والمصنف رحمه الله تعالى قد أخذ عن كل من الفارمذي ويوسف النساج وهما جميعا عن أبي القاسم الكركاني هذا وقد دفن الكركاني والنساج كلاهما في قبر واحد بطوس وكل هؤلاء الثلاثة من كبار مشايخ السلسلة النقشبندية وللكركاني في الاخذ طريقان أحدهما عن أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي عن أبي الحسن على بن أحمد الكاتب المصري عن أبي على الروذبادي عن الجنيد بسنده والثاني وعليه المدار في سند السلسلة انه أخذ عن روحانية أبي يزيد البسطامي عن روحانية جعفر الصادق بسنده (مناما لي وقلت رأيتك كانك قلت لي كذا فقلت لم ذلك قال فهجرني شهرا ولم يكلمني وقال لولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة وانكار ما أقول لك والا ماجرى ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان في منامه خلاف مايغلب في اليقظة على قلبه فهذا هو القدر الذي نسمح بذكره في علم المعاملة من اسرار الخاتمة وماوراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة) ولا يليق ذكره هنا (وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان يرى الاشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجي) أي تسوق (جميع العمر في طاعة الله عز وجل من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال أوعسير فلابد وان يغلب عليك من الخوف كما غلب على العارفين) من عباده (حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم حزنك وقلقك) وانزعاجك (كما سنحكيه) فيما بعد (من أحوال الانبياء) عليهم السلام (والاولياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الاسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان أعمال العمر كلها ضائعة ان لم تسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبدالله) بن الشخير العامري البصري التابعي رحمه الله تعالى (يقول اني لاأعجب ممن هلك كيف هلك ولكن أعجب ممن نجا كيف نجا) نقله صاحب القوت وهو في الحلية في ترجمة يحيى بن أبي كثير ان سليمان عليه السلام قال لابنه لاتعجب ممن هلك كيف هلك ولكن اعجب ممن نجا كيف نجا (ولذلك قال حامد اللفاف) له ذكر في الحلية في ترجمة حاتم الاصم (اذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقدمات على الخير والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا) يشيرون بذلك الى ابليس وهاروت وماروت (وكان) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (يوما يبكي فقيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالآن نبكي على الاسلام) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وبالجملة من وقعت سفينته في لجة البحر) أي وسطه (وهجمت عليه الرياح العاصفة)

واضطربت الامواج كانت النجاة فى حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أشد اضطرابا من السفينة وأمواج الخواطر أعظم التطاما من أمواج البحر وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق الناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هى الخواطر التى تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف وقال سهل رأيت كانى أدخلت الجنة فرأيت ثلثمائة نبى فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون فى الدنيا قالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجأة مكروها أما الموت فجأة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثاله الا أن يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة وأما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح فى حالة لم يبق فى القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا حبا لله وطلبا لمرضاته وبائعا دنياه بآخرته وراضيا بالبيع الذى بايعه الله به اذ قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة والبائع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه عن القلب ومجرد حب العوض المطلوب فى قلبه ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب فى بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فان من هذا حاله وان قتل فى المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار واذا بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى واخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصى جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة المعاصى ومشاهدة أهلها جهدك فان ذلك أيضا يؤثر فى قلبك ويصرف اليه فكرك وخواطرك واياك أن تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت

المختلفة (واضطربت الامواج من سائر) النواحى (كانت النجاة فى حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أشد اضطرابا من السفينة وأمواج الخواطر أعظم التطاما من أمواج البحر وانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق من الكتاب) تقدم الكلام عليه قريبا (ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة) اذ الروح تكون قريبا من الصدر (بل هى الخواطر التى تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف) وفى القوت ولا يتأتى فى هذا المقدار من الوقت شئ من عمل الجسم بالجوارح انما هو من أعمال القلوب بشاهدة العقول وفواق الناقة هو ما بين الحلبتين وهذا من تقليبات القلوب عن حقيقة وجهة التوحيد الى وجهة الضلال والشرك عند ما يبدو من زوال العقل وذهاب علم المعقول فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب (وقال) أبو محمد (سهل) التسترى رحمه الله تعالى (رأيت كانى أدخلت الجنة فرأيت) ولفظ القوت فلقيت فيها (ثلاثمائة نبى فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون فى الدنيا قالوا سوء الخاتمة) أى فالخاتمة من مكر الله عز وجل الذى لا يوصف ولا يفطن له ولا علم به بوقت ولا نهاية لمكره لان مشيئته وأحكامه لا غاية لها (ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت الفجاة مكروها أما الموت فجاة فلانه يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن امثالها الى ان يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة) وقد لا يصادق ذلك فى تلك الساعة (وأما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح فى حالة لم يبق فى القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب اذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا حبا لله وطلبا لمرضاته وبائعا دنياه بآخرته وراضيا بالبيع الذى بايعه الله به اذ قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة) الى آخر الآية (والبائع راغب عن المبيع) الذى هو النفس والمال (لا محالة ومخرج حبه عن القلب ومجرد حب العوض المطلوب فى قلبه) وهو الجنة (ومثل هذه الحالة قد تغلب على القلب فى بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة) أى ليقال فلان شجاع لا يطاق (فان من هذا حاله وان قتل فى المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة) أى رتبة الشهادة (كما دلت عليه الاخبار) قال العراقى فى المتفق عليه من حديث أبى موسى الاشعرى ان رجلا قال يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن فى سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله وفى رواية الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء وفى رواية يقاتل غضبا اه قلت ورواه كذلك أحمد وأصحاب السنن (واذا بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصى جوارحك) الظاهرة (ومن الفكر فيها قلبك واحترز من مشاهدة المعاصى ومشاهدة أهلها جهدك) وطاقتك (فان ذلك أيضا يؤثر فى قلبك) تأثيرا يحول بينك وبين ذكر الله (ويصرف اليه فكرك وخواطرك) فيشغلك عن الله (واياك ان تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت

الخاتمة فان كل نفس من أنفاسك خاتمتك اذ يمكن ان تختطف فيه روحك فراقب قلبك فى كل نظر يلحة واياك ان تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك اذ يمكن أن تختطف فيها روحك هذا مادمت فى يقظتك وأما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست أقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم غالبا عليه وانه لا يغلب فى النوم الا ما كان غالبا قبل النوم ولا ينبعث عن نومك الا ما غلب على قلبك فى نومك والموت والبعث شبيه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه فى يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه فى نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعا و يقينا ان الموت والبعث حالتان من أحوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب ان لم تكن أهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب أنفاسك ولحظاتك واياك ان تغفل عن الله طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك فى خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل والناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم واعلم ان ذلك لا يتيسر لك مالم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقى كله فضول والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغى أن يكون تناولك تناول مضطر كاره له ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك فى قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام فى البطن واخراجه فهما ضرورتان فى الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التى يشتغل بها قلبك فلا ينبغى أن يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوى على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك تظهر فى ثلاثة أمور من مأكولك فى وقته وقدره وجنسه أما الوقت فأقله أن يكتفى فى اليوم والليلة بمرة واحدة فيواظب على الصوم وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن وأما جنسه فأن لا يطلب لذائذ الاطعمة بل يقنع بما يتفق فان قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مؤنة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وأمكنك أن لا تأكل الا من حله فان الحلال يعز ولا يفى بجميع الشهوات وأما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة

الخاتمة) عند زهوق الروح (فان كل نفس من أنفاسك) هى (خاتمتك اذ يمكن ان يختطف فيها روحك) بغتة (هذا مادمت فى يقظتك وأما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك) اما نفيا واثباتا واما اقتصارا على لفظة الله مع كمال المراقبة (لست أقول على لسانك فان حركة اللسان بمجردها ضعيفة الاثر) بل ولا تأثير لها فى تحلية القلب أصلا (واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان غالبا عليه قبل النوم ولا تبعث عن نومك الا على ما غلب على قلبك فى نومك والموت والبعث يشبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب عليه فى يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه فى نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه) وقد وردت بذلك الاخبار وتقدم ذكرها (وتحقق يقينا وقطعا ان الموت والبعث حالتان من أحوالك كما ان النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب ان لم تكن أهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب أنفاسك ولحظاتك) كلها ان تمر فى غير ذكر الله (واياك ان تغفل عن الله لحظة عين) وفى نسخة طرفة عين (فانك اذا فعلت ذلك كله) أى من الايمان القلبى ومراقبة الانفاس واللحظات (كنت مع ذلك فى خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم) هذا من قول أبى محمد سهل التسترى رحمه الله تعالى وقد تقدم مرارا (واعلم ان ذلك لا يتيسر لك مالم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك) فقط (وضرورتك) انما هى (مطعم وملبس ومسكن) والمشرب داخل فى المطعم (والباقى كله فضول) ولكل من الثلاثة حد محدود (والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك) فى طاعة الله (ويسد رمقك فينبغى ان يكون تناولك) لما تأكله (تناول مضطر كاره له ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك فى قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام فى البطن واخراجه فهما ضروريان فى الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التى يشتغل بها قلبك فلا ينبغى ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك) هكذا قرره الحكماء (واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوى على عبادة الله) وطاعته (كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك تظهر فى ثلاثة أمور من مأكولك فى وقته وقدره وجنسه أما الوقت فاقله ان يكتفى فى اليوم والليلة) وهما أربع وعشرون ساعة (بمرة واحدة) ويكون ذلك وقت غروب الشمس (فيواظب على الصوم وأما قدره فبان لا يزيد على ثلث البطن) كما ورد ذلك فى الخبر (وأما جنسه فان لا يطلب اللذائذ من الاطعمة بل يقنع بما يتفق) و يتيسر (فان قدرت على هذه الثلاث وسقط عنك مؤنة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات) والمحرمات (وأمكنك ان لا تأكل الا من حله فان الحلال يعز) أى يقل (وجدانه و) اذا وجد فانه (لا يفى بجميع الشهوات) واللذات (وأما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة

فكل مادفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك يضيع فيه زمانك و يلزمك الشغل الدائم والعناء القائم فى تحصيله بالكسب مرة والطمع أخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ماتدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ماحصل مقصود اللباس ان لم تكتف به فى خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لايملأ بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفتك السماء سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر أو برد فعليك بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف اليه أكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا

بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار فأخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت فى مهواة يبعد رقيك منها وهكذا جميع ضرورات أمورك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة الى أودية الامانى تشعبت همومك ولم يبال الله فى أى واد أهلكك فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير والتزود والاحتياط هذا العمر القصير فاذا دفعته يوما بيوم فى تسويفك أوغفلتك اختطفتك فجأة فى غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لاتقدر على ملازمة ماأرشدت اليه بضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية فى تخويفك فانا سنورد عليك من أحوال الخائفين مانرجو ان يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبياء والاولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك فى أحوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق و بعضهم يدهش و بعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا الى الارض ولا غرو أن كان ذلك لا يؤثر فى قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون

(بيان أحوال الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام فى الخوف)

روت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم و يتردد فى الحجرة و يدخل و يخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله حديثها

فكل مادفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدانق) فقد حصل المقصود وحينئذ (فطلبك غيره فضول منك يضيع زمانك و يلزمك الشغل الدائم والعناء القائم فى تحصيله بالكسب مرة والطمع) لما فى أيدى الناس (أخرى) سواء كان من الحلال أو (من الحرام والشبهة وقس بهذا ماتدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ماحصل مقصود اللباس ان لم تكتف به فى خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لايملأ بطنه الا التراب) وفى الخبر ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب (وكذلك المسكن ان اكتفيت بمقصوده كفتك السماء سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر أو برد فعليك بالمساجد) فانها مأوى المساكين (فان طلبت مسكنا خاصا) لا يشاركك فيه أحد (طال عليك) أمره (وانصرف اليه أكثر عمرك) فى تحصيله واحضاره (وعمرك هو بضاعتك) التى بها تربح فى معاملاتك (ثم ان تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلا بينك وبين الابصار) أى من الاجنبى (ومن السقف سوى) كونه (دافعا للامطار فاخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت فى مهواة يبعد رقيك) أى صعودك (منها وهكذا جميع ضرورات أمورك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك وان جاوزت حد الضرورة الى أودية الامانى) والآمال الكاذبة (تشعبت همومك) أى كثرت واختلفت (ولم يبال الله فى أى واد اهلكك) وقد روى ابن ماجه والحكيم والشاشى والبيهقى من حديث أبى مسعود من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديتها هلك (فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير والتزود والاحتياط هو هذا العمر القصير فاذا دفعته يوما بيوم فى تسويفك واعلالك وغفلتك اختطفك فجأة فى غير وقت ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك) حيث لا ينفعك ذلك (فان كنت لاتقدر على ملازمة ماأرشدت اليه لضعف خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية فى تخويفك فانا سنورد عليك من أحوال الخائفين مانرجو ان يزيل بعض القساوة من قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبياء) عليهم السلام (والاولياء وعلمهم ومكانتهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعلمك ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك) أى ضعفها (وعمش عين قلبك فى) جملة من (أحوالهم) وسيرهم (ثم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يضعف وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه و بعضهم يخر ميتا الى الارض ولا غرو ان كان ذلك لا يؤثر فى قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة) فى شدتها وصلابتها (أو أشد قسوة) منها (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون)

(بيان أحوال الخائفين وأحوال الملائكة والانبياء عليهم السلام فى الخوف)

(روت عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم و يتردد فى الحجرة و يدخل و يخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله) قال العراقى متفق عليه من

وقرأصلى الله عليه وسلم آية فى سورة الواقعة فصعق وقال تعالى وخرموسى صعقا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام بالابطح فصعق وروى انه عليه السلام كان اذادخل فى الصلاة يسمع لصدره أزيز كازيز المرجل وقال صلى الله عليه وسلم ماجاءنى جبريل قط الاوهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ماظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فاوحى الله اليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يارب مانأمن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونالاتأمنا مكرى وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها فلما خلق بنو آدم عادت وعن أنس انه عليه السلام سأل جبريل مالى لاأرى ميكائيل يضحك فقال جبريل ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار ويقال ان لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم بها وقال ابن عمر رضى الله عنهما خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال ياابن عمر مالك لاتأكل فقلت يارسول الله لاأشتهيه فقال لكنى أشتهيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو سألت ربى لاعطانى ملك قيصر وكسرى فكيف بك ياابن عمر اذا بقيت فى قوم يخبؤن رزق سنتهم ويضعف اليقين فى قلوبهم قال فوالله مابرحنا ولاقمنا حتى نزلت وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يامركم بكنز المال ولاباتباع الشهوات من كنزدنانير يريد بها حياة

حديثها (وقرأصلى الله عليه وسلم) آية (فى سورة الحاقة فصعق) رواه حمزة الزيات عن حمران بن أعين كذا فى القوت قال العراقى المعروف فيما روى من هذه القصة انه قرئ عليه ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذاغصة وعذابا أليما فصعق كما رواه ابن عدى والبيهقى فى الشعب مرسلا وهكذا ذكره المصنف على الصواب فى كتاب السماع وقد تقدم (وقال الله عز وجل نخر موسى صعقا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام بالابطح فصعق) قال العراقى روى البزار من حديث ابن عباس بسند جيد سأل النبى صلى الله عليه وسلم جبريل ان يراه فى صورته فقال أدع ربك فدعاربه فطلع عليه من قبل المشرق فجعل يرتفع ويشير فلما رآه صعق ورواه ابن المبارك عن الحسن مرسلا بلفظ فغشى عليه وفى الصحيحين من حديث عائشة راى جبريل فى صورته مرتين ولهما عن ابن مسعود راى جبريل له ستمائة جناح (وروى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل فى الصلاة سمع لصدره أزيز كازيز المرجل) رواه أبوداود والترمذى فى الشمائل والنسائى من حديث عبد الله بن الشخير وتقدم فى كتاب السماع (وقال صلى الله عليه وسلم ماجاءنى جبريل قط الاوهو يرعد فرقا من الجبار) وفى بعض النسخ الاوهو ترعد فرائصه من الجبار قال العراقى لم أجده بهذا اللفظ وروى أبو الشيخ فى كتاب العظمة عن ابن عباس قال ان جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدى الجبار تبارك وتعالى ترعد فرائصه فرقا من عذاب الله الحديث وفيه زميل بن سماك الحنفى يحتاج الى معرفة اهـ قلت بخط الشمس الداودى لعله أبو زميل سماك بن الوليد الراوى عن ابن عباس عند مسلم وغيره (وقيل لما ظهر على ابليس ماظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فاوحى الله اليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء قالا يارب مانأمن مكرك فقال الله عز وجل هكذا كونا لاتأمنا مكرى) وتقدم قريبا ان النبى صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام بكيا خوفا من الله عز وجل فاوحى الله اليهما لم تبكيان وقد أمنتكما فقالا ومن يأمن مكرك وتقدم انه من حديث عمر عند الطبرانى فى الاوسط (وعن) أبى بكر (محمد بن المنكدر) ابن الهدير التيمى التابعى قال (لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها فلما خلق بنو آدم عادت) أخرجه أبونعيم فى الحلية فى ترجمة طاوس من كلامه بلفظ فلما خلق آدم عليه السلام سكنت (وعن أنس) رضى الله عنه (انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام مالى لاأرى ميكائيل يضحك فقال جبريل) عليه السلام (ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار) قال العراقى رواه أحمد وابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين من رواية ثابت عن أنس باسناد جيد ورواه ابن شاهين فى السنة من حديث ثابت مرسلا وورد ذلك أيضا فى حق اسرافيل رواه البيهقى فى الشعب وفى حق جبريل رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين (ويقال ان لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين (وقال ابن عمر رضى الله عنهما خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار) جمع حائط وهو حش النخل (فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال ياابن عمر مالك لاتأكل فقلت لااشتهيه فقال) صلى الله عليه وسلم (لكن اشتهيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو سألت ربى لاعطانى ملك قيصر وكسرى فكيف بك ياابن عمر اذا بقيت فى قوم يخبؤن رزق سنتهم ويضعف اليقين فى قلوبهم قال فوالله مابرحنا) من مكاننا (ولاقمنا حتى نزلت) هذه الآية (وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يأمركم بكنز المال ولاباتباع الشهوات من كنزدنانير يريد بها حياة

فانية فان الحياة بيد الله الا وانى لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد) قال العراقى رواه ابن مردويه فى التفسير والبيهقى فى الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر قال البيهقى هذا اسناد مجهول والجراح ابن منهال ضعيف اهـ قلت ورواه كذلك عبد بن حميد وابن أبى حاتم فى تفسيريهما وابن عساكر فى التاريخ كلهم من هذا الطريق (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (كان يسمع أزيز قلب ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام اذا قام الى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين (وقال مجاهد) رحمه الله تعالى (بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فنودى يا داود اجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فنحب نحبة) أى صرخ صرخة (هاج) أى يبس منها (العود فاحترق من خوفه ثم أنزل الله عليه التوبة والمغفرة فقال يارب اجعل خطيئتى فى كفى فصارت خطيئته فى كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب الا رآها فابكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه) رواه ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر بلفظ لما أصاب داود الخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما وأربعين ليلة وكانت خطيئته فى يده ينظر اليها كيلا يغفل حتى نبت البقل حوله من دموعه ما غطى رأسه فنودى اجائع فتطعم أم عريان فتكسى أم مظلوم فتنتصر قال فنحب نحبة أهاج ما يليه من البقل حين لم يذكر ذنبه فعند ذلك غفر الله له ورواه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد وابن جرير بلفظ لما أصاب داود الخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى رأسه ثم نادى رب قرح الجبين وجمدت الاعين وداود لم يرجع اليه فى خطيئته شئ فنودى اجائع فتطعم أو مريض فتشفى أو مظلوم فينتصر لك فنحب نحبا هاج كل شئ نبت فعند ذلك غفر له وكان يؤتى بالاناء فيشرب فيذكر خطيئته فينتحب فتكاد مفاصله يزول بعضها من بعض فما يشرب بعض الاناء حتى يملأه من دموعه وروى أحمد فى الزهد عن أبى عمران الجونى قال سجد داود أربعين ليلة ويوما لا يرفع رأسه الا الى صلاة فريضة حتى يبس وقرحت جبهته وكفاه وركبتاه وروى الحاكم وابن جرير عن السدى قال مكث داود ساجدا أربعين يوما يبكى لا يرفع رأسه الا لحاجة ثم يقع ساجدا يبكى حتى نبت العشب من دموع عينيه فأوحى الله اليه بعد أربعين يوما يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك وروى أحمد وعبد بن حميد عن يونس بن خباب ان داود بكى أربعين ليلة حتى نبت العشب حوله من دموعه ثم قال قرح الجبين ورقأ الدمع خطيئتى على كما هى فنودى ان يا داود أجائع فتطعم أم ظمآن فتسقى أم مظلوم فينتصر لك فنحب نحبة هاج ما هنالك من الخضرة فغفر له عند ذلك وروى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد عن عبيد الله بن عمير الليثى ان داود سجد حتى نبت ما حوله خضرا من دموعه فأوحى الله اليه ان يا داود أتريد ان أزيدك فى مالك وعمرك فقال يارب أهذا تزيد على أريد ان تغفر لى وروى عبد بن حميد عن كعب قال سجد داود نبى الله أربعين يوما وأربعين ليلة لا يرفع رأسه حتى رقاد معه ويبس فكان من آخر دعائه وهو ساجد ان قال يارب رزقتنى العافية فسألتك علما فلما ابتليتنى لم أصبر فان تعذبنى فانا أهل ذلك وان تغفر لى فانت أهل ذلك وروى الحكيم وابن جرير وابن أبى حاتم بسند ضعيف عن أنس رفعه قال سجد داود أربعين ليلة حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلوف من بعدى الحديث وروى أحمد والحكيم وابن جرير عن عطاء الخراسانى ان داود عليه السلام نقش خطيئته منقوشة فى كفه (و يروى عنه عليه السلام انه ما رفع رأسه) بعد الخطيئة (الى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل) رواه ابن أبى شيبة وأحمد فى الزهد وعبد بن حميد من طريق عطاء بن السائب عن أبى عبد الله الجدلى وروى ابن جرير والحاكم عن السدى انه ما استطاع بعد الخطيئة ان يملأ عينيه من

فانية فان الحياة بيد الله ألا وانى لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد * وقال أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم اذا قام فى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه وقال مجاهد بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فنودى يا داود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر خوفه ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال يارب اجعل خطيئتى فى كفى فصارت خطيئته فى كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره الا رآها فابكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه ويروى عنه عليه السلام انه ما رفع رأسه الى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل

وكان يقول فى مناجاته الهى اذا ذكرت خطيئتى ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روحى سبحانك الهى أتيت أطباء
عبادك ليداووا خطيئتى فكلهم عليك يدلنى فبؤسا للقانطين من رحمتك * وقال الفضيل بلغنى أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب
صارخا واضعا يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا الا أريدكم انما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلنى الا
بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء وكان يعاتب فى كثرة البكاء فيقول دعونى أبكى قبل خروج يوم البكاء قبل تخريق العظام
واشتعال الحشى وقبل ان يؤمر بى ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم (٢٤٧) ويفعلون ما يؤمرون وقال عبد العزيز بن عمر
لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال الهى بح صوتى فى صفاء أصوات الصديقين وروى انه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه فقال يارب أما ترحم بكائى فاوحى الله تعالى اليه ياداود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهى وسيدى كيف أنسى ذنبى وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجارى عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلنى الطير على رأسى وأنست الوحوش الى محرابى الهى وسيدى فما هذه الوحشة التى بينى وبينك فأوحى الله تعالى اليه ياداود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية ياداود آدم خلق من خلقى خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى وأسجدت له ملائكتى وألبسته ثوب كرامتى وتوجته بتاج وقارى وشكا الى الوحدة فزوجته حواء أمتى وأسكنته جنتى عصانى
فطردته عن جوارى عريانا ذليلا ياداود اسمع منى والحق أقول أطعتنا فأطعناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على
ما كان منك قبلناك * وقال يحيى بن أبى كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان اذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب
الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له المنبر الى البرية فأمر سليمان أن ينادى بصوت يستقرى البلاد وما حولها من
الغياض والآكام والجبال والبرارى والصوامع والبيع فينادى فيها ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأت قال فتأتى الوحوش
من البرارى والآكام وتأتى السباع من الغياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الاوكار وتأتى العذارى من خدورهن

السماء حياء من ربه عز وجل حتى قبض (وكان) عليه السلام (يقول فى مناجاته) سبحانك (الهى
اذا ذكرت خطيئتى ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روحى سبحانك الهى
أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتى فكلهم عليك يدلنى فبؤسا للقانطين من رحمتك) رواه أحمد فى الزهد
عن عثمان بن أبى العالية قال كان من دعاء داود عليه السلام فذكره (وقال الفضيل) بن عياض رحمه
الله تعالى (بلغنى ان داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على رأسه حتى لحق
بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا الا أريدكم انما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلنى الا
بالبكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء) رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب الخائفين (وكان)
عليه السلام (يعاتب فى كثرة البكاء فيقول دعونى أبكى قبل خروج يوم البكاء قبل تخريق العظام
واشتعال الحشى وقبل ان يؤمر بى ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)
رواه أحمد فى الزهد فقال حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر عن اسماعيل بن عبيد الله ابن أبى المهاجر
ان داود النبى عليه السلام كان يعاتب فى كثرة البكاء فذكره الا انه قال واشتعال اللحى بدل الحشى ورواه
أبو نعيم فى الحلية من طريقه (وقال عبد العزيز بن عمر) بن عبد العزيز بن مروان الاموى أبو محمد المدنى
نزيل الكوفة صدوق مات فى حدود الخمسين روى له الجماعة (لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال
الهى بح صوتى عن صفاء أصوات الصديقين وروى انه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه
واشتد غمه قال يارب أما ترحم بكائى فاوحى الله اليه ياداود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهى
وسيدى كيف أنسى ذنبى وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجارى عن جريه وسكن هبوب الريح
وأظلنى الطير على رأسى وانست الوحوش الى محرابى الهى وسيدى فما هذه الوحشة التى بينى
وبينك فاوحى الله تعالى اليه ياداود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية ياداود آدم خلق من خلقى خلقته
بيدى ونفخت فيه من روحى وأسجدت له ملائكتى وألبسته ثوب كرامتى وتوجته بتاج وقارى وشكا
الى الوحدة فزوجته حواء أمتى وأسكنته جنتى عصانى فطردته عن جوارى عريانا ذليلا ياداود اسمع منى
الحق أقول أطعتنا فأطعناك وعصيتنا فامهلناك وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك) رواه ابن أبى
الدنيا فى كتاب الخائفين (وقال يحيى بن أبى كثير) الطائى مولاهم أبو نصر اليمامى ثقة ثبت كثير
الارسال مات سنة اثنتين وثلاثين روى له الجماعة (بلغنا ان داود عليه السلام كان اذا أراد أن ينوح
مكث قبل ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم أخرج
له المنبر) وهو الكرسى الذى يقعد عليه (الى البرية) أى الصحراء (فامر سليمان ان ينادى بصوت
يستقرى البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبرارى والصوامع والبيع فينادى فيها ألا
من أراد ان يسمع نوح داود عليه السلام على نفسه فليأت قال فتأتى الوحوش من البرارى والآكام وتأتى
السباع من الغياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الاوكار وتأتى العذارى من خدورهن

وتجتمع الناس لذلك اليوم ويأتي داود حتى يرقى المنبر ويحيط به بنوا اسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا رأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فبينما هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخر داود مغشيا عليه فاذا نظر سليمان الى ما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر مناديا ينادي

ألا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم اذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول يا اله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجي ربه فيأتي سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا أبتاه تقوّ بهذا على ما تريد فيأكل من ذلك القرص ماشاء الله ثم يخرج الى بني اسرائيل فيكون بينهم *وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفا فمات منهم ثلاثون ألفا وما رجع الا في عشرة آلاف قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره

وتجتمع الناس لذلك اليوم ويأتي داود حتى يرقى المنبر ويحيط به بنوا اسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في ذكر أهوال القيامة) وشدائدها (وعلى النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا رأى سليمان عليه السلام كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء) لنفسه (فبينما هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخر داود مغشيا عليه فاذا نظر سليمان الى ذلك أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر مناديا ينادي الا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الله والجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمل قريبها) عليه (وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم اذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول يا اله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجي فيأتي سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول يا أبتاه تقوّ بهذا على ما تريد فيأكل من ذلك القرص ماشاء ثم يخرج الى بني اسرائيل فيكون بينهم) أخرجه بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين وروى ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد عن صفوان بن محرز قال كان لداود عليه السلام يوم يتأوه فيه فيقول أوه من عذاب الله أوه من عذاب الله أوه من عذاب الله (وقال) أبو عمرو (يزيد) بن ابان (الرقاشي) بالتخفيف البصري القاص بالتشديد زاهد ضعيف روى له البخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجه (خرج داود) عليه السلام (ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفا فمات منهم ثلاثون ألفا وما رجع الا عشرة آلاف) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (قال) يزيد (وكان له) عليه السلام (جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة ان تتفرق اعضاؤه ومفاصله فيموت) وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد من طريق ثابت عن صفوان بن عروة قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله لا يشدها الا الله فاذا ذكر رحمته تراجعت (وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف) وهي الجبب منها ضيقة الكمين (ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي) جمع ترقوة وهي عظم الرقبة (وسلكوا فيها السلاسل وشدوا أنفسهم الى اطراف بيت المقدس فهاله ذلك) لانه لم يكن راى قبل ذلك مثله (فرجع الى أبويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا يا يحيى هلم بنا لنلعب فقال اني لم أخلق للعب قال فأتى أبويه فسألهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا) أي يسرج السرج (حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج) هائما (ولزم أطواد الارض) أي جبالها (وغيران الشعاب) جمع غور وهي المنخفضة من الاراضي والشعاب الثنايا بين الجبلين

وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت *وقال ابن عمر رضي الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوا أنفسهم الى أطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى أبويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا نلعب فقال اني لم أخلق للعب قال فأتى أبويه فسألهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى بيت المقدس وكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم أطواد الارض وغيران

الشعاب فخرج أبواه فى طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد أنقع رجليه فى الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا أذوق باردا الشراب حتى أعلم أين مكانى منك فسأله أبواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير و يشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن

الجبليين (فخرج أبواه فى طلبه فادركاه على بحيرة الاردن) وهى على أميال من بيت المقدس (وقد أنقع رجليه فى الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكانى منك فسأله أبواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير و يشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فدح بالبر) يعنى فى قوله تعالى وبرا بوالديه أى كان لا يعصيهما (فرده أبواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلى بكى حتى تبكى معه الشجر والمدر و يبكى زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكى حتى أخرقت دموعه لحم خديه) أى شققته (وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه يابنى لو أذنت لى ان اتخذ شيأ توارى اضراسك فاذن لها فعمدت الى قطعتى لبود فالصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلى بكى فاذا استنقعت من دموعه فى القطعتين أتت اليه أمه فعصرتهما فاذا رأى دموعه تسيل على ذراعى أمه قال اللهم هذه دموعى وهذه أمى وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوما أنا سألت ربى انيهبك لى لتقر عيناى فقال يحيى ياأبت ان جبريل عليه السلام أخبرنى أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا عليه السلام يابنى فابك) روى أحمد فى الزهد وابن المنذر وابن أبى حاتم والخرائطى وابن عساكر عن معمر بن راشد قال بلغنى ان الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب قال ما للعب خلقت فهو قوله وآتيناه الحكم صبيا وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد من طريق معمر عن قتادة قال جاء الغلمان الى يحيى بن زكريا فقالوا اخرج بنا نلعب فقال ما للعب خلقت قال فانزل الله وآتيناه الحكم صبيا وروى الحاكم فى التاريخ من طريق نهشل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس رفعه قال الغلمان ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال يحيى ما للعب خلقنا اذهبوا نصلى وروى اسحق بن بشر فى المبتدا وابن عساكر عن ابن عباس قال مر يحيى بن زكريا على صبية أتراب له يلعبون على شاطئ نهر بطين و بماء فقالوا يا يحيى تعال حتى نلعب فقال سبحان الله أو للعب خلقنا وروى ابن أبى حاتم من طريق عبد الرحمن بن القاسم قال قال مالك بلغنى انه لم يكن ليحيى عيشة الا العشب وان كان ليبكى من خشية الله حتى لو كان على خده القار لاذابه ولقد كان الدمع اتخذ فى وجهه مجرى وروى ابن أبى شيبة وأحمد فى الزهد وابن عساكر عن أبى ادريس الخولانى قال كان يحيى بن زكريا يأكل العشب وان كان ليبكى من خشية الله تعالى حتى لو كان القار على عينه لحرقه ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى فى وجهه (وقال المسيح عليه السلام معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة و يباعدان عن الدنيا) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عقبة حدثنا حماد بن الحسن حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا مالك بن دينار قال قال عيسى عليه السلام خشية الله وحب الفردوس يباعدان من زهرة الدنيا و يورثان الصبر على المشقة حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا حاجب بن أبى بكر حدثنا حماد بن الحسن حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك قال قال عيسى عليه السلام (بحق أقول لكم ان أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب فى طلب الفردوس قليل) ولفظ الحلية لقليل فى طلب الفردوس وأخرجه ابن عساكر فى ترجمة مالك بلفظ أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل فى طلب الفردوس (وكان الخليل صلوات الله وسلامه عليه اذا ذكر خطيئته يغشى عليه و يسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل فيأتيه جبريل) عليه السلام (فيقول له ربك يقرئك السلام و يقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول ياجبريل انى اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الخائفين فهذه

يمينه فدح بالبر فرده أبواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلى بكى حتى يبكى معه الشجر والمدر و يبكى زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكى حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه يابنى لو أذنت لى ان اتخذ لك شيأ توارى به أضراسك عن الناظرين فاذن لها فعمدت الى قطعتى لبود فالصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلى بكى فاذا استنقعت دموعه فى القطعتين أتت اليه أمه فعصرتهما فاذا رأى دموعه تسيل على ذراعى أمه قال اللهم هذه دموعى وهذه أمى وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوما يابنى انما سألت ربى أن يهبك لى لتقر عيناى بك فقال يحيى ياأبت ان جبريل عليه السلام أخبرنى أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها الا كل بكاء فقال زكريا عليه السلام يابنى فابك * وقال المسيح عليه السلام معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا بحق أقول لكم ان أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب فى طلب الفردوس قليل * وقيل كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه اذا ذكر خطيئته يغشى عليه و يسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل فيأتيه جبريل فيقول له ربك يقرئك السلام و يقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول ياجبريل انى اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى فهذه

أحوال الانبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فانهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل *(بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين فى شدة الخوف)* روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال لطائر ليتنى مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا وقال أبو ذر رضى الله عنه وددت لو أنى شجرة تعضد وكذلك قال طلحة وقال عثمان رضى الله عنه وددت انى اذا مت لم أبعث وقالت عائشة رضى الله عنها وددت انى كنت نسيا منسيا وروى أن عمر رضى الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد أياما وأخذ يوما تبنة من الارض فقال يا ليتنى كنت هذه التبنة يا ليتنى لم أك شيأ مذكورا يا ليتنى كنت نسيا منسيا يا ليتنى لم تلدنى أمى وكان فى وجه عمر رضى الله عنه خطان أسودان من الدموع وقال عمر رضى الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون ولما قرأ عمر رضى الله عنه اذا الشمس كورت وانتهى الى قوله تعالى واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلى ويقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع نزل عن حماره واستند الى حائط ومكث زمانا ورجع الى منزله فرض شهرا يعوده

الناس

أحوال الانبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فانهم أعرف خلق الله بالله وصفاته) وقس نفسك وتأمل فى القصور عن لحوق درجاتهم (صلوات الله) وسلامه (عليهم أجمعين وعلى كل عبد مصطفى وعلى عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل)

(بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين فى شدة الخوف)

روى أن أبا بكر (الصديق رضى الله عنه قال) يوما (لطائر ليتنى مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا) نقله صاحب القوت (وقال أبو ذر رضى الله عنه وددت لو انى شجرة تعضد) كذا فى القوت وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أبو يحيى الرازى حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى ذر قال والله لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم الى نسائكم ولا تقاررتم على فرشكم والله لوددت ان الله خلقنى يوم خلقنى شجرة تعضد و يؤكل ثمرها (وكذا قال طلحة) بن عبيد الله التيمى رضى الله عنه أحد العشرة ولفظ القوت وقول طلحة وددت انى لم أخلق (وقال عثمان رضى الله عنه وددت انى اذا مت لم أبعث) كذا فى القوت وروى ذلك عن ابن مسعود قال صاحب الحلية بسنده عن مسروق قال رجل عند عبد الله ما أحب ان أكون من أصحاب اليمين أكون من المقربين أحب الى قال فقال عبد الله لكن ههنا رجل لوددت انه اذا مات لم يبعث يعنى نفسه وفى الزهد لاحمد من طريق عبد الله ابن الرومى قال بلغنى ان عثمان رضى الله عنه قال لو انى بين الجنة والنار ولا أدرى الى أيتهما يؤمر بى لاخترت ان أكون رمادا قبل ان أعلم الى أيتهما أصير وفى الحلية من طريق السرى بن يحيى عن الحسن قال قال ابن مسعود لو وقفت بين الجنة والنار فقيل لى اختر نخيرك من أيهما تكون أحب اليك أم تكون رمادا لاحببت ان أكون رمادا (وقالت عائشة رضى الله عنها وددت انى كنت) حيضة (نسيا منسيا) كذا فى القوت (و روى ان عمر رضى الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه فكان يعاد أياما) رواه هشام عن الحسن بلفظ ان عمر كان يمر بالآية من ورده بالليل فيبكى حتى يسقط و يعاد و رواه أبو بكر بن أبى شيبة عن عفان عن جعفر بن سليمان عن هشام عن الحسن قال كان عمر يمر بالآية فى ورده فتخنقه العبرة فيبكى حتى يسقط ثم يلزم بيته حتى يعاد يحسبونه مريضا (وأخذ يوما تبنة من الارض فقال يا ليتنى كنت هذه التبنة يا ليتنى لم أك شيأ مذكورا يا ليتنى كنت نسيا منسيا يا ليتنى لم تلدنى أمى) رواه شعبة عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة بلفظ أخذ عمر تبنة فقال ليتنى كنت هذه ليتنى لم أخلق ليتنى لم أك شيأ وفى لفظ رأيت عمر أخذ تبنة من الارض فقال يا ليتنى هذه التبنة ليتنى لم أك شيأ ليت أمى لم تلدنى ليتنى كنت نسيا منسيا (وكان فى وجه عمر رضى الله عنه خطان اسودان من) آثار (الدموع) رواه صاحب الحلية من طريق عبد الله بن عيسى قال كان فى وجه عمر خطان اسودان من البكاء (وقال عمر رضى الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون) رواه صاحب الحلية عن محمد بن على بن حبيش حدثنا عبد الله بن محمد البغوى حدثنا أبو نصر التمار حدثنا بقية عن ابراهيم بن أدهم عن أبى عبد الله قال قال عمر من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون ومن طريق أحمد بن على الابار حدثنا عبيد بن هشام الحلبى حدثنا بقية فقال فى حديثه عن أبى عبد الله الخراسانى وفيه من اتقى الله لم يقل كل ما علم قلت وقد روى سهل بن سعد رضى الله عنه مرفوعا من اتقى الله كل لسانه ولم يشف غيظه وقد تقدم (ولما قرأ عمر رضى الله عنه اذا الشمس كورت وانتهى الى قوله تعالى واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلى و يقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع نزل عن حماره واستند الى حائط ومكث زمانا) يتأمل فيه (ورجع الى منزله فرض شهرا يعوده

الناس ولايدرون مامرضه وقال على كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم فلم أر اليوم شيأ يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا صفرا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم فاذا أصبحوا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر فى يوم الريح وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله فكأنى بالقوم باتوا غافلين ثم قام فمارؤى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران ابن حصين وددت ان أكون رمادا تنسفنى الرياح فى يوم عاصف وقال أبوعبيدة بن الجراح رضى الله عنه وددت أنى كبش فيذبحنى أهلى فيأكلون لحمى ويحسون مرقى وكان على بن الحسين رضى الله عنه اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ماهذا الذى يعتادك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدى من أريد ان أقوم وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثورى كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرأ مضر القارئ يوما هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الآية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه فلما أفاق قال وعزتك لاعصينك جهدى أبدا فأعنى بتوفيقك على طاعتك

الناس ولايدرون مامرضه) ومثل هذا من أحوال عمر رضى الله عنه معروف روى ابن جريج عن ابن أبى مليكة أخبرنى علقمة بن وقاص قال كان عمر يقرأ فى العشاء الآخرة سورة يوسف وأنا فى مؤخر الصف حتى اذا ذكر يوسف سمعت نشيجه وعن عبد الله بن شداد قال سمعت عمر يقرأ فى الصبح بسورة يوسف فسمعت نشيجه وانى لفى آخر الصفوف وهو يقرأ انما أشكو بثى وحزنى الى الله وعن ابن عمر قال سمعت حنين عمر من وراء ثلاث صفوف (وقال على كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة) أى تغير لون من غم (وهو يقلب يده) ظهر البطن (لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم أر اليوم شيأ يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا صفرا غبرا بين أعينهم امثال ركب المعزى) أى من أثر السجود (قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم فاذا أصبحوا ذكروا الله فمادوا) أى اهتزوا (كما يميد الشجرة فى يوم الريح) أى تهتز يمينا وشمالا (وهملت أعينهم الدموع حتى تبل ثيابهم والله كأنى بالقوم باتوا غافلين) أى عن ذكر الله تعالى (ثم قام) من موضعه (فمارؤى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم) عبد الرحمن المرادى رواه أبونعيم فى الحلية فقال حدثنا محمد بن جعفر وعلى بن أحمد قالا حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا محمد بن يزيد أبو هاشم حدثنا المحاربى عن مالك بن مغول عن رجل من جعفى عن السدى عن أبى اراكة قال صلى على الغداة ثم لبث فى مجلسه حتى ارتفعت الشمس فيدرمح كان عليه كآبة ثم قال لقد رأيت أثرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أرى أحدا يشبههم والله ان كانوا ليصبحون شعثا غبرا صفرا بين أعينهم مثل ركب المعزى قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم اذا ذكر الله مادوا كما يميد الشجرة فى يوم ريح فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم والله لكان القوم باتوا غافلين (وقال عمران بن الحصين) رضى الله عنه (وددت انى أكون رمادا تنسفنى الرياح فى يوم عاصف) وقد روى مثل ذلك عن ابن مسعود قال ليتنى انى أكون رمادا وفى رواية عنه ليتنى كنت بعرة ليتنى لم أك شيأ وقد تقدم قريبا (وقال أبوعبيدة) عامر (بن الجراح) رضى الله عنه (وددت انى كبش فيذبحنى أهلى فيأكلون لحمى ويحسون مرقى) هذا قد روى عن عمر رضى الله عنه رواه هناد فى الزهد من طريق الضحاك قال قال عمر ليتنى كنت كبش أهلى سمنونى مابدالهم حتى اذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبون فجعلوا بعضى شواء وبعضى قديدا ثم أكلونى فاخرجونى عذرة ولم أك بشرا (وكان) زين العابدين (على) بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه (اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ماهذا الذى يعتادك عند الوضوء أفيقول أتدرون بين يدى من أريد ان أقوم) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابى حدثنا العتبى حدثنا أبى قال كان على بن الحسين اذا فرغ من وضوئه وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة ونفضة فقيل له فى ذلك فقال ويحكم أتدرون الى من أقوم ومن أريد أن أناجى وقد روى مثل ذلك عن عطاء السلمى أخرجه أبونعيم فى الحلية (وقال موسى بن مسعود) أبو حذيفة النهدى البصرى قال العجلى ثقة صدوق وقال ابن أبى حاتم سألت أبى عنه فقال صدوق معروف بالثورى وقيل ان الثورى تزوج أمه لما قدم البصرة مات سنة عشرين ومائتين وله اثنتان وتسعون سنة روى عنه البخارى وروى له أبوداود والترمذى وابن ماجه (كنا اذا جلسنا الى) سفيان (الثورى كان النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقرأ مضر القارئ يوما) قوله تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشى عليه فلما أفاق قال وعزتك لاعصينك جهدى أبدا فاعنى بتوفيقك على عبادتك) قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا على بن سعيد حدثنا محمد بن ادريس حدثنا عبد الله بن عبيد عن مضر القارئ قال سمعت عبد الواحد بن زيد يقول

وكان المسور بن مخرمة لا يقوى ان يسمع شيأ من القرآن لشدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياما حتى أتى
عليه رجل من خثعم فقرأ عليه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال أنا من المجرمين ولست من
المتقين أعد علي القول
أيها القارئ فاعادها عليه
فشهق شهقة فلحق بالآخرة
وقرئ عند يحيى البكاء ولو
ترى اذ وقفوا على ربهم
فصاح صيحة مكث منها
مريضا أربعة أشهر يعاد
من أطراف البصرة وقال
مالك بن دينار بينما أنا
أطوف بالبيت اذا أنا
بجويرية متعبدة متعلقة
بأستار الكعبة وهي تقول
يارب كم شهوة ذهبت لذاتها
وبقيت تبعاتها يارب أما
كان لك أدب وعقوبة الا
النار وتبكي فما زال ذلك
مقامها حتى طلع الفجر قال
مالك فلما رأيت ذلك وضعت
يدي على رأسي صارخا
أقول ثكلت مالكا أمه
وروي أن الفضيل رؤي يوم
عرفة والناس يدعون وهو
يبكي بكاء الثكلى المحترقة
حتى اذا كادت الشمس
تغرب قبض على لحيته ثم
رفع رأسه الى السماء وقال
واسوأتاه منك وان غفرت
ثم انقلب مع الناس وسئل
ابن عباس رضي الله عنهما
عن الخائفين فقال قلوبهم
بالخوف قرحة وأعينهم
باكية يقولون كيف نفرح
والموت من ورائنا والقبر
امامنا والقيامة موعدنا
وعلى جهنم طريقنا وبين يدي الله ربنا موقفنا ومر الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم
في مجلس فقال له الحسن يافتى هل مررت بالصراط قال لا قال فهل تدري الى الجنة تصير أم الى النار قال لا
قال

وعزتك ما أعلم لمحبتك فرجا دون لقائك والاشتفاء من النظر الى جلال وجهك في دار كرامتك فيامن أحل
الصادقين محل الكرامة وأورث البطالين منزل الندامة اجعلني ومن حضرني من أفضل أوليائك زلفا
وأعظمهم منزلة وقربة تفضلا منك علي وعلى اخواني يوم تجزى الصادقين بصدقهم جنات قطوفها دانية
متدلية عليهم ثمرها (وكان المسور بن مخرمة) بن نوفل القرشي أبو عبد الرحمن الزهري له ولابيه صحبة
وأمه الشفاء بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان
سنين ومات بمكة في فتنة ابن الزبير سنة أربع وسبعين وهو يومئذ ابن ثلاث وستين روى له الجماعة
(لا يقوى أن يسمع القرآن لشدة خوفه ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل
أياما حتى أتى عليه رجل من خثعم) بن انمار (فقرأ عليه) قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال أنا من المجرمين ولست من المتقين أعد علي القول أيها القارئ
فعاد عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة) هكذا ذكره المصنف في سبب موته والذي ثبت من قول عمرو
ابن علي الفلاس انه أصابه المنجنيق في فتنة ابن الزبير وهو يصلي في الحجر فمكث خمسة أيام ثم مات فلعل هذه
القصة ان صحت كانت في أثناء هذه الايام الخمسة أو حصل التصحيف من النساخ في صاحب القصة (وقرئ
عند يحيى البكاء) هو يحيى بن مسلم أو ابن سليم مصغرا وهو ابن أبي خلية البصري المعروف بالبكاء لكثرة
بكائه الحداني مولاهم ضعيف مات سنة ثلاثين ومائة روى له الترمذي وابن ماجه وله ذكر في الحلية في
ترجمة محمد بن واسع أخرج من طريق حماد بن زيد قال دخلنا على محمد بن واسع نعوده في مرضه فجاء
يحيى البكاء يستأذن عليه فقالوا يا أبا عبد الله هذا أخوك أبو سلمة على الباب قال من أبو سلمة قالوا يحيى
قال من يحيى قالوا يحيى البكاء قال حماد وقد علم انه يحيى البكاء فقال ان شرأ يامكم يوم نسبتم الى البكاء
(ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) الآية (فصاح صيحة ومكث منها مريضا أربعة أشهر يعاد من اطراف
البصرة) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (وقال) أبو محمد (مالك بن دينار) البصري رحمه الله
تعالى (بينما أنا أطوف بالبيت اذا أنا بجويرية) أي صبية (متعبدة وهي متعلقة باستار الكعبة وهي تقول
يارب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يارب أما كان لك أدب وعقوبة الا النار وتبكي فما زال ذلك
مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا أقول ثكلت مالكا أمه)
أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين (وروي ان الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (رؤي
يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته
ثم رفع رأسه الى السماء وقال واسوأتاه منك ان غفرت ثم انقلب مع الناس) أخرجه أبو نعيم في الحلية
فقال حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا الفضل بن محمد الجندي حدثنا اسحق بن ابراهيم قال وقفت مع
الفضيل بن عياض بعرفات فلم أسمع من دعائه شيأ الا انه واضع يده اليمنى على خده وواضع رأسه يبكي
بكاء خفيا فلم يزل كذلك حتى أفاض الامام فرفع رأسه الى السماء وقال واسوأتاه والله منك ان عفوت
ثلاث مرات (وسئل ابن عباس رضي الله عن الخائفين) أي عن وصفهم (فقال) هم الذين (قلوبهم
بالخوف قرحة وأعينهم) منه (باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر والقيامة موعدنا
وعلى جهنم طريقنا وبين يدي الله ربنا موقفنا) وهذا منه رضي الله عنه بيان عن الخائفين من
صفاته (ومر الحسن) البصري رحمه الله تعالى (بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم
في مجلس فقال له الحسن يافتى هل مررت بالصراط قال لا قال فهل تدري الى الجنة تصير أم الى النار قال لا

قال فما هذا الضحك قال فما رؤي ذلك الفتى بعدها ضاحكا) نقله صاحب القوت (وكان حماد بن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن اذا عصيت الله تعالى وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (انما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله تعالى) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (لقد هممت اذا أنامت آمرهم ان يقيدوني و يغلوني ثم ينطلقوا بي الى ربي كما ينطلق بالعبد الآبق الى سيده) ولفظ الحلية لقد هممت ان آمر اذا مت فاغل وأدفع الى ربي مغلولا كما يدفع العبد الآبق الى مولاه رواه عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد حدثني عبد الله بن عمر القواريري حدثنا جعفر بن سليمان قال قال مالك بن دينار فساقه (وقال حاتم) بن علوان (الاصم) رحمه الله تعالى (لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها مالقي) أي من الهبوط منها والبعد عن حظيرتها بسبب المخالفة (ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبده) حتى كان يلقب بطاوس الملائكة (لقي مالقي) من اللعن والطرد بسبب الكبر (ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام) بن باعوراء من علماء بني اسرائيل (كان يحسن اسم الله الاعظم) هذا هو المشهور وقال بعضهم بل كان أوتي النبوة (فانظر ماذا لقي) من الانسلاخ عن الآيات فكان علمه سبب هلاكه كما قال تعالى آتيناه آياتنا فانسلخ منها (ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله تعالى من المصطفى صلى الله عليه وسلم و) مع ذلك (لم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه) مع كمال قربهم اليه نقله القشيري في الرسالة (وقال السري) بن المغلس السقطي رحمه الله تعالى (اني لانظر الى أنفي كل يوم مرات مخافة ان يكون قد اسود وجهي) نقله القشيري في الرسالة بلفظ كذا وكذا مرة مخافة ان يكون قد اسود لما أخافه من العقوبة هكذا أورده في باب الخوف وذكر في ترجمته من أول الكتاب بلفظ مخافة ان يكون قد اسود خوفا من الله ان يسود صورتي لما اتعاطاه وانما خص الانف لان الشخص لا يرى من وجهه غير أنفه (وقال أبو حفص) عمر بن مسلم الحداد رحمه الله تعالى نيسابوري من كبار الائمة ترجم له القشيري في الرسالة وقال مات سنة نيف وستين ومائتين (منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر الى نظر السخط) والمقت (وأعمالي تدل على ذلك) أي لكثرة الغفلات وسوء الادب في المعاملة مع الله تعالى ومع الخلق نقله القشيري في الرسالة (وخرج) عبد الله (بن المبارك) رحمه الله تعالى (يوما على أصحابه فقال لهم اني قد اجترأت البارحة) على الله حيث (سألته الجنة) وأنا حقير في نفسي ولا تصلح أحوالي لسؤالها وكان حقي استعيذه من النار نقله القشيري في الرسالة (وقالت أم محمد بن كعب) ابن سليم بن عمرو بن اياس بن حيان بن قرظة (القرظي) المدني من حلفاء الاوس وكان أبوه من سبي قريظة سكن الكوفة ثم تحول الى المدينة فسكنها قال ابن سعد كان ثقة عالما كثير الحديث ورعا مات سنة ثمان ومائة روى له الجماعة (لابنها) المذكور (يا بني اني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك أحدثت حدثا موبقا) أي اذنبت ذنبا مهلكا (لما أراك تصنع في ليلك ونهارك) أي من الاجتهاد في العبادة والبكاء من الخوف (فقال) محمد (يا أماه ما يؤمنني ان يكون الله تعالى قد اطلع علي وأنا على بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي لا غفرت لك) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي كثير البصري قال قالت أم محمد بن كعب لمحمد يا بني لولا اني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا لظننت انك اذنبت ذنبا موبقا لما أراك تصنع بنفسك بالليل والنهار قال يا أمتاه وما يؤمنني أن يكون الله عز وجل اطلع علي وأنا في بعض ذنوبي فمقتني وقال اذهب لا أغفر لك مع ان عجائب القرآن تردني على أمور حتى انه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (اني لا أغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا

لو اطمأننت فيقول تلك جلسة الامن وأنا غير آمن اذ عصيت الله تعالى وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله تعالى وقال مالك ابن دينار لقد هممت اذا أنامت آمرهم أن يقيدوني و يغلوني ثم ينطلقوا بي الى ربي كما ينطلق بالعبد الآبق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها مالقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبده لقي مالقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه أقاربه واعداؤه وقال السري اني لانظر الى أنفي كل يوم مرات مخافة أن يكون قد اسود وجهي وقال أبو حفص منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر الى نظر السخط وأعمالي تدل على ذلك وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال اني اجترأت البارحة على الله سألته الجنة وقالت أم محمد ابن كعب القرظي لابنها يا بني اني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك أحدثت حدثا موبقا لما أراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا أماه ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع علي وانا على بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي وجلالي لا غفرت لك وقال الفضيل اني لا أغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا

صالحاً أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة) أي يشاهدون أهوالها (انما أغبط من لم يخلق) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثني محمد بن عيسى عن فضيل بن عياض قال ما أغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا يعاين القيامة وأهوالها ما أغبط الا من لم يكن شيأ (وروى ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت) أي عن حضوره الجماعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه) فكشف له عن الحجاب الذي كان بينه وبين الله تعالى فلم يحتمله (فخر ميتا فقال صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار) أي الخوف منها (فتت كبده) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من حديث حذيفة والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن سعد باسناد فيهما نظر (وروى عن) ميسرة (بن أبي ميسرة) عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي (انه كان اذا أوى الى فراشه يقول ياليت أمي لم تلدني فقالت له أمه) حين سمعت منه ذلك مرارا (ياميسرة ان الله تعالى قد أحسن اليك) حيث (هداك للاسلام قال أجل ولكن الله قد بين لنا انا واردو النار) وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا (ولم يبين لنا انا صادرون عنها) أي فهذا سبب خوفي منها (وقيل لفرقد) بن يعقوب (السبخي) بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة بصري صدوق في حديثه لين مات سنة احدى وثلاثين روى له الترمذي وابن ماجه (أخبرنا) يا أبا يعقوب (باعجب شئ بلغك عن بني اسرائيل قال بلغني انه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح) يتعبدن الله عز وجل (فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا في يوم واحد) أي غلب عليهن الخوف فتفتت أكبادهن فمتن وهكذا شأن الخوف اذا أفاض من القلب الى الكبد (وكان عطاء السلمي) بفتح المهملة وكسر اللام نسبة الى سليمة بن مالك ابن فهم بطن من الازد زاهد مشهور ويقال له العبدي أيضا (من الخائفين) المشهورين بالخوف حتى يقال انه نسي القرآن من الخوف وكان اذا رأى تنورا يسجر يسقط مغشيا عليه من الخوف واذا فرغ من وضوئه ارتعد وبكى شديدا وكان لدموعه حوله أثر البلل كأنه أثر الوضوء (ولم يكن يسأل الله الجنة أبدا انما كان يسأل العفو) رواه صاحب الحلية من طريق أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان يقول كان عطاء السلمي قد اشتد خوفه وكان لا يسأل الله أبدا الجنة فاذا ذكرت عنده قال نسأل الله العفو (وقيل له في مرضه ألا تشتهي شيأ فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة) نقله صاحب القوت وروى صاحب الحلية من طريق مسكين أبي فاطمة عن صالح المري قال قلت لعطاء السلمي انك قد ضعفت فلو صنعنا لك سويقا قال فصنعنا له سويقا وتكلفناه فقال يا أبا بشر اني اذا ذكرت النار لم أبتغه وفي رواية اذا أردت ان أشربه ذكرت هذه الآية يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وفي رواية قال له صالح يا شيخ قد خدعك ابليس قال فقال لي ويحك يا صالح اني والله اذا ذكرت جهنم ما يسيغني طعام ولا شراب قال قلت أنت والله في واد لاعاتبتك في هذا أبدا (ويقال انه ما رفع رأسه الى السماء ولا ضحك أربعين سنة وانه رفع رأسه يوما فسقط فانفتق في بطنه فتق) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن عبيدة قال سمعت غفيرة وكانت متعبدة قد ذهب بصرها من البكاء تقول لم يرفع عطاء رأسه الى السماء ولم يضحك أربعين سنة فرفع رأسه مرة فسقط ففتق فتقا في بطنه (وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة ان يكون قد مسخ) رواه كذلك من الطريق المذكورة عن خزيمة بن زرعة حدثنا محمد بن كثير عن ابراهيم بن آدم قال كان عطاء يمس جسده بالليل خوفا من ذنوبه مخافة أن يكون قد مسخ (وكان اذا أصابتهم ريح أو برق أو غلا طعام قال هذا من أجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد من الطريق المذكورة عن يحيى بن راشد حدثنا مرجان ابن وداع الراسبي قال كان عطاء اذا هبت ريح وبرق ورعد قال من أجلي يصيبكم لو مات عطاء استراح

الناس

حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا فقال صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده وروى عن ابن أبي ميسرة انه كان اذا أوى الى فراشه يقول ياليت أمي لم تلدني فقالت له أمه ياميسرة ان الله تعالى قد أحسن اليك هداك الى الاسلام قال أجل ولكن الله قد بين لنا انا واردو النار ولم يبين لنا انا صادرون عنها وقيل لفرقد السبخي أخبرنا بأعجب شئ بلغك عن بني اسرائيل فقال بلغني انه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السلمي من الخائفين ولم يكن يسأل الله الجنة أبدا انما كان يسأل الله العفو وقيل له في مرضه ألا تشتهي شيأ فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة ويقال انه ما رفع رأسه الى السماء ولا ضحك أربعين سنة وانه رفع رأسه يوما ففزع فسقط فانفتق في بطنه فتق وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة أن يكون قد مسخ وكان اذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال هذا من أجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس

الناس قال وكنا ندخل على عطاء فاذا قلناله زاد الطعام قال هذا من أجلي يصيبكم لومت أنا لاستراح الناس و رواه صاحب الحلية من طريق أحمد بن اسحق الحضرمى حدثنا ابراهيم بن يعقوب قال كان عطاء السليمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ ببطنه كأنه امرأة ماخض و يقول قد كنت أرجو ان أموت قبل أن يجيء الشتاء (وقال عطاء السليمى خرجنا مع عتبة) بن أبان (الغلام) نسير (وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم فى رؤسهم واصقت جلودهم على عظامهم و بقيت العروق كأنها الاوتار يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد أخرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين فبينماهم يمشون اذمر) عتبة (بمكان) هنالك (نخر مغشيا عليه فجلس أصحابه حوله يبكون فى يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجيء بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره فقال انى ذكرت أنى كنت عصيت الله) عز وجل (فى ذلك المكان) و رواه أبو نعيم فى الحلية أخصر منه قال حدثنا أحمد بن بندار حدثنا جعفر بن أحمد حدثنا ابراهيم بن عبد الله الجبلى حدثنى محمد بن الحسين حدثنا عبيد الله بن محمد بن حفص التيمى حدثنى أبو حسين بن اليسع قال لقى عبد الواحد بن زيد عتبة الغلام فى رحبة العصابين فى يوم شاتٍ شديد البرد فاذا هو يرفض عرقا فقال له عبد الواحد عتبة قال نعم قال فما شأنك مالك تعرق فى مثل هذا اليوم قال خير قال لتخبرنى قال خير قال فقال للانس الذى بينى وبينك والاخاء الا ما أخبرتنى قال انى والله ذكرت ذنبا أصبته فى هذا المكان فهذا الذى رأيت من أجل ذلك (وقال) أبو بشر (صالح) ابن بشر (المرى) رحمه الله تعالى (قرأت على رجل من المتعبدين) يوما قوله تعالى (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) الى آخره (فصعق ثم أفاق فقال زدنى يا صالح فانى أجد غما فقرأت) عليه قوله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) الآية (نخر ميتا) وهذا من شدة الخوف الذى غلب على القلب فاض منه الى المرارة فانشقت ومات (وروى ان) أبا حاجب (زرارة بن أوفى) العامرى الحرشى البصرى قاضيها ثقة عابد روى له الجماعة (صلى بالناس الغداة فلما قرأ فاذا نقر فى الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا) روى المزى فى التهذيب من طريق أبي خباب القصاب قال صلى بنا زرارة الفجر فلما بلغ فاذا نقر فى الناقور شهق شهقة ومات ومن طريق بهز أمنا زرارة فى مسجد بنى قشير فقرأ حتى اذا بلغ فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير خر ميتا قال فكنت فيمن حمله وقد تقدم فى تلاوة القرآن (ودخل يزيد) بن أبان (الرقاشى) القاص (على عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (فقال) له (عظنى يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك أوّل خليفة يموت فبكى ثم قال زدنى قال يا أمير المؤمنين ليس بينك و بين آدم أب الا ميت فبكى ثم قال زدنى يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك و بين الجنة والنار منزل ألا فاعلم نخر مغشيا عليه) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (وقال ميمون بن مهران) الجزرى كاتب عمر بن عبد العزيز (لما نزلت هذه الآية وان جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسى) رضى الله عنه (ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدر عليه) قال العراقى لم أقف له على أصل قلت و روى أبو نعيم فى الحلية من طريق عمرو بن ميمون قال خرجت بأبى أقوده فى بعض سكك البصرة الحديث وفيه ثم دفعنا الى منزل الحسن فطرقت الباب فخرجت الينا جارية سداسية فقالت من هذا فقلت هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن فقالت كاتب عمر بن عبد العزيز فقلت لها نعم فقالت يا شقى ما بقاؤك الى هذا الزمان السوء قال فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج اليه فاعتنقا فدخلنا فقال ميمون يا أبا سعيد انى قد انست من قلبى غلظة فقرأ الحسن بسم الله الرحمن الرحيم أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون قال فسقط الشيخ فرأيته يفحص

وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم فى رؤسهم جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الاوتار يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف اهان العاصين فبينماهم يمشون اذ مر أحدهم بمكان نخر مغشيا عليه فجلس أصحابه حوله يبكون فى يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاؤا بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره فقال انى ذكرت انى كنت عصيت الله فى ذلك المكان وقال صالح المرى قرأت على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فصعق ثم أفاق فقال زدنى يا صالح فانى أجد غما فقرأت كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها نخر ميتا وروى ان زرارة بن أبى أوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ فاذا نقر فى الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا * ودخل يزيد الرقاشى على عمر بن عبد العزيز فقال عظنى يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لست أول خليفة يموت فبكى ثم قال زدنى قال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب الا ميت فبكى ثم قال زدنى يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك و بين الجنة والنار منزل نخر مغشيا عليه وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وان جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسى ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدرون عليه

ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول يا ابناه ليت شعري أي خديك بدأ به الدود أولا فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرض سفيان الثوري فعرض دليله على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عروقه ثم قال ما علمت أن في الملة الحنيفية مثله وقال أحمد ابن حنبل رحمة الله عليه سألت الله عز وجل أن يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما أطيق فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو ابن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكأنه أشار الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال العنبري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ورؤي الفضيل يوما وهو يمشي فقيل له الى أين قال لا أدري وكان يمشي والها من الخوف وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر

برجليه كما تفحص الشاة المذبوحة فاقام طويلا ثم أفاق فجاءت الجارية فقالت قد أتعبتم الشيخ قوموا تفرقوا فأخذت بيدي فخرجت به (ورأى داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول يا ابناه ليت شعري أي خديك بدأ به الدود أولا فصعق داود وسقط مكانه) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقيل مرض سفيان الثوري) مرضة (فعرض دليله) أي ما يستدل به على مرضه وهي القارورة (على طبيب ذمي فقال) صاحب (هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء) اليه (وجس نبضه ثم قال ما علمت ان في الملة الحنيفية مثله) في كمال خوفه هذا لفظ القشيري في الرسالة ولفظ القوت ولقد كان سفيان أحد الخائفين كان يبول الدم من شدة الخوف وكان يعرض المرضات من المخافة ويعرض بوله على بعض أطباء الكتابيين فقال هذا بول راهب من الرهبان وروى أبو نعيم في الحلية من طريق علي بن غنام قال مرض سفيان الثوري بالكوفة فبعث بمائه الى متطبب بالكوفة فلما نظر اليه قال ويلك بول من هذا فقالوا ما تسأل انظر ما ترى فيه قال أرى بول رجل قد أحرق الحزن والخوف جوفه (وقال أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (سألت الله عز وجل أن يفتح علي باب الخوف ففتح) على بابه (فخفت على عقلي فقلت يا رب) اعطني (على قدر ما أطيق) وأقدر عليه (فسكن قلبي) نقله القشيري في الرسالة الا انه قال فسكن ذلك وروى أبو نعيم في الحلية في ترجمة الفضيل قال سأل داود عليه السلام ربه ان يلقي الخوف في قلبه فلم يحتمله قلبه وطاش عقله حتى ما كان يعقل صلاة ولا ينتفع بشيء فقال له نحبك ان ندعك كما أنت أو نردك الى ما كنت عليه قال ردني فرد اليه عقله (وقال عبد الله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهما (ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه) رواه أحمد في الزهد عن وكيع حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مليكة عنه قال لو تعلمون فذكره وفيه ولو تعلمون حق العلم لصرخ أحدكم حتى ينقطع صوته ويسجد حتى ينقطع صلبه ورواه أبو نعيم في الحلية من هذا الطريق وقد تقدم قريبا (وكأنه أشار الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) تقدم مرارا (وقال العنبري) هو عبيد الله ابن الحسن بن حصين بن أبي الحر من بني العنبر بن عمرو بن تميم التميمي البصري القاضي قال النسائي فقيه بصري ثقة وقال ابن حبان من سادات أهل البصرة فقها وعلما ولي القضاء سنة سبع وخمسين ومات سنة ثمان وستين ومائة روى له مسلم حديثا واحدا والبخاري في الادب المفرد (اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى (فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف) أي تضطرب (فقال عليكم بالقرآن) أي بتلاوته (عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر) وروى أبو نعيم في الحلية من طريق الحسين بن زياد قال سمعت الفضيل يقول احفظ لسانك واقبل على شأنك واعرف زمانك واخف مكانك ومن طريق يزيد بن خنيس قال قال رجل مررت ذات يوم بفضيل بن عياض فقلت له أوصني بوصية ينفعني الله بها قال يا عبد الله اخف مكانك واحفظ لسانك واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات كما أمرك (ورؤي الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (يوما وهو يمشي فقيل له الى أين قال لا أدري وكان يمشي والها من الخوف) أخرجه أبو نعيم في الحلية (وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر) بن عبد الله بن زرارة الهمداني المرهبي الكوفي وكان عمر يكنى أبا ذر وهو ثقة في الحديث وقال العجلي عمر بن ذر القاص كان ثقة بليغا وقال سفيان بن عيينة لما مات ذر بن عمر قعد عمر على شفير قبره وهو يقول يا بني شغلني الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ما قلت وما قيل لك اللهم انك أمرته بطاعتك وأمرته ببري فقد وهبت له ما قصر فيه من حقي فهب له ما قصر فيه من حقك وعن ابن السماك قال لما دفن عمر ابنه وقف على قبره فبكى وقال اللهم اني أشهدك اني قد تصدقت بما تثيبني عليه من

مابال المتكلمين يتكلمون فلا يبكى أحد فاذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب فقال يابنى ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة
وحكى ان قوما وقفوا بعابد وهو يبكى فقالوا اما الذى يبكيك يرحمك الله قال ترحة يجدها الخائفون فى قلوبهم قالوا وماهى قال روعة النداء
بالعرض على الله عز وجل وكان الخواص يبكى و يقول فى مناجاته قد كبرت وضعف جسمى عن خدمتك فاعتقنى وقال
صالح المرى قدم علينا ابن السماك مرة فقال ارنى شيأ من بعض عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل فى بعض الاحياء فى خص له فاستأذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرأت عليه اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون فشهق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فذهبنا واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا فقرأت ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل يتشحط فى دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا فادرته على ستة أنفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشيا عليه ثم أتيت به الى السابع فاستأذنا فاذا امرأة من داخل الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس فى مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا
فقلت بصوت عال الا ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدى من
ويحك ثم بقى مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره يصيح بصوت له ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم لا تنتفعون به
الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتا
متحيرا لا يؤدى فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الاسود

مصيبتى فيه عليه فابكى من حضر ثم قال شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ثم ولى وهو يقول انطلقنا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك ولكن نستودعك ارحم الراحمين مات عمر سنة ثلاث وخمسين ومائة روى له البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه فى كتاب التفسير له ووالده ذر بن عبد الله يكنى أبا عمر ثقة من أقران النخعى وسعيد بن جبير روى له الجماعة (مابال المتكلمين يتكلمون فلا يبكى أحد فاذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب فقال يابنى ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد قال أخبرت عن ابن السماك قال قال ذر لابيه مابال فذكره (وحكى ان قوما وقفوا بعابد) فى صومعته (وهو يبكى فقالوا ما الذى يبكيك يرحمك الله قال روعة يجدها الخائفون فى قلوبهم قالوا وماهى قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل) نقله صاحب القوت (وكان) أبو اسحق ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (يبكى و يقول فى مناجاته الهى قد كبرت) سنا (وضعف جسمى عن خدمتك فاعتقنى) فهذا منه يدل على شدة خوفه عن التقصير فى الطاعات (وقال) أبو بشر (صالح) بن بشر (المرى) رحمه الله تعالى (قدم علينا) البصرة (ابن السماك) محمد بن صبيح البغدادى القاص (مرة فقال) لى (أرنى شيأ من بعض عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل فى بعض الاحياء) وهو (فى خص له) وهو بيت من قصب (فاستأذنا عليه) فأذن لنا (فاذا) هو (رجل يعمل خوصا) له (فقرأت) عليه قوله تعالى (اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون فشهق الرجل شهقة) فاذا هو قد يبس (وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر) فاستأذنا عليه فأذن لنا (فقرأت) عليه (هذه الآية) يعنى المذكورة آنفا (فشهق شهقة وخر مغشيا عليه) فخرجنا من عنده وتركناه على حاله (واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا) فدخلنا فاذا رجل جالس فى مصلى له (فقرأت) عليه هذه الآية (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد فشهق شهقة بدر الدم من منخريه وجعل يتشحط فى دمه حتى يبس فتركناه على حاله فخرجنا) من عنده (فادرته على ستة أنفس كل) واحد منهم (نخرج من عنده ونتركه) على حاله (مغشيا عليه ثم أتيت به الى السابع فاستأذنا فاذا امرأة) له (من داخل الخص) أى من ورائه كما هو نص الحلية (تقول) لنا (ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس فى مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا) ولفظ الحلية فلم يعقل سلامنا (فقلت بصوت عال ان للخلق) غدا (مقاما فقال الشيخ بين يدى من ويحك ثم بقى مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره) الى السماء (يصيح بصوت له ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا) عنه (فانكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فاذا ثلاثة) منهم (قد أفاقوا) من غشيتهم فيما بعد (وثلاثة) منهم (قد لحقوا بالله عز وجل وأما الشيخ) وهو السابع (فانه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتا متحيرا لا يؤدى فرضا فلما كان بعد ثلاث) ولفظ الحلية بعد ثالثة (عقل) أى رجع الى عقله رواه صاحب الحلية عن محمد بن أحمد بن عمر حدثنا أبى حدثنا عبد الله ابن محمد بن عبيد حدثنا عبد الرحمن بن يحيى الديلى عن عثمان بن عثمان عن صالح المرى قال قدم علينا ابن السماك مرة فقال فساقه سواء (وكان يزيد بن الاسود) هكذا فى النسخ والصواب الاسود بن يزيد وهو ابن قيس النخعى الكوفى خال ابراهيم النخعى وابن أخى علقمة بن قيس الذى روى عن ابن مسعود

يرى انه من الابدال وكان قد حلف انه لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا أبدا فما روئي ضاحكا ولا مضطجعا ولا آكل سمينا حتى مات رحمه الله وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط فقال كيف أضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت وقال رجل للحسن يا أباسعيد كيف أصبحت

قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على أي حال يكون قال الرجل على حال شديدة قال الحسن حالي أشد من حالهم ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت الى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها فرقدت فاستبكت في منامها ثم انتبهت فقالت يا أمير المؤمنين اني والله رأيت عجبا قال وماذاك قال رأيت النار وهي تزفر على أهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال هيه قالت فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه الا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جيء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى الا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه الا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى كذلك فقال عمر هيه قالت ثم جيء بك والله يا أمير المؤمنين فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة خر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في اذنه يا أمير المؤمنين اني رأيتك والله قد نجوت اني رأيتك والله قد نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه ويحكى أن أويسا القرني رحمه الله كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ان المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه وكان طاوس يفرش له الفراش فيضطجع ويتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى

وكان أسن من علقمة (يرى انه من الابدال) قال أحمد ويحيى ثقة زاد أحمد من أهل الخير وقال ابن سعد ثقة وله أحاديث صالحة وقال ميمون أبو حمزة سافر ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهما وسافر ابنه عبد الرحمن أيضا كذلك وقال غيره وكان عبد الرحمن بن الاسود يصلي كل يوم سبعمائة ركعة وكانوا يقولون انه أقل أهل بيته اجتهادا قال وكانوا يسمون آل الاسود من أهل الجنة (وكان قد حلف انه لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا أبدا فما روئي ضاحكا ولا مضطجعا ولا آكل سمينا حتى مات رحمه الله تعالى) بالكوفة سنة خمس وسبعين روى له الجماعة (وقال الحجاج) بن يوسف الثقفي (لسعيد بن جبير) بن هشام الاسدي الوالبي مولاهم الكوفي التابعي الشهير حين أتي به اليه فسأله عن اسمه فقال سعيد بن جبير قال أنت شقي بن كسير قال بل أمي كانت اعلم باسمي منك قال شقيت أنت وشقيت أمك قال الغيب يعلمه غيرك في قصة طويلة في آخرها قال الحجاج يا غلام السيف والنطع فلما ولى ضحك فقال الحجاج أليس قد (بلغني انك لم تضحك قط قال كيف أضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت) قال فما أضحكك عند القتل قال من جراءتك على الله تعالى ومن حلم الله عنك رواه المزي في التهذيب من طريق عون بن أبي شداد العبدي قال بلغني ان الحجاج لما ذكر له سعيد فساق القصة مطولة (وقال رجل للحسن) البصري رحمه الله تعالى (يا أبا سعيد كيف أصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسألني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا السفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت) بهم (سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على أي حال يكون قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن حالي أشد من حالهم) نقله صاحب القوت (و) يروى انه (دخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز) الاموي (على عمر رحمه الله تعالى فسلمت عليه ثم قامت الى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها فرقدت فاستبكت في منامها) أي انتبهت باكية مذعورة فسئلت عن ذلك (فقالت يا أمير المؤمنين اني والله رأيت عجبا قال وماذاك قالت رأيت النار وهي تزفر على أهلها) أي تلتهب وتصوت (ثم جيء بالصراط فوضع على متنها) أي ظهرها (فقال هيه) بالكسر كلمة استزادة (قالت فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى الى جهنم) أي سقط فيها (فقال) عمر (هيه) أي زيدي (قالت ثم جيء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى الا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى فقال عمر هيه قالت ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفأ به الصراط فهوى فقال عمر هيه قالت ثم جيء بك والله يا أمير المؤمنين فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة خر) منها (مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في أذنه يا أمير المؤمنين اني رأيتك والله حتى نجوت اني رأيتك والله حتى نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه) أخرجه أبو نعيم في الحلية (ويحكى ان أويسا) بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو (القرني رحمه الله تعالى كان يحضر عند القاص) فيسمعه (فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ أويس) من شدة خوفه (ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون) وما به جنون وانما هو الخوف من النار وقد تقدم هذا وما يتعلق باويس رحمه الله تعالى مطولا (وقال معاذ بن جبل) رضي الله عنه (ان المؤمن لا تسكن روعته حتى يترك جسر جهنم وراءه) نقله صاحب القوت (وكان طاوس) بن كيسان اليماني التابعي (يفرش له الفراش فيضطجع ويتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى)

ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين * وقال الحسن البصرى رحمة الله يخرج من النار رجل بعد ألف عام ياليتنى كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة وروى انه ماضحك أربعين سنة قال وكنت اذا رأيته قاعدا كأنه أسير قد قدم لتضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها فاذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه وعوتب فى شدة حزنه وخوفه فقال لا يؤمننى أن يكون الله تعالى قد اطلع فىّ على بعض ما يكره فمقتنى فقال اذهب فلا غفرت لك فانا أعمل فى غير معتمل * وعن ابن السماك قال وعظت يوما فى مجلس فقام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالى أن لا نسمع غيرها قلت وماهى رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما فى الجنة أو فى النار ثم غاب عنى ففقدته فى المجلس الآخر فلم أره فسألت عنه فاخبرت انه مريض يعاد فاتيته أعوده فقلت يا أخى ما الذى أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما فى الجنة أو فى النار قال ثم مات رحمه الله فرأيته فى المنام فقلت يا أخى ما فعل الله بك قال غفر لى ورحمنى وأدخلنى الجنة قلت بماذا قال بالكلمة فهذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء والصالحين ونحن أجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة والافليس أمننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسأل الله تعالى ان يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب انا اذا أردنا المال فى الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبرارى وخاطرنا وان أردنا طلب رتبة العلم تفقهنا وتعبنا فى حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد فى طلب أرزاقنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس فى بيوتنا فنقول اللهم

كناية عن كثرة التقلب والاضطراب (ثم يثب) عنه قائما (فيدرجه) أى يطويه (ويستقبل القبلة) راكعا ساجدا تاليا (حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين) عن أعينهم (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (يخرج من النار رجل بعد ألف عام وياليتنى كنت ذلك الرجل) يقول هذا وهو امام العلماء (وانما قال ذلك لخوفه) الشديد (من الخلود) فى الابدية (وسوء الخاتمة) قال فبعد ان أخرج منها بوقت لا أبالى كذا فى القوت (و) عن مشاهدة معنى ما تقدم كان خوف الحسن وحزنه حتى (روى انه ماضحك أربعين سنة قال) الراوى (وكنت اذا رأيته قاعدا كانه أسير قد قدم ليضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الآخرة) أى يشاهدها رأى العين (فيخبر عن مشاهدتها فاذا سكت كان النار تسعر بين عينيه وعوتب فى شدة حزنه فقال ما يؤمننى ان يكون الله تعالى قد اطلع على فى بعض ما يكره فمقتنى فقال اذهب فلا غفرت لك فانا أعمل فى غير معمل) كذا فى القوت (وعن) أبى العباس محمد بن صبيح (ابن السماك) البغدادى الواعظ (قال وعظت يوما فى مجلس فقام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالى ان لا نسمع غيرها قلت وماهى رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما فى الجنة أو فى النار ثم غاب عنى فتفقدته فى المجلس فلم أره فسألت عنه فاخبرت انه مريض يعاد فاتيته أعوده فقلت له يا أخى ما الذى أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما فى الجنة أو فى النار ثم مات رحمه الله فرأيته فى المنام فقلت يا أخى ما فعل الله بك قال غفر لى ورحمنى وأدخلنى الجنة قلت بماذا قال بالكلمة) أى التى ذكرت وقد بشر العلاء بن زياد العدوى بالجنة وكان من العباد فغلق عليه بابه سبعا ولم يذق طعاما وجعل يبكى ويقول أنا فى قصة طويلة حتى دخل عليه الحسن فجعل يعذله فى شدة خوفه وكثرة بكائه وقال يا أخى من أهل الجنة ان شاء الله تعالى أفاتل نفسك فما طمنك برجل يعذله الحسن فى الخوف وقد كان من فوقهم من علية الصحابة يتمنون انهم لم يخلقوا بشرا وكانوا قد بشروا بالجنة يقينا فى غير خبر كما تقدم قريبا من أقوالهم الدالة على ذلك (فهذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء) والصالحين (ونحن أجدر بالخوف منهم) و (لكن ليس الخوف) يكون (بكثرة الذنوب) ولو كان كذلك لكنا أكثر خوفا منهم (بل) انما يكون (بصفاء القلوب وكمال المعرفة) وشدة التعظيم لله عز وجل (والافليس أمننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا) فعميت بصائرنا (فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا) ولا وعظ الواعظين يؤثرفينا (فنسأل الله تعالى ان يتدارك بفضله وجوده أحوالنا) مما فرطنا فيه (فيصلحنا ان كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد) والتزود للمعاد (ينفعنا ومن العجائب انا اذا أردنا المال فى الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبرارى) والقفار (وخاطرنا) بانفسنا وأموالنا (وان أردنا رتبة العلم تفقهنا وتعبنا فى حفظه وتكراره وسهرنا) فى تحصيله (ونجتهد فى طلب أرزاقنا) بكل ممكن (ولا نثق بضمان الله لنا) يشير الى قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وقوله تعالى لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (ولا نجلس فى بيوتنا فنقول اللهم

ارزقنا ثم اذا طمعت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا بان نقول بألسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذى اليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا
ويقول وان ليس للانسان الاما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور ويا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم ثم كل ذلك لاينهنا ولا يخرجنا عن
أودية غرورنا وأمانينا فما هذه الامحنة هائلة ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسأل الله تعالى ان يتوب علينا بل
نسأله ان يشوق الى التوبة سرائر قلوبنا وان لايجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا
سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان أعظم من هذا فنسأل الله تعالى ان يمن علينا
بالتوفيق والرشد بمنه وفضله ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي والكثير منه وان أفيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد صدق الراهب الذى حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار العباد انه رآه على بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقأ دمعه من كثرة البكاء فقال عيسى لما رأيته هالني منظره فقلت أيها الراهب أوصني بوصية احفظها عنك فقال يا أخي بماذا أوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف ان يغفل فتفترسه السباع أو يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو فى المخافة ليله وان أمن المغترون وفى الحزن نهاره وان فرح البطالون ثم ولى
وتركني فقلت لو زدتني شيأ عسى ينفعني فقال الظمآن يجزيه من الماء أيسره وقد صدق فان القلب الصافي وانت
يحركه أدنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي أن يظن انه تقدير بل هو
تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحونا باصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر
والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان غفلت عنها لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء
ووضعت فى قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدقت بك فى قبرك وانما هى
صفاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك صورها فان أردت أن تقتلها وتقهرها

ارزقنا ثم اذا طمعت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم) الذى لا يحول ولا يزول (قنعنا بان نقول بالسنتنا
اللهم اغفر لنا وارحمنا والذى اليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الاما سعى)
وان سعيه سوف يرى (ولا يغرنكم بالله الغرور ويا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم ثم كل ذلك
لاينهنا) عن غفلتنا (ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا) الكاذبة (فما هذه الامحنة هائلة) مخوفة
(ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح) أى خالصة (يتداركنا بها ويجبرنا فنسأل الله تعالى ان يتوب
علينا) توبة نصوحا (بل نسأله ان يشوق الى التوبة سرائر قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسؤال
التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول) بلسانه (ولا يعمل) بجوارحه ويسمع باذنه (ولا يقبل) بقلبه (اذا
سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان أعظم من هذا فنسأل
الله تعالى ان يمن بالتوفيق والرشد) والهداية (علينا بمنه وفضله) وكرمه وجوده (ولنقتصر من حكاية
أحوال الخائفين على ما أوردناه فان القليل من هذا يصادف القلب القابل) لما يلقى اليه (فيكفي)
ويغني (والكثير منه وان افيض منه على القلب الغافل فلا يغني) ولا يكفي (ولقد صدق الراهب) أى
العابد من الكتابيين (الذى حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني) منسوب الى خولان بالفتح واسمه
افكل قبيلة من قضاعة نزلت الشام (وكان من خيار العباد انه رآه على باب بيت المقدس واقفا) على
قدميه (كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقأ دمعه من كثرة البكاء فقال عيسى لما رأيته) على الوصف
المذكور (هالني منظره) أى افزعني (فقلت أيها الراهب أوصني بوصية أحفظها عنك فقال يا أخي بماذا
أوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام) أى تناولته من كل طرف
(فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فتفترسه السباع أو يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل
فهو فى المخافة فى ليله وان أمن المغترون وفى الحزن فى نهاره وان فرح البطالون ثم ولى) ذاهبا (وتركني
فقلت) له (لو زدتني شيأ) من هذا الجنس (عسى ينفعني فقال الظمآن يجزيه من الماء شربة) ولو
قليلة وقد صدق الراهب فيما قاله (فان القلب الصافي) الواعي لما يلقى اليه (يحركه أدنى مخافة) ويكفيه
(والقلب الجامد) الكدر (ينبو عنه كل المواعظ) فلا يقبلها (وما ذكره من تقديره انه احتوشته السباع
والهوام فلا ينبغي ان يظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحونا
باصناف السباع وأنواع الهوام) المختلفة الاوصاف والاشكال (مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد
والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان غفلت عنها لحظة الا انك محجوب
العين عن مشاهدتها) فلا تدركها (فاذا انكشف الغطاء) وارتفع الحجاب (ووضعت فى قبرك عاينتها وقد
تمثلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدقت بك) أى
أحاطت (فى قبرك وانما هى صفاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك صورتها فان أردت ان تقتلها وتقهرها

وأنت قادر عليها) فى الدنيا (قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها الصميم قلبك) أى باطنه (فضلا عن ظاهر بشرتك وجسمك والسلام) وبه تم كتاب الرجاء والخوف ولنذكر بعض مايتعلق بمقام الخوف مماذكره أبوطالب المكى فى القوت قال الخوف اسم جامع لحقيقة الايمان وهو علم لوجود الايقان وهو سبب اجتناب كل نهى ومفتاح كل أمر وليس يحرق شهوات النفوس ويزيل آثارها الا مقام الخوف وقدقال ذوالنون المصرى لايسقى المحب كاس المحبة الامن بعدان ينضج الخوف قلبه وقال سهل كمال الايمان بالعلم وكمال العلم بالخوف وقال مرة العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة وكل مؤمن بالله خائف ولكن خوفه على قدر قربه وشكا واعظ الى بعض الحكماء ألاترى الى هؤلاء أعظهم واذكر فلا يرقون فقال كيف ينتفع بالموعظة من لم يكن فى قلبه من الله مخافة وقدقال الله تعالى فى تصديق ذلك سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى أى يتجنب التذكرة الشقى فجعل من عدم الخوف شقيا وحرمه التذكرة فخوف عموم المؤمنين بظاهر القلب عن ظاهر العلم بالعقل وخوف خصوصهم وهم الموقنون بباطن القلب عن باطن العلم بالوجد فاما خوف اليقين فهو للصديقين من شهداء العارفين عن مشاهدة ما أمر به من الصفات المخوفة وقدجاء فى الخبر ان العبد اذا أدخل فى قبره لم يبق شئ كان يخافه دون الله تعالى الامثل له يفزعه و يرعبه الى يوم القيامة فاول خوف اليقين المحاسبة للنفس فى كل وقت والمراقبة للرقيب فى كل حين والورع عن الاقدام على الشبهات من كل شئ من العلوم بغير يقين بها ومن الاعمال بغير فقه فيها ثم سجن اللسان وخزن الكلام ان لايدخل فى دين الله ولافى العلم مالم يشرعه الله فى كتابه أو يذكره الرسول فى سنته اولم ينطق به الائمة من السلف فى سيرهم مما لم يكن أصله موجودا فى الكتاب والسنة وتسميته واضحة فى العلم فيجتنب ذلك كله ولا يقف ماليس له به علم خوفا من المساءلة عنه ولايدخل فيه لدقيق هوى يدخل عليه ولالعظيم حظ دنيا يدخل فيه وان ينصح نفسه لله لانها أولى الخلق ثم ينصح الخلق فى الله وثمرة الخوف العلم بالله والحياء من الله وهو أعلى مثوبات أهل المزيد وأكثر مايقع سوء الخاتمة بثلاثة طوائف أهل البدع والزيغ فى الدين لان ايمانهم مرتبط بالمعقول فاول آية تظهر لهم من قدرة الله تعالى ان يطيح عقله عند معاينتها فيذهب ايمانه ولايثبت اشهادتهما كما تحترق الفتيلة فيسقط المصباح الطبقة الثانية أهل الكبر والانكار لآيات الله وكراماته لاوليائه فى الحياة الدنيا لانهم لم يكن لهم يقين يحمل القدرة وعدم الايمان فيعتورهم الشك ويقوى عليهم لفقد اليقين والطبقة الثالثة ثلاثة أصناف متطرقون متفاوتون فى سوء الخاتمة وجميعهم دون تينك الطائفتين فى سوء الخاتمة لان سوء الختم على مقامات أيضا كمقامات اليقين والشرك فى عمر الحياة منهم المدعى المتظاهر الذى لم يزل الى نفسه وعمله ناظرا والفاسق المعلن والمقر المدمن تتصل بهم المعاصى الى آخر العمر ويدوم تقلبهم فيها الى كشف الغطاء فاذا رأوا الآيات تابوا الى الله بقلوبهم وقد انقطعت أعمال الجوارح فليس يتأثرمنهم فلاتقبل توبتهم ولاتقال عثرتهم ولاترحم عبرتهم وقدكان عبدالواحد بن زيد يقول ماصدق خائف قط ظن أنه لايدخل النار وماظن أنه يدخل النار الاخاف ان لايخرج منها أبدا وكان سهل يقول خوف التعظيم من ميراث خوف السابقة وقال زهير بن نعيم البابى ما أكثرهمى ذنوبى انما أخاف ماهو أعظم على من الذنوب ان أسلب التوحيد وأموت على غيره وروى ابن المبارك عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة قال كان رجل يعتزل الناس انما هو وحده فجاءه أبوالدرداء فقال أنشدك الله ماحملك على ان تعتزل الناس قال انى أخشى ان يسلب دينى وأنالاأشعر قال أترى فى الحى مائة يخافون ماتخاف فلم يزل ينقص حتى بلغ عشرة قال فحدثت بذلك رجلا من أهل الشام فقال ذلك شرحبيل بن السمط هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سفيان الثورى يلتفت الى حماد بن سلمة فيقول ياأباسلمة ترجو لمثلى العفو او يغفر لمثلى فيقول له حماد نعم أرجوله وكان بعض السلف يقول لوانى أعلم

وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها الصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك والسلام

انه يختم له بالسعادة كان أحب الى مما طلعت عليه الشمس فى حياتى اجعله فى سبيل الله وقال بعض العارفين ان الله تعالى اذا أعطى عبدا معرفة ثم لم يشكره عليها ولم يحسن معاملته بها لم يسلبه اياها بل أبقاها عليه ليحاسبه على قدرها ولكن يرفع منه البركة ويقطع عنه المزيد فمثل عيش هذا فى الدنيا كمثل البخيل الغنى يعيش عيش الفقراء ويحاسب حساب الاغنياء كذلك العالم البطال يحيا حياة الجهال ويحاسب غدا محاسبة العلماء ومن أعلى المخاوف خوف سلب الايمان الذى هو عنده وديعة وفى خزانة المؤمن يظهره كيف شاء ويبديه ويعيده الى الغيب متى شاء ويخفيه ذلك من صفة المكر وحكم الماكر وكثافة الستر ولطف الساتر لاتدرى أهبة وهبه لك فيبقيه عليك بكرمه وفضله أم وديعة وعارية أودعك اياه وأعارك فيأخذه اذ لامحالة بحكمته وعدله وقد أخفى عنك حقيقة ذلك واستأثر بعاقبته وكان يحيى يقول ينبغى ان يشغلك خوف قوت تأكله لاتدرى احلال هو ام حرام عن تمنى الفضول وينبغى ان يشغلك خوف ذهاب الايمان عن تمنى درجات الابدال فاذا لم تعطها استقللت ماقد أعطيت وأنت قد أعطيت خير شئ فى خزائن الله الايمان به ولعمرى ان الخوف على فقد الايمان علامة الغبطة بوجوده وقال بعض العارفين انما قطع بالقوم عند الوصول وقال آخر وانحطراه ومن المخاوف خوف قطع المزيد من علم الايمان مع تبقية المعرفة المبتدأة تكون مستدرجا بها ممنوعا من المزيد وقد لايكون بها مدرجا الا ان توقف المزيد عنه هو لعلة واقفة من الهوى فيه وقد يقسى قلبه ويجرى عنه وذلك من النقصان الذى يعرفه أهل التمام لان عين الوجه من الملك للدنيا وعين القلب من الملكوت للآخرة فيمنعه ماينفعه عنده ويعطيه مايضره به ويفتتن عند الخلق كمن أعطى الصف المأكول وقال مجاهد ان الرجل لتبكى عيناه وقلبه أقسى من الجماد وقال مالك بن دينار قرأت فى التوراة اذا استكمل العبد النفاق ملك عينه فيبكى كما شاء وسئل أبو محمد سهل هل يعطى الله أحدا من المؤمنين من الخوف زنة مثقال فقال من المؤمنين من يعطى من الخوف وزن جبل أحد قيل فكيف يكون حالهم يأكلون وينكحون وينامون قال نعم يفعلون ذلك والمشاهدة لاتفارقهم قيل له فاين الخوف قال يحمله بحجاب القدرة بلطيف الحكمة ويستتر القلب تحت الحجاب فى التصريف بصفات البشرية فيكون مثل هذا العبد مثل المرسلين وقال أيضا الخوف مباينة النهى والخشية الورع والاشفاق هو الزهد وكان يقول دخول الخوف على الجاهل يدعوه الى العلم ودخوله على العالم يدعوه الى الزهد ودخوله على العامل يدعوه الى الاخلاص فقد صار الخوف يصلح للكافة اذ دخوله على العام يخرجه عن الحرام ودخوله على الخاص يدخله فى الورع والزهد وقال أيضا الاخلاص فريضة لاتنال الا بالخوف ولا ينال الخوف الا بالزهد وقال انه لايصح علم الرجاء الا للخائف يعنى لتعتدل شهادتاه بتقدمة الخوف فيكون بشهادته قائما واخلاء قلبه من الخوف وانفراده بحال الرجاء يخرجه الى الامن والاغترار وكان يقول الخوف ذكر والمحبة أنثى ألا ترى ان أكثر الناس يدعون المحبة يريد بهذا ان فضل الخوف على الرجاء كفضل الذكر على الانثى وهو كما قال لان الخوف حال العلماء والرجاء وصف العمال ففضله عليه كفضل العلم على العمل وكان الحسن يقول ماعبد الله بشئ أفضل من طول الحزن والخوف وقال بعض السلف حسبك من الخوف اجتناب المعاصى وكان الثورى يقول ماأحب انى عرفت الامر حق معرفته اذا الطاش عقلى ومما يدلك على ان الخوف اسم لحقيقة العلم بالله تعالى ان فى احدى القراءتين من قراءة أبى أو عبد الله فى معنى قوله تعالى فخشينا ان يرهقهما طغيانا فخاف ربك قال الفراء معناه فعلم ربك وقال الخوف من أسماء العلم ومن معنى هذا أيضا سمى الحياء بمعنى الخشية وهى من الخوف فجعل الحياء اسم الخشية ومن ذلك فسر قوله تعالى وتخشى الناس اى تستحييهم ومما يدل على باطن الخوف كثرة الاستغفار فى كل حال والخوف من يسير الاعمال ومن نقل عنه المخافة من حقير الامر الذى لعله والله أعلم زنة ذرة من الشر أكثر من أن يحصى كما روى ان رجلا قال لعطاء السلمى ماهذا

الخوف كله قال لعظيم فقلت وماهو قال اصطدت حماما لجارتي منذ أربعين سنة فانا أبكي منذ ذلك أماني قد تصدقت بثمنه مرات وقال ضيغم الراسبي ذنب أذنبته أنا أبكي عليه منذ أربعين سنة وذلك انه زارني أخ لي فاشتريت سمكا بدانق فاراد أن يغسل يده فأخذت قطعة طين من حائط جاري فغسلت به يده وقال آخر تكلمت بكلمة أنا أبكي عليها منذ كذا قيل وماهي قال رأيت درهما في يد رجل فقلت هذا الدرهم جرجاني ولعله لم يضرب بجرجان وقال بعضهم وصفت لنا امرأة من العوابد فاتينا منزلها فاذا هي قد غلقت بابها لايدخل عليها أحد فسألنا عنها فقيل لنا هي تبكي في جوف بيت قد غلقت عليها الباب منذ ثلاثة أيام لاندري ماشأنها قال فسألناها بعد وقت فقالت قتلت نملة هذا لانه قيل ان الابرار لايؤذون الذر ولا يقتلون النمل و بكى نصر بن حرب على معصية ثلاثين سنة والى هنا انتهى بنا الكلام على مقام الخوف والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قال مؤلفه نجز من تحريرذلك في الساعة الثالثة من ليلة الاحد سابع عشري شهر رمضان من شهور سنة ١٢٠٠ وهي ليلة القدر على يد العبد لله أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه بمنه وكرمه أقول قولي هذا وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم

(بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر)

الحمد لله الذي أظهر من آثار جلال كبريائه ماحير مقل العيون من عجائب قدرته * وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغا الى بلوغ غاية ملكوته ومدى سلطنته * هو الله الحق المبين * أحق وأبين مما ترى العيون * لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها * ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلا أحمده على ماوفق من الطاعة وزادعنه من المعصية * وأسأله لمنته تماما و بحبله اعتصاما واشهد ان لااله الاهو وأن محمدا عبده الذي أرسله داعيا الى الحق شاهدا على الخلق * فبلغ رسالات ربه غير وان ولامقصر * وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولامعذر * امام من اتقى * و بصر من اهتدى * اختاره من كرماء الانبياء * ومشكاة الضياء وذؤابة العلياء * وسرة البطحاء * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مصابيح الظلمة و ينابيع الحكمة وسلم تسليما كثيرا و بعد فهذا شرح *(كتاب الفقر والزهد)* وهو الرابع من الربع الرابع الموسوم بالمنجيات من كتب الامام حجة الاسلام قطب الائمة الاعلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي تغمده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحة جنانه * سلكت فيه طريق الايضاح لحل ألفاظه الانيقة الرائقة * وفك معانيها البديعة الشائقة * بحيث تسفر مطالبه * وتعذب مشاربه * وتورق أغصان آماله وتطلع كواكب اقباله * وتظهر منه خبايا الاسرار * وتبدو خفايا حقائقه من وراء الاستار * شافي بيانه تلين به جلامد القلوب القاسية * وصادق برهانه تتصدع به أفئدة النفوس القاصية * وعلى الله الكريم جل شأنه مساعفة الآمال * وحسن التسديد في الاقوال والافعال قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي تسبح له الرمال) جمع الرمل معروف والتسبيح تنزيه الله تعالى وأصله المر السريع في العبادة وجعل ذلك في فعل الخير كما جعل الابعاد في الشر فقيل أبعده الله وجعل التسبيح عاما في العبادات قولا كان أوفعلا أونية وقوله تعالى وان من شئ الايسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم كقوله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واليه أشار المصنف بقوله (وتسجد له الظلال) جمع الظل هو الفيء وقيل أعم من الفيء و يجمع أيضا على اظلال وظلول وأظلة والاخير جمع الجمع وهذا يقتضي ان يكون تسبيحا على الحقيقة وسجودا له على وجه لانفقهه بدلالة قوله ولكن لاتفقهون تسبيحهم ودلالة قوله ومن فيهن بعد ذكر السموات والارض ولايصح ان يكون تقديره يسبح له من في السموات و يسجد له من في السموات لان هذا

(كتاب الفقر والزهد وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي تسبح له الرمال وتسجد له الظلال

ممانفقهه ولانه محال ان يكون ذلك تقديره ثم يعطف عليه بقوله ومن فيهن والاشياء تسبح وتسجد بعضها
بالتسخير وبعضها بالاختيار ولاخلاف فى ان السموات والارض والدواب مسبحات بالتسخير من حيث
ان أحوالها تدل على حكمة الله تعالى وانما الخلاف فى والارض هل تسبح باختيار والآية
تقتضى ذلك وقوله تعالى يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون أى انشاؤه يدل على
وحدانية الله وينبئ عن حكمته وقال الحسن فى قوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال أما ظلالك
فيسجد وأما أنت فتكفر به (وتندكدك من هيبته الجبال) أى تندق وتنهدم حتى تصير بمنزلة الارض
اللينة واليه الاشارة بقوله تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله (خلق الانسان) أى آدم عليه السلام وبنوه
(من الطين اللازب) أى اللاصق تقول منه لزب لزوبا وهو كما قال الله تعالى انا خلقناهم من طين لازب
(والصلصال) وهو الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلصل اذا جف فاذا طبخ بالنار فهو الفخار وقيل هو
الطين المنتن من قولهم صل اللحم اذا تغيرت رائحته والى كل منهما الاشارة بقوله تعالى خلق الانسان من
صلصال كالفخار وقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون وقيل صلصال أصله
صلال فقلبت احدى اللامين صادا (وزين صورته) وهى ما تنتقش به الاعيان وتتميز به عن غيرها وذلك
ضربان أحدهما محسوس تدركه الخاصة فقط كالصورة التى اختص بها الانسان من العقل والفهم
والروية والمعانى التى خص بها وكانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل ما فى العالم (باحسن تقويم
وأتم اعتدال) واليه الاشارة بقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وتقويم الشئ تثقيفه
والاعتدال توسط حال بين حالين فى كم أو كيف وكل ما تناسب فقد اعتدل (وعصم قلبه بنور الهداية)
أى حفظه به (عن ورطات الضلال) أى من الوقوع فيها كما قال تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو
على نور من ربه والورطات محركة جمع الورطة بسكون الراء اسم لما ضاق وشق وقد يعبر بها عن الهلاك
والاصل فيها الوحل يقع فيه الغنم فلا يقدر على التخلص وقيل أصلها أرض مطمئنة لا طريق فيها يرشد
الى الخلاص والضلال العدول عن الطريق المستقيم عمدا أو سهوا قليلا أو كثيرا (وأذن له فى قرع باب
الخدمة بالغدو والآصال) وهو ايتاء الصلوات الخمس فانه طاعة المولى عز وجل وخدمته ومن سهل له فيه
فقد أذن فى قرع باب خدمته (ثم كحل بصيرة المخلص فى خدمته) بان لم يشرك فيها أحدا سواه (بنور
العبرة) اسم من الاعتبار (حتى لاحظ بضيائه حضرة الجلال) فالحق تعالى بذاته نور لا يدرك ويدرك به
ومن حيث أسماؤه نور يدرك فاذا تجلى للقلب من حيث كونه يدرك به شاهدت البصيرة المنورة الاغيار
بنوره فان الانوار الاسمائية من حيث تعلقها بالكون مخالطة بسواه (فلاح له من البهجة) أى حسن اللون
وظهور السرور (والبهاء) أى الجمال وحسن الهيئة (والكمال) أى الانتهاء الى غاية ليس وراءها
مزيد (ما استقبح دون مبادى اشراقه) أى فيما يشرق من أنواره فى أوائله (كل حسن وجمال) صار
مشاهداله فى الظاهر (واستثقل كل ما صرفه) أى منعه وحجبه (عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال)
أى عده ثقيلا الى الغاية كما هو شان كل صارف عن الشهود (وتمثل له ظاهر الدنيا) فيما يراه بعين البصر
(فى صورة امرأة جميلة) حسناء (تميس) فى بردها (وتختال) أى تعجب بنفسها مرحا (وانكشف له
باطنها) بعين البصيرة (عن عجوز شوهاء) قبيحة الخلقة هتماء (عجنت من طينة الخزى) أى الذل
والانكسار والهوان (وضربت فى قالب النكال) أى طبعت عليه والقالب بفتح اللام ومنهم من يكسرها
والنكال العقوبة الغليظة (وهى متلفعة بجلبابها) يقال تلفعت المرأة بمرطها مثل تلحفت زنة ومعنى
والتفعت كذلك (لتخفى قبائح أسرارها بلطائف السحر) أى الخداع والتخييلات التى لا حقيقة لها
(والاحتيال) افتعال من الحيلة وهى ما يتوصل به الى حالة ما من خفية وكثيرا استعماله فيما فى تعاطيه خبث
(وقد نصبت حبائلها) جمع حبيلة وهى الاحولة التى ينصبها الصائد (فى مدارج الرجال) أى فى مسالكهم

وتندكدك من هيبته الجبال
خلق الانسان من الطين
اللازب والصلصال وزين
صورته باحسن تقويم
وأتم اعتدال وعصم قلبه
بنور الهداية عن ورطات
الضلال وأذن له فى قرع
باب الخدمة بالغدو
والآصال ثم كحل بصيرة
المخلص فى خدمته بنور
العبرة حتى لاحظ بضيائه
حضرة الجلال فلاح له من
البهجة والبهاء والكمال
ما استقبح دون مبادى
اشراقه كل حسن وجمال
واستثقل كل ما صرفه عن
مشاهدته وملازمته غاية
الاستثقال وتمثل له ظاهر
الدنيا فى صورة امرأة جميلة
تميس وتختال وانكشف
له باطنها عن عجوز شوهاء
عجنت من طينة الخزى
وضربت فى قالب النكال
وهى متلفعة بجلبابها لتخفى
قبائح اسرارها بلطائف
السحر والاحتيال وقد
نصبت حبائلها فى مدارج
الرجال

فهى تقتنصهم بضروب المكر والاغتيال ثم لاتجتزى معهم بالخلف فى مواعيد الوصال بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والاغلال وتبليهم بانواع البلايا والانكال فلما انكشف للعارفين منها قبائح الاسرار والافعال زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوها وتركوا التفاخر والتكاثر بالاموال وأقبلوا بكنه هممهم على حضرة الجلال واثقين منها بوصال ليس دونه انفصال ومشاهدة أبدية لايعتريها فناء ولازوال والصلاة على سيدنا محمد سيد الانبياء وعلى آله خير آل * (أما بعد) * فان الدنيا عدوة لله عز وجل بغرورها ضل من ضل وبمكرها زل من زل فحبها رأس الخطايا والسيئات وبغضها أم الطاعات وأس القربات وقد استقصينا مايتعلق بوصفها وذم الحب لها فى كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه رأس المنجيات فلا مطمع فى النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها لكن مقاطعتها اما ان تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا * واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة فى نيل السعادات وحظ فى الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما ونذكر الفقر فى شطر من الكتاب والزهد فى شطر آخر منه ونبدأ بذكر الفقر (الشطر الاول من الكتاب

حيث يدرجون (فهى تقتنصهم بضروب) أى أنواع (المكر) أى الخداع (والاغتيال) افتعال من الغيلة بالكسر وهو الاخذ على غرة (ثم لاتجتزى) أى لاتكتفى (معهم بالخلف فى مواعيد الوصال) أى تعدهم بوصالها وتمنيهم ثم تخالف موعدها معهم ويا ليتها لو اكتفت على هذا القدر لا (بل تقيدهم مع قطع) حبال (الوصال بالسلاسل والاغلال) جمع الغل بالضم وهو طوق من حديد يجعل فى العنق (وتبليهم بانواع البلايا والانكال) جمع نكل بالكسر القيد الشديد أو جمع نكالة بالضم مانكلت به غيرك كائنا ما كان (فلما انكشف للعارفين منها قبائح الاسرار) مما تبطنه (والافعال) مما تظهره (زهدوا فيها) أى رغبوا عنها يقال زهد فى الشئ زهدا وزهادة اذا رغب عنه (زهد المبغض لها) العارف بقبائحها (فتركوها) ولم يلتفتوا اليها (وتركوا التفاخر والتكاثر بالاموال وأقبلوا بكنه هممهم) أى خالصها (على حضرة الجلال) وهى حضرة الحق سبحانه باعتبار احتجابه عنا بعزته (واثقين منها بوصال) دائم (ليس دونه انفصال) أى انقطاع (ومشاهدة أبدية) أى مطالعة لصورة الجمال بصلة الدوام (لايعتريها فناء ولازوال) أى نقصان من حدها والافقد يقع التفات الى ما ارتقى عنه من مقام فيكون غينا على القلب (والصلاة) الكاملة (على سيدنا) ومولانا (محمد) أبى القاسم (وعلى آله) وصحبه (خير) صحب (وآل) وسلم تسليما كثيرا كثيرا (أما بعد فان الدنيا عدوة لله عز وجل) وعدوة لاوليائه كما كتبه عمر بن عبد العزيز الى بعض ولاته وقد تقدم فى كتاب ذم الدنيا (بغرورها ضل من ضل) عن الصراط المستقيم (وبمكرها) أى خداعها (زل من زل) عن المنهج القويم (فحبها رأس الخطايا والسيئات) كما ورد فى الخبر حب الدنيا رأس كل خطيئة ويروى ذلك أيضا من قول عيسى عليه السلام وقد تقدم (و) انما كان كذلك لانه كان أساسها فينبغى فى دليله ان يكون (بغضها أم الطاعات وأس القربات) ولكن لايسع العامة لانهم مرادون بالعمارة وصلح ذلك لنفر من الخاصة لان نقصان عددهم من الكافة لاينقص عمارة الدنيا اذ المراد عمارتها باهلها من أهل الهوى والشهوات (وقد استقصينا مايتعلق بوصفها وذم الحب لها فى كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات) فليراجع هنالك (ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه رأس المنجيات) وأساسها (فلا مطمع فى النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا) أى عن أعراضها (والبعد منها ولكن مقاطعتها) لايخلو (اما ان تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة فى نيل السعادات) الاخروية (وحظ فى الاعانة على الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما ونذكر الفقر فى شطر من الكتاب والزهد فى شطر آخر منه ونبدأ بذكر الفقر) وانما بدأ بذكر الفقر بناء على تقدم وجود أصله فى كل مخلوق كما يشير اليه قوله تعالى والله الغنى وأنتم الفقراء والزهد عارض من جهة عدم ميله الى الغنى المضر لوصول نيله

(الشطر الاول من الكتاب فى الفقر)

وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان فضيلة خصوص الفقراء وبيان فضل الفقير على الغنى وبيان آداب الفقير فى فقره وبيان ادبه فى قبول العطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين) تتضمنها فصول تسعة

فى الفقر) وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان خصوص فضيلة الفقراء وبيان فضيلة الفقير على الغنى وبيان أدب الفقير فى فقره وبيان أدبه فى قبوله العطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين والله الموفق للصواب بلطفه وكرمه

(بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه) اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ماهو محتاج اليه أما فقد مالا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك فى ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود فى ثانى الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده فان كان فى الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغنى المطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس فى الوجود الاغنى واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله الغنى وأنتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا ففقر العبد بالاضافة الى أصناف حاجاته لا ينحصر لان حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال وهو الذى نريد الآن بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذى فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه فى حقه ثم يتصور ان يكون له خمسة أحوال عند الفقر ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم لنتوصل بالتمييز الى ذكر أحكامها *(الحالة الاولى)* وهى العليا ان يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من أخذه مبغضا له ومحترزا من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد *(الثانية)* أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها و يزهد فيه لو أتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا *(الثالثة)* ان يكون وجود المال أحب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان أتاه

صفوا

(بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه)

(اعلم) أغناك الله تعالى (ان الفقر عبارة عن فقد ماهو محتاج اليه) مالا أو غيره (أما فقد مالا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا) فالفقير هو الفاقد المحتاج والفقر هو الفقد والاحتياج قال أهل اللغة هو فعيل بمعنى فاعل وفسروه بقليل المال قال ابن السراج ولم يقولوا فقر أى بالضم لانهم استغنوا عنه بافتقر وقال فى المؤنث فقيرة وجمعها فقراء ومثله سفيه وسفهاء ولا ثالث لهما و يتعدى بالهمزة فيقال أفقرته فافتقر وقال بعضهم الفقر هو عدم الشئ بعد وجوده فهو أخص من العدم لان العدم يقال فيه وفيما لم يوجد بعد ذكره الراغب (واذا فهمت هذا لم تشك فى ان كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود فى ثانى الحال ودوام الوجود مستفاد من فضل الله تعالى فان كان فى الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغنى المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس فى الوجود الاغنى واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام) لما تقدم ان الفقر عبارة عن الفقد والاحتياج ولكن الاحتياج على ضربين احتياج مطلق واحتياج مقيد وقد أشار المصنف الى القسم الاول وهو افتقار العبد الى موجد يوجده واحتياجه الى بقاء بعد الايجاد واحتياجه الى هدايته الى موجده بعد الابقاء وهذا هو الفقر الى الله تعالى لان ايجاده وابقاءه وهدايته بالله تعالى الذى هو واجب بذاته غنى عن الاحتياج الى غيره وهذا الفقر واجب لانه من عقود الايمان بالله والحال الذى ينشأ عن هذه المعرفة شهوده فقره وحاجته على الدوام كشهوده لعبوديته (والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى والله الغنى وأنتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا) قال المصنف فى المقصد الاسنى الغنى هو الذى لا تعلق له بغيره لا فى ذاته ولا فى صفاته بل يكون منزها عن العلاقة مع الاغيار فمن تعلق ذاته أو صفات ذاته بأمر خارج من ذاته يوقف عليه وجوده وكماله فهو محتاج فقير الى الكسب ولا يتصور ان يكون غنيا مطلقا الا الله تعالى (لكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص) وهو الذى اقتصر عليه أئمة اللغة فى تفسيره (والا ففقر العبد بالاضافة الى أصناف حاجاته لا تنحصر لان حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال وهو الذى نريد الآن بيانه فقط) وهذا هو الفقر المقيد الذى هو القسم الثانى من الاحتياج وهو احتياجه الى الوسائل التى تقوم بها ذاته و يستعان على تحصيلها بالمال فالمال هو المفقود المحتاج اليه فى هذه المواضع (فنقول كل فاقد للمال فاما ان نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذى فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه فى حقه ثم يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقد ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم ليتوصل بالتمييز الى ذكر أحكامها الحالة الاولى وهى العليا) المبغض للمال الكاره له (بحيث ان يكون لو أتاه المال لكرهه وتأذى به) وتركه (وهرب من أخذه مبغضا له) ومستثقلا ومستحقرا (ومحترزا من شره وشغله) عما هو الاهم وهو القرب من الله تعالى (و) هذا (هو الزهد) بالضم (واسم صاحبه الزاهد) يقال زهد فيه وعنه زهدا وزهادة بمعنى تركه وأعرض عنه وجمع الزاهد زهاد و يقال للمبالغة زهيد بكسر الزاى وتشديد الهاء وزهد يزهد بفتحتين لغة فيه الحالة (الثانية ان يكون ذلك الفاقد) (بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا) يبغضه ولا (يكرهه كراهة يتأذى بها و يزهد فيه) أى يتركه (لو أتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضيا) الحالة (الثالثة ان يكون وجود المال أحب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه) أى يسرع و يتحرك (بل ان أتاه

صفوا عفوا أخذه وفرح به وان افتقر الى تعب فى طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع
مافيه من الرغبة الضعيفة *(الرابعة)* ان يكون تركه الطلب لعجزه والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب
لطلبه أو هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالحريص *(الخامسة)* ان يكون مافقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعارى الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته فى الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتى بيانه ووراء هذه الاحوال الخمسة حالة هى أعلى من الزهد وهى ان يستوى عنده وجود المال وفقده فان وجد لم يفرح به ولم يتأذ وان فقده فكذلك بل حاله كما كان حال عائشة رضى الله تعالى عنها اذ أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها ما استطعت فيما فرقت اليوم ان تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو ذكرتينى لفعلت فمن هذه حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها فى يده وخزائنه لم تضره اذ هو يرى الاموال فى خزانة الله تعالى لا فى يد نفسه فلا يفرق بين ان
تكون فى يده أو فى يد غيره وينبغى ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغنى لانه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال فى يده وانما هو غنى عن دخول المال فى يده

صفوا عفوا) أى من غير تعب (أخذه وفرح به وان افتقر) الى معالجة (تعب فى طلبه) ومشقة (لم يشتغل به) ولم يلتفت اليه (وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ اقنع نفسه بالموجود) الحاضر (حتى ترك الطلب مع مافيه من الرغبة الضعيفة) الحالة (الرابعة ان يكون تركه الطلب لعجزه) عن تحصيله (والا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه أو هو مشغول بالطلب) فى الحال وصاحب هذه الحالة يسمى الحريص ورغبته هى الرغبة المذمومة وهو من حرص القصار الثوب اذا قشره بالدق الحالة (الخامسة ان يكون مافقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعارى الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيفما كانت رغبته فى الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة) الا انها ليست مذمومة (فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد) وهى الحالة الاولى (والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك) بان يكون كارها للمال مع اضطراره (فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتى بيانه) فى الشطر الثانى وان انضم الى حالة الاضطرار جزع وشكوى حرم ذلك وبين الدرجتين أوساط مختلفة المراتب فاى فقد قارنه رضا أو قناعة كان له فضل الراضى والقانع وان قارنه حرص كان لا له ولا عليه الا ان يجره الحرص الى أخذ المال من شبهة أو حرام فهذا هو الفقر الحرام الذى يستعاذ منه كما سيأتى ثم ان الفقر له لواحق ثلاثة التبتل والغناء والتجريد وقد أشار المصنف الى هذه اللواحق بطريق التلويح فقال (ووراء هذه الاحوال الخمسة حالة هى أعلى من الزهد وهو ان يستوى عنده وجود المال وفقده) وتقرير ذلك انه قد سبق ان الفقد مطلق ومقيد فاعلم ان المطلق يراد لذاته لتعلقه بالله تعالى والمقيد يراد لغيره لتعلقه بالمال والحكمة فى ذلك ان المال لما كان ملهيا عن الله تعالى وشاغلا عن طاعته وميلا بصاحبه الى جانب الترفه ومحرضا له على المعصية أثنى الشرع على الفقر ليتفرغ العباد بالتبتل الى الله تعالى والانقطاع اليه لان حقيقة التبتل الانقطاع الى الله تعالى فمن قطع تعلق قلبه عن الاغيار شغلا به وانقطاعا اليه فهو المتبتل فان وجدنا هذه صفته واستولى ذلك على قلبه حتى صار همه هما واحدا واستوى عنده وجود المال وعدمه (فان وجد لم يفرح به ولم يتأذ وان فقد فكذلك) أى لا يفرحه وجوده ان وجد ولا يحزنه فقده ان فقد (بل حاله) حال الغنى عن دخول المال فى يده وعن بقائه وعن خروجه من يده فانه ليس يتأذى به فيحتاج الى الخروج ولا يفرح به فيحتاج الى البقاء وليس فاقدا له فيحتاج الى الدخول وهذا (كما كان حال عائشة رضى الله عنها اذ أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها ما استطعت فيما فرقت اليوم ان تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو ذكرتنى لفعلت) رواه هشام بن عروة عن أبيه ان معاوية بعث الى عائشة مرة بمائة ألف قال فوالله ماغابت الشمس من ذلك اليوم حتى فرقتها فقالت مولاة لها لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحما فقالت لو قلت لى قبل ان أفرقها فعلت ورواه محمد بن المنكدر التيمى وهو ابن خالة عائشة عن أم درة مولاة عائشة نحو هذه القصة الا أنها قالت بعث اليها ابن الزبير بمال فى غرارتين قالت أراه ثمانين ومائة ألف وقد تقدم ذلك كله فى كتاب ذم الدنيا (فمن هذه حاله فلو كانت الدنيا بحذافيرها) أى بتمامها (فى يده وخزائنه لم يضره اذ هو يرى الاموال فى خزانة الله تعالى لا فى يد نفسه فلا يفرق بين ان تكون فى يده أو فى يد غيره وينبغى ان يسمى صاحب هذه الحالة المستغنى) لا الغنى (لانه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم الغنى المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقاء المال فى يده وانما هو غنى عن دخول المال فى يده

لا عن بقائه فهو اذا فقير من وجه وأما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضا فانه ليس يتأذى به ليحتاج الى اخراجه وليس يفرح به ليحتاج الى بقائه وليس فاقداله ليحتاج الى الدخول في يده فغناه الى العموم أميل فهو الى الغني الذي هو وصف الله تعالى أقرب (٢٦٨) وانما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا ليبقى الغني اسما لمن له الغني المطلق عن كل شيء وأما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا أو عدما فلم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر والله تعالى هو الذي أعتقه من هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لانها بين أصبعين من أصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا واعلم أن الزهد درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا اذ حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا لان الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما أن الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فانه أقرب اليك من حبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه فلا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوات نفسك فكذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى والمشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى

لا عن بقائه فهو اذا فقير من وجه وأما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضا فانه ليس يتأذى به فيحتاج الى اخراجه وليس يفرح به ليحتاج الى بقائه وليس فاقداله ليحتاج الى الدخول في يده فغناه الى العموم أميل فهو الى الغني الذي هو وصف الله تعالى أقرب وانما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان) والمراد بقرب الصفات قرب المرتبة والدرجة وذلك بالسعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها وبه يصير العبد بانيا قريبا من الملأ الاعلى من الملائكة فانهم على بساط القرب فمن ضرب الى شبه من صفاتهم نال شيأ من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم الى الحق سبحانه وتعالى وطلب القرب من الله تعالى بالصفة أمر غامض تكاد تشمئز القلوب عن قبوله والتصديق به وقد تقدم تلويح الى ذلك فيما مضى في مواضع من هذا الكتاب وهذا الذي ذكرناه هو الحظ الثالث من حظوظ المقربين في معاني أسماء الله تعالى (ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنيا بل مستغنيا) وهو اصطلاح من المصنف رحمه الله تعالى انفرد به عمن تقدمه من الشيوخ وذلك (ليبقى الغني اسما لمن له الغني المطلق عن كل شيء وأما هذا العبد فان كان استغنى عن المال وجودا وعدما فلم يستغن عن أشياء اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق) أي بمنزلته (والمستغني عنه حر) أي بمنزلته (والله تعالى هو الذي أعتقه عن هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لانها بين أصبعين من أصابع الرحمن) يقلبها كيف شاء كما ورد ذلك في الخبر وتقدم (فلذلك لم يكن اسم الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا) وقد أشار الى ذلك المصنف في المقصد الاسنى حيث قال والله تعالى هو الغني وهو المغني أيضا ولكن الذي أغناه لا يتصور ان يصير باغنائه غنيا مطلقا فان أقل أموره انه يحتاج الى المغني فلا يكون غنيا بل يستغني عن غير الله تعالى بان يمده الله تعالى بما يحتاج اليه لا بان يقطع عنه أصل الحاجة والغني الحقيقي هو الذي لا حاجة له الى أحد أصلا والذي يحتاج ومعه ما يحتاج اليه فهو غني بالمال وهو غاية ما يدخل في الامكان في حق غير الله تعالى فاما فقد الحاجة فلا ولكن اذا لم تبق حاجة الا الله تعالى سمي غنيا ولو لم تبق أصل الحاجة لما صح قوله تعالى والله الغني وأنتم الفقراء ولولا انه يتصور ان يستغني عن كل شيء سوى الله تعالى لما صح لله تعالى وصف المغني (واعلم ان الزهد درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا اذ حسنات الابرار سيئات المقربين) وهو قول أبي سعيد الخراز وقد تقدم وحاصله ان هذه الحالة هي أعلى الدرجات وهي أعلى من درجة الزهد بل الزهد حال الابرار وهذه حالة المقربين وهذا لان الزاهد (الكاره للدنيا مشغول) عن الله (بالدنيا) أي ببغضها (كما ان الراغب فيها مشغول) عن الله (بها) أي بحبها (والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فانه) تعالى (أقرب اليك من حبل الوريد) كما هو نص القرآن (وليس هو في مكان حتى تكون السموات والارض حجابا بينك وبينه) تعالى الله عن ذلك (فانه أقرب اليك منك فلا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وبشهواتك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوات نفسك فلذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببغض نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى) وما صاحب هذه الحالة فهو المستغرق الذي لا يشغله شيء عن الله

بل كل ماسوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر فى مجلس يجمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى الرقيب والى بغضه واستثقاله
وكراهة حضوره فهو فى حال اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت
اليه فكما أن النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك فى العشق ونقص فيه فكذا النظر الى غير المحبوب لبغضه
شرك فيه ونقص ولكن
أحدهما أخف من الآخر
بل الكمال فى أن لا يلتفت
القلب الى غير المحبوب بغضا
وحبا فانه كما لا يجتمع فى
القلب حبان فى حالة واحدة
فلا يجتمع أيضا بغض وحب
فى حالة واحدة فالمشغول
ببغض الدنيا غافل عن الله
كالمشغول بحبها الا ان
المشغول بحبها غافل وهو فى
غفلته سالك فى طريق البعد
والمشغول ببغضها غافل
وهو فى غفلته سالك فى
طريق القرب اذ يرجى له
أن ينتهى حاله الى أن تزول
هذه الغفلة وتتبدل بالشهود
فالكمال له مرتقب لان بغض
الدنيا مطية توصل الى الله
تعالى فالمحب والمبغض
كرجلين فى طريق الحج
مشغولين بركوب الناقة
وعلفها وتسييرها ولكن
أحدهما مستقبل الكعبة
والآخر مستدبر لها فهما
سيان بالاضافة الى الحال فى
أن كل واحد منهما محجوب
عن الكعبة ومشغول عنها
ولكن حال المستقبل محمود
بالاضافة الى المستدبر اذ
يرجى له الوصول اليها وليس
محمودا بالاضافة الى المعتكف
فى الكعبة الملازم لها الذى لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال بالدابة فى الوصول اليها فلا ينبغى أن تظن ان بغض الدنيا مقصود فى عينه بل
الدنيا عائق عن الله تعالى ولا وصول اليه الا بدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله من زهد فى الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل
الراحة بل ينبغى أن يشتغل بالآخرة فبين ان سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق

تعالى ومن قال ان الغنى أفضل من الفقر فان أراد هذا فهو الصواب وان أراد الغنى بالاعراض الدنياوية
كان زيها فليس ذلك من وصف الله تعالى بل الرب تعالى اذا أراد أن يحجب العبد عن معرفته وطاعته
خوّله بذلك حتى يشغله باخس جزء من الدنيا قال الامام أبو العباس الاقليشى رحمه الله تعالى فمن افتقر
الى الله تعالى الافتقار الحقيقى وسأله الغنى الباقى لا العرضى أغنى نفسه الفقيرة بعلومه المنيرة فاستفاد
وافاد وانفق من مال لا يخاف عليه النفاد فهذا هو الغنى فى الدنيا والآخرة والباقى غناه أبد الآباد ومن
حرم هذا الغنى ولو نال جميع ملك الدنيا فهو فقير ولذلك قيل من جهل الله فهو فقير ولقد أجاد القائل
حيث يقول

ومن ينفق الايام فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

انتهى وهذا القدر كاف فى معرفة حقائق التبتل والغنى الذى الفقر مطلوب لهما وأما التجريد الذى هو
أحد لواحق الفقر فسيأتى بيانه فى آخر الفصل ثم زاد المصنف فى بيان حال كل من المشغولين بالحب
وبالبغض وأكده بتمثال فقال (بل كل ماسوى الله تعالى مثاله مثال الرقيب) وهو المراقب لحال العاشق
المنتظر لتتبع حركاته وسكناته ويعبر عنه بالعاذل (الحاضر فى مجلس) من مجالس السرور واللهو (جمع
العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى حب الرقيب والى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره) فى
ذلك المجلس (فهو فى حالة اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه) لشغله به (ولو استغرقه
العشق) بان ملكه ظاهرا وباطنا (لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه) كما هو شان الاستغراق
(فكما ان النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك فى العشق ونقص فيه فكذا النظر الى
غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص ولكن أحدهما أخف من الآخر) لان المبغض مقبل والراغب مدبر
(بل الكمال فى ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع فى القلب حبان فى حالة
واحدة فلا يجتمع أيضا بغض وحب فى حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالى كالمشغول
بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو فى غفلته سالك فى طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو فى غفلته
سالك فى طريق القرب اذ يرجى له ان ينتهى حاله الى أن تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود) وارتفاع
الحجاب من البين (فالكمال له مرتقب) أى منتظر (لان بغض الدنيا مطية توصل الى الله تعالى) كما ان
حبها مطية توصل الى البعد عن الحضرة الالهية (فالمحب والمبغض كرجلين فى طريق الحج مشغولين
بركوب الناقة وعلفها وتسييرها) وخدمتها (ولكن أحدهما مستقبل الكعبة) بان وجه وجهه اليها
(والآخر مستدبر لها فهما سيان) أى مستويان (بالاضافة الى الحال فى ان كل واحد منهما محجوب
عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى المستدبر اذ يرجى له الوصول اليها
وليس محمودا بالاضافة الى المعتكف فى الكعبة الملازم لها) ليلا ونهارا (الذى لا يخرج منها حتى يفتقر
الى الاشتغال بالدابة) بالعلف والتسيير (فى الوصول اليها فلا ينبغى ان تظن) فى نفسك (ان بغض الدنيا
مقصود فى عينه) أى لذاته (بل بغض الدنيا عائق عن الله) شاغل عن الوصول اليه (ولا وصول اليه
الا بدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (من زهد فى الدنيا واقتصر عليه) أى
صار مشغولا به (فقد استعجل الراحة) لنفسه (بل ينبغى ان يشتغل بالآخرة) نقله صاحب القوت
(فبين) رحمه الله تعالى (ان سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما ان سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق

عن الحج فاذا قد ظهر أن الزهد في الدنيا ان أريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال وان أريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص ونقصان بالاضافة الى درجة المستغني بل الكمال في حق المال أن يستوي عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بان تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك الا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج اليه كما أن الماء محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير بل تقول أشرب منه بقدر الحاجة وأسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أبخل به على أحد فهكذا ينبغي أن يكون المال لان الخبز والماء واحد في الحاجة وانما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر واذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة مادمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى قال أحمد ابن أبي الحواري قلت لأبي سليمان الداراني قال مالك ابن دينار للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركوة التي أهديتها الي فان العدو يوسوس لي أن اللص قد أخذها قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زهد في الدنيا ما عليه من أخذها فبين أن كراهية كون الركوة في بيته التفات اليها سببه الضعف والنقصان فان قلت فما بال الانبياء والاولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار فاقول كما هربوا من الماء على معنى انهم ما شربوا أكثر من حاجتهم ففروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب والروايا يديرونه مع أنفسهم بل تركوه في الانهار والآبار والبراري للمحتاجين اليه لا أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان يستوي عندهم المال والماء والذهب والحجر

عن الحج فاذا قد ظهر ان الزهد في الدنيا ان أريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فهو غاية الكمال فان أريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص ونقصان بالاضافة الى درجة المستغني) بالمعنى الذي سبق (بل الكمال في حق المال ان يستوي عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بان تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيك الا في قدر الضرورة) الداعية (مع ان الماء محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير بل تقول أشرب منه بقدر الحاجة وأسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أبخل به على أحد فهكذا ينبغي أن يكون المال لان الخبز والماء واحد في الحاجة) أي فان كلا منهما يحتاج اليه في دفع الجوع والعطش (وانما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر واذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة مادمت حيا كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى قال أحمد بن أبي الحواري) الدمشقي رحمه الله تعالى (قلت لأبي سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (قال مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركوة التي) كنت (اهديتها الي فان العدو يوسوس لي ان اللص قد أخذها) هكذا هو في القوت ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد الا انه قال الذي أهدى له الركوة هو الحرث بن نبهان الجرمي لا المغيرة وهذا لفظه قال حدثني علي بن مسلم حدثنا سيار حدثنا الحرث بن نبهان الجرمي قال قدمت من مكة فاهديت الى مالك بن دينار ركوة قال وكانت عنده قال فجئت يوما فجلست في مجلسه فقال يا حارث بن نبهان تعال فخذ تلك الركوة فقد شغلت علي قلبي اني اذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال لي يا مالك ان الركوة قد سرقت فقد شغلت علي قلبي ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه (قال أبو سليمان) رحمه الله تعالى (هذا من ضعف قلوب الصوفية) هو (قد زهد في الدنيا ما عليه من أخذها فبين ان كراهية كون الركوة في بيته التفات اليها سببه الضعف والنقصان) في المقام اذ كماله ان لا يبالي من أخذ متاع الدنيا ولفظ القوت فاراد أبو سليمان منه حقيقة الرضا بجريان الاحكام وأراد مالك من نفسه حقيقة الزهد بان يصرف عن قلبه الاهتمام وسيأتي في كتاب التوكل له مزيد بيان (فان قلت فما بال الانبياء) عليهم السلام (والاولياء هربوا من المال) كل الهرب (ونفروا منه كل النفار) وقد استوى عندهم وجوده وعدمه (فاقول قد هربوا من الماء على معنى انهم ما شربوا) منه (أكثر من حاجتهم) اليه في دفع العطش (ففروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب) والروايا (يديرونه مع أنفسهم) أو على ظهورهم (بل تركوه في الانهار والآبار والبراري للمحتاجين اليه لا) على معنى (أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه فقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فاخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان يستوي عندهم المال والماء والذهب والحجر) قال العراقي وهذا معروف وقد تقدم في آداب المعيشة عن البخاري تعليقه مجزوما من حديث أنس أتي النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتي به فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى أحدا الا أعطاه ووصله عمر بن محمد البحيري في صحيحه من هذا الوجه وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف قدم أبو عبيدة بمال من البحرين

ومانقل عنهم من امتناع فاما أن ينقل عمن خاف أن لو أخذه ان يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلاجرم
البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لان كلهم ضعفاء الا الانبياء (٢٧١) والاولياء وأما ان ينقل عن قوى

البحرين فسمعت الانصار قدومه الحديث ولهما من حديث جابر لو جاءنا مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثا فلم يقدم حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم فامر أبو بكر مناديا فنادى من كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أو دين فليأتنا فقلت ان النبي صلى الله عليه وسلم وعدني فحثا لي ثلاثا انتهى قلت وأما سيرة عمر رضي الله عنه فقد روى سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال حدثنا زهير بن حيان قال قال ابن عباس دعاني عمر فاتيته فاذا بين يديه نطع عليه الذهب منثور فقال هلم فاقسم هذا بين قومك والله أعلم حيث زوى هذا عن نبيه وعن أبي بكر فاعطيته لخير أم لشر قال فاكببت عليه أقسم وأزيل قال فسمعت بكاء واذا صوت عمر يبكي ويقول في بكائه كلا والذي نفسي بيده ماحبسه عن نبيه وعن أبي بكر ارادة الشر لهما وأعطاه عمر ارادة الخير له وقال سعيد بن عامر الضبعي قال محمد بن عمرو حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قدمت من البحرين فلقيت عمر فسألني عن الناس فاخبرته ثم قال بم جئت قلت جئت بخمسمائة ألف قال ويحك هل تدري ماتقول قلت نعم قال ارجع فنم فانك ناعس قال فاصبحت فاتيته فقال ماذا جئت به قلت خمسمائة ألف فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد جاءنا مال كثير فان شئتم ان نكيل لكم كيلا وان شئتم ان نعد عدا (ومانيقل عنهم من امتناع فاما ان ينقل عمن يخاف ان لو أخذه ان يخدعه المال) ويزيله عن مقامه (ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات) النفسية (وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال والهرب منه في حقه كمال وهذا حكم جميع الخلق لانهم كلهم ضعفاء الا الانبياء) عليهم السلام (والاولياء) من بعدهم (واما ان ينقل عن قوي بلغ) رتبة (الكمال ولكن أظهر الفرار والنفار نزولا) منه (الى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا) وهذا (كما يفر الرجل بين يدي أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه أنه لو أخذها أخذها أولاده اذا رأوها فيهلكوا والسير بسير الضعفاء ضرورة الانبياء والاولياء والعلماء) اذهم القدوة (فقد عرفت ان المراتب اذا ست وان أعلاها رتبة المستغني) بالمعنى الذي ذكره المصنف اصطلاحا منه (ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص وأما المضطر فيتصور في حقه أيضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الاحوال) كما سبق التلويح اليه واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة) المذكورة ماعدا الاول (أما تسمية المستغني فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة) وهذا المعنى أجل من أن يسمى فقرا بل هو حقيقة العبودية ولبها وعزل النفس عن مزاحمة الربوبية واليه يشير كلام المشايخ كما يأتي بيانه فالفقر الحقيقي دوام الافتقار الى الله تعالى في كل حال وان يشهد العبد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقته الى الله تعالى من كل وجه فالفقر ذاتي للعبد وانما يتجدد له شهوده حالا والا فهو حقيقة كما قال بعضهم الفقر لي وصف ذات لازم أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذاتي واليه أشار المصنف بقوله (فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقربها فانه أحق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر الى الله تعالى) في كل حالاته (فهو أحق باسم الفقير) من غيره (فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم) اللهم اني (أعوذ بك من الفقر) وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات رواه الطبراني من حديث عثمان بن أبي العاص وقد تقدم في الاذكار والدعوات وعند النسائي من حديث أبي سعيد الخدري اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفقر فقال رجل ويعتدلان قال نعم وقد صححه ابن حبان وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة اللهم اني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وروى الطبراني

بلغ الكمال ولكن أظهر الفرار والنفار نزولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل المعزم بين يدي أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه انه لو أخذها أخذها أولاده اذا رأوها فيهلكون والسير بسير الضعفاء ضرورة الانبياء والاولياء والعلماء فقد عرفت اذا أن المراتب ست وأعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص وأما المضطر فيتصور في حقه أيضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الاحوال واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة أما تسمية المستغني فقيرا فلا وجه لها بهذا المعنى بل ان سمي فقيرا فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقربها فانه أحق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف
نفسه بالفقر الى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من الفقر

عن بلال بن سعد عن أبيه مرفوعا اللهم انى أعيذهم بك من الكفر والضلالة والفقر الذى يصيب بنى آدم (وقوله صلى الله عليه وسلم كاد الفقران يكون كفرا) رواه الكشى وابن السكن وصاحب الحلية والبيهقى فى الشعب وابن عدى فى الكامل من حديث يزيد الرقاشى عن أنس مرفوعا وقد تقدم فى ذم الغضب (لا يناقض قوله) صلى الله عليه وسلم (اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا) واحشرنى فى زمرة المساكين رواه عبد بن حميد وابن ماجه من حديث أبى سعيد والشيرازى فى الالقاب من حديث ابن عباس والبيهقى فى الشعب وتمام والطبرانى وابن عساكر والضياء من حديث عبادة بن الصامت ورواه الترمذى وحسنه والبيهقى من حديث أنس بزيادة يوم القيامة ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات فأخطأ ورواه الحاكم من حديث أبى سعيد بزيادة وان أشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة وعند ابن عدى والبيهقى بلفظ اللهم توفنى فقيرا ولا توفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين فان أشقى الاشقياء الخ (اذ فقر المضطر هو الذى استعاذ منه والفقر الذى هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذى سأله فى دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء) والى هذا المعنى يشير كلام الشارح كما سيأتى ذلك مفرقا فى سياق المصنف وهذا الذى يشيرون اليه لا تنافيه الجدة ولا الاملاك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنبياؤه عليهم السلام فى ذروة الفقر مع جدتهم وملكهم كابراهيم عليه السلام كان يكنى أبا الضيفان وكانت له الاموال والمواشى وكذلك كان سليمان وداود عليهما السلام وكذلك كان نبينا صلى الله عليه وسلم قال تعالى ووجدك عائلا فاغنى وكانوا أغنياء فى فقرهم فقراء فى غناهم ثم اعلم ان الفقر الذى هو خلو اليد من المال وسيلة التبتل والانقطاع وهما الوسيلة الى الغنى بالله تعالى وهو تعلق القلب به والغنى بالله وسيلة الى تجريده عما سوى الحق من اعراض وأغراض بل نفس وحال فالتجريد على ثلاث درجات الاولى تجريد عين الكشف عن نسب اليقين وذلك ان اليقين مكسوب فى البداية وموهوب فى النهاية فالتجريد ارتقاء العبد من المكسوب الى الموهوب الثانية تجريد الجمع عن درك العلم لان العالم بالسكر ليس بسكران فهذا حذر من أن يكون عنده علم الحال لا غيبه الثالثة تجريد اخلاص عن شهود التجريد ومقصوده بذلك تجريده عن رؤية تجريده وهذا التقسيم لصاحب منازل السائرين ولا يعجبنى من ذلك الاعتقاد تجريد القدم عن الحدث ويستحب علمه وما ذكرناه هو قربة ومعرفة ومستعان بالنظر الى صفات السلب مثل قل هو الله أحد وليس كمثله شئ وما كنت متخذ المضلين عضدا وما أشبه هذا والله أعلم

(بيان فضيلة الفقر مطلقا)

من الآيات والاخبار والآثار (أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم الآية وقوله للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله) أى حبسوا ومنعوا (لا يستطيعون ضربا فى الارض ساق الكلام فى معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار) أى الصدقات لهؤلاء وكانوا فقراء المهاجرين نحو أربعمائة نفس لم تكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر وكانوا قد حبسوا أنفسهم على الجهاد وكانوا وقفا على كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أهل الصفة هذا أحد الاقوال فى احصارهم فى سبيل الله وقيل هو حبسهم أنفسهم فى طاعة الله وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد وقيل لما عادوا أعداء الله وجاهدوهم احصروا عن الضرب فى الارض لطلب المعاش فلا يستطيعون ضربا فى الارض والصحيح انه لفقرهم وعجزهم وضعفهم لا يستطيعون ضربا فى الارض ولكمال عفتهم وصيانتهم يحسبهم من لم يعرف حالهم أغنياء (وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر) ومن المواضع التى ذكر الله فيها الفقر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية وقوله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله وقوله تعالى رب انى لما أنزلت الى من

خير

وقوله عليه السلام كاد الفقر أن يكون كفرا لا يناقض قوله أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا اذ فقر المضطر هو الذى استعاذ منه والفقر الذى هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تعالى هو الذى سأله فى دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء *(بيان فضيلة الفقر مطلقا)* أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم الآية وقال تعالى للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض ساق الكلام فى معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر

خير فقير والمراد في الآية الاولى والثانية خواص الفقراء وفي قوله انما الصدقات الآية فقراء المسلمين خاصتهم وعامتهم وفي قوله يا أيها الناس الآية الفقر العام لاهل الارض كلهم غنيهم وفقيرهم مؤمنهم وكافرهم وفي الآية الاخيرة الفقر الى الله المشار اليه بقوله اللهم اغنني بالافتقار اليك وبهذا ألم الشاعر بقوله

ويحببني فقري اليك ولم يكن * ليحببني لولا محبتك الفقرا

والفقراء الموصوفون في الآية الثانية يقابلهم أصحاب الجدة ومن ليس محصرا في سبيل الله ومن لا يكتم فقره ضعفا فقابلهم أكثر من مقابل الصنف الثاني والصنف الثاني يقابل أصحاب الجدة ويدخل فيهم المتضعف وغيره والمحصر وغيره والصنف الثالث لا مقابل لهم بل الله وحده الغني وكل ماسواه فقير اليه ومراد المشايخ بالفقر شئ أخص من هذا كله وهو الافتقار الى الله في كل حالة وهذا المعنى أجل من أن يسمى فقرا بل هو حقيقة العبودية ولبها وعزل النفس عن مزاحمة الربوبية كما تقدمت الاشارة اليه

(وأما الاخبار في مدح الفقر فاكثر من أن تحصى) منها (ماروى عبد الله بن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أي الناس خير قالوا) رجل (موسر) أي صاحب مال (يعطي حق الله في نفسه) أي باداء ماافترض الله عليه من الطاعات (وماله) أي باخراج ماافترض عليه من الزكاة (قال) صلى الله عليه وسلم (نعم الرجل هذا وليس به) أي ليس بالذي أريده (قالوا فمن خير الناس يارسول الله قال فقير يعطي جهده) أي طاقته قال صاحب القوت رويناه عن اسمعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر وقال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف مقتصرا على المرفوع منه دون سؤاله لاصحابه وسؤالهم له انتهى قلت هكذا رواه أبو نعيم في الحلية ومن طريقه الديلمي ولفظهما مؤمن فقير يعطي جهده (وقال صلى الله عليه وسلم لبلال) رضي الله عنه (الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا) قال العراقي رواه الحاكم في كتاب علامات أهل التحقيق من حديث بلال ورواه الطبراني من حديث أبي سعيد بلفظ مت فقيرا ولا تمت غنيا اهـ قلت ظاهره انه عند الطبراني من حديث أبي سعيد الخدري وليس كذلك بل هو من رواية أبي سعيد الخدري عن بلال هكذا رواه الطبراني والحاكم جميعا وعندهما زيادة قال وكيف لي يارسول الله بذلك قال اذا رزقت فلا تخبأ واذا سئلت فلا تمنع قال وكيف لي بذلك قال هو ذاك والا فالنار وصححه الحاكم وتعقب وروى الخطيب من حديث عائشة يابلال رددت السائل وهذا التمر عندك ان أردت أن تلقى الله عز وجل وهو عنك راض فلا تخبأ شيأ رزقته ولا تمنع شيأ سئلته (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال) رواه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (وفي الخبر المشهور يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم (وفي حديث آخر باربعين خريفا أي أربعين سنة) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو الا انه قال فقراء المهاجرين ورواه الترمذي من حديث جابر وأنس وقد تقدم في ذم الدنيا (فيكون المراد به) أي باربعين خريفا (تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص و) يكون (التقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب وما ذكرناه) آنفا (من اختلاف درجات الفقر يعرفك بالضرورة تفاوتا بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى الخمسمائة ولا تظنن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجري على لسانه جزافا) أي مجانا (وبالاتفاق) من غير قصد نكتة أوفائدة (بل لا يستنطق صلى الله عليه وسلم الا بحقيقة الحق فانه) صلى الله عليه وسلم (لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهذا) بعينه (كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة) قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي سعيد ورواه هو ومسلم من حديث أبي هريرة وعبادة بن الصامت وأنس بلفظ رؤيا المؤمن جزء الحديث وقد تقدم اهـ قلت قوله جزء من

(وأما الاخبار) في مدح الفقر فاكثر من أن تحصى روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يارسول الله قال فقير يعطي جهده وقال صلى الله عليه وسلم لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام وفي حديث آخر باربعين خريفا أي أربعين سنة فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص والتقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب وماذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرفك بالضرورة تفاوتا بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه نسبة الاربعين الى خمسمائة ولا تظنن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجري على لسانه جزافا وبالاتفاق بل لا يستنطق صلى الله عليه وسلم الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة

فانه تقدير تحقيق لامحالة ولكن ايس فى قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا بتخمين فاما بالتحقيق فلا اذ يعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي
ويفارق به غيره وهو يختص بانواع من الخواص أحدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته والملائكة والدار الآخرة

لا كما يعلمه غيره بل مخالفا
له بكثرة المعلومات وزيادة
اليقين والتحقيق والكشف
والثانى أن له فى نفسه صفة
بها تتم له الافعال الخارقة
للعادات كما أن لنا صفة بها
تتم الحركات المقرونة بارادتنا
وباختيارنا وهى القدرة
وان كانت القدرة والمقدور
جميعا من فعل الله تعالى
والثالث أن له صفة بها
يبصر الملائكة ويشاهدهم
كما أن للبصير صفة بها يفارق
الاعمى حتى يدرك بها
المبصرات والرابع أن له
صفة بها يدرك ماسيكون فى
الغيب امافى اليقظة أوفى
المنام اذ بها يطالع اللوح
المحفوظ فيرى مافيه من
الغيب فهذه كمالات وصفات
يعلم ثبوتها للانبياء ويعلم
انقسام كل واحد منها الى
أقسام وربما يمكننا أن
نقسمها الى أربعين والى
خمسين والى ستين ويمكننا
أيضا أن نتكلف تقسيمها
الى ستة وأربعين بحيث تقع
الرؤيا الصحيحة جزأ واحدا
من جملتها ولكن تعيين
طريق واحد من طرق
التقسيمات الممكنة لايمكن
الا بظن وتخمين فلا ندرى
تحقيقا أنه الذى أراده رسول
الله صلى الله عليه وسلم أم لا
وانما المعلوم مجامع الصفات التى بها تتم النبوة وأصل انقسامها وذلك لا يرشدنا الى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم أن الفقراء
لهم درجات كما سبق فأما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يبق له التقدم باكثر من أربعين سنة الى
الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس فى قوة البشر غير الانبياء الوقوف على ذلك الا بنوع من التخمين ولا وثوق به والغرض التنبيه على

منهاج

ستة وأربعين جزأ هى الرواية المشهورة كما قاله النووى وفى رواية لمسلم من حديث أبى هريرة أيضا من خمسة وأربعين ورواه ابن ماجه بلفظ سبعين وفى حديث ابن عمر جزء من سبعين جزأ وهو فى صحيح مسلم وغيره وقال ابن عبد البر لايختلف فى صحته قال وروى عن ابن عباس مرفوعا مثله وذكر ابن عبد البر أيضا من حديث ابن عمر ومن تسعة وأربعين جزأ وروى من حديث عبادة من أربعة وأربعين وروى ابن عباس عن العباس بن عبد المطلب مرفوعا من خمسين جزأ وروى ابن عبد البر من حديث أنس من ستة وعشرين ومن حديث أبى رزين العقيلى من أربعين جزأ فهذه ثمان روايات أقلها ستة وعشرين وأكثرها سبعين وأصحها وأشهرها ستة وأربعين وهذه الروايات كلها مشهورة فلا سبيل الى أخذ أحدها وطرح الباقى (فانه تقدير تحقيق لامحالة ولكن ليس فى قوة غيره ان يعرف علة تلك النسبة الا بتخمين) وظن (فاما بالتحقيق فلا) اذ ليس فى وسعه ذلك (اذ يعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبى ويفارق به غيره) فلا يشاركه فيه (وهو يختص بانواع من الخواص أحدها أنه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله) تعالى (وصفاته) وأفعاله (والملائكة والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثانى انه له فى نفسه صفة بها تتم له الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بارادتنا واختيارنا وهى القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله تعالى والثالث ان له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم) عيانا فى صورهم (كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى حيث يدرك بها المبصرات والرابع ان له صفة بها يدرك مايكون فى الغيب امافى اليقظة أو فى المنام) أو فيما بينهما (اذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى مافيه من الغيب فهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها الانبياء ويعلم انقسام كل واحد منها الى أقسام) كثيرة (وربما يمكننا ان نقسمها الى أربعين والى خمسين والى ستين ويمكننا أيضا ان نتكلف تقسيمها الى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة) وفى نسخة الصادقة (واحدة من جملتها) بل وأكثر من الستة والاربعين وذلك لان المراد من هذا الحديث ان المنام الصادق خصلة من خصال النبوة كما فى الحديث الآخر التؤدة والاقتصاد وحسن السمت جزء من ستة وعشرين جزأ من النبوة أى النبوة مجموع خصال مبلغ أجزائها ستة وعشرون هذه الثلاثة الاشياء جزء واحد منها وعلى مقتضى هذه التجزئة كل جزء من الستة والعشرين ثلاثة أجزاء فى نفسه فاذا ضربنا ثلاثة فى ستة وعشرين صح لنا ان عدد خصال النبوة من حيث آحادها ثمانية وسبعون ويصح ان يسمى كل اثنين من الثمانية والسبعين جزأ خصلة فيكون جميعها بهذا الاعتبار تسعة وثلاثين جزأ ويصح ان يسمى كل أربعة منها جزأ فيكون مجموع أجزائها بهذا الاعتبار تسعة عشر جزأ ونصف جزء فتختلف أسماء العدد الجزء بحسب اختلاف اعتبار الاجزاء وعلى هذا فلا يكون اختلاف أعداد أجزاء النبوة فى أحاديث الرؤيا المذكورة اضطرابا وانما هو اختلاف مقادير تلك الاجزاء المذكورة (ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لايكون الا بظن وتخمين ولا ندرى تحقيقا انه الذى أراده صلى الله عليه وسلم أم لا وانما المعلوم) فى الجملة (مجامع الصفات التى بها تتم النبوة وأصل انقسامها وذلك لا يرشدنا الى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم ان الفقراء لهم درجات كما سبق) قريبا (فاما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يقتض له التقدم باكثر من أربعين سنة الى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس فى قوة أحد غير الانبياء) عليهم السلام (الوقوف على ذلك) بحقيقته (الا بنوع من التخمين ولا وثوق به والغرض) كله من سياق هذا الكلام (التنبيه على

منهاج التقدير في أمثال هذه الامور فان الضعيف الايمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة عن ذلك * ولنرجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم أيضا خير هذه الامة فقراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاد وروي ان جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك أينما كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروي ان المسيح صلى الله عليه وسلم مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذا يا حبيبي ومر موسى صلى الله عليه وسلم برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يارب عبدك هذا في الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى اليه يا موسى أما علمت اني اذا نظرت الى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وعن أبي رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد أسلفني أو بعني دقيقا الى هلال رجب قال فأتيته فقال لا والله الا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله اني لامين في أهل السماء أمين في أهل الارض ولو باعني أو أسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا

منهاج التقدير في أمثال هذه الامور) الواردة في صحاح الاخبار (فان الضعيف الايمان قد يظن ان ذلك يجري من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة من ذلك) بل كلامه كله حكم وفوائد وتلويحات عرفها من عرف وجهلها من جهل (ولنرجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم أيضا خير هذه الامة فقراؤها وأسرعها تضجعا) أي اضطجاعا (في الجنة ضعفاؤها) كذا في القوت قال العراقي لم أجد له أصلا (وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاد) قال العراقي لم أجد له أصلا (وروي ان جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك أينما كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت) قال العراقي هذا ملفق من حديثين فروى الترمذي من حديث أبي امامة عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما الحديث وقال حسن ولاحمد من حديث عائشة الدنيا دار من لا دار له الحديث وقد تقدم في ذم الدنيا اهـ قلت وتمام حديث أبي امامة عند الترمذي فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وقد رواه كذلك أحمد وابن سعد والطبراني والبيهقي وحديث عائشة الدنيا دار من لا دار له رواه كذلك الشيرازي في الالقاب والبيهقي ورواه البيهقي أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه (روي ان المسيح عليه السلام مر في) أثناء (سياحته) في الارض (برجل نائم ملتف في عباءة) له وهي كساء من صوف (فايقظه وقال له يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذا يا حبيبي) نقله صاحب القوت (ومر موسى عليه السلام برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو مؤتزر بعباءة) له (فقال) موسى (يارب عبدك هذا في الدنيا ضائع) نظرا الى ظاهر حاله (فاوحى الله اليه يا موسى اما علمت اني اذا نظرت الى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها) أي صرفتها عنه وضيقتها عليه نقله صاحب القوت (وعن أبي رافع) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (انه ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه) أي من قراه (فارسلني الى رجل من اليهود) وهو أبو الشحم (وقال قل له يقول لك محمد) صلى الله عليه وسلم اسلفني أو قال (بعني دقيقا الى هلال رجب فقال) أبو رافع (فاتيته) وقلت له ذلك (فقال) اليهودي (لا والله) لا أسلفه (الا برهن) وثيق فرجعت (فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما والله اني لامين في أهل السماء أمين في أهل الارض ولو باعني أو أسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه) عنده (فلما خرجت) من عنده (نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا) قال العراقي رواه الطبراني بسند ضعيف اهـ قلت ورواه كذلك ابن أبي شيبة وابن راهويه والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والخرائطي في مكارم الاخلاق وأبو نعيم في المعرفة وفيه اذهب بدرعي الحديد فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية كأنه يعزيه عن الدنيا وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان في قوله ولا تمدن عينيك الآية قال تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم معافى في جسمه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام ياموسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطاء الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يارب ماهذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يارب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء والنساء وفي لفظ آخر فقلت أين الاغنياء فقيل حبسهم الجد وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ما شأنهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي حديث آخر

(وقال صلى الله عليه وسلم الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس) قال العراقي رواه الطبراني من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف والمعروف انه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رواه ابن عدي في الكامل هكذا اهـ قلت ورواه ابن المبارك في الزهد من حديث سعد بن مسعود بلفظ للفقر أزين للمؤمن من العذار الجيد على خد الفرس (وقال) صلى الله عليه وسلم (من أصبح منكم معافى في جسمه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) رواه البخاري في الادب والترمذي وحسنه وابن ماجه والطبراني من حديث سلمة بن عبيد الله بن محصن الخطمي عن أبيه رفعه بلفظ من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وقد تقدم (وقال كعب الاحبار) رحمه الله تعالى (قال الله تعالى لموسى عليه السلام ياموسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين) واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته رواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب غير مرفوع باسناد ضعيف وقد تقدم (وقال عطاء الخراساني) وهو أبو عثمان عطاء بن أبي سليم واسم أبيه ميسرة وقيل عبد الله صدوق مات سنة خمس وثلاثين روى له مسلم والاربعة ولم يصح ان البخاري أخرج له (مر نبي من الانبياء بساحل) أي ساحل البحر (فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله وألقى الشبكة) في الماء (فلم يخرج منها) حوت واحد (ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى الشبكة) في الماء (فخرج فيها من الحيتان ما يكاد لا يتقاعس من كثرتها) كذا في النسخ ولفظ القوت حتى جعل الرجل يتقاعس من كثرتها (فقال) ذلك (النبي عليه السلام يارب ما هذا وقد علمت ان كل هذا بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما) عندي فكشفوا له عنهما (فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يارب) نقله صاحب القوت (وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء وفي لفظ فقلت أين الاغنياء فقيل حبسهم الجد) قال العراقي رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو باسناد جيد وللشيخين من حديث اسامة بن زيد قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين واذا أصحاب الجد محبوسون اهـ قلت وتمام حديث اسامة الا أصحاب النار فقد أمر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من يدخلها النساء وهكذا رواه أيضا أحمد والنسائي والحرث وأبو عوانة وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة (وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار النساء) روى ذلك من حديث اسامة وابن عباس وعمران بن الحصين والاضبط السلمي وابن عمر وأما حديث اسامة فرواه الشيخان وقد ذكر قبل هذا وحديث ابن عباس رواه الطيالسي وأحمد وهناد ومسلم والترمذي ولفظهم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ورواه الطبراني وزاد والمساكين وحديث عمران رواه أحمد والبخاري والترمذي باللفظ المذكور ورواه الطبراني وزاد والضعفاء وحديث الاضبط رواه ابن منده وأبو نعيم في المعرفة عن عبد الرحمن بن حارثة بن الاضبط عن جده باللفظ المذكور وحديث ابن عمر رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بلفظ اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء والنساء (فقلت ما شأنهن فقال شغلهن الاحمران الذهب والزعفران) والحديث بهذه الزيادة قد تقدم في كتاب آداب النكاح (وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر) قال العراقي رواه محمد بن خفيف الشيرازي في شرف الفقراء والديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ ابن جبل بسند لا بأس به ورواه الديلمي أيضا من حديث ابن عمر بسند ضعيف (وفي الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه) تقدم وقال العراقي هو في الاوسط للطبراني باسناد فرد وفيه نكارة (وفي حديث آخر

رايته

رأيتــه دخل الجنة زحفا وقال المسيح صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل الغني الجنة وفي خبر آخر عن أهل البيت رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيـل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا وفي الخبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغني مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يارب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لاجلك فقال كل فقير فقير فيمكن ان يكون الثاني للتوكيد ويمكن ان يراد به الشديد الضر وقال المسيح صلوات الله عليه وسلامه اني لأحب المسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الاسامي اليه صلوات الله عليه ان يقال له يامسكين ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجيء ونجيء اليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك لانهم شكوا اليه التأذي بروائحهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الاغنياء منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يجمعهم واياهم مجلس واحد فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعني الاغنياء

(رأيته) يعني عبد الرحمن بن عوف (دخل الجنة زحفا) رواه أحمد والطبراني من حديث عائشة بلفظ حبوا بدل زحفا ورواه أبو نعيم عن الطبراني وقد تقدم ورواه الفريابي من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن عوف انك من الاغنياء ولن تدخل الجنة الا زحفا الحديث وقد تقدم ورواه أحمد من طريقه (وقال المسيح عليه السلام) وقد قال له رجل اصحبني معك في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني قال لا أستطيع فقال عليه السلام (بشدة يدخل الغني الجنة) أو قال بعجب كذا في القوت (وفي خبر عن آل البيت عليهم السلام انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيـل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا) قال العراقي رواه الطبراني من حديث أبي عنبسة الخولاني اهـ قلت لفظ الطبراني في الكبير وفي الاوسط لا يترك له مالا ولا ولدا ورواه أبو نعيم في الحلية والديلمي من طريقه من حديث ابن مسعود اذا أحب الله عبدا اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد وسياق المصنف مشعر بانه من رواية جعفر بن محمد ابن علي عن أبيه عن جده عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا هو في نهج البلاغة للشريف الموسوي (وفي الخبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغني مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبتــه) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبي الدرداء ولم يسمع منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى موسى عليه السلام ياموسى فذكره بزيادة في أوله ورواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب الاحبار غير مرفوع باسناد ضعيف اهـ قلت قول كعب قد تقدم للمصنف قريبا وأما المرفوع من حديث أبي الدرداء فقد رواه الديلمي بلفظ أوحى الله الى موسى بن عمران ياموسى ارض بكسرة خبز تسد بها جوعتك وخرقة توارى بها عورتك واصبر على المصيبات واذا رأيت الدنيا مقبلة فقل انا لله وانا اليه راجعون واذا رأيت الدنيا مدبرة والفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين ورواه كذلك أبو عثمان الصابوني في المائتين وقد تقدم أيضا (وقال موسى عليه السلام يارب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لاجلك قال كل فقير فقير) نقله صاحب القوت (فيمكن ان يكون الثاني للتوكيد ويمكن ان يراد به الشديد الضر) فان الفقير في اللغة من يشكو فقار ظهره وروى الدارقطني في الافراد وابن عساكر من حديث عمر قال موسى يارب وددت اني أعلم من تحب من عبادك فأحبه قال اذا رأيت عبدي يكثر ذكري فأنا أذنت له في ذلك واذا رأيت عبدي لا يذكرني فانا حجبته عن ذلك وأنا أبغضه (وقال المسيح عليه السلام اني لاحب المسكنة وأبغض النعماء) ولفظ القوت الغني وان في المال داء كبيرا قيل (وكان أحب الاسامي اليه ان يقال له يامسكين) نقله صاحب القوت (ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجيء ونجيء اليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء) من الصحابة (مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين فاجابهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك لانهم شكوا اليه التأذي بروائحهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الاغنياء منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن) حصن بن (بدر الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجمعهم واياهم مجلس واحد فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعني الاغنياء

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنياء وقل الحق من ربكم مع الفقراء فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية) قال العراقي تقدم من حديث خباب وليس فيه انه كان لباسهم الصوف وتفوح ريحهم اذا عرقوا وهذه الزيادة من حديث سلمان اهـ قلت أما حديث سلمان فرواه الحسن بن سفيان في مسنده ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من طريق سلمة بن عبد الله عن عمه عن سلمان قال جاءت المؤلفة قلوبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وذووهم فقالوا يا رسول الله انك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم يعنون أبا ذر وسلمان وفقراء المسلمين وكان عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها جلسنا اليك وحادثناك وأخذنا عنك فانزل الله واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك الى قوله أحاط بهم سرادقها يتهددهم بالنار فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني ان أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات وأما حديث خباب فرواه أبو بكر بن أبي شيبة ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي الكنود عن خباب قال جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وعمار وصهيب وخباب في اناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حقروهم فخلوا به فقالوا انا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحي ان ترانا العرب قعودا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك كتابا فدعا بالصحيفة ليكتب لهم ودعا عليا ليكتب فلما أراد ذلك ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة الى قوله من الظالمين ثم ذكر الاقرع وصاحبه فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض الى الشاكرين ثم قال واذا جاءك الذين يؤمنون الآية فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيفة ودعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبه الحديث وقد رواه كذلك ابن ماجه وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل (واستأذن) عبد الله (ابن أم مكتوم) الاعمى رضي الله عنه (على النبي صلى الله عليه وسلم) يوما (وعنده رجل من أشراف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى يعني ابن أم مكتوم اما من استغنى فأنت له تصدى يعني هذا الشريف) قال العراقي رواه الترمذي من حديث عائشة وقال غريب قلت ورجاله رجال الصحيح اهـ قلت ورواه كذلك ابن المنذر وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه ولفظهم قالت عائشة أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الاعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله أنشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه و يقبل على الآخر ويقول أترى بما أقول بأسا فيقول لا ففي هذا أنزلت والمراد بذلك الشريف أمية بن خلف كما وقع التصريح به عند سعيد بن منصور عن أبي مالك (وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله اليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف و ينظر من فعل ذلك به فيأخذه بيده و يدخله الجنة) قال العراقي رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة ادنوا مني أحبائي فتقول الملائكة ومن أحباؤك فيقول فقراء المسلمين فيدنون منه فيقول أما اني لم أزو الدنيا عنكم لهوان كان بكم علي ولكن أردت بذلك ان أضعف لكم كرامتي اليوم فتمنوا علي ما شئتم اليوم الحديث دون آخر الحديث وأما أول الحديث فرواه أبو نعيم في الحلية وسيأتي في الحديث الذي بعده اهـ قلت وتمام

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنياء وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشراف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى يعني ابن أم مكتوم أما من استغنى فأنت له تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف و ينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده و يدخله الجنة

حديث أنس عند أبي الشيخ فيؤمر بهم الى الجنة قبل الاغنياء بار بعين خريفا (وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادى فان لهم دولة قالوا يارسول الله ومادولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة وسقاكم شربة أوكساكم ثوبا فخذوا بيده ثم أفيضوا به الى الجنة) قال العراقى رواه أبو نعيم من حديث الحسين بن على بسند ضعيف اتخذوا عند الفقراء ايادى فان لهم دولة يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة نادى منادسيروا الى الفقراء فيعتذر اليهم كما يعتذر أحدكم الى أخيه فى الدنيا اهـ وفى المقاصد للحافظ السخاوى رواه أبو نعيم فى ترجمة وهب بن منبه من الحلية كما عزاه الديلمى ثم العراقى فى تخريج الاحياء عن الحسين بن على ولم أره فى النسخة التى عندى وقال شيخنا انه لا أصل له نعم فى الحلية من حديث ابراهيم بن فارس عن وهب من قوله اتخذوا اليد عند المساكين فان لهم يوم القيامة دولة وفى قضاء الحوائج لابى النرسى بسند فيه مجاهيل عن أبى عبد الرحمن السلمى التابعى رفعه مرسلا اتخذوا عند الفقراء ايادى فان لهم دولة قيل يارسول الله ومادولتهم قال ينادى مناد يوم القيامة يامعشر الفقراء قوموا فلا يبقى فقير الاقام حتى اذا اجتمعوا قيل ادخلوا فى صفوف أهل القيامة فمن صنع اليكم معروفا فاوردوه الجنة قال فجعل يجتمع على الرجل كذا وكذا من الناس فيقول له الرجل ألم أكسك فيصدقه فيقول له الآخر ألم أكسك فيصدقه فيقول له الآخر يافلان ألم أكلمك قال ولا يزالون يخبرونه بما صنعوا اليه وهو يصدقهم بما صنعوا اليه حتى يذهب بهم جميعا فيدخلهم الجنة فيقول قوم لم يكونوا يصنعون المعروف ياليتنا كنا نصنع المعروف حتى ندخل الجنة وبسند واه عن ميمون ابن مهران عن ابن عباس رفعه ان للمساكين دولة قيل يارسول الله ومادولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم فى الله تعالى لقمة أوكساكم ثوبا أوسقاكم شربة فادخلوه الجنة اهـ قلت حديث ابن عباس هذا رواه ابن عدى فى الكامل وقال منكر وابن عساكر فى التاريخ من طريق ميمون ابن مهران وروى ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج والخطيب من حديث أنس اذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة وأهل النار صفوفا فينظر الرجل من صفوف أهل النار الى الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول يافلان أما تذكر يوم اصطنعت اليك فى الدنيا معروفا فيأخذ بيده فيقول اللهم هذا اصطنع الى فى الدنيا معروفا فيقال له خذ بيده فادخله الجنة برحمة الله (وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة امامى فنظرت فاذا بلال ونظرت فى أعلاها فاذا فقراء أمتى وأولادهم ونظرت فى أسفلها فاذا فيهم من الاغنياء والنساء قليل قلت يارب ماشأنهم قال أما النساء فاضرهم الاحمران الذهب والحرير) وفى لفظ الزعفران بدل الحرير (وأما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت أصحابى فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءنى بعد ذلك يبكى فقلت ماخلفك عنى قال يارسول الله أما والله ماوصلت اليك حتى لقيت المشيبات) أى الامور التى تشيب من شدتها (وظننت انى لا أراك فقلت ولم قال كنت أحاسب بمالى) قال العراقى رواه الطبرانى من حديث أبى امامة بسند ضعيف نحوه وقصة بلال فى الصحيح من طريق آخر اهـ قلت لفظ الطبرانى دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدى قلت ماهذه الخشفة فقيل هذا بلال يمشى امامك ورواه كذلك ابن عدى وابن عساكر وفى رواية لابن عساكر دخلت الجنة فرأيت خشخشة امامى فقلت من هذا قال أنا بلال قلت بم سبقتنى الى الجنة قال ما أحدثت الا توضأت وماتوضأت الا رأيت ان لله على ركعتين وقد رواه الرويانى كذلك وقد روى ذلك من حديث جابر وابن عباس وسهل بن سعد أما حديث جابر فلفظه دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدى قلت ماهذه الخشفة فقيل هذا بلال فقلت طوبى لبلال طوبى لبلال رواه الطيالسى وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر وأما حديث ابن عباس فلفظه دخلت الجنة ليلة أسرى بى فسمعت فى جانبها وخشا فقلت ياجبريل ماهذا قال هذا بلال المؤذن رواه أحمد وأبو يعلى وابن عساكر وأما حديث سهل بن سعد فلفظه دخلت الجنة فاذا حس فنظرت فاذا هو بلال رواه أحمد

وقال عليه السلام أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادى فان لهم دولة قالوا يارسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أوكساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة أمامى فنظرت فاذا بلال ونظرت فى أعلاها فاذا فقراء أمتى وأولادهم ونظرت فى أسفلها فاذا فيه من الاغنياء والنساء قليل فقلت يارب ما شأنهم قال أما النساء فاضربهن الاحمران الذهب والحرير وأما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت أصحابى فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاءنى بعد ذلك وهو يبكى فقلت ماخلفك عنى قال يارسول الله والله ماوصلت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت انى لا أراك فقلت ولم قال كنت أحاسب بمالى

فانظر الى هــذا وعبد الرحمن صاحب السابقــة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من أهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامن قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم يرله شيأ فقال لوقسم نور هذا على أهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يارسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لايؤبه له لوأقسم على الله لابره وقال عمران بن حصين كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال ياعمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم بابى أنت وأمى يارسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يارسول الله قال أناومن معى قالت ومن معك يارسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذى بعثك بالحق نبيا مالى الاعباءة قال اصنعى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قدواريته فكيف برأسى فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على مابى انى لست أقدر على طعام آكله فقد أضربى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لاتجزعى يا ابنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاث وانى لاكرم على الله منك ولوسألت ربى لاطعمنى ولكنى آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشرى فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لاأذى فيها ولاصخب ولانصب ثم قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقدزوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة

والطبرانى وابن عساكر وروى صاحب الحلية من طريق اسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن أبى أوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف ما أبطأ بك عنى فقال مازلت بعدك أحاسب وانما ذلك لكثرة مالى فقال هذه مائة راحلة جاءتنى من مصر وهى صدقة على أرامل أهل المدينة (فانظر الى هذا وعبد الرحمن) بن عوف رضى الله عنه (صاحب السابقة العظيمة) فانه هاجر الهجرتين وشهد بدرا واحدا والمشاهد كلها (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من أهل الجنة) رواه أصحاب السنن الاربعة من حديث سعيد بن زيد قال الترمذى حسن صحيح ولفظهم أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن ابن عوف فى الجنة وسعد بن أبى وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة وقد رواه كذلك ابن أبى شيبة وأحمد وابن منيع وابن أبى عاصم وأبو نعيم فى الحلية والضياء ورواه أيضا أحمد والترمذى وأبو نعيم فى المعرفة وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده (وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامن قال بالمال هكذا وهكذا) متفق عليه من حديث أبى ذر فى أثناء حديث تقدم (ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل فقير ولم يرله شيأ فقال لو قسم نور هذا على أهل الارض لوسعهم) قال العراقى لم أجده (وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يارسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لو أقسم على الله لابره) قال العراقى متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصرا ولم يقولا ملوك وقد تقدم ولابن ماجه باسناد جيد من حديث معاذ ألا أخبركم عن ملوك الجنة الحديث دون قوله أغبر أشعث (وقال عمران بن الحصين) رضى الله عنه (كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال ياعمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم بابى أنت وأمى فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل قالت ادخل بابى أنت وأمى يارسول الله قال أناومن معى قالت ومن معك يارسول الله قال عمران قالت فاطمة والذى بعثك بالحق نبيا ماعلى الاعباءة قال اصنعى بها هكذا وهكذا وأشار بيده قالت هذا جسدى قدواريته فكيف برأسى فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على مابى انى لست أقدر على طعام آكله فقد أضربى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لاتجزعى يا ابنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاث وانى لاكرم على الله منك ولو سألت ربى لاطعمنى ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشرى فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فاين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لاأذى فيها ولاصخب ولانصب ثم قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة) تقدم هذا بعينه فى آخر كتاب ذم البخل وحب المال وذكر العراقى هناك انه رواه أحمد من حديث معقل بن يسار ولم يروه من حديث عمران بن حصين

حصين (وروى عن على كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أبغض الناس فقراءهم واظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله باربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء) قال العراقى رواه الديلمى باسناد فيه جهالة وهو منكر اه قلت ورواه أيضا الحاكم وصححه وتعقب بلفظ اذا أبغض المسلمون علماءهم وأظهروا عمارة أسواقهم وتألبوا على جمع الدراهم الحديث وفيه والصولة من العدو (وأما الآثار) فقد (قال أبو الدرداء) رضى الله عنه كذا فى النسخ والصواب أبوذر (ذوالدرهمين أشد حبسا أو) قال (أشد حسابا من ذى الدرهم) الواحد رواه أحمد فى الزهد عن يحيى بن سعيد حدثنى سليمان عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال ذوالدرهمين أشد حسابا من ذى درهم (وأرسل عمر رضى الله عنه الى سعيد بن عامر) بن خذيم الجمحى رضى الله عنه (بالف دينار) وفى رواية باربعمائة دينار (فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته) ماشأنك مات أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك قالت (أحدث) فى الاسلام (أمر قال أشد من ذلك) قالت فما هو قال أتتنى الدنيا قد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تفتح الدنيا على وخلفت فى أيام أبى بكر فلم تفتح على وخلفت فى أيام عمر الا وأشد أيامى أيام عمر (ثم) حدثها فقالت نفسى فداؤك فاصنع بها مابدالك (قال) أتساعدينى على ماأريد قالت نعم قال (أرينى درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه) على جيش من المسلمين خرجوا يريدون الغزو ولم يترك لاهله منها دينارا فقالت له امرأته لوحبست منها ماتستعين به فقال لها انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لوان امرأة من أهل الجنة أشرفت الى الارض الحديث وفيه والله ماكنت لاختارك عليهن فسكتت ورواه مالك بن دينار عن شهر بن حوشب قال فيه (ثم قام يصلى ويبكى الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل فى غمارهم فيؤخذ بيده ويخرج) قال العراقى روى أحمد القصة الموقوفة دون المرفوع فرواه الطبرانى دون القصة الا انه قال بسبعين عاما وفى اسناده يزيد بن أبى زياد تكلم فيه وفى رواية له باربعين سنة وأما دخولهم قبلهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذى من حديث أبى هريرة وصححه وتقدم قريبا اه قلت لفظ الطبرانى حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا أبوغسان مالك بن اسماعيل حدثنا مسعود بن سعد حدثنا يزيد بن أبى زياد عن عبد الرحمن بن سابط الجمحى قال دعا عمر بن الخطاب رجلا من بنى جمح يقال له سعيد ابن عامر بن خذيم فقال له انى مستعملك على أرض كذا وكذا فساق الحديث وفيه وماأنا بمتخلف عن العنق الاول بعد ان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجمع الله الناس للحساب فيجىء فقراء المؤمنين يزفون كما تزف الحمام فيقال لهم قفوا عند الحساب فيقولون ماعندنا حساب ولا آتيتمونا شيأ فيقول ربهم صدق عبادى فيفتح لهم باب الجنة فيدخلونها قبل الناس بسبعين عاما ورواه أبونعيم فى الحلية من طريق جرير حدثنا يزيد بن أبى زياد ورواه من طريق أبى معاوية عن موسى الصغير عن عبد الرحمن بن سابط وفيه فبلغ عمر أنه عربه كذا وكذا لايدخن فى بيته فارسل اليه عمر بمال فاخذه فصره صررا فتصدق به يمينا وشمالا الحديث ورواه أبونعيم أيضا من طريق خالد بن معدان قال استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر بن خذيم الجمحى فساق الحديث وفيه فبعث اليه عمر بالف دينار وقال استعن بها على أمرك فقالت امرأته الحمد لله الذى أغنانا عن خدمتك فقال لها فهل لك فى خير من ذلك ندفعها الى من يأتينا بها أحوج مانكون اليها قالت نعم فدعا رجلا من أهله يثق به فصررها صررا ثم قال انطلق بهذه الى أرملة آل فلان والى يتيم آل فلان والى مسكين آل فلان والى مبتلى آل فلان فبقيت منه ذهيبة فقال انفقى هذه ثم عاد الى عمله وروى المرفوع من حديث سعيد بن عامر الحكيم الترمذى فى النوادر يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة سنة حتى ان الرجل من الاغنياء

وروى عن على كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أبغض الناس فقراءهم واظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله باربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء (وأما الآثار) فقد قال أبو الدرداء رضى الله عنه ذو الدرهمين أشد حبسا أو قال أشد حسابا من ذى الدرهم وأرسل عمر رضى الله عنه الى سعيد بن عامر بالف دينار فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أرينى درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلى ويبكى الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج

وقال أبو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد وقيل جاء فقير الى مجلس الثورى رحمه الله فقال له تخط لو كنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء من أصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رأيت الغنى أذل منه فى مجلس الثورى ولا رأيت الفقير أعز منه فى مجلس الثورى رحمه الله وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب فى الجنة كما رغب فى الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا وقال ابن عباس ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه لا تحقرن أحدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك الفقراء من أخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفى الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه عليهم السلام احذر أن أمقتك فتسقط عن عينى فاصب عليك الدنيا صبا ولقد كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تفرق مائة ألف درهم فى يوم واحد يوجهها اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتينى لفعلت وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقعيه وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه ان يقبلها فألح عليه الرجل فقال له ابراهيم اتريد أن أمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك أبدا رضى الله عنه

(بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به

ليدخل فى ثمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه (ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال أيها تريد) وهذا قد رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث أبى سعيد وفيه رجل غسل ثيابه فلم يجد له خلقا ورجل لم ينصب على مستوقده قدران ورجل دعا بشراب فلم يقل له أيها تريد (وقيل جاء فقير الى مجلس) سفيان (الثورى) رحمه الله تعالى (فقال له) الثورى (تخط لو كنت غنيا لما قربتك) رواه أبو نعيم فى الحلية (وكان الاغنياء من أصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه للفقير واعراضه عن الاغنياء) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال المؤمل) بن اسمعيل البصرى أبو عبد الرحمن نزيل مكة (ما رأيت الغنى أذل منه فى مجلس الثورى ولا رأيت الفقير أعز منه فى مجلس الثورى) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب فى الجنة كما رغب فى الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا) نقله صاحب القوت وقد تقدم نحوه فى كتاب الخوف (وقال ابن عباس) رضى الله عنهما (ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه) وهو يعظه يا بنى (لا تحقرن أحدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (حبك للفقراء من أخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين) نقله صاحب القوت (وفى الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه احذر ان أمقتك فتسقط من عينى فاصب عليك الدنيا صبا) نقله صاحب القوت (ولقد كانت عائشة رضى الله عنها تفرق مائة ألف درهم فى يوم واحد يوجهها اليها معاوية) بن أبى سفيان (وابن عامر) عبد الله (وغيرهما وان درعها المرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتينى لفعلت) تقدم وان الذى أرسل اليها مائة ألف درهم هو عبد الله بن الزبير وان الجارية هى مولاتها أم درة (وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقعيه) قال العراقى رواه الترمذى وقال غريب والحاكم وصححه نحوه من حديثها اهـ قلت لفظ الحاكم ان أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقى ثوبا حتى ترقعيه وقد رواه البيهقى كذلك (وجاء رجل الى ابراهيم) بن أدهم رحمه الله تعالى (بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال له ابراهيم أتريد أن أمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك أبدا) رواه القشيرى فى الرسالة بلفظ ان رجلا أتى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى ان يقبلها وقال تريد أن تمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل والله الموفق

(بيان فضل خصوص الفقراء من الراضين القانعين والصابرين)

وفى نسخة والصادقين (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به) رواه ابن المبارك فى الزهد والترمذى وقال صحيح والطبرانى والحاكم والبيهقى من حديث فضالة ابن عبيد وقد تقدم وروى البيهقى من حديث أبى الحويرث والديلمى من حديث عبد الله بن حنطب

وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول القانع وهذا الراضي ويكاد يشعر هذا بمفهومه ان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثوابا كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا والكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم هم جلساء الله تعالى يوم القيامة وروى عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد الى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال ما من أحد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا وأوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال صلى الله عليه وسلم لا أحد أفضل من الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون بعطائي الراضون بقدري أدخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي وأما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب ان شاء الله تعالى* وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة تضادها الطمع وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم

ابن الحرث طوبى لمن رزقه الله الكفاف ثم صبر عليه (وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو ضعيف جدا وأحمد بن الحسن بن أبان المضري متهم بالكذب ووضع الحديث اهـ قلت وهو بضم الميم وفتح الضاد المعجمة ويعرف بالابلي وقد روى عن أبي عاصم قال الدارقطني كذاب (فالاول القانع وهذا) وفي نسخة والثاني (الراضي ويكاد يشعر هذا بمفهومه بان الحريص) الذي هو أحد أقسام الفقير (لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على ان له ثوابا كما سيأتي تحقيقه) قريبا (فلعل المراد بعدم الرضا والكراهة لفعل الله تعالى في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبرهم جلساء الله تعالى يوم القيامة) قال العراقي رواه الدارقطني في غرائب مالك وأبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق وابن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر اهـ قلت وأورده القشيري في الرسالة فقال أخبرنا أبو عبد الله السلمي أخبرنا ابراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء البزاز حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد البغدادي حدثنا عثمان بن معبد حدثنا عمر بن راشد عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين الحديث (وروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد الى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى) قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ وتقدم من رواية عند ابن ماجه أن الله يحب الفقير المتعفف اهـ قلت وروى الديلمي من حديث ابن عمر يقول الله عز وجل الشاب المؤمن بقدري الراضي بكتابي القانع برزقي التارك لشهوته من أجلي هو عندي كبعض ملائكتي (وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا) وفي بعض النسخ رزق بدل قوت قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ قوتا اهـ قلت لفظ مسلم اللهم ارزق آل محمد كفافا ولفظ المتفق عليه اللهم ارزق آل محمد قوتا وعند أحمد والترمذي وابن ماجه وأبي يعلى والبيهقي اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا (وقال) صلى الله عليه وسلم (ما من أحد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا) رواه ابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (وأوحى الله الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون) وتقدم للمصنف في حقوق المسلم قال موسى عليه السلام الهي أين أبغيك قال عند المنكسرة قلوبهم من أجلي (وقال صلى الله عليه وسلم لا أحد أفضل من الفقير اذا كان راضيا) قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون بعطائي الراضون بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس (فهذا) ما ورد (في القانع والراضي وأما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب ان شاء الله تعالى وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة يضادها الطمع) فان القناعة هي الاجتزاء باليسير من الاعراض المحتاج اليها والطمع نزوع النفس الى الشئ شهوة له (وقد قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم) رواه أحمد في الزهد قال حدثنا أبو معاوية ووكيع

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مامن يوم الا وملك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال أبو الدرداء
رضي الله تعالى عنه مامن أحد الا وفى عقله نقص وذلك أنه اذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان فى
هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك
ويح ابن آدم ماينفع مال
يزيد وعمر ينقص وقيل
لبعض الحكماء ما الغنى قال
قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك
وقيل كان ابراهيم بن أدهم
من أهل النعم بخراسان
فبينما هو يشرف من قصر
له ذات يوم اذ نظر الى رجل
فى فناء القصر وفى يده رغيف
يأكله فلما أكل نام فقال
لبعض غلمانه اذا قام فجئنى
به فلما قام جاء به اليه فقال
ابراهيم أيها الرجل أكلت
الرغيف وأنت جائع قال نعم
قال فشبعت قال نعم قال ثم
نمت طيبا قال نعم فقال
ابراهيم فى نفسه فما أصنع
أنا بالدنيا والنفس تقنع
بهذا القدر ومر رجل بعامر
ابن عبد القيس وهو يأكل
ملحا وبقلا فقال له ياعبد
الله أرضيت من الدنيا بهذا
فقال ألا أدلك على من رضى
بشر من هذا قال بلى قال من
رضى بالدنيا عوضا عن
الآخرة وكان محمد بن واسع
رحمة الله عليه يخرج خبزا
يابسا فيبله بالماء ويأكله
بالملح ويقول من رضى من
الدنيا بهذا لم يحتج الى أحد
وقال الحسن رحمه الله لعن
الله أقواما أقسم لهم الله
تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق الآية وكان أبو ذر فى
رضي الله عنه يوما جالسا فى الناس فأتته امرأته فقالت له أتجلس بين هؤلاء والله مافى البيت هفة ولاسفة فقال ياهذه ان بين أيدينا عقبة كؤدا
لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهى راضية

عن هشام بن عروة عن أبيه قال قال عمر فى خطبته تعلمون ان الطمع فقر وان اليأس غنى وان الرجل اذا يئس من شئ استغنى عنه ورواه أبو نعيم فى الحلية من طريقه ورواه أيضا عن أبيه حدثنا ابراهيم بن محمد حدثنا أحمد بن سعيد حدثنا ابن وهب عن الثورى عن هشام عن أبيه عن زبيد بن الصلت عن عمر مثله (وقال) عبد الله (ابن مسعود) رضي الله عنه (مامن يوم الا وملك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك) روى أبو داود الطيالسى من حديث أبى الدرداء ماطلعت شمس الا وبجنبيها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم ماقل وكفى خير مما كثر وألهى تفرد به قتادة عن خليد البصرى عن أبى الدرداء (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (مامن أحد الا وفى عقله نقص وذلك انه اذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان فى هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ماينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك) أى عدم تعلق النفس بالآمال والرضا بما يسر له فى الحال وهذا أحسن ماعرف به الغنى (وقيل كان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (من أهل النعم بخراسان) اذ كان والده من أمراء بلخ (فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم اذ نظر الى رجل فى فناء القصر وفى يده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال) ابراهيم (لبعض غلمانه اذا قام) هذا الرجل من نومه (فجئنى به) فانتظره (فلما قام جاء به اليه فقال) له (ابراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابراهيم فى نفسه فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر) وهذا أحد أسباب توبته وخروجه من ملك أبيه (ومر رجل بعامر بن عبد قيس) وكان من الصديقين (وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له ياعبد الله) وفى نسخة يا أبا عبد الله (أرضيت من الدنيا بهذا فقال ألا أدلك على من رضى بشر من هذا قال بلى قال من رضى بالدنيا عوضا عن الآخرة) ولفظ القوت وكان عامر بن عبد قيس اذا عوتب فى تقلله من الدنيا يقول بل أنتم والله رضيتم بالقليل وكان غيره يقول اذا قيل له أزهد الناس فقال أنتم أزهد منى لانى زهدت فى قليل يفنى وأنتم زهدتم فى كثير يبقى (وكان محمد بن واسع البصرى رحمه الله) تعالى (يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من رضى من الدنيا بهذا لم يحتج الى أحد) قال أحمد فى الزهد حدثنا وكيع عن رجل قال قال لمحمد بن واسع ابنه ليس كل ساعة تبقى انما قال فدعا بخبز وملح ثم جعل يأكل فقال ترانى أقنع بهذا وأرضى به أعينهم وادخل معهم أو الى لهم وقال عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد حدثنى سفيان بن وكيع قال سمعت أبى يقول بلغنى ان محمد بن واسع أريد على القضاء فأبى فعاتبته امرأته قالت لك عيال وأنت محتاج قال مادمت ترينى أصبر على الخل والبقل فلا تطمعين فى هذا منى (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (لعن الله أقواما أقسم لهم الله ثم لم يصدقوه ثم قرأ) هذه الآية (وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق الآية وكان أبو الدرداء) رضي الله عنه وفى بعض النسخ أبو ذر (جالسا فى الناس فأتته امرأته فقالت له تجلس بين هؤلاء والله مافى البيت هفة ولاسفة) أى مايهف ويسف (فقال ياهذه ان بين أيدينا عقبة كؤدا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهى راضية) رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق أبى معاوية عن موسى الصغير عن هلال بن يساف عن أم الدرداء قالت قلت لابى الدرداء مالك لا تطلب لاضيافك كما يطلب غيرك لاضيافهم فقال لانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان امامكم عقبة كؤدا لا يجوزها المثقلون فانا أحب ان أتخفف لتلك العقبة تفرد به موسى الصغير عن هلال وروى الحرث بن أبى أسامة

وقال ذوالنون رحمه الله أقرب الناس الى الكفر ذوفاقة لاصبرله وقيل لبعض الحكماء مامالك فقال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس مما فى أيدى الناس و يروى ان الله عزوجل قال فى بعض الكتب السالفة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محسن اليك وقد قيل فى القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس
واقنع بيأس فان العز فى اليأس
واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم
ان الغنى من استغنى عن الناس

وقد قيل فى هذا المعنى أيضا

ياجامعا مانعا والدهر يرمقه
مقدرا أى باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته
أغاديا أم بها يسرى فتطرقه
جمعت مالا فقل لى هل جمعت له
ياجامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه
ما المال مالك الا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة
ان الذى قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه
والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها
لم يلق فى ظلها هما يؤرقه

(بيان فضيلة الفقر على الغنى)

اعلم ان الناس قد اختلفوا فى هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال ابن عطاء الغنى الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر و يقال ان الجنيد دعا على ابن عطاء لمخالفته اياه فى هذا فاصابته محنة وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة فى الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل فاما الفقر والغنى اذا أخذ مطلقا لم يسترب من قرأ الاخبار والآثار فى تفضيل الفقر

فى مسنده من طريق أبى أسماء الرحبى أنه دخل على أبى ذر وهو بالربذة وعنده امرأة سوداء شعثة ليس عليها أثر المجاسد والخلوق قال فقال الا تنظرون الى ماتأمرنى به هذه السوداء تأمرنى ان آتى العراق فاذا أتيت العراق مالوا على بدنياهم وان خليلى عهد الى ان دون جسر جهنم طريقا ذا دحض ومزلة وانا ان نأتى عليه وفى أحمالنا اقتدار احرى ان ننجو من ان نأتى عليه ونحن مواقير (وقال ذوالنون) المصرى رحمه الله تعالى (أقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لاصبرله) وهو معنى حديث كاد الفقر أن يكون كفرا (وقيل لبعض الحكماء مامالك قال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس مما فى أيدى الناس و يروى ان الله عزوجل قال فى بعض الكتب السالفة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محسن اليك وقد قيل فى القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز فى اليأس
واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم * ان الغنى من استغنى عن الناس)

وقد قيل فى هذا المعنى أيضا

(ياجامعا مانعا والدهر يرمقه * مقدرا أى باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته * أغاديا أم بها يسرى فتطرقه)
أى يأتيه ليلا
(جمعت مالا فقل لى هل جمعت له * ياجامع المال أياما تفرقه)
(المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك الا يوم تنفقه)
(ارفه ببال فتى يغدو على ثقة * ان الذى قسم الارزاق يرزقه)
(فالعرض منه مصون ما يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه)
(ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق فى ظلها هما يؤرقه)
أى يحزنه و يقلقه

(بيان فضيلة الفقر على الغنى)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الناس قد اختلفوا فى هذه فذهب) أبو القاسم (الجنيد و) ابراهيم بن أحمد (الخواص) مات قبل العشرين وثلاثمائة (والاكثرون) من المشايخ (الى تفضيل الفقر) على الغنى وهو الحق الذى لا محيد عنه (وقال) أبو العباس أحمد بن محمد (بن عطاء) الآدمى المتوفى سنة ٣٠٩ (الغنى الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر و يقال ان الجنيد) رحمه الله تعالى (دعا على ابن عطاء) وباهله فى هذه المسئلة (لمخالفته اياه فى هذا) وانكاره له أشد الانكار (فاصابته محنة) واستجيب فيه دعاء الجنيد وكان الجنيد يقول الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر وان تساويا فى المقام بحكم حالهما لان الغنى التقى يمنع نفسه و ينعم صفته والفقير الصابر قد أدخل على صفته الآلام والمكاره فقد زاد عليه بذلك وهذا كما قال وكذلك كان أحمد بن حنبل يقول ما أعدل بالفقر شيأ وكان يفضل حال الفقر و يعظم شأن الفقير الصابر وقال المروزى وذكر بعض الفقراء فجعل يمدحه و يكثر السؤال عنه فقلت له يحتاج الى علم فقال و يحك اسكت صبره على الفقر ومقاساته للضر خير من كثير من العلم ثم قال هؤلاء خير منا (وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة فى الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل فأما الفقر والغنا اذا أخذ مطلقا فلم يسترب) أى لم يشك (من قرأ) وفى نسخة رأى (الاخبار و) طالع (الآثار فى تفضيل الفقر) مطلقا ومنها ماتخص الراضين

بالفقر والقانعين من الفقراء والبصيرة تعضد ذلك لما فيه من عدم الشغلات والعجز عن قضاء الاوطار المذمومة وتخفة الحساب فى القيامة وهذا يصح ان يكون مسلكا فى تفضيله على الغنى (و) لكن (لابد فيه من تفصيل) يرفع عنه نقاب الخفاء (فنقول انما يتصور الشك فى مقامين أحدهما) فى (فقير صابر وليس بحريص على الطالب بل هو قانع راض بالاضافة الى غنى منفق ماله فى الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثانى) فى (فقير حريص) على الطالب (مع غنى حريص) على امساك المال (اذ لا يخفى ان الفقير القانع أفضل من الغنى الحريص الممسك) على المال (وان الغنى المنفق ماله فى الخيرات أفضل من الفقير الحريص) فهذه أربع مقامات وانما الشك فى المقامين الاولين (أما الاول فربما يظن ان الغنى أفضل من الفقير لانهما تساويا فى ضعف الحرص على المال والغنى) زائد عليه فانه (متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه) لفقد المال (وهذا هو الذى ظنه) أبو العباس (بن عطاء) فيما ذهب اليه (فيما نحسبه فاما الغنى المتمتع بالمال وان كان فى مباح) شرعى (فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له) أى لابن عطاء (ماروى فى الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات فى التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك فكانوا يقولونه فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة نحوه اهـ قلت لفظهما الا أحدثكم بحديث ان أخذتم به أدركتم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه الامن عمل مثله تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين وفى لفظ للبخارى قال الفقراء ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال فقال ألا أخبركم بامر تدركون من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولم يأت بمثل ما جئتم به الامن جاء بمثله تسبحون فى دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا ورواه مسلم نحوه وهو بهذا اللفظ عند الطيالسى من حديث أبى الدرداء وروى ابن ماجه من حديث أبى ذر ألا أخبركم بامر اذا فعلتموه أدركتم من قبلكم وفتم من بعدكم تحمدون الله فى دبر كل صلاة وتسبحونه وتكبرونه ثلاثا وثلاثين وثلاثا وثلاثين وأربعا وثلاثين وروى ابن حبان نحوه من حديث أبى هريرة (وقد استشهد ابن عطاء أيضا لما سئل عن ذلك) سأله بعض الشيوخ عن الوصفين أيهما أفضل (فقال الغنى افضل لانه وصف الحق أما دليله الاول) وهو التمسك بحديث أبى هريرة (ففيه نظر لان الخبر) المذكور (قد روى مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير فى التسبيح يزيد على ثواب الغنى وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء) وبيانه ان هذا عند أولى الالباب فى تدبر الخطاب يعنى به الفقراء لانه قيل لهم فى أول الكلام ان فعلتم ذلك لم يسبقكم أحد قبلكم ولم يدرككم أحد بعدكم فثبت هذا القول من الرسول وصح فما جاء بعده يكون محمولا عليه ومفسرا له ولم يجز ان ينقلب الخطاب لانه أخبار عن شئ فكيف يرجع عنه أو ينسخ الخبر عن أمر بقول آخر فلما فعل الاغنياء ما أمر به الفقراء من الذكر وقف الفقراء فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لنظرهم الى مزيد الاغنياء عليهم بفضل القول فرجعوا اليه يستفتون منه الخبر ويستثبتون عنه ما به أخبر فقال لا تعجبوا فان الذى قلت كما قلت هو فضل الله يؤتيه من يشاء فانتم ممن يشاء ان يؤتيه فضله فثبتهم فى القول الاول ولم يرجع هو عن قوله الى نقيضه فصح هذا التأويل عن مآله الذى يؤل اليه باستنباط باطن العلم عنه وبطل حمل ابن عطاء ومن وافقه الخبر على ظاهره ولما يأتهم تأويله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اذ لم يعطوا حقيقة خبره وهو حينئذ تأويل الحق الذى هو مآله وحقيقته عند الله تعليم من الله ليس على ظاهر الخطاب يستنبطه

ولابد فيه من تفضيل فنقول انما يتصور الشك فى مقامين أحدهما فقير صابر ليس بحريص على الطالب بل هو قانع أو راض بالاضافة الى غنى منفق ماله فى الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثانى فقير حريص مع غنى حريص اذ لا يخفى أن الفقير القانع أفضل من الغنى الحريص الممسك وأن الغنى المنفق ماله فى الخيرات أفضل من الفقير الحريص أما الاول فربما يظن أن الغنى أفضل من الفقير لانهما تساويا فى ضعف الحرص على المال والغنى متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذى ظنه ابن عطاء فيما نحسبه فاما الغنى المتمتع بالمال وان كان فى مباح فلا يتصور أن يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ماروى فى الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات فى التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك فكانوا يقولونه فعاد الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ابن عطاء أيضا لما سئل عن ذلك فقال الغنى أفضل لانه وصف الحق أما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو أن ثواب الفقير فى التسبيح يزيد على ثواب الغنى وأن فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء

اولو

أولو الالباب وقد قال فقهه فى الدين وعلمه التأويل شهد لبطلان تأويلهم قول الرسول فى أول الكلام لا يسبقكم من قبلكم ولا يلحقكم من بعدكم فكان قوله الثانى مواطئا لقوله الاول اذ لم يناقض الاول بالآخر فهذا من سحر البيان فى قوله ان من البيان لسحرا (فقد) جاء دليل ماقلناه مفسرا مكشوفا فى الخبر الذى (روى زيد بن أسلم) العدوى التابعى مولى عمر مات سنة ست وثلاثين (عن أنس بن مالك رضى الله عنه (قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم أحبهم فقال قالوا يارسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة) أى بالدرجات فيها (يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ عنى الفقراء ان من صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء أما خصلة واحدة فان فى الجنة غرفا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبى فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغنى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم) بهذا الجواب (فقالوا رضينا رضينا) هكذا نقله صاحب القوت وقال العراقى لم أجده هكذا بهذا السياق والمعروف فى هذا المعنى مارواه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشتكى فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل به عليهم أغنياؤهم فقال يامعشر الفقراء ألا أبشركم ان فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام واسناده ضعيف (فهذا يدل على ان قوله) فى الخبر الاول (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أى مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله ان الغنى وصف الحق فقد أجابه بعض الشيوخ) وهو الذى سأله عن الوصفين أيهما أفضل (فقال أترى ان الله تعالى غنى بالاسباب والاعراض فانقطع) ابن عطاء (ولم ينطق) بحرف اذ كان ذلك تسجيلا عليه وهذا كما قاله الشيخ لان الحق سبحانه غنى بوصفه فالفقير أحق بهذا المعنى لانه غنى بوصفه بالاعيان لا بالاسباب لانفراده عنها فهو الافضل والى الحق أقرب فاما الغنى فانه متشتت مجتمع بالاسباب فهو مفضول بلا ارتياب وقد خالفه الخواص ابراهيم فوفق للصواب وكان فوقه فى المعرفة فقال فى كتابه شرف الفقر والفقر صفة للحق يصف به الفقراء فوافق فى التأويل يعنى انه تعالى متخل عن الاسباب منفرد عنها (وأجاب آخرون فقالوا) هذا غلط فاحش من جهة المعنى المذكور ودخل على ابن عطاء لانه ان كان فضل الغنى على الفقر لانه صفة الحق فان (التكبر من صفات الحق فينبغى ان يكون أفضل من التواضع) الذى هو من صفات العبد وكذلك الجد والعز لان ذلك كله صفة حق فلما أجمعوا على ذم من كان هذا وصفه كان من وصف بالغنى فى معناه (ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقراء أفضل لان صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء) والغنى صفة الحق مقترن بالعز والكبر (وصفات الربوبية لا ينبغى ان ينازع فيها) ولا يشارك بل ينبغى ان يسلم صفات الحق للحق فبطل قول ابن عطاء (ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما قصمته) تقدم فى ذم الكبر وفى العلم (وقال) أبو محمد (سهل) بن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى مخالفا له وموافقا لما ذهب اليه الجنيد (حب العز والبقاء شرك فى الربوبية ومنازعة فيها لانهما من صفات الرب تعالى) ولفظه عند صاحب القوت قال سهل من أحب الغنى والبقاء والعز فقد نازع الله تعالى صفاته وهذه صفات الربوبية يخشى عليه الهلكة فاذا ثبت

فقد روى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم أحبهم قال قالوا يارسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالخير يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم بلغ عنى الفقراء أن من صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء أما خصلة واحدة فان فى الجنة غرفا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبى فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغنى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم فاخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أى مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله ان الغنى وصف الحق فقد أجابه بعض الشيوخ فقال أترى ان الله تعالى غنى بالاسباب والاعراض فانقطع ولم ينطق وأجاب آخرون فقالوا ان التكبر من صفات الحق فينبغى ان يكون أفضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر أفضل لان صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغى أن ينازع فيها ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما قصمته وقال سهل حب العز والبقاء شرك فى الربوبية ومنازعة فيها لانهما من صفات الرب تعالى

فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى والفقر وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويلات و بكلمات قاصرة لاتبعد مناقضتها

اذ كما يناقض قول من فضل الغنى بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم الغنى لانه وصف للعبد بالعلم والمعرفة فانه وصف الرب تعالى والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد أن يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطاء عن هذا هو ماذكرناه في كتاب الصبر وهو ان مالا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي أن يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوبا لعينه لكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانس به ولايكون ذلك الابعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لايجتمع معه حب الله في القلب والحب للشئ مشغول به سواء كان في فراقه أو في

ذلك كان الفقر أفضل لانه وصف العبودية فمن جمله وصفه فقد تحقق بالعبودية واخلاق العبودية هي اخلاق الايمان وهي التي أحبها الله تعالى من المؤمنين مثل الخوف والذل والتواضع والفقر مضاف اليها وأوصاف الربوبية ابتلي بها قلوب أعدائه الجبارين والمتكبرين مثل العز والكبر والبقاء والغنى مضموم اليها وكان الحسن يقول مارأيت الله تعالى جعل البقاء الالابغض خلقه اليه وهو ابليس وكذلك كان العلماء يقولون لاترغبوا في البقاء في هذه الدار فان شرار الخلق أطولهم بقاء وهم الشياطين والغنى انما يراد للبقاء (فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى والفقر وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويل وبكلمات قاصرة لاتبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغنى) على الفقر (بانه صفة الحق بالتكبر والعز والبقاء (فكذلك يناقض قول من ذم الغنى) وفضل الفقر (بانه وصف العبد بالعلم) والمعرفة (والقدرة فانه وصف الرب تعالى والجهل) والغفلة (والعجز وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة والعجز على العلم والقدرة فكشف الغطاء عن هذا هو ماذكرناه في كتاب الصبر وهو ان مالا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله) وايضاح ذلك انه تقدم ان الفقر مطلق ومقيد والمطلق يراد لذاته والمقيد يراد لغيره والغنى كذلك فالغني المراد لذاته والفقر المراد لذاته سيان في أصل المقام لان من افتقر الى الله استغنى به ومن استغنى بالله افتقر الى الله فالتفاوت في كمال المقام لافي أصله فلم يبق الا المقيد من كل واحد وقد قلنا ان المقيد ماله تعلق الا بوجود المال وفقده فلنذكر آفات المال وفوائده فمن يخلى من آفاته وتحلى بفوائده فهو الافضل والافالعكس والمال فوائد ثلاث * الاولى ان ينفقه على نفسه اما في عبادة أو في الاستعانة على عبادة والقلب اذا انصرف الى ذلك لم يتفرغ للدين والفقير محروم من فضل ذلك * الثانية مايقي به العرض ويحصل به المروءة وحسن الخلق ومايتقي به اضاعة الاوقات كالخادم فان الاوقات التي يصرفها في خدمة نفسه اذا تولاها غيره استفاد عمرا جديدا ليصرفه في الفكر والعلم ويستفيد من الفكر والعلم محبة الله والانس به * الثالثة وهو مايتعدى نفعه كبناء المساجد والرباطات وحفر الآبار في الطرق وغير ذلك مما هو مستجلب لادعية الصالحين وللمال ايضا آفات ثلاث * الاولى انه يجر الى المعصية ومن العصمة ان لايجد والصبر مع القدرة شديد * الثانية انه يجر الى التنعم بالمباح ومتى تعودت النفس ذلك تولد منها آفات عظيمة والفقير بمعزل عن ذلك * الثالثة وهي التي لاينفك عنها أحد وهي انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله عز وجل وكل ماشغل عن الله تعالى فهو خسران فالافضل من قامت به هذه الفوائد وسلم من هذه الآفات ومن لم يكن كذلك والافي الفقر السلامة الكبرى وهذا حاصل مايذكره المصنف فلنشرع فيه قال (والدنيا ليست محذورة لعينها) أي لذاتها (ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوبا لعينه لكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنى عن الله تعالى مثل سليمان عليه السلام) وكذا داود وابراهيم عليهما السلام فانهم كانوا أصحاب جدة (و) مثل (عثمان) بن عفان (وعبد الرحمن بن عوف) رضي الله عنهما فانهما من أغنياء الصحابة فهؤلاء كلهم لم يشغلهم الغنى عن الله تعالى (وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن القصد) كغالب أبناء الدنيا (وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع) وجود (الشواغل) الصارفة (غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا) وهو أساس كل خطيئة (اذ لايجتمع مع حب الله في القلب والحب للشئ مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله وربما يكون شغله في الفراق أكثر وربما يكون شغله في الوصال أكثر) باختلاف الاشخاص والاحوال (والدنيا معشوقة الغافلين) والمغترين (المحروم عنها مشغول بطلبها) باي وجه

وصاله وربما يكون شغله في الفراق أكثر وربما يكون شغله في الوصال أكثر والدنيا معشوقة الغافلين المحروم منها مشغول بطلبها اتفق

والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذا ان فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال فى حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة أفضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان أخذت الامر باعتبار الا كثر فالفقير عن الخطر أبعد اذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا يقدر ولذلك قال الصحابة رضى الله عنهم بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقة الآدميين كلهم الا الشاذ الفذ الذى لا يوجد فى الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر والضراء أصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال المسيح عليه السلام لا تنظروا الى أموال أهل الدنيا فان بريق أموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وفى الخبر لكل أمة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وكان أصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة أيضا واستواء المال والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبياء عليهم السلام والاولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة اذ كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول للدنيا اليك عنى اذ كانت تتمثل له بزينتها وكان على كرم الله وجهه يقول يا صفراء غرى غيرى ويا بيضاء غرى غيرى وذلك لاستشعاره فى نفسه ظهور مبادى الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال عليه الصلاة والسلام ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذ كان ذلك بعيدا فاذا الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون فى القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة

الفق (والقادر عليها مشغول بحفظها) ورعايتها وتنميتها (والتمتع بها فاذا ان فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال فى حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة) الضرورية (ووجود قدر الحاجة أفضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان أخذت الامر باعتبار الا كثر فالفقير عن الخطر أبعد) والداعية لا تتحرك الا باستشعار القدرة فان صبر فالصبر مع القدرة شديد (اذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء ومن العصمة أن لا يقدر) وهو من قول على رضى الله عنه كما تقدم (ولذلك قال الصحابة رضى الله عنهم بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر) روى ذلك من قول عبد الرحمن بن عوف كما فى الحلية وقد تقدم (وهذه خلقة الآدميين كلهم الا الشاذ الفذ الذى لا يوجد فى الامصار الكثيرة الا نادرا) والنادر كالمعدوم (ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر والضراء أصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال المسيح عليه السلام لا تنظروا الى أموال أهل الدنيا فان بريق أموالهم يذهب بنور ايمانكم) نقله صاحب القوت (وقال بعض العلماء تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان) نقله صاحب القوت (وفى الخبر ان لكل أمة عجلا وعجل هذه الامة الدينار والدرهم) قال صاحب القوت رويناه من طريق وقال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى عبد الرحمن السلمى من حديث حذيفة باسناد فيه جهالة اهـ قلت لفظ الديلمى لكل أمة عجل يعبدونه وعجل أمتى الدراهم والدنانير وروى أيضا من حديث أبى هريرة لكل شئ آفة تفسده وأعظم الآفات آفة تصيب أمتى حبهم الدنيا وحبهم الدينار والدرهم وفى القوت وفى الاثر لكل أمة فتنة وان فتنة أمتى هذا المال (وكان أصل عجل قوم موسى) عليه السلام (من حلية الذهب والفضة أيضا) كما هو بنص القرآن (فاستواء المال والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبياء والاولياء) روى ابن أبى الدنيا وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال ضرب عيسى عليه السلام بيده الى الارض فقبض منها ثم بسطها فاذا فى احدى يديه ذهب وفى الاخرى مدرة فقال لاصحابه أيهما أحلى فى قلوبكم قالوا الذهب قال فانهما عندى سواء (ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى) عليهم (بطول المجاهدة اذ كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول للدنيا اليك عنى اذ كانت تتمثل له بزينتها) رواه الحاكم مع اختلاف وقد تقدم فى ذم الدنيا (وكان على رضى الله عنه يقول يا صفراء غرى غيرى ويا بيضاء غرى غيرى) رواه أحمد فى الزهد حدثنا وهب بن اسمعيل حدثنا محمد بن قيس عن على بن ربيعة الوالبى عن على بن أبى طالب قال جاءه ابن النباج فقال يا أمير المؤمنين امتلا بيت المسلمين من صفراء وبيضاء فقال الله أكبر فقام متوكئا على ابن النباج حتى قام على بيت مال المسلمين فقال هذا جناى وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه يا ابن النباج على باسباع الكوفة قال فنودى فى الناس فاعطى جميع ما فى بيت المال وهو يقول يا صفراء ويا بيضاء غرى غيرى ها وها حتى ما بقى منه دينار ولا درهم ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين (وذلك لاستشعاره فى نفسه ظهور مبادى الاغترار بها لولا ان رأى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس) متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (واذا كان ذلك بعيدا فاذا الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات) ووجوه البر (لانهم لا ينفكون فى القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة

فى بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة وبقدر ما يانس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت أسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب اذا تجافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمنا بالله انصرف لامحالة الى الله اذلا يتصور قلب فارغ وليس فى الوجود الا الله تعالى وغيره فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ومثالهما مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى فينبغى أن يكون مطمح نظر العارف قلبه فى عزوبه عن الدنيا أو أنسه بها فاذا فضل الفقير والغنى بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة قدم وموضع غرور فان الغنى ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا فى باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه بتفريقه أو اذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سريته لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار مستكنة فيه فتحقق اذا أنه كان مغرورا وأن العشق مستكنا فى الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا أو بعيدا فلنطلق القول بان الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل لان علاقة الفقير وأنسه بالدنيا أضعف وبقدر ضعف علاقته تعالى

يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور ولا يكون تأثيرها فى اثارة الانس فى قلب فارغ من غير المذكور كتأثيرها فى قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو فى طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى ألف عام وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيأ يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من ألف دينار ينفقها كلها فى سبيل الله تعالى وقال رجل لبشر بن الحرث رحمه الله

فى بذلها) وصرفها (وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفات المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت أسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها) أى تباعد (والقلب اذا تجافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمنا بالله انصرف لامحالة الى الله اذلا يتصور قلب فارغ) عن شغل (وليس فى الوجود الا الله تعالى وغيره فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ويكون اقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده عن الآخر ومثلهما مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان متقابلتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما يبعد من الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض الله فينبغى أن يكون مطمح نظر العارف قلبه فى عزوفه عن الدنيا أو أنسه بها فاذا فضل الفقير والغنى بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة القدم وموضع غرور فان الغنى ربما يظن) فى نفسه (انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا فى باطنه) كامنا (وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه بتفريقه واذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا) ولنفسه ميلا (فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سريته) أى جارية (لظنه انه منقطع القلب عنها) وقد سلاحبها (فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التى كانت مستكنة فيه فتحقق انه اذا كان مغرورا وان العشق كان مستكنا فى الفؤاد استكنان النار تحت الرماد أو) استكنانها فى قلب (الزناد وهذا حال كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء) فقد عصمهم الله تعالى عن الغرور (وان كان ذلك محالا أو بعيدا فلنطلق القول بان الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل لان علاقة الفقير وأنسه بالدنيا أضعف وبقدر ضعف علاقته) بها (يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان) بالاذكار (ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور فلا يكون تأثيره فى اثارة الانس فى قلب فارغ عن غير المذكور كتأثيره فى قلب مشغول) وهذا هو المراد من الخبر ان تموت ولسانك رطب بذكر الله (ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو فى طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفاء) وكان يحيى بن معاذ يقول اذا كان التعبد والاجتهاد على غير زهد لم يكن للعمل ميراث يعنى من حكمة ولا معرفة (و) قال آخر مثل من زهد فى الدنيا مع التنعم فيها (مثل من يغسل يده من الغمر بالسمك) كذا فى القوت (وعن الضحاك) بن مزاحم الهلالى المفسر المشهور صدوق كثير الارسال روى له أصحاب السنن الاربعة مات بعد المائة (قال من دخل السوق فرأى شيأ يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من ألف دينار ينفقها كلها فى سبيل الله تعالى وقال رجل لبشر بن الحرث) الحافى رحمه الله

أدع الله لى فقد أضر بى العيال فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لى فى ذلك الوقت فان دعاءك أفضل من دعائى وكان يقول مثل الغنى المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر فى جيد الحسناء وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء وقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه اللهم انى أسألك الذل عند النصف من نفسى والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثل الصديق رضى الله عنه فى كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك فى أن فقد المال

أصلح من وجوده هذا مع أن أحسن أحوال الغنى أن يأخذ حلالا و ينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه فى عرصات القيامة و يطول انتظاره ومن نوقش الحساب فقد عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو الدرداء رضى الله عنه ما أحب أن لى حانوتا على باب المسجد ولا تخطئنى فيه صلاة وذكر وأربح كل يوم خمسين دينارا وأتصدق بها فى سبيل الله تعالى قيل وما تكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفيان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الاغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره ابن عطاء من ان الغنى وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوى عنده كلاهما فأما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهى غناه غنى الله تعالى لان الله تعالى غنى بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بان يسرق وما ذكر من الرد عليه بان الله ليس غنيا بالاعراض والاسباب صحيح فى ذم غنى يريد بقاء المال وما ذكر من ان صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شئ للعبد بل منتهى العبد أن يتخلق باخلاق الله تعالى

تعالى (ادع الله لى فقد اضر بى العيال فقال) بشر (اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لى فى ذلك الوقت فان دعاءك أفضل من دعائى) كذا فى القوت (وكان) بشر (يقول مثل الغنى المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر فى جيد الحسناء) كذا فى القوت (وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء) لانهم ليسوا أهلا لان يؤخذ عنهم ذلك (وقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه اللهم انى أسألك الذل عند النصف من نفسى) النصف محركة اسم من الانتصاف (والزهد فيما جاوز الكفاف) نقله صاحب القوت (واذا كان مثل الصديق) رضى الله عنه (فى حال كماله) ومع شدته وقوته (يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك فى ان فقد المال أصلح من وجوده) أو يتردد فيه (هذا مع ان أحسن أحوال الغنى ان يأخذ حلالا و ينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه فى عرصات القيامة و يطول انتظاره ومن نوقش الحساب عذب) كما ورد فى الخبر وتقدم (ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف) رضى الله عنه (عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم) فيما رواه الطبرانى من حديث أبى امامة وقد تقدم قريبا (ولهذا قال أبو الدرداء) رضى الله عنه (ما أحب ان لى حانوتا على باب المسجد ولا تخطئنى فيه صلاة وذكر واربح كل يوم خمسين دينارا وأتصدق بها فى سبيل الله قيل وما تكره قال سوء الحساب) رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا أحمد بن ابراهيم ابن عبد الله حدثنا عمر بن زرارة حدثنا المحاربى عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة قال قال أبو الدرداء والذى نفس أبى الدرداء بيده ما أحب ان لى اليوم حانوتا على باب المسجد لا تخطئنى فيه صلاة أربح فيه كل يوم أربعين دينارا وأتصدق بها كلها فى سبيل الله قيل له يا أبا الدرداء وما تكره من ذلك قال شدة الحساب ورواه محمد بن جنيد التمار عن المحاربى فقال عن عمرو بن مرة عن أبيه (ولذلك قال شقيق) بن ابراهيم البلخى رحمه الله تعالى (اختار الفقراء ثلاثة أشياء و) اختار (الاغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب) فان الفقراء فقدوا المال فارتاحت نفوسهم وتفرغت قلوبهم لله تعالى وسيخفف حسابهم غدا بخلاف الاغنياء الواجدى المال فانهم اتعبوا أنفسهم فى حفظه وتنميته وشغلوا قلوبهم بحبه وسيشتد حسابهم غدا (وما ذكره ابن عطاء) رحمه الله تعالى فى جواب السائل لما سأله أى الوصفين أفضل (من ان الغنى وصف الحق) تعالى (فهو بذلك أفضل) لان أوصاف الحق كلها مفضلة (صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوى عنده كلاهما فيكون كالماء فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهى غناه غنى الله تعالى) لان الله تعالى (غنى بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور أن يسرق) أو يغرق أو يصيبه غير ذلك من حوادث الدهر (وماذكر فى الرد عليه) أى على ابن عطاء (بان الله ليس غنيا بالاسباب والاعراض) هو أيضا (صحيح) لكن (فى ذم غنى يريد بقاء المال و) اما (ماذكر من ان صفات الحق تعالى لا تليق بالعبد) فهذا (غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شئ للعبد بل منتهى) كمال (العبد) وسعادته (ان يتخلق باخلاق الله تعالى) وان يتخلق بمعانى صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور فى حقه ومن لم يكن له منها حظ الا بان يسمع لفظا و يفهم فى اللغة تفسيره و وصفه و يعتقد

بالقلب وجود معناه تعالى فهو مخصوص الحظ نازل الدرجة ليس يحسن به ان يتبجح بما ناله فقد روى الطيالسي والحكيم وأبو يعلى من حديث عثمان باسناد ضعيف ان لله مائة خلق وسبعة عشر خلقا فمن أتى الله بخلق واحد منها دخل الجنة وحظوظ المقربين من معاني أسماء الله تعالى ثلاثة الاول ان ينكشف لهم اتصاف الله تعالى بها انكشافا يجري مجرى اليقين الحاصل للانسان بصفاته الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنة الثاني استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث منه شوقهم الى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليتقربوا بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان الثالث السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها وبه يصير العبد ربانيا رفيقا للملأ الاعلى من الملائكة (وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الاسماء التسعة والتسعون أوصافا له أي يكون له من كل واحد نصيب) ولفظ المصنف في خاتمة المقصد الاسنى ولقد سمعت الشيخ أبا علي الفارمدي يحكي عن شيخه أبي القاسم الكركاني قدس الله روحهما انه قال ان الاسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل ثم قال وهذا الذي ذكره ان أراد به شيأ يناسب ما أوردناه في التنبيهات يعني في أول المقصد الاسنى فهو صحيح ولا يظن به الا ذلك ويكون في اللفظ نوع من التوسع والاستعارة والا فان معاني الاسماء هي صفات الله تعالى وصفاته لا تصير صفة لغيره ولكن معناه من يحصل ما يناسب تلك الاوصاف ومن أراد غير ذلك فهو باطل لان قول القائل ان أسماء الله تعالى صارت أوصافا له لا يخلو اما ان عنى به عين تلك الصفات أو مثلها فان عنى به مثلها فاما ان عنى به مثلها مطلقا من كل وجه واما ان عنى به مثلها من حيث الاسم والمشاركة في عموم الصفات دون خواص المعاني وهذان قسمان وان عنى به عينها فاما أن يكون بطريق الانتقال للصفات من الرب الى العبد أولا بالانتقال فان لم يكن بالانتقال فاما أن يكون باتحاد ذات العبد بذات الرب حتى يكون هو هو فيكون صفته صفاته واما أن يكون بطريق الحلول وهذه أقسام ثلاثة وهو الانتقال والاتحاد والحلول وقسمان متقدمان فهذه خمسة أقسام الصحيح منها قسم واحد وهو ان يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة وتشاركها في الاسم ولكن لا تماثلها مماثلة تامة وبقية الاقسام كلها محال وباطل وحيث يطلق الاتحاد ويقول هو هو ولا يكون الا بطريق التوسع اللائق بعادة الصوفية وعليه ينبغي ان يحمل قول الشيخ أبي يزيد حيث قال انسلخت نفسي من نفسي كما تنسلخ الحية عن جلدها فنظرت فاذا أنا هو ويكون معناه ان ينسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها فلا يبقى فيه متسع لغير الله ولا يكون همه سوى الله واذا لم يحل في القلب الا جلال الله وجماله حتى صار مستغرقا به يصير كأنه هو لا انه هو تحقيقا وفرق بين قولنا هو هو وبين قولنا كأنه هو وهذه مزلة قدم فان من ليس له قدم راسخ في المعقولات ربما لم يتميز له أحدهما عن الآخر هذا حاصل ما ذكره المصنف في خاتمة المقصد الاسنى (وأما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى) بل اللائق منه في صفات الله تعالى رؤية الكل حقيرا بالاضافة الى ذاته ولا يتصور ذلك على الاطلاق الا لله تعالى (وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي يليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف) والتيه (والايذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وانما وصف الله تعالى انه أكبر من كل شئ وانه يعلم انه كذلك) ولا يرى العظمة والكبرياء الا لنفسه فينظر الى غيره نظر الملوك الى العبيد (والعبد مأمور بان يطلب أعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المؤمن أكبر من الكافر والمطيع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانسان أكبر من البهيمة والجماد والنبات وأقرب الى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولائقة به وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل له

وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الاسماء التسعة والتسعون أوصافا له أي يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وانما وصف الله تعالى انه أكبر من كل شئ وانه يعلم انه كذلك والعبد مأمور بانه يطلب أعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر والمطيع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانسان أكبر من البهيمة والجماد والنبات وأقرب الى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولائقة به وفضيلة في حقه الا أنه لا سبيل له

الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدرى الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق فلجهله بذلك وجب أن لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان وقد يختم له بالكفر فلم يكن ذلك لا ثقابه لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصوّر أن يعلم الشئ على ما هو به كان العلم كمالا فى حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الاشياء قد تضره صار ذلك العلم نقصانا فى حقه اذ ليس من أوصاف الله تعالى علم يضره فمعرفة الامور التى لا ضرر فيها هى التى تتصور فى العبد من صفات الله تعالى فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهى بوجه من الوجوه الغنى الذى يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغنى الشاكر *(المقام الثانى فى نسبة حال الفقير الحريص الى حال الغنى الحريص)* ولنفرض هذا فى شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فاى حالتيه أفضل فنقول ننظر فان كان مطلوبه ما لا بد منه فى المعيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود أفضل لان الفقر يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر الا قدرة مدخوله بشغل والمكفى هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم جعل قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر أن يكون كفرا أى الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحالة الفقر أفضل وأصلح لانهما استويا فى الحرص وحب المال واستويا فى أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين واستويا فى أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا فى أن الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه فى قلبه ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذى يبغى الخلاص منه ومهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشد ركونا الى الدنيا فحاله أشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر

الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدرى الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق فلجهله بذلك وجب أن لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر) ولا يفضل نفسه عليه (اذ ربما يختم للكافر بالايمان) فينجو (وقد يختم له بالكفر) فيهلك (فلم يكن ذلك لا ثقابه لقصور علمه عن معرفة العاقبة) وقال المصنف فى المقصد الاسنى حظ العبد من اسمه تعالى المتكبر أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتكبر على كل شئ سوى الحق تعالى فيكون مستحقرا للدنيا والآخرة مترفعا عن كل ما يشغله عن الحق تعالى (ولما تصور أن يعلم الشئ على ما هو به كان العلم كمالا فى حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كان معرفة بعض الاشياء قد تضره صار ذلك نقصانا فى حقه اذ ليس من أوصاف الله تعالى علم يضره فمعرفة الامور التى لا ضرر فيها هى التى تتصور فى العبد من صفات الله تعالى فلا جرم هو منتهى الفضيلة) وغاية الكمال (وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهو نوع من الغنى يضاهى بوجه من الوجوه الغنى الذى يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة) وكمال (أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغنى الشاكر) وبه تم بيان المقام الاول

(المقام الثانى فى) بيان (نسبة حال الفقير الحريص الى حال الغنى الحريص ولنفرض ذلك فى شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقر وحالة الوجود فأى حالتيه أفضل فنقول ننظر فان كان مطلوبه ما لا بد منه فى المعيشة كان قصده أن يسلك سبيل الدين) لحج وجهاد وصلة وقربات (ويستعين به عليه) كطعام وملبس ومسكن ونحو ذلك (فحال الوجود أفضل) فى حقه (لان الفقر يشغله بالطلب) والقلب اذا انصرف الى ذلك لم يتفرغ للدين (وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر الا قدرة مدخولة بشغل والمكفى هو القادر) وليس هذا من حظوظ الدنيا فان أخذ الكفاية من الدنيا على نية التقوى على سلوك سبيل الدين كان ذلك كفاية وهذه احدى فوائد المال المشار اليها فى الاجمال (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا) تقدم قريبا (وقال) صلى الله عليه وسلم (كاد الفقر أن يكون كفرا) تقدم مرارا (أى الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه) فهذا هو الذى يكاد أن يكون كفرا (وان كان المطلوب فوق الحاجة) الضرورية (أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحالة الفقد أفضل وأصلح) فى حقه (لانهما استويا فى الحرص وحب المال واستويا فى ان كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين واستويا فى ان كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا فى ان الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه فى قلبه) ويطمئن (الى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذى يبغى الخلاص منه ومهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشد ركونا الى الدنيا) أى ميلا اليها (فحاله أشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر

ثم تأكد أنسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد فينبغي أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه وقدر أنسه به وأنس الواجد للدنيا القادر عليها أكثر من أنس الفاقد لها وان كان حريصا عليها فاذا قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا في موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا

له اذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وجمع هممهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد أن يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبقي حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه أقل فالاصلح له أن يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه أيضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره فهذا في محل النظر والاظهر أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى فيه

(بيان آداب الفقير في فقره)

اعلم أن للفقير آدابا في باطنه وظاهره ومخالطته وأفعاله ينبغي أن يراعيها فأما أدب باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر أعني انه لا يكون كارها فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها للحجام بل ربما يتقلد منه منة فهذا أقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى

قوله

تأكد أنسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس) أي جبريل عليه السلام (نفث في روعي) أي ألقى فيه (أحبب ما أحببت فانك مفارقه) وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به رواه الشيرازي في الالقاب من حديث سهل بن سعد نحوه ورواه الطبراني في الاصغر والاوسط من حديث علي وقد تقدم في آخر الباب السابع من كتاب العلم (وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد فينبغي ان تحب من لا يفارقك) أبدا (وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك) ولو بعد حين (وهو الدنيا فانك اذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه) له (وقدر أنسه به) والفته (معه وأنس الواجد للدنيا أكثر من أنس الفاقد لها وان كان حريصا عليها) وملتفتا لتحصيلها (فاذا قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا في موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة) رضي الله عنها (يستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود) مع هذا الحال (مزيدا له) في حاله (اذ يستفيد به) حينئذ (أدعية الفقراء والمساكين وجمع هممهم) وتوجهات بواطنهم وفيه فضيلة ظاهرة (والثاني الفقر عن مقدار الضرورة) الماسة (فان ذلك يكاد أن يكون كفرا) كما ورد به الخبر (فلا خير فيه) أي في الكفر أو في هذا الفقر (بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبقي حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر) أو ما يفضي اليه (و) على (المعاصي) أو ما يفضي اليها (ولو مات جوعا لكانت معاصيه أقل فالاصلح له ان يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه أيضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني هو دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده) بسرقة أو تغريق أو غير ذلك (كتفجع الفقير بفقده فهذا في محل النظر) والتأمل (والاظهر) من القولين (ان بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما بفقد المال وقربهما) من الله تعالى (بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى فيه) والله الموفق

(بيان آداب الفقير في فقره)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان للفقير آدابا في باطنه وظاهره ومخالطته) مع الناس (وأفعاله ينبغي ان يراعيها) ويحافظ عليها (فأما أدب باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر) لانه تعالى قسم لمصلحته (أعني انه لا يكون كارها فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر) فان قلت الطباع تنفر من المؤلم فاقول الشرع لا يؤاخذ العباد على النفرة الطبيعية وهذا (كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها للحجام) فالنفرة من حديدة الحجام طبيعية لا خلاص منها الا بالاستغراق وذلك مقام الصديقين (بل ربما يتقلد منه منة) ويعطيه أجرة وهذه أفعال اختيارية فهكذا ينبغي ان تفهم هذه المسئلة (وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى

قوله عليه السلام يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والافلا وأرفع من هذا أن لايكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه أن يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى و يكون متوكلا فى باطنه على الله تعالى واثقا به فى قدر ضرورته أنه يأتيه لامحالة و يكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال على كرم الله وجهه ان لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر اذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه و يطيع به ربه ولا يشكو حاله و يشكر الله تعالى على فقره ومن علاماته اذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه و يعصى ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية و يتسخط القضاء وهذا يدل على أن كل فقير فليس بمحمود بل الذى لا يتسخط ويرضى أو يفرح بالفقر و يرضى لعلمه بثمرته اذ قيل ما أعطى عبد شيأ من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة أثلاث شغل وهم وطول حساب وأما أدب ظاهره فأن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره و يستر انه يستره ففى الحديث ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال سفيان أفضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر وأما فى أعماله فادبه ان لا يتواضع لغنى لاجل غناه بل يتكبر عليه قال على كرم الله وجهه ما احسن تواضع الغنى للفقير رغبة فى ثواب الله تعالى وأحسن منه تيه الفقير على الغنى ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة وأقل منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب فى مجالستهم لان ذلك من مبادى الطمع قال الثورى رحمه الله اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مراء واذا خالط السلطان فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا خالط الفقير الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع

قوله صلى الله عليه وسلم يامعشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا) رواه الديلمى من حديث أبى هريرة وقد تقدم قريبا (وأرفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وأرفع منه أن يكون طالبا له وفرحا به) ومحباله (لعلمه بغوائل الغنى) وتهاويله (ويكون متوكلا فى باطنه على الله واثقا به فى قدر ضرورته انه يأتيه لامحالة) على كل حال (ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال على رضى الله عنه ان لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع فيه ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامته اذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويعصى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء) نقله صاحب القوت (وهذا يدل على ان كل فقر ليس محمودا) بل بعض الفقر مذموم وهذا منه (بل الذى لا يتسخط ويرضى) بما قضاه له مولاه (أو يفرح بالفقر ويرضى لعلمه بثمرته) فهذا هو المحمود (اذ قيل ما أعطى عبد شيأ من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة أثلاث) ثلث (شغل) به (و) ثلث (هم) ملازم وهذان فى الدنيا (و) ثلث (طول حساب) وهذا فى الآخرة وروى الطبرانى من حديث ابن مسعود من أشرب قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث شقاء لا ينفد عناه وحرص لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منتهاه (وأما أدب ظاهره) وفى نسخة وأما أدبه فى ظاهره (فان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر) لاحد (بل يستر فقره و) أعلى من ذلك ان (يستر انه يستره ففى الحديث ان الله تعالى يحب) عبده المؤمن (الفقير المتعفف أبا العيال) رواه ابن ماجه والطبرانى وابن عدى والبيهقى من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (وقال) تعالى (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال سفيان) الثورى رحمه الله تعالى (أفضل الاعمال التجمل عند المحنة) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر) وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر من كنوز البر كتمان المصائب والامراض والصدقة وروى الطبرانى وابن عساكر من حديث أنس ثلاث من كنوز البر اخفاء الصدقة وكتمان الشكوى وكتمان المصيبة (وأما فى أعماله فادبه) وفى بعض النسخ وأما أدبه فى أعماله (ان لا يتواضع لغنى لاجل غناه) فقد روى الديلمى من حديث أبى ذر لعن الله فقيرا تواضع لغنى من أجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه وروى البيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود من دخل على غنى فتضعضع له ذهب ثلثا دينه وللطبرانى فى الصغير من حديث أنس من تضعضع لغنى لينال مما فى يديه أسخط الله عز وجل (بل يتكبر عليه) لله تعالى ان كان ذلك الغنى ممن يفتخر بغناه فان التكبر عليه حينئذ بما يكون بمنزلة الصدقة اذا كان الفقير واثقا بالله عز وجل والمعنى فيه والله أعلم أن ينظر الى زيهم وهيآتهم بنظر الحقارة والاعراض ليصغر فى عيونهم بذلك ما عظم فى نفوسهم من أمر الدنيا فليس المراد بالتكبر هنا معناه الظاهر الذى هو التطاول والتفاخر والتظاهر فهو من أكثف حجب القلب وأقوى صفات النفس (قال على كرم الله وجهه ما أحسن تواضع الغنى للفقير رغبة فى ثواب الله وأحسن منه تيه الفقير على الغنى ثقة بالله تعالى) وقد رأى بعض الصوفية عليا رضى الله عنه فى المنام وطلب أن يسمع منه شيأ فقال له ذلك وقد تقدم (فهذه رتبة وأقل منها أن لا يخالط الاغنياء ولا يرغب فى مجالستهم لان ذلك من مبادى الطمع) والطباع تسرق العادات بالمجالسة فيورث ذلك بغض الفقر ومحبة الدنيا (قال) سفيان (الثورى) رحمه الله تعالى (اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مراء واذا خالط السلطان فاعلم انه لص) رواه أبو نعيم فى الحلية وروى الديلمى من حديث أبى هريرة اذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم انه لص وقد تقدم فى الامر بالمعروف (وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته) أى عروة فقره اذ بميله اليهم يبغض الفقر ويحب الدنيا (فاذا طمع

فهم انقطعت عصمته فاذا سكن الهم ضل و ينبغي أن لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا في العطاء وأما أدبه في أفعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق بها وأخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف و ينبغي أن لا يدخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات احداها أن لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثاني أن يدخر لاربعين يوما فان ما زاد عليه دخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة في أمل الحياة أربعين يوما وهذه درجة المتقين والثالثة أن يدخر لسنته وهي أقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه في قوت سنته وغنى الخصوص في أربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم نساءه على مثل هذه الاقسام فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل و بعضهن قوت أربعين يوما و بعضهن يوما وليلة وهو قسم عائشة وحفصة *(بيان آداب الفقير في قبول العطاء اذا جاءه بغير سؤال)* ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ أما نفس المال فينبغي أن يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من أخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب وأما غرض المعطي

فهم انقطعت عصمته) أي عصمة تقواه بل تنكسر زجاجة زهده (فاذا سكن الهم ضل) عن طريق الوصول الى الله تعالى وصار ذلك السكون من أكثف الحجب وكان سهل التستري رحمه الله تعالى يقول يلقي الله في قلب الفقير الرغبة في أبناء الدنيا والطمع فيهم حتى يخرج الهم و يلقي في قلوبهم المنع له والجفاء عليهم يؤدبه بذلك لئلا يستطيله و يعتاده فيرده بذلك اليه بعد ان منعهم منهم ثم يفتح له من عنده رزقا من حيث لا يحتسب الغنى (ولا ينبغي ان يسكت عند ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا في العطاء) وهذا واجب روى البيهقي في الشعب من قول ابن مسعود من خضع لغني و وضع له نفسه اعظاما له وطمعا فيما قبله ذهب ثلثا مروءته وشطر دينه (وأما أدبه في أفعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة الله) عز وجل أي لا يمنعه عنها الا ان الفقر أفرغ للشواغل فهو أزيد للعبادة (و) ان (لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل) وهو أفضل الصدقات كما في الخبر (وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى زيد بن أسلم) العدوي مولاهم التابعي المدني مرسلا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها وأخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف) قال العراقي رواه النسائي من حديث أبي هريرة متصلا وتقدم في الزكاة ولا أصل له من رواية زيد بن أسلم مرسلا اهـ قلت وكذلك رواه ابن حبان والحاكم ورواه النسائي أيضا من حديث أبي ذر ولفظهم جميعا سبق درهم مائة ألف رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها (و ينبغي أن لا يدخر مالا بل يأخذ) منه (قدر الحاجة و يخرج الباقي) في سبيل الله تعالى (وفي الادخار ثلاث درجات احداها ان يدخر ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية أن يدخره لاربعين يوما) ولا يزيد (فان ما زاد عليه داخل في طول الامل) وهو مذموم (وقد فهم العلماء ذلك) الحد (من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام) اذ كان ميقاته أربعين ليلة (ففهم منه الرخصة في أمل الحياة أربعين يوما) و يأتي للمصنف في كتاب التوكل ما يرده (وهذه درجة المتقين والثالثة أن يدخر لسنته وهي أقصى المراتب) والدرجات في الرخصة (وهي رتبة الصالحين) من خواص المؤمنين (ومن زاد في الادخار على هذا) القدر (فهو واقع في غمار العموم) من المؤمنين (خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه) وفقد يقينه (في قوت سنته وغنى الخصوص في أربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة) وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم لنسائه على مثل هذه الاقسام فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل و بعضهن قوت أربعين يوما و بعضهن يوما وليلة منهن عائشة وحفصة والله الموفق

(بيان آداب الفقير في قبول العطاء اذا جاءه من غير سؤال)

اعلم انه (ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه) من غير سؤال (ثلاثة أمور نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ أما نفس المال فينبغي أن يكون حلالا) طيبا (خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من أخذه) وليجتنبه الائمة أجازوا أخذها للحاجة القريبة من الضرورة ولطيب قلب المعطي ان كان ولدا أو قريبا أو صديقا وان كان حراما فلا يأخذه لحاجته ولا لطيب قلب المعطي (وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب) فلينظر هنالك (وأما غرض

المعطى فلا يخلو اما أن يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو الثواب وهو الصدقة أو الزكاة أو الذكر والرياء والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض أما الاول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن

المعطى فلا يخلو اما أن يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو) كان غرضه (الثواب المجرد (وهو الصدقة والزكاة أو) كان غرضه (الذكر والرياء والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض أما الاول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقد روى أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى من حديث عائشة كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها وقد تقدم (ولكن ينبغى ان لا تكون فيها منة فان كان فيها منة فالاولى) للمخلصين من الصادقين (تركها فان علم ان بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض) وذلك ممن يرى المنة للآخذ (فقد أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) من رجل أو امرأة (سمن وأقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش) قال العراقى رواه أحمد فى أثناء حديث ليعلى بن مرة فاهدت اليه كبشين وشيأ من سمن وأقط فقال النبى صلى الله عليه وسلم خذ السمن والاقط وأحد الكبشين ورد عليها الآخر واسناده جيد وقال وكيع مرة عن يعلى بن مرة عن أبيه انتهى قلت هو يعلى بن مرة بن وهب بن جابر الثقفى له ولابيه صحبة وهو الذى أمره النبى صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف ووالده ذكره البغوى وغيره فى الصحابة له فى ابن ماجه حديث اختلف فى اسناده على الاعمش (وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض) قال العراقى روى أبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة وايم الله لا أقبل بعد يومى هذا من أحد هدية الا أن يكون مهاجرا الحديث وفيه محمد بن اسحق ورواه بالعنعنة (وقال) صلى الله عليه وسلم (لقد هممت ان لا أتهب) أى لا أقبل الهبة (الا من قرشى أو ثقفى أو انصارى أو دوسى) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال روى من غير وجه عن أبى هريرة قلت ورجاله ثقات انتهى قلت ورواه كذلك عبد الرزاق وابن أبى شيبة والنسائى والبيهقى ولفظهم لقد هممت أن لا أقبل هدية وأما لفظ المصنف فرواه أحمد والطبرانى والبزار من حديث ابن عباس لقد هممت أن لا أتهب هبة الا من أنصارى أو قرشى أو ثقفى ورجال أحد رجال الصحيح (وفعل هذا جماعة من التابعين) فقبلوا من البعض وردوا على البعض (و) يحكى أنه (جاءت الى فتح) بن شخرف (الموصلى) رحمه الله تعالى من أحد أصدقائه (صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء) ان كان هو ابن أبى رباح فان فتحا لم يدركه (عن النبى صلى الله عليه وسلم) مرسلا (من أتاه رزق من غير مسألة فرده فانما يرده على الله) عز وجل قال العراقى لم أجده مرسلا هكذا وسيأتى بعد هذا حديث ما يصح معناه (ثم فتح الصرة وأخذ منها درهما ورد سائرها) أى باقيها يحتمل انه أخذ درهما قدر حاجته ورد ما لم يحتج اليه ويحتمل انه أخذ الدرهم لتطييب قلب صديقه (وكان الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (يروى هذا الحديث أيضا) عن جماعة من الصحابة (ولكن) روى أنه (حمل اليه رجل كيسا) فيه دراهم (ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك) كله (وقال) ياهذا (من جلس مجلسى هذا) أى فى التعليم والتذكير (وقبل من الناس مثل هذا) الذى أهدى اليه (لقى الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق) أى حظ ونصيب من الثواب (وهذا) بظاهره (يدل على أن أمر العالم) الذى انتصب لافادة الناس (والواعظ) الذى انتصب للتذكير (أشد فى قبول العطاء) من غيرهما (وقد كان الحسن) رحمه الله تعالى مع ذلك (يقبل من أصحابه) تطييبا لقلوبهم (وكان ابراهيم) بن يزيد (التيمى) مع ورعه (يسأل أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه) ويأخذ منهم وكانوا يعرفون له المنة والفضل فى قبوله منهم (ويعرض عليه غيرهم المئين) من الدراهم من غير سؤال (فلا يأخذ) منهم (وكان بعضهم اذا أعطاه صديقه شيأ يقول) له (اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله فى قلبك أفضل منى قبل

ينبغى أن لا يكون فيها منة فان كان فيها منة فالاولى تركها فان علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض فقد أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمن وأقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت أن لا أتهب الا من قرشى أو ثقفى أو انصارى أو دوسى وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت الى فتح الموصلى صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أتاه رزق من غير مسألة فرده فانما يرده على الله ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروى هذا الحديث أيضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أشد فى قبول العطاء وقد كان الحسن يقبل من أصحابه وكان ابراهيم التيمى يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذها وكان بعضهم اذا أعطاه صديقه شيأ يقول اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله فى قلبك أفضل منى قبل

القبول فاخبرنى حتى آخذه والافلا وأمارة هذا أن يشق عليه الرد لو رده و يفرح بالقبول و يرى المنة على نفسه فى قبول صديقه هديته فان علم أنه يمازجه منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين وقال بشر ماسألت أحدا قط شيأ الا سريا السقطى لانه قد صح عندى زهده فى الدنيا فهو يفرح بخروج الشئ من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عوناله على مايحب وجاء خراسانى الى الجنيد رحمه الله بمال وسأله أن يأكله فقال أفرقه على الفقراء فقال ما أريد هذا قال ومتى أعيش حتى آكل هذا قال ما أريد أن تنفقه فى الخل والبقل بل فى الحلاوات والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراسانى ما أجد فى بغداد أمن على منك فقال الجنيد ولا ينبغى أن يقبل الا من مثلك * الثانى أن يكون للثواب المجرد وذلك صدقة أو زكاة فعليه أن ينظر فى صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى كتاب أسرار الزكاة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا المعصية فى السر يعلم أن المعطى لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله بالتصدق عليه فهذا حرام أخذه كما لو أعطاه لظنه أنه عالم أو علوى ولم يكن فان أخذه حرام محض لاشبهة فيه * الثالث أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغى أن يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه الفاسد وكان سفيان الثورى يرد ما يعطى و يقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت وعوتب بعضهم فى رد ما كان يأتيه من صلة فقال انما أرد صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك و يحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم * وأما غرضه فى الاخذ فينبغى أن ينظر أهو محتاج اليه فيما لا بد له منه أو هو مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة والآفات التى ذكرناها فى المعطى فالافضل

القبول فاخبرنى حتى آخذ والافلا) آخذ اختبارا لصداقته (وامارة هذا أن يشق عليه الرد لو رده) عليه (و يفرح بالقبول و يرى المنة على نفسه) والفضل (فى قبول صديقه هديته فان علم أنه يمازجه منة فاخذه مباح) فى ظاهر الشرع (ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين) فان صدقهم فى فقرهم يحملهم على رد ما فيه منة (وقال بشر) بن الحرث رحمه الله تعالى (ماسألت أحدا قط شيأ الا سريا السقطى) رحمه الله تعالى (لانه قد صح عندى زهده فى الدنيا) وتسلية نفسه عنها (فهو يفرح بخروج الشئ من يده) ويرى للآخذ منة (و يتبرم) أى يتضجر (ببقائه عنده فاكون عوناله على مايحب) نقله صاحب القوت (وجاء) رجل (خراسانى الى الجنيد) رحمه الله تعالى (بمال) هدية (وسأله أن يأكله) أى يصرفه على ما يأكله (فقال) أقبله و (أفرقه على الفقراء فقال ما أريد هذا) انما أريد أن تصرفه على أكلك (قال) الجنيد هذا مال كثير (ومتى أعيش حتى آكل) وفى نسخة الى أن آكل (هذا قال) الرجل (ما أريد أن تنفقه فى الخل والبقل) وما أشبه ذلك (بل) تنفقه (فى الحلاوات والطيبات) من لذائذ الاطعمة (فقبل ذلك منه) تطييبا لخاطره وعرف منه صدق ارادته (فقال الخراسانى ما أحد فى بغداد أمن على منك) أى أكثر منة منك على حيث قبلته منى (فقال الجنيد ولا ينبغى أن يقبل الا من مثلك) وهذا يدل على أنه يجوز قبول العطاء ممن يرى للآخذ منة ولو كان زائدا على قدر حاجته (الثانى أن يكون للثواب المجرد وذلك صدقة أو زكاة) فان كان (زكاة فعليه أن ينظر فى صفات نفسه) أنه (هل هو مستحق للزكاة) أم لا فان كان مستحقا أخذ والافلا وهذا واجب (فان اشتبه عليه) ذلك (فهو محل شبهة) أى شبهة صفة الاستحقاق وهى آفة وأيضا فيه تضييق على الفقراء فهى آفة ثانية فلا يترجح أخذها على الصدقة ولكن فى قبولها فوائد الاعانة على الواجب وعدم المنة وعدم الاخذ بالدين والاخذ للحاجة وأبعد من التكبر وفى الصدقة عكس ذلك (وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى كتاب أسرار الزكاة) فليطلب من هنالك (وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه) أى يظن فيه الصلاح (فان كان مقارفا المعصية فى السر) ولم يتب منها أو كان مصرا على معصية وهو (يعلم أن المعطى لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله تعالى بالتصدق عليه فهذا حرام أخذه) أى لا يحل له القبول (كما لو أعطاه لظنه انه عالم أو علوى) أى شريف هاشمى (ولم يكن) كذلك (فان أخذه حرام محض لاشبهة فيه) وفى قبول الصدقة للمتصف بالوصف الذى يعطى بسببه فائدة عظيمة اذا كان المتصدق لا يسمح بتلك الصدقة الا لزيد بعينه فقبولها اعانة له على البر وتوسع على الفقراء ومن أخذ لله انتفى عنه الكبر والمنة وهذه علامات باطنة بين العبد وربه والقيام بها يبلغ درجة الصديقين واهمالها يبلغ درجة الغافلين (الثالث أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغى أن يرد عليه قصده) ولا يعان فيه (ولا يقبله) منه (اذ يكون) فى قبوله منه (معينا على غرضه الفاسد) وهو حرام (وكان سفيان الثورى) رحمه الله تعالى (يرد ما يعطى و يقول لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخارا به) بين الناس (لاخذت وعوتب بعضهم فى رد ما كان يأتيه من صلة) من أصدقائه (فقال انما أرد صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك) بين الناس (ويحبون أن يعلم بهم) ليذكروا به (فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم) لفساد نياتهم (وأما غرضه) أى الفقير (فى الاخذ فينبغى أن ينظر أهو محتاج اليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه فان كان محتاجا وقد سلم من الشبهة والآفات التى ذكرناها فى المعطى) ومن استشراف النفس

فالافضل له الاخذ قال النبي صلى الله عليه وسلم ما المعطى من سعة باعظم أجرا من الآخذ اذا كان محتاجا وقال صلى الله عليه وسلم من أتاه شئ من
هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ آخر فلا يرده وقال بعض العلماء من أعطى
ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد كان سرى السقطى يوصل الى أحمد بن حنبل رحمة الله عليهما شيأ فرده مرة فقال له السرى يا أحمد احذر آفة الرد فانها أشد من آفة الاخذ فقال أحمد أعد على ما قلت فاعاده فقال أحمد ما رددت عليك الا لان عندى قوت شهر فاحبسه لى عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الى وقد قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره فاما اذا كان ما أتاه زائدا على حاجته فلا يخلو اما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه والتكفل بامور الفقراء والانفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالبا طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان أو داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ثم له مقامات أحدهما أن يأخذ في العلانية ويرد في السر أو يأخذ في العلانية ويفرق في السر وهذا مقام الصديقين وهو
شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمأنت نفسه بالرياضة والثاني أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل الى
من هو أحوج منه فيفعل كليهما في السر أو كليهما في العلانية

(فالافضل له الاخذ) فان رد ذلك عوقب باستشراف نفس او طمع او أخذ شبهة (قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما المعطى من سعة باعظم أجرا من الآخذ اذا كان محتاجا اليه) رواه الطبراني من حديث ابن عمر وقد تقدم
في كتاب الزكاة وفي لفظ ما الذي يعطى من سعة باعظم أجرا من الذي يقبل من حاجة رواه صاحب الحلية
من حديث أنس (وقال صلى الله عليه وسلم من أتاه شئ من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فانما
هو رزق ساقه الله اليه وفي لفظ آخر فلا يرده) قال العراقي روى أحمد وأبو يعلى والطبراني باسناد جيد من
حديث خالد بن عدى الجهنى من بلغه معروف من أخيه من غير مسئلة ولا اشراف نفس فليقبله ولا يرده فانما
هو رزق ساقه الله عز وجل اليه ولاحمد وأبي داود الطيالسي من حديث أبي هريرة من آتاه الله من هذا
المال شيأ من غير أن يسأله فليقبله الحديث وفي الصحيحين من حديث عمر ما آتاك من هذا المال وأنت
غير مشرف ولا سائل فخذه الحديث انتهى قلت حديث خالد بن عدى الجهنى رواه كذلك ابن أبي شيبة
وابن سعد وابن حبان والبغوى والباوردى والحكيم وأبو نعيم والبيهقي والضياء بلفظ ما جاءه عن أخيه
معروف والباقي سواء قال البغوى لا أعلم له غيره ويروى من حديث زيد بن خالد الجهنى نحوه رواه كذلك ابن
حبان والحاكم وحديث أبي هريرة تمامه بعد قوله فليقبله فانما هو رزق ساقه الله وتمام حديث عمر
فخذه وتموله ومالا فلا تتبعه نفسك وقد رواه كذلك النسائي ورواه أحمد والطبراني من حديث أبي
الدرداء نحوه ثم أشار المصنف الى آفات الرد وعقوبته فقال (وقال بعض العلماء من أعطى ولم يأخذ سأل
ولم يعط وقد كان سرى السقطى) رحمه الله تعالى (يوصل الى) الامام (أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى
(شيأ) من باب الهدية (فرده مرة) ولم يأخذه (فقال له السرى يا أحمد احذر آفة الرد فانها أشد من آفة
الاخذ فقال له أحمد أعد على ما قلت فاعاده) ما قال (فقال أحمد ما رددت عليك الا) أنه (عندى قوت شهر
فاحبسه لى عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه لى) فانا أقبله نقله صاحب القوت وهذا يدل على جواز الرد اذا
كان لغير حاجة (وقد قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة) اليه (عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول
في شبهة أو غيره) من العقوبات (فاما اذا كان ما أتاه زائدا على) قدر (حاجته فلا يخلو اما أن يكون حاله
الاشتغال بنفسه أو التكفل بامور الفقراء) والقيام بمهماتهم (والانفاق عليهم لما) جبل (في طبعه من
الرفق والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه لامساكه) عنده (ان كان طالبا طريق الآخرة
فان ذلك محض اتباع الهوى) وانما هو اختبار وابتلاء من الله تعالى (وكل عمل ليس لله فهو في سبيل
الشيطان أو داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع في الحمى) وهو لا يشعر وقد ورد ذلك في الخبر وتقدم
هذا وجه الاولوية في عدم أخذه (ثم) ان جوزنا (له) الاخذ فله في الاخفاء والاظهار والاخذ والرد
(مقامات) وأحوال (أحدها أن يأخذ في العلانية ويرد في السر) بحيث لا يطلع عليه أحد (أو يأخذ
في العلانية ويفرق في السر وهذا مقام الصديقين) من الزاهدين ويسمونه الزهد في الزهد لانه ينشأ عن
الزهد في المال والجاه وفي اظهار الاخذ آفة عظيمة فليأخذ حذره منها وهي احتشام المعطى وغيره على
العطاء (وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمأنت نفسه بالرياضة) والتهذيب وهذا الذي ذكره
المصنف مقاما للصديقين أشبه أن يكون حالا لهم ولكن قد يكون الحال مقاما وبالعكس كما تقدم (والثاني
أن يترك) رأسا (ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل الى من هو أحوج منه
فيفعل كليهما في السر أو كليهما في العلانية) تركه علانية وعدم تولى صرفه بنفسه وتركه سرا كذلك
أو أخذه علانية وتولى صرفه بنفسه وأخذه سرا وتولى صرفه بنفسه فهى أربع مقامات فاذا أضيفت
الى المقامين الاولين صارت ستة والاخذ في العلانية والاخراج فيها أيضا هو مقام المقربين لانهم لا يشهدون

وقد ذكرنا هل الافضل اظهار الاخذ أو اخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رحمهما الله فانما كان لاستغنائه عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بأخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات وأخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات اذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه وقال

بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي أنا جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت في نفسي لا أجد لدراهمي موضعا أحسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال أربعة ثمن مئزرين ودرهم أنفقه ثلاثا فلا حاجة بي الى الباقي فرده قال فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شئ فالتفت الى فأخذ بيدي فأطافني معه أسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الارض يتخشخش تحت أقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وآخذ من أيدي الخلق لانه هذه أثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود من هذا ان

مع الله غير الله لان كل ما سوى الله من الله وبالله ولله والى الله فلا غير حينئذ لان الغير هو المضاهي الظاهر ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومن شاهد الوجود على ما وصفنا انتفت عنه الآفات الداخلة على غيره من العمال وهذا لا يخفى في الاخذ والعطاء تخوفا على نفسه لا لاجل المعطى والآخذ لان من المتصدقين من يقصد اظهار الصدقة ونشرها فلا يعان على قصده ومن المتصدق عليهم من يشتهي ستر حاله فيعان عليه لان ستر حال المؤمن واجب وأما الاخذ في السر فهو مقام الصالحين من الزاهدين اذا سلم من آفاته ومن آفاته خوف الجاه واسقاط المنزلة من القلوب والنظر اليه بعين الرغبة والحسد في أن يرى المعطى بعين الاحسان وأما الاخذ في السر والاخراج في العلانية فان سلم من الآفات التي ذكرت في الاخفاء ومن آفة الرياء في الاخراج فهو على خير والسلامة في مثل هذه الحالة بعيدة وأما من يأخذ سرا ولا يخرج سرا ولا علانية فهذا الذي يأكل الدنيا بالدين نسأل الله أن يعيذنا من شره فانه اذا مات فضح أهل الطريق (وقد ذكرنا هل الافضل اظهار الاخذ واخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه وأما امتناع أحمد عن قبول عطاء سري السقطي رحمهما الله تعالى فانما كان لاستغنائه عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بأخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات وأخطارا) أعظمها الاشتغال بغير الله تعالى (والورع) من شأنه (يكون حذرا من مظان الاخطار) وفي نسخة الآفات فيتجنب عنها (اذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه) ومن يكون في الورع مثل أحمد رحمه الله تعالى (وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت) مرة (فقيرا قد فرغ من طوافه) وصلاته وتعلق بأستار الكعبة (وهو يقول بصوت خفي) يا رب اني (جائع كما ترى) يا رب اني (عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى) قيل أنه كان من فقراء العجم ودعا بالعجمية وهذه ترجمته (فنظرت فاذا عليه خلقان) أي ثياب رثة (لا تكاد تواريه) لقصرها وتقطعها (فقلت في نفسي لا أجد لدراهمي موضعا أحسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال أربعة ثمن مئزرين ودرهم أنفقه ثلاثا ولا حاجة لي الى الباقي فرده) الي (قال فرأيته الليلة الثانية يطوف وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي شئ) أي ساء ظني فيه (فالتفت الى فأخذ بيدي فأطافني معه أسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الارض يتخشخش) أي يتحرك مع صوت (تحت أقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال) لي (هذا كله قد أعطانيه) ربي (فزهدت فيه وآخذ من أيدي الخلق لان هذه أثقال وفتنة) وامتحان (وذلك) أي الاخذ من أيدي الخلق (للعباد فيه رحمة ونعمة) أورده صاحب القوت في كتاب التوكل وفيه ثم قال له نحن مكاشفون بسر الملك وظاهر لنا كنوز الارض ولكن لا نأخذ منه شيأ زهدا فيه ولانه أثقال فتركه أفضل ونأخذ أرزاقنا من أيدي الناس وبالاسباب لانه أحب الى الله لمنافع العباد ولان الحكمة والاحكام في هذا أكثر (والمقصود من ذكر هذا ان الزيادة على قدر الحاجة انما تأتيك ابتلاء) واختبارا (وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك) من حيث كان (رفقا بك) وشفقة عليك (فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم) أي نختبرهم (أيهم أحسن عملا) أيهم أزهد في الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه) من الحر والبرد (فما زاد فهو حساب) قال العراقي رواه الترمذي من حديث عثمان بن عفان الا انه قال

الزيادة على قدر الحاجة انما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك وجلف فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد هو حساب

فاذا أنت فى أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرض للحساب وان عصيت الله فانت متعرض للعقاب ومن
الاختبار أيضا ان تعزم على ترك لذة من اللذات تقربا الى الله تعالى وكسر الصفة النفس فتاتيك عفوا صفوا لتمتحن بها قوة عقلك فالاولى
الامتناع عنها فان النفس اذا رخص لها فى نقض العزم الفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن (٣٠١) قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد
فان أخذته وصرفته الى محتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون واما اذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ مازاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحلو فى قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك * وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع فى المال والتنعم فى المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضاه الله تعالى عنه وارضى غرماءه وذلك بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على اقراضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب ان يقضى من مال بيت المال ومن
الزكاة وقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله قيل معناه ليبع احد ثوبيه وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله
وقال بعضهم ان لله تعالى عبادا ينفقون على قدر بضائعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى ومات بعضهم فاوصى بماله لثلاث
طوائف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الاسخياء فهم أهل حسن الظن
بالله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله تعالى فاذا مهما وجدت هذه الشروط

وجلف الخبز والماء بدل قوله طعام يقيم صلبه وقال صحيح انتهى قلت لفظه فى جامعه ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء وقال حسن صحيح وهكذا رواه ابنه عبد بن حميد والحاكم والضياء وروى ابن النجار من حديث ثوبان يكفيك من الدنيا ماسد جوعتك ووارى عورتك فان كان لك شئ يظلك فذاك وان كانت لك دابة تركبها فبخ (فاذا أنت فى أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب) لان لك فيها حقا وقد أذن لك الله فى أخذها (وفيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرض للحساب) فيم أخذته وفيم صرفته (وان عصيت الله فانت متعرض للعقاب) فهذا معنى قوله حلالها حساب وحرامها عقاب (ومن الاختبار أيضا أن تعزم على ترك لذة من اللذات) الدنيوية (تقربا الى الله تعالى وكسرا لصفة النفس) أى لثورتها (فتأتيك) تلك اللذة (عفوا صفوا) من غير تبعة ولا كدورة (ليمتحن بها قوة عقلك) هل تلابسها أو تتركها (فالاولى الامتناع عنها فان النفس اذا رخص لها فى نقض العزم ألفت نقض العهد وعادت لعادتها) القديمة (ولا يمكن قهرها) بعد الفتها (فرد ذلك مهم) من آكد المهمات (وهو الزهد فان أخذته) فى العلانية (وصرفته الى محتاج) سرا (فهو غاية الزهد) ويسمى زهد الزهد (ولا يقدر عليه الا الصديقون) من الزاهدين وقد أشرنا الى ذلك فى أول الفصل (واما اذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء) بالخدمة وقضاء الحوائج (فخذ مازاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء) اذ حاجاتهم كثيرة (وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار) من الله تعالى (فربما يحلو فى قلبك فتمسكه ويكون فتنة عليك) الا لامر ضرورى لابد منه (وقد تصدى لخدمة الفقراء) فى الربط (والزوايا جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع فى المال والتنعم فى المطعم والمشرب) والملبس (وذلك هو) عين (الهلاك) ويليه أن يتخذها وسيلة الى تحصيل الجاه (ومن كان غرضه الرفق) بالفقراء (وطلب الثواب) من الله تعالى (فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة) أن يأتى منهم شئ فيؤديه منه (فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضى الله تعالى عنه وأرضى عنه غرماءه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده) أى يظهره له بانه لا يملك شيأ من متاع الدنيا والذى يستقرضه انما هو لاجل الصرف على مواضع الثواب وان سداده انما هو من الفيض المطلق لا عن جهة معلومة معينة (ليقدم) المقرض (على اقراضه) وهو (على بصيرة) ويقين من أمره (ودين مثل هذا الرجل) اذا عجز أو مات (واجب أن يقضى من بيت المال ومن الزكوات) بعد ان يرفع أمره الى ولى الامر (فقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه) أى ضيق وحبس (فلينفق مما آتاه الله قيل معناه ليبع أحد ثوبيه) ويكتفى بالثوب الواحد (وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك) مما (قد آتاه الله وقال بعضهم لله تعالى عباد ينفقون على قدر بضائعهم) الموجودة عندهم (ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى) وهؤلاء أعلى مقاما (ومات بعضهم فاوصى بماله) أى ثلثه (لثلاث طوائف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل) له (من هؤلاء فقال أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الاسخياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله تعالى) انقطعوا الى الله تعالى فاغناهم عن غيره (فاذا مهما وجدت هذه الشروط

فيه وفي المال وفي المعطي فليأخذ) وهو الافضل (وينبغي أن يرى ما يأخذه من الله) تعالى (لا من المعطي انما المعطي) في الظاهر (واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر اليه بما سلط عليه من الدواعي) والبواعث (والارادات والاعتقادات) والمعطي الحق في الحقيقة هو الله تعالى هذا هو التوحيـد الكامل وقد تقدم تحقيق ذلك في أسرار الزكاة (وقد حكى أن بعض الناس) من المعتقدين (دعا شقيقا) بن ابراهيم البلخي رحمه الله تعالى (في خمسين من أصحابه) فاتى بهم الى منزله (فوضع الرجل مائدة حسـنة فلما قعد) شقيق (قال لاصحابه ان هذا الرجل يقول) يعني صاحب المائدة (من لم يرني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهـم) ولم يأكلوا (وخرجوا) من المنزل وكانوا ممن ينظرون الى الحقائق (الا شابا كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق ماذا قصدت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهـم) هل كمل توحيدهم أم لا فان كمال التوحيد أن لا يرى في الوجود فاعلا الا الله ولا ينكر الوسائط فانهم مسخرون باذن الله تعالى ولما كان الشاب لم يكمل في معرفته بعد أكل من الطعام ولم يقم فان مقامه يعطي ان الذي صنع الطعام وقدمه اليه هو صاحب المنزل ولا يعـدو علمه ذلك (وقال موسى عليه السـلام يا رب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني اسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله تعالى اليـه هكذا أصنع بأوليائي أجري أرزاقهم على أيدي البطالين) وفي لفظ العاصين (من عبادي ليؤجروا فيهم) نقله صاحب القوت وقال فعلم هذا للمتوكلين ومعرفة هذه الحكمة لمن أوصل اليهـم قسمهم من المؤملين مقام للجمع في المعرفة واليقين فهو حال للمعطي الموصل وطريق للآخذ المتوكل (فلا ينبغي أن يرى المعطي الا من حيث انه مسخر مأجور من الله تعالى) لا أنه المعطي حقيقة والله الموفق

(بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر اليه)

(اعلم) أغناك الله تعالى (انه قد وردت مناه في السؤال وتشـديدات) عظيمة تدل على تحريمه والمراد بالسؤال هنا سؤال الناس عامة ويكون ذلك لنفسه وخرج بذلك ما اذا كان يسأل لغيره فهذا غير داخـل في تلك التشديدات بل هو معونة وخرج من ذلك أيضا ما اذا كان لنفسه لكنه سأل الاقارب والاصدقاء فهو طريق القوم وعليه العمل لان الاصدقاء يفرحون بذلك ويرون الفضل والمنة للصديق القاصد واليـه يشير قوله (وورد فيه أيضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسائل حق ولو جاء على فرس) قال العراقي رواه أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي وفي الاول يعلى بن أبي يحيى جهله أبو حاتم ووثقه ابن حبان وفي الثاني شيخ لم يسم وسكت عليهما أبو داود انتهـى قلت ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة والطبراني والباوردي وابن قانع وأبو نعيم في الحليـة والبيهقي والضـياء كلهم عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها والرواية الثانية رواها أيضا البيهقي وقال السخاوي في المقاصد هو من رواية فاطمة بنت الحسين ابن علي واختلف عليها فقيل عنها عن أبيها عن علي وقيل بدون علي وقيـل عنها عن جدتها فاطمة الكبرى وهذه الرواية عند اسحق بن راهويه وعلى كل حال ففي الباب عن الهرماس عند الطبراني وفيه عثمان بن فائد وهو ضعيف وعن ابن عباس وعن زيد بن أسلم رفعه مرسلا بلفظ اعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك في الموطأ هكذا ووصله ابن عدي من طريق عبـد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة ولكن عبـد الله ضعيف بل رواه ابن عدي أيضا من طريق عمر بن يزيد المدائني عن عطاء عن أبي هريرة وعمر ضـعيف أيضا وللدارقطني في الافراد من طريق الحسـن بن علي الهاشمي عن الاعرج عن أبي هريرة مرفوعا لا يمنعن أحدكم السائل أن يعطيه وان كان في يده قلباء من ذهب وقال تفرد به الحسن عن الاعرج وهو في مسند الضياء ثم قال العراقي وأما ما ذكر عن ابن الصلاح في علوم الحديث انه بلغه عن أحمد بن حنبل انه قال أربعة أحاديث تدور في الاسواق ليس لها أصل منها للسائل حق الحديث فانه لا يصح عن أحمـد وقد أخرج حديث الحسين بن علي في مسنده انتهى قلت ووجدت بخط الحافظ نقلا عن خط ابن رجب الحنبلي

فيه وفي المال وفي المعطي فليأخذه وهو مضـطر اليه بما سلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات *وقد حكى ان بعض الناس دعا شقيقا في خمسين من أصحابه فوضع الرجل مائدة حسـنة فلما قعد قال لاصحابه ان هـذا الرجـل يقول من لم يرني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا منهم كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المـنزل لشـقيق ماقصـدت بهذا قال أردت أن اختـبر توحيد أصحابي كلهـم وقال موسى عليـه السلام يا رب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني اسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني هـذا ليلة فاوحى الله تعالى اليه هكذا أصنع باوليائي اجري أرزاقهـم على ايدي البطالـين من عبادي ليؤجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث انه مسخر ماجور من الله تعالى نسأل الله حسن التوفيق لما يرضاه *(بيان تحريم السؤال من غـير ضرورة وآداب الفـقير المضـطر فيه)* اعلم انه قد وردت مناه كثـيرة في السـؤال وتشديدات وورد فيه أيضا ما يدل على الرخصـة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسائل حق ولو جاء على فرس

مانصه وردذلك عن أحمد بجرد روايته له فى مسنده فيه نظر فكم من حديث قال فيه أحمد لا يصح وقد أخرجه فى مسنده ومن كتب العلل لعبدالله بن أحمد والاثرم والخلال علم صحة هذا انتهى وبخط الحافظ أيضا الصحيح عن أحمد انه أنكر حديث لوصدق السائل ما أفلح من رده كذا نقل عنه مهنا وكذا قال ابن المدينى ثلاثة أشياء لاتصح عن النبى صلى الله عليه وسلم منها لوصدق السائل (وفى الحديث ردوا السائل ولو بظلف محرق) قال العراقى رواه أبوداود والترمذى وقال حسن صحيح والنسائى واللفظ له من حديث أم بجيد وقال ابن عبد البر مضطرب انتهى قلت رواه بهذا اللفظ أيضا مالك وأحمد والبخارى فى التاريخ وابن ماجه وابن حبان والبيهقى كلهم من طريق ابن بجيد الانصارى عن جدته ورواه ابن سعد والطبرانى من رواية عمرو بن معاذ الانصارى عن جدته حواء هكذا هو فى الجامع الكبير للسيوطى وقال الحافظ فى الاصابة حواء أم بجيد بموحدة وجيم مصغر صحابية روى حديثها مالك عن زيد بن أسلم عن ابن بجيد الانصارى عن جدته عن النبى صلى الله عليه وسلم انها سمعته يقول ردوا السائل ولو بظلف محرق هكذا أخرجه أحمد فى مسنده عن روح بن عبادة عن مالك وترجم لها حواء جدة عمرو بن معاذ ورواه أصحاب الموطأ فيه عن مالك عن زيد بلفظ يانساء المؤمنات لاتحقرن احداكن لجارتها ولو كراعا محرقا ورواه مالك أيضا عن زيد بن أسلم عن عمرو بن معاذ عن جدته حواء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة وأخرجه من طريق سعيد المقبرى عن عبد الرحمن بن بجيد الانصارى عن جدته مثله وقال الليث حدثنى سعيد المقبرى عن عبد الرحمن بن بجيد عن جدته وكانت ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسكين ليقوم على بابى فلا أجد له شيأ أعطيه فقال لها ان لم تجدى له شيأ تعطيه اياه الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه فى يده هكذا أخرجه ابن سعد عن أبى الوليد عن الليث وقال فى القسم الثالث فرق ابن سعد بين حواء جدة عمرو بن معاذ الانصارية وبين حواء أم بجيد وهما واحدة (ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز اعانة المعتدى على عدوانه والاعطاء اعانة فالكاشف للغطاء فيه) عن وجه الصواب (أن السؤال حرام فى الاصل) وانما يباح بضرورة داعية له (أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها) أى عن تلك الحاجة وفى نسخة عنه أى عن السؤال (بد فهو حرام) والحاجة الخفيفة فيها تردد (وانما قلنا ان الاصل فيه التحريم لانه لاينفك عن ثلاثة أمور محرمة) هى فى الحقيقة آفات مهلكة (اما الاول اظهار الشكوى من الله تعالى) لقصور النعمة (اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى وكما ان العبد المملوك) لرجل (لو سأل) الناس (لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذا سؤال العباد تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغى أن يحرم) لما فى ضمنه من الشكاية من الله تعالى (ولا يحل الا لضرورة) ماسة (كما تحل الميتة) عند الضرورة (والثانى أن فيه اذلال السائل نفسه لغير الله تعالى) وقد قيل ثلاث من الذل الدين ولو درهما والبنت ولو مريم والسؤال ولو أين الطريق (وليس للمؤمن أن يذل نفسه) كما ورد فى الخبر أى الا فى عبادة كتعليم علم أو غيره وقد تقدم فى كتاب العلم (بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه) بل هو عين العبودية (فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغى أن يذل لهم الا لضرورة) دعته لذلك (وفى السؤال ذل للسائل بالاضافة الى المسؤل منه) ومن دعاء الامام أحمد اللهم كما صنت وجهى عن سجود غيرك فصن وجهى عن مسئلة غيرك (الثالث أنه لاينفك عن ايذاء المسؤل غالبا) لتردده بين العطاء والمنع (لانه ربما لاتسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه) وانما يستحى أو يرائى (فان بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ) بلا خلاف بين الامة وعلى هذا قولهم ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام (وان منع ربما استحيا وتأذى فى نفسه بالمنع اذ يرى نفسه) حينئذ (فى صورة البخلاء ففى البذل) على الوجه المذكور (نقصان ماله وفى المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان) أحدهما فى الظاهر والثانى فى الباطن (والسائل هو السبب فى الايذاء) المذكور (والايذاء حرام الا لضرورة) فلاجل هذه

فالكاشف للغطاء فيه أن السؤال حرام فى الاصل وانما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما قلنا أن الاصل فيه التحريم لانه لاينفك عن ثلاثة أمور محرمة *الاول اظهار الشكوى من الله تعالى اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى وكما أن العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذلك سؤال العباد تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغى أن يحرم ولا يحل الا لضرورة كما تحل الميتة * الثانى أن فيه اذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه فاما سائر الخلق فانهم عباد أمثاله فلا ينبغى أن يذل لهم الا لضرورة وفى السؤال ذل للسائل بالاضافة الى المسؤل *الثالث أنه لاينفك عن ايذاء المسؤل غالبا لانه ربما لاتسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه فان بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحيا وتأذى فى نفسه بالمنع اذ يرى نفسه فى صورة البخلاء ففى البذل نقصان ماله وفى المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب فى الايذاء والايذاء حرام الا بضرورة

ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله صلى الله عليه وسلم مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى أن الفاحشة انما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيره وقال صلى الله عليه وسلم من سال عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سال وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع وليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسالته خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة ولا تسالوا الناس شيأ وكان صلى الله عليه وسلم يامر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول من سالنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله وقال من لم يسالنا فهو أحب الينا وقال

المفاسد كان السؤال حراما في الاصل فلا يباح الا لضرورة أو حاجة مهمة كما ذكر وكل ذلك يحرم مع الغنى كما سيأتي ذلك (ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مسألة الناس من الفواحش ما أحل) أي ما أبيح (من الفواحش غيرها) قال العراقي لم أجد له أصلا (فانظر كيف سماها فاحشة) وهي ما تفاحش جرمها فتوجب الحد في الدنيا والعذاب في العقبى (ولا يخفى أن الفاحشة انما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها) أي غير الخمر (وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سال وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس له لحم) قال العراقي رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية مقتصرا على ما ذكر منه وتقدم في الزكاة ولمسلم من حديث أبي هريرة من سأل الناس أموالهم تكثرا فانما يسأل جمرا الحديث وللبزار والطبراني من حديث ابن مسعود وابن عمر لا يزال العبد يسال وهو غني حتى يخلق وجهه وفي اسناده لين وللشيخين من حديث ابن عمر ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم انتهى قلت لفظ حديث سهل بن الحنظلية عند أبي داود وابن حبان من سأل وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة وابن جرير والطبراني والحاكم والبيهقي وروى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من حديث علي من سأل مسئلة عن ظهر غنى استكثر بها من رضف جهنم وروى ابن حبان وابن شاهين وتمام والضياء من حديث عمر من سأل ليثري ماله فانما هو رضف من النار يلقمه من شاء فليقل ومن شاء فليكثر ولفظ حديث أبي هريرة عند مسلم من سأل الناس أموالهم تكثرا فانما يسأل جمر جهنم فليستقل منه أو ليستكثر وقد رواه كذلك أحمد وابن ماجه وروى أحمد وابن جرير في التهذيب وابن قانع والطبراني وأبو نعيم والضياء من حديث حبشي بن جنادة من سأل من غير فقر فانما يأكل الجمر وفي رواية لابن جرير والطبراني من سأل الناس ليثري به ماله كان خموشا في وجهه ورضفا من جهنم يأكله يوم القيامة فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر وفي رواية أخرى للطبراني من سأل الناس في غير مصيبة جاحته فكأنما يلقم الرضفة وقول المصنف ومن سأل وله ما يغنيه الحديث يقرب منه ما رواه الديلمي من حديث أنس من سأل الناس وعنده ما يكفيه جاء يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم (وفي لفظ آخر) من سأل وله ما يغنيه (كانت مسئلته خدوشا وكدوحا في وجهه) قال العراقي رواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وتقدم في الزكاة انتهى قلت رواه أحمد بلفظ من سأل مسئلة وهو عنها غني جاءت يوم القيامة كدوحا في وجهه وفي رواية له من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئلته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح ورواه كذلك أبو داود والترمذي وقال حسن والنسائي وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقي وحديث ابن عمر عند الشيخين ما يزال الرجل يسأل الحديث رواه أيضا النسائي كلهم من طريق حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه (وهذه الالفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة تخفيفة) كذا في النسخ والصواب خفية (ولا تسألوا الناس شيأ) رواه مسلم من حديث عوف بن مالك الاشجعي وقد تقدم في كتاب ذم البخل وحب المال وروى أبو داود والنسائي من حديث ثوبان من يتكفل لي أن لا يسأل الناس فأتكفل له بالجنة فكان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا يناوله اياه وينزل هو فيأخذه (وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول من سالنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله تعالى ومن لم يسألنا فهو أحب الينا) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في القناعة والحرث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وفيه حصين بن هلال لم أر من تكلم فيه وباقيهم ثقات انتهى قلت ورواه ابن جرير في تهذيبه بلفظ من استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن سالنا شيأ فوجدناه أعطيناه ورواه أحمد والنسائي والبيهقي والضياء بلفظ من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ومن استكفى كفاه الله ومن سأل وله قيمة أوقية فقد الحف (وقال

صلى الله عليه وسلم استغنوا عن الناس وماقل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومنى وسمع عمر رضى الله عنه سائلا يسال بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسال فقال ألم أقل لك عش الرجل قال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدى ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضربه ولا أخذ مخلاته ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر و يقول أما ضربه فهو تاديب وقد ورد الشرع بالتعزير وأما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة باخذ المال فكيف استجازه وهو استبعاد مصدره القصور فى الفقه فاين يظهر فقه الفقهاء كلهم فى حوصلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده أفترى انه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة أو علم ذلك ولكن اقدم عليه غضبا فى معصية الله وحاشاه أو أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبى الله وهيهات فان ذلك أيضا معصية بل الفقه الذى لاح له فيه انه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم ان من أعطاه شيأ فانما أعطاه على اعتقاد أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل فى ملكه باخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده الى أصحابه اذ لا يعرف أصحابه باعيانهم فبقى مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل أخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كاخذ العلوى بقوله انى علوى وهو كاذب فانه لا يملك ما ياخذه وكاخذ الصوفى الصالح الذى يعطى لصلاحه وهو فى الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطى لما أعطاه وقد ذكرنا فى مواضع ان ما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم و يجب عليهم الرد الى مالكه فاستدل بفعل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه فى مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر فاذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشئ اما أن يكون مضطرا اليه أو محتاجا اليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال أما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العارى و بدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو

صلى الله عليه وسلم استغنوا عن الناس وماقل من السؤال فهو خير قالوا ومنك قال ومنى) قال العراقى رواه البزار والطبرانى من حديث ابن عباس استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك واسناده صحيح وله فى حديث لعدى الجذامى فتعففوا ولو بحزم الحطب وفيه من لم يسم وليس فيه وماقل من السؤال الخ انتهى قلت حديث ابن عباس رواه أيضا ابن جرير فى تهذيبه والعسكرى فى الامثال والبيهقى ولابن عدى من حديث أبى هريرة استغنوا بغنى الله (وسمع عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه سائلا يسأل) الناس (بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل) فاخذه (فعشاه ثم سمعه ثانية فقال ألم أقل لك عش الرجل قال قد عشيته فنظر اليه عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوأة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدى ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد) الى صنيعك هذا (ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضربه ولا أخذ مخلاته) ولما أنكر عليه فعله ونهاه عنه (ولعل الفقيه الضعيف المنة) بضم الميم أى القوة (الضيق الحوصلة) بتشديد اللام (يستبعد هذا من فعل عمر) رضى الله عنه (و يقول أما ضربه فهو تاديب وقد ورد الشرع بالتعزير) فهو لا باس به (فاما أخذ ماله) وهو كسر الخبز التى كانت فى المخلاة (فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة باخذ المال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور فى الفقه فأين يظهر فقه الفقهاء كلهم فى حوصلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده أفترى انه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة أو) انه (علم ذلك ولكن أقدم عليه غضبا فى معصية الله وحاشاه) من ذلك (أو) انه (أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبى الله) صلى الله عليه وسلم (وهيهات فان ذلك أيضا معصية بل الفقه الذى لاح له فيه انه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم أن من اعطاه شيأ فانما اعطاه على اعتقاد انه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل فى ملكه باخذه مع التلبيس) والتخليط (وعسر تمييز ذلك ورده الى أصحابه اذ لا يعرف أصحابه باعيانهم فبقى مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقة وعلفها من المصالح و يتنزل أخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كاخذ العلوى) الشئ (بقوله انى علوى وهو كاذب) فى دعواه (فانه لا يملك ما ياخذه وكاخذ الصوفى والصالح الذى يعطى لصلاحه) وتصوفه (وهو فى الباطن مقارف لمعصيته لو عرفها المعطى لما أعطاه وقد ذكرنا فى مواضع ان ما اخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم و يجب عليهم الرد الى مالكه) لعدم تحقق الاستحقاق (فاستدل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه فى مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر) رضى الله عنه (فاذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشئ انما يكون مضطرا اليه أو محتاجا اليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال) وهى فى الحقيقة ثلاثة الاضطرار أو الاحتياج أو الاستغناء والاحتياج على قسمين اما مهم أو خفيف (أما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا) يؤدى الى الموت (وسؤال العارى و بدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو)

لصلاحه وهو فى الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطى لما أعطاه وقد ذكرنا فى مواضع ان ما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم و يجب عليهم الرد الى مالكه فاستدل بفعل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه فى مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر فاذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشئ اما أن يكون مضطرا اليه أو محتاجا اليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال أما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العارى و بدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو

مباح مهما وجدت بقية الشروط فى المسؤل بكونه مباحا والمسؤل منه بكونه راضيا فى الباطن وفى السائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة وأما المستغنى فهو الذى يطلب شيأ وعنده مثله وأمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذان طرفان واضحان وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذى يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكمن له جبة لا قميص تحتها فى الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهى الى حد الضرورة وكذلك من يسال لاجل الكراء وهو قادر على المشى بمشقة فهذا أيضا ينبغى أن تسترسل عليه الاباحة لانها أيضا حاجة محققة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للاولى ولا

يسمى سؤله مكروها مهما صدق فى السؤال وقال ليس تحت جبتى قميص والبرد يؤذينى أذى أطيقه ولكن يشق على فاذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله تعالى وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق من ثيابه عن أعين الناس وكمن يسال لاجل الادم وهو واجد للخبز وكمن يسال الكراء لفرس فى الطريق وهو واجد كراء الحمار أو يسال كراء المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا ونحوه ان كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شئ من المحذورات الثلاثة من الشكوى والذل وايذاء المسؤل فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباح بها هذه المحذورات وان لم يكن فيها شئ من ذلك فهو مباح مع الكراهة فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحذورات فاعلم أن الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسال سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن ويكون تطالبنى رعونة النفس بثوب فوق ثيابى وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى وأما الذل فبان يسال أباه أو قريبه أو صديقه الذى يعلم انه لا ينقصه ذلك فى عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله أو الرجل السخى الذى قد أعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله و يتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة لا محالة واما الايذاء فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان فى القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهذا ايذاء فانه ربما يبذل كرها خوفا من الملامة

أى هذا السؤال (مباح مهما وجد بقية الشروط فى المسؤل) أى الطعام أو الثوب (بكونه مباحا و) فى (المسؤل منه بكونه راضيا فى الباطن) غير مستحى فى اعطائه ولا مراء (وفى السائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا اذا استغرق فى طلب العلم) أوقاته بحيث لم يتفرغ للكسب (وكل من له خط) يقرأ (فهو قادر على الكسب بالوراقة) أى النساخة (وأما المستغنى وهو الذى يطلب شيأ وعنده مثله أو أمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذان طرفان واضحان) وهما الاضطرار والاستغناء فالاضطرار مبيح والاستغناء محرم (وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذى يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكمن له جبة لا قميص تحتها فى الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذيا لا ينتهى الى حد الضرورة وكذلك من يسال لاجل الكراء وهو قادر على المشى بمشقة فهذا أيضا ينبغى أن يسترسل الاباحة لانها أيضا حاجة محققة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك الاولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق فى السؤال وقال ليس تحت جبتى قميص والبرد يؤذينى أذى أطيقه ولكن يشق على فاذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله تعالى وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه) من منزله لحاجته (ليستر به الخروق من ثيابه عن أعين الناس) كيلا يزدروا به (وكمن يسال لاجل الادم وهو واجد للخبز وكمن يسال لكراء الفرس فى الطريق وهو واجد كراء الحمار أو يسال كراء الجمل وهو قادر على الراحلة فهذا ان كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شئ من المحذورات الثلاثة) المذكورة (من الشكوى أو الذل أو ايذاء المسؤل فهو حرام) لاشتماله على الامور المحرمة (لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباح بها المحظورات فان لم يكن فيها شئ من ذلك فهو مباح مع الكراهة) ولذلك قلنا ان الحاجة الخفيفة فيها تردد (فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحظورات) الثلاث (فاعلم ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله) تعالى بلسانه (والاستغناء عن الخلق) بان لا يلتفت لما فى أيديهم (ولا يسال سؤال محتاج ولكن يقول أنا) بحمد الله تعالى (مستغن بما أملكه ولكن تطالبنى رعونة النفس بثوب فوق ثيابى وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى وأما الذل فان يسال أباه أو قريبه) فى النسب (أو صديقه الذى يعلم انه لا ينقصه ذلك فى عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله) ولا يحتقره وهو سبيل العارفين (أو) يسال (الرجل السخى الذى قد أعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله و يتقلد المنة بقبوله) منه ذلك (فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة لا محالة وأما الايذاء فسبيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان فى القوم شخص مرموق) أى منظور اليه (لو لم يبذل لكان يلام فهذا ايذاء فانه ربما يبذل كرها) لا عن رضا قلبه (خوفا من الملامة

و يكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير الملامة وأما اذا كان يسأل شخصا معينا فينبغي أن لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيلا الى التغافل ان أراد فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذ به و ينبغي ان يسأل من لا يستحيي منه لو رده أو تغافل عنه فان الحياء من السائل يؤذي كما ان الرياء مع غير السائل يؤذي فان قلت فاذا أخذ مع العلم بان باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به فهل هو حلال أو شبهة فاقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمسادرة اذ لا فرق بين أن يضرب ظاهره بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن أشد نكاية في قلوب العقلاء ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال صلى الله عليه وسلم انما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وقرائن الاحوال فاضطروا الى الحكم بظاهر القول باللسان مع انه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كالالسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان أفتوك وأفتوك فان المفتي معلم للقاضي والسلطان ليحكم في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم النجاة من سطوة سلطان الآخرة كما أن بفتوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فاذا ما أخذه مع الكراهة لا يملكه بينه و بين الله تعالى و يجب عليه رده الى صاحبه فان كان يستحيي من أن يسترده ولم يسترده فعليه ان يثيبه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه و بين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه و بالسؤال الذي حصل به الاذى فان قلت فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل الى الخلاص منه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضيا فاقول لهذا ترك المتقون السؤال رأسا فما كانوا يأخذون من أحد شيأ أصلا فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلا الا من السري رحمة الله عليهما وقال لاني علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فانا أعينه على ما يحب وانما عظم النكير في السؤال وتأكد الامر بالتعفف لهذا لان الاذى انما يحل بضرورة وهو ان يكون السائل مشرفا على

و يكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان يسأل معينا فينبغي ان لا يصرح) باسمه (بل يعرض له تعريضا يبقى له سبيل الى التغافل ان أراد) ذلك (فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذ به و ينبغي أن يسأل من لا يستحيي منه لو رده أو تغافل فان الحياء من السائل يؤذي كما أن الرياء مع غير السائل يؤذي فان قلت فاذا أخذ مع العلم فان باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين) في المجلس (ولولاه لما أعطاه) وفي نسخة لما ابتدأه به (فهو حلال أو شبهة فاقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق بين أن يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن أشد نكاية في قلوب العقلاء) من ضرب الجلد الظاهر وفي ذلك قيل

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامة

(ولا يجوز أن يقال هذا في الظاهر قد رضي وقد قال صلى الله عليه وسلم انما أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر) قال العراقي لم أجد له أصلا وكذا قال المزي لما سئل عنه (فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم في البواطن وقرائن الاحوال فاضطروا الى الحكم بظاهر القول باللسان مع انه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد و بين الله والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كالالسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك) ولا تستفت الامنه (وان افتوك وافتوك) كما ورد ذلك في خبر وابصة بن معبد وغيره (فان المفتي معلم للقاضي والسلطان) ومن في معناهما من الحكام (ليحكموا) بفتواه (في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة و بفتواهم النجاة عن سطوة سلطان الآخرة كما أن بفتوى الفقيه النجاة عن سطوة سلطان الدنيا فاذا ما يأخذه مع الكراهة لا يملكه بينه و بين الله تعالى و يجب عليه رده الى صاحبه) ان أمكنه (فان كان يستحيي من أن يسترده) فلم يسترده (فعليه أن يثيبه على ذلك) أي يجازيه (بما يساوي قيمته) في الوقت (في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى) أي يتخلص (عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه أن يرد ذلك الى ورثته) بعد موته ولا يجوز له أن يملكه بحال من الاحوال (فان تلف في يده) قبل الاسترداد (فهو مضمون عليه بينه و بين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه) تصرف الملاك ثانيا (و بالسؤال الذي حصل به الاذى) أولا (فان قلت فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضيا فاقول لهذا) السر (ترك المتقون السؤال رأسا فما كانوا يأخذون من أحد شيأ) أصلا (فكان بشر) الحافي رحمه الله تعالى (لا يأخذ الا من السري) السقطي رحمه الله تعالى (وقال) لما سئل عن ذلك (لاني علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فانا أعينه على ما يحب) وقد تقدم قريبا وأين مثل السري حتى يؤخذ منه (وانما عظم النكير في السؤال و) اشتد (الامر بالتعفف لهذا لان الاذى انما يحل) أي يصير مباحا (بضرورة وهو أن يكون مشرفا على

الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم الميتة فكان الامتناع طريق الورعين ومن أرباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ الا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش والسمن والاقط وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاه أو طلبا للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك فأما السؤال

فقد امتنعوا عنه رأسا الا في موضعين أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الانبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك في انهم ما سألوا الا من علموا أنه يرغب في اعطائهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان فقد كانوا يأخذون مالهم بغير سؤال واستئذان لان أرباب القلوب علموا أن المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فاذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والا فكانوا يستغنون عن السؤال وحد اباحة السؤال ان تعلم أن المسؤل بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتدأك دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثير الا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل فلا ويتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فالاخذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها باطنه وليترك حزاز القلب فانه الاثم وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوي الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه وقد أوتي جوامع الكلم لان من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب أبيه أو أحد قرابته فيأكل من أيدي الناس وان أعطى بغير سؤال فانما يعطى بدينه ومتى يكون

الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير وأكل الميتة فكان الامتناع) عن السؤال (طريق الورعين ومن أرباب القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ الا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش) حيث رده (والاقط) والسمن حيث أخذهما (وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاه أو طمعا للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك وأما السؤال فقد امتنعوا عنه رأسا الا في موضعين أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الانبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام) اما سؤال سليمان فقد تقدم بيانه في كتاب الصبر وأما قصة موسى والخضر فذكورة في القرآن (ولا شك انهم ما سألوا الا من علموا أنه يرغب فيهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان فقد كانوا يأخذون مالهم بغير سؤال واستئذان) كما تقدم في آداب الصحبة والاخوة (لان أرباب القلوب) قد علموا (أن المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فاذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والا فكانوا يستغنون عن السؤال وحد اباحة السؤال ان تعلم أن المسؤل بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتدأك) بالعطاء (دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثير الا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل) والخداع (فلا وتتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا الباطن وحالة لا يشك) فيها (في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فالاخذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت وتتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزاز القلب) وهي الشبهات التي تحز في القلب وتحك كما في حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (فانه الاثم) كما في الخبر والاثم ما حاك في الصدر (وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه) كما في حديث الحسن وقد تقدم كل ذلك في العلم (وادراك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوي الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه) رواه أحمد وعبد الرزاق وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث عائشة وتمامه وان ولده من كسبه فكلوا من أموالهم وروى ابن أبي شيبة والبخاري في التاريخ بلفظ ان أطيب ما أكلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم وقد تقدم في آداب الطعام (وقد أوتي) صلى الله عليه وسلم (جوامع الكلم) واختصر له الكلام اختصارا رواه أبو يعلى والبيهقي من حديث عمر ورواه الدارقطني من حديث ابن عباس وقد تقدم (لان من لا كسب له ولا مال له مما ورثه من كسب أبيه أو أحد اقربيه فيأكل من أيدي الناس وان أعطى بغير سؤال فانما يعطى بدينه ومتى يكون

باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما يأخذه حراما وان أعطى بسؤال فاين من يطيب قلبه بالعطاء اذا سئل وأين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت أن جميع ما يأكله أو أكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذي اكتسبته بحلالك أنت أو موروثك فاذا بعيد أن يجتمع الورع مع الاكل من أيدي الناس فنسأل الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه بمنه وسعة جوده فانه على ما يشاء قدير

(بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال) اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنى فانما يسأل جمرا فليستقل منه أو ليستكثر صريح في التحريم ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير وليس الينا وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة وفي حديث آخر من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب فقد سأل الحافا وورد في لفظ آخر أربعون درهما ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي أن يقطع بورودها على أحوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري به عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب

باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما يأخذه حراما وان أعطى بسؤال فاين من يطيب قلبه بالعطاء اذا سئل وأين من اقتصر في السؤال على حد الضرورة فاذا فتشت أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت ان جميع ما يأكله أو أكثره سحت وان الطيب) الصافي وفي نسخة وان أطيب ما تأكل (هو الكسب الذي اكتسبته أنت أو موروثك فاذا بعيد ان يجتمع الورع مع الاكل من أيدي الناس) لما فيه ما يضاده (فنسأل الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه) يشير الى الدعاء المأثور اللهم اغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك (بمنه وكرمه وجوده) زاد في بعض النسخ انه على ما يشاء قدير

(بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال)

(اعلم) أغناك الله تعالى (أن قوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنى فانما يسأل جمرا فليستقل منه أو ليستكثر) رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية وقد ذكر قريبا في كتاب الزكاة ولفظهما من سأل شيأ وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم وأما قوله فليستقل منه أو ليستكثر ففي حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم وابن ماجه وفي حديث حبشي بن جنادة عند ابن جرير والطبراني وفي حديث عمر عند ابن حبان كما ذكر كل ذلك قريبا (صريح في التحريم) أي تحريم السؤال (ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير وليس الينا وضع المقادير بل يدرك ذلك بالتوقيف) من الشرع (وقد ورد في الحديث) الآخر (استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره) رواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وليس فيه عن غيره وقد تقدم قريبا (قالوا وما هو) أي غنى الله تعالى (قال غداء يوم وعشاء ليلة) هو من بقية حديث أبي هريرة عند ابن عدي كما يرشد اليه كلام العراقي وتبعه المناوي والموجود منه في الجامع الكبير والصغير للسيوطي هو ما ذكرت وادعى المناوي ان السيوطي ترك تلك الزيادة سهوا وليس كما ظن بل هذا التقدير وقع في حديث سهل بن الحنظلية قالوا وما يغنيه يا رسول الله قال قدر ما يغديه أو يعشيه رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان وابن جرير والطبراني والحاكم وفي حديث علي قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلة رواه عبد الله بن أحمد واسناده حسن وهذا هو المختار من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه (وفي حديث آخر من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب فقد سأل الحافا) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير في تهذيبه والحاكم والبيهقي من حديث ابن مسعود من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئلته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما الغنى قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب وفي رواية لاحمد ولا تحل الصدقة لمن له خمسون درهما أو عرضها من الذهب رواه أحمد والبيهقي من حديث رجل من بني أسد من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل الحافا وقد تقدم هذا للمصنف في كتاب الزكاة فقال وروى عطاء بن يسار منقطعا من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال قال العراقي هناك رواه أبو داود والنسائي من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلا وليس بمنقطع كما ذكره المصنف لان الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته وتقدم الكلام عليه هناك وروى أبو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني من حديث أبي سعيد من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف (وورد في لفظ آخر أربعون درهما) رواه النسائي والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من سأل وله أربعون درهما فهو الملحف (ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها على أحوال مختلفة) جمعا بين الاخبار كيلا تتضاد (فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا) كما هو مذهب الاصوليين (والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط باحوال المحتاجين فنقول قال صلى الله عليه وسلم لاحق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب) رواه الترمذي من حديث عثمان

فلتجعل هذه الثلاث أصلا في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الاجناس والمقادير والاوقات فأما الاجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في
معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت
كفالته كالدابة أيضا وأما المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد وقميص ومنديل وسراويل ومداس وأما الثاني من كل
جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا أثاث البيت جميعه ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه
الخزف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر (٣١٠) من العدد على واحد ومن النوع على أخس أجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة

وأما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير والادم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار ففي طلبه في بعض الاحوال رخصة وأما المسكن فاقله ما يجزئ من حيث المقدار وذلك من غير زينة فاما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى وأما بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه فاما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احداها ما يحتاج اليه في غد والثانية ما يحتاج اليه في أربعين يوما أو خمسين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة ولنقطع بأن من معه ما يكفيه له ولعياله ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد أما المعيل فربما لا يكفيه

ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصته فلا يحل له السؤال لانه مستغن في يحتاج
الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان
يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر فيباح له السؤال لان أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا
عما يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية
وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي

ابن عفان نحوه وقد ذكر قريبا (فليجعل هذه الثلاث أصلا في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الاجناس والمقادير والاوقات فأما الاجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من) يكون (تحت كفالته كالدابة أيضا وأما المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين) والمروآت (وهو ثوب واحد قميص) يواري جسده (ومنديل يربط) به رأسه (وسراويل) أو ازار (ومداس) في رجليه فهؤلاء كأنهن بمنزلة ثوب واحد لا يستغني عنها فان فرضنا ثوبا واحدا عريضا طويلا فالتحف به من رأسه الى قدمه فهو كذلك الا أنه ليس من ثياب ذوي الدين في الاعصار المتأخرة (وأما الباقي من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا أثاث البيت جميعه) أي يراعى فيه ما يكفيه (ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب) ورفعها (وكون الاواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على نوع واحد ومن النوع على أخس أجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة وأما الطعام فقدره في اليوم مد) بالضم (وهو ما قدره الشرع) وهما حفنتان بالكفين هما قوت الحافي غداء وعشاء كفافا لا اقتارا ولا اسرافا (ونوعه ما يقتات) من طعام بلده (ولو كان من الشعير والادم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار ففي طلبه في بعض الاحوال رخصة وأما المسكن فاقله ما يجزئ من حيث المقدار وذلك من غير زينة فأما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى وأما بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة) وهو المعبر عنه بالغداء والعشاء (وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احداها ما يحتاج اليه في غداء والثانية ما يحتاج اليه في أربعين يوما أو خمسين والثالثة ما يحتاج اليه في السنة) وقد تقدم ذكرها قريبا (ولنقطع بأن من معه ما يكفيه له) وحده أوله (ولعياله ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى) في حقه (وعليه ينزل التقسيم بخمسين درهما في الحديث) المروي عن ابن مسعود (فان خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد) بأن يأكل في كل شهر خمسين نصفا فضة على ان خمسة دنانير صرفها ستمائة نصف فضة ويجعل الدرهم كناية عن النصف الفضة بمعاملة مصر الجارية الآن وهذه الكفاية متيسرة ان كانت الاسعار متراخية (أما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصة فلا يحل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر) وهو المروي عن سهل بن الحنظلية (وان كان تفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر فيباح له السؤال) حينئذ (لان أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عمن يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي

فيها يحتاج الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه و بين الله تعالى فيستفتى فيه قلبه و يعمل به ان كان سالكا طريق الآخرة وكل من كان يقينه أقوى وثقته بمجىء الرزق فى المستقبل أتم وقناعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيالك الا من ضعف اليقين والاصغاء الى تخويف الشيطان وقد قال تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال من الفحشاء التى أبيحت بالضرورة وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه فى السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان فى الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصلة من أمهات المهلكات نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

* (بيان أحوال السائلين) *

كان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطى لا يأخذ فهذا مع الروحانيين فى عليين وفقير لا يسأل وان أعطى أخذ فهذا مع المقربين فى جنات الفردوس وفقير يسأل عند الحاجة فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين فاذا قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى انه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة قال شقيق البلخى لابراهيم بن أدهم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركتهم ان أعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال قد أثنى عليهم غاية الثناء فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له ابراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ

يحتاج فيها الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه و بين الله تعالى فيستفتى فيه قلبه و يعمل به ان كان سالكا سبيل الآخرة وكلما كان يقينه أقوى وثقته بمجىء الرزق فى المستقبل أتم وقناعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله أعلى وهو داخل فى حد قولهم الصوفى ابن وقته أى يقنع بما تيسر له من كل شئ فى وقته سواء كان قوتا ظاهرا أو معنويا ولا يعلق قلبه بما سيأتى (فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوتا أو ملك لك ولعيالك الا من ضعف اليقين) بالله تعالى (والاصغاء الى تخويف الشيطان وقد قال تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) أى موقنين فعبر عن اليقين هنا بالايمان لان اليقين الايمان كله (وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال من) جملة (الفحشاء الذى أبيح بالضرورة) واليه يشير خبر مسئلة الناس من الفواحش ان ثبت وروده كما تقدم (وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه فى السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباح فى الفتوى الظاهرة) نظرا الى ظاهر الحال (ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بالله تعالى وهذه الخصلة) المتضمنة لهذه الاوصاف الثلاث (من أمهات المهلكات) وأصول المرديات فنسأل الله تعالى حسن التوفيق بلطفه وكرمه

* (بيان أحوال السائلين) *

من السالكين (كان بشر) بن الحرث الحافى (رحمه الله تعالى يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطى لا يأخذ فهذا مع الروحانيين فى عليين) لكمال تجرده عن العلائق (وفقير لا يسأل وان أعطى أخذ) على قدر حاجته ورد الباقى (فهذا من المقربين فى جنات الفردوس) وهو أنزل درجة من الاول (وفقير يسأل عند الحاجة) وفى نسخة عند فاقته (فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين) وهو أنزل درجة من الذى قبله وهذا القول رواه القشيرى فى الرسالة فى باب التوكل فقال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسن المخرمى يقول حدثنا أحمد بن محمد بن صالح حدثنا محمد بن عبدون حدثنا الحسن الخياط قال كنت عند بشر الحافى فجاءه نفر فسلموا عليه فقال من أنتم ثم ساق القصة وفى آخرها ثم قال بشر أحسن الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطى لا يأخذ فذاك من جملة الروحانيين وفقير لا يسأل وان أعطى قبل فذاك توضع له موائد فى حظائر القدس وفقير يسأل وان أعطى قبل قدر الكفاية فكفارته صدقته (فاذا قد اتفق كلهم على ذم السؤال) مطلقا (وعلى انه مع الحاجة يحط المرتبة والدرجة) ثم هذا الذى يسأل لا يخلو من أن يسأل لنفسه أو لغيره فان سأل لغيره فهو معونة وان سأل لنفسه فلا يخلو من أن يسأل الاقارب والاصدقاء أو سائر الناس الاول طريق القوم والثانى حرام وقد تقدم تفصيل ذلك (قال شقيق) بن ابراهيم (البلخى) رحمه الله تعالى (لابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركتهم ان أعطوا شكروا وان منعوا) من الاعطاء (صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد أثنى عليهم غاية الثناء فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلخ عندنا) ان اعطوا أكلوا وشكروا وان منعوا صبروا (فقال له ابراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا) وعلموا ان المنع منة من الله عليهم لئلا يشغلهم بسواه (وان اعطوا آثروا) غيرهم على أنفسهم ولم يتعلقوا بما لاح لهم من العطاء (فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ) هكذا ساق هذه القصة فى النسخة وهو مزال عن الاصل والصواب ان السائل هو ابراهيم والمسؤل هو شقيق وقوله فقال شقيق صوابه فقال ابراهيم وقوله فقال له ابراهيم صوابه

فاذا درجات أرباب الاحوال فى الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلابد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقى من حضيضها الى قلاعها ومن أسفل سافلين الى أعلى عليين وقد خلق الانسان فى أحسن تقويم ثم رد الى أسفل سافلين ثم أمر أن يترقى الى أعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الرقى قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه لا يقدر عليه وأرباب الاحوال قد تغلبهم حالة تقتضى أن يكون السؤال مزيدا لهم فى درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روى أن بعضهم رأى أبا اسحق النورى رحمه الله يمد يده و يسأل الناس فى بعض المواضع قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد رحمه الله فاخبرته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك فان النورى لم يسأل الناس الا ليعطيهم وانما سألهم ليثيبهم فى الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضرهم وكأنه أشار به الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطى هى العليا فقال بعضهم يد المعطى هى يد الآخذ للمال لانه يعطى الثواب والقدر له لا لما يأخذه ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت فى نفسى انما يوزن الشئ ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت أن

فقال له شقيق بدليل قوله يا أبا اسحق فانه كنية ابراهيم وأما كنية شقيق فابو على وقد رواه أبو نعيم فى الحلية على الصواب حيث قال سمعت أبا القاسم عبد السلام بن محمد المخرمى البغدادى الصوفى يقول حدثنى أحمد بن محمد الخزاعى عن حذيفة المرعشى قال دخلنا مكة مع ابراهيم بن أدهم فاذا شقيق البلخى قد حج تلك السنة فاجتمعنا فى شق الطواف فقال ابراهيم لشقيق على أى شئ أصلتم أصلكم فقال أصلنا أصلنا على انا اذا رزقنا أكلنا واذا منعنا صبرنا فقال ابراهيم هكذا تفعل كلاب بلخ فقال له شقيق فعلام أصلتم قال أصلنا على انا اذا رزقنا آثرنا واذا منعنا شكرنا وحمدنا فقام شقيق فجلس بين يدى ابراهيم فقال يا أستاذ أنت أستاذنا ثم راجعت نسخة أخرى من الكتاب صحيحة بخط العجم فاذا فيها على الصواب كما أشرت اليه وقال ابراهيم بن أدهم لشقيق حين قدم عليه فساقها وفيه فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ وفيه فقال له شقيق فكيف الفقراء عندك يا أبا اسحق وذكر القشيرى فى باب الفتوة من الرسالة هذه القصة لشقيق مع جعفر الصادق فقال وقيل سأل شقيق البلخى جعفر بن محمد عن الفتوة فقال ما تقول أنت فقال ان أعطينا شكرنا وان منعنا صبرنا فقال جعفر الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل فقال شقيق يا ابن رسول الله ما الفتوة عندكم قال ان أعطينا آثرنا وان منعنا شكرنا وفى بعض النسخ فقال شقيق الله أعلم حيث يجعل رسالاته (فاذا درجات أرباب الاحوال) من السالكين (فى الرضا والصبر والشكر والسؤال) والايثار والفتوة (كثيرة) مختلفة (فلابد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها ودرجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر فى الرقى من حضيضها الى يفاعها) أى ذروتها (ومن أسفل السافلين الى أعلى عليين وقد خلق الانسان فى أحسن تقويم) بنص القرآن (ثم رد الى أسفل السافلين) بنص القرآن أيضا (ثم أمر أن يترقى الى أعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الترقى مطلقا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما يقدر عليه) فالترقى تابع للمعرفة والتمييز (وأرباب الاحوال) فى أثناء سلوكهم (قد تغلبهم حالة تقتضى أن يكون السؤال مزيدا لهم فى درجاتهم) فى بعض الاحيان وبعض المواطن (فان مثل هذه الاعمال) لا يطلع عليها وهى مربوطة (بالنيات) ففى الخبر انما الاعمال بالنيات (وذلك كما روى ان بعضهم رأى أبا الحسن) أحمد بن محمد (النورى) رحمه الله تعالى بغدادى المولد والمنشأ بغوى الاصل وكان من أقران الجنيد وكان كبير الشان مات سنة خمس وتسعين ومائتين (يمد يده و يسأل الناس فى بعض المواطن قال) الرائى (فاستعظمت ذلك واستقبحته له) أى عددته قبيحا من مثله (فاتيت الجنيد) رحمه الله تعالى (فاخبرته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك) ولا تتعجب منه (فان النورى لم يسأل الناس الا ليعطيهم) لا ليأخذ منهم فانه فى غنى عن ذلك (انما سألهم ليثيبهم من الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره) قال المصنف (وكأنه) أى الجنيد (أشار) بذلك (الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطى هى العليا) قال العراقى رواه مسلم من حديث أبى هريرة اهـ قلت وروى الطيالسى والنسائى والبغوى وابن قانع والباوردى والطبرانى والبيهقى والضياء من حديث ثعلبة ابن زهدم الحنظلى يد المعطى العليا وابدأ بمن تعول ورواه أحمد والطبرانى أيضا من حديث أبى رمثة ورواه النسائى أيضا وابن حبان والحاكم من حديث طارق المحاربى ورواه أحمد أيضا من حديث رجل من بنى يربوع (فقال بعضهم يد المعطى هى يد الآخذ للمال لانه يعطى الثواب والقدر له لا لما يأخذه) وظاهر هذا يخالفه ما رواه الطبرانى من حديث رافع بن خديج يد المعطى العليا ويد الآخذ السفلى الى يوم القيامة وما رواه مالك والشيخان والنسائى من حديث ابن عمر واليد العليا هى المنفقة واليد السفلى هى السائلة الا أن يقال ان المراد بالمعطى الآخذ اذا كان من غير سؤال والآخذ بالسؤال هو الذى اقتضى كون يده سفلى وهو وجيه الا أنه لا يطابق واقعة حال النورى فتأمل (ثم قال الجنيد) رحمه الله تعالى (هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة) من الدراهم (فالقاها على المائة) جزافا (ثم قال احملها اليه) أى الى النورى (فقلت فى نفسى انما يوزن الشئ ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت أن

أساله فذهبت بالصرة الى النورى فقال هات الميزان فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له أنا لا أقبل منك شيأ وأخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي فسألته فقال الجنيد حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى

وقال أخذ ماله ورد ما لنا الله المستعان فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خاصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الاسرار وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة فمن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن أنكره بعد ان طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه فاخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول ولكنه ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير أحد رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق به فهو صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين أيضا رتبة وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى القلوب الضعيفة وأتباع الشياطين فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب

أسأله فذهبت بالصرة الى النورى) فاستشرف (على) باطن (الامر فقال هات الميزان فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له أنا لا أقبل منك شيأ وأخذ ما زاد على المائة قال) الرجل (فزاد تعجبي فسألته) يعني النورى (فقال) أبو القاسم (الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها) أي الصرة المذكورة (الى الجنيد) رحمه الله تعالى (فبكى وقال أخذ ماله ورد ما لنا والله المستعان) اى فمن كان بهذه المثابة من المعرفة والاستشراف على الخواطر كيف لا يكون السؤال مزيدا في درجاته (فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خاصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الاسرار وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على الله بكنه الهمة) أي خالصها (فمن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل) وهو (كمن ينكر مثلا كون الدواء مسهلا) للبطن (قبل شربه) واستعماله (ومن أنكره بعد ان طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه) كاليبس البالغ وتحجر المعدة (وأخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول ولكنه ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل) بل ضرره أشد (بل البصير السالك أحد رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى) مرتبة (عين اليقين) وهو مقام المشاهدة والكشف (واما رجل لم يسلك الطريق) رأسا فهذا الكلام فيه (أو سلك ولم يصل) لقصوره في جهده (ولكن آمن بذلك وصدق به) وسلم لاهله (فهذا صاحب علم اليقين) تصديقه اعطاه الدليل بتصور الامر على ما هو عليه (وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين أيضا رتبة) بالاضافة الى ما قبله (وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى العقول الضعيفة واتباع الشياطين فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب) ولنذكر ما يتعلق بالفقر مما ذكره القشيري وصاحب القوت وصاحب البصائر وغيرهم تكميلا للباب وتكثيرا للفوائد قال القشيري في الرسالة الفقر شعار الاولياء وحلية الاصفياء واختيار الحق سبحانه لخواصه من الاتقياء والانبياء والفقراء صفوة الله من عباده ومواضع أسراره بين خلقه بهم يصون الخلق وببركاتهم يبسط الرزق قال معاذ النسفي ما أهلك الله قوما وان عملوا ما عملوا حتى أهانوا الفقراء وأذلوهم وقيل لو لم تكن للفقير فضيلة غير ارادته سعة المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك لانه يحتاج الى شرائها والغني يحتاج الى بيعها وهذا لعوام الفقراء فكيف حال خواصهم وسئل يحيى بن معاذ عن الفقر فقال حقيقته أن لا تستغني الا بالله ورسمه عدم الاسباب كلها وقال ابراهيم القصار الفقر لباس يورث الرضا اذا تحقق العبد فيه وقدم على الاستاذ أبي علي الدقاق فقير في سنة خمس أو أربع وتسعين وثلاثمائة من زوزن وعليه مسح وقلنسوة مسح فقال له بعض أصحابنا بكم اشتريت هذا المسح على وجه المطايبة فقال اشتريته بالدنيا فطلب بالآخرة فلم أبعه سمعت الاستاذ أبا علي يقول قام فقير في مجلس يطلب شيأ وقال اني جائع منذ ثلاث وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه قال كذبت ان الفقر سر وهو لا يضع سره عند من يحمله الى من يذيعه وقال حمدون القصار اذا اجتمع ابليس وجنوده لم يفرحوا بشئ كفرحهم بثلاثة أشياء رجل مؤمن قتل مؤمنا ورجل

يموت على الكفر ورجل قلبه فيه خوف الفقر وقال الجنيد يامعشر الفقراء انكم تعرفون بالله وتكرمون بالله فانظروا كيف تكونون مع الله اذا خلوتم به وسئل محمد بن عبد الله الفرغاني عن الافتقار الى الله أتم أم الاستغناء بالله فقال اذا صح الافتقار الى الله فقد صح الاستغناء بالله واذا صح الاستغناء بالله فقد كمل الغنى به فلا يقال أيهما أتم الافتقار أم الغنى لانهما حالتان لا يتم احداهما الا بالاخرى وسئل رويم عن نعت الفقير فقال ارسال النفس فى أحكام الله وقيل نعت الفقير ثلاثة أشياء حفظ سره واداء فرضه وصيانة فرجه وقيل للخراز لم تاخر عن الفقراء رفق الاغنياء فقال لثلاث خصال لان مافى أيديهم غير طيب ولانهم غير موفقين ولان الفقراء مرادون للبلاء وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام اذا رأيت الفقراء فسائلهم كما تسائل الاغنياء فان لم تفعل فاجعل كل شئ علمتك تحت التراب وروى عن أبى الدرداء قال لان أقع من فوق قصر فانحطم أحب الى من مجالسة الغنى لانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى قال الاغنياء وقيل للربيع بن خيثم قد غلا السعر فقال نحن أهون على الله من أن يجيعنا انما يجيع أولياءه وقال ابراهيم بن أدهم طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر وقيل ليحيى بن معاذ ما الفقر قال خوف الفقر قيل فما الغنى قال الامن بالله وقال ابن الكرنبى ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا ان يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما ان الغنى ليحترز من الفقر حذرا ان يدخل عليه فيفسد غناه عليه وسئل أبو حفص بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وماذا للفقير ان يقدم به على ربه سوى فقره وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الخلق اجمع قال نعم قال عد المريض وكن لثياب الفقراء فاليا فجعل موسى عليه السلام على نفسه فى كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلى ثيابهم ويعود المرضى وقال سهل خمسة أشياء من جوهر النفس فقير يظهر الغنى وجائع يظهر الشبع ومحزون يظهر الفرح ورجل بينه وبين رجل عداوة فيظهر له المحبة ورجل يصوم بالنهار ويقوم بالليل ولا يظهر ضعفا وقال بشر أفضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر الى القبر وقال ذو النون علامة سخط الله على العبد خوفه من الفقر وقال الشبلى أدنى علامات الفقر ان لو كانت الدنيا باسرها لاحد فانفقها فى يوم ثم خطر بباله ان لو أمسك منها قوت يوم ما صدق فى فقره سمعت الاستاذ أبا على يقول تكلم الناس فى الفقر والغنى أيهما أفضل وعندى ان الافضل ان يعطى الرجل كفايته ثم يصان فيه وسئل ابن الجلاء متى يستحق الفقير اسم الفقر فقال اذا لم يبق عليه بقية منه فقيل كيف ذلك فقال اذا كان له فليس له واذا لم يكن له فهو له قات وهو من أحسن العبارات من معنى الفقر الذى يشير اليه القوم وهو أن يصير كله لله لا تبقى عليه بقية من نفسه وحظه وهواه فلو بقى عليه شئ فى أحكام نفسه ففقره مدخول فيه اهـ ثم قال القشيرى وقيل صحة الفقر أن لا يستغنى الفقير فى فقره بشئ الا بمن اليه فقره وقال ابن المبارك اظهار الغنى فى الفقر أحسن من الفقر وقال بنان المصرى كنت بمكة قاعدا وبين يدى شاب فجاءه انسان وحمل اليه كيسا فيه دراهم ووضعه بين يديه فقال لا حاجة لى فيه فقال فرقه على المساكين فلما كان العشاء رأيته فى الوادى يطلب شيأ فقلت لو تركت لنفسك شيأ مما كان معك فقال لم أعلم انى أعيش الى هذا الوقت وقال أبو حفص أحسن ما يتواصل به العبد الى مولاه دوام الفقر اليه على جميع الاحوال وملازمة السنة فى جميع الافعال وطلب القوت من وجه حلال وقال المرتعش ينبغى للفقير أن لا تسبق همته خطوته وقال أبو على الروذبارى كان أربعة فى زمانهم واحد كان لا يقبل من الاخوان ولا من السلطان يوسف بن أسباط ورث سبعين ألف درهم لم يأخذ منها شيأ وكان يعمل الخوص بيده وآخر كان يقبل من الاخوان والسلطان جميعا وهو أبو اسحق الفزارى فكان ما يأخذ من الاخوان ينفقه فى المستورين الذين لا يتحركون والذى يأخذه من السلطان كان يخرجه فى أهل طرسوس والثالث كان يأخذ من الاخوان ولا يأخذ من السلطان وهو ابن المبارك

يأخذ من الاخوان ويكافئ عليه والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الاخوان وهو مخلد بن الحسين كان يقول السلطان لا يمن والاخوان يمنون سمعت أبا على الدقاق يقول فى الخبر من تواضع لغنى لاجل غناه ذهب ثلثا دينه انما ذلك لان المرء بقلبه ولسانه ونفسه فاذا تواضع لغنى بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه فلو اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله وقيل أول ما يلزم الفقير فى فقره أربعة أشياء علم يسوسه وورع يحجزه ويقين يحمله وذكر يؤنسه وقيل من أراد الفقر لشرف الفقر مات فقيرا ومن أراد الفقر لئلا يشتغل عن الله تعالى مات غنيا وقال النورى نعت الفقير السكون عند العدم والايثار عند الوجود وسئل الشبلى عن حقيقة الفقير فقال أن لا يستغنى بشئ دون الله وقال الجنيد اذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فان الرفق يؤنسه والعلم يوحشه فقيل وهل يكون فقير يوحشه العلم فقال نعم اذا كان الفقير صادقا فى فقره فطرحت عليه علمك ذاب كما يذوب الرصاص فى النار وقال مظفر القرميسينى الفقير هو الذى لا تكون له الى الله حاجة وكأنه يشير الى سقوط المطالبات وانتفاء الاختيار والرضا بما يجرى الحق وقال ابن خفيف الفقر عدم الاملاك والخروج عن أحكام الصفات وقال أبو حفص لا يصح لاحد الفقر حتى يكون العطاء أحب اليه من الاخذ وليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم وانما السخاء أن يعطى المعدم الواجد وقال ابن الجلاء لولا شرف التواضع لكان حكم الفقير اذا مشى أن يتبختر وقال يوسف بن أسباط منذ أربعين سنة ما ملكت قميصين وقال بعضهم رأيت كأن القيامة قامت فيقال ادخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة فنظرت أيهما يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لى انه كان له قميص واحد ولمالك بن دينار قميصان وقال محمد المسوحى الفقير الذى لا يرى لنفسه حاجة الى شئ من الاسباب وسئل سهل متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير لنفسه غير الوقت الذى هو فيه وتذاكروا عند يحيى بن معاذ الفقر والغنى فقال لا يوزن غدا الفقر ولا الغنى وانما يوزن الصبر والشكر وقيل أوحى الله الى بعض الانبياء اذا أردت أن تعرف رضاى عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك وقال الزقاق من لم يصحبه التقى فى فقره أكل الحرام النص وقال أبو بكر بن طاهر من حكم الفقير أن لا تكون له رغبة فان كان ولا بد فلا تتجاوز رغبته كفايته وسئل أبو بكر المصرى عن الفقير الصابر فقال الذى لا يملك ولا يملك وقال ذو النون دوام الفقر الى الله مع التخليط أحب الى من دوام الصفاء مع العجب ومكث أبو جعفر الحذاء عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشاءين فيتصدق من الابواب وقال محمد بن على الكتانى كان عندنا بمكة فتى عليه اطمار رثة وكان لا يداخلنا ولا يجالسنا فوقع محبته فى قلبى ففتح لى بمائة درهم من وجه حلال فحملتها اليه ووضعتها على طرف سجادته وقلت انه فتح لى ذلك من وجه حلال تصرفه فى بعض أمورك فنظر الى شزرا ثم قال اشتريت هذه الجلسة مع الله على الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضياع والمستغلات تريد أن تخدعنى عنها بهذه وقام وبددها وقعدت التقط فلا رأيت كعزه حين مر ولا كذلى حين كنت ألتقطها وقال ابن خفيف ما وجبت على زكاة الفطر أربعين سنة ولى قبول عظيم بين الخاص والعام وسئل عن الفقير يجوع ثلاثة أيام ثم يخرج ويسأل مقدار كفايته ايش يقال فيه فقال مكدى كلوا واسكتوا فلو دخل فقير من هذا الباب لفضحكم كلكم وسئل الدقى عن سوء أدب الفقراء مع الله فى أحوالهم فقال انحطاطهم من الحقيقة الى العلم وقال خير النساج دخلت بعض المساجد واذا فيه فقير فلما رآنى تعلق بى وقال أيها الشيخ تعطف على فان محنتى عظيمة فقلت وما هى فقال فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هو قد فتح عليه بشئ من الدنيا وقال أبو بكر الوراق طوبى للفقير فى الدنيا والآخرة لا يطلب السلطان منه فى الدنيا الخراج ولا الجبار فى الآخرة الحساب الى هنا كلام القشيرى وقال السهروردى فى العوارف قال ابن الجلاء الفقر ان لا يكون لك واذا كان لك لا يكون لك حتى تؤثر وقال بعضهم نعت الفقير السكون عند العدم والاضطراب عند الوجود وتقدم مثله

في قول النوري الا انه قال والبذل بذل الاضطراب وقال الدراج ففتشت كم أستاذى أريد مكحلة فوجدت
فيها قطعة فتحيرت فلما جاء قلت انى وجدت فى كمك قطعة قال قد رأيتها ردها ثم قال خذها فاشتر بها
شيأ فقلت ما كان من أمر هذه القطعة بحق معبودك فقال ما رزقنى الله تعالى من الدنيا لا صفراء ولا بيضاء
غيرها فأردت أن أوصى أن تشد فى كفنى فأردها الى الله تعالى وقال ابراهيم الخواص الفقر رداء
الشرف ولباس المرسلين وجلباب الصالحين وسئل سهل عن الفقير الصادق فقال لا يسأل ولا يرد ولا
يحبس وقال أبو على الروذبارى سألنى الزقاق فقال يا أبا على لم ترك الفقراء أخذ البلغة فى وقت الحاجة قال
قلت لانهم مستغنون بالمعطى عن العطايا قال نعم ولكن وقع لى شئ آخر فقلت هات فافدنى قال لانهم قوم
لا ينفعهم الوجود اذ الله فاقتهم ولا تضرهم الفاقة اذ الله وجودهم وقال بعضهم الفقر وقوف الحاجة على
القلب ومحوها عما سوى الرب وقال المسوحى الفقير الذى لا تغنيه النعم ولا تغيره المحن وقال أبو بكر
الطوسى بقيت مدة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الاشياء فلم يجبنى أحد بجواب
يقنعنى حتى سألت نصر بن الحمامى فقال لى لانه أول منازل التوحيد فقنعت بذلك وقال فارس قلت
لبعض الفقراء مرة ورأيت عليه أثر الجوع والضر لم لا تسأل فيطعموك فقال أخاف أن أسألهم فيمنعونى
فلا يفلحون اهـ وقال صاحب البصائر الفقر له بداية ونهاية وظاهر وباطن فبدايته الذل ونهايته العز
وظاهره العدم وباطنه الغنى كما قال رجل لآخر فقر وذل فقال لا بل فقر وعز فقال فقر وثرى فقال لا بل
فقر وعرش وكلاهما مصيب وأما مسئلة الفقير الصابر والغنى الشاكر وترجيح أحدهما على الآخر فعند
المحققين ان التفضيل لا يرجع الى ذات الفقر والغنى وانما يرجع الى الاعمال والاحوال والحقائق
فالمسألة فاسدة من أصلها وان التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الايمان لا بفقر وغنى قال تعالى ان
أكرمكم عند الله أتقاكم ولم يقل أفقركم أو أغناكم ثم اعلم ان الفقر والغنى ابتلاء من الله للعباد فليس
كل من أعطاه ووسع عليه قد أكرمه ولا كل من ضيق عليه قد أهانه والا لزم أن يكرم العبد بطاعته ومحبته
ومعرفته وان يهان اذا سلب ذلك ولا يقع التفاضل بالغنى والفقر بل بالتقوى وقال بعضهم هذه المسئلة محال
أيضا من وجه آخر وهو ان كلا من الغنى والفقر لا بد له من صبر وشكر فان الايمان نصفان نصف صبر
ونصف شكر بل قد يكون قسط الغنى من الصبر أوفى لانه يصبر عن قدرة فصبره أتم من صبر من يصبر عن عجز
ويكون شكر الفقير أتم لان الشكر هو استفراغ الوسع فى طاعته والفقير أعظم فراغا بالشكر من الغنى
وكلاهما لا تقوم قائمة ايمانه الا على ساق الصبر والشكر نعم الذى رجع الناس اليه فى المسئلة انهم ذكروا
نوعا من الشكر ونوعا من الصبر وأخذوا فى الترجيح فجردوا غنيا منفقا متصدقا باذلا ماله فى وجوه القرب
شاكرا لله عليه وفقيرا متفرغا لطاعة الله تعالى ولاوراد العبادات صابرا على فقره هل هو أكمل من ذلك الغنى
أم بالعكس فالصواب فى مثل هذا ان أكملهما أطوعهما فان تساوت طاعتهما تساوت درجتهما والله أعلم
اهـ وقال صاحب القوت قال الله تعالى سلام عليكم بما صبرتم قيل على الفقر وقد سمى الله الفقراء الصابرين
محسنين ووضع عنهم السبيل يوم الدين فقال تعالى ما على المحسنين من سبيل ثم أوقع الحجة والمطالبة على
الاغنياء وسماهم ظالمين ووصفهم بأوصاف النساء وجعلهم من الخالفين فقال من المعنيين فى الآيتين انما
السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف يعنى النساء لان هذا جمع
التأنيث وقال انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق يعنى بطلب العلو فيها
ضد الفقراء الصادقين الذين قال فى ذكرهم نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض وقد يحتج متوهم
لفضل الاغنياء الممسكين لفضول الغنى على الفقراء عنده بقوله تعالى مخبرا عن الفقراء تولوا وأعينهم
تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون ولا يعلم ان هذا عند أهل التدبر للقرآن مزيد للفقراء لتمام
حالهم لما كانوا محسنين كما قال تماما على الذى أحسن وقال سنزيد المحسنين فكان مزيدهم الحزن

والاشفاق وخوف التقصير لمشاهدة عظيم حق الربوبية عليهم حتى كأنهم مسيؤن حتى بشرهم الله بانهم محسنون لما قال ماعلى المحسنين من سبيل لانه أضافهم اليه فى الوصف وعطف بهم عليه فى المعنى وأيضا فلم يكن بكاؤهم على فوت الدنيا ولا على طلب الغنى والله تعالى يمدحهم بصبرهم عن الدنيا و يذم الدنيا اليهم لكن لما كان حزنهم على طلب المزيد من الفقر ليجدوا الانفاق فيخرجوه فيفتقروا منه فيزدادوا فقرا من الدنيا ببذل المال على فقرهم فعلى كثرة الانفاق وخيفة الفقر من الدنيا كان حزنهم فهذا فضل ثان للفقر لا على الجمع والادخار والموضع الاعلى الذى فضل به الفقراء من هذه الآية عند أهل الاستنباط والدراية هو مشاركتهم الرسول فى حاله ووصف الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بمثل حالهم من قوله تعالى قلت لا أجد ما أحملكم عليه ثم نعتهم بمثله لانهم هم الامثل فالامثل به فقال تعالى أن لا يجدوا ما ينفقون فمن كان برسول الله صلى الله عليه وسلم أمثل فهو الافضل وجعل ابن مسعود الفقر حقيقة الايمان أو عبر عن ذروة الايمان فقال لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحل بذروته ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب اليه من الغنى والتواضع أحب اليه من الشرف والذل أحب اليه من العز وأما وهب بن منبه فانه جعل هذه الخصال الثلاث من استكمال العقل فقال لا يستكمل العبد العقل حتى تكون فيه هذه الخصال فذكرها وكان أبو سليمان يقول ما من شئ الا وهو مطروح فى الخزائن الا الفقر مع المعرفة فانه مخزون مختوم عليه لا يعطاه الا من طبع بطابع الشهداء وبه تم الكلام على الفقر بعون الله تعالى

(الشطر الثانى من الكتاب فى الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد وأقسامه وبيان تفضيل الزهد فى المطعم والملبس والمسكن والاثاث وضرورات المعيشة وبيان علامة الزهد) وذلك فى فصول خمسة مرتبة

(بيان حقيقة الزهد)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الزهد فى الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين) وهو السادس من مقامات اليقين على ما رتبه صاحب القوت ولم يعد الفقر منها وانما ذكره فى ضمن مقام الزهد ونحن قلدناه فى سياقه واما السهروردى وشيخ الاسلام الهروى وغيرهما من مشايخ القوم عدوا الفقر من جملة مقامات الدين وهى مائة مقام فى سياق منازل السائرين (وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات) المذكورة والآتية (لان أبواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل) فالعقد يرجع الى القلب والقول يرجع الى اللسان والعمل يرجع الى الجوارح (وكان القول لظهوره أقيم مقام الحال اذبه يظهر الحال الباطن والافليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمى اسلاما ولم يسم ايمانا) فالعلم هو الاصل الذى هو عقد من عقود الايمان بالله أولله والحال ما ينشأ عنه من المواجيد والعمل هو ما تنشئه المواجيد على القلوب والجوارح من الاعمال (والعلم هو السبب فى الحال يجرى مجرى المثمر والعمل من الحال) يجرى (مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل أما الحال فنعنى به) هنا (ما يسمى زهدا وهو) الآلة التى لا يستغنى عنها عابد ولا عارف لان الدنيا عدوة محبوبة أما كونها عدوة فلانها قاطعة شاغلة واما كونها محبوبة فلأن أصل الحياة وكمالها لا يتأتى الا بها وأصل الحياة هو المقصود للعبادة والمعرفة وكمال الحياة بالتنعيم هو القاطع ان كان محظورا والشاغل ان كان مباحا وأما الزهد فلا يتعلق الا بترك المباح وترك المباح منوط بثلاثة آفات* الآفة الاولى أن الانهماك فيه يحمل على ترك الواجبات وفعل المحظورات ولا يقدر على فعل الواجبات وترك المحظورات الا بترك فضول الشهوات المباحات* الآفة الثانية اعتياد النفس والفها به فيشق عليها مفارقته والمفارقة للدنيا ضرورة * الآفة الثالثة الاشتغال به عن معرفة الله التى ما خلقت الا لاجلها والقلب لا يتسع لحالين اما اقبال على الدنيا أو على الآخرة أو على الله تعالى فاذا عرفت هذا عرفت أن الزهد فى الدنيا ضرورة السالك فاما السبب الموجب للزهد فقد قال الله تعالى لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة وقال ما عندكم ينفد وما عند الله باق

*(الشطر الثانى من الكتاب فى الزهد) وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد وأقسامه وبيان تفضيل الزهد فى المطعم والملبس والمسكن والاثاث وضروب المعيشة وبيان علامة الزهد

(بيان حقيقة الزهد)

اعلم أن الزهد فى الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان أبواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكأن القول لظهوره أقيم مقام الحال اذبه يظهر الحال الباطن والافليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمى اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب فى الحال يجرى مجرى المثمر والعمل يجرى من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل* أما الحال فنعنى بها ما يسمى زهدا وهو

عبارة عن انصراف الرغبة عن الشئ الى ماهو خير منه فكل من عدل عن شئ الى غيره بمعاوضة و بيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما
عدل الى غيره لرغبته فى غيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا و بالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا يستدعى حال الزهد
مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون هو أيضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن

فقد عرفت طريق الفكر فى الآية الاولى وهو أن تنظر الى فناء الدنيا وسرعة ذهابها حتى كأنها لم تكن
وفى بقاء الآخرة وثباتها حتى كأنها لم تزل مع ما اشتملت عليه الدنيا من الخساسة والقذارة والمكابدة
ومحاصرة الشركاء وكذلك ما اشتملت عليه الآخرة من النفاسة والبهاء وعدم الآفات والايمان بهاتين
المعرفتين واجب لانهما من عقود الايمان بالله فاذا أضيفت المعرفة بالآخرة الى المعرفة بالدنيا وكانت
ارادتك مائلة الى الدنيا انصرفت ارادتك من الدنيا الى الآخرة فحينئذ تعرف حقيقة الزهد بالذوق ان كنت
مصدقا بها برهانا أو تقليدا فحقيقة الزهد انصراف الارادة عن الدنيا حقارة لا استعظام ماعاين من نفاسة
الآخرة واليه أشار المصنف بقوله وهو (عبارة عن انصراف الرغبة عن الشئ الى ماهو خير منه فكل من
عدل عن شئ الى غيره بمعاوضة و بيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته فى غيره
فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا و بالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذا يستدعى حال
الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه) فهذا شرط المرغوب فيه (وشرط المرغوب
عنه أن يكون هو أيضا مرغوبا فيه) ولو (بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا) هو (فى نفسه
لا يسمى زهدا) فى الحقيقة (اذ تارك الحجر والتراب والحشرات) وما أشبه ذلك من المحقرات (لا يسمى
زاهدا وانما يسمى زاهدا من ترك الدراهم والدنانير لان) الدراهم والدنانير مطلوبة فى نفسها و (الحجر
والتراب ليسا فى مظنة الرغبة) اليهما (وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى
تغلب هذه الرغبة) وانما قال عنده لانه اذا كان فى نفس الامر خيرا منه الا انه ليس عنده ذلك فلا تغلب
رغبته فلذلك اشترط أن يكون ذلك عنده لاجل غلبة رغبته (فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشترى عنده
خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زاهدا فيه و بالاضافة الى العوض عنه رغبة وحبا ولذلك
قال الله تعالى وشروه) أى يوسف (بثمن بخس) ناقص (دراهم معدودة) قليلة (وكانوا فيه) أى
يوسف (من الزاهدين) أى ممن يرغب عما فى يده فيبيعه بثمن طفيف (أى باعوه) هو تفسير لشروه (فقد
يطلق الشراء بمعنى البيع) فيقولون شريت بمعنى بعت كما يقولون ابتعت بمعنى اشتريت وهما من الاضداد
(ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا ان يخلو لهم وجه أبيهم) منه (وكان ذلك عندهم أحب من
يوسف فباعوه طمعا فى العوض) فلما باعوه وخرج من أيديهم كانوا من الزاهدين (فاذا كل من
باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن فى الآخرة) هذا
ما تقتضيه اللغة (ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزاهد بمن يزهد فى الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن
يميل الى الباطل خاصة وان كان هو للميل فى وضع اللسان) العربى وكذا تخصيص اسم الحنيف بمن يميل
الى الحق وان كان فى أصل اللسان بمعنى الميل أيضا (ولما كان الزهد) عبارة عن (رغبة عن محبوب بالجملة
لم يتصور الا بالعدول الى شئ هو أحب منه والا فترك المحبوب بغير الاحب محال) وبهذا يفارق الفقر فان
حقيقة الفقر الفقد والاحتياج (والذى يرغب عن كل ماسوى الله تعالى حتى الفراديس) وحتى نسيم
الاسحار (ولا يحب الا الله تعالى فهو الزاهد المطلق) وهذا أعلى المراتب (والذى يرغب عن كل حظ
ينال فى الدنيا ولم يزهد فى مثل تلك الحظوظ فى الآخرة بل طمع فى الحور والقصور والانهار
والفواكه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الاول والذى يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذى

رغب عما ليس مطلوبا فى نفسه لا يسمى زاهدا اذ تارك الحجر والتراب وما أشبهه لا يسمى زاهدا وانما يسمى زاهدا من ترك الدراهم والدنانير لان التراب والحجر ليسا فى مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشترى عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه و بالاضافة الى العوض عنه رغبة فيه وحبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا أن يخلو لهم وجه أبيهم وكان ذلك عندهم أحب اليهم من يوسف فباعوه طمعا فى العوض فاذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن فى الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد فى الدنيا كما
خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان كان هو للميل فى وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب
بالجملة لم يتصور الا بالعدول الى شئ هو أحب منه والا فترك المحبوب بغير الاحب محال والذى يرغب عن كل ماسوى الله تعالى حتى الفراديس
ولا يحب الا الله تعالى فهو الزاهد المطلق والذى يرغب عن كل حظ ينال فى الدنيا ولم يزهد فى مثل تلك الحظوظ فى الآخرة بل طمع فى الحور
والقصور والانهار والفواكه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الاول والذى يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذى

يترك

يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زهد صحيح كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا الى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولا الى الله تعالى وهي الدرجة العليا وكما يشترط في المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها وأما أنا ففيماذا زهدت وأما العلم الذي هو مثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ كعلم التاجر بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لم يتصور أن تزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف أن ما عند الله باق وأن الآخرة خير وأبقى أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى كما تكون الجواهر خيرا وأبقى من الثلج مثلا ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلي فهكذا مثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى

يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي دون البعض في التائبين وهو زهد صحيح كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة) وقد ذكر وجه ذلك في كتاب التوبة (فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات) أي يترك بعضها دون بعض (والمقتصر على ترك المحظورات دون المباحات لا يسمى زاهدا) وانما يسمى تائبا (وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم) أي الزهد (بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا) واعراضه عنها (عدولا الى الآخرة أو) عن رغبته (عن غير الله تعالى عدولا الى الله وهي الدرجة العليا) في مراتب الزهد (وكما يشترط في المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده) لتغلب رغبته (فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه) وبهذا يفارق الفقر (فان ترك ما لا يقدر عليه محال) فان قلت هذا يرد عليكم في الزهد في نعيم الجنة بالنسبة الى التنعم بمشاهدة الله تعالى فان نعيم الجنة غير مقدور عليه * فأقول نعيم الجنة ضربان حسي وعقلي فالحسي ما يتلذذ به سائر البدن من مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومسموع ومنكوح فلا تختلف اللذات الحسية في أصل ذلك انما الاختلاف في كمال اللذة لان قوة اللذة على قدر الشوق وعلى كمال المتلذذ به فقد عرفت لذات الآخرة بالمقايسة على لذات الدنيا وأما العقلي فهو كسلام الملائكة وتبشيرها وتعظيمها وهذا أيضا موجود في الدنيا بتعظيم العباد بعضهم بعضا فلا يختلف أيضا في أصل اللذة انما يختلف في كمالها لان اللذة بتعظيم العظيم عظيمة فلما ذاق العارفون في الدنيا اللذات المحسوسة والمعقولة كما وصفنا وذاقوا لذة معرفة الله تعالى بمطالعة جماله وكماله واستغرقهم ذلك في وقت الانس بمجالسته ومواددته ومصافاته استحقروا عند اللذة بهذه المعرفة جميع اللذات العقلية والحسية وصارت لذة المعرفة عندهم بالنسبة الى اللذة العقلية كنسبة الحسية ولا تؤثر لذة الحس على لذة العقل الا بهيمة لم يخلق لها الادراك الانساني (وبالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك) عبد الله رحمه الله تعالى (يا زاهد) فانكر على القائل (فقال انما الزاهد عمر بن عبد العزيز) أي هو حقيق ان يسمى زاهدا (اذ جاءته الدنيا راغمة) أي صاغرة ذليلة (فتركها) وزهد عنها (وأما أنا ففيماذا زهدت) ولفظ القوت وقد كان مالك بن دينار يقول اذا قيل له انك زاهد قال انما الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا وملكها فتزهد فيها فاما أنا فأي شئ زهدت اهـ فهذا ما يتعلق بالحال بقي الكلام على طرفيه العلم والعمل فقال (وأما العلم الذي هو مثمر هذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ) وهذا (كعلم التاجر بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان تزول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان) ما عندكم ينفد و (ما عند الله باق وان الآخرة خير وأبقى أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى) بالاضافة الى لذات الدنيا وفي قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق اشارة حسنة حيث أضاف الدنيا الينا ليذلنا بها لانا أهل الغنى وليزهدنا فيها زهدنا في أنفسنا الامارة بالسوء وأضاف الآخرة الى الاعلى ليعزنا بها ويشرفنا اليها لانه أهل البقاء فخص بها أهله اذ منحها البقاء والايمان بهذه المعرفة واجب لانه من عقود الايمان بالله ثم مثل للذات الآخرة مثالا في عالم الملك فقال (كما تكون الجواهر) واللآلي (خيرا من الثلج مثلا وهي أبقى كما يكون الجوهر أبقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلي فهكذا مثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة) بخساسة الدنيا وقذارتها وفنائها ونفاسة الآخرة وشرفها وبقائها (تقوى

الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوى يقينه بيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة) فلما اشتراها باعوها فالعبد اذا باع نفسه وماله من الله تعالى وخرج من هواه الى سبيل مولاه فهو من الزاهدين وهذا كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فاذا كان العوض واحدا وهو الجنة ذكر في المعنيين كان بيع النفس والمال واخراجهما لله عز وجل بمعنى النهي عن الهوى فهما الذي هو الحياة الدنيا وهو اقتناؤه للنفس وحبس النفس عليها على المال فاستبدال ذلك بضده من اخراج الهوى من النفس وادخال الفقر على المال هو الزهد في الدنيا اذ ليس ذلك من أمر النفس الامارة بالسوء لانه نهاية الخير فصار نهيها الهاعن الهوى الذي هو اقتناء المال للجمع والمنع لمتعة النفس به وهذا هو الدنيا بوصف النفس الامارة بالسوء لان هذا سوء كله فمن كان بهذا الوصف فنفسه غير مرحومة لامرها بالسوء واذا لم تكن مرحومة لم يكن صاحبها تائبا واذا لم يبعها لم تكن مشتراة (ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) فمن باع حياة نفسه وفرق مجموع ماله فاشتراه المولى الكريم منه فعوضه داره وأسكنه عنده في جواره فقد ربحت صفقته واهتدى سبيله فاعيان الزاهدين قد أمرهم باخراج المال والنفس التي هي الهوى ولدخول اليقين على ايمان التصديق (فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وأبقى) وصفها بالخيرية لبقائها في المآل ومنحها وصفين من صفاته ليرغب فيها كما قال والله خير وأبقى فاذا شهد العبد بعين قلبه و يقين ايمانه ماصدق به مما علمه بفهم سمعه وادراك خبره ان ما يفنى آخره كانه لم يكن وما يبقى آخره كانه لم يزل كان من المتفكرين في مثل هذه الآي المشاهدين لها كما قال تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة (وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه و يقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم) وحينا بعد حين (الى أن يختطفه الموت ولا يبقى الا الحسرة بعد الفوت) ومن دامت غفلته عظمت في الآخرة حسرته وخسارته ألم تسمع الى قوله تعالى أولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون مع قوله وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة فهذه صفات الجاهلين وأخلاق نفوس المشركين لفقد حقيقة العلم ووجد عدم اليقين و بمعنى ما ذكرناه ذكرهم خالقهم فمن دخل في بعض مداخلهم ووقع به التهديد والوعيد والتخويف الشديد لهم في قوله مخبرا عنهم من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها الآية وقوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون فما أعظم حسرة الفوت على من خسر ما ربحه الزاهدون بعد الموت (والى تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل) والآخرة خير لمن اتقى والمراد بالدنيا هنا هو حب البقاء لمتعة النفس كما يدل عليه قوله تعالى مخبرا عنهم وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشي بالسيف الى السيف والفناء بين السيفين فقالوا هلا أبقيتنا الى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه الدنيا فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فانكشف الناس وافتضح المنافقون وابتلي هنالك المؤمنون عند فرض القتال وظهر المحبون الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص فعندها ربح الذين هم لانفسهم وأموالهم بائعون وخسر الذين هم لحياة الآخرة مشترون (والى تعريف نفاسة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل) اذ وصف قارون فخرج على قومه الى قوله (وقال الذين أوتوا العلم) فجعل أهل الزهد علماء (ويلكم ثواب الله خير) لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون (فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة ورغبة في محبوب عن محبوب أحب منه قال رجل في دعائه اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا) فان الله لا يراها كما تراها (ولكن قل) اللهم (أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك) ولفظ

الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوي يقينه بيبع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ثم بين أن صفقتهم رابحة فقال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه و يقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى أن يختطفه الموت ولا يبقى معه الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى تعريف نفاسة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل وقال الذين أوتوا العلم و يلكم ثواب الله خير فنبه على أن العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة ورغبة عن المحبوب في أحب منه قال رجل في دعائه اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك

القوت كما يراها الصالح من عبادك وقال العراقي ذكره صاحب الفردوس مختصرا اللهم أرني الدنيا كما تريها الصالح عبادك ولم يخرجه ولده (وهذا لان الله تعالى يراها حقيرة كما هي) ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها لحقارتها كما ورد ذلك في الخبر وتقدم في ذم الدنيا (وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله) وكبريائه وعظمته (حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ماهو خير له ولا يتصور أن يرى بائع الفرس وان رغب عن فرسه كما يرى حشرات الارض مثلا لانه مستغن عن الحشرات أصلا وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غنى بذاته عن كل ماسواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله و يراه متفاوتا بالاضافة الى غيره) وفي نسخة و يراها متفاوتة بالاضافة الى غيره (والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره) وساق صاحب القوت هذا الحديث واستنبط منه معنى آخر فقال واظهار سر الملكوت معصية اذ الله تعالى لم يأمر به ولم يأذن فيه فسبحان من خص الشاهد بن الذين عنده في ظله بمعنى من شهادته كما أعطاهم حيطة بشيء من علمه فاحاط علمهم بما شاء لما أحاط لهم ماشاء ولذلك قال صاحب السر الذي عنده حقيقة الخبر للرجل الذي قال اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال لا تقل ثم ساق الحديث ثم قال فهذا على نحو ما أمر الآخر به اذ قال له أوصني قال استحي من الله كما تستحي من رجل صالح فهذا الذي يمكنه معرفته اذ كان حقيقة الحق ممتنعة وكنه صفاته الموجبة للحياء وغيره محتجبة فرده الى ما يعلم وخاطبه بما يعقل اهـ هذا ما يتعلق باحد طرفي الحال وهو العلم ثم شرع في بيان الطرف الثاني الذي هو العمل فقال (وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك وأخذ لانه بيع ومعاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى) هو تذكير الدنيا من الدناءة وهي الخساسة (فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد وأخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا باسرها) أي بتمامها (مع أسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها و يدخل حب الطاعات و يخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب و يوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفي بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفي بالعهد) وهو الله سبحانه وتعالى (فمن سلم حاضرا في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى في طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته و وفائه بالعهد) وكان معروفا بذلك (ومادام ممسكا للدنيا لا يصح زهده أصلا ولذلك لم يصف الله اخوة يوسف) عليه السلام (بالزهد في بنيامين) وهو أخو يوسف لامه راحيل وقد كان زهدهم فيه يقارب زهدهم في يوسف لانه كان نظيره عند أبيه (وان كانوا قد) هموا بالزهد فيه أيضا ليخلو لهم وجه أبيهم منهما ألم تسمع الى قوله تعالى اذ (قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا على يوسف) فقد جاء في الخبر انهم أرادوا ان يلقوا أخاهم معه في الجب حين ألقى نفسه عليه (حتى تشفع فيه أحدهم) وهو يهوذا فشفع فيه ورحمه ومنعه وكان شديدا بينهم منيعا مهيبا فيهم وقد قيل في السير ان أخاهم الا كبر روبيل هو استوهبه منهم وقال دعوه يكون فيه سلوة وعزاء للشيخ الكبير من يوسف لا تفجعوه ولا تفقدوه اياهما معا فوهبوه له ثم ان الله عز وجل لم يقل مع ارادتهم لذلك وهمهم به وعزمهم عليه وكانوا فيهما من الزاهدين من قبل ان يتحققوا بالزهد فيه كالزهد في يوسف اذ لم يخرجوه من أيديهم (ولا وصفهم أيضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه) من الجب (بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج) فاذا كان

هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره * وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك وأخذ لانه بيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو أدنى فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد وأخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا باسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها و يدخل حب الطاعات و يخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب و يوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفي بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفي بالعهد فمن سلم حاضرا في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى في طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد ومادام ممسكا للدنيا لا يصح زهده أصلا ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف بالزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وعزموا على ابعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فترك ولا وصفهم أيضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج

فان أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان مالا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما استهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك أن الدنيا وان لم تاتك فانت زاهد فيها فلا ينبغي أن تتدلى بحبل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله فانك اذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت له أسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فاياك أن تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ الذي تاخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا بأس أن تثق بها وثوقا ما ولكن تكون من تغيرها أيضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا أمان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة ألا ترى الى ابن الحائك هذا لا نفتي في مسألة الا رد علينا يعني أبا حنيفة فقال ابن شبرمة لا أدري أهو ابن الحائك أم ماهو لكن اعلم أن الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها وكذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نحب ربنا ولو علمنا في أي شئ محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود رحمه الله

الشئ موجودا عندك وأنت ممسكه لنفسك ثم توهمت انك زاهد فيه لخواطر الارادة أو لارادة الزهادة فقد كذبت على نفسك بتسميتك اياها زاهدا (فان أخرجت عن يدك بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد) فان زهدك فيما لا تملك غير جائز وكذا الزهد في معدوم باطل وكان التصرف في مال غيرك غير جائز فكذلك لم يصح زهدك فيه (لان مالا تقدر عليه لا تقدر على تركه) ولعله لو كان موجودا تغير قلبك به وتقلب فيه اذ ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر قد يوهم ويشبه والمعاينة تكشف الحقيقة وتحكم على الخلقة (وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك ان الدنيا وان لم تأتك فانت زاهد فيها فلا ينبغي أن تتدلى بحبل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله تعالى فانك اذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها) لان للنفس بدوات لما أطبعت عليه من الشهوات والملل والتقليبات وحب المتعة بالموجود وادخار المحصول فلا تجعل ظنا معدوما كيقين موجود (فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي و بغضها عند تعذرها) أو تعذر أسبابها (فاذا تيسرت له أسبابها من غير) مانع (مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذا كان غرور النفس في المحظورات) التي الترك عنها عبارة عن التوبة (فاياك أن تثق بوعدها في المباحات) الذي الترك عنها عبارة عن الزهد ولكن قد يكون لك مقام من الزهد في المعدوم بقيامك بشرطه وهو ان لا تحب وجود الشئ ولا تاسى على فقده وتكون مغتبطا بعدمك مسرورا بفقدك يعلم الله من غيبك و يطلع على سرك انك لا تفرح بوجوده لو وجدته وتخرجه ان دخل عليك لان قلبك قانع بالله راض به عن الله بحالك التي هي العدم من الدنيا غير محب للاستبدال بها من الغنى فاذا كنت بهذا الوصف حسب لك جميع ذلك زهدا فكان لك باحد هذه المعاني ثواب الزاهدين وان لم تكن للدنيا من الواجدين ولا لاخراجها من الغافلين وهذا زهد الفقراء الصابرين وهو التحقق بالفقر (والموثق الغليظ الذي تاخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف) أي الموانع (والاعذار ظاهرا وباطنا) وتلك الاعذار تختلف باختلاف الاشخاص والازمان (فلا بأس ان تثق بها وثوقا ما) أي أدنى وثوق (ولكن تكون من تغيرها أيضا على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع) فانها طبعت على الشهوات والملل والتقلبات (وبالجملة فلا أمان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن أبي ليلى) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الانصاري الكوفي القاضي أبو عبد الرحمن صدوق سيء الحفظ جدا مات سنة ثمان وأربعين روى له أصحاب السنن (لابن شبرمة) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان الضبي أبو شبرمة الكوفي القاضي ثقة فقيه مات سنة أربع وأربعين روى له البخاري في صحيحه تعليقا ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه (ألا ترى الى هذا ابن الحائك لا نفتي في مسألة الا رد علينا يعني أبا حنيفة) الامام رحمه الله تعالى (فقال ابن شبرمة لا أدري أهو ابن الحائك أم ماهو لكن اعلم ان الدنيا غدت) أي صارت (اليه فهرب منها) كانه يعني القضاء (وهربت منا فطلبناها) فان كلا منهما تولى قضاء الكوفة واباها الامام وضرب وامتحن لذلك ولقد أنصف ابن شبرمة في جوابه وأما ابن أبي ليلى فكان يحسد الامام دائما و يعاديه لما يرى له من القدر والمنزلة عند الخاص والعام سامح الله عن الجميع وجعلهم اخوانا على سرر متقابلين (ولذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نحب ربنا ولو علمنا في أي شئ محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود)

رضى

رضي الله عنه (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل) قال العراقي لم أقف له على أصل
اهـ قلت سياق هذه العبارة في القوت قال وقد كان الناس مستورين باظهار الزهد في البقاء ومظنونا بهم
حب الباقي الاعلى حتى نزلت ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب
عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله الآية وحتى نزل يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا
تفعلون كانوا قالوا انا نحب ربنا ولو علمنا في أي شئ محبته لفعلناه فلذلك قال كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا
تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وكذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين نزلت ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال
ابن مسعود قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فأنت منهم أي من القليل الذي كان يفعل ذلك اهـ ففي
سياق المصنف سقط ظاهر يبينه سياق القوت ولذلك قال العراقي لم أقف له على أصل أي لا أصل لهذه القصة
في نزول قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم الآية وسياق صاحب القوت صحيح فروى ابن المنذر وابن أبي حاتم
وابن مردويه عن ابن عباس قال كان ناس من المؤمنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون لوددنا ان الله دلنا على
أحب الاعمال فنعمل به فأخبر الله نبيه ان أحب الاعمال ايمان بالله لا شك فيه وجهاد أهل معصيته الذين
خالفوا الايمان ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فأنزل الله تعالى يا أيها
الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن عبد الرحمن بن سابط
قال كان عبد الله بن رواحة مع نفر من أصحابه يذكرون الله تعالى فهشوا والذكر واشتاقوا فقالوا لو نعلم الذي
هو أحب اليك فعلناه فأنزل الله تعالى هذه الآية الى قوله مرصوص فلما كان يوم مؤتة وكان ابن رواحة أحد
الامراء نادى في القوم يا أهل المجلس الذين وعدتم ربكم قولكم لو نعلم الذي هو أحب اليك فعلنا ثم تقدم
فقاتل حتى قتل وروى عبد بن حميد وابن مردويه عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية عند قولهم والله لو
نعلم أحب الاعمال لفعلناه فدلهم على أحب الاعمال اليه وروى ابن مردويه عن أبي هريرة قالوا لو كنا نعلم
أحب الاعمال الى الله فنزلت هذه الآية وروى ابن المنذر وابن عساكر عن مجاهد قال نزلت في نفر من
الانصار منهم عبد الله بن رواحة قالوا في مجلس لهم لو نعلم أي عمل أحب الى الله لعملناه حتى نموت فقال ابن
رواحة لا أبرح حبيسا حتى أموت فقتل شهيدا ورواه مالك في تفسيره عن زيد بن أسلم نحوه وروى ابن أبي
حاتم عن مقاتل قال قال المؤمنون لو نعلم أحب الاعمال الى الله لعملنا به فدلهم على أحب الاعمال فقال ان
الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مدبرين
فأنزل الله تعالى في ذلك يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون (وقال) ابن مسعود أيضا (ما عرفت ان
فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) ولفظ القوت
ما أحسب ان فينا أحدا يريد الدنيا حتى نزلت وقال العراقي رواه البيهقي في الدلائل باسناد حسن (واعلم
انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء) والجود والفتوة (وعلى سبيل استمالة القلوب ولا
على سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشئ منه في العبادات وانما الزهد ان تترك
الدنيا لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الآخرة فاما كل نوع من الترك فانه يتصور ممن لا يعرف بالآخرة
فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا اذ حسن الذكر) والثناء الطيب
(وميل القلوب) اليه بالمحبة (من حظوظ العاجلة) أي الدنيا (وهي ألذ وأهنأ من المال وكان ترك المال
على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة
والسخاء) والبذل (واستثقالا لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للسلاطين
والاغنياء ليس من الزهد أصلا بل هو استعجال حظ آخر للنفس) في الدنيا ولفظ القوت من جاد بماله لله
كان زاهدا فيه لوجه الله ووقع أجره على الله ومن جاد بماله لاجل الناس كان أيضا زاهدا في ذلك موصوفا

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل قال وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة واعلم انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشئ منه في العبادات وانما الزهد أن تترك الدنيا للعلم بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الآخرة فاما كل نوع من الترك فانه يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا اذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي ألذ وأهنى من المال وكما ان ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالا له لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس من الزهد أصلا بل هو استعجال حظ آخر للنفس

بالسخاء ولكن ذلك لنفسه ولاجل هواه فهو موصوف بظاهر المروءة وبمعنى الفتوة ولا أجر له اذ لم يكن من عمال الله فبطل أجره لانه عمل لاجل نفسه لا لوجه ربه وحصل فى الدنيا شكره وذكره تعويضا له من حرث الآخرة لان هذا حرث الدنيا فلم يكن له فى الآخرة أضعاف كثيرة وهذا هو الربا الذى أربى فى أموال الناس لانه عمل لاجل الناس ففنى نصيبه مما كسب وذهب خلاقه فى الآخرة اذ لم يحتسبه لفناء الدنيا وأهلها الا انه عمل لاجلهم وطلب ما عندهم من الذكر والثناء منهم والباقيات الصالحات ما يراد به الباقى يبقى ببقائه لصالحى أوليائه وكان ابن مالك يقول ما رأيت من الفتوة والقراءة فرقا الا فى شئ وانه ما حظرت القراءة شيأ الا قبحته الفتوة وانما يفترقان فى ان القراءة يراد بها وجه الله والفتوة يراد بها وجوه الناس ومدحهم وقد كان أستاذنا سفيان الثورى يقول من لم يحسن يتفتى لم يحسن يتقرى أى من لم يعرف أحكام التفتى فيقوم به ويصبر عليه ويراعى حسن الادب فيه حتى يستحق وصف فتى لم يحكم أوصاف التقرى ولم يقم بحسن الرعاية فيه حتى يوصف بأنه قارئ (بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة صفوا عفوا وهو قادر على التنعم بها من غير) مانع من (نقصان جاه وقبح اسم) بسببها (ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفا من ان يأنس بها) ويحبها (فيكون آنسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا فى حب الله غيره أو تركها طمعا فى ثواب الله فى الآخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا فى أشربة الجنة وترك التمتع بالسرارى والنسوان طمعا فى الحور العين وترك التفرج فى البساتين طمعا فى بساتين الجنة وأشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا فى زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا فى فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فآثر فى جميع ذلك ما وعد به فى الجنة على ما تيسر له فى الدنيا عفوا صفوا) من غير تعب (لعلمه بان ما فى الآخرة خير وأبقى) وما يفنى آخره كانه لم يكن وما يبقى آخره كانه لم يزل (وان ما سوى هذا فمعاملات دنياوية لا جدوى لها فى الآخرة أصلا) والله الموفق *(تنبيه)* اعلم ان الزهد على قسمين مراد لذاته وهو الزهد فيما سوى الله تعالى من كل ما يشغل عن عين الشهود وهو من عقود الايمان بالله لتعلقه بالجلال والكمال ومراد لغيره وهو فراغ القلب لهذه المعرفة وكلما ازددت تركا للدنيا ازددت بالله معرفة والقدر الواجب من الزهد المراد لغيره ما يحث على الفراغ لاوقات الواجبات وهو لعمرى سبب لاقامة الاخلاص الذى هو شرط فى صحة العبادات فلا يقدر على ترك جملة من الشرور الظاهرة والباطنة الا بترك الدنيا الا أن ما ينهى عنه لغيره غير ما ينهى عنه لاجل نفسه والمباحات منهى عنها لادائها الى ما ذكرنا فى الغالب ومن أهل التمكين من يعطى قوة يدبر بها العالمين ولا يشغله شئ عن الله فمنهم من وصل الى هذا المقام الشريف بالكسب والاجتهاد وهو المسمى مريدا ومنهم من وصل اليه بنفس نفح الرحمة فى كشف الحجاب عن قلبه حتى وقف على حقيقة الامر بغير مدافع ولا منازع وهو المسمى عند القوم مرادا وكل منهما مراد الا أن هذا مراد بوسائط كثيرة وهذا مراد بغير واسطة وقد أخبر الله عن كلا الحالين فقال الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب وينبغى ان يجرى بينهما الخلاف الجارى فى التفاضل بين أفاضل المؤمنين وأفاضل الملائكة لمناسبة الجذب والترقى هذا اذا اتحدت المعرفتان فان اختلفتا كانت الفضيلة على حسب المعرفة فافهم والله أعلم

(بيان فضيلة الزهد)

(قال الله تعالى) اذ وصف قارون (فخرج على قومه فى زينته) من خيول وبغال وغلمان عليها بزة حسنة من أصفر وأحمر وأخضر (الى قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير) لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون (فنسب الزهد الى العلماء) أى سماهم كذلك وخصهم وشرط له الصبر (ووصف أهله بالعلم) اذ جاء فى التفسيرات المراد بهم الزاهدون فى الدنيا (وهو غاية الثناء) ونهاية المدح وهذه الآية كافية فى بيان فضل الزهد والزاهدين (وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا واجاء فى التفسير) صبروا (على الزهد فى الدنيا) وقال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فقيل

على

بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة صفوا عفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفا من أن يأنس بها فيكون آنسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا فى حب الله تعالى غيره أو تركها طمعا فى ثواب الله فى الآخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا فى أشربة الجنة وترك التمتع بالسرارى والنسوان طمعا فى الحور العين وترك التفرج فى البساتين طمعا فى بساتين الجنة وأشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا فى زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا فى فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا فآثر فى جميع ذلك ما وعد به فى الجنة على ما تيسر له فى الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما فى الآخرة خير وأبقى وأن ما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها فى الآخرة أصلا

(بيان فضيلة الزهد)

قال الله تعالى فخرج على قومه فى زينته الى قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فنسب الزهد الى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا جاء فى التفسير على الزهد فى الدنيا

على الفقر و يشهد للصبر عن الدنيا في هاتين الآيتين قوله تعالى في وصف العلماء الزاهدين لما قال وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قال عقيب ذلك في بقية ثنائه عليهم ولا يلقاها الا الصابرون أي عن زينة الدنيا التي خرج فيها من وعظه الزاهدون الصابرون عنها ثم قال في مدحهم بوصف آخر يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا فقد حصل للزاهد أمران بصبره على الفقر و بوجود زهده وللفقير المعدم أجر واحد على الغنى لوجود فقره وعدم زهده فلحق بمقام الخوف الذي أعطى به الخائف جنتين ففضل بالاخرى على مقام الرجاء اذ الخوف مقتضى العلم بالله لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولذلك قال عيسى عليه السلام خشية الله وحب الفردوس يباعدان عن زهرة الدنيا و يورثان الصبر على المشقة فجعل الخشية لله تعالى والحب له يدلان على الزهد في الدنيا و يورثانه و يسهلان الصبر على شدائدها ايثار المحبة الله على محبة نفوسهم فيها وخيفة من الله ان يحاسبهم على التكاثر منها (وقال عز وجل انا جعلنا ما على الارض) من المعادن والجواهر والنبات (زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قيل معناه أيهم أزهد فيها) رواه ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري ورواه عن الحسن فقال أيهم أشد تركا للدنيا (فوصف الزهد بانه من أحسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب) معنى نزدله في حرثه أي لانحاسبه بما نعطيه منها بعد ان لا يريدها وان لا يكون من همه فما أدخل عليه منها يخرج منه العبد من غير محاسبة فهذا امجاز الدنيا لان الرزق لا يزاد فيه ذرة على ما قسم له أوّل مرة فجعل ذلك له يجعل المجازاة على زهده فيها وجرى مجرى المكافاة لخروج همه منها (وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) فأمره بان لا يمد عينيه الى زهرة الحياة الدنيا وهو عين الزهد ووصف رزق الآخرة بما وصف به نفسه بوصفين من الخيرية والبقاء حيث قال والله خير وأبقى وهذا غاية الثناء (وقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) قد (وصف الكفار بذلك فمفهومه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الآخرة على الحياة الدنيا) فهذه الآيات كلها دالة على الزهد بمنطوقها ومفهومها (وأما الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات) اذ هو أس الخطايا (ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات) فناسب ايراده هنا (وهو المعنى بالزهد) أي وهو المراد به اذا أطلق لفظه (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته) أي عياله وما يخاف عليه من الضياع (وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة) وان لم يردها قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بسند جيد والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه اهـ قلت حديثه رواه أيضا ابن النجار ولفظه من أراد الآخرة وسعى لها سعيها كتب الله له غناه في قلبه وكف عليه ضيعته فيصبح غنيا ويمسي غنيا ومن أراد الدنيا وسعى لها سعيها أفشى الله ضيعته وكتب فقره في قلبه فيصبح فقيرا ويمسي فقيرا (وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم العبد قد أعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي خلاد بسند فيه ضعف اهـ قلت لفظ ابن ماجه اذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وكذلك رواه ابن سعد والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي وابن عساكر ورواه أيضا الطبراني والبيهقي من حديث أبي هريرة وقال القشيري في الرسالة أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني حدثنا أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن يعقوب المقرى ببغداد حدثنا جعفر بن مشاجع حدثنا زيد بن اسمعيل حدثنا كثير بن هشام حدثنا الحكم بن هشام عن يحيى ابن سعيد عن أبي فروة عن أبي خلاد وكانت له صحبة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل قد

قال عز وجل انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قيل معناه أيهم أزهد فيها فوصف الزهد بانه من أحسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وقال تعالى الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة فوصف الكفار بذلك فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا *(وأما الاخبار)* فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعنى بالزهد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم العبد وقد أعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة

أوتي زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فانه يلقي الحكمة انتهى أخرجه البزار من طريق الحكم بن هشام عن يحيى بن سعيد بن أبان القرشي عن أبي فروة عن أبي خلاد وأخرجه ابن منده من طريق هشام ابن عمار عن الحكم وقال في رواية عن ابن خلاد ويقال اسمه عبد الرحمن بن زهير وكانت له صحبة وأخرجه ابن ماجه عن هشام بن عمار قال أبو الحسن القطان أبو فروة لا يعرف وليس هو الجزري قال الحافظ قد ذكر البخاري ان أحمد بن ابراهيم رواه عن الحكم فقال عن أبي فروة الجزري ورجح البخاري ان الحديث عن أبي فروة عن أبي مريم عن أبي خلاد وأخرجه سمويه في فوائده من طريقين عن الحكم بن هشام وقال في سياقه وكانت له صحبة ولم يذكر تسميته ووقع في رواية لابن أبي عاصم عن أبي خالد والصواب عن أبي خلاد وقال فيها انه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) الله (تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) فهذا الخير الكثير هو ظاهر عطاء الزاهدين وأوله فكيف بباطن عطائهم ونهايته (ولذلك قيل من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه) وهذا وصف من صفات الابدال الذين هم خلائف الانبياء وهم الصديقون والشهداء والملحقون بهم المرفوعون الى الرفيق الاعلى ثم هذا القول هكذا أورده صاحب القوت وتبعه المصنف وقد روي مرفوعا نحوه أخرجه ابن عدي في الكامل من حديث أبي موسى بلفظ من زهد في الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال حديث منكر وقال الذهبي باطل وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (وعن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله (أي الناس خير قال كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا) أي يبغضها (ويحب الآخرة) قال العراقي رواه ابن ماجه باسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله قيل يا رسول الله فمن على أثره وقد تقدم ورواه بهذه الزيادة بالاسناد المذكور الخرائطي في مكارم الاخلاق اهـ قلت لفظ الخرائطي خير الناس ذو القلب المخموم واللسان الصادق قيل قد عرفنا اللسان الصادق فما القلب المخموم قال هو التقي النقي الذي لا اثم فيه ولا بغي ولا حسد قيل فمن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة قيل فمن على أثره قال مؤمن في خلق حسن وهكذا رواه الحكيم والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي كلهم من حديث عبد الله بن عمرو ورواه أحمد في الزهد عن أسد بن وداعة مرسلا وقد تقدم في ذم الدنيا وأورده صاحب القوت ثم قال والشئ يعرف بضده كما يعرف بمثله فضد الشنآن المحبة وضد الزهد الرغبة (ومفهوم هذا ان شر الناس الذي يحب الدنيا) وان الراغب فيها هو المحب لها كيف (و) قد (قال صلى الله عليه وسلم ان أردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه وقد تقدم قلت كأنه يشير الى حديث سهل بن سعد ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس هذا الذي رواه ابن ماجه ورواه أيضا الطبراني والحاكم ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمر وقد تقدم (فجعل الزهد سببا للمحبة) أي محبة الله التي لا مثل لها (فمن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات) وصار الزاهد حبيب الله (ومفهومه أيضا ان محب الدنيا) الراغب لها (متعرض لبغض الله) مبغض عند الله (وفي خبر) مروي (من طريق أهل البيت) أسنده جعفر الصادق عن آبائه الاخيار الى الرسول المختار قال فيه (الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء أقاما فيه والا ارتحلا) هكذا في النسخ وقد قال العراقي لم أجد له أصلا قلت والحديث مزال من أصله وصوابه الايمان والحياء يجولان في القلوب كل ليلة فاذا صادفا قلبا فيه الزهد والورع أقاما فيه والا ارتحلا وهكذا أورده صاحب القوت غير انه قال يطوفان بدل يجولان ثم قال وكأنه أراد بهذا محض الايمان وخالصه الذي هو يقين المعاينة والحياء الذي هو نظر المشاهدة ان وجود ذلك على حقيقته في مكان

وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يا رسول الله أي الناس خير قال كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فمن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات ومفهومه أيضا أن محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء أقاما فيه والا ارتحلا

الزهـد فيما آمن بفنائه لوجود مكان الرغبـة فيما آمن ببقائه اذا تفكر فى ذلك تفكر أولى الالباب فيما شـهدوا من بيان الآيات فى الخطاب (ولما قال حارثة) بن مالك الانصارى ويقال له أيضا الحرث (لرسول الله صـلى الله عليه وسـلم أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك) فابتدأ بالزهد وجعله علما لحقيقة الايمان وقرنه بمشاهـدة الايقان (قال عزفت نفسى عن الدنيا) أى انصرفت يقال عزف عن الشئ عزفا وعزوفا وعزيفا من باب قتل وضرب انصرف عنه (فاستوى عنـدى حجرها وذهبها) ثم ذكر المشاهدة بعد الزهد فـكانت عدته فكان الشهادة بعد الزهادة كذلك حقيقة الايمان بعد الزهد وهو ايمان الموقنين وهذا تحقيق التصديق ثم قال (وكانى بالجنة والنار وكانى بعرش ربى بارزا) أى ظاهرا (فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالايمان فانظر كيف بدأ اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال عبد نور الله قلبه بالايمان) قال العراقى رواه البزار من حديث أنس والطبرانى من حديث الحرث بن مالك وكلا الحديثين ضعيف انتهـى قلت قال الحافظ فى الاصابة فى ترجمة الحارث بن مالك الانصارى روى حديثه ابن المبارك فى الزهد عن معمر عن صالح بن مسمار ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يا حارث بن مالك كيف أصبحت قال أصبحت مؤمنا حقا قال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسى عن الدنيا فاسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكانى أنظر الى عرش ربى وكانى انظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكانى أسمع عواء أهل النار فقال مؤمن نور الله قلبه وهو معضـل وكذا أخرجه عبد الرزاق عن معمر بن صالح عن مسمار وجعفر بن برقان ان النبى صلى الله عليه وسـلم قال للحارث وأخرجه فى التفسير عن الثورى عن عمرو بن قيس الملائى عن زيد السلمى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحارث كيف أصبحت يا حارث قال من المؤمنين قال اعلم ما تقول فذكر نحوه وزاد فى آخره فقال يا رسول الله ادع لى بالشـهادة فدعا له فاغير على سرح المدينة فخرج فقاتل فقتل وجاء موصولا من طريق أخرى أخرجه الطبرانى من طريق سعيد بن أبى هلال عن محمد بن أبى الجهم وابن منده من طريق سليمان بن سعيد عن الربيع بن لوط كلاهما عن الحارث بن مالك الانصارى انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسـلم فقال يا رسول الله أنا من المؤمنين حقا فقال انظر ما تقول الحديث وفى آخره من سره ان ينظر الى من نور الله قلبـه فلينظر الى الحارث بن مالك قال ابن منده رواه زيد بن أبى أنيسـة عن عبد الكريم بن الحارث عن الحرث ابن مالك ورواه جرير بن عتبة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا الحرث بن مالك فحركه برجله فذكر الحديث ورواه البيهقى فى الشعب من طريق يوسف بن عطية الصفار وهو حديث ضعيف جدا عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسـلم لقى الحارث يوما فقال كيف أصبحت يا حارث قال أصبحت مؤمنا حقا الحديث بطوله وفى آخره قال يا حارث عرفت فالزم قال البيهقى هذا منكر وقد ضبط فيه يوسف فقال مرة الحارث ومرة حارثة وقال أبو عاصم حشيش بن أصرم فى كتاب الاستقامة له حدثنا عبد العزيز بن أبان أنبانا مالك بن مغول عن فضيل بن غزوان قال أغير على سرح المدينة فخرج الحارث بن مالك فقتل منهم ثمانية ثم قتل وهو الذى قال له النبى صلى الله عليه وسـلم كيف أصبحت يا حارثة ورواه ابن أبى شيبة عن ابن نمير عن مالك بن مغول بالمرفوع ولم يذكر فضيل بن غزوان قال ابن صاعد بعد ان أخرجه عن الحسين بن الحسن المروزى عن ابن المبارك لا اعلم صالح بن مسمار أسند الا حديثا واحدا وهذا الحديث لا يثبت موصولا (ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسـلم عن معنى الشرح فى قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صـدره للاسلام وقيـل له ما هذا الشرح فقال ان النور اذا دخل فى القلب انشرح له الصدر وانفسح قيـل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافى) أى التباعد (عن دار الغرور والانابة) أى الرجوع (الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد) فى علامة شرح الصدر بالنور وهو نور التصـديق الذى هو عموم وصف المؤمنين لانه هو التحقيق بالاسـلام فهذا

ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسى عن الدنيا فاسـتوى عندى حجرها وذهبها وكانى بالجنة والنار وكانى بعرش ربى بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبـد نور الله قلبـه فانظر كيف بدأ فى اظهـار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال عبد نور الله قلبه بالايمان ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح فى قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسـلام وقيل له ماهـذا الشرح قال ان النور اذا دخـل فى القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبـل نزوله فانظر كيف جعل الزهد

هو الزهد جعله (شرطا للاسلام) أى لحقيقته (وهو التجافى عن دار الغرور) وهذا الحديث رواه ابن المبارك فى الزهد وعبد الرزاق والفريابى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الاسماء والصفات عن أبى جعفر المدائنى هو عبد الله بن المسور من ولد جعفر بن أبى طالب قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قالوا كيف يشرح صدره يارسول الله قال نور يقذف فيه فينشرح له قالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت ورواه عبد بن حميد عن الفضيل ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال كيف الشرح قال اذا أراد الله بعبد خيرا قذف فى قلبه النور فانفسح لذلك صدره فقال يارسول الله هل لذلك من آية يعرف بها قال نعم قال فما آية ذلك قال التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود وحسن الاستعداد للموت قبل نزول الموت ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب ذكر الموت عن الحسن نحوه وقد روى ذلك من حديث ابن مسعود أخرجه ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا وابن جرير وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى الشعب من طرق وقد تقدم فى كتاب ذم الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحى منه فقال) ليس كذلك (تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون فبين ان ذلك يناقض الحياء من الله تعالى) فقد فسر الحياء من الله تعالى بالزهد فى الدنيا قال العراقى رواه الطبرانى من حديث أم الوليد ابنة عمر بن الخطاب باسناد ضعيف اه قلت أم الوليد هذه ذكرها الدارقطنى فى الاخوة وقال روى حديثها الطبرانى وفيها نظر انتهى قال الحافظ حديثها انها قالت اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية فقال أيها الناس الا تستحيون قالوا مم ذاك يارسول الله قال تجمعون مالا تأكلون وتبنون مالا تعمرون وتؤملون مالا تدركون أخرجه الطبرانى من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفى عن الوازع بن نافع عن سالم بن عبد الله بن عمر عنها وقال ابن منده رواه سعيد بن عبد الحميد بن جعفر عن على بن ثابت عن الوازع بن نافع قال الحافظ والطريقان ضعيفان (ولما قدم عليه) صلى الله عليه وسلم (بعض الوفود) من العرب قال لهم ما أنتم (قالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر على البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال صلى الله عليه وسلم ان كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة لايمانهم) وعلوا لمقامهم وتماما على احسانهم قال العراقى رواه الخطيب وابن عساكر فى تاريخيهما باسناد ضعيف من حديث جابر (وقال جابر) بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط بها) أى معها (غيرها وجبت له الجنة فقام) اليه (على) بن أبى طالب (كرم الله وجهه فقال بأبى أنت وأمى يارسول الله مالا يخلط بها غيرها صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء و يعملون عمل الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شئ من هذا وجبت له الجنة) قال صاحب القوت رويناه عن ابن المنكدر عن جابر وقال العراقى لم أره من حديث جابر وقد رواه الحكيم فى النوادر من حديث زيد بن أرقم باسناد ضعيف نحوه انتهى ثم قال صاحب القوت فلذلك كان على رضى الله عنه يجعل الزهد مقاما فى الصبر و يجعل الصبر عمدة الايمان وفسر بذلك مقام اليقين الذى شرح فيه شعبه فى حديثين رويناهما أولهما قوله فى الحديث الطويل الذى رواه عكرمة وعتبة بن حميد والحارث الاعور وقبيصة بن جابر الاسدى فى مبانى الايمان أنه قال الايمان على أربع شعب وفى لفظ حديث بعضهم اليقين على أربع دعائم على الصبر واليقين والجهاد والعدل ثم قال فيه والصبر فيه على أربع شعب على الشوق والشفقة والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن ترقب الموت سارع فى الخيرات فاقام الزهد مقام اليقين اذ هو مقتضاه فلما أوجب اليقين الزهد فى الدنيا اقتضى الزهد هون مصائبها وتيسير شأنها وتسهيل امرها

فصغرت

شرطا للاسلام وهو التجافى عن دار الغرور وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحى منه تعالى فقال ليس كذلك تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال عليه الصلاة والسلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة لايمانهم وقال جابر رضى الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط بها غيره وجبت له الجنة فقام اليه على كرم الله وجهه فقال بأبى أنت وأمى يارسول الله مالا يخلط بها غيرها صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء و يعملون عمل الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شئ من هذا وجبت له الجنة

وفى الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال أيضا السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة فى الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لامحالة وروى عن ابن المسيب عن أبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من زهد فى الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما الى دار السلام وروى انه صلى الله عليه وسلم مر بأصحابه بعشار من النوق حفل وهى الحوامل وكانت من أحب أموالهم اليهم وأنفسها عندهم لانها تجمع الظهر

فصغرت بعد كبرها وهانت بعد صعوبة حالها فاستبدل بها الرغبة فى الآخرة فسارع اليها بقصد هربه من الدنيا ونافس فيها بقدر عزوفه عن ضدها عند التحقق بارادة الآخرة وسعى لها سعيها المار كب طريقها وصار ابن سبيلها فوجب حقه على الراغبين فى الدنيا كما وجب حق ابن السبيل الذى ركب الطريق فتدبر (وفى الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك) قال صاحب القوت وبناه فى خبر مقطوع وقال العراقى ذكره صاحب الفردوس من حديث أبى الدرداء ولم يخرجه ولده فى مسنده وقال أيضا السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والجاهل سخى أحب الى الله من عابد بخيل رواه الترمذى وقال غريب والدارقطنى فى الافراد وابن عدى والبيهقى والخرائطى فى مكارم الاخلاق والخطيب فى كتاب ذم البخلاء من حديث أبى هريرة ورواه البيهقى من حديث جابر بن عبد الله ورواه الدارقطنى والطبرانى فى الاوسط والخطيب من حديث عائشة قال الدارقطنى له طرق ولا يثبت منها شئ قال السيوطى وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات ولم يصب وقد تقدم ذلك فى ذم البخل قال صاحب القوت الخبر الاول مفسر للخبر المجمل الثانى باى معنى كان السخى قريبا من الله لان السخاء من اليقين والسخى موقن فصار من المقربين وبأى معنى كان البخيل بعيدا من الله بعيدا من الناس قريبا من النار أى بالشك لانه ضد اليقين فصار به من المبعدين فالسخاء أيضا وصف الزاهد لا يكون الزاهد الا سخيا الا انه لما زهد فى الدنيا سخت نفسه بها وطابت عنها للاستبدال بها والتعويض عنها (والبخل ثمرة الرغبة فى الدنيا) ووصف الراغب فيها لا يكون الحريص لا بخيلا ولا يكون البخيل زاهدا (و) قد يكون (السخاء) سببا للزهد اذا سخت نفسه عن الشئ زهدت فيه كما اذا زهدت فى شئ أخرجها الى غيره فصار السخاء (ثمرة الزهد) فنفس الزهد سخاء وعين البخل رغبة (والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لامحالة و) روى سعيد بن (ابن المسيب) رحمه الله تعالى (عن أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من زهد فى الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما الى دار السلام) ولفظ القوت وبصره داءها ودواءها فبنور الحكمة أبصرت داء الدنيا وعرفت دواءها فوضعت الدواء على معاقر الداء فبرئ ولا ترى ذلك قبل نور الحكمة وبالزهد فى الدنيا اذا خرجت منها ورثت الحكمة فاخرجت من ظلمات الهوى الى نور التقوى اذلا يبصر العبد عيب ما فيه ولا يعرف قبحه حتى يفارقه الى هاديه وزاد فى موضع آخر ومن حرص عليها توهه الله فيها ولم يبال فى أى أوديتها هلكه وقال العراقى لم أره من حديث أبى ذر ورواه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا من حديث صفوان بن أبى سليم مرسلا ولابن عدى فى الكامل من حديث أبى موسى الاشعرى من زهد فى الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال حديث منكر ورواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب وأبو نعيم فى الحلية مختصرا من حديث أبى أيوب من أخلص لله الحديث وكلها ضعيفة انتهى قلت حديث أبى موسى الاشعرى تقدم الكلام عليه قريبا أما حديث أبى أيوب من أخلص العبادة لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فقد رواه الشيخ وأبو نعيم عن مكحول عن أبى أيوب ورواه هناد فى الزهد وأبو نعيم أيضا عن مكحول مرسلا وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وروى ابن ماجه من حديث ابن مسعود من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديتها هلك (وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر فى أصحابه بعشار من النوق حفل وهى) النوق (الحوامل) وهو تفسير للعشار يقال عشرت الناقة مشددا فهى عشراء أتى على حملها عشرة أشهر وجمعه عشار ومثله نفساء ونفاس ولا ثالث لهما وأما الحفل فهى جمع حافلة وهى التى ترك حلبها حتى اجتمع اللبن فى ضرعها وهى محفلة أيضا وأصله فى الشاة (وكانت من أحب أموالهم اليهم وأنفسها عندهم) وأهمها وأكرمها عليهم (لانها تجمع الظهر)

والنعم واللبن والوبر ولعظمها فى قلوبهم قال الله تعالى واذا العشار عطلت قال فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له
يا رسول الله هذه أنفس أموالنا لم لا تنظر اليها فقال قد نهانى الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
الآية وروى مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع فقال يا عائشة والذى نفسى بيده لو سألت ربى أن يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض لاولى العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لى الا أن يكلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل والله مالى بد من طاعته وانى والله لاصبرن كما صبروا بجهدى ولا قوة الا بالله وروى عن عمر رضى الله عنه انه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضى الله عنها البس ألين الثياب اذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر فقال عمر يا حفصة ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل

للركوب عليها (والنعم) لاكلهم (واللبن) لشربهم (والوبر) للبسهم وكنهم والولد فهى خمسة وهى الراحلة
من الابل التى ضرب بها المثل فى قلة وجودها مع الكثرة فان التى تجمع هذه الخمس من الابل الجولة قليل
فكذلك المؤمن الجامع للخصال الخمس عزيز قليل بين الجلة يجمع الزهد والعلم والعمل والخوف والورع
(ولعظمها فى قلوبهم قال الله تعالى) فى خطابه لهم بتعطيلها عند تكوير شمسها اذا الشمس كورت (واذا
العشار عطلت) علمت نفس ما أحضرت يعنى يومئذ تشهد ما قدمت من مثاقيل الذر من الخير والشر (قال
فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم) أعنى عن العشار الحوامل (وغض بصره فقيل له يا رسول الله
هذه أنفس أموالنا) وكرائمها أعرضت عنها (لم لا تنظر اليها فقال قد نهانى الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا
تمدن عينيك الى ما متعنا به الآية) وتمامها أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير
وأبقى هكذا أورده صاحب القوت بعد ان قال وقد نهى الله رسوله أن يوسع نظره الى أبناء الدنيا مما متعنا
لهم وأخبر ان ما أظهره من زينة الدنيا وزهرتها فتنة لهم وأعلمه إن الزهد والقناعة خير وأبقى تنتظم هذه
المعانى فى قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به الآية وفى خبر أنه صلى الله عليه وسلم فساقه وقال العراقى
لم أجد له أصلا قلت وروى عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن قتادة قال واذا العشار عطلت أى سيبها أهلوها
أتاهم ما شغلهم عنها فلم تصر ولم تحلب ولم يكن فى الدنيا مال أعجب اليهم منها وروى ابن المنذر وابن ابى
حاتم عن عروة انه كان اذا دخل على اهل الدنيا فرأى من دنياهم ٧ طرفا فاذا رجع الى أهله فدخل الدار قرأ
ولا تمدن عينيك الى قوله نحن نرزقك ثم يقول الصلاة الصلاة رحمكم الله وقال صاحب القوت بعد ان أورد
قصة العشار وبمعناه روينا فى الاسرائيليات ان عيسى عليه السلام مر فى الحواريين على شجرة خضرة
نضرة تحتها غدير فنظروا اليها فاعرض هو فلم ينظر فلما جاوزها قال بحق أقول لكم لقد نقص من عقولكم
بمقدار نظركم الى الدنيا (وروى عن مسروق) بن الاجدع الهمدانى التابعى الكوفى (عن عائشة رضى الله
عنها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع فقال يا عائشة
والذى نفسى بيده لو سألت ربى أن يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكن
اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد
ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض لاولى العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم
لم يرض لى الا أن يكلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل والله مالى بد من طاعته وانى
والله لاصبرن كما صبروا بجهدى ولا قوة الا بالله) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من طريق
أبى عبد الرحمن السلمى من رواية عباد بن عباد عن مجاهد عن الشعبى عن مسروق مختصرا ان الله
لم يرض من أولى العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لى الا أن كلفنى ما كلفهم فقال
فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ومجالد مختلف فى الاحتجاج به (وروى عن عمر) بن الخطاب (رضى
الله عنه أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضى الله عنها) يا أبت (البس لين الثياب
اذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ومر بصنعة طعام تطعمه) أى تأكله (وتطعم من حضر) منهم (قال
عمر يا حفصة ألست تعلمين ان أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت بلى قال ناشدتك الله هل تعلمين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة الا جاعوا
عشية ولا شبعوا عشية الا جاعوا غدوة وناشدتك الله هل تعلمين ان النبى صلى الله عليه وسلم لبث فى النبوة
كذا وكذا سنة لم يشبع هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله

أهل بيته فقالت بلى قال ناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع
هو ولا أهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية الا جاعوا غدوة وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث فى النبوة
كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قربتم اليه طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق عليـه ذلك حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أووضع على الارض وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع قميصه فيغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها الى الصلاة وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بني ظفر) قبيلة من الانصار (كساء من ازار ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الآخر فخرج الى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه على عنقه فصلى كذلك فما زال) عمر (يقول) لها من هذا الجنس (حتى أبكاها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج) قال العراقي لم أجده هكذا مجموعا في حديث وهو مفرق في عدة أحاديث فروى البزار من حديث ابن عمران بن حصين قال ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله غداء وعشاء من خبز شعير حتى لحق بربه وفيه عمرو بن عبيد العذري متروك الحديث وللترمذي من حديث عائشة ماشبع من طعام فأشاء ان أبكي الا بكيت قلت لم قالت أذكر الحال التي فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها الدنيا والله ماشبع من خبز ولحم مرتين في يوم قال حديث حسن وللشيخين من حديثها ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعا حتى قبض وللبخاري من حديث أنس كان لا يأكل على خوان الحديث وتقدم في آداب الاكل وللترمذي في الشمائل من حديث حفصة انها سئلت ما كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم قالت مسح نثنيه ثنيتين فينام عليه الحديث ولابن سعد في الطبقات من حديث عائشة انها كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عباءة باثنتين الحديث وتقدما في آداب المعيشة وللبزار من حديث أبي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينخل له الدقيق ولم يكن له الا قميص واحد وفيه سعيد بن ميسرة كذبه القطان وضعفه البخاري ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها ازاد الغطريفي في جزئه المشهور فعقدها في عنقه ما عليه غيرها واسناده ضعيف وتقدم في آداب المعيشة (وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر) رضي الله عنه (وهو انه قال كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما واني والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلي أدرك معهما العيش الرغيد) أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا سليمان بن خالد أخبرنا محمد بن أحمد بن علي أخبرنا زكريا بن محمد أخبرنا محمد بن الحسين بن أبي بكر المراغي أخبرنا عبد الرحيم بن الحسين الحافظ أخبرنا عبد الوهاب بن علي السبكي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا جماعة قالوا أخبرنا ابن اللتي أخبرنا أبو الوقت أنبأنا أبو الحسن المظفري أنبأنا ابن أعين أنبأنا ابراهيم بن خزيم حدثنا عبد بن حميد حدثنا محمد بن بشر عن اسمعيل بن أبي خالد عن أخيه عن مصعب بن سعد قال قالت حفصة لابيها قد أوسع الله الرزق فلو انك أكلت طعاما ألين من طعامك ولبست ثوبا ألين من ثوبك فقال سأخاصمك الى نفسك فجعل يذكرها ما كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانت فيه من الجهد حتى أبكاها فقال قد قلت لك انه كان لي صاحبان سلكا طريقا واني ان سلكت غير طريقهما سلك بي غير طريقهما واني والله لاشاركنهما في مثل عيشهما العلي ان أدرك معهما عيشهما الرخي وكذلك رواه النسائي من طريق ابن المبارك عن اسمعيل ورواه يزيد بن هرون عن اسمعيل عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال قالت حفصة لعمر يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبا هو ألين من ثوبك وأكلت طعاما هو ألين من طعامك فقد وسع الله الرزق وأكثر من الخير فقال اني سأخاصمك الى نفسك أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من شدة العيش فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها أما والله ان قلت ذلك لك اني والله لئن استطعت لاشاركنهما بمثل عيشهما الشديد لعلي أدرك

عليه وسلم قربتم اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الارض وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فلم يجد ثوبا يخرج به الى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها الى الصلاة وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بني ظفر كساء من ازار ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج الى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فما زال يقول حتى أبكاها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا أن نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما واني والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلي أدرك معهما عيشهما الرغيد

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس الا العباءة وان كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب اليهم من العطاء اليكم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقلنا يا رسول الله نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فأي شئ ندخر فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق قلبه أبدا وفقرا لا يستغنى أبدا وحرصا لا يشبع أبدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرته وقال المسيح صلى الله عليه وسلم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها

معهما عيشهما الرخي هكذا رواه أحمد في الزهد عنه ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه ورواه معمر عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد ان حفصة وابن مطيع وابن عمر كلموا عمر فقالوا لو أكلت طعاما طيبا كان أقوى لك على الحق قال أكلكم على هذا الرأي قالوا نعم قال قد علمت انه ليس منكم الا ناصح ولكن تركت صاحبي على جادة فان تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل قال وأصاب الناس سنة فما أكل عامئذ سمنا ولا سمينا (وعن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس الا العباء وان كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان أحب اليهم من العطاء اليكم) قال العراقي رواه ابن ماجه باسناد صحيح في أثناء حديث أوله دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك الحديث دون قوله وان كان أحدهم ليبتلى بالقمل اهـ قلت وروى أحمد باسناد صحيح ان كان النبي من أنبياء الله ليعرى حتى ما يجد ما يوارى به عورته الا العباءة يدرعها (وعن ابن عباس) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال) أي كان غالب طعامه من بقول الارض زهدا في الدنيا حتى ترى خضرتها في جادة بطنه (فهذا ما كان اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة) فيقتضي ان ما اختاروه هو أعلى الدرجات وأفضل المقامات (وفي حديث عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقلنا نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فأي شئ ندخر فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته) رواه الترمذي وابن ماجه دون قوله تبا للدينار والدرهم وتقدم في النكاح وفي ذم الدنيا قال العراقي وهو من حديث ثوبان وانما قال المصنف انه حديث عمر لان عمر هو الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي المال نتخذ كما في رواية ابن ماجه وكذا رواه البزار من حديث ابن عباس (وفي حديث حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال (من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق قلبه أبدا وفقرا لا يستغنى به أبدا وحرصا لا يشبع أبدا) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده من حديث حذيفة وللطبراني من حديث ابن مسعود بسند حسن من أشرب قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث شقاء لا ينفد عناه وحرص لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منتهاه وفي آخره زيادة انتهى قلت وتلك الزيادة فالدنيا طالبة ومطلوبة فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذه ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية من طريقه ورواه ابن عساكر عن شعيب بن صالح قال عيسى بن مريم عليه السلام والله ما سكنت الدنيا في قلب عبد الا التاط قلبه منها بثلاث شغل لا ينفك عناه وفقر لا يدرك غناه وأمل لا يبلغ منتهاه ثم ساقه بتلك الزيادة (وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرته) قال صاحب القوت روينا مرسلا عن علي بن معبد عن علي بن أبي طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه قال العراقي لم أجد له اسنادا وذكره صاحب الفردوس من رواية علي بن أبي طلحة مرسلا لا يستكمل عبد الايمان حتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرته وحتى يكون ان لا يعرف في ذات الله أحب اليه من أن يعرف في غير ذات الله ولم يخرجه ولده في مسنده وعلي بن أبي طلحة أخرج له مسلم وروى عن ابن عباس لكن روايته عنه مرسلة والحديث اذا معضل (وقال المسيح عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها) هذا قد رواه صاحب الفردوس من حديث ابن عمر الا انه قال قنطرة الآخرة ولم يذكر له سندا وأما قول عيسى عليه السلام فاخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة وهيب قال بلغني أن عيسى عليه السلام قال قبل أن يرفع يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدي فانه لا خير في دار قد عصي الله فيها ولا خير في دار

لا

وقيل له يانبي الله لو أمرتنا أن نبني بيتا نعبد الله فيه قال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ان ربي عز وجل عرض على ان يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فاما اليوم الذى أجوع فيه فاتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذى اشبع فيه فاحمدك واثنى عليك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يمشى وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ياجبريل والذى بعثك بالحق ماامسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افظعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة أن تقوم قال لا ولكن هذا اسرافيل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ماذكرت فبعثنى بمفاتيح الارض وأمرنى ان أعرض عليك ان أحببت أن اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومأ اليه جبريل أن تواضع لله فقال نبيا عبدا ثلاثا وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا زهده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصره بعيوب نفسه وقال صلى الله عليه وسلم لرجل ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس وقال صلوات الله عليه من أراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا

لاتدرك الآخرة الا بتركها فاعبروها ولا تعمروها وأخرجه ابن عساكر عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى عليه السلام يقول أعبروا الدنيا ولا تعمروها وهو فى القوت بلفظ الدنيا قنطرة تعبر عليها الى الآخرة والباقى سواء (وقيل له يانبي الله لو أمرتنا أن نبني بيتا نعبد الله فيه قال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا وكيف يستقيم بنيان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا) قال صاحب القوت ورويناه بمعنى آخر قالوا انا نريد أن نبني بيتا نجتمع فيه نتعبد ونتدارس فاختر لنا موضعا نبنى فيه فقال تعالوا فمشوا معه فوقف على قنطرة فقال ابنوا ههنا فقالوا نبنى على قنطرة وهى مدرجة للناس لا يدعونا فيها فقال كذلك الدنيا مدرجة الموتى وأنتم تبنون عليها ولا يدعونكم فيها انتهى وروى أحمد فى الزهد عن سفيان الثورى قيل لعيسى عليه السلام الا تبنى بيتا قال ابنى على طريق السبيل (وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ان ربى عرض على أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذى أشبع فيه فاحمدك وأثنى عليك) رواه أحمد والترمذى وابن سعد والطبرانى والبيهقى من حديث أبى امامة وقد تقدم فى كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق وفى القوت والفقر اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن اختيار الله لما خيره من أن يجرى له الاودية مالا ويجعل له ذهبا وفضة ولا ينقصه ذلك من درجته عند الله شيأ فاختار بحسن توفيق الله وعصمته له الاحب الى الله والاخير عند الله اذ قد ضمن له ان أعطاه لا ينقصه فلم يبق الا محبة الله فكانت آثر عنده من ترك نقيضه فقال لا حاجة لى بذلك بل أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت (وعن ابن عباس) رضى الله عنه (قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يمشى وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من أن سمع هدة من السماء أفظعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة أن تقوم قال لا ولكن هذا اسرافيل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك فأتاه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ماذكرت فبعثنى بمفاتيح الارض وأمرنى أن أعرض عليك ان أحببت أن تسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا) فرفع رأسه الى جبريل كانه يستشيره (فأوحى اليه جبريل أن تواضع لله فقال) بل (نبيا عبدا ثلاثا) قد تقدم فى ذم الكبر مختصرا (وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا زهده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصره بعيوب نفسه) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس دون قوله ورغبه فى الآخرة وزاد فقهه فى الدين واسناده ضعيف جدا انتهى قلت لفظ الديلمى اذا أراد الله بعبد خيرا فقهه فى الدين وزهده فى الدنيا وبصره عيوبه ورواه كذلك البيهقى فى الشعب ورواه البيهقى أيضا عن محمد بن كعب القرظى مرسلا (وقال صلى الله عليه وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس) رواه ابن ماجه والطبرانى والحاكم والبيهقى من حديث سهل بن سعد ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمر وقد تقدم وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس ازهد فى الدنيا يحبك الله وأما الناس فانبذ اليهم هذا فيحبونك وقد تقدم أيضا (وقال صلى الله عليه وسلم من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا) قال العراقى لم أجد له أصلا قلت بل له أصل أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث على بلفظ من زهد فى الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى قال حدثنا أبو ذر محمد بن الحسين بن يوسف الوراق حدثنا محمد بن الحسين بن حفص حدثنا على بن حفص العبسى حدثنا نصير بن حمزة عن أبيه عن جعفر بن محمد عن محمد بن على بن الحسين عن الحسين بن على عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم فساقه (وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات) قال العراقى رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث على انتهى قلت وكذلك البيهقى وتمام وابن عساكر وابن النجار مرفوعا من حديثه وأما صاحب الحلية فاورده من طريق خلاس بن عمرو عنه مرفوعا بلفظ وللصبر أربع شعب الشوق والشفقة والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع فى الخيرات قال ورواه كذلك الاصبغ بن نباتة عن على مرفوعا ورواه الحارث عن على موقوفا مختصرا ورواه قبيصة بن جابر عن على من قوله ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن على من قوله (ويروى عن نبينا وعن المسيح صلى الله عليهما وسلم أربع لا يدركن الا بتعب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشئ) قال العراقى رواه الطبرانى والحاكم من حديث أنس وقد تقدم انتهى قلت ذكر فى كتاب الصمت ورواه البيهقى أيضا وصححه الحاكم وتعقب ورواه ابن عساكر عن أنس مرفوعا ويروى لا يصبن الا بعجب وفى رواية وذكر الله بدل وكثرة الذكر وأما قول عيسى عليه السلام فرواه ابن أبى الدنيا فى الصمت (وايراد جميع الاخبار الواردة فى بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن) لكثرتها (فان الانبياء) عليهم السلام (مابعثوا الا لصرف وجوه الناس عن) حب (الدنيا الى) حب (الآخرة فاليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق) لمن تتبع السياق (وفيما أوردناه كفاية والله المستعان *وأما الآثار فقد جاء فى الاثر لا تزال) كلمة (لا اله الا الله تدفع عن العباد سخط الله) أى غضبه (مالم يبالوا ما نقص من دنياهم) بسلامة دينهم (وفى لفظ آخر مالم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فان فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين) وفى لفظ آخر فاذا قالوها ردت عليهم أو رد المصنف هذا فى الآثار على انه ليس بمرفوع متصل وليس كذلك بل روى ذلك من حديث زيد بن أرقم لا تزال لا اله الا الله تحجب غضب الرب عن الناس مالم يبالوا ماذهب من دينهم اذا صلحت لهم دنياهم فاذا قالوها قيل كذبتم لستم من أهلها رواه ابن النجار فى تاريخه وروى الحاكم فى تاريخه من رواية أبان عن أنس رفعه لا تزال لا اله الا الله تنفع من قالها حتى يستخفوا بحقها والاستخفاف بحقها ان يظهر العمل بالمعاصى فلا ينكروه ولا يغيروه (وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر فى أمر الآخرة أبلغ من زهد فى الدنيا) ولفظ القوت تابعنا الاعمال كلها بعضها على اثر بعض فلم نر أبلغ فى أمر الآخرة من زهادة فى الدنيا (وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين) أى للصدر الاول منهم لما رأى شدة اجتهادهم فى العبادة (أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و) هم (كانوا خيرا منكم قيل ولم ذاك قال كانوا أزهد فى الدنيا منكم) نقله صاحب القوت قال وكذلك قال أبو الدرداء لما وصف الابدال فذكر قلوبهم ومواجيدهم وعلم اليقين منهم وأحوال الصديقين فيهم فقال له صاحبه والله ما سمعت صفة أحسن من هذه ولا أعجب الى منها فكيف لى أن أكون من أهلها فقال يا ابن أخى ما بينك وبين أن تكون من أوسطهم أوفى أوسطها حالا الا أن تزهد فى الدنيا فبقدر زهدك فيها وبغضك لها يدخل حب الآخرة والرغبة والروح فى قلبك وبقدر ذلك يحبك ربك قلت والمراد ببعض الصحابة هو عبد الله بن مسعود قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن شبل حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال أنتم أكثر صلاة وصياما واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قالوا لم يا أبا عبد الرحمن فقال هم كانوا أزهد فى الدنيا وأرغب فى الآخرة (وقال عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه الزهادة فى الدنيا راحة القلب والجسد) وهذا قد روى مرفوعا من حديث أبى هريرة رواه ابن لال فى مكارم الاخلاق ولفظه الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فى الدنيا تتعب القلب والبدن (وقال بلال بن سعد)

وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ويروى عن نبينا وعن المسيح عليهما السلام أربع لا يدركن الا بتعب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشئ وايراد جميع الاخبار الواردة فى مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن فان الانبياء مابعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الآخرة واليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق وفيما أوردناه كفاية والله المستعان (وأما الآثار) فقد جاء فى الاثر لا تزال لا اله الا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل مالم يسالوا ما نقص من دنياهم وفى لفظ آخر مالم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر فى أمر الآخرة أبلغ من زهد فى الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد فى الدنيا منكم وقال عمر رضى الله عنه الزهادة فى الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن سعد

ابن

كفى به ذنبا ان الله تعالى يزهدنا فى الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان اشتهى أن أرى عالما زاهدا فقال ويحك تلك

ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية أبواب فاذا صار أهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهدين فى الدنيا العاشقين للجنة وقال يوسف بن اسباط رحمه الله انى لاشتهى من الله ثلاث خصال ان اموت حين اموت وليس فى ملكى درهم ولا يكون على دين ولا على عظامى لحم فاعطى ذلك كله وروى ان بعض الخلفاء أرسل الى الفقهاء بجوائز فقبلوها وأرسل الى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال أتدرون مامثلى ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لاجل ان ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحى على كبر سنى موتوا يا اهلى جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا وقال عبيد بن عمير كان المسيح بن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد أينما أدركه المساء نام وقالت امرأة أبي حازم لابي حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولابد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال لها أبو حازم من هذا كله بد ولكن لابد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدى الله تعالى ثم الجنة أو النار وقيل للحسن لم لا تغسل

ابن تميم الاشعرى أو الكندى أبو عمرو أو أبو زرعة الدمشقى ثقة عابد فاضل مات فى خلافة هشام روى له البخارى فى كتاب الادب وأبو داود فى كتاب القدر والنسائى (كفى به ذنبا ان الله تعالى يزهدنا فى الدنيا ونحن نرغب فيها) نقله صاحب القوت عن بعض السلف قال والآخر يقول كفى من الذنوب التى لا نفترمنها ولا نتوب حبنا الدنيا ولا بنائها (وقال رجل لسفيان) الثورى (اشتهى ان أرى عالما زاهدا) فى الدنيا (فقال ويحك تلك ضالة لا توجد) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (للجنة ثمانية أبواب فاذا صار أهل الجنة اليها جعل البوابون) أى الملائكة الموكلون بالابواب (يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل) الناس كلهم (الا الزاهدين فى الدنيا والعاشقين فى الجنة) أى المحبين لها (وقال يوسف بن أسباط) الشيبانى رحمه الله تعالى (انى لاشتهى من الله ثلاث خصال ان أموت حين أموت وليس فى ملكى درهم ولا يكون على دين ولا على عظمى لحم فاعطى ذلك كله) ترجم له أبو نعيم فى الحلية وهو من أقران حذيفة المرعشى (وروى ان بعض الخلفاء) من بنى العباس (أرسل الى الفقهاء بجوائز) أى عطايا (فقبلوها وأرسل الى الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه) يا ابتاه (قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه) أى من الخصاصة (فبكى الفضيل وقال أتدرون مامثلى ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت) اى اسنت وعجزت عن العمل (قيل الا تنتفعون بجلدها وكذلك أنتم اردتم ذبحى على كبر سنى موتوا يا أهلى جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا) رواه أبو نعيم فى الحلية نحوه فى قصة طويلة قال حدثنا سليمان بن احمد حدثنا محمد بن زكريا الغلابى حدثنا ابو عمر الجرمى النحوى حدثنا الفضل بن الربيع قال حج أمير المؤمنين يعنى هرون الرشيد فأتانى فخرجت مسرعا فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت لى أتيتك فقال لى ويحك قد حك فى نفسى شئ فانظر لى رجلا أسأله فذكر لقيه لجماعة من الفقهاء منهم سفيان بن عيينة وعبد الرزاق بن همام وانه أعطاهما الجوائز ولقى الفضيل ابن عياض فذكر قصة طويلة تقدم بعضها فى وعظ العلماء الملوك وذكر وعظه له وفيه فبكى هرون وقال له عليك دين قال نعم دين لربى لم يحاسبنى عليه فالويل لى ان ساءلنى وناقشنى قال انما أعنى من دين العباد هذه ألف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقو بها على عبادتك فقال سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئنى بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت قال فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به فقال لها مثلى ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه (وقال عبيد بن عمير) بن قتادة الليثى أبو عاصم المكى القاص من كبار التابعين مجمع على ثقته روى له الجماعة (كان المسيح عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد أينما أدركه المساء نام) روى ابن عساكر نحوه عن مجاهد ولفظه كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يخبأ اليوم لغد ويبيت حيث آواه الليل لم يكن له ولد فيموت ولا بيت فيخرب ورواه أحمد فى الزهد عن سفيان كان عيسى عليه السلام لا يخبأ عشاء لغداء ولا غداء لعشاء يقول مع كل يوم وليلة رزقها ليس له بيت يخرب وروى ابن عساكر عن كعب أن عيسى عليه السلام كان يأكل الشعير ويمشى على رجليه ولا يركب الدواب ولا يسكن البيوت ولا يصطبح بالسراج ولا يلبس القطن ولم يمس النساء ولم يمس الطيب ولم يمزج شرابه بشئ قط ولم يبرده ولم يدهن رأسه قط ولم يجعل بين الارض وجلده شيأ قط الا لباسه ولم يهتم لغداء قط ولا لعشاء قط ولا أشتهى شيأ من شهوات الدنيا (وقالت امرأة أبي حازم لابي حازم) مسلمة بن دينار الاعرج المدنى التابعى العابد الفقيه (هذا الشتاء قد هجم علينا ولابد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال أبو حازم من هذا كله بد ولكن لابد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدى الله تعالى ثم الى الجنة أو النار وقيل للحسن) البصرى رحمه الله تعالى وقد رؤى عليه ثوب وسخ (لم لا تغسل

ثيابك قال الامر أعجل من ذلك وقال ابراهيم بن أدهم قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا أكثر من نعمته فيما صرف الينا وكأنه التفت الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه فاذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع المؤدي الى الصحة أكبر منها في الاعطاء المؤدي الى السقم وكان الثوري يقول الدنيا دار التواء لادار استواء ودار ترح لادار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء وقال سهل لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفزع من أربعة أشياء الجوع العري والفقر والذل

ثيابك قال الامر أعجل من ذلك) نقله صاحب القوت (وقال ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب) الاول (الفرح بالموجود و) الثاني (الحزن على المفقود و) الثالث (السرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فأنت حريص) والحريص محروم (واذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل) نقله صاحب القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو عمرو وعثمان بن محمد العثماني حدثنا العباس بن أحمد الرملي عن بعض أشياخه قال قال ابراهيم بن أدهم على القلب ثلاثة أغطية الفرح والحزن والسرور فاذا فرحت بالموجود فأنت حريص والحريص محروم وساقه الى آخره كسياق صاحب القوت ثم قال ودليل ذلك قوله تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ثم قال صاحب القوت وهذان الوصفان هما أتم حالا من الزهد من أعطى أحدهما تبعه الآخر لان الذي لا يأسى على مافاته من الدنيا هو الذي لا يفرح بما أتاه منها لانه مثله والذي لا يفرح بما أتاه منها هو الذي لا يحزن على مافاته منها اذ هو نحوه والاسى على المفقود بعد الفرح بالموجود وهذان الوصفان هما ثمرة اليقين بما أمر به من ستر النصيب في الكتاب المبين ومشاهدة التوفية للنصيب لا محالة مع الزهد لقوله تعالى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ثم أحكمه وفرغ منه لقوله تعالى وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص كذلك كان أوّل الخبر عن فقد الاسى على الفوت وترك الوجد بالفرح على مالا يفوت فأوّل الكلام قوله ما أصابكم من مصيبة في الارض فهذا المنفصل عن النفس ولا في أنفسكم وهذا المتصل بالجسم الا في كتاب من قبل أن نبرأها تخلق النفس والمصيبة معا ثم عقبه بقوله لكيلا تأسوا على الفوت فيقطعكم الحزن عن المغيب ولا تفرح بما لك بما قد كتب في الكتاب فيشغلك السبب عن ولي الاسباب وهذا وصف عبد غير مملك الملك وسما عبد قائم بحكم رب ونعت عبد موقن محب قد شغلته مشاهدة الآخرة عن التفرغ لمتعة الدنيا وقد فرغته معاينة الغيب عن الاشتغال بما يغني والله أعلم (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا) رواه مسروق عنه كما في القوت قلت وقد روي نحوه مرفوعا من حديث أنس ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط رواه أبو نعيم وروى ابن النجار عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم وروى الشيرازي في الالقاب من طريق مالك بن دينار عن الحسن عن أنس عن علي رفعه ركعتان من عالم بالله خير من ألف ركعة من متجاهل بالله (وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا) من الدنيا (أكثر من نعمته) علينا (فيما صرف الينا) نقله صاحب القوت (وكأنه التفت الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه) رواه أحمد وابن عساكر من حديث محمود بن لبيد ورواه الحاكم من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم وكان الفضيل يمثل حال المؤمن في الدنيا بالطفل مع أمه يقول ان الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا ويعلله عنها ويمررها عليه مرة بالجوع ومرة بالعري ومرة بالحاجة والغم والكرب كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها تعلله مرة تسقيه صبرا ومرة حضضا ومرة تجرعه ألوان الاشربة والاغذية تريد بذلك ماهو خير له من حيث لا يعلم (واذا فهم هذا علم أن النعمة في المنع المؤدي الى الصحة أكثر منها في الاعطاء المؤدي الى السقم وكان) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (يقول الدنيا دار التواء) أي الهلاك (لا دار استواء) أي اعتدال واقامة (ودار ترح) أي تعب وحزن (لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء) أي بسعة (ولم يحزن على شقاء) أي الضيق والتعب كذا في القوت (وقال) أبو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفزع) أي لا يجزع ولا يخاف (من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والذل) نقله صاحب القوت ولفظه لا يصح التعبد لاحد

ولا

وقال الحسن البصري أدركت أقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يأسفون على شيء منها أدبر ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيأ ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط فاذا كان الليل فقيام على أقدامهم يفترشون وجوههم تجري (٢٣٧) دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها واذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه

(بيان درجات الزهد وأقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه)

اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث * الدرجة الاولى وهي السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتهٍ وقلبه اليها مائل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب أولا نفسه ثم كيسه والزاهد أولا يذيب كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعات لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها في قليل أو كثير * الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن في نفسه انه ترك شيأ له قدر لما هو أعظم

ولا يخلص له عمله حتى لا يجزع ولا يفرح من أربعة أشياء والباقي سواء (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (أدركت أقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا) اذا (أقبل) عليهم (ولا يأسفون على شيء منها) اذا (أدبر) عنهم (ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب) فضلا عن أن تكون مساوية له (كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة) أو أقل أو أكثر (لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيأ) سوى الثوب الذي على جسده (ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط) وانما يأكل ما وجد وتيسر (فاذا كان الليل فقيام على أقدامهم) في العبادة (يفترشون وجوههم) تذللا (تجري دموعهم على خدودهم) تخوفا (يناجون ربهم في فكاك رقابهم) من النار (كانوا اذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها) حيث أنعم الله عليهم بها (وسألوا الله أن يقبلها) منهم (واذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك) الحال والدؤب (ووالله ما سلموا) مع ذلك (من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة) رحمة الله عليهم ورضوانه والله الموفق

(بيان درجات الزهد وأقسامه)

وذلك (بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه اعلم) وفقك الله تعالى (ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاثة) وهي درجات الزاهد في بدايته (الدرجة الاولى وهي السفلى منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتهٍ وقلبه اليها مائل ونفسه اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها) ويجنبها الاسباب التي ذكرناها مع قصر الامل (وهذا يسمى المتزهد) وهو الذي يتصنع للزهد ويعمل في أسبابه من التقلل ورثاثة الحال في كل شيء فشأنه مثل المتصبر من الصابر الذي يحمل على نفسه بالصبر ويصابرها على العلم والبر فيكون له مقام من الصبر (وهو) أي الزهد بالمعنى المذكور (مبدأ الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد) قال صاحب القوت ان العبد قد يجاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها في الصبر على مر الحق بان يخرج المرغوب وينفق المحبوب ويتصبر على كراهة النفس لذوق ذلك ولقلة عادته بجريانه عليه كما يتصبر على ذوق مرارة الدواء خشية أن يقتله الداء فيكون له مقام في الزهد ينال به البر ويستوجب مدحا فيه وقد قال بعض البصريين من أهل المعرفة ان من أكره نفسه على اخراج المحبوب من ماله وحمل عليها بالزهد فيه حتى بذله على تكره من النفس ان هذا أفضل ممن سمحت له نفسه ببذل ماله طوعا من غير كراهة ولا وجد ثقل قالوا الفضل المجاهدة فيه ولكراهة النفس واكراهها اهـ (والمتزهد) غير الزاهد فان المتزهد (يذيب أولا نفسه) بأن يجاهدها على الزهد (ثم كيسه) باخراج المرغوب منه (والزاهد أولا يذيب كيسه) باخراج المحبوب من اليد في سبيل المطلوب (ثم يذيب نفسه في الطاعة) ويوطنها عليها (لا في الصبر على ما فارقه) وهذا من قول أبي حاتم الاصم الزاهد يذهب كيسه قبل نفسه والمتزهد يذهب نفسه قبل كيسه نقله القشيري (والمتزهد على خطر) لا يأمن على حاله (فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والاستراحة بها في قليل أو كثير) الدرجة (الثانية الذي يترك الدنيا طوعا) أي اختيارا وجعله طاعة مع القدرة (لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل) تحصيل (درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه) لانه ترك شيأ لشيء (كما يرى البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن انه ترك شيأ له قدر لما هو أعظم

قدرامنه وهذا أيضا نقصان * الدرجة الثالثة وهى العليا أن يزهد طوعا و يزهد فى زهده فلا يرى زهده اذلا يرى انه ترك شيأ اذ عرف أن الدنيا لاشئ فيكون كمن ترك خزفة وأخذ جوهرة (٣٣٨) فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيأ والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال فى الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما أن تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة فى البيع قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لابى موسى عبد الرحيم فى أى شئ تتكلم قال فى الزهد قال فى أى شئ قال فى الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم فى شئ الدنيا لاشئ ايش يزهد فيها ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره فى جميع مملكته أفترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها الى كلبه فى مقابلة ماقد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة أخبزان أكلت فلذتها فى حال المضغ وتنقضى على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها فى المعدة ثم تنتهى الى النتن والقذر ثم يحتاج بعد ذلك الى اخراج ذلك الثفل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها أعنى ما يسلم لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذلا نسبة للمتناهى الى مالانهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لانسبة لها الى نعيم الابد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات

الدنيا

قدرامنه وهذا أيضا نقصان) الدرجة (الثالثة وهى العليا) منها (أن يزهد طوعا) أى اختيارا (و يزهد فى زهده فلا يرى زهده اذلا يرى انه ترك شيأ اذ عرف أن الدنيا لاشئ) فى الحقيقة كما ورد فى الخبر ان الله تعالى يقول للدنيا يوم القيامة اسكتى يالاشئ (فيكون كمن ترك خزفة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيأ) كما قال بعض الزاهدين لبعض العارفين لم يبق على من الدنيا الامص النوى فهذا يرى هذا بعيدا عن الرغبة فقال ياهذا انظرك الى مص النوى لزهدك هو بقية من الدنيا أراد منه نسيان ذلك بالزهد فى زهده على ترك النظر الى وصفه لما يستغرقه فى الجريان عليه فلا يبقى همه بغير مجريه و يكون بحكم المجرى فيه فهذا مقام فوق الزهد متصل بغيره من القرب المصطلح (والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال فى الزهد وسببه كمال المعرفة) وانما تتفاوت مراتب الزهد بتفاوت المعرفة (ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة فى البيع) وفى القوت وقال أبو سعيد بن الاعرابى عن أشياخه انما الزهد عندهم خروج قدر الدنيا من القلب اذهى لاشئ وهذا العمرى هو الزهد فى الزهد لانه زهد ثم لم ينظر الى زهده فزهد فيه اذلم يره شيأ لانه زهد فى لاشئ وهذا يشبه ما يقال ان حقيقة الزهد هو الزهد فى النفس لانه قد يزهد فى الدنيا لنفسه طلبا للعوض فيكون ذلك رغبة على صفة فاذا زهد فى النفس التى يريد لها الاعواض على الزهد فهو حقيقة الزهد وهو يشبه قول من قال ان حقيقة الزهد فى الغنى هو الزهد فى البقاء لان العبد يزهد فى الغنى ولم يزهد فى البقاء فيكون فيه بقية من الرغبة فاذا زهد فى البقاء فهو حقيقة الزهد فى الغنى اذ كان الغنى يراد للبقاء واذلا متعة بالبقاء بغير غنى (قال أبو يزيد) البسطامى وهو من أعلى الطوائف اشارة وأعلاهم عبارة (لابى موسى) هرون بن سليمان الكوفى مولى عمرو بن حريث المخزومى روى له أبو داود والترمذى والنسائى (عبد الرحيم) بن يحيى الاسود الارموى الدمشقى (فى أى شئ تتكلم قال) فقلت (فى الزهد قال) أبو يزيد (فى أى شئ قال) فقلت (فى الدنيا فنفض يده) وأعرض (وقال ظننت انه يتكلم فى شئ الدنيا لاشئ ايش يزهد فيها) أورده صاحب القوت ولفظه ثم قال يتكلم بالزهد فى لاشئ وأى شئ الدنيا حتى تذكر بالزهد فيها ثم قال وكانت رابعة رحمها الله تعالى من قبله اذا ذكر جلساؤها الدنيا تقول نوهتم بالدنيا اذ تذكرونها أى قدرلها حتى نقطع الوقت بذكرها ولكن من أحب شيأ أكثر من ذكره (ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات) العيانية (والمكاشفات) الربانية (مثل من منعه من باب الملك كلب) جاثم (على بابه فألقى اليه لقمة من خبز فشغله) بها (ودخل الباب ونال القرب) والاتصال (من الملك حتى نفذ أمره فى جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها الى كلبه فى مقابلة ماقد ناله) من القرب (فالشيطان كلب) جاثم (على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع) والاذن حاصل (والدنيا) بأسرها (كلقمة خبزان أكلت فلذتها فى حال المضغ) فقط (وتنقضى) تلك اللذة (على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها فى المعدة ثم ينتهى الى النتن والقذر ثم يحتاج بعد ذلك الى اخراج ذلك الثفل) من كل وجه ولو بعلاج (فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها أعنى ما يسلم منها لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذلا نسبة للمتناهى الى مالانهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لانسبة لها الى نعيم الابد) بوجه من الوجوه (فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات

الدنيا مكدرة غير صافية فأي نسبة لها الى نعيم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه يراه
شيأ معتدا به ولا يراه شيأ معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من
هذه أيضا لها درجات اذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته الى زهده * وأما انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات الدرجة السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار اذ فيها ان الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء فهذا هو زهد الخائفين وكأنهم الحور رضوا بالعدم لو أعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم * الدرجة الثانية أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له * الدرجة الثالثة وهي العليا أن لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الالام
ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين

الدنيا مكدرة غير صافية فأي نسبة لها الى نعيم الابد فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه لها أيضا درجات اذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته الى زهده) ثم اعلم أن المصنف رحمه الله تعالى ذكر للزاهد ثلاث درجات وهي أحواله في بدايته وبقيت عليه درجتان فالمجموع خمسة الاولى منهما أن يزهد في رؤيته لزهده لعلمه بتوفيق الله ومنته ورؤية التوفيق واجبة وهي من عقود الايمان بالله ولله لترددها بين الصفات الذاتية والفعلية وهكذا في كل حال قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم الثانية منهما وهو مقام العارفين والمقربين من الزهاد وهو أن لا يكون له اختيار في اخراج الدنيا ولا في ادخارها لانه اذا علم مراد الله في الاخراج أخرج واذا علم مراد الله في الادخار ادخر لان بواعثه في الادخار والاخراج تهذبت وسكنت وصار عبدا مفقودا لنفسه موجودا لسيده فصار كفه خزانة من خزائن الله كمحل الوديعة المنتظر بها قدوم مالكها عرفها وردها اليه والله أعلم (وأما أقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات الدرجة السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال والشدائد كما وردت به الاخبار) وتقدم ذكرها في آخر قواعد العقائد (وفي الخبر ان الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة من الابل عطاشا) من ٧ الحمض (على عرقه لصدرت رواء) قال العراقي رواه أحمد من حديث ابن عباس التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير الحديث وفيه اني احتبست بعدك محتبسا فظيعا كريها ما وصلت اليك حتى سال مني العرق مالو ورده ألف بعير كلها آكلة حمض لصدرت عنه رواء وفيه دويد غير منسوب يحتاج الى معرفة قال أحمد هذا حديث منكر اهـ قلت بقية الحديث بعد قوله ومؤمن فقير كانا في الدنيا فادخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال أي أخي ماذا حبسك والله لقد احتبست حتى خفت عليك فقال اي أخي اني حبست بعدك محبسا فظيعا كريها ما وصلت اليك حتى سال مني من العرق ثم ساق الحديث وقول العراقي نقلا عن أحمد هذا حديث منكر يظهر في بادئ الرأي انه قاله في المسند وليس كذلك بل ذكره عنه الخلال في العلل وليس هو في المسند نبه عليه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وروى الطبراني من حديث ابن مسعود ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول رب أرحني ولو الى النار (فهذا زهد الخائفين وكأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم) لان احتباس الغني انما كان لسبب غناه (الدرجة الثانية أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد) قائم (لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا) منها (ان لا تكون له رغبة الا في الله ولقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد) روى الحاكم من حديث ابن عمر من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة الحديث وقد تقدم (وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده) روى هناد في الزهد من حديث حذيفة من أصبح وأكبر همه غير الله فليس من الله في شئ (وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين) وصاحب هذا المقام قد سباه الحب وشغفه الشوق فهو داخل في الخلق منفصل منهم غير

وهم العارفون لانه لايحب الله تعالى خاصة الامن عرفه وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لايقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظنن أن أهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع فى قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم أهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لالان اللعب بالعصفور فى نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق * وأما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ماذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها أشرح لآحاد الاقسام وبعضها أجمل للجمل * أما الاجمال فى الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد فى نفسه أيضا والاجمال فى الدرجة الثانية أن يزهد فى كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال الزهد والجاه وغيرها وفى الدرجة الثالثة أن يزهد فى المال والجاه وأسبابهما اذ اليهما ترجع جميع حظوظ النفس وفى الدرجة الرابعة أن يزهد فى العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه اذ الاموال وان كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت أسبابه فيرجع الى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما أن معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه

مضيع لما ألزمه الله من حقوقهم فانى لابليس أن يطمع فى هذا ومعه من الله عصمة وتأييد فلولا القدر لرفعه اليه من حبه له (وهم العارفون) المتمكنون الداخلون مع الخلق بالاجسام الخارجون بالقلوب واحدهم منقطع الى ربه بهمه ناظر الى مولاه بنظره اليه بما تولاه فتوحد له بوصفه من حيث انجمله واحده بوجهه وتخلق له بخلقه لما ألبسه من نوره فحجبه به عن خلقه فهو ظاهرى باطنى نبوى ربانى ينظر بعين التعديل ظاهره حكمة وباطنه قدرة فهذا مقام زائد على حال الزهد وهى صفات فهذه الصفات يتحقق الموصوف بها بعد حقيقة زهده فى الدنيا فهى ثمرة حب الله تعالى له عن فرع بغضه للدنيا عن أصل معرفته بمقت الله لها (لانه لايحب الله خاصة الامن عرفه) اذ المحبة ثمرة المعرفة (وكما ان من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار) لعزته (فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار) وجريان الانهار من تحتها (غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر) الى وجهه الكريم (ولا يؤثر غيره) عليها (ولا تظنن ان أهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع فى قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى الاستيلاء على عصفور) واللعب به (والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب اللعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لالان اللعب بالعصفور فى نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق) فهذا ما يتعلق باقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه (وأما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل) واختلف المشايخ فيه (ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول) رويت عنهم بالاسانيد المعتبرة (فلا نشتغل بنقل تلك الاقاويل) فانه لا يفيد السالك فى طريق الحق بل تشتبه عليه الاحوال بالاحوال فيقع بذلك فى حيرة وضلال (ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان أكثر ماذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها أشرح لآحاد الاقسام وبعضها أجمل للجمل أما الاجمال فى الدرجة الاولى) من الدرجات الثلاث (فهو) أى المرغوب عنه (كل ما سوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد فى نفسه أيضا) فانه أيضا مما سوى الله (والاجمال فى الدرجة الثانية أن يزهد فى كل صفة للنفس فيها متعة) أى بقاء لها وامساك لقوتها (وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها) من كل ما تقتضيه النفس (وفى الدرجة الثالثة أن يزهد فى المال والجاه وأسبابهما اذ اليهما ترجع حظوظ النفس) كما تقدم ذلك فى ذم المال والجاه (وفى الدرجة الرابعة أن يزهد فى العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت أسبابه فيرجع الى العلم والقدرة وأعنى به كل علم وقدرة مقصوده ملك القلوب اذ معنى الجاه) كما سبق (هو ملك القلوب والقدرة عليها كما أن معنى المال) هو (ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه من

الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا ثم رده في آية أخرى الى خمسة فقال عزوجل اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده تعالى في موضع آخر الى اثنين فقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد في موضع آخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجمال أخرى فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر أمله لا محالة لانه انما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من أراد شيأ أراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود أو ممكن في هذه الحياة فاذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل أي لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين

الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال) تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ثم قال ذلك متاع الحياة الدنيا) فوصف حب الشهوات بالتزيين ثم نسق الاوصاف السبعة على الحب لها ثم أشار اليها بقوله ذلك فذا اشارة الى الكاف والكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق واللام بين ذلك والكاف للتمكين والتوكيد ففصل من تدبر الخطاب ان هذه السبعة جملة الدنيا المرغوب عنها وان الدنيا هي هذه الاوصاف السبعة وما تفرع من الشهوات رد الى أصل من أصول هذه الجمل فمن أحب جميعها فقد أحب جملة الدنيا نهاية الحب ومن أحب أصلا منها أو فرعا من أصل فقد أحب بعض الدنيا فعلمنا بنص الكلام ان الشهوة دنيا وفهمنا من دليله أن الحاجات التي تقع ضرورات ليست بدنيا فاذا لم تكن الحاجة دنيا دل انها لا تسمى شهوة (ثم رده) أي مجموع هذه الاوصاف السبعة (في آية أخرى الى خمسة) معان (فقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) فهذه الخمسة وصف من أحب تلك السبعة (ثم رده) أي مجموع تلك الخمسة (في موضع آخر) من كتابه العزيز (الى) معنيين (اثنين) هما جامعان للسبعة (فقال) تعالى (انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل) من الموضعين (الى) وصف (واحد في موضع آخر) من كتابه العزيز وعبر عنه بمعنيين فصارت الدنيا ترجع الى شيئين جامعين مختصرين يصلح أن يكون كل واحد منهما هو الدنيا فالوصف الواحد الذي رد الاثنين اليه اللذان هما اللهو واللعب هو الهوى واليه رجعت السبعة فيه (فقال) تعالى (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى بدليل قوله تعالى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى (فالهوى لفظ جامع يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا) اذ كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا لان النهي عنه ضد الايثار له فمن نهى نفسه عن الهوى فانه لم يؤثر الدنيا واذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزاهد كانت له الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي لمن لم ينه نفسه عن الهوى بايثاره الدنيا فصارت الدنيا هي طاعة الهوى وايثاره في كل شئ (فينبغي أن يكون الزهد عنه) أي يكون الزهد عبارة عن مخالفة الهوى من كل شئ (واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجمال أخرى) وأما المعنى الآخر الذي عبر به عن هذا الوصف الذي هو الهوى فجعله دنيا أيضا وهو حب البقاء لمتعة النفس فقد أشار اليه المصنف بقوله (فالحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر أمله لا محالة لانه يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من أراد شيأ أراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود أو ممكن في هذه الحياة فاذا رغب عنها لم يردها) واستنبط هذا المعنى من كلام الله تعالى كما أشار اليه المصنف بقوله (ولذلك لما كتب عليهم القتال) أي فرض الجهاد في سبيل الله أخبر عنهم الله تعالى بقوله (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشي بالسيف الى السيف والفناء بين السيفين فقالوا هلا أبقيتنا الى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه هو الدنيا فقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل) والآخرة خير لمن اتقى (أي لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا) فانكشف الناس (فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين) بالافتضاح وابتلي هنالك المؤمنون عند فرض القتال (أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله) كما أخبر عنهم الله تعالى في كتابه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا أي مصطفين (كأنهم بنيان مرصوص) في تراصهم من غير فرجة والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه (وانتظروا احدى الحسنيين)

مثنى الحسنى تانيث الاحسن كما قال تعالى تتربصون بنا الا احدى الحسنيين (وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة) ويرون الحور العين عيانا (ويبادرون اليه) أى الى القتال (مبادرة الظمآن) فى الهاجرة (الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله) لتكون كلمة الله هى العليا (أونيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة) لعلو رتبتها عندهم (حتى ان) سيف الله أبا سليمان (خالد بن الوليد) بن المغيرة بن عبد الله المخزومى القرشى (رضى الله عنه لما احتضر للموت على فراشه) بالمدينة على الاصح أو بمدينة حمص على الاشهر (كان يقول كم غررت بروحى وهجمت على الصفوف طمعا فى الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات) فى سبيل الله شهد غزوة مؤتة وكان الامير الثالث وأبلى فى غزوة الفتح بلاء حسنا ثم شهد حنينا والطائف فى هدم القرى والبرموك وأسر أكيدر رومة وقاتل أهل الردة قتالا عظيما وافتتح دمشق قال ابن سعد فى الطبقات أخبرنا محمد بن عبيد حدثنا محمد بن اسمعيل بن أبى خالد عن زياد مولى آل خالد قال قال خالد عند موته ما كان فى الارض ليلة أحب الىّ من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم العدوّ فعليكم بالجهاد وروى أبو يعلى من طريق اسمعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال قال خالد ما ليلة يهدى الى فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب الى من ليلة شديدة الجليد فذكر نحوه وقال ابن المبارك فى كتاب الجهاد عن حماد بن زيد حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبى وائل ثم شك حماد فى أبى وائل قال لما حضرت خالدا الوفاة قال لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لى الا أن أموت على فراشى وما من عملى شئ أرجى عندى بعد لا اله الا الله من ليلة بتها وأنا متترس والسماء تهلنى ننتظر الى صبح حتى نغير على الكفار (وكذا كان حال الصادقين فى الايمان وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم فايثارهم البقاء) فى الدنيا (على الشهادة استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير فاولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) يعنى رغبوا فى البقاء الادنى لما اشتروه ببيع البقاء الآخر الاعلى الابقى اذ باعوه (فما ربحت تجارتهم) فمن اشترى ثلاثين سنة أو أربعين سنة بالف ألف وبأبد الآباد فكيف تربح تجارته (وما كانوا مهتدين) أى ممن هدى سبيله فهذه تجارة من رغب فى حياة دنية فاشتراها ببقاء أبد الآباد فقد صار بائعا للحياة الغالية بما استبدل به من اشتراء الحياة الدانية (وأما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة) فهم لانفسهم وأموالهم بائعون كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين الآية (فلما رأوا انهم تركوا تمتع عشرين سنة أو ثلاثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذى بايعوا به) كما قال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به فشتان بين التجارتين وفرقان ما بين الربحين (فهذا بيان المزهود فيه) فاذا كان حب البقاء هو الدنيا ينبغى أن يكون حب لقاء الله الباقى هو الزهد فصار الزهد فى الدنيا هو الزهد فى البقاء وصار الرغبة فى البقاء مثل اتباع الهوى الذى هو الدنيا فمن زهد فى الحياة الفانية المتمتع بها وفى ماله المجموع بالجهاد للنفس والانفاق فى سبيل الله فقد زهد فى الدنيا ومن زهد فيها أحبه الله تعالى ولذلك صار الجهاد من أفضل الاعمال لانه حقيقة الزهد فى الدنيا ولان الله يحب من زهد فيها بانه قد قتل نفسه فيها فاستعجل الخروج اليه منها ثم كان مخالفة الهوى أفضل الجهاد لانه هو حقيقة الرغبة فى الدنيا فالزاهد فى هوى نفسه هو حبيب ربه والراغب فى حب البقاء لنفسه منافق فى دين ربه وبه كشف الله الكاذبين ووصفهم بمرض القلوب وظهر مما ذكرنا ان حقيقة الدنيا هو حب البقاء لطاعة الهوى ومرافقة الهوى فى حب العرض لاجل البقاء من الدنيا فدخل أحد هذين فى الآخر لان حب البقاء لاجل المتعة هو من الهوى الذى هو صفة النفس الامارة بالسوء وطاعة الهوى الذى هو عيش النفس انما يكون لحب البقاء لان العبد لو أيقن بالموت ساعة لآثر الحق على الهوى ولو أيس من البقاء لما رغب فى العرض الادنى فصار حب البقاء من الهوى وصار ايثار الهوى انما هو لحب البقاء فكان ذلك هو حقيقة

وكانوا اذا دعوا الى القتال
يستنشقون رائحة الجنة
ويبادرون اليه مبادرة
الظمآن الى الماء البارد
حرصا على نصرة دين الله أو
نيل رتبة الشهادة وكان من
مات منهم على فراشه يتحسر
على فوت الشهادة حتى ان
خالد بن الوليد رضى الله تعالى
عنه لما احتضر للموت على
فراشه كان يقول كم غررت
بروحى وهجمت على
الصفوف طمعا فى الشهادة
وأنا الآن أموت موت
العجائز فلما مات عد على
جسده ثمانمائة ثقب من
آثار الجراحات هكذا كان
حال الصادقين فى الايمان
رضى الله تعالى عنهم أجمعين
وأما المنافقون ففروا من
الزحف خوفا من الموت فقيل
لهم ان الموت الذى تفرون
منه فانه ملاقيكم فايثارهم
البقاء على الشهادة استبدال
الذى هو أدنى بالذى هو خير
فأولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين وأما
المخلصون فان الله تعالى
اشترى منهم أنفسهم وأموالهم
بان لهم الجنة فلما رأوا أنهم
تركوا تمتع عشرين سنة
مثلا أو ثلاثين سنة بتمتع
الابد استبشروا ببيعهم
الذى بايعوا به فهذا بيانه
المزهود فيه

الدنيا فصار أقصر الناس أملا للبقاء أزهدهم فى الدنيا وصار أرغب الناس فى الدنيا أطولهم أملا (واذا فهمت هذا علمت ان ماذكره المتوكلون) من الصوفية (فى حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض أقسامه فذكر كل واحد ما رآه غالبا على نفسه) اذ كان مقاما له أقيم فيه أو حالا له (أو على من كان يخاطبه) فخاطبه على قدر حاله أو مقامه (فقال بشر) بن الحرث الحافى رحمه الله تعالى (الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الناس) وفى ملاقاتهم اذ الرغبة هى فيهم وفيما عندهم نقله صاحب القوت وقال فى موضع آخر وكان بشر يقول الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الناس لانه كان يقول حب لقاء الناس هو من الدنيا لانه الموغوب فيه عندهم ويتسبب اليه بهم فلذلك صار الزهد فقدهم ولذلك قال بعض الحكماء اذا طلب الزاهد الناس فاهرب منه واذا هرب من الناس فاطلبه وهذا هو حال الزاهد العابد المشغول بنفسه (وهذا اشارة الى الزهد فى الجاه خاصة) ومثله قول السرى مارست كل شئ من أمر الزهد فنلت منه ما أريد الا الزهد فى الناس فانى لم أبلغه ولم أطقه رواه القشيرى عن أبى عبد الله الصوفى سمعت أبا الطيب السامرى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول فذكره (وقال قاسم) بن عثمان (الجوعى) الدمشقى منسوب الى ربيعة الجوع وقيل كان يجوع كثيرا وقد سبق ذكره (الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد) فكان الدنيا عنده هو الشبع وأكل الشهوات وتناول المطعوم من غير الحاجات عن فضول الكفايات نقله صاحب القوت (وهذا اشارة الى الزهد فى شهوة واحدة) وهى شهوة البطن (ولعمرى هى أغلب الشهوات على الاكثر وهى المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (الزهد هو القناعة) وكانت الدنيا عنده هى الحرص والشره والضراعة وفى لفظ له القناعة هى الزهد (وهذا اشارة الى المال خاصة وقال) سفيان الثورى رحمه الله تعالى (الزهد هو قصر الامل) وانتظار الموت فصارت الدنيا عنده طول الامل ونسيان قرب الاجل كذا فى القوت وقال القشيرى فى الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول حدثنا أحمد بن اسمعيل الازدى حدثنا عمران بن موسى الاسفنجى حدثنا الدورقى حدثنا وكيع قال قال سفيان الثورى الزهد فى الدنيا قصر الامل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء اهـ وهو (جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول أمله ومن قصر أمله) واستشعر سرعة موته وفراقه للدنيا (فكأنه رغب عن الشهوات كلها) وقد روى مثل قول سفيان أيضا عن أحمد بن حنبل وعيسى بن يونس وغيرهما قال القشيرى وهذا الذى قالوه يحمل على انه من أمارات الزهد والاسباب الباعثة والمعانى الموجبة له (وقال اويس) بن عامر (القرنى) رحمه الله تعالى وهو سيد التابعين فى قول لرجل سأله عن الزهد (اذا خرجت تطلب) أى الرزق (ذهب الزهد) ولفظ القوت اذا خرج العبد يطلب ذهب الزهد وقال مرة لبعض من سأله عن الزهد فى أى شئ خرجت فقال أطلب المعاش فقال له فاين الزهد يعنى ان الزهد عنده أن يقطع العبد بدوام الشغل بالله عن التفرغ بطلب ما سوى الله وأن ينسى فى جنب ذكر الله ترك الطلب شغلا بما يرد عليه من المطلوب فلا يبقى فيه فراغ المرغوب فهذا غاية الزهد وهو طريق طائفة من الابدال اقتطعوا عن الخلق وأريدوا بهذه الحال كذا فى القوت (وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا فى الزهد) أى لا يكمل مقام الزهد الا بالتوكل على الله تعالى (وقال أويس) رحمه الله تعالى (أيضا الزهد هو ترك الطلب للمضمون) أى الذى ضمنه الله تعالى لعباده وأقسم عليه (وهو اشارة الى الرزق) وهو بمعنى ما تقدم قال هرم بن حيان لقيته على شاطئ الفرات يغسل كسرا وخرقا قد التقطها من المنبوذ وكان ذلك أكله ولبسه قال فسألته عن الزهد أى شئ هو فقال فى أى شئ خرجت قلت أطلب المعاش قال اذا وقع الطالب ذهب الزهد (وقال) بعض العلماء من (أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأى والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم وطريق السنة) قال صاحب القوت وهذا القول من الظواهر يشبه قول علماء الظاهر كما رويناعن سفيان قال قالوا للزهرى ما الزهد قال ما لا يغلب الحرام صبره ولا يمنع

واذا فهمت هذا علمت أن هذا ماذكره المتكلمون فى حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالبا على نفسه أو على من كان يخاطبه فقال بشر رحمه الله تعالى الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الناس وهذا اشارة الى الزهد فى الجاه خاصة وقال قاسم الجوعى الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد وهذا اشارة الى الزهد فى شهوة واحدة ولعمرى هى أغلب الشهوات على الاكثر وهى المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل الزهد فى الدنيا هو القناعة وهذا اشارة الى المال خاصة وقال الثورى الزهد هو قصر الامل وهو جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول أمله ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها وقال أويس اذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد عنه وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا فى الزهد وقال أويس أيضا الزهد هو ترك الطلب للمضمون وهو اشارة الى الرزق وقال أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأى والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة

الحلال شكره يعنى أن يكون العبد صابرا عن الحرام حتى لاتغلبه شهوة الحرام ويكون شاكرا فى الحلال حتى لايغلبه الحلال فيشغله عن الشكر اه (وهذا ان أريد به الرأى الفاسد والمعقول الذى يطلب به الجاه فى الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض أسباب الجاه خاصة أوالى بعض ماهو من فضول الشهوات فان من العلوم مالافائدة فيه فى الآخرة) بل يكون وبالا فيها وسببا لهلاكه (وقد طوّلوها) أى تلك العلوم (حتى ينقضى عمر الانسان فى الاستقلال بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون الفضول أوّل مرغوب عنه عنده) والالم يخلص له الزهد وقال صاحب القوت ومن الزهد عند الزاهدين ترك فضول العلوم التى معلوماتها تؤل الى الدنيا وتدعو الى الجاه والمنزلة عند أبنائها وفيما لانفع فيه فى الآخرة ولاقربة به عند الله وقد يشغل عن عبادة الله تعالى ويفرق الهم عند اجتماعه بين يدى الله تعالى ويقسى القلب ويحجب عن التفكر فى آلائه وعظمته وقد أحدثت علوم كثيرة لم تكن تعرف فيما سلف اتخذها الغافلون علما وجعلها البطالون شغلا انقطعوا بها عن الله وحجبوا بها عن مشاهدة علم الحقيقة لايستطيع ذكره لكثرة أهلها الاأن يسأل عن شئ أعلم هو أم كلام أوحق أوتشبيه أوصدق وحكمة أو زخرف وغرور أسنة هو أم بدعة أعتيق أم محدث وتشديق فحينئذ يخبر بصواب ذلك (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (الزاهد الذى اذا رأى أحدا قال هذا أفضل منى) قال صاحب القوت (فذهب الى أن الزهد هو التواضع) وقد قال يوسف بن اسباط غاية التواضع أن تخرج من بيتك فلا ترى أحدا الارأيت انه خير منك رواه أبونعيم فى الحلية (وهذا اشارة الى نفى الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد) انما هو (طلب الحلال) وانه واجب مفترض فى مثل زماننا هذا لاختلاط الاشياء وغلبة الشهوات وهو قول عاد فى أهل الشام وطريقة عبادهم مثل ابراهيم بن أدهم وسليمان والخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشى وأبى اسحق الفزارى وشعيب بن حرب والدارانى ووهيب بن الورد وفضيل بن عياض وهم عشرة معروفون بأكل الحلال قالوا فقد تعين فرض الزهد ووجب تفقد المطاعم والسؤال عنها لقلة المتقين وفقد الورعين (وأين هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس) رحمه الله تعالى وذكر قريبا (ولاشك فى أنه) أى أويسا (أراد به) ترك (طلب الحلال) ولكل من القولين وجه (وقد كان يوسف بن اسباط) الشيبانى رحمه الله تعالى (يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ باصل الزهد) نقله صاحب القوت (وفى الزهد أقاويل) كثيرة (وراء مانقلناه فلم نرفى نقلها فائدة) مع ان بعضها عند التأمل يرجع الى بعض ماذكر فمن ذلك قول بعضهم الزهد أن لاتفرح بموجود من الدنيا ولاتتأسف على مفقود منها نزع بذلك الى قوله تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم وقال أبوعثمان الزهد أن تترك الدنيا ثم لاتبالى من أخذها وقال أبوعلى الدقاق الزهد أن تترك الدنيا كما هى لاتقول أبنى رباطا ولا أعمر مسجدا وقال ابن الجلاء الزهد هو النظر الى الدنيا بعين الزوال لتصغر فى عينيك فيسهل عليك الاعراض عنها وقال الجنيد الزهد خلو القلب مما خلت منه اليد وقال ابن المبارك الزهد هو الثقة بالله مع حب الفقر وبه قال شقيق البلخى ويوسف بن اسباط قال القشيرى وهذا أيضا من أمارات الزهد فانه لايقوى العبد على الزهد الا بالثقة بالله وقال عبد الله بن زيد الزهد ترك الدينار والدرهم وسأل رويم الجنيد عن الزهد فقال هو استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب وروى عنه أيضا الزهد خلو اليد من الملك وخلو القلب من التتبع وقال الشبلى الزهد أن تزهد فيما سوى الله تعالى وقال ذوالنون الزهد فى الدنيا هو الزهد فى النفس وقال الحسن البصرى الزهد فى الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض مافيها وقال بعضهم الزهد فى الدنيا هو ترك مافيها على من فيها فهذه ثلاثة عشر قولا نقلها القشيرى فى الرسالة وفى القوت وقالت طائفة الزهد هو بغض المحمدة وأن لاتحب أن تحمد على شئ من أعمالك وقال آخرون الدنيا هى الاكل واللباس والمال والزهد هو ترك فضول هذه الاشياء وقال آخرون حقيقة الدنيا هو حب

وهـذا ان أريد به الرأى الفاسـد والمعقول الذى يطلب به الجاه فى الدنيا فهو صحيح ولكنـه اشارة الى بعض أسباب الجاه خاصة أوالى بعض ماهو من فضول الشهوات فان من العلوم مالافائدة فيه فى الآخرة وقد طوّلوها حـتى ينقضى عمر الانسان فى الاشـتغال بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون الفضـول أوّل مرغوب عنه عنده وقال الحسـن الزاهد الذى اذا رأى أحدا قال هذا أفضل منى فذهب الى أن الزهد هو التواضع وهذا اشارة الى نفى الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهـد وقال بعضـهم الزهد هو طلب الحلال وأين هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس ولاشك فى انه أراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن أسباط يقول من صـبر عـلى الاذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحـلال فقد أخذ باصل الزهـد وفى الزهد أقاويل وراء مانقلناه فلم نرفى نقلها فائدة

الشرف والعلو وطلب العز والرياسة فينبغي أن يكون الزهد عند هؤلاء هو حب الخمول والذلة وطلب الخضوع والضعة وقال آخرون الزهد مفارقة حظوظ النفس في كل شئ وكان سفيان يقول الزهد في الدنيا هو الصبر على الحق في كل شئ وسئل حاتم الاصم عن الزهد فقال رأسه الثقة بالله ووسطه الصبر وآخره الاخلاص فادخل فيه التوكل وجعله أوله لانه لا يزهد حتى يثق بالله في الرزق و يتوكل عليه فيه وجعل الصبر حالا منه أراد لثبات لئلا يميل أو يخرج فيرجع الى الرغبة وجعل نهايته الاخلاص وهذا اخلاص الصادقين أن تريد بذلك وجه الله وحده وابتغاء مرضاته لا تطلعا الى عوض ولا تطلبا لسبب هو دون الله تعالى وكذلك جعل أحمد بن حنبل الاخلاص هو الزهد نفسه به لانه اذا بلغ حقيقة الاخلاص لله وحده فقد زهد فيما سواه فاتفقا بمعنى تقارباً فيه أما أحدهما ففسر الزهد بالاخلاص جعله نهايته وهو حاتم وأحمد عبر عن الاخلاص بالزهد لانه حقيقته وأما أيوب السختياني فانه سئل عن الزهد ماهو فقال هو أن تقعد في بيتك فان كان تعودك لله رضا والا خرجت تنفق درهمك فان كان رضا والا أمسكت تمسك مالك فان كان رضا والا أخرجته تسكت فان كان سكوتك لله رضا والا تكلمت تتكلم فان كان كلامك لله رضا والا سكت هذا هو الزهد والا فلا تلعبوا وهذا مقام المحاسبة للنفس وحال المراقب للرب ووصف المراعى للوقت فجعل الدنيا هي ترك موافقة رضا الله تعالى في كل شئ اذ جعل الزهد فيها هو اتباع مرضاته في الاشياء وقال مجاهد الزهد الاثرة لله على ماسواه اذا أتاه شئ من الدنيا استعمل الخوف والحياء فيؤدى الى كل ذى حق حقه وكان ابن عيينة يقول حد الزهد أن يكون شاكرا عند الرخاء صابرا عند البلاء فهذا قد صير الشاكر على النعمة والصابر على البلية زاهدا وجمع له الزهد باجتماع الشكر والصبر وهذا زهد عموم المؤمنين وقيل ليحيى بن معاذ متى يكون الرجل زاهدا فقال اذا بلغ حرصه في ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهدا وقال الداراني الزهد التخلى من الدنيا والاشتغال بالعبادة فاما من تركها وتبطل فانما طلب الراحة لنفسه وقال سهل أول الزهد التوكل وأوسطه اظهار القدرة وقال أيضا لا يزهد العبد زهدا حقيقيا الا رجعة بعده الا بعد مشاهدة قدرة وقال بعضهم الزهد هو اخفاء الزهد وقال سهل لا ينال الزهد الا بالخوف لان من خاف ترك فجعل الزهد مقاما في الخوف رفعة عليه وفي الخبر انما الزهد أن تكون بما في يد الله تعالى أوثق منك بما في يدك فهذا مقام التوكل وقال قوم الزهد هو ترك الادخار فكانت الدنيا عندهم الجمع وقال بعضهم الدنيا ماشغل القلب واهتم به فجعلوا الزهد ترك الاهتمام وطرح النفس تحت تصريف الاحكام وهذا هو التفويض والرضا وقال الداراني التورع أول الزهد وقال أبو هشام المغازلي الزهد قطع الآمال واعطاء المجهود وخلع الراحة وقال ابن السماك الزهد أن لا يفرح بشئ من الدنيا أتاه ولا يحزن على شئ منها فاته لا يبالى على عسر أصبح أم يسر وقال طيفور البسطامي الزهد أن لا علاك ولا علاك وقال علماء الظاهر الزهد في الدنيا موافقة العلم والقيام باحكام الشرع وأخذ الشئ من وجهه و وضعه في حقه وماخالف العلم فهو جهل كله وهوى فذكروا فرض الزهد وظاهره ولم يعرفوا غرائبه و باطنه ذلك مبلغهم من العلم ونصيبهم من الفهم وهو مقامهم من المقال وطريقهم المشوب بالاعتلال وقال الجنيد الزهد معنيان ظاهر و باطن فالظاهر نفض مافي الايدى من الاملاك وترك طلب المفقود والباطن زوال الرغبة عن القلب و وجود العزوف والانصراف عن ذكر ذلك فهذه الاقوال مع ماذكره المصنف تنيف على أربعين قولا وانما لم يرالمصنف في نقلها فائدة (فان من طلب كشف حقائق الامور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا الا القصور في البصيرة لكنهم ذكروا ماذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحاجة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم

فان من طلب كشف حقائق الامور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا الا القصور في البصيرة لكنهم ذكروا ماذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم

الاقوال المخبرة عنها تختلف وأما الحق فى نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور أن يختلف) على الصحيح من مذهب الاصوليين (وانما الجامع من هذه الاقاويل الكامل فى نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله) قارئ أهل الشام الامام (أبو سليمان) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (الدارانى) رحمه الله تعالى (اذ قال سمعنا فى الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شئ يشغلك عن الله عز وجل) ولفظ القشيرى قال الدارانى الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى ولفظ القوت وكان الدارانى أبو سليمان يقول الدنيا كل ما شغل عن الله وكان الزهد عنده دوام التفرغ لله تعالى بحسن الاقبال عليه اهـ وقال شارح الرسالة أراد بترك ما يشغل عن الله اى بقلبه والا فهو من ثمرات الزهد فقد يترك الانسان ما يشغله عن الله لا لزهده بل لشغله بما هو أشرف منه اهـ هذا على سبيل الاجمال (وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر فى طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا) ولفظ القوت من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معاشا فقد ركن الى الدنيا (فجعل جميع ذلك ضدا للزهد) ويقرب من قول الدارانى قول داود الطائى كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل أو مال فهو عليك مشؤم (وقرأ أبو سليمان) الدارانى (قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذى ليس فيه غير الله) فهذا زهد الصديقين وانما تكون هذه الثلاث دنيا لمن أراد الدنيا العاجل متعة النفس بها فاما من أراد بها الآخرة فهى طرقات له الى الآخرة (وقال) مرة (انما زهدوا فى الدنيا لتفرغ قلوبهم عن همومها للآخرة) فاذا رزق العبد فراغ القلب مع وجود هذه الثلاث التى ذكرت كن له قربات الى المذكور وقد كان رحمه الله تعالى ذا عيال ولم يكن يشغله ذلك عن أوقاته مع الله ولا يدخلون عليه فى مقامه فيخرجونه من المقام كذا فى القوت (فهذا بيان أقسام الزهد بالاضافة الى أصناف المزهود فيه فاما بالاضافة الى أحكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (فالفرض هو الزهد فى الحرام والنفل هو الزهد فى الحلال والسلامة هو الزهد فى الشبهات) فكأنه جعل الورع زهدا وهو التوسط بين الزهدين زهد عموم بداية وزهد خصوص نهاية (وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام) وقال سلام بن أبى مطيع الزهد على ثلاثة وجوه واحد أن يخلص العمل لله والقول فلا يريد بشئ منه الدنيا ولا ما عند الخلق والثانى ترك ما لا يصلح القلب والدين والثالث الحلال أن يزهد فى فضله وهذا تطوع وقال القشيرى اختلف الناس فى الزهد فمنهم من قال الزهد فى الحرام لان الحلال مباح من قبل الله تعالى فاذا أنعم الله على عبد بمال من حلال وتعبده بالشكر عليه فتركه باختياره ويحق لا يقدم على امساكه بحق اذنه ومنهم من قال الزهد فى الحرام واجب وفى الحلال فضيلة فان اقلال المال والعبد صابر فى حال راض بما قسم الله له قانع بما يعطيه أتم من توسعه وتبسطه فى الدنيا ومنهم من قال اذا أنفق ماله فى الطاعة وعلم من حاله الصبر وترك التعرض لما نهاه الشرع عنه فى حال التيسر فحينئذ يكون زهده فى المال الحلال أتم منه فى الحرام ومنهم من قال ينبغى أن لا يختار ترك الحلال بتكلفه ولا طلب الفضول فيما يحتاج اليه ويراعى القسمة فان رزقه الله مالا من حلال شكره وان وقفه الله على حد الكفاف لم يتكلف فى طلب ما هو فضول المال فالصبر أحسن بصاحب الفقر والشكر أليق بصاحب المال وقال صاحب القوت وكان الشاميون من العلماء يقولون ليس الزهادة فى الدنيا تحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن ان يكون ذا ملك وما دخلك سواء وتكون حالك فى المصيبة وحالك اذا لم تصب بها سواء وتكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يد غيرك فهذا مقام التوكل وحال الرضا (وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن أنس ما الزهد قال التقوى) فاصل التقوى اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصى والسيآت ثم بعده اتقاء الشبهات ثم يدع بعده الفضلات كذلك وقال أبو حفص التقوى فى الحلال المحض لا غير وقال الدارانى الورع أول الزهد كما ان القناعة طرف الرضا وقال ابن عطاء للتقوى ظاهر وباطن فظاهره محافظة الحدود وباطنه النية والاخلاص وكان سهل يقول أزهد الناس فى الدنيا أصفاهم مطعما وقال أيضا أقصى مقام من الورع أوفى مقام من الزهد وتحقيق ذلك ان الدنيا هى نصيب كل عبد من الهوى

ومادنا

الاقوال المخبرة عنها تختلف وأما الحق فى نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور أن يختلف وانما الجامع من هذه الاقاويل الكامل فى نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله أبو سليمان الدارانى اذ قال سمعنا فى الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شئ يشغلك عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر فى طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم فقال هو القلب الذى ليس فيه غير الله تعالى وقال انما زهدوا فى الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالاضافة الى أصناف المزهود فيه فاما بالاضافة الى أحكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابراهيم بن أدهم فالفرض هو الزهد فى الحرام والنفل هو الزهد فى الحلال والسلامة هو الزهد فى الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن أنس ما الزهد قال التقوى

ومادنا من قلبه من الشهوات فمن زهد فى نصيبه وملكه من هواه المذموم فهذا هو الزهد المفترض ومن زهد فى نصيبه من المباح وهو فضول الحاجات من كل شئ فهذا هو الزهد المفضل يرجع ذلك الى حظوظ جوارحه التى هى أبواب الدنيا منه وطرقها اليه فالزهد فى محرماتها زهد المسلمين به يحسن اسلامهم والزهد فى شبهاتها زهد الورعين به يكمل ايمانهم والزهد فى حلالها من فضل حاجات النفس زهد الزاهدين به يصفو يقينهم وفى حديث عمرو بن ميمون عن الزبير ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يا زبير اجهد نفسك عند نزول الشهوات والشبهات بالورع الصادق وعن محارم الله وادخل الجنة بغير حساب (وأما بالاضافة الى خفايا ما يتركه فلانهاية للزهد فيه اذلانهاية لما تتمتع به النفس فى الخطرات واللحظات وسائر الحالات لاسيما خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلماء) أى نقادهم وجهابذتهم وفى القوت ومن أفضل الزهد الزهد فى الرياسة على الناس وفى المنزلة والجاه عندهم والزهد فى حب الثناء والمدح منهم لان هذه المعانى هى أكبر أبواب الدنيا عند العلماء فالزهد فيها هو زهد العلماء كان سفيان الثورى يقول الزهد فى الرياسة ومدح الخلق أشد من الزهد فى الدينار والدرهم قال لان الدينار والدرهم قد يبذلان فى طلب ذلك وكان يقول هذا باب غامض لا يتبصر به الا سماسرة العلماء وقال الفضيل نقل الصخور من الجبال أيسر من ازالة رياسة قد ثبتت فى قلب جاهل قلت وقال أحمد بن أبى الحوارى حدثنا اسحق بن خلف قال الورع فى المنطق أشد منه فى الذهب والفضة والزهد فى الرياسة أشد منه فى الذهب والفضة لانك تبذلهما فى طلب الرياسة وقد روى عن يوسف بن اسباط نحوه كما فى الحلية (بل الامور الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لاتتناهى فمن أقصى درجاتها زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا فى نومه فقال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا فما الذى بدالك قال وما الذى تجدد قال توسدك الحجر أى تنعمت برفع رأسك عن الارض فى النوم فرمى الحجر وقال خذه فيما تركته لك) ولفظ القوت ولانهاية للزهد عند طائفة من العارفين لانه قد يقع عن نهاية معارفهم بدقائق أبواب الدنيا وخفايا لوائح الهوى وقال بعضهم نهاية الزهد أن تزهد فى كل شئ وتتورع عن كل شئ للنفس فيه متعة وبه راحة فهذا كما روى عن عيسى عليه السلام انه وضع تحت رأسه حجرا فكأنه لما ارتفع رأسه عن الارض استراح بذلك فعارضه ابليس فقال يا ابن مريم أليس تزعم انك زهدت فى الدنيا قال نعم قال فهذا الذى وطاته تحت رأسك من أى شئ هو قال فرمى عيسى بالحجر وقال هذا لك مع ما تركت اهـ قلت أخرجه ابن عساكر عن الحسن البصرى قال ان عيسى عليه السلام مر به ابليس يوما وهو متوسد حجرا وقد وجد لذة النوم فقال له يا عيسى تزعم انك لا تريد شيأ من عرض الدنيا فهذا الحجر من عرض الدنيا فقام عيسى عليه السلام فأخذ الحجر فرمى به وقال هذا لك مع الدنيا (و) مثله (روى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه لبس المسوح حتى نقب جلده) أى أثر فيه لخشونته وكان عليه السلام قد طلب من امه ذلك حين مر ببيت المقدس ورأى الرهبان لابسين كذلك (تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسألته أمه أن يلبس مكان المسح جبة من صوف) لانه ألين من الشعر (ففعل) طاعة لامه لانه كان بارا بها (فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت على الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان عليه) ولبس مدرعته من الشعر نقله صاحب القوت (وقال أحمد) بن حنبل رحمه الله تعالى (الزهد زهد أويس) القرنى رحمه الله تعالى (بلغ من العرى الى أن جلس فى قوصرة) نقله صاحب القوت والقوصرة بالتخفيف والتثقيل وعاء التمر يتخذ من قصب (وجلس عيسى عليه السلام فى ظل حائط انسان فأقامه صاحب الحائط فقال ما أقمتنى أنت انما أقامنى الذى لم يرض لى أن أتنعم بظل الحائط) رواه ابن عساكر عن أبى سليمان الدارانى قال بينما عيسى عليه السلام يمشى فى يوم صائف وقد مسه الحر والشمس والعطش فجلس فى ظل خيمة فخرج اليه صاحب الخيمة فقال يا عبد الله قم من ظلنا فقام عيسى وجلس فى الشمس وقال ليس أنت الذى أقمتنى انما أقامنى الذى لم يرد ان أصيب من الدنيا شيأ (فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لاحصر لها) اذلانهاية لمعارف الزاهدين بدقائق أبواب

وأما بالاضافة الى خفايا ما يتركه فلانهاية للزهد فيه اذلانهاية لما تتمتع به النفس فى الخطرات واللحظات وسائر الحالات لاسيما خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلماء بل الاموال الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لاتتناهى فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا فى نومه فقال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا فما الذى بدالك قال وما الذى تجدد قال توسدك الحجر أى تنعمت برفع رأسك عن الارض فى النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسألته أمه أن يلبس مكان المسح جبة من صوف ففعل فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت على الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان عليه وقال أحمد رحمه الله الزهد زهد أويس بلغ من العرى أن جلس فى قوصرة وجلس عيسى عليه السلام فى ظل حائط انسان فأقامه صاحب الحائط فقال ما أقمتنى أنت انما أقامنى الذى لم يرض لى أن أتنعم بظل الحائط فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لاحصر لها

وأقل درجاته الزهد في كل شبهة ومحظور وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته في شئ ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن فان قلت مهما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور (٣٤٨) ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضروريات النفس فهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان مالا يتوصل الى الشئ الا به فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة وبسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي أن يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات عنها حتى تسير بك الى مقصدك فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالأكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد وان قلت فلا بد وأن أتلذذ بالأكل عند الجوع فاعلم أن ذلك لا يضرك اذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله الى زوال ألم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك

مثل ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بتنسم الاسحار وصوت الاطيار ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب موضعا لا يصيبه فيه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس بالدنيا ونقصان في الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله ولذلك كان داود الطائي له حب مكشوف

الدنيا وخفايا ولوائح الهوى (وأقل درجاته الزهد في كل شبهة ومحظور) وهو زهد الورعين به يكمل ايمانهم كما سبق قريبا (وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته في شئ ثم رأوا انه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن) روى ذلك عن جماعة منهم يوسف بن اسباط قال صاحب الحلية حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا المسيب بن واضح سألت يوسف بن اسباط عن الزهد ما هو قال أن تزهد فيما أحل الله فاما ما حرم الله فان ارتكبته عذبك الله وحدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحسين بن منصور حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا سهل أبو الحسن سمعت يوسف بن اسباط يقول لو أن رجلا في ترك الدنيا مثل أبي ذر وسلمان وأبي الدرداء ما قلنا له زاهد لان الزهد لا يكون الا في الحلال المحض والحلال المحض لا يعرف اليوم (فان قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد هو ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم ان معنى) العزوف و (الانصراف من الدنيا الى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا) والتوجه بكنه الهمة اليه (ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضروريات النفس) مما تحتاج اليه اضطرارا (فهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان) قصدك و (غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان مالا يتوصل الى الشئ الا به فهو منه فالمشتغل بعلف الناقة وبسقيها) ورعايتها في خدمتها (في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي ان يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات عنها حتى) تحملك و (تسير بك الى مقصدك فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالأكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ) والتنعم (بل التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد) لانه به حصوله (وان قلت فلا بد وان أتلذذ بالأكل عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يضرك اذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يتلذذ بالشرب ويرجع حاصله الى زوال ألم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بتنسم الاسحار وصوت الطيور) الناغية (ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصده لا يضره ولقد كان في الخائفين) من الزاهدين (من طلب) لنفسه (موضعا لا يصيبه فيه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس الى الدنيا ونقصان) في الانس بالله (بقدر وقوع الانس بغير الله) ويروى ان الله أوحى الى موسى عليه السلام ان برخ يعني الاسود الذي كان موسى استسقى لبني اسرائيل نعم العبد هو الا ان فيه عيبا قال وما هو قال يعجبه نسيم السحر فيسكن اليه ومن أحبني لم يعجبه شئ أولم يسكن الى الشئ فعابه باستراحة النفس الى روح الفضاء ونقصه عن التمام بسكون قلبه الى نسيم السحر (ولذلك كان) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (له حب مكسور) وهو بضم الحاء المهملة الخابية للماء جمعه حباب بالكسر وحببة

مثل عنبة (فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس و يشرب الماء الحار و يقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا اسحق بن أحمد حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا أحمد بن أبي الحوارى قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول كان داود الطائي له دنان دن للماء ودن للخبز فاما دن الماء فكان قد جعله في الارض لئلا يصيبه الروح فيبرد وروى من طريق حفص بن عمر الجعفي قال دخل رجل على داود الطائي فقال يا أبا سليمان أنا عطشان قال اخرج واشرب فجعل يدور في الدار لا يجد ماء فرجع اليه فقال يا أبا سليمان ليس في الدار حب ولا جرة فقال اللهم غفرا بلى هناك ماء قال فخرج يلتمس فاذا دن من هذا الاصيص الذي يفعل فيه الطين وقطعة خزفة أسفل كوز فاخذ تلك الخزفة يغرف بها فاذا ماء حار كانه يغلي لم يقدر أن يسيغه فرجع اليه فقال يا أبا سليمان مثل هذا الحر الناس يكادون ينسلخون ودن مدفون في الارض وكوز مكسور فلو كانت جرة وقلة فقال داود حب حيرى وجرة ملارية وقلال منقشة وجارية حسناء واثاث وناض وفضول لو اردت هذا الذي يشغل القلب لم أسجن نفسي ههنا انما أطلقت نفسي عن هذا الشهوات وسجنت نفسي حتى يخرجني مولاى من سجن الدنيا الى روح الآخرة وروى من طريق سهل بن سليمان النيلي حدثنا عبد الله الاعرج أو غيره قال أتيت داود فصليت معه المغرب ثم تبعته الى داره فذكر الحديث وفيه ثم قام داود الى شن في الدار في يوم صائف فاخذ يشرب منه فقلت يا أبا سليمان لو أمرت أن يبرد لك هذا الماء فقال أما علمت ان الذي يبرد له الماء في الصيف و يسخن له في الشتاء لا يحب لقاء الله (فهذه مخاوف المحتاطين) لدينهم (والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فمدته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأبيد لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين أنفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين) والله الموفق

(بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول) وهو ما زاد على الحاجة (والى مهم) ضرورى (والفضول كالخيل المسومة) اى المعلمة او المرعية كما في الصحاح وقال الازهرى هي المرسلة وعليها ركبانها (اذ غالب الناس انما يقتنيها) و يتخذها (للترفه بركوبها وهو قادر على رجليه) أو على خيل أقل منها (والمهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل أصناف الفضول فان ذلك لا ينحصر) لكثرتها (وانما ينحصر المهم الضرورى) الذى لا بد منه (والمهم) الضرورى (أيضا تتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة أمور) الاول (المطعم) والمشرب تابع له (و) الثانى (الملبس و) الثالث (المسكن و) الرابع (اثاثه و) الخامس (المنكح و) السادس (المال و) اما (الجاه) فانه (يطلب لاغراض وهذه الستة من جملتها) أي الاغراض (وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز عنه في كتاب الرياء من ربع المهلكات) فلا نعيده (ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة الاول المطعم) فنقول (ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه) و يقويه على العبادة (ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة الى جملة العمر) وفي نسخة جميع العمر (فان من ملك طعام يومه فلا يقنع به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله وأما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله اذا استقل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه) ولا من عشائه

فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس و يشرب الماء الحار و يقول من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فمدته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأبيد لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين لانفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين *(بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة)*

اعلم أن ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول كالخيل المسومة مثلا اذ غالب الناس انما يقتنيها للترفه بركوبها وهو قادر على المشى والمهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل أصناف الفضول فان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضرورى والمهم أيضا يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة أمور المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه الستة من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء من ربع المهلكات ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة (الاول المطعم) ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان من ملك طعام يومه فلا يقنع به واما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله اما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه

وهذه هي الدرجة العليا * الدرجة الثانية أن يدخر لشهر أو أربعين يوما * الدرجة الثالثة أن يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال لان من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من أيدي الناس كداود الطائي فانه ورث عشرين دينارا فامسكها وأنفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد أصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد وأما عرضه فبالاضافة الى المقدار وأقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في اطعام المسكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة وأوسطه خبز الشعير والذرة وأعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميز من النخالة وصار حواري فقد دخل في التنعم وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلا عن أوائله وأما الادم فأقله الملح أو البقل والخل وأوسطه الزيت أو يسير من الادهان أي دهن كان وأعلاه اللحم أي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة أو مرتين فان صار دائما أو أكثر من مرتين في الاسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن أصلا وأما بالاضافة الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو أن يكون صائما وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ويأكل ليلة ولا يشرب وأعلاه أن ينتهي الى أن يطوي ثلاثة أيام أو أسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات ولينظر الى أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الادم قالت عائشة رضي الله عنها كانت تأتي علينا أربعون ليلة وما أوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم

وقال

لغدائه (وهذه هي الدرجة العليا) كما سبق في الادخار (الثانية ان يدخر لشهر أو أربعين يوما) وهي الدرجة الوسطى (الثالثة) ان (يدخر لسنة فقط) وهي اثنا عشر شهرا (وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال لان من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من أيدي الناس كداود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (فانه ورث عشرين دينارا فامسكها) لنفسه (وأنفقها في عشرين سنة) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم حدثنا عثمان ابن زفر أخبرني ابن عم لداود قال ورث داود الطائي من أبيه عشرين دينارا فاكلها في عشرين سنة كل سنة دينارا منه يصل ومنه يتصدق (فهذا لا يضاد أصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد) وسيأتي جواب أبي سليمان الداراني عن هذا (وأما عرضه فبالاضافة الى المقدار وأقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد واحد) وهو رطل وثلث بالبغدادي عند أهل الحجاز فهو ربع صاع لان الصاع خمسة أرطال وثلث والمد رطلان عند أهل العراق (وهو ما قدره الله في اطعام المساكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو) كان (الخبز) المتخذ (من النخالة وأوسطه خبز الشعير والذرة) والدخن (وأعلاه خبز البر) من دقيق (غير منخول فاذا ميزت النخالة وصار حواري فقد دخل في التنعم وخرج من آخر أبواب الزهد فضلا عن أوائله وأما الادم فاقله الملح) الجريش (أو البقل) من نبات الارض (والخل) منفردا ومجموعا (وأوسطه الزيت أو يسير من الادهان أي دهن كان وأعلاه اللحم أي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة أو مرتين فان صار دائما) في كل يوم (أو أكثر من مرتين في الاسبوع خرج من آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن أصلا وأما بالاضافة الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة) واحدة (وهو أن يكون صائما) فيفطر عليه (وأوسطه ان يصوم ويشرب ليلة) عند الافطار (ولا يأكل ويأكل ليلة) عند الافطار (ولا يشرب وأعلاه ان ينتهي الى ان يطوي ثلاثة أيام) تباعا (وأسبوعا) تباعا (وما زاد عليه) فلا حد له (وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات فلا نعيده ولينظر في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة) رضوان الله عليهم (في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الادم قالت عائشة رضي الله عنها كانت تأتي علينا أربعون ليلة وما أوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء) ولفظ القوت قد جاءت الاخبار في وصف النبي صلى الله عليه وسلم وحال أهل بيته وأزواجه ان كان يأتي عليهم الهلال بعد الهلال ثلاثة أهلة ولا توقد في بيوت أزواجه نار ولا يرى دخان الخبز ولا طبخ قال عروة فقلت لعائشة يا أمه فما كان تعيشكم قالت الاسودان التمر والماء وكان لنا جيران من الانصار يرسلون الينا باللبن في الحين بعد الحين اهـ قال العراقي روى ابن ماجه من حديث عائشة يأتي على آل محمد الشهر ما يرى في بيت من بيوته دخان الحديث وفي رواية له ما يوقد فيه بنار ولاحد كان عربناهلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوته نار وفي رواية ثلاثة أهلة (وهذا) أي تعيشهم بالاسودين (ترك اللحم والمرقة والادم

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق أصابعه ويأكل على الارض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد وأجلس كما تجلس العبيد) قال العراقي تقدم دون قوله انما أنا عبد فانه ليس من حديث الحسن انما هو من حديث عائشة وقد تقدم اهـ قلت وروى ابن عساكر من حديث أبي أيوب كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس مني وروى الطبراني من حديث ابن عباس كان يجلس على الارض ويأكل على الارض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير وروى ابن ماجه من حديث أنس كان يردف خلفه ويضع طعامه على الارض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار وروى أبو يعلى من حديث عائشة بسند حسن آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وعند ابن عدي انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد (وقال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم انه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير) رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ بلفظ قال عيسى عليه السلام أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر) ولفظ القوت وفي الخبر ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته من خبز بر ثلاثة أيام حتى لحق بالله عز وجل وتقدم في اخلاق النبوة (وكان عيسى عليه السلام يقول يابني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره) كذا في القوت وروى ابن عساكر من طريق كعب الاحبار نحوه (وقد ذكرنا سيرة الانبياء) عليهم السلام (والسلف) الصالح (في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده) ثانيا (ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال أما اني لست أحرمه ولكن أتركه تواضعا لله تعالى) رواه الحكيم في النوادر عن أبي جعفر محمد بن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم أتاه أوس ابن خولة بقدح فيه لبن وعسل فوضعه وقال فذكره وفي آخره فانه من تواضع لله رفعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر افقره الله وقد تقدم (وأتي عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف) فذاقها فاذا ماء وعسل (فقال اعزلوا عني حسابها) اعزلوا عني مؤنتها رواه جعفر بن سليمان حدثنا حوشب عن الحسن وقد تقدم (وقد قال يحيى بن معاذ الرازي) رحمه الله تعالى (الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ماستر ومسكنه حيث أدرك) أي حيث يدركه الليل يأوي (الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه ان شاء الله تعالى) فقد ادرج فيه جملة من المقامات الاعتبار والحزن والحياء والصبر والتوكل والتقوى وقال ذوالنون المصري الزاهد قوته ماوجد وثوبه ماستر وبيته ما آواه وماله وقته (المهم الثاني الملبس وأقل درجاته مايدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان وأعلاه أن يكون منديل) لربط الرأس (وسراويل وماجاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت) حتى يجف (فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد

وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق أصابعه ويأكل على الارض ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد وأجلس كما تجلس العبيد وقال المسيح عليه السلام بحق أقول لكم انه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر وكان المسيح صلى الله عليه وسلم يقول يابني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف في المطعم والمشرب في ربع المهلكات فلا نعيده ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال أما اني لست أحرمه ولكن أتركه تواضعا لله تعالى وأتي عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقد قال يحيى ابن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ماوجد ولباسه ماستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فرشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه ان شاء الله تعالى (المهم الثاني الملبس) وأقل درجاته مايدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان وأعلاه أن يكون معه منديل وسراويل وماجاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد

خرج من جميع أبواب الزهد من حيث المقدار اما الجنس فاقله المسوح الخشنة) وهي ثياب تنسج من الشعر (وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن الغليظ) وهو الكرباس (وأما من حيث الوقت فاقصاه ما يستر سنة وأقله ما يبقى يوما حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وان كان يتسارع الجفاف اليه) فيتكسر (وأوسطه ما يتماسك عليه شهرا وما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج الى طول الامل وهو مضاد للزهد) لما سبق ان الزهد عبارة عن قصر الامل (الا اذا كان المطلوب خشونته) وفي نسخة خشونته أي غلظه (ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به فان أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا) ومحبة الدنيا تخالف صفة الزهد (ولينظر فيه الى أحوال الانبياء عليهم السلام (والصحابة) رضوان الله عليهم (كيف تركوا الملابس) واعرضوا عنها (قال أبو بردة) هانئ بن نيار رضي الله عنه (أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين) رواه الشيخان وتقدم في آداب المعيشة (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس) قال العراقي لم أجد له أصلا اهـ قلت وجدت بخط الحافظ السخاوي ما لفظه هذا عجيب فهو في مسند الفردوس من طريق يعقوب بن عتبة بن المغيرة عن أبي هريرة ولفظه ان الله عز وجل يحب المؤمن المتبذل الذي لا يبالي ما لبس اهـ قلت ورواه كذلك من هذا الطريق ابن النجار في تاريخه (وقال عمرو بن الاسود العنسي) بالنون ويقال الهمداني ويقال له عمير بالتصغير وهو به أشهر وهو والد حكيم بن عمير يكنى أبا عياض وأبا عبد الرحمن سكن داريا من دمشق وسكن حمص أيضا له روايات عن عمر ومعاذ وابن مسعود وعبادة بن الصامت وأم حرام بنت ملحان وأبي هريرة وعائشة وغيرهم وقال ابن حبان عمير بن الاسود كان من عباد أهل الشام وكان يقسم على الله فيبره وقال ابن عبد البر اجمعوا على ان عمرو بن الاسود كان من العلماء الثقات وانه مات في خلافة معاوية وكان يقول (لا ألبس مشهورا أبدا) أي ثوب شهرة (ولا أنام بليل على دثار أبدا ولا أركب على مأثور أبدا) أي لينا سهلا يقال وثر الشئ وثارة لان وسهل فهو وثير وفراش وثير ثخين لين ووثر مركبه بالتشديد وطأه ومنه ميثرة السرج بكسر الميم وأصلها الواو والجمع مواثر ومياثر على الاصل ولفظ المفرد (ولا أملأ جوفي من طعام أبدا) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا مسلم بن سعيد حدثنا مجاشع بن عمرو بن حسان حدثنا عيسى بن يونس حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن يحيى بن جابر الطائي قال قال عمرو بن الاسود لا ألبس مشهورا أبدا ولا أملأ جوفي من طعام بالنهار أبدا حتى ألقاه (فقال عمر) رضي الله عنه (من سره ان ينظر الى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى عمرو بن الاسود) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق يحيى بن جابر الطائي بالسند المذكور قال وكان عمر بن الخطاب يقول فذكره وقال العراقي رواه أحمد باسناد جيد عن عمر لكن في الاصابة لتلميذه بسند لين قال وأورده ابن أبي عاصم في الوحدان بهذا الاثر وليس في ذلك ما يقتضي ان له صحبة ولكن يقتضي انه له ادراكا وقد خرج الطبراني في مسند الشاميين من وجه آخر ان عمرو بن الاسود قدم المدينة فرآه عبد الله بن عمر يصلي فقال من سره ان ينظر الى أشبه الناس صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى هذا (وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا أعرض الله عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي ذر باسناد جيد دون قوله وان كان عنده حبيبا اهـ قلت وفي رواية لابن ماجه من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه وقد رواه كذلك أيضا في المختارة وروى الطبراني من حديث أبي سعيد من لبس ثوبا مشهورا من الثياب أعرض الله عنه يوم القيامة ورواه هو وتمام وابن عساكر من حديث أم سلمة باسناد لين من لبس ثوبا يباهي به ليراه الناس لم ينظر الله اليه حتى ينزعه وروى الحارث والطبراني من حديث انس من لبس رداء شهرة أو ركب ذا شهرة أعرض الله عنه وان كان له وليا (واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم) كذا في القوت وقال العراقي

وأما من حيث الوقت فاقصاه ما يستر سنة وأقله ما يبقى يوما حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وان كان يتسارع الجفاف اليه وأوسطه ما يتماسك عليه شهرا وما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج الى طول الامل وهو مضاد للزهد الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به فان أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر فيه الى أحوال الانبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال أبو بردة أخرجت لنا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو ابن الاسود العنسي لا ألبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دثار أبدا ولا أركب على مأثور أبدا ولا أملأ جوفي من طعام أبدا فقال عمر من سره أن ينظر الى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى عمرو بن الاسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا أعرض الله عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم

روى أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزاز فاشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث واسناده ضعيف (وكان قيمة ثوبيه) صلى الله عليه وسلم (عشرة) الى دينار كذا في القوت وقال العراقي لم أجده (وكان ازاره) صلى الله عليه وسلم (أربعة أذرع ونصفا) ولفظ القوت وكان طول ازاره أربعة أذرع ونصفا وفي خبر سبعة أشبار وقال العراقي روى أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير مرسلا كان رداء النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع وعرضه ذراعان ونصف الحديث وفيه ابن لهيعة وفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة وكان له ازار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر وفيه محمد بن عمر الواقدي (واشترى سراويل بثلاثة دراهم) كذا في القوت وقال العراقي المعروف انه اشتراه بأربعة دراهم كما تقدم عند أبي يعلى وشراؤه للسراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس الا أنه لم يذكر فيه مقدار ثمنه قال الترمذي صحيح انتهى زاد صاحب القوت بعد قوله بثلاثة دراهم وكان كم قميصه الى أطراف أصابعه وقيل مرة الى الرسغ فاذا اتسخ وقلص صار الى أنصاف ساقيه وكذلك الازار الى عضلة الساق (وكان) صلى الله عليه وسلم (يلبس شملتين بيضاوين من صوف) ومرة سوداوين من شعر (وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد) يشير الى قول أهل اللغة قالوا الحلة بالضم لا تكون الا ثوبين من جنس واحد قال المرزوقي وكانوا يأتزرون ببرد ويرتدون بآخر ويسميان حلة والجمع حلل مثل غرفة وغرف (وربما كان) صلى الله عليه وسلم يلبس (بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ) من قرية باليمن تسمى سحول وفيهما كفن مع الثالث مثلهما وربما كانت البردة مخططة بشلو بين الاصابع كبرود أهل اليمن اليوم وربما كانتا خضراوين كلاهما من خيط واحد وربما كانت شملته بيضاء لا شية فيها غير ضبطها الابيض كل ذلك في القوت وقال العراقي تقدم في آداب المعيشة وأخلاق النبوة لبسه للشملة والبردة والحبرة وأما لبسه للحلة ففي الصحيحين من حديث البراء رأيته في حلة حمراء ولابي داود من حديث ابن عباس حين خرج الى الحرورية وعليه أحسن ما يكون وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه أحسن ما يكون من حلل اليمن وقال رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل وفي الصحيحين من حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم قبض في ثوبين أحدهما ازار غليظ مما يصنع باليمن وتقدم في آداب المعيشة ولابي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي رمثة وعليه بردان أخضران سكت عليه أبو داود واستغربه الترمذي وللبزار من حديث قدامة الكلابي وعليه حلة حبرة وفيه عريف بن ابراهيم لا يعرف قاله الذهبي (وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات) قال العراقي رواه الترمذي في الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته كان ثوبه ثوب زيات (و) قد (لبس صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيراء) بكسر السين وفتح التحتية ممدودا ضرب من البرود فيه خطوط صفر (من سندس) فنعل من سدس اسم لما رق من الديباج (قيمته مائتا درهم) فلبسه وخطب فيه (فكان أصحابه يلمسونه) بايديهم (ويقولون يا رسول الله أنزل هذا عليك من الجنة تعجبا) من لونه ولينه (وكان قد أهداه له المقوقس) جريج بن ميناء (ملك الاسكندرية فأراد ان يكرمه بلبسه) ويرى رسله قبول هديته (ثم نزعه) وقد لبس نحوه من قميص معمد بحرير أهداه اليه النجاشي ملك الحبشة فخطب فيه مرة ثم نزعه حين نزل من المنبر (وأرسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لباس الحرير والديباج) بعد ذلك (وكان انما لبسه أولا) ولفظ القوت فقد يكون لبسه اياه (تأكيدا للتحريم كما لبس خاتما من ذهب يوما) واحدا (ثم نزعه) ورمى به كما في الصحيحين وتقدم (فحرم لبسه على الرجال) ولفظ القوت وحرم لبس الحرير والذهب على الذكور (وكما قال لعائشة) رضي الله عنها (في شان بريدة) مولاة لقوم من الانصار وكانت تخدم عائشة قبل ان تشتريها (اشترطي لاهلها الولاء) وذلك حين أرادت ان تشتريها

وكانت قيمة ثوبيه عشرة وكان ازاره أربعة أذرع ونصفا واشترى سراويل بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم فكان أصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله أنزل عليك هذا من الجنة تعجبا وكان قد أهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فأراد ان يكرمه بلبسه ثم نزعه وأرسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وكانه انما لبسه أولا تأكيدا للتحريم كما لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة في شأن بريرة اشترطي لاهلها الولاء

منهم وطلبوا منها ان يكون الولاء لهم فأقرها صلى الله عليه وسلم على هذا الشرط أوّلا (فلما اشترطته) بعد ان اشترتها وأعتقتها (صعد صلى الله عليه وسلم المنبر فحرمه) وقال انما الولاء لمن أعتق لينوه بذلك فهذه حكمة من الحكيم ونعايم من العليم وقصة بريرة في الصحيحين وقد جمع العز بن جماعة فوائد هذا الحديث في رسالة فزادت على ثلاثمائة ولخصها الحافظ في فتح الباري (وكما أباح المتعة) أي متعة النساء (ثلاثا) وذلك في غزوة اوطاس (ثم حرمها لتأكيد أمر النكاح) وحديث اباحة المتعة رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع قال صاحب القوت وقد يحتج بمثل هذا علماء الدنيا بطرقوا به لانفسهم ويدعون الناس منه اليهم سرا ويظهرون الدعوة الى الله علانية تأولا بمتشابه الحديث كما تأول أهل الزيغ متشابه القرآن على أهوائهم ابتغاء الفتنة وطلبا للدنيا لان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاني كلام الله تعالى منه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام فعدل علماء الدنيا وأهل الاهواء عن المحكم السائر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الى ما ذكرناه ونبذوا المحكم وراءهم ظهريا (وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة) وهي كساء اسود مربع (لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى أبي جهم) بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي رضي الله عنه من مسلمة الفتح وكان من معمري قريش ومن مشيختهم (وائتوني بانبجانيته يعني كساءه) هو في الصحيحين من طريق عروة عن عائشة قالت صلى النبي صلى الله عليه وسلم في خميصة لها أعلام فقال اذهبوا بخميصتي هذه الى أبي جهم وائتوني بانبجانية أبي جهم فانها ألهتني آنفا عن صلاتي وقد تقدم في كتاب الصلاة وذكر الزبير بن بكار من وجه آخر مرسل ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي بخميصتين سوداوين فلبس احداهما وبعث الاخرى الى أبي جهم فصلى في تلك الخميصة وبعث اليه التي لبسها هو ولبس هو التي كانت عند أبي جهم بعد ان لبسها أبو جهم لبسات (فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم) كذا في القوت قال وفي هذا حجة على من كان اذا أعجبه الشئ واستحسنه كسره وأحرقه وفيه شاهد ومحجة لمن أخرج عن يده ما يستحسنه ويخاف فتنته لحصول الزهد بالاخراج ولانتفاع الغير به وفيه حجة على من ادعى الزهد بلبس الناعم وان ذلك لا يضر الزاهد ولا يخرجه عن حقيقة الزهد وفيه ابطال لمن ادعى ان النظر الى الزينة لا يشغله وان الرونق والفتنة لا تدخل عليه اذ لا يقدر ان يقول انه غير مقام الرسول فاعتبروا يا ذوي البصائر والعقول تمويه الراغبين بالزهد مع استعمال الفضول (وكان شراك نعله) صلى الله عليه وسلم (قد خلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم) من الصلاة (قال أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الشراك الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة) تقدم في كتاب الصلاة (ولبس) صلى الله عليه وسلم مرة (خاتما ونظر اليه) وهو (على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم) قال فلا يدرى من أخذه رواه الشيخان وقد تقدم قال صاحب القوت وقد يحتج بهذا محتج لما كرهناه من اتلاف المال المنظور اليه وليس فيه حجة لانه صلى الله عليه وسلم لم يتلفه اذ لم يرم به في بر ولا بحر ولا مضيعة ولا أفسده وانما نزعه ورمى به بين المسلمين ووهبه لمن اخذه فجاز ذلك عن وجد الوقت وحده (وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة نعلين جديدتين فاعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال أعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى أوّل مسكين رآه) وأمر عليا فاحتذى له نعلين سبتيتين قال فرأيته وقد لبسهما يعني جرداوين وقد تقدم في كتاب الصلاة قال صاحب القوت وهذا مثل الحديث الآخر في اخراج الخميصة زهدا فيها واخراج النعل ولم يقطعها فيكون فسادا اذ هو صلى الله عليه وسلم ينهى عن اضاعة المال الا أن فيه شاهدا لمن اذا استحسن شيأ خاف المقت عليه الا أنه لا يبلغ فيه اتلافه فيكون افسادا وفيه دليل على دخول التغيير والردا في الصفة بالمناظرة الحسنة خلاف من ادعى البراءة من ذلك وفيه شاهد آخر لمن تطرق بالحسن من الاشياء الى الله تعالى وشهد الحسن الاعلى بها وكان المحاسن طريقا له الى الحسن الجميل لانه صلى الله عليه وسلم لما قال أعجبني حسنهما خر ساجدا فكان ذلك اقترابا له من القريب وتقربا منه وتطرقا

فلما اشترطته صعد عليه السلام المنبر فحرمه وكما أباح المتعة ثلاثا ثم حرمها لتأكيد أمر النكاح وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى أبي جهم وائتوني بانبجانيته يعني كساءه فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد أخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة ولبس خاتما من ذهب ونظر اليه على المنبر نظرة فرمى به فقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة نعلين جديدين فأعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال أعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية أن يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى أوّل مسكين رآه

الى الحبيب وقد قال الله تعالى واسجد واقترب (وعن سنان بن سعد) هكذا في سائر النسخ والصواب سهل
ابن سعد كما نبه عليه العراقي وليس في الصحابة من اسمه سنان بن سعد (قال حيكت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم جبة صوف من صوف انمار جعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما أحسنها ما ألينها قال فقام اليه
اعرابي فقال يارسول الله هبها لي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيأ لم يبخل به قال فدفعها اليه
وأمر ان تحاك له واحدة أخرى فمات صلى الله عليه وسلم وهي في المحاكة) قال العراقي رواه أبو داود
الطيالسي والطبراني من حديث سهل بن سعد دون قوله وأمر ان تحاك له أخرى فهي عند الطبراني فقط
وفيه زمعة بن صالح ضعيف (وعن جابر) رضي الله عنه (قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي
الله عنها وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من جلة الابل فلما نظر اليها بكى وقال يافاطمة تجرعي مرارة الدنيا
لنعيم الابد فانزل عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال العراقي رواه أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق
بسند ضعيف اه قلت ورواه كذلك العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن النجار (وقال صلى الله عليه
وسلم ان من خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من
خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم
في الارض) وقلوبهم في الآخرة (وأفئدتهم عند العرش) قال صاحب القوت رويناه من حديث
عياض بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وفي رواية أخرى تفتح عليهم الدنيا فيزهدون في حلالها
ويتبلغون باليسير منها لبسوا من الدنيا وليست الدنيا منهم في شئ اه قلت رواه أبو نعيم من طريق مكحول
عن عياض بن غنم ورواه هو أيضا من وجه آخر والحاكم وصححه وتعقب والبيهقي في الشعب وضعفه وابن
النجار من حديث عياض بن سليمان وكانت له صحبة ولفظه خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الاعلى قوم يضحكون
جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذاب ربهم يذكرون ربهم بالغداة والعشي في البيوت
الطيبة المساجد ويدعونه بألسنتهم رغبا ورهبا ويسألونه بايديهم خفضا ورفعا ويقبلون بقلوبهم عودا
وبدأ فمؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يدبون في الارض حفاة على أقدامهم كدبيب النمل بلا
مرح ولابذخ يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة يقرؤن القرآن ويقربون القربان ويلبسون
الخلقان عليهم من الله شهود حاضرة وعين حافظة يتوسمون العباد ويتفكرون في البلاد أرواحهم في الدنيا
وقلوبهم في الآخرة ليس لهم هم الا أمامهم أعدوا الجهاز لقبورهم والجواز لسبيلهم والاستعداد لمقامهم
ثم تلا ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد قال الذهبي هذا حديث عجيب منكر وعياض لايدرى من هو وقال
ابن النجار ذكره أبو موسى المديني في الصحابة اه قلت رواه الحاكم في المستدرك من طريق الوليد بن مسلم
عن حمزة بن حماد بن أبي حميد عن مكحول عن عياض بن سليمان ورواه أبو موسى المديني في الذيل من
هذا الوجه لكن وقع عنده حماد عن أبي حميد (فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس
وقد أوصى أمته عامة باتباعه اذ قال من أحبني فليستن بسنتي) رواه أبو يعلى من حديث ابن عباس بلفظ
من أحب فطرتي فليستن بسنتي وفي رواية بزيادة وان من سنتي النكاح رواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر
من حديث أبي هريرة والبيهقي أيضا والضياء من حديث عبيد الله بن سعد وقد تقدم في كتاب النكاح
(وقال) صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ) قال
العراقي رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية (و) قد (قال) الله
(تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقد كان أبو محمد سهل يقول من علامة حب الله تعالى
حب النبي صلى الله عليه وسلم ومن علامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة ومن علامة حب السنة
بغض الدنيا فان القوم كانوا زاهدين وقال مرة من علامة حب السنة بغض الدنيا ومن علامة بغضها ان
لاتأخذ منها الازادا أو بلغة وقال صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة من كان على

وعن سنان بن سعد قال حيكت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف أنمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما أحسنها ما ألينها قال فقام اليه اعرابي فقال يارسول الله هبها لي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيأ لم يبخل به قال فدفعها اليه وأمر ان يحاك له واحدة أخرى فمات صلى الله عليه وسلم وهي في المحاكة وعن جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من وبر الابل فلما نظر اليها بكى وقال يافاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الابد فانزل عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم ان من خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله تعالى ويبكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الارض وأفئدتهم عند العرش فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه اذ قال من أحبني فليستن بسنتي وقال
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

مثل ما أنا عليه اليوم من الدنيا فلذلك كان أبوذر يقول لاصحابه أنا أحبكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأقربكم منه غدا مجلسا قالوا كيف ذلك قال لاني اليوم على مثل ما فارقته عليه وكلكم قد غيرتم هذا الزهد
وكان مالك بن دينار في التابعين بدلا عن أبي ذر في الزهد لانه زاد على أصحابه في التزهد والتقشف بلبس
الخشن وأكل الخشن وترك الادخار وبذاذة الحال ولم يكن يغلق بابه انما كان يشده بشريط وقال لولا
الكلاب لما شددته بشريط وأما الحسن البصري فان مالك بن دينار كان يقول أيها الناس معلمي والله الحسن
به تأدب ومنه تعلم ولم يفارقه حتى مات فهو بدل عنه والحسن كان بدلا عن صاحب السر حذيفة بن اليمان
وكان الامام أبو محمد سهل لم يكن في عصره مثله فكان بدلا عنهم وخلفا منهم ثم الله أعلم حيث يجعل رسالاته
ولا قوة الا به (وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال) يا عائشة (اذا أردت
اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء و) ان (لا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه) رواه الترمذي وقال غريب والحاكم
وصححه من حديث عائشة وقد تقدم (وعد على قميص عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة
بعضها من أدم) رواه جعفر بن سليمان حدثنا مالك بن دينار حدثنا الحسن ان عمر خطب وهو خليفة وعليه
ازار فيه اثنتا عشرة رقعة وروى عفان عن مهدي بن ميمون حدثنا الجريري عن أبي عثمان قال رأيت عمر
يطوف عليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة احداهن من أدم أحمر وروى أسد بن موسى حدثنا أبو سفيان عطية
سمعت مالك بن دينار حدثني نافع حدثني ابن عمر انه رأى عمر يرمي الجمرة عليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة بعضها
من أدم (واشترى علي رضي الله عنه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال
الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي سعيد الازدي وكان اماما من أئمة
الازد قال رأيت عليا أتى السوق وقال من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم فقال رجل عندي فجاء به فأعجبه فقال
لعله خير من ذلك قال لا ذاك ثمنه قال فرأيت عليا يقرض رباط الدراهم من ثوبه فأعطاه فلبسه واذا هو يفضل
عن أطراف أصابعه فأمر به فقطع ما فضل من أطراف أصابعه (وقال) سفيان (الثوري وغيره البس
من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال) نقله صاحب القوت (وكان) الثوري رحمه الله
تعالى (يقول ان الفقير ليمر بي وأنا أصلي فادعه) أي أتركه (يجوز) أي يمر (ويمر بي واحد من أبناء الدنيا
وعليه هذه البزة فأمقته ولا أدعه يجوز) نقله صاحب القوت وتقدم للمصنف عن المؤمل قال ما رأيت الغني
في مجلس قط أذل منه عند الثوري وقال آخر كنا اذا جلسنا عند سفيان تمنينا انا فقراء لما نرى من اقباله
عليهم واعظامه لهم رواه أبو نعيم في الحلية وكذلك كان العلماء يقولون في وصف العالم انما العالم هو الذي
يقوم الفقير من عنده غنيا ويقوم الغني من عنده فقيرا ولا يستحيي الفقير من فقره ويزري الغني بغناه على
نفسه (وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانق) نقله صاحب القوت قال فهكذا
كان علماء الآخرة الزاهدون في الدنيا خلف من بعدهم خلف يأخذون عرض هذا الادنى الآية (وقال)
عبد الله (بن شبرمة) الكوفي قاضيها (خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته) نقله صاحب القوت (وقال
بعض السلف البس من الثياب ما يخالطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك) وبعضهم يقول
شر الثياب ما يرفع الناس رؤسهم فينظرون الى صاحبها وكانوا يقولون كثرة الثياب على ظهر ابن آدم
عقوبة من الله (وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة)
وتؤدى فيه الفريضة (وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه) ونقاؤه (وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه)
وهو شرها ثم قال وقد يكون الواحد لله تعالى وللنفس نقله صاحب القوت (وقال بعضهم من رق ثوبه فقد رق
دينه) فان الثوب الرقيق يحوج الى احضار ثمن كثير والحلال ضيق فيحتاج ان يمد يده الى الشبهات بل الى
الحرام المحض وهذا هو رقة الدين وقد كان بعض العلماء يكره ان يكون على الرجل من الثياب ما يجاوز قيمة
أربعين درهما وبعضهم يقول الى المائة وبعده سرف فيما جاوزها (وكان جمهور العلماء) و(من) خيار

(التابعين

وأوصى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عائشة رضي الله
عنها خاصة وقال ان أردت
اللحوق بي فاياك ومجالسة
الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى
ترقعيه وعد على قميص عمر
رضي الله عنه اثنتا عشرة
رقعة بعضها من أدم واشترى
علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه ثوبا بثلاثة دراهم
ولبسه وهو في الخلافة
وقطع كميه من الرسغين وقال
الحمد لله الذي كساني هذا
من رياشه وقال الثوري
وغيره البس من الثياب
ما لا يشهرك عند العلماء
ولا يحقرك عند الجهال
وكان الفقير ليمر بي وأنا
أصلي فادعه يجوز ويمر بي
واحد من أبناء الدنيا
وعليه هذه البزة فامقته
ولا أدعه يجوز وقال بعضهم
قومت ثوبي سفيان ونعليه
بدرهم وأربعة دوانق وقال
ابن شبرمة خير ثيابي
ما خدمني وشرها ما خدمته
وقال بعض السلف البس
من الثياب ما يخالطك بالسوقة
ولا تلبس منها ما يشهرك
فينظر اليك وقال أبو
سليمان الداراني الثياب
ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر
العورة وثوب للنفس وهو
ما يطلب لينه وثوب للناس
وهو ما يطلب جوهره
وحسنه وقال بعضهم من
رق ثوبه رق دينه وكان
جمهور العلماء من

(التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلاثين) درهما وكان المتقدمون من الصحابة أثمان ازرهم اثنى عشر درهما وكانوا يلبسون ثوبين قيمة نيف وعشرين الى الاربعين وكان الاحنف بن قيس يقول ما كذبت كذبة منذ علمت ان الكذب يضر أهله الا مرة واحدة فان عمر بن الخطاب نظر الى ازارى من العيبة فحسه فوجده ناعما فقال بكم أخذت هذا ففزعت منه فقلت بعشرين قال كثير فهلا بعشرة وقدمت عشرة لغد ليوم فقرك وفاقتك قال وقد كنت اشتريته بثلاثين وأخفيت عشرة رهبة منه (وكان) سليمان (الخواص) رحمه الله تعالى أحد زهاد عصره وكان (لا يلبس أكثر من قطعتين) مئزرين أو (قميص ومئزر تحته وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه) أو يحله من وسطه فيغطى به رأسه أى فكذلك يستحب للفقير وهو حد اللباس من الحاجة نقله صاحب القوت (وقال بعض السلف أول النسك الزى) حتى يشبه القلب القلب أى اذا رأيت اثنين زيهما واحد وشمائلهما واحد فى اللبسة والآداب فاعلم ان قلب أحدهما على قلب الآخر فى المجانسة أو يقاربه فى الحال والهمة وان كان أحدهما ظاهره ظاهر أبناء الآخرة فان باطنه باطن أهل الآخرة وقد اتفقا من جهة أو دخلا من باب كذا فى القوت (وفى الخبر البذاذة من الايمان) رواه أحمد وابن ماجه والطبرانى والحاكم فى الكنى وفى المستدرك والبيهقى وأبو نعيم والضياء من حديث عبد الله بن أبى امامة ثعلبة الحارثى عن أبيه مرفوعا وقد سئل الامام أحمد عن البذاذة فقال هى التقارب فى اللباس ويقرب منه الابتذال وهو التقارب والدنو فى كل من المستعمل والمبتذل كالملبوس منه يقال فلان متبذذ اذا لم يبال مالبس أو استعمل مافيه ضعة ودنو (وفى الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى) خيره الله من حلل الايمان أيها شاء وفى لفظ آخر من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله (وابتغاء لوجهه كان حقا على الله ان يدخله من عبقرى الجنة فى تخات الياقوت) الحديث رواه الترمذى وحسنه والطبرانى وأبو نعيم والحاكم والبيهقى والضياء من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه مرفوعا والحديث الثانى رواه أبو على الذهلى فى فوائده وابن النجار من حديث ابن عباس ورواه أبو سعد المالينى فى مسند الصوفية وأبو نعيم فى الحلية بلفظ من ترك زينة الدنيا لله وهذا قد تقدم فى ذم الدنيا (وأوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه قل لاوليائى لا يلبسوا ملابس أعدائى) ولا يركبوا مراكب أعدائى (ولا يدخلوا مداخل أعدائى فيكونوا أعدائى كما هم أعدائى) ورد ذلك فى الخبر كما فى القوت (ونظر رافع بن خديج) بن رافع بن عدى الحارثى الاوسى الانصارى أول مشاهده أحد ثم الخندق مات سنة ثلاث وسبعين أو أربع وسبعين وقيل قبل ذلك روى له الجماعة (الى بشر بن مروان) بن الحكم بن العاص أخى عبد الملك (على منبر الكوفة) اذ كان واليا عليها من طرف أخيه (وهو يعظ) الناس فى خطبته (فقال) رافع (انظروا الى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق) قيل (و) ما (كان عليه) قال (ثياب رقاق) نقله صاحب القوت (وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة) القرشى له رؤية وقد روى عن الصحابة (الى أبى ذر) رضى الله عنه (فى بزته فجعل يتكلم فى الزهد فوضع أبو ذر) رضى الله عنه (راحته على فيه وجعل يضرط به) كالمستهزئ (فغضب ابن عامر فشكاه الى عمر) رضى الله عنه كذا فى النسخ ولفظ القوت فأتى ابن عمر فشكا اليه وقال ألم تر ما لقيت من أبى ذر قال وما ذاك قال جعلت أقول فى الزهد فاخذ يهزأ بى (فقال) ابن عمر (أنت صنعت بنفسك تتكلم فى الزهد بين يديه بهذه البزة) ولفظ القوت تاتى أباذر فى هذه البزة وتتكلم فى الزهد (وقال على رضى الله عنه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا فى مثل أدنى أحوال الناس ليقتدى بهم الغنى ولا يزرى بالفقير فقره) نقله صاحب القوت (ولما عوتب رضى الله عنه فى خشونة لباسه قال هو أقرب الى التواضع وأجدر ان يقتدى به المسلم) ولفظ القوت وعوتب رضى الله عنه فى لباسه وكان يلبس الخشن من الكرابيس قيمة قميصه ثلاثة دراهم الى خمسة ويقطع ما فضل من أطراف أصابعه فقال هذا الذى أدنى الى التواضع وأجدر ان يقتدى بى المسلم وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا عبد الله بن أحمد

التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلاثين درهما وكان الخواص لا يلبس أكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه وقال بعض السلف أول النسك الزى وفى الخبر البذاذة من الايمان وفى الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقا على الله أن يدخله من عبقرى الجنة فى تخات الياقوت وأوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه قل لاوليائى لا يلبسوا ملابس أعدائى ولا يدخلوا مداخل أعدائى فيكونوا أعدائى كما هم أعدائى ونظر رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى أبى ذر فى بزته فجعل يتكلم فى الزهد فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر فشكاه الى عمر فقال أنت صنعت بنفسك تتكلم فى الزهد بين يديه بهذه البزة وقال على كرم الله وجهه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا فى مثل أدنى أحوال الناس ليقتدى بهم الغنى ولا يزرى بالفقير فقره ولما عوتب فى خشونة لباسه قال هو أقرب الى التواضع وأجدر أن يقتدى به المسلم

ابن حنبل حدثنا علي بن حكيم ح وحدثنا محمد بن علي حدثنا أبو القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد قالا
حدثنا شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن زيد بن وهب قال قدم على علي رضي الله عنه وفد من أهل البصرة
فيهم رجل من رؤس الخوارج يقال له الجعد بن بعجة فعاتب عليا في لبوسه فقال مالك وللبوسي ان لبوسي
أبعد من الكبر وأجدر ان يقتدي بي المسلم (ونهى صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال الان عباد الله ليسوا
بالمتنعمين) رواه أحمد وأبو نعيم من حديث معاذ بلفظ اياك والتنعم فان لله عبادا ليسوا بالمتنعمين وقد تقدم
(وروى فضالة بن عبيد) بن ناقد بن قيس الانصاري الاوسي أول مشاهده احد وشهد فتح مصر ثم نزل دمشق
وولي قضاءها ومات سنة ثمان وخمسين روى له مسلم والاربعة (وهو والى مصر اشعث) اغبر (حافيا فقيل له أنت
الامير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه) أي التنعم (وأمرنا ان نحتفي احيانا)
ويروى نتحفى رواه أبو داود باسناد جيد والاحتفاء البذاذة والتبذل (وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان
أردت أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع) نقله صاحب
القوت (وقال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر) ولفظ القوت وكان عمر
يقول اخلولقوا واخشوشنوا وتمعددوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر واقطعوا الركب وانزوا على
الخيل نزوا وعليكم بالمعدية الاولى سنة أبيكم اسمعيل انتهى رواه ابن حبان في صحيحه من طريق أبي عثمان
قال أتانا كتاب عمر ونحن بأذربيجان ياعتبة بن فرقد اياكم والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عنه الا هكذا ورفع رسول الله أصبعيه وقد رواه أحمد في مسنده حدثنا
حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا عاصم الاحول عن أبي عثمان فذكره وبه قال حدثنا يزيد أنبأنا عاصم
عن أبي عثمان ان عمر قال اتزروا وارتدوا وانتعلوا والقوا الخفاف والسراويلات والقوا الركب وانزوا
نزوا وعليكم بالمعدية وارموا الاغراض وذروا التنعم وزي العجم واياكم والحرير وقال أبو نعيم في الغريب
حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبي العدبس الاسدي عن عمر انه قال اخشوشنوا وتمعددوا واجعلوا
الرأس رأسين ومعنى تمعددوا اتبعوا معد بن عدنان في الفصاحة وقيل تشبهوا بعيشه من الغلظ والتقشف
فكونوا مثله ودعوا التنعم وزي الاعاجم وقال الرامهرمزي في الامثال المعنى اقتدوا بمعد بن عدنان
والبسوا الخشن من الثياب وامشوا حفاة فهو حث على التواضع ونهى عن الافراط في الترفه والتنعم
وقد روى الرامهرمزي في الامثال عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن رجل من أسلم يقال له ابن الادرع له
صحبة رفعه تمعددوا واخشوشنوا وامشوا حفاة ويروى تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة
رواه الحاكم في الكنى والبغوي والطبراني وابن منده من حديث ابن أبي حدرد قال ابن عساكر اعتقد
البغوي ان ابن أبي حدرد هو عبد الله فاخرجه في ترجمته وانما هو القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد وكذلك
رواه صفوان بن عيسى ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عبد الله بن سعيد المقبري فيكون الحديث مرسلا
لان القعقاع لاصحبة له وعبد الله بن سعيد ضعيف بمرة هذا كلام الحافظ السيوطي في الجامع الكبير
وقال الحافظ السخاوي في المقاصد رواه أبو الشيخ في السبق وابن شاهين في الصحابة والطبراني في الكبير
وعنه أبو نعيم في المعرفة كلهم من طريق يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عبد الله بن سعيد المقبري
عن أبيه عن القعقاع بن أبي حدرد رفعه تمعددوا واخشوشنوا واخلولقوا وانتضلوا وامشوا حفاة وهو
عند أبي الشيخ فقط من طريق صفوان بن عيسى عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن أبي
حدرد عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا أخرجه أبو نعيم في المعرفة من طريق صفوان لكن جعله عن
القعقاع كالاول ورواه أيضا من طريق اسمعيل بن زكريا عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن القعقاع بن
أبي حدرد وكذا أخرجه البغوي في معجم الصحابة في ترجمة القعقاع لكنه لم يسمه اذ ساقه بل قال عن ابن
أبي حدرد وأعاده في عبد الله من العبادلة من حديث اسمعيل أيضا ولم يسمه كذلك رواه الطبراني في الكبير

ونهى صلى الله عليه
وسلم عن التنعم وقال
ان لله تعالى عبادا ليسوا
بالمتنعمين وروى فضالة بن
عبيد وهو والى مصر أشعث
حافيا فقيل له أنت الامير
وتفعل هذا فقال نهانا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن
الارفاه وأمرنا ان نحتفي
أحيانا وقال علي لعمر رضي
الله عنهما ان أردت ان تلحق
بصاحبيك فارقع القميص
ونكس الازار واخصف
النعل وكل دون الشبع
وقال عمر اخشوشنوا واياكم
وزي العجم كسرى وقيصر

من طريق منده بن على عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عبد الله بن أبى حدرد وأبو الشيخ أيضا من طريق
سعد بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أخيه هو عبد الله عن جده عن أبى هريرة رفعه مثله ورواه
الرامهرمزى فى الامثال من طريق أبى بكر بن أبى شيبة حدثنا عبد الرحمن عن عبد الله بن سعيد عن أبيه
عن رجل من أسلم يقال له ابن الادرع رفعه تعددوا الحديث فهذا مافيه من الاختلاف ومداره على عبد الله
ابن سعيد وهو ضعيف (وقال على رضى الله عنه من تزيا بزى قوم فهو منهم) وقد روى نحوه مرفوعا من
حديث ابن عمر من تشبه بقوم فهو منهم رواه أحمد وأبو داود والطبرانى من طريق ابن منيب الجرشى عنه
وفى السند ضعف ورواه البزار من حديث حذيفة وأبى هريرة ورواه أبو نعيم فى تاريخ أصبهان من حديث
أنس وهو عند القضاعى من حديث طاوس مرسلا وله شاهد جيد من قول الحسن البصرى قلما تشبه رجل
بقوم الا كان منهم رواه العسكرى فى الامثال من طريق حماد عن حميد الطويل قال كان الحسن يقول
فذكره ومن قول عمر بن عامر البجلى من تشبه بقوم لحق بهم ورواه العسكرى أيضا من طريق زافر عنه
(وقال صلى الله عليه وسلم ان من شرار امتى الذين غذوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب
ويتشدقون بالكلام) قال العراقى رواه الطبرانى باسناد ضعيف من حديث أبى امامة سيكون رجال من
أمتى يأكلون ألوان الطعام الحديث وآخره أولئك شرار أمتى وقد تقدم قلت وتمامه ويشربون ألوان
الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون فى الكلام فاولئك شرار أمتى وقد رواه أبو نعيم فى الحلية
كذلك وروى ابن عدى والبيهقى وابن عساكر من طريق عبد الله بن الحسن عن أمه عن فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها رفعته شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام
ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون فى الكلام وقد رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة كذلك وتقدم وروى
الحاكم من حديث عبد الله بن جعفر شرار أمتى الذين ولدوا فى النعيم وغذوا به يأكلون من الطعام ألوانا
ويلبسون من الثياب ألوانا ويركبون من الدواب ألوانا يتشدقون فى الكلام وقد صححه الحاكم وتعقب
وتقدم (وقال صلى الله عليه وسلم أزرة المؤمن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما
أسفل من ذلك ففى النار ولا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا) قال العراقى رواه مالك وأبو داود
والنسائى وابن حبان من حديث أبى سعيد ورواه النسائى أيضا من حديث أبى هريرة قال محمد بن يحيى
الذهلى كلا الحديثين محفوظ انتهى قلت لفظ مالك فى الموطأ أزرة المؤمن الى نصف الساق ولا جناح عليه
فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو فى النار من جر ازاره بطرا لم ينظر الله اليه وكذلك
رواه الطيالسى وأحمد وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقى والضياء من حديث أبى سعيد ورواه
الطبرانى من حديث ابن عمر وفى رواية أزرة المؤمن الى نصف الساق وليس عليه حرج فيما بينه وبين
الكعبين وما أسفل من ذلك ففى النار ورواه كذلك الطبرانى من حديث عبد الله بن مغفل وفى رواية أزرة
المؤمن الى عضلة ساقيه ثم الى الكعبين فما كان أسفل من ذلك ففى النار رواه كذلك أحمد من حديث أبى
هريرة واقتصر النسائى من حديث أبى هريرة وابن عمر على الجملة الاولى فقط وكذلك النسائى والبيهقى من
حديث أبى سعيد وكذلك ابن أبى عاصم وسمويه والضياء من حديث أنس وروى الطيالسى ومسلم من
حديث ابن عمر من جر ازاره يريد بذلك الخيلاء فان الله لا ينظر اليه يوم القيامة وروى أحمد والستة من
حديثه من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وروى أحمد من حديث أبى سعيد من جر ثيابه من
الخيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة الحديث (وقال أبو سليمان) الدارانى رحمه الله تعالى (قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من أمتى الا الامراء أو أحمق) قال العراقى لم أجد له اسنادا (وقال) أبو عمرو
(الاوزاعى) رحمه الله تعالى (لباس الصوف فى السفر سنة وفى الحضر بدعة) كذا فى القوت (ودخل محمد بن
واسع) أبو يحيى البصرى العابد رحمه الله تعالى (على قتيبة بن مسلم) الباهلى صاحب خراسان وكان أمير

وقال على كرم الله وجهه
من تزيا بزى قوم فهو منهم
وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من شرار أمتى الذين
غذوا بالنعيم يطلبون ألوان
الطعام وألوان الثياب
ويتشدقون فى الكلام
وقال صلى الله عليه وسلم أزرة
المؤمن الى أنصاف ساقيه
ولا جناح عليه فيما بينه وبين
الكعبين وما أسفل من ذلك
ففى النار ولا ينظر الله يوم
القيامة الى من جر ازاره بطرا
وقال أبو سليمان الدارانى
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يلبس الشعر من
أمتى الا الامراء أو أحمق وقال
الاوزاعى لباس الصوف فى
السفر سنة وفى الحضر بدعة
ودخل محمد بن واسع على
قتيبة بن مسلم

الجيش وكان محمد بن واسع قد خرج معه (وعليه جبة صوف فقال له قتيبة) يا أبا يحيى (ما دعاك الى مدرعة الصوف) وكان استحقرها (فسكت) محمد بن واسع ولم يجب (فقال) قتيبة (أكلمك ولا تجيبني فقال أكره ان أقول) لبستها (زهدا) وتقشفا (فأزكي نفسي أو) لبستها (فقرا) وقلة (فأشكو ربي وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (لما اتخذ الله ابراهيم خليلا أوحى الله اليه ان وار عورتك من الارض وكان) عليه السلام (لا يتخذ من كل شئ) من الثياب (الا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا غسل أحدهما لبس الآخر حتى لا يأتي اليه حال الا وعورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي) رضي الله عنه (مالك لا تلبس الجيد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق) أي من رق النار (فله والله ثياب لا تبلى أبدا) وروى أبو نعيم في الحلية عن الحسن قال كان عطاء سلمان خمسة آلاف درهم وكان أميرا على زهاء ثلاثين ألفا من المسلمين وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها واذا خرج عطاؤه أمضاه ويأكل من سفيف يده (ويروى عن عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (أنه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل اذا قام يصلي) تقشفا وزهدا رواه أبو نعيم في الحلية (وقال الحسن) البصري (لفرقد) بن يعقوب (السبخي) بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة أبي يعقوب البصري العابد صدوق لين الحديث مات سنة احدى وثلاثين روى له الترمذي وابن ماجه (تحسب أن لك فضلا على الناس بكسائك بلغني ان أكثر أصحاب النار أصحاب الاكسية نفاقا) أي يلبسونها وباطنهم مخالف لظاهرهم فالحسن رحمه الله تعالى خاطب فرقدا ينبهه أن لا يغره لبس الصوف (وقال يحيى بن معين) بن عوف الغطفاني مولاهم أبو زكريا البغدادي ثقة حافظ مشهور وامام الجرح والتعديل مات سنة ثلاث وثلاثين عن بضع وسبعين سنة روى له الجماعة (رأيت أبا معاوية) يمان (الاسود) رحمه الله تعالى ترجم له أبو نعيم في الحلية وروى من طريق بشر بن الحرث سمعت المعافى بن عمران يقول كان عشرة ممن مضى من أهل العلم ينظرون في الحلال النظر الشديد لا يدخلون بطونهم الا ما يعرفون من الحلال والا استفوا التراب ثم عد بشر منهم أبا معاوية الاسود (وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت) له (انك تكسى خيرا من هذا فقال ما أضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بها ويبكي) رواه أبو نعيم في الحلية من غير هذا الوجه قال حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد حدثنا أحمد بن مهدي حدثنا أبو موسى الفارقي قال كنت أسمع أبا معاوية الاسود اذا قام من الليل يستقي الماء يقول ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة حدثنا محمد بن عمر بن مسلم املاء حدثنا عبد الله بن بشر بن صالح حدثنا يوسف بن معبد حدثنا ابراهيم بن مهدي سمعت أبا معاوية بن الاسود يقول ما ضرهم ما أصابهم في دنياهم جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة حدثنا محمد بن أحمد بن شاهين سمعت عبد الله بن أبي داود سمعت أبا حمزة نصر بن الفرج وكان خادم أبي معاوية الاسود فقيل له أي شئ يتكلم به أبو معاوية ويتمثل فقال كان يجيء ويذهب ويقول ما ضرهم ما نالهم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن قال كتب الى أبو موسى بن المثنى حدثني عمرو بن أسلم حدثنا أبو معاوية الاسود قال شمروا طلابا وشمروا وهربا لم يضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة *(المهم الثالث* المسكن والزهد أيضا فيه ثلاث درجات أعلاها ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد) فيأوي اليها ان كان متجردا عن العيال وذلك (كأصحاب الصفة) رضوان الله عليهم وهم أناس من فقراء الصحابة ليس لهم مسكن يأوون اليه كانوا يسكنون في صفة المسجد وكان عددهم يختلف بحسب اختلاف الاوقات والاحوال فربما تفرق عنها وانفض قادموها من الغرباء فيقل عددهم وربما يجتمع فيها واردوها من الوفود فينضم اليهم فيكثروا والمشهور من أخبارهم غلبة الفقر عليهم وايثارهم القلة واختيارهم لها فلم يجتمع لهم ثوبان ولا حضرهم من الاطعمة لونان وقال أبو هريرة رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب فمنهم من يبلغ ركبته ومنهم من هو أسفل

وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال أكلمك ولا تجيبني فقال أكره أن أقول زهدا فأزكي نفسي أو فقرا فأشكو ربي وقال أبو سليمان لما اتخذ الله ابراهيم خليلا أوحى اليه أن وار عورتك من الارض وكان لا يتخذ من كل شئ الا واحدا سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا غسل أحدهما لبس الآخر حتى لا يأتي عليه حال الا وعورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه مالك لا تلبس الجيد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلى أبدا ويروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله انه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل اذا قام يصلي وقال الحسن لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلا على الناس بكسائك بلغني ان أكثر أصحاب النار أصحاب الاكسية نفاقا وقال يحيى ابن معين رأيت أبا معاوية الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت انك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بها ويبكي *(المهم الثالث المسكن)* والزهد فيه أيضا ثلاث درجات *أعلاها أن لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كأصحاب الصفة

من

وأوسطها أن يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبنى من سعف أوخص أومايشبهه وأدناها ان يطلب حجرة مبنية امابشراء أو اجارة فان كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد فان طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد فى المسكن فاختلاف جنس البناء بان يكون من الجص أو القصب أو بالطين أو بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا أو مستأجرا أو مستعارا وللزهد مدخل فى جميع ذلك وبالجملة كل مايراد للضرورة فلا ينبغى أن يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته وماجاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعين والاذى وأقل الدرجات فيه معلوم ومازاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعى له بعيد من الزهد جدا وقد قيل أول شئ ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشييد يعنى بالتدريز كف دروز الثياب فانها كانت تشل شلا والتشييد هو البنيان بالجص والآجر وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء فى الخبر يأتى على الناس زمان يوشون ثيابهم كماتوشى البرود اليمانية وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يهدم علية كان قد علاها ومر عليه السلام بجنبذة معلاة فقال لمن هذه قالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغير وجهه صلى الله عليه وسلم فاخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فاخبر بانه هدمها فدعا له بخير

من ذلك فاذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته رواه أحمد فى الزهد (وأوسطها ان يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبنى من سعف) النخل وجريده (أوخص) وهو بالضم بيت من قصب فارسى والجمع أخصاص (أومايشبهه وأدناها ان يطلب حجرة مبنية) بطين ولبن (امابشراء أواجارة) أو استعارة (فان كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم تكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد فان طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد فى المسكن واختلاف جنس البناء بان يكون من الجص أو القصب أو بالطين أو بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا أو مستأجرا أو مستعارا وللزهد مدخل فى جميع ذلك وبالجملة كل مايراد للضرورة فلا ينبغى أن يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته) بها يصل اليه بل لا يبعد من الدنيا (وماجاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد) وحر الشمس و(دفع الاعين) لئلا تتطلع اليه (والايدى) لئلا تصل اليه (وأقل الدرجات فيه معلوم ومازاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعى له بعيد من الزهد جدا وقد قيل) أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل والموائد و(أول شئ ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشييد يعنى بالتدريز كف دروز الثياب فانها كانت تشل شلا) والشلالة هى الخياطة الخفيفة والتدريز هى الكفافة وهى اعادة الخياطة على الشلالة (والتشييد هو البنيان بالجص والآجر) يقال شيد بناءه اذا بناه بالشيد بالكسر وهو الجص ولا يتم ذلك الا بالآجر (وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد) وأعلاه بالطين والرهوص كذا فى القوت قال العراقى أماشل الثياب من غير كف فروى الحاكم والطبرانى أن عمر قطع مافضل عن الاصابع من الكم من غير كف وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما البناء ففى الصحيحين من حديث أنس فى قصة بناء مسجد المدينة فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة الحديث ولهما من حديث أبى سعيد وكان المسجد على عريش فوكف المسجد الحديث (وقد جاء فى الخبر يأتى على الناس زمان يوشون) أى يزينون (ثيابهم) كذا فى النسخ وفى بعضها بنيانهم (كماتوشى البرود اليمانية) فانها تخطط بالالوان المختلفة من الحبر أورده صاحب القوت وأغفله العراقى (وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) عمه (العباس) بن عبد المطلب رضى الله عنه (أن يهدم عليته) بكسر العين واللام والياء المشددتين هى الغرفة المشرفة وجمعها علالى (كان قد علاها) أى رفع بناءها قال العراقى رواه الطبرانى من رواية أبى العالية ان العباس بنى غرفة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اهدمها الحديث وهو منقطع (ومر صلى الله عليه وسلم) يوما (بجنبذة معلاة) أى قبة مرتفعة (فقال لمن هذه قالوا لفلان) وسموا رجلا من أصحابه (فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان) فاستنكر ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسأل الرجل أصحابه عن تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر) بالسبب (فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها) فسأل عنها (فاخبر بانه هدمها فدعا له بخير) أورده صاحب القوت وقال العراقى رواه أبو داود من حديث أنس باسناد جيد بلفظ فرأى قبة مشرفة الحديث والجنبذة القبة انتهى قلت ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بنية قبة لرجل من الانصار فقال ماهذا قالوا قبة

وقال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ماهذا قلنا خص لنا قد وهى فقال أرى الامر أعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محيريز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو أصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة للعبد يؤجر عليها الا ما أنفقه في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما أكن من حر وبرد وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله اتسع في السماء أي في الجنة

فقال كل بناء وأشار بيده على رأسه أكبر من هذا فهو وبال على صاحبه يوم القيامة وروى في الكبير من حديث واثلة كل بنيان وبال على صاحبه الا ما كان هكذا وأشار بكفه الحديث (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة) قال العراقي رواه ابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية هكذا مرسلا والطبراني في الاوسط من حديث عائشة من سأل عني أو سره أن ينظر الى فلينظر الى أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة الحديث واسناده ضعيف انتهى قلت وتمامه ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشمر اليه اليوم المضمار وغدا السباق والغاية الجنة والنار وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية (وقال) صلى الله عليه وسلم (اذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله في الماء والطين) قال العراقي رواه أبو داود من حديث عائشة باسناد جيد بلفظ خضر له في الطين واللبن حتى يبني انتهى قلت ورواه كذلك الطبراني في معاجيمه الثلاثة والخطيب من حديث جابر ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني قال الهيثمي لم أجد من ضعفه وله في الاوسط عن ابي بشير الانصاري اذا أراد الله بعبد هوانا أنفق ماله في البنيان وفي لفظ له بزيادة والماء والطين وهكذا رواه بهذه الزيادة الحسن بن سفيان وابن أبي الدنيا والبغوي وأبو نعيم في المعرفة والبيهقي كلهم عن محمد بن بشير الانصاري قال البغوي وماله غيره ورواه أيضا ابن عدي من حديث أنس (وقال عبد الله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهما (مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ماهذا قلنا خص لنا قد وهى قال أرى الامر أعجل من ذلك) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه انتهى قلت ورواه أحمد كذلك ولفظه قال الامر أسرع من ذلك (واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب) بان ربط بعضه على بعض (فقيل له لو بنيت) بالطين (فقال هذا كثير لمن يموت) ومن هنا قولهم المشهور بيت العنكبوت كثير لمن يموت (وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى (دخلنا على صفوان بن محيريز) هكذا في النسخ وهو غلط والصواب صفوان بن محرز وهو ابن زياد المازني البصري العابد ثقة له فضل وورع قال ابن حبان في الثقات مات سنة أربع وسبعين في ولاية عبد الملك قال وكان من العباد اتخذ لنفسه سربا يبكي فيه وقال الواقدي توفي في ولاية بشر بن مروان روى له الجماعة غير أبي داود (وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له) أي قال له أحد أصحاب الحسن (لو أصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة) قال العراقي رواه الطبراني من حديث ابن مسعود باسناد فيه لين وانقطاع اه قلت لكن بلفظ كلف يوم القيامة أن يحمله على عنقه وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية والبيهقي وابن عساكر (وفي الخبر كل نفقة) ينفقها (العبد يؤجر عليها الا ما أنفقه في الماء والطين) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث خباب بن الارت باسناد جيد بلفظ الا في التراب أو قال في البناء انتهى قلت ورواه الطبراني بلفظ كل نفقة ينفقها العبد يؤجر عليها الا البنيان (وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا) قيل هو حب الكثرة وطلب (الرياسة والتطاول في البنيان) كذلك (قال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما أكن من حر وبرد) وفي لفظ الا مسجدا من بيوت الله قال العراقي رواه أبو داود من حديث أنس باسناد جيد الا مالا الا مالا يعني مالا بد منه انتهى قلت سبق ذكره قريبا في حديث القبة عند الطبراني في الاوسط وفي الكبير قال صاحب القوت ولذلك جعل التطاول في البنيان من اشراط الساعة وقرب توقع وقوعها في خبر الجساسة ان الدجال سأل هل تطاول الناس في البنيان قالوا نعم قال الآن دنا خروجي في اشياء عددها (وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله اتسع في السماء) قال المصنف (أي في الجنة) قال العراقي رواه أبو داود في المراسيل من رواية اليسع بن المغيرة قال شكا خالد بن الوليد فذكره وقد وصله الطبراني فقال عن اليسع بن المغيرة عن أبيه عن خالد بن الوليد الا أنه قال ارفع الى السماء واسأل الله السعة وفي اسناده لين انتهى ولفظ القوت وشكا

ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال ما كنت أظن ان يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين يعني به الآجر ويقال ان فرعون هو أول من بني له بالجص والآجر وأول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف ورأى بعض السلف جامعا في بعض الامصار فقال أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته مبنيا من رهص ثم رأيته الآن مبنيا باللبن فكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرهص (٣٦٣) وكان أصحاب الرهص خيرا من أصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في أحكام البنيان وكان منهم من اذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه فاذا رجع أعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة قال الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي السقف وقال عمرو ابن دينار اذا على العبد البناء فوق ستة أذرع ناداه ملك الى أين يا أفسق الفاسقين وقد نهى سفيان عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس لما شيدوا فالنظر اليه معين عليه وقال الفضيل اني لا أعجب ممن بنى وترك ولكن أعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر وقال ابن مسعود رضي الله عنه يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم *(المهم الرابع أثاث البيت)* وللزهد فيه أيضا درجات أعلاها حال عيسى المسيح صلوات الله عليه وسلامه وعلى كل عبد مصطفى اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فرأى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى بالمشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز وهذا حكم كل أثاث فانه انما يراد لمقصود فاذا استغني عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة ومالا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به

العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيق منزله فقال يا عم اتسع في السماء يعني في طلب الآخرة ولا تطلب سعة الارض بالدنيا (ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام) حين توجه اليه (الى صرح) عال (قد بني بجص وآجر فكبر) أي قال الله أكبر (وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين يعني به الآجر ويقال ان فرعون أول من بني له بالجص والآجر وأول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو أول الزخرف) كل ذلك في القوت الا أنه قال وهذا من الزخرف (ورأى بعض السلف) مسجدا (جامعا في بعض الامصار فقال أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته) بعد سنين (مبنيا من رهوص ثم رأيته الآن مبنيا باللبن) والآجر (فكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرهوص وكان أصحاب الرهوص خيرا من أصحاب اللبن) نقله صاحب القوت (وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في احكام البنيان) واتقانه (وكان منهم من اذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه فاذا رجع أعاده) والعذر في ذلك أنه (كانت بيوتهم من الحشيش) والثمام (والجلود) وهي عادة العرب الى (الآن ببلاد اليمن) كل ذلك في القوت (وكان ارتفاع بناء السقف) ولفظ القوت وكان سمك بناء الصحابة (قامة وبسطة قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (كنت اذا دخلت بيوت) أصحاب (رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف) كذا في القوت (وقال عمرو بن دينار) المكي أبو محمد الاثرم الجمحي مولاهم ثقة ثبت مات سنة ست وعشرين ومائة روى له الجماعة (اذا أعلى العبد البنيان فوق ستة أذرع ناداه ملك) الهواء (الى أين يا أفسق الفاسقين) كذا في القوت (وقد نهى سفيان) الثوري رحمه الله تعالى (عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظار الناس لما شيدوه فالنظر اليه معين عليه) ولفظ القوت وقال بعضهم كنت أمشي مع سفيان في طريق فنظرت الى باب مشيد بالجص فقال لا تنظر اليه فقلت يا أبا عبد الله ما تكره من النظر اليه فقال اذا نظرت اليه كنت عونا له على بنائه لانه انما بناه لينظر اليه ولو كان كل من مر به لا ينظر اليه ما عمله (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (اني لا أعجب ممن بنى وترك ولكني أعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين) وهي خيل الروم (يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم) وهذا من جملة الاخبار بما سيقع المهم *(الرابع أثاث البيت) أي متاعه (وللزهد فيه أيضا درجات أعلاها حال عيسى المسيح عليه السلام اذ كان لا يصحبه) منه (الا مشط وكوز) فالمشط للحيته والكوز لشربه وبينما هو يمشي (فرأى انسانا) قد غسل وجهه وهو (يمشط لحيته باصبعه) يخللها به (فرمى بالمشط) اذ رأى الاصابع كافية (ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز) اذ رأى كفيه كافية وصحب زاهد مسواكا فرأى رجلا يتسوك باصابعه فرمى بالمسواك (وهذا حكم كل أثاث فانه انما يراد لمقصود فاذا استغني عنه فانه وبال في الدنيا والآخرة ومالا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف) في آلات الشرب والطبخ والعجن والغسل وغيرها (ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به) وذلك في الزهد ولا يتشاءم بالشرب من شربة مكسورة الطرف أو من ابريق كذلك فانه من الجهل بالسنة

وأوسطها أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح فى نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة فى مقاصد كالذى معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة فى أشياء للتخفيف وأعلاها ان يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد فى العدد أو فى نفاسة الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقد قالت عائشة رضى الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان من فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فرأى أثر الشريط فى جنبه عليه السلام فدمعت عينا عمر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما الذى أبكاك يا ابن الخطاب قال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم اما ترضى يا عمر أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل رجل على أبى ذر فجعل يقلب بصره فى بيته فقال يا أباذر ما ارى فى بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لابد لك من متاع مادمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لايدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعيد

خلافة

(وأوسطها أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح فى نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة فى مقاصده كالذى معه قصعة يأكل فيها) الطعام (ويشرب فيها) الماء (ويحفظ المتاع فيها) فهذه ثلاثة مقاصد فى آلة واحدة (وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة فى أشياء للتخفيف وأعلاه أن يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد فى العدد) بان اتخذ صحنين أو ابريقين أو قصعتين أو قدرين (أو) زاد (فى نفاسة الجنس) بان اتخذ من خزف الصين الساج أو المموّه بالنقوش فقد (خرج عن جميع أبواب الزهد) آخرها وأوّلها (وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقد قالت عائشة رضى الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه وسادة من ادم) أى جلد مدبوغ (حشوها ليف) النخل قال العراقى رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه انتهى قلت ولفظهم كانت وسادته التى ينام عليها من ادم حشوها ليف وكذلك رواه أحمد (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف) قال العراقى رواه الترمذى فى الشمائل من حديث حفصة بقصة العباءة وقد تقدم ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرقه (وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير) من جريد (مرمول) أى منسوج (بشريط فجلس) ولفظ القوت (فقعد فرؤى أثر) حبال (الشريط فى جنبه) عليه السلام (فدمعت عينا عمر) ولفظ القوت فادرت عينى فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت الاصاعين من شعير مصبوب فى زاوية البيت واهب فى ناحية منه غير مدبوغة قال فلم أملك عينى فبكيت (فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما الذى أبكاك يا ابن الخطاب) ولفظ القوت قال فما يبكيك يا ابن الخطاب (قال) فقلت (ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك) ونعيم الدنيا (وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله) ولفظ القوت وأنت رسول الله وخيرته من خلقه على ما أرى (نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم) أفى شك أنت يا عمر (اما ترضى أن تكون لهم) وفى نسخة لهما (الدنيا ولنا الآخرة قال) قلت (بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك) وفى لفظ فقلت رضيت وفى لفظ آخر أولئك قد عجلت لهم طيباتهم فى الدنيا فدل قوله صلى الله عليه وسلم أفى شك أنت على ان القلة والزهد من اليقين لانه ضد الشك فمن شك فى ذلك أو رغب فهو غير موقن قال العراقى وهو متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم (ودخل رجل على أبى ذر) رضى الله عنه (فجعل يقلب بصره فى بيته فقال يا أباذر ما أرى فى بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لابد لك من متاع مادمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لايدعنا فيه) وقد روى صاحب الحلية فى ترجمة أبى الدرداء نحو هذه القصة عن خالد بن حدير الاسلمى أنه دخل على أبى الدرداء فرأى تحته فراشا من جلد أو صوف وعليه كساء صوف وسبنية صوف وهو وجع وقد عرق فقال لو شئت لكسيت مما يبعث به أمير المؤمنين قال ان لنا دارا وانا لنطمئن اليها ولها نعمل ومن طريق الاوزاعى عن حسان بن عطية ان أصحابا لابى الدرداء تضيفوه فضيفهم فنهم من بات على لبده ومنهم من بات على ثيابه كما هو فلما أصبح غدا عليهم فعرف ذلك منهم فقال ان لنا دارا لها نجمع واليها نرجع (ولما قدم عمير ابن سعد) بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن عوف الانصارى الاوسى هكذا نسبه الواقدى وتبعه ابن عبد البر وكان يقال له نسيج وحده قيل كان عمر يسميه بذلك لاعجابه به صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتوح الشام واستعمله عمر على حمص الى ان مات وكان من الزهاد روى عنه راشد بن سعد وحبيب بن عبيد وابنه عبد الرحمن بن عمير قال ابن سعد مات فى خلافة عمر وقيل فى خلافة عثمان وقيل فى

خلافة معاوية وكان (أمير حمص) استعمله عمر (على عمر) بن الخطاب (رضى الله عنهما) أى عن عمر وعن عمير (قال له مامعك من الدنيا فقال معى عصاى أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعى جرابى أحمل فيها طعامى ومعى قصعتى آكل فيها وأغسل فيها رأسى وثوبى ومعى مطهرتى أحمل فيها شرابى ووضوئى للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معى فقال عمر صدقت رحمك الله) رواه أبو نعيم فى الحلية حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن المرزبان الادمى حدثنا محمد بن حكيم الرازى حدثنا عبد الملك بن هرون بن عنترة حدثنى أبى عن جدى عن عمير بن سعد الانصارى قال بعثه عمر بن الخطاب عاملا على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره فقال عمر لكاتبه اكتب الى عمير فوالله ما أراه الا قد خاننا اذا جاءك كتابى هذا فاقبل واقبل بما جبيت من فىء المسلمين حين تنظر فى كتابى هذا قال فاخذ عمير جرابه فجعل فيه زاده وقصعته وعلق اداوته وأخذ عنزته ثم أقبل يمشى من حمص حتى دخل المدينة قال فقدم وقد شحب لونه واغبر وجهه وطالت شعرته فدخل على عمر وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله فقال عمر ماشأنك فقال عمير ما ترى من شأنى ألست ترانى صحيح البدن ظاهر الدم معى الدنيا أجرها بقرنها قال وما معك فظن عمر انه قد جاء بمال فقال معى جرابى أجعل فيه زادى وقصعتى آكل فيها وأغسل فيها رأسى وثيابى واداوتى أحمل فيها وضوئى وشرابى وعنزتى أتوكأ عليها وأجاهد بها عدوا ان عرض فوالله ما الدنيا الا تبع لمتاعى قال عمر فجئت تمشى قال نعم قال ما كان لك أحد يتبرع لك بدابة تركبها قال ما فعلوا وما سألتهم ذلك فقال عمر بئس المسلمون خرجت من عندهم فقال عمير اتق الله يا عمر قد نهاك الله عن الغيبة وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة قال عمر فاين بعثتك وأى شئ صنعت قال وما سؤالك يا أمير المؤمنين فقال عمر سبحان الله فقال عمير أما لولا انى اخشى ان أغمك ما أخبرتك بعثتنى حتى أتيت البلد فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جبايته فيئهم حتى اذا جمعوه وضعته مواضعه ولو نالك منه شئ لاتيتك به قال فما جئتنا بشئ قال لا قال جددوا لعمير عهدا قال ان ذلك لشئ لاعملت لك ولا لاحد بعدك ثم ساق الحديث بطوله وفيه وفاته بالمدينة وشهود عمر جنازته وقوله وددت لو ان لى رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به فى أعمال المسلمين وروى الواقدى هذا القول عن عمر ولفظه وددت لو أن لى رجالا مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين (وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضى الله عنها) وكانت من أول من يدخل عليها من أهله اذا قدم من سفر (فرأى على باب منزلها سترا وفى يديها قلبين من فضة) مثنى قلب بضم فسكون وهو السوار (فرجع) ولم يدخل (فدخل عليها أبو رافع) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهى تبكى فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقالت لامر ما رجع فقال أنا أسأله ما رده (فسأله أبو رافع فقال من أجل الستر والسوارين) فاخبرها بذلك فهتكت الستر ونزعت السوارين (فارسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى أهل الصفة فباع) بلال (القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل عليها صلى الله عليه وسلم) وضمها اليه (فقال بابى أنت وأمى قد أحسنت) أنت منى كذا فى القوت وقال فى موضع آخر ونظر صلى الله عليه وسلم الى فاطمة رضى الله عنها فى عنقها عقد من خرز فيه شئ من ذهب وعلى بابها ستر فرجع ولم يدخل فقال مالى وللدنيا فنزعت ذلك وأرسلت به الى بعض الفقراء ورأى صلى الله عليه وسلم فى يد الحسن والحسين رضى الله عنهما قلبين من فضة قد زينتهما بهما فاطمة رضى الله عنها فنزعهما وأمر بلالا ان يتصدق بثمنهما على أهل الصفة وقال العراقى لم أره مجموعا ولابى داود وابن ماجه من حديث سفينة باسناد جيد انه صلى الله عليه وسلم جاء فوضع يديه على عضادتى الباب فرأى القرام قد ضرب فى ناحية البيت فرجع فقالت فاطمة لعلى انظر ما أرجعه الحديث وللنسائى من حديث ٧ باسناد صحيح قال جاءت ابنة هبيرة الى النبى صلى الله عليه وسلم وفى يديها فتخ من ذهب الحديث وفيه انه وجد فى يد فاطمة سلسلة من ذهب وفيه يقول الناس فاطمة بنت محمد فى يدها سلسلة من نار وانه خرج ولم يقعد فامرت

أمير حمص على عمر رضى الله عنهما قال له مامعك من الدنيا فقال معى عصاى أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعى جرابى أحمل فيه طعامى ومعى قصعتى آكل فيها وأغسل فيها رأسى وثوبى ومعى مطهرتى أحمل فيها شرابى وطهورى للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معى فقال عمر صدقت رحمك الله وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضى الله عنها فرأى على باب منزلها سترا وفى يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبو رافع وهى تبكى فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أبو رافع فقال من أجل الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل عليها صلى الله عليه وسلم فقال بابى أنت قد احسنت

٧ هنا بياض بالاصل

بالسلسلة فبيعت فاشترت بثمنها عبدا فاعتقته فلما سمع ذلك قال الحمد لله الذى نجى فاطمة من النار انتهى قلت وروى أبو نعيم فى الحلية من طريق شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن على بن الحسين عن أبى رافع قال لما ولدت فاطمة حسنا قالت يارسول الله الا أعق عن ابنى قال لا ولكن احلقى رأسه وتصدقى بوزن شعره ورقا أوفضة على الاوفاض والمساكين يعنى بالاوفاض أهل الصفة (ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة) رضى الله عنها (سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلى به الى آل فلان) وفى القوت سترا فيه صورة وفيه انى اذا رأيته ذكرت الدنيا وقال العراقى رواه الترمذى وحسنه والنسائى فى الكبرى من حديثها (وفرشت له عائشة) رضى الله عنها (ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعيدى العباءة الخلقة ونحى هذا الفراش عنى قد أسهرنى الليلة) كذا هو فى القوت وفى موضع آخر منه وأهدت لعائشة امرأة فراشا ففرشته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فراشه عباءة مطوية فلما اضطجع عليها أنكر لينه وتوطئته ووطاءه فسألها فأخبرته فقال ردى العباءة ونحى هذا انتهى وقال العراقى روى أبو الشيخ ابن حيان فى كتاب أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من حديثها قالت دخلت على امرأة من الانصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فانطلقت فبعثت الى بفراش حشوه صوف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا الحديث وفيه انه أمرها برده ثلاث مرات فردته وفيه مجالد بن سعيد مختلف فيه والمعروف حديث حفصة المتقدم ذكره من الشمائل (وكذلك أتته دنانير ستة أوخمسة ليلا فبيتها فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة) رضى الله عنها (فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ماظن محمد بربه لولقى الله وهذه عنده) كذا فى القوت قال وروى الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يبيت عنده مالا ولا يقيله ان جاءه ليلا أو عشاء لم يبيته وان جاءه غدوة لم ينتظر به القايلة قال العراقى رواه أحمد من حديث عائشة باسناد حسن انه قال فى مرضه الذى مات فيه ياعائشة مافعلت الذهب فجاءت مابين الخمسة الى الثمانية الى التسعة فجعل يقلبها بيده ويقول ماظن محمد الحديث وفيه رواية سبعة أوتسعة دنانير وله من حديث أم سلمة باسناد صحيح دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساهم الوجه قالت فحسبت ذلك من وجع فقلت يانبى الله مالك ساهم الوجه فقال من أجل الدنانير السبعة التى أتتنا أمس أمسينا وهى فى خصم الفراش وفى رواية أمسينا ولم ننفقها (وقال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (ادركت سبعين) رجلا (من الاخيار مالاحدهم الاثوبه وماوضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر الارض بجسده وجعل ثوبه فوقه) نقله صاحب القوت (المهم الخامس المنكح وقد قال قائلون) من الصوفية (لامعنى للزهد فى اصل النكاح ولافى كثرته واليه ذهب) ابو محمد (سهل بن عبد الله) التسترى رحمه الله تعالى (وقال قد حبب الى سيد الزاهدين) صلى الله عليه وسلم (النساء) فكيف نزهد فيها ولامعنى لحبهن الا النكاح كأنه يشير الى الخبر المشهور حبب الى من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة ولفظ سهل لايصح الزهد فى النساء لانه قد حبب الى سيد الزاهدين (ووافقه) فى ذلك الامام أبو محمد سفيان (بن عيينة) الهلالى مولاهم المكى رحمه الله تعالى (وقال) ليس فى كثرة النساء دنيا (كان أزهد الصحابة) وأعلاهم شأنا فيه (على بن أبى طالب) رضى الله عنه (كان له أربع نسوة) بالصداق (وبضع عشرة سرية) مات عنهن (والصحيح) فى ذلك (ماقاله أبو سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (اذ قال كل ماشغلك عن الله من أهل ومال فهو عليك مشؤم) هكذا نقله القشيرى وروى أيضا من قول داود الطائى كما تقدم قريبا ونقل القشيرى أيضا عن الدارانى قال الزهد ترك مايشغل عن الله تعالى وقال أحمد بن حنبل زهد العارفين ترك العبد مايشغل عن الله تعالى (والمرأة قد تكون شاغلة عن الله تعالى) فيكون الزهد تركها

(وكشف

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلى به الى آل فلان وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها اعيدى العباءة الخلقة ونحى هذا الفراش عنى قد أسهرنى الليلة وكذلك أتته دنانير خمسة أوستة ليلا فبيتها فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضى الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ماظن محمد بربه لولقى الله وهذه عنده وقال الحسن أدركت سبعين من الاخيار مالاحدهم الاثوبه وماوضع أحدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا أراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه * (المهم الخامس المنكح) * وقد قال قائلون لامعنى للزهد فى أصل النكاح ولافى كثرته واليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه على هذا القول ابن عيينة وقال كان أزهد الصحابة على ابن أبى طالب رضى الله عنه وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ماقاله أبو سليمان الدارانى رحمه الله اذ قال كل ماشغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم والمرأة قد تكون شاغلا عن الله

وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة أفضل فى بعض الاحوال كما سبق فى كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وان لم يكن عليه آفة فى تركه ولا فعله ولكن ترك النكاح احترازا عن ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد فان علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد أصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من القربات واللذة التى تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تضره اذ لم تكن هى المقصد والمطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد فى شئ لان فى ترك ذلك فوات بدنه فكذلك فى ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز أن يترك النكاح زهدا فى لذته من غير خوف آفة أخرى وهذا ما عناه سهل لا محالة ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن أنى يتصور ذلك لغير الانبياء والاولياء فاكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغى أن يترك الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منهن أو جمال المرأة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه فى ذلك قال أبو سليمان الزهد فى النساء ان أو اليتيمة على المرأة الجميلة والشريفة

(وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة أفضل) للسالك (فى بعض الاحوال كما سبق) بيانه (فى كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة) عن شبق كشبق الحمار لا يرعوى ولا ينتهى الا بالسفاد (فهو واجب) حينئذ (فكيف يكون تركه من الزهد وان لم تكن عليه آفة فى فعله ولا تركه ولكن ترك النكاح احترازا من ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد) اذ الانس بغير الله من الدنيا (وان علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله تعالى ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر) اليها (والمضاجعة) لها (والمواقعة) بها (فليس هذا من الزهد أصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير) سواد (أمة محمد صلى الله عليه وسلم من القربات) لما فى الخبر تزوجوا تناسلوا فانى أباهى بكم الامم وتقدم (واللذة التى تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تضره اذ لم تكن) تلك اللذة (هى المقصد والمطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد فى شئ لان فى ترك ذلك فوات بدنه) لما يعتريه من الضعف ووهن القوى (فكذلك فى ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز أن يترك النكاح زهدا فى لذته من غير خوف آفة أخرى) تعرض عليه (وهذا ما عناه) أى قصده (سهل) التسترى رحمه الله تعالى من قوله لا يصح الزهد فى النساء (لا محالة ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا فمن) كان (حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن والانفاق عليهن) كما تقدم ذلك فى النكاح (فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن انى يتصور ذلك لغير الانبياء) عليهم السلام (والاولياء) الذين على قدمهم (فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغى أن يترك الاصل ان كان يشغله) عن الله تعالى (وان لم يشغله وكان يخاف من أن يشغله الكثرة منهن أو جمال المرأة فلينكح واحدة) وليقتصر عليها أو لينكح (غير جميلة) أى مشهورة بالجمال بحيث يشار اليها (وليراع قلبه فى ذلك قال أبو سليمان) الدارانى رحمه الله تعالى (الزهد فى النساء أن يختار المرأة الدون أو اليتيمة على الجميلة والشريفة) نقله صاحب القوت وروى عنه أيضا الزهد فى النساء ان تختار المرأة الدميمة والقريبة الامر من كبر وغير منظر على الشابة الحسناء وذهب الى ذلك مالك بن دينار فكان يقول يترك الرجل اليتيمة أو الضعيفة لله فان أطعمها أو كساها أو فرحها أجر فى ذلك وكان له فى ثواب الآخرة ويتزوج ابنة فلان وفلان وبالجملة الاقتصاد فى شان النساء والتقلل وأخذ الحاجة والكفاية منهن كالقول فى شان الدنيا من ذلك ان لا ينكح المرأة لما ينكح ابناء الدنيا من المعانى الثلاث لا لحسنها ولا لحسبها ولا لمالها فلم يبق الا الدين والصلاح فهذه زوجة أخروية ليست من الدنيا وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف الفقراء انهم لا تفتح لهم الابواب ولا ينكحون المتمتعات أو المتنعمات فدل انهم ينكحون المتبذلات وذلك فى خبر أبى سلام الحبشى رفعه يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم قيل من هم قال الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا تفتح لهم السدد ولا ينكحون المتنعمات فلما سمع ذلك عمر بن عبد العزيز من بكى حتى أخضل لحيته وقال لست منهم قد فتحت لى السدد يعنى الابواب ونكحت المتنعمات يعنى أم البنين بنت عبد الملك ولكن لا جرم والله لا أدهن رأسى حتى يشعث ولا أغسل ثوبى حتى يدنس وكان يحيى بن معاذ الرازى يتكلم فى تزويج الزاهد فيقول الكيس من الزهاد من اذا أراد التزويج لله وعلى الزاهد أن يلقى المرأة بهذه الخصال فان هى اجابته والا ترك أولها فى شأن الكفاية والمعاش فيقول لا أسعى فى طلب دنيا ولو كسب دانقين والثانية أن يعلمها انه ليس عنده مال وان يده فى مالها ان كان عندها

وقال الجنيد رحمه الله أحب للمريد المبتدى ان لايشغل قلبه بثلاث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج وقال أحب للصوفى ان لايكتب ولا يقرأ لانه أجمع لهمه فاذا ظهران لذة النكاح كلذة الاكل فما شغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا * (المهم السادس ما يكون وسيلة الى هذه الجسمة وهو المال والجاه) *

أما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به الى الاستعانة فى الاغراض والاعمال وكل من لايقدر على القيام بنفسه فى جميع حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى جاه لامحالة فى قلب خادمه لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل فى القلوب هو الجاه وهذا له أول قريب ولكن يتمادى به الى هاوية لاعمق لها ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه وانما يحتاج الى المحل فى القلوب اما لجلب نفع أولدفع ضر أولخلاص من ظلم فاما النفع فيغنى عنه المال فان من يخدم بأجرة يخدم وان لم يكن عنده للمستأجر قدر وانما يحتاج الى الجاه فى قلب من يخدم بغير أجرة وأما دفع الضر فيحتاج لاجله الى الجاه فى بلد لا يكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له فى قلوبهم أو محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لاسيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض فى طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لايسعى لطلب المحل فى القلوب أصلا فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل فى القلوب مايدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فى
فكيف بين المسلمين فاما التوهمات والتقديرات التى تحوج الى زيادة فى الجاه على الحاصل بغير كسب فهى أوهام كاذبة اذ من طلب الجاه أيضا لم يخل عن أذى فى بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل فى القلوب لارخصة فيه أصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته أشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره * وأما المال فهو ضرورى

كيده فى ماله فى اخراجه والثالثة يقول ان أردت الخروج الى الحج أو زيارة أوغز ولزمت الرضا وكنت عونا فى انفاذه والرابعة ان تزوجت عليك ثلاثا لم تعرضى بوجهك ولم تتغيرى والخامسة خفة الصداق والسادسة خذوهات والسابعة سرعة البناء فان وافق منها هذه الخصال فليتقدم ولا يتوقف ٧ وكانت امرأته زاهدة وكان يحكى عنها زهد النساء قال قالت لى أهلى ما زهد النساء قالت ترك الزينة والرياء قالت أعلى من هذا قلت ماهو قالت تطيب نفسها لزوجها بان يتزوج عليها من شاء من النساء فان الزوج من الدنيا وهو يشتد على النساء وتعلق قلبها به من الدنيا قال فقلت لها هى بضاعتكم أنتم بها أعرف قال وقالت لها قد أذن الله فى تزويج أربعة من النساء فقالت ليس يفرض عليك أن تتزوج باربعة وفرض عليك أن تعدل بين اثنين (وقال الجنيد) رحمه الله تعالى (أحب للمريد المبتدى) فى ارادته وسلوكه (أن لايشغل قلبه بثلاث) خصال (والا تغير حاله) ونقص مزيده من سلوكه (التكسب وطلب الحديث والتزويج) نقله صاحب القوت أى فان فى هذه الخصال ركونا الى الدنيا وهو مثل قول أبى سليمان الذى تقدم قريبا من تزوج أو سافر أو كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا (وقال) الجنيد أيضا (أحب للصوفى أن لايكتب ولا يقرأ لانه أجمع لهمه) نقله صاحب القوت أى فان الاشتغال بالقراءة والكتابة يشتت همه و يغير حاله (فاذا ظهر ان لذة النكاح كلذة الاكل فما اشغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا * المهم السادس ما يكون وسيلة الى هذه الجسمة) من المهمات المذكورة (وهو المال والجاه أما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به الى الاستعانة فى الاغراض والاعمال وكل من لايقدر على القيام بنفسه فى جميع حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى جاه لامحالة فى قلب خادمه) ليتوصل به الى قضاء حاجاته (لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته) بل لم يعتن به أصلا (وقيام القدر والمحل فى القلوب هو الجاه) كما سبق بيان ذلك فى كتاب ذم الجاه (وهذا له أول قريب ولكن يتمادى) أى يجر (الى هاوية لاعمق لها) أى لا آخر (ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه) كما فى الخبر (و) هذا ان طلبه بالعبادات حرم قليله وكثيره وكان كطالب المال بسبب محرم والقدر المباح منه (فانما يحتاج الى المحل فى القلوب) لاحدى ثلاث (اما لجلب نفع أولدفع ضر أو لخلاص من ظلم أما النفع فيغنى عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن عنده للمستأجر قدر وانما يحتاج الى الجاه فى قلب من يخدم بغير أجرة وأما دفع الضرر فيحتاج لاجله الى الجاه فى بلد لايكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له فى قلوبهم أو بمحل له عند السلطان) فهو كالحش من البيت يراد لغيره لا لذاته بل يراد لدفع الاذى لا لانه صفة الكمال (وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لاسيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض فى طلب الجاه سالك طريق الهلاك) بل حق الزاهد ان لايسعى (لطلب المحل فى القلوب) أصلا (فان اشتغاله بالدين والعبادة) من ذكر ومراقبة وعزلة (يمهد له من المحل فى القلوب مايدفع عنه به الاذى ولو كان بين) أظهر (الكفار فكيف بين المسلمين وأما التوهمات والتقديرات التى تحوج الى زيادة فى الجاه على الحاصل بغير كسب فهى أوهام كاذبة) وتقديرات باطلة (اذ من طلب الجاه أيضا لم يخل عن أذى فى بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل فى القلوب لارخصة فيه أصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته أشد من ضراوة الخمر) فى عسر الانفكاك منه (فليحترز من قليله وكثيره وأما المال فهو ضرورى

في المعيشة أعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي أن يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء الزهاد وأقويائهم جميعا وان كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ربعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه أويس القرني رحمه الله فلا يكون هذا من الزهاد

وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وأمر المنفرد في جميع ذلك أخف من أمر المعيل * وقد قال أبو سليمان لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان أجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه أن التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي أن يجيبهم أيضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذا ما اضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا لكنه قليل الضرر وسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر

في المعيشة أعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه) مما يكتفي به (فينبغي أن يترك الكسب) في ذلك اليوم (كان بعضهم) أي من المتكسبين الزاهدين (اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام) والسفط محرك وعاء المتاع (هذا شرط الزاهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء الزهاد وأقويائهم جميعا وان كانت له ضيعة) مثل أرض يستغلها (ولم تكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ربعه) وهو ما يفيض من غلال الضيعة (لسنة واحدة فلا يخرج بهذا المقدار عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنة ولكن يكون من ضعفاء الزهاد) لا من أقويائهم (فان شرط التوكل في الزهد) بان لا يكمل الا به (كما شرطه أويس القرني) رحمه الله تعالى فيما فهم من كلامه السابق ذكره (فلا يكون هذا من الزهاد) لفقد وصف التوكل فيه (وقولنا انه خرج عن حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة) فاطلاق الزهد عليه بهذا الاعتبار فقط وعلى الجملة فللزهد ثواب مخصوص موعود عند الله فمتى ما نال منه شيأ أخذ من ذلك الثواب بقسطه (وأمر الاعزب (المنفرد في جميع ذلك أخف من أمر المعيل) أي ذي العيال كما قيل

ما المعالي والمعيل وانما * يسعى اليهن الفريد القادر

(وقد قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (لا ينبغي ان يرهق الرجل أهله) أي يكلفهم (الى الزهد بل يدعوهم اليه فان أجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله) هذا ما فهم من كلامه (نعم لا ينبغي أن يجيبهم أيضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من بيت فاطمة رضي الله عنها بسبب ستر) كانت علقته في ناحية البيت (وقلبين) في يدها أو يد الحسن أو الحسين كما تقدم الكلام عليه قريبا (لان ذلك من الزينة لا من الحاجة) وكذلك لما تزينت أم سلمة بخرص من ذهب جعلته في أذنها قالت فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعت قناعي عن اذني رجاء ان ينظر الى زينتي قالت فاعرض ولم يلتفت فقلت يا رسول الله انما تزينت لك فقال عن زينتك اعرض ما ضرك لو جعلتيه من فضة ثم لطختيه بالزعفران فكان كانه ذهب فامرها بفعل من لا يحب الدنيا لعينها وانما يدخل فيها الظاهر مرافقها لان الفضة والزعفران وان أشبهت الذهب في اللون فانما هو متاع في الوقت لان لها قيمة الذهب وقدره ولا وجود حلاوته في قنيته فكذلك حال الزاهد في حلاوة الدنيا لعينها فيستعمل الدنيا فيما اقرب ودنا ويبدل دقيقا منها ذا قيمة بيسير دونه (فاذا ما اضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا ولكنه قليل الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه أمره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة) وهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنهم ما أنا عليه وأصحابي (والمقتصر

على قدر الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط و يدل عليه ما روى ان ابراهيم الخليل عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيأ فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله تعالى اليه لو سألت خليلك لاعطاك فقال يارب عرفت مقتك الدنيا فخفت ان اسألك منها شيأ فاوحى الله تعالى اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذا قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال

في الآخرة وهو في الدين أيضا كذلك يعرفه من يخبر أحوال الاغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته به أن يسلم لورثته فيأكلونه وربما يكونون أعداء له وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حبا ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعداء ومراآة الاصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه فقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيدا بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد أن يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكه الى أن يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالمنشار و يفصل أحد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من الجانبين والذي ينشر بالمنشار انما يترك المؤلم ببدنه و يألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره فما ظنك بألم يتمكن أولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في أعلى عليين وجوار رب العالمين فبالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم اذ النار غير مسلطة الا على محجوب

أشد

على قدر الضرورة) على (المهم لا يجوز أن ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط و يدل عليه ما روى ان ابراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيأ فلم يقرضه) ولفظ القوت فتوارى عنه (فرجع مهموما فاوحى الله اليه لو سألت خليلك لاعطاك) ولفظ القوت لو بخليلك أنزلت حاجتك لقضاها لك يعني نفسه تعالى (فقال يارب عرفت مقتك الدنيا فخفت ان اسألك منها شيأ) فمقتني (فاوحى الله اليه) أما علمت انه (ليس الحاجة من الدنيا) وفي لفظ القوت ليس هو من الدنيا فله صاحب القوت وقد روى مرفوعا نحوه من نظر الى زهرة الدنيا أصبح ممقوتا في ملكوت السماء ومن صبر على القوت نزل في الفردوس حيث أحب فدل ذلك على أن القوت ليس هو من الدنيا لانه استثناه منها بحدها على الصبر عليه بعد ذمها وفي خبر آخر لا يعذب الله مؤمنا جعل رزقه في الدنيا قوتا (فاذا قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الآخرة وهو في الدنيا أيضا كذلك يعرفه من يختبر أحوال الاغنياء وما عليهم من المحنة) والتعب (في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه) في معاملاته (وغاية سعادته به أن يسلم لورثته) اذا مات (فيأكلونه وهم أعداؤه) اذ كانوا يتمنون موته و ينتظرونه (وربما يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها) اذ ورثهم ما أطغاهم فهو جمع مالا لذريته يغنيهم في الدنيا بفقره في الآخرة و يحجبهم به من الذل الذي بذل نفسه وهلكته في عاقبته فصار نعيمه لهم وشقاؤه عليه ترفهوا فيه بعده وهلك هو به (وكذلك يشبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه) لجهله وعدم معرفته بنفسه (حتى يقتله ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت و يهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه) فصار عمله وكدحه لغيره متنعما به ومات هو فيه (فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فانما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل) أي تتفاوت (فيقيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعداء ومراياة الاصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو فطن له انه قد أخطأ فيه بقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيدا بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها) عنه (ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكه الى أن يفرق ملك الموت بينه و بين جميعها دفعة واحدة) فمن حرص على الدنيا بالباطل فقد قتل نفسه وقد قيل بعدا وسحقا لقتيل الدنيا لا يقاد له منها فان قوى حرصه عليها واشتد عشقه لها قتل غيره لغلبة هواه وقلة مبالاته لمن يحبه ووالاه واطراحه لاحكام مولاه (فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها) وراء ظهره (فهي) أي تلك السلاسل (تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالمنشار و يفصل أحد جانبيه من الآخر بالمجاذبة من الجانبين والذي ينشر بالمنشار انما ينزل المؤلم ببدنه و يألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره فما ظنك بألم يتمكن أولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في أعلى عليين وجوار رب العالمين فبالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم اذ النار غير مسلطة الا على محجوب) ولذا قالوا

قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا أضيفت العلاوة اليه فنسأل الله تعالى أن يقرر في أسماعنا ما نفث في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له أحبب من أحببت فانك مفارقه وفي معنى ماذكرناه من المثال قول الشاعر كدود كدود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ماهو ناسجه

ولما انكشف لاولياء الله تعالى ان العبد مهلك نفسه باعماله واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رأيت سبعين بدريا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء أشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم قالوا مالهؤلاء من خلاق ولو رأوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يفسد على قلبي فمن كان له قلب فهو لامحالة يخاف من فساده والذين أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم اذ قال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وقال عز وجل ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملني معك في سياحتك فقال أخرج مالك والحقني فقال لا أستطيع فقال عيسى عليه السلام بعجب يدخل الغني الجنة أو قال بشدة وقال بعضهم مامن يوم ذر شارقه الا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول أحدهما بالمشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الآخر اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ويقول اللذان

أشد العذاب الحجاب (قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أي عن رؤيته ولقائه (ثم انهم لصالوا الجحيم فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا أضيف العلاوة اليه) فيكون أشد فاشد (فنسأل الله أن يقذف) وفي نسخة يقرر (في أسماعنا ما نفث في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له أحبب ما أحببت فانك مفارقه) رواه الطيالسي والشيرازي والبيهقي من حديث جابر قال لي جبريل يا محمد عش ما شئت فانك ميت واحبب من أحببت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك ملاقيه وقد تقدم (وفي معنى ماذكرنا من المثال قال الشاعر)

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بامر لا يزال يعالجه

(كدود كدود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ماهو ناسجه)

والكدود فعول من الكد وهو التعب (ولما انكشف لاولياء الله تعالى أن العبد مهلك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه اهلاك دود القز نفسه) بنسجه على نفسه (رفضوا الدنيا بالكلية) حلالها وحرامها ولم يتعلقوا باعراضها (حتى قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (رأيت سبعين بدريا) أي ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (كانوا) والله (فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم) كذا في القوت مع انهم ممن قد اطلع الله عليهم فغفر لهم (وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء) والشدة تصيبهم (أشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين)

الا ان سر جنونهم * عزيز لدى أبوابه يسجد العقل

(ولو رأوا خياركم لقالوا مالهؤلاء من خلاق) أي من نصيب (ولو رأوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب) كذا في القوت وتقدم ذكره أيضا في كتاب عجائب القلب قال (وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول) لا حاجة لي به (أخاف أن يفسد على قلبي فمن كان له قلب فهو لامحالة يخاف من فساده) ومن تغيره وابعاده ويعمل في أسباب صلاحه ورشاده (والذين أمات حب الدنيا قلوبهم) فهم يتقلبون في ظلمات الهوى فربما انقلبوا على وجوههم فهم ممن خسر الدنيا والآخرة أو يكونون من أهل الرضا بالدنيا وأهل الغفلة عن آيات الله فهم ممن رضي بلاشئ (فقد أخبر الله تعالى عنهم) في كتابه العزيز (اذ قال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) أي متجاوزا الحد المنهي عنه مقصرا عما أمر به وقيل مقدما الى الهلاك فهؤلاء يستحقون الاعراض من الحبيب ويستوجبون المقت من القريب كمثل من أمر الله تعالى بالاعراض عنهم (و) ترك القبول منهم اذ (قال تعالى وأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملني معك في سياحتك فقال أخرج مالك والحقني فقال لا أستطيع فقال عليه السلام بعجب يدخل الغني الجنة أو قال بشدة) نقله صاحب القوت وتقدم قوله بعجب يدخل الغني الجنة قريبا (وقال بعضهم مامن يوم ذر شارقه) أي طلعت شمسه (الا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول أحدهم بالمشرق يا باغي الخير) أي طالبه (هلم) أي أقبل (ويا باغي الشر) أي طالبه (اقصر ويقول الآخر اللهم اعط منفقا خلفا) أي عوضا (واعط ممسكا) أي بخيلا (تلفا) أي هلاكا (ويقول اللذان

بالمغرب أحدهما لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب) هكذا عزاه المصنف لبعضهم تبعا لصاحب القوت وقد روى ذلك مرسلا من حديث عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس رواه البيهقى فى الشعب ولفظه مامن يوم طلعت شمسه الا يقول من استطاع أن يعمل فى خيرا فليعمله فانى غير مكرر عليكم أبدا ومامن يوم الا ينادى مناديان من السماء يقول أحدهما يا طالب الخير ابشر يا طالب الشر أقصر ويقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا ورواه الديلمى عن عثمان بن محمد المذكور عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس مرفوعا وزاد بعد قوله أبدا وكذلك يقول الليل وروى الحاكم فى المستدرك من حديث أبى سعيد مامن صباح الا وملكان يناديان يقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا وملكان موكلان بالصور ينتظران متى يؤمران فينفخان وملكان يناديان يا باغى الخير هلم ويقول الآخر يا باغى الشر اقصر وملكان يناديان يقول أحدهما ويل للرجال من النساء ويقول الآخر ويل للنساء من الرجال وقد صححه الحاكم وتعقب وروى البيهقى من حديث الزبير مامن صباح يصبح العباد الا وصارخ يصرخ يا أيها الناس لدوا للتراب واجمعوا للفناء وابنوا للخراب وروى الديلمى من حديث أبى هريرة ان الله تعالى ملكا بباب من أبواب السماء يقول من يقرض اليوم يجاز غدا وملك آخر بباب آخر ينادى اللهم اعط منفقا خلفا وعجل لممسك تلفا

(بيان علامات الزهد)

(اعلم) وفقك الله تعالى لولا الامتحان لكثر الصادقون ولابد لكل مؤثر من أثر يدل عليه فكذلك لابد لكل مقام من علامة تدل على صحته واليه أشار المصنف بقوله (انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة) فى العيش (سهل على من أحب المدح بالزهد فكم فى الرهابين) جمع رهبان جمع راهب (من ردوا أنفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له) ولا منفذ للهواء فيه (وانما مسرة أحدهم) وفى نسخة مشرب أحدهم (معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له) بترك الدنيا والزهد فيها (فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لابد من الزهد فى المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد فى جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال) أبو اسحق ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى هو من أقران الجنيد والنورى مات بالرى سنة ٢٩١ (فى وصف المدعين) فى الزهد (اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التى ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما يأخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق وألجئوا الى المضايق) قال (وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كله كلام الخواص) أورده فى كتاب شرف الفقراء ونقله صاحب القوت وتقدم أن الخواص كان لا يلبس أكثر من قطعتين مئزر بن أو قميص ومئزر تحته وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه او يحله من وسطه فيغطى به رأسه وقد كان يحيى بن معاذ الرازى يصف الزاهدين من العارفين والمتحققين بالحال المستحقين لاسم الزهد ومعناه فى نتف من كلامه هى من أحوال أهل المعرفة زادوا بها على مقام الزاهدين من المؤمنين وكان يقول فى وصفهم الزهد مع الغنى أفضل من الزهد مع الفقر يزهد الرجل وفى قصره أمثال التصاوير من النساء لو نظر الزاهد الفقير الى وصيفة منهن غشى عليه وقال اذا زهد فى الدنيا حجبه عن العامة واذا عرف حجب عن الزهاد وقال اذا احتجب العارف لعزته اصطيد بالطعمة يدعى الى طعام فيجيب فيظفرون به بذلك وكذلك اصطيد أبوه آدم بالطعمة من الشجرة وكان يقول لا يمكن العابد والزاهد أن يستتر عن الخلق والعارف مستور كأنه رجل من الناس وهو أفضل من تحمله

قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد فكم من الرهابين من ردوا أنفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لابد من الزهد فى المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد فى جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص فى وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التى ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة اليهم وهم خارجون منها وانما يأخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق وألجئوا الى المضايق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالا لهم فهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كله كلام الخواص رحمه الله

فاذا معرفة الزهد أمر مشكل بل حال الزهد على الزاهد مشكل وينبغي أن يعول في باطنه على ثلاث علامات * (العلامة الاولى) أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده (العلامة الثانية) أن يستوي عنده ذامه ومادحه فالاول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه (العلامة الثالثة) أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ماذا أفضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله فاما الانس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان وقد قال أهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما واذا بطن الايمان في سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي وقال أبو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد وأن

الارض لا يعرفه الا امثاله ولا يصبر على معاشرته الا اشكاله هذا كله كلام يحيى بن معاذ وسيأتي باقي كلامه بعد (فاذا معرفة الزهد مشكل بل حال الزهد على الزاهد مشكل وينبغي أن يعول في باطنه على ثلاث علامات الاولى أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تأسوا) أي تحزنوا (على مافاتكم ولا تفرحوا) على النعمة (بما آتاكم) فرح بطر (بل ينبغي أن يكون) الزاهد باعراضه عن الدنيا وقلة رغبته فيها (بالضد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده) لاكتفائه بما ينفعه وقد جعل بعضهم هذا المعنى حد الزهد كما تقدم في أول السياق وهو في الحقيقة من ثمراته أو من علاماته (الثانية أن يستوي عنده ذامه ومادحه) فلا يفرح اذا سمع بمدحه ولا يحزن اذا سمع بذمه وكان يونس بن ميسرة يذهب الى هذا ويقول ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن أن يكون ذامك ومادحك سواء (فالاولى علامة الزهد في المال والثانية علامة الزهد في الجاه) لان معنى الجاه ملك القلوب فاذا استوى عنده الذم والمدح لم يفتقر الى ملك القلوب (الثالثة أن يكون انسه بالله تعالى) لا بشئ من الاشياء (والغالب على قلبه حلاوة الطاعة) فان الانس بالله والدنيا لا يجتمعان (اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان) وقد كان عمر رضي الله عنه يقول اذا ذكر الدنيا والآخرة ان هما الا بمنزلة قدحين لك ملء أحدهما فما هو الا أن يفرغ أحدهما في الآخر يعني انك اذا امتلأت بالدنيا تفرغت من الآخرة وان امتلأت بالآخرة تفرغت من الدنيا وان كان لك ثلث قدح الآخرة أدركت ثلثي قدح الدنيا وان كان لك ثلثا قدح الآخرة يكون لك ثلثه من الدنيا قال صاحب القوت وهذا تمثيل حسن وتعديل صحيح (وكل من أنس بالله تعالى اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ماذا أفضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله) والمراد بالبعض أبو محمد سباع الموصلي ففي القوت قال مضر بن عيسى قلت لسباع الموصلي يا أبا محمد الى أي شئ أفضى بهم الزهد قال الى الانس بالله أي لزوال وحشة الدنيا وخروج ظلمة النفس بالهوى وقع الانس بالنور ولا يجد الانس بالحبيب والوجد بالقريب غير زاهد (فاما الانس بالله وبالدنيا لا يجتمعان) وقال صاحب القوت قوت الزهد الذي لا بد منه وبه تظهر صفة الزاهد ويفضل به على الراغب هو أن لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك وأن يأخذ الحاجة من كل شئ ولا يتناول عند الحاجة الا سد الفاقة ولا يطالب الشئ قبل الحاجة وأول الزهد دخول غم الآخرة في القلب ثم وجود حلاوة المعاملة للرب ولا يدخل غم الآخرة في قلبه حتى يخرج هم الدنيا ولا يدخل حلاوة المعاملة حتى يخرج حلاوة الهوى وكل من ترك المعصية ولم يجد حلاوة الطاعة رجع اليها ومن ترك الدنيا ولم يجد حلاوة الزهد رجع فيها وكل من وجد حلاوة الطاعة ولم يجد حلاوة المعرفة لم يدم عليها وكل من وجد حلاوة الزهد ولم يذق حلاوة اليقين لم يؤمن عليه دخول التفتين ورغب في الدنيا ولو بعد حين (وقد قال أهل المعرفة) في تنويع الايمان في القلب فجعلوه على مقامين وجعلوا لهما زاهدين حيث قالوا (اذا تعلق الايمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما) وكل منهما يتجاذبان (واذا بطن الايمان في سويداء القلب) أي باطنه (وباشره) أحب الآخرة وحدها وعمل لها و (أبغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها) نقله صاحب القوت (ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي) أي يخالطه (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين) ولهذين المقامين دليل من السنة وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل أي الناس خير فقال من يشنأ الدنيا ويحب الآخرة قيل فان لم يكن قال مؤمن في خلق حسن والشاهد الآخر من الخبر الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه أتدرون من خير الناس قالوا مؤمن موسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به خير الناس فقير يعطي جهده وقد تقدم هذا (والزاهد لا بد وأن

يكون فى أحدهذين المقامين ومقامه الاول أن يشغل نفسه بنفسه وعندذلك يستوى عنده المدح والذم والوجود والعدم ولا
يستدل بامساكه قليلا
من المال على قدزهده أصلا
قال ابن أبى الحوارى قلت
لابى سليمان أكان داود
الطائى زاهدا قال نعم قلت
قدبلغنى انه ورث عن أبيه
عشرين دينارا فانفقها فى
عشرين سنة فكيف كان
زاهدا وهو يمسك الدنانير
فقال أردت منه أن يبلغ
بحقيقة الزهد وأراد بالحقيقة
الغاية فان الزهد ليس له
غاية لكثرة صفات النفس
ولا يتم الزهد الا بالزهد فى
جميعها فكل من ترك من
الدنيا شيأ مع القدرة عليه
خوفا على قلبه وعلى دينه
فله مدخل فى الزهد بقدر
ما تركه وآخره أن يترك كل
ما سوى الله حتى لا يتوسد
حجرا كما فعله المسيح عليه
السلام فنسأل الله تعالى
أن يرزقنا من مباديه نصيبا
وان قيل فان أمثالنا
لا تستجرئ على الطمع فى
غاياته وان كان قطع الرجاء
عن فضل الله غير مأذون
فيه واذا لاحظنا عجائب نعم
الله تعالى علينا علمنا أن الله
تعالى لا يتعاظمه شئ فلا
بعد فى أن نعظم السؤال
اعتمادا على الجود المجاوز
لكل كمال فاذا علامة الزهد
استواء الفقر والغنى والعز
والذل والمدح والذم وذلك
لغاية الانس بالله ويتفرع
عن هذه العلامات علامات أخر لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالى من أخذها وقيل علامته أن يترك
الدنيا كما هى فلا يقول أبنى رباطا أو أعمر مسجدا

يكون فى أحدهذين المقامين ومقامه الاول أن يشغل نفسه بنفسه وعندذلك يستوى عنده المدح والذم والوجود والعدم) وهذا مقام المشاهدة للآخرة ويكون بعد الزهد الذى يكون عن حقيقة الايمان ثم تستوى الاشياء عنده ويستوى عدمها ووجودها وعنده يكون استواء المدح والذم لاستواء قلبه فى المشاهدة وقدروى من حديث الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل استويت قال وكيف استوى قال يستوى عندك المدح والذم فهذا يكون لسقوط قدر النفس وذهاب رؤية الخلق فعندها يسقط الرياء والرغبة فيثبت الاخلاص والزهادة (ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده أصلا) وقدروى عن السفيانيين انهما سئلا أيكون الرجل زاهدا وله مال قالا نعم اذا كان ممن اذا ابتلى فصبر واذا أنعم عليه شكر قال ابن أبى الحوارى فقلت لابن عيينة يا أبا محمد قد أنعم عليه فشكر وابتلى فصبر وحبس النعمة كيف يكون زاهدا فضربنى بيده وقال اسكت من لم تمنعه النعماء من الشكر ولا البلوى من الصبر فذلك الزاهد ووافقهما الزهرى كذلك وقد فصل أبو سليمان ذلك (قال) أبو الحسن أحمد (ابن أبى الحوارى) الدمشقى صحب أبا سليمان الدارانى وغيره وكان يسميه الجنيد ريحانة الشام مات سنة ٢٣٠ (قلت لابى سليمان) الدارانى رحمه الله تعالى (أكان داود) بن نصير (الطائى) أبو سليمان (زاهدا قال نعم قلت قد بلغنى انه ورث عن أبيه عشرين دينارا فأنفقها فى عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير) رواه كذلك عثمان بن زفر عن ابن عم لداود وقد تقدم وروى أبو نعيم فى الحلية عن أبى محمد بن حيان حدثنا اسحق بن حسان حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال قال أبو سليمان الدارانى ورث داود الطائى من أبيه دنانير فكان ينفق منها حتى كفن بآخرها (فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية) ينتهى السالك اليها (لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد فى جميعها) والحب للجليل والانس باللطيف هما غاية الطالبين فمن لم يتحقق بالزهد لم يبلغ مقام الحب ولم يدرك حال الانس وسرائر الغيب الملكوتية فى مقام الحب والخلة اليقينية وغيابات السر العزية الجبروتية فى حال الانس (فكل من ترك من الدنيا شيأ مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل فى الزهد بقدر ما تركه) وهذا أوله وله درجات (وآخره أن يترك كل ما سوى الله) تعالى (حتى لا يتوسد حجرا) أى لا يضع رأسه على شئ مرتفع ولو حجرا فانه من جملة نعيم الدنيا لحصول الراحة للنفس بسببه (كما فعله المسيح) عيسى (عليه السلام) وتقدم ذكره قريبا وبين هذين مقامات ولتلك المقامات درجات وقد عين بعضهم للزهد أربعة وعشرين مقاما ونوعه ومنهم من أوصل الى ثلاثة وسبعين مقاما (فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مباديه) أى الزهد (نصيبا وان قل فان أمثالنا لا يستجرئ على الطمع فى غاياته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله) تعالى (غير مأذون فيه واذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا) ظاهرة وباطنة (علمنا ان الله تعالى لا يتعاظمه شئ فلا بعد فى أن نعظم السؤال اعتمادا على الجود) الالهى (المجاوز لكل كمال) فما لا يدرك كله لا يترك كله ومن فاته من الكمال وبله لا يفوته طله (فاذا علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم لغلبة الانس بالله) المتوحد بالافعال وقال يحيى بن معاذ لا يكمل للزاهد زهده الا باستواء الحال فى هذه الخصال الموجود والمفقود والسفر والحضر والعز والذل والمدح والذم والغنى والفقر (وتتفرع عن هذه العلامات علامات أخر لا محالة مثل أن يترك الدنيا ولا يبالى من أخذها) أى لا يكترث نقله القشيرى عن أبى عثمان المغربى وجعله حدا للزهد وهو من علاماته (وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هى) وليس من علاماته خلو اليد من المال لانه قد يمسكه لغرض دينى وقيل لا يستحب ذلك (فلا يقول أبنى) بها (رباطا وأعمر) بها (مسجدا) أونحوه مما ترتاح النفس اليه من حب الثناء عليها به نقله القشيرى قال سمعت أبا على الدقاق يقول ذلك وقد جعله حدا للزهد وهو من علاماته وبالجملة فشرط الزهد ان لا يكون بقلبه التفات للدنيا اذا

اعرض

اعرض عنها وقال محمد بن اسحق الصوفى والصحيح عندى اذا وجد فى نفسه هذه العلامات فليخرج الدنيا الى الاحوج والاولى فان لم يوجد ذلك وعلم وجود الافضل والمحتاج فى ثانى الحال فلا يضره ابقاء المال فى يده حتى يجد موضعه واياك أن تغتر بهذا قبل وجدان العلامات فيهلكك سم المال قبل أن تنتفع بدرياقه نعم الا أن يكون متبوعا يخاف من اقتداء الغير به فيترك فى الوقت تاسيا بالانبياء عليهم السلام فافهم ذلك (وقال) أبو زكريا (يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (علامة الزهد السخاء بالموجود) وقال مرة الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح نقله القشيرى فالزاهد لا كلفة عليه فى بذل الموجود وان جل والمحب يسهل عليه بذل روحه لله وشتان بين المقامين (وقال) أبو عبد الله محمد (بن خفيف) الشيرازى المعروف بالشيخ الكبير وهو رئيس الطريقة البكرية (علامة الزهد وجود الراحة فى الخروج من الملك) نقله القشيرى ولعله بما يلحق القلب عند وجوده من التشويش فى حفظه ومن خوفه على قلبه من تعلقه به وكيف يصرفه (وقال أيضا الزهد هو عزوف النفس) أى انصرافها (عن الدنيا بلا تكلف) فيه لان قلبه امتلأ بصغر قدرها وما يترتب عليها من ضررها بخلاف المتزهد فانه يتكلف للاعراض عنها فقوله بلا تكلف اشارة الى الفرق بين الزاهد والمتزهد ثم ان هذا القول الذى عزاه المصنف لابن خفيف قد عزاه القشيرى لغيره وهذا لفظه بعد ان ذكر قوله الاول وقال أيضا الزهد سلو القلب عن الاسباب ونفض الايدى من الاملاك وقيل الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف ولعل فى سياق المصنف سقطا فتأمل (وقال أبو سليمان) الدارانى رحمه الله تعالى (الصوف) أى لبسه (علم من اعلام الزهد فلا ينبغى للزاهد (أن يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفى قلبه رغبة خمسة دراهم) نقله القشيرى أى رغبة لبس صوف بخمسة دراهم أشار بذلك الى أن الزهد فى القلب ليس بلبس الغليظ ولا بأكل الخشن وان كان ذلك علامة له لان الزهد ضد الرغبة وهو من أعمال القلوب وفى القوت قال أحمد بن أبى الحوارى لبست عباءة فنظر الى وقال هذا يكون آخر الزهد جعلتموه أوله أما يستحى أحدهم يلبس عباءة بدرهمين وفى قلبه شهوة بخمسة دراهم وقال لو ستر زهده بثوبين أبيضين كان أحب الى (وقال أحمد بن حنبل وسفيان) الثورى وعيسى بن يونس وغيرهم (علامة الزهد انما هو قصر الامل) قال القشيرى وهذا الذى قالوه يحمل على أنه من اشارات الزهد والاسباب الباعثة عليه والمعانى الموجبة له انتهى أى عرفا فان العبد متى أقصر أمله واستشعر سرعة موته وفراقه للدنياوات رغبته فيها وفترت همته عن تحصيلها وقد جاء فى الخبر كفى بذكر الموت مزهدا وتقدم فى أول الباب ان هذا أحد للزهد والصحيح انه من العلامات (وقال السرى) السقطى رحمه الله تعالى (لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه) أى بغيرها من الشهوات لان شغله بنفسه انما هو باعراضها عن محبوباتها الدنيوية فاذا عدل عنها الى غيرها فقد اشتغل عنها وعن اعراضها عن ذلك فلا يكون زاهدا ومتى زهد فى شئ من الدنيا وبقى عليه شئ لم يزهد فيه لم يكمل زهده ولذلك لما سئل الجنيد عمن لم يبق عليه من الدنيا الا النعم بمص النواة قال المكاتب عبد ما بقى عليه درهم أشار به الى ان من بقى عليه ما ذكر لم تكمل حريته من رق الشهوات (ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه) عن مولاه لان شغله انما هو بمولاه عمن سواه نقله القشيرى (وقال) القشيرى سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت (النصراباذى يقول) وهو أبو القاسم ابراهيم بن محمد شيخ خراسان فى وقته صحب الشبلى وأبا على الروذبارى والمرتعش وكان اماما محدثا وفيا مات بمكة سنة ٣٦٧ (الزاهد غريب فى الدنيا والعارف) بالله (غريب فى الآخرة) اى لان أكثر العمال لها انما يعملون خوفا من العقاب أو رجاء للثواب بخلاف العارف فانه بمعرفة جلال الله وعظمته وبحسن وجوب عبوديته لحق أمره ونهيه لا يترك العمل أصلا وهذا غريب قليل فى ابناء الآخرة (وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (علامة الزهد ثلاث) احداها (عمل بلا علاقة) اى خالصا لله تعالى لا لعلة من علل الدنيا ولا لخوف العقاب

وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخاء بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة فى الخروج من الملك وقال أيضا الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال أبو سليمان الصوف علم من أعلام الزهد فلا ينبغى أن يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفى قلبه رغبة خمسة دراهم وقال أحمد بن حنبل وسفيان رحمهما الله علامة الزهد قصر الامل وقال سرى لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال النصراباذى الزاهد غريب فى الدنيا والعارف غريب فى الآخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلاث عمل بلا علاقة

و رجاء الثواب في الآخرة فكمال زهده في الحظوظ العاجلة والآجلة أن يكون عمله لوجه ربه خاصة دون غيره (و) الثانية (قول بلا طمع) أي عاجل ولا آجل فيخلص في أقواله كما يخلص في أعماله (و) الثالثة (عز بلا رياسة) بان يكون عزيزا عن أن يذل نفسه في طلب الدنيا فيتعاطى الامور الخسيسة التي تزري بقدره فلا يكون عزه الا بمولاه وبما أغناه به بفضله عمن سواه وهذا القول نقله القشيري ولفظه وقال يحيى بن معاذ لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى تكون فيه ثلاث خصال فذكرها ولا يخفى ان المراد بحقيقته هي غلبة أحواله على القلب فلا يكون حدا جامعا للزهد ولذلك عبر المصنف عنها بالعلامة (وقال أيضا الزاهد لله) لكون قلبه امتلأ بهوان الدنيا عند الله وكثرة آفاتها بحيث انك تجد أكثر كلامه في بيان نقائصها كأنه (يسعطك) باطالها (الخل والخردل) من حيث انه يؤلمك بكلامه و ينكد عليك ما أنت فيه و يصغر قدرك (والعارف) بالله لكون قلبه قد امتلأ بمعرفته و بجماله و بجلاله وتوالي انعامه وافضاله على خلقه بحيث انك تجد أكثر كلامه في بيان ذلك كأنه (يشمك المسك والعنبر) من حيث انه يرغبك في نيل المقامات و يشرح صدرك بذكر فضل الله ونعمه على خلقه فكل من الزاهد والعارف تكلم بما غلب عليه من أحواله وهذا القول نقله القشيري هكذا ولفظ القوت ينشر عليك المسك والعنبر (وقال له) أي ليحيى ابن معاذ (رجل متى ادخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين) وفي بعض نسخ الرسالة وسئل أيضا متى أبلغ حقيقة الزهد وأقعد مع الزاهدين (فقال اذا صرت) أي وصلت (من رياضتك لنفسك في السر الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك في بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح) بينهم نقله القشيري في الرسالة وهو تنبيه على أنه لا ينبغي للعبد أن يقطع الاسباب و يتجرد عنها حتى يجد من نفسه قوة على الصبر على ألم الجوع نحو ثلاثة أيام ولا يجد منها الضعف عن عبادته والا كان مغرورا او معرضا نفسه الى سؤال الخلق ولا يخفى ان هذا من علامات الزهد لا انه من حقيقته (وقال أيضا الدنيا كالعروس) المجلوة تراها الابصار وتحبها القلوب وتمدحها الالسن من حيث ان الله تعالى خلقها وجملها بالمال والبنين وغيرها (ومن يطلبها) و يعمرها (ماشطتها) من حيث انه يدبرها احسنا للمغرورين (والزاهد فيها يسخم) أي يسود (وجهها و ينتف شعرها) الذي هو من جملة الزينة (ويخرق ثوبها) من حيث انه لما عرف نقصها وفناءها وقطعها العبد عن عبادته اشتغل بتزهيد الخلق فيها وتقبيح محاسنها (والعارف) بالله (يشتغل بالله) تعالى لا يلتفت اليها لكمال شغله بالله وبمعرفته وجماله وجلاله ومناجاته عن ذمها فضلا عن مدحها وهذا القول نقله القشيري أيضا وليحيى بن معاذ نتف كلام في مقام الزهد والمحبة غير ما ذكره المصنف وقد تقدم بعضه وسيأتي بعضه في خاتمة الكتاب (وقال السري السقطي رحمه الله تعالى (مارست كل شئ من أمر الزهد فنلت منه ما أريده كالزهد في المطعم والملبس والمنام وفضول الكلام (الا الزهد في الناس) أي في لقائهم والتبسط معهم والاستئناس بمحادثتهم (فاني لم أبلغه ولم أطقه) أي لعزته نقله القشيري وهذا أيضا من علامات الزهد وقد جعله بعض حدا له كما تقدم (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا) ولذلك جعل أساس كل خطيئة وقال بعضهم أصول الشر ثلاثة الحرص والحسد وحب الدنيا وفروعه ستة طلب الرياسة والفخر والثناء وحب الراحة والطعام والنوم (وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا) فاذا أعرض العبد عنها تيسرت له الخيرات كلها وهذا القول نقله القشيري في الرسالة بسنده قال سمعت محمد بن عبد الله يقول حدثنا محمد بن الحسين حدثنا محمد بن جعفر قال سمعت الفضيل بن عياض يقول فذكره وعزاه صاحب القوت الى سفيان الثوري والفضيل أي ان هذا القول قد روي عن كل منهما (فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه) وثمراته (واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل) لكونه شرطا فيه (فلنشرع في بيانه ان شاء الله تعالى) ولنختم هذا الباب بفصول فيها بيان لما أبهمه المصنف وتفصيل لما أجمله ومزيد لما أشار اليه تارة وتركه أخرى فنقول

وقول بلا طمع وعز بلا رياسة وقال أيضا الزاهد لله يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح وقال أيضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها و ينتف شعرها و يخرق ثوبها والعارف يشتغل بالله تعالى ولا يلتفت اليها وقال السري مارست كل شئ من أمر الزهد فنلت منه ما أريد الا الزهد في الناس فاني لم أبلغه ولم أطقه وقال الفضيل رحمه الله جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه ان شاء الله تعالى

(فصل) الورع لا يوصل اليه الا بعد الزهد فى الدنيا لانه اذا لم يزهد فى شئ لم يمكنه أن يرع عنه فاذا أعطى الزهد فيه وعوض من الرغبة بدلا منه سهل عليه الورع عنه فتركه زهدا فى الدنيا ورغبة فيما وعد الله وخيفة من المطالبة به وحبا الموافقة محبة الله بتركه ألم تسمع الى حسان بن أبى سنان وكان من خيار التابعين اذ يقول ما زاولت شيأ أيسر من الورع على قيل وكيف ونحن نظن أنه من أشد الاعمال فقال اذا رابنى أمر تركته فلما وهب له الزهد فيه وعوض عنه محبة الله به هان عليه الورع

(فصل) قال ابن مسعود رضى الله عنه لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحل بذروته ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب اليه من الغنى والتواضع أحب اليه من الشرف والذل أحب اليه من العز وحتى يكون مادحه وذامه عنده سواء فهذا هو تفسير حقيقة الزهد فى النفس وهو يستوعب كلية الزهد فى الدنيا والثلاث الاخر التى قرنها بالفقر هن من اخبات الفقير اذا كان صادقا زاهدا كان ذليلا فى نفسه متواضعا بنفسه لا يكترث بمدح ولا ذم لسقوط نفسه عنده واطراح الخلق عنده فهذا علم وجود اليقين الذى ضده علامة النفاق أن يكره الذم ويحب المدح وأما وهب بن منبه فقد جعل الزهد من استكمال العقل فقال لا يستكمل العبد العقل حتى تكون فيه هذه الخصال يكون الفقر أحب اليه من الغنى والذل أحب اليه من العز والتواضع أحب اليه من الشرف فهذا عقل العالمين بالله وهم عقلاء الموقنين وهو عقل هداية الآخرة المنوط بمعرفة الآخرة لا عقل الواله على الدنيا المرتبط بالعكوف على الخلق لقوة مشاهدة الخلق بعين اليقين ولضعف شاهد المعقول باستجلاب حظوظ النفس من الفضول فلذلك جعل ابن مسعود هذه الثلاث من حقيقة الايمان وذروته ولعمرى ان كمال الايمان واعلاه هو بكمال العقل ونهاه فالعقل مكان الايمان مثله كالفتيلة مكان المصباح فاذا حقق الايمان وكمل زيد فى تحقيق العقل وتكميله وكان معه الزهد بحقيقته

(فصل) قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى انما فضل الله الانبياء بما أعطاهم من العلم به وما زهدوا فى الدنيا مع القيام والصبر عليه فجعل العلم بالله معيارا على النبوة به تفاضل الانبياء وهو علم اليقين الكاشف لعين اليقين المتجلى به وصف الوحدانية وجعل سبب ذلك الزهد فالزهد مقتضى اليقين لانه موجب الزهد فهو عنه ولذلك فسروا الزهد باليقين

(فصل) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا باضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا ان لا تكون بما فى يديك أوثق بما فى يد الله وان تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك رواه الترمذى وقال غريب ضعيف من حديث أبى ذر ورواه البيهقى فى الزهد كذلك ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى الدرداء وروى الديلمى من حديث ابن عباس الزهد فى زمانى هذا فى الدنانير والدراهم وليأتين على الناس زمان الزهد فى الناس أنفع لهم من الزهد فى الدنانير والدراهم وروى أيضا من حديث أبى هريرة الزهد ان تحب ما يحب خالقك وان تبغض ما يبغض خالقك وان تحرج من حلال الدنيا كما تحرج من حرامها فان حلالها حساب وحرامها عذاب وان ترحم جميع المسلمين كما ترحم لنفسك وان تحرج عن الكلام فيما لا يعنيك كما تحرج من الحرام وان تحرج من كثرة الاكل كما تحرج من الميتة التى قد اشتد نتنها وان تحرج من حطام الدنيا وزينتها كما تحرج من النار وان تقصر املك من الدنيا فهذا هو الزهد فى الدنيا فهذه الاخبار الثلاثة جامعة لحقائق الزهد

(فصل) قال سهل التسترى رحمه الله تعالى الصديقون فى بدايتهم طلبوا الدنيا من الله فمنعهم فلما تمكنوا من أحوالهم عرضها عليهم فامتنعوا منها فالحال الاول موضع العصمة ان منعهم منها لضعفهم لئلا يهلكوا بقبولها فلما تمكن منهم ومكنهم عنده ردها عليهم لانهم قد صلحوا للاخذ آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين فلما ذاقوا حلاوة الزهد وجدوا نعيم الحب لم يكن عندهم للدنيا وزن ولا فى قلوبهم قدر فاعرضوا عنها لما عرضها عليهم بحسن اقبالهم عليه

(فصل) كان عون بن عبيد الله المسعودي يحكي عن طريقة السلف فقال ان من كان قبلكم كانوا انما يجعلون لدنياهم مافضل عن آخرتهم وانكم تجعلون لآخرتكم مافضل عن دنياكم أى لرجحان كفة الآخرة فى قلوبهم وغلبة أمرها عليهم ولقوة يقينهم يقدمون شأنها فيبدؤن بان ينقلوا من دار عنها يرتحلون الى دار فيها يقيمون أحسن مايدخرون و يقدمون لدار الحياة والبقاء المؤبد من محل الموت والفناء المؤقت المحدود أجود ما يقتنون اذ دارهم أمامهم وحياتهم بعد موتهم لانهم خلقوا للآخرة لا للدنيا وللبقاء لا للفناء ثم يجعلون مافضل من عيشهم لدنياهم لانه متاع فى الحال و بلاغ الى وقت وحين وهذا علامة حسن اليقين وهو يقين الزهد الذى صار الزهاد به زاهدين لا يقين الايمان الذى صار به المسلمون مؤمنين بنفي الشرك بالصاحبة والولد

(فصل) أصل الرغبة فى الدنيا من ضعف اليقين لان العبد لوقوى يقينه نظر بنوره الى الآجل فغاب فى نظره العاجل فزهد فيما غاب وأحب الحاضر فآثرما هو أعود عليه وأبقى وأنفع له ولمولاه أرضى وقدم ما يفنى و ينقطع الى مايدوم و يتصل وهذا هو صورة الزهد وشهادة الموقن لان الحاضر لا يحب ماغاب وانتقل ألم تسمع الى وصفه تعالى ابراهيم عليه السلام فى قوله لا أحب الآفلين بعد قوله ليكون من الموقنين فالموقن مأمور باتباع ملة ابراهيم وليس يشهد الوعد والوعيد بنور العقل انما يشهد بنور اليقين

(فصل) الزهد يكون بمعنيين ان كان الشئ موجودا فالزهد فيه اخراجه وخروج القلب منه ولا يصح الزهد مع تبقيته للنفس لان ذلك دليل الرغبة فيه وهذا زهد الاغنياء وان لم يكن الشئ موجودا وكان العدم هو الحال فالزهد هو الرضا بالحال والغبطة بالفقد وهذا زهد الفقراء وكذلك فى القدرة على الهوى لا يصح الا مع وجود الابتلاء به فتى قدر عليه فصبر عنه لمجاهدة نفس أو مدافعة وقت أو قطع سبب فذلك زهده فيه فاما أن يريد أن يزهد فيه أو يهم بتركه أو يعزم على قطعه فليس ذلك زهدا فيه بل نيات وارادات من غير حقيقة فمن أخرج من يده الشئ طوعا ونفسه تتبعه فله مقام فى الزهد بالمجاهدة ومن أمسك الشئ وأظهرت نفسه الزهد فيه بالارادة والهمة فذلك تأميل وممن يدخل فى باب نيات الخير لا فى المسارعة الى الخيرات ولا المسابقة بالقربات بالسعى لها والمنافسة فيها ولا مقام فى المنافسة لمن لم يتبع الارادة بالسعى والمعاملة ولا مقام فى الزهد لمن لم يردف الارادة باخراج المزهود فيه لان الامساك علامة الرغبة والرغبة ضد الزهادة فكيف يوصف بالشئ وضده فى حالة قائمة فالممسك للشئ المتوهم للزهد باظهار نفسه ذلك باحد وصفين اما أن لا يعرف الزهد أولا يعرف خفى شهوة النفس ولطيف تمنيها من معدن حسن ظنها بوصفها هذا ان لم يموه على الراغبين ولم يكذب على وجده لاجل خفى الرغبة فيهم والمخرج للشئ عن يده المخرج لقلبه منه هو المتحقق بالزهد فيه والممسك للشئ المغتبط بامساكه الذى همه فيه وقلبه عاكف عليه هو المتحقق بالرغبة فيه وكذلك كل من أمل شيأ وادخره لنفسه لا يكون زاهدا فيه حتى يخرجه من يده وقلبه استصغارا له وتعوضا منه

(فصل) قد يصح الزهد للعارف فى الشئ مع وجوده عنده اذا لم يقتنه لمتعة النفس ولم يتملكه ويسكن اليه بل كان موقوفا فى خزانة الله تعالى التى هى يده منتظرا الحكم الله فيه وصحة ذلك استواء وجوده وعدمه والمسارعة اذا رأى حكما لله أن ينفذه و يكون كانه لغيره من اخوانه أو سبيل من سبل الله وقد يصح الزهد مع الوجود ان دون العارف من المريدين اذا أمسك الشئ لاوقات حاجته واستعان به على آخرته أو يكف به نفسه عن الرغبة والطمع و يقمع به طبعه عن الشره والضرع و يكون سببا لقطع التشرف وحسم النفس من التصنع والتكلف وقد يكون هذا المقام للخصوص من العلماء بهذه النيات زائدا على مقامات من الزهد للمريدين قال عبد الرحمن بن مهدى خرج محمد بن يوسف الاصبهانى الى مكة ومعه مائة دينار وليس معه الا كساء أدبت وما رأيت مثله وكذلك يحي بن سعيد القطان ما رأيت مثله وقدمه على الثورى ولما

قدم عبد الجليل الزاهد الى واسط اجتمع اليه أهل العراق يسألونه عن الزهد فقال اصبروا حتى أبيع دقاق ثم حملته من البصرة وأتفرغ لكم للمسائل وكان يتجر فيجعل ثلثا لاهله وعياله وثلثا لاخوانه الفقراء وثلثا يرده فى تجارته وكذلك كان حال جماعة من زاهدى السلف فلم يكن ذلك ينقصهم عند العلماء وكان مزيدا فى حالهم وطريقا لهم الى مقامهم من الزهد وهو وصف الاقوياء من الزهاد

(فصل) خالص الزهد اخراج الموجود من القلب ثم اخراج ما خرج من القلب عن اليد وهو عدم الوجود على الاستصغار له والاحتقار والتقالل فبهذا يتم الزهد ثم ينسى زهده فى زهده فيكون حينئذ زاهدا فى زهده لرغبته فى مزهده وبهذا يكمل الزهد وهذا لبه وحقيقته وهو أعز الاحوال فى مقامات اليقين وهو الزهد فى النفس لا النفس لاجل الزهد ولا الرغبة فى الزهد الزهد وهذه مشاهدة الصديقين وزهد المقربين عند وجد عين اليقين ودون هذا مقامات اخراج المرغوب فيه عن اليد مع نظاره اليه وعلى مجاهدة النفس فيه وهو زهد المؤمنين والورع من الزهد كان الزهد من الايمان والقناعة باب من الزهد والرضا باليسير من الاشياء حال من الزهد والتقلل فى الاشياء مفتاح الزهد

(فصل)* قال بعض السلف ابى أهل العلم بالله أن يسمعوا الحكمة والوعظ الا من الزاهدين فى الدنيا وقالوا ليس أهل الدنيا لذلك أهلا ولا يليق بهم وفعله رجاء بن حيوة عالم الشام بلغنا انه كان يجلس الى رجل زاهد ببيت المقدس فيستمع اليه فجاء يوما الى مجلسه وقد اجتمع الناس فجلس وراءهم وهو يحسب انه فيهم فلما أبطأ تكلم شيخ فى المجلس وهو مؤذن ببيت المقدس لا بأس به فانكر رجاء صوته فقال من هذا المتكلم فقال الشيخ انا رحمك الله فقال اسكت عافاك الله فانا نهينا أن نسمع الزهد الا من أهله وقال نحوه سلمان لعمر بن الخطاب وذلك انه حمل اليه ابراد فكسا الصحابة بردا بردا فلما كان فى يوم الجمعة خرج فى بردين نخطب فلما قال فى وعظه الا اسمعوا فقام سلمان فقال والله لا نسمع قال ولم قال لانك كسوتنا بردا بردا وخرجت علينا فى حلة فقال رحمك الله انى غسلت ثوبى ولم يكن لى غيره فاستعرت هذا وهو برد عبد الله بن عمر فقال قل الآن حتى نسمع وهذا أبو عبد الله أحمد بن حنبل وهو من أئمة الدين لما سئل عن الصدق ماهو قال هو الاخلاص قال فما الاخلاص قال هو الزهد فقيل يا أبا عبد الله وأى شئ الزهد فسكت فقال سلوا الزهاد سلوا بشرا وقال أبو طالب الوراق دخلت عليه فى جماعة من أصحاب الحديث كنت قد نسخت لهم كتاب الزهد الذى جمعه لاقرأه لهم عليه فطرش لنا فى الدار حصير جديد ونزل البنا من غرفة له فلما قعد واخذ الاصل بيده أطبقه ثم قال يا أبا طالب الزهد لا يقرأ الا على الزهد وكشط الحصير الجديد من تحتنا وقعدنا على التراب

(فصل) يروى ان عمر رضى الله عنه خطب الناس فقال أنشد الله رجلا علم فى عيبا الا أخبرنى به فقام شاب فى المجلس فقال يا أمير المؤمنين فيك عيبان اثنان قال ماهما رحمك الله قال تذيل بين البردين وتجمع بين الادمين قال فما ذال بين البردين ولا جمع بين الادمين حتى لقى الله عز وجل هكذا يروى تذيل بالذال المعجمة وله معنيان أشهرهما أى تجمع بين ذيل ثوبك فيتفق ذيل البرد الاعلى مع ذيل البرد الاسفل لطوله واغرب الوجهين ان معنى تذيل تضع ثوبين معا أى تتركهما موضوعين لك ولا يبعد أن يكون بالدال المهملة والمعنى تبدل بردا ببرد دولة هذا ودولة هذا وأراد أن يكون له واحد لا بديل له بآخر

(فصل) تقدم قول الاحنف بن قيس ما كذبت كذبة الامرة وله قصة وهى انه وفد مع قومه من البصرة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فلما قاربوا دخول المدينة نزعوا ثياب سفرهم ومهنتهم ولبس كل واحد ثوبين جديدين أو غسيلين أو قال أبيضين قال وفعلت مثل ذلك فلما دخلنا اطراف المدينة نريد الدخول الى عمر جعل أهل المدينة يرمقوننا بأبصارهم و يعرضون وجعلوا يلحظوننا وتنبو أبصارهم عنا فسمعتهم يقولون أبناء دنيا قال فعلمت ان القوم ليسوا أمثالنا وانهم أهل الآخرة فعطفت رأس راحلتى

ونزعت ثوبى ورددتهما الى العيبة ثم أخرجت ما كنت خلعته من ثياب سفرى وبذلتى فلبسته ثم دخلنا على عمر قال فجعل الناس تنبو أعينهم عن أصحابى وينظرون الى من بينهم كأنهم يغبطونى قال فلما نظر اليهم عمر وكان أول يوم رأيته فاذا رجل عليه خلق مرقوع وعلى كتفه درة فلما وقفنا من بعيد أخذ كفا من حصى فحصبنابه قال ثم لحظنى بعينه فقال هذا نعم فادنانى وقربنى من بينهم وقال من أنت لله درك أو قال أبوك فقلت أنا الاحنف بن قيس التميمى فقال أنت سيد قومك قال واعجبه هيئتى فقام واتكأ على يدى فجعل يسألنى عن الطريق وعن الركاب وكيف كنا نسير بها الى أن وافى رحلها وموضع مناخنا فرمق عيبتى فرأى طرف الثوب خارجا فلمسه وذكر أول الخبر الذى تقدم ذكره

(فصل) روينا فى الاسرائيليات ان موسى عليه السلام وصف الزهد لبنى اسرائيل فقام اليه رجل منهم فقال يانبى الله أنا منهم قال أنت اذا تغديت تجد ما تتعشى قال نعم قال اجلس فلست منهم ثم قام اليه آخر فقال يانبى الله أنا منهم قال أنت اذا تغديت تجد ما تتعشى قال لا قال فلك ما تبيع قال نعم قال اجلس فلست منهم فقام اليه آخر فقال يانبى الله أنا منهم قال أنت اذا تغديت تجد ما تتعشى قال لا قال فلك ما تبيع قال لا قال فلك من يقرضك قال نعم قال اجلس فلست منهم ثم قام آخر فقال أنا منهم فقال له مثل ذلك الى أن قال فلك من يقرضك قال لا ولا أملك من الدنيا الا هذه الشملة من الصوف ولقد آذانى فيه الدواب وأنا استحيى من ربى عزوجل ان أنزعها فأقلبها وأتعرى بين يديه قال اجلس أنت منهم فهذا الذى أراده موسى عليه السلام من الزهد هو حقيقته وهو زهد أولى العزم من الزهاد وهذا الحال من عزائم الامور وتفصيل مقاماته ان للزهد فى حال الفقر مقامات *فالمقام الاول هو أن لا يجد الفقير معلوما غير ما حل فى جوفه وعلى ظهره وهذا هو حال الفقير الاول الذى قال له موسى لست منهم يعنى من أولى العزم من الزهاد اذ لم يكن حاله حال عزيمة الزهد لاجل وجد العوض المعتاد وهو فضل ما يبيعه من العوض فقام له مقام المعلوم من النقد والمقام الثانى من الفقر فى الزهد هو فقد العوض الذى هو عوض عن الناض وهذا حال الثانى *والمقام الثالث هو أن يعدم الاعراض والاعواض وليس هو حقيقة الفقر لاجل بقاء الاسباب التى تقوم مقام الاعواض وهو الجاه الذى يستقرض به فيقرض وهو أيضا سبب به يعرف لاجل معرفته اقترض فهذا يحجبه عن حقيقة الفقر وينقصه عن عزيمة الزهد فحسب موسى عليه السلام وجود الجاه له رغبة منه هى دون الله تعالى حتى يكون بالوصف الذى وصف الله به أولياءه فى الغاية من قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت فهذا مثل فقد المعلوم الذى تقوم به الاشياء وهو يعنى حال الاول ثم قال وضاقت عليهم أنفسهم فلم يبق له عوض يقوم مقام المعلوم الذى له قيمة شئ فيبيعه وهذا يعنى حال الثانى ثم قال وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه فهذا سقوط الاعواض بعد فقد الاعراض وعدم الجاه الذى هو سبب الاستقراض فلم يبق له جاه يعول عليه ولا معرفة من الخلق ولا سبب بينه وبينهم ينظر به اليه ولم يبق بينه وبين الله الى الله مأوى يسكن فيه ولا ظل يستظل به ولا ملجأ يستند اليه حينئذ قال الله تعالى بعد بلوغ الغاية ثم تاب عليهم ليتوبوا أى عطف عليهم لينعطفوا عليه ونظر اليهم لينظروا اليه وهذا وصف الثالث الذى قال له موسى عليه السلام أنت منهم اذ قد تحقق بالفقر وبلغ عزيمة الامر فلم يجد دون الله سببا منفصلا من مال ولا معنى متصلا من حال وهو الجاه والمنزلة الذى يقوم مقام الاعراض ويتسبب به الى الاسباب فهذا وصف فقير فقير ونعت غريب غريب الدار فى وطنه غريب الوجد من مسكنه غريب العلم من دمنه غريب الحال من أمته غريب فى غربته غريب فى تغربه غريب بغربه لا يعرفه ابناء جنسه متوحد بانيسه عن أنسه قد طمست نفسه فى رمسه وشغل بيومه عن غده وأمسه فهذا من وحش الملل فى داره وأنسه لزواره قد قرت عينه بقراره وفرمن ايلافه وفراره وصلحت روحه من أقذاره فهو موضع نظره ومعقل خبره وغيث بلاده وروح عباده ومن خالص وداده قد زهد فى زهده وعدم وجوده بوجده وفنيت نفسه عن جهده وبقيت روحه بوجده وكذلك

روينا

رو ينا ان داود عليه السلام سأل ربه عن المعرفة وكأنه تشوّق اليها فأوحى الله اليه أنت لابد لك من سبد ولبد ومن عرفني لم يسكن الى سبد ولبد والله الموفق

(فصل) قال صاحب القوت حدثني عبد الكريم بن أحمد حدثني جعفر بن محمد حدثنا الخواص عبد الله بن الحسين حدثني سعدون بن سهل بن عبد الرحمن المكي عن المغيرة بن قيس عن شهر بن حوشب عن أبي امامة قال أتينا على أهل ماء في سفر لنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واسود مولى لهم ميت بالامس ليس له ثوب يكفنونه وما عندهم غاسل يحسن غسله قد قطع به لايدرون كيف يأتون فهجمنا عليهم من الغد ظهرا وقد أروح وترك القوم خباءهم وخرجوا كراهية لجواره فكان أوّل من نزل منا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مشى حتى دخل عليه فجاءه القوم يعتذرون اليه من تركهم اياه فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام على بئر لهم عادية فتفل فيها فاستحالت عذبا فاسقينا وأمر عليا وأبا امامة فغسلاه وكفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بردة له مازاده عليها ثم صلى عليه وولي ادخاله في قبره على وأبو امامة فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية فقلنا ماهي يارسول الله قال انه كان اذا جاءه الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاءه الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه من قابل ثم قال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى منهما لم يبال مافاته من قيام الليل وصيام النهار الحديث وقد تقدم مرارا مختصرا على قوله من أقل ما أوتيتم اليقين الخ وسبق قول العراقي انه لم يجده فتنبه لذلك

(فصل) الزاهد في الدنيا مسجون مضيق عليه وليس كل من أراد وصل الى المسجون وكلما كان السجن أضيق عليه وأشد كان الوصول الى الزاهد أبعد وأشق ولذلك صار أولياء الله محجوبين عن الناس لايصل اليهم كل انسان الامن توصل أوتوسل على قدر تضايق السجون

(فصل) في سياق كلام يحيى بن معاذ الرازي في الزهد والمعرفة وقد تقدم بعضه ونذكر الآن ماوعدناه به قال حبك الدنيا حب بلاء وحبك الآخرة حب بلوى ومن رضي باختيار الله دام فرحه لان العارف من أخذ الآخرة بيمينه والدنيا بشماله وأقبل على الله بقلبه لايلهيه شئ ومادام يخاف من وقوع الدنيا عليه فانه لم يصل بعد وقعد اليه مرة رجل من الزهاد فجعل يحدثه الزاهد باحاديث في فضل القلة والفقر ويحيى ينظر الى وجهه كالمتعجب فلما قام قال لولم يعلموا المساكين بمثل هذه الاحاديث لتفقأت مرارتهم من الغم وكانوا لايصبرون على الفقر هيهات لم يتقدم القوم عند الله بفقر ولاغنى ولكن بالعلم والمعرفة قيل له وما عبادة العارف قال الدنيا دار سير الى الله تعالى فان لم يسر باعمال جوارحه فهو سائر بقلبه خطو القدم ذراع وخطو القلب ألف فرسخ وقال أيضا التماسك العطر في حوانيت الصيادلة جهل انما هو الشغل بالله عن الدنيا والآخرة معا وقال طلبوا العبودية في الزهد فلم يروها الزاهد أبلج من يرى يثبت على ترك الشئ أربعين سنة ولكنه كلما كان أبلج كان أصدق بما لم يوافق نفسه هواه في الاخذ فلا سبيل له اليه الا بالترك حتى يترك اخلاق العبيد ويتخلق معه باخلاق الاحرار ولا يوجد صدق العبودية الا في منازل المحبة والمعرفة وقال في تفسير قول عيسى عليه السلام ياعبيد الدنيا الا أنتم عبيد اتقياء يعني الزهاد ولا احرار أقوياء يعني العارفين وقال خض بحار المعرفة اليه تستهين جهد الزهد والعبادة في جنب ماتدفع اليه همم الاقوام للعقل عليه فان البهاء مع العبادة والكفاية مع الزهد والبصيرة مع العلم والجوائز السنية مع المعرفة وحكى مرة فقال التقى أحمد بن حرب وابن حضرويه وأبو حامد فقالوا لاحمد بن حرب ان جعلت لك الدنيا فما أنت صانع بها قال كنت أرضي بها خصماتي لئلا تلحقني تبعة يوم القيامة قالوا لابن خضرويه فما كنت صانعا بها أنت قال كنت اجعلها كلها لقمة واضعها في فم مؤمن فاستريح منها قالوا لابي حامد فما كنت تصنع بها أنت قال كنت اجعلها الطلاب الآخرة فاحوز ثواب ذلك قال يحيى اما ابن حرب فانطقه لسان العصاة ودوجته

درجة التوابين وأما ابن خضرويه فانطقه لسان المحبة ودرجته درجة المشتاقين وأما أبو حامد فانطقه لسان الشفقة ودرجته درجة الزاهدين قيل ليحيى بعد ذلك ما كنت صانعا بها قال وما حكم العبد فى مال سيده انتظر قضاءه فيها فاصرفها فيه فهو أعرف بالتدبير وكان يقول الزاهد عيشه الى يوم واحد والعارف أسقط الامل أصلا لان حياته بيد غيره وقال من صدق فى الترك عذر فى الاخذ يعنى الدنيا وقال الصوف لباس العجم ما رأيته على أحد استبرع عقله وقال نفور العارفين من الزاهدين أكثر من نفور الزاهدين من الراغبين وكان يقول الدنيا كلها لا تعدل عند ربها جناح بعوضة فكم مقدار ما تركت منها ينبغى لك ان تضعها على طبق وتقول ما صنعت شيأ لانه لو عرف قدر المزهود من المعرفة لم يذكر الزهد وقال ترى الزاهد اذا دخل فى الزهد جوّع نفسه وباع شيأه كله من الخوف من الدنيا الايسك حتى اذا قوى يقينه ورأى الامر كائنا وجوده بغير الاسباب عرف من بعد وندم على كثير مما كان باع من كتب ومتاع وقال الزهد كله غصن من أغصان شجرة المعرفة وقال انما يتركون ويحزنون ليفرحوا ويأخذون ويفرحون ليفرح فاعلهم تركوا وأخذوا وحزنوا وفرحوا اذا كان فرحه موجود الهم فى الحالتين فقيل له هو يفرح قال نعم أليس فى الخبر لله أفرح بتوبة عبده من رجل أضل بعيره الحديث وقال يا زاهد ان كنت تعجب ممن ترك الجنة فى جنب دنياه فالعارف أشد تعجبا حين شغلتك الجنة عن خالقها وكل حالة تفتخر بها فى سيرك اليه الا كسرها عليك الوصول ليكون فخرك به لا بغيره قال صاحب القوت وجملة الامر ان يحيى بن معاذ لم يكن يتكلم بلسان الزهد ولم يكن عمله يصلح للمريدين ولا للسالكين لانه لم يكن من علماء الطريق وقد هلك بمثل هذا فريق توهموا مقام المعرفة وتظننوا حال العارف حتى فاتهم بذلك مقام الزهد ولم يدركوا حال العارفين وأولى الاشياء بالعاقل مراعاته لما هو حاصل ومعرفته بقدر حاله وأعمال نفسه فى سر اختلاله وقال فى موضع آخر وأما طريق يحيى بن معاذ وبعض العارفين فى شأن الدنيا فان من لم يتملك الملك لم يضره ما ملك بعد أن لا ينظر الى نفسه فيه كما لا يشهده له بل يجده فى خزانة الله التى هى يده وتمليكه ويكون موقوفا فيها الى تنفيذ حكم الله فيه من وضعه فى مواضعه واخراجه فى أوقاته الى أهله فهذا مستودع يؤدى الامانة فيه ووكيل مستخلف يطيع الموكل به فمقام هذا من التوحيد وشهادته بعين اليقين يزيد على مقامات الزاهدين وهذا وصف الصحابة الاعلمين وكان يقول لا تأمن مكره ولا تغترن انظران لا تكون قد تركت الزهد والعبادة ظنا منك بانك قد وصلت الى درجة الحب والمعرفة فتصير فى القيامة عاريا منها كلها الا فى منازل العارفين ظهرت ولا فضل الزهد والعبادة أدركت هذا مع قوله اذا صح الزهد خرج شهوة النساء من قلبه فلم يردهن فاذا أقيم مقام المعرفة ردوها عليه وقال مرة اذا زهد ترك الشهوات فاذا عرف عاودها ويكون وجده أفضل من تركه وقال اذا صح زهده لم يلحظ من الدنيا مشتهيا له فاذا لحظه قالوا خذه فيجعلونه عليه لان قلبه قد وقع عليه قال وكذلك اذا عرف لم يلحظ من الآخرة شيأ بقلبه فان وقع قلبه على شئ منها جعل له كأنه يقول اذا صح تركه للدنيا والآخرة لاجل الله فانه يردهما عليه اذا الله تعالى لا يعبأ بهما شيأ وكان يقول الزهد يورث السخاء بالنفس عن الآخرة وحب الله يشغل عن الدارين جميعا وقال ترك الدنيا مهر الآخرة ونفسك خير من الدنيا فلا تبعها بها ومن علامة المعرفة بهذا بيع الدنيا كلها فى جنبها وقيل له ما غاية الزهد فقال ان لا يحب من الدنيا ما يلزمه حفظه

(فصل) الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد فى الصبر ويديم الجوع والفقر فيكون هذا رزقا للزاهد من الآخرة على هذه الصفة من حرمان نصيبه من الدنيا وحمايته عن التوسع فيها ويكون الزهد سببه فيكون ما صرف عنه ومنعه من الدنيا من الغنى والتوسع رزقه من الآخرة والدرجات العلى بحسن اختيار من الله تعالى وحيطة نظر واعل بطالا لاعبا يحتج لتوسعه بهواه فيقول ان الزهد فى الدنيا لما لم ينقص من رزقى شيأ قد فتح لى مقاما مع التوسع والاستكثار لانى انما آكل رزقى وآخذ قسمى فلى من الزهد مقام ومن الرضا والتوكل حال يزخرف على من لا يعرف الزهد ويغر بمقاله من لا يعرف طرائق الزاهدين ولعله ممن يأكل الدنيا

بالدين

بالدين فسمى الاحتجاج لنفسه بهواه والاعتزاز عند الجاهلين زهدا خيفة لومهم اياه فكان ذلك معه احتجازا عن الزهد لزهده في الزهد وقوة رغبته في الرغبة ولا يعلم المغرور بدار الغرور انه وان كان يأكل رزقه من الدنيا ويأخذ قسمه من العطاء فبحكم البعد والبغض وبوصف الرغبة والحرص لان السارق والغاصب أيضا يأكل رزقه ويأخذ قسمه ولكن بحكم المقت وسوء الاختيار اذ كان الله سبحانه يرزق الحرام للظالمين كما يرزق الحلال للمتقين وانما بينهما سوء القضاء للاعداء وحسن التوفيق والاختيار للاولياء فقد حرم المدعى لذلك رزقه من الزهد وبخس نصيبه الاوفر من حب الفقر ونقص حظه الافضل من الآخرة اذ كانت الدنيا ضدها وجعل ما صرف فيه وما صرف اليه سبب النقصان مرتبته من طريق الزاهدين وانه قد اختبر بالدنيا وبما فتح عليه من السراء ليظهر صدقه من كذبه فوقع في الفتنة ولم يفطن للابتلاء وصارت مشاهدته هذه عن وجوده حجابا له عن علوم العارفين فاستدرج بعلمه هذا وعدل به اليه عن علوم الخائفين ومشاهدة الورعين الزاهدين هذا اذا كان صادقا في مشاهدته تلك وان كان كاذبا في دعواه فهو من أولياء الشيطان ومن المحرومين الغافلين قد مكر به وعدل عن علوم الموقنين وقد قال بعض العارفين من كتم ما يجده من آفات نفسه عوقب بادعاء منزلة لم يبلغها نعوذ بالله من الاغترار بعلم الاظهار ونسأله التوفيق لمشاهدة علم التحقيق

(فصل) الزهد في الدنيا على ثلاثة أحوال رجل قد غلبها موجودة ومفقودة ورجل قد غلبته موجودة ومفقودة ورجل قد غلبها مفقودة وغلبته موجودة تفسيره ان من الناس من قهر هواه وملك نفسه وشهوته وهو قادر عليها وهي موجودة له فذلك أحرى أن يغلب نفسه فيما فقد من الدنيا وغاب عنه وهذا مقام الصديقين والثاني قد غلبته نفسه وأهواه الهوى وأمالته الشهوات موجودة اذا قدر عليها ومفقودة له بالاهتمام بها والفكر والخواطر فيها والارادة لها فهذا ساقط لاقط لا مقام ولا وصف وهذا حال الجاهلين ونعت الغافلين والثالث قد غلبته نفسه في الموجود من الهوى والحاضر من الشهوة فاذا غاب ذلك عنه غلبها في العدم وملكها عند الفقد وهذا حال المجاهدين وطريق السائرين ونعت المريدين وقد قيل ليحيى بن معاذ أيصل العبد الى درجة يسلم فيها من الذنب ومن الزهد الى درجة يستغني فيها عن الدنيا فقال هذا لا يكون لا يستغني عن الدنيا أحد وانما وقع التفاضل بين الناس على القليل والكثير فازهدهم فيها أقلهم حظا منها كما لا يسلم من الذنب أحد ولكن أفضلهم أقلهم ذنبا وكان رحمه الله يقول في العدل قولا فصلا قال ان زهادكم يأمرونكم بان يكون الدرهم أوّل شئ تتركونه من الدنيا وأنا آمركم أن يكون الدرهم آخر شئ تتركونه منها قيل له لم ذلك قال لان الدرهم معلق على شهوة النفس والشهوة معلقة على النفس فترك الدرهم من قبل ازالة الشهوة عن النفس بالسياسة خطأ ودخول في الطمع لمن عنده الدرهم ووقوع البلاء حتى اذا زالت بحسن السياسة هذه الشهوة عن نفسك ذهب عنك حب الدرهم شئت أم أبيت ضرورة اذ كانت علة حبك له الشهوة والشهوة قد ذهبت وبالدرهم يتم أمر هذه السياسة فلهذا قلت اجعل الدرهم آخر شئ تتركه بعد الفراغ من النفس واعلم أن امساك الدرهم على هذا التدبير لا يكون علاقة ولكنه يكون سياسة يصلح به وكان يقول راحة الابدان في زهد القلوب ومشقة الابدان في حرص القلوب وقال طلبت الدنيا فلم أسترح وطلبت العلو فلم أسترح وطلبت العبادة والعلم فلم أسترح ودخلت في الزهد واستوطنت الثقة بالله فاسترحت وكان يقول مادامت شهوة النفس معك فأنت مطية الدنيا وتساق المطية حيث يريد صاحبها الاحيث تريد هي واذا ذهبت الشهوة فالدنيا مطيته يسوقها حيث يريد وقال بعض أهل المعرفة ان الله لا يرضى ممن عرفه أن يعلق بشئ دونه فان فعل ذلك غمه الله ولوعه من ذلك حتى يرجع اليه ويقال ان من صح زهده في الدنيا حتى يستوى عنده ذهبها وحجرها مشى على الماء وفيه قال الشاعر

لو كان زهدك في الدنيا كزهدك في * وصلي مشيت بلاشك على الماء

وقال يحيى بن معاذ أولياء الآخرة ثلاثة قانع وزاهد وصديق فالقانع المحترف الطالب للحلال المنفق على

السبيل والسنة النازل عن جناح الرغبة فى طلب الفضول من حطام الدنيا والزاهد التارك للطلب ومعه شهوته فان أصاب نعيم الدنيا من غير كلفة أكل ونكح وان منع صبر ورضى والصديق هو واجد النعيم لا يريده لمزايلة الشهوة اياه وقال أيضا ليس بزاهد من استخدم غيره بما يصل هو الى فعله وقد قال أبو سليمان لاحمد بن أبى الحوارى اذ قال قلت لبعض أصحابنا اسقنى ماء فناولنى شربة فقال لى أبو سليمان رأيت من زهد فى الدنيا يستخدم و يقول اسقنى ماء وكان يحيى بن معاذ يدخل العلم والعبادة فى الزهد يجعل الثلاثة كالشئ الواحد لا يتم بعضه الا ببعض فقال الزهد والعبادة والعلم مثل الثوب سداه الزهد ولحمته العبادة ونساجه العلم لا يلتحم الثوب بغير هذه الثلاث كذا لا يلتحم أمر الآخرة الا بالثلاثة وكان يحيى بن معاذ يقول اذا وصل فرح فاذا اتصل استأنس فقيل له نراك تفرق بين الوصول والاتصال فتجعل الاتصال أعلى وأقرب فقال اضرب لكم مثلا رجل سار طريقا وقصد ملكا كريما ثم وصل اليه حتى اذا قدم عليه فقد وصل ثم يتصل بمنادمة الملك شيأ بعد شئ يتقرب به اليه و يقرب منه حتى يدنيه الملك و يؤنسه فالسير والتعب لقطع المنازل والفرح فى الوصول والانس فى الاتصال والاتصال كان مقام أبى يزيد والوصول كان مقام يحيى بن معاذ رحمة الله عليهما

(فصل) قال أبو يزيد البسطامى حقيقة الزهد لا يكون الا عند ظهور القدرة والعاجز لا يصح زهده وهو أن يعطيه كن و يطلعه على الاسم و يقدره على الاشياء باظهار الكون فيزهد فى ذلك حبا لله تعالى أن يعمل عملا و يتركه حبا لله تعالى أن يقوم مقام القدرة وكشف هذا المقام يخرج الى علم غريب لا يعرف وسر عجيب لا يوصف وفقنا الله واياكم لما يحب و بلغنا ما نؤمل منه بفضله ورحمته وهذا آخر شرح كتاب الفقر والزهد ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم نجز ذلك على يد مسوده أبى الفيض محمد مرتضى الحسينى تاب الله عليه بمنه فى ضحوة نهار الاربعاء لتسع بقين من شوال سنة ١٢٠٠ حامدا لله مصليا مسلما مستغفرا

(كتاب التوحيد والتوكل وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر)

الحمد لله الذى من توكل عليه كفاه ما نابه * ومن عمل صالحا هداه التوحيد وأثابه * ومن لجأ اليه بفقره وزهده نفى عنه ما أرابه * أحمده على عظيم احسانه * وتوالى فضله وامتنانه * حمدا يكون موجبا لحسن المزيد * ومقربا الى الثواب العتيد * وأومن به ايمان من رجاه موقنا * وخضع له مذعنا * وأخلص له موحدا * ولاذ به راغبا مجتهدا * وأشهد أن لا اله الا الله الها ألهم الصواب * وأجزل للمتوكل عليه الثواب * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله * وصفيه وخليله * الذى بعثه بالحق * وأرسله رحمة للخلق * واختصه بعقائل كراماته * واصطفاه لمكارم رسالاته * وأوضح به اشراط الهدى * وجلا به غربيب العمى * صلى الله عليه وعلى آله الابرار * معادن العلوم والاسرار * وعلى أصحابه الاماثل الاخيار * وعلى كل انسان من التابعين لهم باحسان * ما افتر روض بسيم * ولاح وجه وسيم * وسلم تسليما كثيرا كثيرا وبعد فهذا شرح

(كتاب التوحيد والتوكل)

وهو الخامس من المنجيات والخامس والثلاثون من كتب الاحياء للامام الربانى * والغوث الصمدانى * حجة الاسلام أبى حامد المستوجب للمحامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى روى الله بالرحمة ثراه * وأجزل من المغفرة قراه * يلعب بالباب أولى النهى * و يشوق الاحباب الى بلوغ درجة المنتهى * اذ قد بين ما أبهم من الفوائد الرجيحة * لذوى الافهام الصحيحة * ورفع نقاب كلماته الفصيحة * وأرى فى تلطيف الطباع ما أورده على سبيل النصيحة وقد أعرضت فيه عن التطويل اختصارا * واقتصرت على ما سأورده اقتصارا * ايثارا فى التخفيف * لا رغبة فى التطفيف * على ان صوت المصنف جهير * وفضله بين العلماء شهير * فكم له من اشارات تلفى وحكم تثبت ولا تنفى * و باقيات تقرب الى الله زلفى * والله تعالى أسأله الاعانة والامداد * والهداية الى سبيل

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله مدبر الملك والملكوت المنفرد بالعزة والجبروت الرافع للسماء بغير عماد المقدر فيها أرزاق العباد الذى صرف أعين ذوى القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع هممهم عن الالتفات الى ماعداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علما بانه الواحد الفرد الصمد الاله وتحقيقا بان جميع أصناف الخلق عباد أمثالهم لا يبتغى عندهم الرزق وانه مامن ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما تحققوا انه لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا عليه فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قاطع الاباطيل الهادى الى سواء السبيل وعلى آله وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالى درجات المقربين وهو فى نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك فى التوحيد والتثاقل عنها بالكلية طعن فى السنة وقدح فى الشرع والاعتماد على الاسباب من غير أن ترى أسبابا تغيير فى وجه العقل وانغماس فى غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع فى غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب

السداد * انه ولى كل احسان * والملى بكل امتنان * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) معين كل موحد متوكل ذى قلب سليم (الحمد لله المدبر للملك) وهو عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية (والملكوت) وهو عالم الغيب المختص بأرواح النفوس (المنفرد بالعزة) وهى الغلبة الآتية على كلية الظاهر والباطن (والجبروت) وهو عالم الاسماء والصفات الالهية (الرافع للسماء بغير عماد) تعتمد عليه (المقدر فيها أرزاق العباد) وأقواتهم الحسية والمعنوية يشير بذلك الى قوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون (الذى صرف أعين ذوى القلوب والالباب) المشاهدين بأنوار الغيوب حقائق الامور (عن ملاحظة الوسائط والاسباب) الجلية والخفية (الى مسبب الأسباب) وأصل السبب مايتوصل به الى الاستعلاء ثم استعير لكل شئ يتوصل به الى أمر من الامور فقيل هذا سبب هذا وهذا مسبب على هذا (ورفع هممهم عن الالتفات الى ماعداه و) عن (الاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه) كل ذلك لكمال توحيدهم ومزيد توكلهم كما بينه المصنف بقوله (علما) منهم يقينيا (بانه) تعالى (الواحد) فلا يصح عليه التجزى ولا التكثر ولا بينه وبين غيره نسبة بوجه (الفرد) فلا يختلطه غيره (الصمد) الذى يصمد اليه فى الامور ويعتمد عليه (الاله) جل وتقدس عن الاشباه (وتحققا) منهم (بان) جميع (أصناف الخلق) أحمرها وأسودها (عباد أمثالهم لا يبتغى) أى لا يتطلب (عندهم الرزق) كما أخبر به سبحانه فى كتابه وهو الحق فى آيتين الاولى قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم والثانية قوله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه (وانه مامن ذرة) من ذرات الوجود (الا الى الله خلقها) أى ابداعها وتقديرها كما قال تعالى (ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها) ويعلم مستقرها ومستودعها (فلما تحققوا انه لرزق عباده ضامن) أى ملتزم باعطائه اياهم (وبه كفيل) محيط بجميع جهاته (توكلوا عليه) فى سائر الامور ولم يخشوا أحدا سواه كما قال تعالى فى شأنهم فزادهم ايمانا (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء (والصلاة على) سيدنا (محمد قاطع) خبيثات (الاباطيل) بسيف الحق والاباطيل جمع باطل وهو كل مايضاد الحق (الهادى) أى المرشد (الى سواء السبيل) وهو سبيل التوحيد والتوكل (وعلى آله) وصحبه (وسلم تسليما كثيرا) وفى بعض النسخ وعلى آله وأصحابه دون قوله وسلم تسليما كثيرا وفى الجمل المذكورة من أول الخطبة الى آخرها براعة الاستهلال مما لا يخفى على الممارس المتأمل لما تضمنه هذا الكتاب (أما بعد فان التوكل منزل) منيف (من منازل الدين ومقام) شريف (من مقامات الموقنين) وهو السابع من مقامات اليقين على النسق الذى أورده صاحب القوت (بل هو من معالى درجات المقربين) ولفظ القوت من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين (وهو فى نفسه غامض من حيث العلم) ولغموضه اختلفت أقوال المشايخ فى حده (ثم هو شاق من حيث العمل) به (ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها) بعد ملاحظتها (شرك فى التوحيد) عند أهله (والتثاقل) وفى نسخة التباعد (عنها) أى عن الاسباب (بالكلية طعن فى السنة وقدح فى الشرع) فان غالب المأمورات الشرعية مبناها على الاسباب (والاعتماد على الاسباب من غير ان ترى أسبابا تغيير فى وجه العقل) فان العاقل كيف يعتمد على شئ وهو لا يرى به (وانغماس فى غمرة الجهل) والغمرة معظم الماء (وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع فى غاية الغموض) أى الخفاء (والعسر) أى الشدة (ولا يقوى على كشف هذا الغطاء) أى رفع هذا الحجاب (مع شدة الخفاء الا سماسرة العلماء) أى الجهابذة النقاد (الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب) أى

الاظهار والافصاح (عما شاهدوه) ببصيرتهم (من حيث استنطقوا) أى طلبوا البيانه (ونحن الآن نبتدئ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة) والتوطئة (ثم نردفه بالتوحيد فى الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله فى الشطر الثانى) منه بعون الله تعالى وحسن توفيقه

(بيان فضيلة التوكل)

ولواحقه التفويض والتسليم والثقة والرضا (أما من الآيات) القرآنية (فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) فمع شرفه قد أوجبه على سائر المؤمنين لان الايمان يوجب على المؤمن مدلوله ومدلولات الايمان هى الناشئة عن نفس الايمان بحسب الملاحظات فمن لاحظ عن زيد انه قائم بالامر عوّل عليه واعتمد على كفايته وان لاحظ مع كونه قائما بالامر انه حكيم فى علمه وأفعاله فيما يقدم و يؤخر وفيما يرفع و يخفض سلم الامر اليه واستسلم لحكمه لان التفويض معناه ترك اختيار العبد لحسن اختيار الله له والاستسلام هو انقياد العبد واذعانه لما اختاره الله له و بما حكم به عليه من الامر والنهى وملازمة الحدود التى حدها الله وان لاحظ مع ذلك كمال صدقه ووفاء وعده وثق به لان الثقة نتيجة التصديق ومعناه الربط على القلب وعدم الانفصام على ما حواه من التصديقات فالثقة اذا على هذا مكملة لجميع المقامات والاحوال ولهذا قال أبو اسمعيل الهروى الثقة سواد عين التوكل ونقطة دائرة التفويض وسويداء قلب التسليم وان لاحظ بعد ذلك الوهية مال اليه بوجهه وانصرف اليه بكليته وان لاحظ المعنى الجامع لصفات ألوهيته هو المعبر عنه بقولك الله حصل الدهش والتحير فهكذا ينبغى أن يفهم ملاحظة مدلولات الايمان وقال صاحب القوت وقد أمر الله بالتوكل وقرنه بالايمان ليدل بذلك انهما شيآن اذ التوكل على الوكيل هو من الايمان بالمؤمن لانه عن حقيقة الايمان وهو اليقين و بمشاهدة الوكيل وهو الحسب الحسيب ونعم الوكيل فأمر بالتوكل قولا وفعلا بعد الاخبار عن محبته للمتوكل عليه فقال تعالى قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا مع اشتراط التوكل للايمان بعد الامر به فى قوله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وفى قوله ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فلم يخرج عموم المسلمين من شرط عموم المتوكل كما لم يخرج خصوص المؤمنين من شرط وجود الاسلام وكما كل مؤمن حقا مسلم لا بد عملا كذلك كل مسلم صدقا يكون على الله متوكلا فقد صار المتوكل من عباد الرحمن الذين أضافهم الى وصف الرحمة ومن عباد التخصيص الذين ضمن لهم الكفاية وهم الذين وصفهم فى الكتاب بالهون والسكينة ونعتهم بالسلامة والخوف وذكرهم بالسجود والقيام ومدحهم بالاقتصاد والقوام فى قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر الآيات (وقال عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فرفع المتوكلين اليه وجعل مزيدهم منه (وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه عمن سواه (وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين) فجعل المتوكل حبيبه وألقى عليه محبته (فاعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه فمن) كان (الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه) فهو شافيه ومعافيه فلا تسأل عما هو فيه (فقد) تناهى من كان بهذا الوصف فى حسن المراعاة و (فاز الفوز العظيم) الابدى المقيم (فان المحبوب) المراعى (لا يعذب) بنار الفراق (ولا يبعد) عن حضرة الوصال (ولا يحجب) عن المشاهدة (و) هذا الذى (كفاه) فى هذه الدار المهمات ووقاه بتفويض أمره اليه السيئات كما قال تعالى أليس الله بكاف عبده مع قوله وأفوض أمرى الى الله فوقاه الله سيئات ما مكروا (وطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب لهذه الآية فانه سؤال فى معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا) قال أبو يعقوب السوسى أول التوكل المعرفة بالوكيل وانه عزيز حكيم يعطى لعزته و يمنع بحكمته فيصبر العبد لعزه و يرضى بحكمه و يستسلم لحكمته كذلك أخبر عن نفسه ونبه المتوكلين عليه اذ (قال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم أى عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه

والتجا..

عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن الآن نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد فى الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله فى الشطر الثانى

(بيان فضيلة التوكل)

(أما من الآيات) فقد قال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه وتعالى ان الله يحب المتوكلين وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقال تعالى أليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب لهذه الآية فانه سؤال فى معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا وقال عز وجل ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم أى عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه

والتجأ الى ذمامه وحماه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره) وفى القوت عزيز يعز عن الذل
لعباده حكيم يعلم من حكمته فيغنيه عن التعلم من خلقه (و) لما أيقن المتوكل أن بيد الوكيل ملكوت كل شئ
وانه علام السمع والبصر ويقلب القلوب والابصار بتقليب الليل والنهار فك أسره من الوثاق فترك دعاء مثله من
العباد واعتزلهم وذهب الى ربه فهداه وعمن سواه أغناه اذ سمع ما (قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله
عباد أمثالكم) وقال تعالى انى ذاهب الى ربى سيهدين وقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
وهبناله (بين ان كل ماسوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه وقال تعالى ان
الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه) فطالب الرزق من حيث
العبادة فكان المعبود هو الرزاق (و) اذا شهد العبد ربه قائما بالقسط والتدبير قيوما بالتصريف والمقادير عنده
خزائن كل شئ غابت الرسوم فى نور شهادة الواحد القيوم ثم شهد الوكيل قابضا على نواصى المماليك والموكلين
بالاسباب ورأى عنده خزائن السموات والارض ارتقى فى الاسباب الى العزيز الوهاب كما (قال تعالى ولله
خزائن السموات والارض) فغابت خزائن الارض من الايدى والقلوب والاسباب فى خزائن السماء من
الاقدار والاحكام والابواب وغابت الخزائن السمائيات فى ملكوت القبضة وعزة القدرة فمن خزائن
السموات ماحكمه من الاقسام والارزاق ومن خزائن الارض مارسمه من الاعلام والارفاق ثم قال تعالى
(ولكن المنافقين لا يفقهون) وذلك لقولهم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فاشهدوا ان
الخلق ينفقون فمنعوهم من الاعطاء فرد الحق شهادتهم وأضاف الخزائن والعطاء اليه ووصفهم معطين
النفقة عنه (وقال تعالى) ثم استوى على العرش (يدبر الامر مامن شفيع الا من بعد اذنه) وغير ذلك من
الآيات وهى كثيرة (وكل ماذكر فى القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل
على الواحد القهار * وأما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه ابن مسعود) رضى الله عنه وهو
فيما رواه المصنف عن امام الحرمين عن أبيه عن أبى القاسم القشيرى قال أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن
فورك حدثنا عبد الله بن أحمد بن جعفر الاصبهانى حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسى حدثنا
حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
(أريت الامم فى الموسم فرأيت أمتى قد ملؤا السهل والجبل فاعجبتنى كثرتهم وهيئتهم فقيل لى رضيت قلت نعم
قال ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يارسول الله قال الذين لا يكتوون ولا
يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة) بن محصن الاسدى رضى الله عنه (وقال يارسول
الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال صلى الله عليه
وسلم سبقك بها عكاشة) هكذا رواه القشيرى فى الرسالة وقال العراقى رواه ابن منيع باسناد حسن واتفق
عليه الشيخان من حديث ابن عباس اهـ قلت رواه الشيخان من طريق حصين بن عبد الرحمن عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس بلفظ عرضت على الامم فرأيت النبى ومعه الرهط والنبى ومعه الرجل والرجلان
والنبى ليس معه أحد اذ رفع لى سواد عظيم فظننت انهم أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ولكن انظر الى
الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى انظر الى الافق الآخر فاذا سواد عظيم فقيل لى هذه أمتك ومعهم
سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قيل من هم يارسول الله قال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون
ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون ثم ذكر قول عكاشة وقوله صلى الله عليه وسلم أنت منهم الى
آخره ورواه كذلك أحمد وأما لفظ حديث ابن مسعود عرضت على الانبياء بأممها فجعل النبى يمر ومعه الثلاثة
والنبى ومعه العصابة والنبى ومعه النفر والنبى وليس معه أحد حتى عرض على موسى معه كبكبة من بنى
اسرائيل فاعجبونى فقلت من هؤلاء فقيل هذا اخوك موسى ومعه بنو اسرائيل قلت فاين أمتى قيل انظر عن
يمينك فنظرت فاذا الظراب قد سد بوجوه الرجال ثم قيل لى انظر عن يسارك فنظرت فاذا الافق قد سد بوجوه

والتجأ الى ذمامه وحماه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم بين أن كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه وقال تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال عز وجل ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال عز وجل يدبر الامر مامن شفيع الا من بعد اذنه وكل ماذكر فى القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار *(وأما الاخبار)* فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رأيت الامم فى الموسم فرأيت أمتى قد ملؤا السهل والجبل فاعجبتنى كثرتهم وهيأتهم فقيل لى أرضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يارسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة وقال يارسول الله أدع الله أن يجعلنى منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال يارسول الله أدع الله أن يجعلنى منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة

الرجال فقيل لى أرضيت فقلت رضيت يارب رضيت يارب فقيل ان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فدى لكم أبي وأمي ان استطعتم ان تكونوا من السبعين الفا فافعلوا فان قصرتم فكونوا من أهل الظراب فان قصرتم فكونوا من أهل الافق فانى قد رأيت اناسا يتهارشون كثيرا انى ارجو ان يكون من يتبعنى ربع أهل الجنة انى لارجو ان تكونوا شطر أهل الجنة فقام عكاشة فقال ادع الله لى يارسول الله ان يجعلنى من السبعين ألفا فدعا له فقام آخر فقال ادع الله لى ان يجعلنى منهم فقال قد سبقك بها عكاشة فقيل من هؤلاء السبعون الفا فقال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون رواه هكذا عبد الرزاق وأحمد والطبرانى والحاكم وعند الطبرانى وعمر بن شبة من طريق نافع مولى بنت شجاع عن أم قيس ابنة محصن قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى حتى أتينا البقيع فقال يا أم قيس يبعث من هذه المقبرة سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فقام رجل فقال انا منهم قال نعم فقام آخر فقال أنا منهم فقال سبقك بها عكاشة وأم قيس هذه أخت عكاشة صحابية طال عمرها وللطبرانى فى الكبير مختصرا يا أم قيس أترين هذه المقبرة يبعث الله منها سبعين ألفا يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يعنى البقيع وقد روى الديلمى حديث ابن مسعود مختصرا يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر (وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله) بان تعلموا يقينا ان لا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع من الله ثم تسعون فى الطلب على الوجه الجميل (لرزقكم كما ترزق الطير) بضم المثناة الفوقية على صيغة المجهول زاد فى رواية فى جو السماء (تغدو خماصا) جمع خميص أى ضامرة البطون من الجوع (وتروح) أى ترجع (بطانا) جمع بطين أى ممتلئة البطون وانما مثل بالطير لان الاركان المجتمعة فى الابدان طوائر تطير الى أوكارها ومراكزها فاخبر بان الرزق فى التوكل على الله لا بالحيل والعلاج قال العراقى رواه الترمذى والحاكم وصححاه من حديث عمر وقد تقدم اه قلت ورواه أيضا ابن المبارك والطيالسى وأحمد والنسائى وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقى والضياء وقال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح وأقره الذهبى (وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله عز وجل) بان كان اعتماده عليه لا على الاسباب (كفاه الله تعالى كل مؤنة) أى مشقة (ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها) قال العراقى رواه الطبرانى فى الصغير وابن أبى الدنيا ومن طريقه البيهقى فى الشعب من رواية الحسن عن عمران بن الحصين ولم يسمع منه وفيه ابراهيم ابن الاشعث تكلم فيه أبو حاتم اه قلت ورواه كذلك الحكيم فى النوادر وابن أبى حاتم والخطيب وابراهيم بن الاشعث خادم الفضيل قال أبو حاتم كنا نظن به الخير فقد جاء بمثل هذا الحديث (وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون عند الله أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يده) قال العراقى رواه الحاكم والبيهقى فى الزهد من حديث ابن عباس باسناد ضعيف اه قلت لفظ الحاكم والبيهقى من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ورواه كذلك عبد بن حميد واسحق بن راهويه وابن أبى الدنيا فى التوكل وأبو يعلى والطبرانى وصاحب الحلية كلهم من طريق هشام بن زياد أبى المقدام عن محمد القرظى عن ابن عباس قال البيهقى فى الزهد تكلموا فى هشام بسبب هذا الحديث (ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه) كان (اذا أصاب أهله خصاصة) أى فقر وحاجة (قال قوموا الى الصلاة و) كان (يقول بهذا أمرنى ربى قال عز وجل وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) قال العراقى رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل باهله الضيق أمرهم بالصلاة ثم قرأ هذه الآية ومحمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام انما ذكروا له روايته عن أبيه عن جده فيبعد سماعه من أبى جده اه قلت وبهذا اللفظ رواه أبو عبيد فى المصنف وسعيد بن منصور وابن المنذر وصاحب الحلية

وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لايحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يديه ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا الى الصلاة ويقول بهذا أمرنى ربى عز وجل قال عز وجل وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية

والبيهقي في الشعب وقد صحح البيهقي اسناده وكأنه أثبت سماعه من أبي جده أو انه سقط في سياق الطبراني عن أبيه وأما لفظ المصنف فرواه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن ثابت قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله بالصلاة صلوا صلوا قال ثابت كانت الانبياء اذا نزل بهم أمر فزعوا الى الصلاة وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن معمر عن رجل من قريش قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل على أهله بعض الضيق في الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ هذه الآية وأمر أهلك بالصلاة الآية (وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل على الله من استرقى واكتوى) قال العراقي رواه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى وابن ماجه والطبراني واللفظ له الا أنه قال أو اكتوى من حديث المغيرة بن شعبة وقال الترمذي من استرقى أو اكتوى فقد برئ من التوكل وقال النسائي ماتوكل من اكتوى أو استرقى اهـ قلت وبلفظ الترمذي رواه أحمد والحاكم والبيهقي وبلفظ المصنف رواه الطيالسي والبيهقي الا انه بلفظ أو (وروى انه لما قال جبريل لابراهيم عليهما السلام وقد رمى الى النار بالمنجنيق ألك حاجة قال أما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين أخذ ليرمى) روى عبد بن حميد عن سليمان بن صرد وكان قد ادرك النبي صلى الله عليه وسلم انه لما ذهب بابراهيم ليطرح في النار قال انى ذاهب الى ربى سيهدين فلما طرح في النار قال حسبي الله ونعم الوكيل فقال الله يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وروى ابن جرير عن معتمر بن سليمان عن بعض أصحابه قال جاء جبريل الى ابراهيم وهو يوثق ليلقى في النار قال ياابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا ورواه أحمد من وجه آخر فزاد قال فسل من لك اليه حاجة فقال أحب الامرين الى أحبهما اليه (وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود مامن عبد يعتصم بى دون خلقى فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا) رواه تمام وابن عساكر والديلمى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رفعه بلفظ وعزتى ياداود مامن عبد يعتصم بى دون خلقى أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات بمن فيها والارض بمن فيها الا جعلت له من بين ذلك مخرجا ومامن عبد يعتصم بمخلوق دونى أعرف ذلك من نيته الا قطعت أسباب السماء بين يديه وارسخت الهوى من تحت قدميه ومامن عبد يطيعنى الا وأنا معطيه قبل ان يسألنى ومستجيب له قبل ان يدعونى وغافر له قبل أن يستغفرنى وفيه يوسف بن الغرق متروك يكذب وقال البيهقي هو في عداد من يضع الحديث ورواه صاحب القوت فقال وفي أخبار وهب وكعب من الكتب السالفة يقول الله تعالى أقسم بعزتى فذكر نحو ماذكرناه (واما الآثار فقد قال سعيد بن جبير) التابعي رحمه الله تعالى (لدغتنى عقرب) مرة (فاقسمت على أمى لتسترقين) وكان بارا بامه (فناولت الراقى يدى التى لم تلدغ) ولم اناول يدى التى لدغت فرارا من الاسترقاء وبرورا بقسم أمى (وقرأ) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (قوله تعالى وتوكل على الحى الذى لايموت الى آخرها فقال ماينبغى للعبد بعد هذه الآية) ان فهم معناها (ان يلجأ الى أحد غير الله تعالى) نقله صاحب القوت (وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لايشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولاتنال من الدنيا الا ماقد كتب الله لك) نقله صاحب القوت وهذا هو توكل العموم (وقال يحيى بن معاذ) الرازى الزاهد رحمه الله تعالى (وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد) نقله صاحب القوت (وقال ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى من أين يطعمنى) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال هرم بن حيان) العبدى قال ابن عبد البر وهو من صغار الصحابة وفي الزهد لاحمد انه كان يصحب حممة الدوسى وحممة مات في خلافة عثمان وفيه عن الحسن انه لما مات دفن في يوم صائف فجاءت سحابة فرشت قبره وماحوله وعده ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية من كبار التابعين وقال ابن سعد ثقة له فضل وكان على عبد القيس في الفتوح وأورده أبو نعيم في الحلية وقد تقدم (لاويس) بن عامر (القرنى) رحمه الله تعالى

وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى واكتوى وروى انه لما قال جبريل لابراهيم عليهما السلام وقد رمى الى النار بالمنجنيق ألك حاجة قال أما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين أخذ ليرمى فانزل الله تعالى وابراهيم الذى وفى وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود مامن عبد يعتصم بى دون خلقى فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا *(وأما الآثار)* فقد قال سعيد بن جبير لدغتنى عقرب فاقسمت على أمى لتسترقين فناولت الراقى يدى التى لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحى الذى لايموت الى آخرها فقال ماينبغى للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ الى أحد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لايشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولاتنال من الدنيا الا ماقد كتب الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مامور بطلب العبد وقال ابراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لى ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى من أين يطعمنى وقال هرم بن حيان لاويس القرنى

أين تأمرني أن أكون فأوما الى الشام قال هرم كيف المعيشة قال أويس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا نسأل الله تعالى حسن الادب *(بيان حقيقة التوحيد الذى هو أصل التوكل)* اعلم أن التوكل من أبواب الايمان وجميع أبواب الايمان لا تنتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل* فلنبدأ ببيان العلم الذى هو الاصل وهو المسمى ايمانا فى أصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوى سمي يقينا ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما نبنى عليه التوكل وهو التوحيد الذى يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التى يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذى يدل عليه قولك وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير تم له الايمان الذى هو أصل التوكل أعنى أن يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذا لا نتعرض الا للقدر الذى يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذى لا ساحل له فنقول للتوحيد أربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز فى قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالرتبة الاولى من التوحيد هى أن يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ

(أين تأمروني أن أكون فأومأ الى الشام قال هرم كيف المعيشة قال أويس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة) ولفظ القوت وقال أبو السليل قال الرجل لاويس أصحبك استأنس بك فقال سبحان الله ما ظننت ان أحدا يعرف الله يستوحش معه فقال له الرجل ما المعيشة فقال أويس أف خالط القلوب الشك فما تنتفع بموعظة (وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا) والوكيل هو الموكول اليه الامور كلها

(بيان حقيقة التوحيد الذى هو أصل التوكل)

(اعلم أن التوكل من أبواب الايمان) وهو عماد المؤمنين وموطن المقربين ووسيلة المحبين لا يستغنى عنه عابد فى عباداته ولا ذو عادة فى عاداته لتعلقه بسائر الاحوال عبادة أو عادة وجملة ما يحتاج اليه من أمر الدنيا والآخرة ولذلك أوجبه الله تعالى على سائر المؤمنين لان حقيقته اعتماد القلب على الله تعالى فى جلب المنافع أو حفظها ودفع المضار أو قطعها كما سيأتى (وجميع أبواب الايمان لا ينتظم الا بعلم وحال وعمل) كما سبق ذلك فى شرح كتاب التوبة (والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل) الذى ينبنى عليه حاله (وعمل هو الثمرة وحال) هو يثمر العمل و(هو المراد باسم التوكل) ويحتاج شرح كل من ذلك على انفراده (فلنبدأ ببيان العلم الذى هو الاصل) الذى ينبنى عليه حال التوكل (وهو المسمى ايمانا فى أصل اللسان) وله مراتب وبعضها أشرف من بعض (اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوى) نوره فى القلب (سمى يقينا ولكن أبواب اليقين كثيرة) وقد ذكر بعضها وبعضها سيذكر (ونحن انما نحتاج منها الى ما نبنى عليه التوكل وهو التوحيد الذى يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له) قائم بنفسه (والايمان بالقدرة التى يترجم عنها قولك له الملك) وهذا الايمان من لازم التوحيد فان من علم انه قائم بنفسه علم انه مقيم لغيره (والايمان بالجود والحكمة الذى يدل عليه قولك وله الحمد) وهو من لازم الايمان بالقدرة فان من علم انه مقيم لغيره علم انه متولى أمورهم وكافيهم وحسبهم واذا علم ذلك علم سعة جوده وحكمته وكمال قدرته وينتج ذلك ان الوجود كله فى قبضته وملكه وتحت قهره وأسره وانه المنفرد بايجاده المتوحد بخلق حركات العالم وسكناته (فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير تم له أصل الايمان الذى هو أصل التوكل أعنى ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه) وفيه قد وردت آثار فمن قالها عشرا كان كمن أعتق رقبة من ولد اسمعيل رواه الشيخان والنسائى من حديث أبى هريرة وروى الترمذى من حديث أبى أيوب بلفظ كانت له عدل أربع رقاب من ولد اسمعيل ورواه البيهقى بلفظ كان له عدل نسمة ورواه الطبرانى بلفظ كن له كعدل عشر رقاب (فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالاعمال بواسطة الاحوال) فان الاحوال هى التى تثمر الاعمال وهى مواجيد القلوب (ولا يتم علم المعاملة الا بها) أى بالاعمال التى هى نتيجة عن الاحوال (فاذا لا نتعرض الا للقدر الذى يتعلق بالمعاملة) فقط (والا فالتوحيد هو البحر الخضم) أى العميق الواسع (الذى لا ساحل له) فينتهى اليه (فنقول للتوحيد أربع مراتب وهو ينقسم الى لب ولب اللب وقشر وقشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز فى قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللب لب وهو الدهن وهو لب اللب فالرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه) أى عن معناه المقصود (أو منكر له كتوحيد المنافقين) فانهم كانوا كذلك كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون اما غفلة أو انكارا ومنهم من كان يجمع بينهما (والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ

قلبه

قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار والرابعة أن لا يرى فى الوجود الا واحدا وهى مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء فى التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه أيضا واذا لم يرنفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه فى توحيده بمعنى انه فنى عن رؤية نفسه والخلق فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه فى الدنيا عن السيف والسنان

قلبه كما يصدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف) عن المعاينة (بواسطة) فيضان (نور الحق) فى قلبه (وهو مقام المقربين وذلك بان يرى أشياء كثيرة) مختلفة الانواع والاجناس (ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار والرابعة أن لا يرى فى الوجود) فى سائر مراتبه (الا واحدا وهى مشاهدة الصديقين وتسميه) طائفة (الصوفية) قدس الله أسرارهم (الفناء فى التوحيد) وهو مقام شريف عال وهو الفناء عن النفس وعن الخلق بزوال احساسه بنفسه وبهم (لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه أيضا واذا لم يرنفسه لكونه مستغرقا فى التوحيد كان فانيا عن نفسه فى توحيده بمعنى انه فنى عن رؤية نفسه والخلق) واذا فنى عن نفسه وعن الخلق فتكون نفسه موجودة والخلق موجودون ولكنه لا علم له بهم ولا بها ولا احساس ولا خبر غافل عن نفسه وعن الخلق غير محس بهم وبها وقد نرى الرجل يدخل على ذى سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه وربما يذهل عن ذلك المحتشم حتى اذا سئل بعد خروجه من عنده عن أهل مجلسه وهيئة ذلك الصدر وهيئة نفسه لم يمكنه الاخبار عن شئ (فالاول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه فى الدنيا عن السيف والسنان) فلا يهراق دمه واليه الاشارة فى الخبر فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم (والثانى موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه) أى فى القلب (انشراح و) لا (انفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب فى الآخرة ان توفى عليه) ولم يتخلل بينه وبين ذلك الاعتقاد شئ (ولم تضعف بالمعاصى عقدته) فان المعاصى تضعف عقدة الايمان وتحلها شيأ فشيأ (ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة) وهى أعظم حالا من المعاصى لكون صاحب البدعة لا يعتقدها معصية فلا يتوب منها اذ لو علم انها معصية لتاب عنها (وله حيل يقصد بها دفع حيل التحليل والتضعيف ويقصد بها أيضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف بهما) بهذين القصدين (يسمى متكلما وهو فى مقابلة المبتدع) فلا يكون المتكلم مبتدعا كما لا يكون المبتدع متكلما وما وقع فى سياق بعضهم وبه قال جمهور متكلمى المعتزلة وما أشبه ذلك فنظر الى ظاهر اللفظ أو ان هذا الذى ذكره المصنف اصطلاح له فلا معارضة (ومقصده) أى المتكلم (دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمى بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هى عليها الا انه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامى فى الاعتقاد) اذ هما سواء فيه (بل فى صنعة تلفيق الكلام الذى به تدفع حيل المبتدع فى تحليل هذه العقدة) وقد تقدم الكلام فى المراد بالعوام من هم فى شرح قواعد العقائد (والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر فى شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد) فتضمحل الكثرة فى جنب الوحدة (وهذه الغاية القصوى فى التوحيد) وليس بعده مقام للسالك ينتهى اليه (فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثانى كالقشرة السفلى) منه (والثالث كاللب) الذى داخل القشرتين (والرابع كالدهن المستخرج من اللب) وهو خلاصة الخلاصة

والثانى موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب فى الآخرة ان توفى عليه ولم تضعف بالمعاصى عقدته ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها أيضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف به يسمى متكلما وهو فى مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث انه يحمى بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هى عليه الا انه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامى فى الاعتقاد بل فى صنعة تلفيق الكلام الذى به يدفع حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر فى شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هى الغاية القصوى فى التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثانى كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب

وكما أن القشرة العليا من الجوز لاخير فيها بل ان أكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنه فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا أطفأ النار وأكثر
الدخان وان ترك فى البيت ضيق المكان فلا يصلح الا أن يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق
بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة فى حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة
السفلى هى القلب والبدن
وتوحيد المنافق يصون بدنه
عن سيف الغزاة فانهم لم
يؤمروا بشق القلوب
والسيف انما يصيب جسم
البدن وهو القشرة وانما
يتجرد عنه بالموت فلا يبقى
لتوحيده فائدة بعده وكما أن
القشرة السفلى ظاهرة
النفع بالاضافة الى القشرة
العليا فانها تصون اللب
وتحرسه عن الفساد عند
الادخار واذا فصلت أمكن
أن ينتفع بها حطبا لكنها
نازلة القدر بالاضافة الى
اللب وكذلك مجرد الاعتقاد
من غير كشف كثير النفع
بالاضافة الى مجرد نطق
اللسان ناقص القدر
بالاضافة الى الكشف
والمشاهدة التى تحصل
بانشراح الصدر وانفساحه
واشراق نور الحق فيه اذ
ذلك الشرح هو المراد بقوله
تعالى فمن يرد الله أن يهديه
يشرح صدره للاسلام
وبقوله عز وجل أفمن
شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه وكما أن
اللب نفيس فى نفسه
بالاضافة الى القشر وكله
المقصود ولكنه لا يخلو عن
شوب عصارة بالاضافة الى
الدهن المستخرج منه
فكذلك توحيد العقل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد
سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهى كثيرة فكيف
يكون الكثير واحدا فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر فى كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر

(وكما أن القشرة العليا من الجوز لاخير فيها بل ان أكل فهو مر المذاق وان نظر الى باطنها فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا أطفأ النار) لرطوبته (وأكثر الدخان) وسود الالوان (وان ترك فى البيت ضيق المكان فلا يصلح) لشئ (الا ان يترك مدة على الجوز للصوان) أى الحفظ على باطنه من طرو الآفات (ثم يرمى به عنه فكذلك التوحيد) الحاصل (بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى) أى الفائدة (كثير الضرر مذموم الظاهر) لمرارته (والباطن) لبشاعته (لكنه ينفع مدة فى حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى هى القلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة) والحكام (فانهم لم يؤمروا بشق القلوب) كما فى خبر اسامة هلا شققت قلبه (والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشر وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده) أى بعد الموت (وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصلت أمكن ان ينتفع بها حطبا) للوقيد (لكنها نازلة القدر) وفى نسخة تافهة القدر (بالاضافة الى اللب وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف) بواسطة نور (الحق كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التى تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام وقوله عز وجل أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) وقد تقدم الكلام على الآيتين مرارا (وكما أن اللب نفيس فى نفسه بالاضافة الى القشر وكأنه المقصود) من القشرتين (ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد العقل مقصد عال للسالكين) يتعبون حتى يحصلونه (لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق) ومثال شرف بعض هذه المراتب على البعض مثال دار لها علو وسفل وكلما ارتقيت من أسفلها الى أعلاها ازددت علما بالدار وكلما ازددت علما ببانيها ومالكها محبة والمحبة موجبة لمجاورة المحبوب وملازمته وموافقته (فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهى كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر فى كتاب) فيطلع عليه من ليس باهل لمزاولتها فيقع فى وحلة لا يكاد يتخلص منها (فقد قال العارفون افشاء سر الربوبية كفر) وقد نسب هذا القول لسهل التسترى وقيل لابى يزيد البسطامى وهى من جملة الاسئلة التى سئل عنها المصنف وأجاب عنها فى كتاب سماه الاملاء على مشكلات الاحياء قال فيه فى تقرير السؤال وما معنى قول من تقدم من أهل هذا الشان افشاء سر الربوبية كفر وأين أصل ما قالوه فى الشرع اذ الايمان والكفر والهداية والضلال والتقريب والتبعيد والصديقية وسائر مقامات الولاية ودركات المخالفة انما هى مآخذ شرعية وأحكام نبوية فقال فى الجواب عنه انه يخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفرا دون كفر ويسمى ذلك تغليظا لما أتى به المفشى وتعظيما لما ارتكبه ويعترض هذا بان يقال لا يسمى هذا كفرا لانه ضد الكفر اذ الكافر الذى يسمى هذا على معناه ساتر وهذا المفشى للسر ناشر وأين النشر من الستر والاظهار من التغطية والاعلان من الكتم واندفاع هذا بان يقال ليس الكفر الشرعى تابعا للاشتقاق وانما هو حكم بمخالفة الامر وارتكاب النهى فمن رد احسان محسن أو جحد نعمة متفضل فيقال عليه كافر لجهتين احداهما لجهة الاشتقاق ويكون اذ ذاك اسما يبنى على وصف والثانية من جهة الشرع ويكون اذ ذاك حكما يوجب

عقوبة

عقوبة والشرع قد ورد بشكر المنعم فافهم لا تذهب مع الالفاظ ولا تسترقك العبارات ولا تحجبك التسميات وتفطن لخداعها واحترس من استدراجها فاذا من أظهر ما أمر بكتمه كان كمن كتم ما أمر بنشره وفى مخالفة الامر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار و يدل على ذلك من جهة الشرع قوله صلى الله عليه وسلم لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم وفى ارتكاب النهى عصيان و يسمى فى باب القياس على المذكور كفرانا والوجه الثانى أن يكون معناه كفر السامع لا المخبر بخلاف الوجه الاول و يكون هذا مطابقا للحديث المذكور لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون ان يكذب الله ورسوله فمن حدث أحدا بما لم يصله عقله ربما سارع الى التكذيب وهو الاكثر ومن كذب بقدرة الله تعالى و بما أوجدها فقد كفر ولو لم يقصد الكفر فان أكثر اليهود والنصارى وسائر النحل ما قصدت الكفر الا بظنها بأنفسها وهى كفار بلا ريب وهذا وجه واضح قريب ولا يلتفت الى ما مال اليه بعض من لا يعرف وجوه التأويل ولا يعقل كلام أولى الحكم ولا الراسخين فى العلم اذ ظن ان قائل ذلك أراد الكفر الذى هو نقيض الايمان والاسلام يتعلق بخبره و يلحق قائله وهذا لا يخرج الا على مذاهب أهل الاهواء الذين يكفرون بالمعاصى وأهل السنن لا يرضون بذلك وكيف يقال لمن آمن بالله واليوم الآخر وعبد الله تعالى بالقول الذى يبر منه والعمل الذى يقصد به المتعبد لوجهه والكفر الذى يستزيد به ايمانا والمعرفة له سبحانه ثم يكرمه الله تعالى ذلك بفوائد المزيد ينيله ما شرف من المنح ويريه أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والايمان لا يخرج عنه الا بنبذه واطراحه وتركه واعتقاد ما لا يتم الايمان معه ولا يحصل بمقارنته وليس فى افشاء الولى شئ مما يناقض الايمان اللهم الا أن يريد بافشائه وقوع الكفر من السامع له فهذا عابس متمرد وليس بولى ومن أراد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لا محالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ثم انه من سب أحدا منهم على معنى ما يجد له من العداوة والبغضاء قيل له اثمت وأخطأت من غير تكفير وان كان انما فعل ذلك ليسمع سب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالاجماع انتهى نص الاملاء

(ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان الشئ قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسمه وأطرافه وعروقه وعظامه واحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد اذ تقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما انه فى حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكأنه فى عين الجمع والملتفت الى الكثرة فى تفرقة) قال القشيرى من أثبت نفسه وأثبت الخلق ولكن شاهدا الكل قائما بالحق فهذا هو الجمع واذا كان مختطفا عن شهود الخلق مصطلما عن نفسه مأخوذا بالكلية عن الاحساس بكل غير بما ظهر واستوى من سلطان الحقيقة فذلك جمع الجمع فالتفرقة شهود الاغيار لله والجمع شهود الاغيار بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية وفناء الاحساس بما سوى الله عند غلبات الحقيقة انتهى (فكذلك كل ما فى الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد و باعتبارات اخر سواها كثير بعضها أشد كثرة من بعض ومثال الانسان) فى الكثرة والوحدة (وان كان لا يطابق الغرض) الذى هو اثبات الغناء فى التوحيد (ولكنه ينبه فى الجملة على كيفية مصير الكثرة فى حكم المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه) لقصورك (وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا التوحيد) الذى هو الغاية القصوى (نصيب) وحظ (وان لم يكن ما آمنت به صفتك) ومقامك (كما أنك اذا آمنت بالنبوة) وهو أعلى مقامات السالكين (وان لم تكن نبيا) محققا بهذا

واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما أن الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد اذ نقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما انه فى حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه فى عين الجمع والملتفت الى الكثرة فى تفرقة فكذلك كل ما فى الوجود من الخالق والمخلوق اعتبارات و مشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد و باعتبارات أخر سواه كثير و بعضها أشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه فى الجملة على كيفية مصير الكثرة فى حكم المشاهدة واحدا ويستبين بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك المؤمن بهذا التوحيد نصيب وان لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنك اذا آمنت بالنبوة وان لم تكن نبيا

المقام (كان لك نصيب منه بقدر قوة ايمانك) به وتصديقك له وعدم انكارك عليه (وهذه المشاهدة التى لا يظهر فيها الا الواحد الحق) وهو مقام الفناء بشهود الفناء بالاستهلاك فى وجود الحق (تارة تدوم) فى سائر الاحوال (وتارة تظهر كالبرق الخاطف) ثم تغيب (وهو الاكثر) فى أحوال السالكين (والدوام نادر عزيز) لكنها اذا غابت بقيت آثارها فصاحبها بعد سكون غليانه يعيش فى بركات ضيائها الى ان تلوح ثانية يزجى وقته على انتظار عودها و يعيش بما وجد فى حين كونه (والى هذا أشار) أبو المغيث (الحسين) بن منصور (الحلاج) رحمه الله تعالى (حيث رأى) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (يدور فى الاسفار) وقد ذكر صاحب القوت له العجائب مما وقعت له فى أسفاره (فقال) له (فيماذا أنت فقال أدور فى الاسفار لاصحح حالى فى التوكل وقد كان من) نبلاء (المتوكلين) وله كتاب فى تحقيق مقامات التوكل (فقال الحسين قد أفنيت عمرك فى عمران باطنك) أى فى مشاهدة الخلق قائما بالحق (فأين) أنت من (الفناء فى التوحيد) رواه القشيرى قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد يقول قال الحسين بن منصور لابراهيم الخواص ماذا صنعت فى هذه الاسفار وقطع هذه المفاوز قال بقيت فى التوكل لاصحح نفسى عليه فقال الحسين أفنيت عمرك فى عمران باطنك فاين الفناء فى التوحيد اهـ (فكأن الخواص) رحمه الله تعالى (كان فى تصحيح المقام الثالث فى التوحيد فطالبه) الحلاج (بالمقام الرابع) الذى هو آخر المقامات فيه وكأنه شم من الخواص التفاتا لما أقيم فيه فنبهه على ان المقصود وراء ذلك (فهذه مقامات الموحدين فى التوحيد على سبيل الاجمال) وقد اعترض على المصنف فى تقسيمه لهذه المقامات وأجاب عنه وهذا لفظه فى الاملاء ذكرت رزقك ذكره و جعلك تعقل بهيبته وأمره كيف جاز انقسام التوحيد على أربع مراتب ولفظة التوحيد تنافى التقسيم المشهور كما ينافى التكرير بالتعديد وان صح انقسامه على وجه لا يدفع فهل تصح تلك القسمة فيما يوجد وفيما يقدر ورغبت فى مزيد البيان فى تحقيق كل مرتبة وانقسام طبقات أهلها فيها وان كان يقع بينهم التفاوت وما وجه تمثيلها بالجوز والقشور واللبوب ولم كان الاول لا ينفع والآخر الذى هو الرابع لا يحل افشاؤه ثم ساق الاسئلة بتمامها ثم قال فى الجواب ما لفظه جرى الرسم فى الاحياء بتقسيم التوحيد على أربع مراتب تشبيها بالجوز لموافقة الغرض فى التمثيل به وذكر بان المعترض وسوس بالخواطر بان لفظ التوحيد ينافى التقسيم اذ لا يخلو ان يتعلق بلفظ الواحد الذى ليس بزائد عليه فذلك لا ينقسم لا بالحس ولا بالعقل ولا بغير ذلك واما ان يتعلق بوصف المكلفين الذى يوجب لهم حكمهم اذا وجد فيهم فذلك لا ينقسم من حيث انتسابهم اليه بالعقد وذلك لضيق المجال فيه ولهذا لا تتصور فيه مذاهب وانما التوحيد مسلك حق بين مسلكين باطلين أحدهما شرك والآخر تلاش وكلا الطرفين كفر والوسط ايمان محض وهو أحد من السيف وأضيق من خط الظل ولهذا قال أكثر المتكلمين بتماثل ايمان جميع المؤمنين من الملائكة والنبيين والمرسلين وسائر عموم المسلمين وانما تختلف طرق ايمانهم التى هى علومهم ومذهبهم فى ذلك معروف ونحن لا نسلم فى هذه الاجابة بشئ من انحاء الجدال ومقابلة الاقوال بالاقوال بل نقصد ازالة عين الاشكال ورد ما طعن به أهل الضلال والاضلال فاعلم ان التقسيم فى الاطلاق يستعمل انحاء لا يتوجه ههنا بشئ مما قدح به المعترض وهجس به الخاطر وانما المستعمل ههنا من انحائه ما يتميز به بعض الاشخاص بما اختص به من الاحوال وكل حالة منها يسمى توحيدا على جهة ينفرد بهم الا يشاركها فيها غيرها فمن وحد بلسانه سمى لاجله موحدا ما دام الظن به ان كان قلبه موافقا للسانه وان علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ما شرع من الحكم ومن وحد بقلبه على طريق الركون اليه والميل الى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه ولا برهان يربطه به سمى أيضا موحدا على معنى انه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعى شافعيا والحنبلى حنبليا ومن رزق علم التوحيد وما تحقق به عنده وتنتفى من أجله شكوكه العارضة له فيسمى موحدا من جهة انه عارف به كما يقال جدليا ونحويا وفقيها ومعناه اى

كان لك نصيب منه بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التى لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور فى الاسفار فقال فيماذا أنت فقال أدور فى الاسفار لاصحح حالتى فى التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد أفنيت عمرك فى عمران باطنك فاين الفناء فى التوحيد فكأن الخواص كان فى تصحيح المقام الثالث فى التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين فى التوحيد على سبيل الاجمال

يعرف

يعرف الجدل والنحو والفقه وأما من استغرق علم التوحيد قلبه واستولى على جملته حتى لا يوجد فيه فضل لغيره الا على طريق التبعية ويكون شهود التوحيد لكل ما عداه سابقا له مع الذكر والتذكير مصاحبا من غير ان يعتريه ذهول عنه ولا نسيان له لاجل اشتغاله بغيره كالعادة في سائر العلوم فهذا يسمى موحدا ويكون القصد بما يسمى به من ذلك المبالغة فيه فهذه أربع مراتب يصح اطلاق اسم التوحيد عليها * فأما الصنف الاول وهم أرباب النطق المجرد فلا يضربون في التوحيد بسهم ولا يفوزون منه بنصيب ولا يكون لهم شئ من أحكام أهله الا في الحياة الاولى اذ الظن بهم ان قلب أحدهم موافق للسانه كما نعيد القول عليه بعد هذا ان شاء الله عز وجل * وأما الصنف الثاني وهم أرباب الاعتقاد الذين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم أو الوارث أو المبلغ يخبر عن توحيد الله عز وجل ويأمر به ويلزم البشر قول لا اله الا الله المنبئ عنه فقبلوا ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا الى التوحيد فكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذي هو منهم وبمنزلة من كثر سواد قوم فهو منهم * وأما الصنف الثالث والرابع فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها الى أنفسهم ثم الى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فرأوا على كل نوع منها خطا منطبعا فيها ليس بعربي ولا سرياني ولا عبراني ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فبادروا الى قراءته من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه فاذا هو الخط الالهي المكتوب على صفحة كل مخلوق المنطبع فيه من مفرد ومركب وصفة وموصوف وحجر وجماد وناطق وصامت ومتحرك وساكن ومظلم ونير وهو الذي يسمى تارة بعلامة وتارة بسمة وتارة بأثر القدرة وتارة بآية كما قال الشاعر ولا أدري عن سماع أو رؤية قلب

فواعجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده جاحد
وفي كل شئ له آية * تدل على انه واحد

فلما قرؤا ذلك الخط وجدوا تفسيره حدوث المكتوب وشرحه أبديته ما لكه والتصريف له بالقدرة على حكم الارادة بما ثبت في سابق العلم من غير مزيد ولا نقص فتركوا الكتابة والمكتوب ونزلوا منها الى معرفة الكاتب الذي أحدث الاشياء وكونها ولم يخرج عن ملكه شئ منها ولا استغنت بأنفسها عن حوله وقوته طرفة عين ولا أقل من ذلك ولا افتقرت الى الحرية عن رق استعباده فوجدوه كما وصف نفسه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فحصلت التفرقة لهم والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها بذاته وانفراده عن غيره وعقلت انها عقلت توحيده سبحان من يسر لها ذلك وختم عليها بما ليس في وسعها ان تدركه الا به وهو اللطيف الخبير لكن الصنف الثاني لم يعد كل منهم ان عرف نفسه موحد الربه فيما لم يزل وهم المقربون والصنف الرابع لم يقصد كل واحد منهم ان عرف ربه موحدا بنفسه فيما لم يزل وهم الصديقون وبينهما تفاوت كثير وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم فلان العقلاء باسرهم لا يخلو كل واحد منهم ان يوجد فيه أثر التوحيد باحد الانحاء المذكورة عنده أو لا يوجد فأما من عدم عنده فهو كافر ان كان في زمن الدعوة أو على أقرب بمكن وصول علمها اليه أو في فترة لا يتوجه عليه فيها التكليف وهذا صنف مبعد عن مقام هذا الكلام وأما من يوجد فيه فلا يخلو ان يكون مقلدا في عقده أو عالما به فالمقلدون هم العوام وهم أهل المرتبة الثانية في الكتاب وأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يخلو كل واحد منهم ان يكون بلغ الغاية التي أعدت لصنفه دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ فالذي لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون وهم أهل المرتبة الثالثة والذين بلغوا الغاية التي أعدت لهم هم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة وهذا تقسيم ظاهر الصحة اذ هو دائر بين النفي والاثبات ومحصور بين المبادي والغايات ولم يدخل أهل المرتبة الاولى في شئ من تصحيح هذا التقسيم اذ ليس هو من أهله الا بانتساب كاذب ودعوى غير صادقة ثم لا بد من الوفاء بما وعدناك به من ابداء بحث ومزيد شرح وبسط بيان تعرف منه باذن الله تعالى حقيقة كل مرتبة ومقام وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والامكان بما يجري به الواحد الحق على القلب واللسان *(بيان

أهل النطق المجرد وتمييز فرقهم)* اعلم ان أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يعتقدوا معنى ما نطقوا به لما لم يعلموه ولا تصوروا صحته ولا فساده ولا صدقه ولا كذبه ولا خطاه ولا صوابه اذ لم يبحثوا عليه ولا أرادوا فهمه اما لبعدهمتهم وقلة اكتراثهم واما لنفورهم عن البحث وخوفهم انهم ان تكلفوا البحث عما نطقوا به ان يبدو لهم ما يلزمهم الاعتقاد والعمل وما بعد ذلك فان التزموه فارقوا راحة أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم وان لم يلتزموا شيأ من ذلك وقد حصل لهم العلم فيكون عيشهم منغصا وملاذهم مكدرة من خوف عقاب ترك ما علموا لزومه فاذا سئل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به هل اعتقدوه فيقولون لا نعلم فيه ما نعتقد وما دعانا الى النطق به شئ الا مساعدة الجماهير وانخراطنا باظهار القول فى الجم الغفير ولا نعرف هل ما قلناه بالحقيقة من قبيل العرف او النكير ولا شك ان هذا الصنف الذى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن حالة مساءله الملكين أحدهم فى القبر اذ يقولان له من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون شيأ فقلته فيقولان له لا دريت ولا تليت وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الشاك والمرتاب الصنف الثانى نطقوا كما نطق الذين من قبلهم ولكنهم أضافوا الى قولهم ما لا يحصل معه الايمان ولا ينتظم به معنى التوحيد وذلك ما قالت السبائية طائفة من الشيعة القدماء ان عليا رضى الله عنه هو الاله و بلغ أمرهم عليا رضى الله عنه وكانوا فى زمنه فحرق منهم جماعة وامثال من نطق بالشهادتين كثيرا ثم صحب نطقه مثل هذا النكير ويسمون الزنادقة وهم فى النار كما فى الخبر الصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم أسروا التكذيب واعتقدوا الرد واستبطنوا خلاف ما ظهر منهم من الاقرار واذا رجعوا الى أهل الالحاد اعلنوا عندهم بكلمة الكفر فهؤلاء المنافقون الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون الصنف الرابع قوم لم يعرفوا التوحيد ولا نشؤا عليه ولا عرفوا أهله ولا سكنوا بين أظهرهم ولكنهم حين وصلوا الينا أو وصل أحد منا اليهم خوطبوا بالامر المقتضى للنطق بالشهادتين والاقرار بهما فقالوا لا نعلم مقتضى هذا اللفظ ولا نعقل معنى المامور به من النطق وأمروا ان يظهروا الرضا بالقول ثم يتفهموا بمهلة فسكنوا الى ما قيل لهم ونطقوا بالشهادتين ظاهرا وهم على الجهل بما يعتقدون وان اخترم أحد منهم من حينه من قبل ان يتأتى منه استفهام أو تصور يمكن ان يكون له معتقد افهذا يرجى ان لا تضيق عنه سعة رحمته تعالى والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكم على غيب الله تعالى وربما كان من هذا الصنف فى الحكم عند الله عز وجل قوم رزقوا بعد الفهم وغيب الذهن وفرط البلادة ان يدعوا الى النطق فيجيبوا مساعدة ومحاكاة ثم يدعوا الى تفهم المعنى من كل وجه فلا يتأتى منهم قبول لما يعرض عليهم تفهيمه كانما يخاطب بهيمة ومثل هذا أيضا فى الوجود كثير ولا حكم على مثله بخلود فى النار ولا يبعد ان يكون مع هذا الصنف باسره أعنى المخترم قبل تحصيل العقد مع هذا البليد البعيد بعض من ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة فيخرج من النار أقواما لم يعملوا حسنة قط ويدخلون الجنة وتكون فى أعناقهم سمات ويسمون عتقاء الله والحديث فيه طول وهو صحيح وانما اختصرت منه قدر الحاجة على المعنى وحكم الصنف الاول والثانى والثالث أجمعين أعنى أهل النطق المذكورين قبل فى التوحيد ان لا تجب لهم حرمة ولا تكون لهم عصمة ولا ينسبون الى ايمان ولا اسلام بل هم أجمعون من زمرة الكافرين وجملة الهالكين فان عثر عليهم فى الدنيا قتلوا فيها بسيوف الموحدين وان لم يعثر عليهم فهم صائرون الى جهنم خالدون فيها تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون

(فصل) ولما كان اللفظ المنبئ عن التوحيد اذا انفرد عن العقد وتجرد عنه لم يقع له فى حكم الشرع منفعة ولا لصاحبه بسببه نجاة الا مدة حياته عن السيف ان يراق دمه واليدان تسلط على ماله اذ لم يعلم خفى حاله حسن ان يشبه بقشر الجوز الاعلى فهو لا يحمل فى الاكمام ولا يرفع الى البيوت ولا يحضر فى مجالس الطعام

ولا تشتهيه النفوس الا مادام منطويا على مطعمه صوانا على لبه فاذا أزيل عنه بكسر أوعلم منه انه منطو على فراغ أو سوس أو طعم فاسد لم يصلح لشئ ولم يبق فيه غرض لاحد وهذا الاخفاء لصحته والغرض بالتمثيل تقريب ماغمض الى فهم الطالب وتسهيل مااعتاص على المتعلم والسامع وليس من شرط المثال ان يكون مطابقا للممثل به من كل الوجوه فكان يكون هو هو ولكنه من شرطه ان يكون مطابقا للوجه المراد منه

(فصل) وأما الاعتقاد المجرد عن تحصينه بالعلم وتوثيقه بالادلة وشده بالبراهين فقد انقسم وافى الوجود الى ثلاثة أصناف أحدهم صنف اعتقدوا مضمون ما أقروا به وحشوا به قلوبهم من غير ترديد ولا تكذيب أسروه فى أنفسهم ولكنهم غير عارفين باستدلال على مااعتقدوه وذلك لفرط بعدهم وغلظ طباعهم واعتياص طرق ذلك عليهم ويقع عليهم اسم موحدين وتحققنا وجود أمثالهم كثيرا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين ثم لم يبلغنا انه اعترض أحد اسلامهم ولا أوجب عليهم الخروج منه والمروق عنه ولا كلفوا مع قصورهم وبعدهم عن فهم ذلك بعلم الادلة وقراءة طرق البراهين وترتيب الحجاج بل تركوا على ماهم عليه وهؤلاء عندى معذورون ببعدهم ومقبولون بما توافقوا عليه من اقرارهم وعقدهم والله تعالى قد عذرهم مع غيرهم بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يخرجون عن مقتضى هذه الآية بحال وسنبدى طريقا من الاعتقاد تعرف صحة اسلامهم وسلامة توحيدهم ان شاء الله تعالى الصنف الثانى اعتقدوا الحق مع ماظهر منهم من النطق واعتقدوا الى ذلك أنواعا من المخايل قام فى نفوسهم انها أدلة وظنوها براهين وليست كذلك وقد وقع فى هذا كثير ممن يشار اليه فضلا من دونهم فان وقع الى هذا الصنف من يزعزع عليهم تلك المخايل بالقدح ويبطلها عليهم بالمعارضة والاعتراض لم يلتفتوا اليه ولا أصغوا الى ما يأتى به ويترفعوا أن يحاوروه لما يحملون عليه من سوء الفهم أو رداءة الاعتقاد وعندهم ان جميع تلك المخايل فى باب الاستدلال أرسخ من شوامخ الجبال فمنهم من يعتقد دليله مذهب شيخه الرفيع القدر المطلع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبرآحاد ومنهم من يكون دليله بعض محتملات آية وحديث صحيح ولعمرى انه لينبغى اذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقعوا فى شئ من الضلال ان يتركوا على ماهم عليه ولا يحركوا بأمر آخر بل يغبطوا بذلك ويسلم لهم لئلا يكونوا اذا تتبع الحال معهم ربما تلقفوا شبهة ورسخ فى نفوسهم بدعة يعسر انحلالها أو يقع فى تكفير مسلم أو تضليله بلا سبب كبير وهؤلاء أثبت ايمانا من الصنف الاول وأوثق رباطا منهم وأحسن حالا الصنف الثالث أقروا واعتقدوا كما فعل الذين من قبلهم وقد عدموا العلم أيضا ولكن لعدم سلوكهم سبيله من القدرة عليه ومعهم من الذكاء والفطنة والتيقظ مالو نظروا وتعلموا ولو استدلوا لتحققوا ولو طلبوا لادركوا سبيل المعارف ووصلوا ولكنهم آثروا الراحة ومالوا الى الدعة واستبعدوا طريق العلم واستثقلوا الاعمال الموصلة اليه وقنعوا بالقعود فى حضيض الجهل فهؤلاء فيهم اشكال عند كثير من الناس فى البديهة وتردد وفى حالهم نظر وهل يسمون عصاة وغير ذلك مما يحتاج الى تمييز آخر ليس هذا مقامه والالتفات الى هذا الصنف أوجب خلاف المتكلمين فى العوام من غير تفريق بين بليد بعيد ومتيقظ فطن فمنهم من لم يرانهم مؤمنون ولكن لم يحفظ عنهم اطلاق اسم الكفر عليهم ومنهم من أوجب لهم الايمان ولكن أوجب عليهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبارة ووجوب العبارة فى الشرع ساقط على هذا النحو وهؤلاء لايخالفوا المذكورين قبلهم لان أولئك سلبوا الايمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهؤلاء أوجبوا الايمان لمن أضافوا اليه المعرفة المشروطة فى صحة الايمان وانما فروا عن الشناعة الظاهرة فتستروا عن الجمهور بهذا الاحتمال ومنهم من أوجب لهم الايمان مع عدم المعرفة المشروطة عند أولئك وأى الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا فى هذا الموضع وانما غرضنا تقييد ماأشاعه فى الاحياء أهل الغلو والاغلاء فلا نفتح مثل هذا الباب وقد أبدينا أوجه ذلك فى مراقى الزيف مايغنى فيها باذن الله تعالى

(فصل) بقى فى أصناف أهل الاعتقاد تفصيل آخر من جهة أخرى وهو من تتمة مامضى فلتعلم ان ما منهم صنف الاوله على التقريب ثلاثة أحوال لايستبد أحدهم عن أحدها بحكم الاحتمال الضرورى فاحد الحالات لهم ان يعتقد أحدهم جميع أركان الايمان على مايكمل عليه فى الغالب لكنه على طريق التقليد كما سبق الحالة الثانية ان لايعتقد الابعض الاركان مما فيه خلاف اذا انفرد ولم ينضف اليه فى اعتقاده سواء هل يكون به مؤمنا أو مسلما مثل ان يعتقد وجود الواحد فقط أو يعتقد انه موجود حى لاغير وأمثال هذه التقديرات ويخلو عن اعتقاد باقى الصفات خلوا كاملا لايخطر بباله ولا يعتقد فيها حقا ولا باطلا ولا صوابا ولا خطأ ولكن القدر الذى اعتقده من الاركان موافق للحق غير مشوب بغيره الحالة الثالثة أن يعتقد الوجود كما قلنا أو الوجود والوحدانية والحياة ويكون فيما يعتقده فى باقى الصفات على مالا يوافق الحق بما هو بدعة أو ضلالة وليس بكفر صراح فالذى يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع ان أرباب الحالة الاولى والله أعلم على سبيل نجاة ومسلك خلاص ووصف ايمان واسلام وسواء فى ذلك الصنف الاول والثانى من أهل الاعتقاد ويبقى الصنف الثالث على محتملات النظر كما نبهناك عليه وأما أهل الحالة الثانية فالمتقدمون من السلف لم يشتهر عنهم فى صورة هذه المسألة مايخرج صاحب هذا العقد عن حكم الايمان او الاسلام والمتأخرون مختلفون وكثير خاف ان يخرج من اعتقد وجود الله عزوجل واظهار الاقرار به وبنبيه صلى الله عليه وسلم من الاسلام ولايبعد أن يكون كثير ممن أسلم من الاجلاف والرعيان وضعفاء النساء والاتباع هذا عقده بلا مزيد عليه والحكم على من هو بمثل هذا بالخلود فى النار عسير جدا مع ثبوت الشرع بانه من قال لا اله الا الله دخل الجنة وأما أرباب الحالة الثالثة وهى اعتقاد المبتدعة فى الصفات أو فى بعضها فان حكمنا بصحة ايمان أهل الحالة المذكورة قبل هذه واسلامهم حققنا أمر هؤلاء فيما اعتقدوه اذ لم يقعوا فيه بوجه قصد يقطعهم عن اتصال العذر لان هؤلاء قد حصل لهم فى العقد ماهو شرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدائم وأصيبوا فيما وراء ذلك فان أمكن ردهم فى دار الدنيا وزجرهم عنه ان أظهروا التمنع عن الاقلاع والرجوع بالعقوبة المؤلمة دون قتل كان ذلك وان ماتوا فالموت لم يقصر بهم اعتقادهم عن أرباب الحالة الثانية المذكورة قبلهم والله أعلم بالناجى والهالك من خلقه والمطيع والعاصى من عباده

(فصل) ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بصحته ضعيفا وتفرده عن المعرفة مرتبة التى عليه شبه القشر الثانى من الجوز لان ذلك القشر يؤكل مع ماهو عليه صوان واذا انفرد أمكن أن يكون طعاما للمحتاج وبلاغا للجائع وبالجملة فهو لمن لاشئ معه خير من فقده وكذلك اعتقاد التوحيد وان كان مجردا عن سبيل المعرفة وغير منوط بشئ من الادلة ضعيفا فهو فى الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عزوجل خير من التعطيل والكفر *بيان المرتبة الثالثة وهى توحيد المقربين* اعلم ان الكلام فى هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود أحدها ان نتكلم فى الاسباب التى توصل اليه والمسالك التى يعبر عليها نحوه والاحوال التى تتخذها لحصوله كما قدره العزيز العليم واختار ذلك ورضيه وسماه الصراط المستقيم والحد الثانى أن يكون الكلام فى تفسير ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته وكيف يتصور السالك اليه والطالب له قبل وصوله اليه وانكشافه له بالمشاهدة والحد الثالث فى ثمرات ذلك التوحيد ومايلقى أهله به ويطالعون عليه بسببه ويكرمون به لاجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته فاما الحد الاول فالكلام عليه والكشف لدقائقه والصغير والكبير مأمور به مشدد فى أمره متوعد بالنار على كتمه وبه بعث الرسل وأنزلت الكتب وجميعه محصور فى اثنين العلم بالعبرة والعمل بالسنة وهما مبنيان على اثنين الحرص الشديد والنية الخالصة وشرط فى تحصيلهما اثنان نظافة الباطن وسلامة الجوارح ويسمى جميع ذلك بعلم المعاملة وأما الحد الثانى فالكلام فيه أكثر مايكون على طريقة ضرب الامثال تنبيها بالرمز تارة وتارة بالتصريح ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن يشرف بذلك اللبيب الحاذق على بعض المراد ويفهم منه كثيرا من المقصد

وينكشف له جل ما يشار اليه اذا كان سالما من شرك التعصب بعيدا عن هوة الهوى نظيفا من دنس التقليد وأما الحد الثالث فلا سبيل الى ذكر شئ منه الا مع أهله مع علمهم به على سبيل التذاكر لا على سبيل التعليم والحد الاوّل قد تقرر علمه فى كتب الرواية والدراية وهو غير محجوب عن طالب قد أمر الجهال به أن يتعلموه والعلماء به ان يبذلوه فلا نعيد فيه ههنا قولا وحكم الحد الثالث الكتم فلم يكن لنا سبيل الى تعدى محدودات الشرع فلنثن العنان الى الكلام بالذى يليق بهذا المقام فنقول أرباب الفن الثالث فى التوحيد وهم المقربون على ثلاثة أصناف على الجملة وكلهم نظروا الى المخلوقات فرأوا علامات الحدوث فيها لائحة وعاينوا حالات الافتقار الى المحدث عليها واضحة وسمعوا جميعها يدل على توحيده وتفريده مراشدة ناصحة ثم رأوا الله عز وجل باعيان قلوبهم وشاهدوه بغيب أرواحهم ولاحظوا اجلاله وجماله بخفى أسرارهم وهم مع ذلك فى درجات القرب على حظ وكلهم انما عرفوا الله عز وجل بمخلوقاته ولسبب انقسامهم فى المعرفة اختلفت أحوالهم فى الخوف والرجاء والقبض والبسط والفناء والبقاء وانما سموا بالمقربين لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من نيران المعرفة والعلم فلا أبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والبعد والقرب هنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز فى لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المستعملين لهما فى هذا الفن احدى الحالتين عمى البصيرة وانطماس القلب وخلوه عن معرفة الرب سبحانه فسمى هذا بعدا ماخوذا من البعد عن محل الراحة وموضع العمارة والانس والانقطاع فى مهامه القفر وامكنه الخوف والحالة الثانية عن ايقاد الباطن واشتعال القلب وانفساح الصدر بنور اليقين والمعرفة والعقل وعمارة السر بمشاهدة ما غاب عنه

(فصل) المرتبة الرابعة وهو توحيد الصديقين وهم قوم رأوا الله تعالى وحده ثم رأوا الاشياء بعد ذلك به فلم يروا فى الدارين غيره ولا اطلعوا فى الوجود على سواه وأهل هذه المرتبة فى حال حصولهم فيها صنفان مريدون ومرادون فالمريدون فى الغالب لابد لهم ان يحلوا فى المرتبة الثالثة وهى توحيد المقربين ومنها ينتقلون وعليها يعبرون الى المرتبة الرابعة والله أعلم وأما المرادون فهم فى الغالب مبتدؤن بمقامهم الاخير وهى المرتبة الرابعة ومتمكنون فيها ومن أهل هذا المقام يكون القطب والاوتاد والبدلاء ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النجباء والنقباء والشهداء والصالحون والله أعلم *فان قلت أليس الوجود يشترك فيه الحادث والقديم والمألوه والاله ثم المعلوم ان الاله واحد والحوادث كثيرة فكيف صاحب هذه المرتبة يرى الاشياء شيأ واحدا أذلك على طريق قلب الاعيان فيقول الحوادث قديمة ثم تتحد بالواحد فترجع هى هو وفى هذا من الاستحالة والمروق عن مصدر العقل ما يغنى عن اطالة القول فيه وان كان على طريق التخييل للولى لما لا حقيقة له فكيف يحتج به أو يعد حالا لولى أو فضيلة لبشر *والجواب عن ذلك ان الحادث لم ينتقل الى القديم ولم يتحد بالفاعل ولا اعترى الولى تخييل فتخيل ما لا حقيقة له وانما هو ولى مجتبى وصديق مرتضى خصه الله بمعرفته على سبيل اليقين والكشف التام وكشف لقلبه ما لو رآه ببصره عيانا ما ازداد يقينا وان أنكرت أن يكون وهب الله المعرفة على هذا السبيل لاحد من خلقه فما أعظم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين قست الخلق بمقدارك وكلتهم بمعيارك وفضلت نفسك على الجميع اذ لا سبيل لانكارك ان صح الا انك تخيل ان يرزق أحد ما لم ترزق أو يخص من المعرفة ما لم تخص فاذا تقررت هذه القاعدة فصار ما كشف لقلبه لا يخرج منه وما اطلع عليه لا يغيب عنه فى حال من أحواله وهذا موجود فيمن كثر اهتمامه بشئ وثبت فى قلبه حاله انه اذا نام واشتغل لم يفقده فى شغله ونومه كما لا يفقده فى يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم اذا رأى الولى المتمكن فى رتبة الصديقية مخلوقا حيا كان أو جمادا صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو وانما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالارادة على سابق العلم القديم ثم ادام القهر عليه فى الوجود ثم لما كانت الصفات المشهور آثارها فى المخلوقات ليست لغير الموصوف الذى هو الله عز وجل فنى الولى عن غيره وصار لم ير سواه ومعنى ذلك ان لا يتميز بالذكر فى سر القلب وحين المعرفة ولا بالادراك فى ظاهر الحس دون

فان قلت فلا بد لهذا من شرح بقدر ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل أيضا مبنيا عليه
بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث وأما الاول وهو النفاق فواضح وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين

وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي يبنى عليه التوكل اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله أن ينكشف لك أن لا فاعل الا الله تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا ايضاحا أتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يبتغي به أن يطرق الى قلبك شائبة الشرك بسببين أحدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات أما الالتفات الى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة

ما كان موجبا به وصادرا عنه فانى يبعد هذا على من أصحبه الله توفيقه وفتح له مناهجه وطريقه وعلى هذا جاء المثل في الاحياء برؤية من يرى انسانا والانسان المرئي لا شك ذو اجزاء كثيرة ثم لا يراه الرائي مع ذلك الا واحدا ولا يخطر بباله شئ من اجزائه من حيث ان اجزاء الانسان الظاهرة لا حراك لها ولا سكون ولا قبض ولا بسط ولا تصرف فيما يظهر الا بمعاني ما كان انسانا من أجله وهو الراكب للجسد المستولي على سائر الاجزاء المصدق بقدرة الله تعالى للاعضاء الملقب بالروح تارة وبالقلب أخرى وقد يعبر عنه بالنفس فاذا رأى اليد من الانسان مثلا لم يرها من حيث انها لحم وعصب وعظم وغير ذلك من مجموع أشخاص الجواهر وانما يراها من حيث ما ظهر عليها من آثار صفاته التي هي القدرة والعلم والارادة والحياة والصفات التي لا تقوم بنفسها دون الموصوف فلهذا لم يشاهد غير المعنى الحامل للصفات المشهود أثرها في الاعضاء والجواهر فظهر صحة رؤية الرائي الانسان واحدا وهو ذو اجزاء كثيرة ومثل هذا يعتبر الداخلين على الملوك والمحبين مع من شغفوا بحبه من المخلوقين والامثال غير هذا كثيرة من هذا المعنى وارجو ان لا يحتاج اللبيب الى هذا الوضوح ولا فهم الا بالله ولا شرح الا منه ولا نور الا من عنده وله الحول والقوة وهو العلي العظيم اهـ ماذكره المصنف في الرد على المعترض وقد حذفت منه فصولا كثيرة مما لا تعلق لها بما نحن فيه ولنعد الى شرح كلام المصنف بعون الله وتوفيقه (فان قلت لا بد لهذا من شرح) وبيان (بقدر ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول أما الرابع) الذي هو منتهى المراتب (فلا يجوز الخوض في بيانه) لانه من جملة علوم المكاشفة (وليس التوكل) الذي نحن فيه (مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث وأما الاول وهو النفاق واضح وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده) وشدة عقده وحراسته (بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في) الكتب المصنفة في علم (الكلام وذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي يبنى عليه التوكل) دون الثاني (اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل) اذ الاعتقاد علم والاحوال انما هي ثمرات الاعمال (فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا تحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله) انك اذا علمت ان الله تعالى واحد لا شريك له وانه قائم بنفسه مقيم لغيره وانه متولي أمورهم وكافيهم وحسيبهم علمت سعة حكمته وعلمه وكمال قدرته فتستفيد من هذا (أن ينكشف لك) ان الوجود كله في قبضته وملكه وتحت قهره وأسره و(ان لا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم) من كل حركات العالم وسكناته (فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله عز وجل) وحده (لا شريك له فيه) وهو المتوحد بخلق ذلك كله (واذا انكشف لك هذا) رأيت النواصي بيده يقلبها كيف شاء وحينئذ (لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة في ملكوت السموات والارض) وحينئذ ينكشف لك تحقيق قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وكذلك قوله تعالى ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها وحينئذ تحقق ان بيده الملك والملكوت وله العزة والجبروت فحينئذ ترجع اليه وتعتمد قلبك عليه فتزداد نورا بتوجهك واهتمامك لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فيشرق في قلبك بهدايته ما أشرق في قلوب أنبيائه (واذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا أتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام ينبغي به أن يطرق الى قلبك شائبة الشرك لسببين أحدهما الالتفات الى الحيوانات والثاني) الالتفات (الى الجمادات أما الالتفات الى الجمادات كاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء

السفينة وسيره وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم
الى البر اذا هم يشركون قيل معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء
والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز
وجل فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات من أخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فأخذ يشتغل بذكر الحبر
والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن

السفينة وسيرها) في البحر (وهذا) كله (شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى) في حق
مثل هؤلاء (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه) أي
معنى قوله يشركون (انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا) فينسبون النجاة الى استواء الريح واعتدالها
فهذا شركهم وقال صاحب القوت وقد روينا في تفسير هذه الآية قالوا كان الملاح فارها ومثله في قوله تعالى
وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قيل قالوا لولا نباح الكلب وزقاء الديك لاخذنا السرق (ومن انكشف
له أمر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذلك محركه) لا يتحرك
بنفسه (وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل) اذ الحركة
من امارات الحدوث والباري تعالى منزه عن ذلك (فالتفات العبد في النجاة) من شدة البحر (الى) استواء
(الريح يضاهي التفات من أخذ لتحز) أي تقطع (رقبته) لامر ما (فكتب الملك توقيعا) أي كاغدا يكتب
فيه (بالعفو عنه وتخليته) عن القتل (فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع)
المذكور (ويقول لولا القلم لما تخلصت) من القتل (فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل
ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب) لانه هو
الاصل (بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الموقع من ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة فالشمس
والقمر والنجوم والمطر والغيم) والريح (والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة) مقهورة تحت
الامر (كتسخير القلم في يد الكاتب) يحركه كيف شاء (بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع) على
الرقعة (هو كاتب التوقيع والحق) عند أهل الحق (ان الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى) وهذا مقام الجمع وقد تقدم الكلام على هذه الآية مرارا (فاذا انكشف لك ان
جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وأيس عن مزج توحيدك
بهذا الشرك) وسلمت من اغوائه (فربما يأتيك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في
الافعال الاختيارية ويقول) بوسوسته في الصدر (كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك
باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك) ويقول أيضا (هذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو
قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وأنت تشاهد
ذلك ولا تشك فيه فيقول نعم) وفي نسخة ويقول له أيضا نعم (ان كنت لا ترى القلم انه مسخر فكيف لا ترى الكاتب
بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت أقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان) كما
قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد
جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغد
فترى رأس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم

علم أن القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطر بباله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك أن الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاذا انكشف لك أن جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فأتاك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار

الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا
الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك
وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له أيضا نعم ان كنت لا ترى القلم لانه
مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زل أقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين
فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا أن غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة
مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت أن القلم

هو السود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حدقتها فكذلك من لم ينشرح لنور الله تعالى صدره للاسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا وراء الكل فوقف فى الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله فى حقهم كل ذرة فى السموات والارض بقدرته التى بها نطق كل شئ حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون ولست أعنى به السمع الظاهر الذى لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم وانما أريد به سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربى ولا عجمى فان قلت فهذه أعجوبة لا يقبلها العقل فصف لى كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة فى السموات والارض مع أرباب القلوب مناجاة فى السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذى لا نهاية له قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر الآية ثم انها تتناجى باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد نوجى بخفاياه فنادى بسره على ملأ من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر أصحابى فامسكوا ولما خص حذيفة رضى الله عنه ببعض الاسرار فاذا عن حكايات مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب أرباب المشاهدات مانعان أحدهما استحالة افشاء السر والثانى خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا فى المثال الذى كنا فيه وهى حركة القلم نحكى من مناجاتها قدرا يسيرا يفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هى حروفا وأصواتا ولكن هى ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان

هو السود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حدقتها فكذلك من لم ينشرح بنور الله صدره) ولم ينفسح (قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا) وفى نسخة قهارا (وراء الكل فوقف فى الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل أرباب القلوب والمشاهدات قد انطق الله تعالى فى حقهم كل ذرة فى السموات والارض بقدرته التى نطق بها كل شئ حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على أنفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع لمعزولون) وهم أهل الحجاب (ولست أعنى بالسمع الظاهر الذى لا يجاوز الاصوات فان الحمار) وهو أبلد الحيوانات (شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم وانما أريد به سمعا) باطنا (يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربى ولا عجمى فان قلت فهذه أعجوبة لا يقبلها العقل فصف لى كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على أنفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة فى السموات والارض مع أرباب القلوب مناجاة فى السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذى لا نهاية له و) ذلك فى قوله تعالى قل (لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى الآية ثم انها تتناجى باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لؤم) أى يدل على لؤم الطبيعة (بل صدور الاحرار قبور الاسرار) كما فى الامثال السائرة (وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد نوجى بخفاياه فنادى بسره على ملأ من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) رواه أحمد والدارمى والشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان من حديث أنس بلفظ لو تعلمون ما أعلم وقد تقدم (بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء سر القدر) قال العراقى رواه ابن عدى وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا لله عز وجل سره هذا لفظ أبى نعيم وقال ابن عدى لا تكلموا فى القدر فانه سر الله الحديث وهو ضعيف وقد تقدم انتهى قلت وتمامه ولا تفشوا لله سره (ولما قال) صلى الله عليه وسلم (اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر أصحابى فامسكوا) رواه الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية وابن مصرى فى أماليه من حديث ابن مسعود بلفظ اذا ذكر أصحابى فامسكوا واذا ذكرت النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا وقد تقدم (ولما خص) صلى الله عليه وسلم (حذيفة) بن اليمان رضى الله عنهما (ببعض الاسرار) وقد تقدم (فاذا عن حكاية مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب أرباب المشاهدات) العيانية (مانعان أحدهما استحالة افشاء السر) لما ورد فيه من النهى (والثانى خروج كلماتها عن الحصر والنهاية) لكونها مستمدة من كلمات الله تعالى (ولكنا فى المثال الذى كنا فيه وهى حركة القلم ومناجاته نذكر قدرا يسيرا يفهم به على) طريق (الاجمال كيفية انتهاء التوكل عليه ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هى حروفا وأصواتا) كما هو شأن الكلمات الالهية عند أهل الحق (ولكن هذه ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى) أى بعين البصيرة (للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان

أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما أنصفتني في هذه المقالة فاني ما سودت وجهي بنفسي
ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت فسأل
الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعا ساكنا عازما على أن لا أبرح منها فاعتدى على القلم بطمعه الفاسد واختطفني من
وطني وأجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا على فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه
وعدوانه واخراج الحبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا (٤٠٣) على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار
فجاءتني اليد بسكين فنحت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعني من أصلي وفصلت بين أنابيبي ثم برتني وشقت رأسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهي تستخدمني وتمشيني على قمة رأسي ولقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما أنا الا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم أو جسما يتحرك بنفسه أنا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والعزة فهي التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض أما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شئ منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذا لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر أما ترى
أيدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فأنا أيضا من حيث أنا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن
شأني فاني مركب أزعجني من ركبني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها فقالت دع عنك لومي
ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمري وكيف ظننت أني ظلمت اليد لما ركبتها وقد كنت لها راكبة قبل
التحريك وما كنت أحركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بي اني ميتة أو معدومة لاني ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى
جاءني موكل أزعجني وأرهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه الا
باسمه وهجومه وصياله اذ أزعجني من غمرة النوم وأرهقني الى ما كان لي مندوحة

أبيض مشرقا) أي منيرا (والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد
ما أنصفتني في هذه المقالة فاني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي
مستقره ووطنه) ومحل اقامته (فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا) فهذا السواد الذي
تراه منه (فقال) الناظر للكاغد (صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعا
ساكنا عازما على ان لا أبرح عنها) أي لا أزول عنها (فاعتدى على القلم بطمعه) وفي نسخة بطبعه (الفاسد)
فأخذني (واختطفني من وطني) ومستقري (وأجلاني عن بلادي) أي أبعدني عنها (وفرق جمعي وبددني كما
ترى على ساحة بيضاء) يعني على صفحة الكاغد (فالسؤال) يتوجه (عليه لا على فقال) الناظر (صدقت ثم سأل
القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على
شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار) متمايلا طربا عند نسائم الاسحار (فجاءتني اليد بسكين) حاد (فنحت عني
قشري) أي ازاله (ومزقت عني ثيابي) هي تلك القشور التي عليه بمنزلة الثياب (واقتلعني من أصلي وفصل بين
أنابيبي) جمع انبوب بالضم وهو ما بين الكعبين من القصب والقنا (ثم براني وشق رأسي وغمسني في سواد الحبر
ومرارته) كانوا يدخلون في تركيبه شيأ مرا لئلا تقع عليه الذباب ولا تقطعه الارضة (وهو ذا يستخدمني ويمشيني
على قمة رأسي) وقمة كل شئ أعلاه (ولقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك) وهو كناية عن شدة التألم (فتنح
عني وسل من قهرني فقال صدقت ثم) التفت و (سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم) واقتطاعها اياه عن
منبته وموضع أصله وجعه (واستخدامها له) كيف تشاء (فقالت اليد ما أنا الا لحم وعظم ودم) ركبت بالعروق
والاعصاب (وهل رأيت لحما يظلم) أو يعتدي (أو جسما يتحرك بنفسه) من غير محرك له (وانما أنا مركب
مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والقوة فهي التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض أما ترى المدر والشجر
والحجر لا يتعدى شئ منها مكانه) الذي أقيم فيه (ولا يتحرك بنفسه اذا لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر
أما ترى أيدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فانا أيضا من حيث انا
لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني فاني مركب أزعجني من ركبني فقال صدقت ثم سأل القدرة
عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها) في نواحي الارض (فقالت دع عنك لومي) فان
اللوم اغراء (و) دع (معاتبتي) فالعتب ازراء (فكم من لائم) غيره هو (مليم) في نفسه أو المراد كم من لائم
غير مليم (وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمري وكيف ظننت أني ظلمت اليد لما ركبتها ولقد
كنت راكبة اياها قبل التحريك وما كنت أحركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بي
اني ميتة أو معدومة) نظرا الى ظاهر سكوني (لاني ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءني موكل أزعجني وأرهقني
الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه
الا باسمه وهجومه وصياله) وبطشه (اذ أزعجني من غمرة النوم وأرهقني الى ما كان لي مندوحة) أي سعة

عنه لوخلاني وراءبي فقال صدقت ثم سأل الارادة فما الذي حركك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وأرهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ولا مناصا فقالت الارادة لا تعجل على فلعل لنا عذرا وأنت تلوم فاني ما انهضت بنفسي ولكن أنهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري بأي جرم وقفت عليه وسخرت له وألزمت طاعته لكني أدري اني في دعة وسكون مالم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقفت عليه وقفا وألزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة

لعمري مادام هو في التردد مع نفسه راتحير في حكمه فانا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك فاني كما قال القائل

متى ترحلت عن قوم وقد قدروا * ان لا تفارقهم فالراحلون هم

فقال صدقت واقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكن أشعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم أما أنا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما أشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبل خاليا عني فسل القلم عني لان الخط لا يكون الا بالقلم فعند ذلك تتعتع السائل ولم يقنعه جواب وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت به في معرفة هذا الامر منه على غيره ولكني كنت أطيب نفسه بكثرة التردد لما كنت أسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فاما قولك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست أفهمه فاني لا أعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لا أسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيأ أسمع جعجعة ولا أرى طحنا فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك في الطريق التي توجهت اليها كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما أنت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فألق

(عنه لوخلاني وراءبي) ي لو تركني وشأني (فقال صدقت ثم سأل الارادة فما الذي حركك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التحريك وأرهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ولا مناصا فقالت الارادة لا تعجل على فلعل لنا عذرا وأنت تلوم) وهو مصراع بيت من غير فاء من فلعل (فاني ما انهضت بنفسي ولكني انهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني) اذا (مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري بأي جرم وقفت عليه وسخرت له وألزمت طاعته لكني أدري اني كنت في دعة) أي راحة (وسكون مالم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقفت عليه وقفا وألزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة في المخالفة لعمري مادام هو في التردد على نفسه والتحير في حكمه فانا ساكن لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذ انجزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك فاني كما قال القائل

متى ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا أفارقهم فالراحلون هم)

وفي نسخة ان لا تفارقهم (فقال صدقت واقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني اشعلت وقال القلب اما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم اما أنا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما أشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح خاليا عني فسل القلم) عني (فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل) أي اضطرب (ولم يقنعه جوابه وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت به في معرفة هذا الامر على غيره ولكني كنت أطيب نفسا بكثرة التردد لما كنت أسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فاما قولك) أيها العلم (اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست أفهمه فاني لا أعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لا أسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد منه شيأ أسمع جعجعة ولا أرى طحنا) وهو مثل مشهور يضرب للجبان يوعد ولا يوقع وللبخيل يعد ولا ينجز ولمن يكثر الكلام ولا يعمل والجعجعة صوت الرحى والطحن بالكسر اسم بمعنى المطحون (فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة) تدفعها الايام اتقاها (وزادك قليل ومركبك ضعيف هزيل والهلاك في الطريق الذي توجهت اليه كثير فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه) واصل المثل ليس بعشك فادرجي (وكل ميسر لما خلق له) كما في الخبر (وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد) العالي (فألق

سمعك وأنت شهيد واعلم ان العوالم فى طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة أولها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد
جاوزت تلك المنازل على سهولة والثانى عالم الملكوت وهو ورائى فاذا جاوزتنى انتهيت الى منازله وفيه المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار
المغرقة ولا أدرى كيف تسلم فيها والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل فى
أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لان عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التى هى فى الحركة بين الارض والماء فلا هى فى حد اضطراب الماء ولا هى فى حد سكون الارض وثباتها وكل من يمشى على الارض يمشى فى عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشى فى عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشى على الماء من غير سفينة مشى فى عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشى على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافى وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذى يكتب به العلم فى لوح القلب وحصول اليقين الذى يمشى به على الماء أما
سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما قيل له انه كان يمشى على الماء فقال السالك
السائل قد تحيرت فى أمرى واستشعر قلبى خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدرى أطيق قطع هذه المهامة التى وصفتها أم لا فهل لذلك
من علامة

سمعك وأنت شهيد) أى شاهد بقلبك (واعلم ان العوالم فى طريقك هذه ثلاثة عالم الملك والشهادة أولها)
وهو عبارة عن عالم المحسوسات الطبيعية والملك بالضم التصرف بالامر والنهى فى الجمهور والعالم كل ماسوى
الله تعالى من الموجودات وسمى عالم الشهادة بالاضافة الى الملكوت الذى هو عالم الغيب (ولقد كان الكاغد
والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثانى عالم الملكوت) وهو فعلوت من
الملك وهو عالم الغيب المختص بارواح النفوس كما تقدم مرارا (وهو ورائى فاذا جاوزتنى انتهيت الى منازله وفيه
المهامه الفيح) جمع أفيح وهو الواسع (والجبال الشاهقة) أى المرتفعة (والبحار المغرقة) لتلاطم أمواجها
(ولا أدرى كيف تسلم فيها) واليه الاشارة بقول القائل

كيف الوصول الى سعاد ودونها * قلل الجبال ودونهن حتوف

(والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك والملكوت) وهو البرزخ المحيط بالآيات الجمة هذا هو قول الاكثرين
وعند أبى طالب المكى عالم الجبروت عالم العظمة أى عالم الاسماء والصفات الالهية ويقرب منه قول من قال
الجبروت هو حضرة الاسماء كما ان الملكوت حضرة الصفات من حيث كونها وسائط التصرف بين الاسماء
والافعال كاللطف والقهر المتوسطين بين اللطيف والملطوف والقهار والمقهور وقال بعضهم عالم الملك هو
الظاهر المحسوس وعالم الملكوت هو الباطن فى العقول وعالم الجبروت هو المتوسط بينهما الآخذ بطرف من كل
منهما وذهب بعضهم الى ان عالم الملك هو المدرك بالعقول وعالم الجبروت هو المدرك بالمواهب وقال بعضهم كل
عالم اتفق أهله على كلمة حق فهو عالم الملك وليس ذلك الا العالم العلوى وعالم الملكوت باعتبار أنوار أهله وتباين
مقاماتهم وأحوالهم وعالم الجبروت باعتبار الانوار التى تهب عليهم لتفنى بها ذواتهم وأرواحهم ومعارفهم وتدوم
بها مقاماتهم فتلك الانوار كالمفنية لجميع ما سبق من أحوالهم وقال القاشانى عالم الامر وعالم الملكوت وعالم
الغيب هو عالم الارواح والروحانيات لانها وجدت بامر الحق بلا واسطة مادة ومدة (ولقد قطعت منها ثلاث
منازل اذ فى أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت) آخذ بطرف من كل
منهما (لان عالم الملك أسهل منه) أى من عالم الجبروت (طريقا) لتعلقه بظاهر المحسوس (وعالم الملكوت
أوعر منه) أى من عالم الجبروت (منهجا) أى مسلكا (وانما عالم الجبروت بين عالم الملك والملكوت يشبه
السفينة التى هى فى الحركة بين الارض والماء فلا هو فى حد اضطراب الماء) وتلاعبه (ولا هو فى حد سكون
الارض وثباتها وكل من يمشى على الارض يمشى فى عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى ان يقوى على ركوب
السفينة كان كمن يمشى فى عالم الجبروت فان انتهى الى أن يمشى على الماء من غير سفينة مشى فى عالم الملكوت
من غير تتعتع) أى اضطراب (فان كنت لا تقدر على المشى على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت
السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافى) من ملابسة كدورات الارض وهكذا شأن مياه القدرة فانها
صافية أبدا (وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذى يكتب به العلم فى لوح القلب وحصول اليقين الذى يمشى
به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء
لما قيل له انه كان يمشى على الماء) وروى ابن أبى الدنيا وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال قيل لعيسى
عليه السلام بأى شئ تمشى على الماء قال بالايمان واليقين وقد تقدم فى آخر كتاب الصبر والشكر ان المحفوظ
لو ازداد أحدكم يقينا لمشى على الهواء (فقال السالك السائل قد تحيرت فى أمرى واستشعر قلبى خوفا مما) وفى
نسخة بما (وصفته من خطر الطريق ولست أدرى أطيق قطع هذه المهامه التى وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة)

قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوى فان ظهر لك القلم الذى به أكتتب فى لوح القلب فيشبه ان تكون أهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أما ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم فى أول أمره كوشف بالقلم اذ أنزل عليه اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصرى وحدقته فوالله ما أرى قصبا ولا خشبا ولا أعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد أبعدت النجعة أما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدى ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى فى ذاته بجسم ولا هو فى مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدى ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما أراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وأنوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معانى الحروف والاصوات وأخذت تتوقف فى يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التى تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا

استدل بها على سلوك هذا الطريق (قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوى) أى اصرفه الى (فان ظهر لك القلم الذى به انكتبت فى لوح القلب فيشبه ان تكون أهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع أول باب من أبواب الملكوت كوشف بالقلم اما ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم فى أول أمره كوشف بالقلم اذ أنزل عليه اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) وهو أول ما نزل من القرآن بمكة كما رواه ابن مردويه عن ابن عباس والحاكم عن أبى موسى والبيهقى عن عائشة وقال مجاهد أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم كما رواه عبد بن حميد ورواه ابن أبى شيبة عن عبيد بن عمير مثله (فقال السالك قد فتحت بصرى وحدقته فوالله ما أرى قصبا ولا خشبا ولا أعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد أبعدت النجعة) يقال نجع القوم وانتجعوا اذا ذهبوا لطلب الكلا فى موضعه ثم كثر استعماله فى كل طلب والاسم النجعة بالضم (أما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات وكذلك لا تشبه يده الايدى ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى فى ذاته بجسم ولا هو فى مكان) تعالى الله عن ذلك (بخلاف غيره ولا يده لحم ولا عظم ودم بخلاف الايدى ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه صوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما أراك الا مخنثا) وفى نسخة متحيرا (بين فحولة التنزيه وأنوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته عن الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن مبانى الحروف والاصوات وأخذت تتوقف فى يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله قد خلق آدم على صورته) رواه أحمد والشيخان من حديث أبى هريرة بلفظ خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على أولئك النفر الحديث وفى آخره فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فى طوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن وهو عند البخارى وحده فى كتاب الاستئذان بلفظ المصنف وعند مسلم وحده اذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته وعند الطبرانى على صورة وجهه وعند الدارقطنى فان وجه الانسان على صورة الرحمن وقد تقدم فى قواعد العقائد (الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا) فقد أثبت له ما هو من أوصاف الاجسام (كما يقال) فى الاقوال السائرة (كن يهوديا صرفا) أى خالصا (والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التى تدرك بالبصيرة لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا) فالتنزيه من أوصاف الفحولية والتشبيه من أوصاف الانوثية وعلى هذا فالمنزه فحل والمشبه مؤنث وهذا الذى ساقه المصنف هو على ظواهر قواعد الشريعة وعليه أكثر المتكلمين والمنصوص عند أرباب العرفان هو الجمع بين التنزيه والتشبيه وقد أشار الى ذلك الشيخ الاكبر قدس سره فى مواضع من كتابه الفصوص وقد طعن عليه علماء الرسوم طعنا كليا ومنشؤه عدم الفهم ونحن نسوق كلامه قال فى فص نوح عليه السلام * اعلم ان التنزيه عند أهل الحقائق فى الجناب الالهى عين التحديد والتقييد فالمنزه اما جاهل واما صاحب سوء أدب ولكن اذا أطلقاه وقالا به فالقائل بالشرائع المؤمن اذا نزهه ووقف عند التنزيه ولم ير غير ذلك فقد أساء الادب وأكذب الحق والرسل عليهم السلام وهو لا يشعر ويتخيل انه فى الحاصل وهو فى الفائت وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض ولا سيما وقد علم ان ألسنة الشرائع الالهية اذا نطقت فى الحق بما نطقت به انما جاءت به فى العموم على المفهوم الاول وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ باى لسان كان فى وضع ذلك اللسان فان للحق فى كل خلق ظهورا خاصا فهو الظاهر فى كل مفهوم وهو الباطن من كل فهم الا عن فهم من

قال ان العالم صورته وهويته وهو الاسم الظاهر كما انه بالمعنى روح ما ظهر فهو الباطن فنسبته لما ظهر من صور العالم نسبة الروح المدبر للصورة فيؤخذ فى حد الانسان مثلا باطنه وظاهره وكذلك كل محدود فالحق محدود بكل حد وصور العالم لا تنضبط ولا يحاط بها ولا تعلم حدود كل صورة منها الا قدر ما حصل لكل عالم من صوره فكذلك يجهل حد الله تعالى فانه لا يعلم حده الا من يعلم حد كل صورة وهذا محال حصوله لحد الحق محال وكذلك من شبهه ومن نزهه فقد قيده وحدده وما عرفه ومن جمع فى معرفته بين التنزيه والتشبيه ووصفه بالوصفين فقد عرفه على الاجمال لانه يستحيل ذلك على التفصيل لعدم الاحاطة بما فى العالم من الصور فقد عرفه مجملا لا على التفصيل ولذلك ربط النبى صلى الله عليه وسلم معرفة الحق بمعرفة النفس فقال من عرف نفسه عرف ربه ثم قال

فان قلت بالتنزيه كنت مقيدا * وان قلت بالتشبيه كنت محددا
وان قلت بالامرين كنت مسددا * وكنت اماما فى المعارف سيدا
فمن قال بالاشفاع كان مشركا * ومن قال بالافراد كان موحدا
واياك والتشبيه ان كنت ثانيا * واياك والتنزيه ان كنت مفردا

قال الله تعالى ليس كمثله شئ فنزه وهو السميع البصير فشبه قال الله تعالى ليس كمثله شئ فشبه وثنى وهو السميع البصير فنزه وأفرد انتهى نصه مع اختصار وتقرير هذا الكلام من وجهين * الوجه الاول فاعلم ان الانبياء عليهم السلام نزهوا الحق تعالى و بالغوا فيه ومع هذا فقد بلغوا عن الله تعالى ومن عند أنفسهم كلمات تدل على التشبيه فالتنزيه وارد عنهم والتشبيه أيضا صادر عنهم فوجب الجمع بينهما فان قيل ان أوّلنا أو توقفنا أو أحلنا علم ذلك على الله تعالى مع الجزم بانه منزه عن شائبة الامكان ارتفع التشبيه مطلقا ولم يبق منه أثر وبقى التنزيه المجرد الذى ليس فيه رائحة من التشبيه فكيف يجب الجمع بينهما وان لاحظنا التشبيه الصرف ولم نضم اليه التنزيه المحض لزم الجمع بين النقيضين لان التنزيه ينفى التشبيه والتشبيه يرفع التنزيه والجمع بين الاثبات والنفى فى أمر واحد من وجه واحد محال * والجواب عنه فى مقامين المقام الاول لما كانت هذه العبارات التشبيهية صادرة عن الانبياء عليهم السلام من غير شك وجب علينا الايمان بها سواء أوّلنا أم توقفنا ونحن نعنى بالتشبيه مجرد الايمان بتلك العبارات وليس هذا اصطلاحا مجردا فان تلك الالفاظ تدل على التشبيه بلا شك غاية ما فى الباب اننا اما نؤوّل أو نتوقف ونكل علمها الى الله تعالى وهذا لا ينافى التشبيه بهذا المعنى المقام الثانى ان أهل السنة أثبتوا الصفات الزائدة بقياس الغائب على الشاهد فهى معان مشتركة بيننا وبين الله تعالى وهذا القدر من التشبيه واف كاف ولهذا سمت المعتزلة أهل السنة مشبهة وهذا بواسطة قياس الغائب على الشاهد الذى هو عين التشبيه وهذا المقام أقوى وأظهر من الاول لان فيه التشبيه واضح بغير شبهة وكما ذكرنا التشبيه فهذا المعنى هو مرادنا به لا غير * الوجه الثانى اعلم أن الذات كما تقرر عندهم مبدؤ جميع الاحكام والآثار ولها وجه العينية بالنسبة الى الاشياء ولها أيضا وجه الغيرية فوجه العينية تشبيه ووجه الغيرية تنزيه وفى الواقع انه عين من وجه وغير من وجه لا جرم كان التنزيه فقط تحديدا وتقييدا والتشبيه فقط أيضا تحديدا وتقييدا وكلا الطرفين افراط وتفريط وكمال الاعتدال هو ان نسبة الذات من حيث هى تنزيه ومن حيث العينية تشبيه بحيث لا يكون هذا مانعا من ذاك ولا ذاك من هذا فاذا المنزه الصرف ان علم هذا المعنى أو لم يعلم وجرد التنزيه عن التشبيه فهو قليل الادب والتشبيه الصرف الخالى عن التنزيه كفر وضلال فالتنزيه من حيث الذات المنزه عن الكيف والتشبيه من حيث المعية والمقارنة ومبدئيته لسائر الاحكام وقال قدس سره فى هذا الفصل أيضا لو أن نوحا عليه السلام جمع فى دعوته بين التشبيه والتنزيه كما جمع محمد صلى الله عليه وسلم فى آية ليس كمثله شئ لقبلوا وأجابوا دعوته كما أجابت أمة محمد محمدا صلى الله عليه وسلم فانه شبه ونزه فى آية بل فى نصف آية على تقدير أن تكون الكاف غير زائدة فاثبات المثل تشبيه ونفى مثل المثل تنزيه فدعا محمد صلى الله عليه وسلم قومه ليلا ونهارا بل دعاهم ليلا فى نهار ونهارا فى ليل يعنى شبه فى تنزيه ونزه فى تشبيه اه ويوضحه ما قاله الفخر الرازى

واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى انى أنا ربك فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زينته الذى فى مشكاة قلبه يكاد يضىء ولو لم تمسسه نار فلما انفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فأصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك لعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهى فاذا هو كما وصفه العلم فى التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام فى قلوب البشر كلهم أصناف العلوم وكأن له فى كل قلب رأسا ولا رأس له فقضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم فجزاه الله تعالى عنى خيرا اذ الآن ظهر لى صدق أنبائه عن أوصاف القلم فانى أراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامى عندك ومرادتى لك وأنا عازم على أن أسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر اليه وقال له ما بالك أيها القلم تخط على الدوام فى القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات الى أشخاص القدر وصرفه الى المقدورات فقال أوقد نسيت ما رأيت فى عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم اذ سألته فأحالك على اليد قال لم أنس ذلك قال فجوابى مثل جوابه قال كيف وأنت لا تشبهه قال القلم أما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شأنى الملقب بيمين الملك فانى فى قبضته وهو الذى

يرددنى

فى كتابه تأسيس التقديس وليس فى القرآن ما يدل على التنزيه بطريق التصريح الا قوله تعالى ليس كمثله شئ ودلالته على التنزيه ضعيفة اه وكان مراده بضعف الدلالة تعقيبه بهو السميع البصير مع وجود الكاف لان المعنى مع وجوده ليس مثل مثله شئ وأما قول الشيخ قدس سره فى قوله تعالى انى دعوت قومى ليلا ونهارا يعنى ليل التنزيه ونهار التشبيه فهو من باب الاشارة لا من باب العبارة والتفسير اذ التنزيه نفى المماثلة والمشابهة وهو أمر سلبى عدمى فلا يدرك من الذات المنزهة الا السلب وأما هى فى حد ذاتها فلم تدرك كما أن الظلمة عبارة عن الليل لانه أمر عدمى ولا يبصر فيه شئ فهو عدم الادراك فالليل يناسب التنزيه والنهار عبارة عن النور والنور أمر وجودى وهو يدرك ويدرك بواسطته الاشياء أيضا والتشبيه اثبات صفات وجودية حقيقية مثل السمع والبصر والكلام واليدين وغيرها والصفات الوجودية لها ظهور فالنهار يناسب النور وقس قوله فى قوله تعالى ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا ان الاعلان تشبيه والاسرار تنزيه والدعوة قد تكون الى التنزيه فقط وقد تكون الى التشبيه فقط والكمال فى الجمع بينهما والتنزيه فقط مرتبة عظيمة ومن مراتب الكمال والتشبيه فقط نوعان أحدهما مذموم وهو تشبيه الحق بالخلق فى الذات كما قوله المجسمة وهو كفر والثانى محمود وهو التشبيه بمعنى اثبات الصفات الثبوتية له وهذا التشبيه أيضا مرتبة عظيمة ومن مراتب الكمال وأكملها الجمع بينهما وهذه المرتبة من خواص أمة محمد صلى الله عليه وسلم فافهم ذلك بتدبر ولا تعجل بالانكار والله أعلم ولنعد الى شرح كلام المصنف رحمه الله تعالى (واطو الطريق) الطى خلاف النشر يقال طويته طيا فانطوى وطى الطريق قطع المسافة فيه بسرعة (فانك بالواد المقدس طوى) عطف بيان للوادى وهو اسم بقعة بالقرب من جبل الطور (واستمع بسر قلبك لما يوحى) أى لما يلقى اليك وحيا أو الهاما أو نفثا فى الروع (فلعلك تجد على النار) المتوقدة فى شجرة خضراء (هدى) أى هاديا يدلك على طريق سلوكك الى مولاك (ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى) عليه السلام (انى أنا ربك الاعلى) وذلك من جميع جهاتك وجميع أعضائك (فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه) لم يكمل فى أحد المقامين فضلا عن الجمع بينهما (فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زيته الذى فى مشكاة قلبه يكاد يضىء ولو لم تمسسه نار فلما انفخ فيه العلم بحدته) مسته النار و (اشتعل زيته فاصبح نورا على نوره) الذى كان فيه (فقال له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على هذه النار) التى اوقدت فى شجرة قلبك (هدى فانفتح بصره وانكشف له القلم الالهى واذا هو كما وصفه العلم فى التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام فى قلوب البشر كلهم أصناف العلوم) وأنواع المعارف والفهوم (وكأن له فى كل قلب رأسا ولا رأس له فقضى) السالك (منه العجب وقال نعم الرفيق العلم فجزاه الله عنى خيرا اذ الآن ظهر لى صدق أنبائه) أى أخباره (عن أوصاف القلم فانى أراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامى عندك ومرادتى لك) فى السؤال والجواب (وأنا عازم) الآن (على أن أسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر اليه وقال) له (ما بالك تخط على الدوام فى القلوب من العلوم) والمعارف (ما تبعث به الارادات الى اشخاص القدرة وصرفها الى المقدورات فقال) له القلم (أوقد نسيت ما رأيت فى عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم) الظاهر (اذ سألته فاحالك على اليد) وصدقته على جوابه (قال) السالك (لم أنس ذلك) وفى نسخة قال لا والمعنى واحد (قال) القلم الباطن (فجوابى مثل جوابه قال كيف وأنت لا تشبهه قال القلم أما سمعت) بواسطة الرسل (ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شأنى الملقب بيمين الملك فانى فى قبضته وهو الذى

يرددني وأنا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال فمن يمين الملك فقال القلم أما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال والاقلام أيضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي وأصبع لا كالاصابع فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم فقال جوابي مثل ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهي الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسافر السالك الى عالم القدرة ورأى فيه من العجائب ما استحقر عندها ما قبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما أنا صفة فاسأل القادر اذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالجراءة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته فلما افاق قال سبحانك ما أعظم شانك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا أن أسألك وأتضرع اليك وأبتهل بين يديك فأقول اشرح لي صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك أن تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته عنه وما قاله لك فقله فانه

يرددني وأنا مقهور مسخر فلا فرق) اذا (بين القلم الالهي و) بين (قلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال فمن يمين الملك فقال القلم اما سمعت قول الله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال والاقلام أيضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه) واذا جاز وصف شيء منها لم تحتمله العقول لقصورها عن فهمها (والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي وأصبع لا كالاصابع) هذا هو مذهب السلف من أكابر المحدثين والفقهاء والمتكلمين قالوا ان اليدين والاستواء والوجه واليمين والجنب والقدم وأمثالها كلها صفات حقيقية قائمة بذات الحق جل جلاله كما يقول به سائر أهل السنة في الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام من انها صفات حقيقية وقائمة بذات الحق تعالى ومع هذا يقولون ان سمعه لا كسمعنا وبصره لا كبصرنا وكلامه لا ككلامنا وقال الامام أحمد ان يديه ليست كيد يناول لكن له يدان هما صفتان حقيقيتان وكذا قال في الوجه ووافقهم الامام أبو الحسن الاشعري في هذا المعنى لكنه في بعضها دون جميع المتشابهات وقد تقدم التفصيل في ذلك في شرح قواعد العقائد (فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم فقال جوابي مثل ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة) والملك (وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسافر) السالك (الى عالم القدرة ورأى فيها من العجائب ما استحقر عندها ما) رأى (قبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما أنا صفة فسل القادر اذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات) فان الموصوفات هي التي قامت بها تلك الصفات (وعند هذا كاد) السالك (أن يزيغ) أي يميل (ويطلق بالجرأة لسان السؤال) فادركته العناية الالهية (فثبت بالقول الثابت) في قلبه (ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة) الربانية (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فغشيته هيبة الحضرة) فلم يستطع القيام معها (فخر صعقا) مندهشا (يضطرب في غشيته ثلاث مدة) كما جرى ذلك لموسى عليه السلام حين سأل الرؤية (فلما أفاق) من غشيته (قال سبحانك ما أعظم شانك) وأجل سلطانك (تبت اليك) أي رجعت عما كنت عازما عليه في السؤال عن مثل هذه الحقائق (وتوكلت عليك) فلا يتم مقام التوكل الا بعد ملاحظة عظمة شأنه وألوهيته والانصراف اليه بكليته (وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك) أشار بالاول الى المقام الموسوي اذ قال عقب افاقته سبحانك تبت اليك وبالثاني الى المقام المحمدي اذ قال أعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك (ومالي الا أن أسألك وأتضرع اليك وأبتهل بين يديك فاقول) رب (اشرح لي صدري لاعرفك) كما ينبغي أن تعرف فالنور اذا دخل الصدر انشرح له وانفتح فانكشفت له أسرار المعرفة (واحلل عقدة من لساني) أي رقة تمنع عن كمال الافصاح والافهام (لاثني عليك) بما أنت أهله وهذا أيضا اشارة الى المقام الموسوي (فنودي من وراء الحجاب اياك أن تطمع في الثناء) أي في الوصول الى غاياته (وتزيد على سيد الانبياء) محمد صلى الله عليه وسلم (بل ارجع اليه) واقتد به (فما آتاك فخذه وما نهاك) عنه (فانته عنه) كما قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (وما قاله فقله) فما بلغ أحد مقاما ما بلغه هو وليس لغيره الا اتباعه كما في الخبر لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي (فانه) لما لاحظ المعنى الجامع لصفات الالوهية كاد أن يحصل له الدهش والتحير فادركته المنح حتى تحقق في تحيره ولذلك

مازاد في هذه الحضرة على أن قال سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك أن تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به فان أصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اما سمعته يقول

العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة ومابعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل الآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما أنتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الاول والآخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالاول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سير السائرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى أن يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في واما المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت

(مازاد في هذه الحضرة على ان قال سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) فهو المثني على نفسه وهو المثنى عليه أزلا وأبدا وجميع المحامد راجعة اليه (فقال) السالك (الهي ان لم تكن للسان جراءة في الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك) أي في منتهى درجتها (فنودي اياك أن تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر) رضي الله عنه (فاقتد به) واسلك سبيله (فان أصحاب سيد الانبياء) صلى الله عليه وسلم (كالنجوم) المشرقة في السماء (بايهم) أيها المسافرون في سلوك طريق الحق (اقتديتم اهتديتم) الى من اليه السلوك يشير الى ما رواه عبد بن حميد من حديث ابن عمر أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ورواه غيره من حديث أبي هريرة وأسانيده ضعيفة وقال أحمد لا يصح وقال البزار منكر وقال البيهقي في كتاب الاعتقاد رويناه في حديث موصول باسناد غير قوي في حديث آخر منقطع قال والحديث الصحيح يؤدي بعض معناه وهو حديث أبي موسى المرفوع النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون وأصحابي امنة لامتي فاذا ذهبت أتى أمتي ما يوعدون (أما سمعته يقول العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا) قال المصنف في المقصد الاسنى فان قلت فما نهاية معرفة العارفين بالله تعالى فاقول نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هي انهم لا يعرفونه وانهم لا يمكنهم البتة معرفته وانه يستحيل ان يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية الا الله تعالى فاذا انكشف لهم ذلك انكشافا برهانيا فقد عرفوه أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته وهو الذي أشار اليه الصديق الاكبر حيث قال العجز عن درك الادراك ادراك بل هو الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولم يرد به انه عرف منه ما لا يطاوعه لسانه في العبارة عنه بل معناه اني لا أحيط بمحامدك وصفات الهيتك وانما أنت المحيط بها وحدك فاذا لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته الا بالحيرة والدهشة واما اتساع المعرفة فانما يكون في معرفة أسمائه وصفاته (فعند هذا رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري اني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد) في الكلام السائر (لكل داخل دهشة) وتمامه فتلقوه بمرحبا (فما كان انكاري عليكم الا من قصور وجهل) مني (والآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما أنتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والآخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة) الذي هو أول عوالم السير (استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الاول والآخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن والاول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه الكل على الترتيب واحدا بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سير السائرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل) ومن مقام الى مقام (الى أن يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت) قال المصنف في المقصد الاسنى اعلم أن الاول يكون أولا بالاضافة الى شيء وان الآخر يكون آخرا بالاضافة الى شيء وهما متناقضان فلا يتصور أن يكون الشيء الواحد من وجه بالاضافة الى شيء واحد أولا وآخرا جميعا بل اذا نظرت الى ترتيب الوجود ولاحظت سلسلة الموجودات المترتبة فالله تعالى بالاضافة اليها أول اذ الموجودات كلها استفادت الوجود منه

وأماهو فو جود بذاته وما استفاد الوجود من غيره ومهما نظرت الى ترتيب السلوك ولاحظت مراتب السائرين اليه فهو آخر اذهو آخر ما ترتقى اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهى مرقاة الى معرفته والمنزل الاقصى هى معرفة الله سبحانه فهو آخر بالاضافة الى السلوك اليه أول بالاضافة الى الوجود فمنه المبدأ أولا واليه المرجع والمصير آخرا وأما الظاهر والباطن فهما أيضا من المضافات فان الظاهر يكون ظاهرا من وجه وباطنا من وجه آخر ولا يكون من وجه واحد ظاهرا وباطنا بل يكون ظاهرا من وجه وبالاضافة الى ادراك وباطنا من وجه وبالاضافة الى ادراك فان الظهور والبطون انما يكون بالاضافة الى الادراكات والله سبحانه باطن ان طلب من ادراك الحواس وخزانة الخيال ظاهر ان طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال فان قلت اما كونه باطنا بالاضافة الى ادراك الحواس فظاهر وأما كونه ظاهرا بالاضافة الى ادراك العقل فغامض اذ الظاهر ما لا يتمارى فيه ولا يختلف الناس فى ادراكه وهذا مما وقع الريب الكثير للخلق فكيف يكون ظاهرا فاعلم انه انما يخفى مع ظهوره لشدة ظهوره فظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره وكل ما جاوز من حده انعكس على ضده فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفى عليهم بشدة ظهوره فهو الظاهر الذى لا أظهر منه والباطن الذى لا أبطن منه ولا تعجبن من هذا فى صفات الله تعالى فان المعنى الذى به الانسان انسان ظاهر باطن فانه ظاهر ان استدل عليه بافعاله المرتبة المحكمة باطن ان طلب من ادراك الحس فان الحس انما يتعلق بظاهر بشرته وليس الانسان انسانا بالبشرة المرئية منه بل لو تبدلت تلك البشرة بل سائر أجزائه فهو هو والاجزاء متبدلة ولعل أجزاء كل انسان بعد كبر سنه غير الاجزاء التى كانت فيه عند صغره فانها تحللت بطول الزمان وتبدلت بامثالها بطريق الاغتذاء وهويته لم تتبدل فتلك الهوية باطنة عن الحواس ظاهرة للعقل بطريق الاستدلال عليها بآثارها وأفعالها (فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد فى الفعل أعنى من انكشف له ان الفاعل واحد) وحيث انتهى بنا الكلام الى هنا فلنورد ما اعترض على المصنف فى هذا السياق من أوله الى هنا قال المعترض فى جملة كلامه وكيف يتصور مخاطبة العقلاء للجمادات والجمادات للعقلاء وبماذا تسمع تلك المخاطبة أبحاسة الاذن أم بسمع القلب وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الالهى وما حد عالم الملك وعالم الجبروت وعالم الملكوت وما معنى ان الله تعالى خلق آدم على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التى معتقدها يكون مشبها صرفا والصورة الباطنة التى يكون معتقدها منزها خلا وما معنى فاطو الطريق فانك بالوادى المقدس طوى ولعله ببغداد أو أصفهان أو نيسابور أو طبرستان فى غير الوادى الذى سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى وما معنى فاستمع بسر قلبك لما يوحى أهل يكون سماع القلب بغير سره وكيف يسمع ما يوحى من ليس بنبى اذلك على طريق التعميم أم على طريق التخصيص ومن له بالتسلق الى مثل ذلك المقام حتى يسمع أسرار الاله وان كان على سبيل التخصيص فالنبوة ليست محجورة على أحد الا من قعد عن سلوك تلك الطريق وما يسمع فى النداء اذا سمع هل اسم موسى أو اسم نفسه وما معنى الامر للسالك بالرجوع ونهيه أن يتخطى رقاب الصديقين وما الذى أوصلهم الى مقامهم وهو فى المرتبة الثالثة وهى توحيد المقربين وما معنى انصراف السالك بعد وصوله الى ذلك الرفيق الاعلى والى أين وجهته فى الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذى يمنعه من البقاء فى الذى وصل اليه وهو أرفع من الذى خلفه وأين هذا من قول أبى سليمان الدارانى المذكور فى غير الاحياء لو وصلوا ما رجعوا اما وصل من رجع * وقد أجاب المصنف عن هذه الاسئلة فى الاملاء بما نصه اما مخاطبة العقلاء للجمادات فغير مستنكر فقد ما ندب الناس الديار وسألوا الاطلال واستخبروا الآثار وقد جاء فى أشعار العرب وكلامهم كثيرا وفى الحديث اسكن حراء فانما عليك نبى وصديق وشهيدان وقال بعضهم سل الارض تخبر عمن شق أنهارها وغرس أشجارها وفجر بحارها وفتق أهواءها ورتق أجوافها وأرسى جبالها ان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وانما الذى يتوقف على الاذهان ويتحير فى قبوله السامعون ويتعجب منه كلام الجمادات والحيوانات الصامتات ففى هذا وقع الانكار واضطرب النظار وكذب فى تصحيح وجوده ذوو السمع من أهل الاعتبار ولكن لتعلم أن

فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد فى الفعل أعنى من انكشف له أن الفاعل واحد

تلقى الكلام للعقلاء ممن لم يعهد عنه فى المشهور يكون على جهات من ذلك سماع الكلام الذاتى كما يتلقى أهل النطق اذا قصدوا الى نظم اللفظ وذلك أكثر ما يكون للانبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين فى بعض الاوقات كحنين الجذع للنبى صلى الله عليه وسلم وكان بمكة حجر يسلم عليه قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فى طريقه ومنها تلقى الكلام فى حس السامع من غير أن يكون له وجود فى خارج الحس ويعترى هذا فى سائر الحواس كمثل ما يسمع النائم فى منامه من مثال شخص من غير مثال والمثال المرئى للنائم ليس له وجود فى غير سمعه وأما ما يجده غير النائم فى اليقظة فمنها خاصة وعامة والعامة تشهد بصحة الخاصة كما جاء فى الحديث عن اليهود آخر الزمان الحجر ينادى المسلم يا مسلم خلفى يهودى فاقتله فان لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا ويذهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر من يتكلم عنه ممن يستتر عن الابصار فى العادة من الملائكة والجن أو يكون كلام يخلقه الله تعالى فى آذان السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودى حتى يقتله وكما قال فى العرض الاكبر اذا نودى فيه باسم كل واحد على الخصوص فى الخلائق مثل المنادى اسمه به كثير وقد قالت العلماء انه لا يسمع النداء فى ذلك الجمع الا من نودى فيحتمل ان ذلك النداء يخلق للمنادى فى حاسة اذنه ليتحرك الى الحساب وحده دون من يشاركه فى اسمه ولا يكون نداء من خارج والامثلة كثيرة فى الشرع وفيما سمعت منه مقنع ومنها تلقى الكلام فى العقل وهو المستفاد بالمعرفة المسموع بالقلب المفهوم بالتقدير عن اللفظ المسمى بلسان الحال كما قال قيس

وأجهشت للتوباد حين رأيته * وكبر للرحمن حين رآنى

فقلت له أين الذين عهدتهم * حواليك فى عيش وخفض جنان

فقال مضوا واستودعونى بلادهم * ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

وفى أمثال العوام قال الحائط للوتد لم تشقنى فقال الوتد للحائط سل من يدقنى فلو كانت العبارة يتأتى منها ما عبرت الاعجما قد استعير لها وعلى هذا المعنى حمل كثير من العلماء قوله عز وجل عن السماء والارض حين قالتا أتينا طائعين وقوله عز وجل عن السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ومنها تلقى الكلام فى الخيال مثل قوله صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر الى يونس بن متى عليه عباءتان قطوانيتان يلبى وتجيبه الجبال والله يقول لبيك يا يونس فقوله كأنى يدل على انه تخيل حالة سبقت لم يكن لها فى الحال وجود ذاتى لان يونس عليه السلام قد مات وتلك الحالة منه قد سلفت وفى هذا الحديث اخبار عن الوجود الخيالى فى البصر والوجود الخيالى فى السمع ومنها تلقى الكلام بالشبه وهو أن يسمع السامع كلاما وأصواتا من شخص حاضر فيلقى عليه شبه غيره مما غاب عنه كقوله صلى الله عليه وسلم فى صوت أبى موسى الاشعرى وقد سمعه يترنم بالقرآن لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود ومزامير آل داود قد عدمت وذهبت وانما شبه صوته بها وكما اذا سمع المريد صوت مزمار وعود فداء على غير قصد بتخييل صرير أبواب الجنة وتشبيهها بالغناء صوته من ذلك فهذه مراتب الوجود فأنت اذا أحسنت التصرف بين اثباتها ولم يعترك غلط فى بعضها ببعض ولا اشتبهت عليك وسمعت عن نظر بمشكاة نور الله تعالى الى الكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر فقال له ما بال وجهك وكان أبيض مشرقا مونقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك فقال الكاغد ما أنصفتنى فى هذه المطالبة فانى ما سودت وجهى بنفسى لكن سل الحبر فانه كان مجموعا فى المحبرة التى هى مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهى ظلما وعدوانا فقال ما أنصفت فقال صدقت ثم أنت اذا سمعت أمثال هذه المراجعات اعمل الفكر وحدد النظر وحل الكلام الى أجزائه التى انتظم منها جملة ما بلغك فتسأل عن معنى الناظر ومعنى نور الله سبحانه وما سبب ان لم يعرف الناظر الكتابة والمكتوب وبأى لسان خاطب الكاغد وهو ليس من أهل النطق وفيما اذا صدق الناظر الكاغد ولم صدقه بمجرد قوله دون دليل ولا شاهد فيدولك ههنا أن الناظر هو ناظر القلب فيما أورده عليه الحس والمشكاة استعارة نقلت من مشكاة الزجاجة التى أعمرت بسراج النار الى حبر المعرفة الملقب بسر القلب تشبيها به الا انها مسرجة الرب تعالى يشعلها بنوره ونوره المذكور ههنا عبارة عن صفاء الباطن واشتعال السر بطلوع نيرات

كتب

كتب المعارف المذهبة باذن الله تعالى ظلم جهالات القلوب ووجه اضافته الى الله تعالى على سبيل الاشارة بالذكر لاجل التخصيص بالشرف والكاغد والحبر كناية عن أنفسهما لا عن غيرهما وجعلهما مبدا طريقه وأول سلوكه اذهما فى عالم الملك والشهادة الذى هو محل جملة الناظر فى حال نظره واما سبب انه لم يعرف الكتابة ولا المكتوب فلاجل انه كان أميا لا يقرأ الكتاب الصناعى وانما يروم معرفة قراءة الخط الالهى الذى هو أبين وأدل على ما يفهم منه وأما مخاطبة الناظر للكاغد وهو جماد فقد سبق الكلام على مثله ومراجعة الكاغد له فعلى قدر خال الناظر ان كان مرادا فيتلقى الكلام فى الحس بما ينبه على المطلوب من الحق وهو من الالقاء فى الروع فيودعه الحس المشترك المحفوظ فيه على الانسان صور الاشياء المحسوسة وان كان مريدا فيتلقاه بلسان الحال المسموع بسمع القلب بواسطة المعرفة والعقل وتصديق الناظر للكاغد فى عذره واحالته على الحبر لم يكن بمجرد قوله بل بشهادة أولى الرضا واعدل وهو البحث والتجربة وهذا سبيلك الى اليد وهو آخر ما سئل عن أجزاء عالم الملك وأما ما يسمعه فى عالم الجبروت وذلك من القدرة المحدثة الى العقل والعلم الموجودين فى الانسان فيستقره فى القوة الوهمية المدركة جميع ما يستدعى وجوده جسما ولكن قد يعرض له أن يكون فى جسم كما تدرك السخلة عداوة الذئب وعطف امها فتتبع العطف وتنفر عن العداوة وأما ما يسمعه فى حد عالم الملكوت وذلك من العلم الالهى الى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه معدود منه فسر القلب الذى يأخذه عن الملائكة ويسمع ما بعد مكانه ودق معناه وغرب عن القلوب من جهة الفكر تصوره فاما أى شئ حقائق هذه المذكورات وما كنه واحد منها على نحو معرفتك لاجزاء عالم الملك والشهادة فذلك من علم لا ينتفع بسماعه مع عدم الشهادة والله قد عرفك بأسمائها فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجملة كعلمك انك لا تخبر بتسميات ليس لها مسميات الى أن يلحقك الله تعالى باولى المشاهدات ويخصك بخالص الكرامات ومن كفر فان الله غنى حميد

(فصل) والفرق بين القلم المحسوس فى عالم الملك وبين القلم الالهى فى عالم الملكوت أن القلم المحسوس كما علمته مجسما بطىء الحركة بالفعل سريع الانتقال بالهلاك مخلفا عن مثله فى الظاهر مجعولا تحت قهر سلطان الآدمى الضعيف الجاهل فى أكثر أوقاته مصرفا بين أحوال متنافية كالعلم والجهل والظلم والعدل والشك والصدق وأما القلم الالهى فعبارة عن خلق لله تعالى فى عالم الملكوت مختص بخلاف خصائص الجواهر الحسية الكائنة فى عالم الملك يرى انه من أوصاف ما سمى به القلم المحسوس كالهامصرف بيمين الخالق بحكم ارادته على ما سبق به علمه فى أزل الازل وانما سمى بهذا الاسم لاجل شبهه لعمل ما يشتهى به غير انه لا يكتب الاحقا بحق والفرق بين يمين الآدمى ويمين الله عز وجل أن يمين الآدمى كما علمت مركب من عصب استعصى بقاؤها وعضل تعضل ادلاؤها وعظام يعظم بلاؤها ولحم ممتد وجلد غير ذى جلد موصولة بمثلها فى الضعف والانفصال ملقبة باليد وهى عاجزة عن كل حال ويمين الله تعالى عند بعض أهل التأويل هى عبارة عن قدرته وعند بعضهم صفة لله تعالى غير القدرة وليست بجارحة ولا جسم وعند آخرين انها عبارة عن خلق الله تعالى وهى واسطة بين القلم الالهى الناقش للعلوم المحدثة وغيرها وبين قدرته التى هى صفة لها مصرف اليمين الكاتبة بالقلم المذكور بالخط الالهى المثبوت على صفحات المخلوقات الذى ليس بعربى ولا عجمى يقرؤه الاميون اذا شرحت له صدورهم ويستعجم على القارئين اذا كانوا عبيد شهواتهم ولم يشارك يمين الآدمى الا فى بعض الاسم لاجل الشبه اللطيف الذى بينهما فى الفعل وتقريبا الى كل ناقص الفهم عساه يعقل ما أنزل على رسل الله من الذكر

(فصل) وحد عالم الملك ما ظهر للحواس ويكون بقدرة الله عز وجل بعضه من بعض وصحبه التغير وحد عالم الملكوت ما أوجده الله سبحانه من غير زيادة ولا نقصان منه وحد عالم الجبروت هو ما بين العالمين مما أشبه أن يكون فى الظاهر من عالم الملك فجبر بالقدرة الازلية بما هو من عالم الملكوت

(فصل) ومعنى أن الله خلق آدم على صورته فذلك على ما جاء فى الاحاديث وللعلماء فيه وجهان فمنهم من يروى للحديث سببا وهو أن رجلا ضرب غلامه فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فنهاه وقال ان الله خلق آدم على

صورته وتأولوا عود الضمير على المضروب وعلى هذا لا يكون للحديث مدخل في هذا الموضع ويكون الايماء به الى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث واثباته في غير موطن دليل السبب المنقول مما يعز ويعسر فليبق السبب على حاله ولينظر في وجه للحديث غير هذا مما يحتمله ويحسن الاحتجاج به في هذا الموطن والوجه الآخر أن يكون الضمير في صورته عائدا على الله سبحانه ويكون في معنى الحديث على صورة هي مضافة الى الله سبحانه وهذا المضروب على صورة آدم فاذا هو العبد المضروب على الصورة المضافة الى الله عز وجل ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى الاضافة وعلى أي جهة يحتمل في الاعتقاد العلمي على الله سبحانه ففيها وجهان احدهما أن يكون اضافة ملك الله تعالى كما يضاف العبد والبيت والناقة واليمين على أحد الاوجه والوجه الآخر أن تكون اضافة تخصيص به عز وجل فمن حملها على اضافة الملك له رأى أن المراد بصورته هو العالم الاكبر بجملته لكنه مختصر صغير فان العالم اذا فصلت أجزاؤه وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بمثله وجدت أجزاء آدم مشابهة للعالم الاكبر واذا شابهت جملة أجزاء جملة أخرى فالجملتان بلا شك متشابهتان فمن نظر الى تحليل صورة العالم الاكبر فقسمه على انحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك فوجد كل نحوين منهما يشتبهان فمن ذلك انقسم قسمين ظاهر محسوس كعالم الملك والثاني باطن معقول كعالم الملكوت والانسان كذلك انقسم الى ظاهر محسوس كاللحم والعظم والدم وسائر أنواع الجواهر المحسوسة والى باطن كالروح والعقل والعلم والارادة والقدرة وأشباه ذلك وقسمة أخرى وذلك أن العالم قد انقسم بالعوالم الى عالم الملك وهو الظاهر المحسوس والى عالم الملكوت وهو الباطن في العقول والى عالم الجبروت وهو المتوسط الذى أخذ بطرف من كل عالم منها وهو الانسان انقسم الى ما يشابه هذه القسمة فالمشابه لعالم الملك الاجزاء المحسوسة وقد علمتها والمشابه لعالم الملكوت فمثل الروح والعقل والقدرة والارادة وأشباه ذلك والمشابه لعالم الجبروت كالادراكات بالحواس والقوى الموجودة بأجزاء البدن وقسمة أخرى وذلك أن العالم انحل الى ما علم من أجزائه بالاستقراء فرأس الانسان يشابه سماء العالم من حيث ان كل ما علا فهو سماء وحواسه تشابه حواس الكواكب والنجوم من حيث ان الكواكب أجسام مشفة تستمد من نور الشمس فتضىء لها والحواس أجسام لطيفة تستمد من رواح فتضىء بذلك المدركات وروح الانسان مشابهة للشمس فيضىء العالم وهو نباته وحركة حيوانه وحياته فيما يظهر بتلك الشمس وكذلك روح الانسان به حصل في الظاهر عن أجزاء بدنه ونبات شعره وخلق حيوانه وجعلت الشمس وسط العالم تطلع بالنهار وتغرب بالليل وجعلت الروح وسط العالم وهى تغرب بالنوم وتطلع باليقظة ونفس الانسان تشابه القمر من حيث ان القمر يستمد من الشمس ونفسه تستمد من الروح والقمر خالف الشمس والروح خالف النفس والقمر آية ممحوة والنفس مثلها ومحو القمر في أن لا يكون ضياؤه منه ومحو النفس في أن لا يكون عقلها منها ويعترى الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف ويعترى النفس والروح وسائر الحواس غيب وذهول وفى العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفى الانسان نبات وهو الشعر ومياه وهى العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهى العظام وحيوان وهى هوام الجسم فحصلت المشابهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ماهى لنا غير معروفة ولا معلومة كان في جميعها تطويل وفيما ذكرنا يحصل به لذوى العقول تنبيه فهذا آخر الكلام في أحد وجهى الاضافة الذى في ضمير صورته والوجه الآخر هو ان من حمل الاضافة الى الله تعالى على معنى التخصيص به فذلك لان الله عز وجل أنبأنا بانه حى قادر سميع بصير عالم مريد متكلم فاعل وخلق آدم عليه السلام حيا قادرا سميعا بصيرا عالما مريدا متكلما فاعلا وكانت لآدم عليه السلام صورة محسوسة مكونة مخلوقة مقدرة بالفعل وهى لله سبحانه وتعالى مضافة باللفظ وذلك ان هذه الاسماء لم تجتمع مع صفات آدم الا في الاسماء التى هى عبارة باللفظ فقط لا يفهم من ذلك نفى الصفات فليس هو مرادنا وانما مرادنا تباين ما بين الصورتين بابعد وجوه الامكان حتى لم تجتمع مع صفات الله عز وجل وتطلق عليها حالة الوجود

فافهم

فافهم هذا فانه من أدق ما يقرع سمعك ويلج قلبك ويبهر عقلك ولهذا قيل لك فان كنت تعتقد الصورة الظاهرة ومعناه ان جلت احدى الصورتين على الاخرى فى الوجود تكن مشبها مطلقا ومعناه لتتيقن انك من المشبهين لا من المنزهين فقر على نفسك بالتشبيه معتقدا ولا تنكره كما قيل كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة أى تتلبس بدينهم وتريد أن لا تنتسب اليهم وتعتكف على قراءة التوراة ولا تعمل بها وان كنت لا تعتقد الصورة فكن منزها فلا مقصد سالخاصا أى ليس تعتقد من الصورة المضافة الى الله تعالى الا الاسماء دون المعانى وتلك المعانى المسماة لا يقع اليها اسم الصورة وقد حفظ عن الشبلى كلام فى معنى ماذكرناه من هذا الوجه قولا بليغا مختصرا حين سئل عن معنى الحديث فقال خلقه الله على معنى الاسماء والصفات لا على الذات فان قلت فكذا قال ابن قتيبة فى كتابه المعروف بتناقض الحديث حيث قال صورة لا كالصورة فلم أخذ عليه فى ذلك وأقيمت عليه الشناعة به واطرح قوله ولم يرض به أكثر العلماء وأهل التحقيق فاعلم أن الذى ارتكبه ابن قتيبة رحمه الله تعالى نحن أشد اعراضا عنه وأبعد الناس عن تسويغ قوله وليس هو الذى المنابه وأفدناك به بحول الله وقوته بل يدل منك انك لم تفهم غرضنا وذهلت عن عقل مرادنا حين لم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ابن قتيبة ألم نخبرك انا أثبتنا الصورة فى التسميات وهو أثبتها فى حالة الذات والذى يغلب على الظن فى ابن قتيبة رحمه الله تعالى انه لم يقرع سمعه هذه الدقائق التى أشرنا اليها وأخرجناها الى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالعبارة عنها وانما ظهر له شئ لم يكن له به الف فتحير وعلاه الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث الذى عند ذوى القصور تشبيه وبين التأويل لم ينفه فأثبت المعنى المرغوب عنه وأزال نفى ما خاف من الوقوع فيه فلم يتأت له اجتماع ما رام ولا انتظام ما اقترف فقال هو صورة لا كالصورة وأشكل ساقطة لاقطة فتبادر الناس الى الاخذ عنه

(فصل) ومعنى فاطو الطريق فانك بالوادى المقدس طوى أى دم على ما أنت عليه من البحث والطلب فانك على هداية ورشد والوادى المقدس عبارة عن مقام الكلام مع الله تعالى فى الوادى وانما يقدس الوادى بما أنزل الله فيه من الذكر وسمع كلام الله سبحانه وأقيم ذكر الوادى مقام ما حصل فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه والا فالمقصود منه ما نفى لا ما ظهر بالقول اذ المواضع لا تأثير لها وانما هى ظروف

(فصل) ومعنى فاستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى انى أنا ربك الاعلى فرغ قلبك لما يرد عليك من فوائد المزيد ومواريث الصدق وثمار المعارف وارباح سلوك الطريق وبشارات قرب الوصول وسر القلب كما تقول اذن الرأس وسمع الاذن وما يوحى أى ما يرد من الله عز وجل بواسطة ملك أو القاء فى روع أو مكاشفة بحقيقة أو ضرب مثل مع العلم بتأويله ولعل حرف ترج والمعنى انك لم تردك آفة تقطعك عن سماع الوحى من اعجاب بحال أو اضافة دعوى الى النفس أو قنوع بما وصلت اليه واستبداد به عن غيره وسرادقات المجد هى حجب الملكوت وما نودى به موسى عليه السلام هو علم التوحيد الذى وقعت العبارة اللطيفة عنه بقوله اننى أنا الله لا اله الا أنا فالمنادى باسمه ازلا وأبدا هو اسم موسى لا اسم السالك لانه الموجود فى كلام الله تعالى فى أزل الآزال قبل أن يخلق موسى وكلام الله صفة له لا تتغير كما لا يتغير هو وقد زل قوم وعظم افتراؤهم حين حملوا صدور هذا القول عن اعتقاد اكتساب النبوة وعياذا بالله من أن يحتمل هذا القول ما حملوا من المذهب السوء وهم يعرفون ان كثيرا ممن يكون بحضرة ملك من الملوك الدنيوية وهو يخاطب انسانا آخر قد ولاه ولاية كبيرة وفوض اليه عملا عظيما وحباه حباء خطيرا وهو يناديه باسمه ويأمره بما يمتثل من أمره ثم ان السامع للملك الحاضر غير المولى لم يشارك المولى والمخلوع عليه والمفوض اليه فى شئ مما ولى وأعطى ولم يجب له بسماعه ومشاهدته أكثر من حظوة القربة وشرف الحضور ومنزلة المكاشفة من غير وصول الى درجة المخاطب بالولاية والمفوض اليه الامر كذلك هذا السالك المذكور اذا وصل فى طريقه ذلك بحيث يصل بالمكاشفة والمشاهدة واليقين التام الذى يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل العلوم فلا يمتنع أن يسمع لغيره ما يوحى من غير أن يقصده هو بذلك اذ هو محل سماع الوحى على الدوام وموضع الملائكة

وكفى بهما انها حضرة الربوبية وموسى عليه السلام لم يستحق الرسالة ولا النبوة ولا استوجب التكليم وسماع الوحي مقصودا بذلك بحلوله فى هذا المقام الذى هو المرتبة الثالثة فقط بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين خصه بمعنى آخر ربى على ذلك المقام اضعافا يجاوز المرتبة الرابعة لان آخر مقامات الاولياء أوّل مقامات الانبياء وموسى عليه السلام نبى مرسل فمقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون فى أطرافه لان هذا المقام الذى هو المرتبة الثالثة ليس من غايات مقام الولاية بل هو أوّل مباديها أقرب منه الى غاياتها فمن لم يفهم درجات المقامات وخصائص النبوّات وأحوال الولايات كيف يتعرض للكلام فيها والطعن على أهلها هذا لا يصلح الا لمن لا يظن أنه مؤاخذ بكلامه ومحاسب بظنه ويقينه مكتوبة عليه خطراته محفوظة عليه لحظاته محصاة منه يقظاته وغفلاته فما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فان قلت أراك قد أوجبت له سماع نداء الله تعالى ونداء الله كلامه والله تعالى يقول تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فقد نبه ان تكليم الله تعالى لمن كلمه من الرسل انما هو على سبيل المبالغة فى التفضيل وهذا لا يصلح ان يكون لغيره ممن ليس بنبى ولا رسول فنقول اذ قيدنا التشعيب وقصدنا درء الشك العارض فى مسالك الحقائق فنقول ليس فى الآية ما يرد ما قلناه ولا يكسره فانا أو جدنا أن يكلمه قصدا ولا يتحراه بالخطاب عمدا وانما قلنا انه يجوز أن يسمع ما يخاطب الله عز وجل غيره ممن هو أعلى منه فليس من سمع كلام الانسان مثلا مما يكلم به غير السامع يقال انه كلمه وقد حكى أن طائفة من بنى اسرائيل سمعوا كلام الله الذى خاطب به موسى عليه السلام حين كلمه ثم اذا ثبت ذلك لم تجب لهم درجة موسى عليه السلام ولا المشاركة فى نبوّته ورسالته على أنا نقول نفس ورود الخطاب الى السامعين من الله عز وجل لا يمكن الاختلاف فيه فيكون النبى المرسل يسمع كلام الله الذاتى القديم بلا حجاب فى السمع ولا واسطة بينه وبين القلب ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يلقى فى روعه ومما ينادى به فى سمعه أو سره أو أشباه ذلك مما ذكر ان قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله تعالى مع موسى انهم سمعوا صوتا كالناقور وهو القرن فاذا صح ذلك فبتباين المقامات اختلف ورود الخطاب فموسى عليه السلام سمع كلام الله بالحقيقة التى هى صفة بلا كيف ولا صورة نظم بحروف وأصوات والذين كانوا معه أيضا سمعوا صوتا مخلوقا جعل لهم علامة ودلالة عليه كما تسمى التلاوة وهذه الحروف المكتوبة بها القرآن كلام الله عز وجل اذ هى دلالة عليه فان قلت فما ينبنى على السامع اذا سمع كلام الله تعالى يستفيد به معرفة وحدانيته وفقه أمره ونهيه وفهم مراده وحكمه بما يلحقه العلم الضرورى فما أرى فاته النبى المرسل الا بان شغل باصلاح الخلق دونه ولو كان عوضا منه أجزأ عنه وقام مقامه فاعلم ان هذا الذى أوجب عثورك ودوام زللك واعراضك عن العلوم بالجهل وعلى الحقائق بالمخايل أنت بعيد عن غور المطالب قعيد فى شرك المعاطب فقيد صوب الصواب عنيد عند صحب الصاحب ان الذى استحق به الناظر السالك الواصل الى المرتبة الثالثة سماع نداء الله تعالى معنى ومقام وحال وخاصة أعلى من تلك الاول وأجل وأكبر وبينهما ما بين من استحق المواجهة بالخطاب والقصد وبين من لا يستحق أكثر من سماعه حين يخاطب به غيره هذا مع الاشارة باختلاف ورود الخطاب اليهما مما أوجب ويقرر تباين ما بينهما فان فهمت الآن والا فدعنى لا تدر بحالى فان قيل ألم يقل الله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول وسماع كلام الله تعالى بحجاب أو بغير حجاب وعلم ما فى الملكوت ومشاهدة الملائكة وما غاب عن المشاهدة والحس من أجل الغيوب فكيف يطلع عليها من ليس برسول قلنا فى الكلام تقديم وتأخير وحذف يصح على صحة تقديره الشرع الصادق والمشاهدة الضرورية وهو أن يكون معناه الا من ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول باخلاص واستقامة أو عمل بما جاء به لان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وهل ينفى ما غاب عنه أن ينكشف اليه وقال ان يكن منكم محدثون فعمر وكما قال وقال المؤمن ينظر بنور الله وفى القرآن العزيز قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فعلم ما غاب عن غيره من امكان اتيان ما وعده به وزاد أنه قدر عليه

ولم

فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد الى أنه ينبنى على الايمان بعالم الملكوت فمن لم يفهم ذلك أو يجحده فما طريقه فاقول أما الجاحد فلا علاج له الا أن يقال له انكارك

ولم يكن نبيا ولا رسولا وقد نبأ الله سبحانه عن ذى القرنين من اخباره عن الغيب وصدقه فيه حين قال فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا وان كان وقع الاختلاف فى نبوة ذى القرنين فالاجماع على أنه ليس برسول وهو خلاف المشروط فى الآية وان أراد أحد المرادفة بالاخبار لما أخبر به ذو القرنين وما ظهر على يد الذى عنده علم من الكتاب وأراد أن يروجه على غمر لا يفرق بين السنة والحقائق فما يصنع فيما جرى للخضر وما أنبأ الله سبحانه عنه وأظهر عليه من العلوم الغيبية وهو بعد أن يكون نبيا فليس برسول على الوفاق من الجميع والله تعالى يقول الا من ارتضى من رسول فدل على أن فى الآية حذفا ينضاف معناه الى ما ظهر من الكلام فكان سعد رضى الله عنه يرى الملائكة عليهم السلام وهو غيب الله وأعلم أبو بكر رضى الله عنه بما فى البطن وهو من غيب الله وشواهد الشرع كثيرة جدا تعجز العقول وتبهر المعاند ويحتمل أن يكون المراد من الآية بالرسول المذكور فيها ملك الوحى الذى بواسطته تنزل العلوم وتنكشف الغيوب فمتى لم يرسل الله ملكا باعلام غيب اما بخطاب مشافهة أو القاء معنى فى روع أو ضرب مثل فى يقظة أو منام لم يكن الى علم الغيب سبيل ويكون تقدير الآية فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول أن يرسله الى من يشاء من عباده فى يقظة أو منام فانه يطلع على ذلك أيضا وتكون فائدة الاخبار بهذا فى الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شئ من مكنوناته واعلامه انه لم يصل اليها بنفسه ولا بمخلوق سواه الا بالله عز وجل حين أرسل اليه الملك بذلك وبعثه اليه حتى يبرأ المؤمن من حوله ومن قوته ويرجع الى الله سبحانه وحده ويتحقق أنه لا يرد عليه شئ من علم أو معرفة أو غير ذلك الا بارادته ومشيئته ويحتمل وجها آخر وهو أن يكون والله أعلم الا من ارتضى من رسول يريد من سائر خلقه وأصناف عباده ويكون معنى من رسول على يد رسول من الملائكة

(فصل) ومعنى ولا تتخطى رقاب الصديقين وما الذى أوصله الى مقامهم أو جاوز به ذلك وهو فى المرتبة الثالثة حال المقربين فاعلم أنه ما وصل حيث ظننت فكيف يجاوزه وانما خاصة من فى مرتبة الصديقية عدم السؤال لكثرة التحقيق بالاحوال وخاصة من هو فى مرتبة القرب كثرة السؤال طمعا فى بلوغ الآمال وأمثالهما فيما أشير اليه مثال انسانين دخلا فى بستان وأحدهما يعرف جميع أنواع نبات البستان ويتحقق أنواع تلك الثمار ويعلم أسماءها ومنافعها فهو لا يسأل عن شئ يراه ولا يحتاج الى أن يخبر به والثانى لا يعرف مما رأى شيأ أو يعرف بعضها ويجهل أكثر مما يعرف فهو يسأل ليصل الى علم الباقى وكذلك من تكلمنا عليه حين أكثر السؤال عساه يتجاوز بسؤاله حاله ويتخلف مقامه الى ما هو أعلى منه وكان غير مراد لذلك اما فى ذلك الوقت أو أبد الابد وتلك العلوم لا تنال بالكسب وانما تنال بالمنح الالهية فقيل له لا تتخطى رقاب الصديقين بالسؤال فذلك مما لا يخطى به وليس هو من الطرق الموصلة الى مقامهم فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به فى أحواله وسيرته فعساك ترزق مقامه فان لم يكن فتبقى على حال القرب وهو تلو الصديقية هذا معناه

(فصل) ومعنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله الى الرفيق الاعلى انه لما وصل اليه بالسؤال صرف الى ما لاق به من الاحوال ليحكم ما بقى عليه من الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم للذى سأله أن يعلمه من غرائب العلم اذهب فاحكم ما هنالك وكذلك أعلمك من غرائب العلم فاما صفة انصرافه فانه نهض بالبحث ورجع بالتذكير وفوائد المزيد وجه آخر أن لم يستطع المقام فى ذلك الموضع بعد وصوله اليه فذلك لتعلق جزء المعرفة بالبدن ومسكنه عالم الملك ولم يفارقه بعد الموت وطول الغيب عنه لا يمكن فى العادة ولو أمكن لهلك الجسم وتفرقت الاوصال والله تعالى أراد عمارة الدنيا قدر ما سبق فى علمه ولم تجد لسنة الله تبديلا ومعنى قول أبى سليمان الدارانى لو وصلوا ما رجعوا ما رجع الى حالة الانتقاص من وصل الى حالة الاخلاص والذى طمع الناظر فى الحصول فيه بسؤاله وتماديه الى حال القرب منه اذا لم يصلح لذلك ولم يضف له ولم يخلص فى أعماله انتهى لفظ الاملاء ولنعد الى شرح كلام المصنف (فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد) المشار اليه (الى أنه ينبنى على الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك أو يجحده فما طريقه فاقول أما الجاحد فلا علاج له الا أن يقال له انكارك

لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم فى الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانها لاتدرك بالحواس الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس فان قال وأنا منهم فانى لاأهتدى الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيأ سواه فيقال انكارك لما شاهدناه عما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ماتراه لانثق به فلعلنا نراه فى المنام فان قال وأنا من جملتهم فانى شاك أيضا فى المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك أياما قلائل وما كل مريض يقوى على علاجه الاطباء هذا حكم الجاحد وأما الذى لايجحد ولكن لايفهم فطريق السالكين معه أن ينظروا الى عينه التى يشاهد بها عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة فى الاصل وقد نزل فيها ماء أسود يقبل الازالة والتنقية اشتغلوا بتنقيته اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره أرشد الى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذى ذكرناه فى التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان فى عالم الشهادة أيضا توحيدا اذ يعلم كل أحد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد بأميرين فيقال له على حد عقله اله العالم واحد والمدبر واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما رآه فى عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد فى قلبه بهذا الطريق اللائق بقدره

لعالم الملكوت كانكار السمنية) بضم السين المهملة وفتح الميم المخففة (لعالم الجبروت) وهم فرقة تعبد الاصنام وتقول بالتناسخ وتنكر حصول العلم بالاخبار (وهم الذين حصروا العلوم فى الحواس الخمس وأنكروا القدرة والارادة والعلم لانها لاتدرك بالحواس الخمس) قيل نسبة الى سومنات بلدة من الهند على غير قياس كما فى المصباح أو نسبة الى صنم كانوا يعبدونه اسمه كذلك وسميت البلدة به (ولازموا حضيض عالم الشهادة) وأنكروا تحقيق الحقائق واتصافها بالوجود فى نفس الامر (فان قال وأنا منهم فانى لاأهتدى الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيأ سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مجاوزا للحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس) وهم طائفة من حكماء اليونان ينكرون حقائق الاشياء ويزعمون انه ليس ههنا ماهيات مختلفة وحقائق متمايزة فضلا عن اتصافها بالوجود واثبات بعض الى بعض على وجه شئ بل كلها أوهام لا أصل لها وسوفسطا كلمة يونانية معناها طالب الحكمة (فانهم قالوا ماتراه لانثق به فلعلنا نراه فى المنام) شبه الخيالات الباطلة (فان قال وأنا منهم) ومن جملتهم (فانى شاك فى المحسوسات أيضا فيقال هذا شخص) قد (فسد مزاجه) واختل نظام تركيبه (وامتنع علاجه فيترك) ولا يعالج (فما كل مريض يقوى على علاج الاطباء) وفى حكم هذين ان كان رفض الشهادة القوية والمشاهدة الجلية لشبهة فاسدة ومغلطة كاسدة فيكون من العنادية وهم أسوأ حالا من السمنية والسوفسطائية وأمثل طريقة من هؤلاء اللاأدرية حيث توقفوا عند اشتباه الامر لديهم والتباس الحال عليهم ولكنهم لايخلون عن الجحود أيضا (هذا حكم الجاحد وأما الذى لايجحد ولكن لايفهم) لجفاء فى طبعه وبلادة فى فهمه (فطريق السالكين فيه أن ينظروا الى عينه التى بها يشاهد عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة فى الاصل وقد نزل فيها ماء أسود) أو أصفر منعه عن النظر (يقبل الازالة والتنقية اشتغلوا) أولا (بتنقيته) وازالته بنحو القدح وغيره مثل (اشتغال الكحال) الحاذق (بالابصار الظاهرة) بمداواتها بالاكحال اللطيفة (فاذا استوى بصره) وقوى نوره (أرشد الى الطريق ليسلكه) بلامانع (كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه) أزال بنظره الهم العالى الباطنة فاشرقت الانوار فى صدورهم وأعينهم ثم أرشدهم (فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك السبيل الذى ذكرناه فى التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد) كما سبق من قول الشاعر

وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

(كلموه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان فى عالم الشهادة أيضا توحيدا اذ يعلم كل أحد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد بأميرين) وان السفينة تفسد برئيسين ومن المحال عقلا اتفاق الحاكمين المشتركين على تدبير واحد لا يعارض بعضهم بعضا (فيقال له على حد عقله اله العالم واحد والمدبر) فى الكائنات (واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) أى لغالب بعضهم بعضا فافسد نظام العوالم بسببه ولم يبق على طريقة واحدة لكن الشمس والقمر تجريان بحسبان واحد والجوار الخنس والبروج من الكواكب وسائر النجوم لم تختل أحوالها فيما خلقت له ولم تختل مراكزها ومسالكها والسماء قائمة قياما لايختلف والسحاب يجرى بالماء لمنافع أهل الارض فى أوقات الحاجة اليه والحبوب والثمار تخرج على وتيرة واحدة والبشر كلهم وكل جنس من الحيوان على ماهو عليه من الصور المخصوصة بكل جنس فانتفاء لازم التعدد وهو الفساد معلوم قطعا ويقينا فالملزوم وهو التعدد منتف قطعا ويقينا فهذه الادلة عقلية محضة على وحدانية البارى جل جلاله (فيكون ذلك على ذوق ما رآه فى عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد فى قلبه فهذا الطريق اللائق بقدر

عقله وقد كلف الله الانبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عادتهم فى المحاورة فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادى هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل وأصلا فيه فاقول نعم فان

الاعتقاد اذا قوى عمل عمل الكشف فى اثارة الاحوال الا أنه فى الغالب يضعف و يتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه أوالى ان يتعلم هوالكلام ليحرس به العقيدة التى تلقفهامن استاذه أومن أبويه أو من أهل بلده وأماالذى شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شئ من ذلك بل لوكشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما أن الذى يرى انسانا فى وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان ولكن يزداد وضوحا فى تفصيل خلقته ومامثال المكاشفين والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع أصحاب السامرى فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام ماجاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن أيديكم و أرجلكم من خلاف بل قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحيوة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغيير وأما أصحاب السامرى لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامرى

عقله) ولا يجدى معه الا ذلك فيصل عقله الى ادراكه بطريق العبارة تكميلا للحجة (وقد كلف الله الانبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم) وذلك فيما ورد نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم رواه الديلمى من حديث ابن عباس (ولذلك نزل القرآن على لسان العرب وعلى حد عادتهم فى المحاورة) وهذا يشير الى أن الملازمة فى الآية عادية والحجة اقناعية على ماهو الاليق بالخطابيات وقد سبق لهذا البحث المام بالتفصيل فى شرح الكتاب الثانى عند ذكر برهان التمانع (فان قلت فمثل هذا التوحيد الاعتقادى هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوى) فى القلب ورسخ (عمل عمل الكشف فى اثارة الاحوال) من مكامنها (الا أنه فى الغالب يضعف و يتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا) وقل معتقد ثبت فى اعتقاده (ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه) بان يثبته بالادلة القوية و ينفى عنه ما يرد عليه من الشكوك (أوالى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التى تلقفها من أستاذه أومن أبويه أومن أهل بلده وأما الذى شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شئ من ذلك) أى من الاضطراب والتزلزل وهو الذى هداه الله بنور العقل المجرد عن الامور العادية وشرح صدره (بل لو كشف الغطاء) عن حقائق الامور (لما ازداد يقينا) فيما عما كان قد ظهر له وهذا القول قد نسب الى على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وهذا المقام لا يخص به الا الآحاد من هذه الامة (ولكن يزداد وضوحا) وترقيا وهذا (كما ان الذى يرى انسانا فى وقت الاسفار) قبل طلوع الشمس (لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان ولكن يزداد وضوحا فى تفصيل خلقته ومامثال المكاشفين) المشاهدين الذين انكشف لهم سر الطريق (والمعتقدين الا كسحرة فرعون) الذين كان جمعهم لمقاومة موسى عليه السلام وكان أكثرهم من صعيد مصر وكانوا زهاء سبعين ألفا (مع أصحاب السامرى) منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة والسامرى هذا اسمه موسى بن ظفر كان علجا منافقا من كرمان وقيل من باجرمى قال المسعودى السامرة فرقة من اليهود تخالفهم فى أكثر الاحكام و ينكرون نبوة داود عليه السلام وما بعده من الانبياء وقالوا لا نبى بعد موسى وجعلوا رؤساءهم من ولد هرون بن عمران و يقولون لا مساس و يزعمون ان نابلس هى بيت المقدس وهم صنفان الكوشان والدوشان (فان سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم و) كثرة (تجربتهم فرأوا من موسى عليه السلام ماجاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر) وتحققوا أنه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتبارا وتعظيما لما رأوا (فلم يكترثوا بقول فرعون) لانهم لما قالوا آمنا برب هرون وموسى قال فرعون لا آمنتم به قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر (فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) ولاصلبنكم فى جذوع النخل (بل قالوا لن نؤثرك) أى لن نختارك (على ماجاءنا) موسى به (من البينات) المعجزات الواضحات (والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض) أى ما أنت قاضيه أو صانعه أو حاكم به (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) أى انما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه فى هذه الحياة الدنيا (فان البيان والكشف يمنع التغيير) كما هو شأن عالم الملكوت (وأما أصحاب السامرى) وكانوا زهاء خمسمائة ألف (لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان) وهو العصا التى كانت فى يمينه أمر بالقائها فاذا هى ثعبان مبين فتلقفت ما ألقوا من الحبال والعصى وقد دهنوها بالزئبق فلما أحست بحر الشمس تحركت (فلما نظروا الى عجل السامرى) الذى كان اتخذه من حلى القوم وكانوا استعاروا أجمالا منها من القبط لعيدهم ثم لم يردوها مخافة ان يعلموا بهم وقيل هى ما ألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه وأوهم لهم السامرى ان موسى انما أخلف معكم ميعاده لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم فالرأى ان تحفروا حفيرة وتسجروا فيها نارا

وسمعوا خواره تغير واوسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر الى
ثعبان يكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم الملكوت فهو من عند الله
تعالى فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتضادا أصلا فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك
ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان أراد أن يشاء ولا يشاء ان
لم يرد أن يشاء لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل ما يشاء اذا شاء ان يشأ أم لم يشأ فليست المشيئة اليه
اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشيئة أخرى وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن المشيئة اليه فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام المشيئة فالمشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا فأقول لو انكشف الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذا مجبور
على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا الى
يليق بما ذكر متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم نقصد به الا علم المعاملة ولكني أقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه اذ يقال
الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالرئة والحنجرة ويخرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه
الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فأعرب لك عنها بثلاث عبارات فنسمي خرقه للماء عند وقوعه على
وجهه فعلا طبيعيا

ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة (وسمعوا خواره) أي صوته وكان قد
قبض قبضة من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام فنبذها في جوفه فحيي وظهر له صوت (تغير واوسمعوا قوله هذا
الهكم واله موسى) وهو من قول السامري قال ذلك أول ما رآه فسمعوه واتبعوه (ونسوا انه) أي العجل
(لا يرجع اليهم قولا) أي كلاما ولا يرد عليهم جوابا (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أي لا يقدر على انفاعهم
واضرارهم (وكل من آمن بالنظر الى ثعبان يكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة والاختلاف
والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتضادا أصلا
فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر) لا مرية فيه
(الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا) فان من شان المسخران
لا يكون له اختيار أصلا (فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان أراد ان يشاء ولا يشاء ان لم يردان يشاء لكان
هذا مزلة القدم وموقع الغلط ولكن علمت انه يفعل ما يشاء اذا شاء ويشاء شاء أم لم يشأ فليست المشيئة اليه اذ
لو كانت اليه لافتقرت الى مشيئة أخرى وتسلسل الى غير نهاية) والتسلسل باطل (واذا لم تكن المشيئة) اليه
(فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة
فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة في
القلب فهذه ضروريات ترتب بعضها على بعض وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة الى
المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض)
وهو اسناد فعل العبد الى الله تعالى من غير أن تثبت للعبد قدرة لا مؤثرة ولا كاسبة وهو مذهب جهم بن
صفوان واتباعه (والجبر يناقض الاختيار) وهو طلب ما فيه خير (وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون
مجبرا مختارا فأقول لو انكشف الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبر) لانه تعالى اجبر الناس على أمور
لا انفكاك لهم منها حسبما تقتضيه الحكمة الالهية لا على ما يتوهمه الغواة كاكراههم على المرض والموت
والبعث وسخر كلا منهم لحرفة يتعاطاها وطريقة من الاعمال والاخلاق يتحراها فاما راض بصنعته لا يبغي عنها
حولا واما كاره يكابدها مع كراهته كانه لا يجد عنها بدلا (فهو اذا مجبر على الاختيار) أي في صورة مخير
(فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما نذكر
متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم نقصد به الا) بيان (علم المعاملة) ومباحث علم الكلام انما نذكر فيه على
سبيل التبعية (ولكني أقول لفظ الفعل في الانسان) الذي هو التأثير من جهة مؤثر اعم من أن يكون باعداد
أو بغيره وبعلم أو بغيره وبقصد أو بغيره (يطلق على ثلاثة أوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصبع ويتنفس
بالرئة والحنجرة ويخرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه
الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد) فانه مضطر مجبر في كل منها (ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور
فاعرب لك عنها بثلاث عبارات فيسمى خرقه للماء عند وقوعه على وجهه) أي وجه الماء (فعلا طبيعيا) نسب

ويسمى تنفسه فعلا لا اراديا ويسمى كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق الهواء لا محالة فيكون الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل اليه وكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا ولو أراد أن يتركهما مفتوحتين لم يقدر مع أن تغميض الاجفان اضطرارا فعل ارادي ولكنه اذا تمثل صورة الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة بالتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا وأما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه أن الارادة تبع للعلم الذي يحكم بان الشئ موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بانه يوافقك من غير تحير وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلا بابرة أو بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدرى انه موافق أم لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتميز أن الخير في الفعل أو الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر فانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير أي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها الى ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الا ان الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فيما له في ادراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الا بحكم الحس والتخييل أو بحكم جزم من العقل ولذلك لو أراد الانسان

الى طبيعة الانسان وهو المزاج المركب من الاخلاط (ويسمى تنفسه في الماء فعلا اراديا) منسوب الى الارادة وهي قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل (ويسمى كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق) كل من الماء والهواء (لا محالة فيكون الخرق بعد التخطي) والوقوع (ضروريا والتنفس) من الرئة وان لم يكن مثله فهو (في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل اليه فكذلك الارادة ليست اليه وكذلك لو قصد عين الانسان بابرة طبق الاجفان) عليها (اضطرارا ولو أراد ان يتركهما مفتوحتين لم يقدر ومع ان تغميض الاجفان اضطرارا فعل ارادي ولكنه اذا تمثل صورة الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة بالتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو أراد ان يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا) فصار حكمه حكمه في ظهور الجبر فيه (وأما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا) في بادئ الرأي (ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه) بايضاح (وبيانه ان الارادة تبع للعلم الذي يحكم بان الشئ موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بانه يوافقك من غير تحير وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد) ولا تحير (أن يقصد عينك مثلا بابرة أو بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك وموافق) لك (فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم و) تنبعث (القدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدرى انه موافق أم لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتميز ان الخير في الفعل أو الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر فانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير) افتعال منه (أي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير) يشير الى انه لازم ومن قال انه متعد فان معناه طلب الخير (وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها الى ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الا ان الخيرية في دفع السيف) عنه (ظهرت من غير روية وفكر) (بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية) والفكر (فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فيما له في ادراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الا بحكم الحس والتخييل أو بحكم جزم من العقل ولذلك لو أراد الانسان

أن يحزرقبة نفسه مثلا لم يمكنه لا لعدم القدرة في اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل أو الحس بكون الفعل موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق فان العقل هنا يتوقف في الحكم و يتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الرويه ان ترك القتل أقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل أقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فانه يرمي بنفسه من السطح مثلا وان كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه أن لا يرمي نفسه فان كان يتبع بضرب خفيف فان انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب أهون من الرمي فوقفت أعضاؤه فلا يمكنه أن يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة لان داعية الارادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما أن يكون منه فكلا ولما فاذا معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا محضا موافقا وحدث الحكم أيضا جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لانه لما كان فنا ثالثا واتموا فيه بكتاب الله تعالى فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه

أن يحزرقبة نفسه مثلا لم يمكنه) ذلك وهذا (لا لعدم القدرة في يده ولا لعدم السكين) أو السيف (ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل او الحس بكون الفعل موافقا) له (وقتله نفسه ليس موافقا) له (فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق) لشدتها (فان العقل ههنا يتوقف في الحكم و يتردد لانه متردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الرويه) والفكر (ان ترك القتل أقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل أقل شرا وكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف) وقد شهره (للقتل فانه يرمي نفسه من) أعلى (السطح مثلا وان كان مهلكا ولا يبالي) من ذلك (ولا يمكنه ان لا يرمي نفسه فان كان يتبع بضرب خفيف) غير مهلك كعصا أو حجر أو نحوها (فان انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب أهون من الرمي فوقفت أعضاؤه فلا يمكنه ان يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية ألبتة لان داعية الارادة مسخرة لحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل يصدر منه بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور واما أن يكون منه فكلا ولا فاذا معنى كونه مجبرا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا موافقا وحدث الحكم أيضا جبرا فاذا هو مجبر على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لما كان فنا ثالثا) أي نوعا آخر (واتموا) أي اقتدوا (فيه بكتاب الله تعالى فسموه كسبا) يشير الى قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت والمراد باهل الحق هنا الاشاعرة فانهم الذين سموا ذلك كسبا ولذلك ضربوا به المثل فقالوا أدق من كسب الاشعري وأما الماتريدية فانهم استمروا على اطلاقهم بلفظ الاختيار وقد تقدمت الاشارة الى هذا في شرح قواعد العقائد (وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه) وحاصل ماذكره في الكسب بعد نقل أقوال تقدم ذكرها في محلها ان للقدرة بالنسبة الى المقدور تعلقين فمعنى الكسب أن يخلق الله تعالى في العبد قدرة متعلقة بالفعل تعلقا لا يترتب عليه وجود المقدور ومن ههنا قيل لم يثبت من معنى الكسب غير مقارنة بالقدرة للفعل والذي يلوح بالتأمل الصادق ان الانسان اذا فعل فعلا لاختيار يا فلا محالة يتصوره أولا بوجه ملائم وهذا التصور ليس من قبل نفسه عند غير المعتزلة على انه قد يقع ذلك في نفسه من غير توهم اختيار منه ثم ينبعث من ذلك التصور شوق اليه فتشتاق نفسه الى حصوله وهذا الشوق أيضا من قبل الفياض لكنه يتفاوت قوة وضعفا حسب تفاوت التفات النفس الى ذلك المتصور واستحسانه فربما يعرض عنه و يتصوره بوجه غير ملائم على وجه ما فيضعف شوقه اليه وتقل رغبته فيه وربما يحبه ذلك الامر زيادة اعجاب فيديم ملاحظته اياه ذلك الوجه و يكب عليها فيكمل شوقه اليه على حسب ذلك فينبعث منه طلب الى فعله وقصد الى تحصيله ليترتب منه الفعل عليه اما بخلقه تعالى على مجرى عادته أو بتأثير قدرة العبد ثم ان تمكن الانسان من الفعل والترك انما يتوهم من أمرين من هذه الامور الاول الاعراض عن تصور المطلوب على الوجه الملائم والالتفات الى وجه آخر له وترك ذلك و ينبغي لمن يقول بكون الانسان قادرا أن يقول بذلك اذ ليس فيه ما ينافي استبداد الخالق بخلق الموجودات لكن الاظهر ان ذلك أيضا تابع للهيئات المزاجية والعوارض النفسانية الجبلية المكتسبة الخلقية أو غير الخلقية كما هو مذهب الحكماء وامام الحرمين وان كان له أن يغير تلك الهيئات و يبدلها بتوفيق الله تعالى بان يتامل في أفعاله وما هو داع اليها من أحواله والثاني

الطالب

وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك فى حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة فى اللغات لا يمكن أن تستعمل فى حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم وبطول القول فيه فان قلت فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شئ لا من قدرة الله تعالى وان أبيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم أن القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذى يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل الذى لم يقف كافة الخلق عليه الا الراسخون فى العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتب على البعض فى الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حياة ولا حياة الا بعد محل الحياة وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذى هو شرط الحياة فكذلك فى سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعامة وبعضها لا يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق واللزوم وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا يضاهى فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا أشار قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون الا كما حدث وعلى هذا الترتيب الذى وجد فما تأخر متأخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه

الطالب المنبعث عن الشوق المسمى بالقصد والارادة فينبغى أن لا يسند ذلك الى الانسان ولا يجعل متمكنا من تركه مثل الحياء والكسل ترتب سائر العاديات على أسبابها والله أعلم (وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك فى حقه محال) لانه أحدى الذات واحدى الصفات وأمره واحد وعلمه بنفسه وبالاشياء واحد فلا يصح لديه تردد ولا امكان حكمين مختلفين بل لا يمكن غير ماهو المعلوم المراد فى نفسه فالاختيار الالهى انما هو بين الجبر والاختيار المفهومين للناس (وجميع الالفاظ المذكورة فى اللغات لا يمكن أن تستعمل فى حق الله تعالى الا على نوع من الاستعارة والتجوز) اذا كانت حقائقها توهم ما لا يليق بذاته تعالى (وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم وبطول القول فيه فان قلت فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من متقدم فان قلت ذلك) واتخذته مذهبا (فقد حكمت بحدوث شئ لا من قدرة الله تعالى) وذلك باطل (وان أبيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد أو غيره) والقول بالتولد باطل بل لا يصدر منا فعل من أفعالنا الا وهو موجود بقدرته على ما قدرته مشيئته ويدل على ذلك قوله تعالى تؤتى أكلها كل حين باذن ربها والقول بالتولد هو قول ثمامة المعتزلى فانه زعم ان الافعال المتولدة لا يقدر عليها أحد اذ لا فاعل لها عنده والجواب انه لو جاز ثبوت فعل لا فاعل له ولا قادر قدر على احداثه لم ينكر أن يكون ذلك حكم سائر الافعال فلا يكون فى الفعل دليل على اثبات فاعل ولا صانع قادر كما انه لو جاز حدوث جسم لا من محدث لم ينكر حدوث جميع الاجسام لا من محدث أحدثها ولم يكن حينئذ فى حدوث الاجسام دلالة على محدثها (بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذى يعبر عنه بالقدرة الازلية) وهى الصفة التى لاجلها يكون القادر قادرا (وهو الاصل الذى لم تقف كافة الخلق عليه الا الراسخون فى العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة) من غيرهم (وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا) على قياس الغائب على الشاهد (وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول) وقد سبقت مباحث القدرة فى شرح الكتاب الثانى من هذه الكتب (ولكن بعض المقدورات مترتبة على البعض فى الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حياة ولا حياة الا بعد محل الحياة) فوجود الحياة شرط فى وجود القدرة والعلم والارادة وحدوث القدرة والارادة فيما ليس بحى محال وكل نوع من الادراك مختص بالحى وما لا حياة فيه لا يصح أن يكون مدركا (وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذى هو شرط الحياة فكذلك فى سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهرت للعامة وبعضها لم تظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق واللزوم) فهمه من فهمه وجهله من جهله (وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا) لا فائدة فيه (يضاهى فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا أشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث) بقدرة القادر (على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون الا كما حدث وعلى هذا الترتيب الذى وجد) وهذا أحد الوجوه فى تصحيح قول المصنف الآتى ليس فى الامكان أبدع مما كان (فما تأخر متأخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه

مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب
الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على
وجود الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان تقدر انسانا محدثا قد انغمس في الماء الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن
أعضائه وان كان الماء هو الرافع وهو ملاق له فقدر القدرة الازلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل
بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر أعضائه
وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء ملاقيا ولم
يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليدين وهو جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدورات عن القدرة الازلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع
ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه ... الفعل
التوكل والاعتماد ولم نقدر على أن نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال
كاستيفاء ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا اله الا الله وما أخف مؤنته على اللسان وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على
القلب وما أعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد
أن لا فاعل الا الله تعالى ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا وان كان الله تعالى فاعلا فكيف
يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم

مقدورا) فان كل ما استحال وجوده لم يوصف أحد بالقدرة عليه وكل ما صح حدوثه وتوهم كونه ولم يستحل في
العقل وجوده فالله قادر على ايجاده واحداثه (فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها
الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق
بل كل ذلك بحكمة) بالغة (وتدبير) خفي (وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود
القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة) القاصرة عن المدارك الخفية (وذلك
بان تقدر انسانا محدثا قد انغمس في ماء الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الرافع
للحدث وهو ملاق له فقدر القدرة الازلية حاضرة وملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن
لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه
على الماء عمل الماء في سائر الاعضاء وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن
الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لا
يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن
اليد وهو جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك
خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي له لا بغسل الوجه والماء لم يتغير
واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة فهكذا ينبغي أن تفهم صدور
المقدورات عن القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب لعالم آخر من عوالم
المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل) وهو الذي يبنى عليه
التوكل (فالفاعل في الحقيقة واحد فهو) القائم بنفسه وهو (المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد)
واليه التفويض والاسناد (ولم نقدر أن نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات
التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح) عليه السلام والمراد به العمر الطويل (محال كاستيفاء ماء البحر باخذ
القطرات منه وكل ذلك منطو تحت قول لا اله الا الله) لاشتماله على سائر مقامات التوحيد (وما أخف
مؤنته على اللسان) اذ هو أربعة عشر حرفا (وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب) سواء كان المنفي
معبودا أو مقصودا أو موجودا (وما أعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين فكيف عند غيرهم) ممن
لا رسوخ له في علوم الحقيقة (فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل)
حقيقة (الا الله) ومعنى به نفي الافعال مطلقة لغير الله تعالى لان حقيقة الفاعل هو الذي لا يستعين بغيره
من آلة ولا سبب (ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا
وان كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم) عند أهل المعرفة اذ ظهور

فأقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله عز وجل فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله تعالى فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذى خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد أن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمى فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال فى القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ونسبها بعينها مرة أخرى الى نفسه فقال تعالى فى الموت قل يتوفاكم ملك الموت ثم قال عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها وقال تعالى أفرأيتم ما تحرثون أضاف الينا ثم قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقال عز وجل فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال تعالى فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل عليه السلام وكما قال تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قيل فى التفسير معناه اذا قرأه عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفى والاثبات ظاهرا ولكن معناه وما رميت بالمعنى الذى يكون الرب به راميا اذ رميت بالمعنى الذى يكون العبد به راميا اذ هما

الفعل من فاعلين شرك (فأقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى) هو أمره بذلك (والجلاد قاتل بمعنى آخر) هو مباشرته له (فكذلك العبد فاعل بمعنى والله تعالى فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله تعالى فاعلا انه المخترع الموجد) لتلك الافعال (ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذى خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد ان خلق فيه العلم) فالفاعل الثانى هو المظهر الذى فعل بيده وأجرى الفعل بواسطته هو ثان ومحدث مفعول والاول القديم هو الفاعل الاصل (فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله تعالى ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمى فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال فى القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى العباد) لانهم وسائط ومحال قدرته ومظاهر حكمته (ونسبها) أى تلك الافعال بعينها (مرة أخرى الى نفسه) لانها من اختراعه وخلقه وآياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر لانه تعالى ذو قدرة وحكمة فاظهر أشياء عن وصف القدرة وأجرى أشياء على معانى الحكمة فلا يسقط المتوكل ما أثبت من حكمته لاجل ما شهده من قدرته من قبل ان الله تعالى حكيم فالحكمة صفته ولا يثبت المتوكل الاشياء حاكمة جاعلة نافعة ضارة فيشرك فى توحيده من قبل ان الله سبحانه قادر والقدرة صفته وانه حاكم جاعل نافع ضار لا شريك له فى أسمائه ولا ظهير له فى أحكامه كما قال ان الحكم الا لله ولا يشرك فى حكمه أحدا ولقوله تعالى وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير وكما هو الفاعل لكل شئ وحده لانه الاول كذلك هو القائم به المتمم له بعد ظهوره وحده لانه هو الآخر (فقال تعالى فى الموت قل يتوفاكم ملك الموت) الذى وكل بكم فاضاف التوفى اليه باعتبار انه مظهر لذلك وهذا هو التفصيل (ثم قال عز وجل) فى التوحيد (الله يتوفى الانفس حين موتها) والتى لم تمت فى منامها ففى الاول أظهر الاواسط أسبابا وأثبت نفسه فيها وفى الثانى رفعها وأظهر نفسه (وقال) تعالى (أفرأيتم ما تحرثون) فذكر الاواسط لان الحرث عمل ونحن عبيد عمال ولانه صنعتنا وحكمها عائد علينا ولذلك (أضاف الينا ثم قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا) الآيات فاضاف تلك الافعال الى نفسه لانها آياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر (وقال عز وجل) فى التفصيل (فارسلنا اليها) أى الى مريم (روحنا فتمثل لها بشرا سويا) أى صورة رجل أجمل ما يكون (ثم قال) تعالى فى التوحيد (فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل عليه السلام) فاضاف النفخ اليه هنا (و) كذلك (قال الله تعالى) فى التفصيل والامر اقتلوا المشركين وفى مثله من ذكر الواسطة لاجل الامر (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل) ففى آية واحدة تفصيل وتوحيد ولكن بطريق التلويح فى التوحيد (بل صرح) فى التوحيد (وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم و) كذلك (قال) تعالى فى نفى الاولية والآخرية من فعل الخلق للتوحيد (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفى والاثبات ظاهرا) فالنفى قوله وما رميت واثبات المكان للتفصيل قوله اذ رميت (ولكن معناه) باطنا (اذ رميت بالمعنى الذى يكون به العبد راميا فما رميت بالمعنى الذى يكون به الرب راميا اذ هما

معنيان مختلفان وقال الله تعالى الذى (٤٢٦) علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ثم قال الرحمن علم القران وقال علمه البيان وقال ان علينا بيانه

معنيان مختلفان وقال الله تعالى الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ثم قال الرحمن علم القرآن) ومثله فى اثبات الاسباب و رفع حقيقتها قوله تعالى يا آدم انبئهم باسمائهم فاثبت رسمه مكانا للعلم ثم رفع حكمه اظهارا للعالم فقال فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض واعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون (وقال) تعالى (علمه البيان) وهو شرح المجمل والمبهم من الكلام (وقال) تعالى (ان علينا بيانه) أى كشف مشكله ومبهمه (وقال) تعالى (أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) اضاف الامناء الينا لانه عمل من الاعمال وهو صفتنا وحكمه عائد علينا كما أضاف الينا الحرث فى التى بعدها الذلك وأضاف الخلق اليه لانها آياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر كما أضاف الزرع اليه فى التى بعدها الذلك (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى جعل الله تعالى بحكمته وعزته عن مباشرة الاشياء بنفسه للخلقة والحياة واسطة وذلك (فى وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة فى يده ثم يصورها جسدا فيقول يارب أذكر أم أنثى اسوى) أى معتدل (أم معوج فيقول الله تعالى ماشاء و يخلق الملك) وفى لفظ و يطبع الملك (وفى لفظ آخر و يصور الملك ثم ينفخ فيها الروح بالسعادة أو بالشقاوة) قال العراقى رواه البزار وابن عدى من حديث عائشة ان الله تبارك وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول يارب ماذا الحديث وفى آخره فما من شئ الا وهو يخلق معه فى الرحم وفى سنده جهالة وقال ابن عدى انه منكر وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود انتهى قلت وتمام الحديث عند البزار بعد قوله ماذا فيقول غلام أو جارية أو ماشاء الله أن يخلق فى الرحم فيقول يارب شقى أم سعيد فيقول شقى أو سعيد فيقول يارب ما أجله ماخلائقه فما من شئ الا و يخلق معه فى الرحم الا أن الهيثمى قال ان رجال اسناد البزار ثقات وحديث ابن مسعود الذى أشار اليه العراقى فى المتفق عليه لفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا و يؤمر باربع كلمات و يقال اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح الحديث وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه ورواه ابن جميع فى معجمه والحلبى فى فوائده بلفظ ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح فيؤمر باربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد (وقد قال بعض السلف ان الملك الاعظم الذى يقال له الروح هو الذى يولج الارواح فى الاجساد و) قيل (انه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج فى الجسم ولذلك سمى روحا) هكذا نقل القولين صاحب القوت بقوله و يقال وقيل (وماذكره) أى بعض السلف (فى مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم فاما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم الا بالنقل) الصريح (والحكم به دون النقل تخمين مجرد) ثم قال صاحب القوت فصار العبد يظهر بين أربعة وهى حدود الحكمة ظاهران وهما الابواب و باطنان وهما ملك الارحام وملك الارواح ثم ان الله تعالى قال فى وصف نفسه البارئ المصور كما قال الخالق ومفهوم الحديث السابق أن المصور هو الملك فالحديث يدل على التفصيل ووصفه تعالى نفسه يدل على التوحيد (وكذلك ذكر الله تعالى فى القرآن من الادلة والآيات فى الارض والسموات) فى عدة آيات وهو مقام التفصيل (ثم قال) تعالى (أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) وهذا مقام التوحيد (وقال) أيضا فى مقام التوحيد (شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه) وقال أيضا فيما روى عنه تعالى فى الاسرائيليات انا الدليل على نفسى لا دليل أدل على منى (وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر الى الموجودات) وهو من أهل المرتبة الثالثة من التوحيد واليه الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم (وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله) وهو من أهل المرتبة الرابعة من التوحيد وهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى ثم رأوا الاشياء بعد ذلك به فلم يروا فى الدار غيره ولا اطلعوا فى الوجود على سواه (كما قال بعضهم عرفت ربى بربى ولولا ربى لما عرفت ربى) ومقام من قبله لولا المربى لما عرفت ربى (وهو

وقال أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة فى يده ثم يصورها جسدا فيقول يارب أذكر أم أنثى أسوى أم معوج فيقول الله تعالى ماشاء و يخلق الملك وفى لفظ آخر و يصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة وقد قال بعض السلف ان الملك الذى يقال له الروح هو الذى يولج الارواح فى الاجساد وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج فى جسم ولذلك سمى روحا وماذكره فى مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم فاما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم الا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى فى القرآن من الادلة والآيات فى الارض والسموات ثم قال أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد وقال شهد الله أنه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم عرفت ربى بربى ولولا ربى لما عرفت ربى وهو

معنى قوله تعالى أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) وقال المصنف فى المقصد الاسنى ولما كان أكثر الخلق يرون كل شئ سواه فيستشهدون بما يرون عليه وهم المخاطبون بقوله تعالى أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وماخلق الله من شئ والصديقون لا يرون شيأ سواه فيستشهدون به عليه وهم المخاطبون بقوله تعالى أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد (وقد وصف الله تعالى نفسه بانه) هو (المحيي والمميت ثم) جعل للاحياء واسطة كما جعل للموت وهو اسرافيل صاحب الصور ينفخ فيه النفخة الثانية فيحيي كل ميت و (فوض الموت والحياة الى ملكين ففى الخبران ملكى الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الاحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي الموتى فاوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وماسخرتكماله من الصنع فأنا المحيي و) أنا (المميت لايميت ولايحيي سواى) هكذا نقله صاحب القوت مصدرا بقوله وفى بعض الاخبار وكانه يعنى به الاسرائيليات ولذلك قال العراقى لم أجدله أصلا وفى الباب ممالم يذكره المصنف قوله تعالى فى التفصيل انهم اتخذوا الشياطين أولياء وقال فى التوحيد انا جعلنا الشياطين أولياء كما قال فى المتشابه وأضلهم السامرى وقال فى المحكم ان هى الافتنتك تضل بها من تشاء وقال تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال أهل التفسير فاذا قرأه عليك جبريل فخذ عنه بعد قوله تعالى لاتحرك به لسانك لتعجل به وكذلك قال جبريل عليه السلام لاهب لك غلاما زكيا لان الله تعالى وهب له أن يهب لها فذكر نفسه وهو يشهدر به ثم قال فى الحرف الاخير ليهب لك يعنى الله سبحانه وتعالى ومثله قول موسى عليه السلام لا أملك الانفسى وأخى لاجل ان الله تعالى قال ووهبناله من رحمتنا أخاه هرون نبيا وهو فى الحقيقة لايملك نفسه ولا أخاه اذلا مالك أصلا الا الله تعالى وهذا على أحد الوجهين اذا كان وأخى فى موضع نصب والوجه الآخر أن يكون فى موضع رفع فيكون المعنى وأخى أيضا لايملك الانفسه وقال تعالى فى التفصيل لتثبيت الاحكام وتفضيل الانام أخرج قومك من الظلمات الى النور وقال لتخرج الناس من الظلمات الى النور وفى مثله وانك لتهدى الى صراط مستقيم ثم رفعه فى التوحيد وأثبت نفسه فقال الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال فى مثله انك لاتهدى من أحببت قال صاحب القوت ولم يمنع وجود هذه الاواسط أن يكون الله تعالى هو الاول فى كل شئ وهو الفاعل لكل شئ وحده لاشريك له فى شئ وان الكون كله مكان لجريان الافعال الارادة أوله والقدرة من ورائه لم يقل أحد من المسلمين الملك خلقنى ولا عزرائيل أماتنى ولا اسرافيل أحيانى كذلك أيضا لايصلح أن يقول الموقن المشاهد للتوحيد فلان أعطانى أو منعنى كما لا يقول فلان رزقنى وفلان قدر على وان جعل واسطة فى الرزق وسببا للتقدير والا كان عندهم مشركا فى أسماء الله غيره اذ كان الله هو المانع المعطى الضار النافع كما هو المحيي المميت لاشريك له فى ملكه ولا ظهير له من عباده فى خلقه ورزقه وهذا عندهم يقدح فى حقيقة توحيد العبد وهو من الشرك الخفى وقد قال بعضهم فى معنى قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال مؤمن بالله باقراره ان الله هو المقدر والمدبر ومشرك فى الاعتماد على الاسباب وردالافعال اليها ثم قال ومثل الاواسط من الاول مثل الآلة بيد الصانع ألا ترى انه لا يقال الشفرة حذت النعل ولا السوط ضرب العبد وانما يقال الحذاء حذى النعل وفلان ضرب العبد بالسوط وان كانت هذه الاواسط مباشرة للافعال الا انها آلة بيد صانعها كذلك الخليقة يباشرون الاسباب فى ظاهر العيان والله من ورائهم محيط القادر الفاعل بلطائف القدرة وخفايا المشيئة ألم تر الى قولهم الامير أعطانى كذا وخلع على كذا وان لم يناوله بيده ولا يصلح أن يقال خادم الامير أعطانى لاجل انه جرى على يده وان كان باشر العطاء بنفسه اذ قد علم ان الخادم لايملك ولا يتصرف فى ملك الامير الا بأمره (فاذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعانى اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذى ناوله التمرة خذها لو لم تأتها لاتتك) قال العراقى رواه ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء من رواية هذيل بن شرحبيل ووصله الطبرانى عن هذيل عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح (أضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لاتأتى على الوجه الذى يأتى الانسان اليها) فوجوه الاتيان مختلفة ولم يقل لاتاك بها رجل اذ لا بغية فى

معنى قوله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد وقد وصف الله تعالى نفسه بانه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحياة الى ملكين ففى الخبر أن ملكى الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الاحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي الموتى فاوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وماسخرتكماله من الصنع وأنا المميت والمحيي لايميت ولايحيي سواى فاذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعانى اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذى ناوله التمرة خذها لو لم تأتها لاتتك أضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم أن التمرة لاتأتى على الوجه الذى يأتى الانسان اليها

وكذلك لما قال التائب أتوب الى الله تعالى ولا أتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فكل من أضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذى عرف الحق والحقيقة ومن أضافه الى غيره فهو المتجوز والمستعير فى كلامه وللتجوز وجه كما أن للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن أن الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن انه تحقيق وتوهم أن نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا أن الامر بالعكس وقالوا ان الفاعل قد وضعته أيها اللغوى للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز أى تجوز به عما وضعه اللغوى له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد

ألا كل شئ ما خلا الله باطل

ذكر ذلك كما لا ينبغى فى قول المعطى أن يبتدأ من غير أن يسأل عند ارادة اظهار العطاء الامير أعطانى على يد عبده فلان فان هذا القول لا يحتاج الى ذكر العبد مع ذكر الملك (وكذلك لما قال التائب أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله) وهو الايسر الذى قال اللهم انى أتوب اليك رواه أحمد عن الاسود بن سريع به مرفوعا وقد رواه كذلك الطبرانى والبيهقى والحاكم والضياء وتقدم فى كتاب الزكاة قال صاحب القوت وانما ذكر الله تعالى الاسباب لان الاسماء متعلقة بها والاحكام عائدة الى الاسماء بالثواب والعقاب فلم يصلح أن لا يذكر فتعود الاحكام على الحاكم تعالى عن ذلك انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الاحكام من الحاكم ويعيدها على المحكوم وهذا هو سبب اظهار المكان من الموت والحياة لئلا يكون تعالى محكوما وهو الجليل الحاكم ولا يكون مأمورا وهو العزيز الآمر وتوجهت الاوامر منه قبل المأمورات ومن هذا قوله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق وجميعها عنده فى خزائنه الا انه أضاف الدنيا الينا لرجوع الاحكام علينا وليزهدنا فيها وأضاف الآخرة اليه تخصيصا لها وتفضيلا ليرغبنا فيها وقد قال تعالى مخبرا عن عيسى عليه السلام واذ تخلق من الطين ومثله قال فارزقوهم منها فسماه خالقا اذ خلق الله على يده وسماهم رازقين لما جرى على أيديهم رزق أهلهم فهو عندى كقوله فى مريم وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وقد علمت أن الرطب لم يتساقط بهزها ولا فعل ولا جعل لهزها فى الرطب ولكن أراد أن يظهر كرامتها ويجعل الآية منه بيدها ومثله قوله تعالى اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعت عينان أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل فشرب من احداهما فغسل ما فى جوفه من البلاء واغتسل من الاخرى فزال ما فى جسمه من السقم والاذى ولا فعل لرجليه فى اظهار العينين ولكن الله عز وجل خلق ذلك على يده وأجراه بواسطته تكرمة له وآية وهبها له ونحو ذلك قوله تعالى لابراهيم ثم ادعهن يأتينك سعيا فجعل كيفية احياء الموتى بيده تعالى بدعوته عليه السلام وكان ذلك جوابا لمسألته أرنى كيف تحيي الموتى ولا مكان له فى الاحياء وكان الله فى الدعوة كيف شاء وكذلك الموقن العارف ينطق عن الله فيكون الله تعالى المظهر لبيانه والمجرى على لسانه كما كلم موسى عليه السلام من الشجرة وكان هو المكلم لعبده وصارت الشجرة حجابا أوجده والله غالب على أمره وكما ينطق الروحانى من الملائكة على ألسنة النبيين وينطق الجنانى من الارواح على ألسنة المجانين والله من ورائهم محيط (فكل من أضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذى عرف الحق والحقيقة لاهله ومن أضافه الى غيره فهو المتجوز والمستعير فى كلامه وللتجوز وجه كما أن للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع) وهو المبتدع من غير سبب (ولكن ظن ان الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن انه تحقيق وتوهم أن نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا أن الامر بالعكس وقالوا ان الفاعل قد وضعته أيها اللغوى للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز أى تجوز به عما وضعه اللغوى له) ولفظ القوت وعند أهل المعرفة أن لا فاعل حقيقة الا الله لان حقيقة الفاعل هو الذى لا يستعين بغيره من آلة ولا سبب انتهى ولا يخفى ان هذا اصطلاح لهم وكون ان واضع اللغة وضع الفعل للاختراع فيه تأمل وانما الفعل عندهم عبارة عن الهيئة العارضة للمؤثر فى غيره بسبب التأثير أولا كالهيئة الحاصلة للقاطع بسبب كونه قاطعا وقيل هو التأثير من جهة مؤثر وقيل هو ما ظهر من داعية من الموقع فهذه حدود الفعل التى وضعها فقهاء اللغة وأما الاختراع فهو ابتداع شئ بلا سبب ولم يظن أحد منهم أن الانسان يخترع شيأ بلا سبب فيسمى لذلك فاعلا فضلا عن أن يظن ان نسبته اليه على الحقيقة فتأمل ذلك (ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب) اما (قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصدق بيت قاله شاعر) وفى نسخة قالته العرب (قول لبيد

ألا كل شئ ما خلا الله باطل) * وكل نعيم لا محالة زائل

قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ قاله الشاعر وفى رواية لمسلم أشعر كلمة تكلمت بها العرب

أى كل مالاقوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذا لا حق بالحقيقة الى الحى القيوم الذى ليس كمثله شئ فانه قائم بذاته وكل ماسواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يامسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كن الآن كما لم تكن فانه اليوم كما كان فان قلت فقد ظهر الآن أن الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا اليه فى كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا هو القدر الذى رأينا الرمز اليه من التوحيد الذى يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الأسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذى يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سياتى الا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهو الايمان أيضا باب عظيم من أبواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا استريب فيه وهو أن يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب أن الله

انتهى قلت لفظ الصحيحين أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد * ألا كل شئ ماخلا الله باطل * وكاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم ورواه كذلك أحمد وابن ماجه وفى رواية لمسلم أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد * ألا كل شئ ماخلا الله باطل * وقد رواه الترمذى كذلك قال صاحب القوت قال الشاعر ذلك وهو يعلم ان فى الاشياء أواسط حق وأسباب صدق ثم لم يمنعه ذلك ان قال هذا ايثارا منه للتوحيد وتوحيد المتوحد هذا مع قرب عهدهم بتكذيب الرسل وابطال الكتب ولكن لما كانت الاشياء بعد ان لم تكن ولا تكون بعد ان كانت أشبهت الباطل الذى لا حقيقة له أولية ولا ثبات له آخرية وكان الله تعالى الاول الازلى والآخر الابدى فهو الحق ولا هكذا سواه انتهى وقد زاده المصنف وضوحا بقوله (أى كل مالاقوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذا لا حق بالحقيقة الا الحى القيوم الذى ليس كمثله شئ فانه قائم بذاته وكل ماسواه قائم بقدرته فهو الحق وماسواه باطل) وقال المصنف فى المقصد الحق فى مقابلة الباطل والاشياء قد تستبان باضدادها وكل مايخبر عنه فاما باطل مطلقا وأما حق مطلقا واما حق من وجه باطل من وجه فالممتنع لذاته هو الباطل مطلقا والواجب لذاته هو الحق مطلقا والممكن لذاته الواجب بغيره فهو حق من وجه باطل من وجه فهو من حيث ذاته لا وجود له فهو باطل وهو من جهة غيره مستفيد للوجود فهو من هذا الوجه الذى يلى مفيد الوجود موجود فهو من ذلك الوجه حق ومن جهة نفسه باطل فكذلك كل شئ هالك الا وجهه وهو كذلك أزلا وأبدا ليس ذلك فى حال دون حال لان كل ماسواه أزلا وأبدا من حيث ذاته لا يستحق الوجود وهو من جهته تعالى يستحق فهو باطل بذاته حق بغيره وعند هذا تعرف ان الحق المطلق هو الموجود الحقيقى بذاته الذى منه يوجد كل حقيقة ثم قال وحظ العبد من هذا الاسم ان يرى نفسه باطلا ولا يرى غير الله حقا والعبد وان كان حقا فليس هو حقا لنفسه بل هو حق لغيره وهو الله تعالى فهو موجود به لا بذاته بل هو بذاته باطل لولا ايجاد الحق له وقوله فاذا لا حق بالحقيقة الا الحى القيوم الخ الحى الكامل المطلق هو الذى تندرج المدركات باسرها تحت ادراكه والموجودات جميعها تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا عن فعله مفعول وذلك هو الله تعالى والقيوم هو الذى قوامه بذاته وقيام كل شئ به وليس ذلك الا الله تعالى وما كان محتاجا فى قوامه الى وجود غيره لا يكون قائما بنفسه والقائم بنفسه مطلقا اذا قام به كل موجود فهو القيوم لان قوامه بذاته وقوام كل شئ به وليس ذلك الا الله سبحانه وتعالى (ولذلك قال سهل) التسترى رحمه الله تعالى (يامسكين كان) الله تعالى أزلا وأبدا (ولم تكن) أنت متصفا بالوجود (ويكون) كما كان (ولا تكون) أنت بل تفنى (فلما كنت اليوم) بين العدمين صرت (تقول أنا وأنا كن) فيما أنت فيه (الآن كما لم تكن فانه اليوم كما كان) فى الازل نقله صاحب القوت وهو اشارة الى مقام اسقاط التدبير كما سيأتى الكلام عليه عند قوله التوكل ترك التدبير (فان قلت فقد ظهر الآن ان الكل جبر) فى صورة اختيار (فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك قد أشرنا اليه فى كتاب الشكر) من الركن الثالث منه عند قوله وفى كل فقر ومرض وخوف وبلاء فى الدنيا خمسة أمور ينبغى ان يفرح العاقل بها الى آخره راجعه هناك (فلا نطيل باعادته) ثانيا (فهذا هو القدر الذى رأينا الرمز اليه من التوحيد الذى يورث حال التوكل) والتسليم ويثمره اذا ثبت فى النفس ثبوتا اعتقاديا أو كشفيا أو ذوقيا أو عرفانيا نتج عنه حال التوكل (ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب) بأن الوجود باسره فى قبضته وقدرته وتحت قهره وأسره (والايمان بالرحمة وسعتها هو الذى يورث الثقة بمسبب الاسباب) وينكشف لك ان الرزق لا يتعدى المرزوقين لانه مخلوق لهم (ولا يتم حال التوكل كما سيأتى) قريبا (الا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان أيضا باب عظيم من أبواب الايمان) أى الايمان بسعة الرحمة والجود والحكمة (وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا استريب فيه) أى لا يداخله الريب والشك فيه (وهو ان يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب ان الله

عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى

لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم على أسرار الملكوت

وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يرفع منها ذرة ولا ان يخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضر عمن بلي به ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم به عليه بل كل ما خلق الله تعالى من السموات والارض ان رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في

الامكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية والشعام

عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم على أسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يرفع منها ذرة ولا ان يخفض منها ذرة ولا ان يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض اذا ارجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور) هذا السياق منتزع من القوت ولفظه اعلم يقينا ان الله تعالى لو جعل الخلائق كلهم من أهل السموات والارضين على علم أعلمهم به وعقل أعقلهم عنه وحكمة أحكمهم عنده ثم زاد كل واحد من الخلائق مثل عدد جميعهم وأضعافه علما وحكما وعقلا ثم كشف لهم العواقب واطلعهم على السرائر وأعلمهم بواطن النعم وعرفهم دقائق العقوبات والنقم ثم قال لهم دبروا الملك بما أعطيتكم من العلوم والعقول على مشاهدتكم عواقب الامور واطلاعكم على سرائر المقدور ثم أعانهم على ذلك وقواهم له لما زاد تدبيرهم على ما تراه الآن من تدبير الله من الخير والشر والنفع والضر جناح بعوضة ولا نقص عن ذرة ولا أوجبت العقول المكاشفات ولا العلوم المشاهدات غير هذا التدبير ولا قضت بغير هذا التقدير الذي نعاينه ونتقلب فيه ولكن لا يبصرون انتهى ويشهد لهذا السياق ما في الحلية في ترجمة وهب بن منبه قال ألم يفكر ابن آدم ثم يتفهم ويعتبر ثم يبصر ثم يعقل ويتفقه حتى يعلم ان لله علما به يعلم العالم وحكمة بها يتقن الخلق ويدبر بها أمور الدنيا والآخرة فان ابن آدم لم يبلغ بعلمه المقدر علم الله الذي لا مقدار له ولن يبلغ بحكمته حكمة الله تعالى التي بها يحيي الخلق ويقدر المقادير ثم قال المصنف (وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي) قال صاحب القوت لانه أجراه على ترتيب العقول ومعاني العرف والمعتاد من الامور بالاسباب العقلية والاواسط المشهورة على معيار ما طبع العقول فيه وجبل المعقول عليه ثم غيب في ذلك العواقب وحجب السرائر وأخفى المثاوب فعاب بغيبها حسن التدبير وجميل التقدير فجهل أكثر الناس الحكم واحتجوا بظواهر الرسم ونسوا سوابق القسم وما يعقلها الا الا العالمون ان في ذلك لآيات للعالمين وهذه شهادة المتوكلين وهي مقامات النبيين (وليس في الامكان) هو الامر الذي هو موضع القدرة ومحل القوة والتمكن وهو ما ليس بواجب ولا بمحال ممتنع لذاته (أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ولو كان) كذلك (وادخره مع القدرة) عليه (ولم يفعل لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالوهية) هكذا نص هذه العبارة في سائر نسخ الكتاب لاسيما وفي أواخر بعضها انها نقلت من نسخة موثوقة بها معتمدا على صحتها وتقرير هذا الكلام يظهر من معرفة أمرين أحدهما ان المجمع عليه عند أهل السنة ان القدرة انما تتعلق بالممكن دون المستحيل فكل ما صح حدوثه وتوهم كونه ولم يستحل في العقل وجوده فالله سبحانه قادر على ايجاده واحداثه وكل ما استحال وجوده لم يوصف أحد بالقدرة عليه ولا بالعجز عنه لان العجز انما يصح عما تصح القدرة عليه وكل ما لا يصح ان يكون مقدورا عليه فلا يصح ان يكون معجوزا عنه ولذلك لا يوصف أحد بالعجز عن الجمع بين الضدين ولا بالعجز عن جمع العالم في قشر بيضة ونحو ذلك لان ذلك مما لا تصح القدرة عليه فلا يصح العجز عنه ولذلك قالوا ان الانسان لا يوصف بالعجز عن خلق الاعيان لانه لا يصح وصفه بالقدرة على خلقها وفي هذه المسألة خلاف مع جماعة من المعتزلة منهم أبو الهذيل

والشحام وثمامة ومعمر والاسوارى والنظام والكرامية مجسمة خراسان مبسوط فى محله والامر الثانى ان
النفى فى هذا الكلام ليس منصبا على امكان وجود شئ غير الموجود انما هو منصب على كونه أبدع من الموجود
فالنفى هنا كون شئ مما يمكن وجوده أبدع مما وجد مع قطعه بصلاحية القدرة لايجاده فاذا فهمت الامرين
سهل عليك حل الكلام وسيأتى ما يتعلق به تسليما وردا (بل كل فقر وضر فى الدنيا فهو نقصان من الدنيا
وزيادة من الآخرة) قال صاحب القوت اعلم ان الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد فى الصبر ويديم الجوع
والفقر فيكون هذا رزقا للزاهد من الآخرة على هذه الصفة من حرمان نصيبه من الدنيا وحمايته عن التكثر منها
والتوسع فيها ويكون الزهد سببه فيكون ما صرف عنه ومنعه من الدنيا من الغنى والتوسع رزقه من الآخرة
والدرجات العلى بحسن اختيار من الله تعالى وحيطة نظر كما حدثونا عن بعض العلماء ان بقالا جاء اليه فقال انى
كنت أبيع فى محلة لا بقال فيها غيرى فكنت أبيع الكثير ثم قد فتح على بقال آخر فهل ينقص ذلك من رزقى شيأ
فقال لا ولكن يزيد فى بطالتك عن البيع (وكل نقص فى الآخرة بالاضافة الى شخص) قد نقص حظه الاوفر منها
(فهو نعيم بالاضافة الى غيره) اذا كانت الدنيا ضدها (اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار) ولولا الكفر لما عرف قدر
الايمان (ولولا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة) ولولا المعصية لم يعرف قدر الطاعة (ولولا النار لما عرف أهل الجنة
قدر النعمة) فهذا قد لوحظ فيه من حيث الحكمة التى يجب الايمان بها فهذا بعض أسرار كونه أبدع (وكان
فداء أرواح الانس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل)
والمراد بالكامل الانسان ووصفه بذلك بالاضافة الى البهائم فانها ناقصة ولما كان بقاء الانسان يحتاج الى غذاء
يستمسك به قوته امتن الله عليه بخلق البهائم فكانت لحومها أغذية له يشير الى ذلك قوله تعالى ومن الانعام
حمولة وفرشا (فكذلك تفخيم النعم) أى توفيرها وتكبيرها (على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران
وفداء أهل الايمان باهل الكفران عين العدل) كما ورد فى الخبر انه يقال للمسلم هذا الكافر فداؤك من النار
(ومالم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر
بالاضافة) فان درجات الاحياء ثلاثة درجة الملائكة ودرجة الانس ودرجة البهائم فاما درجة البهائم فهى
أسفل فى نفس الحياة التى بها شرفها لان الحى هو الدراك الفعال وفى ادراك البهيمة نقص وفى فعلها نقص وأما
درجة الملائكة فهى أعلى الدرجات لقربها من حضرة القدس وأما الانسان فدرجته متوسطة بينهما وكانه
مركب منهما والاغلب عليه فى الاول البهيمية ثم يشرق عليه فى الآخر نور العقل فيأخذ بذلك شبها من الملائكة
والمقصود ان الكمال والنقص من الامور المتضايفات (فمقتضى الجود والسعة (الحكمة خلق الكامل
والناقص جميعا) ولولا ذلك لما عرف أحدهما من الآخر فهذا بعض أسرار كونه أبدع (وكما ان قطع اليد اذا
تأكلت) أى أصابها مرض الاكلة ولا دواء لها الا القطع (ابقاء على الروح) أى على حياته (عدل لانه
فداء كامل بناقص فكذلك الامر فى التفاوت) الواقع (الذى) هو (بين الخلق فى القسمة فى الدنيا والآخرة)
من الغنى والفقر وحسن الصورة وقبحها والصحة والمرض والتوفيق والخذلان والايمان والكفر والطاعة
والمعصية (فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه) ويشهد لابدعية هذا التفاوت ما أخرجه عبد الله بن
أحمد فى زوائد المسند وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفاسيرهم واللالكائى فى السنة وابن منده فى
كتاب الرد على الجهمية بسند صحيح عن أبى بن كعب فى قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى آدم الآية قال جمعهم
فجعلهم أرواحا ثم صورهم فاستنطقهم وآدم ينظر اليهم فرأى الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال
يارب لولا سويت بين عبادك قال انى أحببت ان أشكر وأخرج ابن أبى حاتم وابن منده فى الرد على الجهمية من
حديث أبى هريرة قال ان الله تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فخرت منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة ثم عرضها
على آدم فاذا فيهم الاجذم والابرص والاعمى وأنواع الاسقام فقال آدم يارب لم فعلت هذا بذريتى فقال كى
تشكر نعمتى فهذا نص من الله تعالى على الحكمة فى خلق الناس متفاوتين فى صفة الكمال والنقص حتى انه

بل كل فقر وضر فى الدنيا فهو نقصان فى الدنيا وزيادة فى الآخرة وكل نقص فى الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لما عرف أهل الجنة قدر النعمة وكما أن فداء أرواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران وفداء أهل الايمان باهل الكفران عين العدل ومالم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما أن قطع اليد اذا تأكلت ابقاء على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر فى التفاوت الذى بين الخلق فى القسمة فى الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه

جعل أنواع البلاء متفاوتة ارادة الشكر فلا ترى ذا بلاء الا وهو يرى من هو اشد بلاء منه ولا ذا حال سيئ الا وهو
يرى من هو اسوأ حالا منه ولو من نوع آخر فترى مثلا الفقير الذى لا يجد قوته و يبيت الليالى طاويا يرى من هو
دنف ملازم الوساد وهو كثير المال فيشكر الله تعالى على العافية وذلك الدنف يرى ذلك الفقير وهو يتمنى القوت
فلا يجده فيشكران رزقه الله الغنى مع سقمه ولم يجعله يتكفف الناس وترى الملك ينظر الى ما حوله من النعيم
ونفوذ الامر فيشكر الله ان جعله آمرا لا مأمورا ومالكا لا مملوكا وترى آحاد الرعية ينظر الى ما يقاسيه الملك من
انكاد الدنيا وهمومها وخروج الخوارج عليه وانتشار المفسدين والقطاع وخوفه على نفسه مما يغتاله أو يسلب
منه ملكه أو يقصد بانواع المكايد ثم ما يتبع ذلك من الحساب يوم القيامة على كل فرد فرد من رعاياه وهل قام فيهم
بما أمره الله تعالى من العدل فيهم وتخليص مظلومهم من ظالمهم وانفاذ أوامر الله فيهم وايصال حقوقهم اليهم
وعلى كل ذرة من مال قبضها أو صرفها هل أخذ كما أمر الله تعالى وصرفها فيما أمر الله تعالى فيحمد الله ذلك
المسكين ان لم يجعله ملكا فحينئذ لا ترى من الناس الا شاكرا كل بحسب حاله فانظر الى هذه الحكمة البديعة فى
جعل الخلق مع تباين أحوالهم متفاوتين فى الحال الواحد مقولين بالتشكيك لا بالتواطؤ فذو و الفقر
متفاوتون ليرى كل دونه وكذا ذوو البلاء الى غير ذلك وارادة الشكر من المقاصد المعتبرة بدليل ما فى الخبر
ما أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ووجه آخر فى خلق المكروهات وما فيها من الفوائد
الدنيوية والاخروية وهى خمسة كما تقدم للمصنف فى كتاب الشكر وأوصلها العز بن عبد السلام الى سبعة
عشر فى تأليف مخصوص وقد قال خيرة الله لعبده فيما يكره أكثر من خيرته له فيما يحب وفى الخبر عجبت للمؤمن
وقضاء الله له خير ان أصابه خير او شر وقال صلى الله عليه وسلم لمن قال له أوصنى اذهب ان لا تتهم الله على نفسك فهذا
نوع من أنواع الموجودات تبين فيه وجه الابدعية بالنسبة الى ضده فقس على ذلك سائر الانواع وقد يكون الشئ
أبدع فى وقت وخلافه أبدع فى وقت آخر ومن ثم يوجد الله الرخاء فى وقت والغلاء فى وقت آخر أو فى مكان دون
مكان وكذا الحياة والموت والعسر واليسر والامن والخوف والصحة والسقم وذلك لعلم الله بحكمته البالغة ان
الابدع فى هذا الوقت ايجاد أحد الضدين الى وقت كذا فاذا جاء ذلك الوقت فالابدع ايجاد ضده فيوجده على
حسب حكمته ومن قدح فى شئ من هذا فقد قدح فى الحكمة وعارض حكمة الحكيم برأى من عنده زعم بجهله
انه أسد مما اقتضته الحكمة و يرشح ذلك قصة المنسوخ من الشرائع والاحكام فان الله تعالى عالم بحكمته البالغة
ان الابدع شرع هذا الحكم فى هذا الوقت فشرعه الى وقت كذا فاذا جاء الوقت فالابدع شرع خلافه فيشرعه
وقد نص بعض أرباب البيان فى تقدير وجه اعجاز القرآن على ما يشبه ذلك فقال لا شك فى ان البارى تعالى عالم
بجميع أصناف الكلام فاختار لكتابه أفصحها وجها فانزله عليه فلا يمكن أفصح منه وكذلك نقول فى الموجودات
علم الله فى كل موجود جميع الوجوه الممكن ايجاده على أوجه كثيرة غير ذلك الا أنها ليست بابدع والابدع
الوجه الذى أوجده الله عليه ونقول فى خلق الانسان انه يمكن بروزه على أوجه غير الصورة التى أبرزها الله
عليها من جعل رأسه أسفله أو فى ظهره مثلا أو كونه بعين واحدة أو كون يديه أو عينيه خلف أو كون فمه فى رأسه
أو بطنه أو غير ذلك من الوجوه الممكنة التى لا نشك فى صلاحية القدرة لها لكنها ليست بابدع والابدع هذه
الصورة الموجودة لما فيها من المحاسن والحكم وشاهده قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وهذا
نص قاطع فى ان الصورة التى خلق عليها الانسان لا أبدع منها وكذلك نقول فى سائر الحيوانات انها موجودة على
الصورة التى لا أبدع منها مع صلاحية القدرة لايجادها على صور شتى لكن ما وجدت عليه أبدع وشاهده قوله
تعالى الذى أحسن كل شئ خلقه قال ابن عباس أحسن كل شئ خلقه فجعل الكلب فى خلقه حسنا رواه ابن أبى
حاتم وقال أيضا خلق الله لكل شئ ما يشاكله من خلقه وما يصلحه من رزقه فخلق البعير خلقا لا يصلح شئ من خلقه
على غيره من الدواب وكذلك كل شئ من خلقه وخلق لدواب البر وطيرها من الرزق ما يصلحها فى البر وخلق لدواب
البحر وطيرها من الرزق ما يصلحها فى البحر فذلك قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر رواه الطبرانى فى المعجم الكبير

(وهذا الآن بحر زاخر عظيم واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين) اذ توغلوا فيه ولم يكونوا أقوياء فى علوم المكاشفة فاضطربت عليهم أمواج القدرة فاندهشت عقولهم وفغرت تماسيح العزة فاهها فاصطكت أفهامهم (ولم يعلموا) قبل دخولهم (ان ذلك غامض) خفى المدرك (لا يعقله الا العالمون) بالله وبأفعال الله المكاشفون بأنوار الله (ووراء هذا البحر) العظيم المتلاطم (سر القدر الذى تحير فيه الاكثرون) واندهش فيه المخلصون (ومنع افشاء سره المكاشفون) روى الطبرانى باسناد حسن عن ابن عباس قال لما بعث الله موسى وأنزل عليه التوراة قال اللهم انك رب عظيم ولو شئت أن تطاع لاطعت ولو شئت أن لا تعصى لما عصيت وأنت تحب أن تطاع فكيف هذا يارب فأوحى الله اليه انى لا أسئل عما أفعل وهم يسئلون ثم سأل عزير مثل ذلك فأجابه انى لا أسئل عما أفعل وهم يسئلون فأبت نفسه حتى سأل ثلاثا فقال الله تعالى أتستطيع أن تصر صرة من الشمس قال لا قال أتستطيع أن تجىء بمكيال من ريح قال لا قال أتستطيع أن تجىء بمثقال من نور قال لا قال فهكذا لا تقدر على ذلك الذى سألت عنه انى لا أسئل عما أفعل وهم يسئلون ثم سأل عيسى فأجابه كذلك فجمع عيسى من تبعه فقال القدر سر الله فلا تكلفوه وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا الله عز وجل سره وقد تقدم ونقل المصنف فى مقدمة التهافت وانما منع عن ذكر سر القدر يعنى وهو القدرة من شأنها أن تتعلق بالمحال لانه يوهم عند العوام عجزا قال فالصواب أن يلقى اليهم ان الاول قادر على كل شئ ليوجب ذلك تعظيما فى صدورهم فلو فصل وفسرت الامور الى ممكنة وغير ممكنة لظنوا ان ذلك عجز قال فهذا سر القدر على ما قيل (والحاصل ان الخير والشر) كل منهما (مقضى به ومرضى به فالخير بالذات والشر بالعرض وكل بقدر (وقد صار ما قضى به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه) قال المصنف فى المقصد الاسنى اذا كان معنى الحكمة ترتب الاسباب وتوجهها الى المسببات كان المتصف بها على الاطلاق حكيما مطلقا لانه مسبب كل الاسباب جملتها وتفصيلها ومن الحكم يتشعب القضاء والقدر فتدبيره أصل وضع الاسباب لتتوجه الى المسببات هو حكمه وايجاده للاسباب الكلية الاصلية الثابتة المستقرة التى لا تحول ولا تزول الى وقت معلوم كالارض والسموات والكواكب وحركاتها المتناسبة الدائمة التى لا تتغير ولا تنعدم الى أن يبلغ الكتاب أجله ووضعه اياها ونصبه لها هو قضاؤه وتوجيه هذه الاسباب بحركاتها المتناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة الى المسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة هو قدره فالحكم هو التدبير الاول الكلى والامر الازلى هو كلمح البصر والقضاء هو الوضع الكلى للاسباب الكلية الدائمة والقدر هو توجيه الاسباب الكلية بحركاتها المقدورة المحسوبة الى مسبباتها المعدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص وكذلك لا يخرج شئ عن قضائه وقدره (بل كل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) أى سطر فى اللوح رواه ابن المنذر عن ابن عباس قال قتادة أى محفوظ مكتوب رواه عبد بن حميد (وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أصابك) من الخير والشر والنفع والضر (لم يكن ليخطئك وما أخطأك) منها (لم يكن ليصيبك) رواه أحمد والطبرانى والبزار من حديث أبى الدرداء لكل شئ حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ورجال الطبرانى ثقات فالعلم بهذه الاشياء وطمأنينة القلب بها وسكينة العقل عندورودها وأن لا يضطرب بالرأى والمعقول ولا ينازع بالتشبيه والتمثيل هو من فرائض الايمان لا يصح ايمان عبد حتى يسلم ذلك كله ومنه قول ابن عباس القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقصا فى التوحيد فجعل الايمان بالاقدار كلها انها من الله تعالى مشيئة وحكما بمنزلة الخيط الذى ينتظم عليه الحب وان التوحيد منتظم فيه فاذا انقطع الخيط سقط الحب قال كذلك اذا كذب بالقدر ذهب الايمان فالتوكل فرض وفضل ففرضه منوط بالايمان وهو تسليم الاقدار كلها للقادر واعتقادات جميعها قضاؤه وقدره وأما فضل التوكل فيكون عن مشاهدة الوكيل لانه فى مقام المعرفة برؤية عين اليقين (ولنقتصر على هذه المرامز) أى الاشارات (من علوم المكاشفة التى هى أصول مقام

وهـذا الآن بحر آخر عظـيم العمق واسع الاطراف مضـطرب الامواج قريب فى السعة من بحر التوحيـد فيه غـرق طـوائف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض ذلك لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القـدر الذى تحير فيـه الاكثرون ومنـع من افشاء سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضى به وقـد كان ما قضى به واجب الحصول بعـد سـبق المشيئة فلا راد لحكمه و لا معـقب لقضائه وأمره بل كل صـغير وكبير مستطر وحصوله بقـدر معلوم منتظر وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هـذه المرامز من علوم المكاشفة التى هى أصول مقام

التوكل) وعليها بناؤه ومستقره (ولنعد الى علم المعاملة ان شاء الله تعالى) ولسياق المصنف هذا من أول قوله ولا يتم هذا الا بالايمان والرحمة الى هنا شواهد تدل على صحته من أقواها وأقربها اليه قول المصنف نفسه فى كتابه جواهر القرآن وهذا نصه لا يكفى الايمان بالتوحيد فى اثارة حالة التوكل حتى ينضاف اليه الايمان بالرحمة والجود والحكمة اذ به يحصل الثقة بالوكيل الحق وهو أن تعتقد جزما أو ينكشف لك بالبصيرة ان الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل أعقلهم بل على أكمل ما يتصوّر أن يكون عليه حال العقل ثم زادهم اضعاف ذلك علما وحكمة ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم على أسرار الملكوت ولطائف الحكمة ودقائق الخير والشر ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت لما دبروه باحسن مما هو عليه ولم يمكنهم أن يزيدوا ولا ينقصوا منه جناح بعوضة ولم يستصوبوا البتة دفع مرض وعيب ونقص وفقر وضر وجهل وكفر ولا أن يغيروا ما قسمه الله من رزق وأجل وقدرة وعجز وطاعة ومعصية بل شاهدوا جميع ذلك عدلا محضا لا جور فيه وحقا صرفا لا نقص فيه واستقامة تامة لا قصور فيها ولا تفاوت بل كل ما يرون نقصا يرتبط به كمال آخر أعظم منه لا يتوصل الى ذلك النفع الا به وعلموا قطعا أن الله تعالى حكيم جواد رحيم لم يبخل على الخلق أصلا ولم يدخر فى اصلاحهم أمرا وهذا بحر زاخر فى المعرفة يحرك أمواجه سر القدر الذى منع من ذكره المكاشفون وتحير فيه الاكثرون ولا يعقله الا العالمون ولا يدرون فى تأويله الا الراسخون هذا نصه بحروفه وقال فى موضع آخر من الجواهر أيضا قد أنكر الرضا جماعة وقالوا لا يتصوّر الرضا بما يخالف الهوى وانما يتصوّر الصبر فقط والجواب ان الرضا بالبلاء وبما يخالف الطبع يتصوّر من ثلاثة أوجه أحدها أن يدهشه مشاهدة المحبة وافراطها عن الاحساس بالالم والثانى أن يحس بالالم ويكرهه بالطبع ولكن يرضى به بعقله وايمانه لمعرفته بجزالة الثواب على البلاء كما يرضى بالم الفصد وشرب الدواء لعلمه بانه سبب الشفاء حتى انه ليفرح بمن يهدى اليه الدواء وان كان بشيعا وكذلك يرضى التاجر بمشقة السفر وهو خلاف طبعه وهذا ايضا مشاهد مثله فى الاغراض الدنيوية فكيف ينكر فى السعادة الاخروية الثالث ان يعتقد ان لله تعالى تحت أقداره اعجوبة لطيفة من لطائفه وذلك يخرج عن قلبه لم وكيف حتى لا يتعجب مما يجرى فى العالم ان تعجبه كتعجب موسى عليه السلام من الخضر عن السر الذى أطلع عليه سقط تعجبه وكان تعجبه بناء على ما خفى عنه من تلك الاسرار وكذلك افعال الله تعالى ثم ساق قصتين احداهما للرجل الذى كان يقول فى كل ما يصيبه الخيرة فيما قدره الله والثانية للفارس الذى نسى صرة فيها الف دينار ولولا أنه سيأتى سياقهما فى كتاب الرضا لذكرتهما فمن أيقن بامثال هذه الاسرار لم يتعجب من أفعال الله تعالى وتعجب من جهل نفسه ولم يقل لم وكيف فقد رضى بما دبره الله فى ملكوته وههنا وجوه أربعة تتشعب عن محض المعرفة بكمال الجود والحكمة وبكيفية ترتيب الاسباب المتوجهة الى المسببات ومعرفة القضاء الاوّل الذى هو كلمحة البصر ومعرفة القدر الذى هو سبب ظهور تفاصيل القضاء فانها رتبت على أكمل الوجوه وأحسنها وليس فى الامكان أحسن منها وأكمل ولو كان وادخر لكان بخلا لا جودا وعجزا يناقض القدرة وينطوى تحت ذلك سر القدر وكما ان من عرف ذلك لم ينطو ضميره الا على الرضا فكذلك كل ما يجرى من الله تعالى ويلى هذين السياقين ما ذكره فى كتابه المسمى بالاربعين فى أصول الدين قال فى الاصل التاسع من أصول الدين الرضا بالقضاء ان المسببات رتبت على الاسباب على أكمل الوجوه وأحسنها وليس فى الامكان أحسن منها وأكمل ولو كان لكان بخلا لا جودا أو عجزا يناقض القدرة ويلى هذه السياقات الثلاثة ما قاله الشيخ كمال الدين أبو بكر محمد بن اسحق الشافعى الصوفى فى كتابه مقاصد منجيات الاحياء وهذا نصه بعد ان ذكر مراتب الايمان فقال فحينئذ ترجع أيها الناظر اليه ويعتمد قلبك عليه فتزداد نورا بنور جهلك واعتمادك لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فيشرق فى قلبك بهدايته ما أشرق فى قلوب أنبيائه كما قال تعالى حاكيا عن نبيه ان ربى على صراط مستقيم أى مستقيم فى أحكامه وأقضيته التى قدرها فى ازله وانها على أتم أنواع الكمال والاتقان وان الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وأعطاهم من العلم والحكمة ما تحتمله نفوسهم

التوكل ولنرجع الى علم المعاملة ان شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل

وافاض

وأفاض عليهم من الحكمة مالا منتهى لوصفها ثم زاد كل واحد منهم عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عواقب الامور وأطلعهم على سائر الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلم والحكمة والعلوم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزيدوا فيما دبر الله سبحانه الخلق به فى الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولم يقدروا على ذلك بل كل ماخلقه الله من السموات والارض ان رجع فيه البصر وطوّل فيه النظر ما يرى فيه من تفاوت ولا فطور وكل ماقسم الله بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وقدرة وعجز وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض وحق صرف لانه لولم يخلق الناقص لم يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف بنى آدم فمقتضى الحكمة والجود خلق الكامل والناقص جميعا والقدرة صالحة واسعة لغير ذلك فلو شاء لقطع الاسباب عن المسببات والمسببات عن الاسباب ولاوجد العالم على هيئة أخرى ولو شاء لخلق الخلق كلهم سعداء اوكلهم أشقياء ولو شاء لخلق المسعد مشقيا والمشقى مسعدا الا ان الارادة خصصت هذا التخصيص والله فعال لما يريد وانما أوجدت الخلق القدرة فعلى ماخصصته الارادة جرت المقادير فى الازل واستمرت فى الابد وجفت الاقلام بما قضى على الانام فلم يتقدم احد منهم قدر أنملة ولم يتأخر الا بمقادير سابقة وكتابة لاحقة ولو تهيأت أسباب السعادة كلها للاشقياء لما سعدوا ولو تهيأت أسباب الشقاوة كلها للسعداء لما شقوا واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك انتهى وفيه تفصيل لما أجمله المصنف من قبل صلوحية القدر وسعتها الغير ماذكر وتأويل لقوله الذى أسقطه وهو ليس فى الامكان أبدع مما أبرزه وهو ان الارادة خصصته هذا التخصيص وسيأتى لذلك مزيد فى بيان وجوه التأويل ويشهد لهذا ما قاله الامام أبو العباس الاقليشى فى كتاب الانباء فى شرح الصفات والاسماء واما تأخر العالم مع تمام قدرة القادر سبحانه فمنه ماهو ضرورى وليس بجعل جاعل ومنه ماهو اختيارى والضرورى استحالة قديم غير الله تعالى فوجب بالضرورة أن يكون العالم متأخر الوجود عن الله تعالى وأما الاختيارى فوجوده فى الوقت الذى وجد وعلى الهيئة التى وجدت وكان فى الامكان أن يوجد قبله وبعده وعلى هيئة أخرى الا ان الارادة خصصته هذا التخصيص والله تعالى اختار هذا التخصيص فكان فعله واقعا بقدرته وارادته واختياره وليس لفاعل سواه استبداد فى ايراده واصداره انتهى فهذا أحد وجوه أبدعيته اذا تاملت عبارته وقال المصنف فى المقصد الاسنى فى شرح اسمه العدل قال معناه العادل وهو الذى يصدر منه فعل العدل المضاد للظلم والجور ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله فمن أراد أن يفهم هذا الوصف فينبغى أن يحيط علما بافعال الله تعالى من ملكوت السموات الى منتهى الثرى حتى اذا لم ير فى خلق الرحمن من تفاوت ثم رجع فما رأى من فطور ثم رجع كرة أخرى فانقلب اليه البصر خاسئا وهو حسير قد بهره جمال الحضرة الربوبية وحيره اعتدالها وانتظامها فحينئذ يعلق بفهمه شئ من معانى عدل الله وقد خلق أقسام الموجودات جسمانيها وروحانيها كاملها وناقصها وأعطى كل شئ خلقه وهو بذلك جواد ورتبه فى موضعه اللائق به وهو بذلك عدل فمن الاجسام العظام فى العالم الارض والماء والهواء والسموات والكواكب وقد خلقها ورتبها فوضع الارض فى أسفل وجعل الماء فوقها والهواء فوق الماء والسموات فوق الهواء ولو عكس الترتيب لبطل النظام ولعل شرح وجه استحقاق هذا الترتيب فى العدل والنظام مما يصعب على أكثر الافهام فلننزل الى درجة العوام ونقول لينظر الانسان الى بدنه فانه مركب من اعضاء مختلفة كما ان بدن العالم مركب من أجسام مختلفة فاوّل اختلافه أنه مركب من العظم واللحم والجلد وجعل العظام عمادا واللحم صوانا لها مكتنفا لها والجلد صوانا اللحم ولو عكس هذا الترتيب وأظهر ما بطن لبطل النظام وان خفى عليك وقد خلق الانسان من أعضاء مختلفة مثل اليد والرجل والعين والانف والاذن فهو بخلق هذه الاعضاء جواد وبوضعها مواضعها الخاصة عدل لانه وضع العين فى أولى المواضع بها من البدن اذ لو خلقها

على القفا أو على الرجل أو على اليد أو على قمة الرأس لم يخف ما يتطرق اليها من النقصان والتعرض للآفة وكذلك خلق اليدين وعلقهما من المنكبين ولو علقهما من الرأس أو من الركبتين لم يخف ما يتولد منه من الخلل وكذلك وضع جميع الحواس على الرأس فانها جواسيس لتكون مشرفة على جميع البدن ولو وضعها على الرجل اختل نظامها قطعا وشرح ذلك فى كل عضو يطول فينبغى ان تعلم انه لم يخلق شيأ فى موضعه الا أنه متعين له ولو تيامن عنه أو تياسر أو تسفل أو تعالى لكان ناقصا أو باطلا أو قبيحا أو خارجا عن التناسب كريها فى المناظر وكان الانف خلق على وسط الوجه ولو خلق على الجبهة أو على الخد لتطرق النقصان الى فوائده وربما يقوى فهمك على ادراك حكمته فاعلم ان الشمس أيضا لم يخلقها فى السماء الرابعة وهى فى وسط السموات السبع هزلا بل ما خلقها الا بالحق وما وضعها الا موضعها المستحق لها لحصول مقاصد هامنها الا أنك ربما تعجز عن درك الحكمة فيها لانك قليل التفكر فى ملكوت السموات والارض وعجائبهما ولو نظرت فيها لرأيت من عجائبهما ما تستحقر معه عجائب بدنك كيف لا وخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وليتك وفيت بمعرفة عجائب نفسك فتفرغت للتأمل فيها وفيما يكتنفها من الاجسام فتكون ممن قال الله تعالى فيهم سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ومن أين لك أن تكون ممن قال فيهم وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وانما تفتح أبواب السماء لمن لم يستغرقه هم الدنيا ثم قال فى بيان حظ العبد من هذا الاسم ويكون الايمان به قطع الانكار والاعتراض ظاهرا وباطنا وتمامه ان لا ينسب شيأ الى الدهر ولا ينسب شيأ من الاشياء الى الفلك ولا يعترض عليه بما أجرى به العادة فجرت مستمرة بحكمه وتقديره الى حين يطويها وينقضها بل يعلم ان ذلك كله أسباب مسخرة وانها رتبت ووجهت الى المسببات أحسن ترتيب وتوجهت بأقصى وجه العدل وقال فى اسمه تعالى اللطيف وبالجملة فهو من حيث دبر الامور حكم ومن حيث أوجدها جواد ومن حيث رتبها مصور ومن حيث وضع كل شئ موضعه عادل ومن حيث لم يترك فيها دقائق الرفق لطيف وان يعرف حقيقة هذه الاسماء من لم يعرف حقيقة هذه الافعال وقال فى اسمه تعالى المصور وأما اسم المصور فهو له من حيث رتب صور الاشياء أحسن ترتيب وصورها أحسن تصوير وهذا من أوصاف الفعل فلا يعلم حقيقته الا من يعلم صورة العالم على الجملة ثم على التفصيل فان العالم كله فى حكم شخص واحد مركب من أعضاء متعاونة على غرض مطلوب منه وانما أعضاؤه وأجزاؤه السموات والكواكب والارضون وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما وقد رتب أجزاءه ترتيبا محكما لو غير ذلك الترتيب لبطل النظام فخصص بجهة الفوق ما ينبغى ان يعلو وبجهة السفل ما ينبغى أن يسفل وكان البناء يضع الحجارة أسفل الحيطان والخشب فوقها لا بالاتفاق بل بالحكمة والقصد لارادة الاحكام ولو قلب ذلك فوضع الحجارة فوق الحيطان والخشب فى أسفلها لانهدم البناء ولم تثبت صورته أصلا وكذلك ينبغى ان تفهم السبب فى علو الكواكب وتسفل الارض والماء وسائر أنواع الترتيب فى الاجزاء العظام من أجزاء العالم ولو ذهبنا نصف أجزاء العالم أو تخصيصها نذكر الحكمة فى ترتيبها لطال والتصوير موجود فى كل جزء من أجزاء العالم وان صغر حتى فى النملة والذرة بل فى كل عضو من أعضاء النملة بل الكلام يطول فى شرح صورة العين التى هى أصغر عضو فى الحيوان ومن لم يعرف طبقات العين وعددها وهيئتها وأشكالها ومقاديرها وألوانها ووجه الحكم فيها فلن يعرف مصورها الا بالرسم المجمل

(فصل) وهذه نبذة من كلام أئمة السنة الموافقة فى المعنى والمشاهدة لصحة ما تقدم تقريره قال البيضاوى فى تقرير قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا الى قوله وهو بكل شئ عليم فيه تعليل كأنه قال ولكونه عالما بكيفية الاشياء خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان هذا فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عالما فان اتقان الافعال باحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وقال فى قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض الآية اعلم أن دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها أمور ممكنة وجد منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا أن لا تتحرك السموات أو بعضها

كالارض وان تحركت بعكس حركاتها او بحيث تصير دائرة مارة بالقطبين وأن لا يكون لها اوج وحضيض أصلا أو على هذا الوجه لبساطتها او تساوى أجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته وقال فى قوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم الى قوله والله يعلم وأنتم لا تعلمون فيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها ونقل الطيبى فى هذه الآية عن الزجاجى أنه قال معنى كراهتهم القتال أنه من جنس غلظه عليهم ومشقته لا ان المؤمن يكره فرض الله لانه تعالى لا يفعل الا ما فيه الحكمة والصلاح وقال الطيبى فى حاشية الكشاف عند قوله تعالى والله لا يحب الفساد الافساد فى الحقيقة اخراج الشئ من حالة محمودة لا لغرض وذلك غير موجود فى فعل الله تعالى وما تراه من فعله افسادا فهو بالاضافة الينا وباعتبارنا فاما بالنظر الالهى فكله اصلاح ولهذا قيل يا من افساده اصلاح أى ما نعده نحن افسادا فهو بالاضافة الينا وباعتبارنا القصور نظرنا وقال الفخر الاصبهانى فى أول سورة آل عمران القيوم هو القائم باصلاح مصالح الخلق ولا يتم ذلك الا بمجموع أمرين كونه عالما بجميع حاجاتهم على جميع الوجوه وكونه قادرا على دفعها والاول لا يتم الا بكونه عالما بكل شئ والثانى لا يتم الا بكونه قادرا على كل ممكن أشار الى الاول بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء والى الثانى بقوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء قال وفى هذا لطيفة أخرى وهى ان قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء لا يجوز اثباته بالسمع لان معرفة السمع موقوفة على العلم بكونه عالما بكل شئ بل بالدليل العقلى وهو أن يقال ان أفعاله تعالى محكمة متقنة والفعل المحكم المتقن يدل على كون فاعله عالما فذكر الدليل العقلى الدال عليه وهو انه هو الذى صورهم فى الارحام على هذه البنية العجيبة والهيئة الغريبة وركب الاعضاء المختلفة فى الشكل والطبع والصفة فبعضها عظام وبعضها أعصاب وبعضها أوردة وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الى بعض على أحسن التركيب وأكمل التاليف وذلك يدل على كمال قدرته حيث خلق ذلك من نطفة أو على كمال علمه من حيث ان الفعل المحكم المتقن على هذا الوجه لا يصدر الا عن عالم فكان قوله هو الذى يصوركم دالا على الامرين معا انتهى وقال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى والهكم اله واحد الآية وقوله الرحمن الرحيم كالحجة على الوحدانية فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة أو منعم عليه لم يستحق العبادة أحد غيره قال السعد فان قيل الكفر والمعصية وسائر القبائح ليست بنعمة ولا منعم عليها قلنا هى كلها من حيث القابلية والفاعلية وما يرجع الى الوجود والسببية نعمة ومرجع الشر والقبح الى العدم وقال السعد فى حاشية الكشاف عند قوله تعالى أولئك لهم نصيب مما كسبوا من للتبعيض بمعنى انهم لا يعطون الا البعض مما طلبوا وهو القدر الذى استوجبوه فى الدنيا نظرا الى المصالح وفى الآخرة نظرا الى الاستحقاق اذ الصانع حكيم لا يفعل ما ليس بمصلحة ولا يعطى ما ليس بمستحق وقال البيضاوى فى قوله تعالى والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضته حكمته وقال عند قوله تعالى قال ان الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملك طالوت لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك بان العمدة فيه اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وقال السعد عند قوله تعالى ان آتاه الله الملك وقد حكى قول الكشاف ان الله لا يؤتى الكافر الملك يعنى انه قبيح قال لو سلم فما من قبيح الا ويمكن ان يعتبر فيه غرض صحيح مثل الامتحان وقال التقى السبكى فى تفسيره عند قوله تعالى حكمة بالغة أى تامة بلغت النهاية فى كل ما يوصف به وقال الزجاج فى قوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا معنى الكلام أنه قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتضعون الاموال على غير حكمة ولهذا أتبعه بقوله ان الله كان عليما أى عليم بما يصلح لخلقه حكيم فيما فرض وقال ابن عطية فى الآية هذا تعرض للحكم فى ذلك وتأنيس للعرب الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة وقال أبو حيان بين تعالى ان قسمته هى القسمة التى اختارها وشرعها وان الآباء والابناء شرع فى ميراثهم ما شرع لا ندرى نحن أيهم

أقرب نفعا بل علم ذلك منوط بعلم الله وحكمته فالذى شرعه هو الحق لا ما يخطر بعقولنا فاذا كان علم ذلك عازبا
عنا فلا نخوض فيما لا نعلمه اذ هى أوضاع من الشارع لا نعلم عللها ولا ندركها بل يجب التسليم فيها لله ورسوله
وجميع المقدورات الشرعية فى كونها لا نعقل عللها مثل قسمة المواريث سواء وحكى المفسرون فى معنى قوله
تعالى ويهديكم سنن الذين من قبلكم قولين أحدهما ان هذا دليل على ان كل ما بين تحريمه لنا وتحليله من
النساء فى الآيات المتقدمة فقد كان الحكم كذلك أيضا فى جميع الشرائع والملل الثانى أنه فى بيان ما لكم فى
المصلحة لان الشرائع وان كانت مختلفة فى نفسها متفقة فى باب المصالح ولهذا ختم الآية بقوله والله عليم حكيم
أى عليم بوجوه المصالح حكيم بوضع الاشياء مواضعها بحسب الحكمة والاتقان انتهى وهذا الثانى مؤيد
لما تقدم تقريره ان الشئ قد يشرع فى وقت ويكون اذ ذاك أبدع من خلافه لحكمة تقتضيه ثم يشرع فى وقت
بعده خلافه ويكون هذا الخلاف أبدع فى هذا الوقت من المشروع لما اقتضاه من الحكمة ونقل أبو حيان
عن بعض المفسرين واستحسنه فى قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال نهوا عن الحسد
وعن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن
حكمة وعلم باحوال العباد بما يصلح للمقسوم له من بسط فى الرزق أو قبض ولهذا ختم الآية بقوله ان الله
كان بكل شئ عليما أى علمه محيط بجميع الاشياء فهو عالم بما فضل به بعضكم على بعض وما يصلح لكل منكم
من توسيع وتقتير فاياكم والاعتراض بتمن او غيره انتهى وذكر البيضاوى فى تفسير هذه الآية نحوه وقال
الفخر الرازى فى تفسير قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها هذه دلالة على فضل العلم فانه سبحانه ما أظهر كمال
حكمته فى خلقه آدم الا بان أظهر علمه فلو كان فى الامكان وجود شئ أشرف من العلم كان من الواجب اظهار
فضله بذلك الشئ لا بالعلم انتهى فهذا تصريح من الامام بانه ليس فى الامكان أشرف من العلم وقال الفخر انما
سأل الملائكة ما سألوا فى حق آدم عليه السلام طلبا للحكمة فأجابهم بقوله انى أعلم ما لا تعلمون أى ان
مصلحتكم ان تعرفوا وجه الحكمة على الاجمال دون التفصيل بل ربما كان التفصيل مفسدة لكم وقال فى
الآية بعدها اعلم أن الملائكة لما سألوا عن وجه الحكمة فى خلق آدم وذريته واسكانه اياهم الارض
وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة فى ذلك على سبيل الاجمال بقوله انى أعلم ما لا تعلمون أراد تعالى ان يزيدهم
بيانا وان يفصل لهم المجمل فبين لهم من فضل آدم ما لم يكن اذ ذاك معلوما وذلك بان علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم
عليهم ليظهر لهم كمال فضله وقصورهم عنه فى العلم فيتأكد ذلك الجواب الاجمالى بهذا الجواب التفصيلى
انتهى وقال المفسرون فى قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن
ليبلوكم فيما آتاكم هذا نص من الله تعالى بانه شرع الشرائع مختلفة على حسب ما اقتضته الحكمة وقال
البيضاوى فى قوله تعالى بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء أى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق
أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته وقال الراغب فيما نقله الطيبى فى حاشية الكشاف وكلاهما من
أئمة السنة الحكم والحكمة من أصل واحد الا انه اذا كان فى القول قيل له حكم وقد حكم واذا كان فى الفعل قيل له
حكمة وحكم له حكمة فاذا قلت حكمت بكذا فمعناه قضيت فيه بما هو حكمة وان كان كما يقال حكم فلان بالباطل
بمعنى أجرى الباطل مجرى الحكم فحكم الله تعالى مقتض للحكمة لا محالة فنبه بقوله ان الله يحكم ما يريد على ما يريد
يجعله حكمة حثا للعباد على الرضا به فالله يحكم ما يريد وحكمه ماض ومن رضى بحكمه استراح فى نفسه وهدى
لرشده ومن سخط تعدى حكمه واكتسب بسخطه سخط الله واهانته كما ورد من لم يرض بقضائى ولم يصبر على
بلائى فليطلب ربا سواى وقال النووى فى شرح المهذب فى باب آداب العالم وطريقه فى نفى الحسد ان يعلم ان
حكمة الله اقتضت جعل هذا الفضل فى هذا الانسان فلا يعترض ولا يكره ما اقتضته الحكمة ولم يذمه الله
احترازا من المعاصى هذه عبارته وهو صريح فى ان المعاصى وقعت على مقتضى الحكمة وانما تكره لان الله
ذمها وقال أبو حيان فى قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ختم

الآية

الآية بهذين الوصفين للاشارة الى انه انما يغني بحسب المصلحة والحكمة وقال أبو طالب المكي في مقام الرضا من قوت القلوب الذي هو أساس كتاب الاحياء ومن الرضا أن لا يذم شيأ مباحا ولا يعيبه اذ كان ذلك بقضاء مولاه مشاهدا للصانع في جميع الصنعة ناظرا الى اتقان الصنع والحكمة وان لم يخرج ذلك عن معيار العقل والعادة وبعض العارفين يجعل هذه الاشياء في باب الحياء من الله ومنهم من يقول هي من حسن الخلق مع الله ومنهم من جعله من باب الادب بين يدي الله تعالى وأعظم من ذلك انها داخلة في باب قلة الحياء ويصلح أن يكون هذا أحد معاني الخبر الذي جاء قلة الحياء كفر يعني كفر النعمة بان يذم ويعيب بعض ما أنعم الله عليه من الارفاق والالطاف اذا كان فيها تقصير عن تمام مثلها أو كانت مخالفة لهواه فيكون ذلك كفرا بالنعمة وقلة حياء العبد من المنعم اذ قد أمره بالشكر على ذلك فبدله كفرا لان أحدا لو اصطنع طعاما فعيبته وذممته كره ذلك منك فكذلك الله تعالى يكره ذلك منك وهذا داخل في معرفة معاني الصفات وبعض الراضين يجعل ذم الاشياء وعيبها بمنزلة الغيبة لصانعها لانها صنعته ونتاج حكمته ونفاذ علمه وحكم تدبيره ولانه أحكم الحاكمين وخير الرازقين وأحسن الخالقين له في كل شئ حكمة بالغة وفي كل صنعة صنع متقن لانك اذا عبت صنعة أحد وذممتها سرى ذلك الى الصانع لانه كذلك صنعها وعن حكمة أظهرها اذ كانت الصنعة مجهولة لم تصنع نفسها ولا صنع لها في خلقها وقد كان الورعون لا يعيبون صنعة عبد كراهة الغيبة له وذلك ان الراضي عن الله تعالى متأدب بين يديه يستحي أن يعارضه في داره أو يعترض عليه في حكمه فصاحب الدار يصنع في داره بحكمه ما يشاء ويأمر في خلقه كيف يشاء والحاكم يحكم بأمره والعبد راض بصنع سيده مسلم لحكم حاكمه وقال أيضا في آخر مقام التوكل لو تمنى أهل النهى من أولي الالباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب نهاية الاماني فكوشفت أمانيهم على ما تمنوا لكان رضاهم عن الله عز وجل في تدبيره ومعرفتهم بحسن تقديره خيرا لهم من كون أمانيهم على ما تمنوا وأفضل من قبل ان الله أحكم الحاكمين وقد قال تعالى موبخا للانسان بجهله للتمني لقلة الايقان أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى أن يحكم فيهما بترك الاماني لانه قال ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن هذا السوء علمهم بالتدبير وقوة جهلهم بعواقب المصير واختلاف أهوائهم في معاني التقدير فالمتوكل محب لله تعالى فهو به مسرور فرح له بملكه مستسلم له في جميع أموره فان له الآخرة والاولى يحكم فيهما بما يشاء كيف شاء انه على كل شئ قدير فعال لما يريد والعبد جاهل عاجز لا يقدر على شئ وهذا أول مقام من المحبة وأوسط حال في التوكل فقد كفي الخلائق هذا كله حسن تدبير الخلاق العليم الخبير البصير وانما يحتاجون الى معرفة بالحكمة ومشاهدة للحكم والقدرة الى بصيرة ويقين بالرحمة والنعمة يقع بهما في القلوب تسكين ولا يختلف هذا الذي ذكرناه عند الموقنين اليوم بعد كشف حجاب العقل وسقوط سلطان النفس وسطلع العموم على سر هذا من لطيف التدبير وباطن التقدير وهو سر القدر ولطيفة القدر عند كشف الغطاء ومعاينة ما وراءه من عجائب الحب في السموات والارض وقد اطلع الله على ذلك العلماء به في الدنيا قبل الآخرة وهو محمود مشكور له الحمد في الاولى على ما اظهر وله الشكر في الاخرى على ما أخفى وستر ففي كل واحد منهما نعمة سابغة ورحمة واسعة وحكمة بالغة ولكن قد خلق العلماء باخلاقه فليس يكشفون من سره الا بقدر ما كشف ولا يعرفون من وصفه الا من حيث عرف انتهى وقال الشيخ ابن عطاء الله قدس سره في لطائف المنن وناهيك به جلالة قدر أن التقي السبكي كان يفتخر بحضوره في حلقة وعظه ذكر فيه ما نصه اعلم ان الله تعالى لم يأمر العباد بشئ وجوبا أو ندبا الا والمصلحة لهم في فعل ذلك الامر ولم يقتض منهم ترك شئ تحريما أو كراهة الا والمصلحة لهم في تركه ولسنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى انه يجب على الله رعاية مصالح عباده بل على سبيل التفضل فليت شعري اذ قالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب عليه انتهى وهذا عين ما فهم من كلام المصنف وقررناه به

(فصل) في نبذة أحاديث وآثار مناسبة لما تقدم روى أبو نعيم في الحلية وابن أبي الدنيا في كتاب

الاولياء من حديث أنس يقول الله تعالى من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وأنا أغضب لاوليائى كما يغضب الليث الحرد الحديث وفيه وان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فاكفه عنه أن لا يدخل عجب فيفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك انى أدبر أمر عبادى بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير وأخرج الطبرانى من حديث ابن عباس يقول الله تعالى ربما سألنى ولى المؤمن الغنى فاصرفه من الغنى الى الفقر ولو صرفته الى الغنى لكان شراله وربما سألنى ولى المؤمن الفقر فاصرفه الى الغنى ولو صرفته الى الفقر لكان شراله وروى الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة قال موسى يارب أعطيت الدنيا أعداءك ومنعتها أولياءك فما الحكمة فى ذلك فاوحى الله اليه أعطيتها أعدائى ليتمرغوا ومنعتها أوليائى ليتضرعوا وروى أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث كليب الجهنى قال الله لولا ان الذنب خير لعبدى المؤمن من العجب ماخليت بين عبدى المؤمن وبين الذنب وروى الديلمى من حديث أبى هريرة لولا ان المؤمن يعجب بعمله لعصم من الذنب حتى لايهم به ولكن الذنب خيرله من العجب وروى البخارى فى تاريخه من حديث أنس عجبا للمؤمن ان الله لم يقض له قضاء الا خيراله وروى ابن جرير فى التفسير عن ابن عباس قال كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عباس ارض عن الله بما قدر وان كان خلاف هواك فانه ثبت فى كتاب الله قلت يارسول الله فاين قال وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فهذه الاحاديث كلها شاهدة لسياق المصنف * وأما الآثار فعن سعيد بن جبير قال قالت بنو اسرائيل ياموسى يخلق ربك خلقا ثم يعذبهم فاوحى الله اليه ان ازرع فزرع ثم قال احصد فحصد ثم قال ذره فذراه فاجتمع القشر فقال لاى شئ يصلح هذا قال للنار قال فكذلك لا أعذب من خلقى الا من استأهل النار رواه الطبرانى فى الاوسط بسند صحيح وسئل ابن عباس عن القدر فقال وجدت أصوب الناس فيه حديثا أعلمهم به ووجدت الناظر فيه كالناظر فى شعاع الشمس كلما ازداد فيه نظرا ازداد تحيرا رواه الطبرانى وقال وهب بن منبه يقول الله تعالى ان من عبادى المؤمنين من يسألنى الشئ من العبادة فاحبسها عنه مخافة ان يدخل عليه الاعجاب فيفسد عليه عمله وان من عبادى المؤمنين من لا يصلح له الا الغنى ولو صرفته الى الفقر لكان شراله وان من عبادى المؤمنين من لا يصلح له الا الفقر ولو صرفته الى الغنى لهلك رواه أحمد فى الزهد وعن أبى حازم قال ان الرجل ليذنب الذنب وماعمل قط حسنة أنفع له منه وبعمل الحسنة وماعمل سيئة قط أضر عليه منها رواه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد وقال وهب بن منبه قرأت فى بعض الكتب فوجدت الله يقول يا ابن آدم ان أحب ماتكون الى وأقرب ماتكون منى اذا كنت راضيا بما قسمت لك وأبغض ماتكون الى وأبعد ماتكون منى اذا كنت ساخطا لاهيا عما قسمت لك يا ابن آدم أطعنى بما أمرتك ولا تعلمنى مايصلحك انى عالم بخلقى رواه أبو نعيم فى الحلية وغير ذلك من الآثار التى فى ذكرها تطويل وفيما ذكرناه كفاية للمستفيد واغاظة للمستريب

(فصل) وهذه المسألة التى نحن فى سياقها بايراد الشواهد عليها شهيرة بين العلماء وهى فى بادئ النظر سهلة ولكن عند التأمل عقدة تعب فى حلها كثير من الشيوخ واختلفت آراؤهم وكثر نزاعهم وتشعبوا فرقا وسلكوا فيها طرقا فمنهم من رد على المصنف ذلك ونسبه الى رأى الفلاسفة والاعتزال ومنهم من انتصر له وحاول عنه النضال ومنهم من زعم انها مدسوسة عليه وقوى ذلك الاحتمال وقد سبق منى وعد فى مقدمة كتاب العلم حين ذكرت ترجمة المصنف واستطردت فيها الى ذكر مصنفاته ومقالاته والرد على الطاعنين فى مؤلفاته وكلماته ان اذا وفقنى الله تعالى ووصلت الى كتاب التوكل الذى هذه المسئلة مرسومة فيه أتكلم عليها بما يسر الله لفهمى من مجموع كلام الائمة تسليما وردا ونقدا وها قد من الله تعالى على وله الحمد المستقصى حتى يرضى ان وصلت الى هذا المقام بعد ان فات من ميقات الوعد الى اليوم نحو عشرة أعوام وقد أعطيت بمنة الله تعالى

لعبارة المصنف استحقاقها شرحا وكشفا بما له من الادلة والشواهد وفي أثنائها فوائد وزوائد وقد عن لي الآن ان أجمع كلام أولئك الفرق وأتكلم معهم بالانصاف تاركا سبيل الاعتساف فما كان صوابا فمن الله تعالى وما كان خطأ فمن سوء فهمي وبلادة قريحتي والمطالع يسامحني ويغض عن اساءتي فاني مقر بقلة بضاعتي وقلوص ظل حصاني ولنقدم قبل نقل كلامهم وصية تعرف ما على من نظر في كلام الناس في تصانيفهم كيف يكون نظره فيها واقتباسه منها فذلك أوكد عليه أن يتعلمه ان لم يعلمه وأولى ما يلزم العمل به اذا علمه فما أتى على أكثرهم الا انهم أتوا البيوت من ظهورها فشردوا عنها وغلقت في وجوههم وأسدل دونهم الحجاب ولو أتوها من أبوابها للقوا بالرحب وبجوا على الرضا والحب وكشف لهم كثير من حجب الغيب قال المصنف رحمه الله تعالى في اول الاملاء أيها الطالب للعلوم والناظر في التصانيف والمتشرف على كلام الناس ليكن نظرك فيما تنظر فيه بالله ولله وفي الله لانه ان لم يكن نظرك به وكلك الى نفسك أوالى من جعلت نظرك به اذا كان غيره من فهم أوعلم أوخط أوامام متبع أوصحة ميزان أوماشا كل ذلك وكذلك ان لم يكن نظرك له فقد صار عملك لغيره ونكصت على عقبيك وخسرت في الدارين صفقتك وعاد كل ماهو لك عليك فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وان لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولا حظت بالحقيقة سواه واذا نظرت في كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تنظره بازدراء كمن يستغني عنه في الظاهر وله اليه كبير حاجة في الباطن ولا يقف به حيث وقف به كلامه فالمعاني أوسع من العبارات والصدور أفسح من الكتب المؤلفات واطمع بنظر قلبك في كلامه الى غاية ما يحتمل فذلك بعرفك وجهد قدره ويفتح لك باب قصده ولا تقطع له بصحة ولا تحكم عليه بفساد وليكن تحسين الظن أغلب عليك فيه حتى يزول الاشكال عنك مما تتيقن من معانيه فاذا رأيت حسنة وسيئة فانشر الحسنة واطلب المعاذير للسيئة ولا تكن كالذبابة تنزل على أقذر ما تجده ولا تعجل على أحد بالتخطئة ولا تبادر بالتجهيل فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشعر فلكل عالم عور وله في بعض ما يأتي به احتجاب وناهيك بما جرى بين ولي الله تعالى الخضر وموسى عليهما السلام واذا عرض لك من كلام عالم اشكال يؤذن في الظاهر بمحال واختلال فخذ ما ظهر لك علمه ودع ما اعتاص عليك فهمه وكل العلم فيه الى الله عز وجل فهذه وصيتي لك فاحفظها وتذكيري اياك فلا تذهل عنه وأزيدك زيادة تقتضي التعريف باصناف العلماء لكي تعرف أهل الحقيقة من غيرهم فلك في ذلك أكبر منفعة ولي في وصفهم ابلغ غرض قال بعض علمائنا العلماء ثلاثة محجة ومحاج ومحجوج فالحجة والحاج عالمان بالله وبامره وبآياته علامتهما الخشية لله والورع والزهد والايثار لكن الحجة محفوظ من المراء والجدال فهو خبير عليم على صراط الله المستقيم والحاج مدفوع الى اقامة الحجة واطفاء نار البدعة فقد أخرس المتكلمين وأفحم المتخرصين برهانه ساطع وبيانه قاطع وبواضح برهانه ودلائله وضح الحق المبين فهو رباني عليم على صراط الله المستقيم والمحجوج عالم بالله وبامره وبآياته ولكنه فقد الخشية لله برؤيته لنفسه وحجبه عن الورع والزهد بعده من بركات علمه ومحبته العلو والشرف وخوف السقوط فهو عبد العبيد الدنيا خادم لخدمها مفتون بعد علمه مغتر بعد معرفته مخذول بعد تقربه شانه الاحتقار لنعم الله تعالى والازراء بأوليائه ونخره بلقاء أميره وصلة سلطانه قد أهلك نفسه حين لا ينتفع بعلمه وأهلك من اتبعه واقتدى به فويل لمن صحبه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو آكل بدينه غير منصف لله في نفسه ولا ناصح له في عباده فنعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى فالصنفان الاولان من العلماء قد ذهبوا وان كان قد بقي منهم فهو غير محسوس للناس ولا مدرك بالمخاطبة وذلك لما ظهر في القضاء من ظهور الفساد وعدم أهل الصلاح والرشاد وأعز شئ في الغالب على وجه الارض ما يقع عليه في الحقيقة اسم علم عند شخص مشهور به وانما الموجود اليوم أهل سخافة ودعوى وحماقة واجتراء وعجب بغير فضيلة ورياء يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وهم أكثر من هم الارض وصيروا أنفسهم أوتاد البلاد وارسان العوام وهم خلفاء ابليس وأعداء الحقائق واخدان العوائد السوء وعنهم يرد عيب الحكم الشرعية وانتقاص أهل الارادة والدين فاحذرهم قاتلهم

الله أنى يؤفكون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون هذا كله كلام المصنف فى خطبة الاملاء وقد اختصرته فى بعض المواضع ولنأخذ فى ذكر ما وعدنا به واستوهب الله نفوذ البصيرة وحسن السريرة وغفران الجريرة فهو ربى ورب كل شئ واليه المصير * فاعلم ان الطائفة الاولى وهم الذين ردوا على المصنف هذه الجملة ولم يقبلوها وقابلوها على كلام أهل السنة فوجدوها غير دائرة عليه واستشكلوا فيها أمرين الاول قوله ليس فى الامكان أبدع مما أوجده الله والثانى قوله فى اقامة الدليل عليه لانه لو كان وادّخره مع القدرة لكان بخلا يناقض الجود الالهى وظلما يناقض العدل أو لامع القدرة كان عجزا يناقض القدرة الالهية فتقرر بهذا الدليل انه محال غير ممكن حتى يدخل تحت القدرة ومحل التوقف فى هذا الدليل قوله وظلما يناقض العدل فان الناس قد توقفوا فيه وقالوا انما يناسب أصول المعتزلة القائلين بوجوب الاصلح على الله والافعلى أصول أهل السنة انه لا يجب عليه فعل الاصلح ولا يكون مناقضا للعدل لان فعل الاصلح عندهم من باب الفضل هذا الذى فهم من مجموع كلام المعترضين مع سعته وتشعب ارجائه ولكن الحاصل ما ذكرته فمن هذه الطائفة الامام أبو بكر بن العربى شارح الترمذى وتلميذ المصنف فانه وفد عليه بالعراق وأخذ عنه علما جما كما ذكره فى العواصم والقواصم قال أبو عبد الله القرطبى فى شرح أسماء الله الحسنى قال أبو بكر بن العربى قال شيخنا أبو حامد الغزالى قولا عظيما انتقده عليه أهل العراق وهو وشهادة الله موضع انتقاد قال ليس فى القدرة أبدع من هذا العالم فى الاتقان والحكمة ولو كان فى القدرة أبدع منه وادّخره لكان ذلك منافيا للجود وأخذ ابن العربى فى الرد عليه الى أن قال ونحن وان كنا قطرة فى بحره فانا لا نرد عليه الا بقوله ثم قال فسبحان من أكمل بشيخنا هذا فواضل الحقائق ثم صرف به عن هذه الواضحة فى الطرائق ومن تلاه فى الرد الامام أبو عبد الله المازرى والامام أبو الوليد الطرطوشى وهما لم يخصا بالرد عليه فى هذه المسئلة بل أطلقا القول فى هذه المسئلة وغيرها فى مواضع من كتاب الاحياء تبع فيها الفلاسفة فالمازرى لما سئل عن كتاب الاحياء ومصنفه قال فى الجواب هذا الرجل وان لم أكن قرأت كتابه فقد رأيت تلامذته وأصحابه فكل منهم يحكى لى نوعا من حاله وطريقته فاتلوح بها مذهبه وسيرته ما قام لى مقام العيان فانا أقتصر على ذكر حال الرجل وحال كتابه ثم ذكر انه اكسبته قراءته الفلسفة جراءة على المعانى وتسهيلا للهجوم على الحقائق وعرفنى بعض أصحابه انه كان له عكوف على رسائل اخوان الصفا ثم ذكر ابن سينا وانه يعول عليه فى أكثر ما يشير اليه من الفلسفة وقد أجاب عنهما التاج السبكى بما ر أكثره فى مقدمة كتاب العلم حاصله ان ابن سينا عنده من الهالكين فكيف يعتمد عليه وليس فى كتاب الاحياء للفلاسفة مدخل ولم يصنفه الا بعد ما ازدرى علومهم ونهى عن النظر فى كتبهم وقد أشار هو الى ذلك فى مواضع من الاحياء وأما هذه الجملة التى وقع فيها النزاع والخصام ومكابرة الالداء الطغام فلا شك انها فلسفية أوجبت للمازرى ولامثاله اعتقاد هذه الامور الردية والخلاص منها الحكم بانها مدسوسة عليه معزوة كذبا وبهتانا اليه قبح الله واضعها وعازيها اليه وصانعها اهـ * ومن المعترضين عليه أبو العباس ناصر الدين ابن المنير الاسكندرى المالكى صنف فى ذلك رسالة سماها الضياء المتلالى فى تعقب الاحياء للغزالى وقال المسئلة المذكورة لا تمشى الا على قواعد الفلاسفة والمعتزلة ومع رده على المصنف قد أساء القول فيه جدا اذ تنقص من مقامه وغض من رتبته وهذا لا يوافقه فيه أحد فان المصنف امام الدنيا والدين وقطب العلم والحال والمقام وامام المسلمين وانى لم أقف على كتابه المذكور وانما اطلعت على نقول منه بالوساطة * وممن نقل عنه الانكار اما عموما واما خصوصا التقى ابن الصلاح ويوسف الدمشقى وابن الجوزى والتقى السبكى وابن قيم الجوزية والحافظ الذهبى وقد ذكر فى تاريخ الاسلام الانكار عليه عن جماعة من الائمة وممن جاء بعد هذه الطبقة الامام بدر الدين الزركشى فقد قال فى تذكرته حين ساق هذه العبارة هذه من الكلمات العقم التى لا ينبغى اطلاق مثلها فى حق الصانع هكذا نقله غير واحد وله فى توجيه الكلام أجوبة سيأتى ذكرها بعد وممن جاء بعد هذه الطبقة بكثير فتعصب عليه وطعن البرهان ابراهيم بن عمر بن حسن البقاعى الشافعى أحد تلامذة

الحافظ ابن حجر فقد صنف ثلاث رسائل في الرد عليه احداها المقصد العالي في ترجمة الامام الغزالي مدحه في أوّله وأطال فيه ثم تعرض للرد عليه في هذه المسئلة والثانية تهديم الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان والثالثة دلالة البرهان على ان في الامكان أبدع مما كان وكل من الثلاثة عندى قال في الثانية وبعد فهذا كتاب سميته تهديم الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان اردفيه كلام بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة بهذه العبارة التي عنوانها ان الله جلت قدرته لا يمكنه أن يوجد شيأ أبدع من هذا الذي كان من هذا الكون الذي نشاهد ما نشاهد منه ونعلم ما غاب عنا باعلام الرسل عليهم السلام لان ذلك على زعمهم من قبيل المحال فلا تتعلق به القدرة لانصراف الارادة عنه لان من شأنها أن لا تتعلق بالمحال وهذا يشبه أن يكون قول من يقول ان الاله يفعل بالذات لا بالاختيار وهو قول باطل يلزم عليه قدم العالم بالزمان أو انه قول من يقول بقدم العالم بالذات حتى لا يكون شئ سوى هذا الوجود المشهود انما هو على زعمه ارحام تدفع وأرض تبلع وهو قول أهل الطبيعة القائلين بان حوادث هذا العالم علتها امتزاج هذه العناصر بعضها من بعض وهو أبطل من الاوّل أو قول من يقول بانه تعالى يجب عليه رعاية الاصلح وقد تظافر أهل السنة على رده واغتر بقولهم هذا بعض الناس وأكدغرورهم بهذه المقالة ان أخذها الامام حجة الاسلام وأودعها بعض كتبه وهو الامام الذى لا مطعن في دينه ولا علمه ولم يقصد بها ان صحت عنه الاخير اغير انه ليس بمعصوم وهي زلة منه وقد رد عليه صناديد العلماء في أشياء كثيرة من أحاديث موضوعة وأقوال مرذولة أما نقله لهذه العبارة فقال في كتابه المسمى بالجواهر والاربعين في أصول الدين وفي الاحياء ثم ساق عبارة الاخيرين ولم يسق عبارة الجواهر كأنه لم يطلع عليه وقد سقناه نحن آنفا وهذه العبارة في موضعين منه ثم قال وهو من المواضع التي اعترض عليه فيها في حياته فاجاب كما عزى اليه ان صح ذلك عنه في كتاب اسمه الاملاء على الاحياء فقال ما نصه فساقه الخ كما سنذكره بعد ثم قال انتهى جميع ما وقفت عليه من كلامه على هذا المعنى حسبما عزى اليه والله أعلم بحقيقة الحال هل هو كلامه أو مدسوس عليه كما ظننته قبل اطلاعي على هذه النقول كما دس عليه بعض المجرمين كتبا كاملة كاتبة على ذلك ليتوصل ذلك المفسد بذلك الى تمشية فساده اما بالطعن في هذا الاستاذ واما بتمشية ما في تلك الكتب من فاسد الاعتقاد هذا وما تضمنته هذه النقول هو كما ترى ظاهر جدا في نسبة الله الى العجز عن ان يبدع عالما أكمل من هذا العالم وفي انه بعد ابداع ما هو أكمل من هذا الاحق يصير مما ليس من شان القدرة أن تتعلق به وليس ذلك كذلك قطعا ولا يثبت كون الشئ محالا بمجرد الدعوى بل نقول انه ممكن فهو مقدور عليه وادخاره لا يلزم منه بخل ولا عجز كما لا يلزم ذلك من خلق شخص من الاشخاص الآدميين على غاية البشاعة في صورته ومعناه خلقا وخلقا مع علمنا بالقدرة على جعله من أكمل الخلق حتى يكون على صورة من هو أكمل منه سواء بسواء لا شبهة في ذلك ولا شبهة في أنه كان قادرا على أن يدع الخلق على ما كانوا عليه أمة واحدة مؤمنين على قلب رجل واحد لا تحاسد بينهم ولا تباغض بوجه ولو شاء الله ما اختلفوا ولو شاء الله ما اقتتلوا ولا شك ان ذلك أبدع مما نحن فيه من هذا التخالف والتدابر والتباغض والتنافر ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولو شاء لاعطى كل نفس هداها ولو شاء لحفظ الارض من الفساد بعد اصلاحها ثم ذكر نقولا من كتاب الاحياء مما يوافق مقصوده فمن ذلك عبارته في الصبر والشكر الذى يقول فيها ان كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكثر منها اذ مقدورات الله لا تتناهى الخ قال فهذا نص في ان الله تعالى لو أراد أن يخلق عالما أعظم من هذا وأبدع كان عليه هينا ولا يلزم من ذلك محال ومن ادعى لزوم محال أو عجز أو بخل فليبينه حال كونه مستحضرا لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل الذى من مفهومه انه لو فعل ما ينافي ما نسميه حكمة كان له ذلك ولم يلزم منه محال مع أنا لا ندعى انه يفعل ما ينافي الحكمة فكيف اذا فعل ما هو أحكم مما فعله أولا وكان قد ادخره لما لا نعلمه من الحكم ومنها عبارته في كتاب المحبة نقلا عن سهل لله عباد في هذه البلدة لو سألوا الله أن لا يقيم الساعة لم يقمها قال المصنف وهذه أمور ممكنة في أنفسها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وعجائب الملك والملكوت

كثيرة ومقدورات الله لانهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لاغاية له اهـ قال وهذا نص آخر منه على انه خلق عالم أبدع من هذا العالم ممكن فانه من جملة المقدورات التي قال وهو الحق انه لانهاية لها والفضل الذي نص على انه لاغاية له وجوز عدم قيام الساعة لانه ممكن مع انه محط الحكمة ولولاهو لكان خلق هذا العالم صورته صورة العبث وقد قرر هوان ترتيب الدنيا على الآخرة من جملة ماهو في نهاية الابداع وقد قدم في تلك الكلمات المعترضة ان المسببات رتبت على الاسباب على أكمل الوجوه وأحسنها وليس في الامكان أحسن منها وأكمل ومن جملة المسببات التي دخلت تحت هذا النص يوم القيامة الذي رتبت على تظالم الناس في الدنيا ليظهر فيه العدل وتزاحمهم ليظهر الفضل وقد جوزان لايكون فان كان تركه أحسن من فعله وأبدع انتقض قوله على أكمل الوجوه وأحسنها وان كان تركه أقل حسنا من وجوده وهو كذلك بل لاشئ من الحسن في تركه انتقض قوله في الاملاء فليس في الامكان أن يفعل الانهاية ماتقتضيه الحكمة فكان له أن يفعل ماهو حكمة وليس هو النهاية مما تقتضيه الحكمة وهذا هو الحق وهو لايسئل عما يفعل وهو المختار في أفعاله ولاحد لحكمته كما انه لاحد له هو تعالى جده وتقدس مجده ثم ذكرانه لاريب في ان الله تعالى قادر أن يجعل الجبال كلها ذهبا وعلى ينتقل ان جبل قاسيون الذي يحجب عن دمشق الريح الطيب من مكانه ويبدل به أشجارا وأنهارا وذكر أشياء من هذا النمط مما لوعرض على أدنى الطلبة لم يشك في صلاحية القدرة له فضلا عن عالم فضلا عن مثل حجة الاسلام ثم قال غاية القول في هذا ان قائله ظن ان وجود الابدع محال غير داخل تحت القدرة وهو غالط في ذلك هذا حاصل ماذكره في تهديم الاركان وقد رد عليه الحافظ السيوطي فاحسن وأجاد حاصله ماقدمناه ان النفي في كلامه ليس منصبا على امكان وجود شئ غير الموجود انما هو منصب على كونه أبدع من الموجود فنفى حجة الاسلام كون شئ مما يمكن وجوده أبدع مما وجد مع قطعه بصلاحية القدرة لايجاده فقوله ان في القدرة جعل الكافرين كلهم مؤمنين على الفطرة مسلم لاشك في صلاحية القدرة لذلك كيف وقد قال تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا لكن المنفي كون ذلك لو وقع أبدع والمدعى ان ماصنعه الله من جعل الناس قسمين مؤمنين وكفارا أبدع من حيث الحكمة وكذا انقسامهم الى طائعين وعصاة أبدع من جعلهم طائعين وهذا هو سر القدر الذي ورد النهي عن كشف سره وقد لحظ فيه من حيث الحكمة انه لولا الكفر لم يعرف مقدار الايمان ولولا المعصية لم يعرف مقدار الطاعة ولولا النار لم يعرف مقدار الجنة فهذا بعض أسرار كونه أبدع وكذا نقول انه سبحانه قادر على جعل الناس كلهم أصحاء وأغنياء وذوي حسن وجمال لكن جعلهم متفاوتين أبدع وقول المعترض في قدرة الله أن يجعل الجبال ذهبا مسلم ذلك وأكثر منه وقد عرض على نبيه صلى الله عليه وسلم ذلك لكن الابدع ماصنعه ولو كانت الجبال كلها ذهبا لتعطل الوجود وترك الناس الزراعة وسائر وجوه المعيشة فيؤدي الى هلاكهم وهذا هو السر في انقسام الناس الى زاهد وحريص ووضع الامل والرغبة في الدنيا ولو كان الناس كلهم زهادا ولا آمال لهم لتركوا المعايش والمتاجر والاسفار وجلب الامتعة من البلاد القاصية فلم ينتظم للناس أمر المعيشة فكان صنع الله أبدع وأيضا فلو كانت الجبال كلها ذهبا لاقتتلوا عن آخرهم كما يقع لهم حين يحسر الفرات عن كنز من ذهب كما في الحديث ولما كان ذلك الامر في ذلك الوقت أبدع لاقتراب الساعة أوجده الله حينئذ وقول المعترض ان في قدرة الله ازالة جبل قاسيون الخ هذا مسلم كيف وذلك كائن لامحالة قرب الساعة كما قال تعالى ويوم نسير الجبال لكن ابقاءه الآن أبدع من ازالته وان كان حاجبا للريح الطيب عن دمشق فلعل البارى سبحانه علم بحكمته ان الاصلح لهذه البلدة حجب الريح الطيب عنها ولا يستنكر ذلك فرب أمزجة لايصلح لها شم الريح الطيب وقد قال الاطباء ان الامكنة الرديئة تصح في الازمنة الوبيئة فتصح عند فساد الهواء وتفسد عند طيب الهواء فقد تكون دمشق في علم الله كذلك فعلم ان الاصلح لها حجب الريح الطيب عنها وقد تكون الحكمة في ذلك راجعة الى الارساء لان الجبال انما خلقت لارساء الارض حين مادت فوضع كل جبل في مستقره لحكمة فلعله لوأزيل عن مكانه أخل بحكمة الارساء فان الابدع وضعه هنا وان

أذى الى ضرر آخر من حبس الريح لان مراعاة الاشد ضررا مقدمة على الاخف والحسن يترك لما هو أحسن منه والضرر يرتكب لدفع ماهو أشد ضررا منه وقول المعترض ان الله تعالى لا يجب عليه الاصلح هذا مسلم ومن ادعى انه واجب وانما نقول انه تعالى فعل الابدع فى مصنوعاته فضلا منه ومنا لا وجوبا تعالى عن ذلك كما نقطع بانه يدخل أهل طاعته الجنة فضلا منه لا وجوبا عليه ولو شاء لادخلهم النار لكنه لا يفعل كرما منه فالحاصل انا نقول ان كل موجود على وجه يمكن ايجاده على عدة أوجه أخرى وان القدرة صالحة لذلك غير ان الوجه الذى أوجده الله عليه أبدعها لعلم الله تعالى بوجه الحكمة فيه وايجاده عليه ولا ننفى أن يوجد بعده ضده ونقول انه اذا وجد ضده فى الزمن الثانى كان ذلك الضد فى ذلك الزمان الثانى أبدع من الضد الاول فكل موجود أبدع فى وقته من خلافه والمعترض فهم من الكلام انه اذا حكم على موجود بانه أبدع استمر ذلك الحكم فيه الى يوم القيامة واقتضى ايجاد ضد أحسن منه بعد ذلك فالزم عليه الاشكال وهذا غلط محض بل المقصود ان كل ما أوجده الله فى وقت فهو فيه أبدع من غيره وله أن يوجد غيره فى وقت بعده ويكون ذلك الغير فى ذلك الوقت أبدع من الامر الاول وهلم جرا فقد يوجد فى اليوم الواحد اضداد كثيرة على سبيل التعاقب فى كل ساعة منه ضد وكل واحد أوجد فى ساعة أبدع فيها من غيره والذى أوجد فى الساعة الثانية أبدع فيها من الذى أوجد فى الاولى وهكذا وكل ذلك مناطه اعتبار الحكمة الله فى أفعال الله وعلى هذا لا اشكال البتة ولا يحتاج كلام حجة الاسلام الى تأويل ولا صرف عن ظاهره ونحن نرى أناسا أقامهم الله فى أسباب وهم يظنون ان غيرها أحسن حالا منها فلا يزالون حتى ينتقلوا منها الى غيرها فلا ينتظم لهم فيها أمر البتة ويعودون الى شر ما كانوا عليه ويؤل أمرهم الى العود الى السبب الاول وبهذا يعرف كل ذى بصيرة ان الابدع والاصلح فى حق كل أحد ما أقامه الله فيه فان قلت قد انتهى الكلام على الحكمة فى أجزاء العالم دون حكمة كله كاشتماله على الضدية مثلا من حيوان وجماد ومتحرك وساكن بحيث يمتنع ايجاده وايجاد غيره على غيرها قلت قد تولى الله تعالى تبيين حكمة ذلك فى كتابه العزيز حيث قال ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون قال المفسرون هذه اشارة الى المتضادات المتقابلات من الاشياء كالليل والنهار والسماء والارض والسواد والبياض والصحة والمرض والكفر والايمان والهدى والضلالة والشقوة والسعادة ونحو هذا وفى ذلك دلالتان الاولى على انه تعالى فرد لا ضد له ولا شبيه ولا عدل ولا مثل والثانية على القدرة حيث أوجدت الضدين بخلاف ما يفعل بطابعه واحدا كالتسخين والتبريد هذه عبارة السبكى فى تفسير هذه الآية نقلا عن مجاهد والطبرانى هذا كله سياق الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى وسيأتى ايراد اعتراضاته على كلام المصنف فى الاحياء وفى الجواهر والاربعين عند ذكر سياق جواب الاملاء

(فصل) ومن المعترضين المتعصبين على المصنف شيخ بعض شيوخنا العلامة سيدى أحمد بن مبارك بن محمد بن على بن مبارك السجلماسى اللمطى المتولد سنة ١٠٩٠ فانه صنف كتابا سماه الذهب الابريز جمع فيه ما استفاده من شيخه الولى الصالح القطب العارف بالله تعالى سيدى الشريف عبد العزيز بن مسعود الحسنى الادريسى الشهير بالدباغ قدس سره ونفعنا به قال فيه وسألته رضى الله عنه عما نسب لحجة الاسلام من قوله ليس فى الامكان أبدع مما كان فقال رضى الله عنه القدرة الالهية لا تحصر والرب سبحانه لا يعجزه شئ ثم قال قلت وهذا الكلام فى غاية الاتقان والعرفان وقد استخرت الله تعالى غير مرة فى أن أكتب شيأ فى هذه المسئلة محبة للخير ونصيحة للغير فانها عقيدة ومع ذلك فانها من الغرويات ولكنه لما كثر فيها القيل والقال واختلفت فيها أجوبة الرجال كادت تلحق بذلك بأدق النظريات فنقول مستعينا بالله وحوله ثم ساق عدة آيات وأخبار تناسب سعة المقدورات وقد ساق تلك الآيات بعينها البقاعى فى رسالته ثم قال واذا تأملت هذه الآيات والاحاديث علمت منه الحق الواضح والطريق المستقيم الرابح وقد اعتنيت بسؤال العامة عن هذه المسئلة الذين قلوبهم خالية عن الشبهات وما يمنع من وصول الحق اليهم فأقول لهم هل يقدر ربنا على ايجاد أحسن من هذا

العالم فيقولون ومن يتوقف فى هذا ور بنا على كل شئ قدير وقدرته نافذة لا يعجزها شئ من الاشياء اهـ قلت
ومفهومه ان حجة الاسلام يتوقف فى ذلك وينكر سعة القدرة وهذا من أعجب العجائب ولو سئل عنها حجة
الاسلام ماذا كان جوابه وهل يستدل بكلام العامة على الخاصة ثم قال وقلت مرة لبعضهم هل يقدر ربنا على
ايجاد أفضل من هذا العالم فقال لى ألا تسمع الى قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ولم يقيد الجديد
بكونه دوننا فجاز أن يكون أفضل منا أو مساويا فأعجبنى والله فهمه اهـ قلت وهذا ظاهر لا يشك فيه عاقل
فان فى سعة قدرته ما يقتضى ذلك ولكنه لم يشأ باذهابنا فكان وجودنا هو الابدع وليس فى عبارة الحجة أن
الابدع لا يدخل تحت القدرة هذا لا يخطر ببال أحد ولا الكفار ثم قال وقلت لبعض الفقهاء ما قولك فى
قول أبى حامد ليس فى الامكان أبدع مما كان فقال قد تكلم عليه الشعرانى وغيره فقلت انما أسألك عما عندك
فيه فقال وأى شئ عندى فيه فقلت ويحك انها عقيدة أرأيت ان قال لك قائل هل يقدر ربنا على ايجاد أفضل
من هذا الخلق فقال أقول له ان مقدورات الله تعالى لا تتناهى فيقدر على ايجاد أفضل من هذا الخلق بألف
درجة وأفضل من هذا الافضل وهكذا الى ما لا نهاية له فقلت له وقوله ليس فى الامكان أبدع مما كان
ينافى ذلك فتفطن عند ذلك لمعنى العبارة وهكذا وقع لى مع كثير من الفقهاء فاذا سألتهم عن عبارة أبى حامد
استشعر واجلالته فتوقفوا فاذا بدلت العبارة وعبرت بما سبق فى سؤالنا للعامة جزموا بعموم القدرة وعدم
نهاية المقدورات اهـ قلت لو تأمل السائل والمسؤل حق التأمل لعرفا أن العبارة المذكورة ليس فيها
تعرض لنفى القدرة أصلا كيف وقد صرح باثباتها فى الدليل حيث قال ولو لم يكن قادرا كان عجزا يناقض
الالهية فكيف يقال عليه مع ذلك انه نفى الدخول تحت القدرة وتبديل العبارة بسياق آخر غير مناسب
خصوصا للعامة فان التصرف فى العبارات يغير المعانى وهم لو علموا أن مراد المصنف من سياق هذه العبارة فى
آخر مقام التوكل حث العبد على الثقة بمولاه والرضا بما قضاه الله حتى لا يأسى على شر أصابه ولا لخير فاته
لاستراحوا من القال والقيل ثم هذه المسئلة لها طرفان فطرفها الخارج فى علم الكلام الذى هو من توابع علوم
المعاملة ان صحت فيه النية وطرفها الداخل متصل بعلم كمال الايمان الذى هو داخل فى جملة علوم المكاشفة ومن
ورائه سر القدر المنهى عن افشائه كما أشار اليه المصنف فى آخر السياق فالعلم بها من عالم الملكوت ولا يفهمها الا
من اطلع على هذا العالم ثم ان هذا المعترض لو تأمل ما أوردناه من الوصية المرضية لرجع الى نفسه بالسكوت
وتأدب مع الله تعالى ومع أهله وخاصته ومن العجب أن مثل حجة الاسلام يخاطب بمثل هذه العبارات ويقال له انك
تنكر قدرة البارى وتنسب اليها العجز وتنسبه الى البخل وتقول بوجوب الاصلح عليه أو تقول انه قائل بقدم
الزمان وما أشبه ذلك أتعلم أملك البضاع ودايتك الرضاع ولو سلموا لاهل التسليم سلموا ثم قال سيدى أحمد بن
مبارك وكذا وقع له مثل هذه العبارة فى مقاصد الفلاسفة وقد اختلف العلماء فيها على ثلاث طوائف فطائفة
أنكرتها وردتها وطائفة أولتها وطائفة كذبت النسبة اليه ونزهت مقامه عنها ثم ساق كلام ابن العربى
شارح الترمذى الذى سقناه أولا ثم ذكر ابن المنير واعتراضه ثم ذكر كلام ابن أبى شريف فى شرح المسايرة بعد
ان ذكر ان فى مقدورات الله تعالى ما هو أبدع من هذا العالم ما نصه ثم ان ما فى بعض كتب الاحياء ككتاب
التوكل مما يدل على خلاف ذلك والله أعلم صدر عن ذهول عن ابتنائه على طريق الفلاسفة وقد أنكره الائمة
فى عصره اهـ قلت كيف يكون هذا ذهولا من أبى حامد وقد ذكره فى عدة كتبه كما تقدم تصريحا وتلويحا
ومن شأن الذاهل انه اذا نبه عليه فى ذهوله ينتبه ويرجع الى الحق من غير تلعثم اذا كان منصفا قوالا بالحق كما
وقع له فى مسئلة الدور فانه لما ظهر له الحق رجع وصنف رسالة فى الرد على نفسه وأنصف وهذه المسئلة قد
أجاب عنها بنفسه وصمم عليها والمسئلة كما ذكرنا من علم سر القدر ومن علوم المكاشفة ولا يمنعه توافق بعض
عبارات الفلاسفة معها فينبغى التسليم له فيها فانه أعرف بها ممن أتى بعده وكل من تكلم فيها فانما هو من جهله
بحقائق عالم الملكوت فان تطبيق ما بين العالمين فى الحقائق والقواعد صعب وهو قد أشار الى ذلك بانه قد غرق

فيه طوائف من القاصرين وكل متوغل في عالم الملك غير مطلع على أسرار مابعده فهو من القاصرين فينبغي أن يقف على ساحل هذا البحر ولا يتوغل فيه والا فيغرق مع الغارقين وله الويل ان لم يكن من الناجين

(فصل) والطائفة الثانية قالت ان هذه المسئلة قد دست في كتبه قال البقاعي في الرسالة الاولى قد ألحقها في كتابه من لم يراقب الله تعالى والدليل على ذلك انها مناقضة لكلامه في جميع عقائده المشهورة وانه نقلها عن الفلاسفة في كتابه الذي سماه مقاصد الفلاسفة وردها هو في كتابه تهافت الفلاسفة وأخذها أهل البدع منهم ونقلوها عنهم وأجمع الامة على انها لاتطلق على الله تعالى لاجتماعهم على أن ماتوهم نقصا لايقال عليه وهذه ان لم تكن تفهمه فهي اتوهمه وممن صرح بها بالخصوص البدر الزركشي كما تقدم النقل عنه ثم ساق النقول وقال في الرسالة الثالثة واذا تأمل حق التأمل مع تحكيم الشرع والخلوعن حظ النفس علم ان ماخالف فيه الغزالي مما عزى اليه وهو شديد الشبه بكلام المعتزلة والفلاسفة كذب عليه لاتصح نسبته على هذا الوجه اليه لانه ان لم يكن عين مانقل عن المعتزلة فهو شديد القرب منه عبارة ومعنى وانظر الى عبارة الاحياء والاملاء واعرضهما على كلامه في غيرهما تراهما نازعة الى ماتوهم نقصا في حق الله البتة فان رأيتهما أو كثيرا من جملهما بين كلام المعتزلة الآخذين له عن الفلاسفة أوقريبة اليه جدا فانفهما عن الغزالي لبعدهما عما مضى من كلامه فان ذلك ممكن لان الحساد كثير ولهم مكر كبير وكيد تكاد منه الجبال تسير وقد كذبوا على غيره ليمشوا باطلهم المقعد بحسن سيره وذلك أقعد في تنزيهه عنها وتبريته منها وان رأيت أن تثبتها على وجهها وسياقها له من غير أن تجوّز فيها تحريفا أو دسا أو جب زيفا أو التباسا تأول وتركب وعراصعبا حزنا وتعاسيف خشنا عليها تعوّل فافعل ان استطعت ذلك الى ان قال ولا تستوحش من قولي ان ذلك مدسوس عليه لاجل كثرة الكلام وطوله مع أن الاحياء شهير النسبة اليه فاني لم أعن بذلك الجميع بل هو دون خمسين كلمة وهي قوله في الجواهر ليس ليكون الكلام اثباتا لامكان الابدع وقوله ولو كان الى القدرة وقوله الواجب وقوله وليس في الامكان الى قوله الالهية اذا حذفت هذه الكلمات استقام الكلام ولم يبق فيه شئ الاصيغة افعل وقد جرت العادة بالاتيان بها في سياق الاثبات على قصد المبالغة في المدح وارادة معنى من والذي دلنا على ارادته المبالغة مع استلزام الحقيقة المحال وهو تناهي المقدورات قوله عقب ذلك في الدلالة عليه وأشار الى وجه اثباتهما أي العلم والقدرة بانه قادر على ابداعهم وابداء ماهو أعظم خلقا وأعجب صنعا فهذا هو العذر عن الاحياء وعن الجواهر وأما الاملاء فليس مشهورا عنه فالظاهر ان الذي دس في الجواهر والاحياء اتقن دسه بما ذكره في الاملاء اهـ وممن جوّز الدس عليه واعتمده التقي السبكي واستحسنه ولده التاج كما تقدم عنه في الكلام مع المازري وقال سيدي أحمد بن مبارك وأما الذين كذبوا نسبة هذه المسئلة اليه فمستندهم انهم عرضوها على كلامه في كتبه فوجدوها معه على طرفي النقيض والعاقل لايعتقد النقيضين فضلا عن أبي حامد فلذلك حكمنا ببطلان نسبتها اليه ثم ساق عن المستصفى والاقتصاد ثم قال وأنت اذا تأملت ماوقع للامام أبي حامد في الاقتصاد وفي مواضع من الاحياء أيقنت انه اتناقض مانسب اليه في المسئلة المتكلم فيها فانه قضى فيهما بان ادخار الابدع مع القدرة عليه ظلم وبخل وقضى هنا بان صب العذاب والآلام والاوصاب على الخلائق عدل لاظلم فيه والتناقض بينهما ظاهر لايخفى فان ادخار الابدع اذا كان ظلما يناقض العدل كان صب العذاب والآلام والاوصاب ظلما يناقض العدل بالاولى والاحرى وقد حكم عليه هنا بانه عدل لاظلم فيه وقد صرح في المسئلة بانه ظلم يناقض العدل فيتهافت الكلامان وهذا المكان في الوضوح لايخفى فان قلت كيف تكون المسئلة مكذوبة عليه وقد وقعت في عدة من كتبه ولاسيما في الاملاء فان ذلك يقتضي انه وقف على اشكالها واشتغل بالجواب عنها ولو كانت مكذوبة عليه لبادر الى انكارها وتبرأ من قبحها وعوارها قلت لامانع من أن يقع الكذب عليه مرتين مرة في نسبة المسئلة اليه ومرة في نسبة الجواب عنها وقد قال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب الانتصار مامعناه ان وجود مسئلة في كتاب أو في ألف كتاب منسوبة الى امام لايدل على انه قالها حتى تنقل عنه نقلا متواترا

ليستوى فيه الطرفان والواسطة وذلك مفقود فى مسئلتنا قطعا فلذلك قطعنا بانه لم يقلها حيث وجدنا مخالفة لعقيدة أهل السنة ولكلام الغزالى فى سائر كتبه اهـ قلت هذا الذى ذكره بعيد ولو كان ذلك فى كتاب واحد كان الامر سهلا وما كان الغزالى من الموصوفين بالبلادة حتى يمشى عليه الدس فى كتابه و يسكت عليه ولا يتفطن له مع رسوخ قدمه فى علم الكلام وسائر العلوم وهبه انه فطن له ونبهوه عليه واستشكلوه ما كان مقتضى ورعه وعلمه ان يتبرأ منها ويفصح بان هذا ليس من كلامى بل اشتغل بتحرير الجواب وقدمه بمقدمة فى معرفة اصطلاح القوم ووصية جامعة تقدم ذكرها ومن جملتها اذا نظرت فى كلام أحد من الناس فلا تقف به حيث وقف به كلامه فالمعانى أوسع من العبارات واذا عرض لك فيه اشكال يؤذن فى الظاهر بمحال واختلاف فخذ ما ظهر لك علمه ودع ما اعتاص عنك فهمه الى آخر ما قال وهذه المسئلة المتنازع فيها كذلك فان ظاهرها يؤدى الى اختلال وقد اعتاص عنها فهم العلماء الابطال فينبغى تسليمها لاهلى فهمها والاشتغال عنها بما هو أهم فى الحال وادعاء الدس فى سائر كتبه حتى فى الاملاء أبعد من الاول وما نقله عن القاضى أبى بكر الباقلانى فيه تضييق شديد فان الشرط الذى ذكره مفقود فى غالب كتب الاسلام من الفقه والحديث التى عليها عمل الناس اليوم فى الاحكام فضلا عن كتب الكلام والرقائق والتصوف ولئن سلمناه فانه يجر الى فتح باب للطعن على كثير من مؤلفات الائمة الاعلام فتنبه لذلك

(فصل) فى ذكر الطائفة الثالثة وهم المنتصرون للمصنف فأولهم على الاطلاق وأعلمهم وأولاهم بالتقديم المصنف نفسه فانه سئل عنها فى حياته وأجاب وهذا نصه فى الاملاء قال السائل وما معنى ان ليس فى الامكان أبدع من هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ولو كان وادخر مع القدرة على خلقه لكان ذلك بخلا يناقض الجود أو عجزا يناقض القدرة الالهية فقال فى الجواب معنى ان ليس فى الامكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ولو كان وادخر مع القدرة عليه كان ذلك بخلا يناقض الجود الالهى وان لم يكن قادرا عليه كان ذلك عجزا يناقض الالهية وكيف يقضى عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختيارا ولم ينسب اليه ذلك قبل خلق العالم و يقال ادخار اخراج هذا العالم من العدم الى الوجود عجز مثل ما قيل فيما ذكرنا وما الفرق بينهما وذلك لان تأخيره بالعالم قبل خلقه عن أن يخرجه من العدم الى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث ان للفاعل المختار أن يفعل وأن لا يفعل فاذا فعل فليس فى الامكان أن يفعل الا نهاية ما تقتضيه الحكمة التى عرفنا انها حكمة ولم يعرفنا بذلك الا لنعلم مجارى أفعاله ومصادر أموره وليتحقق أن كل ما قضاه و يقضيه من خلقه بعلمه وارادته وقدرته وان ذلك على غاية الحكمة ونهاية الاتقان ومبلغ جودة الصنع ليجعل كمال ما خلق دليلا قاطعا وبرهانا واضحا على كمال فى صفات جلاله الموجبة لاجلاله فلو كان كل ما خلق ناقصا بالاضافة الى غيره مما يقدر على خلقه ولم يخلقه لكان يظهر النقصان المدعى على هذا الوجود من خلقه كما ظهر على من خلقه ناقصا فى أشخاص معينة ليدل بها على كمال ما خلقه من غير ذلك و يكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعا وما يحمل عليه من القدرة على أكمل منه ظنا اذ خلق للخلق عقولا وجعل لهم فهوما وعرفهم ما أكن وكشف لهم عما حجب وأجن فيكون من حيث عرفهم بكماله دلهم على نقصه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرهم بعجزه فتعالى الله رب العالمين الملك الحق المبين وأيضا فلا يعترض بهذا ولا نشير به الى من لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الفكر الصحيح فى منشا ته ومخترعاته ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تنزه فى عجائبها ولا لاحظ الملكوت ببصر قلبه ولا جاوز النجوم الى أسفل من ذلك ببصره ولبه ولا فهم أن الجنة أغنى النعيم وان النار أقصى العذاب الاليم وان النظر اليه منتهى الكرامات وان رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات وان منح المعارف والعلوم اسنى الهبات و يرى أن العالم بأسره أخرجه من العدم الذى هو نفى محض الى الوجود الذى هو اثبات صحيح وقدره منازل وجعل له طبقات فمن حى وميت ومتحرك وساكن وعالم وجاهل وشقى وسعيد وقريب و بعيد وجليل وحقير وصغير وكبير وغنى وفقير

ومأمور وأمير ومؤمن وكافر وجاحد وشاكر ومن ذكر وأنثى وأرض وسماء ودنيا وأخرى وغير ذلك مما لا يحصى والكل قائم به وموجود بقدرته وباق بعلمه ومنته الى أجله ومصرف بمشيئته ودال على بالغ حكمته فما أكمل من حدثه الاقدمه ولامن تصرفه الا استبداده ولامن ملكه الاملكه فيعود المحدث قديما والمربوب ربا والمملوك مالكا فيعود المخلوق من خالقه كهو تعالى الله عن جهل الجاهلين وتخييل المتوهمين وزيغ الزائغين علوا كبيرا هذا آخر مانص عليه فى الجواب وقد نقض البقاعى عبارة الاربعين والاحياء والاملاء فقال فى الرسالة الثانية وأما التفصيل فقوله فى الاربعين ان الاسباب رتبت على المسببات على أكمل الوجوه وأحسنها وليس فى الامكان أحسن منها وأكمل يلزم عليه أن ندع كل أحد على ماهو عليه فان الذى هو عليه مرتب على سبب من الاسباب على الوجه الذى ادعى انه لايكون أحسن منه فيلزم من ذلك أن يجب علينا أن ندع الكافر على كفره والعاصى على عصيانه الى غير ذلك مما أمرنا الله بخلافه وقوله ليس فى الامكان أحسن منها من مفهومه ان هداية الكفار لاتمكن لانه دون ماتقتضيه نهاية الحكمة وهذا أمر يناقض صرائح آيات كثيرة وهو نقض للشريعة ولاسيما اذا قرنت هذا الكلام بما عقبه به من قوله ولو كان أى غير ذلك ممكنا لكان أى ايجاده لذلك الواقع مع ادخاره ذلك الاكمل بخلا لاجودا أو عجزا يناقض القدرة فان ذلك يوضح غاية الايضاح ماقلت ويفهم قوله وليس فى الامكان أحسن منها ان ذلك غاية ماامكن القدرة ان تصل اليه فيناقض حينئذ قول الحجة نفسه ان المقدورات لانهاية لها وان كاله سبحانه لاحدله كما تقدم ويلزم عليه أن يكون سبحانه غير مختار فى أفعاله وأن يكون مسه النصب فى ايجاد كل شئ فان من بذل غاية وسعه فى عمل شئ تعب ولا يكون فى العادة ولا يدخل فى العقل غير ذلك وهذا يناقض قوله سبحانه وما مسنا من لغوب ويزيد هذا الذى فهمته مما ذكره فى الاربعين وضوحا قوله فى الاحياء ماقسم الله بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لاجور فيه وحق صرف لاظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ماينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذى ينبغي وليس فى الامكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل فهذا يدلك قطعا على أن ذلك الذى وجد من كل شخص بكل وصف قام به غاية ماتصل القدرة اليه وهو واجب الوجود على ماهو عليه لايمكن شئ غيره ولا أن يكون على حالة غير حالته التى وجد عليها أوانه ان تحول من حالة كان على دونها فى الحسن فيلزم عليه أن يكون كفر الكافر أحسن من ايمانه ويزيده وضوحا مابعده من قوله ولو كان أى فى الامكان أحسن منه وادخره مع القدرة ولم يفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولاشك ان هذا انما يكون كذلك ممن يتوجه عليه الحكم ليكون ثم من يوجب عليه أن يفعل غاية وسعه فان قصر عن ذلك مع القدرة عد بخيلا وجائرا وظالما وأما من تم ملكه وكمل ملكه فانه لايجب عليه شئ ولا ينسب الى ظلم وقد أطبق أهل السنة على هدم أصل المعتزلة فى وجوب رعاية الاصلح الذى هذا الكلام شديد النزع اليه بل لاشك انه عين القول به وقوله ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية هذا صحيح ولكنا نحيل هذا المدعى ونقول هو قادر على كل ممكن وهذا من جملة الممكنات لانه لادليل على استحالته وقوله اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار الى آخره كلام صحيح فى نفسه بالنسبة الى ماأوجده سبحانه الآن وأما انه تعالى لايقدر على التعريف بغير ذلك فلا والله بل هو تعالى قادر على ان يعرفنا جميع الاشياء المتضادة قبل كونها ثم ساق حديث أبى هريرة فى نظر جبريل عليه السلام الى الجنة وكيف حفها بالمكاره والى النار وكيف حفها بالشهوات ثم قال ففى هذا أمران * أحدهما انه خلق كلا من الجنة والنار على انقص مما هى عليه الآن فعلم بطلان قوله انه اذا فعل فليس فى الامكان ان يفعل الانهاية ما تقتضيه الحكمة وهذا كما خلق الارض دون الرواسى ثم أنهاها الى الحد الذى أراده وهو قادر على أعلى من ذلك ولم يكن تأخيره لما أخر من بخل ولا عجز تعالى الله عن ذلك * الثانى انه يمكن معرفة الشئ قبل ايجاده ومن ثم تعرف بطلان قوله ولو لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل وأما قوله ان ذلك عدل فلا شك فيه والفضل أوسع ولو جعل الامر على غير ذلك لكان عدلا لانه لايسئل عما يفعل وأما كونه حقا لالعب فيه بان يجعل بدل الكفر الايمان وبدل

المعصية الطاعة ونحو ذلك ولو جعل بدل ايمان المؤمن كفر الكان ذلك حقا لا لعب فيه ولو جعل بدل تنعيم الطائع عذابا لكان عدلا لاجور فيه هذا دين الاسلام الذى لاريب فيه وان كنا نعلم انه لا يفعل ذلك لانه أخبر بخلافه وهو لا يبدل القول لديه وأما قوله فى الاملاء ليس فى الامكان أبدع صورة الخ فقد تقدم مافيه وقوله وكيف يقضى عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختيارا ولم ينسب اليه ذلك قبل خلق العالم ويقال ادخار اخراج العالم من العدم الى الوجود عجز مثل ماقيل فيما ذكرناه وما الفرق بينهما معناه ان قوله لو دخره مع القدرة لزم عليه العجز يلزم عليه ذلك بعينه قبل ابداع هذا العالم فان اعتقاد المسلمين ان العالم حادث ولا شك أنه قبل احداثه كان مؤخرا لايجاده له مع القدرة عليه فان قلت ان كل تأخير يلزم عليه العجز لزمك وصفه بذلك فى الازل قبل خلق العالم والافابن لقولك وجها فاجاب بان ذلك التأخير كان واقعا تحت الاختيار الممكن حيث ان الفاعل المختار ان يفعل وان لا يفعل يعنى وتأخيره لاحسن منه ليس داخلا تحت القدرة لانه من قسم المحال الذى ليس من شأن القدرة ان تتعلق به وذلك لا يلزم عليه عجز لانه ليس من شأن القدرة ان تتعلق به ولا يلزم عليه بخل لانه لم يدخره مع القدرة عليه هذا تقرير كلامه وهو ناقص لانه لوسلم لكان مخلا بما ألزم به من البخل وهو لازم فى الازل قطعا ولو صحت دعواه وليس عنه جواب فان سلم ان هذا العالم كان تحت الاختيار الممكن وكان قد ادعى ان الادخار مع القدرة محال واسقاط الشق الذى لا جواب عنه يرجع عندى ان هذا الكلام مدسوس عليه وليس من كلامه هذا ما يلزم لو سلم كلامه لكنه غير مسلم بل خالق عالم أبدع من هذا العالم ممكن ولا يثبت المحال بمجرد الدعوى بل على من يدعيه البيان وقوله فاذا فعل فليس فى الامكان أن يفعل الانهاية ماتقتضيه الحكمة التى عرفنا انها حكمة كلام يناقض الفعل بالاختيار فهو قطعا قول من يقول ان الفعل ذاتى لا اختيارى أو قول من يقول ان الفاعل الطبيعة لا الواحد القهار المتصرف المختار وهم فريق من الفلاسفة والاول قول القائلين منهم بقدم العالم بالزمان لا بالذات ويكفى فى رده ان الله تعالى خلق الارض أولا دون الجبال فلما مادت أرساها بالجبال فسكنت فلم يخلقها أولا على نهاية ماتقتضيه الحكمة ولقد كان تعالى عالما بانها تضطرب اذ خلقها ولكنه أخر ذلك لحكم عظيمة منها تعليمنا ان لانهتم بشئ من أمر الدنيا قبل الحاجة اليه بالفعل ومنها الرد على قائل هذه المقالة حتى لا تبقى شبهة فى ان فعله بالاختيار يخلق الناقص والكامل ولا يسئل عما يفعل هذا آخر مانقض به البقاعى على الكتب الثلاثة وقد نحا نحوه الشيخ سيدى أحمد بن مبارك حيث قال فى الرد على جواب الاملاء خاصة اذا ثبت له الاختيار قبل الفعل فيثبت له حين الفعل وبعد الفعل سبحانه لا اله الا هو فاذا كان الاختيار هو السبب فى تأخير وجود العالم فيجب أن يكون هو السبب فى تأخير وجود الابدع والاعراض عنه وحينئذ فقوله فليس فى الامكان الانهاية ماتقتضيه الحكمة يقتضى أن الاختيار مسلوب عند الفعل وانه تعالى يجب عليه فعل ماتقتضيه الحكمة وحينئذ فيقال لابى حامد فاذا كان الابدع عدم تأخير وجود العالم فلم عدل عنه فيقول لا محالة فيقال انما عدل عنه ليثبت له الاختيار فيقال له وكذا بعد الفعل انما لم يجب فعل الابدع ليثبت له الاختيار فان قال عند الفعل فيسلب عنه وقبله فيثبت له لزمه نفى وصف الاختيار الثابت له أزلا وما ثبت قدمه استحال عدمه فهذه حجة واضحة على حجة الاسلام اهـ قلت كل منهما دندن حول الحمى ولم يحط بمراد المصنف ولا حام على ماهو بصدده وقوله مأخوذ من قول الفقهاء ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة فجعل سائر الافعال كذلك واقعة بحسب المصالح الراجحة من غير تعرض لنفى القدرة أصلا ولا لنفى الاختيار عند الفعل فكل فعل أوجده الله تعالى دل ايجاده له على ان المصلحة فى ايجاده أرجح منها فى عدم ايجاده مع صلاحية القدرة قطعا لعدم ايجابه وكل مالم يوجد دل عدم ايجاده له على ان المصلحة فى عدم ايجاده أرجح منها فى ايجاده مع قدرته قطعا على ايجاده هذا معنى كلامه فى الاحياء وفى الاملاء ومقصوده بذلك حث العبد على منتهى مقام التوكل الذى هذه المسئلة مذكورة فيه وعلى الرضا بكل قضاء الله تعالى كما دل عليه سياق صاحب القوت ومساق كلامهما يدل على ماذكرت حتى لا يأسى على شر أصابه ولا خير فاته ومن ذا الذى يقول فى شر أصابه ان القدرة لا تصلح لعدم ايجاده او فى خير فاته انها لا تصلح

لايجاده هذا لايقوله عاقل لامسلم ولا كافر فان أهل الملل اتفقوا على اثبات القدرة لله تعالى ولو تأملوا فيما ذكرناه أولا ان النفي في كلامه ليس منصبا على امكان الوجود بل على كونه أبدع لم يتوقفوا في فهم كلامه ولا جلبوا هذه العبارات التي لا طائل تحت أكثرها فان النفي حينئذ وصف في صفات الممكن لا القدرة البتة ألا ترى انك لو قلت هذا الفعل ليس يحسن هل يكون في نفيك الحسن عنه قدح في القدرة أو تعرض لها بوجه من الوجوه لا فكذلك اذا قلت هذا الممكن ليس بأبدع وها أنتم قد ادعيتم في الوجود انه ليس بأبدع مما وجد فان كان في قول المصنف تعرض للقدرة فهو في قولكم أيضا ويلزمكم ما يلزمه وليس الامر كذلك لا في قولكم ولا في قوله ما ينفي القدرة أصلا وانما النفي منصب على وصف من صفات الوجود أو الممكن لا تعرض فيه للقدرة أصلا ومن المعترضين من ادعى انه ليس الكلام في افراد ما وجد في هذا العالم بل الكلام انما هو في امكان عالم آخر غير هذا العالم وهو ممنوع بل الكلام انما هو في الاول كما هو مساق كلام المصنف نعم كلام الفلاسفة في الثاني وليس هو مراد المصنف ومن هنا جاء الغلط عليه فظنوا لاشتباه المقالتين انهما تواردا على محل واحد وليس كذلك لا محلا ولا تصورا ولا حكما * وأما الجواب عن عدم ذكره في السؤال الذي تكلم عليه في الاملاء كلمة العدل واقتصاره على جملة الجود خاصة اما لكونه أبان لهم عن مراده بها حال التدريس أو عرفهم ذلك لكونهم من أهل الفطنة الزائدة والخبرة بمقاصد المصنفين والمناظرين فاستغنوا عن السؤال عنها وانما أوردوا عليه لزوم مثل ذلك من قبل ايجاد العالم فقط وطلبوا الفرق فبين لهم فرق ما بين الحالين وأما اطلاق لفظة البخل الواقعة في حيز الامتناع فانما أراد بها المصنف المبالغة في تقريب الدليل الى الاذهان فكانه قال لا شك في ان الباري تعالى جواد لا يبخل وهو منزه عن البخل والجواد لا يخص بعطائه أحدا دون أحد الا لحكمة وقد قتر على أناس كما وسع على آخرين فلو لم يكن تقتيره على أولئك لحكمة وانه هو الاصلح في حقهم لكان منافيا للجود والفضل وهو في حقه تعالى محال تنزه عما ينافي صفة الجود والافضال وأنت اذا تأملت ما قاله بعض العلماء في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ان النكتة في العدول عن فاعل الى فعال ان أدنى الظلم لو فرض صدوره من الباري تعالى لكان عظيما بالاضافة الى جنابه كما يقال زلة العالم كبيرة وجاء النفي بحسب ذلك وتأملت قول المتنبي يخاطب بعض الكرام * ما من اذا وهب الدنيا فقد بخلا * يريد ان ممدوحه تناهى في الكرم بحيث لو وهب جميع ما حوته الدنيا كان بالاضافة الى ما يقتضيه مقامه بخلا انحل عندك الاشكال في اطلاق هذه اللفظة

(فصل) ومن المنتصرين الامام العارف المحقق الملقب بالشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي قدس سره أورده في الفتوحات المكية وفي الفصوص وفي كتاب الشريعة ولفظه في الفتوحات على ما نقله الشعراني في الاجوبة المرضية عن السادة الصوفية ان كلام الغزالي في غاية التحقيق فلا ينبغي الانكار عليه لانه ما ثم الا مرتبتان مرتبة قدم ومرتبة حدوث فالمرتبة الاولى للحق تعالى وحده باجماع جميع الملل والمرتبة الثانية للخلق فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث فلا يقال هل يقدر الحق تعالى أن يخلق قديما يساويه في القدم لانه سؤال مهمل في غاية المحال اه ووجدت بخط شيخنا المرحوم أبي المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحفني رحمه الله تعالى ما نصه قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في الجواهر والدرر سألت شيخنا رضي الله عنه عن قول الغزالي ليس في الامكان أبدع مما كان فان بعض أئمة المغرب أفتى بكفر قائل ذلك فقال رضي الله عنه بلغنا عن الشيخ محيي الدين انه كان يقول من كفر الغزالي بذلك فهو غير مصيب والجواب عن ذلك سهل وانه ما ثم في الوجود الامرتبتان فالحق تعالى في مرتبة القدم والخلق كلهم في مرتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن مرتبة الحدوث فمراد الغزالي بنفي الابدعية التحاق الحادث برتبة القديم وهذا غير ممكن اه وقد نقضه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك فقال وهذا ليس من الجواب في شئ ولا نسبة بينه وبين مسئلتنا بوجه ولا بحال وانما يصح أن يكون جوابا لو كان مدعى الغزالي ان ليس في الامكان ابدع من القديم ومدعى المنكرين عليه ان في الامكان

ماهو أبدع من القديم فيكون الجواب عليه ان الحديث لا يبلغ القديم أبدا اما حيث كانت دعواه فى مراتب الحدوث وان ما وجد من الحوادث لا يمكن أن يوجد حادث أبدع منه ودعوى المنكر بن انه يمكن أن يوجد ماهو أبدع منه والا لزم تناهى المقدورات وذلك يستلزم القصور فى القدرة المفضى للعجز فانى يلاقيها ذلك الجواب اه قلت جواب الشيخ الاكبر منتزع من عبارة المصنف فى آخر جوابه فى الاملاء وهو قوله فما أكمل من حدث الاقدمه الخ فالابدعية للقديم وليس فى الممكن أن يخلق أبدع منه لانه محال والقدرة لا تتعلق الا بالممكن ولو كان ممكنا وخلق لالتحقت المرتبة الثانية بالاولى ولزم منه صيرورة الحادث قديما هذا الذى فهمته من عبارته والفهوم تختلف وقد ذكر الشيخ فى الفتوحات فى السؤال التسعين عبارة أخرى تشبه سياق المصنف قال المخلوق ما يعرف كماله ولا ما ينقصه لانه مخلوق لغيره لا لنفسه فالذى خلقه ما أعطاه الا ما يصلح أن يكون له تعالى والعبد يريد أن يكون لنفسه لا لربه فلو علم انه مخلوق لربه لعلم ان الله خلق الخلق على أكمل صورة تصلح لربه وهذه المسئلة مما أغفلها أصحابنا مع معرفة أكابرهم لها وهى مما يحتاج اليها فى المعرفة المبتدى والمنتهى والمتوسط فلم يبق فى الامكان أبدع من هذا العالم ولا أكمل فما بقى فى الامكان الا امثاله الى ما لانهاية له اه وفيها أيضا فى السؤال السادس والمائة ما الرداء الجواب العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامع للحقائق الامكانية والالهية وهو المظهر الاكمل الذى لا أكمل منه الذى قال فيه أبو حامد ما فى الامكان أبدع من هذا العالم لكمال وجود الحقائق كلها فيه وهو العبد الذى ينبغى أن يسمى خليفة ونائبا وله الاثر الكامل فى جميع الممكنات وله المشيئة التامة وهو أكمل المظاهر اه وفى حكمة الاشراق للسهروردى المقتول ولا يتصور الوجود الا كما هو عليه اذ لو تصور الوجود وأمكن أن يكون أحسن مما هو عليه لوجد من الموجب لذاته لعدم البخل قال الشارح وهو القطب الشيرازى وهذا ما ذكره الغزالى فى بعض كتبه ونقله عنه الشيخ الكامل محيي الدين فى الفتوحات واستحسنه اه وقد تعلق المعترضون بهذا ان كلام المصنف مبناه على كلام الفلاسفة وهو غلط فان مساق كلام المصنف غير مساق كلامهم ولا شتباه المقالتين ظن الشارح المذكور ان الغزالى اقتبسه من كلامهم ولا يتصور ذلك ولا يحكم عليه به فتأمل وقال الشيخ الاكبر فى الفصوص فى الفص الايوبى فليس فى الامكان أبدع من هذا العالم لانه على صورة الرحمن اه وقد اعترض عليه وانه منتزع من كلام الفلاسفة وليس كذلك بل هو منتزع من الكتاب والسنة والمراد بالعالم الانسان قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وفى الخبر المتقدم بذكره ان الله خلق آدم على صورته والآية نص قاطع فى ان الصورة التى خلق عليها الانسان لا أبدع منها لما فيها من المحاسن والحكم

(فصل) ومن المنتصرين ابن القريسينى قال البدر الزركشى فى تذكرته انه رأى له جزأ أفرده فى الكلام على هذه العقيدة وقال معناه تناهت القدرة فى خلق هذا البشر أى ان هذا البشر الذى هو زبدة المخلوقات غاية فى اظهار كمال القدرة والتعبير عنها وأراد بالبشر محمدا صلى الله عليه وسلم فانه الفاتح الخاتم أى روحه فان أول ما خلق الله روح محمد ومنه تستمد الارواح

(فصل) ومن المنتصرين العلامة بدر الدين محمد الزركشى من كبار أئمة الشافعية قال السيوطى بلغنى انه تكلم على هذه الكلمة فى تذكرته فطلبته حتى وقفت عليه فقال فائدة قال الغزالى ليس فى الامكان أبدع من هذا العالم لانه لو كان ممكنا ولم يفعله كان بخلا يناقض الجود او عجزا يناقض القدرة وهذا من الكلمات العقم التى لا ينبغى اطلاق مثلها فى حق الصانع لكن الظن به انه انما أراد بها تعظيم صنعة الصانع لا يصنع أحد صنعته ولا تنكر فى بواطن الابداع حكمته فقد أوجد ما لا يمكن العقل انكاره فليس فى الامكان ممكن أبدع من الانسان لاشتماله على أحكام أنواع الوجود فهو فى غاية الحكمة بالنسبة الى ادراك العقول النيرة لا بالنسبة الى عالم السر والحضرة الكامل المطلق الذى لا تنتهى أحكامه ولا تنفد عجائبه فمراده ليس فى الامكان باعتبار ما تقتضيه العقول لا باعتبار ما فى غيب الله تعالى ولهذا قال تعالى ويخلق ما لا تعلمون فحكم العارف على قدر ادراكه لا على قدر أحكام ربه فان الرب تعالى محيط بكل شئ وليس لاحد احاطته بنوع من أنواعه من كل

وجه فان لكل نوع أحكاما متعددة منها ما أطلع الله عليها خواص خلقه ومنها ما هو راجع له قال ومنهم من قال معنى قوله ليس في الامكان أبدع من هذا العالم اذ كان ابداعه عين وجوده فليس غير ذلك يعني انه ليس في الامكان أبدع من وجوده فانه ممكن في نفسه وما استفاد الا الوجود فلا أبدع في الامكان من الوجود وقد حصل فانه ما يحصل للممكن من الحق سوى الوجود اه وقد تعرض الشيخ سيدى أحمد بن مبارك لجوابه الاول الذى يقول فيه ولعله انما أراد تعظيم صنعة الصانع ما نصه وذلك لان الاله الحق سبحانه ثبت له الاختيار المطلق واستحال في حقه الظلم والبخل والعجز فقوله في دليله السابق اذ لو كان أبدع من هذا العالم وادخره مع القدرة عليه لكان بخلا وظلما مخالف لذلك فعلى هذا فاذا كان هناك أبدع من هذا العالم ولم يفعله فذلك لكمال اختياره وتعاليه في عظمته وسلطانه لا لما قاله هنا من ان ذلك بخل وعجز وظلم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال وفي قوله بالنسبة الى ادراك العقول النيرة الخ فيه نظر فان العقول النيرة تدرك في بداية نظرها جواز وجود ممكن ابدع ولا تحتاج في ذلك الى فكر وروية لان ذلك راجع الى العلم بجواز الجائزات التى قيل انها نفس العقل وقوله فحكم العارف على قدر ادراكه أقول ان ذلك يدق ويخفى على غالب العقول وأما الظاهر المبذول الضرورى فلا فرق فيه بين عارف وغيره فمن وافقه وافق الصواب ومن لا فلا

(فصل) ومن المنتصر بن الشيخ عبد الكريم الجيلى صاحب الانسان الكامل فانه أجاب بان كل واقع في الوجود قد سبق به العلم القديم فلا يصح أن يرقى عن رتبته في العلم الالهى ولا ينزل عنها فصح قول الامام ليس في الامكان أبدع مما كان هكذا ذكره الشعراوى في كتاب الاجوبة المرضية ووجدت بخط شيخنا المرحوم الشمس الحفنى رحمه الله تعالى هذا الجواب له أبسط مما هنا وذلك انه قال سئل عن هذا القول فاجاب انه قول صحيح لان ما كان قد تعلق به العلم القديم بلا شك وما تعلق به العلم القديم لا يقبل زيادة أبدا اذ لو قبل الزيادة لقبلها العلم القديم ولا قائل به فصح انه ليس في علم الحق تعالى أبدع من هذا العالم انتهى وهذا هو نص الشعرانى في الجواهر والدرر قال وذكر الشيخ محيى الدين في الباب الثانى والسبعين وثلاثمائة من الفتوحات نحو ذلك فقال في حديث ان الله جميل يحب الجمال اى ان الله صانع العالم والعالم كله في غاية الجمال ما فيه شئ من القبح بل قد جمع الله له الحسن كله والجمال فليس في الامكان أجمل ولا أبدع ولا أحسن من هذا العالم ولو أوجد تعالى ما أوجد الى ما لا يتناهى فهو مثل لما أوجد لان الحسن الالهى والجمال قد حازه وظهر به فانه تعالى أعطى كل شئ خلقه وهو جماله اذ لو نقص شئ منه لنزل عن درجة كمال خلقه فكان قبيحا اه وقد تعرض الشيخ سيدى أحمد بن مبارك لجواب الجيلى وهو النص الاول الذى أوردته أولا فقال وهذا أيضا ليس بجواب لانا نسلم ان كل واقع في الوجود لا يرقى عن رتبته في العلم ولا ينزل عنها وذلك لا يستلزم انه لا يمكن وجود أبدع منه وانما يصح أن يكون جوابا لو كان كلام الغزالى هكذا ليس في الامكان أن يرقى الحادث عن مرتبته في العلم أو ينزل عنها اه قلت والذى فهمت من سياق عبارة الجيلى الثانية ان مراده اثبات الابدعية لهذا العالم بسبب تعلق العلم الالهى به الذى لا يتعلق الا بالاجمل والابدع وهو لا يقبل الزيادة فلا أبدع منه حينئذ بهذا الاعتبار فتأمل

(فصل) ومن المنتصر بن الشريف المحدث نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله الحسنى السمهودى الشافعى نزيل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ومولده سنة ٨٤٤ فانه صنف رسالة سماها ايضاح البيان لمن أراد الحجة على ليس في الامكان أبدع مما كان ناقض بها رسالة ابن المنير الاسكندرى السابق ذكرها ولم اطلع عليها الا ان الشيخ سيدى أحمد بن مبارك قد ظفر بها قال قد أطال نفسه فيها وكتب نحو ثلاثة وثلاثين ورقة بخط مضموم وقد تصفحتها غاية وأعطيتها ما استحقه من الانصاف والتأمل فوجدتها دائرة على ثلاثة أمور أحدها المصادرة عن المطلوب والثانى ما وقع له من الغلط في القبح والحسن العقليين وهو أشد ما في رسالته شبهة والثالث عدم فهمه لكثير من كلام ابن المنير على الوجه الذى ينبغى ثم ساق ايضاح هذه الامور الثلاثة تركتها لطولها وكثرة الكلام عليها وقد قال في آخر كلامه وأما كونه لم يفهم مقاصد ابن المنير فانى لا أتعرض له لطول الكلام

فيه الا انى أقول قولا مقتصرا وهو ان غالب ماذكره ابن المنير صحيح حق لاشك فيه وردوداته على عبارة الاحياء مستقيمة لا اعوجاج فيها وأجوبة السيد عنها غير تامة الاحرفا واحدا فانى أخالف فيه ابن المنير وهو تنقصه من مقام أبى حامد وغضه من رتبته فانى لا أوافق على ذلك فان أبا حامد امام الدين والدنيا وعالم الاسلام والمسلمين والعبارة المنسوبة اليه فى الاحياء مدسوسة عليه ومكذوبة فان كلامه فى كتبه يردها من كل وجه

(فصل) ومن المنتصرين الشيخ الصالح العارف أبو عبد الله محمد بن عمر المغربى نزيل مصر وهو شيخ كل من الحافظ جلال الدين السيوطى وأبى النجا بن خلف المقوى وعبد القادر بن حسين الشاذلى فى التصوف فانه قال حين سئل عن هذه المقالة ان معناه ليس فى الامكان أبدع حكمة من هذا العالم يحكم بها عقلنا بخلاف ما استأثر الحق تعالى بعلمه وادراكه وأبدعيته خاصة به تعالى فان ذلك أكمل وأبدع حسنا من هذا العالم الذى أظهره لنا اذ لو كان هذا العالم يدخله نقص لتعدى ذلك الى خالقه فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد أجمع أهل الملل كلها على انه لا يصدر عن الكامل الا كامل قال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومعلوم ان الامتنان والامتداح لا يكون الا فيما هو كامل الاوصاف والا فكيف يمتن الحق تعالى ويمتدح عند خلقه بمفضول هذا نص الجواب فى كتاب الاجوبة المرضية للشعرانى وذكره فى الجواهر والدرر الا انه قال فان ذلك أكمل وأبدع حسنا من هذا العالم بالنسبة اليه تعالى وحده فلو كان هذا العالم يدخله نقص ما قال تعالى والسماء بنيناها بايد الآية فى مقام الامتداح واعلم ان الامتداح لا يكون الا فيما هو غاية ونهاية لا فى المفضول اه وقد ساقه الشيخ سيدى أحمد بن مبارك كما سقناه أولا حرفا بحرف واعترضه فقال وهذا ان سلم من التصحيف فليس بجواب أيضا اما أولا فانه متدافع اذ أوله يقتضى نفى امكانه مطلقا اذ لو ثبت امكان الابدع لكان هذا الموجود ناقصا بالنسبة اليه فيسرى النقص الى خالقه تعالى وحينئذ فنختار ما اقتضاه أول الجواب ونمنع ما اقتضاه آخره ولا نسلم لزوم النقص فى الخالق سبحانه اذ لا يلزم من ثبوت النقص فى المفعول ثبوته فى الفاعل كما لا يخفى والا فالحادث كله ناقص لاحتياجه وافتقاره الى خالقه فلو كان نقص الفعل يسرى الى الفاعل لزم امتناع وجود الابدع أيضا لنقصه بالحدوث واما ثانيا فالاجماع الذى عول عليه لا يعتمد فى هذا الباب عليه لان المسئلة راجعة الى القدرة التى هى احدى مصححات الفعل التى لا يمكن اثباتها بالاجماع كما لا يخفى واما ثالثا فالاجماع الذى هو حجة ومعتصم هو اجماع هذه الامة الشريفة بالخصوص ولا عبرة باجماع غيرها من الملل وهذه الامة أثبتت لربها الاختيار وأن يفعل فى ملكه ما يشاء و يحكم ما يريد اه قلت وان تأملت هذه الردودات وجدتها فى معرض السقوط اما أولا فان المجيب أشار بأول جوابه الى مقام المعرفة لمعانى الصفات الذى هو من جملة مقامات الرضا وهو مشاهدة الصانع فى جميع الصنعة والنظر الى اتقان الصنع والحكمة وان لم يخرج ذلك على معيار العقول والعادة فلا ينظر شيأ بعين النقص والاحتقار فانه بمنزلة الغيبة لصانعه لانه صنعته ونتاج حكمته ونفاذ علمه وحكم تدبيره له فى كل شئ حكمة بالغة لانك اذا عبت صنعة أحد أوذممتها سرى ذلك الى الصانع لانه كذلك صنعها وعن حكمة أظهرها اذ كانت الصنعة مجبولة لم تصنع نفسها ولا صنع لها فى خلقها فهذا معنى قوله لتعدى الى خالقه وهو كلام صحيح وقدمر تفسيره نقلا عن أبى طالب المكى وغيره فهذا مقام المحب الراضى عن الله متادب بين يديه يستحيى ان يعارضه أو يعترض عليه بنسبة النقص الى ما صنعه فانظر أين هذا المقام من قول المعترض اذ لا يلزم من ثبوت النقص فى المفعول ثبوت النقص فى الفاعل فالمجيب فى واد والمعترض فى واد وبين الواديين كما بين السماء والارض وأهل مشاهدة هذا المقام انما ينظرون الى ما أعطاهم الكشف الصحيح المطابق بمعيار عين اليقين وان لم يخرج ذلك على معيار العقول والعادة وحينئذ ظهر لك أن لا تدافع فى كلام المجيب وقوله والا فالحادث كله ناقص الخ هذا ممنوع بل كله كامل والكمال والنقصان من المتضايفات فقد يكون الشئ كاملا من وجه ناقصا من وجه آخر فهو بالنظر الى أنه صنعة الحكيم القادر فانه فى غاية الاتقان والكمال ليس فيه نقص أبدا ويكفى فى ثبوت كماله هذا القدر بهذا الوجه فبطل قوله

فلو

فلو كان نقص الفعل يسرى الى الفاعل لزم امتناع وجود الابدع لنقصه بالحدوث واما ثانيا فقول المعترض لان المسئلة راجعة الى القدرة الخ قلت بل المسئلة راجعة الى أول مقام من المحبة الذى هو من مقامات الرضا وأوسط حال فى التوكل والتسليم والتفويض وكل منها من مقامات اليقين وابواب الايمان ولا ذكر فيها للقدرة نفيا واثباتا فان ادعيت انها تفهم العجز فى القدرة الالهية فاقرأ صدر كلام المصنف يظهر لك اثباتها فانما من وحد الله تعالى معترف بربوبيته شاهد لوحدانيته الا وهو معترف بكماله تعالى فى ذاته وفى صنعه مفوض اليه أمره مستسلم له فهذا هو الذى أراده المجيب بقوله وقد أجمع أهل الملل على ان هذه الجملة ساقطة فى سياق الجواهر والدرر كما قدمناه واما ثالثا فقوله وهذه الامة أثبتت لربها الاختيار كأنه فهم ان قول المجيب لا يصدر من الكامل الا كامل مما يوهم سلب الاختيار عن الفاعل المختار بل يكون بالايجاب بالذات كما تقوله الفلاسفة وليس كذلك ومن أين يؤخذ ذلك منه فالفاعل المختار كامل فى ذاته وصفاته وله الاختيار قبل الفعل ومع الفعل وبعد الفعل والكامل فى ذاته وصفاته فاعل مختار وربك يخلق ما يشاء ويختار وصنعه الذى اظهره على وصف الكمال والتمام لا نقص فيه من حيث انه صنعه وهو القادر المطلق الصانع البديع المتقن لا اله الا هو سبحانه وتعالى

(فصل) ومن المنتصرين الامام المشهور شيخ الاسلام زكريا الانصارى وهو ممن جمع الله له بين الفقه والتصوف قال لا يحل لاحد أن ينسب الى أبى حامد القول بانه تعالى عاجز عن ايجاد ما هو أبدع من هذا العالم فان هذا الفهم منشؤه توهم ان المراد بالامكان فى عبارته بمعنى القدرة أى ليس فى القدرة أبدع مما كان وليس كذلك بل هو بمعناه المشهور المقابل للامتناع والايجاب لكن بحذف مضاف أو بجعله بمعنى الممكن من باب اطلاق المصدر على اسم الفاعل فمفاد عبارة حجة الاسلام انه ليس فى جانب الامكان أو ليس فى الممكن أبدع مما تعلقت به القدرة وهو حق اذ الوجود خير من العدم ومفاد عبارة المعتزلة ما صرحوا به من أنه تعالى لا يقدر على ايجاد أبدع مما فعله بكل أحد وهو باطل عند حجة الاسلام كسائر أهل السنة لبنائه على وجوب الاصلح عليه تعالى وهو أصل باطل الى أن قال فعلم ان حجة الاسلام لم يرد بالامكان فى كلامه القدرة لانه لو أراده لرجع كلامه حينئذ الى كلام المعتزلة الى أن قال وبذلك علم ان اللفظ المذكور لا يحتاج الى حمل وانه لا ينبغى أن يقال دس عليه أو انه زلة منه أو غير ذلك من الكلمات التى لا تليق بمقامه بل هو كلام حق يجب اعتقاده على الوجه الذى قررته فليعتمد ذلك فى هذا المقام فانه من مزال الاقدام اه وقد اعترضه الشيخ سيدى أحمد بن مبارك فقال ولا يخفى ما فيه وما عول عليه فى دفع المحال عن حجة الاسلام بحمل الامكان على مقابل الوجوب والامتناع لا يدفعه فان المحذور بحاله لان المعنى حينئذ ليس فى جانب الامكان أو فى الممكن أبدع مما كان فيلزم أن يكون الابدع المفروض فى جانب الامتناع أو فى الممتنع وكونه فى جانب الامتناع باطل لانه ممكن والممكن لا يكون ممتنعا وأيضا فاذا كان فى جانب الامتناع لم تتعلق به القدرة فيساوى قول من قال لا يقدر على ايجاد الابدع المفروض لان الابدع اذا كان فى جانب الامتناع فليس فى القدرة ايجاده فالمحال لازم على حمل الامكان على معنى القدرة أو على معناه المشهور المقابل للايجاب والامتناع وهو ظاهر وقوله فمفاد عبارة حجة الاسلام انه ليس فى جانب الامكان أبدع مما تعلقت به القدرة وهو حق اذ الوجود خير من العدم لا يدل على المدعى المذكور لانه ليس المدعى ان العدم أبدع من الوجود حيث يكون نفيه الذى هو كلام حجة الاسلام غير حق البتة وقوله ومفاد عبارة المعتزلة ما صرحوا به من انه تعالى لا يقدر على ايجاد الابدع أقول هو لازم لكلام حجة الاسلام على ما أولته أيها المجيب فان الابدع اذا لم يكن فى جانب الامكان ولزم انه فى جانب الامتناع لزم قطعا ان القدرة لا تتعلق بالممتنع فجاء المحذور اللازم وقوله وبذلك علم الخ أقول اياك أن تغتر بهذا الكلام فان غاية ما فيه ان الامكان لا يحمل على القدرة بل على معناه المشهور وقد علمت ان المحذور لازم عليهما وقوله بل هو حق يجب اعتقاده على الوجه الذى قررته أقول حاش لله أن يعتقد أحد أن الابدع لو كان مع القدرة عليه ولم يفعله لكان بخلا فان هذا عين رعاية الصلاح والاصلح الذى هو عين مذهب المعتزلة وانما الذى يجب اعتقاده انه تعالى فاعل

بالاختيار لا يسئل عما يفعل وربك يخلق ما يشاء ويختار ويخلق ما لا تعلمون ولا يحيطون به علما اهـ قلت كلام المجيب منتزع من الجواب الثاني الذي قرره الزركشي وسبق بيانه وتوضيحه ان المراد بما تعلقت به القدرة هو العالم المشهود الموجود بجميع أجزائه الروحانية والجسمانية والجوهرية والعرضية اذ بظهوره ظهرت آثار صفاته تعالى وأفعاله وأسمائه ولذلك سموه صورة الحق وصورة الرحمن والانسان الكبير فكان بهذا المعنى أبدع ثم قال وهو حق اذ الوجود خير من العدم أي لظهور المرجح وهو تعلق العلم والارادة والقدرة به وخلاف المعلوم وقوعه محال كما هو مقرر عندهم وابداع عالم غير هذا وان كان ممكنا بالنظر اليه فليس بممكن بالنظر الى علم الله تعالى لوقوع أحد الامكانين واحدية المشيئة فيه وما تعلقت المشيئة الالهية بكونه فلابد من كونه وما لا بد من وقوعه لا يتصف بالامكان بالنظر الى هذه الحقيقة الحيثية وكلام صاحب الفتوحات نص في أن المرجح لا يفارق كلا من الوجود والعدم حيث قال في الباب السابع والاربعين وثلثمائة ان الاشياء لما كان الامكان لا يفارقها طرفة عين ولا يصح خروجها منه لم يزل المرجح منها لانه لا بد أن يتصف باحد الممكنين من وجود وعدم اهـ يوضحه قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز أي بممتنع ولا ينتفي الامتناع الا عند امكان الذهاب والاتيان بخلق جديد لكنهما لم يقعا بل الواقع الترجيح للوجود الى الاجل المسمى مع النص ان الامكان ما فارقه وكذلك قوله تعالى ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا فان المقدورية فرع الامكان مع ان الواقع ترجيح الابقاء فتأمل

(فصل) ومن المنتصرين الحافظ الكبير جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله تعالى فانه صنف كتابا في هذه المسئلة وسماه تشييد الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان رد به على البرهان البقاعي تأليفه المتقدم ذكره قال فيه وبعد فقد نقل عن الامام حجة الاسلام ولي الله تعالى أبي حامد الغزالي رضي الله عنه انه قال ليس في الامكان أبدع مما كان وقد استنكر ذلك بعض العلماء الموجودين وادعى ان ذلك اما مدسوس في كتابه أو زلة صدرت من عالم وان هذا الكلام يلزم منه استعجاز القدرة الالهية واستقصارها كما يقوله الفلاسفة أو وجوب الاصلح على الله كما يقوله المعتزلة وألف في ذلك كتابا سماه تهديم الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان وذكر فيه أشياء مما لو عرض على أجهل السوقة لم يشك في صلاحية القدرة له فضلا عن طالب علم فضلا عن عالم فضلا عن مثل حجة الاسلام ولما رأيت هذا الكلام من المنكر صادرا عن عدم الوقوف على مقصد حجة الاسلام تعجبت من ذلك كل العجب وقد وقع الالحاح على في الكتابة بالرد عليه وأنا أرى ان الاولى السكوت ولزوم البيوت حتى شرح الله صدري لابانة مقصد هذا الامام بالطريق القويم رجاء الهداية الى الصراط المستقيم فرقمت هذه الاحرف وسميتها تشييد الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان ثم ذكر فيه أشياء نفيسة وتحقيقات بديعة واستدل على المطلوب بكلام الائمة وأحاديث وآثار وأحسن فيه غاية الاحسان وقد أدرجت غالب ما أورده في أثناء ما تقدم من السياق على حسب المناسبة ومن جملة ما ذكر فيه وكنت قد توقفت فيما استشكلوه من كلامه أياما حتى منّ الله على بحله بعد التضرع اليه فالهمني وله الحمد ان حجة الاسلام رضي الله عنه انما أراد تقرير الدليل على مذهب الفريقين معا ليتم له دعوى عدم الامكان على المذهبين فكانه قال هو محال اجماعا من الفريقين اما على مذهب أهل السنة فلان ادخاره مناف للفضل وهو الذي عبر عنه بالجود الالهي وأما على مذهب المعتزلة فلان ادخاره عندهم ظلم ينافي العدل فأتى بكل جملة لفريق وليس مراده بالجملتين التقرير على مذهب واحد ونظير ذلك ما سئل الشافعي عن رجل توضأ ولم ينو ومسح القليل من رأسه فقال وضوءه باطل لانه لم ينو ولم يمسح ربع رأسه قاصدا بذلك بطلان وضوئه اجماعا ولو اقتصر على قوله لانه لم ينو لكان كافيا لكنه لا ينتهض دليلا على الابطال الا على مذهبه فقط لا على مذهب الحنفي فضم اليهما يقرر ابطاله على مذهب غيره أيضا ويؤيد ان هذا الذي فهمته هو مراد الغزالي انه لم يذكر الجملتين الا في الاحياء فقط ولم يذكر في الجواهر جملة العدل بل اقتصر على جملة الفضل والجود التي يتم بها الدليل على مذهب أهل

السنة اما اكتفاء بذلك وعدم الالتفات الى مذاهب المبتدعة واما ارادة الايجاز واما ازالة للايهام الذى توهمه عبارة الاحياء اهـ وقد تعرض له الشيخ سيدى أحمد بن مبارك فقال لو عبر حجة الاسلام كذلك لقرب الحال ولكنه قال لو ادخره مع القدرة لكان بخلا يناقض الجود وأهل السنة ينزهون ربهم عن وصفه بالبخل فقد بان ان العبارة الاولى لا تأتى على مذهب أهل السنة قال ابن التلمسانى فى شرح المعالم بعد ذكره مذاهب البغداديين من المعتزلة فى وجوب رعاية الاصلح وهؤلاء اخذوا مذاهبهم من الفلاسفة وهو ان الله تعالى جواد وان الواقع فى الوجود هو أقصى الامكان ولو لم يقع لم يكن جوادا وقال ابن الهمام فى المسايرة ان المعتزلة يقولون ان ترك مراعاة الاصلح بخل يجب تنزيه البارى عنه فكان الشق الثانى مفرع على أصول المعتزلة كذلك الشق الاول اهـ قلت جواب السيوطى رحمه الله تعالى فى غاية التحرير والاتقان وليس فيه الا الذى أشار اليه المعترض من ذكر لفظ البخل وهو قد أجاب عنه فى كتابه المذكور ولو اطلع عليه المعترض لهدرت شقشقته وذلك فيما أورده سابقا وهو قوله وأما اطلاق لفظة البخل الواقعة فى حيز الامتناع فانما أراد بها الغزالى المبالغة فى تقريب الدليل الى الاذهان فكأنه قال لاشك ان البارى تعالى جواد لا يبخل وهو منزه عن البخل والجواد لا يخص بعطائه أحدا دون أحد الا لحكمة وقد قتر على أناس كما وسع على آخرين فلو لم يكن تقتيره على أولئك لحكمة وانه هو الاصلح فى حقهم لكان منافيا للجود والفضل وهو فى حقه تعالى محال تنزه عما ينافى صفة الجود والافضال وبقية هذا الكلام أسلفناها فاطلبها فيما تقدم ثم قال والعجب كل العجب ممن اتهم حجة الاسلام بانه فى هذه المسئلة نازع الى مذاهب المعتزلة وهو قد صرح فى كلامه بما يناقض مذهبهم حيث قال فى صدر كلامه وما خلق الله من ايمان وكفر وطاعة ومعصية الخ فانظر كيف نسب خلق الكفر والمعصية الى الله تعالى كما هو مذهب أهل السنة والمعتزلة لا يقولون بذلك بل يزعمون انهما من خلق العبد كما هو معروف عنهم

(فصل) ومن المنتصرين ولى الله العارف به سيدى عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى قد نقلنا عنه فيما سبق جواب الشيخ محيى الدين والشيخ عبد الكريم الجيلى ومحمد المغربى نقل ذلك فى كل من كتابيه الجواهر والدرر والاجوبة المرضية وقال فى الكتاب الاخير بعد نقل الاجوبة مالفظه وقد ألف الشيخ برهان الدين البقاعى فى هذه المسئلة مؤلفا وحاصله انه بمعزل عن مراد الامام الغزالى بكل وجه كما بينته فى رسالة الفتح بالاجوبة عن أهل الشطح وفى كتابنا المسمى بطهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى وبالعباد وهو فى مجلدين ضخمين اهـ ولم أطلع على الكتابين المذكورين حتى أنقل منهما شيأ

(فصل) ومن المنتصرين البرهان ابراهيم بن أبى شريف المقدسى وهو أخو الكمال وأصغر منه سنا وعاش بعده زمانا طويلا قال مانصه وليس فى مقالة حجة الاسلام ايجاب شئ ولا تحجير على القدرة ولا نفى لقدرته تعالى عن غير هذا العالم بل هو قادر على ابراز عوالم لانهاية لها ولكن لتعلق العلم القديم ووقوع اختياره وارادته لايجاد مااتصف بالابدع لكونه دالا على ما اقتضته صفاته وقوله ليس فى الامكان أبدع مما كان أى ليس فيما تعلقت القدرة به وسبق به العلم والارادة من الممكنات أبدع مما وجد لما قررناه اهـ قال الشيخ سيدى أحمد بن مبارك وفيه نظر من وجهين أحدهما انه جعل سبق العلم والارادة دليلا على ان ما وجد هو الابدع وهو لا يدل على ذلك وانما يدل على ان ما وجد وجد عن علم وارادة وهل هو أبدع أولا يبقى ماهو أعم ثانيهما انك قد علمت ان الابدع لانهاية لافراده لكونه مقدورا والمقدور لانهاية له واذا كان الابدع لانهاية لافراده لكونه مقدورا والمقدور لانهاية له واذا كان الابدع لانهاية له فعلى تقدير أن تتعلق الاوصاف القديمة بوجود فرد يبقى فى دائرة الامكان مالا يتناهى من افراده والمجيب ظن ان الابدع جزء شخص لاتعدد فيه فاذا فرض تعلق العلم والمشيئة بوجوده استحال غيره والا كان العلم جهلا وحيث كان الابدع كليا لانهاية لافراده لم يلزم من وجود فرد منها انتفاء غيره عن دائرة الامكان

(فصل) ومن المنتصرين الشيخ أبو المواهب التونسى الشاذلى قال قوله ليس فى الامكان أبدع مما كان قلنا امكان الحكمة الالهية لا امكان القدرة الربانية وهذا هو اللائق بكلام حجة الاسلام اهـ قال الشيخ سيدى

أحمد بن مبارك لا نسلم انه لا يمكن ذلك فى الحكمة الالهية فاذا كانت متعلقات القدرة لانهاية لها كانت الحكمة الالهية لانهاية لها لانها تابعة لمتعلقات العلم ومتعلقات العلم لانهاية لها فلزم قطعا ان الحكمة الالهية لانهاية لها ومن الذى يجترئ على حكمة الله تعالى و يقول انها محصورة ومقصورة

(فصل) ومن المنتصرين الامام جلال الدين أبو البقاء محمد البكرى الشافعى فانه سئل عن هذه المقالة فأجاب بقوله ان ايجاد عالم آخر أبدع من هذا العالم مستحيل لانه لم يرد به الكتاب ولا السنة المبينة عن الله تعالى ولو كان جائزا لورد به الكتاب قال الله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ فعلم ان ذلك مستحيل ولا نقص فى القدرة اهـ قال الشيخ سيدى أحمد بن مبارك وفيه نظر من وجوه أحدها ان الكتاب والسنة قد وردا بذلك وقد سبق ذلك فى صدر الكلام يعنى به ما أورده من الآيات التى أوردها البقاعى فى رسالته وكذلك أورد جملا من الاحاديث ثانيها ان الكتاب والسنة انما يستدل بهما فى الامور النقلية التى لا دخل للعقل فيها وأما أحكام العقل الصرفة التى قيل انها نفس العقل التى هى العلم بوجوب الواجبات و جواز الجائزات واستحالة المستحيلات فهى من الامور الضرورية التى لا يحتاج فيها الى دليل نقلى ثالثها ان ما ذكره معارض بكل علم بديهى كعلمنا بان الاربعة زوج وانها نصف الثمانية وان الواحد نصف الاثنين فيقال ان هذه العلوم لم يرد بها كتاب ولا سنة فتكون مستحيلة لان كل ما ليس فى الكتاب ولا فى السنة مستحيل على قاعدة جوابه

(فصل) ومن المنتصرين العارف بالله أبو العباس أحمد بن أحمد بن عيسى البرنسى الشهير بزروق قال فى شرح القواعد للامام حجة الاسلام عند قوله فيها ولا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها واعدلها فقال يعنى كل بارز بالقدرة وتخصص بالارادة وأتقن بالعلم الالهى لا يصح أن يكون ناقصا فى وجوده لكمال الاوصاف المنسوب اليها بقصدها وتقصيدها ثم التقبيح والتحسين العقلى فى محله والعادى فى محله والشرعى فى محله لان ما ذكر بحسب الحكمة وظهور النسب بالنسبة الينا وعلى ما ذكر هنا يتخرج ما نسب اليه من قوله ان ليس فى الامكان أبدع مما كان يريد ان ما كان و يكون الى الابد متى حصل فى حيز فلا أبدع منه لان العلم اتقنه ولا نقص فى اتقانه والارادة خصصته ولا نقص فى تخصيصها والقدرة أبرزته ولا نقص فى ابرازها فبروزه على أبدع الوجوه وأكملها وعلى هذا تفهم هذه الكلمة والا لزمه القول بقصور القدرة وما معها من الاوصاف وذلك باطل لا يقوله أحمق فضلا عن عاقل اهـ قال الشيخ سيدى أحمد بن مبارك ولا يخفى ما فيه لو كان نقص الاثر يستلزم نقص المؤثر وأوصافه لكان وجود غير الابدع مستحيلا ولكان وجود الابدع واجبا وذلك يجر الى التعليل و ينفى الاختيار فالصواب ان ذلك اللزوم ممنوع وو جود الابدع وغيره جائز والاختيار شامل والقدرة عامة ولا نهاية لمتعلقاتها هذا ان أراد اللزوم فى نفس الامر وان أراد بحسب عقولنا وما تقتضيه الحكمة فى نظرنا وراينا فقد سبق ما فيه من كلام الزركشى

(فصل) ومن المنتصرين عبد القادر بن مصطفى الصفورى الدمشقى الشامى المتوفى سنة ١٠٨١ كتب الى الامام المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم الحنبلى من مدينة نابلس سنة ١١٧٩ قال أخبرنا المحدث المعمر عبد الرحمن بن محيى الدين بن سليمان الدمشقى أخبرنا الامام المؤرخ أمين الدين محمد بن فضل الله بن محب الله بن القاضى محب الدين أبى الفضل محمد بن أبى بكر العلوانى الحمدى الدمشقى قال قال العلامة عبد القادر بن مصطفى الصفورى اعلم أن المحال على قسمين محال لذاته ومحال لغيره فان الممكن قد يصير محالا لغيره وواجبا لغيره مثاله بعث الموتى من قبورهم ممكن فى حد ذاته لانه اذا خلى العقل ونفسه حكم بجوازه لكن لما أخبر سبحانه صار واجب الوقوع بالنظر الى ان خبر الله لا يتخلف وعدمه صار محالا لغيره بهذا الاعتبار فاذا تقرر ذلك علمت ان ما قاله حجة الاسلام حق وايضاحه انما هو بعد ان تعلم ان علم الله قديم وانه تعلق فى الازل بان الممكن الذى وجد يوجد فى أى زمان وفى أى مكان وعلى أى صفة وحينئذ فوقوعه على خلاف ما تعلق به العلم محال لغيره لانه لو وقع على خلاف ذلك لزم انقلاب العلم جهلا وانه محال فى حق الحكيم الخبير العليم القدير والارادة والقدرة

تعلقهما بالممكن انما يكون على وفق تعلق العلم القديم به وحينئذ تعلم ان عدم امكان أبدع مما كان ليس فيه نسبة الجهل ولا نسبة العجز الى الملك الديان وكيف ذلك بحجة الاسلام الذى ملأت معلوماته الدنيا بل عدم امكانه انما هو لعدم تعلق الارادة والقدرة بما يلزم عليه من المحال فتدبر ذلك يندفع عنك خيال أوهام من لم يعلموا مواقع الكلام ولم يذوقوا دقائق العلوم فكل مطمح انظارهم اعتراض أكابر العلماء والطعن على ورثة الانبياء كأنهم صار والهم ضدا فصرف الله أذهانهم عن الوصول الى غوامض المعانى وتمسكوا بظواهر المبانى ومن أجاب بان ما موصولة لم يصادف محلا لان المنقول عن الامام انه قال ليس فى الامكان الخ وليس هو الاليس اه فهذا ما بلغنى من كلام الائمة فى تحقيق هذه المقالة ردا وتسليما ولم آل جهدى فى جمعها وحسن ترتيبها مع الكلام فى بعض المواضع منها والكلام فيها كثير وماغاب عنى أكثر مما حضر لدى ولكن قليل يوعى خير من كثير ينسى ولقد عن لى أن أنحو منحى الكرام وأدلى دلوى مع هؤلاء الاعلام وان كنت مزجى البضاعة سكيتا بخلفاء عند أرباب هذه الصناعة فأقول ناظرا الى سياق المصنف من أوله متنبها لسر ايراده فى خصوص هذا المقام اعلم أنه ذهب المليون كلهم الى ان الله تعالى قادر أى يصح منه ايجاد العالم وتركه فليس شئ منهما لازما لذاته بحيث يستحيل انفكاكه عنه وأما الفلاسفة فانهم قالوا ايجاده للعالم على النظام الواقع من لوازم ذاته فيمتنع خلوه عنه فانكروا القدرة بالمعنى المذكور لاعتقادهم انه نقصان وأثبتوا له الايجاب زعما منهم انه الكمال التام وأما كونه تعالى قادرا بمعنى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل فهو متفق عليه بين الفريقين الا أن الحكماء ذهبوا الى أن مشيئة الفعل الذى هو الفيض والوجود لازمة لذاته كلزوم سائر الصفات الكمالية فيستحيل الانفكاك بينهما فمقدم الشرطية الاولى واجب صدقه ومقدم الثانية ممتنع الصدق وكلتا الشرطيتين صادقتان فى حق البارى سبحانه وأما الصوفية قدس الله أسرارهم فيثبتون له تعالى ارادة ذاتية زائدة على الذات والعلم بالنظام الاكمل واختيارا فى ايجاد العالم لكن لا على النحو المذكور من اختيار الخلق الذى هو تردد واقع بين أمرين كل منهما ممكن الوقوع عنده فيترجح عنده أحدهما بمزيد فائدة أو مصلحة يتوخاها فمثل هذا يستنكر فى حقه سبحانه كما تقدم بيان ذلك فى تقرير المصنف قبل هذه المقالة فانما معلوماته تعالى سواء قدر وجودها أولم تقدر مرتسمة فى عرصة الامكان أزلا وأبدا ومرتبة ترتيبا لا أكمل منه فى نفس الامر وان خفى ذلك على الاكثرين فالاولية بين أمرين يتوهم وجود كل منهما انما هو بالنسبة الى المتوهم المتردد اما فى نفس الامر فالواقع واجب وما عداه مستحيل الوجود وعلى هذا التخريج هذه المقالة فتدبر والله أعلم *(تنبيه)* قال الشيخ سيدى أحمد بن مبارك فى آخر كلامه على هذه المقالة فالحاصل ان ما نسب اليه فى المسئلة ان كان دليله الظلم المناقض للعدل فقد نفاه فى مواضع من كتابه الاحياء وان كان دليله البخل فقد نفاه فى كتابه الاقتصاد وان كان دليله انه يخالف الحكمة فقد أبطله فى الاحياء وفى الاقتصاد وان كان دليله الاستحسان العقلى ومراعاة الصلاح والاصلح فقد أبطله فيهما وفى القسطاس وان كان دليله الاستحسان المتفق عليه الذى عول عليه السيد السمهودى فقد أبطلناه فيما سبق وان كان دليله ما سبق فى العلم والمشيئة كما عول عليه المذكور أيضا فقد ذكرنا انه مصادرة على المطلوب وان كان دليله ان الناقص لا يصدر عن الكامل فقد بينا بطلانه فيما سبق اه وقد فهم من كلامه ان المسئلة باطلة بسائر وجوهها وليس لها موضع عند أهل العلم تحمل عليه وانه محكوم عليها بالفساد وهو أمر عجيب ولو فتحت له كوة الى عالم الملكوت لشاهد ما شاهده الصالحون ويكشف له من أسراره ما كشف للعارفين وقد فهموا قوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وعقلوا قول المبلغ صلى الله عليه وسلم ان الله كره لكم البيان كل البيان فحقيقة بيان البيان محرم عند ذوى الايقان ومقام الصالحين يقصر عن شهادة الشاهدين وقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم أرنا الدنيا كما تراها فقال لا تقل هكذا فان الله لا يرى الدنيا كما تراها ولكن قل اللهم أرنى الدنيا كما يراها الصالح من عبادك فالصالحون فى الغرفات آمنون والشهداء عند ربهم والله غالب على أمره لا حول ولا قوة الا بالله ولا يشك هو ولا نحن ولا من له نصيب من الايمان ان الامام أبا حامد الغزالى من

(الشطر الثاني من الكتاب) في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره والله الموفق برحمته

(بيان حال التوكل)

قد ذكرنا أن مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم * فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم أصله والعمل ثمرته وقد أكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كما جرت عادة أهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره الى فلان أي فوّضه اليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوّض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمأنت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعى عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثقا به ولا مطمئن النفس بتوكيله الا اذا اعتقد فيه أربعة أمور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة أما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شئ أصلا

أكابر أهل الباطن وهذه المقالة قد نسبت اليه واعتاص في فهمها أهل الظاهر فالاولى التسليم له اذ ليس أهل الظاهر حجة على أهل الباطن في شئ الا وهم عليهم حجة في مثله والايمان ظاهر وباطن والعلم محكم ومتشابه ولان أهل الباطن أبعد عن الهوى وأقرب الى التوفيق وأوفق لاصابة الحقيقة لزهدهم في الدنيا واضعف شاهد غلبة النفس والهوى عليهم وهذا لا يفطن له الغافلون ولا يشهده العمون وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول اذا لاحظت الاشياء من فوق وجدت لها طعما آخر وقال بعض العارفين اذا رأيت الاشياء كلها كشئ واحد من معدن واحد بعين واحد رأيت مالم تر قبل ذلك وسمعت مالم تسمع وفهمت مالم تفهم الخلق وقال بعضهم لا ترى العجب حتى لا ترى عجبا فاذا لم ترعجبا رأيت العجب وقد أفدناك بحمد الله تعالى من غرائب ما عندنا والى الله يرد العلم فيما دق وجل وظهر واستتر وانما ينطق اللسان بما انطقه الله به وهو مستعمل بما استعمله الله به اذ كل ميسر لما خلق له وقد انتهى الكلام على مقالة الامام انجازا لما وعدنا به آنفا فاسأل الله تعالى أن يصرف عنا من الكدورات ويحمينا من مضلات الاهواء في مجاري المقدورات وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد البشر وعلى آله وصحبه أولي العزم والظفر وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ونسأله الصفح الجميل

(الشطر الثاني من الكتاب) (في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ) المراد بهم السادة الصوفية (في حد التوكل) واختلافهم فيه (وبيان التوكل في الكسب للمنفرد) بنفسه (والمعيل) أي المتزوّج صاحب العيال (وبيان التوكل بترك الادّخار) للقوت (وبيان التوكل في دفع المضار) عن نفسه (وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره) أورده في ستة فصول

(الفصل الاوّل في بيان حال التوكل) وفيه أيضا ذكر الاسباب المانعة منه بعد العلم والمعرفة

اعلم أنا (قد ذكرنا ان مقام التوكل) كغيره من مقامات اليقين (ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم) في الفصل الذي قبله وذكرنا أنه ينبني عليه حال التوكل والتسليم فاذا ثبت في النفس ثبوتا اعتقاديا أو كشفيا أو ذوقيا أو عرفانيا نتج عنه الحال فشرع في ذكر الحال وقال (فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه) وهو وسط بين طرفي العلم والعمل (وانما العلم أصله) وأساسه (والعمل ثمرته) ونتيجته (وقد أكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم) فيه (وتكلم كل واحد عن مقام نفسه) الذي أقيم فيه (وأخبر عن حده) ورسمه (كما جرت عادة أهل التصوّف به) وقد يكون ذلك لا اخبارا عن مقام نفسه بل عن مقام السائل فهذا سبب اختلاف عباراتهم (ولا فائدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من) لفظ (الوكالة) بفتح الواو والكسر لغة فيه (يقال وكل أمره الى فلان) من باب وعد وكلا بالفتح ووكولا بالضم (أي فوّضه اليه واعتمد عليه فيه) واكتفى به (ويسمى الموكل اليه وكيلا) فهو فعيل بمعنى مفعول وقد يكون بمعنى فاعل اذا كان بمعنى الحافظ ومنه قوله تعالى ونعم الوكيل وجمع الوكيل وكلاء (ويسمى المفوّض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه) كلاهما بمعنى الا أن الاتكال من باب الافتعال والاسم منه التكلان بالضم والتوكل من باب التفعل (مهما اطمأنت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصيره ولم يعتقد فيه عجزا ولا قصورا) فهذه المعاني لازمة للمفوّض اليه (فالتوكل) حينئذ (عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده) ووثوقه به (ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعى عليه دعوى باطلة بتلبيس) وزور (فوكل للخصومة) عنه (من يكشف ذلك التلبيس) عنه (لم يكن متوكلا عليه ولا واثق القلب مطمئن النفس بوكيله الا اذا اعتقد فيه أربعة أمور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة) ثم فصل تلك الامور وقال (اما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس) ومحال التزوير (حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شئ) فهذا

وأما القدرة والقوة فليستجرئ على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به وأما الفصاحة فهي أيضا من القدرة الا أنها قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجرأ القلب عليه وأشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس وأما منتهى الشفقة فيكون باعثاله على بذل كل ما يقدر عليه في حقه من المجهود فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهمه أمره ولا يبالي به ظفر خصمه أولم يظفر هلك به حقه أولم يهلك فان كان شاكا في هذه الاربعة أو في واحدة منها أو جوّز أن يكون خصمه في هذه الاربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه الى وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت أحوال المتوكلين في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى أن ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لاجله فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربعة قطعية وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه أفصح الناس لسانا وأقواهم بيانا وأقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف أو باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة

يستدعي هداية تامة وبصيرة نافذة في أمور الدعاوي وكلام الخصوم فمن لم يكن كذلك يغلبه الخصم فيكون سببا لتلاف حق الموكل (وأما القوة والقدرة فليتجرأ) أي لاجل أن يكون جريئا (على التصريح بالحق) غير متعتع (فلا يداهن) مداهنة (ولا يخاف) في حركاته (ولا يستحيي) من التكلم بالحق (ولا يجبن) عن الخصم (فانه ربما يطلع على وجه) من وجوه (تلبيس خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به) فمن لم يكن كذلك يغلبه الخصم أيضا (وأما الفصاحة فهي أيضا من القدرة الا أنها قدرة في اللسان) ولو كان ضعيف القلب أو البدن (على الافصاح عن كل ما استجرئ القلب عليه وأشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس) من خصمه (قادر بذلاقة لسانه) أي طلاقته (على حل عقد التلبيس) فمن كان كليل اللسان غير مفصح عن وجه البيان ربما يغلبه خصمه (وأما منتهى الشفقة فيكون باعثاله على بذل كل ما يقدر عليه من المجهود في حقه) لا يقصر بوجه من الوجوه (فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهمه أمره) أي لا يشغله (ولا يبالي به ظفر بخصمه أولم يظفر هلك به حقه أولم يهلك) فالاعتناء بالامر لابد من مراعاته (فان كان شاكا في هذه الاربعة) بمجموعها (أو في كل واحدة منها أو جوّز أن يكون خصمه في هذه الاربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه الى وكيله) ولم يثق به (بل بقي منزعج القلب) قلقه (مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره) أي يخافه (من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت أحوال المتوكلين) على الله تعالى (في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى أن ينتهي الى) مرتبة (اليقين الذي لا ضعف فيه) أصلا (كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لاجله) ويشقى ويتعب ليكمله (فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربعة قطعيا) ومجزوما به (وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار) والشهرة المنقولة على ألسنة الناس (بانه أفصح الناس لسانا وأقواهم بيانا وأقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل) أي على صورته (أو الباطل بالحق) أي على صورته وفيه ورد ان من البيان لسحرا (فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف) من الله تعالى بان يلهم في روعه (أو باعتقاد جازم أن لا فاعل) في الحقيقة (الا الله كما سبق) في التوحيد (واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد) باسرهم (ثم تمام العطف والعناية والرحمة) الموسعة (بجملة العباد والآحاد اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه) من الوجوه (ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقوة فان الحول عبارة عن الحركة) والتغير يقال حال الشئ حولا اذا تغير عن أصله (والقوة عبارة عن القدرة) في أحد الاصول الثلاثة نفسه وبدنه وقنيته وقد جاء تفسيره في حديث مرفوع لا حول عن

فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه أحد أمرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصال الاربعة واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء
الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له عن غير نقصان فى اليقين فان من يتناول عسلا فشبه
بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه (٤٦٢) وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل أن يبيت مع الميت فى قبر أو فراش أو بيت نفر طبعه عن ذلك
وان كان متيقنا بكونه
ميتا وانه جماد فى الحال
وأن سنة الله تعالى
مطردة بانه لا يحشره
الآن ولا يحييه وان
كان قادرا عليه كما انها
مطردة بان لا يقلب القلم
الذى فى يده حية ولا
يقلب السنور أسدا
وان كان قادرا عليه ومع
أنه لا يشك فى هذا اليقين
ينفر طبعه عن مضاجعة
الميت فى فراش أو الميت
معه فى البيت ولا ينفر
عن سائر الجمادات وذلك
جبن فى القلب وهو نوع
ضعف قلما يخلو الانسان
عن شئ منه وان قل وقد
يقوى فيصير مرضا حتى
يخاف أن يبيت فى البيت
وحده مع اغلاق الباب
واحكامه فاذا لا يتم
التوكل الا بقوة القلب
وقوة اليقين جميعا اذ
بهما يحصل سكون القلب
وطمأنينته فالسكون فى
القلب شئ واليقين شئ
آخر فكم من يقين
لا طمأنينة معه كما قال
تعالى لابراهيم عليه
السلام أولم تؤمن قال
بلى ولكن ليطمئن قلبى
فالتمس أن يكون مشاهدا احياء الميت بعينه ليثبت فى خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن
باليقين فى ابتداء أمرها الى أن تبلغ فى الآخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون فى البداية أصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر
أرباب الملل والمذاهب فان اليهودى مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصرانى ولا يقين لهم أصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد
جاءهم من ربهم الهدى وهو

المعصية ولا قوة على الطاعة الا بالله وفى القوت قيل لسهل ما التوكل قال التبرى من الحول والقوة والحول
أشد من القوة يعنى بالحول الحركة و بالقوة الثبات على الحركة وهو أول الفعل يعنى بهذا أن لا تنظر الى
حركتك مع المحرك اذ هو الاول ولا الى ثباتك أيضا بعد الحركة فى تثبيته اذ هو المثبت الآخر فتكون الاولية
والآخرية حقيقة شهادتك لربه انه أول آخر بعين اليقين فيخرج نفى الشرك بحقيقة التوحيد وهذا هو شهادة
اليقين أى فعندها يصح توكلك بشهادة الوكيل (فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه أحد أمرين
اما ضعف اليقين باحد هذه الخصال الاربعة) أو بجملتها (واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه
وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه) أى المرض المانع لحال التوكل بعد اليقين بالتوحيد بالافعال لان
الوهم يتعلق بالتقديرات الاحتمالية (فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان فى اليقين) وقد
ينقاد لطاعة الوهم كما ينقاد لطاعة العقل فاذا زين الشيطان بغروره ووعد بالفقر خوف منه تعلق الوهم بايعاد
الشيطان فجبنت النفس وخبث طبعها شفقة على نفسها فيبقى العقل وما فيه من اليقين مستورا تحت ضباب الوهم
وشهوة النفس فان ازداد اليقين ضياء واشتعلت فيه نارا أيد الله العقل بالملك الملهم حتى عده بعلم يدفع به وسوسة
الشيطان وكيده فحينئذ يشعشع شمس اليقين ضباب الوهم وخيال النفس و يتغير القلب عما كان عليه و يعتمد
على الله تعالى و يطمئن اليه بعد ان كان معتمدا على الاسباب مطمئنا بتدبيره وحوله وقوته و يعرف يقينا ان
لا حول ولا قوة الا بالله وكل يقين لا ينشأ عنه حال هذا سببه (فان من يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة) أى
الخرء (ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله) لما قام به من الوهم (ولو كلف العاقل أن يبيت مع الميت فى قبر أو
فراش) واحد (أو بيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقنا بكونه ميتا وانه جماد فى الحال وان سنة الله مطردة
بانه لا يحشره الآن ولا يحييه وان كان قادرا عليه) فانه ليس بممتنع ولو كان حيا لادعى القوة والشجاعة عليه
(كما انها مطردة بان لا يقلب القلم الذى فى يده حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه) فان كل ذلك
غير ممتنع (مع أنه لا يشك فى هذا اليقين فينفر طبعه عن مضاجعة الميت فى فراش أو الميت معه فى بيت ولا ينفر
عن سائر الجمادات) وهذا كله عمل الوهم المتعلق بالظنون والاحتمالات البعيدة والنفور من الحقائق الجارية
على اختلاف العادات (وهو نوع ضعف فلا يخلو الانسان عن شئ منه وان قل وقد يقوى) هذا الضعف (فيصير
مرضا) سوداويا (حتى يخاف أن يبيت فى البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل الا بقوة
القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته والسكون فى القلب شئ واليقين شئ آخر فكم
من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى) مخاطبا لخليله عليه السلام حين سأله عن احياء الموتى (أولم تؤمن) أى أولم
تصدق بقلبك (قال بلى ولكن ليطمئن قلبى فالتمس أن يشاهد احياء الميت بعينه ليثبت فى خياله فان النفس
تتبع الخيال وتطمئن به) وكان قد حصل له عليه السلام مرتبة اليقين أولا فطلب أن يرقى الى مقام عين اليقين
المعبر عنه بالطمأنينة (ولا تطمئن) النفس (باليقين فى ابتداء أمره الى ان يبلغ بالآخرة الى درجة النفس
المطمئنة) فتسكن حينئذ تحت الامر و يزول عنها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات (وذلك لا يكون فى البداية
أصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب) المبتدعة (فان اليهودى مطمئن القلب الى تهوده
وكذا النصرانى) مطمئن القلب الى نصرانيته (ولا يقين لهم أصلا وانما) هم كما قال تعالى فى أمثالهم (يتبعون
الظن وما تهوى الانفس) مما تعارضهم من الشهوات (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الذى يتبصرون به (وهو

سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذا الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع اليقين معهما فهى أحد الاسباب التى تضاد حال التوكل كما أن ضعف
اليقين بالخصال الاربعة أحد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب فى التوراة ملعون
من ثقته انسان مثله وقد قال صلى الله عليه وسلم من استعز بالعبيد أذله الله تعالى واذا انكشف لك معنى التوكل وعلمت الحالة التى سميت توكلا فاعلم أن تلك الحالة لها فى القوة والضعف ثلاث درجات *(الدرجة الاولى)* ماذكرناه وهو أن يكون حاله فى حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله فى الثقة بالوكيل (الثانية) وهى أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى أحد سواها ولا يعتمد الا اياها فاذا رآها تعلق فى كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه أمر فى غيبتها كان أول سابق الى لسانه يا أماه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فانها مفزعه فانه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع ادراك بالتمييز الذى له ويظن انه طبع من حيث ان الصبى لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلقين لفظه ولا على
احضاره مفصلا فى ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان باله الى الله عز وجل ونظره اليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبى بأمه
فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على أمه

سبب اليقين الا أنهم معرضون عنه) لا يلتفتون اليه أصلا (فاذا الجبن) عن الاقدام (والجراءة) عليه (غرائز) مركوزة فى الطباع (ولا ينفع اليقين معها فهى أحد الاسباب التى تضاد حال التوكل) وتعارضه (كما ان ضعف اليقين بالخصال الاربعة) المذكورة (أحد الاسباب) المضادة له (واذا اجتمعت هذه الاسباب) فى امرئ (حصلت) له (الثقة بالله تعالى) وصح وصفه بالتوكل (وقد قيل مكتوب فى التوراة ملعون من) هو (ثقته) أى الذى يثق به (انسان مثله) رواه صاحب القوت عن سنيد بن داود عن يحيى بن كثير قال مكتوب فى التوراة فذكره قال سنيد يقول لولا كذا لكان كذا ولولا فلان لهلكت فمعناه عندى فى قوله ثقته أن يعتمد عليه ويسكن اليه فهو شرك فى التوحيد ونقص من المزيد اذ لا ينبغى الثقة والسكون الا الى الواحد القهار (وقد قال صلى الله عليه وسلم من اعتز بالعبيد أذله الله تعالى) قال العراقى رواه العقيلى فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية من حديث عمر أورده العقيلى فى ترجمة عبد الله بن عبد الله الاموى وقال لا يتابع على حديثه وقد ذكره ابن حبان فى الثقات وقال يخالف فى روايته انتهى قلت وكذلك رواه الحكيم فى النوادر والرافعى فى التاريخ والديلمى وعبد الله بن عبد الله حجازى لين الحديث روى له ابن ماجه وقال الذهبى فى الديوان روى عن الحسن بن الحسن لا يعرف وما ساقه العراقى عن العقيلى هو لفظ الذهبى فى الميزان والاعتزاز بالشئ هو الامتناع به من النوائب فمن امتنع بمن لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فقد ذل ومن اعتز بعرض الدنيا فهو المخذول فى دينه الساقط من عين الله تعالى والخبر يحتمل الدعاء لانه طلب العز من غير العزيز وتعلق بالاسباب دون مسببها فاستوجب الدعاء عليه أو هو خبر عن أن العبيد كلهم أذلاء تحت قهر العزيز فمن لجأ الى أحد منهم فقد تجلل ذلا آخر على ذله وقوله اعتز هكذا هو فى الرواية بالعين المهملة والزاى ووقع فى كتاب الحكيم ضبطه بخطه بالغين المعجمة والراء من الاغترار وقال لان الاغترار بالعبيد منهاجه من حب الغرار وطلبه له فاذا طلب ذلك من العبيد ترك العمل بالحق والقول به ليعظموه فذلك اغتراره بهم فعاقبة أمره الذلة اما فى الدنيا عاجلا واما خروجه منها فى أذل ذلة وأعنف عنف فمن أسلم وجهه لله وذلت له نفسه نال حظا من عزه ومن أعرض عنه واغتر بغيره حرمه غره وأخساه وصغره (واذا انكشف لك معنى التوكل) الذى هو اعتماد القلب وسكونه أو عدم اضطرابه لتعلقه بمسبب الاسباب ورب الارباب (وعلمت الحالة التى سميت توكلا فاعلم أن تلك الحالة لها فى القوة والضعف ثلاث درجات الدرجة الاولى ماذكرناه وهو أن يكون حاله فى حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله فى الثقة بالوكيل) أى يكون فى قوة اعتماده على الله يجرى مجرى اعتماد أحدنا على أشفق الناس وأنصحهم كالوالدين مثلا وذلك حال هذا التعلق بهما فى كل حالة وان فعلا معه فعلا يخالف غرضه فلا يعتقد غشهما بل يعتقد انهما يريدان له الخير فتراه يفتخر بكفايتهما وكفالتهما فضلا عن الجزع والشكوى الدرجة (الثانية وهى أقوى) من الاولى (أن يكون حاله مع الله كحال الطفل فى حق أمه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى أحد سواها ولا يعتمد الا اياها فاذا رآها تعلق فى كل حال بذيلها) وتشبث به (ولم يخلها) تذهب ولا تجيء (وان نابه أمر فى غيبتها كان أول سابق على لسانه يا أماه) يستغيث بها لما يعلم من شفقتها عليه (وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فانها مفزعه فانه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليس خاليا عن نوع ادراك بالتمييز الذى له ويظن انه طبع) فيه (من حيث ان الصبى لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلقين لفظه ولا على احضاره مفصلا فى ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان باله الى الله عز وجل ونظره اليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبى بأمه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على أمه) والى هذه الدرجة أشار من قال المتوكل كالطفل لا يعرف شيأ يأوى اليه الا ثديى أمه كذلك المتوكل لا يهتدى الا الى ربه عز وجل نقله القشيرى وجعل الكمال محمد بن اسحق هذه الدرجة أن يكون فى قوة اعتماده كرجل له كنز لا ينفد فلا يعرف طريق غيره فلا يسأل عن غنى هذا وقوة اعتماده قال

والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه وأما الاول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله لان له التفاتا الى توكله وشعوره به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه قال ترك الاماني قيل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ أوسطه * (الثالثة) * وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى للحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كلا يحدث جبرا فيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل هو مثل صبي علم انه وان لم يزعق بأمه فالام تطلبه وانه وان لم يتعلق بذيل أمه فالام تحمله وان لم يسألها اللبن فالام تفاتحه وتسقيه وهذا المقام والتوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء أفضل مما يسئل فكم من نعمة ابتدأها قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم أن ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث أعزها والاول أقرب الى الإمكان ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض كما أن انبساط الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض

وهذه أقوى من الاولى (والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط ولا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله أي له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة أشار) أبو محمد (سهل) رحمه الله تعالى (حيث سئل عن التوكل ما أدناه قال ترك الاماني) على الله أي فلا يتمنى على الله شيأ نظرا الى ثقته (قال) وما (أوسطه قال ترك الاختيار) لله تعالى (وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ أوسطه) ولفظ القوت قيل وما أعلاه قال لا يعرف الا أن من توسط التوكل وترك الاختيار أعطى فذكر كلاما انتهى ولعل عدم ذكره نظرا الى حال السائل فانه لم يكن ممن يخبر بذلك والا فقد قال سهل بنفسه أول مقام في التوكل كذا وكذا وأشار الى الدرجة (الثالثة) وهو في سياق المصنف (وهي أعلاها) أن (يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه) في حال (الا أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت) يمينا وشمالا (وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى للحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كان يحدث جبرا فيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه) وهذا بعينه مفاد قول سهل رحمه الله تعالى قال القشيري قال سهل بن عبد الله أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير وقال صاحب القوت وقد كان سهل يقول تلقي نفسك في اللج وتحت جريان الحكم وقال مرة تكون بين يديه مثل الميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء وأنشدت لبعضهم

ولما رأيت القضاء جاريا * لا شك فيه ولا مرية
توكلت حقا على خالقي * وألقيت نفسي مع الجرية

(ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى أمه ويصيح) باسمها (ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها) حيث مشت (بل مثال هذا مثال صبي علم انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه وان لم يتعلق بذيل أمه فالام تحمله وان لم يسألها اللبن فالام تفاتحه وتسقيه) وجعل الكمال محمد بن اسحق هذه الدرجة الثالثة أن يكون في قوة اعتماده وعدم اضطرابه كرجل غذاؤه بين يديه وهو يتناول منه فان طمأنينته أكثر من الاول والثاني (وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء أفضل مما يسئل فكم من نعمة ابتداها قبل السؤال والدعاء وقبل الاستحقاق) لها وانما يثمر ذلك لانه مدهوش فرح بوجود الرازق عن الرزق بل هو رزقه وبه حياته (والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط) وقد أشار الى كل من المقامين كلام الصوفية في حد التوكل (فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان ذلك ليس بمحال) بل وجدانها ممكن (ولكنه عزيز نادر) الوقوع (والمقام الثاني والثالث أعزها) وأقلها (والاول أقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه) وثباته (أبعد منه) أي أكثر بعدا من وجدانه (بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه) للسالك (الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب الى الحول والقوة والاسباب) الظاهرة (طبع) مركوز فيه (وانقباضه) عنه أمر (عارض) والعارض سريع الزوال (كما أن انبساط الدم الى جميع الاطراف) من البدن (طبع وانقباضه عارض) يكون تارة وتارة

(والوجل

والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى تنمحي عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذا انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم وأما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأسا مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار اليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته بان يقول له لست أتكلم الا في حضورك فيشتغل لامحالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله وأما المعلوم من عادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم الا من السجل فتمام توكله ان كان متوكلا عليه أن يكون معولا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاها

(والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى تنمحي عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذا انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم وأما المقام الثاني) فانه (يشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول) والحاصل أن عزة وقوع تلك الاحوال لضرورة مادة البشرية والدرجة يجب اكتسابها بأسبابها عند هجوم النفس على الاسباب المحرقة لدواعي الحاجات ولو قام الخلق كلهم بهذا القدر من الواجب من التوكل فضلا عن المستحب للزمهم الاجمال والاقتصاد في الطلب ولم ير في الدنيا شرطي ولا مكاس ولكن الله يفعل مايشاء ويحكم ما يريد (فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأسا مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت) مدهوشا فرحا بالرازق عن الرزق (والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع) والالتجاء (الى الله تعالى بالدعاء) والتضرع (والابتهال) وهو (كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار اليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته فانه يقول له لست أتكلم الا في حضورك فيشتغل لامحالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله عليه) في تلك الخصومة (اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله) فهذا ما يعرفه باشارته الصريحة (وأما المعلوم من عادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم الا من السجل) وهو الدفتر المكتوب فيه أصل المعاملة أو الوثيقة التي أثبت فيها أصل ما يتخاصمون عليه (فتمام توكله ان كان متوكلا عليه أن يكون معولا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاها وهو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذا لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيأ من ذلك كان نقصانا في توكله فكيف يكون فعله نقصانا فيه نعم بعد ان حضر وفاء باشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لا يفزع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق الا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تأملت هذا اندفع عنك كل اشكال) في التوكل وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كان كل تدبير وعمل لا يجوز أيضا مع التوكل بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله في الاعمال) قريبا (فاذا فزع المتوكل

وهو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذا لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيأ من ذلك كان نقصانا في توكله فكيف يكون فعله نقصانا فيه نعم بعد أن حضر وفاء باشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لا يفزع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق الا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تأملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أيضا مع التوكل بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله في الاعمال فاذا فزع المتوكل

الى حوله وقوته فى الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضا بلا جدوى فاذا لا يصير مفيدا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله معتمد الحاجته عرفه ذلك باشارته وسنته فاذا لا حول ولا قوة الا بالوكيل الا أن هذه الكلمة لا يكمل معناها فى حق الوكيل لانه ليس خالقا حوله وقوته بل هو جاعل لهما مفيدين فى أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله وانما يصدق ذلك فى حق الوكيل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق فى التوحيد وهو الذى جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد فاذا لا حول ولا قوة الا بالله حقا وصدقا فمن شاهد هذا كله كان له الثواب العظيم الذى وردت به الاخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة الا بالله وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بمفهوم لفظها وهيهات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التى ذكرناها فى التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله وثوابها كنسبة معنى احداهما الى الاخرى اذ فى هذه الكلمة اضافة شيئين الى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة وأما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة الكل اليه فانظر الى التفاوت بين الكل و بين شيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا وكذا ذكرنا من قبل أن للتوحيد قشرين ولبين فكذلك لهذه الكلمة ولسائر الكلمات وأكثر الخلق قيدوا بالقشرين وما طرقوا الى اللبين والى اللبين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله صادقا

الى حوله وقوته فى الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا ولعبا) وفى نسخة تعبا (محضا بلا جدوى) أى فائدة (فاذا لا يصير مفيدا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله معتمد الحاجته وعرفه ذلك باشارته وسنته فاذا لا حول ولا قوة الا بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا يكمل معناها فى حق الوكيل) فى الخصومة (لانه ليس خالقا حوله وقوته بل هو جاعل لهما مفيدين فى أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله وانما يصدق ذلك فى حق الوكيل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق فى التوحيد وهو الذى جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما سيلحقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد) قال المصنف فى المقصد الاسنى الوكيل هو الموكول اليه الامر ولكن الموكول اليه ينقسم الى من يوكل اليه بعض الامور وذلك ناقص والى من يوكل اليه الكل وليس ذلك الا الله والموكول اليه ينقسم الى من يستحق أن يكون موكولا اليه لا بذاته ولكن بالتوكيل والتفويض وهو ناقص لانه فقير الى التفويض والتولية والى من يستحق لذاته أن تكون الامور موكولة اليه والقلوب متوكلة عليه لا بتولية ولا تفويض من جهة غيره وذلك هو الوكيل المطلق والوكيل أيضا ينقسم الى من يفى بما وكل اليه وفاء تاما من غير قصور والى من لا يفى بالجميع والوكيل المطلق هو الذى الامور موكولة اليه وهو ملىء بالقيام بها وفى باتمامها وذلك هو الله تعالى فقط (فاذا لا حول ولا قوة الا بالله حقا وصدقا فمن شاهد هذا كذلك كان له الثواب العظيم الذى وردت به الاخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة الا بالله) منها ما رواه الحاكم من حديث أبى هريرة من قال لا حول ولا قوة الا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم ورواه ابن أبى الدنيا فى الفرج وابن النجار نحوه وروى الطبرانى وابن عساكر من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رفعه لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة من قالها أذهب الله عنه سبعين بابا من الشر أدناها الهم وعند البيهقى من حديث أبى هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا بالله لا ملجأ من الله الا اليه وفى رواية له ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة تقول لا حول ولا قوة الا بالله فيقول الله أسلم عبدى واستسلم ورواه الحاكم كذلك ورواه مسلم بلفظ ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا بالله وقد رواه البخارى من حديث أبى موسى الاشعرى وقد روى من حديث قيس بن سعد بن عبادة بلفظ ألا أدلك على باب من أبواب الجنة لا حول ولا قوة الا بالله رواه أحمد والترمذى وقال حسن صحيح غريب وابن سعد والحاكم والطبرانى والبيهقى ورواه أحمد أيضا من حديث معاذ مثله وروى عبد بن حميد والطبرانى من حديث زيد بن ثابت ألا أدلكم على كنز من كنوز الجنة تكثرون من لا حول ولا قوة الا بالله وروى الطبرانى من حديث أبى أيوب ألا أعلمك يا أبا أيوب كلمة من كنز الجنة أكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فى أخبار أخر تقدم ذكرها فى كتاب الدعوات (وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بمفهوم لفظها وهيهات فان ذلك جزاء) مرتب (على هذه المشاهدة التى ذكرناها فى التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله كنسبة معنى أحدهما الى الآخر اذ فى هذه الكلمة اضافة شيئين الى الله تعالى فقط وهما الحول والقوة) ونفيهما عن غيره تعالى (واما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة الكل اليه) فلا معبود الا هو ولا مقصود الا هو ولا موجود الا هو (فانظر الى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا وكما ذكرنا من قبل ان للتوحيد قشرين) الاعلى والاسفل (ولبين) الخارج والداخل (فكذلك لهذه الكلمة ولسائر الكلمات) قشران ولبان (وأكثر الخلق قيدوا بالقشرين) لقصورهم فى هممهم (وما طرقوا الى اللبين والى اللبين الاشارة بقوله) صلى الله عليه وسلم (من قال لا اله الا الله

صادقا من قلبه مخلصا أوجبت له الجنة وحيث أطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص أراد بالمطلق هذا المقيد كما أضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح فى بعض المواضع وأضافها الى مجرد الايمان فى بعض المواضع والمراد به المقيد (٤٦٧) بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث

وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضا حديث ولكنه حديث نفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم المخلصون نعم لمن يقرب منهم فى الرتبة من أصحاب اليمين أيضا درجات عند الله تعالى وان كانت لا تنتهى الى الملك أما ترى أن الله سبحانه لما ذكر فى سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى أصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه والاشجار والحور العين وكل ذلك من لذات المنظور والمشروب والمأكول والمنكوح ويتصور ذلك للبهائم على الدوام وأين لذات البهائم من لذة الملك والنزول فى أعلى عليين فى جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة أفترى ان أحوال البهائم وهى مسيبة فى الرياض متنعمة بالماء والاشجار وأصناف المأكولات متمتعة بالنزوان والسفاد أعلى وألذ وأشرف وأجدر بان تكون عند ذوى الكمال مغبوطة من أحوال الملائكة فى سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين فى أعلى عليين هيهات هيهات ما أبعد عن التحصيل من اذا خير بين أن يكون حمارا أو يكون فى درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وليس يخفى أن شبه كل شئ منجذب اليه

صادقا مخلصا من قلبه وجبت له الجنة) قال العراقى رواه الطبرانى من حديث زيد بن أرقم وأبو يعلى من حديث أبى هريرة وقد تقدم قلت حديث زيد بن أرقم عند الطبرانى وفيه مخلصا دون صادقا وفيه دخل الجنة وفى آخره قيل وما اخلاصها قال ان تحجزه عن محارم الله ورواه كذلك الحكيم وأبو نعيم فى الحلية ورواه ابن النجار من حديث أنس مثله وفيه بعد قوله الجنة قيل أفلا أبشر الناس قال انى أخاف أن يتكلوا ورواه البزار والطبرانى فى الاوسط من حديث أبى سعيد بدون تلك الزيادة وكذلك رواه الطبرانى من حديث أبى شيبة الخدرى وقد تقدم كل ذلك فى الدعوات ومعنى الاخلاص بلا اله الا الله عند المخلصين بها أن يشهدوا أن لا نافع ولا ضار ولا معطى ولا مانع الا الله ولا هادى ولا مضل الا الله كما أنه لا اله الا الله هذا عندهم فى قرن واحد وبمشاهدة واحدة وهو أول التوحيد وان كان قد جعل هادين ومضلين كما جعل معطين ومانعين ولكن من بعد اذنه حقيقة ومشيئته وقدرته وحكمته (وحيث أطلق من غير الصدق والاخلاص) كما فى حديث سلمة بن نعيم الاشجعى عند الطبرانى فى الاوسط من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق (أراد بالمطلق المقيد) بالوصفين (كما أضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح فى بعض المواضع وأضاف الى مجرد الايمان فى بعض المواضع والمراد به) الايمان المقيد (بالعمل الصالح) فكذلك هنا (فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضا ولكنه حديث نفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما) أى حركة اللسان وحديث النفس (ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم المخلصون) فى أعمالهم الصادقون فى أقوالهم (نعم لمن يقرب منهم فى الرتبة من اصحاب اليمين أيضا درجات عند الله تعالى) متفاوتة (وان كان لا ينتهى الى الملك أما ترى ان الله سبحانه لما ذكر فى سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال) والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين (على سرر موضونة) أى منسوجة بالذهب مشتبكة بالدر والياقوت (متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى) ذكر (أصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه والاشجار والحور) فقال وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة (وكل ذلك لذات المنظور والمشروب والمأكول والمنكوح ويتصور ذلك للبهائم على الدوام وأين لذات البهائم من لذات الملك والنزول فى أعلى عليين فى جوار رب العالمين) وقيل لما شبه حال السابقين فى التنعم بأكمل ما يتصور لاهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه أهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين (ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة أفترى ان أحوال البهائم وهى مسيبة) أى مطلقة (فى الرياض متنعمة بالماء والاشجار وأصناف المأكولات متمتعة بالنزوان والسفاد) وهو الركوب على الاناث (أعلى وألذ وأشرف وأجدر بان تكون عند ذوى الكمال مغبوطة من أحوال الملائكة فى سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين فى أعلى عليين فهيهات هيهات ما أبعد عن التحصيل من اذا خير بان يكون حمارا أو يكون فى درجة جبريل فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وهل يخفى ان شبه كل شئ منجذب اليه) وهو قول سائر مشهور على الالسنة ومعناه يؤخذ من حديث الارواح جنود مجندة ومن قول الشعبى ان لله ملكا موكلا يجمع الاشكال بعضها على بعض وقد أكثر فيه الشعراء وضمنوا هذه الجملة وصرفوها الى معان كثيرة مدحا وذما وأعجبها ما أنشدنى بعضهم فى الذم

رأيت النخل يطرح كل قحف * وذاك الليف ملتف عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

وان النفس التي نزوعها الى صنعة الاساكفة أكثر من نزوعها الى صنعة الكتابة فهو بالاساكفة أشبه في جوهره منه بالكتاب وكذلك من نزوع نفسه الى نيل لذات البهائم أكثر من نزوعها الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم أشبه منه بالملائكة لامحالة وهؤلاء هم الذين يقال فيهم أولئك كالانعام بل هم أضل وانما كانوا أضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة وتركها الطلب للعجز وأما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل الكمال أحرى بالذم وأجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال واذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قول لا اله الا الله ومعنى قول (٤٦٨) لاحول ولاقوة الا بالله وأن من ليس قائلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل فان قلت ليس في قولك لاحول ولاقوة الا بالله الانسبة شيئين الى الله فلو قال قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فأقول لالان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة ان جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الامور بعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم أن الارض والسماء ليستا من جهة الآدميين بل هما من خلق الله تعالى فاما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعي انه يدقق النظر في الرأي والمعقول حتى يشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون اذ أثبتوا لانفسهم أمرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه (اعلم

فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قوله لاحول ولاقوة الا بالله وقد ذكرنا انه ليس في التوحيد الاعقبتان احداهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر وسائر الجمادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرهما وبقطعهما كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل ان شاء الله تعالى *(بيان ماقاله الشيوخ في أحوال التوكل)*

(وان النفس التي نزوعها الى صنعة الاساكفة أكثر من نزوعها الى صنعة الكتابة فهو بالاساكفة أشبه في جوهره منه بالكتاب وكذلك من نزوع نفسه الى نيل لذات البهائم أكثر من نزوعه الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم أشبه منه بالملائكة لامحالة وهؤلاء الذين يقال فيهم أولئك كالانعام بل هم أضل) شبههم بالانعام لما في قصوى هممهم الميل الى اللذات الحسية التي تزول سريعا ثم قال بل هم أضل (وانما كانوا أضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة وتركها الطلب للعجز) لما فيها من النقص في الادراك (واما الانسان ففي قوته ذلك) لانه خلق بهيميا ملكيا فهو مرتبة بين مرتبتين (والقادر على نيل الكمال أحرى بالذم وأجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال) لانه ترك ماهو قادر عليه وتقدم انشاد قول الشاعر

ولم أر في عيوب الناس عيبا * كنقص القادرين على التمام

(واذا كان هذا كلاما معترضا) بين كلامين سيق لادنى مناسبة (فلنرجع الى المقصود) المهم فيما نحن فيه (فقد بينا معنى قول لا اله الا الله) في التوحيد (ومعنى لاحول ولاقوة الا بالله) قريبا (ومن ليس قائلا بهما عن مشاهدة) معنيهما (فلا يتصور منه حال التوكل فان قلت ليس في قولك لاحول ولاقوة الا بالله الانسبة شيئين الى الله) تعالى وهما الحول والقوة (فلو قال قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فأقول لالان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين) في المعنى الباطن (ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة وان جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الامور بعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم أن الارض والسماء ليس من جهة الآدميين بل هو من خلق الله تعالى فاما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة) وهم أهل اليونان (وطوائف كثيرة) من الطبائعيين والحكماء (ممن يدعي انه يدقق النظر في الرأي والمعقول حتى يشق الشعر) بنصفين (بحدة نظره) ودقة فكره (فهي مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون) عن أسرار النقول (اذ أثبتوا لانفسهم أمرا) زاعمين بذلك تنزيه البارى عما لايليق (وهو) في الحقيقة (شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله تعالى) فأي مزلة أعظم من هذه (فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت طريقته فهو الذي يصدق قوله لاحول ولاقوة الا بالله وقد ذكرنا) قريبا (انه ليس في التوحيد الاعقبتان احداهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر وسائر الجمادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرهما وبقطعهما كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها) وتفسيرها وبيانها (فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق) وهكذا عبر به عنه بعض الشيوخ (وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل ان شاء الله تعالى) والله الموفق بكرمه

(الفصل الثاني في بيان ماقاله الشيوخ في أحوال التوكل)

ليتبين أن شيأ منها الا يخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال أبو موسى الديلى قلت لابى يزيد ما التوكل فقال ما تقول
أنت قلت ان أصحابنا يقولون لو أن السباع والافاعى عن يمينك و يسارك ما تحرك لذلك سرك فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان أهل
الجنة فى الجنة يتنعمون وأهل النار فى النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة (٤٦٩) التوكل فما ذكره أبو موسى فهو خبر
عن أجل أحوال
التوكل وهو المقام الثالث
وما ذكره أبو يزيد عبارة
عن أعز أنواع العلم الذى
هو من أصول التوكل
وهو العلم بالحكمة وان
ما فعله الله تعالى فعله
بالواجب فلا تمييز بين
أهل النار وأهل الجنة
بالاضافة الى أصل العدل
والحكمة وهذا أغمض
أنواع العلم ووراءه سر
القدر وأبو يزيد قلما
يتكلم الا عن أعلى
المقامات وأقصى الدرجات
وليس ترك الاحتراز عن
الحياة شرطا فى المقام
الاول من التوكل فقد
احترز أبو بكر رضى
الله عنه فى الغار اذ سد
منافذ الحيات الا أن يقال
فعل ذلك برجله ولم يتغير
بسببه سره أو يقال انما
فعل ذلك شفقة فى حق
رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا فى حق نفسه وانما
يزول التوكل بتحرك سره
وتغيره لامر يرجع الى
نفسه وللنظر فى هذا المجال
ولكن سيأتى بيان ان
أمثال ذلك وأكثر منه
لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق المتوكل أن يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله فان
احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته فى الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصرى عن التوكل فقال
خلع الارباب وقطع الاسباب فخلع الارباب اشارة الى علم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان
اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا

(اعلم) وفى نسخة ليتبين (ان شيأ منها الا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال أبو موسى الديبلى) هكذا فى النسخ وهو يحتمل أن يكون بفتح الدال وكسر الموحدة نسبة الى دبيل الرملة قرية بها أو هو بفتح الدال وياء تحتية ساكنة وباء موحدة مضمومة الى الديبل مرسى من مراسى السند وقد نسب الى كل منهما جماعة من أهل العلم ولم أجد لابى موسى ترجمة (قلت لابى يزيد) يعنى البسطامى قدس سره (ما التوكل فقال ما تقول فيه أنت قلت ان أصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعى) أى الحيات (عن يمينك و يسارك) أى وغيرهما (ما تحرك لذلك سرك) لقوة اليقين بالله والاعتماد عليه (فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان أهل الجنة فى الجنة يتنعمون وأهل النار فى النار يعذبون ثم وقع بك) وفى نسخة لك (تمييز عليهما) وفى نسخة بينهما أى بان ميزت أحدهما عن الآخر يعنى اخترت لنفسك شيأ (خرجت من جملة التوكل) لان الاعتماد على الله تعالى ينافى أن تنسب لنفسك فعلا لانك لا تعلم مصلحتك فى أى جهة لا فى النعيم ولا فى العذاب فلا يليق بك تمييز ولا اختيار وذكر نعيم الجنة وعذاب النار لانهما أشد من غيرهما والا فليسا بمرادين بل المراد مطلق النعيم والعذاب ولفظ القشيرى فى الرسالة وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا عبد الله السيروانى يقول سمعت أبا موسى الديبلى يقول قيل لابى يزيد ما التوكل فقال لى ما تقول أنت فيه والباقى سواء وهذا يدل على أن السائل له على التوكل غير أبى موسى (فما ذكره أبو موسى فهو خبر عن أجل أحوال التوكل) وأعلاها (وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذى هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة) الالهية (وان ما فعله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالاضافة الى أصل القول بالعدل والحكمة ووراءه سر القدر) الذى نهى عن كشف سره وهذا السياق مؤيد لمقالته التى تقدم ذكرها (وأبو يزيد) قدس سره (قلما يتكلم الا من أعلى المقامات وأقصى الدرجات) لعلو حاله وتمكنه فى مقامه (وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرطا فى المقام الاول من التوكل فقد احترز أبو بكر رضى الله عنه فى الغار) الذى بجبل ثور (اذ سد منافذ الحيات) بقطع من ردائه (الا أن يقال فعل ذلك بيده) وفى نسخة برجله (ولم يتغير بسبب ذلك سره) أى باطنه (أو يقال انما فعل ذلك شفقة فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم) عزاه رزين للنسائى ورواه ابن الجوزى فى الوفاء وقد تقدم الكلام عليه (لا فى حق نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره) وتغيره (لامر يرجع الى نفسه وللنظر فى هذا مجال) أى لان مقام الصديق يقتضى التبرى من الحركة مطلقا الا أن يقال ان ذلك كان فى مبادى سلوكه قبل أن يتشرف بمقام الصديقية (ولكن سيأتى ان أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق المتوكل أن يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله فان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته فى الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصرى) قدس سره (عن التوكل فقال) هو (خلع الارباب) وهو ما سوى الله تعالى بما لك القاب عادة و يكون مسخر الله بمنزلة العبد (وقطع) الاعتماد على (الاسباب) الظاهرة والباطنة بحيث لا يبقى له معتمد سوى الله تعالى (وخلع الارباب اشارة الى علم التوحيد) فان من اتخذ غير الله ربا لم يوحده (وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال) فقد أشار الى العلم الذى هو أساس التوكل والعمل الذى هو ثمرته (وليس فيه تعرض صريح للحال) الذى من نتائج الاعمال (وان كان اللفظ يتضمنه) فتكون دلالته عليه بالالتزام (قيل له زدنا) فى البيان بعبارة

أخرى ليفهم (فقال القاء النفس فى) أحكام (العبودية) بان يكون دائما مشتغلا بما أمر به ونهى عنه (واخراجها) من دعوى (الربوبية) وسلبها عنها (وهذا اشارة الى التبرى من الحول والقوة فقط) فانه مالم يتبرأ منهما لم يتصف بالعبودية المحضة وهو تفسير باللازم نظرا الى فهم المخاطب ولفظ القشيرى وسمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت سعيد بن أحمد بن محمد يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد ابن عثمان الخياط يقول سمعت ذا النون المصرى وسأله رجل فقال ما التوكل فقال فساقه (وسئل) أبو صالح (حمدون) بن أحمد بن عمارة القصار رحمه الله تعالى (عن التوكل) ماهو (فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن أن تموت و يبقى ذلك فى عنقك) فعجل قضاءه ولا تغتر بكثرة مالك (ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضها) وفى نسخة أن يقضيه (عنك) فاعتمد على الله وحسن ظنك به ولا تيأس أن يقضى عنك ماعليك أورده القشيرى فقال وسمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله بن محمد المعلم يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول سمعت حمدون وسئل عن التوكل فساقه (وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان فى المقدورات أسبابا خفية) لا يطلع عليها (سوى هذه الاسباب الظاهرة) فمفاد قول حمدون ان التوكل عبارة عن الاعتماد على الله وحسن الظن به وعدم اليأس عن روحه وهذا المعنى أقرب مما أشار اليه المصنف (وسئل أبو عبد الله) محمد بن أحمد (القرشى) ترجمه القوصى فى الوحيد (عن التوكل) ماهو (فقال) هو (التعلق بالله تعالى فى كل حال) والمراد به الاعتماد عليه (فقال السائل زدنى) فى البيان (فقال) هو (ترك) الاعتماد على (كل سبب) ولو لم يباشر المطلوب بل كان (يوصل الى سبب) آخر يباشر المطلوب (حتى يكون الحق) تعالى (هو المتولى لذلك) فيصرفك كيف يشاء هكذا أورده القشيرى (فالاول عام فى المقامات الثلاث) اذ التعلق بالله لابد منه فى كل منها (و) الجواب (الثانى اشارة الى المقام الثالث) الذى هو أعلى الثلاثة وهذا يدلك على أن المشايخ مما يجيبون فيما يسألون على قدر مقام السائلين فانه فى الاول أجاب بما يعم الثلاث فلما استزاده وتفرس فيه القوة أجاب بما هو أخص وأعلى ويحتمل أن يقال انه أجاب أولا بحقيقة التوكل وعبر عنه بالتعلق بالله خاصة فاستزاده بما يثبت له هذا المقام فأجاب أن اترك الاسباب تصل الى ذلك وفى ترك الاسباب كلام يأتى فيما بعد (وهو مثل توكل ابراهيم عليه السلام اذ قال له جبريل عليه السلام ألك حاجة) وهو مكتف مربوط فى كفة المنجنيق بين السماء والارض يهوى الى نار وقد تأججت (فقال اما اليك فلا) فأعرض عنه وتعلق بالله (اذ كان سؤاله سببا يفضى الى سبب وهو حفظ جبريل له) عن السقوط فى النار (فترك ذلك ثقة بان الله تعالى ان أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك وهذا حال مبهوت) مدهوش (غائب عن نفسه بالله تعالى) أى فيه (فلم ير معه غيره لفنائه فيه عنه وهو حال عزيز فى نفسه ودوامه ان وجد) فى السالك (أبعد منه وأعز) وهو منتزع من سياق القشيرى قال سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن جعفر بن محمد يقول سمعت أبابكر البرذعى يقول سمعت أبايعقوب النهرجورى يقول التوكل على كمال الحقيقة ماوقع لابراهيم عليه السلام فى الوقت الذى قال لجبريل عليه السلام اما اليك فلا لانه غابت نفسه بالله فلم ير مع الله غيره اهـ وقد تقدم للمصنف نحو ذلك فى الفناء فى التوحيد وقال صاحب القوت سئل الامام أحمد عن التوكل فقال هو قطع الاستشراف بالاياس عن الخلق قيل له فالحجة فيه قال ابراهيم عليه السلام قال له جبريل ألك حاجة قال اليك لا قال فسل من لك اليه حاجة فقال أحب الامرين الى أحبهما اليه هكذا ذكره أحمد فكأنه جعل التوكل التفويض والرضا بجريان الاحكام من غير مسئلة ولا اعتراض وهذا لعمرى هو حال المتوكلين (وقال أبو سعيد) أحمد بن عيسى (الخراز) المتوفى سنة ٢٧٧ (التوكل) هو (اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب) نقله القشيرى (ولعله يشير الى المقام الثانى فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به) واعتماده

فقال القاء النفس فى العبودية واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبرى من الحول والقوة فقط وسئل حمدون القصار عن التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك فى عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان فى المقدورات أسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسئل أبو عبد الله القرشى عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى فى كل حال فقال السائل زدنى فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك فالاول عام للمقامات الثلاث والثانى اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذ قال له جبريل عليه السلام ألك حاجة فقال أما اليك فلا اذ كان سؤاله سببا يفضى الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بان الله تعالى ان أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم ير معه غيره وهو حال عزيز فى نفسه ودوامه ان وجد أبعد منه وأعز وقال أبو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير الى المقام الثانى فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به

عليه

عليه (واضطرابه بلاسكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيدنه الى أمه وسكون قلبه الى تمام شفقتها) والذى فهمته من قول أبي سعيد انه أشار بقوله ذلك الى أن ترك الاسباب ليس من التوكل فى شئ وانما القصد عدم سكون القلب اليها بحال فهذا هو معنى قوله اضطراب بلاسكون ثم بعد مباشرته لها ان تغيرت فلا يضطرب لذلك بل يديم سكون قلبه الى مسببها اه يؤيده ما قال سهل فيما نقله القشيرى التوكل حال النبى صلى الله عليه وسلم والكسب سنته فمن بقى على حاله فلا يتركن سنته اه أى يكون السابق لقلبه سكونه الى الله تعالى بلا اضطراب فى التعلق بالاسباب فأشار به الى تمام التوكل الذى هو عدم الركون الى الاسباب وقطع علاقة القلب بها فيكون حال قلبه قيامه بالله لابها فلا يقوم عبودية الاسباب الا على ساق التوكل ولا يقوم ساق التوكل الا على قدم العبودية فأراد بالاضطراب الاول الضرب فى الارض للتكسب ان كان معيلا وأراد بالاضطراب الثانى وهو المنفى تعلق القلب وان شئت قلت التوكل هو اضطراب بلا اضطراب أو هو سكون بلاسكون ويراد بالسكون الاول التعلق بالسبب وبالثانى سكون القلب وكلام أبى سعيد من أبدعه وأحسنه وما شرحناه به أقعد مما أشار اليه المصنف والله أعلم (وقال أبو على) الحسن بن على (الدقاق) النيسابورى شيخ القشيرى (للمتوكل من حيث هو ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض) وكل من الاخير بن أعلى مما قبله كما أفاده سياقه هنا (فالمتوكل يسكن الى وعده تعالى بقوله ومامن دابة) فى الارض الاعلى الله رزقها وله اختيار (والمسلم يكتفى بعلمه تعالى بحاله فانه يعلم ماهو فيه (وصاحب التفويض يرضى بحكمه) تعالى أى بكل ما يجرى به الله تعالى عليه وافق غرضه أو خالفه ولا اختيار لهما لانهما سلما وفوضا الامور اليه تعالى يفعل بهما ماهو صلاح لهما نقله القشيرى سماعا عنه (وهذا اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شئ من ذلك) وظاهر هذا تفضيل مقام التسليم على التوكل والتفويض وسيأتى فى التنبيه ما يؤيد ذلك ويؤيد ما شرحناه قول القشيرى بعده وسمعته يعنى الدقاق يقول التوكل بداية والتسليم وسائط والتفويض نهاية اه أى ان التوكل اعتماد والتسليم راحة ورقاد والتفويض رضا بجريان الاحكام قال وسمعته أيضا يقول التوكل صفة المؤمنين والتسليم صفة الاولياء والتفويض صفة الموحدين والتوكل صفة العوام والتسليم صفة الخواص والتفويض صفة خاص الخاص وقال أيضا التوكل صفة الانبياء والتسليم صفة ابراهيم عليه السلام والتفويض صفة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال الكمال أبو بكر محمد بن اسحق فى مقاصد المنجيات والتوكل مع شرفه منخفض الرتبة عن التفويض والتسليم لان غايته جلب النفع ودفع الضر والتفويض والتسليم ينشآن عن ملاحظة علم الله وحكمته وتقديره للاشياء فى ازلها وحقيقتهما الانقياد والاذعان للامر والنهى وترك الاختيار فى الفعل بل فى جملة ما حكم الله به وقضى لان المنفعة التى يطلب المتوكل جلبها والمضرة التى يطلب دفعها قد ينعكسان فتكون المضرة منفعة والمنفعة مضرة ولذلك علمنا الله ربنا وخالقنا التفويض والتسليم وترك الاختيار بقوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فنسب ذلك الى علمه وأثبته لنفسه وسلبه عنا بقوله وأنتم لا تعلمون (وللشيوخ فى التوكل أقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطيل به فان الكشف) عن الحقائق (أنفع من الرواية والنقل) المجرد (فهذا ما يتعلق بحال التوكل) ولا بأس أن نورد ما قاله الشيوخ ولاسيما فى بعض ما قالوه لحقيقة التوكل وفى بعضه اشارة الى أعلى مقاماته ومعرفة ذلك مهمة فنقول قال صاحب القوت قال بعض العارفين لما سئل عن حقيقة التوكل هو الفرار من التوكل أى يتوكل ولا ينظر الى توكله انه لاجله يكفى أو يعافى أو يوفى فجعل نظره الى توكله علة فى توكله يلزمه الفرار منها حتى يدوم نظره الى الوكيل وحده بلا خلل ويقوم له بشهادة منه بلاملل ولا يكون بينه وبين الوكيل شئ ينظر اليه أو يعول عليه أو يدل به حتى التوكيل أيضا الذى هو طريقه وقد عبرت طائفة من أهل المعرفة عن هذا المعنى بعبارات فقال أبو تراب النخشبى التوكل طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية وقال الزقاق التوكل رد العيش الى يوم واحد

واضطرابه بلاسكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيدنه الى أمه وسكون قلبه الى تمام شفقتها وقال أبو على الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفى بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذا اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شئ من ذلك وللشيوخ فى التوكل أقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بها فان الكشف أنفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل والله الموفق برحمته ولطفه

واسقاط هم غد وقال غيره التوكل هو الجمود تحت الموارد وكان بعض أشياخنا اذا سئل عن التوكل أجاب عنه
بعين الحقيقة فيقول هو أن تكون مع الحق كما لم تكن فان الحق الآن كما لم يزل وقال الجريرى التوكل معاينة
الاضطرار أى يكون بضاعته عند مولاه الافلاس وحاله فى الاعمال الاياس وقال سهل التوكل هو التبرى من الحول
والقوة وقال غيره هو عدم الاهتمام بما فقد كفى كالايهتم الصحيح بالدواء اذا عوفى وكان الحسن يقول التوكل هو
الرضا وهو اشارة الى أعظم ثمراته وقيل هو تسليم الاقدار كلها للقادر واعتقاد أن جميعها قضاؤه وقدره وهو اشارة
الى القدر المفروض منه وقال ابن عطاء ليس التوكل لزوم الكسب ولاتركه انما التوكل طمأنينة فى القلب الى
النار وكذلك قال أبو عبد الله القرشى فى التوكل انما هو اطمئنان الى الله سرا وجهرا ورضى به كفيلا ونحوه قال
رويم انما التوكل الثقة بالله فى كل ماضمن فى حال وقال أبو موسى الديبلى التوكل هو أن يستوى عندك البادية
وباب الطاق وقال غيره التوكل استيلاء الوجد على اشارة وحذف التشرف الى الارفاق يعنى يغلب وجده اشارته
بقول أو همة فيشغله عن التفرغ الى غيره وقيل التوكل هو الكف عن الاغيار فى السر والعلانية والسكون الى
الخالق بلا واسطة وقال سهل التوكل هو التقوى واحتج بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فان المعنى اعبدوه بالتوكل
وقال مرة هو اظهار الفقر والفاقة اليه ووافقه فى ذلك أبو بكر محمد بن موسى الواسطى فقال التوكل هو قصد
الفاقة والافتقار وقال النهرجورى التوكل نسيان حظوظ النفوس وقال الخواص التوكل الاكتفاء بعلم الله
فيك من تعلق القلب بسواه وقال يحيى بن معاذ من حقيقة التوكل ترك العبد محابه لمحاب الله واختياره لاختيار الله
وتدبيره لتدبير الله بالغناء عن نفسه وبالنظر الى مجارى الاحكام والقدر وهذا اشارة الى المقام الثالث وقال أيضا
التوكل على ثلاث درجات ترك الشكاية والرضا والمحبة فترك الشكاية أن لايشكو ربه والرضا أن يرضى بما قسم له
والمحبة أن تكون محبته فى قضاء الله تعالى فأولها للصالحين والثانية للاولياء والثالثة للابدال وهذا اشارة الى
درجات البداية وأما توكل النبيين والصديقين فهو أن لايركن القلب الى سبب ولامخلوق ولاينظر الى مادون
الله نظرة وهو من عزائم التوكل قال وأخبرنى بعض الاشياخ عن أبى على الروذبارى انه قال التوكل على ثلاث
درجات الاولى منها اذا أعطى شكر واذا منع صبر والثانية المنع والعطاء عنده واحد والثالثة المنع مع الشكر أحب
اليه من اختياره وقال غيره التوكل على ثلاث درجات أولاها الصبر عند البلاء وأوسطها الشكر عند شهود البلاء
وآخرها الرضا بمجارى الاقدار والاحكام هذا ما انتقيته من كتاب قوت القلوب مع الاختصار وقد ذكر القشيرى
فى الرسالة بعض ماهو فى القوت فلنذكر مالم يذكره صاحب القوت قال حمدون التوكل هو الاعتصام بالله وقد
أشار بذلك الى عموم التوكل فى المقامات الثلاث وسئل يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلا فقال اذا رضى
بالله وكيلا وسئل ابن عطاء عن حقيقة التوكل فقال أن لايظهر فيك انزعاج الى الاسباب مع شدة فاقتك اليها ولا
تزول عن حقيقة السكون الى الحق مع وقوفك عليها وذكر القشيرى قول أبى تراب النخشبى السابق الا انه زاد
بعد قوله بالربوبية والطمأنينة الى الكفاية فان أعطى شكر وان منع صبر وقال ذو النون التوكل ترك تدبير
النفس والانخلاع عن الحول والقوة وانما يقوى العبد على التوكل اذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ماهو فيه
وقال سهل التوكل الاسترسال مع الله على مايريد وهذا اشارة الى مقام التسليم وفيه ترك الاختيار وقال غيره
التوكل أن يستوى عندك الاكثار والتقلل وهذا اشارة الى مقام من مقامات التوكل وقال ابن مسروق التوكل
الاستسلام لجريان القضاء والاحكام وهذا اشارة الى مقام التفويض وفيه ترك الاختيار وهو المقام الثالث
وقال أبو عثمان الحيرى التوكل الاكتفاء بالله مع الاعتماد عليه وهذا اشارة الى المقام الثانى وسئل الزقاق عن
التوكل فقال هو الاكل بلا طمع وهذا اشارة الى احدى أماراته. وقيل التوكل نفى الشكوك والتفويض الى
ملك الملوك أراد بنفى الشكوك قوة اليقين وأطلق التوكل على التفويض وهو أعلى منه لانه من ثمراته كما أن
اليقين من أصوله ففيه اشارة الى الاصل والثمرة وقيل التوكل الثقة بما فى يدى الله تعالى واليأس عما فى أيدى
الناس وهذا اشارة الى سبب التوكل الذى هو الاعتماد على الله لاعلى نفسه وقيل التوكل فراغ السر عن التفكر

في التقاضي في طلب الرزق وهذا اشارة الى ثمرة من ثمرات التوكل لا لنفسه فان من توكل على الله ولم يلتفت الى غيره من الاسباب استراح قلبه من هم الاكتساب وان أمر بالاكتساب *(تنبيه)* تقدم أن التوكل مع شرفه منخفض الرتبة عن التسليم والتفويض وهل التفويض أعلى مقاما أو التسليم فنهم من قال التفويض أعلى ومنهم من قال التسليم أعلى وعلى كل حال فالواجب على العبد لجهله أن يستخير الرب تعالى لعلمه وكمال قدرته فما للعبد العاجز الجاهل الا الذل والاذعان وترك الاختيار اذ لو فرضنا أن الله تعالى صب على عباده بلاء عريا عن المصلحة لكان يجب على العبد التسليم والاذعان لانه أحكم الحاكمين فقد قال صاحب القوت اعلم أن العلماء بالله لم يتكاهوا عليه لاجل أن يحفظ لهم دنياهم ولا لاجل تبليغهم رضاهم ومرادهم ولا ليشترطوا عليه حسن القضاء بما يحبون ولا ليبدل لهم جريان أحكامه عما يكرهون ولا ليغير لهم سابق مشيئته الى ما يعقلون ولا ليحول عنهم ما مضى من سنته التي قد خلت في عباده من الابتلاء والامتحان والاختبار الى ما يعملون هو أجل في قلوبهم من ذلك وهم أعقل عنه وأعرف به من هذا ولو اعتقد عارف بالله تعالى أحد هذه المعاني مع الله في توكله لكان كبيرة توجب عليه التوبة وكان توكله معصية وكان ما فات عليه من حقيقة التوحيد أشد عليه مما أدرك من توهم التوكل وانما أخذوا نفوسهم بالصبر على أحكامه كيف جرت وطالبوا قلوبهم بالرضا عنه باي معنى جرى اهـ فان قال قائل ان كانت الارادة قد خصصت الاشياء ووضعها في مراتبها والقدرة توجب ذلك بالضرورة في الوقت المقدر اذ من المحال أن تخصص الارادة شيأ ولا توجده القدرة على وفاق التخصص فما فائدة التوكل وقد قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فالجواب عن هذا كالجواب في مسألة الدعاء فكما أن الدعاء عبادة في نفسه فكذلك التوكل عبادة تعبدنا الله تعالى بها وهو والدعاء من جملة الاسباب التي رتب عليها مسبباتها ولذلك قال الله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم ومعلوم أن الله تعالى مولى المؤمنين والكافرين الا أن للمؤمنين ولاية خاصة سوى الولاية العامة بسبب توكلهم على مولاهم وكما أن الدعاء اذا وافق المشيئة حصل المدعو به بعينه وان لم يوافق المشيئة عوض عن المدعو المطلوب اضعافا فكذلك المتوكل يتوكل على الله في جميع أموره والرب تعالى تجرى عليه أحكامه التي سبقت بها مشيئته فان وافقت غرض المتوكل فهو الزبد بالشهد وان خالفت غرضه عوضه الله تعالى على توكله اضعاف ذلك ومن هنا قالوا ان التسليم أفضل درجات التوكل لابتنائه على أعز أنواع العلم والحكمة وهو الذي يشير اليه سياق المصنف فيما مضى كما نبهنا عليه آنفا والله أعلم

(الفصل الثالث في بيان أعمال المتوكلين)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال) فالعلم هو الاصل والعمل ثمرة الحال والحال يتبع العلوم والاعتقادات وقد تحزب الناس في ذلك أحزابا بين القائل بخلع الاسباب وبين القائل بالدخول فيها وبين المتوسط بطريق الاجمال في الطلب ولكل فريق وجه مع قصوره عن الاحاطة بمقاصد الشرع في وسائل العبادات من مقاصدها وقد شرع المصنف في شرح ذلك بذكر ضوابط المقاصد وافتقارها الى الاسباب واستغناء بعض المقاصد عن الدخول في الاسباب مع وجه الافضل في ذلك فقال (وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد أثنى على المتوكلين) ومدحهم كما في غير آية وغير حديث (فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين) وفي نسخة بمحظوراته (بل نكشف الغطاء عنه) بالتحقيق في ذلك (ونقول انما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد والسعي بعلمه) وفي نسخة بعمله (الى مقاصده وسعي العبد باختياره) لا يخلو (اما أن يكون لاجل جلب نافع وهو مفقود عنه كالكسب أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار أو لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع أو لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا يعدو) أي لا يجاوز (هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضار أو قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع)

(بيان أعمال المتوكلين) اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطاء عنه ونقول انما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما أن يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار أو لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع أو لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضار أو قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع

(الفن الاول) في جلب النافع فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه *الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما أن الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك اذا انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شبعا دون الخبز أو يخلق في الخبز حركة اليك أو يسخر ملكا ليمضغه

لك ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم أما العلم فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك وأما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتمادك على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه أو يبعث حية تزعجك من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فبذلك فلتفرح وعليه فلتعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل * الدرجة الثانية الاسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز

(الفن الاول) في جلب النافع (فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه الدرجة الاولى المقطوع به) أي بحصول السبب بعده (وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف) ولا ينفك (كما ان الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج) الى الاكل (ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي) والحركة (ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه) بعد المضغ (باطباق أعالي الحنك على أسافله) ليتيسر له الابتلاع (فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت أن يخلق الله فيك شبعا دون الخبز أو يخلق في الخبز حركة اليك أو يسخر ملكا ليمضغه لك ويوصله الى معدتك) من غير حركة منك (فقد جهلت سنة الله تعالى) في عباده وكذلك الحال في الشرب بان يكون الماء بين يديك وأنت عطشان فلا تتناوله وتقول أنا متوكل وتناولي اياه حركة والحركة تناقض التوكل فالدخول في هذا واجب وتركه حرام فلو ترك هذا اعتمادا على الله بان يخلق له ريا بغير شرب كان جاهلا عاصيا (وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر) وحرث (أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام) من غير مس بشر (فكل ذلك جنون) وجهل (وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك) فلابد من اعتقاد ذلك (وأما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتماده على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج) فلا تتحرك (وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك) فتكون كالمبهوت لا تدري كيف تفعل (وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه) فيحول بينك وبينه (أو يبعث حية تزعجك من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك) وقد وقع أمثال ذلك كثيرا (واذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فبذلك فليفرح) أشار بذلك الى قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا (وعليه فيعول) ويعتمد (فاذا كان) السالك (هذا علمه وحاله فليمد اليد فانه متوكل) والا فليس من التوكل في شيء ومن هذه الدرجة لو قعد في مجرى سيل أو في طريق سبع أو تحت جدار مائل تقارب انقضاضه فلا يصح توكله في شيء من ذلك ولو مات مات عاصيا *الدرجة الثانية الذي حصول السبب بعده مظنون وهي (الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في) صحة (التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين) من السلف الصالحين (ولا يزول التوكل بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز) ومن هذه الدرجة الكسب والمتاجر والسفر في البحار رجاء السلامة والسفر في

وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص فان قلت فهذا سعى فى الهلاك والقاء النفس فى التهلكة فاعلم أن ذلك يخرج عن
كونه حراما بشرطين أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام أسبوعا وما

القوافل بغير زاد رجاء تسخير الناس له والجلوس فى المساجد تفرغا للعبادة وغلق الابواب على الامتعة وشرب
الادوية المجربة للصحة فى الغالب فالتلبس بهذا كله مباح فى الشرع غير واجب تركه ولا فعله وأصل التوكل
واجب فيبقى الدخول فى الاسباب المظنونة على أصل الاباحة والمباح ينقلب فضيلة بالمقاصد (وهو) أى ترك
استصحاب الزاد فى الاسفار (من أعلى مقامات التوكل وكذلك كان يفعله) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله
تعالى وكان من كبار المتوكلين كما صرح به صاحب القوت (فان قلت هذا سعى فى الهلاك والقاء النفس فى التهلكة)
أى الدخول فى البرية بغير خفير ولا قافلة ولا زاد سبب للهلاك وقد قال الله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
فكيف يصح توكله وكيف يكون ذلك مباحا (فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين أحدهما أن يكون
الرجل قد راض نفسه) فى الحضر (وجاهدها وسوّاها) وعوّدها (على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يقاربه
بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشويش خاطر وتعذر فى ذكر الله تعالى) بان لا تسقط قوّته فى القيام فى صلاته
(والثانى) قوّة الحال وغلبة الانس وهو (أن يكون بحيث يقوى على التقوّت بالحشيش وما يتفق من الاشياء
الخسيسة) التى لا تعد قوتا فى الجملة (فبعد هذين الامرين لا يخلو فى غالب الامر فى البوادى فى كل أسبوع أن
يلقاه آدمى أو ينتهى الى حلة) وهى منزلة العرب وفى نسخة محلة (أو قرية أو الى حشيش يزجى وقته به) ترجية
(فيحيى به مجاهدا نفسه) صابرا على الجوع والعطش (والمجاهدة عماد التوكل) وأساسه (وعلى هذا كان
يعوّل) ابراهيم (الخواص ونظراؤه من المتوكلين) كما صرح بذلك الخواص نفسه فى كتاب التوكل له والمراد
بنظرائه مثل يحيى بن معاذ الرازى وكان يوسع فى التوكل بالاسباب ويأمر بها من غير مساكنة لها ولا وقوف
معها وهو أوسع طريقا وأبسط حالا من الخواص ولكن مسلك الخواص أعلى وحاله أسنى على ضيق فى طريقه
وقبض فى حاله وتشديد وعزيمة فى مقامه من توكله ومنهم أبو تراب النخشبى وذو النون المصرى وحاتم الاصم وعلى
الصوفى رحمهم الله تعالى وقد ذكر صاحب القوت لكل منهم ما يدل على شدة عزائمهم فى التوكل (والدليل عليه
أن الخواص كان لا تفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح فى التوكل) ولفظ القوت
وكان ابراهيم الخواص يدقق فى أحوال المتوكلين ويذكر أن الادخار يخرج من حد التوكل ولم يكن تفارقه أربعة
أشياء كان يقول ادخارها من حال التوكل لانها من أمر الدين الركوة والحبل والابرة والخيوط والمقراض اهـ
عد الخيوط مع الابرة شيأ واحدا لان الابرة من غيرها لا تجدى نفعا (وسببه انه علم أن البوادى لا يكون الماء
فيها على وجه الارض) وانما يكون فى الآبار (وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا
يغلب وجود الحبل والدلو فى البوادى كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوء كل يوم مرات ولعطشه
فى كل يوم أو يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة) فى مشيه (لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك
يكون له ثوب واحد وربما يتخرق) من طول الاستعمال (فتنكشف عورته) عند الركوع والسجود فى
الصلاة (ولا يوجد المقراض والابرة) والخيوط (فى البوادى غالبا عند) وقت (كل صلاة ولا يقوم مقامهما فى
الخياطة شئ مما يوجد فى البوادى) وأورده القشيرى فقال سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت
أبا العباس البغدادى يقول سمعت الفرغانى يقول كان ابراهيم الخواص مجردا فى التوكل يدقق فيه وكان
لا يفارقه ابرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له يا أبا اسحق لم تحمل هذا وأنت تمتنع من كل شئ فقال مثل هذا
لا ينقض التوكل لان لله علينا فرائض والفقير لا يكون عليه الا ثوب واحد فربما يتمزق ثوبه فاذا لم يكن معه ابرة
وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته واذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته واذا رأيت الفقير بلا ركوة
ولا ابرة ولا خيوط فاتهمه فى صلاته (فكل ما فى معنى هذه الاربعة أيضا يلتحق فى الدرجة الثانية لانه

يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر فى ذكر الله تعالى والثانى أن يكون بحيث يقوى على التقوّت بالحشيش وما يتفق من الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو فى غالب الامر فى البوادى فى كل أسبوع عن أن يلقاه آدمى أو ينتهى الى محلة أو قرية أو الى حشيش يجتزى به فيحيا به مجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخوّاص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه أن الخوّاص كان لا تفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح فى التوكل وسببه انه علم ان البوادى لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو فى البوادى كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه فى كل يوم أو يومين مرة فان
المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض
والابرة فى البوادى غالبا عند كل صلاة ولا يقوم مقامهما فى الخياطة والقطع شئ مما يوجد فى البوادى فكل ما فى معنى هذه الاربعة أيضا يلتحق
بالدرجة الثانية لانه

مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل أن لا يتخرق الثوب أو يعطيه انسان ثوبا أو يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام ممضوغا الى فيه فبين الدرجتين فرقان ولكن الثاني في معنى الاول ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في هلاك نفسه كما روى أن زاهدا من الزهاد فارق الامصار وأقام في سفح جبل سبعا وقال لا أسأل أحدا شيأ حتى يأتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم يأته رزق فقال يا رب ان أحييتني فائتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فأوحى الله جل ذكره اليه وعزتي لا أرزقك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر وقعد فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى اليه أردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا أما علمت أني أرزق عبدي بايدي عبادي أحب الى من أن أرزقه بيد قدرتي فاذا التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربنا مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب لا الى السبب فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب

مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل أن لا يتخرق الثوب أو يعطيه انسان ثوبا أو يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام ممضوغا الى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول وبهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في هلاك نفسه) ولو مات مات عاصيا وله نظائر سبق ذكرها قريبا (كما روى أن زاهدا من الزهاد) في بني اسرائيل (فارق الامصار) بنية التوكل (وأقام في سفح جبل سبعا وقال لا أسأل أحدا شيأ حتى يأتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم يأته رزق فقال يا رب ان أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فأوحى الله اليه وعزتي لا أرزقك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر وقعد) بين الناس (فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى اليه أردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا أما علمت أني أرزق عبدي بايدي عبادي أحب الى من ان أرزقه بيد قدرتي) نقله صاحب القوت بلفظ حدثت عن رجل تفرد في فلاة من الارض وانقطع عن الخلق وقال ان كان لي رزق أتاني قال فلبث أياما لم يأته شئ حتى أضر به الضعف وقال يا رب ان كان لي في الارض رزق فأتني به والا فاقبضني اليك قال فأوحى اليه وعزتي وجلالي لا أرزقك حتى تدخل المصر وتقعد بين ظهراني الخلق قال فعدل الى أقرب الامصار اليه ودخل مسجدا فأتاه انسان بطعام وأتاه آخر بشراب فأكل وشرب فأوجس في نفسه فأوحى اليه أردت ان تبطل حكمتي وتسقط حكمي بتوكلك على ان أرزق الخلق بايدي الخلق أحب الى (فاذا التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض) أصل (التوكل كما ضربنا مثلا للوكيل بالخصومة من قبل) ذلك (ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب) الخفي (لا الى السبب فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب السياحة في البوادي اذا لم يكن مهلكا نفسه كما تقدم فهذا الذي هو قاعد في البلد كيف يكون مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد) هذا (ان يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق) وصوله (ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام) لانه تسبب لاهلاك النفس نظرا لظاهر الشرع وكان هذا لعموم المتوكلين والا فقد نقل صاحب القوت عن بعضهم قال قلت لبعض السلف لو ان عبدا دخل بيتا وطين عليه بابا ولا يعلم به أحد أكان رزقه يأتيه فقال نعم فقلت ومن أين يأتيه فقال من حيث يأتيه ملك الموت (وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة) من ذكر وقراءة ومراقبة وغيرها من أنواعها (فالكسب والخروج) الى الناس ومعاملتهم (أولى له ولكن ليس فعله) ذلك (حراما الى ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال) ان لم يمكنه الكسب (والكسب) ان كان مطيقا له (وان كان مشغول القلب بالله غير

فاعلم أن ذلك ليس بحرام لان صاحب السياحة في البادية اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر ممكن الى أن يتفق ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج أولى له ولكن ليس فعله حراما الا أن يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير

مستشرف

مستشرف الى الناس ولامتطلع الى من يدخل الى الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه الى فضل الله تعالى) مع كمال الحال وغلبة الانس (واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من) جملة (مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله تعالى) بذكر وفكر ومراقبة (ولا يهتم برزقه فان الرزق) مضمون (يأتيه لامحالة) حتى يظهر له ملك الموت فحينئذ ينقطع عنه رزق الدنيا ويدخل فى رزق الآخرة واليه يشير كلام أكثر الشيوخ فى معنى التوكل فمن كانت مشاهدته فى القسم المعلوم سقط عنه جملة من الهموم واستراح العباد من أذاه وشغل عنهم بخدمة مولاه (وعند هذا يصح ماقاله بعض العلماء وهو ان العبد لوهرب من رزقه لطلبه كما لوهرب من الموت لادركه) ولفظ القوت ويقال لوهرب العبد من رزقه لادركه فى وقته كما لوهرب من الموت لادركه هكذا هو فى موضع آخر كما رويناعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لوهرب أحدكم من رزقه لادركه رزقه كما لوهرب من الموت لادركه أجله (وان لوسأل الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب له وكان) فى سؤاله ذلك (عاصيا ولقال له ياجاهل كيف أخلقك ولا أرزقك) نقله صاحب القوت ويؤيد الاول ماورد فى الخبر ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله رواه الطبرانى والبيهقى من حديث أبى الدرداء ورجاله ثقات وصححه الحافظ ابن حجر وفى رواية لابى نعيم فى الحلية عنه ان الرزق ليطلب العبد أكثر طلبا للعبد من أجله وقال صلى الله عليه وسلم فى الرجل الذى أتاه فناوله تمرة وقال له خذها ولو لم تأتها لاتتك وتقدم هذا للمصنف ألاترى انه قال لاتتك التمرة وهى لاتسعى بنفسها ولكن يستسعى اليها بطرفها يدفعها اليك فكذلك الرزق على تصريفين رزق طلبته فتلقاه ورزق يطلبك فيلقاك وما لقيك فقد لقيته وفى خبر آخر لكل عبد رزق لامحالة ويروى لكل عبد رزق هو آكله وأثر هو واطئه وحتف هو قاتله وأما القول الثانى فروى عن سهل من قوله ولفظه لوأن العبد سأل الله أن لا يرزقه ما استجاب له أبدا ويقال له اسكت ياأحمق لولم أرد أن أرزقك ماخلقتك أنا الذى خلقتك لابد أن أرزقك كما خلقتك (ولذلك قال ابن عباس) رضى الله عنه (اختلف الناس فى كل شئ الا فى الرزق والاجل فانهم أجمعوا على ان لارازق ولا مميت الا الله تعالى) كذا فى القوت (وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال) هكذا هو فى القوت قال العراقى تقدم قريبا بدون هذه الزيادة التى فى آخره فرواه محمد بن نصر فى تعظيم قدر الصلاة من حديث معاذ بن جبل باسناد فيه لين لوعرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال ورواه البيهقى فى الزهد من رواية وهيب المكى مرسلا دون قوله لمشيتم على البحور وقال هذا منقطع انتهى قلت ورواه ابن السنى من حديث معاذ أيضا كما رواه محمد بن نصر وعندهما زيادة ولوخفتم الله حق مخافته لعلمتم العلم الذى ليس معه جهل ولكن لايبلغ ذلك أحد قيل يارسول الله ولا أنت قال ولا أنا الله عز وجل أعظم من أن يبلغ أحد أمره كله ورواه الحكيم الترمذى فى النوادر بلفظ لوخفتم الله حق خيفته لعلمتم العلم الذى لاجهل معه ولوعرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال (وقال عيسى عليه السلام) فى معنى الحديث السابق (انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا الى الانعام) هى أكبر منكم بطونا (كيف قيض الله لها هذا الخلق للرزق) كذا فى القوت ورواه أحمد فى الزهد وابن أبى الدنيا عن سالم بن أبى الجعد قال قال عيسى عليه السلام اعملوا لله ولا تعملوا الى بطونكم انظروا الى هذا الطير يغدو ويروح لايحرث ولا يحصد الله تعالى يرزقها فان قلتم نحن أعظم بطونا من الطير فانظروا الى هذه الاباقر من الوحش والحمر تغدو وتروح لاتحرث ولاتحصد الله يرزقها اتقوا فضول الدنيا فان فضول الدنيا عند الله رجز (وقال أبو يعقوب السوسى) من السوس بلد بالاهواز ممن أخذ عن عبد الواحد بن زيد وعنه أبو يعقوب النهرجورى (المتوكلون تجرى أرزاقهم على أيدى العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون) ولفظ القوت المتوكلون تجرى أرزاقهم بعلم الله واختياره على يد خصوص عباده بلا شغل ولا تعب وغيرهم مشغولون مكدودون (وقال بعضهم العبيد كلهم فى رزق الله تعالى لكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان

مستشرف الى الناس ولامتطلع الى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه الى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لامحالة وعند هذا يصح ماقاله بعض العلماء وهو أن العبد لوهرب من رزقه لطلبه كما لوهرب من الموت لادركه وأنه لو سأل الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ولقال له ياجاهل كيف أخلقك ولا أرزقك ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما اختلف الناس فى كل شئ الا فى الرزق والاجل فانهم أجمعوا على أن لارازق ولا مميت الا الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقال عيسى عليه السلام أنظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا الى الانعام كيف قيض الله تعالى لها هذا الخلق للرزق وقال أبو يعقوب السوسى المتوكلون تجرى أرزاقهم على أيدى العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم فى رزق الله تعالى لكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان

كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العز بزقيا أخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة) ولفظ القوت وقال بعض هذه الطائفة العبيد كلهم يأكلون أرزاقهم من المولى ثم يفترقون فى المشاهدات فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم من يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل رزقه بانتظار ومنهم من يأكل رزقه بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فأما الذين يأكلون أرزاقهم بالذل فالسؤال يشهدون أيدى الخلق فيذلون لهم والذين يأكلون أرزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر أحدهم نفاق سلعته فهو متعوب الخلق معذب بانتظاره والذين يأكلون أرزاقهم بامتهان فالصناع يأكل أحدهم رزقه بمهنته وكده والذين يأكلون أرزاقهم بعز بغير مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية يشهدون العز بزقيا أخذون قسمهم من يده بعزة وبه تم الكلام على الدرجة الثانية فان قلت فما المقاصد التى ترجح الدخول فى الاسباب المظنونة أو ترجح ترك الدخول فيها فاقول يختلف ذلك باختلاف الاحوال ولرجحان الدخول فى الاسباب المظنونة أحوال الحالة الاولى انه لو ترك السبب لا يتعلق المتعلق بحاله ومقصده لا تشغل عن العبادة والذكر والفكر ومقصود الشرع بالتوكل والسبب فراغ القلب لذلك فيكون الدخول فى السبب فضيلة فى حقه قال الله تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله فعرفنا جل جلاله ان امداد الاولياء بالملائكة وسيلة لطمأنينة نفوسهم عند اضطراب طبع البشرية الذى لا يدخل تحت اختيار العبد لكنه شاغل للقلب مزاحم لذكر الله فطمن قلوبهم بما أمدهم به حراسة لقلوبهم عن نزغات النفس والعدو وسلب النصر عن الملائكة وأضافه الى نفسه لانه الفاعل على الحقيقة فهكذا ينبغى ان تفهم مثل هذه الحالة الحالة الثانية ان يكون اماما متبوعا فيدخل فى الاسباب ويحمل فى سفره الزاد ويستعمل فى مرضه الدواء ليقتدى به فى ذلك وهو متعلق بالله تعالى فى الباطن لا يلتفت الى الوسائط وهذه طريقة الانبياء والعلماء والمشايخ الحالة الثالثة رجل استوى عنده وجود الاسباب وعدمها فعدمها عنده كوجودها ووجودها عنده كعدمها فان شاء تلبس بها لانه مشغول بالمسبب عن السبب وان شاء تركها لعلمه بقيام الحق عليه كفيلا وان لطفه بعبده أسبابا خفية لا يطلع عليها العباد دون الاسباب الظاهرة ولذلك ترجح ترك الدخول فى الاسباب المظنونة بعكس هذه الاحوال اذ من العباد من لا يتفرغ للعبادة الا بترك الاسباب وهو الاغلب فترجح الترك فى حقهم وهذه الحالة أسلم من الاولى فكم من عابد متعلق بالاسباب يظن انه منقطع القلب عنها فاذا انقطعت الاسباب أو ضعفت اضطرب قلبه وانزعجت نفسه وظهر نقصه لانه كان يعتقد ان حياته بالله وان كانت هذه الحالة أيضا لا تخلو من غرور فكم من عابد تارك للاسباب يعتقد انه زاهد تقى وان عرض عليه شئ من الاسباب مالت نفسه اليه ورغبت لما كانت فيه من الزهد والتقوى وانما كان ذلك بسبب الفقر والعجز فالامتحانات هى التى تخرج ما فى النفوس من المكامن الجيدة أو الردية ولذلك رأى العلماء كل محنة منحة لما فيها من النعمة باظهار ما فى نفوسهم من مكامن العدو حتى يلقى الله بقلب سليم عن غيره ويقاس على ما قدمناه فى جلب المنافع ازالة الضرر وسيأتى الكلام على ذلك للمصنف فى بيان ان ترك التداوى قد يحمد فى بعض الاحوال والله أعلم (الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب التى) مسبباتها مطموسة لا مظنونة ولا مقطوع بها وهى التى (يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذى يستقصى فى التدبيرات الدقيقة فى تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها) أولها وأوسطها وغايتها (وهو الذى الناس فيه) قد اعتادوه وألفوه طريقة (أعنى من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا المال مباح) وكل ذلك يناقض التوكل وتركه من أعمال المتوكلين (فاما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة) أو مفضية الى شبهة (فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل) أصل (التوكل) فان قلت قد زعمت ان التوكل واجب وقلت ان الاستقصاء فى الاسباب الموهمة مبطل له ولا يبطل الواجب الا بفعل حرام فمن زاد على بابه قفلا ثانيا وثالثا كان فعله حراما وما ذهب الى هذا أحد من العلماء فلنا هنا ثلاث درجات طرفان وواسطة الدرجة الاولى الدخول فى الاسباب المحظورة كالسعاية والشرطية وترويج الزيف والغش بستر عيب العين المعيبة

كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العز بزقيا أخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة *الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب التى يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذى يستقصى فى التدبيرات الدقيقة فى تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذى فيه الناس كلهم أعنى من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا المال مباح فاما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى أن ذلك يبطل التوكل

طلبا

طلب الزيادة الثمن وادخار الاقوات وما أشبهه فالاجماع قائم على ان التوكل يبطل بهذه الاسباب الدرجة الثانية كزيادة قفل وتدقيق حيلة وادخار قوت يزيد على سنة فقد رأى بعض العلماء بطلان التوكل بذلك كما سيأتى قريبا والذى يظهر كما قاله محمد بن اسحق الصوفى انه يبطل كماله لا أصله وسيأتى الكلام عليه الدرجة الثالثة وهى المتوسطة بين الطرفين واليها أشار المصنف بقوله (وهذا مثل الاسباب التى نسبتها الى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكى بالاضافة الى ازالة الضار) وقد ذهب الخواص فى كتاب التوكل الى ذلك وتبعه صاحب القوت واياه تبع المصنف وتنوسى الخوّاص وأبو طالب المكى حتى صارت المقالة منسوبة الى المصنف واحتج الخوّاص على ذلك بقوله (فان النبى صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك) يشير الى حديث ابن مسعود الذى تقدم ذكره آنفا وفيه قيل من هم يارسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون (ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يجلسون فى الامصار ولا يأخذون من أحد شيا بل وصفهم بانهم يتعاطون هذه الاسباب) وقد فضلهم صلى الله عليه وسلم ومدحهم بما تقدم ثم ساله عكاشة أن يجعله منهم ففعل لانه رأى ذلك طريقه ورأى معه زاده وشهد فيه القوة والتحقيق فاهله لذلك ولما قال له الآخر ادع الله ان يجعلنى منهم احتذاء له ولم ير ذلك فيه ولا وجده منه لم يؤهله ولم يعززه به اذ المقامات لا يقتدى بها ولا يمثل فيها كما لا تدعى لانها مواجيد قلوب بايجاد قريب ومشاهدات غيوب باشهاد حبيب فمن سما اليها بغير قوة بتسوّر فانه ينكص عنها قبل البلوغ فيتهور لانه يتهاربه لما يرد اليه من نفسه وطبعه فلما لم يشهد صلى الله عليه وسلم ذلك مقامه ولم ير منه قوته واعلامه أوقفه على حده وحكم عليه بوجده ورده الى ضعفه ومنعه من تصوّره وعسفه فرده ردا جميلا لانه كان صلى الله عليه وسلم حبيبا كريما فقال قد سبقك بها عكاشة والذى ذهب اليه محمد بن اسحق الصوفى ان هذا أيضا دل على بطلان كمال التوكل لا أصله لانه الذى ورد فى السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب واذا عرفت التوكل انكشف لك ذلك وذلك لان التوكل يراد لذاته ولغيره أما كونه مرادا لذاته فلان أصله الايمان بالله وأما كونه مرادا لغيره فلوجهين أحدهما واجب والآخر مستحب أما الواجب فلكفه عن الاسباب المحظورة والمكروهة القريبة من المحظورة وأما المستحب فلحثه على الاجمال فى الطلب وتفريغ القلب عن كل شاغل من الاكوان ولو لم يكن فيه الا عز الانتماء الى الله وتعلق القلب به وهو المقصد الاسنى من بعثة الانبياء لكفى فاذا فهمت هذا نزلت على هذين الوجهين تلك الدرجات والله أعلم (وأمثال هذه الاسباب التى يوثق بها فى المسببات مما تكثر فلا يمكن احصاؤها وقال) أبو محمد (سهل) التسترى رحمه الله تعالى (فى) حقيقة (التوكل انه ترك التدبير) وأصل كل تدبير من الرغبة وأصل كل رغبة من طول الامل وطول الامل من حب البقاء وهذا هو الشرك يعنى انك شاركت الربوبية فى حب وصف البقاء (وقال) أيضا (ان الله) عز وجل (خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما) جعل (حجابهم بتدبيرهم ولعله أراد به استنباط الاسباب البعيدة بالفكر فهى التى تحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية) وقال صاحب القوت بعد ان نقل القولين ما نصه قد كثر قوله رحمه الله تعالى فى ترك التدبير وينبغى ان يعرف معناه ليس يعنى بترك التدبير ترك التصرف فيما وجه العبد فيه وقد أبيح له كيف وهو يقول من طعن على التكسب فقد طعن على التوحيد وقد كان له أرض يزرعها فكان يدبر شانها ثم رأى بيعها فى آخر أمره وفرق ثمنها انما يعنى بترك التدبير ترك الامانى وقول لم كان هذا اذا وقع الامر ولم لا يكون كذا ولو كان كذا فيما لم يقع لان ذلك اعتراض وجهل بسبق العلم وذهاب عن نفاذ القدرة وشهادة الحكمة وغفلة عن رؤية المشيئة وجريان الحكم ويعنى ترك التدبير فيما بقى وما ياتى بعد أى لان فى مثل هذا يقول لا تشتغل بالفكر فيه والتدبير له بعقلك وعلمك فيقطعك عن حالك فى الوقت الذى هو ألزم لك وأوجب عليك حتى تكون فيما ياتى من الاحكام والتصريف فى ترك التدبير والتقدير لها بالزيادة والنقصان أو نقلها من وقت الى غيره أو من عبد الى آخر بالتقديم والتاخير تكون فى ذلك كما كنت فيما قد مضى فالاقرب ان الانسان لا يدبر ما قد مضى قال فينبغى أن يكون فيما يستقبل تاركا التدبير له

وهذا مثل الاسباب التى نسبتها الى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكى بالاضافة الى ازالة الضار فان النبى صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون الامصار ولا يأخذون من أحد شيا بل وصفهم بانهم يتعاطون هذه الاسباب وأمثال هذه الاسباب التى يوثق بها فى المسببات مما يكثر فلا يمكن احصاؤها وقال سهل فى التوكل انه ترك التدبير وقال ان الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم بتدبيرهم ولعله أراد به استنباط الاسباب البعيدة بالفكر فهى التى تحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية

فاذا قد ظهر أن الاسباب منقسمة الى مايخرج التعلق بها عن التوكل والى مالا يخرج وأن الذى يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون
وأن المقطوع به لايخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل
وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون فى ملابسة هذه الاسباب على ثلاثة مقامات * (الاول) * مقام الخواص
ونظرائه وهو الذى يدور فى البوادى (٤٨٠) بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه فى تقويته على الصبر أسبوعا ومافوقه أو تيسير حشيش له أو
قوت أو تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شئ من ذلك فان الذى يحمل الزاد قد يفقد زاده أو يضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما أنه ممكن مع فقده * (المقام الثانى) * أن يقعد فى بيته أو فى مسجد ولكنه فى القرى والامصار وهذا أضعف من الاول ولكنه أيضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معوّل على فضل الله تعالى فى تدبير أمره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود فى الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الا أن ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذى يسخر له سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله بتعريفهم وتحريك دواعيهم * (المقام الثالث) * أن يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذى
ذكرناه فى الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعى لايخرجه أيضا عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمأنينة وجهل
نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك ربما يهلكه الله تعالى جميعه فى لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك
وتيسير أسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم فى يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب
الملك انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم

تاركا للاقامة فيه بمعانى ماذكرنا كتركه اياه فيما مضى فيستوى عنده الحالات لان الله أحكم الحاكمين وان
العبد مسلم للاحكام والافعال راض عن مولاه بالاقدار مع جهله بعواقب المآل فترك التدبير بهذه المعانى هو
من اليقين واليقين هو شهادة المعرفة بحقيقة الحق المبين فاذا جعل تعالى قلب المؤمن مكانا لذلك تمكن فيه على
قدر المكان مايليق به فهذا تفسير قوله الذى كان يقوله ومقتضاه يامسكين كان ولم تكن ويكون ولم تكون
فلما كنت اليوم قلت أنا وأنا كن فيما أنت الآن كالم تكن فانه اليوم كما كان وتقدم فى التوحيد وقد كان
يقول أيضا الزهد انما هو ترك التدبير وهذا يعنى ترك الاسباب التى توجب التدبير أو اخراج السبب الذى يجب
تدبيره لانه يكون متسببا متيقنا للاسباب وهو ترك تدبيره الان التدبير فى هذا الموضع انما هو التمييز والقيام
بالاحكام ووضع الاشياء مواضعها فكيف لايكون العبد كذلك مع وجود الاشياء وهو عاقل مميز متعبد
بالعلم مطالب بالاحكام مع امساكه وانما يقول اترك الاشياء المدبرة وازهد فى الاسباب المميزة حتى يسقط عنك
التدبير لسقوط أحكامها عنك ولاستراحتك من القيام بها والنظر فيها فهذا هو تفصيل جملة قوله رحمه الله فى
ترك التدبير وهذا هو حال المتوكلين (فاذا قد ظهر ان الاسباب منقسمة الى مايخرج التعلق بها عن التوكل
والى مالا يخرج وان الذى لايخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون) به (وان المقطوع به لايخرج عن
التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل وأما
المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون فى ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات
الاول مقام) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (ونظرائه) الذين تقدم ذكرهم (وهو الذى يدور
فى البوادى بغير زاد) يحمله ويتكل عليه بل (ثقة بفضل الله تعالى عليه فى تقويته على الصبر) على التوكل
(أسبوعا ومافوقه) بيوم أو يومين (أو تيسير حشيش له) من حشائش الارض (أو قوت) من يد آدمى (أو
تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شئ من ذلك فان الذى يحمل الزاد) معه (قد يفقد زاده أو يضل بعيره ويموت
جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما أنه ممكن مع فقده) وقد أنكر عليه ابن القيم وجماعة فى تقريره على هذه الحالة وتقدم
الجواب عنه فى مقدمة كتاب العلم (المقام الثانى ان يقعد فى بيته أو مسجد) من مساجد المسلمين (ولكنه فى
القرى والامصار فهذا أضعف من الاول ولكنه أيضا متوكل لانه تارك الكسب والاسباب الظاهرة معوّل على
فضل الله تعالى فى تدبير أمره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود فى الامصار متعرض لاسباب الرزق فان
ذلك من الاسباب الجالبة) للرزق (الا ان ذلك لا يبطل فى توكله اذا كان نظره الى الذى يسخر له سكان البلد
لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور ان يغفل جميعهم عنه) ويشتغلوا عنه (ويضيعوه) فلا يلتفتوا اليه
(لولا فضل الله تعالى بتعريفهم) له (وتحريك دواعيهم) الى اكرامه (المقام الثالث أن يخرج
ويكتسب اكتسابا على الوجه الذى ذكرناه فى الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب)
والمعاش (وهذا السعى لايخرجه أيضا عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمأنينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه
وبضاعته فان ذلك على عرض أن يهلك) وفى نسخة فان ذلك ربما يهلكه (الله تعالى جميعه فى لحظة بل يكون
نظره الى الكفيل الحق) والوكيل المطلق جل جلاله (بحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له بل يرى كسبه
وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم فى يد الملك الموقع) على الكاغد (فلا يكون نظره
الى القلم بل الى قلب الملك) الموقع (انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم) فالنظر الى القلب دون الملك قصور

وجهل (ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله) ان كان معيلا (أو ليفرق على المساكين) ان كان منفردا (فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا أشرف من حال القاعد في بيته) أو في مسجد أشار اليه الخوّاص في كتاب التوكل وسيأتي قريبا بيان عبارته (والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان) النبي صلى الله عليه وسلم كان قد آخى بين سعد ابن الربيع وعبد الرحمن بن عوف فقال له سعد أشاطرك أهلي ومالي فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق فعمل يومه ذلك فراح بشيء من سمن واقط فلو كان التكسب في الاسواق ينقص التوكل لم يختر عبد الرحمن وهو امام الائمة ما ينقص توكله ولكنه أحب ادخال المشقة على نفسه وكره التنعم واختار ايثار أخيه بما آثره به رعاية لحق أخوته وأعلى منه مقاما ما روى ان أبا بكر (الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة) وتم له الامر (أصبح وأخذ رزمة الاثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي) الامين يشتري الثوب (حتى كرهه المسلمون) ومنعوه من ذلك (فقالوا كيف يفعل ذلك وقد أقيم لخلافة النبوّة) فبلغه ذلك (فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان أضعتهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له) من بيت المال (قوت أهل بيت من المسلمين) لا وكس ولا شطط (فلما رضوا بذلك) جميعا واتفقوا عليه (رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى) من الاشتغال بالكسب الا تراه كيف آثر القيام بحكم الله عليه وكان ذلك هو علم حاله ومقتضى علمه (ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق) رضي الله عنه (في مقام التوكل فمن أولى بهذا المقام منه) وهو امام الائمة وقطب الصديقين (فدل على انه كان متوكلا الا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو ميسر الاكتساب مدبر الاسباب) وبانه انتقل من الحكم الاول الى الامر الثاني بحكمها كم أوجبه عليه وبتصريف الوكيل على توكيله فيه (وبشروط كان يراعيها في طريق الاكتساب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار) لغد (ومن غير أن يكون درهمه أحب اليه من درهم غيره) الى غير ذلك مما تقدم في آداب الكسب (فمن دخل السوق ودرهمه أحب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها) راغب فيها بصفة من المعاني بمقدار ما بقي فيه من الشهوات وفي القوت قال بعض العلماء اذا دخل العبد السوق وكان درهمه أحب اليه من درهم غيره لم ينصح للمسلمين في المبايعة وهذا عنده يخرجه من التوكل (ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد) اعلم ان المتوكل ان قنع بما تقوم به بنيته اعتمد على الله تعالى وانقطع لعبادته وان لم يقنع بذلك لم تنجح معرفته حالا لان انتاج الاحوال مركب من علم وعمل ولذلك ذهب جماعة من المشايخ الى ان الزهد شرط في ٧ توسلا الى قطع وسوسة العدو لان الشيطان لا سلطان له على القلب الا بواسطة الدنيا وتوسلا الى ترك وهذا كلام ظاهر ساطع النور ولولا اختلاف الاحوال في القوة والضعف فمن العباد من لا يتأتى له التوكل الا بالزهد فهو شرط في حقه ومن العارفين والمقربين والصديقين من يتأتى له ويرتقي عنه الى غيره وهو عال مثلا من المشرق الى المغرب ووجه آخر ان التوكل لا يتعلق بنفس الرزق وحده بل بجملة أحوال العبد الموطنة بالدنيا وفي الآخرة حتى الايمان والعلوم والمعارف وكل نعمة لله على عبده يستحب التوكل على الله في حفظها ودوامها والازدياد منها وعلى الجملة فالزهد يعين على التوكل اعانة عظيمة وانما منعنا اشتراطه مطلقا اذ الشرط عبارة عما لا يتأتى المشروط الا بوجوده في كل حال وقال صاحب القوت الزهد من شرط خصوص التوكل وليس التوكل من شرط عموم الزهد فكل متوكل ذي مقام زاهد لا محالة وليس كل زاهد ذي مقام متوكلا لان التوكل مقام في الزهد والزهد حال والمقامات للمقربين والاحوال في أصحاب اليمين الا انه من أعطي حقيقة الزهد فانه يعطى التوكل لا محالة لان حقائقه الاحوال

الله عنه لما بويع بالخلافة أصبح وأخذ الأثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد أقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان أضعتهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل فمن أولى بهذا المقام منه فدل على أنه كان متوكلا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوّته وكفايته والعلم بان الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير أن يكون درهمه أحب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه أحب اليه من درهم غيره فهو

حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد

٧ بياض بالاصل

وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رحمة الله عليهما وكان من المتوكلين أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت أكتسب في كل يوم دينارا ولا أبيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحي أن أتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فان لم يكن معلوم ووقف وأمروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتهار القوم بذلك فقد صار لهم سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فما الافضل أن يقعد في بيته أو يخرج ويكتسب فاعلم انه ان كان يتفرغ بترك الكسب للفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا يستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيأ بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود له أولى وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب أولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه أهم من ترك الكسب

وثبوتها ودوام استقامة أهلها ولز ومها لقلوبهم هي مقامات (وقال أبو جعفر) كذا في النسخ وفي بعضها أبو حفص عمر بن مسلم ويقال عمرو بن مسلم (الحداد) النيسابوري والمعروف انه أبو حفص لا غير (وهو شيخ الجنيد) في التصوف (رحمة الله عليهما وكان من المتوكلين أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت أكتسب في كل يوم دينارا) أو عشرة دراهم (ولا أبيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام بل أخرجه كله قبل) دخول (الليل وكان الجنيد) رحمه الله تعالى يتأدب معه كثيرا وكان (لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحي) من الله (ان أتكلم في مقامه) أو حاله (وهو حاضر عندي) كذا في القوت وبلغني انه ترك العمل لما نظر اليه الغلام الذي كان ينفخ عليه الكير فرآه يدخل يده في الكير وهو يتلظى فيخرج الحديد جمرا ويرده الى الكير فغشي على الغلام ثم حدث به الناس وكانوا يغتابونه وينظرون اليه فترك الصنعة قال وبلغني في سبب هذا انه سئل بأي شئ نلت هذه المنزلة ان لا تحرقك النار فقال بدعوة فاسق فقيل كيف هذا قال وجدت مع أهلي رجلا ففزع مني شديدا فاخذت بايديهما وقلت أخرجا بسلام فقال لي الرجل جعل الله عليك النار بردا وسلاما فهذا من اجابة دعوته بستري على مسلم ولفظ القشيري في الرسالة سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول سمعت أبا حفص الحداد يقول مكثت بضع عشرة سنة اعتقد التوكل وأنا أعمل في السوق وآخذ كل يوم أجرتي ولا انتفع منها بشربة ماء ولا بدخلة حمام وكنت أجيء باجرتي الى الفقراء في مسجد الشونيزية وأكون على حالتي اهـ وهذا مقام بالغ في التوكل لان من عرف بالكسب والاستغناء عنه بالنسبة لمن لم يعلم ذلك انصرف الناس عن مساعدته في شئ من الدنيا (واعلم ان الجلوس في رباطات الصوفية) وزوايا المساجد (مع معلوم) معين (بعيد من) وصف (التوكل فان لم يكن) هناك (معلوم) معين (و) لا (وقف) حبس عليها (وأمر الخادم بالخروج للطلب) والسؤال (لم يصح معه التوكل الا على ضعف) لاستناد القلب في الجملة الى ما يأتي به الخادم (ولكن يقوى بالحال والعلم) بعدم الركون واسقاط النظر عن الوسائط فيكون (كتوكل المكتسب) كما سبق (وان لم يسألوا) بانفسهم ولا بواسطة الخادم (بل قنعوا بما يحمل اليهم) من حيث لم يحتسبوا (فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتهار القوم بذلك فقد صار لهم سوقا فهو كدخول السوق) أي في حكمهم (ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة) كما سبق قريبا في كتاب الكسب (فان قلت فما الافضل) في حق السالك (أن يقعد في بيته أو يخرج) الى السوق (ويكتسب فاعلم انه ان كان) ممن (يتفرغ فترك الكسب لفكر وذكر) ومراقبة (واخلاص واستغراق وقت بالعبادة) ما بين صلاة وقراءة (وكان الكسب يشوش عليه ذلك) ويفرق وقته وهمته (وهو مع هذا لا يستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل) الى البيت (فيحمل اليه شيأ) من الدنيا (بل يكون قوي القلب في الصبر) على شدائده (والاتكال على الله تعالى فالقعود له) بهذه الشروط (أولى) من الخروج والكسب فهذه شروط خمسة الاول تفرغ القلب للذكر والفكر وهذا هو الاصل والثاني كون الكسب مما يمنع من هذا التفرغ فان كان لا يمنع فالخروج أولى الثالث عدم تشوف النفس الى ما يأتي بواسطة الناس فاذا تشوفت فالخروج أولى الرابع قوة القلب في الصبر أي حتى على الموت على هذه الحالة ان لم يأته رزقه فاذا لم يكن عنده الصبر على ذلك فالخروج أولى الخامس قوة القلب على الاتكال على الله تعالى فلو جرى ما جرى لا يتحرك قلبه في باطنه أصلا وهذا الشرط روح الاربعة المذكورة وقد فصل المصنف ما ذكرناه فقال (وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس) بما يأتي منهم (فالكسب أولى لان) اضطراب القلب يشعر عن عدم قوة قلبه على الاتكال على مولاه و (استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب) وهو عندهم أشد من سؤال اللسان (وتركه أهم من ترك الكسب) وشواهد ما ذكره المصنف في

كلام القوم ففى القوت قال بعض المتوكلين من فقد الاسباب فضعف قلبه أو كان وجودها أسكن لقلبه من
عدمها لم يصح له القعود عن المكاسب لان فيه انتظار الغير الله تعالى وقال بعض العلماء من طرقته فاقة سبعة
أيام فتصوّر قلبه طمعا فى خلق أو تشرفا الى عبد فالسوق أفضل من المسجد وقال أبو سليمان الدارانى لا خير فى
عبد لزم القعود فى البيت وقلبه معلق بقرع الباب حتى يطرق بسبب وقال بعض علمائنا اذا استوى عنده وجود
السبب وعدمه وكان قلبه ساكنا مطمئنا عند العدم لم يشغله ذلك عن الله ولم يتفرق همه فترك الكسب
والقعود لهذا أفضل لشغله بحاله وتزوده لمعاده وقد صح له مقام فى التوكل وقال سهل وقد سئل متى يصح للعبد
التوكل فقال اذا دخل عليه الضر فى جسده والنقص فى ماله فلم يلتفت اليه ولم يحزن عليه شغلا بحاله ونظرا الى
قيام الله عليه وقال الخواص فى كتاب التوكل لا ينبغى للصوفى أن يتعرض للقعود عن الكسب الا أن يكون
مطلوبا قد اغنته الحال عن المكاسب وأما ما كانت الحاجات فيه قائمة ولم يقع له عزوف يحول بينه وبين التكلف
فالعمل أولى به والكسب أجل له وابلغ لان القعود لا يصلح لمن لم يستغن عن التكلف يعنى أن يكون قد كفى
بالكفاية القاطعة من قلبه عن التكلف الظاهر من جوارحه وأن تكون حاله قوية تحمله بالصبر والرضا
لا يضعف الى تطلع وتشرف بقول فمعلوم هذا من كسبه الذى أحل به أفضل له من طمعه فى غيره الذى كره له هذا
كله كلام الخواص وقال فى موضع آخر من الكتاب المذكور ولم يؤت المريدون الا من جهتين من قلة الصدق
واصابة الحق ومن ركون الادلة الى الدنيا فدلوهم على علوم أنفسهم وصدق المريد فى ايثار الخمول ولزوم الباب
وفراغ القلب وخوف فوت الوصول والتارك للتكسب والتصرف فى الاسواق اذا كان فى أدنى كفاية واعين
بالصبر والقناعة فى مثل زماننا هذا أفضل وأتم من المكتسب اذا خاف ان لا ينال المعيشة الا بعصمة الله تعالى من
دخول فى شبهة أو خيانة لاخوانه المسلمين ولانه قد تعذر القيام بشرط العلم مع مباشرة الاسباب وكثرة دخول
الآفات والفساد فى الاكتساب فترك مباشرة أهل الاسواق ومخالطتهم على هذا الوصف المكروه أقرب
الى السلامة لبعده من رؤية الاسباب وفقد مباشرتها الا ان الحكم متعلق بالرؤية ومثل الحرام مثل المنكر اذا لم
تره سقط عنك حكمه وليس الخبر كالمعاينة ولا المجاورة كالمباشرة ولا الاستتار كالاظهار ولا المعاين كالمخبر
والتكسب ليس بفرض وقد يفترض باحد معنيين بوجود العيال مع عدم كفايتهم عن وجه من الوجوه أو
بان يقطع عدمه عن فرض ويضعف عنه مع فقد ما يقام به الفرض مما لا بد منه ولقد كان أبو معاذ رحمه الله يقول
ترك المكاسب مع الحاجة اليها كسل والكسب مع الاستغناء عنه كلفة وقال فى موضع آخر من كتابه وبعض
العارفين يفضلون من لا معلوم له على من له معلوم وهؤلاء يرون ترك التكسب أفضل والسكون عن التحرك
أعلى لان ذلك معلوم ويعد هؤلاء سكون القلب مع وجود المعلوم علة ولكن اذا سكن قلبه مع غير معلوم
واجتمع همه وانقطع طمعه فى حال المعدوم فهذا هو المقام ولعمرى التحقيق ان الحركة فى طلب المضمون
للخصوص عقوبة فقد سكون القلب الى الرب كما ان ترك الحركة فى أعمال البر والقربات عقوبة سكون
النفس الى حظوظ الشهوات والعدول من القول فى تفصيل ترك التكسب وفعله وفقد المعلوم ووجده ان العبد
لا يفضل بفقد الغنى ووجد الفقر ولا يشرف بالقعود عن الحركة من غير اقعاد ولا يعلو بالتحرك الى الاسباب
بغير ايجاد وانما يوصف فى ذينك بالفقر أو الاباحة لكن يفضل بحاله من مقامه من زهد أو رضا أو صبر وتوكل
أو اقتطاع لخدمة أو اقامة بشغل متصل بصدق معاملة فبهذه المعانى يقع التفضيل عند العلماء فان كان ذو
المعلوم والتصرف أحسن معرفة وأقوى يقينا فضل على من لا معلوم له ممن نقصت معرفته ولا يكون سكون
القلب وطمأنينة النفس أيضا مع وجود المعلوم علة فى الحال اذا ثبت المقام وصح القصد وحسن التصرف
والعقد ولكن لا يكون مقاما يرفع به ولا حالا يفضل فيه عند طائفة من العارفين الا ان الطمع فى الخلق وتشبث
القلب مع وجود معلوم أو الكفاية نقصان عند الكل وقطع الطمع فى الخلق وفقد التشرف الى معتاد منهم أو
مألوف بهم واجتماع القلب مع العدم وفقد المعلوم أفضل وأعلى عند الجماعة فأما سكون القلب واجتماع الهم

وفقد الاستشراف الى الخلق مع العيال وثبوت الاحكام فهو أفضل وأشرف وهذا حال الاقوياء وطريق الانبياء اتفقوا على ذلك وأما اضطراب القلب وتفرقة الهم مع وجود العيال فان كان لاجلهم والقيام بحكم الله فيهم فلا نقص فيه وقد يؤجر عليه وأما شتات الهم وتفرق القلب ووجد الاهتمام فى حال الوحدة للمنفرد فنصيب من الرغبة موفور وصاحبه فيه غير معذور وقد يكون مأزورا فهذه النصوص كلها شواهد لسياق المصنف ثم قال (وما كان المتوكلون يأخذون ماتستشرف اليه نفوسهم) لان فيه طمعا فى غير مطمع ونظرا الى غير الله تعالى واتيانا للبيوت من غير أبوابها وقد شرط النبى صلى الله عليه وسلم للعطاء ترك المسألة والاستشراف الى الخلق تنزيها للفقراء وردا لهم الى الله عز وجل ولما منعوا منه ما جعل لهم هذا العطاء وبذلوا الى قبوله عوضا لهم عنها كما جعل للاشراف خمس الخمس من الغنائم لما حرمت عليهم الصدقة تشريفا لهم وتفضيلا وقد (كان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (قد أمر) صاحبه (أبا بكر المروزى) نسبة الى مروالروز مدينة بخراسان والنسبة على الاختصار (أن يعطى بعض الفقراء شيأ فضلا عما كان استأجره عليه) فاعطاه (فرده) ولم يأخذه (فلما ولى) الفقير بظهره ومشى (قال له أحمد الحقه فاعطه فانه يقبل) الآن (فلحقه فاعطاه فاخذه فسأل) المروزى (أحمد عن ذلك) أى كيف رد فى الاول وأخذ فى الثانى (فقال) انه (كان قد استشرفت نفسه لذلك فرد وكان قد أحسن) فلما خرج منصرفا (انقطع طمعه وأيس فاخذه) لذلك كذا فى القوت وللعارفين فى ذلك أحوال متفاوتة فقد كان بعضهم من المتوكلين كذلك اذا جاءه السبب بعد تطلع اليه رده ومنهم من كان يأخذه فيخرجه ولا يتناول منه عقوبة لنفسه وتأديبا لها (وكان) ابراهيم (الخواص) رحمه الله تعالى (اذا نظر الى عبد فى العطاء أوخاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيأ) نقله صاحب القوت قال وحدثنى شيخ عن رجل دفع اليه دينارا بمكة وهو لا يعرفه فقبله فلما كان الغد رأى حوله جماعة من الفقراء فسأل عنه فقيل ابراهيم الخواص فجاءه بالتسعة الاخر وكان قد اعد العشرة له فلم يقبل وقال صوفى لا يكون بحريف (وقال الخواص) رحمه الله تعالى (بعد ان سئل عن أعجب ما رآه فى اسفاره) وكان كثير الاسفار فى البوادى المنقطعة والطرق المجهولة فقال (رأيت الخضر ورضى بصحبتى ولكنى فارقته خشية أن تسكن نفسى اليه فيكون نقصا فى توكلى) فكان لقيه للخضر امتحانا له من الله تعالى به فى دعوى مقام التوكل فتثبت والا فالخضر مستغن عن صحبته لكمال قوته وهذا القول أخرجه القشيرى فى الرسالة قال وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور ابن أحمد يقول حكى لنا ابن أبى الشيخ قال سمعت عمر بن سنان يقول اجتاز بنا ابراهيم الخواص فقلنا له حدثنا باعجب ما رأيت فى اسفارك فقال لقينى الخضر فسألنى الصحبة فخشيت أن يفسد على توكلى لسكونى اليه ففارقته (فاذا المكتسب اذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق فى كتاب) آداب (الكسب) والمعاش (ولم يقصد به الاستكثار) والادخار (ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا) قال الخواص دخول الآفات ومساكنتها القصور علم أو غلبة هوى يخرج العبد من التوكل وهو أن يكون متوكلا على الناس بان يطمع فيهم أو يتصدى لهم بالتعرض والتصنع أو يكون متوكلا على صحة جسمه ودوام قوته وانه لا يرزق الا من كده أو يكون متوكلا على ماله بان يثق به أو يطمئن اليه ويحسب انه ان افتقر انقطع رزقه أو يكون متوكلا على جاهه ومنزلته عند الناس أو على ديانته وانه معروف بالصلاح أو على انه لا يرزق الا من أجل تقواه ونحوه بان يتوكل على علمه وما يعرف الناس من فضله فهذه المعانى كلها تخرج من كل التوكل وقد تخفى دقائقها وتدق خفاياها ويقع الوهم بمن وقعت به انه من المتوكلين على الوكيل او الناظرين الى القريب الكفيل وانما يفطن لذلك جهابذة العلماء الراسخون وسماسرة الصادقين الزاهدون المتصفون بالعلم المنورون باليقين القائمون على الدوام بالشهادة الناكبون عن مألوف النفس والعادة فمن نظر الى هذه المعانى من الاسباب والاشخاص أو سكن اليها سكون أنس فيقوى قلبه بوجودها فانه يضطرب ويستوحش أو يضعف قلبه لفقدها وذلك كله علة فى توكله (فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان سرقت

بضاعته

وما كان المتوكلون يأخذون ماتستشرف اليه نفوسهم كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر المروزى أن يعطى بعض الفقراء شيأ فضلا عما كان استأجره عليه فرده فلما ولى قال له أحمد الحقه وأعطه فانه يقبل فلحقه وأعطاه فاخذه فسأل أحمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وأيس فاخذ وكان الخواص رحمه الله اذا نظر الى عبد فى العطاء أوخاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيأ وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه فى اسفاره رأيت الخضر ورضى بصحبتى ولكنى فارقته خيفة أن تسكن نفسى اليه فيكون نقصا فى توكلى فاذا المكتسب اذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق فى كتاب الكسب وهو أن لا يقصد به الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته أنه ان سرقت

وذلك لان البعادى كاتبه قال بلغنى انك استعنت على رزقك بالمغازل أرأيت ان أخذ الله سمعك و بصرك الرزق على من فوقع ذلك فى قلبه فأخرج آلة المغازل من يده وتركها وقيل تركها لما نوهت باسمه وقصد لاجلها وقيل فعل ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان خمسون دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقها فان قلت فكيف يتصور أن يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لايمكن فأقول بان يعلم ان الذين يرزقهم الله تعالى بغير بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة وان يوطن نفسه على ان الله لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان أهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركه كان سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا فينبغى أن يعتقد ان الموت جوعا خير له فى الآخرة مهما قضى الله تعالى عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا

بضاعته أو خسرت تجارته او تعوّق أمر من أموره كان راضيا به) مشاهدا فعل مولاه به (ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه فى السكون قبله و بعده واحدا) على السواء (فان من لم يسكن الى شئ) سكون أنس (لم يضطرب بفقده ومن اضطرب لفقد شئ فقد سكن اليه) وأنس به واليه يشير قول الشاعر

ومن سره ان لا يجد ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

أى لا يسكن الى شئ هو يفقد عنه فيضطرب قلبه لفقده (و) قد (كان بشر) بن الحرث الحافى رحمه الله تعالى يتكلم فى الحلال و يشدد فيه فقيل له يا أبا نصر فانت من أين تأكل فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك وقال مرة ولكن يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وكان رحمه الله تعالى (يعمل المغازل) يتسبب بها (فتركه) أى العمل وفى نسخة فتركها أى المغازل (وذلك) أى كان سبب تركه (لان البعادى) هكذا فى النسخ وفى نسخة بالغين المعجمة وفى أخرى بالقاف ولم يتضح لى وجه الصواب فيه والى أى شئ ينسب ولا عرفت هذا الرجل (كاتبه قال بلغنى انك استعنت على رزقك بالمغازل) أى بصنعتها و بيعها (أرأيت ان أخذ الله سمعك و بصرك الرزق على من فوقع) وفى نسخة فوقر (ذلك فى قلبه) بشاهد منه (فأخرج آلة المغازل من يده وتركها) وترك التكسب بها كذا فى القوت (وقيل) بل (تركها لما نوّهت باسمه وقصد لاجلها) وطلبت لاجله فقيل المغازل البشرية كذا فى القوت وقيل فأى هذين كان قد أنهج له طريق سلكه بعد الطريق الاوّل (وقيل) بل (فعل ذلك لما مات عياله) أى زوجته وأولاده فانه ما كان ابيح له التكسب الالاجلهم (كما كان لسفيان) الثورى رحمه الله تعالى (خمسون دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقها) ولفظ القوت وقد كان للثورى خمسون دينارا يتجر له بها ثم أخذها فى آخر أمره ففرقها على اخوانه وترك التكسب و يقال انه فعل ذلك لما مات عياله وكان قد بقى بعدهم وحيدا وقال زافر بن سليمان كان لسفيان عندى ثلثمائة درهم بضاعة فكنت أبضع له بها فقال ذات يوم هاتها فجعلها صررا وقسمها انتهى وقد تقدم عن سهل أيضا انه كان له أرض يزرعها ثم فى آخر أمره باعها وفرق ثمنها على المساكين (فان قلت كيف يتصوّر أن يكون له بضاعة وهو لا يسكن اليها وهو يعلم أن الكسب بغير بضاعة لايمكن) والجواب عن ذلك سهل لانا نقول السكون على قسمين سكون بالظاهر وسكون بالباطن فالذى يخرج عن التوكل هو سكون أنس بباطن قلبه مشاهد به مفوّض له أمره معتمد عليه فلا يخرج به عن التوكل وقد قرره المصنف فقال (فأقول بان يعلم ان الذين يرزقهم الله تعالى بغير) وفى نسخة من غير (بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة وان يوطن نفسه على ان الله لا يفعل به الا ما فيه صلاحه فان أهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركه كان سببا لفساد دينه) فكم من شخص فسد حاله ودينه بسبب ماله وافتتانه به (وقد لطف الله به) وهذا يرجع الى الايمان بسعة حكمة الله تعالى وهو واجب (وغايته أن يموت جوعا فينبغى أن يعتقد) فى قلبه (ان الموت جوعا خير له فى الآخرة مهما قضى الله عليه بذلك) وقدره فى الازل (من غير تقصير من جهته) وهذا يرجع الى الايمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وهو أيضا واجب (فان اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها) فصح توكله بناء على ما تقدم أن بعضهم قال التوكل هو استواء الامرين (ففى الخبر ان العبد ليهم من الليل بأمر من امور) الدنيا من (التجارة) وغيرها (مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا فيظن) وفى نسخة يتطير (بجاره وابن عمه من سبقنى من دهانى وما هى الا رحمة رحمه الله بها) هكذا هو فى القوت قال العراقى رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس بسند ضعيف جدا نحوه الا انه قال ان العبد ليشرف على حاجة من حاجات الدنيا الحديث بنحوه انتهى قلت لفظ الحلية ان الرجل ليشرف فى التجارة والامارة فيطلع الله عز وجل اليه من فوق سبع سموات فيقول اصرفوا

اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففى الخبران العبد ليهم من الليل بامر من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه من سبقنى من دهانى وما هى الا رحمة رحمه الله بها

هذا من عبدي فاني ان قبضته له أدخلته النار فيصبح قيطان بجيرانه من سبقني هكذا رواه من حديث ابن عباس وقد رواه أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وروى الطبراني من حديث ابن عباس ان الرجل ليطلب الحاجة فيزويها الله عنه لما هو خير له فيتهم الناس ظالما لهم فيقول من سبقني (ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي) فهذا اشارة الى ان العبد على كل حال عاجز جاهل لا يدري بواطن أحواله والرب عالم قادر محيط بعمل العبد سره وجهره مقدر للاشياء خبير بخفايا الغيوب مطلع على حقائق الاحوال وقد روي نحو هذا القول عن عبد الله بن مسعود رواه الطبراني من طريق علي بن بذيمة عن قيس بن جعفر عنه قال ألا حبذا المكر وهان الموت والفقر وما أبالي بايهما ابتليت ان كان الغنى ان فيه للعطف وان كان الفقر ان فيه للصبر وقد رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه (ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل) وبه يعرف أن التوكل لا يختص بترك الاسباب وترك الادخار بل يعم أبواب الايمان والعلوم والمعارف والاحوال (ولذلك قال أبو سليمان الداراني لاحمد بن أبي الحواري) رحمة الله عليهما وابن أبي الحواري تلميذه (لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة) ولفظ القشيري يا أحمد ان طرق الآخرة كثيرة وشيخك عارف بكثير منها الا هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة انتهى ولفظ القوت وكان سهل يقول ليس في المقامات أعز من التوكل وقد ذهبت الانبياء بحقيقته وبقي منها صبابة استغنها الصديقون وبعض الشهداء فمن تعلق بشيء منه فهو صديق أو شهيد وقال أبو سليمان الداراني في كل المقامات لي قدم الا هذا التوكل المبارك فمالي منه الا مشام الريح (هذا مع علو قدره) في مقام التوكل وغيره من المقامات (ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما أدركته ولعله أراد ادراك أقصاه) وفيه دلالة على كمال أبي سليمان واقراره على نفسه بان التوكل أعلى المقامات وأعلاه الذي هو التفويض أو التسليم لم يتمكن فيه بعدما حقيقة أو تأديبا بالنفسه بتقصيرها في نيلها أعلى المقامات واما تادبا وتبرأ من حوله وقوته وهو اللائق بحاله وكمال معرفته (وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وان كل ما يقدره) سبحانه (على العبد من فقر وغنى وموت وحياة) وقبض وبسط (فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبنى التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق) في التوحيد فان قوي ايمانه قوي توكله (وكذا سائر مقامات الدين من الاقوال والاعمال تنبني على أصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل) التستري رحمه الله تعالى (من طعن على التكسب فقد طعن على التوحيد) ولفظ القوت وقد كان أبو حامد يقول من أنكر التكسب فقد طعن في السنة ومن أنكر القعود عن التكسب فقد طعن في التوحيد وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى الخلق وهم أصناف كما هم اليوم منهم التاجر والصانع والقاعد ومن يسأل فما قال للتاجر اترك تجارتك ولا قال للقاعد اكتسب ولا نهى السائل عن ان يسأل بل أمر أن يعطى ولكن بالايمان واليقين في جميع أحوالهم وتركهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعمله في حاله انتهى وأورده القشيري في الرسالة بعبارتين الاولى قال سهل التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم والكسب سنته والثانية سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول قرأت على محمد بن الحسين قال سهل بن عبد الله من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الايمان انتهى والمراد بحاله صلى الله عليه وسلم في القول الاول أن يكون السابق لقلب العبد في تحصيل مقصوده على الله وسنته أن يكون السابق لقلب العبد العاجز عن الحال المذكور في تحصيله مقصوده اعتماده على الكسب المعتاد من حيث انه سنة الله ورسوله جرت به كما هو العادة في ربط المسببات بالاسباب مع اعتقاده ان الفاعل هو الله تعالى وانه لا فعل للاسباب والمراد بالحركة في القول الثاني الكسب والمراد بالطعن في السنة الانكار بما جرت بذلك كحفر الخندق ولبس الدرع والتحصن وحمل الزاد في الاسفار وقد قال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الآية والمراد بالطعن في التوكل أن يقول ان المقدر يحصل بفعل الله وبفعل غيره وكونه طعنا

ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال أبو سليمان الداراني لاحمد ابن أبي الحواري لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما أدركته ولعله أراد ادراك أقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الاقوال والاعمال تنبني على أصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد

فان قلت فهل من دواء ينتفع به فى صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى فى تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو أن تعرف أن سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم

بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فان الانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلمين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن و بطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية أيضا تبطل التوكل فقد حكى عن عابد أنه عكف فى مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت لكان أفضل لك فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال فى الرابعة يهودى فى جوار المسجد قد ضمن لى كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا فى ضمانه فعكوفك فى المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين يدى الله وبين العباد مع هذا النقص فى التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودى على ضمان الله تعالى بالرزق وقال امام المسجد لبعض المصلين من أين تأكل فقال يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة التى صليتها خلفك ثم أجيبك و ينفع فى حسن الظن بمجىء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان تسمع الحكايات التى فيها عجائب صنع الله تعالى فى وصول الرزق الى صاحبه

فى الايمان أو التوحيد حيث أشرك معه تعالى فى الفعل غيره قال صاحب القوت وأخبرنى أبو موسى قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سأل رجل شيخنا ابن سالم أنحن متعبدون بالكسب او بالتوكل فقال التوكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والكسب سنته وانما سن لهم الكسب لضعفهم حين سقطوا عن درجة التوكل فاباح لهم طلب المعاش بالمكاسب الذى هو سنته ولولا ذلك لهلكوا واما ابن عطاء فانه كان يقول ليس التوكل لزوم الكسب ولا تركه انما التوكل طمأنينة فى القلب الى الله تعالى وقال أبو يعقوب السوسى لا تطعنوا على أهل التوكل فانهم خاصة الله سكنوا الى الله واكتفوا به واستراحوا من هموم الدنيا والآخرة وقال من طعن فى التوكل فقد طعن فى الايمان لانه مقرون به ومن أحب أهل التوكل فقد أحب الله (فان قلت فهل من دواء ينتفع به فى صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله فى تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان تعرف أن سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فان الانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان) بما يوسوس اليه و يلقنه (ولذلك قيل) فى الكلمات السائرة (الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلمين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن) بشاهد باطل (و بطل التوكل بالكلية) لنقصان التوحيد و بطلان الاعتماد والتفويض (بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية أيضا تبطل التوكل) من أصله (فقد حكى عن عابد) من العباد (انه عكف فى مسجد) أى لازم جلوسه فيه فلم يخرج أصلا (ولم يكن له معلوم) من رزق يأتيه من جهة معلومة (فقال له الامام) الذى يصلى بالناس فى ذلك المسجد حين رآه معتكفا (لو اكتسبت) أى خرجت الى السوق وباشرت الكسب (لكان أفضل لك) من عكوفك هنا (فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال فى الرابعة) هنا (يهودى فى جوار المسجد قد ضمن لى كل يوم رغيفين) فهو يأتى الى بهما (فقال ان كان صادقا فى ضمانه فعكوفك فى المسجد خير لك) لاجل حصول الاطمئنان (فقال) العابد للامام (يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين يدى الله و بين العباد مع هذا النقص فى التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودى على ضمان الله تعالى بالرزق) كذا فى القوت وأورده ابن عطاء الله فى التنوير بلفظ رأى بعضهم رجلا يلازم المسجد ولا يخرج منه فتعجب من ملازمته وفكر فى نفسه من أين يأكل فقال له من أين تأكل فقال له ان لى صاحبا يهوديا وعدنى كل يوم رغيفين فهو يأتينى بهما فقال أما الآن فنعم فقال له ذلك العابد يا مسكين وثقت لى بوعد يهودى وما وثقت لى بوعد الحق سبحانه وهو الصادق الحق وقد قال وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فاستحيا ذلك الرجل وذهب (وقال امام المسجد لبعض المصلين) الذين يصلون وراءه وقد رآه فى زى غير مكتسب (من أين تأكل) يا فلان (فقال) له (يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة التى صليتها خلفك ثم أجيبك) كذا فى القوت وساقه ابن عطاء الله فى التنوير بلفظ ان رجلا صلى خلف الامام أياما فقال له الامام يوما وقد تعجب من ملازمته و تركه الاسباب من أين تأكل فقال قف حتى أعيد صلاتى فانى لا أصلى خلف من شك فى قسمة الله تعالى (و ينفع فى حسن الظن بمجىء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان) تنظر الى حالة نفسك وقيام الرب تعالى بك من حالة الى حالة من وقت تكونك من نطفة الى خروجك من المشيمة واغتذائك بلبن أمك الى تسخير الخلق لك الى حالة البلوغ فحالك بعد البلوغ كحالك فى أول أمرك فى الكفاية والتسخير ولا يصدك عن ذلك الا رجوع النفس الى تدبيرها وحولها وقوتها وقد كانت قبل ذلك لا تدبير لها ولا حول ولا قوة والفكر فى مثل هذا بحر لا ساحل له ثم تكرر على سمعك ما ورد من الاخبار والآيات والآثار ثم (تسمع الحكايات) المنسوبة للمتوكلين والمنقطعين الى الله تعالى الدالة على كمال أحوالهم و(التى فيها عجائب صنع الله تعالى) بهم وسعة بره عليهم (فى وصول الرزق الى صاحبه) بواسطة

وفيها العجائب قهر الله تعالى فى اهلاك أموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روى عن حذيفة المرعشى وقد كان خدم ابراهيم بن أدهم فقيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا فى طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى وكتب شعرا

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر
أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها
فكن الضمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب نار خضتها
فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع الى الرقعة فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة الى أول من يلقاك فخرجت فأول من لقينى كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو فى المسجد الفلانى فدفع الى صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا نصرانى فجئت الى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجىء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصرانى وأكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم وقال أبو يعقوب الاقطع البصرى جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا فحدثتنى نفسى بالخروج

انقطاعه الى الله تعالى (وفيها عجائب قهر الله فى اهلاك أموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روى عن حذيفة) بن قتادة (المرعشى) شيخ هبيرة البصرى (وقد كان خدم ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (فقال له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا) معه (فى طريق مكة أياما لم نجد طعاما) نأكله (ثم دخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك) أثر (الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على) أى جئنى (بدواة وقرطاس فجئت به فكتب) فى القرطاس ما يحقق مقام التوكل مع تعاطى الاسباب وهو (بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود اليه فى كل حال والمشار اليه بكل معنى) كما قيل

وظنونى مدحتهم جميعا * وأنت بما مدحتهم مرادى

(وكتب شعرا) ما نصه * (أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر) * وهذه الثلاثة مما أمر العبد بها (أنا جائع أنا ضائع) أى عطشان (أنا عارى) وهذه الثلاثة مما يفتقر اليها العبد فيأتيه الله بها * (هى ستة وأنا الضمين لنصفها) وهى الثلاثة الاول بامرك (فكن الضمين لنصفها يا بارى) * أى قريبا منى والمعنى كن مستمرا على ضمانك والا فهو تعالى قد ضمن لهم ذلك أى أنا فعلت ما أمرتنى به فتفضل على بما ضمنته * (مدحى لغيرك) بالله كأنه (لهب نار) وفى نسخة وهج نار (خضتها) أى دخلتها (فاجر عبيدك من دخول النار) أى من مدح غيرك (ثم دفع الى الرقعة) المكتوبة (فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة الى أول من يلقاك) فلا يكون لك اختيار فى شخص دون آخر (قال فخرجت فأول من لقينى رجل كان على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها) وقرأها (بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو فى المسجد الفلانى فرفع الى) للبشرى (صرة فيها ستمائة دينار) وفى نسخة درهم (ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال) لى (هذا) وفى نسخة هو (نصرانى فجئت الى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها) أى الصرة (فانه يجىء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل) وافظ الرسالة وافى (النصرانى وأكب على رأس ابراهيم) يقبله (وأسلم) على يديه ببركة وقوفه على الرقعة التى كتبها ابراهيم وأرسلها هذا لفظ القشيرى قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا سعيد التاهرتى يقول سمعت حذيفة المرعشى يقول وقد كان خدم ابراهيم ابن أدهم وصحبه فقيل له ما أعجب ما رأيت منه فذكره ورواه أبو نعيم فى الحلية فقال سمعت أبا الفضل أحمد بن أبى عمران الهروى الصوفى يقول سمعت حذيفة المرعشى يقول صحبت ابراهيم بالبادية فى طريق الكوفة فكان يمشى ويدوس ويصلى على كل ميل ركعتين فبقينا بالبادية حتى بليت ثيابنا فدخلنا الكوفة واوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم بن أدهم فقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فخرجت فجئته بهما فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود اليه فى كل حال والمشار اليه بكل معنى

أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكر * أنا جائع أنا حاسر أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك افح نار خضتها * فاجر عبيدك من دخول النار

ودفع الى الرقعة وقال اخرج ولا يعلق سرك بغير الله واعطها أوّل من تلقاه فخرجت فاستقبلنى رجل راكب على بغلة فاعطيته الرقعة فقرأها وبكى وقال أين صاحب هذه الرقعة فقلت فى المسجد الفلانى الخراب فاخرج من كمه صرة دنانير فاعطانى فسألت عنه فقيل هو نصرانى فرجعت الى ابراهيم وأخبرته فقال لا تمسه فانه يجىء الساعة فما كان باسرع ان وافى النصرانى فاكب على رأس ابراهيم فقال يا شيخ قد حسن ارشادك الى الله فاسلم وصار صاحبا لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى (وقال أبو يعقوب) يوسف بن نافع (البصرى الاقطع) ويعرف أيضا بالتوام (جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا) ببدنى من الجوع (فحدثتنى نفسى بالخروج)

فخرجت الى الوادى لعلى أجد شيأ يسكن ضعفى فرأيت سلجمة مطروحة فأخذتها فوجدت فى قلبى منها وحشة وكأن قائلا يقول لى جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد وقعدت فاذا أنا برجل أعجمى قد أقبل حتى جلس بين يدى ووضع قطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتنى بها فقال اعلم انا كنا فى البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصنى الله تعالى ان أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصرى من المجاورين وأنت أول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها سميد مصرى ولوز مقشور وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقى الى أصحابك هدية منى اليكم وقد قبلتها ثم قلت فى نفسى رزقك يسير اليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادى وقال ممشاد الدينورى كان على دين فاشتغل قلبى بسببه فرأيت فى النوم كأن قائلا يقول يا بخيل أخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهما وحكى عن بنان الحمال قال كنت فى طريق مكة أجىء من مصر ومعى زاد فجاءتنى امرأة وقالت لى يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت بزادى ثم أتى على ثلاث لم آكل فوجدت خلخالا فى الطريق فقلت فى نفسى احمله حتى يجىء صاحبه فربما يعطينى شيأ فأرده عليه فاذا أنا بتلك المرأة فقالت لى أنت تاجر تقول عسى يجىء صاحبه فآخذ منه شيأ ثم رمت لى شيأ من الدراهم وقالت أنفقها فاكتفيت بها الى قريب من مكة

لطلب شئ آكله (فخرجت الى الوادى لعلى أجد شيأ يسكن قلبى) وفى نسخة ضعفى (فرأيت سلجمة) هى نبت (مطروحة) على الارض (فاخذتها فوجدت فى نفسى منها وحشة وكأن قائلا يقول لى جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد الحرام فقعدت فاذا أنا برجل أعجمى جلس) وفى نسخة جاء فجثا (بين يدى ووضع قمطرة) وهى ما يصان فيه المكاتيب (فقال هذه لك فقلت كيف خصصتنى) أى لم خصصتنى بهذه (قال اعلم انا كنا فى البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على الغرق) من تعاصيف الرياح ونذر كل واحد منا ان خلصنا الله تعالى أن يتصدق بشئ (فنذرت) أنا (ان خلصنى الله تعالى ان اتصدق بهذه القمطرة (على أول من يقع عليه بصرى من المجاورين) بالحرم (وأنت أول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها) كعك (سميد مصرى) من خالص لباب البر (ولوز مقشور وكسر كعاب) أى عقد (فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت) له (رد الباقى الى صبيانك) هو (هدية منى اليكم) أى لصبيانكم (وقد قبلتها) بما فيها اقبل هديتى للباقى (ثم قلت فى نفسى رزقك يسير اليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادى) حاصل ذلك انه لما أشرفت همته وألقى السلجمة ثم رجع الى الحرم مؤدبا نفسه فى عدم صبرها عن الطعام وفى شرهها معتمدا على الله بان يأتيه بما هو أشرف وأطيب من السلجمة أتاه العجمى بالقمطرة وأعلمه بسبب نذره منذ عشرة أيام فوبخ نفسه وقال لها يسوق لك رزقك الطيب منذ عشرة ايام وانت تطلبيه من الوادى ثم امسك نفسه عن قبولها بشره وقال للعجمى افتحها فلما فتحها ووجد فيها مما ذكر لم يأخذها كلها بل أخذ منها ما رد جوعه فى الوقت وقال له قد قبلتها وفاء بنذرك ووهبت الباقى منها لصبيانك وهذا كمال فى كسر النفس مع شدة الحاجة الى الطعام ورفع الهمة والاعتماد على الله فى ان يأتى له بمثله او بارفع منه عند الحاجة وهذه الحكاية اوردها القشيرى فى الرسالة (وقال) ابو الحسن (ممشاد الدينورى) رحمه الله تعالى (كان على دين) لزمنى فى طاعة (فاشتغل) به (قلبى فرأيت فى النوم كأن قائلا يقول يا بخيل أخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ) ولا تبال (عليك الاخذ وعلينا العطاء) قال (فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم) كذا فى النسخ وفى بعضها ولا غيرهما وذلك ان من عامله عرف حاله وانه لا مال له وان معاملته محض خير وانما عامله على انه اذا فتح الله عليه بشئ أتاهم به ونبه فى الرؤيا على ان الله تعالى اذا لم يقض الدين عنه فى الدنيا ارضى عنه أربابه فى الآخرة لانه التزمه لوجهه كالاقتراض للفقراء وهذه الحكاية اوردها كذلك القشيرى قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول كنت عند ممشاد الدينورى فجرى حديث الدين فقال كان على دين فساقها (وحكى عن أبى) الحسن (بنان بن محمد) الحمال الواسطى نزيل مصر والمتوفى بها سنة ٣١٠ انه (قال كنت فى طريق مكة أجىء من مصر ومعى زاد) حملته معى (فجاءتنى امرأة) وكانت ولية مكاشفة أدبنى الله بها لزعمى انى تمكنت فى التوكل وقد حملت الزاد (و) ذلك انها (قالت يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم) فى نفسك (انه لا يرزقك) بدونه (قال) فتنبهت من قولها (فرميت بزادى) ومشيت على قدم التوكل (ثم أتى على ثلاثون) من الايام (لم آكل) فيها شيأ (فوجدت خلخالا) بالفتح مرميا (فى الطريق فقلت فى نفسى أحمله حتى يجىء صاحبه فربما يعطينى شيأ فأرده عليه فاذا أنا بتلك المرأة) قد ظهرت لى (فقالت لى أنت تاجر تقول) فى الخلخال (عسى يجىء صاحبه فآخذ منه شيأ) وادفع له خلخاله ولم لا تدفعه له فلا تأخذ منه شيأ (ثم رمت لى شيأ من الدراهم وقالت انفقها) على نفسك (فاكتفيت) أى فاخذتها واكتفيت (بها الى قريب) من (مكة) وفى بعض النسخ الى قريب من مصر فادب بنان مع علو رتبته مرتين بالمرأة الاولى انكارها عليه حمل الزاد مع زعمه التمكن فى التوكل والثانية قولها له أنت تاجر الخ واعانتها له على حاله بما أعطته له

وحكى أن بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا يجيء النفير فنشترى ما يوافق فلما ورد النفير اجتمع
رأيهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال أهدتها اليه امرأة
من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة وقيل كان فى الزمان الاول رجل فى سفر ومعه قرص فقال ان أكلته مت فوكل
الله عز وجل به ملكا
وقال ان أكله فارزقه
وان لم يأكله فلا تعطه
غيره فلم يزل القرص معه
الى ان مات ولم يأكله وبقى
القرص عنده وقال أبو
سعيد الخراز دخلت
البادية بغير زاد فاصابتنى
فاقة فرأيت المرحلة من
بعيد فسررت بان وصلت
ثم فكرت فى نفسى أنى
سكنت واتكلت على
غيره وآليت أن لا أدخل
المرحلة الا ان أحمل اليها
نحفرت لنفسى فى الرمل
حفرة وواريت جسدى
فيها الى صدرى فسمعت
صوتا فى نصف الليل عاليا
يا أهل المرحلة ان لله
تعالى وليا حبس نفسه فى
هذا الرمل فالحقوه فجاء
جماعة فاخرجونى وحملونى
الى القرية وروى أن
رجلا لازم باب عمر رضى
الله عنه فاذا هو بقائل
يقول يا هذا هاجرت الى
عمر أو الى الله تعالى اذهب
فتعلم القرآن فانه سيغنيك
عن باب عمر فذهب الرجل
وغاب حتى افتقده عمر فاذا
هو قد اعتزل واشتغل
بالعبادة فجاءه عمر فقال له
انى قد اشتقت اليك فما
الذى شغلك عنى فقال انى قرأت القرآن فاغنانى عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك
الله فما الذى وجدت فيه فقال وجدت فيه وفى السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض فبكى عمر وقال صدقت
فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس اليه

من الدراهم وهذه الحكاية أيضا أوردها القشيرى فى الرسالة (وحكى) أيضا (ان بنانا) المذكور رحمه الله
تعالى (احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه) فى تحصيلها له (فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا) ثمنها احفظه
عندك وحيث (تجيء النفر) الذين يبيعون الجوارى (فنشترى) لك (ما يوافق) غرضك (فلما ورد النفر)
عليها (اجتمع رأيهم على واحدة) منهن (وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال انها امانة وليست
للبيع فالحوا عليه) فى مساومتها (فقال انها لبنان الحمال أهدتها اليه امرأة من سمرقند فحملت الى بنان
وذكرت له) هذه (القصة) ففيه دلالة على ان الله تعالى لطيف بمن يتوكل عليه ويقضى حوائجه وهو لا يشعر
فانه تعالى لما علم حاجة بنان الى من يخدمه لعجزه وعلم بذلك أصحابه واشتغلوا بتدبير أمره ألقى الله فى قلب تلك
المرأة بسمرقند ارسال هذه الجارية اليه وهذه أيضا أوردها القشيرى فى الرسالة (وقيل كان فى الزمان الاول
رجل فى سفر ومعه قرص فقال ان أكلته مت) جوعا (فوكل الله عز وجل به ملكا وقال ان أكله فارزقه
غيره (وان لم يأكله فلا تعطه شيأ غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم يأكله وبقى القرص عنده) فيه دلالة
على التحذير من الحرص على الحاصل وأقبح الحرص حرص العبد على الشئ حتى لا ينتفع به فى نفسه فضلا
عن غيره من المحتاجين اليه كما هنا وهذه الحكاية أيضا أوردها القشيرى فى الرسالة وفائدتها ان الحق
تعالى انما ضمن الكفاية للمحتاج وهذا قد أغناه بالقرص فاعتمد عليه فقد تسبب فى اهلاكه نفسه بحرصه
عليه وفيه تنبيه على ان المتوكل يكون وثوقه بما فى يد الله أوثق مما فى يديه (وقال أبو سعيد) أحمد بن عيسى
(الخراز) البغدادى المتوفى سنة ٢٧٧ (دخلت البادية) مرة (بغير زاد) لاصحح توكلى (فاصابتنى) فيها
(فاقة) أى جوع شديد (فرأيت المرحلة) أى القرية (من بعيد فسررت بانى) قد (وصلت) أى
بقرب وصولى لها (ثم فكرت فى نفسى انى سكنت) أى حصل فى هذا السرور وسكون (واتكلت على غيره)
تعالى فى تحصيل ما أنا محتاج اليه فعزمت على مخالفة نفسى (وآليت ان لا أدخل المرحلة) أى حلفت ان
لا أدخلها (الا ان أحمل عليها فحفرت لنفسى حفيرة وواريت فيها جسدى الى صدرى) تاديبا للنفس وتوبيخا
لها (فسمعت) وفى نسخة فسمعوا (صوتا فى نصف الليل عاليا) يقول (يا أهل المرحلة ان لله تعالى وليا حبس
نفسه فى هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة) ممن سمع الصوت (فاخرجونى وحملونى الى القرية) فقوى بذلك يقينى
وتمكن توكلى على ربى وهذا وأمثاله يفعلون ذلك لتعلم اليقين وهو ان يغلب على القلب ان الله تعالى على كل
شئ قدير وفيما ذكر دلالة على مراعاة الوفاء بالعهد مع الله فيما عزم عليه العبد من نيل المقامات الرفيعة وفيه
فضيلة للخراز حيث أقسم على الله فابره وهذه الحكاية أيضا أوردها القشيرى فى الرسالة قال سمعت محمد بن عبد
الله الصوفى يقول سمعت على بن محمد المصرى يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول دخلت البادية مرة بغير زاد
فساقها (وروى ان رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه) كل غداة (فقال) له (عمر) وقد شهد فيه مجيئه لاجل
الطلب (يا هذا هاجرت الى عمر أو الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب)
زمانا (حتى افتقده عمر) فسأل عنه فدل عليه (فاذا هو قد اعتزل) الناس (واشتغل بالعبادة فجاءه عمر فقال له
انى قد) افتقدتك (حتى اشتقت اليك فما الذى شغلك عنى فقال انى قرأت القرآن فاغنانى عن عمر وآل عمر
فقال) له (عمر رحمك الله فما الذى وجدت فيه فقال وجدت فيه وفى السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقى فى
السماء وأنا أطلبه فى الارض فبكى عمر وقال صدقت) وكانت موعظة له فيه (فكان عمر بعد ذلك يناوبه) أى
يأتيه نوبة بعد نوبة فى الاحيان (ويجلس اليه) ويجتمع اليه نقله صاحب القوت وقال فهذه علامة مراد مطلوب

والطالب

وقال ابو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فبينا أنا امشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي أن أستغيث فقلت لا والله لا أستغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه أحد فأتوا بقصب وبارية وطموا رأس البئر فهممت ان أصيح فقلت في نفسي الى من أصيح هو أقرب منهما وسكنت فبينا أنا بعد ساعة اذ أنا بشيء جاء وكشف عن رأس البئر وادلى رجله وكأنه يقول تعلق بي في همهمة له كنت أعرف ذلك فتعلقت به فأخرجني فاذا هو سبع فر وهتف بي هاتف يا أبا حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فشيت وأنا أقول

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى * وأغنيتني بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في أمري فأبديت شاهدي * الى غائبي واللطف يدرك باللطف
تراءيت لي بالغيب حتى كأنما * تبشرني بالغيب أنك في الكف
أراك وبي من هيبتي لك وحشة * فتؤنسني باللطف منك وبالعطف
وتحيي محبا أنت في الحب حتفه * وذا عجب كون الحياة مع الحتف

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر واذا قوي الايمان به وانضم

والطالب المردود اذا تعلم القرآن افتقر الى الخلق وازداد طمعا فيهم وطغى في القرآن وتكبر فالقرآن محنة تكشف المرادين والمردودين وهي غنى للموقنين وفقر للطامعين (وقال أبو حمزة الخراساني) مشهور بكنيته نيسابوري من أقران الجنيد مات سنة ٢١٠ (حججت سنة من السنين) على قدم التجرد والتوكل (فبينا أنا أمشي في الطريق اذ وقعت في بئر) عادية (فنازعتني نفسي ان أستغيث) بأحد (فقلت لا والله لا أستغيث) توبيخا للنفس (فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر) وأنا أسمع حديثهما (تعال يا فلان حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيها أحد فأتوا) كذا في النسخ وكذا هو في الرسالة والاولى فأتيا أو يحتمل ان يكون معهما غيرهما كالخادم لهما (بقصب) فارسي (وبارية) أي حصير (وطموا) أي سدوا رأس البئر (فهممت ان أصيح) من داخل البئر فيسمعوا صوتي فيخرجوني منها (فقلت في نفسي الى من أصيح هو أقرب منهما) وفي نسخة أصيح الى من هو أقرب منهما وفي أخرى أشكو بدل أصيح (وسكنت) أي حصل لي السكون والاطمئنان وفي نسخة سكت (فبينا أنا بعد ساعة) وقد ذهب الرجلان (اذا أنا بشيء جاء وكشف رأس البئر وأدلى رجله) فيها (وكأنه يقول تعلق بي في همهمة) أي صوت خفي (له كنت أعرف ذلك منه) أي فهمت منها انه يقول تعلق بي (فتعلقت به فأخرجني فاذا هو سبع) سخره الله لي (فر) أي جاوزني (وهتف بي هاتف فقال (يا أبا حمزة أليس هذا أحسن) من نجاتك قبل طم رأس البئر (ان نجيناك من التلف) أي من الهلاك (بالتلف) أي المتلف (فشيت وأنا أقول

(نهاني حيائي منك ان أكتم الهوى * وأغنيتني بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في أمري فأبديت شاهدي * الى غائبي واللطف يدرك باللطف)

أي أبديت حالي الحاضر لحالي الغائب عني

(تراءيت لي بالغيب حتى كأنما * تبشرني بالغيب انك في الكف
أراك وبي من هيبتي لك وحشة * فتؤنسني باللطف منك وبالعطف
وتحيي محبا أنت في الحب حتفه * وذا عجب كون الحياة مع الحتف)

فالعبد لا يعيش مع مولاه حتى يموت عن أغراض نفسه وهواه والغرض من جملة الابيات ان الله تعالى يري العبد من عجائب قدرته ولطفه ما يغنيه عن فكره وكشفه ومن الحكاية السابقة يرى المتوكل ان الافعال كلها لله تعالى فانه المحرك له والمسكن له وقد كان قادرا على ان يحفظ هذا من الوقعة في البئر ليظهر تحقق توكله ولهذا لم يصح في البئر حين سد رأسه مع انه كان متمكنا من ازالة البارية عن رأسها بلا كلفة ان تعين عليه الطلوع وهذه الحكاية مع الابيات أوردها القشيري في الرسالة فقال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول قال أبو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فساقها وقد اعترض المنكر على المصنف خاصة في تقرير فعل أبي حمزة الذي ذكر ثم على الصوفية عامة وقالوا ان الذي فعله أبو حمزة لا يجوز شرعا وقد أجاب عنه الشيخ عبد الوهاب الشعراني في الاجوبة المرضية وقد سبق في مقدمة كتاب العلم شيء من ذلك وحاصله انه لا ينبغي المبادرة الى الاعتراض فان أبا حمزة لم يصدر منه ذلك الا بعد ان منحه الله تعالى يقينا كاملا وقلبا مشاهدا وحالا غالبا وحبا زاجرا وحاجزا عليه ان يلتفت الى غير مولاه أو يرى معه فاعلا سواه وسبقه الى هذا الجواب القطب عبد الله بن سعد اليافعي قدس سره فقال في جملة كلامه ولو انه كان حصل لهذا المنكر على أبي حمزة نفحة من نفحاته لما أنكر عليه قال والعجب كل العجب ممن ينكر ويعترض على من يراه من الاولياء فانيا عما سوى الحق تعالى مشاهدا له لا يرى في الملك والملكوت الا من هو أشفق عليه من أمه بل من نفسه مع انه لما وقع لابي حمزة شاهد عظيم في الشرع وهو ما وقع لسيدنا ابراهيم عليه السلام لما ألقي في النار وجاءه جبريل عليه السلام فقال أنا جبريل ألك حاجة قال أما اليك فلا قال فسل ربك ينجيك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فهل كان هذا من ابراهيم عليه السلام الا من كمال يقينه وفنائه عن نفسه حتى لم يشهد غير الحق جل جلاله (وأمثال هذه الوقائع مما يكثر) وقوعها (واذا قوي الايمان به وانضم

اليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير ضيق صدر وقوى الايمان بانه ان لم يسق اليه رزقه في أسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه ثم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم أصلا *(بيان توكل المعيل)* اعلم أن من له عيال فحكمه يفارق المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين أحدهما قدرته على الجوع أسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والآخر أبواب من الايمان ذكرناها من جملتها ان يطيب نفسا بالموت ان لم يأته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصا في الدنيا فهو زيادة في الآخرة

فيرى انه سيق اليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة وان هذا هو المرض الذي به يموت ويكون راضيا بذلك وانه كذا قضي وقدر له فهذا يتم التوكل للمنفرد ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن أي يقرر عندهم الايمان بالتوحيد وأن الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذا سائر أبواب الايمان فاذا لا يمكنه في حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل أبي بكر الصديق رضي الله عنه اذ خرج للكسب فاما دخول البوادي وترك العيال توكلا في حقهم أو القعود عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة فله أن يتوكل في حقهم ونفسه أيضا عيال عنده ولا يجوز له أن يضيعها الا أن تساعده على الصبر على الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روي ان أبا تراب النخشبي نظر الى صوفي مد يده الى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق أي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام اكثر من ثلاثة أيام وقال ابو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد

اليه القدرة على الجوع قدر أسبوع) أو ما يقاربه (من غير ضيق صدر) ولا ملالة نفس (وقوي الايمان بانه ان لم يسق اليه رزقه في أسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه ثم) وصف (التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم أصلا) والله الموفق

(بيان توكل المعيل)

أي صاحب العيال من زوجة وولد (اعلم) هداك الله تعالى (ان من له عيال فحكمه يفارق المنفرد) المتجرد (لان المنفرد) المتجرد (لا يصح توكله الا بامرين أحدهما قدرته على الجوع أسبوعا من غير استشراف) أي تطلع (و) من غير (ضيق نفس) منه (والآخر أبواب من الايمان ذكرناها من جملته) وفي نسخة من جملتها (ان يطيب نفسا بالموت) ويوطنها عليه (ان لم يأته رزقه علما) منه (بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصا في الدنيا فهو زيادة) درجات (في الآخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين) له (وهو رزق الآخرة وان هذا هو المرض الذي به يموت ويكون راضيا بذلك وانه كذا قضي وقدر له فهذا يتم التوكل للمنفرد و) هذا بخلاف المعيل اذ (لا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن ان يقر عندهم الايمان بالتوحيد وان الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك سائر أبواب الايمان فاذا لا يمكنه في حقهم الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث) من مقامات التوكل (كتوكل أبي بكر الصديق رضي الله عنه اذ خرج للكسب) بعدما ولي الخلافة (فاما دخول البوادي وترك العيال) هملا (توكلا في حقهم أو القعود عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهو حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم) اذ كل راع مسؤل عن رعيته (بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة فله ان يتوكل في حقهم ونفسه أيضا عيال عنده ولا يجوز له ان يضيعها الا ان تساعده على الصبر على الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل) قال ابراهيم الخواص في كتاب التوكل وليس للعبد ان يحمل حال عياله على حاله الا أن يكون اختيارهم كاختياره وصبرهم على فقرهم واغتباطهم بضرهم لمعرفتهم بفضل الفقر كمعرفته فجائز حينئذ ان يسير بهم سيرته ويسقط عنه الكسب لاجلهم لانهم كهول في الحال مع سقوط المطالبة عنهم له لحقوقهم عليه وقد فعل ذلك جماعة من السلف (ولذلك روي ان أبا تراب) عسكر بن حصين (النخشبي) نسبة الى نخشب مدينة بما وراء النهر عربت فقيل لها نسف شيخ عصره عالم زاهد ورع متوكل روى عن محمد بن عبد الله بن نمير وعنه محمد بن عبد الله بن مصعب وغيره مات بالبادية سنة ٢٤٥ قيل نهشته السباع وقال القشيري صحب حاتما الاصم وأبا حاتم العطار البصري (نظر الى صوفي مد يده الى قشر بطيخ) مرمي في الطريق (ليأكله بعد ثلاثة أيام) لم يأكل فيها شيأ (فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق) نقله القشيري الا أنه قال ألزموا السوق (أي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام) أي ان حاله ذلك يدل على عدم كمال شغله بالله وعدم صبره وشدة ميله الى الطعام ومن هذه صفته بقاؤه مع سبب وانتقاله شيأ فشيأ عن عبادته أولى من خروجه عما بيده جملة (وقال أبو علي) أحمد بن محمد (الروذباري) البغدادي نزيل مصر والمتوفى بها سنة ٣٢٢ أخذ في التصوف عن الجنيد وشيخه في الفقه أبو العباس بن سريج وفي الادب ثعلب وفي الحديث ابراهيم الحربي (اذا قال الفقير بعد

خمسة أيام انا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذا بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يفارقه في شئ واحد وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تأخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى اذ لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار أقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا أن الناس عدلوا الى أسباب أظهر منها فلم يعدوا تلك أسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما ترى الجنين في بطن امه لما ان كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى تنتهي اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل به شاءت ام أبت اضطرارا من الله تعالى اليه بما أشعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فأدر له اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أنبت له اسنانا قواطع وطواحين لاجل المضغ فاذا كبر واستقل يسر له أسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض

٧ هنا بياض بالاصل

خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب) نقله القشيري في الرسالة (فاذا بدنه عياله) أي بمنزلة عياله (فتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يفارقه في شئ) واحد (وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله) الا ان وافق اختيارهم اختياره فيكونون كهو فيما سبق (وقد انكشف لك من هذا ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب) كأنه ليس تلبسا بها (بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تأخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار أو ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى اذ لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار أقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب) فقد روى القشيري بسنده الى ابراهيم الخواص قال بينما أسير في البادية فاذا بهاتف فالتفت اليه فاذا اعرابي فقال لي يا ابراهيم التوكل عندنا أي في البوادي أقم عندنا حتى يصح توكلك الا تعلم ان رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة تحملك اقطع رجاءك عن البلدان وتوكل (الا ان الناس عدلوا الى أسباب هي أفضل منها فلم يعدوا تلك أسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل) ومن هنا قال بعضهم في حد التوكل هو احسان الظن وقصر الامل (ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك والملكوت) بلطايف حكمته وجميل قدرته (تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه أما ترى الجنين في بطن أمه لما كان عاجزا عن الاضطراب) كيف تولاه المولى بتدبيره في سائر أطواره وقام له في كل ذلك بوجوه ابراره فجعله في نطفة مستودعة في الاصلاب ثم قذفها في رحم الام ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما ثم جعلها بعد النطفة علقة مهيأة لما يريد سبحانه ان ينقلها اليه ثم بعد العلقة مضغة ثم فتقها صورة وأقام بنيتها ثم نفخ فيها الروح (كيف وصل سرته بالام حتى انتهى اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين فاجرى عليه رزقه قبل ان يخرجه الى الوجود) وبقاه في رحم الام حتى قويت أعضاؤه واشتدت أركانه ٧ الى البروز الى ما قسم له أو عليه ولم يبرزه الى دار يتعرف فيها بفضله وعدله اليه (ثم لما انفصل) نازلا الى الارض (سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل به شاءت أم أبت اضطرارا من الله تعالى) اليه (بما اشتعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام) ولا رحى يستعين بها على الطحن (جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج) فيه (الى المضغ) والطحن (ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف) ولا يستطيع تناول خشونات المطاعم (فادر له اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله بحسب حاجته فكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الام) ووكل بالثدي مستحث الرحمة في قلب الام كلما وقف اللبن عن البروز استحثته الرحمة التي جعلها في الام مستحثا لا يفتر ومستنهضا لا يقصر فكان هذا بحيلة الطفل ام بحيلة الام (فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أنبت له اسنانا قواطع) وأرحى (وطواحين لاجل المضغ) والطحن على ما سبق بيانه في كتاب الشكر ثم انه شغل الاب والام بتحصيل مصالحه والرأفة عليه والنظر بعين المودة منهما اليه وما هي الا رأفة ساقها للعباد في مظاهر الآباء والامهات تعريفا بالوداد وفي حقيقة الامر ما كلفه الا ربوبيته وما حضنته الا الهيته ثم ألزم الاب القيام فيه الى حين البلوغ وأوجب عليه ذلك رأفة منه به (فاذا كبر واستقل يسر له أسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض

لانه مانقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب فالآن قد قدر فزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخصا واحدا وهى الام أو الاب وكانت شفقته مفرطة جدا فكان يطعمه و يسقيه فى اليوم مرة أو مرتين وكان اطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلاد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا أحس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه ألف وزيادة وقد كانوا

لانه مانقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه) من قبل (لم يكن قادرا على الاكتساب فالآن قدر فزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخصا واحدا وهى الام أو الاب وكانت شفقته مفرطة جدا فكان يطعمه و يسقيه فى اليوم مرة ومرتين وكان اطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه) وماهى الارأفته سبحانه (فكذلك قد سلط الله تعالى الشفقة والمودة والرأفة والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلد كافة) من مؤمن وكافر (حتى ان كل واحد منهم اذا أحس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية الى ازالة حاجته) وتيسير طلبته (فقد كان المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه ألف وزيادة ولقد كانوا) من قبل (لا يشفقون عليه لانهم رأوه فى كفالة الام والاب وهو مشفق خاص فرأوه محتاجا ولورأوه يتيما) لا أم له (لسلط الله داعية الرحمة) ومستحث الشفقة (على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه و يكفلونه فمارؤى الى الآن فى سنى الخصب) وأعوام الرخاء (يتيم قدمات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كفيل خاص والله تعالى كافل بواسطة الشفقة التى خلقها فى قلوب عباده) و بشهافها وفى ذلك ما يلزمه الاستسلام اليه تعالى والتوكل عليه (فلماذا ينبغى ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ) أو يتحايل على التدبير أو ينازع المقادير (ولم يشتغل فى الصبا) وقبل الصبا (وقد كان المشفق واحدا والمشفق الآن الفا نعم كانت شفقة الام أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت) قوتها بالاضافة الى شفقة الوالدين (فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله له حالا هو أحسن من حال من له أب وأم فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين و بترك التنعم) فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين كما فى حديث فضالة (والاقتصار على قدر الضرورة ولقد أحسن الشاعر) وهو ابن الرومى (حيث يقول)

(جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون
جنون منك ان تسعى لرزق * و يرزق فى غشاوته الجنين)

قوله سيان بالكسر وتشديد التحتية أى مستويان والغشاوة اسم الجلد الذى يكون على الجنين وهى المشيمة وقد وجد البيتان هكذا بخط النووى فى هامش كتابه مختصر علوم الحديث وقد كتب على بن العز الحنفى بخطه على قوله بما يكون مسلم وعلى قوله والسكون لا نسلم وعلى قوله لرزق لا نسلم وعلى قوله والجنين مسلم ثم عارض ذلك بابيات وهى هذه

يسال الرزق فى وقت بسعى * وفى وقت بلا سعى يكون * وكسب الرزق نوع منه فرض
فلا تجنح الى كسل يشين * يمشى فى مناكبها أمرنا * وفى تغدو خماصا تستبين
جرى قلم القضاء بكل هذا * وفى كل ميسر اليقين * ومن اياك نعبد خذ دليلا
وقل اياك أيضا نستعين * ومن قاس القوى على ضعيف * كمن قاس الصديق بمن يمين
فسل من ربك التوفيق واحرص * على ما فيه نفعك مستبين
وكن متوكلا مع فعل ما قد * أمرت به وذا دنيا ودين

(فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا بصباه) عن الاضطراب (وأما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه و يقولون هو مثلنا) وقوته كقوتنا (فليجتهد لنفسه) وليكتسب (فاقول ان كان هذا القادر بطالا

لا يشفقون عليه لانهم رأوه فى كفالة الام والاب وهو مشفق خاص فما رأوه محتاجا ولو رأوه يتيما لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى يأخذونه و يكفلونه فمارؤى الى الآن فى سنى الخصب يتيم قدمات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التى خلقها فى قلوب عباده فلماذا ينبغى ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل فى الصبا وقد كان المشفق واحدا والمشفق الآن ألف نعم كانت شفقة الام أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله تعالى له حالا هو أحسن من حال من له أب وأم فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين و بترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة ولقد أحسن الشاعر حيث يقول جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون جنون منك ان تسعى لرزق * و يرزق فى غشاوته الجنين فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا بصباه وأما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه و يقولون هو مثلنا فليجتهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالا فارغا

فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فات التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فالابطال والتوكل وان كان مشتغلا بالله ملازما المسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته وانما عليه أن لا يغلق الباب ولا يهرب الى جبل من بين الناس وما روي الى الآن عالم أو عابد استغرق الاوقات بالله تعالى وهو في الامصار فمات جوعا ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله تعالى كان الله عز وجل له ومن اشتغل بالله عز وجل ألقى الله حبه في قلوب

الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها فقد دبر الله تعالى الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر الى مدبر الاسباب لا الى الاسباب نعم ما دبره تدبيرا يصل الى المشتغل به الحلو والطيور السمان والثياب الرقيقة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك أيضا في بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا يصل الى كل مشتغل بعبادة الله تعالى في كل أسبوع قرص شعيرا أو حشيش يتناوله لا محالة والغالب انه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل بغير اضطراب وهو في الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي النادر أيضا قد يحصل بغير اضطراب فاثر الاضطراب ضعيف عند من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز عبدا من عباده رزقه وان سكن الا نادرا ندورا عظيما يتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشفت هذه الامور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس اثمر ما قاله الحسن البصري رحمه الله اذ قال وددت ان أهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك

فارغا (فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه) ولا للسؤال (فان التوكل مقام) عظيم (من جملة مقامات الدين) ومنشؤه من خالص اليقين (يستعان به على التفرغ لله تعالى فالابطال والتوكل) ليس هو من رجاله (وان كان مشتغلا بالله ملازما المسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرر حبه في قلوب الناس) ويثبته (حتى يحملوا اليه مؤن كفايته وانما عليه ان لا يغلق الباب ولا يهرب الى جبل من بين الناس) من المشاهد (وما روي الى الآن عالم أو عابد استغرق الاوقات بالله تعالى وهو في الامصار فمات جوعا ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله عز وجل كان الله عز وجل له) ومن كان همه هما واحدا كفاه الله همه (ومن اشتغل بالله عز وجل) وأحبه (ألقى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها) وقد جاء في الخبر اذا أحب الله عبدا ألقى حبه في قلوب الناس وفي لفظ قذف حبه في قلوب الملائكة ثم يقذفه في قلوب الآدميين (فقد دبر الله تعالى الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت) لقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض الآية (فمن شاهد هذا التدبير) البليغ وثق بالمدبر واشتغل به وآمن (ونظر الى مدبر الاسباب لا الى الاسباب) ولا يصح مقام من مقامات اليقين الا باسقاط التدبير مع الله وتعلقه بمقام التوكل والرضا أبين من تعلقه بسائر المقامات فمن لازم من ألقى قياده الى الله واعتمد في كل أموره عليه الاستسلام لجريان المقادير (نعم ما دبره تدبيرا يصل الى المشتغل به الحلوى والطيور السمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة) المرفهة (على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك أيضا في بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا يصل الى كل مشغول بعبادة الله تعالى في كل اسبوع قرص شعيرا وحشيش يتناوله لا محالة والغالب أنه يصل اكثر منه بل ويصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاغذية اللطيفة) في كل وقت (وليس ذلك من طريق الآخرة) الا من قهر نفسه وملكها وأراد بها ذكر اظهار ما من الله به عليه بشرط أن يكون وجوده وعدمه عنده سيين (وذلك قد لا يحصل بغير اضطراب وهو في الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي النادر أيضا قد يحصل بغير اضطراب فاثر الاضطراب ضعيف عند من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز عبدا من عباده رزقه وان سكن الا نادرا ندورا عظيما يتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشفت هذه الامور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس أثمر ما قاله الحسن البصري رحمه الله تعالى اذ قال وددت ان أهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار) نقله صاحب القوت قال وهذا من نهاية التوكل وليس ذلك الا في تسليم الاحكام والرضا بها كيف جرت بهم لان هذا قد جاوز العقول فلعل يطعمهم الموت (وقال) أبو أمية (وهيب بن الورد) المكي يقال اسمه عبد الوهاب رحمه الله تعالى (لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك) ولفظ القوت وروينا عن سفيان عن وهيب بن الورد لو ان السماء لم تمطر والارض لم تنبت ثم اهتممت بشئ من رزقي لظننت اني كافر وفي رواية عن وهيب منذ أربعين سنة لو كانت السماء رصاصا والارض نحاسا لم أهتم برزقي ولو

فاذا فهمت هذه الامور فهمت أن التوكل مقام مفهوم فى نفسه ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من أنكر أصل التوكل وامكانه أنكره عن جهل فاياك أن تجمع بين الافلاسين الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذا عليك بالقناعة بالنزر القليل والرضا بالقوت فانه يأتيك لامحالة وان فررت منه وعند ذلك على الله أن يبعث اليك رزقك على يدى من لا تحتسب فان اشتغلت بالتقوى و التوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الآية الا انه لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذائذ الاطعمة فما ضمن الا الرزق الذى تدوم به حياته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأن الى ضمانه فان الذى أحاط به تدبير الله من الاسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الارض وسببه فى السماء قال تعالى وفى السماء رزقكم وماتوعدون وأسرار السماء لا يطلع عليها

اهتممت به لظننت انى مشرك وقال بعض أهل المعرفة قد صدق وهيب لو ان الهم داخل عليه فى تصديقه كان الشك قد نقص تصديقه وكان يكون شا كالانه ليس من صحة التصديق و الصدق الاهتمام بالرزق لان الرزق جزء من مائة جزء قد وقع تصديق المؤمن به فمن لم يصح تصديقه فى هذا الجزء الواحد لم يصح فى سائر الاجزاء قال والتصديق مقتضى السكون والطمأنينة والنفس تدعو الى الحركة طمعا فى استعجال أخذ الاسباب فمن كان محققا التصديقه بالسكون انصرف عن اجابة داعى النفس بالحركة الى السكون الذى يقتضى منه التصديق وشغل قلبه بالعمل فى تصحيح تصديقه (فاذا فهمت هذا فهمت ان التوكل مقام) شريف (مفهوم فى نفسه ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه) وروضها بالتدريج على الصبر على المكاره (وعلمت ان من أنكر أصل التوكل وامكانه) انما (أنكر عن جهل) به عنه (فاياك أن تجمع بين الافلاسين افلاس عن وجود المقام ذوقا وافلاس عن الايمان به علما) أى فان لم تكن من الذائقين لهذا المقام فاقل الدرجات أن تكون من المصدقين له علما ومعرفة (فاذا عليك بالقناعة بالنزر اليسير) مما هو فى يديك (والرضا بالقوت) المتيسر (فانه سيأتيك لامحالة وان فررت منه) ولذلك قال على رضى الله عنه الرزق رزقان رزق يطلبك ورزق تطلبه فسره بعض العلماء فقال الرزق الذى يطلبك هو رزق الغذاء والرزق الذى تطلبه رزق التملك وهو طلب فضول القوت (وعند ذلك على الله أن يبعث اليك رزقك على يد من لا تحتسب فان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) تمامها ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال فى قوله تعالى يجعل له مخرجا أى ان يعلم أنه قبل الله وان الله هو الذى يعطيه وهو يمنعه وهو يبتليه وهو يعافيه وهو يدفع عنه وقوله لا يحتسب يقول من حيث لا يدرى وأخرجه سعيد بن منصور والبيهقى فى الشعب من طريق ابن مسروق مثله والآية نزلت فى رجل من أشجع كان قد أسر ابنه فشكا أبوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واصبر فلم يلبث حتى جاء ابنه واستاق غنم العدو وفى رواية قال له صلى الله عليه وسلم أن اكتب اليه يعنى ابنه ومره بالتقوى والتوكل على الله (الا أنه) تعالى (لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذائذ الاطعمة) وغيرهما من فضول الاقوات (فما ضمن الا الرزق الذى تدوم به حياته) وهو الرزق الطالب (وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن) جل جلاله (واطمأن الى ضمانه) وسكن اليه قلبه (فان الذى أحاط به تدبير الله من الاسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الارض) وهى من عالم الملك (وسببه فى السماء) وهى من عالم الملكوت (قال الله تعالى وفى السماء رزقكم وماتوعدون وأسرار السماء لا يطلع عليها) بتفاصيلها لانها من عالم الملكوت وذكر الشيخ ابن عطاء الله فى كتاب التنوير لهذه الآية فوائد ما ملخصها أى يا هذا المطالع للرزق من المخلوق الضعيف العاجز فى الارض ليس رزقك عنده انما رزقك عندى وأنا الملك القادر ولاجل هذا لما سمع بعض الاعراب هذه الآية نحر ناقته وخرج فارا الى الله تعالى وهو يقول سبحان الله رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض فانظر كيف فهم عن الله أن مراده بهذه الآية أن يرفع هممهم عباده اليه وأن تكون رغبتهم فيما لديه كما قال فى الآية الاخرى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم لتنحاش الهمم الى بابه وتنجح القلوب الى جنابه فكن سماويا علويا ولا تكن سفليا أرضيا ولذلك قال بعضهم

ابعد نفوذى فى علوم الحقائق * و بعد انبساطى فى مواهب خالقى
وفى حين اشرافى على ملكوته * أرى باسطا كفا الى غير رازق

وكيف تقر له بالربوبية يوم ألست بربكم وتعرفه وتوحده هنالك وتجهله ههنا وقد تواتر عليك احسانه وغمرك فضله وامتنانه كما قيل

فى القلب لكم منزلة علياء * لا تسكنها سعدى ولا لمياء
فى الذر عرفتكم فهل يجمل بى * أن أنكركم ولحيتى شمطاء

فهذه الآية هى التى غسلت الشكوك من قلوب المؤمنين وأشرقت فى قلوبهم أنوار اليقين وقد تضمنت ذكر

الرزق ومحله والتشبيه له بامر لاخفاء فيه وفيها فوائد الاولى لما علم سبحانه كثرة اضطراب النفوس فى شان الرزق كرر ذكره كما تكررت وروده عوارضه على القلوب كما تكرر الحجة اذا علمت ان الشبه مستمكنة فى نفس الخصم ليكون ذلك أوكد فى الحجة فذكر فى هذه الآية محل الرزق و بينه لتسكن اليه القلوب وليس الضمان مع ابهام المحل كالضمان مع تبيينه فهذا أبلغ فى ثقة النفس به وأقوى فى دفع الشك فيه الثانية يحتمل انه أراد اثبات رزقكم أى اثباته من اللوح المحفوظ ففيه اعلام لهم ان الشئ الذى منه رزقكم أثبتناه عندنا فى كتابنا وقضيناه بمشيئتنا من قبل وجودكم فلاى شئ تضطربون ومالكم الى لا تسكنون وبوعدى لا تثقون و يحتمل انه أراد بالرزق الماء وقال ابن عباس هو المطر فيكون الشئ الذى منه أصل رزقكم ولان الماء فى أصله رزق الثالثة يمكن أن يكون مراد الحق بهذه الآية تعجيز العباد من دعوى القدرة على الاسباب لان الله تعالى لو أمسك الماء على الارض لتعطل كل ذى سبب فكانه يقول ليست أسبابكم هى الرازقة لكم ولكن أنا الرازق لكم و بيدى تيسير أسبابكم لانى أنا المنزل لكم ما به كانت أسبابكم الرابعة فى اقتران الرزق بالامر الموعود فائدة جليلة وذلك ان المؤمنين علموا ان ما وعدهم الحق لابد من كونه ولا قدرة لهم على تعجيله ولا تأجيله ولا حيلة لهم فى جلبه فكأنه تعالى يقول كما لاشك عندكم ان عندنا ما توعدون كذلك لا يكن عندكم شك فى أن عندنا ما ترزقون وكما أنكم عن استعجال ما وعدنا قبل وقته عاجزون كذلك أنتم عاجزون عن أن تستعجلوا رزقا أجلته ربوبيتنا ووقته الهيتنا انتهى (ولهذا دخل جماعة على الجنيد) رحمه الله تعالى (فقال ماذا تطلبون فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم هو فى أى موضع فاطلبوه) ففيه اشارة الى أن الرزق أسبابه حيث لا يطلع عليه (قالوا فسل الله ذلك قال ان علمتم انه) تعالى (ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة) بان تدخلوا البيت تجربين الله هل يرزقكم (شك) اى فى الضمان وهو كفر (قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة) واعتمادكم بقلوبكم على الله واشتغالكم بما أمرتم به ولفظ القشيرى دخل جماعة على الجنيد فقالوا أين نطلب الرزق فقال ان علمتم فى أى موضع هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله ذلك فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت فنتوكل فقال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة انتهى ومنه أخذ الشاعر فقال * انما الحيلة فى ترك الحيل * هو اشارة الى اسقاط التدبير وترك منازعة المقادير وقد قال بعضهم من لم يدبر دبر له وقال القطب أبو الحسن الشاذلى قدس سره ان كان ولابد من التدبير فدبروا أن لا تدبروا أى ترك التدبير هو عين التدبير كما ان ترك الحيلة هو عين الحيلة ولله در القائل

امطرى لؤلؤا جبال سرنديب * وفيضى جبال تكرور تبرا
أنا ان عشت لست أعدم رزقا * واذا مت لست أعدم قبرا

(وقال) أبو سعيد أحمد بن عيسى (الخراز) رحمه الله تعالى وكان من المتوكلين (كنت فى البادية) على قدم التوكل (فنالنى جوع شديد) أى بعد مضى عشرة أيام (فغلبتنى نفسى أن أسأل الله طعاما) يرزقنيه فآكله (فقلت ليس هذا من فعال المتوكلين) فان مقتضى هذا المقام تغليب علمه تعالى بحال العبد وعدم المبادرة الى السؤال فانه سوء أدب (فطالبتنى أن أسأل الله صبرا) على الجوع (فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يهتف بى و يقول

ويزعم انه منا قريب * ونحن لانضيع من أتانا
و يسألنا على الاقتار جهدا * كأنا لانراه ولا يرانا)

أى فلما سمع ذلك سكن قلبه عن الاضطراب والقلق (فقد فهمت أن من انكسرت نفسه وقوى قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوى ايمانه بتدبير الله تعالى) اياه فى سائر أطواره وشؤنه (كان مطمئن النفس أبدا واثقا بالله عز وجل) فى حسن وفائه وصدق ضمانه (فان أسوأ أحواله أن يموت ولابد أن يأتيه) الموت وان طال (كما يأتى من ليس مطمئنا فاذا تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب) والذى ضمن رزق (القانعين بهذه الاسباب التى دبرها) بلطيف حكمته (صادق) فى وعده وضمانه (فاقنع) ليصح توكلك

ولهذا دخل جماعة على
الجنيد فقال ماذا تطلبون
قالوا نطلب الرزق فقال
ان علمتم أى موضع هو
فاطلبوه قالوا نسأل الله
قال ان علمتم أنه ينساكم
فذكروه فقالوا ندخل
البيت ونتوكل وننظر ما
يكون فقال التوكل على
التجربة شك قالوا فما
الحيلة قال ترك الحيلة
وقال أحمد بن عيسى
الخراز كنت فى البادية
فنالنى جوع شديد فغلبتنى
نفسى أن أسأل الله تعالى
طعاما فقلت ليس هذا
من أفعال المتوكلين
فطالبتنى أن أسأل الله
صبرا فلما هممت بذلك
سمعت هاتفا يهتف بى
و يقول
و يزعم أنه منا قريب
وانا لانضيع من أتانا
و يسألنا على الاقتار جهدا
كأنا لانراه ولا يرانا
فقد فهمت أن من
انكسرت نفسه وقوى
قلبه ولم يضعف بالجبن
باطنه وقوى ايمانه
بتدبير الله تعالى كان
مطمئن النفس أبدا
واثقا بالله عز وجل فان
أسوأ حاله أن يموت ولا
بد أن يأتيه الموت كما يأتى
من ليس مطمئنا فاذا
تمام التوكل بقناعة من
جانب ووفاء بالمضمون
من جانب والذى ضمن
رزق القانعين بهذه الاسباب التى دبرها صادق فاقنع

وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك ولا تكن في توكلك منتظرا للاسباب بل لمسبب الاسباب كما لا تكون منتظرا لقلم الكاتب بل لقلب الكاتب فانه أصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغي أن يكون النظر الا اليه وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد ويقعد في الامصار وهو حامل وأما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فاذا قنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ وثوب خشن يليق باهل الدين فهذا يأتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام بل يأتيه اضعافه فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتهاره بسبب ظاهر يجلب الرزق اليه أقوى من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء أقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وان كانوا معه الا اذا أراد أن يأخذ من أيدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه أولى لانه تفرغ لله عز وجل واعانة للمعطي على نيل (ان
الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله تعالى علم أن الرزق ليس على قدر الاسباب ولذلك سأل بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال أراد الصانع

(وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقا لما يرد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك و) لم تخطر في (حسابك ولا تكن في توكلك منتظرا للاسباب بل لمسبب الاسباب) أي خالقها وميسرها (كما لا تكون منتظرا لقلم الكاتب) الموقع (بل لقلب الكاتب فانه) أي القلب (أصل حركة القلم والمحرك الاول واحد) في الوجود (فلا ينبغي أن يكون النظر الا اليه) وفيه تلويح الى مقام وحدة الوجود عند الصوفية (وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد) يحمله (و) كذا من (يقعد في الامصار وهو خامل) الذكر (وأما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فاذا قنع في اليوم والليلة بالطعام) المتيسر (مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ) والانواع المختلفة (وثوب خشن) من مستعمل ثياب بلده مما (يليق باهل الدين) ولا يكون من الشطار والجندية (فهذا يأتيه من حيث يحتسب و) من حيث (لا يحتسب على الدوام) من غير انقطاع (بل يأتيه اضعافه فتركه التوكل واهتمامه بالرزق) المضمون (غاية الضعف والقصور فان اشتهاره بسبب ظاهر يجلب الرزق اليه أقوى من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين) أولى الصلاح المتين (وهو بالعلماء) بالله وأحكامه (أقبح لان شرطهم القناعة) وهذا الاهتمام يضادها وقبيح بذوي الايمان أن ينزلوا حاجتهم بغير الله تعالى مع علمهم بوحدانيته وانفراده بربوبيته وهم يسمعون قوله تعالى أليس الله بكاف عبده وذلك من العلماء أقبح فرفع الهمة عن الخلق وعدم الاهتمام بالرزق هو ميزان العلماء ومعيار الرجال كما توزن الذوات توزن الاحوال والصفات وأقيموا الوزن بالقسط فيظهر الصادق بصدقه والمدعي بعجزه (والعالم القانع يأتيه رزقه) بل (ورزق جماعة كثيرة ان كانوا معه) وقد ابتلى الله بحكمته العلماء الذين ليسوا بقانعين ولا في وصفهم صادقين باظهار ما كتموا من الحرص والشره والرغبة وأسروا في أنفسهم من الشهوة فابتذلوا نفسهم لابناء الدنيا مباسطين لهم ملائمين موافقين لهم على ما آربهم مدفوعين على أبوابهم فلقد وسمهم الحق سمة كشف بها عوارهم أولئك هم الكاذبون على الله الصادون للعباد عن صحبة أوليائه فهم حجب أهل التحقيق وسحب شموس أهل التوفيق ضربوا طبولهم ونشروا اعلامهم ولبسوا دروعهم فاذا وقعت الحملة ولوا على أعقابهم ناكصين (الا اذا أراد) ذلك العالم القانع (أن لا يأخذ) رزقه (من أيدي الناس و) لا (يأكل) الا (من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل) الصادق في علمه وعمله (الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل) فقط (ولم يكن له سير بالباطن) بالتهذيب والرياضة (فان الكسب) أي الاشتغال به (يمنع من السير بالفكر الباطن) الا أن يكون قويا ممن لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله (فاشتغاله بالسلوك) الباطن حينئذ (مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه أولى لانه تفرغ لله عز وجل) وهذا هو المقصود الاعظم من التوكل بل ومن سائر مقامات الدين (و) فيه أيضا (اعانة للمعطي على نيل الثواب) وما به تترتب فائدتان احداهما أفضل من واحدة ومن ذلك في الخبر أوحى الله الى موسى اني أجعل أرزاق أوليائي على أيدي العاصين ليؤجروا فيهم فعلم هذا للمتوكلين ومعرفة هذه الحكمة لمن أوصل اليهم قسمهم من المؤملين مقام للجمع في المعرفة واليقين فهو مال للمعطي الموصل وطريق للآخذ المتوكل كما في الخبر ما المعطي من سعة باعظم أجرا من الآخذ اذا كان محتاجا فسبحان مطرق الطرقات ومسبب الوصولات الى الآخرة بزلف القربات (ومن نظر) بعين التأمل (الى مجاري سنة الله تعالى) التي خلت في عباده (علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب) فكم من ذكي محروم وكم من غبي مجدود (ولذلك سأل بعض الاكاسرة) أي ملوك الفرس (حكيما من حكمائهم عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم) عن الرزق ما السر فيه (فقال) الحكيم (أراد الصانع) جل جلاله

أن يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل أحمق لظن أن العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم قال الشاعر ولو كانت الارزاق تجرى على الحجا * هلكن اذا من جهلهن البهائم *(بيان أحوال المتوكلين فى التعلق بالاسباب بضرب مثال)* اعلم أن مثال الخلق مع الله تعالى مثل طائفة من السؤال وقفوا فى ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون الى الطعام فأخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم أرغفة من الخبز وأمرهم ان يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا فى أن لا يغفلوا عن واحد منهم وأمر مناديا حتى نادى فيهم أن اسكنوا ولا تتعلقوا بغلمانى اذا خرجوا اليكم (٤٩٩) بل ينبغى أن يطمئن كل واحد منكم فى موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مامورون بان يوصلوا اليكم طعامكم فمن تعلق بالغلمان وآذاهم وأخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلا به الى ان أتقدم لعقوبته فى ميعاد معلوم عندى ولكنى أخفيه ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد أتاه من يد الغلام وهو ساكن فانى اختصه بخلعة سنية فى الميعاد المذكور لعقوبة الآخر ومن ثبت فى مكانه ولكنه أخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ومن أخطأه غلمانى فما أوصلوا اليه شيأ فبات الليلة جائعا غير متسخط للغلمان ولا قائلا ليته أوصل الى رغيفا فانى غدا أستوزره وأفوض ملكى اليه فانقسم السؤال الى أربعة أقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى غد فرج ونحن الآن جائعون فبادروا الى الغلمان فآذوهم وأخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم فى الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن أخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلعة وقسم قالوا انا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطؤنا ولكن نأخذ اذا أعطونا رغيفا واحدا ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا بالخلعة وقسم رابع اختفوا فى زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى أعين الغلمان وقالوا ان اتبعونا وأعطونا قنعنا برغيف واحد وان أخطؤنا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على

(ان يدل) بذلك (على نفسه) انه الواحد الاحد الرازق (اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل أحمق لظن أن العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا أن لا رازق غيره ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم) قال الشاعر

ولو كانت الارزاق تجرى على الحجا * هلكن اذا من جهلهن البهائم

نقله صاحب القوت الا انه قال علموا أن الصانع هو الرازق والحاصل أن من كان ذا معلوم من حرف أو معتاد من الغنى علم يصح توكله مع سكونه اليه وطمأنينته به لان ذلك علة فى حاله وحيرة لتوكله وقد يصح التوكل مع ذلك بثلاث معان أن لا يعوض منه عوضا يقوم مقام السبب الواصل اليه وان يقطع همه عنه وعن جميع الخلق وأن يكون منقطعا الى الله تعالى مشغولا بخدمته لا بطال الامر وحالنفسه والله الموفق

(بيان أحوال المتوكلين فى التعلق بالاسباب بضرب مثال)

(اعلم) هداك الله تعالى (أن مثال الخلق مع الله تعالى مثال طائفة من السؤال) جمع سائل (وقفوا فى ميدان) موضع واسع مشرف (على باب قصر الملك) ينظر منه اليهم (وهم محتاجون الى الطعام) ما يأكلونه فاشفق الملك عليهم (فأخرج اليهم غلمانا كثيرة) من عنده (ومعهم أرغفة كثيرة من الخبز) برسمهم (وأمرهم أن يعطوا بعضهم رغيفين و بعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا فى أن لا يغفلوا عن واحد منهم وأمر مناديا حتى نادى فيهم أن اسكنوا) ولا تقلقوا (ولا تتعلقوا بغلمانى اذا خرجوا اليكم بل ينبغى أن يطمئن كل واحد منكم فى موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مأمورون بان يوصلوا اليكم طعاما فمن تعلق بالغلمان وآذاهم وأخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج) منه (اتبعته بغلام يكون موكلا به الى أن أتقدم لعقوبته فى ميعاد معلوم عندى ولكن أخفيه) عنكم (ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد) الذى أتاه من يد الغلام وهو ساكن غير مضطرب (فانى أختصه بخلعة سنية فى الميعاد المذكور لعقوبة الآخر ومن ثبت فى مكانه ولكنه أخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له) فى الميعاد المذكور (ومن أخطأه غلمانى فما أوصلوا اليه شيأ فبات تلك الليلة جائعا غير متسخط على الغلمان ولا قائل ليته أوصل الى) رغيفا (فانى غدا أستوزره) أى اتخذه وزيرا (وأفوض ملكى اليه فانقسم السؤال الى أربعة أقسام قسم غلبت عليهم بطونهم) فظهر منهم شرههم الى الطعام (فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة) اختيارا منهم للحظ العاجل (وقالوا من اليوم الى غد فرج) والحكم للظاهر فى الحال (ونحن الآن جائعون وبادروا الى الغلمان) وتعلقوا بهم (فآذوهم واخذوا منهم) (الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم فى الميعاد المذكور فندموا) عند معاينة العقوبة (ولم ينفعهم الندم وقسم) آخر منهم (تركوا التعلق بالغلمان) وإذاهم (خوف العقوبة) فى الميعاد (ولكن أخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة) لعدم تعلقهم بهم (وما فازوا بالخلعة) لاضطرابهم (وقسم) ثالث منهم (قالوا انا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطؤنا ولكن نأخذ اذا أعطونا رغيفا واحدا ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا بالخلعة وقسم رابع اختفوا فى زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى أعين الغلمان وقالوا ان اتبعونا وأعطونا قنعنا برغيف واحد وان أخطؤنا) ولم يقع بصرهم علينا (قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على

ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فانفعهم ذلك اذا تبعهم الغلمان فى كل زاوية وأعطوا كل واحدا وجرى مثل ذلك أياما حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلاثة فى زاوية ولم تقع عليهم أبصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا فى جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان وأخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا امثال الخلق والميدان هو الحياة فى الدنيا

وباب الميدان الموت والميعاد المجهول يوم القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا مات جائعا راضيا من غير تأخير ذلك الى ميعاد القيامة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المعتدى فى الاسباب والغلمان المسخرون هم الاسباب والجالس فى ظهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون فى الامصار فى الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون فى الزوايا هم السائحون فى البوادى على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة ولعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون وأقام سبعة من العشر الباقية فى الامصار متعرضين للمسبب بمجرد حضورهم واشتهارهم وساح فى البوادى ثلاثة وتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كان كذلك فى الاعصار السالفة وأما الآن فالتارك للاسباب لا ينتهى الى واحد من عشرة آلاف * (الفن الثانى فى التعرض لاسباب الادخار) فمن حصل له مال بارث أو كسب أو سؤال أو سبب من الاسباب فله فى الادخار ثلاثة أحوال الاولى أن يأخذ قدر حاجته فى الوقت فيأكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشترى مسكنا مختصرا ان كان محتاجا و يفرق الباقى فى الحال ولا يأخذه ولا يدخره الا بالقدر الذى يدرك به من يستحقه و يحتاج اليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفى بموجب التوكل تحقيقا وهى الدرجة العليا

ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك) فهؤلاء نظروا الى الآجل (فانفعهم ذلك اذا تبعهم) وفى نسخة اذا تبعتهم (الغلمان فى كل زاوية) من زوايا الميدان (وأعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك أياما حتى اتفق على الندور) والقلة (ان اختفى ثلاثة) منهم (فى زاوية ولم تقع عليهم أبصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش) والبحث والتتبع (فباتوا فى جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان وأخذنا طعامنا) فأكلناه (فلسنا نطيق الصبر) على الجوع الشديد (وسكت ثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة) اذ وفى بشرط الملك (فهذا امثال الخلق) على تباينهم (فالميدان هو الحياة الدنيا) لسعتها (وباب الميدان الموت) كما قال الشاعر

الموت باب وكل الناس داخله * والقبر بيت وكل الناس ساكنه

(والميعاد المجهول يوم القيامة) لقوله تعالى قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون (والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا مات جائعا راضيا) من غير كراهة (من غير تأخير ذلك الى ميعاد القيامة لان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون) بنص الآية وقرب الدرجة معلوم من قوله عند ربهم (والمتعلق بالغلمان هو المتعدى فى الاسباب) الظاهرة (والغلمان المسخرون هم الاسباب) كما أن الغلمان من أرقاء الملك قد سخرهم لخدمته كذلك الاسباب من خلق الله تعالى سخرها للناس لينتفعوا بها (والجالس فى ظاهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون فى الامصار فى الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون فى الزوايا هم السائحون فى البوادى) على هيئة التوكل والتجريد (والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم) من حيث لا يحتسبون (الا على سبيل الندور) والقلة (فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة ولعل من كل مائة) منهم (تعلق بالاسباب تسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية فى الامصار متعرضين للمسبب بمجرد حضورهم واشتهارهم وساح فى البوادى ثلاثة فسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كذلك كان فى الاعصار السالفة وأما الآن فالتارك للاسباب لا ينتهى الى واحد من عشرة آلاف والله المستعان) *(الفن الثانى)* (فى التعرض للاسباب بالادخار) اعلم ان للمتوكلين أدبا ولهم علامات تدل على صحة توكلهم فأول ذلك الاقتصار والاجمال فى الطلب وأن لا يدخل فى الاسباب المظنونة الا للحاجة الغريبة وان تباعد عن الاسباب التى تتطرق اليها الشبه بكل حال وأن لا يدخر وقد أشار المصنف الى حكم الادخار فقال (فمن حصل له مال بارث) من موروثه شرعا (أو كسب) بشروطه (أو سؤال) بعد الاضطرار والاباحة له فيه (أو سبب من الاسباب) غير ما ذكر (فله فى الادخار ثلاثة أحوال الاولى أن يأخذ قدر حاجته فى الوقت فيأكل ان كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشترى مسكنا مختصرا) قدر ما يسعه (ان كان محتاجا) لكل ذلك (و يفرق الباقى فى الحال) على من يرى له الاستحقاق (ولا يأخذه ولا يدخره الا بالقدر الذى يدرك به من يستحقه و يحتاج اليه فيدخره على هذه النية) لا غير (فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهى الدرجة العليا) قال صاحب القوت ولا يضر الادخار مع صحة التوكل اذا كان مدخرا لله عز و جل وفيه وكان ماله موقوفا على رضا مولاه مؤخرا لحظوظ نفسه وهواه فاذا رأى ثلاث الحقوق التى أوجبها الله عليه بذل ماله فيها والقيام

بحقوق

بحقوق الله لا ينقص مقامات العبد بل يزيدها علوا (الحالة الثانيه) هى (المقابلة لهذه المخرجة له من حدود التوكل أن يدخر لسنة فمافوقها فهذا ليس من المتوكلين أصلا) وظاهره أن الادخار فوق السنة يبطل التوكل وقال الكمال محمد بن اسحق والذى أراه انه يبطل كماله لا أصله (وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلاثة الفارة والنملة وابن آدم) نقله صاحب القوت (الحالة الثالثة أن يدخر لاربعين يوما فمادونها فهذا اهل يوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود) فى الآخرة (للمتوكلين اختلفوا فيه وذهب) أبو محمد (سهل) بن عبد الله (التسترى) رحمه الله تعالى (الى انه يخرج عن حد التوكل) ولفظ القوت ويخرجه الادخار من حقيقة التوكل عند أبي محمد (وذهب) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (الى انه لا يخرج بأربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين) حكاه هكذا فى كتاب التوكل (وقال أبو طالب المكى) رحمه الله تعالى فى القوت (لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الاربعين أيضا) وهذا لفظه فى القوت وقد يصح التوكل مع تأميل البقاء فان كان أمله للحياة لطاعة مولاه وخدمته والجهاد فى سبيله وليستعتب ويستقبل ويصلح بالطاعة والعلم ما أفسد بالهوى والجهل فيصل بذلك وهذا طريق طائفة من الراجين والمؤانسين والمحبين وحسنى الظن وان كان أمله للحياة لاجل متعة نفسه وأخذ حظوظها من دنياه نقص ذلك من زهده فى الدنيا فسرى النقص الى توكله وما نقص من الزهد نقص من التوكل وليس ما زاد فى الزهد يزيد فى التوكل فاذا جاز للمتوكل تأميله البقاء لشهر أو شهرين جازله الادخار لذلك الا ان طول الامل يخرج من حقيقة التوكل وتأميل أكثر من أربعين يوما يخرج من حد التوكل عند الخواص ولا يخرجه من حده عندى وأكره للمتوكل الادخار أكثر من أربعين يوما كما يكره تأميل البقاء لاكثر من أربعين يوما ومن ادخر لصلاح قلبه وتسكين نفسه وقطع تشرفه الى الناس ان كان مقامه السكون مع المعلوم فالادخار له أفضل ويخرجه الادخار من حقيقة التوكل عند أبي محمد والخواص ولا يخليه عندى من حال فيه ومن قوى يقينه وحسن ظنه وصبره وصح زهده فترك الادخار له أفضل اه (وهذا اختلاف لامعنى له بعد تجويز أصل الادخار نعم يجوز أن يظن ظان ان أصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له) وربما يفهم من سياق عبارة القوت ان سهلا رحمه الله تعالى يقول ان أصل الادخار يناقض التوكل فقد روى عنه انه قال علامة التوكل لا يسأل ولا يرد ولا يحتكر ورواه القشيرى بسنده الى أبي على الروذبارى قال قلت لعمرو بن سنان احك لى عن سهل بن عبد الله حكاية فقال انه قال فذكره الا انه قال ولا يحبس بدل قوله لا يحتكر (و) أيضا (كل ثواب موعود) فى الآخرة (على رتبة) من رتب الايمان (فانه يتوزع) أى ينقسم (على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى أصحاب النهايات منهم السابقين) لانهم سبقوا فى تلك الرتبة وبلغوا منتهى الدرجات واليهم الاشارة بقوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات (وأصحاب البدايات) الذين لم يبلغوا بعد أقصى الدرجات يسمون (أصحاب اليمين) وهم المقتصدون (ثم أصحاب اليمين أيضا على درجات وكذلك السابقون وأعالى درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين) فنهاياتهم بدايات السابقين (فلا معنى للتقدير فى مثل هذا بل التحقيق) الجامع لكلامهم (ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل) واليه الاشارة بقول صاحب القوت وترك الادخار انما هو حال من مقامه قصر الامل (وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو فى نفس فان ذلك كالممتنع وجوده) الا ما رواه صاحب الحلية بسنده الى ابن أبي داود قال سمعت عبد الرزاق يقول اجتمع سفيان الثورى ووهيب بن الورد فقال سفيان لوهيب يا أبا أمية أتحب أن تموت فقال أحب أن أعيش لعلى أتوب فقال وهيب فانت قال ورب هذه البنية ثلاثا وددت انى مت هذه الساعة (اما الناس فيتفاوتون فى طول الامل وقصره) فى القلة والكثرة (وأقل درجات الامل يوم وليلة فمادونه من الساعات) فمنهم من اذا أصبح (لم ينتظر المساء) واذا أمسى لم ينتظر الصباح (وأقصاه ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب الى المقصود ممن

*الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل أن يدخر لسنة فمافوقها فهذا ليس من المتوكلين أصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلاثة الفارة والنملة وابن آدم *الحالة الثالثة أن يدخر لاربعين يوما فمادونها فهذا اهل توجب حرمانه من المقام المحمود الموعود فى الآخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل الى أنه يخرج عن حد التوكل وذهب الخواص الى أنه لا يخرج باربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين قال أبو طالب المكى لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الاربعين أيضا وهذا اختلاف لامعنى له بعد تجويز أصل الادخار نعم يجوز أن يظن ظان ان أصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى أصحاب النهايات السابقين وأصحاب البدايات أصحاب اليمين ثم أصحاب اليمين أيضا على درجات وكذلك السابقون وأعالى درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير فى مثل هذا بل التحقيق أن التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل وأما عدم امال البقاء فيبعد اشتراطه ولو فى نفس فان ذلك كالممتنع وجوده اما الناس فيتفاوتون فى طول الامل وقصره وأقل درجات الامل يوم وليلة فمادونه من الساعات وأقصاه ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب الى المقصود ممن

يؤمل سنة وتقييده بأربعين لاجل ميعاد موسى عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة ماقصد بها بيان مقدار مارخص الامل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد أربعين يوما لسر جرت به وبامثاله سنة الله تعالى فى تدريج الامور كما قال عليه السلام ان الله خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة التخمر كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر فاذا ماوراء السنة لا يدخله الا بحكم ضعف القلب والركون الى ظاهر الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق باحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الاسباب فان أسباب الدخل فى الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر أمله ومن كان أمله شهرين لم تكن درجته كدرجة من أمل شهرا ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر بل هو بينهما فى الرتبة ولا يمنع من الادخار الاقصر الامل فالافضل ان لا يدخر أصلا وان ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله أكثر وقد روى فى الفقير الذى أمر صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه وأسامة ان يغسلاه فغسلاه وكفناه ببردته فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وماهى يارسول الله قال كان صواما قواما كثير الذكر لله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر

حلة

يؤمل سنة) وكذا من لم يؤمل أكثر من أسبوع أقرب ممن يؤمل شهرا (وتقييده بأربعين) أى من أربعين يوما وقيده بهذا العدد (لاجل ميعاد موسى عليه السلام) فى قوله تعالى وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة (بعيد) والاستدلال به على مسئلة الادخار غير صحيح (فان تلك الواقعة ماقصد بها بيان مقدار مارخص الاقل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا بأربعين يوما) التى هى ثلث الثلث من السنة (لسر) الهى (جرت به وبامثاله سنة الله تعالى فى تدريج الامور) وتمهيدها (كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وسلمان باسناد ضعيف جدا وهو باطل اهـ قلت ورواه من رواية أبى عثمان النهدى عنهما ولفظه ان الله عز وجل خمر طينة آدم أربعين يوما وليلة ثم أخذها بيده ثم قال هكذا اقطعها بيده نخرج فى يمينه كل نفس طيبة وخرج فى يده الاخرى كل نفس خبيثة ثم شبك بين أصابعه حتى خلطها فلذلك يخرج الحى من الميت والميت من الحى والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ورواه ابن مردويه من حديث سلمان بلفظ ان الله تعالى خمر طينة آدم أربعين صباحا بلياليها ثم ضرب بيده اليمنى وكلتا يديه يمين فقطع قطعة ثم خلطها فمنها يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وليس فى سياق حديثهما قوله بيده وقد روى الديلمى من حديث الحرث بن نوفل خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده وعند مسلم من حديث أبى هريرة خلق الله آدم يوم الجمعة بيده الحديث وفى الذهب الابريز لسيدى أحمد بن مبارك وسمعته يعنى شيخه السيد عبد العزيز الدباغ قدس سره يقول ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام جمع تربته فى عشرة أيام وتركها فى الماء عشرين يوما وصوره فى أربعين يوما وتركه عشرين يوما بعد التصوير حتى انتقل من الطينية الى الجسمية فمجموع ذلك ثلاثة أشهر هى رجب وشعبان ورمضان ثم رفعه الله الى الجنة ونفخ فيه من روحه اهـ (لان استحقاق تلك الطينة التخمر كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر) قال سيدى عبد العزيز المذكور خلق الله بعض الاشياء ورتب خلقها فى أيام وأجراه شيأ فشيأ لانه يحصل من ذلك توحيد عظيم للملأ الاعلى لان فى تنقل ذلك الحادث من طور الى طور ومن حالة الى حالة وظهور أمره شيأ فشيأ مالا يكيف من جمع همم الملأ الاعلى الى الالتفات اليه فالتعجب فى أمر الله من ذلك الحادث والتفكر فى شأنه وكيف يخلقه وماذا يكون منه والى أى شئ يصير فهم يرتقبون الحالة التى يخرجون عليها فاذا حصل لهم من التوحيد مالا يكيف ولا يحصى وفى زمن الارتقاب يحصل لكم من العلم بالله والاطلاع على باهر قدرته وسريانها فى المقدورات شئ عظيم فلا يفوتهم شئ من أسرارها فى ذلك المخلوق فيحصل لهم فيه التفهيم التام فالتدريج لهذه الحكمة ولحكمة أخرى وهى انه بهذا التدريج وانتظار خروج الحادث والتشوق اليه توحد مخلوقات أخر مثل هذا الحادث أو أعظم فلله تعالى فى كل شئ أسرار وحكم (فاذا ماوراء السنة لا يدخله الا بحكم ضعف القلب والركون الى الظاهر من الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق باحاطة التدبير من الوكيل الحق) سبحانه (بخفايا الاسباب فان أسباب الدخل فى الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر أمله ومن كان أمله شهرين لم تكن درجته كدرجة من أمل شهرا ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر بل هو بينهما فى الرتبة ولا يمنع من الادخار الاقصر الامل فالافضل أن لا يدخر أصلا فان ضعف قلبه) واضطربت نفسه (فكل ماقل ادخاره كان فضله أكثر) ومن قوى يقينه وحسن ظنه وصبره وصح زهده فترك الادخار له أفضل (وقد روى فى الفقير الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم عليا وأسامة) رضى الله عنهما (أن يغسلاه فغسلاه وكفناه ببردته فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وماهى يارسول الله قال ان كان لقواما صواما كثير الذكر لله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر

حلة الصيف لصيفه واذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز والشفرة وما يحتاج اليه على الدوام في معنى ذلك فان ادخاره لا ينقص الدرجة وأما ثوب الشتاء فلا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى أيدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له أولى بل لو أمسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له أولى لان المقصود اصلاح القلب ليتجرد لذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله عز وجل والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله عز وجل القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما أن صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد فأما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه

حلة الصيف لصيفه واذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث) وتمامه ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار قال العراقي لم أجد له أصلا وتقدم آخر الحديث قبل هذا اهـ قلت رواه صاحب القوت بسنده الى شهر بن حوشب عن أبي أمامة وقد تقدم في آخر كتاب الزهد والفقر مفصلا فكان يؤمل سنة حيث كان يدخر كسوة الشتاء في الصيف وكسوة الصيف في الشتاء فلذلك تأخر عن درجة السابقين وأخبر صلى الله عليه وسلم أن ترك الادخار مقتضى اليقين وحال أولي العزم من الصابرين (وليس الكوز) الذي يشرب منه (والسفرة) التي يأكل عليها (وما يحتاج اليه على الدوام) من اللوازم الضرورية (في معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة وثوب الشتاء لا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى أيدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فاذا كان يستشعر في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر) التي هي المقصود من التوكل (فالادخار له أولى) لدفع الاضطراب من التفرغ (بل لو أمسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك) أي امساك الضيعة (له) وفي حقه (أولى لان المقصود اصلاح القلب ليتجرد لذكر الله) وهذا طريقة جماعة من العارفين من المتوكلين قد اتسع قلبهم بهذه الحالة حتى قوي على الدخول في الاسباب مع ملاحظتها وهو كمال في الولاية (ورب شخص يشغله وجود المال) فهذا لا يتأتى له التوكل الا بالزهد فيه فهو شرط في حقه ومنهم من لا يشغله وبرتقي عنه الى غيره وهو ملك أمور الحاجة فلا يشترط في حقه الزهد في الاموال والاسباب (ورب شخص يشغله عدمه) فيضطرب قلبه لذلك (والمحذور ما يشغل عن الله عز وجل والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها) وقد سبق بيان ذلك في كتاب ذم الدنيا (ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى) وهو منتزع من سياق عبارة سهل التستري ولفظه بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى الخلق وهم أصناف كلهم اليوم منهم التاجر والصانع والقاعد ومن يسأل الناس فما قال للتاجر اترك تجارتك ولا قال للقاعد اكتسب ولا نهى السائل عن أن يسأل بل أمر أن يعطى ولكن جاءهم بالايمان واليقين في جميع أحوالهم وتركهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعمله في حاله اهـ (وعمدة الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف) المضطرب (ادخار قدر حاجته) لاصلاح قلبه وسكون نفسه عن الاضطراب والاستشراف وتفرق الهم (كما أن صواب القوي) الساكن المطمئن الصابر (ترك الادخار) وكل منهما متوكل (وهذا كله حكم المنفرد فأما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم) ولوجود رضاهم عن الله عز وجل ولفقدهم همهم ولسقوط حكمهم عنه ليتفرغ لعبادة ربه فهو فاضل في ادخاره اتفقوا عليه ولانه في ذلك قائم بحكم ربه كراع لرعيته التي هي مسؤول عنها حافظ لحدود الله التي استحفظه اياها بما حفظ الله وعليه (وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة) ناظر اليه في تصريفه معتمد عليه (وقد ادخر) سيد المرسلين (رسول الله صلى الله عليه

وسلم لعياله قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيأ لغد ونهى بلالا عن الادخار فى كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش اقلالا وقال صلى الله عليه وسلم اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تخبأ اقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم وقد كان قصر أمله بحيث كان اذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول مايدرينى لعلى لا أبلغه وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولكن عليه السلام ترك ذلك تعليما للاقوياء من أمته فان أقوياء أمته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر عليه السلام لعياله سنة لا لضعف قلب فيه وفى عياله ولكن ليسن ذلك للضعفاء من أمته بل أخبران الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهى بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات فما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم

وسلم لعياله قوت سنة) رواه الشيخان وقد سبق فى كتاب الزكاة (و) قد (نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيأ لغد) وقد سبق ذلك أيضا هنالك وأم أيمن اسمها بركة وكانت حاضنة النبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول لها يا أمه وكانت تتولى خدمته رضى الله عنها (ونهى بلالا) رضى الله عنه (عن الادخار فى كسرة خبز) كان (ادخرها ليفطر عليها) قال العراقى هذا لم أره قلت المعروف نهيه عن ادخار تمر كان ادخره (فقال صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش اقلالا) قال العراقى رواه البزار من حديث ابن مسعود وأبى هريرة و بلال دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعنده صبر من تمر فقال ذلك ورواه أبو يعلى والطبرانى وكلها ضعيفة اه قلت لفظ البزار والطبرانى من حديث ابن مسعود دخل النبى صلى الله عليه وسلم على بلال وعنده صبر من تمر فقال ماهذا يا بلال فقال يا رسول الله ادخرته لك ولضيفانك فقال أما تخشى أن يفور لها بخار من جهنم أنفق يا بلال فذكره ورواه العسكرى فى الامثال من حديث عائشة ولفظه أنفق بلالا ورواه البزار عن مسروق عن بلال مثله ورواه الطبرانى من هذا الوجه الا أنه قال يا بلال ورواه أبو يعلى بلفظ ولا تخافن بدل ولا تخش وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بابسط مما هنا (وقال له اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تخبأ) قال العراقى رواه الطبرانى والحاكم من حديث أبى سعيد وهو بقية حديث الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقد تقدم اه (اقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم) ولفظ القوت ونهى بلالا عن الادخار لنفسه لتقتدى به أهل المقامات وقال له اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تخبأ فهو امام المقربين وذكرى للمتوكلين (وقد كان قصر أمله بحيث كان اذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول مايدرينى لعلى لا أبلغه) قال العراقى رواه ابن الدنيا فى قصر الامل من حديث ابن عباس بسند ضعيف اه ولفظ القوت وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وله بردان فى الحف ينسجان وقد كان صلى الله عليه وسلم أقصر أملا من ذلك كان يبول فيتيمم قبل أن يصل الى الماء فيقال له ان الماء منك قريب فقال ومايدرينى لعلى لا أبلغه ولكن فعله لئلا يهلك من طال أمله من أمته فجعل بفعله نجاة ورحمة له فهذا يدلك على ان الادخار يتسع ويضيق على قدر مشاهدات العارفين من قبل ان الشريعة جاءت بالرخصة والعزيمة والعزائم من الدين للاقوياء الحاملين والرخص من الدين للضعفاء المحمولين اه (وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولكنه صلى الله عليه وسلم ترك ذلك تعليما للاقوياء من أمته فان أقوياء أمته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر صلى الله عليه وسلم لعياله) قوت (سنة لا لضعف قلب فيه وفى عياله) حاشاهم من ذلك (ولكن ليسن ذلك للضعفاء من أمته بل أخبران الله تعالى يحب أن يؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه) رواه أحمد والطبرانى والبيهقى من حديث ابن عمر وقد تقدم (تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهى بهم الضعف الى) مرتبة (اليأس) من روح الله (والقنوط) من رحمة الله (فيتركون الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم) وفى القوت وكان سهل رحمه الله تعالى يقول فى تأويل الخبر ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه قال ما كان من أمر نخذ بالاوسع وما كان من نهى فخذ بالاشد فيه قال وكان يضرب للمدخر مثلا فى قصر الامل وطوله فيقول مثل من يترك الادخار مثل رجل يقول أريد أن أخرج الى الابلة فيقال له خذ رغيفا فان قال أريد أن أخرج الى العسكر قيل له خذ أربعة أرغفة قال فكذلك ترك الادخار ينقص من فضائل الزاهدين بمقدار ما يمنع من حقيقة الزهد الا للزهاد العارفين لانهم على عين اليقين قد أقيموا بشهادة عين التوحيد فينظرون بنور الاولية والآخرية فالموجودات عندهم عنده اذا كانت أيديهم يده وقبضهم قبضه فهو وكيلهم وهم خلفاؤه ينفقون مما جعلهم مستخلفين فيه فهو مزيد لهم لان هذا مقام فوق الزهد قد جاوزه فكيف يعتبر به وهؤلاء لا يوصفون بكدر الخلق والمرآة فكيف يؤمرون بالتصفية والاخلاص اذ لا يدخل عليهم الشرك لقيومية شهادة التوحيد بهم فهم بها قائمون وأما تارك المكاسب وقاطع التسبب ممن لا علوم له من الاولياء فانهم تركوا الادخار لانه مقتضى حالهم وفيه استقامة مقامهم وصفاء

قلوبهم

وإذا فهمت هذا علمت أن الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى أبو امامة الباهلي أن بعض أصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه فوجدوا فيه دينارين في داخل ازاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت و يخلف أموالا ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين لأن حاله يحتمل حالين أحدهما انه أراد كيتين من النار كما

قال تعالى تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس والثاني أن لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص من جمال الوجه أثر كيتين في الوجه وذلك لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة اذ لا يؤتى أحد من الدنيا شيأ الا نقص بقدره من الآخرة وأما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ما روى عن بشر قال الحسين المغازلي من أصحابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل أسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رأيته قام لاحد غيره قال ودفع الى كفا من دراهم قال اشتر لنا أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره قال فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شئ كثير فأخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله معه وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم أخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذاك أخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل فانما أراد أن يعلمنا أن التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار

قلوبهم لخلوصهم ولافراد سيرهم (فاذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى أبو امامة) صدى بن عجلان (الباهلي) رضي الله عنه (ان بعض أصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه) ففتشوه (فوجدوا فيه دينارين في داخل ازاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان) قال العراقي رواه أحمد من رواية شهر بن حوشب عنه (وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالا ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين لان حاله يحتمل حالين أحدهما انه أراد كيتين من النار كما قال تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وذلك اذا كان حاله حال اظهار الزهد والفقر) وصف (التوكل) وترك الادخار (مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس) ولذلك شدد عليه وغلظ بكيتي نار وعلى هذا الوجه اقتصر صاحب القوت (والثاني أن لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص من جمال الوجه أثر كيتين في الوجه وذلك لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة اذ لا يؤتى أحد شيأ من الدنيا الا نقص بقدره من الآخرة) وهذا الوجه هو اللائق بمقام الصحابة كما لا يخفى (وأما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ما روى عن) أبي نصر (بشر) بن الحرث الحافي قدس سره (قال الحسين المغازلي من أصحابه) نسب الى عمل المغازل قال (كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل أسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال) الحسين (وما رأيته قام لاحد غيره قال ودفع الى كفا من دراهم وقال اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب) قال (وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته) بين يديه (فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره قال فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شئ كثير فأخذه الرجل وجمعه في ثوبه) وجعله تحت يده (وحمله معه وانصرف) قال (فعجبت من) فعله (ذلك وكرهته له) اذ لم يأمره بذلك ولا هو استأذنه فيه (فقال لي بشر) بعد وقت (لعلك أنكرت فعله) ذلك (قلت نعم أخذ بقية الطعام من غير اذن فقال) تعرفه قلت لا قال (ذاك أخونا فتح) بن شخرف (الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما أراد أن يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار) هكذا نقله صاحب القوت ومما يدلك على ان الادخار يتسع ويضيق على قدر مشاهدات العارفين ما نقله صاحب القوت قال وحدثني بعض الصوفيين ان بعض الاشياخ لم يكن يبيت شيأ لغد وكان مهما فتح له شئ من النهار أخرجه قبل الليل فقلت أخرجه قبل الصبح ثم قلت هي ليلة فاذا أصبحت أخرجته قال فجعلته في وسطي ونمت فرأيت في المنام كان في وسطي ثلاثة زنابير قال فاغتممت وجعلت أحلها وأتعجب من ذلك فقال لي قائل هذه الثلاثة دراهم التي ادخرتها قال فانتبهت فزعا فقمت فدفعتها في الوقت الى بعض الفقراء قال وحدثني بعض الاشياخ عن بعض الصوفيين انه كذلك كان يخرج كل ما فتح له الى اخوانه الفقراء ولا يدخر لنفسه شيأ قال ففتح لي مرة بدينار وكان علي دينار دينا فجعلت أؤمل بين أن أحبسه لقضاء ديني وبين أن أخرجه الى ما عودت من خلقي قال فقوي على شاهد العلم فقلت امسكه للدين أولى لانه قد استحق علي قال فلم أنفقه على اخواني وكان يتناب ويستضاف قال فضرب علي ضرس من أضراسي تلك الليلة فلم أنم فأشير علي بقلعه فقلعته ثم قال خطر بقلبي اخراج الدينار ثم قلت الدين أوجب فحبسته قال فضرب علي في الليلة الثانية ضرس آخر فأسهرني قال فنزعته ثم قال ذكرت شأن الدينار فقلت لعلي عوقبت بحبسه قال فأخرجته قبل الليل قال فهتف بي هاتف لو لم تخرجه لقلعنا أسنانك ضرسا ضرسا حتى لا يبقى في فيك ضرس واحد فهذه مطالبات الخصوص لعلو مقاماتهم مخصوصون به

(الفن الثالث فى مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف) اعلم أن الضرر قد يعرض للخوف فى نفس أومال وليس من شروط التوكل ترك الاسباب الدافعة رأسا (٥٠٦) أما فى النفس فكالنوم فى الارض المسبعة أوفى مجارى السيل من الوادى أو تحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهى عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها ومظنونة والى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهى التى نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكى والرقية فان الكى والرقية قد يقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك الكى والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل مافى معناها من الاسباب نعم الاستظهار باكل الثوم مثلا عند الخروج الى السفر فى الشتاء تهيجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق فى الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكى بخلاف الجبة ولترك الاسباب الدافعة وان كانت مقطوعة وجه اذا ناله الضرر من انسان فانه اذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفى فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال عز وجل ودع أذاهم وتوكل على الله

مشدد عليهم فيه دون غيرهم قال وكذلك بلغنى ان بنانا الحمال لم يكن يدخر شيأ لغد ولا يبيته من النهار فحدثنى بعض الاشياخ عمن رآه وقد دفع اليه بمكة كيس فيه خمسمائة درهم قال فصره صررا وجعلها فى ركوته ثم طاف بها على دور حول المسجد الحرام فجعل يلقيها الى الفقراء صرة صرة وهو يمشى حتى أنفذها فقلت لانظرن من أين فطره هذه الليلة اذلم يترك لنفسه شيأ فلما كان بين العشاءين طاف فى الوادى طوفة ومد يده وقال شئ لله فجعل فى كفه وسعه فعدل الى باب الصفا فقعد فأكله وشرب من ماء زمزم ودخل الطواف قال فسألته عن ذلك من الغد فقال ماحدثت نفسى أن أعيش الى الليل ولو قوى فى قلبى ذلك لحبست منه القوت فهذا طريق هؤلاء سلكوه بزاده بتقوى مثلهم اذ جعلت قلوبهم أوعية لمراده وحدثت عن بعض العارفين قال رأيت فى النوم كأن القيامة قد قامت وكان الناس يساقون زمرة زمرة الى الجنة على طبقات فنظرت الى طبقة أحسن الناس هيئة وأعلاهم طريقا وأسرعهم سبقا فقلت هذه أفضلهم أكون فيها فذهبت لاخطو اليهم وأدخل معهم فى طريقهم فاذا بملائكة حولهم قد منعونى وقالوا اقف مكانك حتى يجىء أصحابك فتدخل معهم فقلت تمنعونى مع هؤلاء السابقين فقالوا هذا طريق لايسلكه الامن لم يكن له الاقميص واحد ومن كل شئ واحد وأنت لك قميصان ومن أشياء قال فانتبهت باكيا حزينا فجعلت على نفسى أن لا أملك من كل شئ الا واحدا والله أعلم

(الفن الثالث فى بيان مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الضرر قد يعرض للخوف فى نفس أومال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة) للضرر (رأسا أمافى النفس فكالنوم فى أرض مسبعة) أى ذات سباع (أوفى مجارى السيل من الوادى أو تحت الجدار المائل) الى السقوط (أو) تحت (السقف المنكسر فكل ذلك منهى عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة) ولا يصح توكله فى شئ من ذلك ولو مات مات عاصيا (نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها ومظنونة والى موهومة فترك الموهوم فيها من شرط التوكل) ومن أعمال المتوكلين (وهى التى نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكى والرقية) والطيرة فانها أسباب مسببانها اعنها موهومة لامقطوع بها ولا مظنونة (فان الكى والرقية قد يقدم بهما على المحذور دفعا لما يتوقع) أى يتوهم من الشفاء (وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة) والدفع (ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين) فى قصة عكاشة (الا بترك الكى والرقية والطيرة) فقال هم الذين لايكتوون ولا يرقون ولا يتطيرون (ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع لم يلبسوا جبة والجبة تلبس للبرد المتوقع وكذلك كل مافى معناها من الاسباب) فالكى والرقى والطيرة من الدرجات المتوسطة بين الدرجتين والمتوسط بين طرفين مشكل فى كل حال وظاهر سياق المصنف دال على بطلان التوكل بذلك تبعا لصاحب القوت وقال الكمال محمد بن اسحق الصوفى الصحيح عندى انه يبطل كماله لا أصله لان الحديث ورد فى السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب (نعم الاستظهار باكل الثوم مثلا عند الخروج الى السفر فى الشتاء تهيجا القوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق فى الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكى بخلاف الجبة ولترك الاسباب الدافعة) من الضرر (وان كانت مقطوعة) بها (وجه فاذا ناله الضرر من انسان فانه اذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفى) والانتصاف منه (فشرط التوكل الاحتمال والصبر) على الاذى من الفعل وترجح جانبه على جانب الدفع (وهذا هو توكل الخصوص قال الله تعالى) لنبيه صلى الله عليه وسلم (فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون) أى توكل عليه واستعمل الصبر (وقال تعالى) حكاية عن الرسول عليه السلام (ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال عز وجل) حين أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالتأسى بهم فى قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فقال (ودع أذاهم وتوكل على الله)

الله) لقوله عز وجل ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك من التكذيب والاذى (وقال سبحانه وتعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) وقال بعض العارفين لا يثبت لاحد مقام فى التوكل حتى يستوى عنده المدح والذم من الخلق فيسقطان وحتى يؤذى فيصبر على الاذى يستخرج بذلك منه رفع السكون الى الخلق والنظر الى علم الخالق الذى سبق ثم التوكل فى الصبر على حسن المعاملة وترك الطلب للمعاوضة حياء من الله تعالى واجلالا له وخوفا منه وحبا له (و) قد وصفهم الله تعالى بذلك ظاهرا وباطنا فالظاهر (قال) الله (تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) فلما عملوا صبروا على عملهم ثم توكلوا عليه فى صبرهم فأجزل ذخرهم عنده منة وأنعم أجرهم والباطن فيما أخبر عنهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فقطعهم الخوف عن الطلب (وهذا فى أذى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب فترك دفعها ليس من التوكل فى شئ اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعى ولا يترك السعى لعينه بل لاعانته على الدين وترتيب الاسباب هنا كترتيبها فى الكسب وجلب المنافع فلا نطول بالاعادة) هذا كله فى الاسباب الدافعة عن النفس (وكذلك فى الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بان يعقل البعير) بالعقال (لان هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابى لما أهمل البعير) أى تركه سائبا (وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل) قال العراقى رواه الترمذى من حديث أنس قال يحيى القطان منكر ورواه ابن خزيمة فى التوكل والطبرانى من حديث عمرو بن أمية الضمرى باسناد جيد بلفظ قيدها اه قلت ورواه الترمذى فى الزهد وفى العلل وابن أبى الدنيا فى التوكل والبيهقى فى الشعب وأبو نعيم فى الحلية والقشيرى وابن عساكر والضياء كلهم من طريق المغيرة بن أبى قرة السدوسى سمعت أنسا يقول قال رجل يا رسول الله اعقلها وأتوكل وأطلقها وأتوكل قال اعقلها وتوكل يعنى الناقة وقال الترمذى قال عمرو بن على يعنى الفلاس شيخه قال يحيى بن سعيد القطان انه منكر ثم قال الترمذى وهو غريب لا نعرفه من حديث أنس الا من هذا الوجه وانما أنكره القطان من حديث أنس وقد روى عن عمرو بن أمية الضمرى عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه يشير الى ما أخرجه ابن حبان فى صحيحه وأبو نعيم من حديث جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه قال قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم أرسل ناقتى وأتوكل قال أعقلها وتوكل ورواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب وجعلا فى روايتهما القائل عمرا نفسه وكذا هو عند أبى القاسم بن بشر فى أماليه وأخرجه البيهقى كذلك من حديث جعفر لكن مرسلا قال وقال عمرو بن أمية يا رسول الله وذكره وهو عند الطبرانى من حديث أبى هريرة بلفظ قيدها وتوكل وعند الخطيب فى رواية مالك وابن عساكر من حديث ابن عمر قال قلت يا رسول الله فذكره مثله وفيه محمد بن عبد الرحمن بن ريسان متروك وفى رواية للبيهقى من حديث عمرو بن أمية قيد وتوكل وقال القشيرى فى الرسالة أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد البصرى حدثنا غيلان بن عبد الصمد حدثنا اسمعيل بن مسعود الجحدرى حدثنا خالد بن يحيى حدثنى عمى المغيرة بن أبى قرة عن أنس بن مالك قال جاء رجل على ناقة له فقال يا رسول الله أدعها وأتوكل فقال اعقلها وتوكل (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا (خذوا حذركم) أى اسلحتكم (وقال فى كيفية صلاة الخوف وليأخذوا أسلحتهم وقال) فى جهاد الكفار (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) ترهبون به عدو الله وقال تعالى فاسر بأهلك بقطع من الليل (وقال تعالى لموسى عليه السلام فاسر بعبادى ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الاعداء ونوع تسبب واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار) أى غار ثور عند ارادة الهجرة (اختفاء عن أعين الاعداء دفعا للضرر) العارض منهم ومثل هذا فى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لا ينحصر ولو فرضنا وليا من أولياء الله اتسع قلبه بهذه الحالة حتى قوى قلبه على الدخول فى الاسباب مع ملاحظتها كان ذلك كمالا فى ولايته لانها رتب الانبياء عليهم السلام ومن لم ير الاسباب رأسا فقد جهل ما بين السماء والارض الا اذا كان ذاهلا عنها لاستغراقه بمسبب الاسباب فهذه عند العلماء بالله حالة المقربين من الصديقين (وأخذ

الله وقال سبحانه وتعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا فى أذى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب فترك دفعها ليس من التوكل فى شئ اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعى ولا يترك السعى لعينه بل لاعانته على الدين وترتيب الاسباب ههنا كترتيبها فى الكسب وجلب المنافع فلا نطول بالاعادة وكذلك فى الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لان هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابى لما أن أهمل البعير وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال فى كيفية صلاة الخوف وليأخذوا أسلحتهم وقال سبحانه وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال تعالى لموسى عليه السلام فاسر بعبادى ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الاعداء ونوع تسبب واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار اختفاء عن أعين الاعداء دفعا للضرر وأخذ

السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكى عن جماعة ان منهم من وضع الاسد يده على كتفه ولم يتحرك فاقول وقد حكى عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه فلا ينبغي أن يغرك ذلك المقام فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته اليها فان قلت وهل من علامة أعلم بها اني قد وصلت اليها فاقول الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات على ذلك المقام السابقة عليه أن يسخر لك كلب هو معك في اهابك يسمى الغضب فلا يزال يعضك و يعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج وأشلى لم يستشل الا باشارتك وكان مسخرا لك فربما ترتفع درجتك الى أن يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك أولى بان يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب اهابك أولى بان يتسخر من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر فان قلت فاذا أخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو وأغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من أن ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلا فاقول يكون متوكلا بالعلم والحال فاما العلم فهو أن يعلم أن اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل لم يندفع الا بدفع الله تعالى اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل و يموت أو يفلت وكم من آخذ سلاحه يقتل أو يغلب فلا تتكل على هذه الاسباب أصلا بل على مسبب الاسباب كما ضربنا المثل في الوكيل في الخصومة فانه ان حضر وأحضر السجل فلا يتكل على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته * وأما الحال فهو أن يكون راضيا بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك فاني لا أدرى أن ما أعطيتني هبة

محضة

السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا) سابقا (ان المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكى عن جماعة) من الاولياء (ان منهم من وضع الاسد يده على كتفه ولم يتحرك) باطنه ولم يداخله الرعب أصلا (فأقول وقد حكى عن جماعة منهم انهم ركبوا الاسد وسخروه) كما وقع ذلك لابراهيم بن أدهم وغيره كما في الحلية ووقع مثل ذلك لابراهيم الخواص اذ كان يقصد الغياض المسبعة وجبل الحيات والاودية الغامضة الموحشة يبيت فيها وعالج شأن جماعة من الجن في البراري والقفار والكهوف والغيران وكل ذلك في قصص كثيرة كما في القوت (فلا ينبغي أن يغرك ذلك المقام فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات) ومن فضائل بعض مقامات المتوكلين ومقتضى أحوال بعض الموقنين (وليس ذلك) كله (شرطا في التوكل) ولا من فرضه وانما فرض التوكل عقد العقد والاستسلام بحسن التفويض للرب ونفي عوارض الآفات الداخلة على المتوكل من السكون الى الاسباب والركون الى الخلق في المعتاد (وفيه) أي في هذا المقام (اسرار) غريبة (لا يقف عليها من لم ينته اليها فان قلت هل من علامة اعلم بها اني قد وصلت اليها فاقول الواصل) الى تلك المقامات (لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات السابقة عليه) لاجل الاختبار حتى لا يقع في غرور (أن يسخر لك كلب هو معك في اهابك) أي جلدك (يسمى الغضب) شبهه به في كون كل منهما عقورا (فلا يزال يعضك و يعض غيرك) ولذلك قال بعض الرهبان لما قيل له يا راهب لست براهب انما أنا ساحر كلب أخاف أن يعض الناس أراد به نفسه (فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج وأشلى) أي أغرى (لم يستشل الا باشارتك) أي لم يثق الا بها (وكان مسخرا لك) منقادا في طوعك فاذا تم لك ذلك (فربما ترتفع درجتك الى أن يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع) في البر (وكلب دارك أولى من أن يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب اهابك أولى بان يسخر من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن) الذي هو النفس الامارة بالغضب (فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر) فهذا أحد العلامات فاختبر بها نفسك (فان قلت فاذا أخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو وأغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من أن ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلا) وما فعله ظاهره يناقض التوكل (فاقول يكون متوكلا بالعلم والحال فاما العلم فهو أن يعلم أن اللص ان اندفع) عن بيته لم يندفع (بكفايته في اغلاق الباب بل لم يندفع الا بدفع الله تعالى اياه) ولولا دفع الله لم يندفع والا (فكم من باب يغلق ولا ينفع) بل ايكسر الغلق و يؤخذ ما فيه أو يتسور عليه (وكم من بعير يعقل و يموت أو يفلت) من عقاله (وكم من آخذ سلاحه يقتل أو يغلب) من حيث لا يدري (فلا يتكل على هذه الاسباب أصلا بل على مسبب الاسباب) ومسخرها ومسهلها وهذا انما يصل اليه بقوة علمه في توحيد الباري جل جلاله (كما ضربنا المثل في الوكيل في الخصومة فانه ان حضر واحضر السجل فلا يتكل على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته) ومساعدته (وأما الحال فهو أن يكون راضيا بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه و يقول اللهم ان سلطت على ما في البيت) من المتاع (من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك فاني لا أدري أن ما اعطيتني) من المتاع (هبة)

فلا نسترجعها أو عارية ووديعة فنستردها ولا أدرى انه رزقى أو سبقت مشيئتك فى الازل بانه رزق غيرى وكيفما قضيت فانا راض به وما أغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطا له بل جريا على مقتضى سنتك فى ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذى ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه فى البيت فينبغى أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا أو فرحا بذلك عالما انه ما أخذ الله تعالى ذلك منه الا ليزيد رزقه فى الآخرة فقد صح مقامه فى التوكل وظهر له صدقه وان تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا فى دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا يتأسف على مافات من الدنيا ولا يفرح بما يأتى بل يكون على العكس منه فكيف يصح له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر ان أخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه فى الطلب والتجسس وان لم يقدر على ذلك حتى تأذى بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له فى ذنبه من حيث انه ظهر له قصوره عن جميع المقامات وكذبه فى جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغى أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه فى دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة أمارة بالسوء مدعية للخير فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ فاقول المتوكل لا يخلو بيته عن متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه واناء يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من أثاث البيت وقد يدخل فى يده مال وهو يمسكه ليجد محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذى يشرب منه والجراب الذى فيه زاده وانما ذلك فى المأكول وفى كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله جارية بوصول الخبز الى الفقراء المتوكلين فى زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والامتعة فى كل يوم ولا فى كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا فى التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ

محضة منك (فلا نسترجعها أو عارية ووديعة فنستردها ولا أدرى انه رزقى أو سبقت مشيئتك فى الازل بانه رزق غيرى وكيفما قضيت فانا راض به) على كل حال (وما أغلقت الباب تحصينا من قضائك وتسخطا له بل جريا على مقتضى سنتك فى ترتيب الاسباب) على مسبباتها (فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذى ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح واغلاق الباب ثم) ذلك المتوكل (اذا عاد فوجد متاعه فى البيت) لم يؤخذ (فينبغى أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا أو فرحا بذلك عالما انه ما أخذ الله ذلك منه الا ليزيد رزقه فى الآخرة) وانه ما من رزق ينقص له من الدنيا الا وهو زيادة له فى رزق الآخرة كما سبق (فقد صح مقامه فى التوكل وظهر له صدقه) فيه فان حمد الله وشكره على حسن بلائه أعطى ثواب الشاكرين الراضين كما جاء فى الخبر يارب من أولياؤك من خلقك قال الذى اذا أخذت منه المحبوب فسالمنى (وان تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا فى دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد) وان لم يكن شرطا فيه (ولا يصح الزهد الا ممن لا يتأسف على مافات من الدنيا ولا يفرح بما يأتى بل يكون على العكس منه) كما تقدم فى كتاب الزهد (فكيف يصح له التوكل) وهو لم يكن فى مقام الزهد ومقامات اليقين التسعة كلها على ترتيب ومثل هذا جناية من المؤمنين يستغفرون الله منه ويتوبون اليه كما يتوبون من المعاصى (نعم قد يصح له مقام الصبر ان أخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه فى الطلب والتجسس) فهو يعطى ثواب الصابرين المجاهدين (وان لم يقدر على ذلك حتى تأذى بقلبه واظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له فى ذنبه من حيث انه ظهر له قصوره عن جميع المقامات) الصبر والشكر والفقر والزهد والتوحيد والتوكل والرضا (و) ظهر أيضا (كذبه فى جميع الدعاوى) فليبك على نفسه وليستأنف التوبة والدخول فى الطريق (فبعد هذا ينبغى أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه فى دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة غرارة (امارة بالسوء مدعية للخير) فهذه كلها ذنوب عند المتوكلين وموجبات التوبة والاستغفار عند الموقنين (فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ) والمتوكل لا يأوى على مال ولا متاع (فاقول المتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه واناء يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت) كحصيرة يرقد عليها ويصلى فوقها ووسادة يضعها تحت رأسه (وقد يدخل فى يده مال) من ارث أو كسب أو هبة أو غير ذلك (وهو يمسكه) عنده بعد أن يفضل من قوته (ليجد محتاجا فيصرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله) بل هو مدخر لحقوق الله التى أوجبها عليه والقيام بحقوق الله لا ينقص مقامات العبد بل يزيدها علوا (وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذى يشرب منه والجراب الذى) يحفظ (فيه زاده وانما ذلك فى المأكول وفى كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله تعالى جارية بوصول الخبز الى الفقراء المتوكلين فى زوايا المساجد) من حيث يحتسبون ومن حيث لا يحتسبون (وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والامتعة فى كل يوم ولا فى كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا فى التوكل ولذلك كان) ابراهيم (الخواص) رحمه الله تعالى مع شدة مذهبه فى الادخار (يأخذ

في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الامرين فان قلت فكيف يتصور أن لا يحزن اذا أخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يتأسف عليه فان كان لا يشتهيه فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وان كان أمسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فأقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن أن الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه اياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل أن تكون خيرته في أن يبتلى بفقده ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر فلما أخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا أن الله عز وجل علم أن الخيرة كانت لي في وجودها الى الآن والخيرة لي الآن في عدمها لما أخذها مني فبمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالاسباب من حيث انها أسباب بل من حيث انه يسرها مسبب الاسباب عناية وتلطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح وقال لولا أنه يعرف أن الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربه الي وان أخر عنه الغذاء بعد ذلك أيضا فرح وقال لولا أن الغذاء يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري أي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي فكذلك ينبغي أن لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه أو لا يسرق فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أو في الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غناه يقول ياليتني كنت فقيرا *(بيان آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم)* للمتوكل آداب في متاع بيته اذا خرج عنه (الاول) أن يغلق الباب ولا يستقصي في أسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وجمعه أغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول لولا الكلاب ما شددته أيضا

في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة) ويقول هي من لوازم الدين (دون الزاد لكن سنة الله جارية في الفرق بين الامرين فان قلت فكيف يتصور أن لا يحزن اذا أخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يتأسف عليه فان كان لا يشتهيه فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وان كان أمسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فأقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه اياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه ان ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ لا يحتمل أن تكون خيرته في أن يبتلى بفقده ذلك حتى ينصب) أو يتعب (في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في التعب والنصب أكثر فلما أخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله عز وجل علم ان الخيرة لي كانت في وجودها الى الآن) فكانت في حيازتي (والخيرة لي الآن في عدمها لما أخذها مني فبمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالاسباب من حيث انها اسباب بل من حيث انه يسرها مسبب الاسباب عناية منه وتلطفا) وشفقة عليه ورحمة (وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق) المحب لبقائه (يرضى بما يفعله) معه (فان قدم اليه الغذاء فرح وقال لولا انه يعرف أن الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربه الي وان أخر عنه الغذاء بعد ذلك أيضا فرح وقال لولا ان الغذاء يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى) وعنايته به (ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه الترك أصلا ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري أي الاسباب خير له) فهي بمنزلة النجوم مسخرات له بامره (قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي) وقد سبق (فكذلك ينبغي أن لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه أو لا يسرق فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أو في الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان) ولولاه لما هلك (وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غناه يقول ياليتني كنت فقيرا) فالخيرة لله سبحانه في سائر الاحوال

(بيان آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم)

اعلم انه (للمتوكل آداب) سواء كان منفردا أو معيلا وتلك الآداب ينبغي مراعاتها وهي (في متاع بيته اذا خرج عنه) لحاجته (الاول أن يغلق الباب) فهذا جائز له (ولا يجوز أن) يستقصي في اسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وجمعه اغلاقا كثيرة) فالاستقصاء في هذا بنحو ذلك مما يناقض التوكل لانه يدل على عدم الثقة بالله وقيل يبطل كماله لا أصله (فقد كان) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول لولا الكلاب ما شددته أيضا) كذا في القوت وأخرج أبو نعيم في الحلية

(الثاني) أن لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم أو امساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى

المغيرة الى مالك بن دينار ركوة قال خذها لا حاجة لي اليها قال لم قال يوسوس الى العدو أن اللص أخذها فكأنه احترز أن يعصى

الحلية من طريق يوسف بن عطية الصفار عن مالك بن دينار قال من دخل بيتي فأخذ شيأ فهو له حلال أما أنا فلا احتاج الى قفل ولا الى مفتاح (الثاني ان لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم وامساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة) فاخذها منه ثم بعد أيام (قال) له (خذها لا حاجة لي اليها قال لم قال يوسوس الى العدو أن اللص أخذها) قد تقدم عند أبي نعيم في الحلية أخرجه من طريق الحرث بن نبهان الجرمي قال قدمت من مكة فاهديت الى مالك بن دينار ركوة قال فكانت عنده قال فجئت يوما فجلست في مجلسه فقال يا حارث بن نبهان تعال فخذ ركوتك فقد شغلت على قلبي الخ والمصنف تبع صاحب القوت فانه هكذا ذكره عن المغيرة ولعلهما قصتان (فكانه احترز من أن يعصى السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى لتلميذه أحمد بن ابي الحواري حين ساله عن هذه القصة (هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا فما عليه من أخذها) قال صاحب القوت وهذا كما قال أبو سليمان لان الزهد اذا حق دخل الرضا والتوكل فيه ولقول مالك أيضا وجه كأنه كره أن يعصى الله به فيكون سببا لمعصية الله ولكن قول أبي سليمان أعلى لاجل مقام التوكل والرضا (الثالث أن ما يضطر الى تركه في البيت ينبغي أن ينوي عند خروجه) منه (الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه) فان الرضا حال المتوكل (ويقول) اللهم ان جميع (ما) في منزلي ان سلطت عليه من (يأخذه السارق فهو منه في حل أو هو) صدقة (في سبيل الله تعالى فان كان) الآخذ (فقيرا فهو عليه صدقة) مني وفي القوت ان كان الآخذ فقيرا حمله على السرقة الحاجة أمضى صدقته عليه وان كان غير ذلك صرفها الى فقير وهو مأجور على الصدقة وعلى السارق والبغي اذا حملهما على ذلك الحاجة (وان لم يشترط الفقر فهو أولى) ولفظ القوت قد كان بعض السلف اذا أخذ له الشئ يشترط فيقول ان كان فقيرا فهو صدقة عليه وان كان محتاجا فهو منه في حل انتهى ووجه أولويته عدم الاشتراط لان لله تعالى حكما حقيقية في الغيب والطافا ومصالح وحسن توفيق لاهل ولايته بحيث لا يعلمون ومن حيث لا يحتسبون كما يستخرج لهم رزقهم من الحرام والحلال وكما يشهدهم الحق والعدل من الباطل والمحال وكما يعلمهم الفهوم ويظهر لهم العلوم من الجهال بحسن عنايته بهم وفضل اثرقولهم (فتكون له نيتان لو أخذه غني أو فقير احداهما أن يكون ماله مانعا له من المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما ان جعله في حل الثانية أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه أو نوى دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما) قيل يا رسول الله انصره مظلوما فكيف انصره ظالما قال تحجزه عن المعاصي فان ذلك نصره رواه أحمد وعبد بن حميد والبخاري والترمذي وابن حبان من حديث أنس ورواه ابن حبان أيضا من حديث ابن عمر وقد تقدم (ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم) كما هو مفهوم الحديث (وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له) فاذا عفا عنه فقد منعه عن الظلم بعفوه لانه لو رآه منعه من أخذه أو وهبه له فيقوم عفوه عنه مقام رؤيته وهذا يدخل في اشفاق الخائفين من فضل مطالبة الظالمين (وليتحقق ان هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلي) الذي سبق في الكتاب الاول (ولكن ليتحقق بالزهد نيته فان أخذ ماله كان له بكل درهم) تلف ولم بعد التلف وحسن اليقين وتفويض التسليم (سبعمائة درهم) كأنه قد أنفقه في سبيل الله يحسب له ذلك (لانه) قد كان (نواه وقصده وان لم يؤخذ حصل له الاجر أيضا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فاقر النطفة قرارها) توكلا على تمكنها (ان له

السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا زهد في الدنيا فما عليه من أخذها (الثالث) أن ما يضطر الى تركه في البيت ينبغي أن ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في حل أو هو في سبيل الله تعالى وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو أولى فيكون له نيتان لو أخذه غني أو فقير احداهما أن يكون ماله مانعا له من المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما ان جعله في حل والثانية أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر ومهما ينوي حراسة مال غيره بمال نفسه أو ينوي دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله صلى الله عليه وسلم

انصر أخاك ظالما أو مظلوما ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له وليتحقق أن هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلي ولكن يتحقق بالزهد نيته فان أخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يؤخذ حصل له الاجر أيضا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فاقر النطفة قرارها ان له

أجرغلام ولدله فى ذلك الجماع وعاش فقتل فى سبيل الله وان لم يولدله) فقال أنت تخلقه أنت ترزقه اليك محياه
ومماته أقرها اقرارها ولك ذلك هكذا نقله صاحب القوت وقال العراقى لم أجدله أصلا (لانه ليس اليه فى أمر
الولد الا الوقاع فاما الخلق والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم فكذلك
أمر السرقة الرابع انه اذا وجد المال مسروقا فينبغى أن لا يحزن) عليه (بل يفرح ان أمكنه و يقول
لولا ان الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى) لعلمه بان الوكيل اعلم بالمصلحة وفى القوت ولا ينبغى للمتوكل الموقن
أن يحزنه ما حوله من قبضته وهى خزانته الى خزانته الاخرى التى هى يد غيره فبالعلمه يهبه له فيكون رزقه
أو يبتليه باحكامه فيه فيخرج أيضا من يده لانه خرج من الدار شئ ولله حكمة وابتلاء فى كل شئ فالحزن
والاسف على فوت مثل هذا عند العارفين جناية من المؤمنين يتوبون الى الله تعالى منها لانه تعالى قد أمرهم
بترك الاسى على مافات من الدنيا وقلة الفرح بما أتاه منها اذ لابد فى كونها لانه قد علمه و بعد علمه قد كتبه ثم
اعلم به فكشف لهم اليقين عن الكتاب المستبين لان جميع ذلك قد سبق فى كتاب وجرى به القلم فى اللوح أفلا
يستحى العبد أن يكون على ضد ما أمر به أو بخلاف ما يحبه منه مولاه فيأسى على ماليس له ويحزن على
ما استودعه لما منه استرجعه أو يفرح بما لم يكن فى علم الله سبق له لانه لم يكن يعلم هل كان وهب له فيبقى عليه
أو أعيره وأودعه فيرتجع منه فلما أخذ من يده ورد الى معطيه ومودعه وكانت يده مع ذلك خزانة الوكيل
وقبضته أيقن انه لم يكن له وانما كان وديعة عنده فاذا حزن وساء فقد شك لما أيقن وجهل اذ علم ورغب
وكان ينبغى أن يكون زهد فاى شرك فى الملك أظهر من هذا فهو ثمرة التملك للاختيار بالتمليك ولو سمع ما علم
من قوله ولم يكن له شريك فى الملك ثم ردوا الى مولاهم الحق لقال تحقيقا لا تصديقا انا لله وانا اليه راجعون
فايقن ان ما فى يده لمولاه اذا العبد وماله لسيده ثم أيقن انه اليه راجع وان ما خرج من يده فانه فى قبضة الله لم
يخرج من خزانته ولا نقل من ملكه ولا حول من داره لانه فى الدار بعد لم يخرج وانما نقله من تمليك أدنى اليوم
الى ملك أعلى غد وذلك حسن اختيار من المختار و بلوى اختبار من الجبار فهذه شهادة الموقنين بعين اليقين وهو
مقام الشاهدين ثم قال وهذا الذى ذكرناه من ذهاب ما فى البيت هو لكل من ذهب له مال فى سفر أو حضر
ولكل من أصيب بمصيبة فى نفس أو أهل هذه المعاملات كلها اذا اعتقدها بقلبه وكانت فى خلده ووجده وان لم
ينطق بها أو يظهرها وهو وجد الراضين وحال المتوكلين وان لم يتكلموا به أو يعلم منهم فاكثر الناس ايمانا
وأحسنهم يقينا اقلهم غما وأيسرهم أسى على مافات من الدنيا وأنفذهم شهادة من رأى ذلك نعمة أوجبت عليه
شكرا فالمصائب محنة تكشف الزهد فى الدنيا وشدة الغم على فوت الدنيا دليل على حبها فان وجد المتوكل رحله
بحاله أو رد عليه بعد أخذه لم يضره تبقيته شيأ وكان له أجور بما ذكرناه من الاعمال الصالحة بالنيات التى
وصفناها ولا اعلم هذا القول واعتقاده عند خروجه من منزله أو تركه لرحله أو خروجه فى سفر ينقصه شيأ
ولا يضره ولا يقدم ضياع شئ حكم الله تعالى ببقائه له ولا يدخر تلك العقد لهذا تبقية ما حكم الله بذهابه ومع ذلك
فيكون له حال من التوكل ومقام فى الرضا وحسن المعاملات (ثم ان لم يكن قد جعله فى سبيل الله عز وجل فلا يبالغ
فى طلبه وفى اساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله فى سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الآخرة
فان أعيد عليه فالاولى أن لا يقبله بعد ان كان قد جعله فى سبيل الله عز وجل وان قبله فهو فى ملكه فى ظاهر) فتوى
(العلم لان الملك لا يزول بمجرد النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين) ولفظ القوت بعد قوله ومع ذلك فيكون له
حال من التوكل ومقام فى الرضا وحسن المعاملات الاشيأ واحدا من باب نقصان الدنيا وهو من طريق الورع فانه
ينقصه وهو انه ان أخذ ما توكل الله فيه فرد الامر به اليه ثم رد عليه لم يستحب له فى الورع أن يتملكه ولا أن
يرجع فيه فى حسن الادب لانه قد كان جعله فى سبيل الله فان رجع فيه لم ينقص ذلك توكله لانه قد صح تفويضه
الى الوكيلين فى الحالين جميعا فيكون رده اياه عليه لانه كان قد وهبه له وانما روعه بفقده و بمنزلة ابتداء عطاء منه
(وقد روى ان ابن عمر) رضى الله عنه (سرقت له ناقة فطلبها حتى أعيا ثم قال) هى (فى سبيل الله فدخل المسجد

أجرغلام ولدله من ذلك الجماع وعاش فقتل فى سبيل الله تعالى وان لم يولدله لانه ليس أمر الولد الا الوقاع فاما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم فكذلك أمر السرقة (الرابع) انه اذا وجد المال مسروقا فينبغى أن لا يحزن بل يفرح ان أمكنه و يقول لولا ان الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى ثم ان لم يكن قد جعله فى سبيل الله عز و جل فلا يبالغ فى طلبه وفى اساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله فى سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الآخرة فان أعيد عليه فالاولى أن لا يقبله بعد أن كان قد جعله فى سبيل الله عز وجل وان قبله فهو فى ملكه فى ظاهر العلم لان الملك لا يزول بمجرد النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين وقد روى ان ابن عمر سرقت ناقتها فطلبها حتى اعيا ثم قال فى سبيل الله تعالى فدخل المسجد

فصلى فيه ركعتين فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان ناقتك في مكان كذا فلبس نعله وقام ثم قال أستغفر الله وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها فقال اني كنت قلت في سبيل الله وقال بعض الشيوخ رأيت بعض اخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرأيتها قال وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد غفر لك ودخلت الجنة وأنت حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم اني لا أزال حزينا الى يوم القيامة قلت ولم قال اني لما رأيت منازلي في الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له انما هي لمن أمضى السبيل فقلت وما امضاء السبيل فقيل لي كنت تقول للشئ انه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضينا لك وحكي عن بعض العباد بمكة أنه كان نائما الى جنب رجل معه هميان فانتبه الرجل ففقد هميانه فاتهمه به فقال له كم كان في هميانك فذكر له فحمله الى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك أعلمه أصحابه انهم كانوا أخذوا الهميان مزاحا معه فجاء هو وأصحابه معه وردوا الذهب فأبى وقال خذه حلالا طيبا فما كنت لأعود في مال أخرجته في سبيل الله عز وجل فلم يقبل فألحوا عليه فدعا ابنائه وجعل بصره صررا و يبعث بها الى الفقراء حتى لم يبق منه شئ فهكذا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رغيفا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كان يكره رده الى البيت بعد اخراجه فيعطيه فقيرا آخر وكذلك يفعل في الدراهم والدنانير وسائر الصدقات *(الخامس)* وهو أقل الدرجات أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالأخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل أجره أيضا فيما أصيب به

فصلى فيه ركعتين فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن) وهي كنية ابن عمر (ان ناقتك في مكان كذا فلبس نعله وأقام) يسيرا (ثم) نزعها و (قال استغفر الله وجلس فقيل له الا تذهب فتأخذها فقال اني) قد (كنت قلت في سبيل الله) كذا في القوت (وقال بعض الشيوخ) من الصوفية (رأيت بعض اخواني في النوم بعد موته فقلت) له (ما فعل الله بك فقال غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرأيتها فقال وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد دخلت الجنة وغفر لك وأنت حزين فتنفس الصعداء فقال نعم اني لا أزال حزينا الى يوم القيامة قلت ولم) ذلك (قال اني لما رأيت منازلي في الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له انما هي لمن أمضى السبيل فقلت وما امضاء السبيل فقال لي كنت تقول للشئ انه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضينا) ها (لك) كذا في القوت (وحكي عن بعض العباد بمكة انه كان نائما الى جنب رجل) من الحجاج (معه هميانه) بالكسر كيس يجعل فيه المال (فانتبه الرجل ففقد هميانه فاتهمه به فقال له كم كان في هميانك فذكر له فحمله الى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك أعلمه أصحابه انهم كانوا أخذوا الهميان مزاحا معه) أي فعلوا ذلك معه وحلوا هميانه وهو نائم بطريق المزاح واللعب (فجاء هو وأصحابه وردوا) اليه (الذهب فأبى) ان يأخذ منهم (وقال خذوه حلالا طيبا فما كنت لأعود في مال أخرجته في سبيل الله عز وجل فلم يقبل فألحوا عليه فدعا ابنائه و جعل يصره صررا و يبعث بها الى الفقراء حتى لم يبق منه شئ فهكذا كانت أخلاق السلف) وفي القوت فهذا كانت نية اخراجه لله سبحانه فلم يعد فيما أخرجه (وكذلك) تقول (فمن أخذ رغيفا ليعطيه فقيرا فغاب عنه) ولم يصادفه (كان يكره رده الى البيت بعد اخراجه) لله تعالى (فيعطي فقيرا آخر وكذلك يفعل في الدراهم والدنانير وسائر الصدقات) قال صاحب القوت وقد كان من كان بهذا الوصف وهذا طريق قد عفا أثره ودرس خبره فمن عمل به فقد أحياه وأظهره وقد كان قد عـا طريقا الى الله تعالى عليه السابلة من المؤمنين (الخامس وهو أقل الدرجات ان لا يدعو على السارق الذي ظلم بالأخذ) من متاعه اذ قد جعله صدقة عليه فيؤجر أجرا ثانيا لاشفاقه على أخيه وحسن نظره للعصاة من حيث لا يعلمون تخلق بأخلاق مولاه وينال بعفوه عن ظالمه درجة المحسنين ويتحقق بمقام المتقين ويكون ممن وقع أجره على الله (فان فعل) فقد (بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات و بطل) أيضا (زهده ولو بالغ فيه بطل أيضا أجره فيما أصيب به) والحاصل انه بطل به ثلاث مقامات من اليقين التوكل والزهد والصبر وفي القوت وقد اختلف رأى أهل المعرفة فيمن ظلم بمظلمة فقال بعضهم بتحليل الظالم والعفو عنه وقالت طائفة من أهل التوكل بل ارجاء ذلك الى الله تعالى وتسليمه اليه وتفويضه حتى يحكم فيه بما يحب لانه منه وله أولى وانه أحب اليهم وعندهم أعلى من ذلك ما حدثت عن أحمد بن أبي الحواري قال قلت لأبي سليمان اني قد جعلت كل من لي قبله تبعة في حل فقال بئسما صنعت انما كان ينبغي ان تهبه لله تعالى فيؤاخذ من يشاء و يعفو عمن يشاء قال ابن أبي الحواري فلم أجبه أنا على هذا وثبت على الأمر الاول قال وقول أبي سليمان أعلى وهو معنى من التوكل على الله في النفس وهو أرفع أحوال المتوكلين لان التوكل في الحكم وهو من مقامات الانبياء كما قال تعالى ان الحكم الا لله عليه توكلت ولان فيه التفويض والتسليم وترك الاعتراض والتحكم بين يدي المولى ووافقه ابن سيرين في هذا المعنى لحقيقة ورعه وقول ابن أبي الحواري أدخل في السنة وأشبه بطريقة المتقدمين من الأئمة والتجوز للامة

ففى الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكى أن الربيع بن خيثم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفا وكان قائما يصلى فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال أما انى قد كنت رأيته وهو يحله قيل وما منعك أن تزجره قال كنت فيما هو أحب الى من ذلك يعنى الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فانى قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم فى شئ قد كان سرق له ألا تدعو على ظالمك قال ما أحب أن أكون عونا للشيطان عليه قيل أرأيت لو رد عليك قال لا آخذه ولا أنظر اليه لانى كنت قد أحللته له وقيل لآخر ادع الله على ظالمك فقال ما ظلمنى أحد ثم قال انما ظلم نفسه ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شرا وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف فى ظلمه فقال لا تغرق فى شتمه فان الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ودمه وفى الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم *(السادس)* أن يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصا فى دنياه لا نقصا فى دينه فقد شكا بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال ان لم يكن لك غم انه قد صار فى المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين وسرق من على بن الفضيل رضى دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكى ويحزن فقال أعلى الدنانير تبكى فقال لا والله ولكن على المسكين أن يسئل يوم القيامة ولا تكون له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال انى مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه فهذه أخلاق السلف

بالعفو عن الظالم وتفضيل العافين عن الناس فلو لم يكن هذا أفضل ما مدحوا به ولا فضلوا بفعله وهذا مذهب الاكثر وهو أحب الى وكذلك كان رأى السلف الاول قلت واليه مال المصنف (ففى الخبر) قال صلى الله عليه وسلم (من دعا على ظالمه فقد انتصر) رواه ابن أبى شيبة والترمذى وضعفه وابن أبى الدنيا فى ذم الغضب من حديث عائشة بلفظ على من ظلمه (وحكى ان الربيع بن خيثم) الثورى الكوفى العابد تابعى ثقة (سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفا) درهما (وكان قائما يصلى فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم) من الناس يتحزنون له و(يعزونه فقال أما انى قد كنت رأيته وهو يحله) من مربطه (قيل وما منعك أن تزجره قال كنت فيما هو أحب الى من ذلك) يعنى الصلاة قال (فجعلوا يدعون عليه) الله يفعل به كذا وكذا (فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فانى قد جعلتها صدقة عليه) فلولا انه اعتقد تحليله والعفو عنه لكان من المعاونين على الاثم والعدوان ولعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله انصر أخاك ظالما أو مظلوما ثم قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه فهذا الولاعفوه عن ظلامته كان قد خذله وما نصره ولم يخطئه أحد من السلف فى هذا الفعل بل فعل ذلك على التفضيل له (وقيل لبعضهم فى شئ كان قد سرق له ألا تدعو على ظالمك قال ما أحب ان أكون عونا للشيطان عليه قيل أرأيت لو ردت عليك) سرقتك كنت تأخذها (قال لا آخذها ولا) كنت (انظر اليها لانى قد كنت أحللتها له) وفى نسخة أحللته منها نقله صاحب القوت (وقيل لآخر ادع الله على ظالمك فقال ما ظلمنى أحد ثم قال انما ظلم نفسه ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شرا) كذا فى القوت قال وذهب لبعض المسلمين مال فجاؤا يعزونه عليه فقال علام تعزونى على أمر الله فوالله ما حزنت على ذهابه قيل ولم قال شغلنى الشكر عليه من الحزن (وأكثر بعضهم شتم الحجاج) بن يوسف الثقفى (عند بعض السلف فى ظلمه) قيل هو الحسن البصرى (فقال له لا تغرق فى شتمه) أى لا تبالغ ولا تكثر (فان الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ودمه) وفى تدبر الخبر المأثور من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد دعت على ظالمها أحسب فى سرقة ٧ لا يستحق عنه يقول لا توسعى عليه ففى التوسيع عليه نقصان من ظلامة المظلوم بقدر ذلك الا أن يصير للظالم زيادة بفضل ما انتهك منه (و) يطابقه ماجاء (فى الخبر) الآخر (ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم) ولفظ القوت ان العبد ليظلم بالمظلمة أو يسرق له الشئ فلا يزال يدعو عليه ويسبه حتى يستوفى بقدر ظلامته ويبقى للظالم فضل يؤخذه من المظلوم وقد تقدم فى كتاب آفات اللسان (السادس أن يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصا فى دنياه لا نقصا فى دينه) فقد كانوا يقولون اذا ظلموا من الغصب والسرقة نعمة الله علينا اذ لم يجعلنا ظالمين وجعلنا مظلومين أعظم مما فاتنا من الظلامة (فقد شكا بعض الناس الى عالم) من العلماء (انه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال) يا أخى (ان لم يكن لك غم انه قد صار فى المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين) كذا فى القوت فان مقتضى النصيحة لهم ان يغتم على ما يصيبهم من التعرض لما يسخط الله عليهم (وسرق من على بن الفضيل) بن عياض قدس سرهما وكان من الزاهدين بكا بيه ومات قبل أبيه (دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه) الفضيل بن عياض (وهو يبكى ويحزن فقال أعلى الدنيا تبكى فقال لا والله ولكن على المسكين انه يسئل يوم القيامة ولا تكون له حجة) كذا فى القوت (وقيل لبعضهم) فى معنى هذا (ادع الله على من ظلمك فقال انى مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه فهذه أخلاق السلف

رضى الله عنهم أجمعين *(الفن الرابع فى السعى فى ازالة الضرر كمداواة المرض وأمثاله)* اعلم أن الاسباب المزيلة للمرض أيضا

رضى الله عنهم أجمعين) وقد كان أبو سليمان الدارانى يقول انما البغض لاهل المعاصى عند النظر اليهم عليها فاذا تفكرت فيما يصيرون اليه من العقوبة دخلت الرحمة لهم القلب

(الفن الرابع فى السعى فى ازالة الضرر كمداواة المرضى وأمثاله اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الاسباب المزيلة للمرض أيضا تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب الدواء المسهل وسائر أبواب الطب أعنى معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهى الاسباب الظاهرة فى الطب والى موهوم كالكى والرقية أما المقطوع) به (فليس من التوكل) أى من شرطه (تركه بل تركه حرام عند خوف الموت وأما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين) فى الحديث السابق (وأقواها الكى وتليه الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال عليها غاية التعمق) والتدقيق (فى ملاحظة الاسباب وأما الدرجة المتوسطة) بين المقطوع والموهوم (وهى المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون أفضل من فعله فى بعض الاحوال وفى بعض الاشخاص فهى على درجة بين الدرجتين و) مما (يدل على ان التداوى غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأمره به أما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم مامن داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعنى الموت) قال العراقى رواه أحمد والطبرانى من حديث ابن مسعود دون قوله الا السام وهو عند ابن ماجه مختصرا دون قوله عرفه الخ واسناده حسن وللترمذى وصححه من حديث أسامة بن شريك الا الهرم وللطبرانى فى الاوسط والبزار من حديث أبى سعيد الخدرى ومن حديث ابن عباس الا السام وسندهما ضعيف وللبخارى من حديث أبى هريرة ما أنزل الله داء الا أنزل الله له شفاء ولمسلم من حديث جابر لكل داء دواء انتهى قلت حديث ابن مسعود رواه كذلك الحكيم وابن السنى وأبو نعيم فى الطب والحاكم والبيهقى ولفظه ما أنزل الله من داء الا وأنزل معه شفاء علمه من علمه وجهله من جهله وهو عند ابن ماجه مختصرا من حديثه ولفظه ما أنزل الله داء الا أنزل له الدواء وفى رواية له من حديث أبى هريرة مثله الا انه قال شفاء بدل الدواء ومثله فى حديث ابن مسعود عند النسائى وابن حبان والحاكم وفى آخره زيادة وروى الخطيب من حديث أبى هريرة ما أنزل الله عز وجل داء الا وقد جعل له فى الارض دواء علمه من علمه وجهله من جهله وبقية حديث جابر عند مسلم فاذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله تعالى وأما ذكر السام ففى حديث أبى سعيد ان الله تعالى لم ينزل داء الا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله الا السام وهو الموت هكذا رواه ابن السنى وأبو نعيم فى الطب والحاكم وذكر الهرم فى حديث ابن مسعود ان الله عز وجل لم ينزل داء الا أنزل له شفاء الا الهرم فعليكم بألبان البقر فانها ترم من كل شجر هكذا رواه الحاكم والبيهقى وقد جاء ذكرهما جميعا فى حديث أسامة بن شريك الا تداووا فان الله لم ينزل داء الا وقد أنزل له شفاء الا السام والهرم هكذا رواه ابن حبان (وقال) صلى الله عليه وسلم (تداووا عباد الله فان الله خلق الداء والدواء) قال العراقى رواه الترمذى وصححه وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة بن شريك انتهى قلت وفيه زيادة فى آخره عند ابن حبان وقد ذكر قبل هذا ورواه أبو نعيم فى الطب من حديث ابن عباس تداووا ان الله عز وجل لم ينزل فى الارض داء الا وأنزل له شفاء وروى أحمد والطحاوى وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان والحاكم من طريق زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال جاءت الاعراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه فقالوا يارسول الله أنتداوى قال نعم ان الله لم ينزل داء الا أنزل له شفاء الا الموت والهرم تداووا عباد الله فان الله لم يضع داء الا وضع له دواء الا داء واحدا الهرم وروى القضاعى من طريق الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة تداووا فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء (وسئل) صلى الله عليه وسلم (عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيأ فقال هى من قدر الله تعالى) قال العراقى رواه

تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب الدواء المسهل وسائر أبواب الطب أعنى معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهى الاسباب الظاهرة فى الطب والى موهوم كالكى والرقية أما المقطوع فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت وأما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين وأقواها الكى ويليه الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال اليها غاية التعمق فى ملاحظة الاسباب وأما الدرجة المتوسطة وهى المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون أفضل من فعله فى بعض الاحوال وفى بعض الاشخاص فهى على درجة بين الدرجتين ويدل على أن التداوى غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأمره به أما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم مامن داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعنى الموت وقال عليه السلام تداووا عباد الله فان الله خلق الداء والدواء وسئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيأ قال هى من قدر الله

الترمذي وابن ماجه من حديث بني خزيمة وقيل عن ابن أبي خزامة عن أبيه قال الترمذي وهذا أصح انتهى قلت حديثه عن الزهري عن ابن أبي خزامة عن أبيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت رقى نرقى بها وأدوية نتداوى بها الحديث قال ابن عبد البر ذكره يعني أبا خزامة بعضهم في الصحابة لحديث أخطأ فيه راويه عن الزهري وهو تابعي وكأنه جنح الى تقوية من قال عن ابن أبي خزامة عن أبيه وقال ابن فتحون أخرج حديثه الباوردي والطبراني أيضا من طريق عبد الرحمن بن اسحق عن الزهري وقيل عن الزهري وعن ابن أبي خزامة عن أبيه ورجحها ابن عبد البر (وفي الخبر المشهور ومامررت) ليلة أسري بي (بملأ من الملائكة الاقالوا) يا محمد (مر أمتك بالحجامة) لانهم من بين الامم كلهم أهل يقين واذا اشتعل نور اليقين في القلب ومعه حرارة الدم أضر بالقلب وبالطبع وقال التور بشتي وجه المبالغة منهم في أمر الحجامة سوى ماعرف منها من المنفعة العائدة على الابدان أن الدم مركب من القوى النفسانية الحائلة بين العبد وبين الترقي الى عالم الملكوت الاعلى والوصول الى الكشوفات الروحانية وغلبته تزيد جماع النفس وصلابتها فاذا نزف الدم أورثها ذلك خضوعا وخمودا ولينا ورقة ولذلك تنقطع الادخنة المنبعثة عن النفس الامارة وتنحسم مادتها فتزداد البصيرة نورا الى نورها قال العراقي رواه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وله ولابن ماجه من حديث ابن عباس نحوه عليك بالحجامة وقال حسن غريب وله ولابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف انتهى قلت في سند الترمذي أحمد بن بديل الكوفي قال في الكاشف لينه ابن عدي والدارقطني ورضيه النسائي وعبد الرحمن بن اسحق ضعفوه وفي سند ابن ماجه كثير بن سليم الضبي كما في الميزان وعدوا من مناكيره هذا الحديث ولذلك قال الصدر المناوي في تخريج أحاديث المصابيح انه منكر وروى الطبراني وابن السني وأبو نعيم في الطب عن عبد الحميد بن صيفي بن صهيب عن أبيه عن جده رفعه عليكم بالحجامة في جوزة القمحدوة فانه دواء من اثنين وسبعين داء وخمسة أدواء من الجنون والجذام والبرص ووجع الاضراس (وفي الحديث أنه أمر بها) أي بالحجامة (وقال احتجموا) ارشادا لا الزاما (لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين) من الشهر العربي (لايتبيغ بكم الدم) أي يثور ويغلب (فيقتلكم) أي فيكون ثورانه سببا لموتكم وهذا فيه كمال شفقته على أمته قال العراقي رواه البزار من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفا ورفعه الترمذي بلفظ ان خير ماتحتجمون فيه سبع عشرة الحديث دون ذكر التبيغ وقال حسن غريب وقال البزار ان الطريق المتقدمة أحسن من هذا الطريق ولابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف من أراد الحجامة فليتحر سبعة عشر الحديث انتهى قلت لفظ البزار احتجموا لخمس عشرة أو لسبع عشرة أو لتسع عشرة أو احدى وعشرين الحديث وقد رواه كذلك الطبراني والديلمي وأبو نعيم في الطب كلهم رفعوه من حديث ابن عباس ولفظ المرفوع عند الترمذي من حديثه ان خير ماتحتجمون فيه يوم سبع عشرة ويوم تسع عشرة ويوم احدى وعشرين وليس فيه ذكر التبيغ ولفظ ابن ماجه من حديث أنس من أراد الحجامة فليتحر سبعة عشر وتسعة عشر واحدى وعشرين لايتبيغ باحدكم الدم فيقتله وروى أبو داود والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة من احتجم لسبع عشرة من الشهر وتسع عشرة واحدى وعشرين كان له شفاء من كل داء وقوله لايتبيغ أي لئلا يتبيغ فحذف حرف الجر مع ان قال ابن الاعرابي تبيغ الدم وتبوغ ثار وهاج (فذكر ان تبيغ الدم سبب الموت وانه قاتل باذن الله تعالى وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك وبين اخراج العقرب من الثياب واخراج الحية من البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلا) قال ابن القيم هذا موافق لاجماع الاطباء ان الحجامة نصف الشهر ومابعده من الربع الثالث من أرباع الشهر أنفع من أوله وآخره لغلبة الدم حينئذ الذي جعل علة للامر بها انم محل اختيار هذه الاوقات اذا أريدت لحفظ الصحة فان كانت لمرض فعلت وقت الحاجة انتهى وقال ابن جرير هذا اختيار منه صلى الله عليه وسلم للوتر من أيام الشهر على الشفع لفضل الوتر عليه وانما خص مرجحا له انتقاص الهلال من تناهي تمامه لان ثوران كل

وفي الخبر المشهور ومامررت بملأ من الملائكة الاقالوا مر أمتك بالحجامة وفي الحديث أنه أمر بها وقال احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر أن تبيغ الدم سبب الموت وانه قاتل باذن الله تعالى وبين أن اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب الماء على النار لاطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل أصلا

تاثير وتحرك كل علة انما يكون فيما يقال من حين الاستهلال الى الكمال فاذا تناهى نماؤه وتم تمامه سكر فامر بالاحتجام فى الوقت الذى الاغلب فيه السلامة الا أن يثور الدم وتدعو الضرورة لبعضهم فى الوقت المكروه بحيث تكون غلبة السلامة فى عدم التأخير فيفعل حينئذ انتهى وقال صاحب القوت وفى ذكر تبيغ الدم دليل على توقيت هذا العدد من الايام للحجامة الا انه أريد به هذه الايام من الشهر وفيه وصف الاسباب التى جعلت حقوقا وأسبابا للموت وأحسب هذا القدر من العدد لاهل الحجاز خاصة لشدة حر البلد كقول عمر رضى الله عنه فى الماء المشمس انه يورث البرص سمعت ان ذلك فى أرض الحجاز خاصة وقد كان من سيرة السلف ان يحتجموا فى كل شهر مرة الى أن يجاوز الرجل الاربعين وكانوا يستحبون الحجامة فى نقصان الشهر (و) قد يروى (فى خبر مقطوع من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر) العربى (كان له دواء من داء سنة) قال العراقى رواه الطبرانى من حديث معقل بن يسار وابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس واسنادهما واحد اختلف على راويه فى الصحابى وكلاهما فيه زيد العمى وهو ضعيف انتهى قلت حديث معقل بن يسار رواه أيضا ابن سعد وابن عدى والبيهقى ولفظه من سياق المصنف وحديث أنس رواه البيهقى أيضا ولفظه لسبع عشرة خلت من الشهر أخرج الله منه داء سنة وذكر صاحب القوت الحديث المتقدم ثم قال وفى خبر مثله عن الاعمش من احتجم يوم السبت نفعه قال الاعمش فجربته فنفعنى انتهى قلت وقد روى فى المرفوع ما يناقض ذلك روى الشيرازى فى الالقاب والحاكم والبيهقى من حديث أبى هريرة من احتجم يوم الاربعاء أو يوم السبت فرأى فى جسده وضحا فلا يلومن الا نفسه وصححه الحاكم وتعقبه الذهبى (وأما أمره) صلى الله عليه وسلم (فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوى وبالحمية) أما الامر بالتداوى فقد تقدم فى حديث أسامة بن شريك من رواية أصحاب السنن وفيه تداووا عباد الله وفى حديث ابن مسعود تداووا بالبان البقر رواه الطبرانى والخطيب وفى حديث زيد بن أرقم تداووا من ذات الجنب رواه أحمد والطبرانى والحاكم وأما أمره بالحمية فسيأتى فى قصة على وصهيب بعده قال صاحب القوت وروى أبو قلابة عن كعب الاحبار يقول الله عز وجل انى أنا الله أشفى وأداوى فتداووا فالتداوى رخصة وسعة وتركه ضيق وعزيمة والله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه وقد قال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج أى ضيق وربما كان التداوى فاضلا فى ذلك لمعنيين أحدهما أن ينوى اتباع السنة والاخذ برخصة الله تعالى وقبول ما جاءت به الحنيفية السمحة والثانى أن يحب سرعة البرء للطاعة ولخدمة مولاه والسعى فى أوامره اذا كانت العلل قاطعة من التصرف فى العمل ومشغلة بالنفس عن الشغل بالآخرة (وقطع) صلى الله عليه وسلم (لسعد بن معاذ) بن النعمان الانصارى الاشهلى أبى عمرو سيد الاوس شهد بدرا (عرقا أى فصده) كذا فى القوت قال العراقى رواه مسلم من حديث جابر قال رمى سعد فى أكحله فحسمه النبى صلى الله عليه وسلم بيده بمشقص الحديث انتهى قلت رمى بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهرا حتى حكم فى بنى قريظة وأجيبت دعوته فى ذلك ثم انتقض جرحه فمات أخرج ذلك البخارى وذلك سنة خمس (وكوى) صلى الله عليه وسلم (أسعد بن زرارة) بن عدس بن عبيد أبا امامة الانصارى الخزرجى النجارى قديم الاسلام شهد العقبتين مات قبل وقعة بدر ووقع فى القوت ما نصه ولوى أسعد بن زرارة من القوة هكذا هو باللام وفى الهامش بازائه لوى أى عالج اهـ وأخاله تصحيفا والصواب كوى وقال العراقى رواه الطبرانى من حديث سهل بن حنيف دون ذكر سهل انتهى وقال الحافظ فى ترجمة أسعد من الاصابة وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن أبى امامة بن سهل قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم على أسعد بن زرارة وكان أحد النقباء ليلة العقبة وقد أخذته الشوكة فكواه الحديث وكذلك رواه الحاكم من طريق يونس عن الزهرى هذا هو المحفوظ ورواه عبد الاعلى عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة وهى شاذة ورواه رفعة بن صالح عن الزهرى عن أبى امامة بن سهل عن أبى امامة أسعد بن زرارة الرواية وانما أراد أن يقول عن قصة أسعد بن زرارة والله أعلم (وقال) صلى الله عليه وسلم (لعلى) رضى الله عنه (وكان رمد العين لا تأكل من هذا يعنى الرطب

وفى خبر مقطوع من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة وأما أمره صلى الله عليه وسلم فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوى وبالحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا أى فصده وكوى سعد بن زرارة وقال لعلى رضى الله تعالى عنه وكان رمد العين لا تأكل من هذا يعنى والرطب

وكل من هذا فانه أوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق شعير) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم المنذر انتهى قلت ورواه كذلك ابن سعد كلهم من طريق فليح بن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أم المنذر بنت قيس الانصارية قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٧ يأكل منها وقام على ليأكل فقال مه ياعلى انك ناقه حتى كف على قال وصفت له شعيرا وسلقا فجئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلى من هذا فاصب فانه أوفق لك لفظ أبي داود وقال الترمذي حسن غريب لانعرفه الا من حديث فليح وتعقب بانه جاء من طريق ابن أبي فديك عن محمد بن أبي يحيى الاسلمي عن أبيه عن يعقوب نحوه قال الحافظ في الاصابة فليح بن سليمان اسمه وكنيته أبو يحيى وابنه محمد من رجال البخاري وابن أبي فديك من أقرانه فلعله حمله عنه ولم يفصح باسم ابنه لصغره فقال محمد بن أبي يحيى والد ابراهيم شيخ الشافعي وليس هو به بل رجع الخبر الى فليح كما قال الترمذي (وقال) صلى الله عليه وسلم (لصهيب) بن سنان رضي الله عنه (وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين تأكل تمرا وأنت رمد فقال آكل من الجانب الآخر فتبسم) صلى الله عليه وسلم تقدم في كتاب آفات اللسان (وأما فعله فقد روى في الحديث المروى (من طريق أهل البيت أنه صلى الله عليه وسلم كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة) هكذا هو في القوت وقال العراقي رواه ابن عدي من حديث عائشة وقال انه منكر وفيه سيف بن محمد كذبه أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين انتهى قلت وبخط الحافظ ابن حجر لابي نعيم في الطب عن عبد الرحمن بن غنم مثله وفيه الواقدي انتهى وانما خص الليل بالاكتحال لانه في النوم يتمكن الكحل في طبقات العين ويظهر تأثيره فيها وشرب به صلى الله عليه وسلم الدواء كل سنة كان لغير علة فان عرض له ما يوجب شربه في اثناء السنة شرب به أيضا (وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب وغيرها) ولفظ القوت وقد تداوى في غير خبر من العقرب وغيرها وقال العراقي رواه الطبراني باسناد حسن من حديث جبلة بن الازرق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لدغته عقرب فغشي عليه فرماه الناس الحديث وله في الاوسط من رواية سعيد بن ميسرة وهو ضعيف عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى تقمح كفا من شونيز وشرب عليه ماء وعسلا ولابي يعلى والطبراني من حديث عبد الله بن جعفر ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم بعد ما وسم وفيه جابر الجعفي ضعفه الجمهور انتهى قلت حديث جبلة بن الازرق رواه أيضا البخاري في تاريخه وابن السكن والبغوي كلهم من طريق معاوية بن صالح عن صالح بن راشد بن سعد بن جبلة بن الازرق وكانت له صحبة قام صلى الله عليه وسلم الى جانب جدار كثير الاحجرة اما ظهرا أو عصرا فلما جلس لدغته عقرب فغشي عليه فرقاه الناس فافاق فقال ان الله شفاني وليس برقيتكم قال لا أعلم له غيره وقال البغوي ابن السكن ليس له غيره (وروى انه) صلى الله عليه وسلم (كان اذا نزل عليه الوحي صدع رأسه) من شدة ما يلقاه منه (وكان يغلفه بالحناء) لتخف حرارة رأسه فان نور اليقين اذا هاج اشتعل بورود الوحي فيلطف حرارته بذلك قال العراقي رواه البزار وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة وقد اختلف في اسناده على الاحوص بن حكيم انتهى قلت وكذلك رواه ابن السني وأبو نعيم في الطب (وفي الخبر انه) صلى الله عليه وسلم (كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء) قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سلمى قال الترمذي غريب قلت هي سلمى أم نافع امرأة أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم ويقال لها أيضا مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ الترمذي وقد رواه من طريق فائد مولى أبي رافع عن علي بن عبيد الله ابن أبي رافع عن جدته وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة أو نكبة الا أمرني أن أجعل عليها الحناء (وقد جعل) صلى الله عليه وسلم (على قرحة خرجت به ترابا) قال العراقي رواه الشيخان من حديث عائشة كان اذا اشتكى الانسان الشئ منه أو كانت قرحة أو جرح قال النبي صلى الله عليه وسلم بيده هكذا وجعل سفيان بن عبد الله الراوي سبابته بالارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضنا انتهى ولفظ القوت فروينا انه جعل على أصبعه السبابة من ريقه ثم وضعه على تراب فقال تربة أرضنا بريقة

وكل من هذا فانه أوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق شعير وقال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين تأكل تمرا وأنت أرمد فقال اني آكل من الجانب الآخر فتبسم صلى الله عليه وسلم وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روى في حديث من طريق أهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة قيل السنا المكي وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب وغيرها وروى أنه كان اذا نزل اليه الوحي صدع رأسه فكان يغلفه بالحناء وفي خبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا

وماروى فى تداويه وأمره بذلك كثير خارج عن الحصر وقد صنف فى ذلك كتاب وسمى طب النبى صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء فى الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا أتداوى حتى يعافينى هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرأ فقال لا أتداوى وأقامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داوونى بما ذكرتم فداووه فبرأ فاوجس فى نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه أردت أن تبطل حكمتى بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الاشياء غيرى وروى فى خبر آخر ان نبيا من الانبياء عليهم السلام شكا علة يجدها فاوحى الله تعالى اليه كل البيض وشكا نبى آخر الضعف فاوحى الله تعالى اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وقد روى ان قوما شكوا الى نبيهم قبح أولادهم فاوحى الله تعالى اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد ويفعل ذلك فى الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب فهذا تبين ان مسبب الاسباب أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا فى أحد أمرين أحدهما ان معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلى واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق فى حقه بالاول والثانى ان الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخر فى الباطن وأسباب فى المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال وأما زوال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق فى العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلال الاسباب أبدا ينحصر فى هذين الشيئين والا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت شروط السبب

بعضنا شفاء عليل بعضنا باذن ربنا ثم جعله على قرحة فى رجله (وماروى فى تداويه) صلى الله عليه وسلم (وأمره بذلك) أصحابه كثير (خارج عن الحصر) والضبط لكثرته (وقد صنف فى ذلك كتاب وسمى طب النبى صلى الله عليه وسلم) وهما كتابان مشهوران بهذا الاسم أحدهما للحافظ أبى بكر بن السنى والثانى للحافظ أبى نعيم الاصبهانى قال صاحب القوت وهو صلى الله عليه وسلم أعلى المتوكلين وأقوى الاقوياء المقربين فان قيل انما تداوى لغيره وليس ذلك قلنا فلا ترغب عن سنته ولا تزهد فى بغيته ان كان فعل ذلك لنا فلا نرد عليه لئلا يكون فعله لغوا والرغبة عن سنته الى توهم حقيقة التوكل طعن فى الشريعة وقد كان صلى الله عليه وسلم ظاهره للخلق ليقتفوا آثاره (وذكر بعض العلماء فى الاسرائيليات أن موسى عليه السلام اعتل) مرة (بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا أتداوى حتى يعافينى هو من غير دواء فطالت علته فقالوا) له (ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرأ فقال لا أتداوى فدامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داوونى بما ذكرتم) فداووه (فبرئ فاوجس فى نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه أردت أن تبطل حكمتى بتوكلك على من اودع العقاقير منافع الاشياء غيرى) كذا فى القوت (وروى فى خبر آخر ان نبيا من الانبياء شكا) الى الله تعالى (علة يجدها فاوحى الله تعالى اليه كل البيض) كذا فى القوت (وشكا نبى آخر) الى الله تعالى (الضعف فاوحى الله تعالى اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو) ولفظ القوت أحسبه (الضعف عن الجماع) وأظن فى ذكر البيض شكا قلة الولد فامر به وذكر وهب بن منبه ان ملكا من الملوك اعتل علة وكان أحسن السيرة فى رعيته فاوحى الله الى شعياء عليه السلام قل له اشرب ماء التين فانه شفاء من علتك (وقد روى) أعجب من ذلك (ان قوما شكوا الى نبيهم) عليه السلام (قبح أولادهم فاوحى) الله تعالى (اليه مرهم ان تطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد و) قيل (يفعل ذلك فى الشهر الثالث والرابع) من حمل المرأة (اذ فيه يصور الله الولد) ولفظ القوت لان الولد يصور فيهما (وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب فهذا تبين ان مسبب الاسباب) جل اسمه (أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة) عرفها من عرفها وجهلها من جهلها (والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب) لا فرق فيها (فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش والسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا فى أحد أمرين أحدهما ان معالجة الجوع والعطش بالخبز والماء جلى واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق فى حقه بالاول فصار عنده جليا واضحا (و) الامر الثانى (ان الدواء يسهل) المعدة (والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخر فى الباطن وأسباب فى المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال) فلا يعمل له (وأما زوال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء) كما فى مرض الاستسقاء (ولكنه نادر واختلال الاسباب أبدا ينحصر فى هذين الشيئين والا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت شروط السبب

وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روى عن موسى صلى الله عليه وسلم انه قال يارب ممن الدواء والداء فقال تعالى مني قال فما يصنع الاطباء قال يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي أو قضائي فاذا معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع فاما ترك التداوي رأسا فليس شرطا فيه فان قلت فالكي أيضا من الاسباب الظاهرة النفع فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات للمحرور وأما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقلما يعتاد الكي في أكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب فهذا من الاسباب الموهومة كالرقى الا انه يتميز عنها بامر وهو انه احتراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه فانه مامن وجع يعالج بالكي الا وله دواء يغني عنه ليس فيه احراق فالاحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي دون الرقى وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروى ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكي ولا
فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى فكان يقول كنت أرى نورا وأسمع صوتا وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما أفلحت ولا أنجحت

وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل اشتغاله) بالاسباب مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روى عن موسى عليه السلام انه قال يارب ممن الدواء والداء فقال تعالى مني قال فما يصنع الاطباء) حينئذ (قال يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي أو قضائي) نقله صاحب القوت الا انه قال أو قضى قال ويقال ان بين الدواء والداء حجاب المشيئة فلا ينفع الدواء حتى ينكشف الحجاب (فاذا معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق) بيانه قريبا (في فنون الاعمال الدافعة للضرر الجالبة للنفع فاما ترك التداوي رأسا فليس شرطا فيه فان قلت فالكي أيضا من الاسباب الظاهرة النفع) فلم جعل في القسم الموهوم (فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات للمحرور) وسقي الحوار للمبرود فهذه هي الاسباب الظاهرة (وأما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقلما يعتاد الكي في أكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب) في البوادي فانهم يستعملونه وذلك لفقد الادوية عندهم (فهذا من الاسباب الموهومة كالرقى الا انه يتميز عنها بامر وهو انه احتراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه فانه مامن وجع يعالج بالكي الا وله دواء يغني عنه ليس فيه احراق فالاحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما) من الادوية (ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي) رواه الطبراني من حديث سعد الظفري قال الذهبي الاصح انه سعد بن النعمان بدري ورواه الترمذي والحاكم من حديث عمران بن الحصين قال الحافظ في الفتح سنده قوي وهو نهي تنزيه حيث أمكن الاستغناء عنه بغيره وأما قولهم آخر الطب الكي فهو كلام مشهور ومعناه بعد انقطاع طرق الشفاء يعالج به ولذلك كان أحد ما يحمل عليه النهي عن الكي وجود طريق مرجو للشفاء سواه (دون الرقى) جمع رقية بالضم وهي ما يعوذ بها قال العراقي رواه البخاري من حديث ابن عباس رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من كل ذي حمة انتهى وأما ما رواه الحاكم من حديث ابن مسعود نهى عن الرقى والتمائم والتولة فمحمول على ما اذا كانت الرقية بغير القرآن وأسماء الله وصفاته وأما بها فجائز قال ابن التين الرقى بذلك هو الطب الروحاني اذا كان على لسان الابرار حصل الشفاء باذن الله تعالى فلما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني وتلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها المعزم ممن يزعم تسخير الجن تأتي مركبة من حق وباطل تجمع الى ذكر أسماء الله وصفاته ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ من مردتهم فلذلك نهى عن الرقى بما جهل معناه ليكون بريئا من شوب الشرك وفي الموطأ ان أبا بكر رضي الله عنه قال لليهودية التي كانت ترقي عائشة رضي الله عنها ارقيها بكتاب الله (وكل واحد منهما) أي من الكي والرقى (بعيد عن) صفة (التوكل وروي عن) أبي نجيد (عمران بن الحصين) بن عبيد الخزاعي رضي الله عنه أسلم في وقعة خيبر وتحول الى البصرة فمات بها (اعتل) في بطنه فظل صريعا ثلاثين سنة على سرير من جريد قد نقب له في أوسطه لموضع الغائط لانه كان سطيحا لا يستطيع القيام (فاشاروا عليه بالكي فامتنع) منه (فلم يزالوا به) يلحون عليه (وعزم عليه الامير) هو عبيد بن زياد كما عند الدارمي (حتى اكتوى) في بطنه سبع كيات (فكان) رضي الله عنه (يقول كنت أرى نورا وأسمع صوتا وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني) كذا في القوت (و) في رواية (كان يقول اكتوينا كيات فوالله ما أفلحن ولا أنجحن) يعني الكيات وروى الحسن عن مطرف بن عبد الله قال أتينا عمران بن الحصين نعوده وكان قد اكتوى في بطنه فقال نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن الكي فاكتوينا فما أفلحنا

ولا أنجع نافع رواه الحارث بن أبى اسامة من طريق هشام بن الحسن عن عمران انه شكا بطنه فلبث زمانا طويلا فدخل عليه رجل فذكر قصته فقال ان أحب ذلك الى أحبه الى الله قال حتى اكتوى قبل وفاته لسنتين وكان يسلم عليه فلما اكتوى فقده ثم عاد اليه وفى لفظ آخر كانت الملائكة تزوره فيأنس بها حتى اكتوى (ثم تاب من ذلك وأناب الى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجد من أمر الملائكة) قال ابن عبد البركان من فضلاء الصحابة وفقهائهم يقول عنه أهل البصرة انه كان يرى الحفظة وكانت تكلمه حتى اكتوى (وقال) رضى الله عنه (لمطرف بن عبد الله) بن الشخير العامرى التابعى البصرى (ألم تر الى الملائكة التى) كان (أكرمنى الله بها قد ردها الله تعالى على بعد ان كان أخبره بفقدها) رواه الدارمى قال حدثنا سليمان بن حرب حدثنا ابو هلال حدثنا قتادة عن مطرف قال قال عمران بن حصين انى محدثك بحديث انه كان يسلم على وان ابن زياد أمرنى فاكتويت فحبس عنى حتى ذهب أثر السكى قال صاحب القوت فلولا ان ذلك كان عنده ذنبا ما ندم عليه ولما تاب منه ولولا انه كان نقصا ما صرفت الملائكة عنه (فاذا السكى وما يجرى مجراه هو الذى لا يليق بالتوكل لانه يحتاج فى استنباطه الى تدبير ثم هو موهوم فدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها) والله أعلم

(بيان ان ترك التداوى قد يحمد فى بعض الاحوال)

(و يدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم) هداك الله تعالى (ان الذين تداووا من السلف) كثيرون (لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوى أيضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره فى التوكل أكمل من حاله وقد روى عن أبى بكر رضى الله عنه انه) لما مرض (قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال الطبيب نظر الى وقال انى فعال لما أريد) رواه أحمد فى الزهد حدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن أبى السفر قال مرض أبو بكر فعاده الناس فقالوا ألا ندعو لك الطبيب قال قد رآنى قالوا فاى شئ قال لك قال انى فعال لما أريد ورواه أبو نعيم فى الحلية من طريقه (وقيل لابى الدرداء) رضى الله عنه (فى مرضه ما تشتكى قال ذنوبى فقيل فما تشتهى قال مغفرة ربى قالوا ألا ندعو لك طبيبا قال الطبيب أمرضنى) أخرجه أبو نعيم فى الحلية حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا عمر بن حفص السدوسى حدثنا عاصم بن على حدثنا أبو هلال حدثنا معاوية بن مرة ان أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا ما تشتكى يا أبا الدرداء قال أشتكى ذنوبى قالوا فما تشتهى قال أشتهى الجنة قالوا أفلا ندعو لك طبيبا قال هو أضجعنى قال صاحب القوت وقد رويناه أيضا عن ابن مسعود (وقيل لابى ذر) رضى الله عنه (وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال انى عنهما لمشغول فقيل له لو سألت الله تعالى أن يعافيك فقال أسأله فيما هو أهم على منهما) نقله صاحب القوت (وكان الربيع) بن خيثم الثورى الكوفى العابد (أصابه فالج) وهو مرض منشؤه البرد يمنع الاعضاء من التحرك (فقيل له لو تداويت فقال قد هممت) على ذلك (ثم ذكرت عادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا) كانت فيهم الاوجاع (وكان فيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى ولم تغن الرقى شيأ) نقله صاحب القوت وفى هذا المعنى ما نسب للامام الشافعى رضى الله عنه

ان الطبيب بطبه ودوائه * لا يستطيع دفاع مقدور أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذى * قد كان يبرى مثله فيما مضى
هلك المداوى والمداوى والذى * جلب الدواء وباعه ومن اشترى

قال صاحب القوت وقد كان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج فعطل عن القيام فسأل الله أن يطلقه فى أوقات الصلاة ثم يرده الى حاله بعد ذلك فكان اذا جاء وقت الصلاة كأنما انشط من عقال فاذا قضى صلاته رجع اليه الفالج

يحتاج فى استنباطه الى تدبير ثم هو مذموم و يدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب وعلى التعمق فيها والله أعلم

(بيان ان ترك التداوى قد يحمد فى بعض الاحوال و يدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم)* اعلم ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوى أيضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره فى التوكل أكمل من حاله وقد روى عن أبى بكر رضى الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال الطبيب قد نظر الى وقال انى فعال لما أريد وقيل لابى الدرداء فى مرضه ما تشتكى قال ذنوبى قيل فما تشتهى قال مغفرة ربى قالوا ألا ندعو لك طبيبا قال الطبيب أمرضنى وقيل لابى ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال انى عنهما مشغول فقيل له لو سألت الله تعالى أن يعافيك فقال اسأله فيما هو أهم على منهما وكان الربيع بن خيثم أصابه فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى ولم تغن الرقى شيأ

وكان أحمد بن حنبل يقول أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وكان به علل فلا يخبر المتطبب بها أيضا اذا سأله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه فاذا منهم من ترك التداوي ورآه ومنهم من كرهه ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعالهم الانحصر الصوارف عن التداوي فنقول ان لترك التداوي أسبابا * (السبب الاول) * أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى أجله وان الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه قال لعائشة رضي الله عنها في أمر الميراث انما هن أخواتك وانما كان لها أخت واحدة ولكن كانت امرأته حاملا فولدت أنثى فعلم انه كان قد كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضا بانتهاء أجله والا فلا يظن به انكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وأمر به * (السبب الثاني) * أن يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله وعليه يدل كلام أبي ذر اذ قال اني عنهما مشغول وكلام أبي الدرداء اذ قال انما أشتكي ذنوبي فكان تألم قلبه خوفا من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته أو كالخائف الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له ألا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك انكار الكون الاكل نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن أكل ويقرب من هذا اشتغال سهل التستري

كما كان قبل ذلك (وكان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (يقول أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره) نقله صاحب القوت قال (وكان) تقوم (به علل فلا يخبر المتطبب أيضا بها اذا سأله) كذا في القوت (وقيل لسهل) التستري رحمه الله تعالى (متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه) نقله صاحب القوت (فاذا منهم من ترك التداوي ورآه) واعتقده من الصديقين والسلف الصالح (ومنهم من كرهه) الا أنه مخصوص لخصوص وطريق الخاصة الاقوياء ولا يسلكه الشوب من العموم والضعفاء وذلك مذهب ابراهيم الخواص وطريقه كان يرى ان المتوكل اذا تداوى نقص بذلك تحقيقه (ولا يتضح الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم و) بين (أفعالهم الانحصر الصوارف عن التداوي) فقد يترك بعض الاولياء التداوي لاسباب أخر تخرج بذلك أعمالهم ولا يكون تركا للسنة انما يتركون الفاضل للافضل (فنقول ان لترك التداوي أسبابا) ستة (الاول أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى أجله وان التداوي لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة) تأتي كفلق الصبح (وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي) فيما سبق من قوله (من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه قال لعائشة رضي الله عنها في أمر الميراث انما هما أختاك وما كان لها الا أخت واحدة ولكنه كانت امرأته حاملا فولدت أنثى فعلم انه كان قد كوشف بانها حامل بانثى) هذه القصة ذكرها الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس في كتاب له سماه المقامات العلية في الكرامات الجلية يقول فيها بعد ان ذكر جملة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال

وسرت سريرته الى أصحابه * فلهم خوارق ما ادعاها مدعي

فلعسكر الصديق امداد السما * ء ولم تلج من بعده في مجمع

ومقالة في بنت خارج واقع * حقا من الصديق أحسن موقع

ثم ساق بسنده الى عائشة رضي الله عنها قالت لما حضر أبا بكر الوفاة جلس ثم تشهد ثم قال يا بنية فان أحب الناس غنى الي بعدي أنت وان أعز الناس فقرا الي بعدي أنت واني كنت نحلتك جاد عشرين وسقا من مالي فوددت والله انك كنت حزتيه وأخذتيه فانما هو أخواك وأختاك قالت قلت هذا أخواي فمن أختاي قال ذو بطن ابنة خارجة فاذا ظنها جارية فكان كذلك وقد تقدم ذلك للمصنف (فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضا بانتهاء أجله والا فلا يظن به انكار التداوي) مطلقا كيف (وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى) كما تقدم قريبا (وأمر به) كما في حديث اسامة بن شريك وتقدم (السبب الثاني أن يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله) أي الاشتغال بمهم ديني أشرف من التداوي (وعليه يدل كلام أبي ذر اذ قال اني عنهما مشغول (وكلام أبي الدرداء) رضي الله عنه (اذ قال اني اشتكي ذنوبي فكان تألم قلبه خوفا من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته) فانه في شغل شاغل (أو كالخائف الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل) ويحقق ذلك (اذا قيل له الا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك انكار الكون الخبز نافعا من الجوع ولا) يكون (طعنا فيمن أكل ويقرب من هذا اشتغال سهل)

حيث قيل له ما القوت فقال هو ذكر الحي القيوم فقيل انما سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سألناك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكر قيل سألناك عن طعمة الجسد قال مالك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه اما رأيت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها حتى يصلحها *(السبب الثالث)* أن تكون العلة مزمنة والدواء الذي يؤمر به بالاضافة

التستري رحمه الله تعالى فيما نقله عنه صاحب القوت (حيث قيل له ما القوت قال هو ذكر الحي القيوم) الذي به الحياة والقوام لكل شئ (فقيل انما سألناك عن القوام) أي ما تقوم به البنية (فقال القوام هو العلم) فانه به تقوم الاعمال (قيل سألناك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكر قيل سألناك عن طعم الجسد) الذي هو الغذاء الظاهر (قال مالك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه) فهو أول من ينظر فيه (اما رأيت الصنعة اذا عيبت) بفساد (ردوها الى صانعها حتى يصلحها) اذ هو يعرف فسادها من صلاحها ويعرف كيف يصلحها وهذا هو مقام التفويض والتسليم من التوكل (السبب الثالث أن تكون العلة مزمنة) مستمرة (والدواء الذي يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم النفع) غير متيقن ولا مظنون (جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل) اذ فيه تضييع العمر والمال في لا شئ (واليه يشير قول الربيع ابن خيثم) رحمه الله تعالى (اذ قال ذكرت عادا وثمود) وكانت فيهم الاوجاع (و) كان (فيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى أي ان الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا) له (ولا شك ان في الطبيب المجرب أشد اعتقادا في الادوية من غيره) لكمال ممارسته فيها (فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة وأكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد) بل و بعض صلحاء العامة (هذا مستندهم لانه يبقى الدواء عنده شيأ موهوما لا أصل له) وهذا مشاهد (وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض) وفي بعض النسخ وذلك غير صحيح في بعض الادوية صحيح في البعض (ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في الاسباب كالكي والرقى فيتركه توكلا السبب الرابع أن يقصد بترك التداوي استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى أو ليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف عنه البلاء) قال العراقي رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه على شرط مسلم بنحوه مع اختلاف وقد تقدم مختصرا ورواه الحاكم أيضا من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح على شرط الشيخين اه قلت سياق حديث سعد بن أبي وقاص أقرب لسياق المصنف وفيه أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه فما يبرح البلاء حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة كذا رواه الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والدارمي والبخاري والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم ويليه سياق حديث أبي سعيد أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه وان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس وما عليه خطيئة رواه ابن حبان في صحيحه وروى الطبراني من حديث فاطمة بنت اليمان أخت حذيفة أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل ورواه أحمد بلفظ أشد الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد تقدم ذكر بعض ذلك (وفي الخبر ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج ذهبه كالابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج أسود محترقا) قال العراقي ذكره صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرجه ولده في مسنده اه

الى علته موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع ابن خيثم اذ قال ذكرت عادا وثمود وفيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى أي ان الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في ان الطبيب المجرب أشد اعتقادا في الادوية من غيره فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة وأكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم لانه يبقى الدواء عنده شيأ موهوما لا أصل له وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في الاسباب كالكي والرقى

فيتركه توكلا *(السبب الرابع)* أن يقصد العبد بترك التداوي استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى أو ليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف عنه البلاء وفي الخبر ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز لا بريد ومنهم من دون ذلك ومنهم من يخرج أسود محترقا

وفى حديث من طريق أهل البيت ان الله تعالى اذا أحب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم تحبون أن تكونوا كالحمر الضالة لاتمرضون ولاتسقمون وقال ابن مسعود رضى الله عنه تجد المؤمن أصح شئ قلبا وأمرضه جسما وتجد المنافق أصح شئ جسما وأمرضه قلبا فلما عظم الثناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب و يقاسى العلة و يرضى بحكم الله تعالى ويعلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا أن صلاتهم قعودا امتثالا مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة ففى الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدى صالح ما كان يعمله فانه فى وثاقى ان أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه

قلت بل أخرجه الطبرانى والحاكم فى المستدرك من حديث أبى امامة ان الله عز وجل ليجرب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز فذلك الذى حماه الله من الشبهات ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك فذلك الذى يشك بعض الشك ومنهم من يخرج كالذهب الاسود فذلك الذى قد افتتن وقد صححه الحاكم وتعقبه الذهبى لان فى سنده عفير بن معدان ضعيف (وفى حديث من طريق أهل البيت ان الله تعالى اذا أحب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه) هذا لفظ القوت قال العراقى رواه الطبرانى من حديث ابن عيينة الخولانى بلفظ اذا أراد الله بعبد خيرا ابتلاه واذا ابتلاه اقتناه لايترك له مالا ولا ولدا وسنده ضعيف اهـ قلت ولفظه فى الاوسط اذا أحب الله عبدا ابتلاه واذا أحبه الحب البالغ اقتناه لايترك له مالا ولا ولدا ولفظه فى الكبير ان الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا ابتلاه فاذا ابتلاه اقتناه قالوا يارسول الله وما اقتناه قال لم يترك له مالا ولا ولدا ورواه ابن عساكر كذلك وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب المرض والكفارات من حديث أبى سعيد باسناد فيه لين ان الله اذا أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره (وقال صلى الله عليه وسلم تحبون أن تكونوا كالحمر الصيالة) كذا فى النسخ وهو فى معجم البغوى الضالة من الضلال (لاتمرضون ولاتسقمون) قال العراقى رواه ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى وأبو نعيم وابن عبد البر فى الصحابة والبيهقى فى الشعب من حديث أبى فاطمة وهو صدر حديث ان الرجل لتكون له المنزلة عند الله الحديث وقد تقدم اهـ قلت قال البخارى قال ابن أبى أويس حدثنى أخى عن حماد بن أبى حميد عن مسلم بن عقيل مولى الزرقيين دخلت على عبيد الله بن أبى اياس بن أبى فاطمة الضمرى فقال يا أبا عقيل حدثنى أبى عن جدى قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يحب أن يصح فلا يسقم قالوا كلنا يارسول الله قال أتحبون أن تكونوا كالحمر الصيالة ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلاء وأصحاب كفارات والذى نفسى بيده ان الله ليبتلى المؤمن بالبلاء وما يبتليه به الا لكرامة عليه أو علة له لان له منزلة عنده ما يبلغه تلك المنزلة الا ببلائه هكذا أورده فى ترجمة أبى عقيل وفى لفظ ان العبد لتكون له الدرجة فى الجنة فما يبلغها بشئ من عمله فيبتليه الله بالبلاء ليبلغ تلك الدرجة وما يبلغها بشئ من عمله وقرأت فى معجم الصحابة للبغوى حدثنى عبد الكريم بن الهيثم حدثنا داود بن منصور حدثنا ابن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن أبى عقيل الزرقى عن ابن أبى فاطمة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم يحب أن يصح ولا يسقم قالوا كلنا يحب أن يصح ولا يسقم قال أتحبون أن تكونوا كالحمير الضالة انما تكونوا أصحاب كفارات ان العبد لتكون له الدرجة فى الجنة فلا ينالها بشئ من عمله (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (تجد المؤمن أصح شئ قلبا وأمرضه جسما وتجد المنافق أصح شئ جسما وأمرضه قلبا) رواه أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو يحيى الرازى حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو الاحوص عن سعيد بن مسروق عن منذر قال جاء ناس من الدهاقين الى عبد الله بن مسعود فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم قال فقال عبد الله انكم ترون الكافر من أصح الناس جسما وأمرضهم قلبا وتلقون المؤمن من أصح الناس قلبا وأمرضهم جسما وأيم الله لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان (فلما عظم الثناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه وكان منهم) أى من المتوكلين (من له علة يخفيها) عن الناس (ولا يذكرها الطبيب) ولو ساله (و يقاسى العلة و يرضى بحكم الله تعالى) لان المتوكل حاله الرضا ومقتضى الرضا كتمان العلل وعدم التململ من اللأواء (و يعلم ان الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه) وقلبه فى غاية من الاطمئنان والمعرفة وكان فى هذا المقام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى (وعلموا ان صلاتهم قعودا امتثالا مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قياما مع العافية والصحة) قال الله تعالى وبشر الصابرين وقال ان الله يحب المتوكلين (ففى الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدى صالح ما كان يعمله) فى صحته (فانه فى وثاقى) أى حبسى وقيدى (ان أطلقته) منه (أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه) قيل لانه قد طهر

من المعاصى وكفر به عنه الخطايا (وان توفيته توفيته الى رحمتى) ولا ذنب عليه فابدال صفته بحسن اختيار
الله له فى الدنيا والآخرة من حسن اختياره وشهوته قال العراقى رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو
وقد تقدم قلت وقد روى ذلك من حديث أبى هريرة بلفظ اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فيقول
انظرا ما يقول لعواده فان هو اذا دخلوا عليه حمد الله رفعا ذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدى ان أنا توفيته ان
أدخله الجنة وان أنا شفيته ان أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان أكفر عنه سيآته رواه
الدارقطنى فى الغرائب وابن صخر فى عوالى مالك وروى الطبرانى وابن عساكر من حديث أنس يقول الله تعالى
اذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر لم يشكنى الى عواده ثم ابرأته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان
أرسلته أرسلته ولا ذنب عليه وان توفيته توفيته الى رحمتى وروى ابن عساكر عن مكحول مرسلا اذا مرض
العبد يقال لصاحب الشمال ارفع عنه القلم ويقال لصاحب اليمين اكتب له أحسن ما كان يعمل فانى اعلم به وأنا
قيدته قال صاحب القوت ومن فضل تارك التداوى ان الملك يكتب له مثل أعماله الصالحة التى كان يعملها فى
الصحة وانه يجرى له من الحسنات ما كان يجرى له أعماله فكتب الملك أعماله الصالحة خيرا له من أعماله لانها
قد يدخلها الفساد واختيار الله له أن يستعمله بالاوجاع خير من اختياره لنفسه أن يشتغل الى الله بالاعمال
الصالحة (وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس) كذا فى القوت قال العراقى تقدم
ولم أجده مرفوعا (فقيل معناه ما دخل عليها من الامراض والمصائب) ولفظ القوت قيل هو ما أدخل عليها
من المصائب فى الانفس والاموال فهى تكره ذلك وهو خير لها (واليه الاشارة بقوله وعسى أن تكرهوا شيأ
وهو خير لكم) وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وقال تعالى ونقص من الاموال والانفس يعنى الامراض
والعلل وهو نقصها من أوصافها وقواها وزيادة معانيها وهو خير له اذا صبر وفضل له ان شكر ودرجات اذا رضى
وتوكل (وكان سهل) التسترى (يقول) ان (ترك التداوى وان ضعف عن الطاعات وقصر) به (عن
الفرائض أفضل من التداوى لاجل الطاعات) نقله صاحب القوت قال (وكانت به علة عظيمة فلم يكن
يتداوى منها و) قد (كان يداوى الناس منها) قال (وكان) رحمه الله تعالى (اذا رأى العبد يصلى من قعود
ولا يستطيع أعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام الى الصلاة والنهوض الى الطاعات يعجب من ذلك
و يقول صلاته من قعود مع) القصور (الرضا بحاله أفضل من التداوى للقوة والصلاة قائما) هذا معنى
قوله وقد (سئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل فى شئ من الدواء فانما هو سعة من الله تعالى لاجل
الضعف ومن لم يدخل فى شئ منه فهو أفضل لانه ان أخذ شيأ من الدواء ولو كان الماء البارد) على سبيل الدواء
(سئل عنه لم أخذه وان لم يأخذ فلا سؤال عليه) الاصل فيه انه (كان مذهبه) رحمه الله تعالى (ومذهب
سائر المتوكلين (من البصريين تضعيف) قوة (النفس) واسقاطها (بالجوع) والطى الكثير (وكسر
الشهوات) حتى لا يكون لها حراك لاجل الله لان عندهم ان قوة النفس قوة الشهوات وغلبة الصفات وحب
لقاء الناس والاجتماع مع الخلق وفى ذلك وجود المعاصى ودخول الآفات والهوى وطول الرغبة والحرص
على الدنيا وحب البقاء يقول فاذا ادخل الله عليها الامراض من حيث لا تحتسب فلا يتعالج لدفعها عنها فان
المرض من نهاية الضعف ومن أبلغ ما ينقص به الشهوة (لعلمهم بان ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا
والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح) بقوة الجسم هذا مذهبهم (والمرض لا يمنع من أعمال
القلوب الا اذا كان ألمه غالبا) عليه (مدهشا) له (و) لذلك (قال سهل) رحمه الله تعالى (علل الاجسام
رحمة وعلل القلوب عقوبة) وقال مرة أمراض الجسم للصديقين وأمراض القلب للمنافقين (السبب
الخامس أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها) و (عاجز عن تكفيرها) واماطتها (فيرى

وان توفيته توفيته الى رحمتى وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليه من الامراض والمصائب
واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وكان سهل يقول ترك التداوى وان ضعف عن الطاعات وقصر
عن الفرائض أفضل من التداوى لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوى الناس منها وكان اذا رأى العبد يصلى من قعود ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام الى الصلاة والنهوض الى الطاعات يعجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضا بحاله أفضل من التداوى للقوة والصلاة قائما وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل فى شئ من الدواء فانما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل فى شئ منه فهو أفضل لانه ان أخذ شيأ من الدواء ولو كان هو الماء البارد يسئل عنه لم أخذه ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والمرض لا يمنع من أعمال القلوب الا اذا كان ألمه
غالبا مدهشا وقال سهل رحمه الله علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة *(السبب الخامس)* أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف
منها عاجز عن تكفيرها فيرى

المرض اذا طال تكفيرا فيترك التداوى خوفا من أن يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الحمى والمليلة) قيل هى حرارة الحمى ووهجتها وقيل هى الحمى التى تكون فى العظام (فى العبد حتى يمشى على الارض كالبردة وما عليه خطيئة) قال العراقى رواه أبو يعلى وابن عدى من حديث أبى هريرة والطبرانى من حديث أبى الدرداء نحوه وقال الصداع بدل الحمى وللطبرانى فى الاوسط من حديث أنس مثل المريض اذا صح وبرأ من مرضه كمثل البردة تقع من السماء تقع فى صفائها ولونها وأسانيده ضعيفة اهـ قلت وحديث أخرجه كذلك الحكيم والبزار والديلمى وابن عساكر وروى الشيرازى فى الالقاب والبيهقى من حديث أبى هريرة لا يزال المؤمن يصاب فى ولده وخاصته حتى يلقى الله وما عليه خطيئة ورواه أحمد وهناد وابن حبان وأبو نعيم والحاكم والبيهقى بلفظ لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى جسده وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة (وفى الخبر حمى يوم كفارة سنة) قال العراقى رواه القضاعى فى مسند الشهاب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وقال ليلة بدل يوم اهـ قلت رواه من طريق الحسن بن صالح عن الحسن بن عمرو عن ابراهيم النخعى عن الاسود عن ابن مسعود رفعه ولفظه الحمى حظ كل مؤمن من النار وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة وكذلك رواه الديلمى فى مسند الفردوس واعله ابن طاهر بالحسن بن صالح وقال تركه يحيى القطان وابن مهدى وله شاهد عن أبى الدرداء موقوفا بلفظ حمى ليلة كفارة سنة رواه ابن أبى الدنيا فى المرض والكفارات له من طريق عبد الملك بن عمير عنه به وأما لفظ المصنف فرواه تمام فى فوائده من طريق أبى هاشم الرمانى عن سعيد بن جبير عن أبى هريرة رفعه حمى يوم كفارة سنة ولكن بزيادة وحمى يومين كفارة سنتين وحمى ثلاثة أيام كفارة ثلاث سنين وروى ابن أبى الدنيا من طريق حوشب عن الحسن مرسلا مرفوعا ان الله ليكفر عن المؤمن خطاياه كلها بحمى ليلة وقال ابن المبارك عقب روايته له انه من جيد الحديث ومن طريق هشام عن الحسن قال كانوا يرجون فى حمى ليلة كفارة لما مضى من الذنوب وشواهده كثيرة يؤكد بعضها بعضا وسنة مجرمة بالجيم كمعظمة أى تامة كذا فسره الديلمى وقال صاحب القوت ومن الفضائل ان الامراض مكفرة للسيئات فاذا كره الامراض بقيت ذنوبه عليه موفرة ثم ساق الخبر المذكور (فقيل لانها تهد قوة سنة) قال صاحب القوت هذا أحسن ما سمعت فى تأويله اهـ فقد قال بعض الاطباء من حم يوما لم تعاوده قوة سنة فجعلت مثوبته على قدر رزيته (وقيل لان (للانسان ثلاثمائة وستون مفصلا فتدخل الحمى فى جميعها) أى حمى يوم فى جميع المفاصل (وتجد من كل واحد ألما فيكون كل ألم كفارة كل يوم) نقله صاحب القوت وكذا كان أبو هريرة يقول أحب الاوجاع الى الحمى لانها تعطى كل مفصل حقه من الاجر بسبب عموم الوجع ووجه ثالث وهو ان الحمى تؤثر فى البدن تأثيرا لا يزول بالكلية الا الى سنة وقد أفاد هذا الخبران المرض صالح لتكفير الذنوب فيكفر الله به ما يشاء منها وتكون كثرة التكفير وقلته باعتبار مدة المرض وخفته (ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت) رضى الله عنه (ربه عز وجل ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله) نقله صاحب القوت قال ويقال أيضا أبى بن كعب (وسأل ذلك طائفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم) كذا فى القوت وقال العراقى روى أحمد وأبو يعلى من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد جيد أن رجلا من المسلمين قال يا رسول الله أرأيت هذه الامراض التى تصيبنا ما لنا فيها قال كفارات قال أبى فان قلت قال وان شوكة فما فوقها قال فدعا أبى أن لا يفارقه الوعك حتى يموت الحديث وروى الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى بن كعب انه قال يا رسول الله ما جزاء الحمى قال تجرى الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب عليه عرق فقال انى أسألك حمى لا تمنعنى خروجا فى سبيلك ولا مسجد نبيك الحديث فالاسناد مجهول قاله على بن المدينى (ولما قال صلى الله عليه وسلم من أذهب الله كريمتيه) فصبر (لم يرض له ثوابا دون الجنة) رواه هناد والترمذى من حديث أبى هريرة بلفظ يقول الله تعالى من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة ورواه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أنس قال الله تبارك وتعالى لا أقبض كريمتى عبدى وحبيبتيه فيصبر

المرض اذا طال تكفيرا فيترك التداوى خوفا من أن يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشى على الارض كالبردة ما عليه ذنب ولا خطيئة وفى الخبر حمى يوم كفارة سنة فقيل لانها تهد قوة سنة وقيل للانسان ثلثمائة وستون مفصلا فتدخل الحمى فى جميعها ويجد من كل واحد ألما فيكون كل ألم كفارة يوم ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد ابن ثابت ربه عز وجل أن لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طائفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال صلى الله عليه وسلم من أذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة

قال فلقد كان من الانصار من يتمنى العمى وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله
لما يرجو فى ذلك من كفارة خطاياه وروى أن موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يارب ارحمه فقال تعالى كيف
ارحمه فيما به ارحمه أى
أكفر ذنوبه وأزيد فى
درجاته *(السبب
السادس)* أن يستشعر
العبد فى نفسه مبادى
البطر والطغيان بطول
مدة الصحة فيترك التداوى
خوفا من أن يعاجله
زوال المرض فتعاوده
الغفلة والبطر والطغيان
أوطول الامل والتسويف
فى تدارك الفائت
وتأخير الخيرات فان
الصحة عبارة عن قوة
الصفات وبها ينبعث
الهوى وتتحرك الشهوات
وتدعو الى المعاصى وأقلها
أن تدعو الى التنعم فى
المباحات وهو تضييع
الاوقات واهمال الربح
العظيم فى مخالفة النفس
وملازمة الطاعات واذا
أراد الله بعبد خيرا لم يخله
عن التنبه بالامراض
والمصائب ولذلك قيل لا
يخلو المؤمن من علة أو
قلة أوذلة وقد روى أن
الله تعالى يقول الفقر
سجنى والمرض قيدى
أحبس به من أحب من
خلقى فاذا كان فى المرض
حبس عن الطغيان
وركوب المعاصى فأى
خير يزيد عليه ولم ينبغى
أن يشتغل بعلاجه من
يخاف ذلك على نفسه فالعافية فى ترك المعاصى فقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدى قال فى عافية قال ان كنت لم تعص الله عز وجل
فأنت فى عافية وان كنت

الحكمى و يرضى بقضائى فارضى له ثوابا دون الجنة ورواه أبو يعلى بلفظ اذا أخذت كريمتى عبد لم أرض له ثوابا
دون الجنة وفى الباب عن جماعة من الصحابة قد سبق فى كتاب الصبر (قال فلقد كان فى الانصار من يتمنى العمى)
ولفظ القوت قال فلقد رأيت الانصار يتمنون العمى قال ولما جاءت الحمى تستأذن على رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذهبى الى أهل قباء وهذا أحد الوجهين فى قوله تعالى يحبون أن يتطهروا أى من الآثام والذنوب
بالحمى والامراض فلو لم يكن فى ذلك الا محبة الله وشهادته بطهارة العبد بالعلة لكان نصيبا موفورا قال فاسقمتهم
الحمى وأمركتهم فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه كشفها قال ان أحببتم تركها وكانت لكم طهورا
فقالوا بل نتركها فاشكر الله صبرهم فأخبر بمحبته لهم فكان من هذا أن تلك الامراض اختيار الله وايثار محبته
وانما الافضل بحسن ثناء الله عليهم باختيارهم (وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول
المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو فى ذلك من كفارة خطاياه) نقله صاحب القوت قال فالصديقون
يبتلون بعلل الجوارح والمنافقون بأمراض القلوب لان فى أمراض الاجسام ضعفها عن الآثام والطغيان
وفى أمراض القلوب ضعفها عن أعمال الآخرة والايقان (وروى أن موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم
البلاء فقال يارب ارحمه) فانى قد رحمته (فقال تعالى) وحيا اليه (كيف ارحمه فيما به ارحمه) نقله صاحب
القوت (أى به أكفر ذنوبه وأزيد فى درجاته) وقال الله تعالى فى تصديق ذلك ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من
ضر للجوا الآية فأخبر أن فى ترك الرحمة لهم من الامراض لطفا بهم ورحمة بالمنة لهم قال صاحب القوت وروينا
أن عبد الواحد بن زيد خرج فى نفر من اخوانه الى بعض نواحى البصرة فآواهم المسير الى كهف جبل فاذا
فيه عبد مقطع بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا وقالوا ياهذا لو دخلت البصرة فتعالجت من هذا الداء الذى
بك فرفع طرفه الى السماء وقال ياسيدى سلطت على هؤلاء يسخطون على ويكرهون الى قضاءك سيدى
أستغفرك من ذلك الذنب لك العتبى أن أعود فيه أبدا اصرفهم عنى أرددهم عنى قال وكنا جماعة فما ملكنا رؤس
دوابنا ولا قدرنا على ضبطها حتى ردتنا عنه الى البصرة (السبب السادس أن يستشعر العبد فى نفسه مبادى
البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوى خوفا من أن يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر
والطغيان أوطول الامل والتسويف فى تدارك الفائت وتأخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات
وبها ينبعث) داعى (الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصى وأقلها أن تدعو الى التنعم فى المباحات وهو
تضييع الاوقات) فيما لا طائل تحته (واهمال الربح العظيم فى مخالفة النفس وملازمة الطاعات واذا أراد الله
بعبد خيرا لم يخله عن التنبه بالامراض والمصائب) وقد روى أحمد من حديث عبد الله بن مغفل اذا أراد الله
بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا الحديث (ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة) فى جسمه (أوقلة) فى ماله
(أوذلة) وقيل أيضا المؤمن لا يخلو من علة أوذلة فاذا لم يتداو فله أعمال حسنة منها أن ينوى الصبر على بلاء الله
والرضا بقضائه والتسليم لحكمه ومنها أن مولاه أعلم به منه وأحسن نظرا واختيارا وقد حبسه وقيده
بالامراض عن المعاصى (وقد روى أن الله تعالى يقول الفقر سجنى والمرض قيدى أحبس به من أحب من
خلقى) نقله صاحب القوت (فاذا كان فى المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصى فأى خير يزيد عليه)
وقد حبس عن ارتكاب ما يوجب عليه النار (ولم ينبغى أن يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية فى
ترك المعاصى) فلا يأمن ان تداوى فعوفى أن تقوى النفس فينتشر هواها لان المعاصى فى العوافى وعلة سنة
خير من معصية ساعة (فقد) روى الدينورى فى المجالسة عن ابن ضريس قال بعض الحكماء انما لك من العمر
ما أطعت الله فيه فأما ما عصيته فلا تعده عمرا اهـ ومن هنا قولهم لا يعد من العمر الا أوقات الخير و (قال بعض
العارفين لانسان كيف كنت بعدى قال فى عافية قال ان كنت لم تعص الله عز وجل فأنت فى عافية وان كنت

قدعصيته فأى داء أدوأ من المعصية ماعوفى من عصى الله) كذا فى القوت (وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط) وهم قوم من أهل الارض (بالعراق فى يوم عيد) لهم (ماهذا الذى أظهروه قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد) كذا فى القوت (وقال تعالى) وعصيتم (من بعد ما أراكم ما تحبون قيل العوافى) والغنى وقد قال الله تعالى (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وكذلك اذا استغنى بالعافية) يعنى ان الانسان قد يطغى بالعافية كما يطغى بالمال لانه قد يستغنى بالعافية كما يستغنى بالمال وكل فيه فتنة واختبار وفى الخبر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ فصار الصحيح مغبونا لان السقيم معذور وفى الحديث القدسى ان من عبادى من لا يصلحه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك فكان السقيم صالحا اذ قد يكون المعافى مفسدا ولذلك جاء فى الخبر أشد الناس عذابا غدا الصحيح الفارغ فجاء من تدبره ان أيسرهم حسابا السقيم المشغول بنفسه فالعصمة فى حال العافية نعمة ثانية كالعصمة من المعصية فالغنى فى حال الغنى نعمة النعمة وقد لا يعطى ذلك كل الناس لان الاكثر يعطى النعمة الاولى من المعافاة ثم لا تتم النعمة عليه بالنعمة الثانية وهو المعافاة الاخرى من الذنوب كما يعطى النعمة الاولى من الغنى ولا يتم له بالنعمة الاخرى من العصمة فيه بالانفاق فى الطاعات ووضع ذلك فى القربات فصارت العصمة بالعلة لانها تمنع من المعصية نعمة كالعصمة بالفقر لانه يمنع من الشهوات رحمة فلا يأمن ان يكون فى دوام صحته هلكة كما يكون فى فضل غناه معصية (وقال بعضهم انما قال فرعون أنا ربكم الاعلى) أى انما حمله على ذلك القول (لطول العافية لانه لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لعنه الله ولو أخذته الشقيقة) وهو وجع نصف الرأس والمليلة فى (كل يوم) وفى بعض النسخ يوما (لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية) أى لكان شغله بنفسه كافيا عن هذه الفضولات (و) للمتوكل أيضا فى الامراض تجديد التوبة والحزن على الذنوب وكثرة الاستغفار والاستعتاب منها وحسن التذكرة وقصر الامل وكثرة ذكر الموت (قال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات) يعنى الموت أى قاطعها والهذم هو القطع ومنه سيف هاذم وهذام ومنهم من يقول هو بالدال المهملة والمعنى صحيح الا انه مخالف للرواية قال العراقى رواه الترمذى وقال حسن غريب والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة اه قلت ورواه كذلك أحمد وصححه ابن حبان والحاكم وابن السكن وابن طاهر وأعله الدارقطنى بالارسال ولفظه عند العسكرى فى الامثال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس من مجالس الانصار وهم يمزحون ويضحكون فقال أكثروا ذكر هاذم اللذات فانه لم يذكر فى كثير الاقلله ولا فى قليل الاكثره ولا فى ضيق الاوسعه ولا فى سعة الاضيقها وفى الباب عن جماعة منهم أبو سعيد وأنس وابن عمر وروى ابن أبى الدنيا فى الموت من حديث ابن عمر بسند ضعيف أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا وروى البيهقى عن مالك بن دينار قال قال معبد الجهنى ذكر الموت يطرد فضول الامل ويكف غرر التمنى ويهون المصائب ويحول بين القلب والطغيان (وقد قيل الحمى رائد الموت) أى رسوله الذى يتقدمه وفى نسخة بريد الموت (فهى مذكرله ودافع للتسويف) وهذا القول قد روى مرفوعا مع زيادة رواه أبو نعيم فى الطب من طريق حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن أنس مرفوعا الحمى رائد الموت وسجن الله فى الارض وقال ابن بشير رواه أنس كذلك مرفوعا وقد روى من مرسل الحسن بزيادة يحبس بها عبده اذا شاء ويرسله اذا شاء ففتروها بالماء البارد كذا رواه هناد فى الزهد وابن أبى الدنيا فى المرض والكفارات وأبو نعيم فى الطب والبيهقى والقضاعى فأبو نعيم رواه من طريق حماد بن زيد عن حميد وحبيب وثابت وعلى بن زيد فى آخرين كلهم عن الحسن وابن أبى الدنيا رواه من طريق جرير عن ابن شبرمة عن الحسن ورواه القضاعى من طريق عبد الله بن مسلم بن حبيبة حدثنى أبو الخطاب حدثنا بشر ابن المفضل عن يونس عن الحسن وليس فيه ففتروها بالماء ويروى هذا القول أيضا عن سعيد بن جبير من قوله الحمى رائد الموت رواه ابن أبى الدنيا وأبو نعيم فى الطب من طريق اسمعيل بن أبى خالد عنه وقد ظهر لك

قدعصيته فاى داء أدوأ من المعصية ماعوفى من عصى الله * وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط بالعراق فى يوم عيد ماهذا الذى أظهروه قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا يعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد وقال تعالى من بعد ما أراكم ما تحبون قيل العوافى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وكذلك اذا استغنى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون أنا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لعنه الله ولو أخذته الشقيقة يوما لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات وقيل الحمى رائد الموت فهو مذكر له ودافع للتسويف

بهذا كله انه حديث مرفوع ولكن المصنف تابع صاحب القوت فانه لم يصرح بانه وارد (وقال تعالى أو لا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل) فى تفسيره (يفتنون بالامراض) والاسقام (يختبرون بها) كذا فى القوت (و يقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال له ملك الموت) ياجاهل (ياغافل جاءك منى رسول بعد رسول فلم تجب) الان آتيك بنفسى أضربك ضربة أقطع منك الوتين كذا فى القوت وقد رواه أبو نعيم فى الحلية عن مجاهد بلغظ مامن مرض يمرضه العبد الا رسول ملك الموت عنده حتى اذا كان آخر مرض يمرضه أتاه ملك الموت فقال أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا (وقد كان السلف لذلك يستوحشون اذا خرج) منهم (عام لم يصابوا فيه بنقص فى نفس أومال) كذا فى القوت (وقالوا) ولفظ القوت ويقال (لا يخلو المؤمن فى كل أربعين يوما أن يروع روعة أو يصاب ببلية) ولفظ القوت بنكبة وزاد فكانوا يكرهون فقد ذلك فى نصاب هذا العدد غير أن يصابوا فيه بشئ (حتى روى أن عمار بن ياسر) رضى الله عنه (تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها) كذا فى القوت (وان النبى صلى الله عليه وسلم عرض) وفى نسخة عرضت (عليه امرأة فحكى) أى ذكر (من وصفها حتى هم أن يتزوجها فقيل وانها مامرضت قط فقال لا حاجة لى فيها) كذا فى القوت قال العراقى رواه أحمد من حديث أنس بنحوه باسناد جيد (وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع) و(ما أعرفه) وفى رواية ذكرت الحمى فقال ما أصابتنى قط (فقال صلى الله عليه وسلم اليك عنى من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا) كذا فى القوت قال العراقى رواه أبو داود من حديث عامر الرامى أخى الخضر بنحوه وفى اسناده من لم يسم اهـ قلت رواه هو وأحمد من طريق أبى اسحق عن أبى منظور عن عمه عامر الرامى قال انا لببلادنا اذ رفعت لنا رايات وألوية فقلت ماهذا قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس تحت شجرة وحوله أصحابه فذكر الحديث وذكر البخارى فى تاريخه ان أبا أويس رواه عن أبى اسحق فقال عن الحسن بن عمارة عن أبى منظور وقد أخرج عن أبى خيثمة وابن السكن وغيرهما الحديث من طريق أبى اسحق قال حدثنى رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور فهذا يدل على وهم أبى أويس قال البخارى أبو منظور لا يعرف الا بهذا (وذلك لانه ورد فى الخبر الحمى حظ كل مؤمن من النار) وهذا التعليل لا يستقيم الا مع ذكر الرواية الثانية التى ذكرتها وهى موجودة فى القوت وسقطت من سياق المصنف ولعله من النساخ قال العراقى رواه البزار من حديث عائشة وأحمد من حديث أبى أمامة والطبرانى فى الاوسط من حديث أنس والديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وحديث أنس ضعيف وباقيها حسان ولابن ماجة من حديث أبى هريرة انه عاد مريضا من وعك كان به فقال ان الله عز وجل يقول هى نارى أسلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار فى الآخرة وأعله الدارقطنى بان الصواب انه عن كعب اهـ قلت لفظ حديث عائشة عن البزار الحمى حظ كل مؤمن من النار وقد أعله الدارقطنى بالانقطاع وله طريق آخر عنها ضعيف قلت ولكن حسن المنذرى اسناده ولفظ حديث أبى أمامة عند أحمد الحمى كير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار قال المنذرى لا بأس باسناده وقد رواه أيضا الطبرانى وابن مردويه وأبو بكر فى الغيلانيات ولفظ حديث ابن مسعود عند الديلمى الحمى حظ كل مؤمن من النار وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة وقد رواه كذلك القضاعى فى مسند الشهاب وهذا قد تقدم الكلام عليه قريبا وأما حديث أنس عند الطبرانى فى الاوسط فروى كما تقدم ويروى أيضا بلفظ الحمى حظ أمتى من جهنم وسنده كذلك ضعيف وفى الباب عن عثمان بن عفان وأبى ريحانة الانصارى فحديث عثمان أخرجه ابن عساكر فى تاريخه بلفظ الحمى حظ المؤمن من النار يوم القيامة وحديث أبى ريحانة رواه ابن النجار فى تاريخه بلفظ الحمى كير من جهنم وهى حظ المؤمن من النار وفى لفظ وهى نصيب المؤمن من النار رواه هكذا الطبرانى وابن قانع وابن مردويه والشيرازى فى الالقاب وابن عساكر (وفى حديث

وقال تعالى أولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بامراض يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال له ملك الموت ياغافل جاءك منى رسول بعد رسول فلم تجب وقد كان السلف لذلك يستوحشون اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص فى نفس أومال وقالوا لا يخلو المؤمن فى كل أربعين يوما أن يروع روعة أو يصاب ببلية حتى روى أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبى صلى الله عليه وسلم عرض عليه امرأة فحكى من وصفها حتى هم أن يتزوجها فقيل وانها مامرضت قط فقال لا حاجة لى فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما أعرفه فقال صلى الله عليه وسلم اليك عنى من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد فى الخبر الحمى حظ كل مؤمن من النار وفى حديث

أنس وعائشة رضى الله عنهما قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وفى لفظ آخر الذى يذكر ذنوبه فتحزنه ولا شك فى ان ذكر الموت على المريض أغلب فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة فى زواله اذ رأوا لانفسهم مزيدا فيها الا من حيث رأوا التداوى نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم

* (بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال) *

فلو قال قائل انما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسن لغيره والا فهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال ينبغى أن يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم فان قيل ان ذلك أيضا شرط فليكن من شرطه أن تلدغه العقرب أو الحية فلا ينحيها عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فأى فرق بينهما فان قال وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغى أن لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لا قائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الاسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ماروى عن عمر رضى الله عنه وعن الصحابة فى قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا عظيما ووباء ذريعا فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقى بايدينا الى التهلكة وقالت طائفة أخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فرجعوا الى عمر فسألوه عن رأيه اذا

فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون فى رأيه أنفر من قدر الله تعالى قال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال أرأيتم لو كان لاحدكم غنم فهبط واديا له شعبتان احداهما مخصبة والاخرى مجدبة أليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندى فيه يا أمير المؤمنين شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله أكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

أنس وعائشة رضى الله عنهما قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت فى كل يوم عشرين مرة وفى لفظ) حديث (آخر الذى يذكر ذنوبه فتحزنه) هكذا هو فى القوت وقال العراقى لم أقف له على اسناد قلت روى الطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة قلت يارسول الله ليس الشهداء الا من قتل فى سبيل الله قال ياعائشة ان شهداء أمتى اذا القليل من قال فى يوم خمسة وعشرين مرة اللهم بارك لى فى اليوم وفيما بعد اليوم ثم مات على فراشه أعطاه الله أجر شهيد فى اسناده من لا يعرف حاله (ولا شك فى ان ذكر الموت على المريض أغلب فلما ان كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة فى زواله اذ رأوا لانفسهم مزيدا فيه الا من حيث رأوا التداوى نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم) فبمثل هذه الاسباب ترجح الاعمال بعضها على بعض ولا يكون خلاف السنة والله أعلم

* (بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال) *

(فلو قال قائل ان التداوى انما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسن لغيره) اى ليجعله سنة للامة (والا فهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال) على ذلك (ينبغى أن يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم) أى هيجانه (فان قيل ان ذلك أيضا شرط فيكون من شرطه أن تلدغه العقرب او الحية فلا ينحيها) أى لا يزيلها (عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فأى فرق بينهما فان قال وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغى أن لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لا قائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الاسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضى الله عنه وعن الصحابة) رضوان الله عليهم (فى قصة الطاعون) المشهورة (فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية) وهو موضع بالقرب من دمشق (بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا) أى كثيرا (ووباء عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقى بايدينا الى التهلكة وقالت طائفة أخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) الآية (فرجعوا الى عمر فسألوه عن رأيه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون فى رأيه أنفر من قدر الله تعالى قال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال أرأيتم لو كان لاحدكم غنم فهبط واديا له شعبتان احداهما مخصبة والاخرى مجدبة) أى لا كلا بها (أليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف) رضى الله عنه (ليسأله عن رأيه) فى ذلك (وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندى فيه يا أمير المؤمنين شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله أكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

اذا سمعتم الوباء بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر بذلك
وحمد الله تعالى اذ وافق رأيه ورجع من الجابية بالناس) رواه مالك وأحمد والشيخان من حديث ابن عباس
ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ لقيه أمراء الاجناد أبوعبيدة بن الجراح
وأصحابه فاخبروه ان الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس فقال عمر بن الخطاب ادع لى المهاجرين الاوّلين
فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قدوقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لامر ولا نرى أن
نرجع عنه وقال بعضهم معك بقية فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء
فقال عمر ارتفعوا عنى ثم قال ادع لى الانصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا
كاختلافهم فقال ارتفعوا عنى ثم قال ادع من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم
يختلف عليه رجلان فقالوا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر فى الناس انى مصبح
على ظهر فاصبحوا عليه فقال أبوعبيدة وهو اذ ذاك أمير الشام افرارا من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا
عبيدة وكان عمر يكره خلافه نعم نفر من قدر الله الى قدر الله أرأيت لو كان لك ابل كثيرة فهبطت واديا له عدوتان
احداهما مخصبة والاخرى جدبة ألست ان رعيت فى الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيتها فى الجدبة رعيتها
بقدر الله قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا فى بعض حاجاته فقال ان عندى من هذا العلم سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا
منه قال فحمد الله عمر ثم انصرف زاد ابن خزيمة فى صحيحه بالناس وذكر سيف فى الفتوح عن مشايخه ان
الطاعون وقع بالشام فى المحرم وصفر ومات فيه الناس ثم ارتفع فكتبوا الى عمر بذلك فخرج حتى اذا كان
قريبا من الشام بلغه انه كان أشد ما كان فقال الصحابة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان بارض
فلا تدخلوها واذا وقع بارض وأنتم بها فلا عليكم فرجع عمر حتى ارتفع الطاعون منها قلت أما حديث
عبد الرحمن بن عوف المتقدم فقد روى أيضا من حديث أسامة بن زيد رواه الطيالسى وأحمد والشيخان
ومن حديث ابن عباس رواه أبو داود ومن حديث زيد بن ثابت رواه الطبرانى والضياء ومن حديث
سعد بن أبى وقاص رواه الطيالسى والبزار وقد وردت أخبار كثيرة موافقة لحديث عبد الرحمن بن عوف
وفى لفظ من حديث أسامة الطاعون بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بنى اسرائيل فاذا وقع
بارض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه واذا وقع بارض ولستم بها فلا تهبطوا عليها هكذا رواه الشيخان
والترمذى وقال حسن صحيح وابن خزيمة وفى رواية لمسلم الطاعون آية الرجز ابتلى الله به أناسا من عباده فاذا
سمعتم به فلا تدخلوا عليه واذا وقع بارض وأنتم بها فلا تفروا منه ورواه الطبرانى بلفظ اذا وقع الطاعون ببلد
وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه واذا وقع بارض ولستم بها فلا تدخلوا عليه ورواه أحمد والطبرانى والبغوى وابن
قانع من حديث عكرمة بن خالد عن أبيه أو عمه عن جده اذا وقع الطاعون فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها وان
كنتم بغيرها فلا تقدموا عليها وأما الآية التى استدل بها بعض الصحابة وهى قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا
من ديارهم الآية قال الكلبى كانوا ثمانية آلاف وقال قتادة وقع الطاعون فخرج منهم الثلثان وبقى الثلث ثم
أصابهم فخرجوا كلهم فاماتهم الله عقوبة وقال الحسن ماتوا قبل آجالهم ثم أحياهم الى آجالهم وقيل ان
خروجهم كان لغير ذلك قال الزمخشرى ومن بديع التفسير ان معنى ألوف أى قلوبهم مؤتلفة انما خرجوا فرارا
وانه جمع آلف مثل شهود وشاهد وقال الفخر الرازى يمكن أن يكون المراد ان كل واحد منهم آلفا لحياته محبا
لهذه الدنيا (فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات ان كان أمثال هذا من
شروط التوكل فان قلت فلم نهى عن الخروج من البلد الذى فيه الوباء وسبب الوباء فى الطب الهواء وأظهر
طرق التداوى الفرار من المضر والهواء هو المضر فلم لم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف فى ان الفرار من المضر
غير منهى عنه اذ الحجامة والفصد فرار من المضر وترك التوكل فى أمثال هذا مباح فهذا لا يدل على المقصود ولكن

اذا سمعتم بالوباء فى أرض
فلا تقدموا عليه واذا وقع
فى أرض وأنتم بها فلا
تخرجوا فرارا منه ففرح
عمر رضى الله عنه بذلك
وحمد الله تعالى اذ وافق
رأيه ورجع من الجابية
بالناس فاذا كيف اتفق
الصحابة كلهم على ترك
التوكل وهو من أعلى
المقامات ان كان أمثال
هذا من شروط التوكل
فان قلت فلم نهى عن
الخروج من البلد الذى
فيه الوباء وسبب الوباء
فى الطب الهواء وأظهر
طرق التداوى الفرار
من المضر والهواء هو
المضر فلم لم يرخص فيه
فاعلم أنه لا خلاف فى أن
الفرار عن المضر غير
منهى عنه اذ الحجامة
والفصد فرار من المضر
وترك التوكل فى أمثال
هذا مباح وهذا لا يدل
على المقصود ولكن

الذى ينقدح فيه والعلم عند الله تعالى أن الهواء لا يضر من حيث انه يلاقى ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له

فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرئة والقلب و باطن الاحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر الا بعد طول التأثير فى الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذى استحكم من قبل ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانه انضاف اليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للاصحاء فى الخروج لما بقى فى البلد الا المرضى الذين أقعدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم و فقدوا المتعهدين ولم يبق فى البلد من يسقيهم الماء و يطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهما بانفسهم فيكون ذلك سعيا فى اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما أن خلاص الاصحاء منتظر فلو أقاموا لم تكن الاقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع فى اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر أعضائه فهذا هو الذى ينقدح عندنا فى تعليل النهى لسلمت

الذى ينقدح فيه والعلم عند الله تعالى ان الهواء لا يضر من حيث انه يلاقى ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة) وتغير (ووصل الى الرئة والقلب وباطن الاحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر الا بعد طول التأثير فى الباطن) قال ابن سينا وغيره من حذاق الاطباء الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتالا يحدث فى المواضع الرخوة والمغابن من البدن وأغلب ما يكون تحت الابط وخلف الاذن وعند الارنبة قال وسببه دم ردىء مائل الى العفونة والفساد يستحيل الى جوهر يفسد العضو و يغير ما يليه و يؤدى الى القلب كيفية رديئة فيحدث القىء والغثيان والغشى والخفقان وهو لرداءته لا يقبل من الاعضاء الا ما كان أضعف بالطبع وأردؤه ما يقع فى الاعضاء الرئيسة ثم قال والطواعين تكثر عند الوباء وفى البلاد الوبيئة ومن ثم أطلق على الطاعون وباء و بالعكس قال وأما الوباء فهو فساد جوهر الهواء الذى هو مادة الروح ومدده ولذلك لا يمكن حياة الانسان بل جميع الحيوان بدون استنشاقه بل متى عدم الحيوان استنشاق الهواء مات وقال ابن نفيس فى الموجز الوباء ينشأ عن فساد يعرض لجوهر الجواهر باسباب سماوية أو ارضية فمن الارضية الماء الآسن والجيف الكثيرة كما يقع فى مواضع المعركة اذا لم تدفن القتلى والتربة الكثيرة التعفن وكثرة الحشرات والضفادع ومن السماوية كثرة الشهب والرجوم فى آخر الصيف وكثرة الجنوب والصبا فى الكانونين واذا كثر المطر فى الشتاء ولم تمطر (فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذى استحكم من قبل ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه) لانه غير متيقن (ولكن صار منهيا عنه) كما فى الاخبار السابقة (لانه انضاف اليه أمر آخر وهو انه لو رخص للاصحاء فى الخروج) من البلد (لما بقى فى البلد الا المرضى الذين أقعدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين) القائمين بخدمتهم من تمريض وتجهيز (ولم يبق فى البلد من يسقيهم الماء و يطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهما بانفسهم فيكون ذلك) الخروج (سعيا فى اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص الاصحاء منتظر فلو أقاموا لم تكن الاقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع فى اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضا) وقد روى الشيخان والترمذى والنسائى وابن حبان من حديث أبى موسى والرامهرمزى فى الامثال من حديث أبى هريرة وأبى سعيد المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر أعضائه) رواه مسلم من حديث النعمان بن بشير بلفظ المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه تداعى اليه سائر الجسد بالحمى والسهر وفى لفظ له المسلمون كرجل واحد ورواه أحمد وأبو نعيم فى الحلية بلفظ ان اشتكى رأسه اشتكى كله ورواه الرامهرمزى فى الامثال بلفظ المسلمون كالرجل الواحد ان اشتكى عضو من أعضائه تداعى له سائر جسده وقد روى نحوه من حديث سهل بن سعد المؤمن من أهل الايمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لاهل الايمان كما يألم الجسد لما فى الرأس رواه ابن المبارك وأحمد والرويانى والطبرانى وأبو نعيم فى الحلية والضياء (فهذا هو الذى ينقدح عندنا فى تعليل النهى) اعلم أن بعض أهل العلم ذكر ان النهى عن الخروج من البلد الذى وقع فيه الطاعون فرارا منه أمر تعبدى لا يعقل معناه اذ الفرار من المهالك مأمور به وقد صح النهى هنا فكان السر فيه لا نعلم حقيقته فالاولى فيه التسليم والامتثال

* وذهب كثيرون الى التعليل وذكروا لذلك حكما منها ما ساقه المصنف هنا وحاصله انهم لو تواردوا على الخروج لبقى من وقع به عاجزا عن الخروج فضاعت مصالح المرضى لفقد من يتعهدهم والموتى لفقد من يجهزهم ولما فى خروج الاقوياء من كسر قلوب من لا قدرة لهم على الخروج ومنها ان الطاعون فى الغالب يكون عاما فى البلد الذى يقع به فاذا وقع والشخص بها فالظاهر مداخلة سببه له فلا يفيده الفرار منه بل ان كان أجله حضر فهو ميت سواء أقام أو رحل وكذا بالعكس ولهذا رجح من رجح ان تصرفات الصحيح فى البلد الذى يقع فيه الطاعون كتصرفات المريض مرض الموت ومنها ان الخارج يقول لو لم أخرج لمت و يقول المقيم لو خرجت كما خرج فلان

لسلمت فيقع فى اللوالمنهى عنها ولهذا قال ابن عبد البر وروى عن ابن مسعود ان الطاعون فتنة للمقيم والخارج ومنها زعم بعض أهل الطب ان الذى يقع به الوباء تتكيف أرواح أهله بكيفية هواء تلك الاماكن وتألفها أمزجتهم وتصير لهم بمنزلة الاهوية الصحيحة لغيرهم فاذا انتقلوا الى الاماكن الصحيحة الهواء لم توافقهم بل اذا الهواء الصحيح استصحب معه الى القلب مايجده من الابخرة الردية التى حصل تكيف بدنه بها فيصل الى القلب فيقع ذلك المرض الذى فر منه فمنع من الفرار منه من هذه الحيثية وهذا فيه نظر والمعتمد ماتقدم (و ينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لايؤثر الهواء فى باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم) فى تعهد مرضاهم وموتاهم أى فليس له الدخول فى ذلك البلد (نعم لولم يبق فى البلد الامطعون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا) نظرا الى افتقادهم (لاجل الاعانة لهم (أولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون فى بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب بقية المسلمين وسعيا فى اهلاكهم) قال العراقى رواه أحمد من حديث عائشة باسناد جيد ومن حديث جابر باسناد ضعيف وقد تقدم اهـ قلت أما حديث عائشة فلفظه عنده الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف ورواه ابن عدى والطبرانى فى الاوسط بلفظ الطاعون شهادة لامتى ووخز أعدائكم من الجن يخرج فى آباط الرجال ومراقها الفار منه كالفار من الزحف ومن صبر فيه كان له أجر شهيد ورواه هو أيضا وعبد بن حميد وابن خزيمة بلفظ والصابر فيه كالصابر فى الزحف (فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها و ينظر الى ظواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ماسمعه وغلط العباد والزهاد يكثر فى مثل هذا وانما شرف العلم وفضل لاجل ذلك) ثم اعلم ان العلماء اختلفوا فى أن النهى عن الخروج من البلد الذى يقع به الطاعون هل هو على ظاهره من التحريم أو هو للتنزيه على قولين وربما استدل من قال انه نهى تحريم فى بعض طرق الخبر السابق والفار منها كالفار من الزحف قال ابن عبد البر الطاعون موت شامل لايحل لاحد أن يفر من أرض نزل فيها اذا كان من ساكنيها ولا ان يقدم عليه اذا كان خارجا عن الارض التى نزل بها وقال التاج السبكى فى الجزء الذى جمعه فى الطاعون مذهبنا وهو الذى عليه الاكثر انه التحريم قال وقال بعض العلماء هو للتنزيه واتفقوا على جواز الخروج لشغل عرض غير الفرار قال وليس محل النزاع فمن خرج فارا من قضاء الله تعالى فذلك لاسبيل الى القول بانه غير محرم بل الظاهر ان محل النزاع فيما اذا خرج للتداوى ورد عليه الحافظ ابن حجر فى بذل الماعون بأن هذا ليس بظاهر لان الخروج للتداوى ليس حراما فى مذهب الشافعى وجماعة وهو قد صحح ان الخروج حرام فكيف يجعل محله ما اذا خرج للتداوى والخروج للتداوى ليس بحرام بل العبارة الصحيحة أن يقول محل النزاع فيما اذا خرج فارا من المرض الواقع مع اعتقاده انه لوقدره الله عليه لأصابه وان فراره منه لاينجيه من قدر الله لكن يخرج مؤملا أن ينجو وقال الحافظ واحتج من أجاز الفرار بامور * الاول قال الطحاوى بعد ان أورد حديث لايورد ممرض على مصح ذهب قوم لهذا وقالوا انما كره ذلك لمخافة الاعداء وأقروا باجتناب ذى الداء والفرار منه واحتجوا برجوع عمر من سرغ بسبب الطاعون خشية أن يعديه من دخل عليه ثم أجاب الطحاوى بان الامر بترك القدوم عليه لو كان للخوف من أن يعدى كان لاهل الموضع الذى وقع فيه أيضا الخروج فلما منعوا ثبت ان المعنى الذى منعوا من القدوم عليه غيره وهو خوف أن يصيبه بتقدير الله فيقول لولا انى قدمت هذه الارض لما أصابنى فامر أن لا يقدم حسما للمادة وكذلك أمر أن لايخرج من الارض التى نزل بها البلاء ليسلم فيقول لو أقمت فى تلك الارض لاصابنى ما أصاب أهلها ولعله لو كان أقام بها ما أصابه من ذلك شئ فامر بترك القدوم على الطاعون للمعنى الذى وصفنا * الثانى قال التاج السبكى احتجوا بالقياس على الفرار من الاسد والعدو الذى لا يقدر على دفعه فان الكفار وقطاع الطريق اذا قصدوا من لاطاقة لهم بهم جاز التنحى من بين أيديهم ونقل فيه الكيا الهراسى الاتفاق فقال لانعلم خلافا فى الجواز وان كانت الآجال لاتزيد ولا تنقص والجواب ان السلامة من الاسد والعدو

و ينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهواء فى باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم نعم لولم يبق بالبلد الامطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لاجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين وبهذا شبه الفرار من الطاعون فى بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب بقية المسلمين وسعيا فى اهلاكهم فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها و ينظر الى ظواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ماسمعه وغلط العباد والزهاد فى مثل هذا كثير وانما شرف العلم وفضيلته لاجل ذلك

فان قلت ففي ترك التداوي فضل كما ذكرت فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من
كثرت ذنوبه ليكفرها أو خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات أو احتاج الى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة أو احتاج

الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين أو قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقي أو كان شغله بحالة تمنعه عن التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع فالى هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوي وكل ذلك كمالات بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضي أن تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدها فانه لم يكن له نظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لم تضره الاسباب كما أن الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهية له وان كانت كمالا فهي أيضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود

المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب أكمل من الهرب من الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء المشاهدة
المدر والذهب عنده وكان لا يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من امساكه فانه كان أعلى رتبة من أن تغره
الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الارض فأبى أن يقبلها فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها لمثل هذه

نادر والهلاك معهما كالمتيقن فصار كالقاء الانسان نفسه في النار بخلاف الفرار من البلد الذي يقع به
الطاعون فان السلامة فيه كثيرة وان لم تكن غالبة * الثالث القياس على الخروج من الارض المستوخمة
كقصة العرنيين والجواب ان ذلك من باب التداوي وترك ما لا يوافق المريض من الاغذية والاهوية في تأثير
المرض فكان الخروج من الارض التي لا توافق مزاج المريض من باب التداوي قال التاج السبكي وعندي في
هذا الجواب نظر قال الحافظ ابن حجر كان وجهه لقائل أن يقول ان الطاعون أيضا ينشأ من فساد الاهوية
فالخروج من البلد الذي يقع بها ينبغي أن يكون جائزا مطلقا كما جاز للعرنيين وهذا يتمشى على القول بان
الطاعون من طعن الجن والحق ان خروج العرنيين لم يكن لقصد الفرار أصلا وانما كان لمحض التداوي كما تقدم
عن الطحاوي وكان خروجهم من ضرورة الواقع لان الابل ما كان تتهيأ اقامتها في البلد وانما كانت في مراعيها
ودواؤهم كان بالبانها وأبوالها واستنشاق تلك الروائح فكان الخروج عن البلد ضمنا لامر محقق الوجود
بخلاف الخروج من البلد الذي يقع فيه الطاعون الى بلد آخر فانه خروج اليه بالقصد لامر مظنون اذ لا يؤمن
من وقوع الطاعون في البلد الآخر * الرابع قال الزركشي احتجوا بالقياس على الفرار من المجذوم فروى
البخاري من حديث أبي هريرة وفر من المجذوم كما تفر من الاسد والجواب من وجهين أحدهما قال ابن الصلاح
تبعا لغيره جامعا بين ما ظاهره التعارض من حديث أبي هريرة وهو لا يورد ممرض على مصح وحديث فر من
المجذوم فرارك من الاسد مع حديث لا عدوى ان هذه الامراض لا تعدي بطبعها ولكن الله تعالى جعل مخالطة
المريض بها للصحيح سببا لاعدائه مرضه ثم قد يتخلف ذلك عن مسببه كسائر الاسباب ثانيهما ذكره ابن خزيمة
والطحاوي وأصله لابي عبيدة القاسم بن سلام وهو أن المصح قد يصيبه ذلك المرض فيقول الذي أورده لو اني
ما أوردته عليه لم يصبه من هذا المرض شئ والواقع انه لو لم يورده لاصابه بتقدير الله عليه فنهى عن ايراده
لهذه العلة التي لا يؤمن على الناس غالبا من وقوعها في قلوبهم والله أعلم (فان قلت ففي ترك التداوي فضل كما
ذكرت فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت
ذنوبه ليكفرها أو خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات أو احتاج الى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة
أو احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين أو قصرت بصيرته عن الاطلاع على
ما أودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقي أو كان شغله بحالة تمنعه عن
التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع) بين الشغلين (فالى هذه المعاني رجعت الصوارف في
ترك التداوي) وقد مر بيان ذلك تفصيلا (وكل ذلك كمالات بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضي أن تكون مشاهدته
على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدها) فعدمها كوجودها ووجودها كعدمها فان شاء تلبس
بها (فانه لم يكن له نظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب) فهو مشغول به عن الاسباب وان شاء تركها لعلمه
بقيام الحق عليه كفيلا (ومن كان هذا مقامه لم تضره الاسباب كما ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال
كراهية له وان كانت كمالا فهي أيضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر
والذهب أكمل من الهرب من الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء المدر والذهب عنده وكان
لا يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من امساكه فانه كان أعلى رتبة من أن
تغره الدنيا) وتخدعه كيف (وقد عرضت عليه خزائن الارض فأبى أن يقبلها) هذا تقدم بلفظ عرضت عليه
مفاتيح خزائن السماء وكنوز الارض فردها (فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها لمثل هذه

المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله وترخيصا لامته فيما تمس اليه حاجتهم) من الضروريات مع انه لاضرر فيه لانه من أمور الآخرة (بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوى لا يضر الا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا أمر نهى عنه ومن حيث انه يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصى وذلك منهى عنه) وكذلك اذا كان يستعان بالصحة على البطالة واضاعة العمر فى الفضول فهذا أيضا قد نهى عنه (فالمؤمن فى غالب الامر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا بنفسه بل من حيث انه جعله الله سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوى فى مقصوده كحكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وان اكتسب للتنعم المباح فله حكمه) قال صاحب القوت والاصل فى التداوى وتركه ان المتوكل قد علم فى توكله ان للعلة وقتا اذا انتهت اليه برأ العليل باذن الله تعالى لامحالة ولكن الله عز وجل قد يحكم انه ان تداوى شفاه فى عشرة أيام وان لم يتداو أبرأه فى عشرين يوما فيترخص العليل باباحة الله له فيطمع فى تعجيل البرء فى عشرة أيام ليكون أسرع لشفائه وأقرب الى عافيته على انه معتقد ان الدواء لا يشفى وان التداوى بعينه لا ينفع لان الله تعالى هو الشافى وهو النافع فالشفاء والنفع فعله بعبده وجعله فى الدواء من لطائف حكمته لا يجعله سواه ولا يفعله الا اياه اذا كانت العقاقير مطبوعة مجعولة مجبولة على خلقها الجاعل الاسباب فيها هو جاعلها الا ان الجعل فيها والخاصة منها ليس من عمل المتطبب وان كان يعمل بها او يجمع بينها وبين العليل لانه أظهر على يده سببا لرزقه فان الله تعالى خالق جميع ذلك وفاعله وكذلك أيضا عند العارفين الخبز لا يشبع وان الماء لا يروى كما ان المال لا يغنى والعدم لا يفقر لان الله سبحانه هو المطعم المسقى كهو المشبع المروى كما هو المغنى المفقر بما شاء كيف شاء وهو جاعل الشبع والرى فى المطعوم والمشروب وفى النفس بالغنى والفقر بحكمته ورحمته كما ان الله عز وجل هو المجيع المظمئ فيدخل الطعام والشراب على الجوع والعطش اللذين جعلهما فيذهبهما بما أدخل عليهما كما يدخل الليل على النهار ويدخل النهار على الليل فيغلب سلطان كل واحد على الآخر فيذهبه سواء هذا عند الموحدين من صفة الليل والنهار ومن العلل والادوية بتسليط الشئ على ضده فيزيله بغلبة قهره باذنه فالعلم بهذه المعانى عقدا هو الايمان والشهادة لها قائمة به وجدا هو اليقين والشرك فى هذه الاشياء فى العوام أخفى من دبيب النمل على الصفا والموقنون الصحيحو التوحيد من جميع ذلك برآء فان تعجل العليل البرء بالتداوى كان ذلك بقضاء الله وقدره على وصف السرعة من المعافاة فان كان ناويا فى تداويه واستعجال شفائه الطاعة لمولاه والقيام بين يديه للخدمة كان مثابا على ذلك فاضلا فيه غير منقوص فى مقام توكله وان أراد بذلك صحة جسمه لنفسه والنعيم بالعوافى فان ذلك باب من أبواب الدنيا ودخول فيما ابيح منها وهو يخرجه من فضيلة التوكل وحقيقته بمقدار ما نقصه من الزهد فى الحياة والنعيم وان أراد باستعجال العوافى قوة النفس لاجل الهوى والسعى فى مخالفة المولى كان مأزورا بسوء نيته ووجود عزيمته ويخرج من المباح الى الحظر وذلك يخرجه من حد التوكل وأوله وهذا من مذموم أبواب الدنيا ومقوتها وان كانت نيته فى تعجيل العوافى التصرف للمعاش والتكسب للانفاق أو الجمع نظر فى شأنه فان كان يسعى فى كفاف وعلى عيلة ضعاف وعن حاجة واجحاف لحق هذا بالطبقة الاولى وهذا باب من أبواب الآخرة وهو عليه مأجور ولا يخرجه من التوكل وان كان يسعى فى تكاثر وتفاخر ولا يبالى من أين كسب وفيما أنفق الحق هذا بالطبقة الثالثة من العاصين وهذا من أكبر أبواب الدنيا وما أبعده من المولى فهذه نيات الناس فى التداوى المحمودة والمذمومة (فقد ظهر بالمعانى التى أوردناها ان ترك التداوى قد يكون أفضل فى بعض الاحوال وان التداوى قد يكون أفضل فى بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحدا من الفعل أو الترك ليس شرطا فى التوكل الا ترك الموهومات) التى هى (كالكى والرقى فان ذلك تعمق فى التدبيرات لا يليق بالمتوكلين) والله الموفق

المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لامته فيما تمس اليه حاجتهم مع انه لاضرر فيه بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوى لا يضر الا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا قد نهى عنه من حيث انه يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصى وذلك منهى عنه والمؤمن فى غالب الامر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعا بنفسه بل من حيث انه جعله الله تعالى سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم التداوى فى مقصوده كحكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وان اكتسب للتنعم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعانى التى أوردناها ان ترك التداوى قد يكون أفضل فى بعض الاحوال وأن التداوى قد يكون أفضل فى بعض وأن ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحدا من الفعل والترك ليس شرطا فى التوكل الا ترك الموهومات كالكى والرقى فان ذلك تعمق فى التدبيرات لا يليق بالمتوكلين

(بيان أحوال المتوكلين فى اظهار المرض وكتمانه) اعلم أن كتمان المرض واخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من أعلى المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بينه و بين الله عز و جل فكتمانه اسلم عن الآفات ومع هذا فالاظهار لا باس به اذا صحت فيه النية والقصد ومقاصد الاظهار (٥٣٦) ثلاثة *(الاول)* أن يكون غرضه التداوى فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لا فى معرض الشكاية بل فى معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبب أوجاعه وكان أحمد بن حنبل يخبر بامراض يجدها و يقول انما اصف قدرة الله تعالى فى" (الثانى) أن يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكينا فى المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر فى المرض بل حسن الشكر بان يظهر انه يرى ان المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم قال الحسن البصرى اذا حمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى (الثالث أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن تليق به القوة والشجاعة و يستبعد منه العجز كما روى انه قيل لعلى فى مرضه رضى الله عنه كيف أنت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال أتجلد على الله فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضراوة وتأدب فيه بادب النبى صلى الله عليه وسلم اياه حيث مرض على كرم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول اللهم صبرنى على البلاء فقال له صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله تعالى البلاء فسل له العافية فهذه النيات يرخص فى ذكر المرض وأنما يشترط ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كما ذكرته فى تحريم السؤال على الفقراء الا بضرورة و بصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله تعالى

(بيان حكم التوكل فى اظهار المرض وكتمانه)

(اعلم) وفقك الله تعالى (أن كتمان المرض واخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر) روى الطبرانى وابن عساكر من حديث أنس ثلاث من كنوز البر اخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى قلت وفى لفظ للطبرانى ثلاث من كنوز البر كتمان الشكوى وكتمان المصيبة وكتمان الصدقة و روى أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر من كنوز البر كتمان المصائب والامراض والصدقة وقد تقدم (وهو من أعالى المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بينه و بين الله عز وجل فكتمانه أسلم عن الآفات) ولفظ القوت ولا ينقص توكل المتوكل اخباره بعلته على معنى التحدث بها مع فقد آفات النفوس اذا كان قلبه شاكرا بالقضاء راضيا أو يكون بذلك مظهرا للعجز والافتقار بين يدى مولاه أو راغبا فى دعاء اخوانه المؤمنين أو يشهد ذلك نعمة فيحدث بها نشرا للشكر (فقد كان) أبو نصر (بشر) بن الحرث الحافى رحمه الله تعالى (يصف لعبد الرحمن المتطبب أوجاعه) فيصف له أشياء (و) قيل (كان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (يخبر) الطبيب (بامراض يجدها و يقول انما أصف قدرة الله تعالى فى) وتقدم قريبا انه كان ممن يكتم الامراض فلا يخبر بها أحدا فلعل وجه الجمع بينهما أن لا يخبر أحدا غير الطبيب أو هو محمول على اختلاف الاحوال والاوقات (الثانى ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به) بان كان اماما يستمع اليه و تقتبس منه الآثار (وكان مكينا فى المعرفة) يخبر بعلته وقلبه راض عن الله فيما قدره (فاراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر فى المرض بل حسن الشكر بان يظهر انه يرى المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم) أى يكون اخباره بمثابة التحدث بنعمة الله تعالى (قال الحسن البصرى) رحمه الله تعالى (اذا حمد المريض الله وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى) نقله صاحب القوت (الثالث أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك يحسن ممن تليق به القوة والشجاعة و يستبعد منه العجز) والجبن (لما روى أنه قيل لعلى كرم الله وجهه) وهو (فى مرضه كيف أنت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك) القول منه (فقال) على (أتجلد على الله فاحب أن يظهر) لهم (عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضراوة) وأراد أيضا أن يعلمهم أنه لا بأس بذلك لان من يقول بخير اذا سئل كثير كما قال الثورى انما العلم الرخصة من ثقة فاما التشديد فكل أحد يحسنه (و) كان عليا رضى الله عنه (تأدب فيه بادب النبى صلى الله عليه وسلم) له ونهيه (اياه) عن اظهار القوة فانه روى انه (حيث) كان (مرض) مرضه (فسمعه) النبى (صلى الله عليه وسلم حيث يقول اللهم صبرنى على البلاء فقال) صلى الله عليه وسلم (لقد سألت الله البلاء فسل الله تعالى العافية) وقد تقدم ذلك فى كتاب الصبر مع اختلاف ومن هنا قال مطرف رحمه الله تعالى لان اعافى فاشكر أحب الى من أن ابتلى فاصبر لان البلاء طريق الاقوياء وكره أهل الاشفاق والخشية اظهار الجلد والقوة بين يدى العزيز وقد روى أن الشافعى رضى الله عنه مرض مرضة شديدة بمصر وكان يقول اللهم ان كان فى هذا رضاك فزدنى منه فكتب اليه ادريس بن يحيى المعافرى يا أبا عبد الله لست من رجال البلاء فسل الله العافية فرجع عن قوله هذا واستغفر الله منه فبعد هذا كما حكى عنه انه كان يقول فى دعائه اللهم اجعل خيرتى فيما أحب (فهذه النيات ترخص فى ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره) لمن لم يتداو نقص لحاله وهو داخل فى (شكاية) المولى (والشكوى من الله حرام كما ذكرته فى تحريم السؤال عن الفقر الا لضرورة و يصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله تعالى

فان

فان خلت عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى لنا تركه لانه ربما اوهم الشكاية) من الله تعالى (ولانه ربما) لا يؤمن من دخول الآفات عليه في الاخبار بان (يكون فيه تصنع وتزيد في الوصف على الموجود في العلة) وغير ذلك (ومن ترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار لان الاستراحة الى الدواء أحسن من الاستراحة الى الافشاء) ولفظ القوت لان في الشكوى استراحة للنفس من البلوى والاستراحة بالدواء الذي هو اباحة المولى خير من استراحته الى العبيد بالشكوى (وقد قال بعضهم من بث) أي أظهر ما بلي به (لم يصبر) أي لم يكن من الصابرين فان الصبر يقتضي عدم البث قلت وهذا قد روي مرفوعا روى عبد الرزاق وابن جرير عن مسلم بن يسار عن سعد بن مسعود رفعه مثله و رواه ابن المنذر وابن مردويه عن عبد الرحمن بن يعمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مثله ورواه ابن مردويه من حديث عبد الله بن عمر مثله وروى ابن عدي والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر من كنوز البر كتمان الصدقة وكتمان المصيبة ومن بث لم يصبر (وقيل في قوله تعالى فصبر جميل) والله المستعان قال (لا شكوى فيه) كذا في القوت وروى ابن أبي حاتم عن الحسن قال الصبر الجميل الذي ليس فيه الشكوى الا الى الله عز وجل وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن حبان بن أبي جبلة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فصبر جميل قال ليس فيه جزع (قيل ليعقوب عليه السلام ما الذي أذهب بصرك) وحنى ظهرك (قال مر الزمان وطول الاحزان) قال (فاوحى الله اليه تفرغت بشكواي) وفي نسخة تشكوني (الى عبادي) وفي نسخة الى خلقي (قال يارب أتوب اليك) هكذا في القوت وروى عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن حبيب بن أبي ثابت ان يعقوب عليه السلام كان قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فكان يرفعهما بخرقة فقيل له ما بلغ بك هذا قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله اليه يا يعقوب أتشكوني قال خطيئة أخطأتها فاغفرلي وروى ابن أبي حاتم عن نصر بن عزلي قال بلغني ان يعقوب عليه السلام لما طال حزنه على يوسف ذهبت عيناه من الحزن فجعل العواد يدخلون عليه فيقولون السلام عليك يا نبي الله كيف تجدك فيقول شيخ كبير قد ذهب بصري فاوحى الله اليه يا يعقوب شكوتني الى عوادك قال أي يارب هذا ذنب عملته لا أعود اليه فلم يزل بعد يقول انما أشكو بثي وحزني الى الله وروى اسحق بن راهويه في تفسيره وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني في الاوسط وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث أنس كان ليعقوب عليه السلام أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال اما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف واما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا يعقوب ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك اما تستحي تشكوني الى غيري فقال يعقوب انما أشكو بثي وحزني الى الله فقال جبريل الله أعلم بما تشكو الحديث (وروى عن طاوس ومجاهد) رحمهما الله تعالى وهما من كبار التابعين (انهما قالا يكتب على المريض انينه في مرضه) كذا في القوت قلت وقد روي هذا مرفوعا من حديث على يكتب أنين المريض فان كان صابرا كان أنينه حسنات وان كان أنينه جزعا كتب هلوعا لا أجر له رواه أبو نعيم (وكانوا يكرهون أنين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى) ولفظ القوت يدل على الشكوى (حتى قيل ما أصاب ابليس لعنه الله من أيوب عليه السلام الا أنينه في مرضه فجعل الانين حظه) أي حظ الشيطان (منه) كذا في القوت وهذا اذا كان جزعا وتسخطا وكراهة لما قدره الله تعالى عليه كما فهم ذلك من حديث على السابق لا مطلق الانين فان المريض قد يضطر اليه وهو مع ذلك راض بقلبه مطمئن النفس بما قدره الله عليه صابر غير متسخط كيف وقد ورد أنين المريض تسبيح وصياحه تهليل ونفسه صدقة ونومه على الفراش عبادة وتقلبه من جنب الى جنب كأنما يقاتل العدو في سبيل الله يقول الله سبحانه للملائكة اكتبوا لعبدي أحسن ما كان يعمل في صحته فاذا قام ثم مشى كان كمن لا ذنب له رواه الخطيب والديلمي من حديث أبي هريرة وقال رجاله معروفون

فان خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما اوهم الشكاية ولانه ربما يكون فيه تصنع ومزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار لان الاستراحة الى الدواء افضل من الاستراحة الى الافشاء وقد قال بعضهم من بث لم يصبر وقيل في معنى قوله فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذي أذهب بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت لشكواي الى عبادي فقال يارب اتوب اليك وروى عن طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون أنين المرض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس لعنه الله من ايوب عليه السلام الا انينه في مرضه فجعل الانين حظه منه

بالثقة الاالحسين بن أحمد البلخي فانه مجهول (وفي الخبر اذا مرض العبد أوحى الله تعالى الى الملكين انظرا ما يقول لعوّاده فان حمد الله وأثنى عليه بخير دعواله فان شكا وذكر شرا قالا كذلك تكون) ولفظ القوت انظروا ما يقول عبدي لعوّاده فان حمدني وأثنى على بخير ادعواله وقولوا كذلك أنت والباقي سواء وقد روى الدارقطني في الغرائب وابن صخر في عوالي مالك من حديث أبي هريرة اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فيقول انظرا ما يقول لعوّاده فان هو اذا دخلوا عليه حمد الله تعالى رفعاذلك الى الله تعالى وهو أعلم فيقول لعبدي ان انا توفيته أدخله الجنة الحديث وقد ذكر قريبا (وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام) بان يخبر عن العلة باكثر منها فيكون بذلك كفر النعمة بين بلاءين (فكان بعضهم اذا مرض أغلق بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ) من مرضه (فيخرج اليهم منهم فضيل) بن عياض (و وهيب) بن الورد المكي (و بشر) بن الحرث الحافي رحمهم الله تعالى (وكان فضيل يقول أشتهي ان أمرض بلا عوّاد) رواه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن حشيش حدثنا أحمد بن محمد البراثي حدثنا بشر بن الحرث قال قال فضيل فذكره (وقال) أيضا (لاأكره العلة الالاجل العوّاد) ولفظ القوت ماأكره العلة الا لاجل العيادة وبه تم كتاب التوحيد والتوكل وشرحه بمنة الله وحسن عونه وتوفيقه ولنختمه بما أورده القشيري في الرسالة وأبو طالب في القوت وغيرهما في هذا الباب قال القشيري بسنده الى أحمد بن خضرويه قال قال رجل لحاتم الاصم من أين تأكل فقال ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لايفقهون وقال ابراهيم الخواص من صح توكله في نفسه صح توكله في توكله وقال بشر الحافي يقول أحدهم توكلت على الله يكذب على الله لوتوكل على الله رضي بما يفعل الله به و بسنده الى الكتاني سمعت أباجعفر بن الفرجي يقول رأيت رجلا من الشطار يعرف بحمل عائشة يضرب بالسياط فقلت له أي وقت يكون ألم الضرب عليكم أسهل فقال اذا كان من ضربنا لاجله برانا وقال الحسين بن منصور الحلاج المتوكل المحق لاياكل وفي البلد من هو أحق به منه وسئل سهل عن التوكل فقال قلب عاش مع الله بلاعلاقة وقال يحيى بن معاذ لبس الصوف حانوت والكلام في الزهد حرفة وصحبة القوافل لغرض وهذه كلها علاقات وجاء رجل الى الشبلي يشكو اليه كثرة العيال فقال له ارجع الى بيتك فمن ليس له رزق على الله فاطرده عنك و بسنده قال ابراهيم الخواص كنت في طريق مكة فرأيت شخصا وحشيا فقلت جني أم انسي فقال جني فقلت الى أين فقال الى مكة فقلت بلازاد فقال نعم فينا أيضا من يسافر على التوكل فقلت ايش التوكل فقال الاخذ من الله و بسنده الى أبي حمزة قال اني لاستحيي من الله ان أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعي على الشبع زادا أتزوده وسئل حمدون عن التوكل فقال تلك حالة لم أبلغها بعد فكيف يتكلم في التوكل من لم يصح له حال الايمان وعن بعضهم قال كنت في البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامي واحدا فسارعت حتى أدركته فاذا هو امرأة بيدها ركوة وعكاز تمشي على التؤدة فظننت انها أعيت فادخلت يدي في جيبي فاخرجت عشرين درهما فقلت خذيها وامكثي حتى تلحقك القافلة لتكتري بها ثم ائتيني الليلة حتى أصلح لك أمرك فقالت بيدها هكذا في الهواء فاذا في كفها دنانير من الغيب وناولتني وقالت أنت أخذت الدراهم من الجيب وأنا أخذت الدنانير من الغيب ورأى أبو سليمان الداراني رجلا بمكة لايتناول الاشربة من ماء زمزم فمضى عليه أيام فقال له أبو سليمان يوما أرأيت لوغارت زمزم ايش كنت تشرب فقام وقبل رأسه وقال جزاك الله خيرا حيث أرشدتني فاني كنت أعبد زمزم منذ أيام ومضى وقال ابراهيم الخواص رأيت في طريق الشام شابا حدثا حسن المراعاة فقال لي هل لك في الصحبة فقلت اني أجوع فقال ان جعت جعت معك فبقينا أربعة أيام ففتح علينا بشئ فقلت هلم فقال اعتقدت أن لا آخذ بواسطة فقلت ياغلام دققت فقال ياابراهيم لاتبهرج فان الناقد بصير مالك والتوكل ثم قال أقل التوكل أن ترد عليك موارد الفاقات فلا تسمو نفسك الاالى من اليه الكفايات وسئل الحرث المحاسبي عن المتوكل هل يلحقه طمع فقال يلحقه من طريق الطباع خطرات ولا تضره شيأ ويقويه على اسقاط الطمع الياس عما في أيدي الناس وقيل جاع الثوري في البادية فهتف به هاتف أيما أحب اليك سبب

وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله واثنى بخير دعواله وان شكا وذكر شرا قالا كذلك تكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرأ فيخرج اليهم منهم فضيل و وهيب و بشر و كان فضيل يقول اشتهي ان امرض بلا عواد وقال لا اكره العلة الا لاجل العواد رضي الله عنه وعنهم اجمعين كمل كتاب التوحيد والتوكل بعون الله وحسن توفيقه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب المحبة والشوق والانس والرضا والله سبحانه وتعالى الموفق

أو كفاية فقال الكفاية ليس فوقها نهاية فبقي سبعة عشر يوما لم يأكل وبسنده الى الحسن الخياط قال كنت عند بشر الحافي فجاءه نفر فسلموا عليه فقال من أنتم فقالوا نحن من الشام جئنا نسلم عليك ونريد الحج فقال شكر الله لكم فقالوا تخرج معنا قال بثلاث شرائط لا نحمل معنا شيأ ولا نسأل من أحد شيأ وان أعطانا أحد لا نقبل فقالوا اما ان لا نحمل فنعم واما ان لا نسأل فنعم واما ان لا نقبل ان اعطينا فهذا مالا نستطيع فقال أخرجتم متوكلين على زاد الحجاج وقيل لحبيب العجمي لم تركت التجارة فقال وجدت الكفيل ثقة وقيل من وقع في ميدان التفويض يزف اليه المراد كما تزف العروس الى أهلها والفرق بين التفويض والتضييع ان التفويض في حقك وهو محمود والتضييع في حق الله وهو مذموم انتهى ما في الرسالة وقال صاحب القوت حدثونا عن بعض السلف قال رأيت بعض العباد من أهل البصرة في المنام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة فقلت أي الاعمال وجدت هنالك أفضل قال التوكل وقصر الامل وفي وصية لقمان ومن الايمان بالله التوكل على الله وان التوكل يحبب العبد الى الله وان التفويض الى الله من هدى الله وبهدى الله يوافق العبد رضوان الله ومن موافقة العبد رضوان الله يستوجب كرامة الله وكان سهل يقول العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل وقال ليس للتوكل حد ولا غاية ينتهي اليه وقال التوكل واليقين مثل كفتي الميزان والتوكل لسانه به يعرف الزيادة والنقصان وقال التوكل هو التفويض ثم الرضا وكان الحسن يقول الغنى والعز يجولان في طلب التوكل فاذا ظفرا به وطناه وفي هذا المعنى قيل

يجول الغنى والعز في كل موطن * ليستوطنا قلب امرئ ان توكلا
ومن يتوكل كان مولاه حسبه * وكان له فيما يحاول معقلا
اذا رضيت نفسي بمقدور حظها * تعالت وكانت أفضل الخلق منزلا

ويقال ان الخوف من المخلوقات عقوبة نقصان الخوف من الخالق فان ذلك من قلة الفقه عن الله وضعف التوكل عليه وقال ابن يعقوب السوسي المتوكل اذا رأى السبب أو ذم أو مدح فهو مدع لا يصح له التوكل وقال الخواص التوكل هو الاكتفاء بعلم الله فيك من تعلق القلب بسواه وقال عامر بن عبد الله قرأت ثلاث آيات من كتاب الله استغنيت بهن على ما أنا فيه فاستغنيت بقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله قلت ان أراد أن يضرني لم يقدر أحد ان ينفعني وان أعطاني لم يقدر أحد ان يمنعني وقوله سبحانه فاذكروني أذكركم فاستغنيت بذكره عن ذكر من سواه وقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فوالله ما هممت برزقي منذ قرأتها فاسترحت وقال سهل ليس مع الايمان أسباب انما الاسباب في الاسلام يعني ليس في حقيقة الايمان رؤية الاسباب والسكون اليها وانما رؤيتها والطمع في الخلق يوجد في مقام الاسباب فحال المتوكل سكون القلب عن الاستشراف وقطع الهم عن التطلع لما بايديهم وعكوف القلب على المدبر الحق مشغول الفكر بقدرة المقدر لا يحمله عدم الاسباب على ما حذره العلم عليه وذمه ولا يمنعه أن يقول الحق وان يعمل به أو يوالي في الله ويعادي فيه جريان الاسباب على أيدي الخلق فيترك الحق حياء منهم أو طمعا فيهم أو خشية قطع المنافع المعتادة ولا يدخله طوارق الحاجات ونوازل الضرورات في الانحطاط في اهواء الناس والميل الى الباطل أو في السكوت عن حق ان يلزمه أو يوالي عدوا أو يعادي وليا ليرى بذلك حاله عندهم أو يشكر بذلك ما أسدوه اليه بالكف عنهم ولا يرى الصنعة التي قد عرف بها القوة نظره الى الصانع ولا يتصنع لمصنوع دخيلة لعلمه بسبق الصنع لدوام مشاهدته ولا يسكن الى عادة عن خلق ولا يثق بمعتاد من مخلوق اذا يقن برزقه وضره ونفعه من أحد فهذه المعاني من فرض التوكل فان وجدت في عبد خرج بها من حد التوكل دون فضائله ويدخله في ضعف اليقين وقد كان الاقوياء اذا دخل عليهم شئ من هذه الاهواء المفسدة لتوكلهم قطعوا تلك الاسباب وحسموا أصولها واعتقدوا تركها وعملوا في مفارقة الاوطان وفي التغرب عن الامصار والالاف والايلاف فاخرجوا ذلك حيث دخل عليهم ووضعوا عليه دواءه وضده من حيث تطرق اليهم حتى ربما فارقوا ظاهر العلم

وخالفوا علماء الظاهر الى علوم الباطن ومقتضى مشاهدتهم ومواجيد حالهم لئلا تسكن قلوبهم الى غير الله ولا تقف هممتهم مع السلوى ولا تطمئن نفوسهم الى غيره ولا يتخذوا سكنا سواه ولا يسكنون الى هوى النفس فيخدعوا بسكونها عن سكون القلب فيسبى ذلك عقولهم و يوهن عزمهم و يضعف يقينهم الذى هو الاصل فيخسر وا رأس المال وتفوتهم حقيقة الحال فاذا يربحون و باى شهادة يقومون

(فصل) وقال بعضهم التوكل هو الفرار من التوكل أى يتوكل ولا ينظر الى توكله انه لاجله يكفى أو يعافى فجعل نظر حال توكله علته لان توكله يلزمه الفرار منها حتى يدوم نظره الى الوكيل وحده بلا اخلال و يقوم له بشهادة منه بلا ملل ولا يكون بينه و بين الوكيل شئ ينظر اليه أو يعوّل عليه أو يدل به حتى التوكيل أيضا الذى هو طريقه وجاء رجل الى بشر الحافى فقال انى قد عزمت على السفر الى الشام وليس عندى زاد فما ترى فقال يا هذا أخرج فيما قصدت له فان لم يعطك ماليس لك لم يمنعك مالك وشكا رجل الى الفضيل حاله فقال يا هذا أمدبرا غير الله تريد وقال الحسن فى تفسير قوله تعالى وقدر فيها أقواتها خلق الارزاق قبل الاجسام بالفى عام فالمتوكل لا يطالب مولاه برزق غد كما لا يطالبه مولاه بعمل غد و يقال من اهتم برزق غد فهى خطيئة تكتب عليه وقال الثورى الصائم اذا اهتم فى أوّل النهار بعشائه كتبت عليه خطيئة وكان أبو سهل يقول لنقص ذلك من صومه وقال أعرف فى البصرة ٣ بقرة يغدى على مولاهم برزقهم من الجنة وعشيا يرون منازلهم من الجنة وعليهم من الغموم والكروب مالو قسم على أهل البصرة لماتوا قيل ولم قال كانوا اذا تغدوا قالوا باى شئ نتعشى واذا تعشوا قالوا باى شئ نتغدى وقال مرة لم يكن لى من التوكل والرضا نصيب فهذه المقامات من فضائل التوكل وفوقهما مالا يصلح رسمه فى كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين منها انه أعطاهم كن باعطائه اياهم ٣ فزهدوا فى كون كن لاجل كان توكلا على كينونة الكينات وحياء منه ان يعارضوه فى قدرته أو ينازعوه فى ملكه أو يرغبوا عن تقديره أو يضاهوه فى كونه لان تدبيره عندهم أحكم واتقن وهو بالعواقب اعلم واخبر وهم له أشد اجلالا مما نقدر نحن ونعلم

(فصل) قال سهل فى معنى قول الله تعالى يمحو الله ما يشاء و يثبت يمحو الاسباب من قلوب العارفين و يثبت القدرة و يمحو المشاهدة من قلوب الغافلين و يثبت الاسباب فى صدورهم وقال خلق الله النفس متحركة ثم أقرها بالسكون وهذا هو الابتلاء فان تداركها بالعصمة سكنت وهذا هو خصوص وان تركها تحركت بطبعها وهذا هو الخذلان وكان الخواص يفرق بين العموم والخصوص بوجود الحركة والسكون فقال القلوب على حالين فمن دامت حركته وسعيه كان موصوفا بنفسه لغلبة شاهد النفس عليه لقوله تعالى وكان الانسان عجولا ومن دام سكونه كان موصوفا بالحق لغلبة شاهد الحق فى سكينته لقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقال النهرجورى فى معناه قلوب الاولياء مواضع المطالع لا تتحرك ولا تنزعج بل تطمئن خوفا ان يرد عليه مناجاة مطالعة فتجده مترسما بسوء الادب وقال بعض أهل المعرفة فى تأويل قوله تعالى و رزق ربك خير وأبقى قال هو التوكل لانه أبقى للعبد من الطلب وخير له من السعى والتعب و يروى ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ادرك لى لطف الفطنة وخفى اللطف فانى أحب ذلك قال يارب وما لطف الفطنة قال ان وقعت عليك ذبابة فاعلم انى أوقعتها فسلنى أرفعها قال وما خفى اللطف قال ان أتتك فولة مسوّسة فاعلم انى ذكرتك بها وكان الخواص يقول من رجع عند الشدائد الى سبب أو علاج يستشفى به أو حركت رهبة المخلوقين صفته فقد برئ من خصوص التوكل و بقى مع عمومه وقال السرى رحمه الله تعالى ثلاث يستبين بهن اليقين بالخوف مواطن الهلكة والتسليم لامر الله عند نزول البلاء والرضا بالقضاء عند زوال النعمة وقال يوسف بن اسباط كان يقال ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه من اذا رضى لم يخرجه رضاه الى باطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق واذا قدر لم يتناول ماليس له وقد روى ذلك مسندا فهذه أوصاف المتوكل وهى علامة حسن اليقين وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام يابنى يستدل على تقوى العبد بثلاث حسن توكله فيما يأتيه وحسن رضاه فيما أتاه وحسن صبره فيما فاته

(فصل) لا يضر التصرف والتكسب ممن صح توكله ولا يقدح فى مقامه ولا ينقص حاله اذا أحكم فيه معنيين النظر الى الوكيل فى أول الحركة فيكون متحركا به والرضا فى الحكم بعد التصرف فيكون مطمئنا اليه وقد كان الصانع بيده أحب اليهم من التاجر والتاجر أحب اليهم من البطال فان كان حال المتوكل التصرف فيما قد وجه فيه دخل فى الاسباب وهو ناظر الى المسبب فى تصريفه معتمد عليه واثق به فى حركته مكتسب فيما يقلبه فيه مولاه متيقن فيما يسببه له ويوجهه فيه وكيله وهو عالم باذن الله تعالى قد أودع الاشياء منافع خلقه وجعلها خزائن حكمته ومفاتيح رزقه مجتمع الخلق بجانبه غير متشتت بتفرق همه متبع للسنة والاثر تارك للترفه والنعمة فهو فى تكسبه وتصرفه أفضل ممن دخلت عليه العلل فى توكله فساكنها وسكن الى سكون نفسه فى بطالتها وفراغها من هم الآخرة طلبا لراحتها ومن دخلت عليه الآفة فى ترك التكسب فليخرج منها الى الاحتراف ومن دخل عليه اليقين واقتطع فليقعد عن الاكتساب ومن اعتل بالتكسب فليداو بتركه ومن صح فيه وأوجبه الحكم فليكتسب والتكسب خير من التشرف الى الخلق ومن الطمع فيهم واعتياد المسألة وسالكه على طريقه فهو يصل وان كان فى طريقه بعد والتوكل اذا اعتدبه واقتطع عن أربه ناظرا الى الوكيل منتظرا للوارد متفرغا للفوائد أفضل اذ صح فى ذلك وصدقت حاله واستقام عليه فهو طريق قريب وسالكه مقرب

(فصل) قال أبو يعقوب السوسى التوكل على ثلاث مقامات عام وخاص وخاص خاص فمن دخل فى الاسباب واستعمل العلم وتوكل على الله وتحقق اليقين فهو خاص عام ومن خرج من الاسباب على حقيقة بوجود اليقين ثم دخل فى الاسباب فتصرف لغيره فهو خاص خاص قال وهذا وصف الطبقة العليا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العشرة وغيرهم جردهم اليقين من الدنيا فادخلهم العلم فى الاسباب لغيرهم ردت عليهم أحوال الغير وجعلوا رازقين لهم فتصرفوا فيها ٣ من التعلق بها وقال أيضا الناس فى التوكل على ضربين طالب له ومطلوب به فالمطلوب بالتوكل مستعمل بحقائقه مرفوع الى أعلى غايته مطالب بالعمل فيه محق نفسه وذهب آثاره بحضوره ومشاهدة والطالب له توجه بالزهد وترك الاسباب القاطعة وعمل فى حذف كل شاغل يشغله أو يحول بينه وبين قصده فهو مجتهد فى الانفراد

٣ هنا بياض بالاصل

(فصل) قال بعضهم التوكل العمل فى قطع الطمع ونفى الركون الى الاسباب ويكون نظر الله له فى المنع أفضل عنده من نظره اليه فى العطاء وان يجد فى المنع من الحلاوة ما لا يجد للعطاء ومن علم ان الله قصده فالمنع فرح وعلامة ركونه الى من عوده البر من الخلق ترك القيام عليه بالحق وترك النصيحة له والانبساط اليه وكثرة السلام عليه دون غيره ممن لا يبره ودوام تطلع القلب الى لقائه ومجىء أسبابه وعلامة ركونه الى الاسباب خوف زوالها قبل ان تزول فان زال منها شئ لحق عليه الوهن والتمسك بما بقى خوف الفقر

(فصل) من ألطف ما قيل فى السكون الى غير الله والنظر الى سواه قول أهل المعرفة فى معنى قول الخليل عليه السلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام قال ان أسكن الى الخلة وهبتها الى أو بنظر بنوه الى النبوة التى جعلتها لهم فيحجبون بذلك عنك وقال بشر ان العبد ليقرأ اياك نعبد واياك نستعين فيقول الله تعالى كذبت ما اياى تعبد ولا بى تستعين لو كنت اياى تعبد لم تؤثر هواك على رضاى ولو كنت بى تستعين لم تسكن الى جلدك وقوتك ولا الى مالك

(فصل) قال أبو تراب النخشبى ليس التوكل ان تتوكل لتكفى ولو عرض ذلك للمتوكلين لتابوا ولكن تحل بقلبه الكفاية بالله فصدق الله فيما ضمن فالقى الكفن بين يديه وقال الخواص بلغنا انه التقى موسى والخضر عليهما السلام وكان موسى أشد جوعا من الخضر فاذا غزالان قد سقط أحدهما مشويا الى الخضر وسقط الآخر مذبوحا بجلده ورأسه الى موسى فقال له الخضر قم يا موسى فبقدر ما بقى فى نفسك من الاهتمام برزقك تتعب فاعلم انى أنا توكلت فكفيت وانت اهتممت فعنيت ويروى من طريق آخر قال موسى للخضر كيف هذا وقع اليك

نصفه مشو يا ووقع نصفه لى نيأ فقال له الخضر انه لم يبق لى فى هذه الدنيا أمل وفى رواية ليس لى فى هذا الخلق حاجـة وكان بشر رحمه الله تعالى قصير الامل لم يكن يأمل البقاء من وقت صلاة الى وقت صلاة أخرى وكان اذا صلى الظهر يقول للجيران اطلبوا لكم من يصـلى لكم العصر وكان يقول أنا ضـيف فى دار مولاى ان أطعمنى أكلت متى أطعمنى وان أجاعنى صبرت حتى يطعمنى

(فصل) قال الخواص الرزق ليس فيه توكل ولو كان لا ينال الرزق الا بالتوكل كان الضعيف ومن لا يحسن التوكل يموت يصحح ذلك قوله تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم فهذا الخطاب من الله لخلقه يقتضى من الخلق ترك حمل الارزاق لوقت لم يات لطيفة من الله دعاهم منها الى مواضع الراحة من الاشتغال بحمل ما قد ضمنه لهم وتوكل باستخراجه اليهم وحجة منـه عليهم ألزمهم اياها وقوله تعالى بالضمان لارزاق الخلق الله يرزقها واياكم يقتضى السكون اليه بالثقة به فيما ضمن وتكفل باستخراجه والصبر على وعده حتى يخرج اليه المضمون من أماكنه قال ففى هذا دليل على تجويز الحركة والسبب للمتوكل وان ذلك لا ينقص توكله اذ الدابة المرزوقة بالله من الله وقد تدب وتتسبب الى مواضع الرزق وقد تدخر النملة والفارة وهما من الدواب وقد يجمع بعض الطير فى عشه ويجلب الى وكره لكن يحتاج المتوكل فى دبيبه وحركته وذخره بمعـنى النملة الهاما وتوفيقا ونظرا الى الوكيل بمعقول وتدبير وكذلك القول فى التمثيل الوارد فى الخبر السابق تغدو خماصا وتروح بطانا فالطير وان لم يكن من وصـفها ان تحمل ولا من فعلها ان تدبر وتعقل فانها تتحرك وتقصـد لقوله تغدو فغدوها تسبب وقصدها أماكن معاشها تعيش وقد أضاف الرازق اليه وجمع بيننا وبينه فيـه فقال وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين الهوام والانعام فعمنا واياها بالتحمل الينا بان المعايش فى الارض منه علينا انعام

(فصل) قال الخواص الذى قيد ان يسرح فى الارض حيث شاء قلة تصديقه بمجىء الارزاق اليه حيث كان وضعف علمه بان الله معه فى كل مكان وان الله تعالى يضـيق حيث يشاء ويوسع حيث يشاء ويؤمن حيث يشاء ويخيف حيث يشاء فمن كان ناظرا الى الله فيما يفتح له أسباب الرزق معتمدا عليه فى استخراجه كان البر والبحر والسفر والحضر عليه سواء لان من تولى الله كفايته فى الحضر تولى كفايته فى السفر ومن كان معتمدا على تـكلفه وحيلته لم يتهيأ له ان يفارق العمران ولو ان عبدا مع مولاه فى السـفر لكان قلبه قد سكن اليه ان يطعمه حيث سافر معه وهكذا من علم ان الله سبحانه معه لم يحتج ان يحمل زادا ولا اداوة ويصحح ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم للسائل وقد أعطاه تمرة لو لم تأتها لاتتك دلالة على ترك الحركة وتوبيخا له فى حركته بعد صحة الضمان لمجىء الارزاق لوقتها ونهيا له عن السـعى الا ما وقع التصديق بمجيئه لوقته قال صاحب القوت وهـذا طريق الاقوياء الصابرين وليس هذا طريق الضعفاء المريدين اذ لا يقاس الضعيف الجزوع بالقوى الصبور وكان منهم ابراهيم الخواص وأبو تراب النخشبى وذو النون وحاتم الاصم وعلى الرازى فان هؤلاء خصوص المتوكلين وما جرى لهم من الوقائع يدل على أحوالهم

(فصل) قال الخواص الاستطاعة على ثلاثة وجوه أعلاها استطاعة بقوة المعرفة وصحة التوكل وهذه الطائفة نفذت بصدق موكلها لم تعرج على سبب ولا استأذنت أحدا ولا يقع الاستئذان الا من ضعف المعرفة وقلة الهداية وكل من استأذن فالرفق به أولى كما فى الخبر اعقلها وتوكل والاستطاعة الاخرى قوة البدن والصبر على المشى والضر والثالثـة بسـعة المال فمن لم يكن عنده أحد هذه الوجوه فليتوقف عن الحج والزاد مباح للعموم الا ان الله تعالى قد دل على خير الزاد بقوله فان خير الزاد التقوى فمن تزود التقوى نجا ولم يخف فى طريقه لان الله مع الذين اتقوا ومن التقوى ان لا يقول العبد غدائى من أين لقول الحق ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال وهب يقول الله تعالى ابن آدم اتق ونم حيث شئت فالرزق ليس فيه توكل وانما فيـه تدبر ويقوى على قدر معرفته بما صبر له ولمن صبر ومعنى الصـبر حبس النفس على الوعد بمجىء المضمون ومنعها من الحركة والتطلع الى مجيئه حتى يسوق الله الاقسام من أماكنها فتى رجع الصابر الى سبب يبتدئ فيه بالحركة من نفسه فقد خرج من حالة الصبر ضيقا من تحمل مؤنته وهذا مقام المؤمن القوى من المتوكلين

(فصل) قال صاحب القوت أخبرني أبو بكر بن يعقوب الوراق عن ابراهيم الخواص انه كان يقول ان سمع المتوكل خالفه بحركة شديدة فتجردلها قلبه خرج من حد هذا التوكل المخصوص التفت اليها أولم يلتفت وهكذا لو طالت أيامه بالسير في البرية اذا كان فيها واستعان في مسيره بعكازة يتوكأ عليها أو منطقة يشد بها وسطه أو يغير عليه عند رؤية قطاع الطريق ولم يكونوا عنده كسائر الناس وهذا ان وجد في قلبه الميل الى الخلقان دون الجدد خرج في جميع هذا من حد التوكل وقال أيضا اكثر الخلق تعلقوا بالاسباب فاذا صحت المعرفة لله بالقلب سكن القلب الى ما في الغيب أشد من سكونه الى ما في اليد من الاسباب الظاهرة لان ما في يد العبد لا يدري ما يحدث الله فيه وماله عند الله هو الباقي يأتي به على أوقاته فاذا كان القلب قويا عند زوال الدنيا وادبارها متبرما بما في اليد منها صح التوكل واذا ضعفت المرآة في القلب ركن القلب الى الاسباب وخاف من زوالها قبل ان تزول فان زال منها شيء لحق القلب الجزع والتغير من خوف الفقر

(فصل) قال السري رحمه الله تعالى في قوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما ان المتقي يكون رزقه من كسبه لان الله تعالى يقول و يرزقه من حيث لا يحتسب فكانه يقول اجعلنا اماما للمتوكلين الذين أرزاقهم لا من اكسابهم بل من حيث لا يحتسبون وهؤلاء هم أهل الصفوة والصفاء الصوفيون الذين توكلوا على الله لله بالله لا في الارزاق ولا في العالم يدعليهم من الارفاق كما قال قائلهم الدنيا فانية والآخرة باقية والارزاق مفروغ منها فعلى ماذا أتوكل انما أتوكل عليه ان لا يبعدني من قربه وقال بعضهم الاعتماد على الخلق هو الخذلان ومن اعتمد بسوى ربه في توكله خاب سعيه

(فصل) ويستوي عند الخصوص بعين يقينهم ما جاءهم بواسطة أيديهم وأسباب كسبهم وما جاءهم بايدي غيرهم وبغير كسبهم اذ كان المعطي عندهم واحدا والعطاء كله رزقا فاذا كانت الايدي ظروف العطاء فسواء كان الظرف يدك أو يد غيرك وسواء كان السبب كسبك أو كسب سواك لك اذ جميعه رزقك ومثل هذين أيضا يستوي عندهم ما ظهر بيد القدرة لا خلق فيه ولا واسطة به وما ظهر بايديهم من الحركة وترتيب العرف والعادة لان القدرة أيضا بمنزلة ظرف للعطاء ظهر العطاء بها كايدي العباد من يد الانسان نفسه أو يد غيره فهذه المعاني الثلاثة عند الموقنين الموحدين سواء لا يترجح بعضه على بعض لرجحان ايمانهم وقوة يقينهم ونفاذ مشاهدتهم اذ كله حكمة بالغة وقدرة نافذة على حكم واحد وقادر واحد

(فصل) الاسواق موائد الاباق يطعم المولى منها من أبق من خدمته وهرب من مجالسته ووهن عن معاملته وجبن في متاجرته أما سمعت قول الله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون أي ما أريد ان يرزقوا خلقي ان الله هو الرزاق أي انه لا يطالبهم ان يرزقوا انفوسهم اذا خدموه فذكر الله في هذه الآية الوجوه الثلاثة من تصرف العبيد التي أباحها الموالي ثم اختار لنفسه أحدها وهو الخدمة وعليه الكفاية واختار من العبد أحدها فجعلها عليه وتنزه عن أحدها وتعالى عنه وهو الاطعام من العبيد له وصرف عموم العبيد في الوجه الثالث من الاطعام لانفسهم وهو التكسب وضرب هذا مثلا بينه وبين خلقه في الارض وله المثل الاعلى في السموات والارض فبقي العبيد من الله بحكمين أحدهما مع اختياره لنفسه من العبادة وهي المعاملة وعليه الرزق كيف شاء ومتى شاء وهؤلاء عبيد الرحمن لا عبيد الدنيا والثاني ما صرف العبيد من التكسب لانفسهم جعل ذلك رزقا منه لهم بجوارحهم ومدحهم على هذا الوصف وهؤلاء عموم العبيد منهم عبيد الدنيا وعبيد الهوى وبقي الموالي مع العبيد على الاحكام الثلاثة التي أباحها لهم وضرب بها المثل بينها وبينهم ان هم اختاروه كان ذلك لهم

(فصل) التوكل على الله لا يمنع دخول اللصوص ولا يمنع وقوع الاقتدار للبلوى بعد الدار والاختيار للمعروفين الاختيار وقد قال أبو يزيد قدس سره وهو من أعلى المتوكلين ما سافرت في قافلة قط الا قطع على الطريق وقال آخر من نظرائه ما خرجت في سفر قط ومعي سبب الا سلط الله على من يأخذه حتى أبقى مع الله بالله

مجردا بالاسباب فهذه آيات يرد الله بها أولياءه اليه في تسليطات يدلهم بها عليه ليرجعوا اليه فالتوكل على الله تعالى في الاسباب لا يوجب بقاءها للعبد ولا ايثاره بها ولا حفظها عليه ولا يقدم شيأ عن شئ ولا يؤخره لصلاح دنيا أو اختيار عبد بل هو الى الاذهاب والاتلاف أقرب لان التوكل قرين للزهد وثمرته فهو يرد المتوكل الى أصله وذلك وصف صادقي المتقين ولولا الامتحان لكثر الصادقون ولولا الاخراج من المعتاد والمألوف لكثر الصالحون فاذا كان مقام المتوكل الرضا بجريان القضاء والمحبة لمواقيع البلاء لم يبال بقي ماله وسلم سببه الذي توكل عليه عنه أو عطب اذ كان محبة وكيله فيه ورضاه به فما عارضه من موافقة محبته وحلاوة رضاه أفضل من اتلاف نفسه ودنياه

(فصل) المتوكلون على درجات منهم من توكل على الله تعالى تعظيما واجلالا ومنهم من توكل عليه ثقة به وتنزيها له ومنهم من توكل عليه يقينا بوعده لتحقيق صدقه ومنهم من توكل عليه حبا له ومنهم من توكل عليه استسلاما لما شهد من قرب عزه وعظيم قدره ومنهم من توكل عليه خوفا منه ومنهم من توكل عليه لحسن ظنه به وصدق رجائه له ومنهم من توكل عليه تسليما له من جميل معاملته ومنهم من توكل عليه ليحفظه فيما استحفظه فيما له عليه ومنهم من توكل عليه لقيامه بشهادته عن حسن معرفته وكلهم توكل عليه لان توحيده له وشهادة قيوميته ذلك يقتضيه فهذه كلها مواجيد أوليائه ومنهاج أحبابه عن مشاهدة القرب ومعرفة القريب وبعضها أعلى مقاما من بعض وبعض المشاهدات أقرب وأرفع فاعلاها من توكل عليه للاجلال والتعظيم وأوسطها من توكل عليه للمحبة والخوف وأدناها من توكل عليه تسليما له وتحببا اليه وقد ذكرنا من توكل العوام ما يستحي العارفون من ذكره وهو التوكل عليه في القوت لانه هو المقيت كما هو المحيي المميت فكما يحيي ويميت فكذلك يرزق القوت

(فصل) قيل لسهل رحمه الله تعالى متى يصلح للعبد التوكل قال اذا علم ان تدبير مولاه خير من تدبيره لنفسه وان نظر مولاه له أحسن من نظره لنفسه فيترك الفكر فيما كان والتمني لما يكون ويترك التدبير ولله عاقبة الامور وهو على كل شئ قدير شكور والى هنا انتهى بنا الكلام على شرح مقام التوكل والحمد لله على نعمائه والصلاة والسلام على سيد أنبيائه وخيرته من أوليائه قال المؤلف تجز ذلك في الساعة الثالثة من ليلة الاثنين لست بقين من ذي القعدة سنة ١٢٠٠ والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(كتاب المحبة والشوق والانس والرضا وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما الله ناصر كل صابر)

الحمد لله الذي رفع الحجاب عن قلوب الاحباب * وألهمهم بدوام ذكره والانس به والرضا الاصابة لمحجة الصواب أحمده حمدا أستوجب به مزيد الثواب وأستزيد به زيادات أولي الالباب وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة موقن بقلبه غير مرتاب متلذذ في دار الوصال برائق الشراب * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله أشرف محبوب وأخص الاحباب * المرسل بأشرف كتاب * المؤيد بفصل الخطاب في أجل خطاب * صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الانجاب وأصحابه المكرمين الاقطاب وعلى كل تابع لهم باحسان مالمع البرق وهمل السحاب * وسلم تسليما كثيرا وبعد فهذا شرح

(كتاب المحبة والشوق والانس والرضا)

وهو السادس والثلاثون من كتب الاحياء للامام الهمام قطب العلماء الاعلام أبي حامد حجة الاسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي سقى الله رمسه هاطلات رحمته وأسبغ على حظيرته سابغات مغفرته يسبي لب مطالعه بما أضمنه من مطالع الاسرار ويذهل فكر معانيه بمباني مطاويه من معاني مشارق الانوار ويفصح عن مكامن اشاراته المرموزة العجيبة ويسمح بافشاء أسرار فوائده المستملحة الغريبة كشفا تثبت به محجة الصواب وبيانا تبتهج به بصائر أولي الالباب من رام مساومته قصدته الحيرة والاندهاش أو سام معارضته عارضه الذهول وطاش فيا لها من مخدرات حسان أبكار وغوان لم يطمثهن انس ولا جان ومحتجبات في خدور الخيام لم يظفر بوصالهن الا من جفا من مضاجعه أطيب المنام وجد في آثار الاطلاب مع الطلاب فنال بما

لم يكن له في حساب ولقد أرخيت فيه أعنة الافصاح مع الاختصار التام وآثرت التخفيف لا التطفيف لئلا تكل عن مطالعته أفهام الخواص والعوام والله تعالى أستعينه فيما أروم وأستهديه انه هو القادر المجيب لا اله الا هو عليه توكلت واليه أنيب قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه) هم الموالون بولايته المحبون له لذاته المستهترون بذكره المهيمون في محبته (ونزهها) أي قدسها وطهرها (عن الالتفات الى متاع الدنيا) هو اسم لما يستمتع الانسان به من اعراضها (ونضرته) أي زينته وبهجته والضمير راجع الى المتاع وفي بعض النسخ الى زخرف الدنيا ونضرته والزخرف الزينة كما قال تعالى حتى اذا أخذت الارض زخرفها (وصفى) من التصفية وهو التخليص (أسرارهم) جمع سر بالكسر وهو ألطف من الروح وهو محل المشاهدة كما ان الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة (عن ملاحظة غير حضرته) والملاحظة النظر باللحاظ وهو مؤخر العين وبين حضرته ونضرته تجانس (ثم استخلصها) أي اتخذ تلك الاسرار خالصة (للعكوف) أي الاقبال والاقتصار والملازمة (على بسائط عزته) وأصل البساط الارض الواسعة الارجاء والعزة الغلبة الآتية على كلية الظاهر والباطن (ثم تجلى لها) أي لسرائرهم وفي نسخة لهم (بأسمائه وصفاته) أي بمعانيها وامتيازها عن الذات بقدر ما يتصور في حقهم وأصل التجلي ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب (حتى أشرقت بأنوار معرفته) وهو السبيل المفتوح للخلق وفيه تتفاوت مراتبهم (ثم كشف لهم عن سبحات وجهه) أي جلاله وعظمته وبهائه (حتى احترقت بنار محبته) أشار به الى الخبر الوارد المتقدم بذكره ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره (ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت) أي حارت (في بيداء) أي صحراء (كبريائه وعظمته فكلما اهتزت) أي تحركت (لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش) والحيرة (ما غبر في وجه العقل وبصيرته) يشير بذلك الى السبيل المسدود في المعرفة الا في حق الله تعالى وهو السبيل الحقيقي الذي قال المصنف في المقصد الاسنى في حقه انه لا يهتز أحد من الخلق لنيله وادراكه الا ردته سبحات الجلال الى الحيرة ولا يشرئب أحد لملاحظته الا غطى الدهش طرفه (وكلما همت بالانصراف) عن تلك الملاحظة حالة كونها (آيسة) أي قاطعة أملها في النيل والادراك (نوديت من سرادقات الجمال) وأصل السرادقات ما يدار حول الخيمة بلا سقف (صبرا أيها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته) فالانسان خلق من عجل وجبل بوصف الجهل وهو وصف له ذاتي فبجهله اذا تمكن لا يدرك غور الامور وبعجلته قد يفوته الفوز بالسرور ولو صبر وتأنى لنال ما تمنى (فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته) غير متنفسة ولا غائبة وهذا هو مقام الفرق من ثمرات المحبة (ومحترقة بنار محبته) والمحبة فرع من المعرفة فمن لم يعرف لم يحب ولذلك أخر ذكر المحبة بعد المعرفة (والصلاة) والسلام (على) سيدنا (محمد خاتم الانبياء) والمرسلين وجودا كما انه فاتحهم نشأة (بكمال نبوته) وتمام رسالته (وعلى آله وأصحابه سادة الخلق) أي رؤسائهم (وأئمته) الذين يقتدى بهم (وقادة الحق وأزمته) جمعا قائد وزمام فالقائد هو رئيس القوم والزمام ما تزم به الناقة أي تحبس وهو كالخطام أي هم يقودون أهل الحق الى الحق ويزمونهم عن الميل الى ضده (وسلم كثيرا أما بعد فان المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات) وهو الثامن من مقامات اليقين وعند أبي طالب المكي هو التاسع منها وذلك لانه قدم ذكر مقام الرضا على مقام المحبة وعكسه المصنف فقدم ذكر المحبة على مقام الرضا قال صاحب القوت المحبة من أعلى مقامات العارفين وهي ايثار من الله لعباده المخلصين ومعناها نهاية الفضل العظيم (فما بعد ادراك المحبة مقام) أو حال (الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا وأخواتها) مما يضاف اليها فمما يضاف الى الانس القرب والسكينة والطمأنينة والانبساط والغيرة ومما يضاف الى الشوق الوجد والقلق والدهش والهيمة والتمكين ولها ثمار أخر لا يطلع عليها السالك حتى يعثر عليها فلا مطمع في الانتهاء وللمحبة فضائل وهي متضمنة ان معرفة الله آكد المعارف فانه أظهر الموجودات أولها معرفة خاصتها ويضاف اليها

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه عن الالتفات الى زخرف الدنيا ونضرته وصفى أسرارهم من ملاحظة غير حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ثم تجلى لهم بأسمائه وصفاته حتى أشرقت بأنوار معرفته ثم كشف لهم عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما أغبر في وجه العقل وبصيرته وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا أيها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته * فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته ومحترقة بنار محبته والصلاة على محمد خاتم الانبياء بكمال نبوته وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمته وقادة الحق وأزمته وسلم كثيرا *(أما بعد)* فان المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا وأخواتها

ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها وأما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى أنكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى وأما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثال ولما أنكروا المحبة أنكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان أن لا مستحق للمحبة الا الله تعالى ثم بيان ان أعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الانس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الانس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان أن الدعاء وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة فهذه جميع بيانات هذا الكتاب

الذكر والفرق والذوق والحظ والوقت والصفاء ولها حقيقة وبضاف اليها النفس والفرق والغيبة والسكر والصحو والفناء والوجود والجمع والتعظيم (ولا قبل المحبة مقام) أو حال (الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها) فهي ميراث التوحيد والمعرفة وبه يظهر سر تاخير المصنف اياها بعد التوحيد (وسائر المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها وأما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى أنكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى) والازدياد من الاعمال لينال به الثواب (وأما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل) وفي نسخة الا مع الحس والمثال (ولما أنكروا) حقيقة (المحبة أنكروا) ثمراتها مثل (الانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه) وهذا كلام قاصر النظر على المحسوسات لا يلتفت له ولا يرجع اليه فان الاجماع قائم على ان العلم لذيذ في نفسه وليس بينه وبين المحسوسات نسبة وليس للمحبة معنى غير الميل الى اللذيذ الموافق كما سيأتي بيانه ومتى بطلت مسئلة المحبة بطلت مقامات الايمان والاحسان جميعها وتعطلت منازل السير فان المحبة روح كل مقام ومنزلة وعمل فاذا خلا منها فهو ميت ونسبتها الى الاعمال كنسبة الاخلاص اليها بل هي حقيقة الاخلاص (ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع) من الكتاب والسنة واجماع الامة (في المحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان ان لا مستحق للمحبة الا الله تعالى) وحده (ثم بيان ان أعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشرف ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الانس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الانس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان ان الدعاء وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة فهذا جميع بيانات هذا الكتاب) وهي خمسة عشر

(بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض) ثابت بدليل قطعي الثبوت والدلالة (وكيف يفرض ما لا وجود له) هذا انكار على من أنكر المحبة أصلا وسبب انكارهم اياها انهم رأوا ان الحدود لا تزيدها الا خفاء وجميع من تكلم فيها انما هو في أسبابها وجهاتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة ثم رد على من فسرها بالطاعة فقال (وكيف يفسر الحب بالطاعة) والانقياد لنيل الثواب (والطاعة تبع الحب وثمرته) فكيف تكون الثمرة حدا للمثمر والتابع حدا للمتبوع (فلا بد وان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب) فعلم من ذلك ان تفسيرها بالطاعة تفسير باللازم وليس بحد تام ولا تحد بحد أوضح منها فحدها وجودها ولا تحد بوصف أظهر منها (ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم (يحبهم ويحبونه) ثم قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فهذا الخبر هو متصل بالابتداء في المعنى لان الله تعالى وصف المؤمنين المحبين بفضله عليهم وما اعترض بينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين (وقوله تعالى) ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) وهو اشارة الى أن الايمان يحرض على حب الله تعالى ويدعو اليه قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فابان

(بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى) اعلم أن الامة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسول ان الله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد وأن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله

وهو دليـل على اثبات الحب واثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان فى أخبار كثيرة اذ قال أبو رزين العقيلى يارسول الله ماالايمان قال أن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما وفى حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وفى حديث آخر لا يؤمن العبد حتى أكون أحب اليه من أهله وماله والناس أجمعين وفى رواية ومن نفسه كيف وقد قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم الآية وانما أجرى ذلك فى معرض التهديد والانكار

أن اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم من موجبات محبة الله عز وجل فاذا كان اتباع النبى صلى الله عليه وسلم ايمانا وجب أن يكون حب الله الموجب له ايمانا (وهو) أيضا (دليل على اثبات الحب واثبات التفاوت اليه) لفظ القوت وكل مؤمن بالله فهو محب لله تعالى ولكن محبته على قدر ايمانه وكشف مشاهدته وتجلى المحبوب له على وصف من أوصافه دليل ذلك استجابتهم له التوحيد والتزام أمره وتسليم حكمه ثم تفاوتهم فى مشاهدات التوحيد فى التزام الامر وفى تسليم الحكم فليس ذلك يكون الا عن محبة وان تفاوت المحبوب على حسب أقسامهم من المحبوب وليس يصغر عن المحبة صغير كما لا يصغر عن المعرفة من عرف ولا يكبر على التوبة كبير ولو كان على كل العلوم قد أوقف لان الله تعالى وصف المؤمنين بشدة الحب له فقال والذين آمنوا أشد حبا لله وفى قوله أشد دليل على تفاوتهم فى المحبة لان المعنى أشد فاشد ولم يقل شديد الحب لله فاشبه هذا الخطاب قوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم فدل على ان تفاوتهم فى الاكرام على قدر تفاضلهم فى التقوى ولم يقل ان الكرام المتقون فالمؤمنون متزايدون فى الحب لله على تزايدهم فى المعرفة به والمشاهدة له (وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان) بالله (فى أخبار كثيرة اذ قال أبو رزين) لقيط بن عامر بن المنتفق العامرى (العقيلى) وافد بنى المنتفق رضى الله عنه (يارسول الله ما الايمان قال أن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما) قال العراقى أخرجه أحمد بزيادة فى أوله وفيه انقطاع انتهى قلت لفظ الحديث أن تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما وأن تحترق بالنار أحب اليك من أن تشرك بالله وأن تحب غير ذى نسب لا تحبه الا لله فاذا كنت كذلك دخل حب الايمان فى قلبك كما دخل حب الماء للظمآن فى اليوم القائظ قال السيوطى فى الجامع الكبير بعد ان ذكره حسن (وفى حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما) كذا فى القوت قال العراقى متفق عليه من حديث أنس بلفظ لا يجد حلاوة الايمان حتى وذكره بزيادة انتهى قلت الذى فى المتفق عليه من حديث أنس بلفظ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار ورواه كذلك الطيالسى وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والبيهقى فى الشعب كلهم من حديث أنس ورواه أيضا البغوى والطبرانى والبزار من حديث أبى امامة وفى رواية لابن حبان من حديث أنس ثلاث من كن فيه كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما والرجل يحب القوم لا يحبهم الا فى الله والرجل ان قذف فى النار أحب اليه من أن يرجع يهوديا أو نصرانيا (ومن حديث آخر لا يؤمن العبد حتى أكون أحب اليه من أهله وماله والناس أجمعين وفى رواية ومن نفسه) قال العراقى متفق عليه من حديث أنس واللفظ لمسلم دون قوله ومن نفسه وقال البخارى من والده وولده وله من حديث عبد الله بن هشام قال عمر يارسول الله لانت أحب الى من كل شئ الا نفسى فقال لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك قال عمر فأنت الآن والله أحب الى من نفسى فقال الآن ياعمر اه قلت حديث أنس أخرجه كذلك أحمد وعبد بن حميد والنسائى وابن ماجه والدارمى وابن حبان ولفظهم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين وأما حديث عبد الله بن هشام فاخرجه أحمد مختصرا لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وأما تلك القصة فاخرجها البخارى فى مناقب عمر وفى الاستئذان وفى النذور عن أبى عقيل زهرة بن معبد عن جده عبد الله بن هشام قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فذكرها (كيف وقد قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم الآية) وتمامها وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين فابان بهذا ان حب الله وحب رسوله والجهاد فى سبيله فرض لانه لا ينبغى أن يكون شئ سواه أحب اليهم منه (وانما أجرى ذلك فى معرض التهديد والانكار) قال العراقى رواه البيهقى فى الشعب عن أبى عبد الله

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله اياي ويروى أن رجلا قال يارسول الله اني أحبك فقال صلى الله عليه وسلم استعد للفقر فقال اني أحب الله تعالى فقال استعد للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون

ابن خفيف دخل البصرة على أبي العباس بن سريج فقال له ابن سريج أين تعرف في نص الكتاب ان محبة الله فرض فقال لا أدري ولكن يقول القاضي فقال قوله عز وجل قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم الى فتربصوا والوعيد لا يكون الا على ترك الفرض ا (وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة) فيما شرعه من الاحكام (فقال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله تعالى) قال العراقي رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن غريب اه قلت ورواه كذلك الطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة وأحبوا أهل بيتي قال البيهقي في الشعب قال الحليمي وهذا يحمل على أن يكون عاما الا نعمه كلها وأن يكون اسم الغذاء في الطعام والشراب حقيقة ولما عداهما من التوفيق والهداية ونصب اعلام المعرفة وخلق الحواس والعقل مجازا أو يكون جميع ذلك بالاسم مرادا فقد روي ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان وفي رواية ذاق طعم الايمان وانما يكون الطعم للاغذية وما يجري مجراها فاذا جاز وصف الايمان بالطعم جازت تسميته غذاء فيدخل الايمان وجميع نعم الله عز وجل في هذا الحديث اه وقال صاحب القوت عقب ايراده هذا الحديث فدل ذلك على فرض الحب لله وان تفاضل المؤمنون في نهايات فضائله ومن أفضل ما أسدى الينا من نعمه المعرفة به فافضل الحب له ما كان عن المشاهدة والمحبوب لله على مراتب من المحبة بعضها أعلى من بعض فاشدهم حبا لله أحسنهم تخلقا باخلاقه مثل العلم والحلم والعفو وحسن الخلق والستر على الخلق وأعرفهم بمعاني صفاته اتركهم منازعة له في معاني الصفات كيلا يشركوه فيها مثل الكبر وحب الغنى والعز وطلب الذكر ثم أشدهم حبا لرسوله اذ كان حب الحبيب وأتبعهم لآثاره وأشبههم هديا بشمائله (و) قد (يروى ان رجلا قال يارسول الله اني أحبك فقال صلى الله عليه وسلم استعد للفقر فقال اني أحب الله فقال استعد للبلاء) هكذا هو في القوت قال العراقي رواه الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل بلفظ فاعد للفقر تجفافا دون آخر الحديث وقال حسن غريب اه قلت لفظ الترمذي ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا فان الفقر أسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه وقد رواه كذلك أحمد والطبراني والبيهقي وقد روي ذلك من حديث أبي هريرة وأبي ذر فحديث أبي هريرة لفظه ان كنت تحبني فاتخذ للبلاء تجفافا فوالذي نفسي بيده للبلاء أسرع الى من يحبني من الماء الجاري من قلة الجبل الى حضيض الارض اللهم فمن أحبني فارزقه العفاف والكفاف ومن أبغضني فاكثر ماله وولده رواه البيهقي في السنن وفي الزهد وضعفه وابن عساكر وأما حديث أبي ذر فلفظه ان كنت تحبنا فاعد للفقر تجفافا فان الفقر أسرع الى من يحبنا من السيل من أعلى الاكمة الى أسفلها رواه الحاكم وقال صاحب القوت بعد أن ذكر الحديث والفرق بينهما ان البلاء من أخلاق المبتلي وهو الله تعالى المبتلي فلما ذكر محبته اختبره للبلاء ليصبر على أخلاقه كما قال ولربك فاصبر فدل على أحكامه وبلائه والفقر من أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذكر محبته دله على اتباع أوصافه ليقتفي آثاره لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في جملة المساكين (وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير) بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدي أحد السابقين الى الاسلام أسلم والنبي صلى الله عليه وسلم في دار الارقم وكتم اسلامه خوفا من أمه وقومه فعلم عثمان بن طلحة فاعلم أهله فاوثقوه فلم يزل محبوسا الى أن هرب مع من هاجر الى الحبشة ثم رجع الى مكة فهاجر الى المدينة وشهد بدرا ثم أحدا ومعه اللواء فاستشهد رضي الله عنه (مقبلا وعليه اهاب كبش) أي جلده (قد تنطق به) أي جعله كهيئة النطاق (فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبوين يغذوانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون) قال العراقي رواه أبو نعيم في الحلية باسناد حسن اه قلت رواه عن أبي عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا ابراهيم الحوراني حدثنا عبد العزيز بن عمير حدثنا زيد بن أبي الزرقاء حدثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران عن زيد بن الاصم عن عمر بن الخطاب قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير فذكره وذكر محمد بن اسحق عن صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي

وقاص

انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك أحب الي من الماء البارد وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها فقال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشئ بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال أبو سليمان الداراني ان من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا وروى ان عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم

وقاص قال كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة وأجوده حلة مع أبويه وأخرج الترمذي بسند فيه ضعف عن علي قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير فبكى للذي كان فيه من النعمة ولما صار اليه (وفي الخبر المشهور ان ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فأوحى الله اليه هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض) هكذا هو في القوت قال العراقي لم أجد له أصلا قلت وكأنه من الاسرائيليات (وهذا لا يجده الا عبد يحب الله بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه) ولفظ القوت بعد قوله بكل قلبه عندها يشتاق اليه مولاه فينزعج القلب لشوق الغيب فيحب لقاءه (وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك أحب الي من الماء البارد) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي الدرداء بلفظ اللهم اني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني الى حبك اللهم اجعل حبك أحب الي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد وقد تقدم في كتاب الدعوات وروى البيهقي في الشعب عن مالك بن دينار قال بلغنا ان داود عليه السلام كان يقول في دعائه اللهم اجعل حبك أحب الي من سمعي وبصري ومن الماء البارد (وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام الا اني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشئ بعد الاسلام فرحهم بذلك) قال العراقي متفق عليه من حديث أنس ومن حديث أبي موسى وابن مسعود بنحوه اهـ قلت حديث أنس رواه أيضا مالك في رواية معين وأبو بكر بن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والترمذي وفي لفظ للترمذي بزيادة وأنت مع من أحببت وقال صحيح ورواه البيهقي بزيادة وله ما اكتسب وقال غريب وأما حديث ابن مسعود فرواه الشيخان وأما حديث أبي موسى فرواه أحمد والشيخان والقشيري في رسالته قال حدثنا ابن فورك حدثنا الحسن بن جماد بن فضالة حدثنا يحيى بن حبيب حدثنا مرحوم بن عبد العزيز عن سفيان الثوري عن الاعمش عن أبي وائل عن أبي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال المرء مع من أحب وقد روى ذلك من حديث أبي ذر وجابر وعروة بن مضرس وصفوان بن عسال وصفوان بن قدامة وابن عبد الرحمن ومعاذ فحديث أبي ذر رواه ابن منيع وأبو نعيم والضياء وحديث جابر رواه عبد بن حميد وأبو عوانة وحديث عروة بن مضرس رواه الطبراني في الكبير والشيرازي في الالقاب وابن عساكر وحديث صفوان بن عسال رواه الطيالسي وأحمد والترمذي وقال حسن صحيح وابن خزيمة والطبراني وابن حبان والضياء وحديث صفوان بن قدامة رواه أبو عوانة وابن قانع والطبراني وابن حبان وحديث عبد الرحمن بن صفوان وهو صحابي صغير رواه الطبراني في الكبير وحديث معاذ رواه الطبراني أيضا (وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها) فالمحبة والزهد من ثمرات المعرفة قال (والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (ان من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا) نقله صاحب القوت (ويروى ان عيسى عليه السلام مر) في سياحته (بثلاثة نفر) من العباد (قد نحلت أبدانهم) أي ضعفت (وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى) من النحول والتغير (فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف) مما يخاف (ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيرا) من أولئك (فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم

ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذاهم أشد نحولا وتغيرا كأن على وجوههم المرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا بحب الله عز وجل فقال أنتم المقربون أنتم المقربون أنتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قائم في الثلج فقلت أما تجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد وعن سري السقطي قال تدعى الامم يوم القيامة بانبيائها عليهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فانهم (٥٥٠) ينادون يا أولياء الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل أحبه واذا أحبه أقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسى ما دونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدي أنا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال يحيى بن معاذ الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا أخذتني اليك وسربلتني بمعرفتك وأمكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري فكيف والثبات انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة لاني محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فليشتغل به

* (بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى) *

اعلم أن المطالب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى * فأول ما ينبغي أن

ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذاهم أشد نحولا وتغيرا) من أولئك (وكان على وجوههم المرائي من النور) أي تلمع وجوههم اضاءة كاضاءة المرائي (فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا بحب الله عز وجل) لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته (فقال أنتم المقربون أنتم المقربون أنتم المقربون) نقله صاحب القوت بلفظ وقد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال لهم ما أنتم فقالوا نحن عباد قال فلاي شئ تعبدتم فقالوا خوفنا الله من ناره نخفنا منها (وقال عبد الواحد بن زيد) البصري العابد (مررت برجل قائم في الثلج) في يوم بارد (فقلت) له (أما تجد البرد) فتنتقل عنه (فقال من شغله حب الله لم يجد البرد و) يروى (عن سري) بن المغلس (السقطي) رحمه الله تعالى (قال تدعى الامم يوم القيامة بانبيائها عليهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد) صلى الله عليه وسلم (غير المحبين لله فانهم ينادون يا أولياء الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا) حيث خوطبوا بذلك الخطاب (وقال هرم بن حيان) العبدي قال ابن عبد البر هو من صغار الصحابة وعده ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية من كبار التابعين (المؤمن اذا عرف ربه عز وجل أحبه واذا أحبه أقبل اليه) برحمته (واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (عفوه) تعالى (يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسى ما دونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب) المنزلة ان الله تعالى يقول (عبدي أنا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا) قال القشيري رأيت ذلك بخط الاستاذ أبي علي رحمه الله تعالى يعني الدقاق (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (مثقال خردلة من الحب أحب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب) نقله القشيري في الرسالة (وقال يحيى بن معاذ) أيضا في جملة ما كان يخاطب به مولاه (الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا أخذتني اليك وسربلتني بمعرفتك وأمكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقولك ولما طر شاربي) أي بقل (ولاح طائري فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دمدمة وبالضراعة اليك همهمة) والدمدمة الحركة الخفية والهمهمة الصوت الخفي (لاني أحبك وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف) وله مثل هذا الكلام في الرجاء وكانت وفاته سنة ٣٥٨ (وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به) فانه أكيد والله الموفق

(بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان المطالب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها) الجالبة لها (ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فأول ما ينبغي ان) يعلم ان هذه المادة تدور على خمسة أشياء أحدها الصفاء والبياض ومنه قيل حبب الاسنان لبياضها ونضارتها الثاني العلو والظهور ومنه حبب الماء وحبابه وهو ما يعلوه من النفاخات عند المطر وحبب الكاس منه الثالث اللزوم

يتحقق انه لا يتصوّر محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه ولذلك لم يتصوّر أن يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام والذاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند المتلذذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوى سمى عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوى سمى مقتا فهذا أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته *(الاصل الثاني)* ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة ادراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في

والثبات ومنه حبب البعير وأحب اذا برك فلم يقم الرابع اللباب والخلوص ومنه حبة القلب للبه وداخله ومنه الحبة لواحدة الحبوب اذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه الخامس الحفظ والامساك ومنه حب الماء الذي يحفظه فيه ويمسكه وفيه معنى الثبوت أيضا ولا ريب ان هذه الخمسة من لوازم المحبة فانها صفاء المودة وهيجان ارادة القلب وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد وثبوت ارادة القلب للمحبوب ولزومها لزوما لا يفارق ولاعطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده وهو قلبه ولاجتماع عزماته وارادته وهمومه على محبوبه فاجتمعت فيها المعاني الخمسة ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للشيء غاية المناسبة الحاء التي هي من أقصى الحلق والباء الشفهية التي هي نهاية فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه واعطوا الحب حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها واعطوا الحب وهو المحبوب حركة الكسر وذلك لخفة ذكر المحبوب على قلوبهم وألسنتهم مع اعطائه حكم نظائره كنهد وذبح للمنهد والمذبوح فتأمل هذه المطابقة والمناسبة العجيبة بين اللفظ والمعنى يطلعك على قدر هذه اللغة الشريفة وان لها الشأنا ليس كسائر اللغات ثم ينبغي بعد معرفة ذلك أن (يتحقق انه لا يتصوّر محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه) وما لا يعرفه كيف يحبه (ولذلك لم يتصوّر أن يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك) هذا قول الاكثرين وكان سمنون يقدم المحبة على المعرفة كما نقله القشيري أي لكمال شغل العارف بمعروفه واستغراقه في مناجاته حتى يفنى عن نفسه والمحبون تبقى معهم بقايا يتنعمون فيها بمحبوبهم وكل من القولين صحيح باعتبار التوجيهين وقد أشار القشيري الى ترجيح قول سمنون حيث قال وعند محققيهم المحبة استهلاك في لذة والمعرفة شهود في حيرة وفناء في هيبة فتأمل (ثم المدركات في انقسامها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام والذاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند المتلذذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوى سمى عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوى سمى مقتا) وهذا قد صرح به أئمة اللغة قالوا العشق أشد الحب والمقت أشد البغض ثم ان العشق هو سابع مرتبة من مراتب الحب اذ مراتب الحب عشرة أولها العلاقة ثم الارادة ثم الصبابة ثم الغرام وهو حب لازم للقلب ملازمة الغريم لغريمه ثم الود وهو صفو المحبة وخالصها ولبها ثم الشغف وهو وصول الحب الى شغاف قلبه وهو جلدة رقيقة على القلب ثم العشق وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه وبه فسر ولا تحملنا ما لا طاقة به ثم التيم وهو التذلل في الحب ثم التعبد وهو فوق التيم فان العبد الذي ملك المحبوب رقه فلم يبق له شيء من نفسه البتة بل كله لمحبوبه ظاهرا وباطنا والمرتبة الآخرة الخلة التي انفرد بها الخليلان ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم وهي المحبة التي تخللت قلبه حتى لم يبق فيه موضع لغير محبوبه (فهذا أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته) وهو الاول (الاصل الثاني ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة) من الحواس الخمس (ادراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات) دون بعض (وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت) تلك المدركات (محبوبات عند الطبع السليم) عن النقص (فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة) فهي لا تكاد تفتر عن النظر اليها (ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة) والالحان المستملحة فلها تعشق في ذلك ولو كانت تلك النغمات من غير جميل الصورة وقد تكون مع جمال الصورة فيلتذ كل من العين والبصر ومن ذلك سماع محاسن الاوصاف من رجل لم يقع عليه البصر واليه الاشارة بقول القائل * والاذن تعشق قبل العين أحيانا * (ولذة الشم في

الروائح الطيبة ولذة الذوق فى الطعوم ولذة اللمس فى اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة أى كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال رسول الله (٥٥٢) صلى الله عليه وسلم حبب الىّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرة عينى فى الصلاة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لاحظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولاحظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه الا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل فى الخيال فلا يحب فاذا قد بطلت خاصية الانسان وما تميز به من الحس السادس الذى يعبر عنه اما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيه وهيهات فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد ادراكا من العين وجمال المعانى المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التى تجل عن ان تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح مفرطا اليه أقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما فى ادراكه لذة كما سيأتى تفصيله فلا ينكر اذا حب الله تعالى الا من قعد به القصور فى درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس أصلا

الروائح الطيبة) الزكية مثل المسك والعود والعنبر وأشباهها (ولذة الذوق فى الطعوم) الطيبة (ولذة اللمس فى اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة أى كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب الىّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة) رواه النسائى من طريق سلام أبى المنذر عن ثابت عن أنس بلفظ حبب الىّ من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عينى فى الصلاة وليس فيه لفظ ثلاث ومن هذا الوجه أخرجه أحمد وأبو يعلى وأبو عوانة والطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى السنن وآخرون وقد تقدم الكلام عليه فى كتاب النكاح وكتاب ذم الدنيا وهذا موضع ثالث فقول السخاوى فى المقاصد انه رواه فى الاحياء فى موضعين قصور عن تصفح الكتاب (فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لاحظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبا ولاحظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات) بدليل افرادها فى جملة مستقلة (ومعلوم انه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس) زائد على الخمس (مظنته القلب لا يدركه الا من كان له قلب) وقد يكون الانسان بلا قلب (ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الانسان) فان لها ادراكا بها لكنه قاصر عليها (فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل فى الخيال فلا يحب) كما زعمه المنكرون لمحبة العبد لله تعالى (فاذا قد بطل خاصية الانسان وما يميز به من الحس السادس الذى يعبر عنه اما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها) أى لا مضايقة وهو مفاعلة من الشح وقد فسر قوله تعالى لمن كان له قلب تارة بالعقل وتارة بالنور المنبسط فى القلب والاوّل أكثر وبه يتميز عن درجة البهائم فانه به يكمل فعله لانه يدعو الى أفعال مخالفة لمقتضى الشهوة والغضب بخلاف البهائم ففى فعلها نقص لكونه مقصورا على مقتضاهما كما ان فى ادراكها نقصا (وهيهات فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر) فانها هى القوة المنوّرة بنور القدس ترى حقائق الاشياء وبواطنها وهى التى تسمى بالقوة القدسية وأما البصر الظاهر فهو للنفس ترى به صور الاشياء وظواهرها (والقلب) المنوّر بالنور القدسى (أشد ادراكا من العين وجمال المعانى المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التى تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه أقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما فى ادراكه لذة كما سيأتى تفصيله فلا ينكر اذا حب الله تعالى الا من قعد به القصور فى درجة البهائم فلا يجاوز ادراك الحواس أصلا) وقد أفصح المصنف عن هذا المقام فى كتابه مشكاة الانوار فقال اعلم أن نور البصر موسوم بأنواع من النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا ما قرب ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من الاشياء ظاهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له ويغلط كثيرا فى ابصاره فيرى الكبير صغيرا ويرى البعيد قريبا والساكن متحركا والمتحرك ساكنا فهذه سبع نقائض تفارق العين الظاهرة وفى قلب الانسان عين هذه صفة كمالها وهى التى يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانسانى ودع عنك هذه العبارات فانها اذا كثرت أوهمت عند الضعيف البصيرة كثرة المعانى فنعنى به المعنى الذى يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن البهيمة وعن المجنون ونسميه عقلا متابعة للجمهور فى الاصطلاح فنقول العقل أولى بأن يسمى نورا من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائض السبع اما الاولى فهو ان العين لا تبصر نفسها والعقل يدرك غيره ويدرك نفسه ويدرك صفات نفسه ويدرك علم نفسه بل علمه بعلمه بعلم نفسه الى غير نهاية وهذه خاصية لا تتصوّر لما يدرك بآلة الاجسام الثانية أن العين لا تبصر ما بعد منها ولا ما قرب قربا

(الاصل الثالث) ان الانسان لايخفى انه يحب نفسه ولايخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصوّر أن يحب غيره لذاته لالاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لايتصوّر أن يحب الانسان غيره لذاته مالم (٥٥٣) يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته والحق أن ذلك متصوّر وموجود فلنبين أسباب المحبة وأقسامها وبيانه أن المحبوب الاوّل عند كل حى نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه أن فى طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب وأى شئ أتم ملاءمة من نفسه ودوام وجوده وأى شئ أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لالمجرد مايخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة ألم فى الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان أحب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت فى الصفات

مفرطا او العقل يستوى عنده القريب والبعيد و يعرج فى طرفة الى أعلى السموات رقيا و ينزل فى لحظة الى تخوم الارضين هويا الثالثة ان العين لاتدرك الا ماليس وراء الحجاب والعقل يتصرف فيما وراء حجب السموات وفى الملأ الاعلى كتصرفه فى عالمه الخاص به بل الحقائق لاتحتجب عن العقل وانما حجاب العقل حيث يحجب من نفسه لنفسه بسبب صفات هى مقارنة له تضاهى حجاب العين من نفسه عند تغميض الاجفان الرابعة ان العين تدرك من الاشياء ظاهرها وسطحها الاعلى دون باطنها بل قوالبها وصورها دون حقائقها والعقل يتغلغل الى بواطن الاشياء وأسرارها و يدرك حقائقها وأرواحها ويستنبط سببها وعلتها وحكمتها وانها مم حدثت وكيف خلقت ولم خلقت وعلى أى مرتبة فى الوجود نزلت وما نسبتها الى سائر مخلوقاته الخامسة أن العين تبصر بعض الموجودات اذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من المحسوسات ولا تدرك الاصوات ولا الروائح ولا الطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة أعنى قوة السمع والبصر والشم والذوق بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والسرور والغم والحزن والالم واللذة والعشق والشهوة والقدرة والارادة والعلم الى غير ذلك من موجودات لاتحصى فهو ضيق المجال مختصر المجرى لاتسعه مجاوزة عالم الالوان والاشكال وهما أخس الموجودات فان الاجسام فى أصلها أخس أقسام الموجودات والالوان والاشكال من أخس أعراضها والموجودات كلها مجال العقل فيتصرف فى جميعها و يحكم عليها احكاما يقينية صادقة فالاسرار الباطنة عنده ظاهرة والمعانى الخفية عنده جلية فمن أين للعين الظاهرة مجاراته ومساواته السادسة ان العين لاتبصر مالانهاية له فانها تبصر صفات الاجسام والاجسام لاتتصوّر الامتناهية والعقل يدرك المعقولات والمعقولات لاتتصوّر أن تكون متناهية بل يدرك علمه بالشئ وعلمه بعلمه بالشئ فقوته فى هذا الوجه لاتقف عند نهاية السابعة أن العين تبصر الكبير صغيرا فترى الشمس فى مقدار مجن والكواكب فى صور دنانير منثورة على بساط أزرق والعقل يدرك أن الكواكب والشمس أكبر من الارض أضعافا مضاعفة وترى الكواكب ساكنة بل ترى الظل بين يديه ساكنا وترى الصبى ساكنا فى مقداره والعقل يدرك أن الصبى فى النمو والتزايد على الدوام والظل متحرك دائما والكواكب تتحرك فى لحظة أميالا كثيرة وأنواع غلط البصر كثيرة والعقل منزه عنها فان قلت نرى العقلاء يغلطون فى نظرهم فاعلم أن فيهم خيالات وأوهاما واعتقادات يظنون أن أحكامها أحكام العقل فالغلط منسوب اليها فاما العقل اذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصوّر أن يغلط بل يرى الاشياء على ماهى عليه انتهى المقصود منه (الاصل الثالث أن الانسان لايخفى انه يحب نفسه) أى يميل اليها بالطبع والضرورة (ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه) لالذاته (وهل يتصوّر أن يحب غيره لذاته لالاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنوا انه لايتصوّر أن يحب الانسان غيره لذاته مالم يرجع اليه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته والحق ان ذلك متصوّر وموجود فلنبين أسباب المحبة وأقسامها وبيانه أن المحبوب الاوّل عند كل حى نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان فى طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لالمجرد مايخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم) يلحقه (وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك و) اذا فرض انه أحب الموت فانه (لايحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة ألم فى الحياة) لايجد له دفعا (ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء) عنه (فان أحب العدم) لذلك (لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم ممقوت) أى مبغوض (ودوام الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والعدم نقص بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت فى الصفات

وكمال الوجود كما انه ممقوت فى أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة فى الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله و ولده وعشيرته وأصدقاؤه فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه أيضا آلة فى دوام الوجود وكماله وكذا سائر الاسباب فالانسان يحب هذه الاشياء لا لاعيانها بل لارتباط حظه فى دوام الوجود وكماله بها حتى انه ليحب ولده وان كان لا يناله منه حظ بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه فى الوجود بعد عدمه فيكون فى بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع فى بقاء نفسه أبدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاء المحقق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فان العشيرة والمال والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فاذا المحبوب الاول عند كل حى ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو أول الاسباب * السبب الثانى الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها و بغض من أساء اليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي اشارة الى أن حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها و بهذا السبب قد يحب الانسان الاجنبي الذى لا قرابة بينه و بينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول فان المحسن من أمد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التى بها يتهيأ الوجود الا أن الفرق ان أعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهى عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذى

وكمال الوجود كما انه ممقوت فى أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام أصل الوجود محبوب وهذا غريزة فى الطباع) لا تتخلف عنها (بحكم سنة الله تعالى) التى خلت فى عباده (ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله و ولده وعشيرته وأصدقاؤه فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها) وفقدها ولو بعضها يفضى للنقص وهو يفضى الى ما يناقض الدوام (والمال محبوب لانه أيضا آلة فى دوام الوجود وكمال وكذا سائر الاسباب) فانها كذلك آلات فيما ذكر (فالانسان يحب هذه الاشياء لا لاعيانها بل لارتباط حظه فى دوام الوجود وكماله بها حتى انه ليحب ولده وان كان لا يناله منه حظ) فى العاجل (بل يتحمل المشاق لاجله) و يركب الصعب والذلول (لانه يخلفه فى الوجود بعد عدمه) وهلاكه (فيكون فى بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع فى بقاء نفسه أبدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم) كما قيل المرء قليل بنفسه كثير باخوانه (فان العشيرة والمال والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان) فى حصول القوة (وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فاذا المحبوب الاول عند كل حى ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا أول الاسباب السبب الثانى الاحسان فان الانسان) كما قيل (عبد الاحسان وقد) روى عن ابن مسعود موقوفا (جبلت القلوب على حب من أحسن اليها و بغض من أساء اليها) رواه أبو نعيم فى الحلية وأبو الشيخ وابن حبان فى روضة العقلاء والخطيب فى التاريخ وآخرون كلهم من طريق اسمعيل بن أبان الخياط قال بلغ الحسن بن عمارة ان الاعمش وقع فيه فبعث اليه بكسوة فمدحه الاعمش فقيل للاعمش ذممته ثم مدحته فقال ان خيثمة حدثنى عن ابن مسعود قال جبلت وذكره وهكذا أخرجه ابن عدى فى كامله ومن طريقه البيهقى فى الشعب وابن الجوزى فى العلل المتناهية لكن مرفوعا قال الحافظ السخاوى وهو باطل مرفوعا وموقوفا قال وقد رواه مرفوعا أيضا القضاعى فى مسند الشهاب من طريق ابى عائشة حدثنا محمد بن عبد الرحمن رجل من قريش قال كنت عند الاعمش فذكر القصة والحديث اهـ كلام السخاوى قلت وقد رواه العسكرى فى الامثال من حديث ابن عمر هكذا مرفوعا (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبى) رواه الديلمى من حديث معاذ بسند ضعيف منقطع بلفظ اللهم لا تجعل لفاجر عندى نعمة أكافئه بها فى الدنيا والآخرة وفى لفظ نعمة يرعاها بها قلبى وقد تقدم (اشارة الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها و بهذا السبب قد يحب الانسان الاجنبى الذى لا قرابة بينه و بينه ولا علاقة) فى النسب ولا وصلة بينهما (وهذا اذا حقق) وتؤمل فيه (رجع الى السبب الاول فان المحسن من أمد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التى بها يتهيأ الوجود الا ان الفرق) بينهما (ان أعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهى عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطب

الذى يكون سببا فى دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذى هو سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لانه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكل من أحب المحسن لاحسانه فما أحب ذاته تحقيقا بل أحب احسانه وهو فعل من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه * السبب الثالث أن يحب الشئ لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقى البالغ الذى يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال أيضا لذيذ فيجوز أن يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجارى محبوب لا ليشرب الماء وتؤكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الخضرة والماء الجارى والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال

الذى يكون سببا فى دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذى هو سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لانه سبب الصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فمكان من أحب المحسن لاحسانه فما أحب ذاته تحقيقا بل أحب احسانه وهو فعل من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد) الحب (ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه السبب الثالث أن يحب الشئ لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقى البالغ) رتبة الكمال (الذى يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن) والجمال رقة الحسن وقيل هو الحسن الكثير والحسن عبارة عن كل مبتهج مرغوب فيه وقيل هو كون الشئ ملائما للطبع وكونه صفة كمال وكونه يتعلق به المدح (فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن أن حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال أيضا لذيذ فيجوز أن يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجارى محبوب لا ليشرب الماء وتؤكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبه الخضرة والماء الجارى) قال العراقى رواه أبو نعيم فى الطب من حديث ابن عباس كان يحب أن ينظر الى الخضرة والى الماء الجارى واسناده ضعيف اهـ قلت هذا لفظ أبى نعيم وقد أخرجه ابن السنى فى الطب بلفظ المصنف الا انه قال كان يعجبه النظر الى الخضرة والى الماء الجارى أخرجاه من طريق الحسن بن عمرو والسدوسى عن القاسم بن مطيب العجلى عن منصور بن عبد الرحمن الحجبى عن أبى معبد مولى ابن عباس عن ابن عباس والقاسم بن مطيب ضعفوه قال ابن حبان كان يخطئ على قلة روايته وقال فى الديوان استحق الترك (والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال) قال الراغب الجمال ضربان أحدهما يختص بالانسان فى نفسه وفعله والثانى ما يصل منه لغيره ومنه الحديث المذكور تنبيها انه منه تفيض الخيرات الكثيرة فيحب من يتصف بذلك اهـ قال العراقى رواه مسلم فى أثناء حديث لابن مسعود اهـ قلت وقد رويت هذه الجملة صدر حديث عند الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو هكذا من غير زيادة وقد روى بزيادة ويحب أن يرى نعمته على عبده رواه أبو يعلى من حديث أبى سعيد وبزيادة ويحب معالى الامور ويكره سفسافها رواه الطبرانى فى الاوسط وابن عساكر من حديث جابر وروى ابن عساكر عن ابن عمر ان أبا ريحانة قال يا رسول الله انى لاحب الجمال حتى فى نعلى وعلاقة سوطى أفمن الكبر

(الاصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال) اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم الى الصور والاشخاص فيظن أن ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فأي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم أن العين تستلذ بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة ومامن شئ من المدركات الا وهو منقسم الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الاشياء فلابد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شئ فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له فاذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شئ كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شئ في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء فان قلت فهذه الاشياء وان لم تدرك جميعها بحسن البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم أن الحسن والجمال

ذلك قال ان الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده الكبر من سفه الحق وغمص الناس اعمالهم وروى مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس وقد رواه الطبراني من حديث أبي أمامة نحوه ورواه هناد في الزهد عن يحيى بن جعدة مرسلا ونحو حديث جابر (الاصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال اعلم) أرشدك الله تعالى (أن المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة) وسواد الشعر وسعة العين وارتفاع الارنبة (الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحس الاغلب على الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم الى الصور والاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا متقدر فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فأي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين تستلذ بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة) الالحان (ومامن شئ من المدركات الا وهي منقسمة الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي يشترك فيه هذه الاشياء فلابد من البحث عنه) والكلام فيه (وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق) الصريح (ونقول كل شئ فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق له الممكن به) سواء كان لمعنى ثبت في ذاته أو لمعنى ثبت في غيره وسواء كان ذلك مما استحسنه العقل أو الهوى أو الحس (فاذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال) واليه المنتهى في الاستحسان (فان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر) ويقع الاستحسان على ذلك القدر الحاضر (فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون) هذا انما يتعلق بظاهره وفي الالوان اختلاف الناس وانما يقع الاعتبار فيها بما تميل اليه النفوس والرغبات وهي تختلف ولا يتحقق بذلك الشيات (وحسن عدو) وارتكاض (وتيسر كر) أي الحملة (وفر) أي الرجعة (عليه) وهذا مما يتعلق بباطنه فانها أخلاق باطنية قد تكون خلقة وقد تكون من طول الرياضة والتهذيب وهو الاكثر (والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها) أي تقابلها (واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها) بالحدود المذكورة في فن الخط (ولكل شئ كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شئ في كماله الذي يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء) ولكل ذلك نظائر وأشباه لا تخفى (فان قلت فهذه الاشياء وان لم يدرك جميعها بحسن البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن

والجمال موجود فى غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها
العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير وشئ من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور
البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك وأن الامر كذلك أن الطباع
مجبولة على حب الانبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضى الله تعالى عنهم مع انهم لم يشاهدوا بل على حب أرباب المذاهب مثل الشافعى
وأبى حنيفة ومالك وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله فى نصرة مذهبه

والذب عنه ويخاطر بروحه فى قتال من يطعن فى امامه ومتبوعه فكم من دم أريق فى نصرة أرباب المذاهب وليت شعرى من
يحب الشافعى مثلا فلم
يحبه ولم يشاهد قط صورته
ولو شاهده ربما لم يستحسن
صورته فاستحسانه الذى
حمله على افراط الحب
هو لصورته الباطنة
لا لصورته الظاهرة فان
صورته الظاهرة قد
انقلبت ترابا مع التراب
وانما يحبه لصفاته الباطنة
من الدين والتقوى
وغزارة العلم والاحاطة
بمدارك الدين وانتهاضه
لافادة علم الشرع ولنشره
هذه الخيرات فى العالم
وهذه أمور جميلة لا يدرك
جمالها الا بنور البصيرة
فاما الحواس فقاصرة
عنها وكذلك من يحب
أبا بكر الصديق رضى
الله تعالى عنه ويفضله
على غيره أو يحب عليا
رضى الله تعالى عنه
ويفضله ويتعصب له
فلا يحبهم الا لاستحسان
صورهم الباطنة من
العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم أن من يحب الصديق رضى الله تعالى عنه مثلا ليس يحب عظمه ولحمه وجلده واطرافه
وشكله اذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقى ما كان الصديق به صديقا وهى الصفات المحمودة التى هى مصادر السير الجميلة فكان الحب
باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها الى العلم والقدرة اذا علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها
بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب على هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب
بالحقيقة وليس للجزء الذى لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذا الجمال موجود فى السير ولو صدرت السيرة
الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهى الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة وترجع جملتها الى كمال
العلم والقدرة وهو محبوب

والجمال موجود فى غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروأة وسائر الخير وشئ من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة) التى هى أقوى من نور البصر الظاهر (وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك وان الامر كذلك ان الطباع مجبولة على حب الانبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضى الله عنهم مع انهم لم يشاهدوا) ذواتهم بالابصار ولا لحقوا أعصارهم (بل على حب أرباب المذاهب) المتبوعة (مثل الشافعى وأبى حنيفة ومالك) وأحمد (وغيرهم) رحمهم الله تعالى (حتى ان الرجل قد يجاوز حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله فى نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه فى قتال من يطعن فى امامه ومتبوعه فكم من دم أريق فى نصرة أرباب المذاهب) وأكثر ذلك فى ديار خراسان فيما سبق من الزمان (وليت شعرى من يحب الشافعى مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذى حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع) جملة (التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافادة علم الشرع) بين الناس (ولنشره هذه الخيرات فى العالم وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة) الباطنة (فاما الحواس فقاصرة عنها) أى عن ادراكها (وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضى الله عنه ويفضله على غيره) ويقدمه عليه (ويحب عليا رضى الله عنه ويفضله على غيره) ويقدمه عليه (ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره) من خصال الخير (فمعلوم ان من يحب الصديق رضى الله عنه مثلا ليس يحب عظمه ولحمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقى ما كان الصديق به صديقا وهى الصفات المحمودة التى هى مصادر السير الجميلة) ومن جملة ذلك السر الذى كان وقر به صدره (فكان الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير تتشعب على هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذى لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر بالبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذا الجمال موجود فى السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهى الاخلاق الجيدة والفضائل الشريفة وترجع جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب

بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا أردنا أن نحبب اليه غائبا أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الجيدة فهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر أن لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبغض أبي جهل وبغض ابليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاء ووصفوا خالدا بالشجاعة أحبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكى من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار ونأي الديار فاذا ليس

حب الانسان مقصورا على من أحسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهى قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة (السبب الخامس) المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذرب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه أيضا من عجائب أسباب الحب فاذا ترجع أقسام الحب الى خمسة أسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقائه وحبه من أحسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل

العلم

بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه) أي مع طبعه (اذا أردنا ان نحبب اليه غائبا) عن بصره (أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الجيدة فهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله عنهم وبغض أبي جهل وبغض ابليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقابح) المعنوية (التي تدرك لا بالحواس) الظاهرة (بل لما وصف الناس حاتما) الطائي (بالسخاء ووصفوا خالدا) بن الوليد رضي الله عنه (بالشجاعة أحبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكى من سيرة بعض الملوك) الموجودين (في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير) على المحاويج من أهل مملكته (غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار ونأي الديار) الموجب لعدم الوصول الى تلك الاقطار (فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من أحسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهى قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها) لان كل ذلك تابع للادراك (ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة) بسبب انشراح صدره بافاضة النور القدسي عليه (كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء) عليهم السلام (لجمال صورته الباطنة السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذرب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن لمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم) الارواح جنود مجندة (فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) رواه البخاري من حديث عائشة وأحمد ومسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة والعقيلي والدارقطني وأبو نعيم من حديث علي والطبراني من حديث ابن مسعود والحاكم من حديث سلمان وقد تقدم الكلام عليه (وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه أيضا من عجائب أسباب الحب فاذا ترجع أقسام الحب الى خمسة أسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقائه وحبه من أحسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن) وجعل الكمال محمد بن اسحق الصوفي رحمه الله تعالى هذه الاقسام كلها راجعة الى سببين أحدهما الانعام والثاني الجمال وسيأتي نص كلامه في آخر هذا الفصل (فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل

العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا بالاستحالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال فى نفسها فان كانت هذه الصفات فى أقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة فى أعلى الدرجات فلنبين الآن أن هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا فى حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله سبحانه وتعالى

(بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده)

وان من أحب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره فى معرفة الله تعالى وحب الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لانه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والاتقياء لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يتجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر الا الله تعالى ولا مستحق

للمحبة سواه وايضاحه بان نرجع الى الاسباب الخمسة التى ذكرناها ونبين انها مجتمعة فى حق الله تعالى بجملتها ولا توجد فى غيره الا آحادها وانها حقيقة فى حق الله تعالى ووجودها فى حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذى بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبان أن التحقيق يقتضى أن لا تحب أحدا غير الله تعالى *فاما السبب الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حى ولا يتصور أن ينفك عنها وهذا يقتضى غاية المحبة لله تعالى فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله والى الله وبالله فهو المخترع الموجد له وهو المبقى له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس فى الوجود شئ له بنفسه قوام الا القيوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفادا من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقا موجدا ومخترعا مبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة فتنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها

العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا بالاستحالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال فى نفسها فان كانت هذه الصفات فى اقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة فى أعلى الدرجات فلنبين الآن ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا فى حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله سبحانه وتعالى)

(بيان ان المستحق للمحبة هو الله تعالى)

(وحده وان من أحب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره فى معرفة الله تعالى و) ان (حب الرسول) المرسل من عنده (محمود لانه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والاتقياء) الذين هم أحباب الله (لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يتجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر) المنورة (الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه بان نرجع الى الاسباب الخمسة التى ذكرناها ونبين انها مجتمعة فى حق الله تعالى بجملتها ولا توجد فى غيره الا آحادها وانها حقيقة فى حق الله تعالى ووجودها فى حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذى بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبان) أى ظهر (ان التحقيق يقتضى أن لا تحب أحدا غير الله تعالى فاما السبب الاول) من الاسباب الخمسة (وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حى ولا يتصور أن ينفك عنها وهذا يقتضى غاية المحبة لله تعالى فان من عرف نفسه) بغاية النقص (وعرف ربه) بغاية الكمال (عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله تعالى والى الله) تعالى مصيره (وبالله) تعالى قيامه (فهو المخترع الموجد له وهو المبقى له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف) وظلمة خالصة (لولا فضل الله تعالى عليه بالايجاد) من المحو الى الاثبات ومن العدم الى الوجود ومن الظلمة الى النور (وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس فى الوجود شئ له بنفسه قوام الا القيوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقا موجدا ومخترعا مبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة) لا عينها لان الانسان لا يحب الا من يعرف فالمحبة تتبع المعرفة بالضرورة يفهم هذا من قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه أى جهلها فمعرفة النفس موجبة لمعرفة الرب (تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها

ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله تعالى من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور أن يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذى
به قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التى بها قوام الظل وكل ما فى الوجود بالاضافة الى قدرة الله
تعالى فهو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة الى الشمس فان الكل بالآثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن
وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالاضافة الى أوهام العوام اذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض اذا انكشف لارباب القلوب انكشافا أظهر من مشاهدة الابصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس والاجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها أيضا حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق فاذا ان كان حب الانسان نفسه ضروريا فحبه لمن به قوامه أولا ودوامه ثانيا فى أصله وصفاته وظاهره و باطنه وجواهره وأعراضه أيضا ضرورى ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته
وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذى يشاركه البهائم فى التنعم به والاتساع فيه دون عالم
الملكوت الذى لا يطأ أرضه الا من يقرب الى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه فى الصفات من الملائكة و يقصر عنه بقدر انحطاطه الى
حضيض عالم البهائم

وأما

ولذلك قال الحسن البصري) رحمه الله تعالى (من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها) وقد تقدم
قريبا (وكيف يتصور أن يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذى هو قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس
لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التى بها قوام الظل) ومداره (وكل ما فى الوجود بالاضافة الى
قدرة الله تعالى فهو كالظل بالاضافة الى الشجرة) ولذا قيل للعقل الاول الظل الاول لانه أول عين ظهرت بنوره
تعالى وقبلت صورة الكثرة التى هى شؤن الوحدة الذاتية وقيل للانسان الكامل المتحقق بالحضرة الواحدية
ظل الاله وروى الطبرانى والبيهقى من حديث أبى بكرة السلطان ظل الله فى الارض فمن أكرمه أكرمه الله
ومن أهانه أهانه الله (والنور بالاضافة الى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده
كما ان وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر) وهذا السياق اذا تأملته رأيته مائلا الى وحدة
الوجود الذى قال به أهل الحقيقة وهى مسئلة مشهورة شديدة الاختلاف بينهم وبين علماء الظاهر وقد
أشار المصنف الى ذلك فى عدة مواضع من كتابه هذا منها فى هذا الموضع ومنها مامر فى كتاب الصبر والشكر
وهو قوله النظر بعين التوحيد المحض يعرفك انه ليس فى الوجود غيره تعالى الخ وصرح بذلك فى كتابه مشكاة
الانوار وغيره وقد صرح بها الشيخ الاكبر قدس سره فى مواضع من كتابه الفتوحات (بل هذا المثال صحيح بالاضافة
الى أوهام العوام اذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض اذا انكشف لارباب
القلوب انكشافا أظهر من مشاهدة الابصار) وأقوى منها (ان النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا
عند وقوع المقابلة بين الشمس والاجسام الكثيفة كما ان نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها أيضا حاصل
من قدرة الله تعالى) فالنور الحق هو الله تعالى لذاته و بذاته ومنه تشرق الانوار كلها على ترتيبها وهى مستفادة
من النور الاول وانما الحقيقى نوره فقط وان الكل نوره وكل ما فى الوجود فنسبته اليه فى ظاهر الثانى كنسبة
النور الى الشمس (ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق) لاتساعها وضيق ظروف
الامثلة (فاذا ان كان حب الانسان نفسه ضروريا فحبه لمن به قوامه أولا ودوامه ثانيا فى أصله وصفاته
وظاهره و باطنه وجواهره واعراضه أيضا ضرورى ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه
اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته
وهو عالم الشهادة الذى تشاركه البهائم فى التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذى لا يطأ أرضه الا من يقرب
الى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه فى الصفات من الملائكة و يقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضيض
عالم البهائم) اعلم ان فى عالم الملكوت عجائب يستحقر بالاضافة اليها عالم الشهادة ومن لم يسافر الى هذا العالم وقعد
به القصور فى حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن خاصية الانسانية بل أضل من البهيمة اذ لم
تسعد البهيمة أجنحة للطيران الى هذا العالم وعالم الشهادة بالاضافة الى عالم الملكوت كالقشرة بالاضافة الى
اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة بالاضافة الى النور وكالسفل بالاضافة الى العلو والملائكة
من جملة عالم الملكوت عاكفون فى حضرة القدس ومنها يشرفون الى العالم الاسفل والملك عبارة عن موجود
مقدس عن الشهوة والغضب فليست أفعاله بمقتضاهما بل داعية الى طلب القرب الى الله تعالى فمن غلب الشهوة
والغضب حتى ملكهما وضعفا عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبها من الملائكة وكذلك ان فطم نفسه عن
الجمود والخيالات والمحسوسات وأنس بالادراك أخذ شبها من الملائكة فان خاصة الحياة الادراك والفعل
واليهما يتطرق النقصان والتوسط والكمال ومهما اقتدى بالملائكة فى هاتين الخاصتين كان أبعد عن البهيمة

وأما السبب الثانى وهو حبه من أحسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع أعداءه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتهض وسيلة الى جميع حظوظه وأغراضه فى نفسه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لامحالة عنده وهذا بعينه يقتضى أن لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما أنواع احسانه الى كل عبيده فلست أعدها اذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد أشرنا الى طرف منه فى كتاب الشكر ولكنا نقتصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها لتتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذى أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذى حببك اليه وصرف وجهه اليك وألقى فى نفسه أن صلاح دينه أو دنياه فى الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعى وقرر فى نفسه أن صلاح دينه أودنياه فى أن يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا فى التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذى اضطره لك وسخره وسلط عليه الدواعى الباعثة المرهقة الى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر فى ذلك اضطرار مجرى الماء فى جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه أما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له فى البذل اما آجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستسخار أو الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة وكما أن الانسان لا يلقى ماله فى البحر اذ لا غرض له فيه فلا يلقيه فى يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده وأما أنت فلست مقصودا بل يدك آلة له فى القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرك فى القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو أرجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجلك أصلا البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين أحدهما انه مضطر بتسليط الله الدواعى عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خلعة الامير الى من

وأما السبب الثانى وهو حبه من أحسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع أعداءه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتهض وسيلة الى جميع حظوظه واغراضه فى نفسه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لامحالة عنده وهذا بعينه يقتضى أن لا يحب الا الله) وحده (فانه لو عرفه حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله فقط فاما أنواع احسانه الى كل عبيده فلست أعدها اذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى) فى كتابه العزيز (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أى لا تقدروا على احصائها (وقد أشرنا الى طرف منه فى كتاب الشكر) فلا نعيده (ولكنا نقتصر الآن على بيان ان الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها تتصرف) فيها (كيف تشاء فانك تظن ان هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذى أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته و) خلق (داعيته ومن الذى حببك اليه وصرف وجهه اليك وألقى فى نفسه ان صلاح دينه ودنياه فى الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعى وقرر فى نفسه ان صلاح دينه أودنياه فى أن يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا فى التسليم) لك (لا يستطيع مخالفته) ولا يقدر على مجاوزته (فالمحسن) فى الحقيقة (هو الذى اضطره لك وسخره وسلط عليه الدواعى الباعثة المرهقة الى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك) فهو مظهر من مظاهر قدرته (فصاحب اليد مضطر فى ذلك اضطرار مجرى الماء فى جريان الماء فيه فان اعتقدته) فى نفسك (محسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له فى البذل اما آجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستسخار) لحاجاته (أو الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق للطاعة والمحبة كما ان الانسان لا يلقى ماله فى البحر اذ لا غرض له فيه) ظاهر (فلا يلقيه فى يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما أنت فلست مقصودا بل يدك آلة له فى القبض حتى يحصل غرضه من الذكر) الجميل (والثناء) الحسن (أو الشكر أو الثواب) آجلا (بسبب قبضك المال فقد استسخرك فى القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو أرجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجلك أصلا البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين أحدهما انه مضطر بتسليط الله الدواعى عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خلعة الامير الى من

خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه وألقى في نفسه ان حظه دينا ودنيا في بذله فبذله لذلك والثاني انه معتاض عما بذله حظا هو أوفى عنده وأحب مما بذله فكما لا يعد البائع محسنا لانه بذل بعوض هو أحب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب أو الحمد والثناء أو عوضا آخر وليس من شرط العوض أن يكون عينا متمولا بل الحظوظ كلها أعواض تستحقر الاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي أنعم على العالمين احسانا اليهم ولا لاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه يتعالى عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف الا الله تعالى اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته * وأما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا أيضا موجود في الطباع فانه اذا بلغك خبر ملك عابد عادل عالم رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الارض بعيد عنك و بلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو أيضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا أيضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلا الا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة والمتفضل على جميع أصناف الخلائق أولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال

خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه والقى في نفسه ان حظه دنيا ودينا في بذله فبذله لذلك) لا غير (والثاني انه معتاض عما بذله حظا هو أوفى عنده وأحب مما بذله فكما لا يعد البائع محسنا لانه بذل بعوض هو أحب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب أو الحمد والثناء أو عوضا آخر وليس من شرط العوض أن يكون عينا متمولا بل الحظوظ كلها أعواض تستحقر الاعيان والاموال بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله تعالى فهو الذي أنعم على العالمين احسانا اليهم ولا لاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه يتعالى عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره) على وجه الكمال (محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض) وانما قلنا على وجه الكمال فان العبد قد يتحمل بهذا الوصف بالاكتساب بنوع من التكلف وهو مع ذلك ناقص بالاضافة الى الجواد المطلق والمحسن (فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف الا الله تعالى اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته وأما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا أيضا موجود في الطباع فانه اذا بلغك خبر ملك عالم عابد عادل رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الارض بعيد عنك و بلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو أيضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا أيضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلا الا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة والمتفضل على جميع أصناف الخلائق أولا بايجادهم) واخراجهم من العدم الى الوجود ومن الظلمة الى النور (وثانيا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الرأس والقلب والكبد) وهي الرئة (ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال

الضروري

الضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال المزايا والزوائد خضرة الاشجار وحسن أشكال الانوار والازهار ولذائذ الفواكه والاطعمة التي لاتنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الفرش فاذا هو المحسن فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى * وأما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجمال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس والى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوي المكارم السنية والاخلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه مال القلب اليه فاحبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصديق رضي الله تعالى عنه أو الشافعي رحمة الله عليه فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جمالا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل المعلومات هو الله تعالى فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به فاذا جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعا ترجع الى ثلاثة أمور احدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح أنفسهم واصلاح عباد الله

الضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال المزايا والزوائد خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار ولذائذ الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الفرش فاذا هو المحسن فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه العلة أيضا لغيره جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة أيضا الا الله تعالى وأما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال فقد بينا ان ذلك مجبول في الطباع وان الجمال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس والى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه أرباب القلوب) المشاهدات (ولا يشاركهم فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحياة الدنيا) ويكون مبلغ علمه ذلك (وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فان كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء) وحب (ذوي المكارم السنية والاخلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه) وأرشد اليه (مال القلب اليه فاحبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصديق رضي الله عنه أو الشافعي رحمه الله تعالى فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جمالا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل المعلومات هو الله تعالى فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى) ولذا قال مالك بن دينار خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا فيها أطيب شئ فيها قالوا وما هي يا أبا يحيى قال معرفة الله عز وجل (وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به) وانما شرفه لانه معرفة لافعال الله تعالى ومعرفة للطريق الذي يقرب العبد من الله تعالى والامر الذي يسهل به الوصول الى معرفة الله والقرب منه وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كبير شرف (فاذا جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعا ترجع الى ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح أنفسهم) بتهذيبها وتجريدها عن الصفات الذميمة (واصلاح عباد الله

بالارشاد والسياسة والثالث تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى (أما العلم) فأين علم الاولين والآخرين من علم الله تعالى الذى يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وقد خاطب الخلق كلهم فقال عز وجل وما أوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع أهل الارض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته فى تفصيل خلق نملة وبعوضة لم يطلعوا على عشر عشير ذلك ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء والقدر اليسير الذى علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه أمرا محبوبا وكان هو فى نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغى أن يحب بهذا السبب الا الله تعالى فعلوم العلماء جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحال أن يحب بسبب العلم الاجهل و يترك الاعلم وان كان الاجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضاه معيشته والتفاوت بين علم الله و بين علم الخلائق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلائق وأجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية يتصور فى الامكان ان ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلائق كلهم خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية (وأما صفة القدرة) فهى أيضا كمال والعجز قدرته نقص فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى ان الانسان ليسمع فى الحكاية شجاعة على وخالد رضى الله تعالى عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلاءهما على الاقران فيصادف فى قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا فى القلب ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال فانسب الآن قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة وأوسعهم ملكا وأقواهم بطشا وأقهرهم للشهوات وأقمعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى

بالارشاد) والتعليم (والسياسة والثالث تنزههم عن الرذائل) النفسية (والخبائث) الباطنة (والشهوات الغالبة) على باعث الحق (الصارفة عن سنن الخير) والصلاح (الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى أما العلم فاين علم الاولين والآخرين من علم الله تعالى الذى) من شانه انه (يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وقد خاطب الخلق كلهم فقال وما أوتيتم من العلم الا قليلا) حتى كان ابن عباس يقول انا من ذلك القليل (بل لو اجتمع أهل الارض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته فى تفصيل خلق نملة أو بعوضة لم يطلعوا على عشر عشير ذلك) كما قال تعالى (ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) وقال تعالى ولا يحيطون به علما (والقدر اليسير الذى علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان) وهو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير (فان كان جمال العلم وشرفه أمرا محبوبا وكان هو فى نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغى أن يحب بهذا السبب الا الله تعالى فعلوم العلماء جهل بالاضافة الى علمه) تعالى (بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحال أن يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم وان كان الاجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضاه معيشته والتفاوت بين علم الله تعالى وبين علم الخلائق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلائق وأجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية يتصور فى الامكان أن ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلائق كلهم خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية) والحاصل ان العبد حظا من وصف العلم لا يكاد يخفى ولكن يفارق علمه علم الله تعالى فى خواص ثلاث احداها ما أشار اليه المصنف وهو كثرتها فان معلومات العبد وان اتسعت فهى محصورة فى قلبه فانى تناسب ما لا نهاية له والثانية ان كشفه وان اتضح فلا يبلغ الغاية التى لا يمكن وراءها بل تكون مشاهدته الاشياء كانه يراها من وراء ستر رقيق ودرجات الكشف متفاوتة وفرق بين ما يتضح وقت الاسفار وبين ما يتضح أول ضحوة النهار والثالثة ان علم الله تعالى بالاشياء غير مستفاد من الاشياء بل الاشياء مستفادة منه وعلم العبد بالاشياء تابع للاشياء وحاصل بها وان اعتاص عليك فهم هذا الفرق فانسب علم متعلم الشطرنج الى علم واضعه فان علم الواضع هو سبب وجود الشطرنج ووجود الشطرنج هو سبب علم المتعلم وعلم الواضع سابق على الشطرنج وعلم المتعلم مسبوق ومتأخر عن الشطرنج فكذلك علم الله تعالى بالاشياء سابق عليها وسبب لها وعلمنا بخلاف ذلك ولله المثل الاعلى (وأما صفة القدرة فهى أيضا كمال والعجز نقص فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى ان الانسان ليسمع فى الحكاية) والمحاورات (شجاعة على) بن أبى طالب (وخالد) بن الوليد رضى الله عنهما (وغيرهما من الشجعان) المشهورين جاهلية واسلاما (وقدرتهما واستيلاءهما على الاقران) من أهل زمانهما (فيصادف فى قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا فى القلب ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال فانسب الآن قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة وأوسعهم ملكا وأقواهم بطشا وأقهرهم للشهوات وأقمعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى

قدرته وانما غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الانس فى بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه فى نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا عما لا تتعلق به قدرته من ملكوت السموات وأفلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيوانها وجميع أجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضا على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال فى أعظم ملوك الارض ذى القرنين اذ قال انا مكناله فى الارض فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله تعالى اياه فى جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى أجسام العالم وجميع الولايات التى يحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله تعالى وتمكينه فيستحيل أن يحب عبدا من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر السموات مطويات بيمينه والارض وملكها وما عليها فى قبضته وناصية جميع المخلوقات فى قبضة قدرته ان أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق أمثالهم ألف مرة لم يعي بخلقها ولا يمسه لغوب ولا فتور فى اختراعها فلا قدرة ولا قادر الا وهو أثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور ان يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه أصلا * وأما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال فى الصور الباطنة والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقدس والتنزه الا للواحد الحق الملك القدوس ذى الجلال والاكرام وأما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما أعطاه الله وليس فى المقدور أن ينعم بمنتهى الكمال على

قدرته) وما مبلغها (وانما غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الانس فى بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس وأذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه فى نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا عما لا تتعلق به قدرته) ولا ينالها (من ملكوت السموات وافلاكها وكواكبها) من ملكوت (الارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع أجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضا على أعظم ملك) كما وقع للنمروذ (وأقوى شخص من الحيوانات) كالفيل (لاهلكه) أما اهلاك النمروذ به فمعروف فى التواريخ وأما اهلاك الفيل به فقد ذكر غير واحد من المتكلمين على عجائب الحيوانات كالدميرى وغيره ان البعوض اذا دخل فى أذن الفيل كان سبب هلاكه ولذلك لا يزال يحرك آذانه شبه المراوح لئلا يقربه البعوض (فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه) ومع ذلك فهى ناقصة اذ لا تتناول الا بعض الممكنات ولا تصلح للاختراع بل الله سبحانه هو المخترع لمقدورات العبد بواسطة قدرته مهما هيأ جميع أسباب الموجود المقدورة (كما قال فى أعظم ملوك الارض ذى القرنين) الاسكندر (اذ قال انا مكناله فى الارض) وآتيناه من كل شئ سببا (فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله تعالى اياه فى جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى أجسام العالم وجميع الولايات التى يحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة أيضا من فضل الله وتمكينه فيستحيل أن يحب عبدا من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر) مالك الاوائل والاواخر (السموات مطويات بيمينه والارض وملكها وما عليها فى قبضته ناصية جميع المخلوقات فى قبضة قدرته ان أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق أمثالهم ألف مرة لم يعي بخلقه ولا يمسه لغوب ولا فتور فى اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا وهو أثر من آثار قدرته فله الجلال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور أن يحب قادر الكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه أصلا وأما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال فى الصور الباطنة والانبياء والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقدس والتنزه الا للواحد الملك الحق القدوس ذى الجلال والاكرام وأما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مسخرا مضطرا هو عين النقص) والعيب واليه الاشارة بقول بعض العارفين وجودك ذنب لا يقاس به ذنب وبقول الشيخ رسلان * كلك شرك خفى (فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما أعطاه وليس فى المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على

غيره فان منتهى الكمال أقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره قائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقدس والتنزه في حقه عن النقائص يطول وهو من أسرار علوم المكاشفات فلا نطول بذكره فهذا الوصف أيضا ان كان كمالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو أشد منه نقصانا كما ان للفرس كمالا بالاضافة الى الحمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس وأصل النقص شامل للكل وانما يتفاوتون في درجات النقصان فاذا الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته و بطشه رقاب القياصرة الازلي الذي لا أول لوجوده الابدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه و يقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجماد والحيوان والنبات المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي وصفات تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الالسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين رضي الله تعالى عنه العجز عن درك الادراك ادراك سبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته

غيره) بحيث يصل الى غاية ليس وراءها مزيد من كل وجه (فان منتهى الكمال أقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره وقائما بغيره وذلك محال في حق غيره) اذ غيره لا قوام له بنفسه في وجوده (فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب) المبرأ عن الاعتلال والاختلال (وشرح وجوه التقديس والتنزه في حقه عن النقائص يطول) بيانه وتفصيله (وهو من أسرار علوم المكاشفات فلا نطول بذكره) لانه لا يليق بهذا المقام (فهذا الوصف أيضا ان كان كمالا وجمالا محبوبا فلا تتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو أشد منه نقصانا كما ان للفرس كمالا بالاضافة الى الحمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس وأصل النقص شامل للكل وانما يتفاوتون في درجات النقصان فاذا الجميل محبوب والجميل المطلق) هو الجليل المطلق اذ نعوت الجلال هي الغنى والملك والتقديس والعلم والقدرة وغيرها فالجامع لجميعها هو الجليل المطلق والموصوف ببعضها جلالته بقدر ما نال في هذه النعوت فالجليل المطلق (هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب) أي لا يغيب (عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذي لا تخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا تنفلت من سطوته و بطشه رقاب القياصرة الازلي الذي لا أول لوجوده الابدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجماد والحيوان والنبات المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال) وهذه كلها صفات الجلال وهي اذا نسبت الى البصيرة المدركة لها سميت جمالا وسمي المتصف بها جميلا وانما كان الحق هو الجميل المطلق لان كل ما في العالم من جمال وكمال وحسن فهو من أنوار ذاته وآثار صفاته وليس في الوجود موجود له الكمال المطلق الذي لا ثنوية فيه سوى الله تعالى لما تقدم (الذي تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الالسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال) مشيرا الى هذا المقام (سيد الانبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) سبحانك (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقد تقدم وعند ابن خزيمة من هذا الوجه وأعوذ بك منك لا أحصي مدحك ولا ثناء عليك وفي آخر عنده أيضا من وجه آخر عنها وبعفوك من عقوبتك وبك منك أثني عليك لا أبلغ كل ما فيك وفي آخر عند الخلعي من وجه ثالث عنها لا أحصي أسماءك ولا ثناء عليك وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث علي رضي الله عنه (وقال سيد الصديقين) أبو بكر (رضي الله عنه العجز عن درك الادراك ادراك سبحان من لا يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته) قال المصنف في المقصد الاسنى نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه وانهم لا يمكنهم البتة معرفته وانه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية الا الله تعالى فاذا انكشف لهم ذلك انكشافا برهانيا فقد عرفوه أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته وهو الذي أشار اليه الصديق بقوله المذكور بل هو الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه ولم يرد به انه عرف منه ما لا يطاوعه لسانه في العبارة عنه بل معناه اني لا أحيط بمحامدك

فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا أينكر ان هذه الاوصاف من أوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفا بها أو ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع عند من أدركه فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرة على جماله وجلاله أن يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين هم (٥٦٧) عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون والحب بهذا السبب أقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان أود الاوداء الى من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا لم أكن أهلا أن أطاع ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا فقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت ان أقيم وقال أبو حازم اني لاستحي أن أعبده للثواب والعقاب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل وفي الخبر لا يكونن أحدكم كالاجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وأما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة لان شبه الشئ منجذب اليه والشكل الى الشكل أميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر من غير نوعه وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف وأنس النجار بالنجار أكثر من أنسه بالفلاح وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد له الاخبار والآثار كما استقصيناه في باب الاخوة في الله من كتاب آداب

وصفات الهيبة وانما أنت المحيط بها وحدك فاذا لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته الا بالحيرة والدهشة انتهى (فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى تحقيقا ويجعله مجازا) بمعنى الطاعة والامتثال (أينكر ان هذه الاوصاف من أوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفا بها أو ينكر كون الكمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع عند من أدركه) وهم أهل البصيرة الباطنة (فسبحان من احتجب عن بصائر العميان) وهم الذين فقدوا تلك البصيرة (غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى) يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم (يترددون) و بحكم مبلغهم في علمهم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) والحاصل انه اذا ثبت انه جميل وجليل فكل جميل فهو محبوب ومعشوق عند مدرك جماله ولذلك كان الله محبوبا ولكن عند العارفين والمنكرون لهذا جاهلون ومن جهل شيأ عاداه وهذا كما تكون الصورة الجميلة الظاهرة محبوبة ولكن عند المبصرين لا عند العميان (فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد وينقص وكذلك أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان أود الاوداء) أي أكثرهم ودا (الى من عبدني بغير نوال) أي عطاء (لكن ليعطي الربوبية حقها) كذا في القوت (وفي الزبور) فيما نقله ابن منبه (ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار) أي رجاء أو خوفا (لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا ان أطاع) كذا في القوت (ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا) وتغيرت ألوانهم فسألهم عن حالهم (فقالوا نخاف النار و) مر على آخرين فرآهم كذلك وسألهم فقالوا (نرجو الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخرين) فرآهم (كذلك) فسألهم (فقالوا نعبده حبا له وتعظيما لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم) وقد مر هذا قريبا بابسط مما ههنا وفيه فقال لهم أنتم المقربون أنتم المقربون وقد ذكره صاحب القوت باللفظين (وقال أبو حازم) سلمة بن دينار الاعرج التابعي العابد رحمه الله تعالى (اني لاستحي ان أعبده للثواب والعقاب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل) نقله صاحب القوت فقال وممن أقيم في هذا المقام جماعة من التابعين منهم أبو حازم المدني كان يقول اني لاستحي من ربي ان أعبده للثواب فاكون كالاجير السوء ان لم يعط أجر عمله لم يعمل ولكن اعبده محبة له رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي بكر الآجري حدثنا عبد الله بن محمد العطشي حدثنا ابراهيم ابن الجنيد حدثنا أحمد بن ابراهيم بن كثير والهيثم بن جميل قال سمعت سفيان بن عيينة يقول قال أبو حازم اني لاستحي من ربي عز وجل ان أسأله شيأ فاكون كالاجير اذا عمل طلب أجره ولكن اعمل تعظيما له (وفي الخبر لا يكونن أحدكم كالاجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل) لفظ القوت وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل وقال العراقي لم أجد له أصلا (وأما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة لان شبه الشئ منجذب اليه والشكل الى الشكل أميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه) كل ذلك للتناسب (وانس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف) أي المستقل بالحرفة والكسب (وانس التجار بالتجار أكثر من أنسه بالفلاح) وبالعكس (وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد له الاخبار والآثار كما استقصيناه في باب الاخوة في الله في كتاب آداب

الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب النجاة فالمناسبة قد تكون فى معنى ظاهر كمناسبة الصبى الصبى فى معنى الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذى يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع فى مال أو غيره كما أشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم اذ قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضا يقتضى حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة فى الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز ان يذكر بعضها فى الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذى يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل فى الصفات التى أمر فيها بالاقتداء والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك فى اكتساب محامد الصفات التى هى من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات وأما ما لا يجوز أن يسطر فى الكتب من المناسبة الخاصة التى اختص بها الآدمى فهى التى يومئ اليها قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى اذ بين انه أمر ربانى خارج عن حد عقول الخلق وأوضح من ذلك قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى ولذلك أسجد له ملائكته ويشير اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفة فى الارض اذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة واليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا وتعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدنى فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان فلم تعده ولو عدته وجدتنى عنده

يقول

الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب التحاب فالمناسبة قد تكون فى معنى ظاهر كمناسبة الصبى الصبى فى معنى الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذى يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع فى مال أو غيره كما أشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم اذ قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) تقدم قريبا (فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين) أى فما تناسب منها فى عالم الازل حصل بينها الائتلاف فى عالم الشهادة وما تباين منها هنالك أوجب حصول الاختلاف ههنا (وهذا السبب أيضا يقتضى حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة والصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز أن يذكر بعضها فى الكتب وبعضها لا يجوز ان يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك) ووصلوا الى مقام القرب (فالذى يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل فى الصفات التى أمر فيها بالاقتداء والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله) أى تخلقوا بها فى صفاته وأسمائه (وذلك فى اكتساب محامد الصفات التى هى من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة) وذلك فيما أمكنه منها (فكل ذلك تقرب الى الله تعالى) لانه به يصير العبد ربانيا أى قريبا من الرب تعالى فانه يصير رفيقا الملأ الاعلى من الملائكة فانهم على بساط القرب فمن ضرب الى شبه من صفاتهم نال شيأ من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم الى الحق تعالى (لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات) ومهما تفاوتت درجات الكمال واقتصر منهن الكمال على واحد حتى لم يكن الكمال المطلق الا له ولم يكن للموجودات الاخر كمال مطلق بل كانت لها كمالات متفاوتة بالاضافة فاكملها أقرب لا محالة الى الذى له الكمال المطلق أعنى قربا بالمرتبة والدرجة لا بالمكان (واما ما لا يجوز أن يسطر فى الكتب من المناسبة الخاصة التى اختص بها الآدمى) دون سائر المخلوقات (فهى التى يومئ اليها قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى اذ بين انه أمر ربانى خارج عن حد عقول الخلق) وهكذا شأن أمور الربوبية ألا له الخلق والامر (وأوضح من ذلك قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى) فقعوا له ساجدين (ولذلك اسجد له الملائكة) اثر ذلك النفخ والتسوية ومن قوله وأوضح من ذلك الى هنا قد سقط من بعض النسخ وقد أشار الى ذلك المصنف فى كتاب النفخ والتسوية ومنهم من أنكر نسبة هذا الكتاب اليه كما ذكرنا فى مقدمة كتاب العلم (ويشير اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفة فى الارض اذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة) لانه أنموذج من نور الله تعالى ولا يخلو الانموذج عن محاكاة وان كان لا يرقى الى ذروة المساواة وهذا رمز بما هو لك للتفطن لسر الآية (واليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته) تقدم الكلام عليه (حتى ظن القاصرون) من العلماء (أن لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس) الظاهرة وأنكروا الصورة الباطنة المدركة بالبصيرة الباطنة (فشبهوا وجسموا وصوروا وتعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدنى فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان فلم تعده ولو عدته وجدتنى عنده) روى مسلم من حديث أبى هريرة ان الله تعالى

يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده الحديث (وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال يتقرب العبد الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به) قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم قلت رواه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الطب والحاكم في الزهد وابن عساكر من حديث عائشة قال الله عز وجل من آذى لي وليا فقد استحل محاربتي وما تقرب الى عبدي بمثل أداء الفرائض وما يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها واذنه التي يسمع بها ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ويده التي يبطش بها وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به وان دعاني أجبته وان سألني أعطيته الحديث وروى ابن السني في الطب من حديث ميمونة قال الله تعالى ما تقرب الى العبد بمثل أداء فرائضي وانه ليتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت رجله التي يمشي بها ويده التي يبطش بها ولسانه الذي ينطق به وقلبه الذي يعقل به ان سألني أعطيته وان دعاني أجبته ويروى في حديث أنس وما تعبد الى عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا ولا تقرب عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا الحديث رواه بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب الاولياء والحكيم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الاسماء وابن عساكر وقال المصنف في مشكاة الانوار منتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية فليس وراء ذلك مرقى اذ المرقى لا يتصور والاكثرة فانه نوع اضافة يستدعي بانه الارتقاء وما اليه الارتقاء واذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت الاضافة وطاحت الاشارة فلم يبق علو ولا سفل ولا نازل ولا مرتقي فاستحال الترقي واستحال العروج فليس وراء الاعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج فان كان من تغير حال فبالنزول الى السماء الدنيا أعني بالاشراق من علو الى أسفل لان الاعلى له أسفل وليس له أعلى فهذه غاية الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره من يجهله وهو من العلم الذي هو كهيئة المكنون الذي لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا أهل الغرة بالله ولا يبعد ان قال العلماء ان النزول الى السماء الدنيا هو نزول ملك فقد توهم بعض العارفين ما هو أبعد منه اذ قال هذا المستغرق بالفردانية أيضا له نزول الى السماء الدنيا وان ذلك هو نزوله الى استعمال الحواس أو تحريك الاعضاء واليه الاشارة في الخبر صرت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به واذا كان هو سمعه وبصره ولسانه فهو السامع والباصر والناطق اذ لا غيره واليه الاشارة بقوله مرضت فلم تعدني الحديث فحركات هذا الموحد من السماء الدنيا واحساسانه كالسمع والبصر من سماء فوقه وعقله فوق ذلك وهو يترقى من سماء العقل في منتهى معراج الخلائق ومملكة الفردانية الى سبع طبقات ثم بعده يستوي على عرش الوحدانية ومنه يدبر الامر لطبقات سماواته فربما نظر الناظر اليه فاطلق القول بان الله خلق آدم على صورة الرحمن الى أن يمعن النظر فيه فيعلم أن ذلك له تأويل كقوله أنا الحق وسبحاني بل كقوله مرضت فلم تعدني وكنت سمعه وبصره ولسانه (وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه) فما يطيق الناس من هذا الفن أكثر من هذا المقدار (فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر) فلم يفهموا من الصورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس وكذا في النزول الى السماء الدنيا واضراب ذلك والى (غالين مسرفين) تجاوزوا في الحدود (وجاوز واحد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق) والقول بالاتحاد باطل لان قول القائل ان العبد صار الرب كلام متناقض في نفسه وحيث يطلق الاتحاد ويقول هو هو لا يكون الا بطريق التوسع اللائق بعادة الصوفية والشعراء فانهم لاجل تحسين موقع الكلام في الافهام يسلكون سبيل الاستعارة كما يقول الشاعر

* أنا من أهوى ومن أهوى أنا * وذلك مؤول عنده فانه لا يعني انه هو تحقيقا بل كأنه هو فانه مستغرق

وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد أحكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال يتقرب العبد الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر والى غالين مسرفين جاوز واحد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق

الهم به كما يكون هو مستغرق الهم بنفسه فيعبر عن هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوّز ومن لم يجد فى القلب الا جلال الله و جماله حتى صار مستغرقا به يصير كأنه هو لا انه هو تحقيقا وفرق بين قولنا هو هو وكأنه هو ولكن قد يعبر بقولنا هو هو عن قولنا كأنه هو وقول أنا الحق اشتهر به الحسين بن منصور الحلاج وقد أجاب عنه المصنف فى المقصد الاسنى فقال حظ العبد من اسمه تعالى أن يرى نفسه باطلا ولا يرى غير الله حقا والعبد وان كان حقا فليس هو حقا لنفسه بل هو حق لغيره وهو الله سبحانه وتعالى فانه موجود به لا بذاته بل هو بذاته باطل لولا ايجاد الحق له فقد أخطأ من قال أنا الحق الا باحد وجهين أحدهما ان يعنى انه بالحق وهذا بعيد لان اللفظ ينبئ عنه ولان ذلك لا يخصه بل كل شئ سوى فهو بالحق الثانى أن يكون مستغرقا بالحق حتى لا يكون فيه متسع لغيره وما أخذ كلية الشئ واستغرقه فقد يقال انه هو فان جاوزت هذين التأويلين الى الاتحاد فذلك محال قطعا واما الحلول فهو أيضا باطل فان المفهوم منه أمران أحدهما النسبة التى بين الجسم و بين مكانه الذى يكون فيه وذلك لا يكون الا بين جسمين فالبرىء عن معنى الجسمية يستحيل فى حقه ذلك والثانى النسبة التى بين العرض والجوهر فان العرض يكون قوامه بالجوهر فقد يعبر بانه حال فيه وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه فدع عنك ذكر الرب تعالى فى هذا المعرض فان كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحل فيما قوامه بنفسه الا بطريق المجاورة الواقعة بين الاجسام فلا يتصوّر الحلول بين عبدين فكيف يتصوّر بين العبد والرب (وضل النصارى فى عيسى عليه السلام فقالوا هو الله) وقد غلطوا فى ذلك ومنشأ غلطهم انهم نظروا الى كمال ذاته وقد تزين بما تلألأ فيه من حلية الحق فظنوا انه هو الاله (وقال آخرون) منهم (تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به) أى اتحد الناسوت باللاهوت وكل هذه اخلاط فاحشة تقتضى المروق عن الدين والوقوع فى الكفر الصريح (واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل) المفهوم من قوله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير (واستحالة الاتحاد والحلول) وكذا استحالة الانتقال والاتصاف بامثال صفات الله تعالى على سبيل الحقيقة (واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون ولعل أبا الحسن) أحمد بن محمد (النورى) البغدادى المتوفى سنة ٢٩٥ من أقران الجنيد نسب الى نور الوعظ (عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد فى قول القائل اذ انشد له)

(لازلت أنزل من ودادك منزلا * تتحير الالباب عند نزوله)

(فلم يزل يعدو فى وجده) حتى وقع (على أجمة قد قطع قصبها و بقى اصوله) محددة كالسنان (حتى تشقق قدماه وتورمتا ومات من ذلك) وقد تقدم هذا فى كتاب الوجد والسماع (وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجودا فهذه هى المعلومة من أسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة فى حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفى أعلى الدرجات لا فى أدناها فكان المعقول المقبول عند ذوى البصائر) والمكشوفات الباطنة (حب الله تعالى فقط كما أن المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط) وقال الكمال محمد بن اسحق الصوفى فى مقاصد المنجيات ما نصه الناس يتفاوتون فى الحب تفاوتا لا ينحصر على قدر الاسباب الموجبة لحب الله تعالى فان المحبة تكون مسببة عن معرفة انعام الله تعالى واحسانه وافضاله وتكون مسببة عن جمال الله وكماله وهذه أفضل وأعلى لتعلقها بالذات والصفات من كلا طرفيها وهو السلب والاثبات وما قبلها متعلق بالله من حيث قدرته على الانعام والاحسان ففيها شغل عن الله ولان الاحسان يزيد وينقص هذا والمحبة الناشئة عن الجمال والكمال من أشرف نعم الله على العباد لانها تعريف له بما هو به وتقريب منه الا ان التصور يصير كامنا تحت أشعة الافضل اذا امتلأ القلب بالافضل ويكون الحكم والجزاء للغالب والامام الغزالى ذكر للمحبة أسبابا خمسة اذا أمعنت النظر فيها رأيتها داخلة تحت هذين السببين اما محبة العبد لله من أجل ان الله خلقه وأبقاه وخلق له الآلات المكملة لبقائه فهو من جملة احسان الله اليه واما محبته لاجل احسانه العام على سائر العباد فهو من جماله الفعلى وكماله الذاتى واما محبتك العبد لله لاجل الاوصاف الباطنة من العلم والقدرة

وضل النصارى فى عيسى عليه السلام فقالوا هو الاله وقال آخرون منهم تدرع الناسوت باللاهوت و قال آخرون اتحد به وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون ولعل أبا الحسن النورى عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد فى قول القائل

لازلت انزل من ودادك منزلا
تتحير الالباب عند نزوله

فلم يزل يعدو فى وجده على اجمة قد قطع قصبها وبقى أصوله حتى تشققت قدماه وتورمتا ومات من ذلك وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجودا فهذه هى المعلومة من أسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة فى حق الله تعالى تحقيقا لا مجازا وفى أعلى الدرجات لا فى أدناها فكان المعقول المقبول عند ذوى البصائر حب الله تعالى فقط كما ان المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط

ثم كل من يحب من الخالق بسبب من هذه الاسباب يتصور أن يحب غيره لمشاركته اياه فى السبب والشركة نقصان فى الحب وغض من كماله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب الاوقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التى هى نهاية الجلال والكمال ولا شريك له فى ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون فى حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كما لا تتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذا الاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه أصلا *

(بيان ان أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة أخرى الا من حرم هذه اللذة) *

اعلم أن اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها فى نيلها المقتضى طبعها الذى خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت فى الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفى والانتقام فلا جرم لذتها فى الغلبة والانتقام الذى هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذى به القوام فلا جرم لذتها فى نيل هذا الغذاء الذى هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم فى الابصار والاستماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك فى القلب غريزة تسمى النور الالهى لقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامى فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع فى المعانى لان الضعيف يطلب المعانى من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعانى التى ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم أو افتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الهية ولنسم تلك الغريزة عقلا

والارادة وموازاة الارواح القدسية وتنزيهها عن الحلول فى المواطن والقرب والبعد والكمية فذلك أيضا من افضال الله تعالى على عبده لانه الذى خلقه وعدله وخلق له بعد التعديل روحا مقدسة من الحس وعوارضه وأقام له بها اعراضا شريفة هى علوم ومعارف يعرف بها ربه انتهى (ثم كل من يحب من الخالق بسبب من هذه الاسباب) الخمسة (يتصور أن يحب غيره لمشاركته اياه فى السبب والشركة نقصان فى الحب وغض عن كماله ولا ينفرد احد بوصف محبوب الاوقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التى هى نهاية الاوصاف و) نهاية (الجلال والكمال ولا شريك له فى ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون فى حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كما لا تتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذا الاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه أصلا) أى لا يشارك وهذه الخواص الالهية ليست الا الله تعالى ولا يعرفها الا الله تعالى فلا جرم لا يتصور أن يعرفها الا هو أو من هو مثله واذا لم يكن له مثل فلا يعرفها غيره وهذا يشوش قلوب أكثر الضعفاء ويوهم القول بالتعطيل وذلك لعجزهم عن فهم هذا الكلام والله الموفق

(بيان ان اجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم)

(وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة أخرى الا من حرم هذه اللذة) ولم يكن له منها نصيب وافر (اعلم) أرشدك الله تعالى (ان اللذات) باسرها (تابعة للادراكات والانسان) بحقيقته (جامع لجملة من القوى والغرائز) خلقت فيه لتمام حقيقته الانسانية (ولكل قوة وغريزة) منها (لذة) يدرك بها الملائم من حيث انه ملائم (ولذتها فى نيلها المقتضى طبعها الذى خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت فى الانسان عبثا) لا فائدة فيها ولا حكمة (بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفى والانتقام) من المغضوب عليه (فلا جرم لذتها فى الغلبة والانتقام الذى هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذى به القوام) للبدن (فلا جرم لذتها فى نيل هذا الغذاء الذى هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم فى الابصار والاستماع والشم) وكذلك حصول المرجو عند القوة الوهمية والامور الماضية عند القوة الحافظة يلتذ بتذكرها (فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة) فما كان ملائما يسمى لذة وما لا فالما وكل ذلك (بالاضافة الى مدركاتها فكذلك فى القلب غريزة تسمى النور الالهى) والفيض القدسى (لقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) فذلك النور هو الذى ينفسح له الصدر فيتنور باشعة (وقد تسمى العقل) وقد يسمى عين القلب وقد يسمى الروح وقد يسمى النفس الانسانى (وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين) وكل ذلك تعبيرات عن عين فى القلب منزهة عن نقائص العين الظاهرة (ولا معنى للاشتغال بالاسامى) المختلفة (فان الاصطلاحات مختلفة) ولا مشاحة فيها (والضعيف) البصيرة وربما (يظن أن الاختلاف واقع فى المعانى) فيتوهم كثرتها بكثرة أساميها (لان الضعيف شأنه) أبدا (يطلب المعانى من الالفاظ وهو عكس الواجب) فان دائرة المعانى أوسع من دائرة الالفاظ فلا تكاد الالفاظ تحيط بها كما ينبغى (فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعانى التى ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم أو افتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلا) متابعة

بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة التي
فارق الانسان بها البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي ان تذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فمقتضى
طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى سائر الغرائز هو لذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة لذة حتى أن الذي ينسب الى العلم
والمعرفة ولو في شئ خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شئ حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح
به في الاشياء الحقيرة فالعالم (٥٧٢) باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك
لفرط لذة العلم وما
يستشعره من كمال ذاته
به فان العلم من أخص
صفات الربوبية وهي
منتهى الكمال ولذلك
يرتاح الطبع اذا أثنى
عليه بالذكاء وغزارة العلم
لانه يستشعر عند سماع
الثناء كمال ذاته وكمال علمه
فيعجب بنفسه ويلتذ به
ثم ليست لذة العلم بالحراثة
والخياطة كلذة العلم
بسياسة الملك وتدبير
أمر الخلق ولا لذة العلم
بالنحو والشعر كلذة العلم
بالله تعالى وصفاته
وملائكته وملكوت
السموات والارض بل
لذة العلم بقدر شرف
العلم وشرف العلم
بقدر شرف المعلوم حتى
ان الذي يعلم بواطن
أحوال الناس ويخبر
بذلك يجد له لذة وان
جهله تقاضاه طبعه أن
يفحص عنه فان علم
بواطن أحوال رئيس
البلد وأسرار تدبيره في
رياسته كان ذلك ألذ عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك فان اطلع على أسرار والجمال
الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه باسرار الرئيس فان كان خبيرا بباطن أحوال الملك والسلطان
الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد
وحبه الا أكثر لان لذته فيه أعظم فبهذا استبان ان ألذ المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل
والاشرف والاعظم فالعلم به ألذ العلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود شئ أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق
الاشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور ان تكون حضرة في الملك والكمال

للجمهور في الاصطلاح ونعني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن المجنون وعن البهيمة
(بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا) وسموا العلوم
المحصلة من طريقه بالمعقولات (ولهذا ذمه بعض الصوفية) لما يطرأ في تلك العلوم التي طريقها العقل من
الخيالات والاوهام والاعتقادات ما يكون سببا لفاحش اغلاطهم (والا فالصفة التي فارق الانسان بها البهائم)
والاطفال والمجانين (وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات) وأنفسها وأعلاها وهي الحقيقة بان تسمى
باسم النور وأولى بهذه التسمية من العين الظاهرة (فلا ينبغي أن تذم) ولا ينسب اليها النقص (وهذه الغريزة
خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى سائر الغرائز هو لذتها
وليس يخفى ان في العلم والمعرفة لذة) هي أنفس اللذائذ وأعلاها (حتى ان الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في
شئ خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شئ حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن
التحدي بالعلم) أي المباراة ومنازعته الغلبة به (والتمدح به) بين الناس (في الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب
بالشطرنج على خسته) وقلة قدره (لا يطيق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط
لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال) وقد تقدم
الكلام عليه في كتاب العلم (ولذلك يرتاح الطبع اذا أثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء
كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به) ويرتاح اليه (ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة
الملك وتدبير أمر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر) والادب (كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت
السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم) فان كان المعلوم شريفا كان
العلم به أشرف (حتى ان الذي يعلم بواطن أحوال الناس) وأسرارهم الخفية (ويخبر بذلك يجد له لذة) ويرتاح
اليه (وان جهله تقاضاه طبعه ان يفحص عنه) ويبحث ليحصله (فان علم بواطن رئيس البلد وأسرار تدبيره
في رياسته كان ذلك ألذ عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك) ومن في معناهما (فان اطلع على أسرار
الوزير) وتدبيره ودقائق حركاته (وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه باسرار
الرئيس) لرفعة منزلة الوزير على الرئيس (فان كان خبيرا بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولي
على الوزير) والحاكم عليه (كان ذلك أطيب عنده وألذ من اطلاعه بباطن أمور الوزير وكان تمدحه بذلك
وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحبه له أكثر لان لذته فيه أعظم) وهذا كله مراتب مرتبة بعضها على
بعض (فبهذا استبان ان ألذ المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم) كما تقدم (فان كان في المعلومات
ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به ألذ العلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في
الوجود شئ أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الاشياء كلها) وموجدها (ومكملها ومزينها
ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها) على أبدع ترتيب (وهل يتصور ان تكون حضرة في الملك والكمال

والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادي جلالها وعجائب أحوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا
ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات
وألذها وأطيبها وأشهاها وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار
وبهذا تبين ان العلم لذيذ وان ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان يعلم
ان لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان اللذات مختلفة بالنوع أولا كمخالفة لذة الوقاع للذة
السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع للذة الفاتر الشهوة وكمخالفة
لذة النظر الى الوجه الجميل الفائق الجمال للذة النظر الى ما دونه في الجمال وانما تعرف أقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم أنها ألذ عنده من الروائح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به أن لذة الغلبة في الشطرنج أقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول تنقسم الى ظاهرة كلذة الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها اذ ليست هذه
اللذة للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني والباطنة أغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة
الدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد النهمة
اختار اللحم والحلاوة وان كان علي الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة فاختياره
للرياسة يدل على انها ألذ عنده من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي أو كالذي ماتت قواه الباطنة
كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما أن لذة الرياسة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعته فلذة معرفة
الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر الى أسرار الامور الالهية ألذ من الرياسة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية
العبارة عنه أن يقال فلا تعلم نفس ما أخفي

والجمال والبهاء والجلال أعظم) وأجل (من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادي جلالها) وعظمها (وعجائب احوالها وصف الواصفين) وان بالغوا (فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها واشهاها وأحرى ما تستشعر النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا يتبين ان العلم لذيذ وان ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة والغضب وسائر الحواس الخمس) الظاهرة والباطنة (فان اللذات مختلفة بالنوع أولا كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق للمغتلم) أي الهائج الشهوة (من الجماع للذة لفاتر الشهوة وكمخالفة لذة النظر الى الوجه) الحسن (الجميل الفائق الجمال للذة النظر الى ما دونه في الجمال وانما تعرف أقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم انها ألذ عنده من الروائح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة) على قرنه (في الشطرنج أقوى عنده من لذة الاكل) ولولا ذلك لترك اللعب واشتغل بالاكل (فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذة الحواس الخمس) من ابصار واستماع وشم وذوق ولمس (والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها اذ ليست هذه اللذة للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة) أقوى (وأغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج المسمن واللوزينج) وهو الحلوى المتخذة من السكر واللوز (وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة) دنيئها (ميت القلب شديد البهيمية اختار اللحم والحلاوة وان كان علي الهمة) رفيعها حي القلب (كامل العقل) منور البصيرة (اختار الرياسة) والغلبة والاستيلاء (وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة فاختياره للرياسة يدل على انها ألذ عنده من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي أو كالذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة) بمقتضى طبعهما (وكما ان لذة الرياسة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبي والعته فلذة معرفة الله ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر الى أسرار الامور الالهية) بعين البصيرة (ألذ من الرياسة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق) والعبارة عن هذه اللذة عسر (وغاية العبارة عنه ان يقال) كما أخبر عنه الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي

لهم من قرة أعين وانه أعد لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق الذائقين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين رأسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين الى أسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتها وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي وانما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها عن حبسها فأما أن يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية ولا تظنن أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الآخرة ان يرد الى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذا جميع أقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض أصلا الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة وهي باطنة أقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه وان لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي

لهم من قرة أعين) وكما أخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم (انه أعد لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) وذلك فيما قاله حاكيا عن ربه عز وجل أعددت لعبادي الصالحين الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة (وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق الذائقين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد) عن الخلق (والفكر والذكر) ويرابط قلبه على المراقبة (وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة) والاستعلاء (ويستحقر الخلق الذين يرؤسهم) ويعلو عليهم (لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها) ولا عن القدرة (وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما أخذت الارض) أي أرض الوجود (زخرفها) أي زينتها (وازينت) أي تلألأت بكمال بهجتها (وظن أهلها انهم قادرون عليها) وتمام الآية أتاها أمرنا ليلا أو نهارا والمراد باتيان الامر هو الموت (فليستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته) العلية (وأفعاله) ومعاملاته مع عبيده (ونظام مملكته من أعلى عليين الى أسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات) والمدافعات (والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتها وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واخراج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض) وانما خص العرض دون الطول لان الطول تابع للعرض أو لان العرض أقل من الطول فاذا كان عرضها هكذا فما بالك بطولها (يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع في حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة) فما من ثمرة يقطفها الا وينبت مكانها مثلها وأحسن منها ولا حرج على قاطفها (ثم هذه أبدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي انما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها) ويجردها عنها (ويخليها من حبسها فأما ان يعدمها فلا) قال الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الآية) وتمامها فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم (ولا تظنن ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد) في المعركة (وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الآخرة ان يرد الى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة) رواه الشيخان من حديث أنس وقد تقدم (و) في الخبر أيضا (ان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذا جميع أقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض أصلا الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة أقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه) اذ لا عقل لهم وان لذة المحسوسات والشهوات تكون

لذوى الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فاما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التى بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان (٥٧٥) يقال من ذاق عرف ولعمرى طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التى قوى حرصهم على طلبها فانها أيضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره فى معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشئ اليسير فانه يصادف فى قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه فى ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله سبحانه ألذ الاشياء وانه لا لذة فوقها ولهذا قال أبو سليمان الدارانى ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف الكرخى له أخبرنى يا أبا محفوظ أى شئ هاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت وقال ذكر الموت فقال وأى شئ الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأى شئ القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأى شئ هذا ان ملكا هذا كله بيده ان أحببته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفى أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الغنى مشغوفا بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحرث فى النوم فقال ما فعل أبو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة

لذوى الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة على غيرها من اللذات (فاما كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التى بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلمت حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا أن يقال من ذاق عرف) وفى مفهومه من لم يذق لم يعرف كما قيل

ولو يذوق عاذلى صبابتى * صبا معى لكنه ما ذاقها

وفى أول قصيدة ابن عنين من ذاق طعم شراب القوم يدريه * ومن دراه غدا بالروح يشريه

(ولعمرى طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التى قوى حرصهم على طلبها) والبحث عنها (فانها أيضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فأما من طال فكره فى معرفة الله سبحانه) وكثر مزاولته فيها (وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشئ اليسير) والقدر القليل (فانه يصادف فى قلبه عند حصول الكشف من الفرح) والارتياح (ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه فى ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق) العرفانى الذى هو أعلى مراتب الوجد (والحكاية فيه قليلة الجدوى) أى الفائدة (فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله سبحانه ألذ الاشياء وانه لا لذة فوقها) وقد دل على ذلك كلام المشايخ (قال أبو سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوفهم النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله) نقله صاحب القوت (ولذلك قال بعض اخوان معروف) الكرخى قدس سره (له أخبرنى) عنك (يا أبا محفوظ) وهى كنية معروف (أى شئ هاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال) أى ذلك البعض (ذكر الموت فقال وأى شئ الموت فقال ذكر القبر والبرزخ قال وأى شئ القبر والبرزخ فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأى شئ هذا ان ملكا هذا كله بيده ان أحببته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا) نقله صاحب القوت وزاد فقال وحدثت عن عبد الوهاب الحجبى قال رأيت أحمد بن نصر الخزاعى فى النوم فقلت ما فعل الله بك فقال أدخلنى عليه فى داره وبسط لى حصيرا من لؤلؤ رطب عن يمينه وقال يا أحمد قتلت فى وصبرت لى فقلت نعم يارب فقال ها أنا اذا أنزل اليك حتى تنظر الى وجهى جل جلال وجه ذى الجلال (وفى أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الغنى مشغولا) ولفظ القوت مستغرقا (بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه) زاد فى القوت والمحب لله يحب النصب لله تعالى (ورأى بعض الشيوخ) أبا نصر (بشر بن الحرث) الحافى قدس سره (فى النوم) ولفظ القوت وحدثنى بعض الاشياخ عن منصور الحربى وغيره انه رأى بشر بن الحارث فى النوم (فقال) فقلت له (ما فعل أبو نصر التمار) هو عبد الملك بن عبد العزيز القشيرى النسائى ثقة عابد مات سنة ثمان وعشرين ومائتين وهو ابن احدى وتسعين سنة روى له مسلم والنسائى (وعبد الوهاب) بن عبد الحكم بن نافع أبو الحسن (الوراق) البغدادى ثقة مات سنة خمسين ومائتين روى له أبو داود والترمذى والنسائى (قال تركتهما الساعة

بين يدي الله يا كلان و يشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتي في الا كل والشرب فاعطاني النظر اليه) كذا في القوت (وعن) أبي الحسن (علي بن الموفق) تقدم ذكره في كتاب الحج (قال رأيت في النوم كاني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يا كل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضا و يرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس) وهو موضع في أعلى الجنة عن يمين العرش (فرأيت في سرادق العرش) أي في الخيمة المحيطة به (رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال) هذا (معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حباله فاباحه الله النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل) نقله صاحب القوت قال وهذا مقام الابدال في الطريق يقين لا يقامون مقام ابدال الانبياء الا بعد صفاء اليقين وحسن المعرفة فان نصيبهم الى الله نظرهم اليه فيجمع لهم بأول نظرة من النعيم والسرور مالا يوصف جميع ما فوقه في الجنان كلها من اللذة والسرور والنعيم والحبور وفي النظرة الثانية فوق ذلك وفي النظرة الثالثة أعلى من ذلك وليس من الله حد ولا عدد واهم أنصبة من وراء النظر أضعافا مضاعفة لا يعرفها سواهم ولا يسع ذكرها الا لهم ولا يطالب بها أحد دونهم لا يسع ذكرها في كتاب ولا يجوز تسميتها بخطاب الا لاهلها السائلين عنها الطالبين لها والراغبين فيها هي من سر الجبروت ونهاية الرغبوت ولا يبلغون درج الصديقين ولا يعطون منازل الشهداء حتى تغلب محبة الله على قلوبهم في كل حال فيتألهون اليه و يذهلون به عن غيره و ينسون في ذكره من سواه هو مذكورهم بذكره ومأواهم بظله فالمحبون لله هم المخلصون نفوسهم لوجهه حقا فيعبدونه لاجله صرفا وهم المقربون ونعيمهم في الجنان صرف ويمزج أهل المزج وهم أصحاب اليمين كذلك كانوا في الدنيا يحسن علومهم بعلمهم و يرتفع أعمالهم بمشاهدتهم ويجدون المزيد في نفوسهم بقربهم منه كما بدأ أنا أول خلق نعيده وقد قال عز وجل جزاء وفاقا أي وافق أعمالهم جزاؤهم وقال سيجزيهم وصفهم أي يعطيهم غدا لوصفهم في الدنيا انه حكيم عليم فمن كان في هذه الدار اليوم نعيمه طيبات الملك فكذلك غدا يكون الملك نعيمه ومن كان فيها نعيمه وروحه بالملك الطيب فهذا غدا في مقعد صدق عنده (ولذلك قال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه) كذا في القوت (وقال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (لرابعة) ابنة اسمعيل العدوية البصرية العابدة رحمها الله تعالى وكانت احدى المحبين ماتت سنة ١٣٥ وكان الثوري يقعد بين يديها و يقول علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل أنت لولا انك تحب الدنيا وقد كان الثوري زاهدا عالما الا انها كانت تجعل ايثار كتب الحديث والاقبال على الناس من أبواب الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عقد شريطة ولكل ايمان حقيقة و (ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالاجير السوء ان خاف عمل) أو اذا أعطى عمل (بل عبدته حباله وشوقا اليه) وروى عنها حماد بن زيد انها قالت اني لاستحي أن أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها فكان هذا جوابا لانه قال سلني حاجتك وخطبها عبد الواحد بن زيد فحجبته أياما حتى سئلت أن يدخل عليها فقالت له يا شهواني أطلب شهوانية مثلك أي شئ رأيت في من آلة الشهوة وخطبها محمد بن سليمان الهاشمي أمير البصرة على مائة ألف وقال لي غلة عشرة آلاف في كل شهر اجعلها لك فكتبت اليه ما يسرني انك لي عبد وان كل مالك لي وانك شغلتني عن الله طرفة عين (و) قد (قالت في معنى المحبة) أبياتا (نظما) تحتاج الى شرح حملها عنها أهل البصرة وغيرهم منهم سفيان الثوري وجعفر بن سليمان الضبعي وعبد الواحد ابن زيد وحماد بن زيد وهي هذه

(أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذاك * فاما الذي هو حب الهوى
فشغلي بذكرك عمن سواك * وأما الذي أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراك

قال رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حباله فاباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل ولذلك قال أبو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالاجير السوء بل عبدته حباله وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة نظما

أحبك حبين حب الهوى
وحبا لانك أهل لذا كا
فاما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عمن سوا كا
وأما الذي أنت أهله * فكشفك لي الحجب حتى ارا كا

فلا

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى * ولكن لك الحمد فى ذا وذاك)

وقد تكلم صاحب القوت على هذه الابيات بكلام ساطع الانوار يعرفه من رزقه وينكره من حرمه والمصنف رحمه الله تعالى أشار الى زبدة كلامه فلنورد كلامه اولا ثم كلام صاحب القوت قال المصنف (ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها وهو اعلى الحبين) فقد اشار بذلك الى ان كلامها يدل على ان المحبة بهذا السبب اقوى الاسباب واثبتها دواما واما صاحب القوت فقال فأما قولها حب الهوى وقولها حب انت اهل له وتفرقتها بين الحبين فانه يحتاج الى تفصيل حتى يقف عليه من لا يعرفه ويخبره من لم يشهده وفى تسميته ونعت وصفه انكار من ذوى العقول ممن لا ذوق له منه ولا قدر له به ولكنا نجمل ذلك وندل عليه من عرفه معنى حب الهوى اى رأيتك فاحببتك عن مشاهدة اليقين لا من خبر وسمع تصديق من طريق النعم والاحسان فيختلف محبتى اذا تغيرت الافعال لاختلاف ذلك على ولكن محبتى من طريق العيان فقربت منك وهربت اليك فاشتغلت بك لما تفرغت لك كما قال المحب

فرغت قلبها اشتغالا بذكرى * وكذا كل فارغ مشغول

وعلى هذا المعنى قوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أى ملآن بذكره حتى فاض فكادت ان تظهره فتقول هو ابنى فعبر عن الملء بالفراغ من ضده لولا ان أولينا عليه بر بطنا فكظمت ولولم تفعل لاظهرت ولو أظهرته لقتل وأما الحب الثانى الذى هو أهل له تعنى حب التعظيم والاجلال لوجه العظيم ذى الجلال تقول ثم انى مع ذلك لا استحق على هذا الحب ولا استأهل ان أنظر اليك فى الآخرة على الكشف والعيان فى محل الرضوان لان حبى لك لا يوجب لك جزاء عليه بل يوجب على كل شئ مما لا أطيقه ولا أقوم بحقك فيه أبدا اذ كنت قد أحببتك فلزمنى خوف التقصير ووجب على الحياء من قلة الوفاء والخوف لما تعرضت به من حبك اذ ليس كمثلك شئ كما قال المحب

أصبحت صبا ولا أقول بمن * خوفا لمن لا يخاف من أحد

اذا تفكرت فى هواى له * لمست رأسى هل طار عن جسدى

لولا ان الحب ينطق والشوق يقلق والوجد يحرق فالمحب لا يلام لغيبة النفس عنه والانام تقول فتفضلت على بفضل كرمك وما أنت له أهل من تفضلك فاريتنى وجهك عندك آخرا كما أريتنيه اليوم عندى أولا فلك على ما تفضلت به فى ذلك عندى فى الآخرة ولا حمد لى فى ذاههنا ولا حمد لى فى ذلك هنالك اذ كنت أنا وصلت اليهما لك فانت المحمود فيهما لانك وصلتنى بهما فهذا الذى فسرناه هو وجد المحبين المحقين وقد كانت تذكر الانس فى وجدها وترتفع الى وصف معنى من الخلة فى قولها السائر

انى جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

ومن قولها النادر فى مقام الخلة وتخللت مسلك الروح منى * وبه سمى الخليل خليلا

فاذا ما نطقت كنت حديثى * واذا ما سكت كنت الغليلا

وقد أهل ذلك لها كل من نقله عنها من العلماء ووصفوها به فوصفنا من نعت المحبين بعض ما يصلح من معنى كلامها الا ناظننا بقولها ذلك ان كان لها فى المحبة قدم ولا يسعنا ان نشرح فى كتاب حقيقة كشف ما أجملناه ولان نفصل وصف ما ذكرناه ومن لم يكن من المحبين كذلك حتى لا يدل بمحبته ولا يقتضى الجزاء عليها من محبوبه ولا يوجب على حبيبه شيأ لاجل محبته فهو مخدوع بالمحبة ومحجوب بالنظر اليها وانما ذلك مقام الرجاء الذى ضده الخوف ليس من المحبة فى شئ ولا تصح المحبة الا بخوف المقت فى المحبة وقال بعض العارفين ما عرفه من ظن انه عرفه ولا أحبه من توهم انه أحبه هذا كله كلام صاحب القوت (ولذة مطالعة جمال الربوبية هى التى عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه تعالى أعددت لعبادى الصالحين) أى لحضرتى من الجزاء (مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) رواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه من حديث

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها وهو اعلى الحبين وأقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هى التى عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال حاكيا عن ربه تعالى أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

وقد تحصل ببعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني أقول يارب ياالله فاجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون مايقوله جنونا وكفرا فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو ألقي في النار لم يحس به لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لم يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل وأي معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره انه أعظم النعم بل من عرف الله عرف ان اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم

كانت لقلبي اهواء مفرقة * فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائي

فصار يحسدني من كنت أحسده * وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

ولذلك قال بعضهم

وهجره أعظم من ناره * ووصله أطيب من جنته

وما أراد بهذا الايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثال أطوار الخلق في لذاتهم ماذكره وهو ان الصبي في أول حركته وتمييزه تظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر

أبي هريرة ورواه ابن جرير من حديث أبي سعيد وعن قتادة مرسلا وروى ابن جرير أيضا عن الحسن بلاغا بلفظ قال ربكم أعددت لعبادي الذين آمنوا وعملوا الصالحات مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وقد تحصل ببعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني) لاجد الحضور (فاقول يارب أو ياالله فاجد ذلك أثقل على قلبي من الجبال) قيل له ولم قال (لان النداء يكون من وراء الحجاب وهل رأيت جليسا ينادي جليسه) انما هي اشارات وملاحظات ومناغات وملاطفات فصاحب هذا المقام ممن تجلت له هذه اللذة وقد صدق فيما قال فان النداء لا يكون الا للغائب ومن كان الذي يناديه جليسه وأنيسه فيستغني عن نداه كيف وهو مستغرق الهم به ويستأنس له ماجاء في الخبر قال الله تعالى ياموسى أنا جليس من ذكرني ويشبه ان يكون هذا مقام رابعة قدس الله سرها اذ قالت * وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي * وقال صاحب القوت عقيب الكلام السابق الا أنه مستبعد ان يقول وما أخوذ عليه ان يكون فقيها بما يقول ولا يخرج من موضع القرب وان وقع عليه الحكم بالقول والفعل ولكل مقام مع الله تعالى فقد خفي ولكل عالم بالله اللطيف علم لطيف غريب (وقال بعضهم اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة) كما في القوت ولفظه ولقد قال لي رجل من أهل المعرفة اذا بلغ أحدهم من هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة (اي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون مايقوله جنونا أو كفرا) زاد صاحب القوت فقال وقال آخر اذا تناهت معارفهم انتهت الى حيرة ودهشة انتهى ومن ذلك قول ابن عباس لو فسرت لكم آية كذا وسماها لرميتموني بالحجارة أي لقلتم بكفري فانه لا يرجم بالحجارة الا من ارتد عن دينه (فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم منها) من أنواع الانصبة (واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو ألقي في النار لم يحس بها) ولم يدرك لها ألما (لاستغراقه) بكليته (ولو عرض عليه نعيم الدنيا لم يلتفت اليه) أصلا (لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية) ولا بعدها مرمى (وليت شعري من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل) تعالى الله عن ذلك (وأي معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره انه أعظم النعم بل من عرف الله عرف ان اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة) وهذا هو معنى الحب الاول الذي أشارت اليه رابعة قدس الله سرها (كما قال بعضهم) أي من المحبين مشيرا الى هذا المقام

(كانت لقلبي أهواء مفرقة * فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي)

أي كانت لي قبل ذلك أهواء متفرقة فلما رأيتك اجتمعت كلها فصرت أنت كلية القلب وجملة المحبة وأنسيتني ماسواك واليه يشير قول القائل

وأنت جمعت من قلبي * هوى قد كان مشتركا

(فصار يحسدني من كنت أحسده * وصرت مولى الورى اذ صرت مولائي

تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي)

(ولذلك قال بعضهم) اي من المحبين مشيرا الى هذا المقام

(وهجره أعظم من ناره * ووصله أطيب من جنته

وما أرادوا بهذا الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله فقط) وبه تمتعه (ومثال أطوار الخلق في لذاتهم) هو (ماذكره) هنا (وهو ان الصبي في أول حركته وتمييزه تظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر

الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ماقبلها فى الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهى آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ماقبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب فى سن التمييز وحب النساء والزينة فى سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهى الغاية العليا وكما ان الصبى يضحك على من يترك اللعب ويشتغل (٥٧٩) بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون

(بيان السبب فى زيادة النظر فى لذة الآخرة على المعرفة فى الدنيا)

اعلم أن المدركات تنقسم الى مايدخل فى الخيال كالصور المتخيلة والاجسام المتلونة والمتشكلة من أشخاص الحيوان والنبات والى مالا يدخل فى الخيال كذات الله تعالى وكل ماليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن رأى انسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة فى خياله كأنه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئى صارت بالرؤية أتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى فى وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم رؤى عند تمام الضوء فانه لاتفارق احدى الحالتين الاخرى الا فى مزيد الانكشاف فاذا الخيال أول الادراك والرؤية هو الاستكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمى ذلك رؤية لانه غاية الكشف لا لانه فى العين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف فى الجبهة أو الصدر مثلا استحق أن يسمى رؤية واذا فهمت هذا فى المتخيلات فاعلم ان المعلومات التى لاتتشكل أيضا فى الخيال لمعرفتها وادراكها درجتان احداهما أولى والثانية استكمال لها وبين الاولى والثانية من التفاوت فى مزيد الكشف والايضاح مابين المتخيل والمرئى

الاشياء) فاذا خلى وطبعه مال الى ماجبل عليه (ثم تظهر) فيه (بعده) غريزة أخرى بها يدرك (لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب) فيشتغل بها (فيستحقر معها لذة اللعب الذى كان يميل اليه ويحبه ثم تظهر) فيه (بوادى) غريزة أخرى يدرك بها (لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ماقبلها) من اللعب والزينة (فى الوصول اليها ثم تظهر) فيه بعده غريزة أخرى يدرك بها (لذة الرياسة والعلو والتكاثر) بالاموال والاولاد (وهى آخر لذة الدنيا وأعلاها وأقواها) ولذا كانت آخر مايخرج من دماغ الانسان من لذات الدنيا هى كما قال بعضهم أما العلو فى النفس منه شئ (كما قال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم الآية) فقد أشار فيه الى تلك المقامات الثلاث (ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله) ومعاملاته (فيستحقر معها جميع مامر قبلها) من اللذات (فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب فى سن التمييز وحب النساء والزينة فى سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهى الغاية العليا) ومابعد العلوم والمعارف شئ (وكما ان الصبى يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون) اذا كشف الغطاء وارتفع الحجاب وتحققت الحقائق وتجلى الاسرار ويصادف كل واحد ماقدم من خير أو شر محضرا ويشاهد كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا وعنده يقال له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد

(بيان السبب فى زيادة الفضل فى الآخرة على المعرفة فى الدنيا)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان المدركات تنقسم الى مايدخل فى الخيال) وهى قوة تحفظ مايدركه الحس المشترك (كالصور المتخيلة والاجسام المتلونة المتشكلة من أشخاص الحيوان والنبات والى مالا يدخل فى الخيال كذات الله تعالى وكل ماليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها) من صفات المعانى (ومن رأى انسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة فى خياله) بعد غيبوبة مادته بغض البصر (كأنه ينظر اليها) بقوة الحس المشترك (ولكن اذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئى صارت بالرؤية أتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى فى وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم رؤى) وقت الضحوة (عند تمام الضوء فانه لاتفارق احدى الحالتين الاخرى الا فى مزيد الانكشاف) وتمام الوضوح (فاذا الخيال أول الادراك) وهو خزانة الحس المشترك (والرؤية هو استكمال لادراك الخيال) أى ماتخيله فى تلك القوة (وهو غاية الكشف وسمى ذلك رؤية لانه غاية الكشف لا لانه فى العين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف فى الجبهة أو الصدر مثلا استحق ان يسمى رؤية) فلا اختصاص للرؤية بالعين (واذا فهمت هذا فى المتخيلات فاعلم ان المعلومات التى لا تتشكل أيضا فى الخيال لمعرفتها وادراكها درجتان احداهما أولى لها والثانية استكمال لها وبين الاولى والثانية من التفاوت فى مزيد الكشف والايضاح) مثل (مابين المتخيل والمرئى

فيسمى الثانى أيضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وأصلها ادراك المرئى وهو على أضرب بحسب قوة النفس (وكان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئى ولابد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية ومالم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل) أى التصور فى الخيال (فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس مادامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وماغلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهى الى المشاهدة واللقاء فى المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول فى سبب كونه حجابا يطول) ذكره (ولا يليق بهذا العلم) فانه من أسرار المكاشفات (ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام) لما طلب الرؤية (لن ترانى) أى مادمت محجوبا بحجاب الحياة وقال سيدى عبد العزيز الدباغ قدس سره حين سئل عن هذه الآية ما حاصله ان سيدنا موسى عليه السلام من أكابر أهل المشاهدة ومشاهدة الذات العلية لا تخلص لاهلها من مشاهدة أفعالها ولا تصفو عنها الا لو كانت أفعال الذات العلية تنقطع ولو انقطعت طرفة عين لانهد الوجود واختل نظام العالم فما من وجود الا وفيه فعل الله وهو مادته واسبابه فى بقائه وهو الحجاب بينه وبين الذات العلية ولولا انه تعالى حجب ذواتنا بافعاله فيها لاحترقت الذوات وذاب كل حادث فى العالم فلم تصف المشاهدة لاهلها وصارت الافعال المتقدمة بمنزلة القذى فى البصر سأل موسى عليه السلام ربه أن يقطع عنه الفعل حتى لا يحجبه عن مشاهدة الذات العلية على الصفاء فقال له ربه عز وجل اذا قطعت الفعل عن الحادث اختلت ذاته وهذا الجبل أقوى منك ذاتا وأصلب منك جرما فانظر اليه فان استقر مكانه بعد قطع فعلى عنه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل وقطع عنه الفعل الحاجب له من سطوة الذات العلية تدكدك الجبل وتطايرت اجزاؤه حتى صعق موسى عليه السلام اهـ (وقال تعالى لا تدركه الابصار فى الدنيا) لوجود الحجاب المانع من الرؤية (والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج) قال العراقى هذا الذى صححه المصنف هو قول عائشة ففى الصحيحين انها قالت من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ولمسلم من حديث أبى ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقد رأيت ربك قال نور انى اراه وذهب ابن عباس وأكثر العلماء الى اثبات رؤيته له وعائشة لم ترو ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وحديث أبى ذر قال فيه أحمد ما زلت له منكرا وقال ابن خزيمة فى القلب من صحة اسناده شئ وفى رواية لاحمد من حديث أبى ذر رأيته نورا انى أراه ورجال اسناده رجال الصحيح اهـ قلت ورواية أبى ذر الاولى رواها كذلك الطيالسى والترمذى وابن حبان وابن مردويه هل رأيت ربك قال فذكره وروى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه من حديث أبى ذر قال رآه بقلبه ولم يره بعينه ورواه النسائى مثله الا أنه قال ولم يره ببصره وقد روى عن أبى العالية مثله كذا رواه ابن جرير وأخرج عبد بن حميد والترمذى وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن الشعبى قال لقى ٧ ابن عباس بعرفة فسأله عن شئ فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انا بنى هاشم نزعم ونقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام فرآه محمد مرتين وكلم موسى مرتين قال مسروق فدخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت بشئ قف له شعرى قلت رويدا ثم قرأت لقد رأى من آيات ربه الكبرى قالت أين يذهب بك انما هو جبريل من أخبرك ان محمدا رأى ربه أو كتم شيأ مما أمر به أو يعلم الخمس التى قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة الآية فقد أعظم الفرية ولكنه رأى جبريل لم يره فى صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة عند جياد له ستمائة جناح قد سد الافق وأما قول ابن عباس فروى عنه من طرق بالفاظ مختلفة فعند الطبرانى وابن مردويه عنه قال ان محمدا رأى ربه مرتين ببصره ومرة بفؤاده وعند ابن مردويه عنه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه وروى الترمذى وحسنه والطبرانى وابن مردويه والحاكم والبيهقى فى الاسماء والصفات عنه قال قد رأى النبى صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل وروى النسائى والحاكم وصححه

وابن

فيسمى الثانى أيضا بالاضافة الى الاول مشاهدة وبقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئى ولابد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية ومالم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وماغلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهى الى المشاهدة واللقاء فى المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول فى سبب كونه حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام لن ترانى وقال تعالى لا تدركه الابصار أى فى الدنيا والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج

فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد نعوذ بالله من ذلك ومنها مالم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا (٥٨١) يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها في حق المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة آلاف سنة ولن ترتحل نفس عن هذا العالم الا ويصحبها غبرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها فاذا أكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه فانه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا رهق وجهه غبرة ولا قترة لان فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى ما علمه كانكشاف تجلي المرآة بالاضافة الى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فاذا الرؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الا من حيث

وابن مردويه عنه قال أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليهم السلام والكلام في المسئلة طويل الذيل أورده شراح الشفاء فليراجع (فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسدت بطول تراكم الخبث جوهرها فلا يقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد نعوذ بالله من ذلك) واليهم يشير قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (ومنها مالم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقمع عنه الخبث الذي هو متدنس به) ليصلح للمشاهدة (ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة) واليه الاشارة في حديث المرور على الصراط كالبرق الخاطف (وأقصاها في حق المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة آلاف) قال العراقي رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث أبي هريرة انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي الحديث وفيه وأطولهم مكثا فيها مثل الدنيا من يوم خلقت الى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة واسناده ضعيف وقد تقدم اهـ قلت وهو حديث طويل وهذا لفظه انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها فهم في الباب الاول من جهنم لا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا يغلون بالاغلال ولا يقرنون مع الشيطان ولا يضربون بالمقامع منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها يوما ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج وأطولهم مكثا فيها يمكث بمثل الدنيا من يوم خلقت الى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة الحديث وفيه ذكر جماعة يخرجون من النار ويدخلون الجنة وهم عتقاء الله من النار الا رجلا واحدا فانه يمكث فيها بعدهم ألف سنة ثم ينادي يا حنان يا منان فيبعث الله اليه ملكا ليخرجه الحديث وقد تقدم (ولن ترتحل نفس عن هذا العالم الا ويصحبها غبرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) والمراد بالورود العرض عليها الا الدخول فيها (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) أي جاثين على ركبهم (فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها) وقد روي ذلك عن الحسن (فاذا أكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله) المضروب (ووقع الفراغ من جملة ما وعد به الشرع) ونطقت به الاخبار (من الحساب) ووزن الاعمال (والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم) غير معلوم (لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه) بل استأثره بعلمه (فانه واقع بعد يوم القيامة ووقت القيامة مجهول) كساعة الجمعة وليلة القدر واضرابها (فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة) أي دخنة (لان فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى ما علمه كانكشاف تجلي المرآة بالاضافة الى ما تخيله) أي يدركه في خياله (وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فاذا الرؤية حق) فمن كان من أهل هذه المشاهدة ثم سأل الرؤية فانما يسأله بقاءها ودوامها لان الرؤية أمر وراء تلك المشاهدة (بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب) جل جلاله (علوا كبيرا) لتنزهه عن المكان وعن تطرق الخيال والتصور اليه (بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الا من حيث

زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا من المثال في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف أيضا جهة وصورة لانها بعينها لا تفترق منها الا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرعا ومن لا نواة في أرضه كيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالاضافة الى اختلاف البذر اذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام ان الله يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة فلا ينبغي أن يظن ان غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدات ما يجده أبو بكر بل لا يجد الا عشر عشيره ان كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره ولما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به وكما انك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة وعلى المنكوح والمطعوم والمشروب جميعا فكذلك في يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت الجار ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر

زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا من المثال) فيما سبق (في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهة) وتقدير شكل (فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف أيضا جهة وصورة لانها هي بعينها الا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها لا تفترق منها الا في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا اذ تمام النور ولا يؤثر الا في زيادة الكشف) كما يرشد اليه لفظ الاتمام الذي هو بمعنى التوفية (ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي النور الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحبة زرعا ومن لا نواة في أرضه فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالاضافة الى اختلاف البذر اذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة) قال العراقي رواه ابن عدي من حديث جابر وقال باطل بهذا الاسناد وفي الميزان للذهبي ان الدارقطني رواه عن الحاملي عن علي بن عبدة قال وعلي بن عبدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر في التاريخ وابن الجوزي في الموضوعات اهـ قلت ورواه كذلك ابن النجار في تاريخه وعلي بن عبدة هو التميمي رواه عن ابن علية وفي الجزء الاول من فوائد أبي الحسين بن بشران من طريق أبي عبيدة عن الحسن قال قال علي بن أبي طالب يا رسول الله من أول من يحاسب الله يوم القيامة فساق الحديث وفي آخره فيتجلى الله عز وجل لابي بكر خاصة وللناس عامة (فلا ينبغي أن يظن ان غير أبي بكر ممن هو دونه) في المعرفة (يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر) رضي الله عنه (بل لا يجد الا عشر عشيره ان كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره ولما فضل) أبو بكر (الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به) يشير الى ما سبق من حديث ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشئ وقر في قلبه رواه الحكيم من قول بكر المزني وتقدم الكلام عليه (وكما انك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة وعلى المطعوم والمنكوح جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ) كان (يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به وكذلك لما قيل لرابعة) بنت اسمعيل العدوية قدس الله سرها (ما تقولين في الجنة فقالت) مستشهدة بالحديث المشهور (الجار ثم الدار) رواه الخطيب في الجامع من حديث علي بزيادة والرفيق قبل الطريق والزاد قبل الرحيل ورواه الطبراني من حديث رافع بن خديج وفيه زيادة أخرى في آخره (فبينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر

فى الآخرة اذليس يستأنف لاحد فى الآخرة مالم يصحبه من الدنيا ولا يحصد أحد الا مازرع ولا يحشر المرء الا على مامات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذى يتنعم به بعينه فقط الا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل أحد فيها مايشتهى فمن لا يشتهى الا لقاء الله تعالى فلا لذة له فى غيره بل ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فاصل السعادات هى المعرفة التى عبر الشرع عنها بالايمان فان قلت فلذة الرؤية ان كان لها نسبة الى لذة المعرفة فهى قليلة وان كان أضعافها لان لذة المعرفة فى الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهى فى القوة الى أن يستحقر سائر لذات الجنة فيها فاعلم أن هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلوعن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين فى معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة فى الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها أصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق روائح الاطعمة الشهية الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق فى الدنيا تتفاوت باسباب أحدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة فى النظر الى الاجمل اكمل لا محالة والثانى كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه والثالث كمال الادراك فليس التذاذه برؤية المعشوق فى ظلمة أومن وراء ستر رقيق أومن بعد كالتذاذه بادراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كادراكها مع التجرد والرابع اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته فى حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو فى هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما

فى الآخرة اذليس يستأنف لاحد فى الآخرة مالم يصحبه من الدنيا ولا يحصد أحد الا مازرع ولا يحشر المرء الا على مامات عليه) ففى الخبر يبعث كل عبد على مامات عليه رواه عبد بن حميد ومسلم وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث جابر ورواه البغوى والطبرانى والحاكم فى الكنى من حديث زيد بن حارثة ورواه الدارقطنى فى الافراد من حديث ابن عمر ورواه ابن حبان من حديث جابر أيضا بزيادة المؤمن على ايمانه والمنافق على نفاقه وعند ابن ماجه من حديث أبى هريرة انما يبعث الناس على نياتهم (ولا يموت الا على ماعاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذى يتنعم به بعينه فقط الا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل أحد فيها مايشتهى فمن لا يشتهى الا لقاء الله تعالى فلا لذة له فى غيره بل ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فاصل السعادات هى المعرفة التى عبر الشرع عنها بالايمان) فقد روى من حديث على الايمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالاركان رواه ابن ماجه والطبرانى وتمام والشيرازى فى الالقاب وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات (فان قلت فلذة الرؤية ان كانت لها نسبة الى لذة المعرفة فهى قليلة وان كانت اضعافها لان لذة المعرفة فى الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهى فى القوة الى أن يستحقر سائر لذات الجنة فيها فاعلم ان هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلق عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين فى معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة فى الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها أصلا الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق روائح الاطعمة الشهية) اللذيذة (الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق فى الدنيا باسباب أحدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة فى النظر الى الاجمل أكمل لا محالة والثانى كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه والثالث كمال الادراك فليس التذاذه برؤية المعشوق فى ظلمة أومن وراء ستر رقيق أومن بعد كالتذاذه بادراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كادراكه مع التجرد) عنه (والرابع اندفاع العوائق المشوشة) أى الموانع المكدرة (والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح) البدن (الفارغ) البال (المتجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بهم من المهمات فقدر) أنت فى نفسك (عاشقا ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته فى حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو فى هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما

من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للاولى اليها نسبة يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزنابير مثال الشهوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملا الاعلى والتفاتها الى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور والعارف وان قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور أن يخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من انتهى الى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه الا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له فالاحاطة بكنه جلال الله محال فكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وباسرار مملكته وقويت كثر النعيم في الآخرة نفسه وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله لان المعرفة انما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن أحب الموت أحبه لانه رأى

من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للاولى اليها نسبة يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزنابير مثال الشهوات) الخلقية المشوشة من داخل (المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن) وأشباه ذلك (والحب مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملا الاعلى والتفاتها الى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور والعارف وان قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو من هذه المشوشات ولا يتصور ان يخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه) ويكدر عليه (وهذه ضرورة دائمة) لا تنفك (في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت) فعند ذلك يحصل التجريد والراحة (وانما العيش عيش الآخرة) كما ورد به الخبر (وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) كما في الكتاب العزيز (وكل من انتهى الى هذه المرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه) وفي الخبر لا راحة للمؤمن في الدنيا دون لقاء الله عز وجل وفي أقوالهم الموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب (الا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له فالاحاطة بكنه جلال الله محال) الا ما كان من طريق الاسماء والصفات (فكلما كثرت المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وباسرار مملكته وقويت كثر النعيم في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا) اذ هي مزرعة للآخرة (ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله) قال العراقي رواه ابراهيم الحربي في كتاب ذكر الموت من رواية ابن لهيعة عن ابن الهاد عن المطلب عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله ووالد المطلب عبد الله بن حنطب مختلف في صحبته ولاحمد من حديث جابر ان من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة وللترمذي من حديث أبي بكرة ان رجلا قال يا رسول الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال هذا حسن صحيح وذكره ابن حبان في الصحابة وقال ابن عمر له صحبة وقال الترمذي بعد ان ساق له حديثا من طريق عبد العزيز بن المطلب بن حنطب عن أبيه عن جده في فضائل قريش هذا مرسل وعبد الله بن حنطب لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم فهذا اختلافهم فيه وحديثه المذكور رواه كذلك القضاعي والحاكم والديلمي من حديث ابن عمر وأما حديث جابر فقد رواه أيضا الحاكم ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب بدون ان وأما حديث أبي بكرة فرواه كذلك أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة وشر الناس من طال عمره وساء عمله ورواه بالجملة الاولى فقط أحمد وعبد بن حميد والطبراني والبيهقي أيضا من حديث عبد الله بن بسر (لان المعرفة انما تكمل وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع من علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك أمانا لا محالة فمن أحب الموت أحبه لانه رأى

نفسه واقفا في المعرفة بالغا الى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما تحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند أهل المعرفة وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت أحبوا البقاء وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية كونها ألذ من سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وان لم تكن كذلك عند ذوى النقصان كما لم تكن (٥٨٥) الرياسة ألذ من المطعومات عند الصبيان

فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون الى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت الى أن رؤيته تخلق في عينه أو في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها فان العين محل وظرف لا نظر اليه ولا حكم له والحق فيه أن القدرة الازلية واسعة فلا يجوز ان تحكم عليها بالقصور عن أحد الامرين هذا في حكم الجواز فاما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون

لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا لضرورة والله تعالى أعلم *(بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى)* اعلم ان أسعد الخلق حالا في الآخرة أقواهم حبا لله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبد الآباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الا أن هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة

نفسه واقفا في المعرفة بالغا الى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما تحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند أهل المعرفة وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا) ولذا انها (ان اتسعت أحبوا البقاء وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مصدر كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها ألذ من سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وان لم تكن كذلك عند ذوى النقصان كما لم تكن الرياسة ألذ من المطعومات) واللعب (عند الصبيان) فان أنكروا فبعذرهم لنقصانهم عن درجة الكمال (فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة فاعلم ان الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون الى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة) و يأخذ الهدية ولا يسأل عن الجالب (ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن ان يلتفت الى ان رؤيته تخلق في عينه أو في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها فان العين محل وظرف لا نظر اليه ولا حكم له والحق فيه ان القدرة الازلية واسعة فلا يجوز ان تحكم عليها بالقصور عن أحد الامرين هذا في حكم الجواز فاما الواقع في الآخرة من الجائزات فلا يدرك الا بالسمع) اذ لا مدخل للعقل فيه (والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من شواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا لضرورة والله أعلم) فروى أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة ان الناس قالوا هل نرى ربنا يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم هل تمارون في رؤية القمر في ليلة البدر ليس دونه سحاب وهل تمارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب فانكم ترونه كذلك الحديث بطوله ورواه كذلك من حديث أبي سعيد وروى الطيالسي وأحمد والشيخان وابن خزيمة من حديث أبي سعيد هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدهما الحديث بطوله وروى النسائي وابن ماجه بعضه وعند مسلم من حديث أبي هريرة هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم عز وجل الا كما تضارون في رؤية أحدهما الحديث

(بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان أسعد الخلق حالا أقواهم حبا لله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى) والعرض عليه (ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه) وحنينه اليه (وتمكن من دوام مشاهدته أبد الآباد من غير منغص و) لا (مكدر ومن غير رقيب ومزاحم) له في مشاهدته (ومن غير خوف انقطاع) أو نقص (الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة

وانما يكتسب العبد حب الله تعالى فى الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهى الى الاستهتار الذى يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين * أحدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذى لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وكمال الحب فى أن يحب الله عز وجل بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى من الماء فى الاناء ينقص من الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم وبقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله أى لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم أبغض اله عبد فى الارض الهوى ولذلك قال عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لانها مانعة له من مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه فخلى من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن أبد الآباد فأحد أسباب ضعف حب الله فى القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمنتزهات حتى ان المتفرج بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله ولا يؤتى أحد من الدنيا شيأ الا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره ولا يطيب قلب امرأته الا ويضيق به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب

(وانما يكتسب العبد حب الله تعالى فى الدنيا وهو فيها وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن أصل المعرفة) الذى هو أساس الايمان (وأما قوة الحب واستيلاؤه) عليه بالكلية (حتى ينتهى الى) حد (الاستهتار الذى يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون) وقد تقدم ان العشق هو مبالغة الحب (وانما يحصل ذلك بشيئين أحدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذى لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء و) اليه يشير قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) أى وانما هو قلب واحد لا يتسع لشيئين (وكمال الحب فى أن يحب الله عز وجل بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله تعالى وبقدر ما يبقى من الماء فى الاناء ينقص من الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم) يلعبون (وبقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله أى لا معبود ولا محبوب سواه) وانما قلنا ذلك (فان كل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه) أى جعل هواه وما يحبه مألوهه ومعبوده وتقيد به (وقال صلى الله عليه وسلم أبغض اله عبد فى الارض الهوى) رواه الطبرانى من حديث أبى امامة بسند ضعيف أبغض اله عبد عند الله فى الارض هو الهوى (وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة) رواه البزار والطبرانى فى الاوسط من حديث أبى سعيد ورواه البغوى والطبرانى من حديث أبى سعيد الخدرى وقد تقدم ورواه ابن النجار من حديث أنس بزيادة قيل أفلا أبشر الناس قال انى أخاف أن يتكلوا (ومعنى الاخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط) ولذلك اختارت مشايخ هذه الطائفة العلية أن يقولوا بعد ذكرهم ثلاث مرات الهى أنت مقصودى ورضاك مطلوبى وقد جاءت الاشارة الى ما ذكره المصنف فى معنى الاخلاص فى الخبر الذى روى عن زيد بن أرقم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال أن تحجزه عن محارم الله رواه الحكيم والطبرانى وصاحب الحلية (ومن هذا حاله فالدنيا سجنه) أى بمنزلة السجن عليه (لانها مانعة عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب) فهذا لا محالة يحب الموت (فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه) أى طال عليه (فخلى من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن أبد الآباد فأحد أسباب ضعف حب الله فى القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمنتزهات حتى ان المتفرج بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم حب الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله بسببه) وكان المراد منه اذا أنس بها ووقف معها والا فمجرد ميل القلب اليها من غير سكون بها لا يكون محبا لها (فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله ولا يؤتى أحد من الدنيا شيأ الا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة) كما دلت عليه الاخبار (كما أنه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره و) كما (لا يطيب قلب امرأته الا ويضيق به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان) ان أرضيت احداهما أسخطت الاخرى روى ذلك من كلام على رضى الله عنه مذكور فى نهج البلاغة (وهما كالمشرق والمغرب) روى ذلك من كلام كعب

وقد انكشف ذلك لذوى القلوب انكشافا أوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام الخوف والرجاء فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هى مقدمات ليكتسب بها أحد ركنى المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله وأوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد فى الدنيا وفى المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركنى المحبة واليه الاشارة بقوله عليه السلام الطهور شطر الايمان كما ذكرناه فى أول كتاب الطهارة * السبب الثانى لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجرى مجرى وضع البذر فى الارض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثانى ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهى الكلمة الطيبة التى ضرب الله بها مثلا حيث قال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء واليها الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أى المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالحمال لهذه المعرفة وكالخادم وانما العمل الصالح كله فى تطهير القلب أولا من الدنيا ثم ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الآخر وانما الاول علم المعاملة وغرضها العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما أن من كان معتدل المزاج اذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال اليه ومهما أحبه حصلت اللذة فاللذة تتبع المحبة بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافى والذكر الدائم والجد البالغ فى الطلب والنظر المستمر فى الله تعالى وفى صفاته وفى ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى

كعب الاحبار كما فى الحلية وقد سبق كل ذلك فى كتاب ذم الدنيا (وقد انكشف ذلك لذوى القلوب) والبصائر (انكشافا أوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد) عنها (وملازمة الصبر) بأنواعه المذكورة فى محله (والانقياد اليهما) أى الى طريق الزهد والصبر (بزمام الخوف والرجاء فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هى مقدمات ليكتسب بها أحد ركنى المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله وأوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد فى الدنيا فى المال وفى الجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركنى المحبة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان) رواه أحمد ومسلم والترمذى من حديث أبى مالك بزيادة والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها (كما ذكرناه فى أول كتاب الطهارة) فلا نعيده ثانيا (السبب الثانى لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجرى مجرى وضع البذر فى الارض بعد تنقيتها) وتنظيفها مما يخالفها (من الحشيش) والشوك وغير ذلك (وهو الشطر الثانى ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهى الكلمة الطيبة التى ضرب الله بها مثلا حيث قال) ألم تر كيف (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء) فعرفنا أن لها أصلا ثابتا فى القلوب بما أمدها به من النظر والاعتبار وعرفنا أن لها فروعا تنشأ منها هى مواجيد القلوب وأحوالها بسبب ما جبلها عليه من محبة سعادتها وكمالها (واليها الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب فهى المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالحمال لهذه المعرفة وكالخادم لها وانما العمل الصالح كله فى تطهير القلب أولا من الدنيا ثم ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول) وهو الاصل الذى هو عقد من عقود الايمان بالله ولله (وهو الآخر) أى العمل هو الآخر لانه تنشئه المواجيد على القلوب والجوارح (وانما الاول علم المعاملة وغرضه وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما أن من كان معتدل المزاج اذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال اليه ومهما أحبه حصلت اللذة فاللذة تتبع المحبة بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافى) من الكدر (والذكر الدائم) فى كل حال (والجد البالغ فى الطلب والنظر المستمر فى الله وفى صفاته وفى ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى

الاقوياء يكون أول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد و بقوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق الآية و بقوله عز وجل أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض و بقوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض و بقوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق (٥٨٨) الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه أكثر دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به الى المحبة فاعلم أن الطريق الاعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة في ايراده في الكتب وأما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنه لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من أعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة بالاضافة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى بل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبيه بجنسه فنقول أسهل الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب أقلها وأحقرها وأصغرها ولننظر في عجائبها فأقل المخلوقات هو الارض وما عليها أعني

(الاقوياء يكون أول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل) فالاقوياء ما يرون شيأ الا رأوا الله معه وربما زاد على هذا بعضهم فقال ما رأيت شيأ الا رأيت الله قبله لان منهم من يرى الاشياء به والضعفاء يرون الاشياء فيرونه بالاشياء (والى الاول الاشارة بقوله تعالى أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد و بقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو) وصاحب هذا المقام صاحب مشاهدة ودرجته درجة الصديقين ومما نسب للشيخ الاكبر قدس سره

سائلي عن عقيدتي * أحسن الله ظنه * علم الله انها * شهد الله انه

أشار بذلك الى مقام المشاهدة (ومنه نظر بعضهم) وهو ذو النون المصري رحمه الله تعالى (حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي) رواه القشيري في الرسالة قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول قيل لذي النون بم عرفت ربك فساقه (والى الثاني الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق و بقوله أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض و بقوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض و بقوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) وصاحب هذا المقام صاحب استدلال ودرجته درجة العلماء الراسخين (وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه أكثر دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر) وليس بعدهما الا درجة الغافلين المحجوبين (فان قلت كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به الى المحبة فاعلم ان الطريق الاعلى وهو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو) مرتبة الصديقين وهو (غامض) أي خفي المدرك (والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة لايراده في الكتب) اذ لم ينتفع به أحد لدقته وغموضه (وأما الطريق الاسهل الادنى فأكثره غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنه لاعراضها عن التدبر) فيه (واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من أعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته) كما قال القائل

فواعجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وذلك مما لا يتناهى بل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبيه بجنسه فنقول أسهل الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب أقلها وأحقرها وأصغرها ولننظر في عجائبها فأقل المخلوقات هو الارض وما عليها أعني

بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيهما من حيث الجسم والعظم فى الشخص فالشمس على ماترى من صغر حجمها هى مثل الارض مائة ونيفاوستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها الذى هى مركوزة فيه فانه لانسبة لها اليه وهى فى السماء الرابعة وهى صغيرة بالاضافة الى مافوقها من السموات السبع ثم السموات السبع فى الكرسى كحلقة فى فلاة والكرسى فى العرش كذلك فهذا نظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما أحقر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما أصغر الارض بالاضافة الى البحار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض فى البحر كالاصطبل فى الارض ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم أن المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض ثم انظر الى الآدمى المخلوق من التراب الذى هو جزء من الارض والى سائر الحيوانات والى صغره بالاضافة الى الارض ودع عنك جميع ذلك فأصغر مانعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجرى مجراه فانظر فى البعوض على قدر صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذى هو أعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم أعضاءه الظاهرة فانبت جناحه وأخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره ودبر فى باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته مادبره فى سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة

بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات فانك ان نظرت فيهما من حيث الجسم والعظم فى الشخص فالشمس على ماترى من صغر حجمها هى مثل الارض مائة ونيفاوستين مرة) و روى أبو الشيخ فى العظمة عن عكرمة قال الشمس جزء من سبعين جزأ من نور الكرسى والكرسى جزء من سبعين جزأ من نور العرش (فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها الذى هى مركوزة فيه فانه لانسبة لها اليه وهى فى السماء الرابعة) أى السماء الرابعة (وهى صغيرة بالاضافة الى مافوقها من السموات السبع ثم السموات السبع فى الكرسى كحلقة) ملقاة (فى فلاة) من الارض (والكرسى فى العرش كذلك) و روى ابن أبى حاتم وابن المنذر من طريق الضحاك عن ابن عباس قال لو ان السموات السبع والارضين السبع ثم وصلن بعضهن ببعض ما كن فى سعة الكرسى الا بمنزلة الحلقة فى المفازة و روى ابن جرير وابن مردويه وأبو الشيخ فى العظمة عن أبى ذر انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الكرسى فقال ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسى الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وان فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة و روى أبو الشيخ عن عكرمة قال الشمس جزء من سبعين جزأ من نور الكرسى والكرسى جزء من سبعين جزأ من نور العرش و روى ابن جرير وابن أبى حاتم عن السدى قال ان السموات والارض فى جوف الكرسى والكرسى بين يدى العرش و روى عثمان بن سعيد الدارمى فى الرد على الجهمية وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن مسعود قال مابين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام ومابين كل سماء خمسمائة عام و بصر كل سماء وأرض يعنى غلظ ذلك مسيرة خمسمائة عام ومابين السماء والارض السابعة الى الكرسى مسيرة خمسمائة عام ومابين الكرسى والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء (فهذا نظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما أحقر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما أصغر الارض بالاضافة الى البحار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض فى البحر كالاصطبل فى الارض) قال العراقى لم أجد له أصلا (ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم أن المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الى كل الارض) ومساحة بسيطها مائة ألف ألف وثلاثة وثمانون ألف ألف وثلاثمائة ألف وعشرون وأربعمائة ميل ومساحة بسيط عمارتها من الربع المسكون اثنان وثلاثون ألف ألف وأربعة وتسعون ألفا ومائة وثمانية أميال ونسبتها الى مساحة بسيط الارض كلها السدس وسدس العشر تقريبا وذلك من أقصى العمارة تقريبا بالمشرق الى أقصى المغرب طولا ومن حيث خط الاستواء الى حيث يرتفع القطب ستة وستون جزأ و ربع وسدس جزء عرضا (ثم انظر الى الآدمى المخلوق من التراب الذى هو جزء من الارض والى سائر الحيوانات والى صغره بالاضافة الى الارض) وما أودع الله فيه من أسرار العالم الكبير (ودع عنك جميع ذلك فأصغر مانعرفه من الحيوانات البعوض والنمل وما يجرى مجراه فانظر الى البعوض) وهو صنفان صنف يشبه القراد لكن أرجله خفيفة و رطوبته ظاهرة واليه أشار الجوهرى بقوله وصنف فى خلقة الفيل وهو المعروف بالناموس وهو المراد به هنا (على صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذى هو أعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين) فى كل ناحية ورجلين فللفيل أربعة أرجل وخرطوم وذنب وللبعوض مع هذه الاعضاء رجلان زائدتان وأربعة أجنحة (وانظر كيف قسم أعضاءه الظاهرة فأنبت جناحه وأخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره) وأودع فى مقدمة دماغه قوة الحفظ وفى وسطه قوة الفكر وفى مؤخره قوة الذكر وخلق له حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة اللمس وحاسة الشم (ودبر فى باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته مادبره فى سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة

والدافعة والماسكة والهاضمة ماركب فى سائر الحيوانات هذا فى شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الانسان ثم انظر كيف أنبت له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه فى واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجرى فيه الدم الرقيق وينتهى الى باطنه وينتشر فى سائر أجزائه يغذيه ثم كيف عرفه أن الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد آلته وخلق له السمع الذى يسمع به خفيف حركة اليد وهى بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر الى أن حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل حدقة الاجفان لصغره وكانت الاجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبار خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه وأما الانسان والحيوان الكبير فخلق لحدقتيه الاجفان حتى ينطبق أحدهما على الآخر وأطرافهما حادة فيجمع الغبار الذى يلحق الحدقة ويرميه الى أطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار وأما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولاجل ضعف أبصارها تراها تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف فهى تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن انه فى بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت المظلم الى الموضع المضىء فلا يزال يطلب الضوء ويرمى بنفسه اليه فاذا جاوزه ورأى الظلام ظن انه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليه مرة أخرى الى أن يحترق ولعلك تظن ان هذا النقصان او جهلها فاعلم أن جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمى فى الاكباب

والدافعة والماسكة والهاضمة ماركب فى سائر الحيوانات) وخلق له منفذا للغذاء ومخرجا للفضلة وخلق له جوفا ومعى وعظاما أنشد الزمخشرى فى الكشاف

و يرى نياط عروقها من لحمها * والمخ فى تلك العظام النحل

(هذا فى شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذائه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم انظر كيف أنبت له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان) التى يخرج منها العرق فيتوخاها (حتى يضع خرطومه فى واحد منها ثم قواه حتى يغرز فيه الخرطوم) و يشتد عضه و يقوى على خرق الجلود الغلاظ قال الراجز

مثل السقاة دائما طنينها * ركب فى خرطومها سكينها

(وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع رقته مجوفا حتى يجرى فيه الدم الرقيق و ينتهى الى باطنه و ينتشر فى سائر أجزائه و يغذيه) فهو له كالبلعوم والحلقوم (ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد آلته وخلق له السمع الذى يسمع به خفيف حركة اليد وهى بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت يعود) الى عمله وفيه من الشره انه يمص الدم الى أن يموت أو يعجز عن الطيران (ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر الى أن حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل حدقة الاجفان لصغره وكانت الاجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبار خلق للبعوض والذباب يدين) وهما الزائدتان على الفيل المتقدم ذكرهما (فتنظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه) وكلاهما من ذوى الخراطيم (وأما الانسان والحيوان الكبير خلق لحدقتيه الاجفان) لكل حدقة جفنان أعلى وأسفل (حتى ينطبق احداهما على الآخر وأطرافهما حادة فيجتمع الغبار الذى يلحق الحدقة و يرميه الى أطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن صورة العين) وقد خصت الحكمة الالهية لون السواد بذلك والبياض يفرق ضوء العين و يضعف نوره حتى ان ادامة النظر الى البياض المشرق بل الى نور الشمس يبهر نور العين و يمحقه كما ينمحى الضعيف فى جنب القوى (وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار وأما البعوض فخلق له حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين) ولكنه ليس ظاهر البادئ النظر كما يظهر من الذباب (ولاجل ضعف أبصارها تراها تتهافت) وتتساقط (على السراج لان بصرها ضعيف فهى تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن انه فى بيت مظلم وان السراج كوة من البيت المظلم الى الموضع المضىء فلا يزال يطلب الضوء و يرمى بنفسه اليه فاذا جاوزه و رأى الظلام ظن انه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليه مرة أخرى الى أن يحترق) واليه أشار القائل وأحسن

لهيب الخد حين بدا لطرفى * هوى قلبى عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا * وها أثر الدخان على الحواشى

(ولعلك تظن ان هذا النقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمى فى الاكباب

على شهوات الدنيا صورة الفراش) وهى ذباب مثل البعوض واحده فراشة (فى التهافت على النار اذ تلوح للآدمى أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدرى ان تحتها السم الناقع القاتل فلا يزال يرمى نفسه عليها الى أن ينغمس فيها و يتقيد بها و يهلك هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الآدمى كجهل الفراش بانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت فى الحال والآدمى يبقى فى النار أبد الآباد أو مدة مديدة) وقال المصنف فى موضع آخر من الحيوان ما اذا شاهد شيأ حفظه وارتسمت صورته فى ذهنه فاذا رآه مرة أخرى عرفه كالدابة ترى الشعير والعصا ومنه ما اذا شاهد شيأ لم يحفظه ولم يرتسم عنده صورته كالفراش فانه يجد المصباح فيرمى بنفسه فيه و يجد حرارته ثم يعود و يرمى بنفسه اليه ولو ارتسمت عنده صورته لما عاد اليه اه (ولذلك كان ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقول انى ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تتهافتون فيها تهافت الفراش) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة مثلى ومثل امتى كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فانا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه لفظ مسلم واقتصر البخارى على أوله ولمسلم من حديث جابر وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدى وقد تقدم قلت لفظ المتفق عليه من طريق أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة مثلى كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى يقعن فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن و يغلبنه فيقتحمن فيها فذلك مثلى ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم من النار هلم من النار فتغلبونى تقتحمون فيها رواه كذلك أحمد والترمذى ولفظ حديث جابر عند مسلم من طريق همام عن أبى هريرة مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدى ورواه كذلك الطيالسى وأحمد وقوله بحجزكم بضم الحاء المهملة وفتح الجيم جمع حجزة بالضم وهى معقد الازار والسراويل واذا أراد الرجل امساك من يخاف سقوطه أخذ بذلك الموضع منه قال النووى فى شرح مسلم مقصود الحديث انه صلى الله عليه وسلم شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم فى نار الآخرة وحرصهم على الوقوع فى ذلك مع منعه اياهم وقبضه على مواضع المنع منهم بتساقط الفراش فى نار الدنيا بهواه وضعف تمييزه فكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع فى ذلك بجهله وقال أبو العباس القرطبى فى شرحه هو مثل لاجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم فى نجاتنا وحرصه على تخليصنا من المهلكات التى بين أيدينا ولجهلنا بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا وقال القاضى أبو بكر بن العربى هذا مثل غريب كثير المعانى المقصود منه ان الله ضرب مثلا لجهنم وما ركب من الشهوات المستدعية لها المقتضية للدخول فيها وما نهى عنها وتوعد عليها وأنذرها وذكر بذلك تغلب الشهوات على التقحم باسم انها مصالح ومنافع وهى نكتة الامثال فان الخلق لا يأتون ذلك على قصد الهلكة وانما يأتونه باسم النجاة والمنفعة كالفراش تقتحم الضياء ليس لتهلك فيه ولكنها تأنس به وهى لا تبصر بحال حتى انها فى ظلمة فتعتقد ان الضياء كوة تستظهر فيها النور فتقصدها الاجل ذلك فتحترق وهى لا تشعر وذلك هو الغالب من أحوال الخلق أو كله اه وقد جاء ذكر تهافت الفراش فى حديث آخر رواه البيهقى فى الشعب عن النواس بن سمعان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أرا كم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار الان كل كذب مكتوب على ابن آدم كذبا لا محالة الا أن يكذب الرجل فى الحرب الحديث ورواه كذلك ابن جرير والخرائطى فى مساوى الاخلاق وروى ابن لال من حديث أسماء بنت يزيد مالى أرا كم تتابعون فى الكذب كما تتابع الفراش فى النار (فهذه لمعة فى عجائب صنع الله تعالى فى أصغر الحيوانات وفيها من العجائب مالو اجتمع الاولون والآخرون على الاحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جلية من ظاهر صورته فاما خفايا معانى ذلك فلا يطلع عليه الا الله تعالى ثم فى كل حيوان ونبات أعجوبة) بل (وأعاجيب تخصه) دون غيره (لا يشاركه فيه غيره) فان شئت بيان ذلك (فانظر الى النحل) ذباب العسل واحده نحلة للذكر والانثى (وعجائبها) قال الزجاج سميت نحلا لان الله تعالى نحل الناس منها العسل الذى تخرجه (وكيف أوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون)

على شهوات الدنيا صورة الفراش فى التهافت على النار اذ تلوح للآدمى أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدرى أن تحتها السم الناقع القاتل فلا يزال يرمى نفسه عليها الى أن ينغمس فيها و يتقيد بها و يهلك هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الآدمى كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت فى الحال والآدمى يبقى فى النار أبد الآباد أو مدة مديدة ولذلك كان ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تتهافتون فيها تهافت الفراش فهذه لمعة عجيبة من عجائب صنع الله تعالى فى أصغر الحيوانات وفيها من العجائب مالو اجتمع الاولون والآخرون على الاحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جلية من ظاهر صورته فاما خفايا معانى ذلك فلا يطلع عليها الا الله تعالى ثم فى كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لا يشاركه فيها غيره فانظر الى النحل وعجائبها وكيف أوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون

وذلك قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون قال فى عجائب
المخلوقات يقال ليوم عيد الفطر يوم الرحمة اذ أوحى الله فيه الى النحل صنعة العسل بين سبحانه وتعالى ان فى النحل
أعظم اعتبار فتأمل كمال طاعتها وحسن ائتمارها لامر ربها كيف اتخذت بيوتا فى هذه الامكنة الثلاثة من الجبال
والشجر وحيث يعرش الناس أى يبنون العروش فلا ترى للنحل بيتا فى غير هذه الثلاثة البتة وتأمل كيف كان
أكثر بيوتها فى الجبال وهو المقدم فى الآية ثم الاشجار وهى دون ذلك ثم العروش وهى أقل بيوتها وانظر كيف
أداها حسن الامتثال الى ان اتخذت البيوت قبل المرعى فهى تتخذها أولا فاذا استقر لها بيت خرجت منه فرعت
وأكلت من الثمرات ثم أوت الى بيوتها لانه تعالى أمرها أولا باتخاذ البيوت ثم بالاكل بعد ذلك (و) انظر (كيف
استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء والآخر شفاء) لف ونشر مرتب وفى قوله من لعابها
اشارة الى ان العسل يخرج من أفواهها وهو قول الجمهور ونقل ابن عطية فى تفسيره عن على رضى الله عنه انه
قال فى تحقير الدنيا أشرف لباس ابن آدم لعاب دودة وأشرف شرابه رجيع نحلة وظاهر هذا انه من غير الفم
قلت والمعروف من كلامه فاشرف المطعوم العسل وهو مذقة ذباب وقد تقدم ذكره فى كتاب ذم الدنيا والتحقيق
ان العسل يخرج من بطونها ولا يدرى من فيها أو غيره وقد صنع ارسطاطاليس بيتا من زجاج لينظر الى كيفية
ماتصنع فابت ان تعمر حتى لطخته من باطن الزجاج بالطين ذكره القزوينى وفى تفسير الكواشى الاوسط ان
العسل ينزل من السماء فينبت فى أماكن فتأتى النحل فتشربه ثم تأتى الخلية فتلقيه فى الهيأ للعسل فى الخلية لا كما
يتوهمه بعض الناس ان العسل من فضلات الغذاء وانه قد استحال فى المعدة عسلا هذه عبارته (ثم لو تأملت
عجائب أمرها فى تناولها الازهار والانوار) فيستحيل فى جوفها عسلا وتلقيه من أفواهها فيجتمع منه القناطير
المقنطرة وهذا الذى دل عليه القرآن واختلاف لونه وطعمه بحسب اختلاف المرعى وفى هذا المعنى قول
عائشة جرست نحله العرفط حتى شهت وأنحته برائحة المغافير (واحترازها عن النجاسات والاقذار) فلا تقع
الا على الطيبات من الثمار والازهار وتخرج رجيعها فى الخلية لانه منتن الريح (وطاعتها الواحد من جملتها)
يسمى اليعسوب (هو أكبرها شخصا وهو أميرها) ومن خصائصه انه ليس له حمة يلسع بها وأفضل ملوكها
الشقر وأوسطها الرقط بسواد ولا يتم أمرها الا به وقد جاء ذكره فى حديث أبى امامة ان أحدكم اذا أراد ان
يخرج من المسجد تداعت جنود ابليس واجتمعت كما تجتمع النحل الى يعسوبها رواه ابن السنى فى اليوم والليلة
وروى ابن عدى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى أنت يعسوب المؤمنين (ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل
والانصاف بينها حتى انه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة) أى انها اذا رأت فسادا من ملك اما أن
تعزله واما ان تقتله وأكثر ما يقتل خارج الخلية (لقضيت منها عجبا) وفى نسخة العجب (ان كنت بصيرا فى نفسك
وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك فى معاداة أقرانك وموالاة اخوانك) قال القزوينى هو حيوان
ذو فهم وكيس وشجاعة ونظر فى العواقب ومعرفة باصول السنة وأوقات المطر وتدبير المربع والطاعة لاميره
والاستكانة لكبيره وقائد بديع الصنعة وقال غيره ومن شأنه فى تدبير معاشه انه اذا أصاب موضعا نقيا بنى فيه
بيوتا من الشمع أولا ثم البيوت التى يأوى فيها الملوك ثم بيوت الذكور التى لا تعمل شيأ والذكر أصغر جرما من
الانثى وهى تكثر المادة داخل الخلية واذا طارت خرجت باجمعها وترتفع فى الهواء ثم تعود الى الخلية والنحل
يعمل الشمع أولا ثم يلقى البذر لانه بمنزلة العش للطير فاذا القته قعدت عليه وحضنته كما يحضن الطير فيكون البذر
دون البيض ثم تبيض الدود وتغذى نفسها ثم تطير وهو لا يقعد على ازهار مختلفة بل على زهر واحد وتملأ بعض
البيوت عسلا وبعضها فراخا والملوك لا تخرج الا مع جميل النحل فاذا عجز عن الطير حملته والنحل يجتمع فيقسم
الاعمال فبعضها يعمل العسل وبعضها يعمل الشمع وبعضها يسقى الماء وبعضها يبنى البيوت ومن طبعه انه يهرب
بعضه من بعض ويقاتل بعضه بعضا فى الخلايا ويلسع من دنا من الخلية واذا هلك منها شئ داخل الخلية أخرجته
الاحياء الى خارج وهو يعمل زمان الربيع والخريف والذى يعمله فى الربيع أجود والصغير أعمل من الكبير

وكيف استخرج من
لعابها الشمع والعسل
وجعل أحدهما ضياء
وجعل الآخر شفاء ثم
لو تأملت عجائب أمرها
فى تناولها الازهار
والانوار واحترازها عن
النجاسات والاقذار
وطاعتها لواحد من جملتها
هو أكبرها شخصا وهو
أميرها ثم ما سخر الله
تعالى له أميرها من العدل
والانصاف بينها حتى انه
ليقتل على باب المنفذ
كل ما وقع منها على نجاسة
لقضيت منها عجبا آخر
العجب ان كنت بصيرا
فى نفسك وفارغا من هم
بطنك وفرجك وشهوات
نفسك فى معاداة أقرانك
وموالاة اخوانك

ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس فلا تبنى بيتا مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا
بل مسدسا لخاصية فى الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها وهو أن أوسع الاشكال وأحواها المستديرة وما يقرب منها فان
المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها
مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل فى الاشكال ذوات الزوايا يقرب فى الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه ولطافة قده لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتهنأ بعيشه فسبحانه ما أعظم شانه وأوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذى بلغه فهمنا القاصر منه تنقضى الاعمار دون ايضاحه ولا نسبة لما أحاط علمنا الى ما أحاط به العلماء والانبياء ولا نسبة لما أحاط به علم الخلائق كلهم الى ما استأثر الله تعالى بعلمه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق أن يسمى علما فى
جنب علم الله تعالى فبالنظر فى هذا وأمثاله تزداد المعرفة
الحاصلة بأسهل الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر فى الذكر
الدائم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر

ويشرب من الماء ما كان عذبا صافيا يطلبه حيث كان ولا يأكل من العسل الا قدر شبعه واذا قل العسل فى الخلية قذفه بالماء ليكثر خوفا على نفسه من نفاده لانه اذا نفد أفسد النحل بيوت الملوك وبيوت الذكور وربما قتلت منها ما كان هناك قال حكيم اليونان لتلامذته كونوا كالنحل فى الخلايا قالوا كيف قال انها لا تترك عندها بطالا الانفته وأقصته عن الخلية لانه يضيق المكان ويفنى العسل ويعلم النشيط الكسل والنحل يسلخ جلده كالحيات وتوافقه الاصوات اللذيذة المطربة ويضره السوس ودواؤه أن يطرح فى كل خلية كف ملح وان تفتح فى كل شهر مرة وتدخن باخثاء البقر ومن طبعه انه اذا طار من الخلية لبرعى وعاد تعود كل نحلة الى مكانها لا تخطئه وأهل مصر يحوّلون الخلايا فى السفن ويسافرون بها الى موضع الزهر والشجر فاذا اجتمع الى المرعى فتحت أبواب الخلايا فخرج منها ورعى يومه أجمع فاذا أمسى عاد الى السفينة وأخذت كل واحدة مكانها لا تتغير عنه وروى البيهقى فى الشعب عن مجاهد قال صحبت ابن عمر من مكة الى المدينة فما سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا الحديث ان مثل المؤمن مثل النحلة ان صاحبته نفعك وان شاورته نفعك وان جالسته نفعك وكل شأنه منافع وكذلك النحلة كل شأنها منافع قال ابن الاثير وجه المشابهة بين المؤمن والنحلة حذق النحل وفطنته وقلة أذاه وحقارته ومنفعته وقنوعه وسعيه فى الليل وتنزهه عن الاقذار وطيب أكله وانه لا يأكل من كسب غيره ونحوله وطاعته لاميره وان للنحل آفات تقطعه عن عمله منها الظلمة والغيم والريح والدخان والماء والنار وكذلك المؤمن له آفات تفتره عن عمله ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام وماء السعة ونار الهوى (ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس) الذى لا ينخرق (فلا تبنى بيتا مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية فى الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها) واحاطتها (وهو ان أوسع الاشكال واحواها) أى أجمعها (المستديرة) أى المستديرة الشكل (وما يقرب منها فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فروج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل فى الاشكال ذوات الزوايا يقرب فى الاستواء من المسدس ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل) فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة وبيانه ان الاشكال من الثلاثة الى العشرة اذا جمع كل واحد منها الى أمثاله لم يتصل وجاءت بينهما فرج الا الشكل المسدس فانه اذا جمع الى أمثاله اتصل به كانه قطعة واحدة كل هذا بغير مقياس ولا آلة ولا بيكار وذلك من أثر صنع اللطيف الخبير والهامه اياها (فانظر كيف الهم الله النحل على صغر جرمه لطفا به وعناية لوجوده وما هو محتاج اليه ليتهنا بعيشه فسبحانه ما أعظم شانه وأوسع لطفه وامتنانه فاعتبر) أيها السالك (بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذى بلغه فهمنا القاصر منه تنقضى الاعمار) الطوال (دون ايضاحه ولا نسبة لما أحاط به علمنا الى ما أحاط به العلماء والانبياء ولا نسبة لما أحاط به علم الخلائق كلهم الى ما استأثر الله تعالى بعلمه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى علما فى جنب علم الله تعالى) لاتصافه بالنقص والقصور من كل وجه (فبالنظر فى هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله فانبذ الدنيا وراء ظهرك) كما قال القائل

دع الدنيا وأهلها * متى ما تلق من تهوى

(واستغرق العمر فى الذكر الدائم والفكر الملازم) الناشئين عن مراقبة الحق تعالى (فعساك تحظى منها بقدر

يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له *(بيان السبب في تفاوت الناس في الحب)* اعلم أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل المحبة لكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشياء انما تتفاوت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى الا الصفات والاسماء التي قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله حال الاصناف الثلاثة في قوله تعالى فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الآية فان كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله الفقهاء منهم والعوام لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم واعجابه به وحبه له أشد فان من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لا محالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعامي قد يسمع أن فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل

يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له) وسعادة أبدية لا انصرام لها أبد الآباد والله الموفق

(بيان السبب في تفاوت الناس في الحب)

(اعلم) أسعدك الله تعالى (ان المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل الايمان ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشياء انما تتفاوت بتفاوت أسبابها) وهو كالقدرة الحاصلة لهم بالغنى في المال فمن واحد يملك الدانق والدرهم ومن واحد يملك الالف فكذا العلوم بل التفاوت في العلوم أعظم لان المعلومات لا نهاية لها وأعيان الاموال أجسام والاجسام متناهية لا يتصور أن ينتفي النهاية عنها فاذا قد عرفت كيف تتفاوت الخلق في بحار معرفة الله تعالى وان ذلك لا نهاية له (وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى الا الصفات والاسماء التي قرعت سمعهم فتلقفوها وحفظوها) فهو السبيل الذي فتح لهم فيه وفيه تتفاوت مراتبهم (وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الارباب) جل جلاله (وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا معنى فاسدا بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث) فيها (وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمتخيلون) لها بالمعاني الفاسدة (هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون) فهؤلاء ثلاثة أصناف (وقد ذكر الله حال) هذه (الاصناف الثلاثة في قوله فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الآية) وتمامها وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وبيان تفاوت المراتب هو انه لا يخفى عليك انه ليس من يعلم انه عالم قادر على الجملة كمن شاهد عجائب آياته في ملكوت السموات والارض وخلق الارواح والاجساد واطلع على بدائع المملكة وغرائب الصنعة ممعنا في التفصيل ومستغرقا في دقائق الحكمة ومستوفيا لطائف التدبير ومتصفا بجميع الصفات الملكية المقربة من الله تعالى نائلا لتلك الصفات نيل اتصاف بها بل بينهما من البون البعيد ما لا يكاد يحصى وفي تفاصيل ذلك ومقاديره تتفاوت الانبياء والاولياء (فان كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله تعالى الفقهاء منهم والعوام لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم واعجابه به وحبه له أشد) أو نقول ان الشافعي رحمه الله تعالى يعرفه بواب داره ويعرفه المزني تلميذه والبواب يعرف انه عالم بالشرع ومصنف فيه ومرشد خلق الله الى الله على الجملة والمزني يعرفه لا كمعرفة البواب بل بمعرفة محيطة بتفاصيل صفاته ومعلوماته بل العالم الذي يحسن عشرة أنواع من العلوم لا يعرفه بالحقيقة تلميذه الذي لم يحصل الا نوعا واحدا فضلا عن خادمه الذي لم يحصل شيأ من علومه بل الذي حصل علما واحدا فانما عرف على التحقيق عشره اذا ساواه في ذلك العلم حتى لم يقصر عنه فان قصر عنه فليس يعرف بالحقيقة ما قصر عنه الا بالاسم وايهام الجملة وهو انه يعرف انه يعلم شيأ سوى ما علمه فكذلك فافهم تفاوت الخلق في معرفة الله تعالى وأيضا (فان من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لا محالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرائب شعره وصنعته ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعامي قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فتكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل

مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي يعلم ذلك و يعتقده وأما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلا من عجائب صنعه ما ينبهر به عقله و يتحير فيه لبه و يزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا و بحر هذه المعرفة أعني معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لا حصر له ومما يتفاوت بسبب الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعماء وأما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

(بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه)

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي أن يكون معرفته أول المعارف وأسبقها الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلاها المعنى

مجمل والبصير) الماهر (اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته) من قمة العرش الى منتهى الثرى (صنع الله المتقن وتصنيفه) وايجاده (والعامي يعلم ذلك و يعتقده) ولا ينكره (وأما البصير) في العلم (فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلا من عجائب صنعه ما ينبهر به عقله و يتحير فيه لبه و يزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا) وتسلقا (استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا و بحر هذه المعرفة أعني معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له) ينتهي اليه (فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لا حصر له) ثم ان تلك المعرفة الحاصلة من النظر في عجائب صنع الله تعالى ليست معرفة تامة حقيقية لانا اذا علمنا انا عالمة فقد علمنا شيأ مبهما لا ندري حقيقته لكن ندري ان له صفة العلم فان كانت صفة العلم معلومة لنا حقيقة كان علمنا بانه عالم أيضا علما تاما بحقيقة هذه الصفة والا فلا ولا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى الا من له مثل علمه وليس ذلك الا الاله فلا يعرفه سواه وانما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه وعلم الله تعالى لا يشبه علم الخلق ألبتة فلا يكون معرفته به معرفة تامة حقيقية أصلا بل ابهامية تشبيهية نعم كلما ازداد العبد احاطة بتفصيل المعلومات وعجائب الصنائع كان حظه من تلك الصنعة أوفر لان الثمرة تدل على المثمر كما انه كلما ازداد التلميذ احاطة بتفاصيل علوم الاستاذ وتصانيفه كانت معرفته به أكمل واستعظامه له أتم وهذا هو مراد المصنف من السياق والى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين و يتطرق اليه تفاوتا لا يتناهى (ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعماء وأما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه) فهذا السبب هو أقوى الاسباب (فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا)

(بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله تعالى)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلاها المعنى) تقدمت الاشارة اليه وحاصله ان المحبة هي الوصلة بين العبد و بين الله تعالى في الدنيا والآخرة اذ العارف لا يفارق المعروف كما لا يريد عنه بدلا لان معرفة الله ألذ المعارف وألذ الاشياء وأشهاها للقلوب لان كل ذات جميلة على اختلاف أنواعها ومراتبها لا يميل اليها البصر أو البصيرة الا وهي تشهد كمال خالقها وكمال صانعها وكلما كانت الصنعة شريفة جميلة دلت على شرف ذات الخالق وكمال صفاته من العلم والحكمة والقدرة فان كانت القلوب تميل الى الذوات الجميلة وتلتذ بادراكها فالتذاذها بالاشرف أشرف وبالاكمل أكمل والمعنى هذا سبق النظر الى الخالق قبل الخلق وهذا لا يكون الا لمن غلبت روحانيته على جسمانيته والا فمن غلبت جسمانيته على روحانيته سبق نظره الى الخلق دون الخالق وانعدم التذاذه بالعلوم والمعارف وهو جل الاسباب المانعة من معرفة الله تعالى والا فمعرفة الله أظهر المعارف ووجوده أظهر الموجودات وما مثالنا في الغفلة عن معرفة الله ووجوده الا كمن غفل عن وجود نفسه وكونه موجودا حيا وذلك

لاتفهمه الامثال وهوانا اذا رأينا انسانا يكتب أو يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن تعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الاشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما أحسسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها لم تأتلف بانفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان * أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله * والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف

امالالفه بوجوده أو شغل قلبه بمهم من المهمات اذهله عن وجوده والا فمن ظهر له وجود نفسه ظهر له وجود الله تعالى لان نفسه ونفس العالم أثر من آثار قدرة الله تعالى وهذا المعنى (لا تفهمه الامثال وهوانا اذا رأينا انسانا يكتب أو يخيط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف الا بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته) أي ظاهر جلده (وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وعلمه وارادته وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وارادته فان هذه الصفات لا تحس) أي لا تدرك (بشيء من الحواس الخمس) الظاهرة (ثم لا يمكن أن تعرف حياته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته) أي حركة يده (فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله وقدرته وعلمه وسائر صفاته تشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الاشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما أحسسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله) وعظيم قدرته (اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها لم تأتلف بانفسها كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد) عليه ودليل (ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما يقصر عن فهمه عقولنا فله سببان أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه) ودقته (وذلك لا يخفى مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه) الى الغاية (وهذا كما ان الخفاش) بضم وتشديد طائر معروف قيل هو الوطواط غريب الشكل والوصف (يبصر بالليل) ويلتمس الوقت الذي لا ضوء فيه (ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره) لكن لشدة ظهوره وكثرة انتشار ضوئه (مع ضعف بصره فان بصر الخفاش ضعيف

يبهره

يبهره نور الشمس اذا أشرق فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى شيأ الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف
ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية فى نهاية الاشراق والاستنارة وفى غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة
من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار

بظهوره ولا يتعجب من
اختفاء ذلك بسبب
الظهور فان الاشياء
تستبان باضدادها وما
عم وجوده حتى أنه لاضد
له عسر ادراكه فلو
اختلفت الاشياء فدل
بعضها دون بعض أدركت
التفرقة على قرب ولما
اشتركت فى الدلالة على
نسق واحد أشكل
الامر ومثاله نور الشمس
المشرق على الارض فانا
نعلم أنه عرض من
الاعراض يحدث فى
الارض ويزول عند
الشمس فلو كانت دائمة
الاشراق لاغروب لها
لكنا نظن أنه لاهيئة
فى الاجسام الا ألوانها
وهى السواد والبياض
وغيرهما فانا لانشاهد
فى الاسود الا السواد
وفى الابيض الا البياض
فاما الضوء فلا ندركه
وحده ولكن لما
غابت الشمس وأظلمت
المواضع أدركنا تفرقة
بين الحالين فعلمنا أن
الاجسام كانت قد
استضاءت بضوء

واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام
متشابهة غير مختلفة فى الظلام والنور هذا مع ان النور أظهر المحسوسات اذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر فى نفسه وهو يظهر لغيره
انظر كيف تصور استبهام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو أظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة
أو تغير لانهدت

يبهره نور الشمس اذا أشرقت) وكذا ضوء القمر وفيه يقول الشاعر

مثل النهار يزيد أبصار الورى * نورا ويعمى أعين الخفاش

(فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى شيأ الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره) وهو قرب الغروب وفى هذا الوقت ينتشر البعوض يطلب القوت وهو دماء الانسان وينتشر الخفاش يطلب البعوض (فكذلك عقولنا ضعيفة) لاشعاع لها (وجمال الحضرة الالهية فى نهاية الاشراق والاستنارة وفى غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه وفى هذا المعنى أنشدنى شيخنا المرحوم العارف وجيه الدين عبد الرحمن بن مصطفى العيدروسى الحسنى قدس الله سره فى ثامن عشر رجب سنة ١١٣٣ بالطائف لبعضهم

ذكر الاله الزم هديت لذكره * فبه القلوب تطيب والافواه
واجعل حلالك تقاه ان أخا التقى * ياصاح من كانت حلاه تقاه
واستعمل الافكار فى ملكوته * مستغرقا فى الكشف عن معناه
ولتخلع النعلين خلع محقق * خلى عن الكونين فى مسراه
ولتفن حتى عن فنائك انه * عين البقاء وعند ذاك تراه
واذا بدا فاعلم بانك لست هو * كلا ولا أيضا تكون سواه
شيآن ما اتحدا ولكن ههنا * سر يضيق نطاقنا عما هو
ياسامعا ما قد أشرت له أما * قلب يفكر ما وعت أذناه
أزل الحجاب حجاب ذاتك ينكشف * لك سر ما قد غاب عنك سناه
ان الاله أجل ما متعرف * من لا يراه قد استبان عماه
أنى يغيب وليس يوجد غيره * لكن شديد ظهوره أخفاه

(فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره) وفى حقائق الاسماء للشيخ الاكبر قدس سره وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وان الملأ الاعلى يطلبونه كما تطلبونه قال فاشترك نوع الانسان مع الملأ الاعلى فى الطلب واختلفا فى الكيفية لانهم يطلبونه بالانوار العقلية لكونهم عقولا مجردة وهو جلت عظمته محتجب عن العقول فانى لهم سبيل الوصول الى أسرار الذات وحقائق الصفات انتهى (ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى انه لاضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت فى الدلالة على نسق واحد أشكل الامر) واشتبه الحال (ومثاله نور الشمس المشرق) البسيط (على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث فى الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لاغروب لها لكنا نظن انه لاهيئة فى الاجسام الا ألوانها وهى السواد والبياض وغيرهما فانا لانشاهد فى الاسود الا السواد وفى الابيض الا البياض وأما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة فى الظلام والنور هذا مع ان النور أظهر المحسوسات اذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر فى نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعالى هو أظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت

السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت
التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلاجرم أورثت شدة
الظهور رخفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال أمره

لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم انه ليس في الوجود الا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شئ من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أنه أثره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله وأحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا له وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله

بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث أنه عبد الله فهذا الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وأنه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول من
قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن

السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا
به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق
واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلاجرم أورثت شدة الظهور رخفاء) ولقد أفصح المصنف
رحمه الله تعالى عن هذا المبحث في كتابه مشكاة الانوار مانصه واعلم ان معنى كونه نور السموات والارض
تعرفه بالنسبة الى النور الظاهر البصري فاذا رأيت نور الربيع وخضرته مثلا في ضياء النهار فلست تشك
في أنك ترى الالوان وربما ظننت أنك لست ترى مع الالوان غيرها فكأنك تقول لست أرى مع الخضرة غيرها
ولقد أصر على هذا أقوام فزعموا ان النور لا معنى له وانه ليس مع الالوان غير الالوان فانكروا وجود النور مع
أنه أظهر الاشياء وكيف لا وبه تظهر الاشياء وهو الذي يبصر في نفسه ويبصر به غيره لكن عند غروب الشمس
وغيبة السراج ووقوع الظل أدركوا تفرقة ضرورية بين محل الظل وبين موضع الضياء فاعترفوا بان النور
معنى وراء الالوان يدرك مع الالوان حتى كأنه لشدة اتحاده به لا يدرك ولشدة ظهوره يخفى وقد يكون شدة الظهور
سبب الخفاء والشئ اذا جاوز حده انعكس على ضده فاذا عرفت هذا فاعلم انه كما ظهر كل شئ للبصر بالنور الظاهر
فقد ظهر كل شئ للبصيرة الباطنة بالله فهو مع كل شئ وبه يظهر ولكن بقي هنا تفاوت وهو ان النور الظاهر
يتصور ان يغيب بغروب الشمس ويحجب حتى يظهر الظل وأما النور الالهي الذي يظهر كل شئ لا يتصور غيبته
بل يستحيل تغيره فيبقى مع الاشياء دائما فانقطع طريق الاستدلال بالتفرقة ولو تصورت غيبته لانهدت السموات
والارض ولادرك به من التفرقة ما يضطر معه الى المعرفة بما به ظهرت الاشياء ولكن لما تساوت الاشياء كلها
على نمط واحد في الشهادة لوحدانية خالقها اذ كل شئ يسبح بحمده لا بعض الاشياء في جميع الاوقات لا بعض
الاوقات ارتفعت المعرفة وخفي الطريق اذ الطريق الظاهر معرفة الاشياء بالاضداد فما لا ضد له ولا نقيض تتشابه
الاحوال في الشهادة له فلا يبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلائه والغفلة عنه لاشراق نوره فسبحان من
اختفى عن الخلق بشدة ظهوره واحتجب عنهم لاشراق نوره انتهى (فهذا هو السبب في قصور الافهام وأما من
قويت بصيرته ولم تضعف منته) بضم الميم أي قوته وغلبت روحانيته على جسمانيته (فانه في حال اعتدال أمره
لا يرى الا الله تعالى) مع الاشياء أو قبلها والثاني أعلى من الاول (ولا يعرف غيره ويعلم أنه ليس في الوجود الا الله
وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود
الافعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شئ من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه
سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له الى
غيره) وهذا مقام الصديقين وذلك (كمن نظر في شعر انسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر
والمصنف ورأى آثاره من حيث أنه أثره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج) اللذين بهما تركيب الحبر (مرقوم على
بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من
حيث انه فعل الله واحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا له وكان هو
الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذي يقال
فيه انه فني في التوحيد) الذي تقدمت الاشارة اليه غير مرة (وأنه فني عن نفسه أيضا واليه الاشارة بقول
من قال كنا بنا فغبنا عنا) وفي نسخة ففنينا عنا (فبقينا بلا نحن) وذكر السعد التفتازاني في الهيات شرح
المقاصد بعد ان أبطل الحلول والاتحاد وههنا مذهبان آخران يوهمان الحلول والاتحاد وليسا منه في شئ الاول

السالك

فهـذه أمور معلومة عند ذوى البصائر أشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام و باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم ممالا يعنيهم فهذا هو السبب فى قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه أن المدركات كلها التى هى شاهدة على الله انما يدركها الانسان فى الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجاة حيوانا غريبا أونباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها لطول الانس ولو فرض أكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجاة لخيف على عقله أن ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقها فهذا وأمثاله من الاسباب مع الانهماك فى الشهوات

السالك اذا انتهى سلوكه الى الله وفى الله استغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته فى ذاته وصفاته فى صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى فى الوجود الا الله وهذا الذى يسمونه الفناء فى التوحيد واليه يشير الحديث الالهى فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر منه وحينئذ ربما صدرت منه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف منه بالمقال ونحن على ساحل التمنى نغترف من بحر التوحيد بقدر الامكان ونعرف بانه طريق منافيه العيان دون البرهان الثانى ان الواجب هو الوجود المطلق وهو واحد لا كثرة فيه أصلا وانما الكثرة فى الاضافات والتعينات التى هى بمنزلة الخيال والسرب اذ الكل فى الحقيقة واحد يتكرر على الظاهر لا بطريق المخالطة ويتكثر فى النواظر لا بطريق الانقسام ولا حلول هنا ولا اتحاد لعدم الاثنينية والغيرية انتهى وقد تقدم ان من الصديقين من قال ما رأيت شيأ الا رأيت الله معه ومنهم من ترقى فقال ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله قال المصنف فى مشكاة الانوار وربما لا يفهم هذا الكلام بعض الشاذين ففهم من قولنا ان الله مع كل شئ كالنور مع الاشياء انه فى كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة الى المكان بل نقول بانه قبل كل شئ وانه فوق كل شئ فانه يظهر كل شئ والمظهر لا يفارق المظهر فى معرفة صاحب البصيرة فهذا الذى نعنى بقولنا انه مع كل شئ ثم لا يخفى عليك ان المظهر قبل المظهر وفوقه وانه معه لكنه معه بوجه وقبله بوجه فلا تظنن أنه متناقض واعتبر بالمحسوسات التى فى درجتك فى العرفان وانظر كيف تكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبلها أيضا ومن لم يتسع صدره لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم فلكل علم رجال وكل ميسر لما خلق له (فهذه أمور معلومة عند ذوى البصائر أشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة لهم للغرض الى الافهام أو باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا هو السبب فى قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه ان المدركات كلها التى هى شاهدة على الله انما يدركها الانسان فى الصبى عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا) على التدريج (وهو مستغرق الهم بشهواته) أى لتحصيلها (وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها) واستأنس بها (فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس) وتمادى الالف (ولذلك اذا رأى على سبيل الفجاة حيوانا غريبا أونباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله) متعجبا منه (وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها لطول الانس بها) ولا يسبح الله عند رؤيتها (ولو فرض أكمه) وهو الذى ولد أعمى (بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجاة لخيف على عقله أن ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقها فهذا وأمثاله من الاسباب مع الانهماك فى الشهوات هو الذى سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة فى بحارها الواسعة) قال الشيخ الاكبر قدس سره فى حقائق الاسماء ولا يحول فى جو فضاء ساحات الغيب الا من خلص من قيود مدارك الفكر والحس ولا تزول ظلمة الشرك والريب الا بشهود تصاريف تجليات الاسماء والصفات فى فسيح حظائر القدس وهذا النوع من العلوم لا يحصل من ترتيب المقدمات وايراد الشبهات بل بمخالفة الهوى وقمع محبة الدنيا والتحقق بحقائق التقوى واتقوا الله و يعلمكم الله انتهى (فالناس فى طلبهم معرفة الله تعالى كالمدهوش الذى يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره) وهو قول العامة ولده على كتفه وهو يدور عليه (والجليات) الواضحات (اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذلك قيل) فى وصف التجلى والمحامد

(لقد ظهرت فما تخفى على أحد * الا على أكمه لا يعرف القمرا)

هو الذى سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة فى بحارها الواسعة فالناس فى طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذى يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذلك قيل

لقد ظهرت فما تخفى على أحد * الا على أكمه لا يعرف القمرا

و يروى لا يبصر القمرا (لكن بطنت بما أظهرت محتجبا * فكيف يعرف من بالعرف قد سترا)

وزاد صاحب القوت فصرت أعجب ما عاينت مجتهدا * لانني حاجب استطلع الخبرا

قال وأنشد بعضهم فى وصف التوحيد والتعزيز بمعناه

لقد بطنت فلم تظهر لذى بصر * وكيف يدرك من بالعين مستترا

لكن عرفت بما عرفت من خبر * وكيف يعرف من بالخبير مختبرا

فصرت أسعى لآثار لنار سمت * وغابت العين لا رسما ولا أثرا

ثم قال والكلام فى التجلى والاحتجاب والجمع والاتصال لا أرسمه فى كتاب لانه يؤدب العقول فتنفر منه فتطرحه وتضيق عنه القلوب فتنقبض عليها فتمجه وانما أمليه من قلب الى قلب أوعيه من عين الى عين وقال المصنف فى المقصد الاسنى الظاهر الباطن وصفان من المضافات فان الظاهر يكون ظاهرا من وجه و باطنا من وجه ولا يكون من وجه واحد ظاهرا و باطنا بل يكون ظاهرا من وجه بالاضافة الى ادراك و باطنا من وجه آخر و بالاضافة الى ادراك فان الظهور و البطون انما يكون بالاضافة الى الادراكات والله سبحانه باطن ان طلب من ادراك الحواس وخزانة الخيال ظاهر ان طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال فان قلت اما كونه باطنا بالاضافة الى ادراك الحواس فظاهر واما كونه ظاهرا بالاضافة الى ادراك العقل فغامض اذ الظاهر ما لا يتمارى فيه ولا يختلف الناس فى ادراكه وهذا مما وقع الريب الكثير للخلق فكيف يكون ظاهرا فاعلم أنه انما يخفى مع ظهوره لشدة ظهوره فظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره فكل ما جاوز عن حده انعكس على ضده ولعلك تتعجب من هذا الكلام وتستبعده ولا تفهمه الا بمثال فاقول لو نظرت الى كلمة واحدة وكاتب يكتبها الاستدللت على كون الكاتب عالما قادرا سميعا بصيرا واستفدت منها اليقين بوجود هذه الصفات لذلك الكاتب بل لو وجدت كلمة مكتوبة لحصل لك يقين قاطع لوجود كاتب لها عالم قادر سميع بصير حى ولم يدل عليه الا صورة واحدة فكما شهدت هذه الكلمة شهادة قاطعة بصفات الكاتب فما من ذرة فى السموات والارض من فلك وكوكب وشمس وقمر وحيوان ونبات وصفة وموصوف الا وهى شاهدة على نفسها بالحاجة الى مدبر دبرها وخالق خلقها وقدرها وخصصها بخصوص من صفاتها بل لا ينظر الانسان الى عضو من أعضاء نفسه وجزء من أجزائه ظاهرا و باطنا بل الى صفة من صفاته وحالة من حالاته التى تجرى عليه قهرا بغير اختياره الا ويراها ناطقة بالشهادة لخالقها وقاهرها ومدبرها وكذلك كل ما يدركه بحواسه فى ذاته وخارجا من ذاته ولو كانت الاشياء مختلفة فى الشهادة يشهد بعضها ولا يشهد بعضها لكان اليقين حاصلا للجميع ولكن لما كثرت الشهادات حتى اتفقت خفيت وغمضت لشدة الظهور ومثاله ان أظهر الاشياء ما تدركه الحواس فاظهرها ما يدرك بحاسة البصر وأظهر ما يدرك بنور البصر نور الشمس المشرق على الاجسام الذى به يظهر كل شئ كيف لا يكون ظاهرا وقد أشكل ذلك على خلق كثير حتى قالوا الاشياء المتلونة ليس فيها الا ألوانها فقط من سواد وحمرة فاما أن يكون فيها مع اللون ضوء ونور مفارق اللون فلا وسوى هؤلاء انما تنبهوا على قيام النور بالمتلونات بالتفرقة التى يدركها بين الظل وموضع النور وبين الليل والنهار فان الشمس لما تصور غيبتها بالليل عرف الفرق بين التأثر المستضىء بها وبين المظلم المحجوب عنها فعرف وجود النور بعدم النور اذا أضيف حالة الوجود الى حالة العدم فادركت التفرقة مع بقاء الالوان فى الحالتين ولو أطبق نور الشمس كل الاجسام الظاهرة لشخص ولم تغب الشمس عنه حتى تدرك التفرقة لتعذر عليه معرفة كون النور شيأ موجودا زائدا على الالوان مع أنه أظهر الاشياء بل هو الذى يظهر جميع الاشياء ولو تصور لله تعالى غيبة عن بعض الامور لانهدمت السموات والارض وكلما انقطع نوره عنه ولادركت التفرقة بين الحالتين وعلم وجوده قطعا ولكن لما كانت الاشياء كلها متفقة فى الشهادات والاحوال كلها مطردة على نسق واحد كان ذلك سببا لخفائه فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفى عليهم بشدة ظهوره فهو الظاهر الذى لا أظهر منه والباطن الذى لا أبطن منه انتهى وقال الشيخ الاكبر قدس سره فى أول حقائق الاسماء لما ذكر أن الملأ

لكن بطنت بما أظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

الاعلى يطلبونه قال فاشترك نوع الانسان مع الملأ الاعلى فى الطلب واختلفا فى الكيفية فانهم يطلبونه بالانوار العقلية لكونهم عقولا مجردة وهو جلت عظمته محتجب عن العقول فانى لهم ذلك قال ومن هذا النوع من يطلبه به لكون الحق سمعه وبصره ومنهم من يطلبه بنظره العقلى وطالب الدليل على صحة وجدان أهل الطريقة كطالب الدليل على حلاوة العسل ولذة الجماع من العنة وهذا شئ لا يقوم عليه دليل سوى الذوق وفيما جرى بين الخضر وموسى عليهما السلام تبصرة لاولى الابصار فالوصول الى معرفة الذات المتعالية لا يمكن للعقل من حيث النظر لا يريد الناظر الاخيرة وانما يعلم باعلام الحق على الوجه الذى يليق بحاله لمن اختصه من عباده فمن قال ان الحق جلت عظمته يعرف بدليل فانه ضرب فى حديد بارد ومن هذا قال من قال العلم حجاب قالت يريد بهذا القائل المصنف كما صرح به فى كتاب الشريعة انتهى قال يريد العلم النظرى فاهل الله علموا الحق باعلامه تعالى لكون الحق علمهم لما كان سمعهم وبصرهم ومثل هؤلاء لو تصور فهم نظر فكرى لكان الحق عين فكرهم لكن لا يتصور ممن يكون مشهده هذا أن يكون له فكر بل هو مع الفهم من ضروب الهام الحق من غير تفكر لاستهلاك صفاته فى صفات الحق ومن كان فهمه عن تفكر فما هو من أهل الذوق ثم قال عند ذكره الظاهر الباطن الظاهر لنفسه فما زال ظاهرا والباطن عن خلقه فلم يزل باطنا فهو الظاهر بالكفاية والباطن بالعناية اعلم أن لاهل الكشف مرتبتين احداهما أعلى من الثانية فكامل يكون له به وهو السابق وعارف يكون له بنفسه وهو المقصد المحقق بحقائق العبودية المتصف بجميع الاحوال والمتقلب فى اطوار المقامات وهو برزخ بين الكمال والنقصان فهو اذا تجلى له الحق من اسم الظاهر لم يثبت لظهوره لانه قائم للحقوق بنفسه ولم يثبت لظهور الحق الامن الحق بصره وأما الكامل فهو له به لا بنفسه فله الثبات فى كل موطن بالقوة الالهية السارية فى ذاته فلا يبقى حال ولا مقام يظهر به ويتصرف فيه فهو مالك الاحوال والمقامات لكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه كما ورد فى الخبر انما نحن به وله وهو يتم الدائرة الوجودية والصاعد فى الدائرة معنى الهابط وما انقسمت دائرة الوجود الا بالخط الموهوم ولا وجود لها وهو عين المقيد واذا كان الحق سمع المقيد وبصره ارتفع التقييد والخط ولم يبق سوى الدائرة فهو الظاهر بنفسه لنفسه والمظهر لغيره ولكمال ظهوره وجلالة بروزه أورثت شدة ظهوره خفاء فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن العقول والابصار لشدة ظهوره وامأسر بطون الحق من اسم الباطن فهو ان يعلم أن رؤية الشئ تقتضى العلم به وهو علم الرائى انه رأى شيأ ما واحاط علما بما رآه وعند أهل ٣ لا تنضبط رؤية الحق ومالا ينضبط لا يقال فيه انه يرى أو يعلم فما رآه الامن رأى انه ما رآه ولا يعلمه الامن علم انه ما علم فالحجب الالهية أبدا مسدولة بينه وبين خلقه ولو رفعت لاحرقت سبحات الوجه ما أدركه بصره من خلقه والحجب ان كانت مخلوقة فكيف لا تحرقه السبحات وان كانت غير مخلوقة فلا حجاب ولا احتجاب فالحق فيها انها سر أخفاها الله تعالى عن خلقه سمى ذلك الاخفاء حجابا فالنور منها ما حجب من المعارف النظرية والظلمانية ما حجبت به الامور الطبيعية والرسمية وليس الاندراج النور الادنى فى الاعلى كاندراج أنوار الكواكب تحت شعاع الشمس ولما كانت الاشياء تحفظ بالحدود فاذا جاوز الشئ حده انعكس ضده كذلك ظهور الحق لما تجاوز عن حد العقول والادراك بطن واستتر عن العامة فلم يظهر لهم الامر على ما هو عليه وحد العارفين فى معرفته ان يعرفوا أنه لا يعرف اذ لو عرفوا لم يكن باطنا وهو الباطن والبطون يختص بالممكنات كما أن الظهور يختص بالوجود والبطون الذى وصف به نفسه انما هو فى حق الممكن فالممكنات باطن الحق والحق ظاهره لانه من بطون الحق ظهر الكون وبما ظهر استتر وفيما بطن ظهر فالظهور عين البطون لما ان الآخر عين الاول انتهى وقد انتهى الكلام على المحبة وما يتعلق بها ثم شرع المصنف فى ذكر ما يثمر المحبة من الشوق والانس والرضا وغير ذلك مما سيأتى بيانه الان صاحب القوت جعل الرضا مقاما مستقلا من مقامات اليقين كمقام المحبة والشيخ أبو اسمعيل الهروى جعله ملحقا بمقام التوكل كالتسليم والتفويض قال لانها من آدابه وذكر جملة أحوال فى باب المحبة وعدها مقامات على طريق منازلات العبد الى الله تعالى وفى الله تعالى حالا بعد حال وهذا وسمه البرق

٣ هكذا هو بالاصل

(بيان معنى الشوق الى الله تعالى) اعلم أن من انكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت وجوب الشوق الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر و بطريق الاخبار والآثار أما الاعتبار فيكفي في اثباته ماسبق في اثبات الحب فكل محبوب يشتاق اليه في غيبته لامحالة فاما الحاصل الحاضر فلا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوف الى أمر والموجود لا يطلب (٦٠٢) ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور الا الى شئ أدرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما مالا يدرك أصلا فلا يشتاق اليه فان من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشتاق اليه وما أدرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما النظر اليه لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما أدرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين لا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور أن يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور أن يشتاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله فكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضوء عليه

لا

(والثاني) أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضوا وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى أن ينكشف له مالم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كان في غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيالات

والوجد والذوق واللحظ والوقت والصفاء والنفس والفرق والغيب والسكن والفناء والبقاء والوجود والجمع والتعظيم والانس والقرب والسكينة والطمأنينة والانبساط والاذلال والغيرة والشوق والوجد وله أحوال ثلاثة الدهش والهيمان والتمكين قال الكمال محمد بن اسحق الصوفي وهذا الترتيب أولى من ترتيب غيره لانه يحصل الجمع بين معرفتها وبين علم تدريجها في السلوك والمنازلات والله سبحانه يفتح على كل عبد من عبيده من تقديم وتأخير وقد يعطى الله بعض العارفين واحدا منها وقد يعطيه كلها ويعطى اضعافها الى مالا نهاية له مما لا نعرف له وجودا ولا رأينا له رسما ولا سمعنا له ذكرا قال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم

(بيان معنى الشوق الى الله تعالى)

وهو ثمار المحبة وسئل ابن عطاء الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لان الشوق منها يتولد وهو أفضل من الانس ولذلك قدمه لان الآنس قصر نظره على ما انكشف له من جمال المحبوب ولم يمد نظره الى استكشاف ما غاب عنه والمشتاق كالعطشان الذي لا ترويه البحار لمعرفته بان الذي انكشف له من الامور الالهية بالنسبة الى ما غاب عنه كالذرة بالنسبة الى سعة الوجود ولله المثل الاعلى وفقك الله (اعلم) (ان من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق) الى الله تعالى (اذ لا يتصور الشوق الا الى المحبوب) فاذا انتفت المحبة انتفى ماهو من ثمارها اذ لا محالة ان الثمرة تتبع للمثمر (ونحن نثبت وجوب الشوق الى الله تعالى) بايجاب أصل المحبة (وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار فيكفي في اثباته ماسبق في اثبات الحب فكل محبوب يشتاق اليه في غيبته لامحالة فاما الحاصل الحاضر فلا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى طلب أمر) ونزول النفس اليه (والموجود لا يطلب) ولا تتشوق اليه النفس (ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور الا الى شئ أدرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما مالا يدرك أصلا فلا يشتاق اليه) لانقطاع الاطماع منه (فان من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشتاق اليه وما أدرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية) بحاسة البصر (فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما النظر اليه لا يتصور أن يكون له شوق) روى القشيري عن بعضهم الشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشا يسنح على الفرقة فاذا وقع اللقاء طفئ واذا كان الغالب على الاسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق وقيل لبعضهم هل تشتاق فقال لا انما الشوق الى غائب وهو حاضر (ولكن الشوق انما يتعلق بما أدرك من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين لا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور أن يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور أن يشتاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله فكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضوء عليه والثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق الى استكمال رؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم ان له عضوا وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له مالم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح) عندهم (فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يتضح غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيالات

لا تفتر فى هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهى مكدرات للمعارف ومنغصات وكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال
الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلى ولا يكون ذلك الا فى الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد
نوعى الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثانى ان الامور الالهية لانهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى
أمور لانهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى و يعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر فلا يزال متشوقا
الى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقى من المعلومات التى لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق

الاول ينتهى فى الدار الآخرة بالمعنى الذى يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن فى الدنيا وقد كان ابراهيم بن أدهم من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يارب ان أعطيت أحدا من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك فاعطنى ذلك فقد أضر بى القلق قال فرأيت فى النوم انه أوقفنى بين يديه وقال يا ابراهيم اما استحييت منى ان تسألنى أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائى وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يارب تهت فى حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لى وعلمنى ما أقول فقال قل اللهم رضنى بقضائك وصبرنى على بلائك وأوزعنى شكر نعمائك فان هذا الشوق يسكن فى

الآخرة* وأما الشوق الثانى فيشبه أن لا يكون له نهاية لا فى الدنيا ولا فى الآخرة اذ نهايته أن ينكشف للعبد فى الآخرة من جلال الله
تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لانهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقى من الجمال والجلال ما لم يتضح له
فلا يسكن قط شوقه لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا أنه تشوق الى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو يجد لذلك
شوقا لذيذا لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا أبد الآباد
وتكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاغلة عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم
يحصل فيه

لا تفتر فى هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهى مكدرات للمعارف ومنغصات) وأيضا فان الصور
تتنوع عليهم فى تجليات المشاهد مع أحدية العين فى نفس الامر (وكذلك يضاف اليها شواغل الدنيا)
وصوارفها (فانما كمال الوضوح بالمشاهدة) العيانية (وتمام اشراق التجلى ولا يكون ذلك الا فى الآخرة) حين
يبلغ الكتاب أجله (وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد نوعى الشوق)
وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما (الثانى ان الامور الالهية لانهاية لها ولا حد لها ينتهى اليه (وانما
ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لانهاية لها غامضة) خفية المدرك (والعارف يعلم وجودها
وكونها معلومة لله تعالى و يعلم ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر فلا يزال متشوقا الى أن يحصل له أصل
المعرفة فيما لم يحصل مما بقى من المعلومات التى لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة) كما هو مقتضى
الترقى والزيادة (والشوق الاول ينتهى فى الدار الآخرة بالمعنى الذى يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور
ان يسكن) هذا الشوق (فى الدنيا فقد كان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (من المشتاقين) وكانت له أماكن
من المحبة رفيعة ومكاشفات فى القرب عليه (فقال قلت ذات يوم يارب ان أعطيت أحدا من المحبين لك ما يسكن
به قلبه قبل لقائك فاعطنى ذلك فقد أضر بى القلق قال فرأيت فى النوم انه أوقفنى بين يديه وقال يا ابراهيم أما
استحييت منى أن تسألنى ان أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائى وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه) أى هل
يستريح المحب الى غير معشوقه قال (فقلت يارب تهت فى حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لى وعلمنى ما أقول فقال قل
اللهم رضنى بقضائك وصبرنى على بلائك وأوزعنى شكر نعمائك) نقله صاحب القوت ورواه أبو محمد السراج
فى مصارع العشاق بسنده الى ابراهيم بن عبد الله البلخى عن ابراهيم بن أدهم قال وجدت يوما راحة وطاب قلبى
لحسن صنع الله واختياره لى فقلت فساقه الى قوله فلم أدر ما أقول وقد لاحظ هذا المعنى القطب أبو الحسن
الشاذلى قدس سره فادرج هذه الكلمات فى حزبه الكبير مفرقة فى موضعين منه وفيه اشعار بان الادب مع الله
مطلوب فى كل حال فان الله تعالى قد يعرض عن محبيه تعززا ليزعجهم الشوق اليه و يقلقهم الاسف عليه
و يستخرج منهم لطف التملق له ثم ينظر اليهم فى اعراضه عنهم من حيث لا يعلمون لينظروا اليه بحيث يعلمون
فيسكنون بالادب بين يديه (فان هذا الشوق يسكن فى الآخرة وأما الشوق الثانى فيشبه أن لا يكون له نهاية لا فى
الدنيا ولا فى الآخرة اذ نهايته أن ينكشف للعبد فى الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله
ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لانهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقى من الجمال والجلال ما لم يتضح) له
اتضاحا تاما (فلا يسكن قط شوقه لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه تشوق الى استكمال الوصال
مع حصول أصل الوصال فهو يجد لذلك شوقا لذيذا لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر
متوالية) أى متتابعة (الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا أبد الآباد وتكون لذة ما يتجدد من ألطاف
النعيم شاغلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل به

كشف في الدنيا أصلا فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى
نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا محتمل لهذا المعنى وهو أن ينعم عليه باتمام النور مهما تزود من الدنيا أصل النور
ويحتمل أن يكون المراد به اتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو
المراد بتمامه وقوله تعالى
انظرونا نقتبس من
نوركم قيل ارجعوا
وراءكم فالتمسوا نورا
يدل على أن الانوار لابد
وان يتزود أصلها في الدنيا
ثم يزداد في الآخرة
اشراقا فاما أن يتجدد
نور فلا والحكم في هذا
برجم الظنون مخطر ولم
ينكشف لنا فيه بعد ما
يوثق به فنسأل الله تعالى
أن يزيدنا علما ورشدا
ويرينا الحق حقا فهذا
القدر من أنوار البصائر
كاشف لحقائق الشوق
ومعانيه * وأما شواهد
الاخبار والآثار فاكثر
من أن تحصى فمما اشتهر
من دعاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه كان
يقول اللهم اني أسألك
الرضا بعد القضاء وبرد
العيش بعد الموت ولذة
النظر الى وجهك الكريم
والشوق الى لقائك
وقال أبو الدرداء لكعب
أخبرني عن أخص آية
يعني في التوراة فقال
يقول الله تعالى طال
شوق الابرار الى لقائي
واني الى لقائهم لاشد
شوقا قال ومكتوب الى
جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد اني لسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى قال يا داود أبلغ أهل أرضي اني حبيب لمن أحبني وجليس لمن
جالسني ومؤنس لمن أنس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني

الكشف في الدنيا أصلا فاذا كان غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على
الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا محتمل لهذا
المعنى وهو أن ينعم عليه باتمام النور مهما تزود من الدنيا أصل النور) واكتسبه منها (ويحتمل أن يكون
المراد به اتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد
بتمامه) والاول أوفق بلفظ الاتمام (وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا
نورا يدل على ان الانوار لابد وان يتزود أصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة اشراقا فاما ان يتجدد نور) لم يكن
أصله في الدنيا (فلا) ومن هنا قيل الدنيا مزرعة الآخرة المرء مع من أحب وله ما اكتسب (والحكم في هذا
برجم الظنون مخطر) لانه من الامور الغيبية وليس للعقل فيها مجال (ولم ينكشف لنا فيه بعد ما يوثق به)
ويعتمد عليه وانما نحن على بحر التمني (فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علما ورشدا) الى الصواب (ويرينا الحق
حقا) ويرزقنا اتباعه (فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه وأما شواهد الاخبار
والآثار فاكثر من أن تحصى فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني اسألك
الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك) رواه الطبراني
من حديث فضالة بن عبيد بلفظ اللهم اني اسألك الرضا بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك
والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وروى ابن أبي شيبة وأحمد من حديث عمار بن ياسر
بلفظ اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني ما علمت الوفاة خيرا لي اللهم
أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك الاخلاص في الرضا والغضب وأسألك القصد في الفقر والغنى
وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم
زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين وقال القشيري في الرسالة أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الاهوازي
أخبرنا أحمد بن عبيد البصري حدثنا ابن أبي قماش حدثنا اسمعيل بن زرارة عن حماد بن زيد حدثنا عطاء بن
السائب عن أبيه قال صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فاوجز فيها فقلت خففت يا أبا اليقظان فقال وما علي من ذلك
فلقد دعوت الله سبحانه بدعوات سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله
عن الدعوات فقال اللهم بعلمك الغيب فساقه الا انه قال كلمة الحق بعد كلمة الاخلاص وقال نعيما لا يبيد بدل
لا ينفد وقال بعد القضاء كما عند المصنف والباقي سواء وقد رواه أيضا ابن النجار في تاريخه هكذا وروى أبو
نعيم في الحلية من حديث الهيثم بن مالك الطائي اللهم اجعل حبك أحب الاشياء الي واجعل خشيتك أخوف
الاشياء عندي واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق الى لقائك واذا أقررت أعين أهل الدنيا في دنياهم فاقرر عيني
من عبادتك (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (لكعب) الاحبار رحمه الله تعالى (أخبرني عن أخص آية
يعني في التوراة فقال يقول عز وجل طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا) ولفظ القوت طال
شوق أوليائي الي وأنا اليهم أشوق (قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال
أبو الدرداء أشهد اني لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا) نقله صاحب القوت وأغفله العراقي والذي
رواه أبو الدرداء مرفوعا هو قوله يقول الله تعالى من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني (وفي أخبار داود
عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود أبلغ أهل أرضي اني حبيب لمن أحبني وجليس لمن جالسني وأنيس لمن أنس
بذكري) ولفظ القوت مؤانس لمن أنس بذكري وأنيس لمن أنس بي (وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني

ومطيع

ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي وأحببته حبا لا يتقدمه أحد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا أهل الارض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامي ومصاحبتي ومجالستي وائنسوا بي أؤانسكم وأسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة أحبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروى عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني وأحبهم ويشتاقون الى وأشتاق اليهم ويذكروني وأذكرهم وينظرون الى وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطائر الى وكره عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الى بانعامي فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي أول ما أعطيهم ثلاث أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد ان أعطيه وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الى قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الى الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الى خرقا ينظرون

ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي وأحببته حبا لا يتقدمه أحد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن) طلبني بغير حق أو (طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا أهل الارض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وائنسوا بي أؤانسكم واسارع في محبتكم فاني خلقت طينة أحبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي) قال صاحب القوت بعد ان ذكره فهذا في مقام خلة وحال مطلوب وهو من وصف مقرب ونعت محبوب ومن صدر عن مقام محب بعد وروده رفع الى هذا المقام لانه مقام محبوب (وروى عن بعض السلف) من العلماء القدماء (ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني وأحبهم ويشتاقون الى واشتاق اليهم ويذكروني وأذكرهم وينظرون الى وانظر اليهم فان حذوت) أي اتبعت وسلكت (طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطائر الى وكره عند الغروب فاذا جنهم الليل) أي سترهم (واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الى بانعامي فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي أول ما أعطيهم ثلاث أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه) قال صاحب القوت بعد ان ذكره بطوله فهؤلاء الذين أقبل الله تعالى بوجهه عليهم هم الذين أحبوه بكل قلوبهم فكان كما قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان وكان كما قال جزاء وفاقا فنظروا الى وجهه بنور وجهه فتجلى بوصف محبوب فاحبوه كما روينا عنه في خبر موسى عليه السلام اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها فالله تعالى لا ينظر الى الاجسام والنفوس لانهما من الدنيا وهو لا ينظر اليها انما ينظر الى الاعمال والقلوب لانهما من الآخرة وهو ينظر اليها بعينه فتزداد اشراقا وحسنا عن نوره وحسنه ثم لا ينظر الا الى قلوب الموقنين وأعمالهم فبنوره رأوه فاما العموم فقلوبهم كاجسادهم وأعمالهم شبه قلوبهم فالله تعالى ينظر اليهم كنظره الى الدنيا بعين التدبير والتقدير فعارفهم ظاهر التوحيد عن ظاهر الصفات والاسماء فهم عرفوه بالملك والحكمة وشهدوه بالقدم والازلية عن معنى ما نظر به اليهم فسبحان من وسع كل شئ رحمة وعلما وسبحان من نظر الى من يحب بالوصف الذي يحب فاحبوه عن نظره فاما الشوق فانه مقام رفيع عن مقام المحبة وليس يبقى الشوق للعبد راحة ولا نعيما في غير مشوقه والمشتاقون مقربون بما أشهدوا من الشوق وهم المأمور بطلبهم الموجود الحبيب عندهم مثوبة منه لهم لما شوقهم اليه في قوله لموسى عليه السلام أطلبني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي المشتاقين من أجلي المحبين ثم قال فمقام الشوق في المحبة يجل عن الوصف ويتجاوز في العلو والفضل كل عرف ولا يصلح ان نصفه الا أنا نذكر من ذلك ما سمعناه نقلا فلا تنكرن لاحباء الله وأوليائه فضلا ولا تمزجن فيه بالتدبير والقياس عقلا فقد جاوز مقامهم كل عقل كما اشتمل حالهم ووجدهم بحبوهم كل فضل (و) قد روينا (في أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الى قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الى الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الى خرقا ينظرون

الى وانى لاجل قلوبهم بيدى فاضعها على سمائى ثم أدعو نجباءه لائكتى فاذا اجتمعوا سجدوا لى فاقول انى لم أدعكم لتسجدوا لى ولكنى دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الى وأباهى بكم أهل الشوق الى فان قلوبهم لتضئ فى سمائى لملائكتى كما تضئ الشمس لاهل الارض يا داود انى خلقت قلوب المشتاقين من رضوانى ونعمتها بنور وجهى فاتخذتهم لنفسى محدثى وجعلت أبدانهم موضع نظرى الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الى يزدادون فى كل يوم شوقا قال داود يارب أرنى أهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فاذا أتيتهم فاقرئهم منى السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة فانكم أحبائى واصفيائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم فاتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون فى عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود انى رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه وألقوا اسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم الى الارض فقال داود انى رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة الا تنادونى أسمع صوتكم وكلامكم فانكم أحبائى واصفيائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم وانظر اليكم فى كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أفنجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا فى شئ من أمورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك وأتم بذلك المنة علينا وقال الآخر نحن مقصرون فى طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر فى عظمتك أفنجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر فى جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك وقال الآخر أنت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا فى شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هى النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدى فى الظلمات

من

الى) وهى عين البصيرة (وانى لاجل قلوبهم بيدى فاضعها على سمائى ثم أدعو نجباء ملائكتى فاذا اجتمعوا سجدوا لى فاقول انى لم أدعكم لتسجدوا لى ولكن دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الى وأباهى بكم أهل الشوق الى فان قلوبهم لتضئ فى سمائى لملائكتى كما تضئ الشمس لاهل الارض يا داود) انه من ذكرنى ذكرته ومن أنس بى آنسته ومن جلس الى جالسته لانى أنا أكرم الكرماء وأحكم الحكماء يا داود (انى خلقت قلوب المشتاقين من رضوانى ونعمتها بنور وجهى فاتخذتهم لنفسى محدثىّ) أصله محدثين سقطت النون للاضافة ثم شددت الياء ولفظ القوت محدثين (وجعلت أبدانهم موضع نظرى الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الىّ يزدادون فى كل يوم شوقا قال داود) عليه السلام (يارب أرنى أهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان) وهو بضم اللام وسكون الموحدة كانه مثنى لبن جبل من جبال الشام شاهق (فان فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فاذا أتيتهم فاقرئهم منى السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألونى حاجة فانكم أحبائى وأصفيائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم فاتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون فى عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه) أى لخوفهم عن شغلهم بغير الله تعالى (فقال داود) عليه السلام (انى رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم الى الارض فقال داود عليه السلام انى رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألونى حاجة ألا تنادونى أسمع صوتكم وكلامكم فانكم أحبائى وأصفيائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم وأنظر اليكم فى كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة) لولدها (قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم) أى كبيرهم فى السن (سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فنجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا فى شئ من أمورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك وأتم بذلك المنة علينا وقال الآخر نحن مقصرون فى طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر فى عظمتك أفنجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر فى جلالك وطلبتنا الدنو من نورك) ولفظ القوت منك (وقال الآخر كلت ألسنتنا عن دعائك لعظيم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك وقال الآخر أنت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا فى شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هى النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدى به فى الظلمات

من أطباق السموات وقال الآخر ندعولك أن تقبل علينا وتديمه عندنا وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال
الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الآخر أسألك من بينهم أن تعمي عيني عن النظر الى الدنيا
وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب أولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل
شيء دونك فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم الى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ
لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى نوري وجلالي فقال داود يارب بم نالوا هذا منك قال
بحسن الظن والكف عن
الدنيا وأهلها والخلوات
بي ومناجاتهم لي وان
هذا منزل لا يناله الا من
رفض الدنيا وأهلها ولم
يشتغل بشيء من ذكرها
وفرغ قلبه لي واختارني
على جميع خلقي فعند
ذلك أعطف عليه وأفرغ
نفسه وأكشف الحجاب
فيما بيني وبينه حتى ينظر
الى نظر الناظر بعينه الى
الشيء وأريه كرامتي
في كل ساعة وأقربه من
نور وجهي ان مرض
مرضته كما تمرض الوالدة
الشفيقة ولدها وان
عطش أرويته وأذيقه
طعم ذكري فاذا فعلت
ذلك به يا داود عميت نفسه
عن الدنيا وأهلها ولم
أحببها اليه لا يفتر عن
الاشتغال بي يستعجلني
القدوم وأنا أكره ان
أميته لانه موضع نظري
من بين خلقي لا يرى غيري
ولا أرى غيره فلو رأيته
يا داود وقد ذابت نفسه
ونحل جسمه وتهشمت
أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكري أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لأقعدنه في الفردوس
ولأشفين صدره من النظر الى حتى يرضى وفوق الرضا وفي أخبار داود أيضا قل لعبادي المتوجهين الى محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي
ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وما ضركم
مسخطة الخلق اذا التمستم رضائي وفي أخبار داود أيضا ان الله تعالى أوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك
فان حبي وحبها لا يجتمعان

من أطباق السموات وقال الآخر ندعولك أن تقبل علينا وتديمه) ولفظ القوت تزيده (عندنا وقال الآخر
لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا
وتفضلت به علينا وقال الآخر أسألك من بينهم أن تعمي عيني عن النظر الى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال
بالآخرة وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب أولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل
شيء دونك) فهذه أربعة عشر قولا (فأوحى الله تعالى الى داود) عليه السلام (قل لهم قد سمعت كلامكم
وأجبتكم الى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني
وبينكم حتى تنظروا الى نوري وجلالي فقال داود) عليه السلام (يارب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن
والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي) ولفظ القوت في مناجاتهم (وان هذا منزل لا يناله الا
من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك أعطف
عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر الى نظر الناظر بعينه الى الشيء وأريه كرامتي
في كل ساعة وأقربه من نور وجهي ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش أرويته
وأذيقه طعم ذكري فاذا فعلت له ذلك يا داود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها اليه لا يفتر عن الاشتغال
بي يستعجلني القدوم وأنا أكره أن أميته لانه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا أرى غيره فلو رأيته
يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكري أباهي) به (ملائكتي
وأهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يا داود لأقعدنه في الفردوس ولأشفين صدره من النظر الى
حتى يرضى وفوق الرضا) قال صاحب القوت بعد ان ساقه بطوله فهذه مقامات المشتاقين في مراتب الشوق
عن درجات الحب ومراقي المعارف والوجد فكل مشتاق منهم نطق بحقيقة وجده وعبر عن وجهة حبه دل بذلك
على حاله وأخبر به عن سره قال وقد أحببت ان أشرح أحوالهم وأفصل مواجيدهم وأكشف سرائر مراتبهم
وأبين رفع مكانهم وأوسع أنصبة تمكينهم ويعز على اني لا أستطيع ذلك ولا يصلح رسمه في كتاب لان الكتاب
يتداول والرسم يشغله فتعذر ذلك على وقلة امكانه من قبل السامعين ولقلة أنصبة الواعين وخيفة انكار ذوي
العقول لحجبهم بالعقل اذ هو حجاب اليقين فاذا أخبرناهم بما ليس في وسعهم وكاشفناهم بما قصرت عنه أوهامهم
ولم يفكر فيه قط أفهامهم تفاوت الامر عليهم فأوهم ضبطه وتشتت به قلوبهم فلم تجتمع على حفظه ولكن
الطريق القاصد الى الله تعالى الموصل أهله الى رضاه ومحبته اللذين هما سبب هذا الفضل هو بغض الدنيا
وأبنائها فهو أصل كل مرتبة علية كما ان حبها وحب أبنائها أصل كل نفاق وخطيئة انتهى (وفي أخبار داود)
عليه السلام (أيضا) يا داود (قل لعبادي المتوجهين الى محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب
فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وما
ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائي) نقله صاحب القوت (وفي أخبار داود) عليها السلام (أيضا ان الله
تعالى أوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا يجتمعان

في قلب يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال اما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واما ما اشكل عليك فقلدنيه حقا على اني اسارع الى سياستك وتقويمك واكون قائدك ودليلك اعطيك من غير ان تسألني واعينك على الشدائد واني قد حلفت على نفسي اني لا اثيب الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته القاءه كنفه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك واسكن الغنى قلبك فاني قد حلفت على نفسي انه لا يطمئن عبد لي الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها اضعف الاشياء الى لا تضاد عملك فتكون

متعنيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم اعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي أبح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر الى ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك الى الذين حجبت عقولهم عني فامرحوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا أفتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها يا داود لان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهيدا ومن كتبته عندي جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي لهم من رحمتي أقطع شهوتك لي فانما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان احجب عقولهم عني فاني لم ارض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي للصوم ادمانه يا داود تحبب الى بمعاداة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة انما اداريك مداراة لتقوى على ثوابي اذا مننت عليك به واني احبسه عنك وانت متمسك بطاعتي واوحى الله تعالى الى داود يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري

في قلب) واحد (يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقا على اني أسارع سياستك وتقويمك وأكون قائدك ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد واني قد حلفت على نفسي اني لا أثيب الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته القاءه كنفه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكن الغنى قلبك فاني قد جعلت على نفسي ان لا يطمئن عبد الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها أضعف الاشياء التي لا تضاد عملك فتكون متعنيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم أعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي أبح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) ولفظ القوت على قلب امرئ (ضعني بين عينيك وانظر الى ببصر) ولفظ القوت بعين (قلبك ولا تنظر بعينيك التي في رأسك الى الذين حجبت عقولهم عني فامرحوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا أفتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها يا داود لان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهيدا ومن كتبته عندي جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي أقطع شهوتك فانما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل اليهم ان أحجب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي في الصوم ادمانه يا داود تحبب الى بمعاداة نفسك امنعها الشهوات أنظر اليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة انما أداريك مداراة) ولفظ القوت انما أداريك مداراة (لتقوى على ثوابي اذا مننت به عليك واني أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي) قال صاحب القوت بعد ان ساقه بطوله واعلم أن كل محب لله عز وجل فعن محبة الله سبحانه لان وجود العبد لمحبة الله تعالى علامة غيب محبة الله له يتبين ذلك الغيب من الله تعالى في الشهادة من عنده ثم ان كل عبد أحبه الله فمن حيث أحبه الله كما انه عرفه من حيث واجهه وكل من خدمه وتأدب بين يديه وعبده وتعبد له بمعنى من معاني العبادات فذلك هو معنى ما أحبه وواجهه من معاني صفات لا يمكننا شرح ذلك الا انه كما تقول في الدعاء الى الله تعالى والادلة عليه والمطرقين للعباد اليه ان كل داع ودليل دعا الى الله فمن حيث دعاه الله تعالى اليه ودل على الله فمن حيث دل عليه وطرق اليه سبيل العبادات وسهل منهاج القربات فمن حيث طرقه الله تعالى وسهل له السبيل اليه (وأوحى الله تعالى الى داود) عليه السلام (يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري

لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي ياداود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي ياداود احوج مايكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ماأكون بعبدي اذا ادبر عني واجل مايكون عندي اذا رجع الي فهذه الاخبار ونظائرها ممالايحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانس وانما تحقيق معناها ينكشف بما سبق

(بيان محبة الله للعبد ومعناها)

اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلابد من معرفة معنى ذلك ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ولذلك رد سبحانه على من ادعى انه حبيب الله فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله تعالى عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لاذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لايضر الكفر الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لايحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله

لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت أوصالهم من محبتي ياداود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي) كذا في الرسالة للقشيري وزاد غيره (ياداود أحوج مايكون العبد الي اذا استغنى عني وأرحم ماأكون بعبدي اذا أدبر عني وأجل مايكون عندي اذا رجع الي) نقله صاحب القوت وفيه أيضا في أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه تزعم انك منقطع الي وتدعي عشقي وتسيء الظن بي الق كنفك بين يدي أكن لك فان محبتي من عبادي ان يكونوا روحانيين لايغتمون مصابيح القلوب كن في الدنيا وحدانيا ولاتهتم بالخبز وأنت تريدني آثر هواي على هواك واغضب لي أشد مما تغضب لنفسك وقال القشيري في الرسالة سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول خرج داود عليه السلام يوما الى بعض الصحارى منفردا فاوحى الله تعالى اليه مالي أراك ياداود وحدانيا فقال استأثر الشوق الى لقائك على قلبي فحال بيني وبين صحبة الخلق فاوحى الله اليه ارجع اليهم فانك ان أتيتني بعبد أبق أثبتك في اللوح المحفوظ عبدا جهيدا شهيدا (فهذه الاخبار ونظائرها ممالايحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانس وأما تحقيق معناها فقد انكشف بما سبق) والله الموفق

(بيان محبة الله للعبد ومعناها)

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلابد من معرفة معنى ذلك ولنقدم الشواهد) الدالة (على محبته) تعالى له (فقد قال الله تعالى) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم (يحبهم ويحبونه) ثم قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فهذا الخبر هو متصل بالابتداء في المعنى لان الله تعالى وصف المؤمنين المحبين بفضله عليهم ومابينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين (وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) كأنهم بنيان مرصوص وقد روي في الخبر ما كان الله ليعذب حبيبه بالنار (وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ولذلك رد الله سبحانه على من ادعى انه حبيب الله) واحتج عليهم (فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى) اسمعيل بن أبي زياد عن أبان عن (أنس) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لاذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين) ويحب المتطهرين كذا في القوت قال العراقي ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده في مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث ابن مسعود وتقدم في التوبة انتهى قلت رواه بتمامه ابن أبي الدنيا والقشيري في الرسالة وابن النجار في تاريخه قال القشيري حدثنا أبو بكر بن فورك أخبرنا أحمد بن محمود بن خوزاد حدثنا محمد بن الفضل بن جابر حدثنا سعيد ابن عبد الله حدثنا أحمد بن زكريا حدثنا أبي قال سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التائب من الذنب كمن لاذنب له واذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ثم تلا ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قيل يارسول الله ما علامة التوبة قال الندامة وتقدم في التوبة (ومعناه انه اذا أحبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لايضر الكفر الماضي بعد الاسلام) فقد ورد الاسلام يجب ما كان قبله رواه ابن عساكر من حديث خالد بن الوليد ورواه ابن سعد من حديث الزبير بن العوام وأيضا من حديث سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده رفعه (وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) كذا في القوت (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لايحب ولا يعطي الايمان الا من يحب) قال العراقي رواه أحمد وصحح اسناده والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله

رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله) قال العراقى رواه ابن ماجه من حديث أبى سعيد باسناد حسن دون قوله ومن أكثر الخ فرواه أحمد وأبو يعلى بهذه الزيادة وفيه ابن لهيعة انتهى قلت ورواه ابن النجار من حديث أبى هريرة بلفظ من تواضع لله رفعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن ذكر الله أحبه الله وروى الشطر الاول والثانى فى سياق المصنف ابن منده وأبو عبيد من حديث أويس بن خولى والشطر الاول فقط أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى هريرة والشطر الاخير فقط ابن شاهين من حديث عائشة (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الحديث) أوله من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشئ أفضل من اداء ما افترضته عليه وما يزال عبدى الخ وتمامه ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فلئن سألنى أعطيته ولئن استعاذنى لاعذته وما ترددت فى شئ أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته رواه البخارى عن محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك ابن عبد الله بن أبى نمر عن عطاء عن أبى هريرة قال الذهبى هو من غرائب الصحيح مما تفرد به شريك عن عطاء وتفرد به خالد عن سليمان ورواه أبو نعيم فى أول الحلية من طريق ابن المؤمل والسراج كلاهما عن ابن كرامة وقد تقدم قريبا (وقال زيد بن أسلم) العدوى مولاهم التابعى الثقة وكان كثير الارسال (ان الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك) كذا فى القوت (وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر) فمن مشهور ذلك ما رواه الشيخان من حديث أبى هريرة اذا أحب الله عز وجل عبدا نادى جبريل ان الله يحب فلانا فاحببه فيحبه جبريل فينادى جبريل فى أهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض وفى الحلية من حديث أنس اذا أحب الله عبدا قذف حبه فى قلوب الملائكة الحديث (وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز اذ المحبة فى وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشئ) الملائم (الموافق والعشق) الذى هو أحد مراتبها (عبارة عن الميل الغالب المفرط) المتجاوز عن الحد وقد اختلف فى اطلاقه وقد أنكره جماعة من العلماء ففى الرسالة للقشيرى سمعت أبا على الدقاق يقول العشق مجاوزة الحد فى المحبة والحق لا يوصف بانه يجاوز الحد فلا يوصف بالعشق ولو جمع الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحقاق قدر الحق فلا يقال ان عبدا جاوز الحد فى محبة الله ولا يوصف الحق بانه يعشق ولا العبد فى صفته سبحانه فنفى العشق ولا سبيل له الى وصف الحق لا من الحق للعبد ولا من العبد للحق انتهى والذى يقتضيه سياق المصنف هنا وفى بعض مواضع أخر سبق من الكتاب جواز اطلاقه فى وصف العبد مع الله تعالى وقال صاحب القوت وقد كان أبو يزيد وأبو شعيب المقفع وسرى بن مفلس وأبو عبد الله بن الجلاء والجنيد بعدهم رحمهم الله تعالى يذكرون العشق فى مقامات خليل ومحب وزاد أبو يزيد ذكر العشق فى مقام وجعله معشوقا وقد كان يشير بذلك ويظهره عن نفسه لنفسه كانهم يريدون وصفا من الحب مخصوصا لا عن فعل ولا سبب بل لوصف تحلى به ثم قال الا أن هذا ليس من معارف العامة ولا تهتدى اليه قلوبهم ولا يقدح فى جوهر عقولهم وليست صفاتهم مكانا لهذا ولا أخلاقهم مخلقة عليه ولا علومهم نافذة فيه فذكره مذكر لان العقول تنكره والقلوب تمجه والهمم لا تسرى فيه فلذلك كان طيه أحسن من نشره وانما ينتسخ من قلب الى قلب وقد روينا لفظا من هذا المقام فى أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه تزعم انك منقطع الىّ وتدعى عشقى وتسىء الظن بى وقد تقدم باقيه (وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضا وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر) هذا ظاهر فى حب العبد لله تعالى (فاما حب الله للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى أصلا بل الاسامى كلها اذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله) تعالى (لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى ان اسم الوجود الذى هو أعم الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد

رفعه الله ومن تكبر خفضه الله ومن أكثر ذكر الله احبه الله وقال عليه السلام قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الحديث وقال زيد بن اسلم ان الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز اذ المحبة فى وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشئ الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضا وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فاما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا بل الاسامى كلها اذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى ان اسم الوجود الذى هو أعم الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد

من

من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساو بالوجود المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابه فيهما من غير استحقاق أحدهما لان يكون فيه أصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا لخلقه) قال السيد الشريف في الرسالة الوجودية التي عبر عنها بعض العارفين بالفارسية مانصه اعلم أن الوجود له مراتب الاولى وجود مستفاد من الغير وهو المشهور عند العقلاء في الماهيات الممكنات فهذا لا بد من ثلاثة أشياء أحدها ذات ماهية الممكن والثاني وجوده وهو مستفاد من الغير والثالث هو الغير مفيض الوجود على الماهية ولاشك ان انفكاك الوجود في هذه الوجودات بنظر ذاتها جائز بل واقع الثانية ذات تقتضي وجودا من حيث ان انفكاكه محال كوجود واجب الوجود عند جمهور المتكلمين فههنا لابد من الاثنينية أحدها ذات الواجب والثاني وجوده المستفاد منها وانفكاك الوجود من هذه الوجودات محال لكن باعتبار مغايرتها للذات في التصور يمكن انفكاكه الثالثة موجود بوجوده وذاته عينه وقائم بذاته لا بغيره فحقيقة الوجود في هذه المرتبة لا يكون الأمر واحدا وهو موجود و وجود الاشياء موجود منه فلاتحاد الوجود والذات انفكاك التصور محال وفي الوجودية فوق هذه المرتبة لا يمكن التصور وهذا كحال الواجب الوجود عند المتكلمين وعند الطائفة الصوفية واجب الوجود وجود بحت يعني في واجب الوجود لا يكون شيآن ذات و وجود هو عارض لها بل واجب الوجود هو ذات محض قائم بذاته وهم مع الطائفة الاولى متفقون عليه بهذا المقدار ولم يقولوا الوجود عين الموجود هذا يفهم من بديهيات العقل لا يمكن الوجود أعلى وأقوى من هذه المرتبة وان كان ممكنا من هذه المرتبة فوقية الوجود لابد هو واجب الوجود لا هذا وأرباب النظر يقولون العقل يحكم ان حقيقة واجب الوجود ينبغي ان يكون وجود و واجب الوجود لا ينبغي ان يكون كليا يعني لا يكون كليا والعموم عارض له لانه ان كان كليا لابدان يكون في الخارج له صورة فيلزم ان يكون واجب الوجود ممكنا من كلي وتعين التركيب على واجب الوجود محال بل ينبغي لواجب الوجود ان يكون في حد ذاته متعينا وتعينه عين ذاته حتى لا يتصور بوجه من الوجوه التركيب والتعدد فينبغي ان يكون الواجب قائما بذاته وان كان قائما بالغير فيكون محتاجا اليه ونسبة الاحتياج الى الواجب محال بل تصور الاحتياج اليه كفر فلزم ان تكون حقيقة الوجود عين الواجب فحقيقة الوجود بذاته يكون متعينا حقيقيا وقائما بذاته فحينئذ تعدد حقيقة الوجود بحسب الافراد وعروض حقيقة الوجود لماهيات الممكنات من المحالات وقد فهم من هذا ان واجب الوجود وجود مطلق والمراد بالمطلق ان لا يكون عارض الماهية بل قائم بذاته ومقيد بتعينه و بذاته متعين ومقيد وان اطلاق الوجود على غير واجب الوجود مجاز لان الوجود عارضه ولا جزؤه ولا عينه بل موجودية الاشياء لها تعلق به وله أثر فيها ولا يكون الوجود لها عارضا ولا فيها هذا كلام أرباب البحث والنظر والعقل والصوفية يقولون عندنا طريق غير طريق العقل وهو المكاشفة والعقل فيها عاجز وقد تقرر عندنا ان حقيقة الوجود عين واجب الوجود وهو لا كلي ولا جزئي ولا خاص ولا عام بل مطلق من جميع القيود حتى من قيد الاطلاق أيضا وهذه الحقيقة في جميع الاشياء تتصف بوجود التجلي والظهور يعني لا تكون الاشياء خالية عنه وان كانت خالية من حقيقة الوجود فان لوحظت باعتبار الاطلاق المذكور سميت أحدية الجامعية وباعتبار عدم القيود والتعينات سميت أحدية الصرف اه (وهذا التباعد في سائر الاسامي أظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي أولا للخلق فان الخلق أسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل) قال المصنف في المقصد الاسنى وكانا اذا عرفنا ان الله تعالى حي قادر عالم فلم نعرف أولا الا أنفسنا ولم نعرفه الا بانفسنا اذ الاصم لا يتصور ان يفهم معنى قولنا ان الله سميع والاكمه لا يعرف معنى قولنا انه بصير وكذلك اذا قال القائل كيف يكون الله عالما بالاشياء فنقول له كما تعلم أنت أشياء فاذا قال كيف يكون قادرا فنقول كما تقدر أنت فلا يمكنه ان يفهم شيأ الا اذا كان فيه

من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساو بالوجود المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابه فيهما من غير استحقاق أحدهما لان يكون فيه أصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا لخلقه و هذا التباعد في سائر الاسامي أظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي أولا للخلق فان الخلق أسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل

والمحبة فى وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا انما يتصوّر فى نفس ناقصة فانها اما توافقها فتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن فى حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصوّر تجدده ولا زواله فلا فيكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته وأفعاله فقط وليس فى الوجود الا ذاته وأفعاله ولذلك قال الشيخ أبو سعيد المهنى رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى الكل وأن ليس فى الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هى متعلقة بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ فى حبه لعباده فهو مؤوّل ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به فى الازل فحبه لمن أحبه أزلى مهما أضيف الى الارادة الازليه التى اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب واذا أضيف الى فعله الذى يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى لا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله فى درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه

ما يناسبه فيعلم أوّلا ما هو متصف به ثم يعلم غيره بالمناسبة اليه فاذا كان لله وصف وخاصية ليس فينا ما يناسبه ويشاركه ولو فى الاسم لم يتصوّر فهمه ألبتة فما عرف أحد الا نفسه ثم قاس بين صفات الله تعالى وبين صفات نفسه وتتعالى صفات الله تعالى وتتقدس عن ان تشبه صفاتنا (والمحبة فى وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا انما يتصوّر فى نفس ناقصة فانها اما توافقها فتستفيد بنيله كمالا فتلتذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل جمال وكمال وبهاء وجلال ممكن فى حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصوّر تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته وأفعاله فقط وليس فى الوجود الا ذاته وأفعاله) وهذا أيضا صريح فى القول بوحدة الوجود وقد صرح بذلك الشيخ الاكبر فى مواضع من الفتوحات (ولذلك قال الشيخ أبو سعيد) الفضيل بن أحمد بن محمد (المهنى) بكسر الميم وسكون التحتية نسبة الى ميهنة قرية بخاوران بين سرخس وأبيورد وأبو سعيد المذكور يعرف بابن أبى الحسن صاحب كرامات وسمع الحديث من زاهر السرخسى وغيره توفى سنة ٤٤ (رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى) فسوف يأتى الله بقوم (يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وان ليس فى الوجود غيره) اذ وحدته ذاتية وكثرته اعتبارية فهو عين كل فى تعيناته من حيث الظهور فقط (فمن لا يحب الا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هى متعلقة بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه) هذا من حيث الحقيقة (وما ورد من الالفاظ فى حبه لعباده فهو مؤوّل ويرجع معناه) اما (الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه) أى بعين بصيرته الباطنة (و) اما (الى تمكينه اياه من القرب منه و) اما (الى ارادته ذلك فى الازل فحبه لمن أحب أزلى مهما أضيف الى الارادة الازلية التى اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب واذا أضيف الى فعله الذى يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى) فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى فى الصحيح عن أبى هريرة (ولا يزال العبد يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه) وقد تقدم تمامه قريبا (فيكون تقربه بالنوافل سببا فى اصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله فى درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله ولطفه به فهو معنى حبه) فمحبة العبد لله لاجل حب الله له وجد الله لعبده من أجل حبه له فالسعداء من العباد محبوبون محمودون من الله والله محمود منهم وبحمد الله نالوا حمده كما نالوا بحبه لهم حبه وهو معنى قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه قال القشيرى فى الرسالة المحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد وأخبر عن محبته للعبد فالله سبحانه يوصف بانه يحب العبد والعبد يوصف بانه يحب الحق والمحبة على لسان العلماء هى الارادة وليس مراد القوم بالمحبة الارادة فان الارادة لا تتعلق بالقديم اللهم الا أن يحمل على ارادة القرب اليه والتعظيم له ثم قال فمحبة الحق سبحانه للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه كما ان رحمته ارادة الانعام فالرحمة أخص من الارادة والمحبة أخص من الرحمة فارادة الله تعالى أن يوصل الى العبد الثواب والانعام يسمى رحمة وارادته بان يخصه بالقربة والاحوال العلية يسمى محبة وارادته سبحانه صفة واحدة فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وقوم قالوا محبة الحق للعبد مدحه له وثناؤه عليه بالجميل فيعود معنى محبته على هذا القول الى كلامه وكلامه قديم وقال قوم محبته للعبد من صفات فعله فهو احسان مخصوص يلقى العبد به حالة مخصوصة يرقيه اليها كما قال بعضهم ان رحمته بالعبد نعمته معه وقوم من السلف قالوا محبته من الصفات الخبرية فاطلقوا اللفظ وتوقفوا على التفسير فاما ما عدا هذه الجملة مما هو المعقول من صفات محبة الخلق كالميل الى الشئ والاستئناس بالشئ وكحالة يجدها المحب مع محبوبه من المخلوقين فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك اهـ المقصود منه وقوله فان الارادة لا تتعلق بالقديم أى الارادة من العبد وهذا بناء على ان أثرها التخصيص فلا

تتعلق

ولا يفهم هذا الامثال وهوان الملك قد يقرب عبده من نفسه و يأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره بقوته أو ليستريح بمشاهدته أو ليستشيره في رأيه أو ليهيئ أسباب طعامه وشرابه فيقال ان الملك يحبه و يكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والخصال الحميدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه أصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه و بينه يقال قد أحبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل (٦١٣) وحبب نفسه الى الملك فحب الله للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله في البعد من صفات البهائم و السباع والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في أزل الآزال ولا ينكشف هذا الامثال في القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى أن يقرب أستاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار أكمل صفة وأتم علما واحاطة بحقائق الامور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله محال فانه لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة

تتعلق بالقديم كما لا تتعلق بالمستحيل وحاصل ما ذكره من الاقوال أربعة وهي ترجع الى قولين الارادة والكلام لرجوع الفعل الى الارادة والخبرية الى الكلام (ولا يفهم هذا الامثال وهوان الملك قد يقرب عبده من نفسه و يأذن له في كل وقت في حضور بساطه) والمثول بين يديه (لميل الملك اليه اما لينصره بقوته أو ليستريح بمشاهدته أو ليستشيره في رأيه أو ليهيئ أسباب طعامه وشرابه فيقال ان الملك يحبه و يكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد) في خدمته (ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق المرضية والخصال الحميدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه أصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه و بينه يقال قد أحبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل) الى الملك (وحبب نفسه الى الملك فحب الله) تعالى (للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله تعالى في البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين) من الحرص والطمع والكبر والغضب والشهوة وغيرها من الرذائل (والتخلق بمكارم الاخلاق) ومحاسنها (التي هي الاخلاق الالهية) وقد تقدم ذكرها (فهو قرب بالصفة لا بالمكان) فان قلت ظاهره يشير الى مشابهة بين العبد وبين الله تعالى لانه اذا تخلق باخلاقه كان شبيها له ومعلوم شرعا وعقلا انه تعالى ليس كمثله شئ وانه لا يشبهه شئ قلت لا ينبغي أن يظن ان المشاركة بكل وصف توجب المماثلة بل المماثلة عبارة عن المشاركة في النوع والماهية والخاصية الالهية لا يتصور فيها مشاركة البتة (ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في أزل الازل ولا ينكشف هذا الامثال في القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر) فهكذا ينبغي أن يفهم قرب العبد من الله تعالى (بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى أن يقرب من أستاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقي العبد في درجات القرب) من الله تعالى (فكلما صار أكمل صفة وأتم علما واحاطة بحقائق الامور وأثبت قوة في قهر الشيطان) والنفس (وقمع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لا نهاية في كماله وسلوك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة) فضلا

فى درجات القرب تتفاوت تفاوتاً لانهاية له أيضاً لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذا محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصى عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه وأما محبة العبد لله فهو ميله الى درك هذا الكمال الذى هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا أدرك منه شيأ يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى فان قلت محبة الله للعبد أمر ملتبس فبم يعرف العبد أنه حبيب الله فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا فعلامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره و يحول بينه و بين غيره قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشترى حمارا تركبه فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشغلنى عن نفسه بحمار وفى الخبر اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رأيتك تحبه و رأيته يبتليك فاعلم انه يريد يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشئ من المحبة فقال يا بنى هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه قال لا قال فلا تطمع فى المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره و ينهاه وقد قال اذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فأخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله وأما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره و باطنه سره و جهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره و باطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض للدنيا فى قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة فى خلواته والكاشف له عن الحجب بينه و بين معرفته فهذا وأمثاله هو علامة حب الله للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله فانها أيضاً علامات

عن المجاوزة (ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتاً لانهاية له أيضاً لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال) وسبب ذلك تفاوت درجات القرب بتفاوتهم فى درجات المعرفة وانما كان هذا التفاوت لانهاية له لان ما لا يقدر الآدمى على معرفته من معلومات الله تعالى لانهاية له وما يقدر عليه أيضاً لانهاية له وان كان ما يدخل فى الوجود منه متناهيا ولكن مقدور الآدمى من العلوم لانهاية له وان كان ما يدخل فى الوجود متناهيا نعم الخارج الى الوجود متفاوت فى القلة والكثرة وبه يظهر تفاوت الناس فى المعرفة والكمال والقرب (فاذا محبة الله تعالى للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصى عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه وأما محبة العبد لله فهو ميله الى درك هذا الكمال الذى هو مفلس عنه) وعرى عنه (فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا أدرك منه شيأ يلتذ به والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى) فليست محبة العبد له متضمنة ميلا ولا احتظاظا كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك والاحاطة (فان قلت محبة الله للعبد أمر ملتبس فبم يعرف العبد أنه حبيب الله تعالى فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا) هكذا هو فى القوت وقد رواه الطبرانى من حديث أبى عتبة الخولانى وقد تقدم قريبا (فعلامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره) فلا يشغله بسواه (قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشترى حمارا تركبه) فانه كان كثير السياحة على رجليه والقائل له بعض الحواريين (فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشغلنى عن نفسه بحمار) رواه أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف عن ثابت البنانى قال قيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا تركبه فقال أنا أكرم على الله من أن يجعل لى شيأ يشغلنى به (وفى الخبر اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه) هكذا فى القوت وقال العراقى ذكره صاحب الفردوس من حديث على بن أبى طالب ولم يخرجه ولده فى مسنده (وقال بعض العلماء اذا رأيتك تحب الله ورأيته يبتليك فاعلم انه يريد يصافيك) كذا فى القوت ويشهد له ما رواه البيهقى فى الشعب من مرسل سعيد بن المسيب اذا أحب الله عبدا ألصق به البلاء فان الله يريد أن يصافيه (وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشئ من المحبة فقال يا بنى هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه قال لا قال فلا تطمع فى المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه) أى يختبره كذا فى القوت (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أم سلمة باسناد حسن بلفظ اذا أراد الله بعبد خيرا اهـ قلت وليس عند الديلمى قوله زاجرا من قلبه (وقد قال) صلى الله عليه وسلم (اذا أراد الله بعبد خيرا بصره بعيب نفسه) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بزيادة فيه باسناد ضعيف وقد تقدم (فأخص علاماته حبه لله تعالى فان ذلك يدل على حب الله) له (وأما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه وسره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره) والمزكى لفعله (والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا والمبغض الدنيا فى قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة فى خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وأمثاله هو علامة حب الله) تعالى (للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله تعالى فانها أيضاً علامات

حب الله للعبد * (القول في علامة محبة العبد لله تعالى) * اعلم أن المحبة يدعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى فلا ينبغي أن يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور أن يحب القلب محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي أن يكون محبا للموت غير فار منه فان الحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة قال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة أحب الى الله أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال عز وجل يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون

حب الله) تعالى (للعبد والله الموفق) *(القول في علامات محبة العبد لله تعالى)*

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان المحبة يدعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى)

فكل يدعي وصلا بليلى * وليلى لا تقر لهم بذاك

(فلا ينبغي أن يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس) المكارة (مهما ادعت محبة الله تعالى) والشوق اليه والانس به (مالم يمتحنها بالمعاملات) الدالة على دعواها (و) ما (لم يطالبها بالبراهين) الكشفية (والادلة) العقلية (والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت) في أرض القلوب (وفرعها في السماء) أي في سماء الارواح (وثمارها تظهر على القلب) فتولد المعرفة (و) على (اللسان) فتورث الذكر (و) على (الجوارح) فتثمر الاعمال (وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب) واللسان (والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهي) أي تلك العلامات (كثيرة) ولكن ذكر منها نحو عشرة قال (فمنها حب لقاء الحبيب بطريق العيان و) الكشف والمشاهدة في دار السلام) ومحل القرب (فلا يتصور أن يحب القلب محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول) الى لقائه (الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي أن يكون محبا للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر من وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة) ومن هنا قالوا الموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب وروى الديلمي من حديث عائشة الموت غنيمة وروى الدارقطني من حديث جابر الموت تحفة (قال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة اه قلت رواه الطيالسي وأحمد والدارمي والشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان من رواية أنس عن عبادة ابن الصامت وروا أحمد والشيخان والترمذي والنسائي من حديث عائشة ورواه الشيخان من حديث أبي موسى ورواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة ورواه النسائي والطبراني من حديث معاوية (وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنهما (عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم) رواه أبو نعيم في الحلية من طريقين الاولى حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا ابراهيم بن اسحق الحربي حدثنا محمد بن يزيد الادمي حدثنا يحيى بن سليم عن اسمعيل بن كثير عن زياد مولى ابن عياش قال حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال لولا أني أرى ان هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به اللهم انك تعلم اني كنت أحب الفقر على الغنى وأحب الذلة على العز وأحب الموت على الحياة حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم ثم مات رحمه الله الثانية بالسند الى ابراهيم بن اسحق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا السري بن يحيى عن الحسن قال لما حضر حذيفة الموت قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم الحمد لله الذي سبق بي الفتنة قادتها وعلوجها (وقال بعض السلف ما من خصلة أحب الى الله أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود) نقله صاحب القوت وقال (فقدم حب لقاء الله على السجود) على أن كثرة السجود من أفضل الاعمال كما وردت به الاخبار (وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) ولفظ القوت وقد شرط سبحانه لحقيقة الصدق القتل في سبيله وأخبر انه يحب قتل محبوبه في قوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بعد قوله معيرا لهم لم تقولون ما لا تفعلون حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل محنة محبته وعلامة أخذه مال محبوبه ونفسه اذ يقول يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون اه قلت أخرج أحمد والدارمي والترمذي وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي من حديث عبد الله بن سلام قال قعدنا نفرا من

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الاعمال أقرب الى الله تعالى لعملناه فأنزل الله
تعالى قوله سبح لله الآيات وفي حديث ابن عباس كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون لوددنا ان
الله دلنا على أحب الاعمال فنعمل به الحديث أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وقال مجاهد نزلت
في نفر من الانصار منهم عبد الله بن رواحة قالوا في مجلس لهم لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله لعملناه حتى نموت
فأنزل الله فيهم أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن عساكر وقد تقدم في كتاب الصبر مفصلا (وفي وصية أبي
بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء فان حفظت وصيتي
لم يكن غائب أحب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب أبغض اليك من الموت ولن
تعجزه) هكذا هو في القوت ورواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن أحمد بن الحسين حدثنا بشر بن
موسى حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا فطر بن خليفة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال لما حضر أبا بكر
الصديق الموت دعا عمر فقال اتق الله يا عمر واعلم ان لله عملا بالنهار لا يقبله بالليل وعملا بالليل لا يقبله بالنهار
وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في
الدنيا وثقل عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا وان الله تعالى ذكر أهل الجنة
فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه فاذا ذكرتهم قلت اني لاخاف أن لا ألحق بهم وان الله تعالى لما
ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه فاذا ذكرتهم قلت اني لارجو أن لا أكون مع
هؤلاء ليكون العبد راغبا راهبا لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمته فان أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب
أحب اليك من الموت وهو آتيك وان أنت ضيعت وصيتي فلا يك غائب أبغض اليك من الموت ولست بمعجزه
وروى أبو نعيم في ترجمة ابن مسعود قال الحق ثقيل مريء والباطل خفيف وبيء وشهوة تورث حزنا طويلا
(ويروى عن اسحق بن سعد بن أبي وقاص) تابعي روى عن أبيه (قال حدثني أبي) سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه (ان عبد الله بن جحش) بن رئاب بن يعمر الاسدي رضي الله عنه حليف بني عبد شمس أمه أميمة
بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحد السابقين هاجر الى الحبشة وشهد بدرا وصاهر رسول
الله صلى الله عليه وسلم باخته زينب بنت جحش (قال له يوم أحد الا ندعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن
جحش فقال يارب اني أقسمت عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده) محركة أي غضبه
(أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني) أي يقطعهما (ويبقر بطني) أي يشقه (فاذا لقيتك غدا
قلت) أنت (يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك فأقول فيك يارب وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته
آخر النهار وان أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط) قال العراقي رواه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية واسناده
جيد اهـ قلت لفظ أبي نعيم حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا طاهر بن عيسى المصري حدثنا أصبغ بن الفرج
حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن اسحق بن سعد بن أبي وقاص حدثني أبي أن
عبد الله بن جحش قال له يوم أحد فذكر الحديث ورواه البغوي من هذا الطريق وفيه أن عبد الله بن جحش
قال له يوم أحد الا نأتي فندعو قال فخلونا في ناحية فدعا سعد فقال اللهم رب اذا لقينا القوم غدا فلقني رجلا
شديدا حرده أقاتله فيك ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وآخذ سلبه قال فأمن عبد الله بن جحش ثم قال عبد الله
اللهم ارزقني رجلا شديدا حرده أقاتله فيك حتى يأخذني فيجدع أنفي وأذني فاذا لقيتك قلت هذا فيك وفي رسولك
فتقول صدقت قال سعد فكانت دعوة عبد الله خيرا من دعوتي فلقد رأيته آخر النهار وان أنفه وأذنه لمعلقة في
خيط (قال سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى (أرجو أن يبر الله آخر قسمه كما بر أوله) رواه أبو نعيم في الحلية
قال حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين حدثنا محمد بن اسحق الثقفي قال حدثنا ابن الصباح حدثنا سفيان بن
جدعان عن سعيد بن المسيب قال قال عبد الله بن جحش اللهم اقسم عليك أن ألقى العدو غدا فيقتلوني ثم يبقروا
بطني ويجدعوا أنفي وأذني جميعا ثم تسألني فيم ذلك فأقول فيك قال سعيد بن المسيب فاني أرجو أن يبر الله آخر

وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء فان حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب بغض اليك من الموت ولن تعجزه ويروى عن اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يارب اني أقسمت عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديد حرده أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ويبقر بطني فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من جدع أنفك وأذنك فأقول فيك يارب وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رأيته آخر النهار وان أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط قال سعيد بن المسيب ارجو أن يبر الله آخر قسمه كما بر أوله

قسمه كما بر أوّله وأخرجه ابن شاهين من وجه آخر عن سعيد بن المسيب أن رجلا سمع عبدالله بن جحش فذكر نحوه قال الحافظ وهذا أخرجه عبدالله بن المبارك فى الجهاد مرسلا (وقد كان) سفيان (الثورى و بشر) بن الحرث (الحافى) رحمهما الله تعالى (يقولان لا يكره الموت الامريب) أى شاك (لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه) نقله صاحب القوت (وقال) أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصرى (البويطى) بضم الموحدة وفتح الواو نسبة الى بويط قرية بمصر بالصعيد الادنى وهو صاحب الشافعى وخليفته على أصحابه بعده كان زاهدا متعبدا قال له الشافعى اما أنت فتموت فى الحديد فمات مقيدا ببغداد سنة ٢٣١ فى محنة القرآن (لبعض الزهاد أتحب الموت فكأنه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يتمنين أحدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه) نقله صاحب القوت وقال هذا كما قال البويطى لان التائب اذا صدقت توبته طلب الموت خشية الحول عن حاله فاذا كان كذلك كان هو التائب الذى هو حبيب الله الا أن مقام الرضا أعلى من مقام تمنى الموت فلذلك قال لا يتمنى الموت للضر ينزل به أى فرضاه بقضائه أفضل من تمنى لقائه ليقبض على مقام الرضا اﮪ والحديث المذكور بهذا اللفظ رواه الباوردى والطبرانى والحاكم من حديث الحكم ابن عمرو الغفارى ورواه أحمد من حديث عبس الغفارى ورواه أيضا هو والطبرانى وصاحب الحلية من حديث خباب و يروى بزيادة اما محسنا فلعله أن يعيش يزداد خيرا وهو خير له واما مسيئا فلعله أن يستعتب رواه النسائى بهذه الزيادة من حديث أبى هريرة ورواه أحمد والشيخان نحوه ورواه الشيخان من حديثه بزيادة ولا يدع به من قبل أن يأتيه انه اذا مات أحدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا ورواه ابن عساكر من حديثه بزيادة حتى يثق بعمله ورواه ابن أبى شيبة من حديث عمرو بن عنبسة بلفظ الا أن يثق بعمله ورواه الخطيب من حديث ابن عباس بزيادة فانه لا يدرى ما قدم لنفسه وأما قول البويطى انما قاله لضر نزل به فقد رواه الطيالسى وأحمد وعبد بن حميد والشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان من حديث أنس لفظه لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فان كان لا بد متمنيا فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى وأفضل (فان قلت فمن لا يحب الموت فهل يتصوّر أن يكون محبا لله تعالى فأقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافى كمال حب الله تعالى لان الحب الكامل هو الذى يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله ضعيفة فان الناس متفاوتون فى الحب) تفاوتهم فى المعرفة (ويدل على التفاوت ماروى أن أبا حذيفة) هشيم وقيل هاشم وقيل قيس (بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس) بن عبد مناف القرشى العبشمى من السابقين هاجر الهجرتين وصلى الى القبلتين كان طوالا حسن الوجه استشهد يوم اليمامة وهو ابن ست وخمسين سنة (لما زوّج أخته فاطمة) ابنة عتبة (من سالم مولاه) هكذا هو نص القوت والذى فى الاصابة فى ترجمة سالم وكان أبو حذيفة قد تبناه كما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فكان أبو حذيفة يرى انه ابنه فأنكحها ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة فلما أنزل الله ادعوهم لآبائهم رد كل أحد تبنى ابنا من أولئك الى أبيه ومن لم يعرف الى مواليه قال أخرجه مالك فى الموطا عن الزهرى عن عروة بهذا وذكر فى ترجمة فاطمة بنت الوليد بن عتبة هذه انها من المهاجرات الفاضلات زوّجها عمها أبو حذيفة بن عتبة سالما الذى يقال له مولى أبى حذيفة وذكر فى ترجمة فاطمة بنت عتبة أخت أبى حذيفة انها أخت هند أم معاوية بن أبى سفيان ونقل عن ابن سعد انه قال تزوّجها قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف فولدت له الوليد وهشاما ومسلما وعتبة وأمية وفاختة ثم أسلمت و بايعت وتزوّجها عقيل بن أبى طالب وذكر لها معه قصة وقد ظهر بما ذكرنا ان التى تزوّجها سالم هى فاطمة بنت الوليد لا ابنة عتبة فتأمل (عاتبته قريش فى ذلك وقالوا أنكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى) يعنون به سالما رضى الله عنه (فقال والله لقد أنكحته اياها وانى لاعلم انه خير منها فكان قوله عليهم أشد من فعله

لبعض الزهاد أتحب الموت فكأنه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يتمنين أحدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه فان قلت فمن لا يحب الموت فهل يتصوّر أن يكون محبا لله فأقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافى كمال حب الله تعالى لان الحب الكامل هو الذى يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة فان الناس متفاوتون فى الحب ويدل على التفاوت ماروى ان أبا حذيفة ابن عتبة بن ربيعة عبد بن شمس لما زوج أخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش فى ذلك وقالوا أنكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى فقال والله لقد أنكحته اياها وانى لاعلم أنه خير منها فكان قوله ذلك أشد عليهم من فعله

قالوا وكيف وهي أختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أره من حديث أبي حذيفة وروى أبو نعيم في الحلية المرفوع منه من حديث عمر ان سالما يحب الله حقا من قلبه وفي رواية له ان سالما شديد الحب لله عز وجل ماعصاه وفيه ابن لهيعة اهـ قلت قال أبو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا أحمد بن حماد بن سفيان حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان قال حدثني أبو صالح كاتب الليث قال حدثني عبد الله بن لهيعة بن عبادة بن سني عن عبد الرحمن بن غنم قال سمعت عبد الله بن الارقم يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سالما مولى أبي حذيفة فقال ان سالما شديد الحب لله رواه حبيب بن نجيح عن عبد الرحمن ابن غنم حدثت عن سعيد بن سليمان قال حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن الجراح بن منهال عن حبيب بن نجيح عن عبد الرحمن بن غنم قال قدمت المدينة في زمان عثمان فأتيت عبد الله بن الارقم فقال حضرت عمر عند وفاته مع ابن عباس والمسور بن مخرمة فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان سالما شديد الحب لله لو كان لايخاف الله ماعصاه فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له فقال صدق انطلق بنا الى المسور حتى يحدثك به فجئنا المسور فقلت ان عبد الله بن الارقم حدثني بهذا الحديث فقال حسبك لاتسأل عنه بعد عبد الله ابن الارقم حدثنا أبو حامد بن جبلة حدثنا محمد بن اسحق الثقفي حدثنا محمود بن خداش حدثنا مروان بن معاوية حدثنا سعيد قال سمعت شهر بن حوشب يقول قال عمر بن الخطاب لو استخلفت سالما مولى أبي حذيفة فسألني عنه ربي ماحملك على ذلك لقلت رب سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم وهو يقول انه يحب الله حقا من قلبه (فهذا يدل على ان من الناس من لايحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها) وقال صاحب القوت بعد ان أورد الحديث المذكور ما نصه ففي دليله ان من المؤمنين من يحب الله ببعض قلبه فيؤثره بعض الايثار وتوجد فيه محبة الاغيار ومنهم من يحبه بكل قلبه فيؤثره على ماسواه فهذا عابده ومألوهه الذي لامعبود له ولا اله الا اياه وفيه دليل على انهم على مقامات في المحبة عن معاني مشاهدات الصفات ما بين البعض في القلوب والكلية اهـ وقال الكمال محمد بن اسحق الصوفي ذهب قوم من السلف الى أن محبة الزوجة والولد والاسباب التي هي من ضرورات الحياة تنقص المحبة وذهب الامام الغزالي الى خلاف ذلك فقال في بعض كلام له كل مايحبه العبد من الدنيا ليتوصل بذلك الى محبة الله فهو من محبة الله وأما الامام أبو طالب المكي فقال الركون اليها يخرج عن المحبة قلت اذا ركن اليها بطبعه وعقله وأما بمجرد الطبع فلا يخرج عن المحبة لكن ينقص كمالها عندي لان المحبة اذا قويت كدرت صفو ماسواها من الشهوات فيكون الحب معها بقالبه لابقلبه ويكون مع الشهوات المباحة لاجل أمر الله لا لشهوة ولا رغبة وهذا هو الذي أراده الامام أبو طالب بقوله ان محبة الزوجة والولد لاينقص ذلك عندي وعلله فقال ان محبة الله من نور الايمان ومحبة الزوجة والولد من العقل ومثل هذا لايخفى عليه أن العقل لايحب المحسوسات ولايميل اليها وانما والله أعلم لما كان للقلب وجهتان وجهة الى الله مستمد منها المعارف ومزايد القلب ووجهة الى بدنه ليدبره ويقوم بمصالحه وكان المحب لا يرجع من الوجه الذي يلي ربه الى الوجه الذي يدبر به المصالح الا لضرورة سفره سمى محبة الزوجة والولد بهذا الاعتبار عقلا لان هذا لايتناول من الدنيا الا كما يتناول المريض الادوية النافعة لايأخذ منها الا بقدر الحاجة وهذه أحوال السلف من المحبين اهـ (وأما السبب الثاني للكراهة فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل أن يستعد للقاء الله فذلك لايدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعدله أسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق) لا للتمتع بالدنيا (فالكراهة بهذا السبب لاتنافي كمال الحب أصلا) وترك اختياره لاختيار الله في هذا الباب أولى (وعلامته الدؤب في العمل واستفراغ الهم في الاستعداد) فان قصر في عمله فليس من الاستعداد في شئ (ومنها

ان

فقالوا وكيف وهي أختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها * (وأما السبب الثاني للكراهة) * فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل أن يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب أن يتأخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعدله أسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة بهذا السبب لاتنافي كمال الحب أصلا وعلامته الدؤب في العمل واستغراق الهم في استعداد ومنها

أن يكون مؤثرا ما أحبه الله تعالى على ما يحبه فى ظاهره وباطنه فيلزم مشاق العمل ويجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب فى قلب محبوبه وقد وصف الله المحبين بالايثار فقال يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن بقى مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

أريد وصاله ويريد هجرى * فاترك ما أريد لما يريد

بل الحب اذا غلب قمع الهوى لم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روى ان زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهار وقالت يا يوسف انما كنت أحبك قبل أن أعرفه فاما اذا عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا حتى قال ان الله جل ذكره أمرنى بذلك وأخبرنى انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أما اذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلنى طريقا اليه فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت اليه فاذا من أحب الله لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه

تعصى الاله وأنت ما تظهر حبه * هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحبه مطيع

وفى هذا المعنى قيل أيضا

وأترك ما أهوى لما قد هويته * فارضى بما ترضى وان سخطت نفسى

أن يكون مؤثرا ما يحبه الله تعالى على ما يحبه فى ظاهره وباطنه) لان المحبة لا تدع لغير المحبوب موضعا فى القلب والايثار هو ميزان العقل والصدق للمحبة فعلى قدر ايثارك له تعرف محبتك له فلا تغتر فان المحبة خفية لا تعرف الا بايثارها وقد أشار الى ثمرة الايثار بقوله (فيلزم مشاق العمل ويجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل) أى راحته (ولا يزال مواظبا على طاعة الله ومتقربا اليه بالنوافل) كما ورد به الخبر لان عمل المحبة لا يداخله سآمة ولا ملالة وهو أحد الاسباب المشرفة لاعمال المحبين (و) لا يزال (طالبا عنده مزايا الدرجات) أى خواصها (كما يطلب المحب مزيد القرب فى قلب محبوبه وقد وصف الله المحبين بالايثار فقال يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أى احتياج وفقر وقال صاحب القوت أول علامات المحبة الايثار للمحبوب على ذخائر القلوب ولذلك وصف الله تعالى المحبين بالايثار ووصف العارفين بذلك فقال فى صفة المحبين يحبون من هاجر اليهم ويؤثرون على أنفسهم وقال فى وصفه تعالى تالله لقد آثرك الله علينا اه (ومن بقى مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه) واليه يشير قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه (بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

أريد وصاله ويريد هجرى * فاترك ما أريد لما يريد)

أورده القشيرى فى الرسالة وقال صاحب القوت أنشدنى بعض الاشياخ لبعض المحبين

ألذ جميل الصبر كيما ألذه * وأهوى لمن أهواه تركا فاتركه

(بل الحب اذا غلب) على القلب وغمره (قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كما روى) فى الاخبار السالفة (ان زليخا) بفتح فكسر وهى امرأة العزيز (لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به) أى أخرت (الى النهار وقالت يا يوسف انما كنت أحبك قبل أن أعرفه فاما اذ عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها ان الله عز وجل أمرنى بذلك وأخبرنى انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أما اذا كان الله أمرك بذلك وجعلنى طريقا اليه فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت اليه) هكذا نقله صاحب القوت فكأنما كانت طاعتها امتثالا لامر الله تعالى وهو دليل المحبة (فاذا من أحب الله لا يعصيه) بمخالفة أمره (ولذلك قال) عبد الله (بن المبارك) رحمه الله تعالى (فيه

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع)

وهى أبيات سائرة من جملة قصيدة له نسبها اليه غير واحد من العارفين وروى البيهقى فى الشعب عن الحسن بن محمد بن الحنفية انه قال من أحب حبيبه لم يعصه ثم قال

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * عار عليك اذا فعلت شنيع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن أحب مطيع

ثم قال

ما ضر من كانت الفردوس منزله * ما كان فى العيش من بؤس واقتار
تراه يمشى حزينا خائفا شعثا * الى المساجد يسعى بين أطمار

ونسب السهروردى البيتين المذكورين الى رابعة وقد ظهر من مجموع كلامهم ان ابن المبارك ورابعة كانا ينشدان ذلك وأصل الانشاد لابن الحنفية فتأمل (وفى هذا المعنى قيل أيضا

وأترك ما أهوى لما قد هويته * وأرضى بما ترضى وان سخطت نفسى)

هكذا أنشده صاحب القوت لبعضهم (وقال سهل) التسترى (رحمه الله تعالى علامة الحب ايثاره على نفسك) ولفظ القوت الايثار يشهد للحب فعلامة حبه ايثاره على نفسك (و) قال (ليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهى) ولفظ القوت وكل من اجتنب مانهاه عنه صار حبيبا (وهو كما قال لان محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى يحبهم ويحبونه واذا أحب الله عبدا تولاه ونصره على أعدائه وانما عدوّه نفسه وشهواته فلا يخذله ولا يكله الى هواه وشهواته ولذلك قال تعالى والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) ولفظ القوت بعد ان أورد كلام سهل وهذا كما قال لان المحبة تستبين بترك المخالفة ولا تستبين بكثرة الاعمال كما قيل أعمال البر يعملها البر والفاجر والمعاصى لا يتركها الا صديق وقيل أفضل منازل الطاعات الصبر عن المعاصى ثم الصبر على الطاعة وان الصبر على الطاعة يضاعف الى سبعين ضعفا والصبر على المصيبة يضاعف الى سبعمائة كأنه أقيم مقام المجاهد فى سبيل الله لان نفسه عدوة لله وله فجهاد الفتى هواها هو جهادها فى سبيل الله لانه يقع اختيارا من الله وضرورة لا من كلية النفس فاذا ترك هواه فقد ترك نفسه فاقل ماله فى ذلك الزهد فى الدنيا والجهاد فى سبيل الله ومن أجل ذلك ضوعفت حسناته الى سبعمائة ومن أجله ثبتت له المحبة لدخوله فى أهل هذه الآية ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وأيضا فقد اندرج الخوف فى حاله وهو مقام ثان يفضل جنة ثانية لغير المخالفة فلذلك قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم قال عيش نفوسهم الفانى وهو عاجل حظوظهم من الشهوات (فان قلت فالعصيان هل يضادّ أصل المحبة فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها) واليه ذهب أبو طالب المكى وتبعه المصنف وقالا (فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة) قالا (ويدل عليه ما روى) فى الصحيح (ان نعيمان) بن عمرو بن رفاعة الانصارى (كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل قليل فيحده فى كل معصية يرتكبها) وهى انه كان يصيب من الشراب كما ذكره الزبير بن بكار فى كتاب الفكاهة والمزاح (الى ان أتى به يوما فحده) حد الشرب (فلعنه رجل) يقال اسمه عمير كما بينه الحافظ فى الفتح (وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه) وعند الزبير ابن بكار لا تفعل (فانه يحب الله ورسوله) رواه البخارى من طريق وهيب عن ابن أبى مليكة عن عقبة بن الحرث ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى بالنعيمان أو ابن النعيمان كذا بالشك والراجح النعيمان بلا شك كما عند أحمد ورواه بالشك أيضا ابن سعد فى الطبقات وقد تقدم ما يتعلق به (فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة) أى عن أصلها قال الكمال محمد بن اسحق الصوفى وقد رأيت أيضا فى كتاب الله ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الآية فلم تخرجه الكبيرة عن اسم الهجرة (نعم تخرجه المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين) مشيرا الى ذلك (اذا كان الايمان فى ظاهر القلب أحب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصى) ولفظ القوت اذا كان الايمان فى ظاهر القلب يعنى على الفؤاد كان المؤمن يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان فى باطن القلب وكان فى سويدائه أحبه الحب البالغ ومحنة ذلك ان ينظر فان كان يؤثر حب الله على جميع هواه ويغلب محبته على هوى العبد حتى تصير محبة الله هى محبة العبد من كل شئ فهو محب لله حقا كما انه مؤمن به حقا عن مشاهدة اليقين الذى يغلب رؤيته على رؤية الحق فيشهده فى كل شئ ويكون واجدا به دون كل شئ اذ قد تجلى لمن أيقن بكل شئ فان رأيت قلبك دون ذلك فلك من ذوق محبة سواه بقدر مالك من شرب اليقين ممزوجا بشهادة الخلق والوجد بهم دون الخالق وذلك أيضا من خالص شهادة التوحيد ومن المحبة بقدر ذلك له فى مقامات الخالصين أو مشوبا بالشرك الخفى بالنظر الى الاواسط والثوانى فى اخلاص عموم المخلصين وقال بعض العلماء ان ظاهر القلب محل الاسلام وباطنه محل الايمان فمن ههنا تفاوت المحبوب فى المحبة لفضل الايمان على الاسلام وفضل الباطن على الظاهر وفرق

وقال سهل رحمه الله تعالى علامة الحب ايثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهى وهو كما قال لان محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى يحبهم ويحبونه واذا أحبه الله تولاه ونصره على أعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله الى هواه وشهواته ولذلك قال تعالى والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فان قلت فالعصيان هل يضاد أصل المحبة فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روى أن نعيمان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل قليل فيحده فى معصية يرتكبها الى ان أتى به يوما فحده فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة نعم تخرجه المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان فى ظاهر القلب أحب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصى

بعض علمائنا بين القلب والفؤاد فقال الفؤاد مقدم القلب وما استدق منه والقلب أصله وما اتسع منه وقال مرة فى القلب تجويفان فالتجويف الظاهر هو الفؤاد وهو مكان العقل والتجويف الباطن هو القلب وفيه السمع والبصر وعنه يكون الفهم والمشاهدة وهو محل الايمان وقد قال الله تعالى كتب فى قلوبهم الايمان وقال ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فمحبة الاسلام مفترضة على الخلق وهى متصلة باداء الفرائض واجتناب المحارم طاعة لله ومحبة له فاما محبة المقربين ففى مشاهدة معانى الصفات بعد معرفة أخلاق الذات فعبادة اولئك بالعادات وللحاجات وعبادة المحبين للاجلال والتعظيم وهى مخصوصة لخصوصين والاصل فى هذا ان المحبة عن المعرفة وان المعرفة عموم وخصوص فالخصوص العارفين خاصية المحبة ولعمومهم عموم المحبة انتهى وقال الكمال محمد بن اسحق الصوفى والذى ترجح عندى ان العاصى يكون محبا حكما لا حقيقة كما يطلق اسم الايمان على النائم فانه مؤمن حكما لا حقيقة وبهذه القاعدة ينكشف سر قوله صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن لان دخان الشهوة حجب نظره عن الوعد والوعيد فصار كالغافل عن الايمان كالنوم فالغافل يسمى مؤمنا حكما لا حقيقة لان حقيقة الايمان حضور العبد مع الله أو شهوده للآيات الدالة على وجوده فالغافل العاصى عن هذا بمعزل والانسان خلق فى الاصل مجبولا على الغفلة وعلى الرجوع الى الاحوال البشرية وانما رحمة الشرع جاءت بتشريع العبادات وترتيبها فى أوقات متقاربة ليرجع القلب بذلك الى الله تعالى فانقسم الناس فى رجوعهم الى الله تعالى أو الى الدنيا هذا الانقسام (وبالجملة فى دعوى المحبة خطر) عظيم وقد قال بعض العلماء اذا تم التوحيد تمت المحبة واذا جاءت المحبة تم التوكل فتم ايمانه وخلص فرضه وسمى ذلك يقينا (ولذلك قال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى فى فرض المحبة (اذا قيل لك أتحب الله تعالى فاسكت فان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت) نقله صاحب القوت (ولذا قال بعض العلماء ليس فى الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا فى جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشئ من ذلك) نقله صاحب القوت وزاد فقال وقال عالم فوقه كل أهل المقامات يرجى انه يعفى عنهم ويسمح لهم الا من ادعى المعرفة والمحبة فانهم يطالبون بكل شعرة مطالبة وبكل حركة وسكون وكل نظرة وخطرة لله تعالى وبالله تعالى وفى الله تعالى ومع الله تعالى (ومنها) أى من علامات حب العبد لله تعالى (أن يكون مستهترا بذكر الله تعالى) أى مولعا به (لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه) بل يكون القلب موافقا للسانه فى حال الذكر (فمن أحب شيأ أكثر بالضرورة من ذكره) كما ورد فى الخبر من أحب شيأ أكثر من ذكره رواه صاحب الحلية من حديث عائشة وقد تقدم وكثرة الذكر دليل محبة المذكور وللذاكر وهو من أفضل منته على خلقه وفى الخبر ان الله تعالى فى كل يوم صدقة يمن بها على خلقه وما تصدق على عبد بصدقة أفضل من أن يلهمه ذكره وروى سفيان عن مالك بن مغول قيل يا رسول الله أى الاعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله وروى أكثروا من الذكر حتى يقول المنافقون انكم مراؤن وفى حديث أبى سلمة عن أبيه عن جده ومن أكثر ذكر الله أحبه الله (و) كذلك من أحب شيأ أكثر من (ذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذى هو كلامه) وتكريره على الاسماع والقلوب (وحب رسوله صلى الله عليه وسلم) الذى هو حبيبه وصفيه وكذا حب سائر الانبياء والمرسلين عليهم السلام لان الفضائل المتواترة عنهم موجبة للمحبة ويجب حب الملائكة لشرفهم فى ذواتهم ولما أصلح الله بهم الانبياء ونفع بهم العباد ويستحب حب الطاعة التى هى خدمة ويتأكد الاستحباب للاولياء الذين هم خاصة وكذا للمؤمنين على حسب درجاتهم قال تعالى يحبون من هاجر اليهم (و) كذا (حب كل من ينسب اليه) أى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولادة وكذا اليهم بالنسب الظاهر أو الباطن (فان من يحب انسانا يحب) كل ما يتعلق به حتى يحب (كلب محلته) وقصة مجنون بنى عامر مع كلب وقع بصره عليه فاحبه وجوابه لمن سأله عن ذلك بانه رآه مرة فى حى ليلى وقوله * أحب لحبها سود الكلاب * مشهورة فهذا الذى ذكره كله مما يتعلق بحب الله تعالى

وبالجملة فى دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك أتحب الله تعالى فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس فى الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا فى جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشئ من ذلك ومنها أن يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن أحب شيأ أكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذى هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل من ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كلب محلته

فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة فى الحب فان من أحب رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لانهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا فى كتاب الاخوة والصحبة ولذلك قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (٦٢٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لله تعالى وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فانما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فانما يكرم الله تعالى وحكى عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة فى سن الارادة فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتنى فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول فى المنام ان كنت تزعم انك تحبنى فلم جفوت كتابى أما تدبرت ما فيه من لطيف عتابى قال فانتبهت وقد أشرب فى قلبى محبة القرآن فعاودت الى حالى وقال ابن مسعود لا ينبغى أن يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وقال سهل رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبى صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبى صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة ومنها أن يكون انسه بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدء الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث ألذ عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته

كذب

(فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة فى المحبة) وكمال المحبة يقتضى رفع الاشتراك (فان من أحب رسول المحبوب لانه رسوله و) أحب (كلامه لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه) وغمره بكليته (أحب جميع خلق الله لانهم خلقه) وتصنيفه وابداعه (فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين) الا ان المحبة فى بعض الافراد المذكورة بالوجوب كالقرآن والرسول وسائر الانبياء والملائكة وفى بعضها بالاستحباب كجميع المؤمنين على درجاتهم والطاعة وفى بعضها يتأكد الاستحباب كحب خواص العباد من الاولياء والصالحين (وقد ذكرنا تحقيق هذا فى كتاب الاخوة والصحبة ولذلك قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فان قلت فلم لا كانت محبة الطاعة واجبة وكذا محبة الاولياء فاقول الوجوب مبنى على أصل الايمان لا على كمال الايمان ولا تتقوى المحبة حتى تتعدى الى ما يتعلق بالمحبوب الا بكمال الايمان وذلك لو وقعت الطاعة بباعث الخوف أو الرجاء قام الاجماع على صحتها وقبولها وفيما ذكرناه نظر لتجاذب المسئلة بين ما قلناه وبين أن الطاعة فرع المحبة والمحبة واجبة وعسى الله أن يكشف عن الحق فى ذلك فان قلت هذا يدل على أن بغض المؤمنين ليس بحرام فاقول نفس البغض مكروه وبعضه أشد كراهة من بعض على حسب درجة الولى لكن للبغض آثار باطنة وآثار ظاهرة فلو طلب زوال النعمة عنه بسبب بغضه حرم عليه ذلك ولو تكلم بما ينقصه أو يقدح فى عرضه حرم عليه ذلك وبعض هذه المهلكات أقبح من بعض (وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لله تعالى) رواه الترمذى من حديث ابن عباس بلفظ واحبونى لله وأحبوا أهل بيتى لحبى وقد تقدم (وقال سفيان من أحب بالله تعالى فانما أحب الله ومن أكرم يكرم الله تعالى فانما يكرم الله تعالى) نقله صاحب القوت الا أنه قال وقال سفيان وغيره من أحب الله تعالى فانما أحب الله الخ (وحكى عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة فى سن الارادة) أى فى أول السلوك ونشاطه (فادمنت) أى داومت على (قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتنى فترة) أى سكون (فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول فى المنام ان كنت تزعم انك تحبنى فلم جفوت كتابى اما تدبرت) ولفظ القوت أما ترى (ما فيه من لطيف عتابى قال فانتبهت وقد أشرب فى قلبى محبة القرآن فعاودت الى حالى) الاولى من الادمان على التلاوة نقله صاحب القوت زاد وقال بعض العارفين لا يكون العبد مريدا حتى يجد فى القرآن كل ما يريد (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (لا ينبغى أن يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وقال سهل) التسترى (رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبى صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبى صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة) نقله صاحب القوت (ومنها) أى ومن علامات المحبة (أن يكون أنس بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد) وهو قيام الليل (و يغتنم هدء الليل) أى سكونه (وصفاء الوقت بانقطاع العلائق) أى الموانع (وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث الذى عنده أطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته) وفى الحديث القدسى

قيل لابراهيم بن أدهم وقد نزل من الجبـل من أين أقبلت فقال من الانس بالله * وفى أخبار داود عليه السـلام لا تستأنس الى أحد من خلقى فانى انما أقطع عنى رجلين رجـلا استبطأ ثوابى فانقطع ورجلا نسينى فرضى بحاله وعـلامة ذلك ان أكلـه الى نفسـه وان أدعـه فى الدنيا حـيران ومهما أنس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من الله تعالى ساقطا عن درجة محبتـه وفى قصة برخ وهو العبد الاسود الذى استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ان برخا نعم العبد هو لى الا ان فيه عيبا قال يارب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن أحبنى لم يسكن الى شئ وروى أن عابدا عبد الله تعالى فى غيضة دهرا طويلا فنظر الى طائر وقـد عشش فى شجرة يأوى اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدى الى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هـذا الطائر قال ففعل فاوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشئ من عملك أبدا فاذا عـلامة المحبـة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة

كذب من ادعى محبتى اذا جنه الليل نام عنى الا ان بعضهم جعل سهر الليل فى مقام بعينه فذكر له هذا الخبر فقال ذاك اذا أقامه مقام الشوق فاما اذا أنزل عليه السكينة وآواه بالانس فى القرب استوى نومه وسـهره ثم قال رأيت جماعة من المحبين نومهم بالليل أكثر من سهرهم وأما المحبوبون وسيد المحبوبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ينام مثـل ما يقوم وقد يكون نومه أكثر من قيامه ولم تكن تأتى عليه ليلة حتى ينام فيها (قيـل لابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (وقد نزل من الجبل من أين أقبلت فقال من الانس بالله) يشير الى انه كان فى خلوته مع الله تعالى ومناجاته به وقال أحمد بن أبى الحوارى دخلت على أبى سليمان الدارانى فرأيته يبكى فقلت ما يبكيك رحمك الله قال ويحك يا أحمد اذا جن هذا الليل وافترش أهل المحبة أقدامهـم وجدت دموعهـم على خدودهم أشرف الجليل الجبار جل جلاله عليهم فقال بعينى من تلذذ بكلامى واستراح الى مناجاتى وانى مطلع عليهم فى خلواتهم أسمع أنينهم وأرى مكانهم يا جبريل نادفيهم ما هذا البكاء الذى أراه فيكم هل خبركم عنى مخبر ان حبيبا يعذب أحبابه بالنار بل كيف يجمل بى ان أرهب قوما بالعذاب اذا جنهم الليل تملقوا بى فبى حلفت اذا وردوا القيامة ان اسفر لهم عن وجهى وأبيحهم رياض قدسى (و) يروى (فى أخبار داود عليه السلام) قال الله تعالى يا داود (لا تأنس الى أحـد من خلقى فانى انما أقطع عنى رجلين رجلا استبطأ ثوابى فانقطع ورجـلا نسينى فرضى بحاله وعلامة ذلك ان أكله الى نفسه وان أدعه فى الدنيا حيران) نقله صاحب القوت (ومهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله متوحشا من الله تعالى ساقطا عن درجة محبته) وقالوا الاستيحاش من الخلق علامة الانس بالخالق وقال سهل رحمه الله تعالى جناية المحب عند الله أشد من معصـية العامة وهو أن يسكن الى غير الله ويستأنس بسواه (و) يروى (فى قصة برخ) بضم الموحدة وسكون الراء وآخره خاء معجمة وهو اسم سريانى (وهو العبد الاسود الذى استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى) عليه السلام (ان برخ نعم العبد) و(هو لى الا ان فيه عيبا قال) موسى (يارب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن أحبنى لم يسكن الى شئ) نقله صاحب القوت وقال فالسكون فى هذا الموضع الاستراحة الى الشئ والانس به والسكون فى غير هذا الموضع النظر الى الشئ والادلال به والطمأنينة والقطع به قال وذكرت هذه الحكاية لبعض أهل المعرفة فقال لم يرد بهذا برخ انما أراد به موسى لانه أقامه مقام المحبة فاستحيا أن يواجهه بذلك أى وهو قد سمع لبرخ بذلك اذ لم يوافقه عليه فعرض عليه ببرخ أى لانه عالم وكان هذا جوابا منه ثم انى سألته لم أخبر موسى بعيبه وهو يحببه دون أن يخبره هو بعيب نفسه فاجاب بهذا قال فالمقربون من المحبين انما نعيمهـم بالله وروحهم وراحتهم اليه من حيث كان بلاؤهم منه فاذا وجدوا ذلك فى سواه كانت ذنوبا لهم عن غفلة أدخلت عليهم ليتوبوا منها اليه فيغفر لهم (وروى ان عابدا عبد الله تعالى فى غيضة دهرا طويلا) أى زمانا والغيضة المكان الملتف شجره (فنظر الى طائر وقد عشش فى شجرة) أى اتخذ عليها عشا (يأوى اليها) أى الى تلك الشجرة (ويصفر عندها) أى يصوت بالصفير (فقال لو حولت مسجـدى الى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هـذا الطائر قال ففعل) أى حول مسجـده اليها (فاوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشئ من عملك أبدا) نقله صاحب القوت ورواه البيهقى فى الشعب عن أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت أخى يقول تعبد رجل من بنى اسرائيل فى غيضة فى جزيرة فى البحر أربعمائة سنة فطال شعره حتى اذا كان فى الغيضة تعلق باغصانها بعض شـعره فبينما هو ذات يوم يدور اذ مر بشجرة فيها وكر طائر فنقل موضع مصلاه الى قريب منها قال فنودى أنست بغيرى وعزتى وجلالى لاحطنك مما كنت فيـه درجتين (فاذا علامة المحبة) الصادقة الخالصـة (كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم به بالخـلوة به) والانقطاع اليـه بوجود نسيم الانس به ومصادقة الاسـتراحة والروح منـه بمحادثة فى المجالسة ومناجاة فى الخـلوة وتملق فى السريرة (وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليـه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة) ثم ذوق حلاوة النعيم فى ترك المخالفة لغلبة حب الموافقة ثم الطمأنينة الى الحبيب وعكوف الهـم على القريب ودوام النظر

وعلامة الانس مصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذى يخاطب معشوقه و يناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان فى صلاته ووقع الحريق فى داره فلم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو فى الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة قرة عينه يدفع بها جميع الهموم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا مالم تكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وأنسه فى الباطن بذكر حبيبه فالمحب من لا يطمئن الا بمحبوبه وقال قتادة فى قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستأنست به وقال الصديق رضى الله تعالى عنه من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال مطرف ابن أبى بكر المحب لا يسأم من حديث حبيبه وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتى اذا جنه الليل نام عنى أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها أنا ذا موجود لمن طلبنى وقال موسى عليه السلام يارب أين أنت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ من أحب الله أبغض نفسه وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها أن لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة قال بعض العارفين ان لله عبادا أحبوه واطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحظ أنفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته فى لحظته أن يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب ويسأله و يقول رب باى ذنب

قطعت

الى الرقيب فمن عرفه أحبه ومن أحبه نظر اليه ومن نظر اليه عكف عليه دل على ذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا (وعلامة الانس مصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذى يخاطب معشوقه و يناجيه) و يناغيه (وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان فى صلاته ووقع الحريق فى داره فلم يشعر به) تقدم فى كتاب الصلاة (وقطعت رجل بعضهم بسبب علة) الاكلة (اصابته وهو فى الصلاة فلم يشعر به) وهو عروة بن الزبير وقد تقدم أيضا (ومهما غلب عليه الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين) له (تدفع جميع الهموم) فلا يشعر بشئ يرد عليه (بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا مالم تتكرر على سمعه مرارا) فيظن الناس به بلها وغفلة (مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وأنسه فى الباطن بذكر حبيبه) وما يتعلق به (فالمحب) الصادق (من لا يطمئن الا بمحبوبه) ولا يستأنس الا بذكره (وقال قتادة) ابن دعامة السدوسى أبو الخطاب البصرى التابعى (فى قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستأنست به) رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وقال مجاهد ألا بذكر الله تطمئن القلوب بمحمد وأصحابه رواه ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ وفى حديث أنس هل تدرون ما معنى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أصحابى رواه ابو الشيخ وفى حديث على قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أهل بيتى صادقا غير كاذب وأحب المؤمنين شاهدا وغائبا ألا بذكر الله يتحابون (وقال) أبو بكر (الصديق رضى الله عنه من ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر) قد تقدم (وقال مطرف بن أبى بكر) هكذا فى سائر نسخ الكتاب والصواب مطرف أبو بكر وهو مطرف بن طريف الحارثى كنيته أبو بكر من أهل الكوفة قال أحمد وأبو حاتم ثقة مات سنة ١٤٣ روى له الجماعة (المحب لا يسأم من حديث حبيبه وأوحى الله الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتى اذا جنه الليل نام عنى أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها أنا ذا موجود لمن طلبنى) وكذلك رواه كعب الاحبار من التوراة و يروى عن أبى الدرداء رفعه يقول الله تعالى من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى وقد تقدم (وقال موسى عليه السلام يارب أين أنت فاقصدك) ولفظ القوت فاقصد قصدك (فقال) ولفظ القوت فاوحى الله اليه (اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (من أحب الله أبغض نفسه وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها) أى ومن علامات المحبة (ان لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل) أى يترك الاسف على كل فائت سوى الله عز وجل (و يعظم التأسف على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات) الى الله تعالى (بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة) ونسيان حظوظ النفس بتذكار حقوق الرب تعالى (وقال) أبو الفضل الشكلى وغيره حكاية عن (بعض العارفين) انه وصف المحبين فقال (ان لله عبادا أحبوه واطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحظ أنفسهم اذا كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم) لا محالة (وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم) ولفظ القوت فما كان لهم فهو موصله اليهم من جميع الاشياء وما فات من ادراك غيرهم فبحسن تدبيره لهم (وحق المحب اذا رجع من غفلته فى لحظته أن يقبل على محبوبه و يشتغل بالعتاب و يسأله و يقول رب باى ذنب

قطعت برك عنى و أبعدتنى عن حضرتك وشغلتنى بنفسى و بمتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ماسبق
من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيأ الا

قطعت برك عنى وأبعدتنى عن حضرتك وشغلتنى بنفسى و بمتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ماسبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيأ الا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضى وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ويذكر قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم) ولفظ القوت وقد يحسن بالمريد المتحبب أن يكون يأسف على فوت ساعة وطرفة ذهبت عنه قليلا قليلا فى غير ذكر مولاه فاما المحب المحبوب فقد لاحت له الاعلام فقل صبره عن الحبيب ومواصلته وملاطفته فالواجب عليه أن يرجع الى وارده فيسأله لم قطعت برك عنى ولم لم تدم لى ولم تشوّ به بالكدر ولم تدخل بينى و بينك الخلق فان كان صادقا فى محبته فيستعمله محبوبه فى الخير فيكون مكان الاستغفار من الغفلة معاتبة يستخرج بها أكثر من الذى فاته من الذكر فتكون تلك الهفوة عليه بركة ان كان عاقبتها الاتصال والزيادة فى القرب والعبد المحب لله عز وجل مأسور معلق هنالك لايدرى ماحقيقة التوحيد غير انه اذا أسف على فقد وحدانية التوحيد فزع من ذلك فرجع فوجد بقاء الواحد بالوحدانية وانفراده فى الصمدية فينسى نفسه وذهب طعم كل ذكر كان ينعم به ولم ير فوت كل شئ وذهب استبعاده فى هذا الموضع حتى يستبعده المحب من مكان آخر فيرده الى علم التوحيد والتوحيد والحب بلاء كثير والعباد قد ألفوا العبادة والذكر الطيب الذى يعقلون به وأوّل التوحيد عند المحبين أن يعبدوا الله تعالى لوجهه حباله لاخوفا من ناره ولا رغبة فى جنته فيكون الحبيب مرادهم والوصول اليه مناهم حتى يرجع لهم على التعظيم والاجلال فلا يرون نفوسهم تصلح للقائه فتحس القلوب فترجع بالهيبة والرهبة فيعبدون الله عز وجل و يبقى الشوق والانس فاما الصدق والصبر والاخلاص والزهد فهذه الاخلاق الشريفة كائنة معهم فى سرهم ووصفهم لاتفارقهم ولا يخليهم منها محبوبهم ولو أخلاهم مولاهم ماذاقوا طعم شئ من هذه الخصال ولبطلت العبادات وانقطعت الطرق ولكانوا مكتفين به ولكنه يدبرهم بامره ويردهم الى هذه الاحوال فيذوقون طعمها كما يردهم الى مصالح الجسم ومرافق العقل فلذلك اسمهم الموحدون المشتاقون المحبون لانهم عبدوه وحده وأحبوه دون غيره واشتاقوا اليه لاسواه ولم يريدوا منه شيأ اذ كان الله تعالى هو الغالب على هممهم القاهر لقلوبهم الموجود فى سرهم المالك لعقولهم فلو وضع من نعيمهم ذرة على كل خائف وعابد لاحترقوا من نورهم وهم أعلى الخليقة وليس فوقهم أحد هذا نقلته من كلام الشكلى وغيره من العارفين انتهى سياق صاحب القوت والشكلى بكسر الشين المعجمة وسكون الكاف هو أبو الفضل العباس يوسف بن اسمعيل البغدادى روى عن السرى وعمه محمد بن اسمعيل الشكلى وعنه أبو بكر القطيعى وأبو حفص بن شاهين منسوب الى شكلة اسم امرأة والمعروف بها ابراهيم بن شكلة الامير الذى امتدحه أبو تمام وقد تقدم له ذكر فى هذا الكتاب (ومنها) أى ومن علامات المحبة (ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها) لان عمل المحبة لايداخلها سآمة ولا ملالة وهذا احد الاسباب المشرفة للمحبين (كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة) وهو قول ثابت البنانى وقال مرة كابدت القرآن وقد سبق فى كتاب ترتيب الاوراد (وقال) أبو القاسم (الجنيد) قدس سره (علامة المحبة دوام النشاط والدؤب بشهوة تفتر بدنه ولا يفتر قلبه) كذا فى القوت (وقال بعضهم العمل على المحبة لايدخله الفتور وقال بعض العلماء ما اشتفى محب لله من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل) كذا فى القوت (فكل هذا وأمثاله موجود فى المشاهدات فان العاشق لايستثقل السعى فى هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الاشياء اليه أن تعاوده القدرة وان يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لامحالة ماهو دونه فمن كان محبوبه أحب اليه من الكسل ترك الكسل فى خدمته وان كان أحب اليه من المال ترك المال فى حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان

منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ويذكر قوله وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم ومنها أن يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنها تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال الجنيد علامة المحبة دوام النشاط والدؤب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه وقال بعضهم العمل على المحبة لايدخله الفتور وقال بعض العلماء والله ما اشتفى محب لله من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل فكل هذا وأمثاله موجود فى المشاهدات فان العاشق لايستثقل السعى فى هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الاشياء اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غالبا قهر لامحالة ماهو دونه فمن كان محبوبه أحب اليه

من الكسل ترك الكسل فى خدمته وان كان أحب اليه
من المال ترك المال فى حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان

بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شئ ما كان سبب حالك هذه فى المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبى كله وأنت معرض عنى بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبنى فايش تنفق على قال يا سيدى أملكك ما أملك ثم أنفق عليك روحى حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد (٦٢٦) فكيف بعبد لمعبود فكل هذا بسببه ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما بهم شديدا على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيأ مما يكرهه كما قال الله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم ولا تأخذه لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أولياءه اذ قال الذين يكلفون بحبى كما يكلف الصبى بالشئ ويأوون الى ذكرى كما يأوى النسر الى وكره ويغضبون لمحارمى كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالى قل الناس أو كثروا فانظر الى هذا المثال فان الصبى اذا كلف بالشئ لم يفارقه أصلا وان أخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه فان نام أخذه معه فى ثيابه فاذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أحبه وأما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا فى الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم فى الآخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب شراب المقربين كما قال تعالى فى الابرار ان الابرار لفى نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف الذى هو للمقربين

بذل نفسه وماله حتى) بلغ المجهود (ولم يبق له شئ) منهما (ما سبب حالك هذه فى المحبة فقال) كلمة سمعتها من خلق عملت فى هذا البلوغ قيل وما هى قال (سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبى كله وأنت معرض عنى بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبنى فايش تنفق على قال يا سيدى أملكك ما أملك ثم أنفق عليك روحى حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود) وخلق لخالق (فكل هذا بسببه) نقله صاحب القوت وقال فقد دخلت الاموال فى الانفس ودخلت الانفس تحت الشراء وقد باعوه نفوسهم فسادونهم المحبة بها اياه وقد اشتراها منهم لنفاستها عنده فعلامة محبته لها اشتراؤها منهم وعلامة شرائها طيبها عنهم فاذا طواها فلم يكن عليهم منها بقية هوى فى سواه فقد اشتراها (ومنها) أى ومن علامات المحبة (أن يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما بهم) يصافيهم ويوادهم ويحب لهم أكثر مما يحبه لنفسه لانه فى نفسه راض بما يجرى عليه من أحكام ربه فلا يختار لنفسه حالا من الاحوال وهو يختار للمسلمين أحسن الاحوال وأكمل الحالات وهذه الحالة اذا وجدها المحب فى نفسه يتحقق ان الله تعالى منحه مقام الربانيين المتخلقين باخلاق الله (و) يستحب أن يكون (شديدا على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيأ مما يكرهه) على حسب درجاتهم فى البعد من الله تعبدا لامر الله سبحانه مع مشاهدة كمال علم الله وحكمته فيهم (كما قال الله تعالى) فى وصف المحبين (أشداء على الكفار رحماء بينهم) فوصفهم بالشدة على أعداء الله والتراحم فيما بينهم (و) يتأكد ان (لا تأخذه فى الله لومة لائم) ولا عذل عاذل (ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أولياءه اذ قال الذين يكلفون بحبى كما يكلف الصبى بالشئ ويأوون الى ذكرى كما يأوى النسر الى وكره ويغضبون كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالى قل الناس أو كثروا) هكذا أورده صاحب القوت وقد رواه الطبرانى ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية حدثنا أحمد بن منصور المدائنى حدثنا محمد بن اسحق المسيبى حدثنا عبد الله بن محمد بن عروة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام قال يا رب اخبرنى باكرم خلقك عليك قال الذى يسرع الى هواى اسراع النسر الى هواه والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبى الناس والذى يغضب اذا انتهكت محارمى غضب النمر لنفسه فان النمر اذا غضب لم يبال أقل الناس أو كثروا (فاذا انظر الى هذا المثال) وتدبره (فان الصبى اذا كلف بالشئ لم يفارقه أصلا وان أخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه فاذا نام أخذه معه فى ثيابه فاذا انتبه) من نومه (عاد) اليه (وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك) اليه (ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أحبه وأما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب) لنفسه (حتى يبلغ من شدة غضبه انه يهلك نفسه) وذلك ان يغيب الخلق عنه حتى نفسه فلا يعقل ما فعل فلذلك ضرب الله هذا المثل فى قوله لا يبالى قل الناس أو كثر والحقيقة الاخلاص بغيبته عن مداراة الناس (فهذه علامات المحبة) يعنى الكلف بالحب والايواء الى الذكر والغضب للمحارم (فمن تمت فيه هذه العلامات) المذكورة (فقد تمت محبته وخلص حبه) لله تعالى (فصفا فى الآخرة شرابه وعذب مشربه) وهو من المقربين ونعيمه فى الجنان صرف لانه كان يعبده لاجله صرفا (ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم فى الآخرة بقدر حبه) وهو من أصحاب اليمين (اذ يمزج شرابه بقدر) تما (من شراب المقربين كما قال الله تعالى فى الابرار) أى فى وصف نعيمهم (ان الابرار لفى نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) ثم قال فى نعت شراب المقربين (ومزاجه) يعنى مزاج شراب الابرار (من تسنيم عينا يشرب بها المقربون) أى يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين (فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف الذى هو للمقربين) ولفظ القوت فانما طاب

والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون فكان امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقربون وكما ان الابرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدأنا أول خلق نعيده وكما قال تعالى جزاء وفاقا أي وافق الجزاء أعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق

شراب الابرار الامزاج شراب المقربين (والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال) ولفظ القوت فعبر عن جمل نعيم الجنان بالشراب كما عبر عن العلوم والاعمال بالكتاب (فقال) في نعت الابرار مثله (ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون فكان امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده) فأحسن عملهم ولا صفت أعمالهم ولا علا كتابهم الا بشهادة المقربين لما قرب منهم وحضروه (وكما ان الابرار) في الدنيا يحسن علومهم بعلمهم وترتفع أعمالهم بمشاهدتهم و(يجدون المزيد في) نفوسهم و(حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم) غدا (في الآخرة) وقد قال تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) وقال تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده وكما قال تعالى جزاء وفاقا أي وافق الجزاء أعمالهم) أو وافق أعمالهم جزاءهم (فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله) قال الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم و) قال تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين) وقال تعالى سيجزيهم وصفهم أي يعطيهم غدا كوصفهم في الدنيا انه حكيم عليم (فمن كان حبه في الدنيا) اليوم (ورجاؤه لنعيم الجنة) وطيبات الملك (والحور العين والقصور مكن) غدا (من الجنة ليتبوأ منها حيث شاء) وهو أجر العاملين لاجلها (فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان فهناك تنتهي لذته في الآخرة لانه انما يعطى كل انسان في المحبة ما تشتهيه نفسه وتلذ عينه) فنعم الاجر أجره (ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك) دون الدار والملك (ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق أنزل) غدا (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وشتان بينهما فالابرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع (الحور العين والولدان) وغير ذلك من أنواع النعيم (والمقربون ملازمون للحضرة) على بساط المشاهدة (عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة أقوام آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب) قال العراقي رواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف مقتصرا على الشطر الاول وقد تقدم والشطر الثاني من كلام أحمد بن أبي الحواري ولعله أدرج فيه انتهى قلت قد تقدم الكلام فيه وان سهلا التستري فسره فقال هم الذين ولهت قلوبهم وشغلت بالله عز وجل (ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظم) الله تعالى (أمره فقال وما أدراك ما عليون) كتاب مرقوم يشهده المقربون (كما قال تعالى القارعة ما القارعة) وأصله ما هي أي أي شئ هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه أهول لها (وما أدراك ما القارعة) أي أي شئ هي أعلمك ما هي لانك لا تعلم كنهها فانها أعظم من أن يبلغ دركها أحد ومثل هذا قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة (ومنها) أي من علامات المحبة (ان يكون في حبه خائفا) وجلا (متضائلا) أي متصاغرا (تحت الهيبة والتعظيم) فشرف العباد كلهم وقربهم من ربهم على قدر تعظيمهم له ومعرفتهم بحقه ليتذللوا ويتصاغروا عبودية له واجلالا لعظمته ومهابة وصغارا لكبريائه (وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك) وقال صاحب القوت بعد ان فسر ابيات رابعة قدس الله سرها التي ذكرت في المحبة بلزوم خوف

الشوب في حبه وأعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه في الدنيا رجاءه لنعيم الجنة والحور العين والقصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان فهناك تنتهي لذته في الآخرة لانه انما يعطى كل انسان في المحبة ما تشتهيه نفسه وتلذ عينه ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق أنزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور العين والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة أقوام آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظم أمره فقال وما أدراك ما عليون كما قال تعالى القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة ومنها ان يكون في حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك

التقصير و وجوب الحياء من قلة الوفاء والخوف لما تعرض به من حبه ما نصبه ومن لم يكن من المحبين كذلك
حتى لا يدرك بمحبته ولا يقتضى الجزاء عليها من محبوبه ولا يوجب على حبيبه شيأ الا لاجل محبته فهو مخدوع
بالمحبة ومحجوب بالنظر اليها وانما ذلك مقام الرجاء الذى ضده الخوف ليس من المحبة فى شئ ولا تصح المحبة
الا بخوف المقت فى المحبة وقال بعض العارفين ما عرفه من ظن انه عرفه ولا أحبه من توهم انه أحبه (بل
ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب) وتحقيق ذلك يفهم من معنى التعظيم فلنذكره
*اعلم ان التعظيم المعهود هو ما فات البصر ادراكه والرب تعالى منزه عن ادراك حس تعالت ذاته عن الاجسام
والاعراض ومشابهة المحدثات والتعظيم بطريق الاستعارة والتجوز ما فات البصائر ادراكه أما المانع فى البصيرة
أو فى الذات المبصرة والرب تعالى قد فات الابصار والبصائر ادراكه على ما هو عليه لا لمانع وضعه الله اذ يمكن
رفع ذلك المانع ولكن لصفته التى هى حقه وهى قيوميته بنفسه واستغناؤه عن الموجب والموجد والكفء
والنظير لا لعلم سبق ولا لحكم قدر بل لاجل ان عظمته ازاره وكبرياءه رداؤه ولما كان عظيما فى ذاته وكان
ناظرا لذاته بعين الكبرياء وكان محتجبا بهذين الوصفين عن عباده وقع الاخبار عنهما بالازار والرداء
الحاجبين للابس أن تظهر ذاته اذ بصفاته احتجبت ذاته عن أن تدرك لان بينه و بين العقول العالمة به حجبا
انما الحجب المخلوقة ما تصنعه من الاكنة فى قلوب الجهلة وأما العلماء فما يحتجب عنهم الا بانوار صفاته ولهذا
الكلام بقية تقدمت الاشارة اليها فى مواضع من هذا الكتاب (وللخصوص المحبين مخاوف فى مقام المحبة)
من نسبة أحوالهم (ليست لغيرهم و بعض مخاوفهم أشد من بعض) ولفظ القوت وللمحب سبع مخاوف
ليست لشئ من أهل المقامات بعضها أشد من بعض (فاولها خوف الاعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه
خوف الابعاد) من حضرة القرب (وهذا المعنى من سورة هود وهو الذى شيب سيد المحبين) صلى الله عليه وسلم
(اذ سمع قوله تعالى) فى سورة هود (الا بعدا لثمود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) وقال شيبتنى هود واخواتها وقد
تقدم الكلام عليه (وانما تعظم هيبة البعد وخوفه فى قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به لحديث البعد فى
حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب فى القرب ولا يحن الى القرب من الف البعد) بل ولا يعرف البعد من
لم يقرب (ولا يبكى لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب) ولم يعهده (ثم) أشد منه (خوف الوقوف) عن
التجديد (وسلب المزيد) وهذا يكون للخصوص فى الاظهار والاخبار منهم فيسلبون المزيد من نوعه ان كان من
الآيات وحقيقة ذلك عقوبة لهم و يكون للعموم عند ايثار الشهوات على أوامر الطاعات (فانا قدمنا ان درجات
القرب لا نهاية لها) كما ان درجات المعرفة لا نهاية لها (وحق العبد أن يجتهد فى كل نفس حتى يزداد فيه قربا
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون)
قال العراقى لا أعلم هذا الا فى منام لعبد العزيز بن أبى رواد قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت
يا رسول الله أوصنى فقال ذلك بزيادة فى آخره رواه البيهقى فى الزهد اه قلت بل رواه الديلمى من حديث محمد
ابن سوقة عن الحارث عن على به مرفوعا وسنده ضعيف قاله الحافظ السخاوى فى المقاصد ولفظه من
استوى يوماه فهو مغبون ومن كان آخر يوميه شرا فهو ملعون ومن لم يكن على الزيادة فهو فى النقصان فالموت
خير له ومن اشتاق الى الجنة سارع فى الخيرات قلت والشطر الاخير هو أول حديث رواه البيهقى وتمام وابن
عساكر وابن النجار من حديث على بزيادة ولفظه من اشتاق الى الجنة سابق الى الخيرات ومن أشفق من النار
لها عن الشهوات ومن ترقب الموت صبر عن اللذات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب وقد تقدم (وكذلك
قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فى اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة) روى ذلك من
حديث الاغر بن يسار المزنى بلفظ انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة رواه أحمد وعبد بن
حميد ومسلم وأبو داود والنسائى وابن حبان والبغوى وابن قانع والباوردى والطبرانى وأما حديث الاستغفار
سبعين مرة فقد روى من حديث أبى هريرة وأنس وأبى موسى فلفظ حديث أبى هريرة انى لاستغفر الله

بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب وللخصوص المحبين مخاوف فى مقام المحبة ليست لغيرهم و بعض مخاوفهم أشد من بعض فاولها خوف الاعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود وهو الذى شيب سيد المحبين اذ سمع قوله تعالى ألا بعدا لثمود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما تعظم هيبة البعد وخوفه فى قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به لحديث البعد فى حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب فى القريب ولا يحن الى القرب من ألف البعد ولا يبكى لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد فى كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون وكذلك قال عليه السلام انه ليغان على قلبى فى اليوم والليلة حتى أستغفر الله سبعين مرة

وانما كان استغفاره من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روى ان الله تعالى يقول ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي ان أسلبه

في اليوم سبعين مرة رواه الترمذي وقال حسن صحيح وابن السني وروى عنه أيضا بلفظ اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم مائة مرة وروى ابن أبي شيبة وابن ماجه وابن السني وروى عنه أيضا بلفظ اني لاستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة وأتوب اليه رواه أحمد ولفظ حديث أنس اني لأتوب الى الله سبعين مرة رواه النسائي وأبو يعلى وابن حبان والضياء ورواه سمويه والضياء أيضا بلفظ اني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة ولفظ حديث أبي موسى اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم سبعين مرة رواه ابن ماجه ورواه الطبراني بلفظ مائة مرة (وانما كان استغفاره) صلى الله عليه وسلم (من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني) وهذا أحد المعاني المذكورة في تفسير الحديث المتقدم (ويكون ذلك) الوقوف وسلب المزيد (عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روى) في الاخبار القدسية (ان الله تعالى يقول ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي ان أسلبه لذيذ مناجاتي) نقله صاحب القوت وهو في الشعب عن بشر قال أوحى الله عز وجل الى داود عليه السلام يا داود انما خلقت الشهوات واللذات لضعفاء عبادي فاما الابطال فما لهم وللشهوات واللذات يا داود فلا تعلقن قلبك منها بشئ فادنى ما أعاقبك به ان أسلب حلاوة حبي من قلبك (فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم فاما الخصوص فحجبهم عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف) ولفظ القوت وقد يكون عند الدعوى للمحبة ووصف النفس بحقيقتها وانما معه علمها دون الوجد بها فينقصون معهم ولا يفطنون لذلك (وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم) أشد منه (خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته) ولفظ القوت ثم خوف الفوت الذي لا درك له (سمع ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى وهو أحد المحبين (قائلا يقول وهو في سياحته وكان على جبل

كل شئ منك مغفو * ر سوى الاعراض عنا * قد وهبنا لك ما فا * ت بقي ما فات منا

فاضطرب) جسمه (وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه أحوال) في قصة طويلة كانت له بعد مقامات أقيم فيها (ثم نقل عنها الى هذا) حتى (قال) في آخر ذلك (سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت) نقله صاحب القوت وقال معناه لا تملك الا واحدا تكن عبده حرا مما سواه ولا تملك شيئا فان الاشياء في خزانة مليكها فلا تتملكها فتحجبك عن مالكك وتأسرك بمقدار ما تملكتها وقد ضرب الله مثلا بينه وبين خلقه ان رجلين أحدهما فيه شركاء متشاكسون متشاحون عليه من أهل ومال وشهوات كل واحد يجذبه اليه ويريد نصيبه منه ويشغله به ويحب فراغه له وآخر سالما من الشركاء خالصا من الشرك متوحدا لواحد انهما لا يستويان في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله على اتقان صنعه وتحسين خلقه بل أكثرهم لا يعلمون أي الا كثر ليسوا علماء لهذا الواحد فتنافسوا في واحده وسلكوا شاكلة توحيده (ثم) أشد منه (خوف السلو عنه) وهذا أخوف ما يخافون (فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجعته) لان حب المحبين له كان به لا بهم ومنه لا منهم وهو نعمة عظيمة لا يعرف قدرها فكيف يشكر عليها ولا يقوم لها شئ وكذلك سلوهم عنه يكون به كما كان حبهم له به (والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر) فيجد السلو به كما كان يجد الحب فتكون قد سلوت عنه وأنت لا تدري كيف سلوت لانه يدرجك بما يأخذ عليك به من الاستبدال منه بما تدري (فان هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها) فانت لا تفطن ذلك (واذا أراد الله المكر به واستدراجه أخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء

لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة للعموم فاما الخصوص فحجبهم عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر عن الاحتراز منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك فوته سمع ابراهيم بن أدهم قائلا يقول وهو في سياحته وكان على جبل

كل شئ منك مغفو
ر سوى الاعراض عنا
قد وهبنا لك ما فا
ت فهب ما فات منا

فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه أحوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فاذا أراد الله المكر به واستدراجه أخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء

او يغتر بحسن النظر أو بغلبة الغفلة أو الهوى أو النسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التى تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان وكان من أوصاف الله تعالى مايظهر فيقتضى هيجان الحب وهى أوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن أوصافه مايلوح فيورث السلو كأوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو عنه مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الاوراد أسباب هذه المعانى ومقدماتها وظهور هذه الاسباب دليل على النقل عن مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل صدق الحب فان من أحب شيأ خاف لامحالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف اذا كان المحبوب ممايمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه فالمحب لايخلو عن خوف والخائف لايخلو عن محبة ولكن الذى غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الايسير يقال هو فى مقام المحبة و يعد من المحبين

و يغتر بحسن الظن) الذى كان يعهده منه (أو تغلبه الغفلة أو الهوى) والشهوة (او النسيان فكل ذلك من جنود الشيطان) فى الارض (التى تغلب) اضدادها من (جنود الملائكة) فى السماء (من العلم والعقل والذكر والبيان) قال الله تعالى فان زللتم من بعد ماجاءتكم البينات الآية عزيز لايوصل اليه الابه حكيم عليكم بالزلل منه الاانه يدرج فى ذلك استدراجا بلطائف الحكمة على معهود الاسباب ومألوف المعتاد (وكان من أوصاف الله تعالى مايظهر فيقتضى هيجان الحب وهى أوصاف اللطف والرحمة والحكمة) فاحببته وأنت لاتدرى كيف أحببته لانه أشهده وصفه به باطلاع القدرة عن حنان الرحمة واللطف فاقتضاك الحب له فوجدت نفسك بحباله (فمن أوصافه مايلوح فيورث السلو كأوصاف الجبرية والعزة والاستغناء) فترجع المحبة كما جاءت فيحبك عنه عن فعل مكروه يبدو لك منه ظهر عن وصف الكبر والجبرية فتجد قلبك ساليا عنه بلاحول ولاقوة منك ولا اجتلاب ولاحيلة وهذا لايصفه الا عارف بدقيق بلائه ولا يحذره الا خائف من خفى مكره وابتلائه فاذا سلوت به عنه كان ذلك دليلا منه على انه قد رفضك واطرحك كما انك اذا كنت تحبه انما أحببته به (وذلك من مقدمات المكر) الذى يحيق بالممكور (و) هو درك (الشقاء والحرمان) الذى أدرك المغرور (ثم) أشد من هذا كله (خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره) وانما كان أشد لانه لاتنويه فيه (وذلك هو المقت) وهذا هو حقيقة الاستدراج يقع عن نهاية المقت من المحبوب وغاية البغض منه والبعد (والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو) أى بداية ذلك كله (وضيق الصدر بالبرد وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الاوراد أسباب هذه المعانى) المبعدة والمدارج المدرجة اذا قويت وتزايدت أخرجت الى هذا كله واذا تناقضت و بدل بها الصالحات والحسنات أدخلت فى مقام المحبة والقربات كما جاء به الخبر التائب حبيب الله كذلك فى تدبر الخطاب ان العاكف على هواه مقيت الله (وظهور هذه الاسباب) فيك ووجد هذه الاوصاف منك (دليل على) ماغاب عنك من الاستبدال والاسقاط الذى هو (النقل عن مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف) من هذه المعانى (لهذه الامور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل على صدق الحب) وعلامة المعرفة باخلاقه المكوّنة المقلبة (فان من أحب شيأ خاف لامحالة فقده فلا يخلو الحب عن خوف اذا كان المحبوب ممايمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه) نقله صاحب القوت الا أنه قال من عرف الله بدل من عبد فى المواضع الثلاثة ثم قال وليس العجب من خوف المحبين مع ماعرفوا من اخلاقه وحنانه وشهدوا من تعطفه والطافه مالم يعرف الخائفون ثم هم مع حبهم يهابونه وعلى أنسهم به يحبونه وفى فزعهم منه يشتاقون اليه وفى بسطه لهم ينقبضون بين يديه وفى اعزازه لهم يذلون له لان من قبض فانقبض فليس بعجيب ولكن من بسط فانقبض فهو العجب ومن امتهن فذل فلا عجب ولكن من أعز وأكرم فتواضع وذل فهو عجب فللمحبين الانقباض فى البسط وللخائفين الانقباض فى القبض وللمحبين الذل مع العز والكرامة وللخائفين الذلة مع الهيبة والمهنة فهذا يدل على ان معرفة المحبين به أعظم المعارف اذا كانت أوائل أحوالهم المخاوف (فالمحب لايخلو عن خوف والخائف لايخلو عن محبة ولكن الذى غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الايسير يقال هو فى مقام المحبة و يعد من المحبين) فكل محب لله خائف منه وليس كل خائف بمحب يعنى محبة المقربين لانه لم يذق طعم الحب لان محبة المسلمين المعترضة لايقع بها اعتبار فى مقامات الخصوص لانها لاتوجد عنها مواجيد الاحوال ولايعلى بها فى مشاهدات الانتقال لانها قوت الايمان منوطة بصحته وموجودة بوجوده فاشبهت محبتهم معرفتهم بالله تعالى التى عنها توحيدهم انهم عرفوه بوصف

وكان شوب الخوف يسكن قلبا لامن سكر الحب فلو غلب الحب واستوت المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر فانما الخوف يعدله و يخفف وقعه على القلب فقد روى فى بعض الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال ان يسأل الله تعالى ان يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام فى الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقى شاخصا سبعة أيام لا ينتفع بشئ ولا ينتفع به شئ فسأل له الصديق ربه تعالى فقال يارب انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله تعالى اليه انما أعطيناه جزأ من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة ألف عبد سألونى شيأ من المحبة فى الوقت الذى سألنى هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت أنت لهذا فلما أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانك يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيته فاذهب الله عنه جملة الجزء وبقى معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين وقد قيل فى وصف حال العارف

قريب الوجد ذو مرمى بعيد * عن الاحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب * كأن فؤاده زبر الحديد
لقد عزت معانيه وجلت * عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعياد فى الاوقات تجرى * له فى كل يوم ألف عيد
وللاحباب أفراح بعيد * ولا يجد السرور له بعيد

الازل والقدم والسرمدية والابدية وهذا مندرج فى اسمين من أسمائه أول وآخر والعارفون عرفوه بصفات الجبر والقهر والقدرة والمكر وهذا قد أحكمه فى اسمين ظاهر وباطن وليس هذا من معارف المحبين فى شئ والمحبون عرفوه بصفات التجلى ومعانى المعانى ونعوت الاخلاق وفى هذا اسرار الغيوب ومشاهدات المحبوب (وكان شوب الخوف يسكن قلبا لا من سكر الحب فلو غلب الحب واستوت المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر فانما الخوف يعدله و يخفف وقعه على القلب) قال صاحب القوت والمحبة لا ترفع الهيبة فلذلك كان كل محب خائفا لان المحبوب مهيب والخوف قد يغيض عن المحبة يشغل الخائف بوصله السالف وهذا كشف الابرار وهو حجاب المقربين الا أن المحبين لهم من الخوف قوت ومن المحبة اتساع والخائفين لهم من الخوف اتساع ومن المحبة قوت وهذا كما تقول فى الرجاء والخوف لانهما وصفا الايمان الا ان الخائف يندرج الرجاء فى حاله والراجى ينطوى الخوف فى رجائه كذلك المحب يصير الخوف فى عقده و يظهر الحب فى وجده والخائف يغيب الحب فى عقده و يظهر الخوف فى وجده ان ربى لطيف لما يشاء هذا الظهور الطرقات ومبانى الدرجات اذ كان لابد من مجموعهما فى قلب لانهما من شرط الايمان وحقيقته فتلطف سبحانه لحكمته بقدرته وفى سبق ترتيب المقامات من الله تعالى حكم غريب وحكمة لطيفة لا يعرفها الا من أعطى يقين شهادتها ان سبق الى العبد بمقام المحبة كان محبا بمحبة أصحاب اليمين ولم تكن له مقامات المحبين المستأنسين ولا المشتاقين فى مقام المقربين وكل هؤلاء موقنون صالحون وان سبق الى العبد بمقام الخوف كان محبا بحب المقربين العارفين هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون و بما كانت المحبة ثوابا للخوف ومزيدا له وهذا فى مقام العاملين فمن كانت المحبة مزيده بعد الخوف كان من المقربين المحبوبين ومن كان الخوف مزيد محبته فهذا من الابرار المحبين وهم أصحاب اليمين (فقد نقل من وصف من أذيق منه ولم يفصح بذكر وصفه انه (روى فى الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام فى الجبال) وفى بعض النسخ فى الحال وهو لفظ القوت (وحار عقله ووله قلبه وبقى شاخصا) بصره الى السماء (سبعة أيام لا ينتفع بشئ ولا ينتفع به شئ فسأل له الصديق ربه تعالى فقال يارب انقصه من الذرة بعضها فاوحى اليه انما أعطيناه جزأ من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة ألف عبد سألونى شيأ من المحبة فى الوقت الذى سألنى هذا فاخرت اجابتهم الى أن شفعت أنت لهذا فلما أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانك يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيته فاذهب الله عنه جملة) ذلك (الجزء وبقى معه عشر معاشره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه) وعلمه (ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين) فهذا النوع من شأن المعرفة وتجلى الوصف بمعنى محبة يليق به لا يسع الخلق ولا يصلح لهم ولا يستقيمون عليه فلذلك كان طيه أحسن من نشره لان العقول تنكره والقلوب تمجه والهمم لا تسر به والقلب لا يجذبه ولا يحبه الله تعالى من العموم (وقد قيل فى وصف حال العارف) المحبوب من بحر المتقارب

(قريب الوجد ذو مرمى بعيد * على الاحرار منهم والعبيد * غريب الوصف ذو علم غريب
كأن فؤاده زبر الحديد * لقد عزت معانيه فغابت * عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعياد فى الاوقات تجرى * له فى كل يوم ألف عيد * وللاحباب أفراح بعيد
* ولا يجد السرور له بعيد)

هكذا أنشد هذه الابيات صاحب القوت الا انه بتقديم البيت الاخير على الذى قبله وأنشد أيضا فى هذا المقام لبعضهم

ظهرت لمن أفنيت بعد بقائه * فكان بلا كون لانك كنته

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد أبياتا يشير بها الى أسرار أحوال العارفين وان كان ذلك لا يجوز اظهاره وهي هذه الأبيات

سرت بأناس في الغيوب قلوبهم * فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراصا بقرب الله في ظل قدسه * تجول بها أرواحهم وتنقل
مواردهم فيها على العز والنهى * ومصدرهم عنها لما هو أكمل
تروح بعز مفرد من صفاته * وفي حلل التوحيد تمشي وترفل
ومن بعد هذا ما تدق صفاته * وما كتمه أولى لديه وأعدل
سأكتم من علمي به ما يصونه * وأبذل منه ما أرى الحق يبذل
وأعطي عباد الله منه حقوقهم * وأمنع منه ما أرى المنع يفضل
على أن للرحمن سرا يصونه * الى أهله في السر والصون أجمل

وأمثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقدام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله تعالى فيما هو شر في الظاهر أسرار وحكم كما ان له في الخير أسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له

فمنك بدا عز لحب تمازجا * بماء وصال كنت أنت وصلته * وابدأت وصفا بالعلوم مخبرا
فشتت قلبا بالعلوم جمعته * وأفردت حبا فيك منك بمشهد * بلا علم في العلم حين بسطته
تعززت بالعز المنيع وكل من * أشاد الى عز فانت خدعته

قال وذكرت هذه الابيات لابي القاسم الجنيد رحمه الله تعالى (قال) صاحب القوت (و) قد (كان الجنيد رحمه الله تعالى (ينشد أبياتا يشير بها الى أسرار أحوال العارفين) وأوصاف المقربين المحبوبين (وان ذلك لا يجوز اظهاره وهي هذه الابيات) من بحر الطويل

(سرت بأناس في الغيوب قلوبهم * فحلوا بقرب الماجد المتفضل * عراصا بقرب الله في ظل قدسه
تجول بها أرواحهم وتنقل * مواردهم فيها على العز والنهى * ومصدرهم عنها لما هو أكمل
تروح بعز مفرد من صفاته * وفي حلل التوحيد تمشي وترفل * ومن بعد هذا ما تدق صفاته
وما كتمه أولى لديه وأعدل * سأكتم من علمي به ما يصونه * وأبذل منه ما أرى الحق يبذل
وأعطي عباد الله منه حقوقهم * وأمنع منه ما أرى المنع أفضل * على أن للرحمن سرا يصونه
الى أهله في السر والصون أجمل)

هكذا أنشد هذه الابيات للجنيد صاحب القوت (وأمثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف له شيء منها بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا) واختل نظامها (فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش) ولفظ القوت ومثل هذا المقام في الاحوال مثل أكل الحلال في المأكول لا يريد الله تعالى أن يطعمه الكل لعمارة الدار لان الامة كلها لو أكلوا حلالا أربعين يوما لخربت الاسواق لزهدهم فليس ذلك من الحكمة (بل لو أكل العلماء الحلال اشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم) ولفظ القوت ولو ان العلماء كلهم أكلوا حلالا لم نسمع من هذه العلوم التي نسمعها شيأ لشغلهم بنفوسهم واعراضهم عن أصحابهم ففي ترك ذلك حكمة حسنة ورحمة واسعة (ولكن لله تعالى فيما هو شر في الظاهر) حسبما يبدو لنا (اسرار وحكم كما ان له في الخير اسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا نهاية لقدرته) وذكر صاحب القوت بعد ان أورد المقامات السبعة للمحبين في الخوف ما نصه فالخوف من هذه المعاني علامة المعرفة بأخلاقه المكونة المقلبة ولا يصلح شرح هذه المقامات في كتاب ولا تفصيلها برسم خطاب انما تشرح في قلب بيقينه قد شرح و يفصل لعبد من نفسه قد فصل فاما قلب مشترك وعبد في هواه مرتبك فليس لذلك أهلا والله المستعان قال وثم خوف ثامن عن شهادة حب عال يقرب اسمه و يلتبس ويخفى وصفه لقلة اشتهاره في الاسماع فيحمل أنسه لانه خوف عن مقام له اسم من المحبة يتشنع على كثير من سامعيه فينكره و يتشجع في أوهام غير مشاهديه فيمثلوه بالخلق فان ذكرنا خوفه تم على ذكر مقامه فظهر باظهاره فكان طيه أفضل من نشره الى أن يسئل عنه من ابتلى به ثم صدر عنه بعد ان شرب منه لان مقامات المحبة كلها الى جنب مقامه كنهر أضيف الى بحر مثله كمثل مشاهدات اليقين كلها الى جنب شهادة التوحيد بالتوحيد وهو وصف من المحبة يقرب لانه من شوق الحبيب الى المحب وهو من معنى قول رابعة رحمها الله تعالى أحب الهوى ومن معنى قول عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم ان ربك يسارع الى هواك (ومنها) أي ومن علامات المحبة (كتمان الحب) للغيرة والستر لنفيس الذخيرة (واجتناب الدعوى) فانها كما قالوا فضيحة ولو كانت نصيحة (والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا

له وهيبة منه وغيره على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولانه قد يدخل فى الدعوى ما يتجاوز حد المعنى و يزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء
وتعظم العقوبة عليه فى العقبى وتتعجل عليه البلوى فى الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة فى حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله

فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تعمل أو اكتساب فهو معذور لانه مقهور وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول

وقالوا قريب قلت ما أنا صانع * بقرب شعاع الشمس لو كان فى حجرى
فمالى منه غير ذكر بخاطر * يهيج نار الحب والشوق فى صدرى

والعاجز عنه يقول

يخفى فيبدى الدمع أسراره * ويظهر الوجد عليه النفس

ويقول أيضا

ومن قلبه مع غيره كيف حاله * ومن سره فى جفنه كيف يكتم

وقد قال بعض العارفين أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم اشارة به كانه أراد من يكثر التعريض به فى كل شئ ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذو النون المصرى على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء فقال لايحبه

له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولانه قد يدخل فى الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه فى العقبى وتتعجل عليه البلوى فى الدنيا) وقد قرن الله الدعوى بفرية الكذب لانها كذب القلب بمنزلة كذب اللسان فى قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ونهى عنها كنهيه عن التولى عنه فى قوله ولا تولوا عنه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون (نعم قد يكون للمحب سكرة فى حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك منه من غير تعمل) أى تكلف (أو اكتساب فانه معذور لانه مقهور) قال بعض المحبين ورد على حال من التعظيم أخرسنى عن الكلام والتفهيم بما لا أصفه صفة من الاجلال والعظمة فحكم على فلما تحكم وملكنى فلم أملك ولم أتكلم فلوشئ من حق الله تعالى كان الى وقدرت عليه لم آذن لاحد من أهل السموات والارضين من ملك مقرب ولا نبى مرسل أن يقول الله اذ كل قائل فيما قول وكل قريب من حيث قرب وكل عارف فيما عرف وكل الكل محجوب عن كنه القرب وعن حقيقة التوحيد ومن عظمة التعظيم فلن يستطيع أحد أن يقول الله فمكثت سنة لا أتكلم وسمعت رجفان قلبى فى صدرى وزواله عن مستقره الى نحرى ويحك أما سمعته يقول انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فهذا وجل القلوب من ذكر غافل سمعوه فكيف بذكر ذاكر كروه فما قال التوحيد الا الواحد وما قال الله الا الله ثم ذكر الباقى فهذا الذى حال فى مقام بعينه بمشاهدة عين من عظمته منفرد المنفرد وقرب عن وصف قريب متحد بوحد والتوحيد والتفرد بدوراء هذا والاتحاد والاحدية والانفراد والوحدانية فوق ذلك والآحاد والافراد المفردون بما أفردوا وما وحدوا بما وحدوا الذاكرون بذكره الذى به ذكروا والمسبحون بسبحاته التى بها سبحوا هم حجاب هذا المقام وخزان هذا المعنى كشفهم لهذا السر وهو منهم كفر والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فوقفوا مع الامر لغلبة القهر وسكنوا الاجل الحد فرسموا له الحد واليه أشار المصنف بقوله (وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول

وقالوا قريب قلت ما أنا صانع * بقرب شعاع الشمس لو كان فى حجرى
فمالى منه غير ذكر بخاطر * يهيج نار الحب والشوق فى صدرى

والعاجز عنه يقول يخفى فيبدى الدمع أسراره * ويظهر الوجد عليه النفس)

وذلك ان العبد اذا قهرته الاحوال وعلت على قلبه وأحس من نفسه العجز عن حملها تنفس اما صعداء واما تنغص بما هو فيه بكلام أو اشارة لانه ما دام حيا لابد أن يتروح بدخول النفس وخروجه وناهيك بهذه الحالة فانها حالة أهل الجنة اذ جاء فى الخبر ان الذكر يجرى منهم مجرى النفس (ويقول أيضا

ومن قلبه مع غيره كيف حاله * ومن سره فى جفنه كيف يكتم

وقد قال بعض العارفين) من المحبين (أكثر الناس من الله عز وجل بعدا أكثرهم اشارة به كانه أراد) ان (من يكثر التعريض به فى كل شئ ويكثر التصنع بذكره عند كل أحد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل) لنقص مقامه فى المحبة (ودخل ذو النون المصرى) رحمه الله تعالى (على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة) ويشير اليها ويتعرض لها بالاشارة والعبارة (فرآه مبتلى ببلاء فقال) ذو النون (لايحبه من وجد ألم ضره) كأنه رآه مضطربا من ذلك البلاء (فقال الرجل لكنى أقول لايحبه من لم يتنعم بضره) كأنه أشار الى انه غير مضطرب باطنا (فقال ذو النون ولكنى أقول لايحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل) لما سمع ذلك منه (استغفر الله وأتوب اليه) فقد أرشده الى كتمان الحب وعدم افشائه (فان قلت المحبة منتهى المقامات) وبها تكمل المقامات (واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر) ويؤمر بالكتمان (فاعلم ان المحبة

 من وجد ألم ضره فقال الرجل لكنى أقول لايحبه من لم يتنعم بضره فقال ذو النون ولكنى أقول
لايحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله وأتوب اليه فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر فاعلم ان المحبة

محمودة وظهورها محمود أيضا وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق المحب ان ينم على حبه الخفى افعاله وأحواله دون أقواله وافعاله و ينبغى أن يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغى أن يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشرك فى الحب وقادح فيه كما ورد فى الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذى يرى الخفيات يجزيك علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه * حكى ان رجلا رأى من

بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخى رحمه الله فتبسم ثم قال يا أخى له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذى رأيته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسببه أن المحب ان كان عارفا وعرف أحوال الملائكة فى حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذى به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون لا ستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه من أخس المحبين فى مملكته وان حبه أنقص من حب كل محب لله قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله تعالى ثلاثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لى عند الله شيأ فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات فى قصة طويلة قال فى آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شئ فقلت من أنتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلثمائة ألف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من أعمالى فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنه فى جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه وتردداته كما حكى عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السرى رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا

محمودة وظهورها محمود أيضا وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار) على الاخوان (وحق المحب) الصادق (ان ينم على حبه الخفى) فى صدره (أفعاله وأحواله دون أقواله) بصريح العبارات والاشارات فانها لا تخلو من الدعاوى (وأفعاله ينبغى ان يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب) المكتوم (ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغى أن يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشرك فى الحب وقادح فيه كما ورد فى الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذى يرى الخفيات يجزيك به علانية واذا صمت فاغسل وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك غير ربك) روى أحمد فى الزهد عن هلال بن يساف قال كان عيسى عليه السلام يقول اذا تصدق أحدكم بيمينه فليخفها عن شماله واذا صلى فليدن عليه ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وروى عبد الله بن أحمد فى زيادات الزهد من طريق مسروق عن ابن مسعود قال اذا أصبح أحدكم صائما أو قال اذا كان أحدكم صائما فليترجل واذا تصدق صدقة بيمينه فليخفها عن شماله واذا صلى صلاة أو صام تطوّعا فليصلها فى داخله وقد تقدم (فاظهار الفعل والقول كله مذموم الا اذا غلب عليه سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه) فانه مقهور عليه (حكى أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه) أى عده جهلا وجنونا (فاخبر بذلك معروفا الكرخى رحمه الله تعالى فتبسم) معروف (ثم قال يا أخى له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذى رأيته من مجانينهم) فلم يخرجه من حد المحبة اذ طاش عقله من سكره وتكلم بما يعيب عليه سامعه فالاولى الادب معهم ولا يقيس حالهم بسواهم كما أرشد اليه معروف رحمه الله تعالى (ومما يكره التظاهر بالحب بسببه ان المحب ان كان عارفا) بالله تعالى ولا بد أن يكون كذلك فان المحبة ثمرة المعرفة (وعرف أحوال الملائكة) عليهم السلام (فى حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذى به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون لا ستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه أخس المحبين فى مملكته) وأقلهم (وان حبه أنقص من حب كل محب لله تعالى) ومن ذلك (قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله ثلاثين سنة باعمال القلوب والجوارح) أى من الذكر والمراقبة والاعمال الظاهرة (على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لى عند الله شيأ) أى مقاما مقربا بسبب تلك الطاعات (فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات) أى آيات ملكوتها (فى قصة طويلة قال فى آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شئ فقلت من أنتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلثمائة ألف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من أعمالى) واستحقرتها بجنب أعمالهم (فوهبتها لمن حق عليه الوعيد) أى كلمة العذاب (تخفيفا عنهم فى جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى) فلا يدعى لنفسه مقاما ولا حالا (نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه وتردداته كما حكى عن الجنيد) قدس سره (انه قال مرض استاذنا السرى) السقطى (رحمه الله تعالى فلم نجد لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا) حتى نهتدى به الى الدواء (فوصف .

(فوصف لنا طبيب حاذق) أي ماهر في صنعته (فأخذنا) اليه (قارورة مائه فنظر اليه الطبيب وجعل ينظر مليا ثم قال لي أراه بول عاشق) قد فتت كبده (قال الجنيد فصعقت وغشي علي) من سماع ذلك القول (ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتتبين المحبة في البول قال نعم) لان الشوق والعشق يؤثران في الكبد فيفتتانه فينزل الماء أبيض صافيا براقا ومن هنا قال الجنيد قال رجل للسري كيف أنت فانشد يقول

من لم يبت والحب حشو فؤاده * لم يدر كيف تفتت الاكباد

قال ودفع الى السري رقعة مرة وقال احفظ هذه الرقعة فاذا فيها

ولما شكوت الحب قالت كذبتني * فمالي أرى الاعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق الجنب بالحشا * وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقى لك في الهوى * سوى مقلة تبكي بها وتناديا

(وقد قال السري مرة ولو شئت أقول ما أيبس جلدي على عظمي ولا سل جسمي الا حبه ثم غشي عليه) ولفظ البيهقي في الشعب عن الجنيد قال سمعت السري يقول وقد كلمته يوما بشئ من المحبة فضرب بيده الى جلدة ذراعه فمدها ثم قال والله ان قلت ان هذا جف على هذا من محبة الله لصدقت ثم أغمي عليه ثم تورد وجهه حتى صار مثل القمر (وتدل الغشية على انه أفصح في غلبة الوجد ومقدمات الغشية) وان كان مقهورا (فهذه أربع مجامع علامات الحب وثمراته ومنها الانس والرضا كما سيأتي) قريبا وحاصله ان يكون المحب مستأنسا راضيا بقضاء الله وكلما كان أحب كان أرضى فاول درجات الرضا الداخلة تحت التكليف ان يكره المصيبة بطبعه و يرضى بفعله والثانية ان يرضى بطبعه وعقله من غير سرور والثالثة سروره بما يجري موافقة لمحبة الله فيما أبدع وحكم والرابعة ان لا يحس بما يجري عليه لفناء صفاته في صفات محبوبه وهذه أشرفها وأعزها وقوعا فهذه عشر علامات أوردها المصنف وهي على عدد معاني المحبة العشرة التي ذكرها الحليمي في شعب الايمان حيث قال محبة الله تبارك وتعالى اسم لمعان كثيرة أحدها اعتقاده انه تعالى محمود من كل وجه لا شئ من صفاته الا وهو مدحة له والثاني اعتقاده انه محسن لعباده منعم متفضل عليهم والثالث اعتقاد ان الاحسان الواقع منه أجل وأكثر من أن يحصيه قول العبد وعمله وان كثر شكره والرابع ان لا تبقيته يستقل العبد قضاياه ولا يستكثر تكاليفه والخامس أن يكون في عامة الاوقات مشفقا وجلا من اعراضه عنه وشكر معرفته التي أكرمه بها وتوحيده الذي حلاه وزينه به والسادس أن تكون آماله معقودة به لا يراه في حال من الاحوال انه غني عنه والسابع أن يحمله تمكن هذه المعاني في قلبه على ان يديم ذكره باحسن ما يقدر عليه والثامن انه يحرص على أداء فرائضه والتقرب اليه في نوافل الخير وما يطيقه والتاسع انه ان سمع من أحد ثناء عليه وعرف منه تقربا اليه وجهادا في سبيله سرا وعلانية مالاه ووالاه والعاشر انه ان سمع من أحد ذكرا له بما يجله عنه أو عرف منه غيا عن سبيله سرا وعلانية ناداه فاذا اجتمعت هذه المعاني في قلب أحد اجتماعها هو المشار اليه باسم محبة الله تعالى وهي ان لم تذكر مجتمعة في موضع فقد جاءت متفرقة من النبي صلى الله عليه وسلم فمن دونه انتهى وقد بقيت للمحبة دلائل وعلامات لم يذكرها المصنف صراحة وان كان بعض منها مذكورا ضمنا فمن ذلك تقديم أمور الآخرة في كل ما يقرب من الحبيب على أمور الدنيا من كل ما تهوى النفس ومنها المبادرة باوامر المحبوب ونواهيه قبل عاجل حظوظ النفس ومنها التعزز على أبناء الدنيا المؤثرين لها كما قيل لابن المبارك ما التواضع قال التكبر على المتكبرين وقال علي رضي الله عنه لفتح الموصلي في منام رآه ما أحسن تواضع الاغنياء للفقراء رجاء ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة بالله ومنها المجاهدة في طريق المحبوب بالمال والنفس ليقرب منه ويبلغ مرضاته ويقطع كل قاطع يقطعه عنه بالمسارعة الى قربه كما قال تعالى مخبرا عن محبه وعجلت اليك رب لترضى وكما أمر حبيبه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا أي انقطع اليه

فوصف لنا طبيب حاذق فاخذنا قارورة مائه فنظر اليها الطبيب وجعل ينظر اليه مليا ثم قال لي أراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت أقول ما أيبس جلدي على عظمي ولا سل جسمي الا حبه ثم غشي عليه وتدل الغشية على انه أفصح في غلبة الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات الحب وثمراته * ومنها الانس والرضا كما سيأتي

انقطاعا عما سواه بالاخلاص له أو اقطع كل قاطع حتى تصل اليه فهذان من أدل الدليل على المحبة ومنها ان لا يخاف في حبه لومة لائم من الخلق لانه على محبته على السلوك اليه بشبق النفس وهجر الدار ورفض المال ولا يرجو في محبته مدح مادح ولا يرغب في ثناء العباد بايثاره له على الاهل والمال والدار ومنها رؤية البلاء منه نعمة كما قال قائلهم

فلو قطعتني في الحب اربا * لما حن الفؤاد الى سواك

ومنها موافقة الحبيب فيما أحب حباله كما قال عمر لصهيب رحم الله صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه أي ان محبته له تمنع من مخالفته من غير خيفة فهو يطيعه حباله وكان صهيب يقول انه لا يستخرجه غيره يعني من معاني الصفات والافعال المرجوة ومنها وجود الروح بالشكوى اليه والاستراحة الى علمه به وحده واخلاص المعاملة لوجهه وحسن الادب فيها وهو الاخفاء لها وكتم ما يحكم به من الضيق والشدائد واظهار ما ينعم به من الالطاف والفوائد وكثرة الشكر في نعمائه وخفي ألطافه وغرائب صنعته وعجائب قدرته وحسن الثناء عليه في كل حال ونشر الآلاء منه والافضال والصبر على بلائه لانه قد صار من أهله وأوليائه وقد يعسف باوليائه ويعنف باحبائه لتمكنه منهم ومكانتهم عنده ولعلمه انهم لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا اذ ليس لهم بغية في سواه ولا لهم همة الا اياه وقال بعضهم في هذا المقام

يا بلائي ويا بلاء البلاء * أنت دائي فكيف أكره دائي

وقال آخر في معناه

لا تطلبن شفاء عند غيرهم * فلا يجيبك الا من توفاك

وقال المحب في معناه

ان شئت جودي وان شئت فامتنع * كلاهما منك منسوب الى الكرم
فانت عندي وان أورثتني سقما * أحب من غيرك يشفي من السقم

ومنها المسارعة الى ما ندب اليه من أنواع البر بوجد الحلاوة وشرح الصدر ودوام التشكي والحنين اليه وسبق النظر الى الخالق في كل شيء وسرعة الرجوع اليه بكل شيء ومنها التناصح بالحق والتواصي به والصبر على ذلك ومنها أن لا يطالب بخدمته سواه وان يجتمع في محبته وهواه فلا يهوى الا ما فيه رضا المولى ولا يقضي عليه مولاه الا بما يهوى قال بعضهم اذا رأيته يوحشك من خلقه فاعلم انه يريد أن يؤنسك به وفي أخبار موسى عليه السلام اذا رأيت التقي مشغولا في طلب الرب فقد الهاه ذلك عما سواه وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول من علامة المحب في المكاره والاسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء اذ هو لطف من مولاه وقيل القربة الى محبوبه وقلة التأذي بكل بلاء يصيبه لغلبة الحب على قلبه وقد كان بعض المحبين يقول أصفى ما أكون ذكرا اذا كنت محموما (وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع للهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين) والقسم الثاني أفضل وأعلى لتعلقها بالذات والصفات من كلا طرفيها وهو السلب والاثبات وما قبلهما وهو القسم الاول متعلقه بالله من حيث قدرته على الانعام والاحسان ففيها شغل عن الله والمحبة الناشئة عن الجمال والجلال من أشرف نعم الله على العباد لانها تعريف له بما هو به وتقريب منه الا ان المقصود يصير كامنا تحت أشعة الافضل اذا امتلأ القلب بالافضل ويكون الحكم والجزاء للغالب (ولذلك قال الجنيد) قدس سره (الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان أرضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان) لان الاحسان يزيد وينقص (فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى) وتخلقوا بها قدر طاقتهم (لم يمتنعوا ان أحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم) واليه يشير قول رابعة رحمها الله تعالى * وحب لانك أهل لذاك * (نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل فيظن أنه محب لله عز وجل وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات) التي ذكرت (أو يلبس بها نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء والقراء السوء) الذين يأكلون الدنيا بالدين (أولئك بغضاء

وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا أن أرضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك ولما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى لم يمتنعوا أن أحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل فيظن انه محب لله عز وجل وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات أو يلبس به نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كعلماء السوء وقراء السوء أولئك بغضاء

الله فى أرضه وكان سهل اذا تكلم مع انسان قال يادوست أى ياحبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال فى اذن القائل سرا
لايخلوا اما أن يكون مؤمنا أو منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا فهو حبيب ابليس وقد قال أبو تراب

النخشبى فى علامات المحبة أبياتا

لاتخدعن فللحبيب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل

منها تنعمه بمر بلائه وسروره فى كل ماهو فاعل

فالمنع منه عطية مقبولة والفقر اكرام و بر عاجل

ومن الدلائل أن ترى من عزمه طوع الحبيب وان الح العاذل

والقلب فيه من الحبيب بلابل

ومن الدلائل أن ترى متفهما

ومن الدلائل أن ترى متبسما

لكلام من يحظى لديه السائل

ومن الدلائل أن ترى متقشفا

متحفظا من كل ماهو قائل

وقال يحيى بن معاذ

ومن الدلائل أن تراه مشمرا

فى خرقتين على شطوط السواحل

ومن الدلائل حزنه ونحيبه

جوف الظلام فماله من عاذل

ومن الدلائل أن تراه مسافرا

نحو الجهاد وكل فعل فاضل

الله فى أرضه) فهم عن محبة الله بمعزل (وكان سهل) التسترى رحمه الله تعالى (اذا تكلم مع انسان قال يادوست) بضم الدال المهملة وسكون الواو والسين المهملة والتاء فارسية (أى حبيب) من ذلك عوتب مرة فى العلة التى كانت به وكان يداوى الناس منها ولا يداوى نفسه فقيل له فى ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع كما نقله صاحب القوت (فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا) أى كيف تقول لكل من تخاطبه بهذا اللفظ وقد لا يكون بعضهم ممن يتصف بالمحبة (فقال فى أذن القائل سرا) هذا الذى أقول له يادوست (لايخلوا اما أن يكون مؤمنا أو منافقا) يكتم ايمانه (فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا فهو حبيب ابليس) فهو على كل حال يصح ان يطلق عليه هذا اللفظ وهذا نظير ما كان يقول لنا شيخنا المرحوم لقطب السيد عبدالله بن ابراهيم الحسينى نزيل الطائف قدس سره فى معنى قوله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين أى الثواب والعقاب اذ كل منهما صالح أما الثواب فله منه مالاعين رأت ولا أذن سمعت وأما العقاب فله منه مالاعين رأت ولا أذن سمعت (وقال أبو تراب) عسكر بن حصين (النخشبى) رحمه الله تعالى (فى علامات المحبة) ودلائلها الخاصة (أبياتا وهى هذه) من مشطور الرجز

(لاتخدعن فللحبيب دلائل * ولديه من تحف الحبيب رسائل * منها تنعمه بمر بلائه
وسروره فى كل ماهو فاعل * فالمنع منه عطية مقبولة * والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل ان يرى فى عزمه * طوع الحبيب وان ألح العاذل * ومن الدلائل ان يرى متبسما
والقلب فيه من الحبيب بلابل * ومن الدلائل أن يرى متفهما * لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل ان يرى متقشفا * متحفظا من كل ماهو قائل)

(وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى فى هذا المعنى الا انه خفض القافية

(ومن الدلائل ان تراه مشمرا * فى خرقتين على شطوط الساحل * ومن الدلائل حزنه ونحيبه
جوف الظلام فماله من عاذل * ومن الدلائل أن تراه مسافرا * نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى * من دار ذل والنعيم الزائل * ومن الدلائل ان تراه باكيا
ان قد رآه على قبيح فعائل * ومن الدلائل ان تراه مسلما * كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلائل ان تراه راضيا * بمليكه فى كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى * والقلب محزون كقلب الثاكل)

وقد ذيلت على هذه الابيات عند تشطيرى لها زدت فيها ذكر بعض العلامات التى أشرت اليها آنفا فقلت

ومن الدلائل خوفه من حبه * و بعاده وعن السلو الحاصل * ومن الدلائل أن تراه عابدا
حباله من غير خوف حائل * ومن الدلائل ان تراه آنسا * بوليه المولى وليس بغافل
ومن الدلائل ان تراه مبادرا * لاوامر المحبوب قبل العاجل * ومن الدلائل ان تراه جامعا
كل الهموم لهم يوم آجل * ومن الدلائل ان تراه موافقا * لحساب مولاه بغير تغافل
ومن الدلائل ذله بين الورى * لذوى الولا والبغض للمتجاهل * ومن الدلائل أن تراه واثقا
فى تيهه فى الله فوق الجاهل * ومن الدلائل أن تراه مجاهدا * بالنفس والمال النفيس الحاصل
ومن الدلائل انه فى حبه * لم يخف لومة لائم أو عاذل * ومن الدلائل ان تراه مسارعا
للحق ثم مجانبا للباطل * ومن الدلائل ان تراه ناشرا * افضال مولاه بحمد واصل
ومن الدلائل ان تراه صابرا * لبلائه فى كل أمر نازل * ومن الدلائل ان تراه ناصحا
متواصيا بالحق غير مخاتل * ومن الدلائل أن تراه هاجرا * مألوفه فى حب مولى كامل

ومن الدلائل زهده فيما يرى * من دار ذل والنعيم الزائل ومن الدلائل أن تراه باكيا * أن قد رآه على قبيح فعائل
ومن الدلائل أن تراه مسلما * كل الامور الى المليك العادل ومن الدلائل أن تراه راضيا * بمليكه فى كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى * والقلب محزون كقلب الثاكل

(بيان معـنى الانس بالله تعالى) قدذكرنا ان الانس والخوف والشوق من آثار المحبة الا أن هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب
نظره ومايغلب عليه فى وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع

على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليـه وتسمى هذه الحالة فى الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى أمر غائب واذا غلب عليـه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هوحاصل من الكشف وكان نظـره مقصورا عـلى مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى مالم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعـدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعـد تالم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تالمه خوفا وهذه الاحوال تابعـة لهـذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها لايمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ماغاب عنه ومايتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا نظر بعضـهم حيث قيل له أنت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب

حاضرا فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت الى مابقى فى الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه الانس
حال الانس لم تكن شهوته الا فى الانفراد والخلوة كما حكى ان ابراهيم بن أدهم نزل من الجبل فقيل له من أين أقبلت فقال من

ومن الدلائل ان تراه خائفا * عن أعين فى زى عبد خامل

(بيان معنى الانس بالله عز وجل)

اعلم انا (قدذكرنا) فيما سبق (ان الانس والخوف والشوق من آثار المحبة) ومن ثمراتها (الا ان هـذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره ومايغلب عليه فى وقتـه فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال) لصعوبته (انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه وتسمى هذه الحالة فى الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى أمر غائب) نظره (واذا غلب عليـه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف) والمعاينة (وكان نظره مقصورا على مطالعـة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى مالم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا) الا ان الشوق أفضل من الانس لان الآنس قصر نظره على ما انكشف له من الجمال ولم يمتد نظره الى اشكال ماغاب عنه والمشـتاق كالعطشان الذى لاترويه البحار لمعرفته بان الذى انكشف له من الامور الالهية بالنسبة الى ماغاب عنه كالذرة بالنسبة الى سعة الوجود وقد تقدم تحقيقه (وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستبشار فيسمى تالمه خوفا) وقد تقدم تحقيقه فى كتاب الخوف (وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها لايمكن حصرها) لكثرتها (فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال) والكمال والقرب مما انكشف له منها (حتى انه اذا غلب وتجرد) وقصر نظره (عن ملاحظة ماغاب عنه) من مزيد الالطاف (ومايتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه و) قويت (لذاته) واستحقر فى جنب لذته وتنعمه لقرب حبيبـه جميع ماسواه حتى لو انفهقت له الجنان جميعها لم تذهله ولم تشغله عن التذاذه بجمال محبوبه لانا اذا رأينا صفة جميـلة محكمة أحببنا الصانع لذلك فان رأينا ماهو أجل منه وأحسن وأشرف واحكم ازددنا فيه حبا هـذا فى دار الاختبار ومحل الاستدلال فكيف بالعارفين فى دار القرار ومحل الكشف والعيان ويبطل حكم الدليل والاستدلال ويرجع الحق تعالى مشهودا للعباد كما قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فحينئذ لاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (ومن هنا نظر بعضهم) وهو الانطاكى كما صرح به صاحب العوارف (حيث قيل له أنت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من يشتاق) نقله القشيرى فى الرسالة وقد تقـدم وحكاه صاحب العوارف فقال وأنكر بعضهم مقام الشوق وقال انما الشوق الى الغائب ومتى يغيب الحبيب من الحبيب حتى يشـتاق ولهذا سـئل الانطاكى عن الشوق فقال انما يشتاق الغائب وماغبت عنه منذ وجـدته قال وانكار الشوق مطلقا لا أرى له وجها لان رتب العطايا والمنح من أنصبة القرب اذا كانت غير متناهية كيف ينكر الشوق من المحب فهو غير غائب وغير مشتاق بالنسبة الى ماوجد ولكن يكون مشـتاقا الى مالم يجد من أنصبة القرب وكيف يمنع حال الشوق والامر هكذا ووجه آخر ان الانسان لابد له من أمور يردها بحكم الحال الموضع بشريته وطبيعته وعدم وقوفه على حد العلم الذى يقتضيه حكم الحال ووجود هذه الامور مثيرة لنار الشوق ولا نعنى بالشوق الا مطالبـة تنبعث من الباطن الى الاولى والاعلى من أنصبة القرب وهـذه المطالبة كائنة فى المحبين فالشوق اذا كائن لاوجه لانكاره وقد قال قوم شوق المشاهدة واللقاء أشد من شوق البعد والغيبوبة فيكون فى حال الغيبوبة مشتاقا الى اللقاء ويكون فى حال اللقاء والمشاهدة مشتاقا الى زوائد ومباد من الحبيب وافضاله وهذا هو الذى أراده واختاره انتهى (وهذا كلام) غريب الحال (مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت الى مابقى فى الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا فى الانفراد) عن الخلق (والخلوة) مع الله تعالى (كما حكى ان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى اذ (نزل من الجبل) وكان مختليا به (فقيل من أين أقبلت فقال من

الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلازم التوحش من غير الله بل كل مايعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الاشياء على القلب كما روى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام أحد من الناس الا أخذه الغثيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء فى دعائه يامن آنسنى بذكره وأوحشنى من خلقه وقال الله عز وجل لداود عليه السلام كن لى مشتاقا وبى مستأنسا ومن سواى مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركى مالا يعنينى وأنسى بمن لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له ياراهب لقد أعجبتك الوحدة فقال ياهذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة رأس العبادة فقلت ياراهب ماأقل ماتجده فى الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت ياراهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت ومتى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصارهما واحدا فى الطاعة وقال بعض الحكماء عجبا للخلائق كيف أرادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استأنست بسواك عنك * فان قلت فما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد فى جماعة ومجتمع فى خلوة وغريب فى حضر وحاضر فى سفر وشاهد فى غيبة وغائب فى حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر كما قال على كرم الله وجهه فى وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا مااستوعر المترفون

الانس بالله) يشير الى مقام الانفراد رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق عبد الصمد عن أبيه قال رؤى ابراهيم ابن أدهم خارجا من الجبل فذكره (وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله تعالى بل كل مايعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الاشياء على القلب كما روى) فى بعض الاخبار (ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه) عز وجل (مكث دهرا) أى زمانا طويلا (لا يسمع كلام أحد من الناس الا أخذه الغثيان) وهو تلاعب النفس من باطن وهو من مبادى القىء (لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ماسواه ولذلك قال بعض الحكماء) من المحبين (فى) جملة (دعائه يامن آنسنى بذكره وأوحشنى من خلقه) وما أوحشه من خلقه الا وقد أراد منه أن يأنس به (و) فى الاخبار (قال الله عز وجل لداود عليه السلام) ياداود (كن بى مستأنسا ومن سواى مستوحشا وقيل لرابعة) العدوية رضى الله عنها (بم نلت هذه المنزلة) يعنى فى المحبة (قالت بتركى مالا يعنينى) أى لا يهمنى (وأنسى بمن لم يزل) جل شأنه (وقال عبد الواحد ابن زيد) البصرى رحمه الله تعالى (مررت) فى سياحتى (براهب فقلت ياراهب لقد أعجبتك الوحدة فقال ياهذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة رأس العبادة قلت ياراهب ما أقل ماتجد فى الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت ياراهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة) أى عن شوب المشاركة (قلت ومتى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصارهما واحدا فى الطاعة) قال الخطابى فى كتاب العزلة ولو لم يكن فى العزلة الا السلامة من آفة الرياء والتصنع للناس ومايدفع اليه الانسان اذا كان فيهم من استعمال المداهنة معهم وخداع الموارية فى رضاهم لكان فى ذلك مايرغب فى العزلة ويحرك اليها انتهى وقد تقدم شئ من هذا فى كتاب العزلة (وقال بعض الحكماء) من المحبين فى مناجاته (عجبا للخلائق كيف أرادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استأنست بسواك عنك فان قلت فما علامات الانس) وشواهده (فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق) ان لم يمكنه الهروب منهم (والتبرم بهم) أى التضجر من مخالطتهم (واستهتاره بعذوبة الذكر) حتى يمتزج به لحمه ودمه بحيث لو طرقته ساعة وهو لم يذكر يتغير حاله ويتأسف عليه (فان خالط) وهو هكذا (فهو كمنفرد فى جماعة) وحى فى أموات (ومجتمع فى خلوة وغريب فى حضر وحاضر فى سفر وشاهد فى غيبة وغائب فى حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر) وهو آخر المقامات الثمانية التى عليها مبنى طريقة السادة النقشبندية ويعبرون عنها بقولهم خلوة وراء تجمر يعنى الخلوة فى الجلوة الظاهر مع الخلق والباطن مع الحق اليد بالشغل والقلب بالحق وأنشدوا

ومن داخل كن صاحبا غير غافل * ومن خارج خالط كبعض الاجانب

والى هذا أشارت رابعة رضى الله عنها حيث قالت

انى جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وحكى البيهقى فى الشعب عن على بن سهل الانس بالله أن يستوحش من الخلق الا من أهل ولاية الله عز وجل فان الانس باهل ولاية الله هو الانس بالله تعالى (كما قال على كرم الله وجهه فى وصفهم هم قوم) وذلك فيما رواه أبو نعيم فى الحلية من طرق عن كميل بن زياد قال أخذ على بن أبى طالب بيدى فاخرجنى الى ناحية الجبان فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها فساق الحديث الى ان قال أولئك هم الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها الى نظائرهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم (هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا مااستوعر) منه (المترفون

وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها متعلقة بالمحل الاعلى) وفى رواية بالملأ الاعلى (أولئك خلفاء الله فى أرضه والدعاة الى دينه) هاه هاه شوقا الى رؤيتهم وأستغفر الله لى ولكم اذا شئت فقم وقد ذكر الحديث بطوله مع ذكر أسانيده وشرح ألفاظه واختلاف رواياته فى أول كتاب العلم فراجعه ان شئت (فهذا معنى الانس بالله وهذه علاماته وهذه شواهده) ولنذكر قاعدة تجمع ما أشار اليه المصنف فى هذا الفصل فنقول اعلم أن معرفة العارفين بقرب الله تعالى منهم سبب لقربهم من الله واتصالهم به وعنه تتشعب جملة أحوالهم لان الاحوال نتيجة الصفة المشهودة مع القرب فالقرب أصل لا يفارقه العارفون فان اقترن به شهود الجمال أثمر المحبة والانس وان اقترن بالقرب شهود الجلال أثمر المهابة وان اقترن به شهود الكبرياء أثمر الصغار والانمحاق وان اقترن به ترك المبالاة وشهود السلطان أثمر المخافة وان كان معه العلم أثمر الامان وان اقترن به شهود الغيوب أثمر الغنى عن الاكوان وان اقترن به شهود مزايا الالطاف خيف على عقله من فرحه بالجود والافضال واما الابرار وأحوالهم تنشأ عن العلم بوجود الرب مطلقا مع اقتران العلم باقتداره على المنع والعطاء والسعادة والاشقاء فيتولد من ذلك ما يحثهم على خوفه ورجائه واذا كان القرب بهذه المنزلة العظيمة فلابد من ذكر لمعة منه يستعان بها على ادامة الاحوال نقل القشيرى عن أبى سعيد الخراز انه قال ان حقيقة القرب فقد حس الاشياء من القلب وهدو الضمير الى الله تعالى قال الكمال محمد بن اسحق وهذا الذى ذكره هو الوسيلة لنيل القرب لا نفس القرب لانه سبق ان الطهور شطر الايمان والذى ذكره طهور للقلب عما سوى الله تعالى واذا تطهر عما سوى الله تعالى كان الله حاضرا مع العبد لانه ليس بين العبد وربه الا حجاب نفسه وعوارضها فاذا فنى عن نفسه وعن عوارضها عرف قرب الله وجملة ذلك ان كل ذرة من بدن العالم وبدن الانسان قد تعلق العلم بها كشفا والارادة تخصيصا والقدرة ايجادا وابقاء والصفات لا تفارق الموصوف بل صفاته قائمة بذاته فاذا نطق العارف فلا ينطق بنفسه وان سمع فلا يسمع بنفسه وهكذا ورد الحديث الصحيح كما تقدم فهذا نظر العارف المقرب ولذلك قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقال تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون جاءت الآيات على وزن أفعل للمبالغة فى القرب لعسر الفرق ودقته بين الدال والمدلول فالعارفون يرون ربهم فى الدنيا بعين الايقان والبصائر ويرونه فى الاخرى بالابصار رأى العين فهو قريب منهم فى الدارين وليس قربه فى الاخرى مخالفا لقربه فى الدنيا الا بمزيد الالطاف والعطف والافتقار تقطعت هنا وهنالك قرب المسافة ولم يكن بينه وبين مخلوق اضافة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وهذه المعرفة ثمرة الانس بشرط الصفاء لا محالة (وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والرضا والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله بان جمال المدركات بالبصائر أكمل من جمال المبصرات) بالحواس (ولذة معرفتها أغلب على ذوى العقول) كما تقدمت الاشارة اليه فى أول هذا الكتاب (ومنهم أحمد بن غالب) وكان من أئمة النحو والكلام (يعرف بغلام الخليل) هو الخليل بن أحمد النحوى شيخ النحاة وانما عرف بالغلام لانه لزم الخليل فأكثر القراءة عليه ولولم يخدمه (أنكر على) أبى القاسم (الجنيد وعلى أبى الحسين النورى والجماعة) ممن نحا نحوهم (حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر فاما الرضا فغير متصور) كما سيأتى فى باب الرضا (وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الرضا الا على القشور فظن انه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل فى الخيال فى طريق الدين قشر مجرد ووراءه القلب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره يظن أن الجوز خشب كله ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور) لعدم اطلاعه والوقوف على الكنه (ولكن عذره غير مقبول) عند ذوى التحقيق (وقد قيل) فى ذلك

(الانس بالله لا يحويه بطال * وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب * وكلهم صفوة لله عمال)

والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس بالله وهذه علامته وهذه شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله بان جمال المدركات بالبصائر أكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها أغلب على ذوى القلوب ومنهم أحمد بن غالب يعرف بغلام الخليل أنكر على الجنيد وعلى أبى الحسن النورى والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر فاما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور فظن أنه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل فى الخيال من طريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره يظن أن الجوز خشب كله ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل

الانس بالله لا يحويه بطال * وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب * وكلهم صفوة لله عمال

*(بيان

(بيان معنى الانبساط والادلال الذى تثمره غلبة الانس) اعلم أن الانس اذا دام غلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط فى الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم فى مقام الانس ومن لم يقم فى ذلك المقام ويتشبه بهم فى الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذى أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام ان يسأله ليستسقى لبنى اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام ليستسقى لهم فى سبعين ألفا فأوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعوننى على غير يقين ويأمنون مكرى ارجع الى عبد من عبادى يقال له برخ فقال له يخرج حتى أستجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم يمشى فى طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود فى شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمى برخ قال فأنت طلبتنا منذ حين أخرج فاستسق لنا فخرج فقال فى كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذى بدالك أنقصت عليك عيونك أم عاندت الرياح عن طاعتك أم

(بيان معنى الانبساط والادلال الذى تثمره غلبة الانس)

(اعلم) أرشدك الله (ان الانس) يثمر السكينة والطمأنينة والانبساط والادلال وذلك لان لذة الانس تطير الباب العارفين وتوجب لهم الطغيان لان الانسان يطغى عند الغنى فيمدهم الله بعنايته وتوفيقه وينزل عليهم سكينة فيثبتهم بها ويوقفهم على حد الاعتدال فى آداب الحضرة قال الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وهذه سعادة لا يعطاها كل أحد لان الادب يزيد فى القرب من المحبوب قال الله تعالى هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا ولفظ السكينة ورد فى كتاب الله تعالى على أحوال مختلفة لا شتراكها فى نفس السكون والطمأنينة فوق السكينة لان السكينة صولة تعدل طغيان القلب وتثبته والطمأنينة وجود من بعد اعتدال بفرح واستبشار لمعرفة القلب بالمزيد والطمأنينة مستصحبة مع الانس لانها مقصودة فى نفسها والسكينة وسيلة تحثه على الادب والاعتدال وأما الانبساط والادلال فان الانس (اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق) لقصور نظره على طيب حاله (ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط فى الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة) لا يليق بحال التعظيم والاجلال الموجبين للهيبة (لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم فى مقام الانس) وقد يليق بالمستأنس المنبسط ما لا يليق بالنائب المتضائل وذلك مثل قول عائشة رضى الله عنها لما سمعت قوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء قالت ان ربك ليسارع فى رضاك أو هواك (ومن لم يقم فى ذلك المقام وتشبه بهم فى الفعل هلك به وأشرف على الكفر) عياذا بالله منه (ومثاله مناجاة برخ الاسود الذى أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام ان يسأله يستسقى لبنى اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين) ومنع عنهم المطر (وخرج موسى) عليه السلام (يستسقى لهم فى سبعين ألفا فأوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونى على غير يقين و يأمنون مكرى ارجع الى عبد من عبادى يقال له برخ فقل له يخرج) فيدعو (حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام) بنى اسرائيل (فلم يعرف) لانه كان مجهولا عندهم لا يؤبه به ولا يشار اليه (فبينا موسى) عليه السلام (ذات يوم يمشى فى طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود فى شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمى برخ قال فأنت طلبتنا) أى مطلوبنا (منذ حين أخرج) الى الصحراء (فاستسق لنا) ربك (فخرج) مطيعا له و رفع يديه ودعا (فقال فى) جملة (كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذى بدالك انقصت عليك عيونك أم عاندت الرياح عن طاعتك أم نفد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترينا انك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال) الراوى (فما برح) مكانه (حتى) اجتمع السحاب فى أكناف السماء و(اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وأنبت الله تعالى العشب فى نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال) برخ (كيف رأيت حين خاصمت ربى كيف أنصفنى فهم موسى عليه السلام به) ليؤدبه (فأوحى الله اليه) لا تفعل (ان برخا يضحكنى كل يوم ثلاث مرات) يشير الى انه من ضنائن أوليائه (و) روى (عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى

نفد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترينا انك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى أخضلت بنو اسرائيل بالقطر وأنبت الله تعالى العشب فى نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيت حين خاصمت ربى كيف انصفنى فهم موسى عليه السلام به فأوحى الله تعالى اليه ان برخا يضحكنى كل يوم ثلاث مرات * وعن الحسن

قال احترقت اخصاص بالبصرة فبقي فى وسطها خص لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمير البصرة فأخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فأتي بشيخ فقال ياشيخ مابال خصك لم يحترق قال انى أقسمت على ربي عز وجل أن لايحرقه فقال أبو موسى رضي الله عنه انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون فى أمتي قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لابرهم قال ووقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة انظر لاتحترق بالنار فقال انى أقسمت على ربي عز وجل أن لايحرقني بالنار قال فاعزم على النار أن تطفأ قال فعزمت عليها فطفئت وكان أبو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له أبو حفص ما أصابك فقال ضل حماري ولا أملك غيره قال فوقف أبو حفص وقال وعزتك لاأخطو خطوة مالم ترد عليه حماره قال فظهر حماره فى الوقت ومر أبو حفص رحمه الله * فهذا وأمثاله يجري لذوي الانس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم قال الجنيد رحمه الله أهل الانس يقولون فى كلامهم ومناجاتهم فى خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجدون المزيد فى أحوالهم بذلك وكذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه أشار القائل قوم تخالجهم زهو بسيدهم لو والعبد يزهو على مقدار مولاه تاهوا برؤيته عما سواه له * ياحسن رؤيتهم فى عز ما تاهوا ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني

(قال احترقت أخصاص) جمع خص بالضم اسم لما يبنى من القصب (بالبصرة فبقي فى وسطها خص لم يحترق وأبو موسى) الاشعري رضي الله عنه (يومئذ أمير البصرة) كان ولاه عمر رضي الله عنه بعد عزل المغيرة بن شعبة وأقره عثمان على عمله قليلا ثم عزله بعبد الله بن عامر وسكن أبو موسى الكوفة وولاه عثمان اياها بعد عزل سعيد بن العاص (فأخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فأتي بشيخ فقال) له (ياشيخ مابال خصك لم يحترق فقال انى أقسمت على ربي عز وجل أن لايحرقه فقال أبو موسى) رضي الله عنه صدق الشيخ (انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون فى أمتي قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لابرهم) قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب الاولياء وفيه انقطاع اهـ قلت ورواه أيضا الديلمي ولفظه يكون فى أمتي رجال طلس رؤسهم دنس ثيابهم لو أقسموا على الله لابرهم وأشار بالانقطاع بين الحسن وأبي موسى لما ذكرنا انه حين ولي أميرا بالبصرة لم يكن الحسن قد ولد والمشهور فى الباب حديث أنس ان من عباد الله من لو أقسم على الله لابره ورواه الجماعة الا الترمذي (قال ووقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة) عباد بن عباد (الخواص) ترجمه أبو عبيدة فى الحلية وهكذا سماه وكناه وفي رجال أبي داود رجل هكذا بعينه اسمه عباد بن عباد وكنيته أبو عتبة فقيل هو هو وقد روى صاحب الحلية فى الترجمة من طريق رواد بن الجراح حدثنا عباد بن عباد أبو عتبة عن الاوزاعي فساق حديثا وروى من طريق أبي مسهر قال حدثني أبو عباد الخواص حدثني أبو بكر بن أبي مريم فساق حديثا وروى من طريق حماد بن واقد قال سمعت أبا عبيدة يقول فساق قولا له ومن طريق أبي مسلم الصوري قال كتب عباد ابن عباد الخواص الى اخوانه فساق كلاما له وكل هذا الاختلاف فى ترجمة واحدة فلعله كان يكنى بكل منها وقرأت فى ديوان الضعفاء للذهبي بخطه عباد بن عباد أبو عتبة الارسوفي الخواص وثقه ابن معين وقال ابن حبان كان يأتي بالمناكير فاستحق الترك وقال الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب عباد بن عباد الرملي الارسوفي أبو عتبة الخواص صدوق يهم أفحش ابن حبان فقال يستحق الترك والذي يظهر ان هذا غير الذي ذكر فى القصة فانه بصري وهذا رملي (فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة انظر لاتحترق بالنار فقال انى أقسمت على ربي عز وجل أن لايحرقني بالنار قال فاعزم على النار أن تطفأ قال فعزم عليها فطفئت) فى الحال (وكان أبو حفص) عمر بن سلم الحداد النيسابوري شيخ الجنيد تقدم ذكره (يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي) أي سوادي (مدهوش) أي ذاهل العقل (فقال له أبو حفص ما أصابك قال ضل حماري ولا أملك غيره قال فوقف أبو حفص وقال وعزتك لاأخطو خطوة مالم ترد عليه حماره قال فظهر حماره فى الوقت ومر أبو حفص رحمه الله تعالى) فى شأنه (فهذا وأمثاله مما يجري لذوي الانس) من الانبساط والادلال (وليس لغيرهم أن يتشبه بهم قال الجنيد) قدس سره (أهل الانس يقولون فى كلامهم ومناجاتهم وخلواتهم أشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجدون المزيد فى أحوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم) قال صاحب القوت فلو رأيت أيها المستمع مايكون بينه وبينهم فى سرهم وما يجالسهم به ويحادثهم فى هذه المواطن لكنت تعذرهم فى كل قول وفعل فهؤلاء محكوم عليهم فى أمورهم قد حيل بينهم وبين كثير من العلم المعقول والرسم المنقول ان ما أوجدهم مأخوذ بالعلم المجهول عند ذوي العقول فمراده ساقط وعزمه مفسوخ ومحبته فى الامور منقوضة والخليقة منه فى حيرة (واليه أشار القائل

قوم تخالجهم زهو بسيدهم * والعبد يزهو على مقدار مولاه

تاهوا برؤيته عما سواه له * ياحسن رؤيتهم فى عز ما تاهوا

ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني

لوفطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لاولى البصائر والابصار حتى ينظر وا اليها بعين الاعتبار فانما هي عند ذوى الاعتبار من الاسماء فأول القصص قصة آدم عليه السلام وابليس أما تراهما كيف اشتركا فى اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا فى الاجتباء والعصمة أما ابليس فابلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين وأما آدم عليه السلام فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما فى العبودية سيان ولكن فى الحال مختلفان فقال وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال فى الآخر أما من استغنى فأنت له تصدى وكذلك أمره بالقعود مع طائفة فقال عز وجل واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم وأمره بالاعراض عن غيرهم فقال واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى عليه السلام ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء وقوله فى التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم ذنب وقوله انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى وقوله اننا نخاف أن يفرط علينا أوأن يطغى وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الادب لان الذى أقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام ما دون هذا لما أقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن فى بطن الحوت فى ظلمات ثلاث ونودى عليه الى يوم القيامة لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم * قال الحسن العراء هو القيامة ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به وقيل له فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات

لوفطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لاولى البصائر والابصار حتى ينظر وا اليها بعين الاعتبار فانما هى عند ذوى الاعتبار من الاسمار) أى الحكايات التى يسمر بها فى المجالس (فأول القصص قصة آدم عليه السلام وابليس اما تراهما كيف اشتركا فى اسم المعصية والمخالفة) للاوامر الالهية (ثم تباينا فى الاجتباء والعصمة اما ابليس فابلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين) ولذلك سمى ابليسا وشيطانا من شطن اذا بعد (وأما آدم) عليه السلام (فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى) أى ضل عن رشده (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) فكم بين جناية تسببت الى الطرد من الحضرة الالهية وجناية تسببت الى التقرب منها (وقد عاتب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فى الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما فى العبودية سيان ولكن فى الحال مختلفان فقال وأما من جاءك يسعى) أى يسرع طالبا للخير (وهو يخشى) الله أو اذاية الكفار فى اتيانك أو كبوة الطريق لانه أعمى لا قائد له (فانت عنه تلهى) أى تتشاغل (وقال فى الآخر أما من استغنى فانت له تصدى) أى تتعرض بالاقبال عليه وفى ذكر التلهى والتصدى اشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغى لك والمراد بالاول عبد الله بن أم مكتوم وبالثانى أمية بن خلف وروى ابن أبى حاتم عن ابن زيد لو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيأ من الوحى كتم هذا عن نفسه (وكذلك أمره بالقعود مع طائفة فقال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) كتب ربكم على نفسه الرحمة (وأمره بالاعراض عن غيرهم فقال واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) وهم أهل الصفة وقد تقدم الكلام عليه (فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى عليه السلام ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء وقوله فى التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم على ذنب وقوله انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى) ولا ينطلق لسانى (وقوله اننا نخاف أن يفرط علينا أوأن يطغى وهذا) وأمثاله (من غير موسى عليه السلام) معدود (من سوء الادب) فى الحضرة الالهية (لان الذى أقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلام ما) هو (دون هذا) بكثير وهو ذهابه مغاضبا لقومه قبل أن يؤمر وقيل بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك (لما أن أقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن فى بطن الحوت فى ظلمات ثلاث) بطن الحوت والبحر والليل وكان مدة مكثه فى بطن الحوت أربع ساعات وقيل ثلاثة أيام (ونودى عليه الى يوم القيامة لولا أن تداركه نعمة من ربه) يعنى التوفيق للتوبة وقبولها (لنبذ) أى طرح (بالعراء) أى بالارض الخالية عن الاشجار (وهو مذموم) أى مليم مطرود من الرحمة والكرامة (قال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (العراء هو القيامة ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به وقيل له فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) يونس (اذ نادى) فى بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من الضجرة فتبتلى ببلائه وقال قتادة أى لا تعجل كما عجل ولا تغاضب كما غاضب رواه أحمد فى الزهد وقال وهب كان فى خلق يونس ضيق فلما حملت عليه أثقال النبوة تفسخ منها تفسخ الربع فقذفها من يديه وهرب رواه الحاكم وقال ابن عباس وهو مكظوم أى مغموم رواه ابن أبى حاتم (وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات

و بعضها الماسبق فى الازل من التفاضل والتفاوت فى القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام على يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف فى مقام الانس وأما يحيى بن زكريا عليهما السلام فانه أقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه وانظر كيف

احتمل لاخوة يوسف مافعلوه بيوسف وقد قال بعض العلماء قد عددت من أول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا الى رأس العشرين من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع فى الكلمة الواحدة الثلاث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزير فى مسألة واحدة سأل عنها فى القدر حتى قيل محى من ديوان النبوة وكذلك كان بلعام بن باعوراء من أكابر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته فى الجوارح فعفا عنه فقد روى أن الله تعالى أوحى الى سليمان عليه السلام يا رأس العابدين و يا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصينى ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة فوعزتى وجلالى لئن أخذته عصفة من عصفاتى عليه لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل آصف

على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع رأسه و يديه نحو السماء وقال الهى وسيدى أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب ان لم تتب على وكيف أستعصم ان لم تعصمنى لاعودن فأوحى الله تعالى اليه صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا أستقبل التوبة فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه وفى الخبر ان الله تعالى أوحى الى عبد تداركه بعد ان كان أشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتنى به غفرته لك قد أهلكت فى دونه أمة من الامم فهذه سنة الله تعالى فى عباده بالتفضيل والتقديم والتأخير على ماسبقت به

و بعضها الماسبق فى الازل من التفاضل والتفاوت فى القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال) فى تفاوت مراتبهم (منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولادلاله) وانبساطه (سلم على نفسه فقال والسلام على يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيا) كما أخبر الله تعالى عنه (وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف فى مقام الانس وأما يحيى بن زكريا) عليهما السلام (فانه أقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه) يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيا (وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف) عليهم السلام (مافعلوه بيوسف) عليه السلام وهم يهوذا وروبيل وشمعون ونكشل ولاوى وعبادو أماون وأساحر واستر وجادر ولاوى (وقد قال بعض العلماء قد عددت من أول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا الى رأس العشرين) آية (من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع فى الكلمة الواحدة الثلاث) منها (والاربع فغفر لهم وعفا عنهم) وقبل شفاعة أبيهم واستغفاره فيهم ومنهم من شرفه بالنبوة (ولم يحتمل لعزير) بن شاروخا (فى مسألة واحدة سأل عنها فى القدر) وقصته فى القرآن أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها الآية وكان يحفظ التوراة على ظهر قلبه فلما أحياه الله تعالى بعد مائة عام وكان بختنصر قد أحرق نسخ التوراة كلها جدد لهم التوراة عن ظهر قلبه ولذلك قالوا فيه عزير ابن الله وقد أخرج قصته ابن عساكر من طرق عن كعب ووهب والحسن وابن عباس (حتى قيل محى من ديوان النبوة) بسبب ذلك (وكذلك بلعم بن باعوراء) فى بنى اسرائيل (من أكابر العلماء) وممن كان يعرف الاسم الظاهر (فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك) فغضب الله عليه وكان ما كان وقصته فى القرآن وقد تقدم ذكرها فى كتاب ذم الدنيا (وكان آصف) بن برخيا بن شمو يل بن خالة سيدنا سليمان عليه السلام ووزيره ومعينه قيل هو المراد بقوله تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب قيل كان يعرف الاسم الاعظم لكنه كان (من المسرفين) على نفسه (وكانت معصيته فى الجوارح فعفا عنه فقد روى أن الله تعالى أوحى الى سليمان عليه السلام يا رأس العابدين و يا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصينى ابن خالتك آصف وأنا أحلم عنه مرة بعد مرة فوعزتى وجلالى لئن أخذته عطفة من عطفاتى عليه لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده) أى ليعتبر به المعتبرون (فلما دخل آصف على سليمان أخبره بما أوحى الله تعالى اليه فخرج) آصف (حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع رأسه و يديه نحو السماء وقال الهى وسيدى أنت أنت) أى فى كمال عزك وربوبيتك (وأنا أنا) أى فى كمال ذلى وعبوديتى (فكيف أتوب ان لم تتب على وكيف استعصم ان لم تعصمنى لاعودن) أى الى المعصية (فأوحى الله تعالى اليه) بواسطة سيدنا سليمان عليه السلام (صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم) وبقى على رتبته التى كان عليها وقد رويت عنه العلوم الغريبة من الفلكيات والطلاسم واليه ينتهى اسنادها (وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه وتم الخبر ان الله تعالى أوحى الى عبد تداركه) بتوفيقه وعصمته وحفظه (بعد ان كان أشفى) أى أشرف (على الهلكة) وقال (كم من ذنب واجهتنى به غفرته لك ما) (قد أهلكت فى دونه أمة من الامم فهذه سنة الله تعالى فى عباده بالتفضيل والتقديم والتأخير على ماسبقت به

المشيئة الازلية وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا) أي مضوا (من قبل فما في القرآن شئ الا وهو هدى ونور وتعرف من الله الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وتارة يتعرف لهم بصفات جلاله) وكلاهما يتعلق بذات الله تعالى من سلب نقص واثبات كمال (فيقول) في الاثبات أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون و يقول الله لا اله الا هو الحي القيوم و يقول هو الله الذي لا اله الا هو (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) وأما السلب فكقول الله تعالى قل هو الله أحد الى آخرها وقوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا أي مثيلا ونظيرا فهذه هي المعرفة الخاصة (وتارة يتعرف اليهم في أفعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولا يعدو القرآن هذه الاقسام الثلاثة وهي الارشاد الى معرفة ذات الله وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة افعاله وسنته مع عباده) ولذلك انقسم التوحيد الى ثلاثة أقسام توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الافعال (ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس) أعني به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها (وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن فقال من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن) قال العراقي رواه أحمد من حديث أبي بن كعب باسناد صحيح ورواه البخاري من حديث أبي سعيد ومسلم من حديث أبي الدرداء نحوه اهـ قلت لفظ أحمد من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن وهكذا رواه أبو عبيد والنسائي وابن منيع ومحمد بن نصر والدارقطني في الافراد وابن مردويه والضياء ولفظ البخاري قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وهكذا رواه أيضا أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان ورواه البخاري أيضا من رواية أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان ورواه مسلم بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء وقد روي كذلك بهذا اللفظ من حديث أنس رواه ابن ماجه والطبراني في الاوسط والضياء ومن حديث أبي أيوب رواه النسائي والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن ومن حديث أبي هريرة رواه الترمذي وصححه وابن ماجه ومن حديث ابن مسعود رواه الطبراني في الكبير ومن حديث أبي مسعود الانصاري رواه أحمد وابن ماجه ومن حديث معاذ رواه الطبراني في الكبير ومن حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رواه أحمد والطبراني والبيهقي وقد روي أيضا من حديث ابن عمر بزيادة وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن رواه الطبراني والحاكم وروي من حديث علي رضي الله عنه بلفظ من قرأ قل هو الله أحد مرة واحدة فكأنما قرأ ثلث القرآن ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاثا فكأنما قرأ القرآن كله رواه الرافعي في تاريخه وروى العقيلي من حديث رجاء الغنوي من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع وروى البيهقي من حديث سعد من قرأ قل يا أيها الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن ورواه ابن السني من حديث أبي هريرة بلفظ كانت له كعدل ثلث القرآن وروى أبو نعيم من حديث ابن عباس من قرأ أم القرآن وقل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن (لان منتهى التقديس في أن يكون واحدا في ثلاثة أمور) أحدها (لا يكون حاصلا منهم من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يلد) فقوله لم يلد أي لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه (و) الثاني (لا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد) وذلك لانه لا يفتقر الى شئ ولا يسبقه عدم (و) الثالث (لا يكون في درجته وان لم يكن أصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا أحد) أي ولم يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة وغيرها (ويجمع جميع ذلك قوله تعالى قل هو الله أحد) فاحد يدل على مجامع صفات الجلال والله يدل على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كالوجود والقدرة الذاتية

وتعرف من الله تعالى الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف اليهم في افعاله المخوفة المرجوة فيتلو عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولا يعدو القرآن هذه الاقسام الثلاثة وهي الارشاد الى معرفة ذات الله وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن فقال من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لان منتهى التقديس أن يكون واحدا في ثلاثة أمور لا يكون حاصلا منه من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن أصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا أحد ويجمع جميع ذلك قوله تعالى قل هو الله أحد

والحكمة الالهية التامة المقتضية للالوهية (وجلته) أى معرفته افرادا (تفصيل قول لا اله الا الله) وقولهم العلم بالشئ على الاجمال يناقض العلم على التفصيل على معنى ان الاجمال هو عدم الاطلاع على دقائقه لا بمعنى معرفة الاشياء افرادا ثم جمعها عددا فهذا لا مانع منه فالله دال على الذات الجامعة لصفات الالهية كلها جلالا وجمالا وكمالا حتى لا يشذ منها شئ وسائر الاسماء لا يدل آحادها الا على آحاد المعانى من علم وقدرة أو فعل أو غيره وقد فهم منه انه الوجود الحقيقى الحق وكل ما سواه فانه هالك و باطل الا به (فهذه أسرار القرآن) وجواهره (ولا تتناهى أمثال هذه الاسرار فى القرآن فلا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه ثوروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الاولين والآخرين) وقد روى الديلمى من حديث أنس من أراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن (وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال فى آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منه بانه كلام جبار قاهر مليك قادر وانه خارج عن حد استطاعة البشر وأكثر أسرار القرآن معباة فى طى القصص والاخبار) وهى المرادة من قول ابن مسعود والتمسوا غرائبه (فكن حريصا على استنباطها) من معادنها (لينكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه فهذا ما أردنا أن نذكره من معنى الانس و) معنى (الانبساط) والادلال الذى هو ثمرته (و بيان تفاوت عباد الله تعالى فيه) وظهر مما ذكران من أفعال الله تعالى الجائزة له أن يرضى على قوم بفعل و يغضب به على غيرهم لاختلاف أحوالهم أو لحكمته السابقة فيهم بالتقريب والابعاد ولذلك يغار على كلامه أن يسمعه الا أهل خاصته قال الله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا لانهم لم ينتفعوا بما سمعوه من الآيات ولا بالنظر الى ملكوت السموات والارض للاكنة التى منع الله بها انتفاعهم وعبر عن الستر فى ذلك فقال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم وهذا حجاب الغيرة وحقيقتها حفظ الوقت مع الحق أن يشوبه مشوش شحا عليه فاذا الغيرة من ثمرات الانس وهذه الاحوال لها بالنسبة الى العبد ثلاثة أحوال ان وجدها فى الملا دون الخلاء فهو معلول يجب عليه المحاسبة وأن يطالب نفسه بالعلامات وان وجدها فى الخلاء دون الملا فهو حسن ولكنه ناقص من ذروة الكمال اذ الكمال أن يستوى فى ذلك الخلاء والملا والحضر والسفر والفراغ والشغل لان الفراغ شرط فى البداية لا فى النهاية ومن استقرأ أحوال الانبياء والاولياء وجدها كما وصفنا والله الموفق

(القول فى معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد فى فضيلته)

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقربين) وهو الثامن من مقامات اليقين وجعل صاحب القوت المحبة حالا من مقام الرضا فلذلك قدم الرضا على المحبة وأما صاحب مقاصد المنجيات فذكر الرضا فى آخر مقام التوكل وجعله من لواحقه وهذا لفظه الرضا هو الغاية القصوى فى الدنيا والاخرى بعد النظر الى وجه الله تعالى وله بالنسبة الى السالك منازل ثلاثة الاولى نهاية الصبر أول مقام الرضا والسالك يرتقى من الصبر اليه الثانية بعد التوكل والتفويض والتسليم لان الرضا لا يصلح الا بعد القضاء فاذا توكل العبد على مولاه واستسلم للقضاء به فحينئذ تجرى عليه المقادير بما حكم الله فى الازل فحينئذ يجب الرضا الثالثة يكون ثمرة المحبة وهو الاغلب فى الوقوع والاشرف عند الله تعالى لان بذلك تحلو البلايا والرزايا وماسوى هذا حديث نفس لو طولب النفس بالامتحان فيه لم يجده الطالب شيأ فلما رأيته يليق بهذه المنازل الثلاثة توسطت الامر وجعلته بعد التوكل لان الحاجة اليه فى هذه الحالة مما تعم به البلوى وهو أيضا كغيره من المقامات ينتظم من علم وحال وعمل أما العلم فاعلم ان العلم الذى يورث حال الرضا هو العلم بكمال صفات الله تعالى وجمالها وجلالها فيما حكم به فى الازل من شقاء واسعاد وتقريب وابعاد وشدة ورخاء وان ذلك على أكمل الحالات وأرفع الدرجات وهذا العلم بعينه هو الذى يوجب التسليم والتفويض الا أن الفرق بينهما و بين الرضا ان التفويض والتسليم قبل وقوع المقضى به والرضا بعد وقوع المقضى به و بالرضا يظهر صدق المقامات كلها واعتقاد هذا العلم واجب لانه من الايمان بالله يراد لذاته ولغيره اما كونه مراد الذاته فلانه معرفة بالله مقصودة فى نفسها واما كونه يراد

لغيره

وجلته تفصيل قول لا اله الا الله فهذه أسرار القرآن ولا تتناهى أمثال هذه الاسرار فى القرآن ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه ثوروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الاولين والآخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال فى آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر مليك قادر وانه خارج عن حد استطاعة البشر وأكثر أسرار القرآن معباة فى طى القصص والاخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه فهذا ما أردنا ذكره من معنى الانس والانبساط الذى هو ثمرته وبيان تفاوت عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى أعلم

(القول فى معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد فى فضيلته)

اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقربين

لغيره فلانه يذهب عن القلب الهم والغم والحزن والسخط ويجلب اضدادها من الفرح والسرور والاستبشار ويستفيد بذلك عدالانفاس مع الله والسلامة من اضاعة الاوقات وقال القشيري قد اختلف العراقيون والخراسانيون في الرضا هل هو من الاحوال أو من المقامات فاهل خراسان قالوا الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل ومعناه يؤل الى أنه مما يتوصل اليه العبد باكتسابه وأما العراقيون فانهم قالوا الرضا من جملة الاحوال وليس ذلك كسبا للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الاحوال ويمكن الجمع بين القولين فيقال بداية الرضا مكتسب للعبد وهي من المقامات ونهايته من جملة الاحوال وليست بمكتسبة (و) اما (حقيقته) فانها (غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والايهام غير منكشف الالمن علمه الله تعالى التأويل وفقهه في الدين فقد أنكر منكرون قصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان أمكن الرضا بشئ لانه فعل الله تعالى فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس) رضي الله عنه (حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) هكذا رواه أحمد وابن حبان والحاكم وقد تقدم في كتاب العلم وقد روى البخاري من حديثه بالشطر الاول فقط ورواه أحمد أيضا والطبراني وأبو نعيم بلفظ اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل ورواه كذلك ابن سعد والحاكم وروى من حديث ابن عمر اللهم بارك فيه وانشر منه قاله لابن عباس رواه صاحب الحلية وروى ابن ماجه وابن سعيد والطبراني من حديث ابن عباس اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب وقال صاحب القوت واعلم ان الرضا من مقامات اليقين وأحوال المحبين ومشاهدة المتوكلين وهو داخل في كل أفعال الله تعالى لانها عن قضائه لا يكون في ملكه الاما قضاه فعلى العارف به الرضا بالقضاء ثم يرد ذلك الى تفصيل العلم وترتيب الاحكام فما كان من خير وبر أمر به أو ندب اليه رضي به العبد وأحبه شرعا وفعلا ووجب عليه الشكر وما كان من شر نهى عنه وتهدد عليه فعلى العبد أن يرضى به عدلا وقدرا ويسلمه لمولاه حكمة وحكما وعليه أن يصبر عنه ويقر به ذنبا ويعترف به لنفسه ظلما ويرضى بعود الاحكام عليه بالعقاب وان اجترحه بجوارحه اكتسابا ويرضى بان لله سبحانه عليه الحجة البالغة وأن لا عذر له فيه ويرضى بانه في مشيئة الله من عفو عنه برحمته وكرمه ان شاء أو عقوبة بعدله وحقه ان شاء لان الموقنين والمحبين لا يسقطون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا ينكرون انكار المعاصي وكراهتها بالالسنة والقلوب من قبل ان الايمان فرضها والشرع وردبها ولان الحبيب كرهها فكانوا معه فيما كره كما كانوا معه فيما أحب ومقام اليقين لا يسقط فرائض الايمان ومشاهدة التوحيد لا تبطل شرائع الرسول ولا تسقط اتباعه فمن زعم ذلك فقد افترى على الله ورسوله وكذب على الموقنين والمحبين فمن رضي بالمعاصي والمناكير منه أو من غيره وأحب لاجلها ووالى ونصر عنها وادعى ان ذلك يدخل في مقام الرضا الذي يجازى عليه أو انه حال الراضين الذين وصفهم الله تعالى ومدحهم فهو مع الذين ذمهم الله ومقتهم ثم ذكر جملة من الآيات والاخبار والآثار ثم قال وقد غلط في باب الرضا بعض البطالين من المتأخرين ممن لا علم له ولا يقين فحمل الرضا على ما يكون منه من معصية وهوى فحمله بالتفصيل وقلة فقهه بعلم التأويل ولاتباعه ما تشابه من التنزيل طلبا للفتنة وغربة الحال وابتداعا في القول والفعال أولهواه في العصيان والفسوق وأراد أن يقيم بذلك عند الجاهلين سوق معذرة له وتطريقا اليه ولو عصم من الهوى لاستراح ولو زهد في الدنيا لاراح ولو كان علمه للتأويل الله الفتاح العليم لافلح واعلم الناس من علمه فربح وأربح وانى له بذلك والهوى يقلبه والبلاء المعقود به بعمره وانما يعلم التأويل منزل التنزيل ألم تسمع الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وبطلان قول هذا أوضح من أن يدل على فساده فكفونا عن مناظرته بطرده وابعاده والاشتغال بالبطال بطالة لان أوقاته قد ضاعت فيضيع وقت غيره بذكرها ثم قال وقد يحتج أيضا بطال لبخله وقلة مواساته وبذله أو يعتل لاتساعه في أمر الدنيا واستئثاره على الفقراء ان الذي يمنعه من البذل

وحقيقته غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والايهام غير منكشف الالمن علمه الله تعالى التأويل وفهمه وفقهه في الدين فقد أنكر منكرون تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان أمكن الرضا بكل شئ لانه فعل الله فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل

والايثار اوالزهد فيما فى يديه والاخراج رضاه بحاله وقلة اعتراضه على مجريه فيه وان هذا من مقام الرضا خص به عند نفسه وهذا قول لاعب ذى هوى وهو من خدع النفوس وأمانيها ومن غرور العدوّ ومكايده لان الرضا لايمنع من اختيار الفقر والضيقة لمعرفة الراضى بفضل الزهد وأوصافه كيف تكون وحب مولاه للفقر ولمقته على التكاثر فالرضا لايأمر بالاستكثار والاتساع لما كره من النعمة والاستكثار لان الرضا يأمر بما أمر الايمان به اذا كان مقاما فيه فهو لايوقف عما ندب اليه العبد ولايدخل فيما كره له من فضول الدنيا انما يوقف من ذلك غلبة الهوى ويدخل فيه محبة الدنيا وهما مذمومان فى العلم وعند العلماء تأمر به النفس الامارة بالسوء ويوسوس به العدوّ بالهمز والحطم وهذه مذمومات وأحالها بجهله على الرضا وهذه اغترارات من النفس لها وتمويه على الخلق ليسلم منه ولاعذر له فهذا عند مالكه ولا سلامة له فيه من خالقه ولا مقام له فى الرضا عند العلماء من أهل الرضا اهـ (فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم بذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم بذكر مايظن انه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصى) والمناكير

(بيان فضيلة الرضا)

(أما من الآيات فقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه) فرضا الرب سبحانه سبب لرضا العبد عن الله ورضا العبد بالله وعن الله سبب لرضا الله عن عبده والرضا الاوّل ذاتى لتعلقه بتخصيص الارادة والرضا الثانى فعلى لانه ثواب الله يفيضه على عبده الراضى زيادة على جزائه ثم قال ذلك لمن خشى ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير (وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى) وروى البيهقى فى الشعب عن أبى سعيد الخراز قال فى معنى الآية هل جزاء من انقلع من نفسه الا التعلق بربه وهل جزاء من انقطع عن أنس المخلوقين الا الانس برب العالمين وهل جزاء من صبر علينا الا الوصول الينا ومن وصل الينا هل يجمل به ان يختار علينا وهل جزاء التعب فى الدنيا والنصب فيها الا الراحة فى الآخرة وهل جزاء من صبر على البلوى الا التقرب الى المكون وهل جزاء من سلم قلبه الينا ان نجعل توليه الى غيرنا وهل جزاء من بعد عن الخلق الا التقرب الى الحق وفى حديث ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة تفرد به ابراهيم بن محمد الكوفى وهو منكر وسئل ذو النون المصرى عن هذا فقال معناه هل جزاء من أحسنت اليه الا ان احفظ احسانى عليه فيكون احسانا الى احسان (وقال تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر) وناهيك به شرفا انه يثمر رضوان الله (فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن) وهى من أعلى الجنان (كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) والذكر عند الذاكرين المشاهدة (فكما ان مشاهدة المذكور فى الصلاة أكبر من الصلاة) وهذا أحد الوجهين (فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطالب سكان الجنة) والوجه الثانى ذكر الله تعالى للعبد أكبر من ذكر العبد لله تعالى (و) قد رفع الله تعالى الرضا منه فوق ما أعطى من النظر كما (فى الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك) قال العراقى رواه البزار والطبرانى فى الاوسط من حديث أنس فى حديث طويل بسند فيه لين وفيه فيتجلى لهم فيقول أنا الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل كرامتى فسلونى فيسألونه الرضا ورواه أبو يعلى بلفظ ثم يقول ماذا تريدون فيقولون ربنا رضوانك الحديث ورجاله رجال الصحيح اهـ قلت وبخط الحافظ ابن حجر وفى الباب عن جابر فى الشعب للبيهقى وحذيفة فى مسند البزار قلت لفظ حديث جابر يقول الله تعالى يا أهل الجنة بقى لكم شئ تنالونه فيقولون وماهو يا ربنا فيقول رضوانى رواه كذلك الحكيم فى النوادر وروى القشيرى فى الرسالة بسنده الى محمد بن المنكدر عن جابر رفعه بينا أهل الجنة فى مجلس لهم اذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم فقال يا أهل الجنة سلونى قالوا نسألك الرضا عنا قال رضاى أحلكم دارى وأنالكم كرامتى هذا أوانها فسلونى قالوا نسألك الزيادة قال فيؤتون بنجائب من

فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر مايظن انه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصى

(بيان فضيلة الرضا)

(أما من الآيات) فقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فكما ان مشاهدة المذكور فى الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان وفى الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك

فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل وأما رضا العبد فسنذكر حقيقته وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه
في حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته اذ تقصر أفهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه

ياقوت ثم ساق الحديث وفيه حتى تنتهي بهم الى جنة عدن قال فيكشف عنهم الحجاب فينظرون الله عز وجل
الحديث بطوله ورواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن أبي حاتم والآجري في الشريعة وابن مردويه
أيضا بلفظ بينا أهل الجنة في نعيم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم
فقال السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قول الله تعالى سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه
حتى يحتجب عليهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم (فسؤالهم الرضا بعد النظر) اليه (نهاية التفضيل)
ومن ذلك ما روي في حديث أبي سعيد الخدري ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا
وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم
أفضل من ذلك فيقولون يا رب وأي شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا رواه
أحمد والشيخان والترمذي وابن حبان (وأما رضا العبد) بالله وعن الله وفي الله (فسنذكر حقيقته) فيما بعد
(وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تعالى للعبد ولا يجوز أن يكشف
عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه) وغاية ما يقال ان العصمة ظاهر الرحمة والرحمة أول الرضا من الله
فالعصمة من الله تعالى لعبده دليل الرحمة منه ثم تدخله الرحمة في مقام المحبة وهذه رحمة المحبوبين ثم ترفعه المحبة
الى مقام الرضا فتكون المحبة مقامه عن شهادة محبوب ويكون الرضا حاله في جميع تصريف البنية والمطلوب
(ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سألوا الرضا لانه سبب دوام
النظر فكأنهم رأوا غاية الغايات وأقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا الا دوامه
وعلموا ان الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب) أي بالرضا دام لهم النظر فلما كان الرضا موجب النظر سألوا دوام
الرضا ليدوم القرب والنظر فسألوا تمام النعمة من حيث بدايتها قال صاحب القوت ولا يصلح ان يظهر معنى
قولهم رضاك أكثر من هذا ولا يرسم في كتاب حقيقة الامر عن كشف وصف من صفاته الذاتية موجبة على
العبد هيبة الربوبية وخوف هذا عن القلوب محجوب في حكمه من سائر الغيوب وهو في الدنيا ثواب لاهل
الخشية عن معرفة خاصة قال الله تعالى ذلك لمن خشي ربه (وقال تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه
يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في
الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد
ذلك على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك
أفضل من الهدية فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي من النعيم الذي هم فيه) نقله صاحب القوت
(فهذا أفضل رضا الله تعالى) عن العبد (وهو ثمرة رضا العبد) عن الله تعالى وقد قيل في قوله تعالى ورضوان
من الله أكبر ان الرضوان جزاء أهل الذكر الاكبر وهو أحد المعاني في قوله صلى الله عليه وسلم من شغله ذكري
عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين في الرضا عنه لان السائلين سألوه لهم فأعطاهم العفو والذاكرين
ذكروه فأعطاهم الرضا منه ويكون أيضا معناه النظر الى لان الذكر يخرج الى النظر فقابل النظر اليه
اليوم بالنظر اليه غدا كما واجه الوصف بالوصف في قوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة وفي حديث أبي موسى ان
الله عز وجل يتجلى لنا ضاحكا والرضا هو حال الموقن واليقين هو حقيقة الايمان (وأما الاخبار فقد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء
ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة) تقدم في كتاب العلم (وفي خبر آخر
انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء) تقدم أيضا في كتاب العلم فأشهد لهم بالايمان الا بعد

وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سألوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا الا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي من النعيم الذي هم فيه فهذا أفضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد وأما من الاخبار فقد روي أن
النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون
فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر انه قال حكماء
علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء

وفى الخبر طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى عنه بالقليل من العمل وقال ايضا اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وقال ايضا اذا كان يوم القيامة انبت الله تعالى لطائفة من امتى اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون مارأينا حسابا فتقول لهم هل جزتم الصراط فيقولون مارأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون مارأينا شيأ فتقول الملائكة من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول نشدنا كم الله حدثونا ما كانت أعمالكم فى الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله فيقولون وماهما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم يامعشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والافلا وفى أخبار موسى عليه السلام ان بنى اسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهى قد سمعت ما قالوا فقال ياموسى قل لهم يرضون عنى حتى أرضى عنهم ويشهد لهذا الخبر

وصف الرضا وكذلك جعل لقمان الحكيم الرضا من شرط الايمان لايصلح الابه فقال فى وصيته للايمان أربعة أركان لايصلح الابهن كما لايصلح الجسد الاباليدين والرجلين ذكر منها الرضا بقدر الله تعالى (وفى الخبر طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به) رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد بلفظ وقنع به وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل) قال العراقى رويناه فى أمالى المحاملى باسناد ضعيف من حديث على ومن طريق المحاملى رواه الديلمى فى مسند الفردوس اهـ قلت هذا اللفظ ساقه البيهقى فى الشعب من حديث على وفى لفظ له من رضى بالله باليسير من الرزق الخ وقد رواه المحاملى من طريق على بن الحسين بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده ولفظه انتظار الفرج من الله عبادة ومن رضى بالقليل من الرزق رضى الله عنه بالقليل من العمل ورواه كذلك ابن أبى الدنيا فى الفرج وابن عساكر (وقال) صلى الله عليه وسلم (أيضا اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضى اصطفاه) قال صاحب القوت رويناه من طريق أهل البيت وقد تقدم قريبا نحوه من حديث أبى عتبة الخولانى ان الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا ابتلاه فاذا ابتلاه اقتناه الحديث رواه الطبرانى وابن عساكر ولابن أبى الدنيا فى المرض والكفارات من حديث أبى سعيد بسند لين ان الله اذا أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره (وقال) صلى الله عليه وسلم (أيضا اذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتى أجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون مارأينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون مارأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون مارأينا شيأ فتقول الملائكة من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون نشدنا كم الله حدثونا ما كانت أعمالكم فى الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وماهما فيقولون كنا اذا خلونا نستحى أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا) نقله صاحب القوت فقال ورويناه حديثا حسنا عن حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة فساقه وقال العراقى رواه ابن حبان فى الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمى من حديث أنس مع اختلاف وفيه حميد بن على القيسى ساقط هالك والحديث منكر مخالف للقرآن والاحاديث الصحيحة فى الورود وغيره اهـ قلت حميد بن على القيسى لم أجد له ذكرا فى ديوان الضعفاء للذهبى ولا فى ذيله فلينظر وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو بكر الطلحى حدثنا عبيد بن غنام حدثنا جعفر بن أبى الحسن الخوارزمى حدثنا عبد الله ابن عبيد الله بن اسحق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال حدثنى أبى عن الحصين بن حذيفة عن أبيه عن أبى صيفى عن أبيه صهيب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهاجرون هم السابقون الشافعون المدلون على ربهم والذى نفسى بيده انهم ليأتون يوم القيامة وعلى عواتقهم السلاح فيقرعون باب الجنة فيقول لهم الخزنة من أنتم فيقولون نحن المهاجرون فيقول لهم الخزنة هل حوسبتم فيجثون على ركبهم وينثرون مافى جعابهم ويرفعون أيديهم فيقولون أى رب أبهذه نحاسب لقد خرجنا وتركنا المال والاهل والولد فيجعل الله لهم أجنحة من ذهب مخوصة بالزبرجد والياقوت فيطيرون حتى يدخلوا الجنة فذلك قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الى قوله لغوب قال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهم بمنازلهم فى الجنة أعرف منكم بمنازلكم فى الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والافلا) تقدم فى كتاب الفقر والزهد بلفظ يامعشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم الحديث وانه رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وهو ضعيف فيه أحمد بن الحسن بن أبان متهم بالكذب (وفى أخبار موسى عليه السلام ان بنى اسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهى قد سمعت ما قالوا فقال ياموسى قل لهم يرضون عنى حتى أرضى عنهم) نقله صاحب القوت قال (ويشهد لهذا)

الخبر (ماروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب أن يعلم ماله عند الله عزوجل فلينظر ما لله عزوجل عنده فان الله تعالى ينزل العبد من حيث أنزله العبد من نفسه) قال وحدثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن همدان ابن مالك القطعي بهذا الحديث فرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال العراقي رواه الحاكم من حديث جابر وصححه بلفظ منزلته ومنزلة الله اهـ قلت ورواه الدارقطني في الافراد وابن النجار من حديث أنس بلفظ من أراد أن يعلم ماله عند الله عز وجل فلينظر ما لله عزوجل عنده ورواه كذلك أبو نعيم من حديث أبي هريرة (وفي أخبار داود عليه السلام) أوحى الله تعالى الى داود ياداود (مالاوليائي والهم بالدنيا ان الهم) بالدنيا (يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم) نقله صاحب القوت ورواه البيهقي في الشعب عن بشر بلفظ ياداود انما خلقت الشهوات واللذات لضعفاء عبادي أما الابطال فمالهم وللشهوات واللذات ياداود فلا تعلقن قلبك بشئ منها فادنى ما أعاقبك به ان أسلب حلاوة حبي من قلبك وقد تقدم وفي لفظ آخر (ياداود ان محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين ولا يغتمون) اياك والغم ولا تهتم بالخبز وأنت تريدني كذا في القوت وقال في موضع آخر وقد روينا في أخبار داود عليه السلام ان الله عزوجل أوحى اليه تزعم انك منقطع الي وتدعي عشقي وتسيء الظن بي الق كنفك بين يدي أكن أختارك فان محبتي من عبادي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون مصابيح القلوب كن واحدانيا سم العباد الى هنالك أرفع النور لك شاهد المخلوقين ببدنك وقلبك فاذا كنت كذلك قضيت ما عليك وبقي ما علي في كلام نحوه قال في آخره ولا تهتم بالخبز وأنت تريدني آثر هواي على هواك واغضب لي أشد مما تغضب لنفسك وقد تقدم بعضه قريبا (وروي ان موسى عليه السلام قال يارب دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله فاوحى الله اليه ان رضائي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره قال يارب دلني عليه قال فان رضائي في رضاك بقضائي) نقله صاحب القوت وقال القشيري وقيل قال موسى عليه السلام الهي دلني على عمل اذا عملته رضيت عني فقال انك لا تطيق ذلك فخر موسى ساجدا متضرعا فاوحى الله اليه يا ابن عمران ان رضائي في رضاك بقضائي اهـ وقال صاحب القوت وروينا هذا على وجه آخران بني اسرائيل سألوا موسى عليه السلام فقالوا علمنا في أي شئ رضا ربنا عزوجل لنفعله فاوحى الله اليه قل لهم رضائي ان ترضوا بقضائي (وفي مناجاة موسى عليه السلام يارب أي خلقك أحب اليك قال من اذا أخذت منه المحبوب سالمني قال فاي خلقك أنت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي) نقله صاحب القوت قال (وقد روي ماهو أشد من ذلك) كله (وهو ان الله تعالى قال أنا الله لا اله الا أنا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوائي) قال العراقي رواه الطبراني في الكبير وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هند الداري مقتصرا على قوله من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليلتمس ربا سوائي واسناده ضعيف اهـ قلت وكذلك رواه أبو نعيم في الصحابة وابن عساكر كلهم من طريق سعيد بن زياد بن فائد بن زياد بن أبي هند الداري عن أبيه زياد كشداد عن أبيه فائد بالفاء عن أبيه زياد عن أبيه أبي هند قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يعني عن ربه فساقه قال الحافظ في الاصابة فائد وولده ضعيفان وروى الشيرازي في الالقاب من حديث علي قال لي جبريل قال الله عزوجل يامحمد من آمن بي ولم يؤمن بالقدر خيره وشره فليلتمس ربا غيري وفيه محمد بن علاثة الكرماني وروى البيهقي وابن النجار من حديث أنس قال الله عزوجل من لم يرض بقضائي وقدري فليلتمس ربا غيري ورواه الخطيب بلفظ من لم يرض بقضاء الله ويؤمن بقدر الله فليلتمس الها غير الله عز وجل (ومثله في الشدة قوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني) نقله صاحب القوت وقال العراقي لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني في الاوسط من حديث أبي امامة خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين الحديث واسناده ضعيف اهـ قلت وتمام حديث أبي امامة وعرشه على الماء فاخذ أهل اليمين بيمينه وأخذ اهل الشمال بيده الاخرى وكلتا يدي الرحمن يمين فقال يا أصحاب اليمين فاستجابوا لله فقالوا لبيك ربنا وسعديك

ماروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب أن يعلم ماله عند الله عزوجل فلينظر ما لله عزوجل عنده فان الله تبارك وتعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه وفي أخبار داود عليه السلام مالاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم ياداود ان محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون وروي أن موسى عليه السلام قال يارب دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضاي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره قال يارب دلني عليه قال فان رضاي في رضاك بقضائي وفي مناجاة موسى عليه السلام أي رب أي خلقك أحب اليك قال من اذا أخذت منه المحبوب سالمني قال فاي خلقك أنت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي وقد روي ماهو أشد من ذلك وهو ان الله تعالى قال أنا الله لا اله الا أنا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوائي ومثله في الشدة قوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه السلام انه قال قال الله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني

وفى الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر
على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفى الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء شكا الى الله عزوجل الجوع والفقر والقمل
عشر سنين فما أجيب
الى ما أراد ثم أوحى الله
تعالى اليه كم تشكو
هكذا كان بدؤك عندى
فى أم الكتاب قبل أن
أخلق السموات والارض
وهكذا سبق لك منى
وهكذا قضيت عليك قبل
أن أخلق السموات
أفتريد أن أعيد خلق
الدنيا من أجلك أم
تريد أن أبدل ماقدرته
عليك فيكون ماتحب
فوق ماأحب ويكون
ماتريد فوق ماأريد
وعزتى وجلالى لئن تلجلج
هذا فى صدرك مرة أخرى
لامحونك من ديوان النبوة
وروى أن آدم عليه السلام
كان بعض أولاده الصغار
يصعدون على بدنه
و ينزلون يجعل أحدهم
رجله على أضلاعه كهيئة
الدرج فيصعد الى رأسه
ثم ينزل على أضلاعه كذلك
وهو مطرق الى الارض
لاينطق ولا يرفع رأسه
فقال له بعض ولده ياأبت
أماترى مايصنع هذا بك
لونهيته عن هذا فقال
يابنى انى رأيت مالم تروا
وعلمت مالم تعلموا انى
تحركت حركة واحدة
فاهبطت من دار الكرامة
الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقاء فاخاف أن أتحرك أخرى فيصيبنى مالا أعلم وقال أنس بن مالك رضى الله عنه
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ لم أفعله لم لا فعلته ولا قال فى شئ كان ليته لم يكن ولا فى شئ
لم يكن ليته كان وكان اذا خاصمنى مخاصم من أهله يقول دعوه لوقضى شئ لكان

قال ألست بربكم قالوا بلى قال يا أصحاب الشمال فاستجابوا لله فقالوا لبيك ربنا وسعديك قال ألست بربكم قالوا بلى
فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم رب لم خلطت بيننا قال لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم
القيامة انا كنا عن هذا غافلين ثم ردهم فى صلب آدم فاهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها قيل يارسول فما الاعمال
قال يعمل كل قوم بمنزلتهم وهكذا رواه عبد بن حميد والحكيم والعقيلى وأبو الشيخ فى العظمة وابن مردويه
وقال صاحب القوت وفى الخبر أول ما كتب الله تعالى لموسى عليه السلام انى أنا الله لا اله الا أنا من رضى بحكمى
واستسلم لقضائى وصبر على بلائى كتبته صديقا وحشرته مع الصديقين يوم القيامة قلت رواه الديلمى من حديث
ابن عباس بلفظ أول شئ كتبه الله فى اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم انه من استسلم لقضائى ورضى
بحكمى وصبر على بلائى بعثته يوم القيامة مع الصديقين (وفى الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير
والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل
ثم ويل لمن قال لم وكيف) كذا نقله صاحب القوت قال العراقى رواه ابن شاهين فى شرح السنة من حديث
أبى امامة بسند ضعيف اهـ قلت وروى الطبرانى من حديث ابن عباس ان الله تعالى قال أنا خلقت الخير
والشر فطوبى لمن قدرت على يديه الخير وويل لمن قدرت على يديه الشر (وفى الاخبار السالفة ان نبيا من
الانبياء شكا الى الله عزوجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب الى ما أراد ثم أوحى الله اليه كم
تشكو هكذا كان بدؤك عندى فى أم الكتاب قبل ان أخلق السموات والارض وهكذا سبق لك منى وهكذا
قضيت عليك قبل ان أخلق الدنيا أفتريد أن أعيد الدنيا من أجلك أم تريد ان أبدل ماقدرت عليك فيكون
ماتحب فوق ماأحب ويكون ماتريد فوق ماأريد وعزتى وجلالى لئن تلجلج فى صدرك هذا مرة أخرى لامحونك
من ديوان النبوة) نقله صاحب القوت (وروى) فى بعض الاخبار (ان آدم عليه السلام كان بعض أولاده
الصغار يصعدون على بدنه و ينزلون يجعل أحدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد على رأسه ثم ينزل
على اضلاعه كذلك وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا أبت أماترى مايصنع
هذا بك لونهيته عن هذا فقال يابنى انى رأيت مالم تروا وعلمت مالم تعلموا انى تحركت حركة واحدة فاهبطت من
دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقاء فاخاف أن أتحرك حركة أخرى فيصيبنى مالا أعلم)
نقله صاحب القوت قال وروينا فى بعض الاخبار انه قال ان الله تعالى ضمن لى ان حفظت لسانى أن يردنى
الى الدار التى أخرجنى منها (وقال أنس بن مالك) رضى الله عنه (خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر
سنين فما قال لى لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ لم أفعله لم لا فعلته ولا قال فى شئ كان ليته لم يكن ولا فى شئ لم يكن
ليته كان وكان اذا خاصمنى مخاصم من أهله يقول دعوه لوقضى شئ لكان) ولفظ القوت خدمت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشر سنين ليس كل امرئ كما يريد صاحبه ماقال لى لشئ فعلته لم فعلته ثم ساقه وفى آخره وكان
صلى الله عليه وسلم يقول لوقضى شئ لكان وفى بعض أخباره وان خاصمنى مخاصم قال دعوه لوقضى شئ كان
هذا لفظ ثلاثة أحاديث وهذا وصف الراضى الموقن بشهادته وقد رويت لفظة مجملة فى شيئين متضادين
مابعثنى النبى صلى الله عليه وسلم فى حاجة قضيت أو لم تقض الا قال لوقضى شئ كان فهذا اذا كان اللفظ راجعا
على الوصفين فالمعنى فيما قضى أيضا أى لوقضى أن لا يقضى فاستوى عنده فى القضاء ماقضى لانه قد قضى أن
يقضى ومالم يقض لانه لم يسبق فيه القضاء وقد يصلح فى هذا الوجهان لكل حاجة تقدير امن الوهم فكانها وان
قضيت الا انها غير ماتصور فى وهمه قال لوقضى ذلك لكان فان كان اللفظ عائدا على مالم يقض وحده لان ماقضى
فقد ظهر وبان بلا مسئلة فيكون هذا بمعنى قوله فى قصة ذى اليدين كل ذلك لم يكن وقد كان أحدهما وهو

النسيان

ويروى أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود انك تريد وأريد وانما يكون ما أريد فان سلمت لما أريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما أريد *(وأما الآثار)* فقد قال ابن عباس رضي (٦٥٣) الله عنهما أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز مابقي لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله تعالى وقال ميمون ابن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن أبي رواد ليس الشأن في أكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشان في الرضا عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود لان ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب الي من أن أقول لشئ كان ليته لم يكن أو لشئ لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال اني لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني وروى في الاسرائيليات أن عابدا عبد الله دهرا طويلا فارى في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسأل عنها الى أن وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر الى عملها فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال أمالك عمل غير ما رأيت فقالت ماهو والله الا ما رأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي في ان كنت في شدة لم أتمن ان أكون في رخاء وان كنت في مرض لم أتمن أن أكون صحة وان كنت في الشمس لم أتمن ان أكون في الظل

النسيان وهذا أيضا فيه لطيفة يحتملها التأويل أن يريد كل ذلك بمجموعه مالم يكن فهذا يرجع بمعنى قوله فيما قضى لو قضى أن لا يقضى كأن مالم يقض قد قضى أن يقضى رجع القضاء عليهما سواء كان صلى الله عليه وسلم يرضى بما قضى كيف قضى على ما تصوره الوهم أو بخلافه ويرضى بما لم يقض لان القضاء فيهما سواء فينبغي أن يكون الرضا بهما سواء فبالنظر في هذه الدقائق والوقوف عندها رفع القدم عند الله تعالى الى مقام المقربين وبالتهاون بها والغفلة تعلقت القلوب ففسدت حين لم يصلح للمحبة والرضا اهـ وقول أنس المذكور خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ تقدم له في كتاب أخلاق النبوة بلفظ والذي بعثه بالحق ما قال في شئ قط كرهه لم فعلته ولا لامني أحد من أهله الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقد روى الشيخان من حديث أنس ما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وروى أبو الشيخ في كتاب الاخلاق من حديثه فيه ولا أمرني بامر فتوانيت فيه فعاتبني عليه فان عاتبني أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شئ كان وفي رواية له كذا قضي وروى الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديثه دعوه فانه لو قضي شئ لكان وعند الدارقطني في الافراد وأبي نعيم في الحلية لو قضي كان أو قدر كان (ويروى) في بعض الاخبار (ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود تريد وأريد وانما يكون ما أريد) نقله صاحب القوت (وأما الآثار فقد قال ابن عباس) رضي الله عنه (أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة) أي ليدخلها (الذين يحمدون الله تعالى على كل حال) أي في السراء والضراء (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى لقد أصبحت و (مابقي لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله تعالى) وقال أبو عبد الرحمن البناجي من عباد الله خلائق يستحيون من الصبر يتلقفون مواقع أقداره بالرضا تلقفا (وقال ميمون بن مهران) الجزري رحمه الله (من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ان لم تصلح على تقدير الله تعالى لم تصلح على تقدير نفسك وقال) أبو عبد الرحمن (عبد العزيز بن أبي رواد) بفتح الراء وتشديد الواو صدوق عابد روى له الاربعة أسند عن كبار التابعين (ليس الشأن في أكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل) وقد كان ذهب بصر عبد العزيز هذا منذ عشرين سنة فلم يعلم به أهله ولا ولده فتأمله ابنه ذات يوم فقال يا أبت ذهبت عينك قال نعم يا بني الرضا عن الله أذهب عين أبيك (وقال عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه (لان ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب الي من ان أقول لشئ كان ليته لم يكن أو لشئ لم يكن ليته كان) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي الحكم أو الحكم عن أبي وائل عنه قال ما أحد من الناس اليوم الا يتمنى فساقه وفيه ولان يعض أحدكم على جمرة حتى تطفأ خير من ان يقول لامر قضاه الله ليت هذا لم يكن (ونظر رجل الى قرحة في رجل محمد بن واسع) البصري رحمه الله تعالى (فقال اني لارحمك من هذه القرحة فقال اني لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني) رواه أحمد في الزهد ومن طريقه أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن مصعب قال سمعت يحيى بن سليم يذكر عن عبد العزيز بن أبي رواد قال رأيت في يد محمد بن واسع قرحة وكأنه رأى ما قد شق علي منها فقال لي أتدري ماذا لله علي في هذه القرحة من نعمة قال فسكت فقال حيث لم يجعلها على حدقتي ولا على طرف لساني ولا على طرف ذكري قال فهانت علي قرحته (وروى في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله دهرا طويلا فارى في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسأل عنها الى ان وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر الى عملها فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال أمالك عمل الا ما رأيت فقالت ماهو والله الا ما رأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي في ان كنت في شدة لم أتمن ان أكون في رخاء وان كنت في مرض لم أتمن ان أكون في صحة وان كنت في الشمس لم أتمن ان أكون في الظل

فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى فى السماء قضاء
أحب من أهل الارض أن يرضوا بقضائه وقال أبو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال عمر رضى الله عنه ما أبالى
على أى حال أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء وقال الثورى يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت أما تستحى من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض فقال أستغفر الله فقال سليمان ابن جعفر بن سليمان الضبعى فتى يكون العبد راضيا عن الله تعالى قالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضى عن الله تعالى وقال أحمد ابن أبى الحوارى قال أبو سليمان الدارانى ان الله عز وجل من كرمه قد رضى من عبيده بما رضى العبيد من مواليهم قلت وكيف ذاك قال أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل بحكمه وجلاله جعل الروح
والفرح فى الرضا واليقين وجعل الغم والحزن فى الشك والسخط *(بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى)* ثبت
اعلم أن من قال ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فانما أتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا

فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد) كذا لفظ القوت وقد رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا عبد الله بن محمود عن عبد الله بن محمد بن يزيد بن خنيس حدثنى أبى عن عبد العزيز بن أبى رواد قال بلغنى ان عابدا فى بنى اسرائيل يتعبد فاتى فى منامه ان فلانة زوجتك فى الجنة قال فلانة وما عملها فجاءها فقال لها انى أحب أن أضيفك ثلاثة أيام مع لياليهن فقالت بالرحب والسعة قال فكان عندها تلك الثلاث يبيت قائما وتبيت نائمة و يصبح صائما وتصبح مفطرة فلما مضت قال ما لك عمل غير هذا اما أوثق عملك عندك قالت يا أخى ماهو الا ما رأيت الاخصيلة واحدة قال وما تلك الخصيلة قالت انى ان كنت فى شدة لم أتمن انى كنت فى رخاء وان كنت جائعة لم أتمن انى كنت شبعانة وان كنت فى شمس لم أتمن انى كنت فى فىء وان كنت فى مرض لم أتمن انى كنت فى صحة فقال وأى خصيلة هذه والله خصلة يعجز عنها العباد (وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى من السماء قضاء أحب من أهل الارض أن يرضوا بقضائه) كذا فى القوت (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر) ولفظ القوت بما قسم الله وقد رواه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا محمد بن على بن حبيش حدثنا موسى بن هرون الحافظ حدثنا أبو الربيع وداود بن رشيد قالا حدثنا بقية حدثنا يحيى بن سعد عن خالد بن معدان حدثنى يزيد بن مرثد الهمدانى أبو عثمان عن أبى الدرداء انه كان يقول ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر والاخلاص للتوكل والاستسلام للرب تعالى (وقال عمر رضى الله عنه ما أبالى على أى حال أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء) رواه ابن عيينة عن أبى السوداء عن أبى مجلز قال قال عمر ما أبالى على ما أصبحت على ما أحب أو ما أكره أى لا أدرى الخيرة لى فيما أحب أو فيما أكره وقد تقدم (وقال) جعفر بن سليمان الضبعى قال سفيان (الثورى) رحمه الله تعالى (كنت يوما عند رابعة) العدوية المتوفية سنة ١٣٥ (فقلت اللهم ارض عنا فقالت أما تستحى من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض فقال) الثورى (استغفر الله) فهى ذكرته بان رضا الله انما هو ثمرة رضا العبد عن الله تعالى فتذكر الثورى ورجع الى نفسه واستغفر (فقال) أبو سليمان (جعفر بن سليمان الضبعى) البصرى صدوق زاهد احتج به مسلم وروى له البخارى تعليقا والاربعة مات سنة ١٧٨ (فتى يكون العبد راضيا عن الله تعالى قالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة) كذا فى القوت ولفظ القشيرى وسئلت رابعة متى يكون العبد راضيا فقالت اذا سرته المصيبة كما سرته النعمة (وكان الفضيل) بن عياض (يقول اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضى عن الله تعالى) رواه أبو نعيم فى الحلية (وقال) أبو الحسن (أحمد بن أبى الحوارى) عبد الله بن ميمون بن العباس بن الحارث التغلبى الدمشقى ثقة زاهد روى له أبو داود وابن ماجه مات سنة ٢٤٦ (قال) لى (أبو سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (ان الله عز وجل من كرمه قد رضى من عبيده بما رضى العبيد من مواليهم قلت وكيف ذاك قال أليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه) نقله صاحب القوت (وقال سهل) التسترى رحمه الله تعالى (حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل) نقله صاحب القوت (وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الغم والحزن فى الشك والسخط) قال صاحب القوت رواه عطية عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا وقال العراقى رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود وقد تقدم

(بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى)

(اعلم) بصرك الله تعالى (ان من قال) من البطالين (ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فانما أتى) فيما توهمه (من ناحية انكار المحبة) وقد تقدم بيان مذهبه والاحتجاج عليه (فاما اذا

ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين * أحدهما أن يبطل الاحساس بالالم حتى يجرى عليه المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها ومثال الرجل المحارب فانه فى حال غضبه او فى حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا رأى الدم استدل به على الجراحة بل الذى يغدو فى شغل قريب قد تصيبه شوكة فى قدمه ولا يحس بالم ذلك لشغل قلبه بل الذى يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كالة يتألم به فان كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا أصابه من غير حبيبه فكيف اذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل واذا تصور هذا فى ألم يسير بسبب حب خفيف تصور فى الالم العظيم بالحب العظيم فان الحب أيضا يتصور تضاعفه فى القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شئ منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجرى عليه فقد روى ان امرأة فتح الموصلى عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت من قلبى مرارة وجعه وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له فى ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع

ثبت) مما ذكرناه (تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب) اذ هو غاية الحب (ويكون) تصويره (ذلك من وجهين أحدهما) أعلى من الثانى فالاعلى الذى لا يتصور وقوعه الابعد كمال المحبة (ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجرى على المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها) وهذا غايته التى وصل اليها وهذا موجود فى الاحوال المعتادة من الصفات البشرية لان حكمة الله فى الصفات البشرية أى قوة غلبت حكمته على سائر القوى (ومثاله الرجل المحارب فانه فى حال غضبه) وقد تقوى القوة الغضبية (أو فى حال خوفه) وقد تقوت اماراته (قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها) ولا يدرك لها ألما (حتى اذا رأى الدم) بارزا من موضع الجراحة (استدل بها على الجراحة بل الذى يغدو فى شغل قريب قد تصيبه شوكة فى قدمه ولا يحس بالم ذلك لشغل قلبه) بما هو فيه (بل الذى يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كالة) أى باردة الحد (يتألم به) لا محالة (فان كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين) من حلاقته (والحجام) عن حجامته (وهو لا يشعر به) ولهذا أمثلة كثيرة وفيما ذكره المصنف كفاية (وكل ذلك) لان (القلب اذا صار مستغرقا بأمر من الامور مستوفى به) آخذا بكليته (لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك همه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا أصابه من غير حبيبه فكيف اذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل واذا تصور هذا فى ألم يسير بسبب حب خفيف تصور فى الالم العظيم بالحب العظيم فان الحب أيضا يتصور تضاعفه فى القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى حب الصور الجميلة) الظاهرة (المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة) هذا ظاهر (وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شئ منه فقد يبهره بحيث يدهش) عن عقله (ويغشى عليه فلا يحس بما يجرى عليه) لان الالتذاذ به يذهب الاحساس (فقد روى ان امرأة فتح) بن شخرف (الموصلى) وكانت من المحبين (عثرت) برجلها (فانقلع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه أزالت عن قلبى مرارة وجعه) نقله صاحب القوت وروى البيهقى فى الشعب عن أبى عثمان الخياط قال سمعت السرى يقول سمعت فضيلا يقول توجعت ابنته فعادها فقال لها يا بنية كيف كفك هذه فقالت له يا ابت ان الله قد بسط لى من ثوابه مالا أؤدى شكره عليه أبدا فتعجبت من حسن يقينها قال الفضيل فانا عندها قاعد اذ أتانى ابن له ثلاث سنين فقبلته وضممته الى صدرى فقالت لى يا أبت سألتك بالله اتحبه قلت اى والله يا بنية انى لاحبه فقالت لى سوأة لك من الله يا ابت انى ظننت انك لا تحب مع الله غير الله فقلت لها اى يا بنية ولا يحبون الاولاد فقالت المحبة للخالق والرحمة للاولاد قال فلطم الفضيل على رأس نفسه وقال يارب هذه ابنتى هجتنى فى حبها وحب أخيها وعزتك لا أحببت معك أحدا حتى ألقاك (وكان سهل) التسترى (رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له فى ذلك) وعوتب (فقال يادوست) أى يا محب (ضرب الحبيب لا يوجع) نقله صاحب القوت وكان الجنيد يقول من علامة المحب فى المكاره والاسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء اذ هو لطف من مولاه ونيل القربة الى محبوبه وقلة التأذى بكل بلاء يصيبه لغلبة الحب على قلبه وقد كان بعض المحبين يقول اصفى ما أقول ذكرا اذا كنت محموما وهذا الذى ذكره سهل من ان ضرب الحبيب لا يوجع هو مقام الاستغراق وقد يتفق ان ضرب الحبيب يوجع كما حكى ان الحلاج حين صلب وأمر الناس برجمه فرجموه بالحجارة وهو ساكت لا يتأوه فجاءت أخته وكانت من العارفات فرجمته بحصاة صغيرة فقال آه فقيل له فى ذلك فقال ضرب الحبيب يوجع وهذا له وجه حيث انه صدر

* وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له أعني بعقله وإن كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد به منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بها ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا إن كان يلاحظ

الثواب والإحسان الذي يجازي به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد محبوبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له إلا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فإن نظر إلى الجمال فما هو إلا جلد ولحم ودم مشحون بالأقذار والأخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وإن نظر إلى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فإذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأزلي الأبدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدور بها الموت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة سكون بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد سألت سريا السقطي هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وإن ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم أحببت كل شيء بحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار

ذلك بعد معرفة العذر (وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك ألمه) ويكرهه بطبعه (ولكن يكون راضيا به بل (راغبا فيه مريدا له أعني بعقله وإن كان كارها) له (بطبعه) وهذا (كالذي يلتمس من الفصاد الفصد و) من الحجام (الحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد) والحجام (به منة بفعله) لما يجد فيه الشفاء والراحة (فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر) لا محالة (ولكن حبه لثمرة سفره) التي هي الربح (طيب عنده مشقة السفر) وسهلها عليه (وجعله راضيا بها) وهذه الدرجة واجبة وهي الإيمان لله يجب كسبها أو ردفها من الفضائل وما قبلها موهبة من الله تعالى لا يوجد بالكسب لكن مقدماتها مكسوبة وهي التخلق بالأخلاق المحمودة فالتخلق من جانبك لا من جانب الله فتى تخليت من المذمومات وتحليت بالمحمودات أفاض الله عليك من نوره ومعرفته ما لا يمكن وصفه ولا تمكن العبارة عنه وكلما ازددت معرفة ازددت رضا إلى ما لا يتناهى (ومهما أصابه بلية من الله عز وجل وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا إذا كان يلاحظ الثواب والإحسان الذي يجازى به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد محبوبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون) من المحبين والعشاق (في نظمهم ونثرهم) ورتبوا في ذلك مؤلفات (ولا معنى له إلا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فإن نظر إلى الجمال فما هو إلا جلد) مشتمل (ولحم ودم مشحون بالأقذار والأخباث بدايته) إن نظر إليها فإنها (من نطفة مذرة) كما قال تعالى من مني تمنى (ونهايته) إن تأملها فإنها (جيفة قذرة) من أنتن الجيف (وهو فيما بين ذلك) أي بين البداية والنهاية (يحمل العذرة) في بطنه وهذا فيه عبرة لمن اعتبر هذا إذا نظر إلى المدرك (وإن نظر إلى المدرك للجمال) المذكور (فهي العين الخسيسة) الناقصة (التي) ركبت فيها حاسة الإدراك وهي (تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا) والساكن متحركا والمتحرك ساكنا ومن نقصها أنها تبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها ومن الموجودات بعضها دون كلها وتبصر غيرها ولا تبصر نفسها وتبصر أشياء متناهية ولا تبصر ما لا نهاية له على ما تقدم تفصيل ذلك (فإذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأزلي الأبدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط) والنقص (ولا يدور بها الموت) بخلاف العين فإنها أول ما تسيل على الخدين في القبر (بل تبقى عند الموت حية عند الله فرحة برزق الله) فإنها محل المعرفة والمحبة (مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح لا يلتبس من حيث النظر بعين الاعتبار) إذا توصل فيه (ويشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم) على اختلاف درجاتهم في الحب (فقد قال شقيق البلخي) رحمه الله تعالى (من يرى ثواب الشدة) وما يترتب عليها من حسن الجزاء (لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد) رحمه الله تعالى (سألت) أستاذي (سريا السقطي) رحمه الله تعالى (هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت ولو ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة) وهذا مقام المستغرق بالحب فإن نفسه سكنت عن الاضطراب تحت مجاري الأقدار (وقال بعضهم أحببت كل شيء بحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار) وهذا مقام الراضي المحب كما قال ابن خفيف الرضا

وقال بشر بن الحرث مررت برجل وقد ضرب ألف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لاني
عاشق فقلت له ولم سكت قال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي فقلت فلو نظرت الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة خر ميتا

سكون القلب الى أحكامه وموافقة القلب بما رضي واختار وأنشد صاحب مصارع العشاق لسمنون

ولو قيل طأ في النار اعلم انه * رضا لك أو مدن لنا من وصالك
لقدمت رجلي نحوها فوطئتها * سرورا لاني قد خطرت ببالك

(وقال بشر بن الحرث) الحافي رحمه الله تعالى (مررت برجل) من العيارين (وقد ضرب ألف سوط في شرقية بغداد) في جناية جناها (ولم يتكلم) أي لم يتأوه من الضرب (ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت له ولم سكت قال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي) فلم أجد بسببه ألم الضرب (فقلت) له هذا في المخلوق (ولو نظرت الى المعشوق الاكبر) كيف كان حالك (قال فزعق زعقة خر ميتا) نقل القشيري نحوه وهذا كان محبا محجوبا فلما انكشف له الحجاب لم يتحمل فكان سبب زهاق روحه (وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى اذا نظر أهل الجنة الى الله تعالى) حين يتجلى عليهم غشي عليهم و(ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله) في الدنيا (اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر) الحافي رحمه الله تعالى (قصدت عبادان) وهي قرية في جزيرة قرب البصرة (في بدايتي) أي أول سلوكي (فاذا أنا برجل أعمى مجذوم قد صرع) على الارض (والنمل يأكل لحمه فرفعت رأسه) من الارض شفقة عليه (فوضعته في حجري وأنا أردد الكلام) وادعو له (فلما أفاق) من غشيته (قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي) ثم رجع الحديث وقال (لو قطعني اربا اربا) أي قطعة قطعة (ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وربه فانكرتها) ولفظ القوت وحدثونا عن بشر الحافي رضي الله عنه قال رأيت بعبادان رجلا قد قطن البلى وقد سالت حدقتاه على خده وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله عز وجل قال واذا هو قد صرع عن جنة قال فوضعت رأسه في حجري وجعلت أسأل الله كشف ما به وادعو له فافاق فسمع دعائي فقال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي و يعترض عليه في نعمه علي ونحى رأسه قال بشر فاعتقدت ان لا اعترض على عبد في نعمة أراها عليه من البلاء وقال أبو محمد السراج في مصارع العشاق حدثنا أحمد بن علي بن ثابت حدثنا عبد الرحمن بن فضالة أخبرنا محمد بن عبد الله بن شافان سمعت طيبا الحمحلي بالبصرة يقول سمعت علي بن سعيد العطار يقول مررت بعبادان بمكفوف مجذوم واذا الزنبور يقع عليه فيقطع لحمه فقلت الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به وفتح من عيني ما أغلق من عينيه قال فبينا أنا أردد الحمد اذ صرع فبينا هو يتخبط فنظرت اليه فاذا هو مقعد فقلت مكفوف بصرع مقعد مجذوم قال فما استتممت كلامي حتى صاح يا مكلف مادخولك فيما بيني وبين ربي دعه يعمل بي ما شاء ثم قال وعزتك وجلالك لو قطعتني اربا اربا أو صببت علي العذاب صبا ما ازددت لك الا حبا (وقال أبو عمرو ومحمد بن الاشعث) الكوفي وهو شيخ لابن عدي قد اتهمه كذا ذكره الذهبي في الديوان واما محمد بن الاشعث الكندي فتابعي ثقة و يكنى أبا القاسم (ان أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلام) وذلك حين أصابهم القحط سبع سنوات متواليات (كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو قطع النسوة) زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب (أيديهن) بالسكاكين (لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى) دهشن و(ما أحسسن بذلك) الجراح (وقال سعيد بن يحيى) الكوفي العابد روى عنه ابنه أحمد (رأيت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم) موضع معروف هنالك (شابا وفي يده مدية وهو ينادي بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول

يوم الفراق من القيامة أطول * والموت من ألم التفرق أجل

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى اذا نظر أهل الجنة الى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم مثل لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا برجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه فرفعت رأسه فوضعته في حجري وأنا أردد الكلام فلما أفاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانكرتها وقال أبو عمرو ومحمد بن الاشعث ان أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو قطع النسوة

أيديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى

ما أحسسن بذلك وقال سعيد بن يحيى رأيت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادي بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول

يوم الفراق من القيامة أطول * والموت من ألم التفرق أجل

قالوا الرحيل فقلت لست براحل * لكن مهجتي التي تترحل ثم بقر بالمدية بطنه وخر ميتا فسألت عنه وعن أمره فقيل لي انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا و يروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل دلني على أعبد أهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره فسمعه وهو يقول الهي متعتني بهما ما شئت أنت وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الامل يابر ياوصول و يروى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل أشد سرورا أبدا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر انما كان حزني رحمة له فلما وقع أمر الله رضيناه وقال مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم قال فجاء الثعلب فأخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى أن يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا عليه فقال الرجل عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم و بقواهم قال وانما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة فكانت الخيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذا من عرف خفي لطف الله تعالى رضي بفعله على كل حال و يروى أن عيسى عليه السلام مر برجل أعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى ياهذا أي شيء من البلاء أراه مصروفا عنك فقال

يار وح

قالوا الرحيل فقلت لست براحل * لكن مهجتي التي تترحل

ثم بقر بالمدية بطنه وخر ميتا فسألت عنه وعن أمره فقيل لي انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا) رواه أبو محمد السراج في كتاب مصارع العشاق (ويروى) في بعض الاخبار (ان يونس) النبي (قال لجبريل عليهما السلام دلني على أعبد أهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره فسمعه وهو يقول الهي متعتني بهما ما شئت أنت وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الامل يابر ياوصول و يروى عن عبد الله بن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما انه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه) وقلق (حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث) أي أمر حادث من الموت (فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل) في القوم (أشد سرورا منه فقيل له في ذلك فقال انما كان حزني رحمة له فلما وقع أمر الله رضيناه) وهذا هو الرضا بعد القضاء الذي جاء ذكره في الخبر المتقدم (وقال مسروق) ابن الاجدع بن مالك الهمداني الوداعي أبو عائشة الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة ٦٣ (كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك) كان (يوقظهم للصلاة والحمار) كانوا (ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب) كان (يحرسهم) من بغتة العدو قال (فجاء الثعلب فأخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا عليه فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم) من العرب (وبقواهم قال وانما أخذ أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة فكانت الخيرة لهؤلاء في هؤلاء هلاك الحيوانات كما قدره الله تعالى) واخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن سعيد بن المسيب قال لقمان لابنه يابني لا ينزلن بك أمر رضيته أو كرهته الا جعلت في الضمير منك ان ذلك خير لك فخرج على حمار وابنه على حمار وتزودا للقاء نبي قد بعث فسارا أياما وقد استقبلتهما مفازة فسارا فيها ما شاء الله حتى ظهرا وقد تعالى النهار واشتد الحر ونفد الزاد واستبطأ حمارهما فنزلا فجعلا يشتدان على سوقهما فبينما هما كذلك اذ نظر لقمان أمامه فاذا هو بسواد ودخان فقال في نفسه السواد الشجر والدخان العمران فبينما هما كذلك اذ وطئ ابن لقمان على عظم فأتى على الطريق فخر مغشيا عليه فوثب اليه لقمان وضمه الى صدره وقال لعل هذا خير لي واستخرج العظم باسنانه فذرفت عيناه فقال يا أبت أنت تبكي وأنت تقول هذا خير لي وقد نفد الطعام والماء وبقيت أنا وأنت في هذا المكان فان رحلت وتركتني ذهبت بهم وغم وان أقمت معي متنا جميعا فقال يابني اما بكائي فرقة الوالدين واما ما قلت فكيف يكون هذا خيرا لي فلعل ما صرف عنك أعظم مما ابتليت فيه ولعل ما ابتليت به أيسر مما صرف عنك ثم نظر امامه فلم ير ذلك الدخان والسواد واذا شخص أقبل على فرس أبلق عليه ثياب بيض حتى اذا كان قريبا منه تواري عنه ثم صاح انت لقمان قال نعم قال ما قال لك ابنك قال من أنت قال أنا جبريل أمرني ربي بخسف هذه المدينة وأخبرت انكما تريدانها فدعوت ربي ان يحبسكما بما شاء فحبستكما بما ابتلي به ابنك ولولا ذلك لخسف بكما معهم ثم مسح جبريل يده على قدم الغلام فاستوى قائما ورحل بهما الى موضعهما كما يرحل الطير (فاذا من عرف خفي لطف الله تعالى رضي بفعله على كل حال ويروى) في الاسرائيليات (ان عيسى عليه السلام مر برجل أعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى ياهذا أي شيء من البلاء أراه مصروفا عنك فقال

يا روح الله أنا خير ممن لم يجعل الله فى قلبه ما جعل فى قلبى من معرفته فقال له صدقت هات يدك فناوله يده) فابرأه الله مما كان به (فاذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة قد أذهب الله عنه ما كان به) ببركة رضاه عن ربه (فصحب عيسى) عليه السلام مدة (وتعبد معه وقطع) أبو عبد الله (عروة بن الزبير) بن العوام القرشى الاسدى المدنى أحد فقهاء المدينة السبعة (رجله من ركبته من أكلة خرجت بها) وكان قد خرج الى الوليد بن عبد الملك فخرجت برجله الاكلة فقطعها وسقط ابن له عن ظهر بيت مشرف على موضع خيل الوليد فوقع تحت أرجل الدواب فوطئته (ثم قال) وقد أتاه رجل يعزيه ولم يدر بابنه وقال له ان ابنك قطعته الدواب (الحمد لله الذى أخذ منى واحدة وأيمك لئن كنت أخذت لقد أبقيت ولئن كنت ابتليت فقد عافيت) وقال لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا هكذا رواه هشام بن عروة ومن طريق آخر لما أصيب برجله وبابنه محمد قال اللهم كانوا سبعة فأخذت واحدا وأبقيت ستة وكن أربعا فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثا وأيمك لئن كنت أخذت لقد أبقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت وعن هشام أيضا قال وقعت الاكلة فى رجله فقيل الا ندعو لك طبيبا قال ان شئتم فجاء الطبيب فقال اسقيك شرابا يزول فيه عقلك فقال امض لشأنك ما ظننت ان خلقا يشرب شرابا يزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه قال فوضع الميشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فما سمعنا له حسا فلما قطعها جعل يقول لئن أخذت لقد أبقيت ولئن ابتليت لقد عافيت (ثم لم يدع ورده) من القراءة (تلك الليلة) وكان ورده ربع القرآن كل يوم نظرا من المصحف ويقوم به الليل وذكر الزبير بن بكار ان عيسى بن طلحة جاء الى عروة حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك وقد قطعت رجله فقال لبعض بنيه اكشف لعمك عن رجلى ينظر اليها فنظر فقال عيسى يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع ولا للسباق ولقد أبقى الله عز وجل لنا ما كنا نحتاج اليه منك رأيك وعلمك فقال عروة ما عزانى أحد على رجلى مثلك (وكان ابن مسعود) رضى الله عنه (يقول الفقر والغنى مطيتان ما أبالى أيتهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى فان فيه البذل) رواه الطبرانى ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية حدثنا عمر بن حفص حدثنا عاصم بن على حدثنا المسعودى حدثنا على بن بذيمة عن قيس بن حبتر عن عبد الله قال الاحبذا المكروهان الموت والفقر وأيم الله ان هو الا الغنى والفقر وما أبالى بأيهما ابتليت ان كان الغنى ان فيه للعطف وان كان الفقر ان فيه للصبر (وقال أبو سليمان الدارانى) رحمه الله تعالى (قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فمالى منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلنى النار كنت بذلك راضيا) نقله صاحب القوت الا أنه قال وقال بعض العارفين وساقه وقال فى موضع آخر ومن الناس من كان يقدم سليمان بن أبى سليمان الدارانى على أبيه وكان عارفا فقال من تورع فى كل شئ فقد بلغ حد الورع ومن زهد فى كل شئ فقد بلغ حد الزهد ومن رضى عن الله فى كل شئ فقد بلغ حد الرضا فانما قال هذا كالرد على أبيه لما قال ثلاث مقامات لا أحد لها الورع والزهد والرضا اه وقد تقدم فى كتاب الزهد عن أبى سليمان نحو هذا انه ليس له منه الا مشام الريح وتقدم الكلام هناك (وقيل لعارف آخر) فوقه (هل نلت غاية الرضا عنه فقال اما الغاية فلا ولكن مقام) من (الرضا قد نلته لو جعلنى جسرا على جهنم يعبر الخلائق على الى الجنة ثم ملأ بى جهنم تحلة لقسمه و بدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه و رضيت به من قسمه) نقله صاحب القوت واراد بقوله تحلة لقسمه ما ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا وقد روى هذا القول بوجه آخر قال القشيرى سمعت السلمى يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت ابن أبى حسان الانماطى يقول سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان يقول ارجو ان أكون عرفت طرفا من الرضا لو أنه أدخلنى النار لكنت به راضيا انتهى (وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بألم النار فان بقى احساس فيغمره ما يحصل من لذته فى استشعاره حصول رضا محبوبه بالقائه اياه فى النار واستيلاء هذه الحالة غير محال فى نفسه وان كان بعيدا من أحوالنا

يا روح الله أنا خير ممن لم يجعل الله فى قلبه ما جعل فى قلبى من معرفته فقال له صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة وقد أذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من أكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذى أخذ منى واحدة وأيمك لئن كنت أخذت لقد أبقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود يقول الفقر والغنى مطيتان ما أبالى أيتهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى فان فيه البذل وقال أبو سليمان الدارانى قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فمالى منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلنى النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف آخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال أما الغاية فلا ولكن مقام الرضا قد نلته لو جعلنى جسرا على جهنم يعبر الخلائق على الى الجنة ثم ملأ بى جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بألم النار فان بقى احساس فيغمره ما يحصل من لذته فى استشعاره حصول رضا محبوبه بالقائه اياه فى النار واستيلاء هذه الحالة غير محال فى نفسه وان كان بعيدا من أحوالنا

الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الاقوياء ويظن أن ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء وقال الروذباري قلت لابي عبدالله بن الجلاء الدمشقي قول فلان وددت أن جسدي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق أطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق التعظيم والاجلال فلا أعرف وان كان هذا من طريق الاشفاق والنصح للخلق فاعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال لم تبكي قال لاني أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان أحبه الى الله تعالى أحبه الى ثم قال أحدثك شيأ لعل الله ان ينفعك به واكتم على حتى أموت ان الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم على فاسمع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد ابن متعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيأ حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا لا أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر * ولما قدم وكان سعد بن أبي وقاص الى مكة وقد كان كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبدالله بن السائب

الضعيفة ولكن لا ينبغي ان يستنكر الضعيف المحروم أحوال الاقوياء ويظن ان ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء وقال) أبو على أحمد بن محمد (الروذباري) بغدادي أقام بمصر ومات بها سنة ٣٢٢ صحب الجنيد والنوري وابن الجلاء والطبقة (قلت لابي عبدالله) أحمد بن يحيى (بن الجلاء) البغدادي الاصل (الدمشقي) الاقامة صحب أبا تراب النخشبي وذا النون وأبا عبيد البسري وأبا يحيى الجلاء (قول فلان وددت ان جسدي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق أطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق الاشفاق والنصح للخلق فاعرف وان كان من طريق التعظيم والاجلال فلا أعرف قال ثم غشي عليه) نقله صاحب القوت (وقد كان عمران بن الحصين) رضي الله عنهما (قد استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة) سطيحا (لا يقوم ولا يقعد وقد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته) غائطه وبوله (فدخل عليه مطرف) ابن عبدالله بن الشخير العامري الحرشي البصري أبو عبدالله من ثقات التابعين وعبادهم روى له الجماعة مات سنة خمس وتسعين (وأخوه العلاء) كذا في النسخ وفي القوت أو أخوه أبو العلاء والصواب أبو العلاء وهو يزيد بن عبدالله بن الشخير العامري البصري مات سنة احدى عشرة ومائة ومولده في خلافة عمر روى له الجماعة (فجعل) أي مطرف أو أخوه (يبكي لما يرى من حاله فقال) عمران (لم تبكي قال لاني أراك على هذه الحال العظيمة قال لا تبك فان أحبه الى الله تعالى أحبه الى ثم قال أحدثك شيأ لعل الله ان ينفعك به واكتم على حتى أموت ان الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم على فاسمع تسليمها) وتقدم في باب التوكل ان ذلك التسليم كان قد انقطع عنه لما اكتوى على بطنه بالزام الامير له ثم بعد ذهاب أثر الكي عاد اليه ذلك (فاعلم بذلك) عمران (ان هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة) وما فيه مثل هذه الآية انما هو كرامة ورحمة وذلك ان بلاء العقوبات لا تكون معه الآيات ولانه قد كان حزن عليه فاراد ان يسره (فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن متعبة) هكذا في النسخ بفتح الميم وسكون المثلثة وعين مهملة وفي بعض النسخ سويد بن شعبة وهو تصحيف (نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيأ حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف) أي عظام الجنبين (وأصبحت نضوا) أي هزيلا مثل الثوب الخلق (لا أطعم طعما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما) مضت عليه (وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر) نقله صاحب القوت وهذا مقام الراضي بما أبلاه ربه قال صاحب القوت واعتل حذيفة رضي الله عنه علة الموت فجعل يقول اخنقني خناقك فوعزتك انك لتعلم اني أحبك فلما حضره الموت جعل يقول حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم قال وروى أيضا مثل هذا عن أبي هريرة وأنشدوا

يا حبيبا بذكره يتوارى * وصفوه لكل داء مجيب
من أراد الطبيب سرى اذا أعـ * ـقل اشتياقا الى لقاء الطبيب
من أراد الحبيب سار اليه * وجفا الاهل دونه والقريب
ليس داء المحب داء يداوى * انما برده لقاء الحبيب *

(ولما قدم سعد بن أبي وقاص) رضي الله عنه (الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يساله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة) لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له في ذلك فقال اللهم أجب لسعد دعوته (قال عبدالله بن السائب) واسمه صيفي بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أبو السائب ويقال أبو عبدالرحمن المكي القارئ له ولابيه صحبة وهو والد محمد بن عبدالله

فأتيته وأنا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال أنت قارئ أهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له ياعم أنت تدعو للناس فلودعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يابني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى أشد علي

من ذهاب ولدي * وعن بعض العباد انه قال اني أذنبت ذنبا عظيما فانا أبكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وماهو قال قلت مرة لشئ كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب الي من أن أقول لشئ قضاه الله سبحانه ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له ياحبيبي أخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال أنست به قال لا قال هل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك بان معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه بانك لم يفتح لك باب القلب فتترقى الى درجات القرب باعمال القلب وانما أنت تعد في طبقات أصحاب اليمين لان مزيدك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم * ودخل جماعة من الناس على الشبلي رحمه الله تعالى في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال مابالكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا على بلائي وللشبلي رحمه الله تعالى

ان المحبة للرحمن أسكرني * وهل رأيت محبا غير سكران

وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل مصدقا ولعله قد كذبه وذلك ان أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك ان

وكان قارئ أهل مكة وعنه أخذ أهل مكة القراءة روى له الجماعة الا البخاري (فأتيته وأنا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال أنت قارئ أهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له ياعم أنت تدعو للناس فلودعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يابني قضاء الله عندي أحسن من بصري) نقله صاحب القوت (وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي) نقله صاحب القوت (و) حكى (عن بعض العباد) انه (قال اني أذنبت ذنبا عظيما فانا أبكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وماهو قال قلت مرة لشئ كان ليته لم يكن) نقله صاحب القوت (وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب الي من أن أقول لشئ قضاه الله ليته لم يقضه) نقله صاحب القوت (وقيل لعبد الواحد بن زيد) البصري العابد رحمه الله تعالى (ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له ياحبيبي أخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولا اني أستحيي منك لاخبرتك بان معاملتك خمسين سنة مدخولة) نقله صاحب القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا عمر بن بحر سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول حدثنا أبو عبد الله النباجي قال قيل لعبد الواحد بن زيد ان بالبصرة رجلا يصلي ويصوم منذ خمسين سنة قال فاتاه عبد الواحد فقال ان الله شكور ومن عمل له أثابه فاي شئ أثابك من عملك له منذ خمسين سنة هل قنعت به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فهل أنست به بعد قال لا قال فانما ثوابك من عملك المزيد في الصوم والصلاة قال نعم قال لولا اني أستحيي منك لاعلمتك ان عملك مدخول انتهى (ومعناه انه لم يفتح لك باب القلب فتترقى الى درجات القرب باعمال القلوب وانما أنت تعد في طبقة أصحاب اليمين لان مزيدك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم) ولفظ القوت أراد بذلك انه لم يقربك فيجعلك في مقام المقربين فيكون في مزيدك لديه أعمال القلوب انما أنت عنده في طبقة أصحاب اليمين فزيدك منه مزيد الصوم وقد يكون الرجل مصلحا في مقامه وان كان فوقه فوق (ودخل جماعة من الناس على) أبي بكر (الشبلي) رحمه الله تعالى (في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال مابالكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا على بلائي) رواه القشيري في الرسالة ولفظه حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم فقالوا محبوك ياأبا بكر فاقبل يرميهم بالحجارة ففروا فقال ان ادعيتم محبتي فاصبروا على بلائي وأنشد الشبلي فقال

ياأيها السيد الكريم * حبك بين الحشا مقيم

يارافع النوم عن جفوني * أنت بما مربي عليم

وقد روى صاحب مصارع العشاق نحو هذه القصة (وللشبلي رحمه الله تعالى

ان المحبة للرحمن أسكرني * وهل رأيت محبا غير سكران)

(وقال بعض عباد أهل الشام) وعلمائهم وهو أبو بحير بز رحمه الله تعالى كلمة غريبة المعنى دقيقة في معنى المخالفة لله عز وجل فات كان قد فسرها فانه لم يكشف معناها لفهم السامعين منها الحاضرين عنده فيحتاج تفسيرها الى تفسير حكى عنه انه قال (كلكم يلقى الله عز وجل مصدقا ولعله قد كذبه وذلك ان أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل) أي عيب ونقص (ظل يواريها يعني بذلك ان

الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه * وقيل انه وقع الحريق فى السوق فقيل للسرى احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتى دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله فاذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا فى حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا فى حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين أحدهما الرضا بالالم لما يتوقع من الثواب الموجود كالرضا بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثانى الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضاله فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب فى مراد المحبوب فيكون ألذ الاشياء عنده سرور قلب محبوبه و رضاه ونفوذ ارادته ولو فى هلاك روحه كما قيل

فما لجرح اذا أرضاكم ألم *

وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد يستولى الحب بحيث يدهش عن ادراك الالم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغى أن ينكره من فقد من نفسه لانه انما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب أعظم مما وصفناه * وقد روى عن عمرو بن الحرث الرافقى قال كنت فى مجلس بالرقة عند صديق لى وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا فى المجلس فضربت بالقضيب وغنت

علامة ذل الهوى * على العاشقين البكى ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى

فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتى افتأذنين لى ان أموت فقالت مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت

يا بديع

الذهب) زينة الدنيا وهو (مذموم عند الله تعالى والناس يتفاخرون به والبلاء زينة الآخرة وهم يستنكفون منه) أى فانت اذا أعطاك زينة الدنيا التى ذمها عندك أظهرت سننها وفخرت بها واذا أعطاك زينة الآخرة التى مدحها عندك وهو المصائب والبلايا والفقر كرهتها وأخفيتها لئلا تعاب بذلك فحسب عليه حب الدنيا والغنى والتزين به وكراهة البلاء والفقر تكذيبا لله تعالى وردا عليه ما وصفه وهذا يدخل فى باب الزهد وفى الرضا ويدخل على من أخفى الفقر والبلاء حياء من الناس لئلا يعاب بذلك فهو من ضعف يقينه بقوة شاهد الخلق ويدخل فيه من أظهر الغنى من غير نية ولا تحدث بنعم الله تعالى فذلك أيضا من قوة شاهد حب الدنيا كذا فى القوت (وقيل انه وقع الحريق فى السوق) ببغداد (فقيل للسرى) السقطى رحمه الله تعالى وكان له دكان فى ذلك السوق يتجر فيه فخرج فى قطع من الليل فاستقبله قوم فقالوا يا أبا الحسن (احترق السوق) واحترقت دكاكين الناس (وما احترق دكانك) وسلم (فقال الحمد لله ثم) تفكر و (قال كيف قلت الحمد لله على سلامتى) أى سلامة مالى (دون المسلمين) لانها كلمة رضا ظهرت منه فى مكان الاسترجاع للمصيبة (فتاب من التجارة) وتصدق بجميع ما فى دكانه من السقط والآلة (وترك الحانوت بقية عمره توبة) الى الله وكفارة (واستغفارا من قوله الحمد لله) فشكر الله فعله فزهده فى الدنيا ورفعه الى مقام المحبة فاوصله بذلك الرضا الى الرضا قال صاحب القوت وبلغنى انه كان يقول قلت كلمة فانا أستغفر الله تعالى منها منذ ثلاثين سنة يعنى قوله الحمد لله وفى الخبر من لم يهتم بامر المسلمين فليس من المسلمين (فاذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا فى حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا فى حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين أحدهما الرضا بالالم لما يتوقع من الثواب الموجود كالرضا بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء) والراحة (والثانى الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضاله فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب فى مراد المحبوب فيكون ألذ الاشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو فى هلاك روحه كما قيل

*فما لجرح اذا أرضاكم ألم * وهذا ممكن مع الاحساس بالالم) الحاصل فى الحال (وقد يستولى الحب بحيث يدهش عن ادراك الالم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغى أن ينكره من فقده من نفسه لانه انما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه * ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه) كما قيل

ولو يذوق عاذلى صبابتى * صبا معى لكنه ماذاقها

(فللمحب عجائب أعظم مما وصفناه وقد روى عن عمرو بن الحرث الرافقى) منسوب الى الرافقة مدينة بجانب الرقة بناها المنصور وأتمها المهدى ونزلها الرشيد وهى الآن تعرف بالرقة (قال كنت فى مجلس بالرقة عند صديق لى وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا فى المجلس فضربت بالقضيب) أى العود (وغنت البيتين

(علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا ولا سيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى

فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتى أفتأذنين لى أن أموت فقالت مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت) وأخرج أبو محمد السراج فى مصارع العشاق من طريق أبى الطيب محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الصوفى قال رأيت ببغداد صوفيا حضر عند جارية بالكرخ تقول بالقضيب

وقال الجنيد رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه و يظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال له الى متى ذا النفاق الذى تظهر لى فقال قد علم الله انى صادق فيما اورده حتى لو قلت لى مت لمت فقال ان كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا * وقال سمنون المحب كان فى جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبيناهو يحرك القدر اذقالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك مافى القدر بيده حتى سقطت اصابعه فقالت الجارية ماهذا قال هذا مكان قولك آه * وحكى عن محمد بن عبدالله البغدادى قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد اشرف على الناس وهو يقول من مات عشقا فليمت هكذا لاخير فى عشق بلاموت ثم رمى نفسه الى الارض فحملوه ميتا فهذا وامثاله قد يصدق به فى حب المخلوق والتصديق به فى حب الخالق اولى لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية اوفى من كل جمال بل كل جمال فى العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذى فقد البصر ينكر جمال الصور والذى فقد السمع ينكر لذة الالحان والنغمات الموزونة فالذى فقد القلب لابدوان ينكر ايضا هذه اللذات التى لامظنة لها سوى القلب

(بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا)

ولايخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصى ومقت اهلها ومقت اسبابها والسعى فى ازالتها بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر لايناقضه ايضا وقد غلط فى ذلك بعض البطالين المغترين وزعم ان المعاصى والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن اسرار الشرع

يابديع الدل والغنج * لك سلطان على المهج * ان بيتا أنت ساكنه
غير محتاج الى السرج * وجهك المعشوق حجتنا * يوم تاتى الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره الى ان أغمى عليه فسقط فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا وذلك فى سنة ٣٩٠ وحدث العتبي عن أبيه عن رجل عن هشام بن عروة عن أبيه عن النعمان بن بشير بن سعد الانصارى رضى الله عنه قال وليت صدقات بنى عذرة قال فدفعت الى فتى تحت ثوب فكشفت عنه فاذا رجل لم يبق منه الا رأسه فقلت مابك فقال

كان قطاة علقت بجناحها * على كبدى من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجدان هما شفيانى

ثم تنفس حتى ملأ منه الثوب الذى كان فيه ثم خمد فاذا هو قد مات فاصلح من شأنه وصليت عليه فقيل لى أتدرى من هذا هذا عروة بن حرام (وقال الجنيد) قدس سره (رأيت رجلا متعلقا بكم صبي وهو) أى الرجل (يتضرع اليه) و يتذلل له (و يظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال الى متى ذا النفاق الذى تظهر فقال) الرجل (قد علم الله انى صادق فيما اورده) من المحبة (حتى لو قلت لى مت) يافلان (لمت فقال ان كنت صادقا) فيما تقول (فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا وقال سمنون) بن حمزة البغدادى (المحب) رحمه الله تعالى (كان فى جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية) أى مرضت (فجلس الرجل ليصلح لها حيسا) وهو تمر ينزع نواه و يدق مع أقط و يعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد وربما جعل معه السويق (فبيناهو يحرك القدر اذقالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك مافى القدر بيده حتى تساقطت أصابعه) ولم يحس بها (فقالت الجارية ماهذا قال هذا موضع قولك آه وحكى عن) أبى جعفر (محمد بن عبدالله) بن المبارك المخرمى (البغدادى) ثقة حافظ مات سنة بضع وخمسين روى له البخارى وأبوداود والنسائى (قال رأيت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول

من مات عشقا فليمت هكذا * لاخير فى عشق بلاموت

ثم رمى بنفسه الى الارض فحملوه ميتا) ولفظ القشيرى فى الرسالة وقيل ان شابا أشرف على الناس فى يوم عيد وقال من مات عشقا الخ وألقى نفسه من سطح عال فرفع ميتا (فهذا وأمثاله قد يصدق به فى حب المخلوق والتصديق به فى حب الخالق أولى لان البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية أوفى من كل جمال بل كل جمال فى العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذى فقد البصر ينكر جمال الصور والذى فقد السمع ينكر لذة الالحان والنغمات الموزونة فالذى فقد القلب لابدوان ينكر أيضا هذه اللذات التى لامظنة لها سوى القلب) والله الموفق

(بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا)

(و) انه (لايخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصى ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعى فى ازالتها بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر لايناقضه أيضا وقد غلط فى ذلك بعض البطالين المغترين) من المتأخرين ممن لاعلم له ولا يقين (وزعم ان المعاصى والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا) منه (جهل بالتأويل) والتفصيل واتباع لما تشابه من التنزيل (وغفلة عن أسرار الشرع) و بطلان قول هذا أوضح من ان يدل على فساده كما تقدم قريبا (فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام على مانقلناه فى كتاب الدعوات تدل عليه ولقد كان رسول الله صلى الله عليه

فاما الدعاء فقد تعبد نا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام على ما نقلناه فى كتاب الدعوات تدل عليه ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اعلى المقامات من الرضا وقد اثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا واما انكار المعاصى وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضا به فقال ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وقال تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم وفى الخبر المشهور من شهد منكرا فرضى به فكأنه قد فعله وفى الحديث الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به وفى الخبر لو أن عبدا قتل بالمشرق ورضى بقتله آخر بالمغرب كان شريكا فى قتله وقد أمر الله تعالى بالحسد والمنافسة فى الخيرات وتوقى الشرور فقال تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

وسلم فى أعلى المقامات من الرضا ولقد أثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا) وقال صاحب القوت ولا ينقص الراضى من مقام الرضا عن مسألة مولاه مزيد الآخرة وصلاح دنياه تعبد الله بذلك افتقارا اليه فى كل شئ لان فى ذلك رضاه ومقتضى تمدحه بمسألة الخلائق فان صرف مسائلة الى طلب النصيب من المولى وابتغاء القرب حباله وأثرة على ماسواه كان فاضلا فى ذلك لانه قد رد قلبه اليه وجمع همه بذلك وهذا مقام المقربين وهو على قدر مشاهدة الراضى عن معرفته ومقتضى حاله لانه يسأل عن علمه بعلمه فى وقت من أحواله كما يسال عن جملة أعماله بعلومه مدة عمره فهذا أصل فاعرفه فعليه عمل العاملون وهو طريق العارفين من السلف فلم يضرهم عندهم خلاف من خالف وان كان دعاؤه تمجيد السيده وثناء عليه شغلا بذكره ونسيانا لغيره ولها بحبه لانه يستوجب ذلك بوصفه ولانه واجب عليه فقد استغرقه وجوب ما عليه عماله فهذا أفضل وهو مقام المحبين وهو من القيام بشهادته وقد دخل فيما ذكرناه فى مقتضى حاله بالعمل فعلمه فى وقته (وأما انكار المعاصى وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله تعالى به عباده وذمهم على الرضا به فقال ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها) فذمهم على رضاهم بالدنيا وبالمعاصى وبالتخلف عن السوابق وقال ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون فعابهم بذلك (وقال تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم) يعنى مع النساء فى القعود عن القيام بالجهاد وهو جمع التأنيث فمن رضى بالمعاصى والمناكير منه أو من غيره وأحب لاجلها والى ونصر عنها أو ادعى ان ذلك يدخل فى مقام الرضا الذى يجازى عليه بالرضا أو انه حال الراضين الذين وصفهم الله تعالى ومدحهم فهو مع هؤلاء الذين ذم الله ومقت (وفى الخبر المشهور من شهد منكرا فرضى به فكأنما قد فعله) كذا فى القوت وقد تقدم فى كتاب الامر بالمعروف وروى أبو يعلى من حديث الحسين بن على رضى الله عنهما من شهد منكرا فكرهه كان كمن غاب عنه ومن غاب عن أمر فرضى به كان كمن شهده (وفى الحديث الدال على الخير كفاعله) رواه الامام أبو حنيفة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعا ومن طريقه رواه العسكرى فى الامثال ورواه البزار من حديث أنس ورواه ابن منيع من حديث ابن عباس بزيادة فى أوله وآخره وقد تقدم فى كتاب العلم ويوجد فى بعض نسخ الكتاب الدال على الشر كفاعله وهكذا هو فى القوت أيضا وقال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس باسناد ضعيف جدا (وعن ابن مسعود) رضى الله عنه (ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به) نقله صاحب القوت (وفى الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضى بقتله آخر بالمغرب كان شريكا فى قتله) كذا فى القوت قال العراقى لم أجد له أصلا بهذا اللفظ ولابن عدى من حديث أبى هريرة من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها وأحبها فكأنما حضرها وتقدم فى كتاب الامر بالمعروف انتهى قلت ورواه كذلك ابن أبى الدنيا فى الامر بالمعروف والبيهقى وضعفه (وقد أمر الله تعالى بالحسد والمنافسة فى الخيرات وتوقى الشرور فقال تعالى) سابقوا الى مغفرة من ربكم (قال وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) وقال يسارعون الى الخيرات وهم لها سابقون فندب الى المسارعة والسباق وذم التخلف عنها بما حبس وعاق فعلى هذا طريق المؤمنين وفيها مقامات الموقنين ويروى من طريق مرسل عن النبى صلى الله عليه وسلم من نظر الى من فوقه فى الدين والى من دونه فى الدنيا كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر الى من دونه فى الدين ومن فوقه فى الدنيا لم يكتبه الله لا صابرا ولا شاكرا قال صاحب القوت ففيه أربعة معان حسان اذا تدبرها العبد وتفكر فيها لم يعدم ان يرى أهلها لانه لا يخلو أن يرى بعينه أو بقلبه عن معرفة بسيرة المتقدمين فيرى من فوقه فى باب الدنيا فيشكر الله على حاله ويقنع منه برزقه فيكون صابرا شاكرا بمعرفة ما قنع به ورضى وباختياره له صرف عنه من الفضول وزوى عنه من الحساب الطويل ولا يخلو أن يرى من فوقه فى أمر الدين من العاملين والعالمين والزاهدين فيسارع الى ذلك ويسابق وينافس فيه اذ قد ندب الى ذلك فيكون حباله وحضا على افتعال الخيرات واعمال الصالحات وأقل ما يفيده ذلك الازراء على نفسه والمقت لها فى تقصيره ثم ينظر فى الامرين

الاخيرين

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاحسد في اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما يفعل وأما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء وقال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر ان الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن وقال عليه السلام المرء مع من أحب وقال من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة وقال عليه السلام أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نعيده

الاخيرين من وجه آخر فلا يخلو أن يرى من هو دونه في أمر الدنيا من ذوي الفاقات والحاجات فيحمد الله تعالى على تفضيله عليه وحسن صونه ويشكر نعمته لفضل احسانه وكفايته له ويجد أيضا في المعنى الآخر من هو دونه في أمر الدين من الفجرة والظالمين وأهل البدع والزائغين فيفرح بفضل الله ورحمته ويشكر الله على حسن اسلامه وجميل معافاته مما ابتلى به غيره فيكون أيضا صابرا شاكرا فيكون للعبد في هذه الطبقات من الناس أربع معاملات بما وهب الله له من التبصرة والاعتبار (و) يشهد لما ذكرناه ما (قال النبي صلى الله عليه وسلم لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق) رواه البخاري من طريق يحيى بن سعيد القطان ومسلم من طريق ابن نمير ومحمد بن بشر ثلاثتهم عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن ابن مسعود رفعه ورواه النسائي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن اسمعيل بن أبي خالد ولفظهم جميعا لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها وقد تقدم في كتاب العلم (وفي لفظ آخر) لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار (ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل و) آناء (النهار) رواه كذلك الشيخان والترمذي وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعا لكن بتقديم الشطر الثاني على الاول زاد صاحب القوت (فيقول الرجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما يفعل) فندب صلى الله عليه وسلم الى الحسد في أعمال البر وفضل الحاسد على ذلك لان الله تعالى ندب الى التنافس في أعمال الخير فمن حسد في هذه الثلاث ونحوها الغبطة بها والطالب لها لم يخرجه ذلك من الرضا وكان له مزيد بعد أن لا يحب زوالها من أهلها ولا ينقصهم منها ولا أن لا يذكروا بها ولا يحبها هو أيضا ليذكر كما ذكروا ويمدح كما مدحوا فهذه المعاني آفات هذه الفضائل ولكل شئ آفة فمن وقيها حصلت له الفضيلة ومن وقع فيها فحيدها عنه خير له لانه أسلم ولا فضل الا بعد حوز السلامة (وأما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم وقال تعالى وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (وقال تعالى) في مثله (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) ثم قال ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم فبغض المبتدع والفاجر والظالم المعتدي وترك موالاتهم ونصرتهم واجب على المؤمنين (وفي الخبر ان الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن) ولفظ القوت وقد روينا في خبر ان الله أخذ على كل مؤمن من الميثاق والباقي سواء وقال العراقي لم أجد له أصلا (وقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب) وله ما احتسب رواه الترمذي من طريق أشعث عن الحسن عن أنس وقد تقدم والشطر الاول متفق عليه من حديث شعبة عن قتادة عن أنس ومن حديث الاعمش عن شقيق عن أبي موسى وابن مسعود وقد تقدم (وقال) صلى الله عليه وسلم (من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة) قال العراقي رواه الطبراني من حديث أبي قرصافة وابن عدي من حديث جابر من أحب قوما ووالاهم حشر في زمرتهم وفي لفظ له بزيادة يوم القيامة وفي طريقهما اسمعيل بن يحيى التيمي ضعيف انتهى قلت وفي بعض نسخ الكامل لابن عدي على أعمالهم بدل ووالاهم وقال الذهبي في الديوان اسمعيل بن يحيى بن عبيد الله أبو يحيى التيمي كذاب عدم وأبوه شيخ ابن المبارك متروك هالك (وقال صلى الله عليه وسلم أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله) رواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي من حديث البراء بلفظ ان أوثق عرى الاسلام ان تحب في الله وتبغض في الله وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس أوثق عرى الايمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله (وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله في كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نعيده) وقال

صاحب القوت بعد ان ذكر حديث أوثق عرى الايمان ما لفظه فجعل ذلك من أوثق العرى لانه منوط بالايمان
لا يستطيع الشيطان حله ولا سلطان له عليه كما لا سبيل له على حل عقد الايمان لان الله يحول بينه و بينه وقد تولى
تأييد الايمان بروح منه بعد كتبه في القلوب برحمته وفي الحب في الله الموالاة والنصرة بالنفس والمال والفعل
والقول وفي البغض في الله ترك ذلك كله والمنابذة والمباينة ولاجل ذلك صارت الموالاة لاولياء الله والمعاداة لاعدائه
من أوثق عرى الايمان لانك قد تعصى وتخالف مولاك لتسليط العدو وغلبة هواك الا أنك تبغض العاصين ولا
توالهم على المعاصي ولا تحبهم من أجلها من قبل ان العدو لم يسلط على ذلك منك كما سلط على فعله من نفسك كما
انه لم يسلط على حل عقد ايمانك كما سلط على المراقبة والمخافة منك ولم يسلط أيضا عليك في استحلال المحارم
واستحسانها ولا التزين بها ولا في ترك التوبة منها ولا بالرضا بها كما سلط عليك باقترافها فان سلط على مثل هذا
منك العدو حتى تحب الفساق وتوالهم وتنصرهم على فسقهم أو تستحل ما يرتكبون من الحرام أو ترضى به
أو تدين به فقد انسلخ منك الايمان كما انسلخ الليل من النهار فلست منه في كثير ولا قليل لان هذه العقود مرتبطة
بعرى الايمان وهي وهو في قرن واحد مقرونان فهذا من كبائر الكبائر التي تحل عقد الايمان معها وتنتقض عراه
بها من قبل ان الموالاة والمحبة لاعداء الله تعمل في أصل الدين وتمحو ثبت اليقين فلا تبقى منه نورا لانه ليس من
عصى امامه فيما أمره مثل من قلب دولته وخرج عليه بالسيف وليس من وافق هوى نفسه فيما نهى الله مثل
من وافق ما وفق الله فيما كتب وأرسل فنبذ كتبه ورد يده في أفواه الرسل مستكبرا فان تمكن مقامات هؤلاء الظالمين
والفاسقين توجب عليهم الرضا باحوالهم أو الشكر عليها فرضوا وشكروا والزمهم أيضا أن يصبروا و يثبتوا على
ما شكروا عليه ورضوا به فيصير ذلك مقاما لهم في الشكر والرضا عند القائل بهواهم ووجبت عليه أيضا لهم أن
يحبهم عليها و يواليهم فاذا وجب عليه ذلك لزمه أن يعينهم عليها و يأمرهم بها وفي هذا تكذيب الكتب كلها
و رد الرسل كلهم نعوذ بالله من رضا لا ينفع ومن حب لا ينفع كما نعوذ به من عمل لا ينفع ومن علم لا ينفع ثم ذكر
الاخبار المتقدمة وزاد فقال وروينا عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما دخل لفظ أحدهما في
الآخر لو ان عبدا صف بين قدميه عند الركن والمقام يعبد الله عز وجل عمره يصوم نهاره و يقوم ليله ثم لقي الله
عز وجل وليس في قلبه محبة وموالاة لاولياء الله ولا بغض ولا معاداة لاعدائه لما نفعه ذلك شيأ وقد جاء نحوه
و بمعناه عن عمر وغيره ان أحدهم ليشيب في الاسلام ولم يوال في الله تعالى ولم يعاد فيه عدوا وذلك نقص كبير وفي
معنى قوله أوثق عرى الايمان الخ وجه خفي هو ان يحبك المؤمنون و يبغضك المنافقون فتكون ذلك علامة
وثيقة عروة ايمانك لان قوله الحب في الله يصلح ان تحب أنت و يصلح ان يحبك المؤمنون وكذلك البغض في الله
يصلح ان يبغضك المنافقون كما تبغضهم أنت فكأنك تحبب الى المؤمنين حتى يحبوك وتتبغض الى المنافقين حتى
يبغضوك بالتباعد عنهم و بترك الموالاة لهم و بنصحك اياهم فيدل ذلك على قوة ايمانك لانك لم تأخذك في الله لومة
لائم منهم كما وصف بذلك من يحبهم و يحبونه و يكون ذلك أبعد لك من المداهنة والنفاق وأقرب الى الصدق
والاخلاص والورع فاذا فعلت ذلك بهم أبغضوك ومقتوك فتظفر بما تريد وتدرك ما تحب داخلا عليك بوصفهم
فهذا على معنى قوله عز وجل أشداء على الكفار رحماء بينهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (فان قلت
فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى) وانه مطلوب (فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال
وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل الى
الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شئ واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس
على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم) العاجزين عن فهمها (وقد التبس على قوم حتى رأوا
السكوت على المنكرات مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن خلق) وليس منه (وهو جهل محض بل نقول الرضا
والكراهة يتضادان اذا تواردا على شئ واحد من جهة واحدة على وجه واحد وليس من المتضاد في شئ واحد
ان يكره من وجه و يرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو أيضا عدو بعض اعدائك أو ساع في اهلاكه

فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شئ واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكرات مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شئ واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد في شئ واحد أن يكره من وجه و يرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو أيضا عدو بعض أعدائك وساع في اهلاكه

فتكره

فتكره موته من حيث انه مات عدو عدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف هذا لك الا بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدى محبيه انى أريد أن أميز بين من يحبنى و يبغضنى وأنصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو أنى أقصد الى فلان فاوذيه وأضربه ضربا يضطره ذلك الى الشتم لى حتى اذا شتمنى أبغضته واتخذته عدوا لى فكل من أحبه أعلم أيضا أنه عدوى وكل من أبغضه أعلم أنه صديقى ومحبى ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذى هو سبب البغض وحصل البغض الذى هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق فى محبته وعالم بشروط المحبة ان يقول أما تدبيرك فى ايذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رأيك وتدبيرك وفعلك وارادتك وأما شتمه اياك فانه عدوان

من جهة اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذى دبرته فانا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا فى تدبيرك وتعويقا فى مرادك وأنا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضى أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك و مقتضى تدبيرك وأما بغضك له بسبب شتمك فانا راض به ومحب له لانه مرادك وأنا على موافقتك أيضا مبغض له لان شرط المحب أن يكون لحبيب المحبوب حبيبا ولعدوه عدوا وأما بغضه لك فانى أرضاه من حيث انك أردت أن يبغضك اذ أبعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعى البغض ولكنى أبغضه من حيث انه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وامقته لذلك فهو ممقوت عندى لمقته اياك وبغضه ومقته لك أيضا عندى مكروه من حيث انه وصفه وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضى وانما التناقض أن يقول هو من حيث انه مرادك مرضى ومن حيث انه مرادك مكروه وأما اذا كان مكروها لا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه و يشهد لذلك كل ما يكره من وجه و يرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسليط الله دواعى الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية و يجره الحب الى فعل المعصية يضاهى ضرب المحبوب للشخص الذى ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم

فتكره موته من حيث انه مات عدوّ عدوّك وترضاه من حيث انه مات عدوّك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف هذا لك الا بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدى محبيه انى أريد أن أميز بين من يحبنى و يبغضنى وأنصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو أنى أقصد الى فلان وأوذيه وأضربه ضربا يضطره ذلك الى الشتم لى حتى اذا شتمنى أبغضته واتخذته عدوّا لى فكل من أحبه فاعلم أيضا انه عدوّلى وكل من أبغضه فاعلم انه صديقى ومحبى ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذى هو سبب البغض وحصل البغض الذى هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق فى محبته وعالم بشروط المحبة أن يقول اما تدبيرك فى ايذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رأيك وتدبيرك وفعلك وارادتك واما شتمه اياك فانه عدوان من جهة اذ كان حقه أن يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذى دبرته فانا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا فى تدبيرك وتعويقا فى مرادك وأنا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضى ان يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك واما بغضك له بسبب شتمك فانا راض به ومحب له لانه مرادك وأنا على موافقتك أيضا مبغض له لان شرط المحب أن يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه عدوّا وأما بغضه لك فانى أرضاه من حيث انك أردت أن يبغضك اذ أبعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعى البغض ولكنى أبغضه من حيث انه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وأمقته لذلك فهو ممقوت عندى لمقته اياك وبغضه ومقته لك أيضا مكروه عندى من حيث انه وصفه وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضى وانما المتناقض أن يقول هو من حيث انه مرادك مرضى ومن حيث انه مرادك مكروه فاما اذا كان مكروها لا من حيث انه مراده وفعله بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسليط الله تعالى دواعى الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهى ضرب المحبوب للشخص الذى ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب ويجره الغضب الى الشتم

ومقت الله تعالى لمن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما يحصل بتدبيره واختياره لا سبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبيده أعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته بابعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله أن يبغض من أبغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادي من أبعده الله عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهرا ومطرودا بطرده واضطراره والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقيتا بغيضا الى جميع المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ما وردت به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله عز وجل وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فالاولى السكوت والتأدب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع انها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه

ومقت الله تعالى لمن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما حصل بتدبيره واختياره لا سبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبيده أعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته بابعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله تعالى أن يبغض من أبغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادي من أبعده الله تعالى عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهرا ومطرودا بطرده اضطرارا والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقيتا بغيضا الى جميع المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ما وردت به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله عز وجل) وبه يظهر معنى قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وكذلك أمر المؤمنين في قوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة (وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه) الا لاهله (وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فالاولى السكوت والتأدب بآداب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر نحوه ورواه الطبراني عن ابن عباس من قول عيسى عليه السلام بلفظ فلا تحلوه وقد تقدم (وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله ومقت المعاصي مع انها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه) وقال الكمال محمد بن اسحق في مقاصد المنجيات أفعال العباد على ثلاثة أقسام طاعات ومباحات ومعاص فالطاعات يرضى بها مطلقا والمعاصي لا يرضى بها مطلقا والمباحات منها ما تعين على الطاعات وفراغ القلب للذكر فيلحق بالطاعات ومنها ما اشغل القلب عن ذكر الله ويحث على المخالفة فيلحق بالمعاصي في عدم الرضا والسر في ذلك ان الله أراد ما لا يرضى ولا يأمر الا بما يرضى والعباد متعبدون بما يصدر من الامر والنهي لا بما يصدر عن مشيئته وتدبيره فالرب تعالى لا يأمر العباد الا بما فيه مصلحة لهم عاجلة أو آجلة وقد تعبدنا ربنا بكراهة المعاصي لمصلحتين احداهما مقصودة في نفسها والثانية وسيلة لغيرها اما المصلحة المقصودة لنفسها فان الله تعالى تسمى بالخافض الرافع ولهما آثار في الوجود من الخفض والرفع فندب الله عباده الى أن يكون المخفوض عنده المخفوض عندهم والمرفوع عنده المرفوع عندهم ولا يوجد كمال هذه العبادة الا عند المحبين لان المحبة اذا قربت تعدت الى كل ما يتعلق بالمحبوب حتى يحب حبيبه ويبغض بغيضه واليه الاشارة بقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا أي قاتل نفسك وقوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر واما المصلحة المقصودة لغيرها فان الله جبل طباع العباد على النفرة عما يكرهونه فكراهة المعاصي على هذا وسيلة الى تركها ونبذها الا من حيث انها من فعل الله فان قلت الرضا والسخط أيضا مرادان وقد قلت ان الله أراد ما لا يرضى وما معنى قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فاقول الرضا والسخط مرددان بين الارادة والفعل ومعنى الآية محمول على الصفة الفعلية لا على الصفة الذاتية فقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر أي اذا كفروا عاملهم معاملة الساخط عليهم وهذا معنى قولك يريد ما لا يرضى أي خصهم بفعل يعاقبهم عليه لان حقيقة لفظي

وبهـذا يعرف أيضا ان الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى فان الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الاسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا ان التمسك

بالاسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضا لان الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم اظهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا واظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أي في معرض الشكاية وذلك في الصيف فاما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الاطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لان مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي أن يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي

(بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا) اعلم أن الضعيف قد يظن أن نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزلا وضرا

الرضا والسخط محالان في حق الله تعالى انتهى (وبهـذا تعرف أيضا أن الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى فان الله تعالى تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما ان حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الاسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا أن التمسك بالاسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل وقد استقصيناه في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضا لان الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به) وهـذا اعذر من جعل الرضا من لواحق التوكل وحالا من احواله ولم يعده خاصا كما تقدم الكلام عليه (نعم اظهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا) ولذلك قال أبو علي الدقاق ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء انما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء (واظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض) ولفظ القوت والتحدث بالاوجاع والاخبار عن المصائب لا ينقص حال الراضي اذا رآها نعمة من الله عليه وشكر الله عليها وكان القلب مسلما غير متسخط ولا متبرم بمر القضاء (وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هـذا يوم حار أي في معرض الشكاية وذلك في أيام الصيف فاما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا وذم الاطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لان مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي أن يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي) ولفظ القوت ومن الرضا عند أهل الرضا أن لا يقول العبد هـذا يوم شديد الحر ولا هذا يوم شديد البرد ولا يقول الفقر بلاء ومحنة ولا العيال هم وتعب ولا الاحتراف كد ومشقة ولا يعتقد بقلبه من ذلك ما لا يفوه به بل يرضى بالقلب ويسلم ويسكن القلب ويستسلم بوجود حلاوة التدبير واستحسانه بحكم التقدير وروينا عن عمر رضي الله عنه قال ما أبالي على أي حال أصبحت من شدة أو رخاء اهـ وقال الكمال الصوفي في المقاصد ومن عاب صورة من الصور أو طعاما من الاطعمة أو تبرم بحر أو ببرد أو أنكر بقلبه أو لسانه ما يصب الله على عباده من المحن والبلايا والرزايا وجملة أنواع ما اختبر الله به العباد من الامر والنهي وما يقع في الآخرة من المثوبات والعقوبات بطل رضاه ووجبت عليه التوبة والله الموفق

(بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا)

(اعلم) أسعدك الله تعالى (ان الضعيف) القاصر النظر (قد يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون) كما تقدم ذلك في الاخبار الواردة فيه (يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي) وفشت (لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله) وهو مذموم منهي عنه (وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون) منه (انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم) في تمريضهم (فيهلكون هزلا وضرا) ولا يوجد من يجهزهم بعد موتهم

البلدة فى الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك فى كتاب التوكل واذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التى هى مظان المعاصى ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لابد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التى تدعو الى المعاصى والاسباب التى تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليست مذمومة فما زال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بلدا شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدرى فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رأيت بغداد قال ما رأيت بها الا شرطيا غضبان أو تاجرا لهفان أو قارئا حيران ولا ينبغى أن تظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وانما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وقد كان مقامه ببغداد يرقب استعداد
القافلة ستة عشر يوما فكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة لمقامه

ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاخبار بالفرار من الزحف) تشديدا فى أمره وزجرا له فى ذلك
واستدل به من ذهب الى ان النهى فيه نهى تحريم كما هو مذهب الشافعى وقد تقدم ذلك فى كتاب التوكل وذكرنا
هنالك ان تلك العلة التى أبداها المصنف قد سبقه فيها الامام أبو جعفر الطحاوى فى شرح معانى الآثار (ولو
كان ذلك للفرار من القضاء) كما يفهم بظاهره (لما أذن لمن قارب البلدة فى الانصراف) والرجوع (وقد
ذكرنا حكم ذلك فى كتاب التوكل) فارجع اليه (واذا عرف المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التى بها مظان
المعاصى ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لابد من الفرار منه) ويدل لذلك قول عمر رضى الله عنه
لما أمر الناس بالانصراف عن الشام وقد قال له بعضهم أتفر من قضاء الله فقال نعم نفر من قضاء الله الى قضاء الله
(وكذلك مذمة المواضع التى تدعو الى المعاصى والاسباب التى تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذموما)
وقال الكمال الصوفى ولا رخصة فى الاقامة فى بلد كثر فيه الفساد خوفا من الفرار من قضاء الله تعالى فانه أيضا اذا
فر فر بقضاء الله تعالى (فما زال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة منهم على ذم) دار السلام
(بغداد) وهى المدينة المشهورة بالعراق بناها أبو جعفر المنصور وفيها لغات أشهرها بفتح الباء الموحدة وسكون
الغين المعجمة ودالين مهملتين ثم بغدان بالنون بدل الدال ويروى بدال فى آخر ويروى بدال أولى مهملة والثانية
معجمة وهذا هو المعروف عند المحدثين والكتاب ويقال بعكس ذلك ويقال مغدان بالميم بدل الباء والنون آخرا
وقد استوفيت ذلك فى شرحى على القاموس والاسم أعجمى والعرب تختلف فى ذلك وزعم بعضهم ان تفسيره
بستان العدل وقيل عطية الصنم وهو على اللغة المشهورة الاولى التى ذكرناها ولذا كره ابن المبارك هذه التسمية
وسماها المنصور دار السلام لان دجلة كان يقال لها وادى السلام وكان بناها فى سنة خمس وأربعين ومائة فى الوقت
الذى اختاره له نوبخت المنجم وكان قد جمع لبنائها مائة ألف رجل من جميع الاقاليم من أهل المعرفة بالبناء
واحكامه ويقال لا تعرف فى أقطار الارض مدينة مدوّرة سواها وقد استوفى أخبار بنائها وما يتعلق بها
الخطيب فى أوّل تاريخه لها (واظهارهم ذلك) أى الذم (وطلب الفرار منها) قال صاحب القوت وكذلك يحب
ابن آدم ممن عامله الاعتراف والتواضع وهو أيضا أحد المعانى فى قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا قيل هو الاعتراف عقيب العمل السيئ لانه قد تقدم ذكره فكان الصالح بعده اعترافه فاما
من قلبت عليه هذه المعانى فجهل مواقيت الامور وغلبت عليه الغفلة واستحوذت عليه الجهالة فجعل ينظر الى من
فوقه فى الدنيا فيغبطه على حاله أو يتمنى مكانه أو يدخله نظره اليه فى استصغار نعمة الله عليه ويزدرى بيسير ما قسم
به ثم ينظر الى من هو دونه فى الزى من عموم المسلمين فيرضى بنقصان مقامه ويجعل ذلك معذرة له وحجة وتأسيا به
فيغبطه عن اتساعه الى القربات أو لعله أو يداخله العجب والكبر حتى يتفضل عليه بحاله أو ينظر الى نفسه
باهماله لتقصير غيره عن مثل فعاله فهذا أيضا يكتب جزوعا من الصبر كفورا للنعمة باضاعة الشكر لانه ليس
بصابر ولا شاكر وهذا وصف من أوصاف المنافقين وهو مقام الهالكين وروى عن أبى ذر رضى الله عنه قال
أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحب المساكين والدنو منهم وان أنظر الى من هو دونى ولا أنظر الى من هو
فوقى فذلك أجدر أن لا أزدرى نعمة الله على وقد وصف هذا البلد الذى نحن فيه بمثل هذه المعانى والله المستعان
(فقال ابن المبارك) فيما حدثونا عنه (قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بلدا أشد من بغداد قيل وكيف هو)
يا أبا عبد الرحمن (قال هو بلد تزدرى) أى تحتقر (فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله) أى تعد صغيرة قال
(و) حدثونا عنه انه (لما قدم خراسان قيل له) يا أبا عبد الرحمن (كيف رأيت) الناس فى (بغداد فقال ما رأيت
بها الا شرطيا غضبان أو تاجرا لهفان أو قارئا حيران) نقله صاحب القوت (ولا ينبغى أن تظن ان ذلك من
الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وانما قصد بذلك تحذير الناس) عن سكناها
(وكان) ابن المبارك (يخرج الى مكة وقد كان مقامه ببغداد يرقب استعداد القافلة ستة عشر يوما فكان
يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة لمقامه) ولفظ القوت ويقال انه كان يتصدق فى كل يوم بدينار

لاجل

وقد ذم العراق جماعة كعمر بن العزيز وكعب الاحبار وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولى له أين تسكن فقال العراق قال فما تصنع به بلغني انه ما من أحد يسكن العراق الا قيض الله له قرينا من البلاء وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر وفيه الداء العضال وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء فتسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متدرع بعباءة فاجلسه الى جانبه وأقبل عليه ثم قال أين تسكن فقال ببغداد فاعرض عنه وقال يأتينا أحدهم في زي الرهبان فاذا سألناه أين تسكن قال في عش الظلمة وكان بشر بن الحرث يقول مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من أراد أن يخرج فليخرج وكان أحمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي قيل وأين تختار السكنى قال بالثغور وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على ان من بلي ببلدة تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي أن يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل

لاجل مقامه ببغداد الى ان يخرج الى مكة فبلغني انه كان يقيم مع الحاج ستة عشر يوما فكان يتصدق بستة عشر دينارا كفارة لمقامه ثم قال وقد وصفها الشافعي رضي الله عنه انها هي الدنيا وروينا عنه انه قال الدنيا كلها بادية وبغداد حاضرتها وحدثونا عن يونس بن عبد الاعلى قال قال لي الشافعي يا يونس رأيت بغداد قلت لا قال ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس اهـ وقال الخطيب في تاريخه أخبرنا أبو عبد الرحمن اسمعيل بن أحمد الضرير أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي بنيسابور سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت عبد الله بن موسى الطلحي يقول سمعت أحمد بن العباس يقول خرجت من بغداد فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة فقال لي من أين خرجت فقلت من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد خفت ان يخسف باهلها فقال ارجع ولا تخف فان فيها قبور أربعة من الاولياء هم حصن من جميع البلايا قلت من هم قال الامام أحمد بن حنبل ومعروف الكرخي وبشر الحافي ومنصور بن عمار اهـ (وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار) رحمهما الله تعالى (وقال ابن عمر رضي الله عنهما) كذا في سائر النسخ وهو غلط ولفظ القوت فروينا عن عمر بن عبد العزيز انه قال (لمولى له أين تسكن فقال العراق فقال فما تصنع به بلغني انه ما من أحد يسكن العراق الا قيض الله له قرينا من البلاء) كذا في القوت (وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة اعشار الشر وفيه الداء العضال) قال صاحب القوت وكان قال ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فنهاه عن الخروج الى العراق قلت رواه كذلك أبو نعيم في الحلية في ترجمة كعب (وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء فتسعة اعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك) أي تسعة أعشاره بالعراق وعشره بالشام نقله صاحب القوت قلت وهذا قد روي مرفوعا من حديث عبد الله بن عمر والخير عشرة أعشار تسعة بالشام وواحد في سائر البلدان والشر عشرة أعشار واحد بالشام وتسعة في سائر البلدان رواه الخطيب في المتفق والمفترق وفيه أبو خليل الدمشقي عن الوضين بن عطاء قال أحمد ما كان به بأس ولينه غيره وروى ابن عساكر من حديث بسند فيه مجاهيل ان الله خلق أربعة أشياء وأردفها أربعة أشياء خلق الجدب وأردفه الزهد وأسكنه الحجاز وخلق العفة وأردفها الغفلة وأسكنها اليمن وخلق الريف وأردفه الطاعون وأسكنه الشام وخلق الفجور وأردفه الوهم وأسكنه العراق (وقال بعض أصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى (فجاءه صوفي متدرع بعباءة فاجلسه الى جانبه وأقبل عليه) بوجهه يحادثه (ثم قال أين تسكن) اليوم (فقال ببغداد فاعرض عنه) الفضيل (وقال يأتينا أحدهم في زي الرهبان فاذا سألناه أين تسكن قال في عش الظلمة) نقله صاحب القوت (و) قد (كان بشر بن الحرث) رحمه الله تعالى (يقول مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد في الحش) نقله صاحب القوت (وكان) رحمه الله تعالى (يقول لا تقتدوا بي في المقام بها) أي ببغداد (من أراد أن يخرج فليخرج) نقله صاحب القوت (وكان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي قيل وأين تختار السكنى قال بالثغور) نقله صاحب القوت قال وأما معروف الكرخي رحمه الله تعالى فكان يفصح بها فيقول أما أنا فاني أمرت أن أموت ببغداد فهؤلاء من خيار أهل البلد وهم من ابدال الصديقين (وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا) وأمثاله (يدل على ان من بلي ببلدة) أي بسكناها (تكثر فيها المعاصي) والمنكرات (ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر) منها (قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي أن يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل

البلاء ودمر) على (الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) ولفظ القوت ومن سكن بلدا كثير المنكر ظاهر المعاصي وكان فيه من عجا غير مطمئن اليه يرغب الى الله في اخراجه منه بحسن اختياره له أو كان مضطرا في المقام فيه لعلة أو قلة ذات يد لا يستطيع حيلة في الخروج ولا يهتدي طريقا لغلبة الفساد في أكثر الامصار فانه معذور عند الله بحسن نيته وهو أقرب الى العفو والسلامة ممن اغتبط بمقامه واطمأن ورضي بحاله او كان مقامه على هوى أو لاجتلاب أسباب الفتنة والدنيا قال تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها في التفسير اذا كنت في بلد يعمل فيه بالمعاصي فتحول منه الى غيره وقيل اذا كان العبد في بلد من يعمل فيه بالمنكر أضعف أو أقل من أهل المعروف ثم لم ينكر واذلك فقد وجب الخروج منه ثم قال تعالى في قوم من المستضعفين عذرهم والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها الآية ألا ترى كيف أخبر بترك رضاهم بالمقام وبانزعاجهم وطلبهم الخروج فبذلك عذرهم ولا يصلح الرضا الا بالعصمة من جميع الهوى اهـ وقال الكمال الصوفي ولا رخصة في الاقامة في بلد كثر فيه الفساد خوفا من الفرار من قضاء الله تعالى فانه أيضا اذا فر فر بقضاء الله تعالى قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان عاقه عجز أو عيلة وجب عليه كراهة ذلك بباطنه تعبدا لله عز وجل (فاذا ليس في شيء من أسباب نقص الدين البتة رضا مطلق الا من حيث اضافتها الى فعل الله تعالى فاما هي في نفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من أهل المقامات الثلاث) أي أيهم أفضل (رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء) للمعاملة و (لخدمة المولى ورجل قال لا أختار شيأ بل أرضى بما اختاره الله تعالى لي) ان شاء أحياني أبدا وان شاء أماتني غدا (ورفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين) وتحاكموا اليه (فقال صاحب الرضا أفضلهم لانه أقلهم فضولا) قال صاحب القوت وهذا كما قال في الاعتبار بترك الاعتراض والاختيار لانه دخل في الدار بغير اختيار فكذلك ينبغي ان يكون خروجه منها عن معنى دخوله بلا اختيار ولان مقام الرضا أعلى من مقام الشوق ثم الذي يليه في الفضل الذي يحب الموت شوقا الى اللقاء وهذا مقام في المحبة وهو حقيقة الزهد في الحياة والذي يحب البقاء للخدمة وكثرة المعاملة فهو فاضل بعد هذين مقامه قوة الرجاء وحسن الظن في العصمة وله أيضا مطالعات من الانس وملاحظات في القرب به طاب مقامه وعنه سكنت نفسه وقصرت عليه أيامه ففي الخبر أفضل المؤمنين ايمانا من طال عمره وحسن عمله هذا لان الاعمال مقتضى الايمان اذ حقيقة الايمان انما هو قول وعمل وليس بعد هؤلاء مقام يفرح به ولا يغبط عليه صاحبه ولا يوصف بمدح انما هو حب البقاء ولمتعة النفس وموافقة الهوى وقد تشرف النفس على الضعفاء من أهل هذا الطريق وتختفي فيها علته وهو أن يحب البقاء لاجل النفس وللمتعة بروح الدنيا وما طبعت عليه من حب الحياة ويكره الموت لمنافرة الطبع فيتوهم انه ممن يحب البقاء لاجل الله تعالى ولاجل طاعته وخدمته وهذا من الشهوة الخفية التي لا يخرجها الا حقيقة الزهد في الدنيا ولا يفضل في هذا الطريق الثلاث الا عارف واحد دائم المشاهدة باليقين فاما المعتل بوصفه وهواه فليس به اعتبار في طريق ولا مقام (و) قد كان (اجتمع ذات يوم وهيب بن الورد) المكي تقدم التعريف به مرارا (وسفيان) بن سعيد (الثوري ويوسف بن اسباط) الشيباني رحمهم الله تعالى (فقال الثوري) قد (كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم واليوم وددت اني مت فقال له يوسف) بن اسباط (لم قال لما أتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا أكره طول البقاء فقال سفيان لم) تكره الموت (قال لعلي أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا فقيل لوهيب ايش تقول أنت فقال أنا لا أختار شيأ أحب ذلك الي أحبه الى الله تعالى) قال (فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة) قال صاحب القوت يعني مقام الروحانيين وهم المقربون أهل الروح والريحان فهم ذوو المحبة لله عز وجل والرضوان كما قال تعالى فأما ان كان من المقربين فروح وريحان يعني لهم روح من نسيم القرب وريحان من طيب الانس والحب وأيضا انه تعالى لما ذكرانه لاصحاب اليمين من كل شدة وهول روحا به لشهادتهم القريب وفي كل

البلاء ودمر الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فاذا ليس في شيء من أسباب نقص الدين البتة رضا مطلق الا من حيث اضافتها الى فعل الله تعالى فاما هي في نفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من أهل المقامات الثلاث رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا أختار شيأ بل أرضى بما اختاره الله تعالى ورفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا أفضلهم لانه أقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط فقال الثوري كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم واليوم وددت أني مت فقال له يوسف لم قال لما أتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا أكره طول البقاء فقال سفيان لم قال لعلي أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا فقيل لوهيب ايش تقول أنت فقال أنا لا أختار شيأ أحب ذلك الي أحبه الى الله سبحانه فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة

(بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم) قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما أنا محبوب والمحب متعوب وقيل له أيضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال أنا كل السبعة وكان يقول اذا رأيتموني فقد رأيتم أربعين بدلا قيل وكيف وأنت شخص واحد قال لاني رأيت أربعين بدلا وأخذت من كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى (٦٧٣) الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر أن يراه فيحتجب عنه وحكي عن الخضر عليه السلام انه قال ماحدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى الا عرفته الا ورأيت في ذلك اليوم وليا لم أعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز أن أطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله فجمحت على فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك *ويحكى عن يحيى بن معاذ انه رأى أبا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيه مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فأطاله ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طي الارض

كربر بحانا منه لقرب الحبيب فبذلك علوا ولذلك فضلوا وكان بعض هذه الطائفة يقول سر العارف في الاشياء واقف مثل الماء في البئر لا يختار المقام وان أخرج خرج أي ومثل لسان الميزان في وقوفه واعتداله بين حكمين أيهما أمدبه مال به وقال آخر قلبي مثل الماء يسخن ثم يبرد أي لا يقف على وصف اهـ وقد وجدت في الحلية لابي نعيم في ترجمة وهيب بن الورد ما يخالف ما ذكره صاحب القوت وتبعه المصنف قال حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا سعد بن محمد البيروتي حدثنا ابن أبي داود قال سمعت عبد الرزاق يقول اجتمع سفيان الثوري ووهيب بن الورد فقال سفيان لوهيب يا أبا أمية أتحب أن تموت فقال أحب أن أعيش لعلي أن أتوب فقال وهيب فانت قال ورب هذه البنية ثلاثا وددت اني مت الساعة

(بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم)

(قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما أنا محبوب والمحب متعوب) أشار بذلك الى ان المحب لا يقر له قرار دون لقاء محبوبه فهو أبدا في تعب بخلاف المحبوب فانه مطلوب فهو أبدا في سكون وراحة وقرار (وقيل له أيضا الناس يقولون) فيك (انك واحد من السبعة) يعني الاوتاد (فقال أنا كل السبعة) أي فمن رآني كأنما رأى السبعة (وكان يقول اذا رأيتموني فقد رأيتم أربعين بدلا قيل وكيف ذلك وأنت شخص واحد قال لاني رأيت أربعين بدلا وأخذت من كل بدل خلقا من أخلاقه) فاجتمعت في أخلاق أربعين رجلا (وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه) وهذا كما نقله القشيري عن بعضهم انه أراد منه الخضر ان يصحبه فأبى فسئل عن ذلك فقال خفت ان يفسد على توكلي (وحكي عن الخضر عليه السلام انه قال ماحدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى الا قد) عرفته الا ورأيت في ذلك اليوم شيأ لم أعرفه) قبل ذلك (وقيل لابي يزيد) طيفور بن عيسى (البسطامي رحمه الله تعالى (مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويحكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك) لان المشاهدة أسرار بين الله تعالى وعبده ولا ينبغي كشفها للغير غيرة عليها (قيل فحدثنا بأشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز أن أطلعكم عليه) فان العقول ربما لا تحتمل ذلك فيقع الانكار فيكون سببا للمقت أولان السامع ربما يحمل نفسه على مثل ذلك من غير تدريج فيقع في حرج (قيل فحدثنا عن رياضة نفسك) وتهذيبها (في بدايتك) أي أول سلوكها (فقال نعم دعوت نفسي الى الله تعالى فجمحت علي فعزمت عليها ان لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك) وانما فعل ذلك لانه رأى فيها بقايا شهوة فنظر الى أجل لذاتها فاذا هي شرب الماء والنوم فتركهما ليستأصل الشهوة بالكلية وأعظم أسباب النوم شرب الماء فترك شرب الماء لينقطع عنه النوم ومن ذلك أهدى رجل الى الامام أبي زكريا النووي رحمه الله تعالى وكان من الزاهدين خيارا في أول ظهوره فقبله منه ووضعه عنده ثم أتاه الرجل ثاني يوم فوجد الخيار عنده كما كان وضعه فلامه على عدم أكله فقال ياهذا خفت اني ان أكلته غلبت الرطوبة على الدماغ فكان سببا للنوم (وحكي عن) أبي زكريا (يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (انه رأى أبا يزيد البسطامي) رحمه الله تعالى (في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيه مع عقبيه من الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فأطال) في سجوده (ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك) واطمأنوا به (واني أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طي الارض) وقربت لهم البعيد

فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فرآنى فقال يحيى قلت نعم ياسيدى فقال مذ متى أنت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت ياسيدى حدثنى بشئ فقال أحدثك بما يصلح لك أدخلنى فى الفلك الاسفل فدورنى فى الملكوت السفلى وأرانى الارضين وما تحتها الى الثرى ثم أدخلنى فى الفلك العلوى فطوف بى فى السموات وأرانى ما فيها من الجنان الى العرش ثم أوقفنى بين يديه فقال سلنى أى شئ رأيت حتى أهبه لك فقلت ياسيدى ما رأيت شيأ أستحسنه فاسألك اياه فقال أنت عبدى حقا تعبدنى لاجلى صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر أشياء قال يحيى فهالنى ذلك

وامتلأت به وعجبت منه فقلت ياسيدى لم لا سألته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلنى ما شئت قال فصاح بى صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه منى حتى لا أحب أن يعرفه سواه وحكى ان أبا تراب النخشبى كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجدته فقال له أبو تراب لو رأيت أبا يزيد فقال انى عنه مشغول فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما أصنع بأبى يزيد قد رأيت الله تعالى فاغنانى عن أبى يزيد قال أبو تراب فهاج طبعى ولم أملك نفسى فقلت ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى من قوله وأنكره فقال وكيف ذلك قال له ويلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ماقلت فقال احملنى اليه فذكر قصة قال فى آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج الينا من الغيضة وكان يأوى الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا أبو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابى يزيد ياسيدى نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن فى قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه فى مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك

(فرضوا بذلك) واطمأنوا به (وانى أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض) وزخارف الدنيا (فرضوا بذلك) واطمأنوا به (وانى أعوذ بك من ذلك قال) ولم يزل يذكر مثل ذلك (حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء) مما يكرم الله تعالى به اياهم قال (ثم التفت فرآنى فقال يحيى فقلت نعم ياسيدى فقال مذ متى أنت ههنا فقلت منذ حين فسكت فقلت ياسيدى حدثنى بشئ) أى من أحوالك (فقال أحدثك بما يصلح لك) اعلم انه تعالى (أدخلنى فى الفلك الاسفل فدوّرنى فى الملكوت السفلى وأرانى الارضين وما تحتها الى الثرى ثم أدخلنى فى الفلك العلوى فطوّف بى السموات وأرانى ما فيها من الجنان الى العرش ثم أوقفنى بين يديه فقال سلنى أى شئ رأيت) مما يعجبك (حتى أهبه لك فقلت ياسيدى ما رأيت شيأ استحسنته فاسألك اياه) ونفى الاستحسان هنا بالنسبة الى استغراقه فى جمال مولاه (فقال أنت عبدى حقا تعبدنى لاجلى صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر أشياء قال يحيى فهالنى ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت ياسيدى لم لا سألته المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك) جل وعز (سلنى ما شئت قال فصاح بى صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه منى حتى لا أحب أن يعرفه سواه) ومقام الغيرة من نتائج المحبة فان المحب يتخلق بأخلاق محبوبه فلا يبدى من أسرار محبوبه شيأ الا لاهله والا يكون فتنة عليهم ويشح على نفس من أنفاسه أن يصرفه لغير محبوبه (وحكى ان أبا تراب) عسكر بن الحصين (النخشبى) رحمه الله تعالى (كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه) أى يقربه (ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجدته) التى كان يجدها فى مراقباته (فقال له أبو تراب لو رأيت أبا يزيد) البسطامى (فقال) المريد (انى عنه مشغول) أى فلا أشغل وقتى بغير الله تعالى (فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما أصنع بأبى يزيد قد رأيت الله تعالى فاغنانى عن أبى يزيد) عن سواه ولم يبق فى رغبة لغيره (قال أبو تراب فهاج طبعى ولم أملك نفسى فقلت ويلك تغتر بالله عز وجل) فى تقريبه لك (لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله عز وجل سبعين مرة) قال (فبهت الفتى من قوله وأنكره) عليه (فقال وكيف ذلك قال له ويلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف) المريد (ماقلت) فوطن نفسه على رؤية أبى يزيد (فقال احملنى اليه فذكر قصة قال فى آخرها فوقفنا على تل) أى محل مرتفع مشرف على غيره (ننتظره ليخرج الينا من الغيضة وكان) أبو يزيد (يأوى الى غيضة فيها سباع) ووحوش (قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا أبو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق) فى الحال وغشى عليه (فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابى يزيد ياسيدى نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا) فى حبه (واستكن فى قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه) فاستغرقه (فضاق عن حمله لانه فى مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك) فلذلك شرطوا للمريد فى ترقيه أن يكون بالتدريج فلا يصل الى مقام هو أرفع مما كان فيه الا وقد أنس فى مباديه حتى يكون مطيقا لحمله والا فان ورد عليه مرة واحدة لم يتحمل بل ربما أهلكه وقد ينكشف للمريد فى صحبة العارفين والنظر الى وجوههم فى لحظة واحدة ما لا ينكشف لهم بالاجتهاد فى مدة متطاولة ولذلك جعل مشايخ

فقال وكيف ذلك قال له ويلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ماقلت فقال احملنى اليه فذكر قصة قال فى آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج الينا من الغيضة وكان يأوى الى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا أبو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابى يزيد ياسيدى نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن فى قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه فى مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك

الطريقة

* ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سألت الله تعالى دفعهم فسكت ثم قال ان لله عبادا
في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الامات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم
ذكر من اجابة الله أشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه أمور ممكنة في أنفسها فمن لم يحظ بشيء منها
فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عميم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية
لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان أبو يزيد يقول ان أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة
ابراهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك أضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش و يتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر اليهن وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم ازل اتضرع حتى صرفهن الله عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المؤمن لافلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بما يشاهده
من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص
واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول
فهذه أوائل سلوكهم واقل مقاماتهم وهي اعز موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق يفيض
عليه نور اليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرى انكار من انكر امكان انكشاف
الصورة في الحديدة اذا شكلت

الطريقة العلية النقشبندية قدس الله أسرارهم الرابطة بالشيخ الكامل من جملة أركان الطريق (ولما دخل
الزنج) وهم السودان الاحابيش من القفائف (البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال) وأحرقوا الدور واتحل
منها من قدر وأطاق (اجتمع الى) أبي محمد (سهل) بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى وكان اذ ذاك بالبصرة
في دار خاله محمد بن سوار (اخوانه) وأصحابه (فقالوا لو سألت الله تعالى دفعهم) عن المسلمين (فسكت ثم قال
ان لله عبادا في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الامات في ليلة واحدة ولكن
لا يفعلون) أي لا يدعون عليهم (قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله تعالى) أشياء
(لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها) وكذلك لما دخل التتار الى خوارزم فقتلوا
وسلبوا ونهبوا وكان اذ ذاك أبو الجناب الخيوقي المعروف بالنجم الكبرى قدس سره وكان مستجاب الدعاء فقال
له أصحابه الا تدعو الله أن يدفعهم عنا فأبى وسلم الامر الى الله تعالى فكان ممن استشهد مع أصحابه اذ ذاك (وهذه
أمور ممكنة في أنفسها فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة)
الالهية (واسعة) لا حد لها (والفضل عظيم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها
وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان أبو يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى (يقول ان أعطاك
مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم) عليهم السلام (فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا
مضاعفة) مما لا رأته عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر (فان سكنت الى ذلك) الذي أعطيته (حجبك
به) أي فكان ذلك حجابك (وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل) لما في الخبر أشد
الناس بلاء الانبياء والصالحون ثم الامثل فالامثل وقد تقدم (وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء
ورأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة
فعوقبت أربعين يوما) على عددهن (ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال) والزي
(وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر اليهن وقلت أعوذ بك مما سواك
لا حاجة لي بهذا فلم أزل أتضرع) وأدعو (حتى صرفهن الله عني) وهذا من جملة الابتلاء لخواص محبيه
(فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن لافلاسه عن مثلها) أي لحرمانه عنه (فلو لم يؤمن كل واحد
الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه أحوال) لا (تظهر) الا (بعد
مجاوزة عقبات) كؤدة (ونيل مقامات كثيرة أدناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن
جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهذه أوائل
سلوكهم) ومبادي اراداتهم (وأقل مقاماتهم وهي أعز موجود في الاتقياء من الناس) فضلا عن العامة
(وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين) فيطمئن قلبه ويستصحبه الانس
ويقف على مهد الاعتدال في الحضرة (وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق)
على يد شيخ كامل (يجري مجرى انكار من أنكر امكان انكشاف الصورة في الحديدة اذا شكلت) شكلا

ونقيت وصقلت وصوّرت بصورة المرآة فنظر المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور
فانكر امكان انكشاف المرئي فيها عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من أنكر كرامات الاولياء اذ لا مستند
له الا قصوره عن ذلك وقصور من رآه وبئس المستند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يشم روائح المكاشفة من سلك شيأ ولو من مبادي
الطريق كما قيل لبشر باي شئ بلغت هذه المنزلة قال كنت أكاتم الله تعالى حالي معناه أسأله أن يكتم علي ويخفي أمري وروي أنه رأى
الخضر عليه السلام فقال له ادع الله تعالى لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال وسترها عليك فقيل معناه سترها عن الخلق وقيل معناه
سترها عنك حتى لا تلتفت أنت

اليها وعن بعضهم أنه قال أقلقني الشوق الى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن
يريني اياه ليعلمني شيأ كان أهم الاشياء علي قال فرأيته فما غلب على همي ولا همتي الا أن قلت له يا أبا العباس علمني شيأ اذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم أسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم أره ولم أشتق اليه بعد ذلك فما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم فحكي أنه صار بحيث كان يستذل ويمتهن حتى كان أهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق بحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في
ذله وخموله فهكذا حال أولياء الله تعالى ففي أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والمغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات
والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله تعالى على أوليائه تأبى الا اخفاءهم كما قال تعالى أوليائي تحت قبابي
لا يعرفهم غيري وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه
المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعملها وعلمها وأقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل
واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه
أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجى له أن

خاصا (ونقيت) عن أوساخها (وصقلت) بادامة العمل عليها (وصورت بصورة المرآة فنظر المنكر الى ما في
يده من زبرة) أي قطعة (حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فانكر
امكان انكشاف المرئي فيها عند ظهور جوهرها) بعد الصقل (وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم
كل من أنكر كرامات الاولياء) قدس الله أسرارهم (اذ لا مستند له الا قصوره عن ذلك وقصور من رآه وبئس
المستند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يشم روائح المكاشفة من سلك شيأ ولو من مبادي الطريق)
وأوائله (كما قيل لبشر) الحافي رحمه الله تعالى (باي شئ بلغت هذه المنزلة فقال كنت أكاتم الله تعالى حالي
معناه) كنت (أسأله أن يكتم علي) حالي (ويخفي أمري) على الخلق حتى لا يطلعون عليه (وروي أنه رأى
الخضر عليه السلام فقال له ادع الله لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال وسترها عليك) واختلف فيه
(فقيل معناه سترها عن الخلق) فلا يطلعون عليه (وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت اليها) فيكون
التفاتك حجابا لك (و) حكي (عن بعضهم انه قال أقلقني الشوق الى) ملاقاة (الخضر) عليه السلام (فسألت الله
تعالى مرة أن يريني اياه ليعلمني شيأ كان أهم الاشياء علي قال فرأيته فما غلب على همي ولا همتي الا ان قلت
له يا أبا العباس) وهي كنية الخضر (علمني شيأ اذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر) أي منزلة
(ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في
مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب) عني (فلم أره ولم أشتق اليه بعد ذلك فما زلت أن أقول هذه
الكلمات في كل يوم فحكي انه صار بحيث كان يستذل ويمتهن) أي يحتقر (حتى كان أهل الذمة يسخرون
به ويستسخرونه في الطريق بحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به) ويؤذونه (فكانت
راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذله وخموله فهكذا حال أولياء الله ففي أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا
والمغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة) والهيآت الغريبة (وفي المشهورين بين الخلق بالعلم
والورع والرياسة وغيرة الله على أوليائه تأبى الا اخفاءهم) عن أعينهم (كما قال تعالى) في الحديث القدسي
(أوليائي تحت خبائي لا يعرفهم غيري) وفي نسخة تحت قبائي أي تحت ستري اذ سترتهم عن أعين الخلق (وقال
صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين) أي ثوبين رثين (لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره) رواه مسلم من
حديث أبي هريرة والخطيب من حديث أنس وقد تقدم (وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب
المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها) الراضية باحوالها (وأقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة
المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا أذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فاذا
لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع
الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجى له أن

يستنشق مبادي هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن نطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا للاولياء الله مؤمنا بهم فعسى أن يحشر مع من أحب ويشهد لهذا ما روى ان عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روى ان ابن الكرنبي وهو أستاذ الجنيد دعاه رجل الى طعام ثلاث مرات ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وعنه أيضا أنه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت على قلبي فدخلت الحمام وعدلت الى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت أمشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وتخلل حائل وانما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكى ان شاهدا عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد فقال له يوما أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وأنا أصدق به وأحبه فقال أبو يزيد ولو صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا دواء قال نعم قال قل لي حتى أعمله قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى أعمل قال اذهب الساعة الى الرجل المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة وادخل السوق وطف الاسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك فقال سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد قولك سبحان

يستنشق مبادي هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذه الروح فلا ينبغي أن نطرح الايمان بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر أن يكون من أولياء الله تعالى فليكن محبا للاولياء الله تعالى مؤمنا بهم) مصدقا لهم في أقوالهم مسلما لاحوالهم (فعسى أن يحشر مع من أحب) فمن أحب قوما حشر معهم كما في الخبر وتقدم قريبا (ويشهد لهذا ما روى أن عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله عز وجل في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روى ان ابن الكرنبي) بفتح الكاف والراء وسكون النون وكسر الموحدة أبو خليفة الصوفي (وهو استاذ الجنيد) خرج الى عبادان ترجمه الخطيب في التاريخ وكرنبا بلد بخراسان وقد وقع هنا في نسخ الكتاب تصحيف فاحذر (دعاه رجل الى طعامه ثلاث مرات ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت و) حكي (عنه أيضا أنه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح) والديانة (فتشتت قلبي فدخلت الحمام وعدلت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت أمشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي) وقد اعترض ابن القيم وغيره على المصنف في تقريره هذا الكلام والتسليم له وان هذا لا يجوز شرعا وقد أجاب عنه العارفون منهم سيدي عبد الوهاب الشعراني قدس سره في كتابه الاجوبة المرضية عن السادة الصوفية وأشرنا الى بعضه في خطبة كتاب العلم (فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله تعالى حجاب بعد وتخلل حائل وانما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكي أن شاهدا عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى (فقال له يوما يا أبا يزيد أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيأ) يعني علم المعرفة (وأنا أصدق به وأحبه فقال أبو يزيد) رحمه الله تعالى (ولو صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا دواء قال نعم قال قل لي حتى أعمله قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى أعمل قال اذهب الساعة الى المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس) الذي عليك (واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة وادخل السوق وطف الاسواق كلها عند الشهود) وهم الرفقاء له في صنعته (وعند من يعرفك) ويعظمك (وأنت على ذلك) الحال (فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد) رحمه الله تعالى (قولك سبحان

الله شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا أفعله ولكن دلنى على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل شئ فقال لا أطيقه قال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذى ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجى من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغى أن ينكر امكان الشفاء فى حق من داوى نفسه بعد المرض أو لم يمرض بمثل هذا المرض أصلا فأقل درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضا وهذه أمور جلية فى الشرع واضحة وهى مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من

علماء الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى تكون قلة الشئ أحب اليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وقال عليه السلام ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يرائى بشئ من عمله واذا عرض عليه أمران أحدهما الدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على الدنيا وقال عليه السلام لا يكمل ايمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له وفى خبر آخر ثلاث من أوتيهن فقد أوتى مثل ما أوتى آل داود العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر وخشية الله فى السر والعلانية فهذه شروط ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأولى الايمان فالعجب ممن يدعى علم الدين ولا يصادف فى نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات عظيمة علية وراء الايمان وفى الاخبار ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه انما أتخذ لخلتى من لا يفتر عن ذكرى ولا يكون له هم غيرى ولا يؤثر على شيأ من خلقى وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد ألما فمن لم يبلغ الى أن يغلبه الحب الى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته فى الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال عليه السلام للصديق رضى الله عنه ان الله تعالى قد أعطاك مثل ايمان كل من آمن بى من أمتى وأعطانى مثل ايمان كل من آمن به من ولد آدم

الله شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا أفعله) أى لا أقدر على فعله (ولكن دلنى على غيره فقال ابتدئ بهذا) الذى قلته لك (قبل كل شئ فقال لا أطيقه فقال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذى ذكره أبو يزيد) رحمه الله تعالى (هو دواء من اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجى عن هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغى أن ينكر امكان الشفاء فى حق من داوى نفسه بعد المرض أو لم يمرض بمثل هذا المرض أصلا فأقل درجات الصحة الايمان بامكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضا وهذه أمور جلية فى الشرع واضحة وهى مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على بن أبى طلحة وهو انما سمع من التابعين فهو معضل وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يرائى بشئ من عمله واذا عرض له أمران أحدهما الدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على أمر الدنيا) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وفيه سالم المرادى ضعفه ابن معين والنسائى ووثقه ابن حبان واسم أبيه عبد الواحد اهـ قلت وكذلك رواه ابن عساكر فى التاريخ وسالم هذا يكنى أبا العلاء كوفى شيعى روى له الترمذى وهو مقبول الرواية (وقال صلى الله عليه وسلم لا يكمل ايمان العبد حتى تكون فيه ثلاث خصال اذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له) قال العراقى رواه الطبرانى فى الصغير من حديث أنس بلفظ ثلاث من أخلاق الايمان واسناده ضعيف اهـ قلت لفظه من اذا غضب لم يدخله غضبه فى باطل ومن اذا رضى لم يخرجه رضاه من حق ومن اذا قدر لم يتعاط ما ليس له وفيه بشر بن الحسين كذاب (وفى حديث آخر) قال صلى الله عليه وسلم (ثلاث من أوتيهن فقد أوتى مثل ما أوتى آل داود العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر وخشية الله فى السر والعلانية) قال العراقى غريب بهذا اللفظ والمعروف ثلاث منجيات فذكرهن بنحوه وقد تقدم اهـ قلت ليس بغريب بل رواه هكذا الحكيم فى النوادر من حديث أبى هريرة (فهذه شروط ذكرها صلى الله عليه وسلم لأولى الايمان فالعجب ممن يدعى علم الدين ولا يصادف فى نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ما لا يكون الا بعد مجاوزة مقامات علية عظيمة وراء الايمان وفى الاخبار) الاسرائيلية (ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه انما أتخذ لخلتى من لا يفتر عن ذكرى ولا يكون له هم غيرى ولا يؤثر على شيأ غيرى من خلقى وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد ألما) نقله صاحب القوت (فمن لم يبلغ الى أن يغلبه الحب الى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته فى الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للصديق رضى الله عنه ان الله تعالى قد أعطاك مثل ايمان كل من آمن من أمتى وأعطانى مثل ايمان كل من آمن به من ولد آدم) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية الحرث الاعور

الاعور عن علي مع تقديم وتأخير والحرث ضعيف (وفي حديث آخر ان الله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل في خلق منها فقال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها الى الله السخاء) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط من حديث أنس مرفوعا عن الله تعالى خلقت بضعة عشر وثلاثمائة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا اله الا الله دخل الجنة ومن حديث ابن عباس الاسلام ثلاثمائة شريعة وثلاثة عشر شريعة وفيه وفي الكبير من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه بلفظ الايمان وللبزار من حديث عثمان بن عفان ان الله مائة وسبعة عشر شريعة الحديث وليس فيها كلها تعرض لسؤال أبي بكر وكلها ضعيفة اهـ قلت وتمام حديث عثمان عند البزار من وافاه بخلق منها دخل الجنة ورواه الطيالسي والحكيم وأبو يعلى بلفظ ان الله مائة خلق وسبعة عشر خلقا فمن أتى الله بخلق واحد منها دخل الجنة وأما حديث أنس الذي رواه الطبراني في الاوسط فلفظه عنده ان الله عز وجل لوحا من زبرجدة خضراء جعله تحت العرش كتب فيه اني أنا الله لا اله الا أنا أرحم الراحمين خلقت بضعة عشر وثلاثمائة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة ان لا اله الا الله دخل الجنة وقد رواه كذلك أبو الشيخ في العظمة وروى الحكيم من حديث أبي سعيد الخدري ان لله تعالى ثلاثمائة وخمسة عشر شريعة يقول الرحمن وعزتي لا يأتيني عبد من عبادي لا يشرك بي شيأ بواحدة منهن الا أدخلته الجنة ولفظ حديث ابن عباس الاسلام ثلاثمائة شريعة وثلاثة عشر شريعة ليس منها شريعة يلقى الله بها صاحبها الا وهو يدخل بها الجنة هكذا رواه الطبراني في الكبير وفي الاوسط وأما لفظ حديث المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده فلفظه الايمان ثلاثمائة وثلاثون شريعة من وافى بشريعة منهن دخل الجنة رواه الطبراني هكذا فيهما والبيهقي وابن النجار قال الحافظ في الاصابة قال ابن حبان في ترجمة المغيرة بن عبد الرحمن ابن عبيد من كتاب الثقات روى عن أبيه عن جده وكانت له صحبة فيما يزعمون وعداده في أهل الشام وقال ابن عبد البر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الايمان حديثه عند حماد بن سلمة انتهى وأخرج ابن السكن وابن شاهين والطبراني وأبو نعيم كلهم من طريق المنهال بن بحر عن حماد بن سلمة عن المغيرة بن عبد الرحمن حدثني أبي عن جدي وكانت له صحبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الايمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة الحديث وسمى ابن السكن جده في روايته عبيدا فقال وكانت لعبيد صحبة وكان في بيت المقدس انتهى وأما حديث السخاء خلق الله الاعظم فقد رواه أبو الشيخ وابن عباس من حديث ابن عباس وقد تقدم (وقال صلى الله عليه وسلم رأيت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فرجحت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بامتي فوضعت في كفة فرجح بهم) قال العراقي رواه أحمد من حديث أبي امامة بسند ضعيف انتهى قلت ورواه الطبراني نحوه ولفظه رأيت البارحة كأني أدخلت الجنة فخرجت من احدى أبوابها الثمانية فاذا أنا بامتي قيام فعرضوا على رجلا رجلا واذا الميزان منصوب فوضعت أمتي في كفة الميزان ووضعت في الكفة الاخرى فرجحت بهم ثم وضع جميع أمتي في كفة الميزان ووضع أبو بكر الصديق في الكفة الاخرى فرجح بهم ثم وضع جميع أمتي في كفة الميزان ووضع عمر بن الخطاب في الكفة الاخرى فرجح بهم ثم رفع الميزان وروى أحمد عن رجل من الصحابة رفعه رأيت الليلة في المنام كأن ثلاثة من أصحابي وزنوا فوزن أبو بكر فوزن ثم وزن عمر فوزن ثم وزن عثمان فنقص صاحبنا وهو صالح وروى ابن عساكر من حديث ابن عمر وأبي امامة وزنت بامتي فوضعت في كفة وأمتي في كفة فرجحت بامتي ثم وضع أبو بكر مكاني فرجح بامتي ثم وضع عمر مكانه فرجح ثم وضع عثمان مكانه فرجح بهم ثم رفع الميزان وروى ابن عدي من حديث ابن عباس وقال غير محفوظ وزنت بالخلق كلهم فرجحت بهم ثم وزن أبو بكر فرجح بهم ثم وزن عمر فرجح بهم ثم وزن عثمان فرجح بهم ثم ارتفع الميزان وروى الشيرازي في الالقاب وابن منده وقال غريب وابن عساكر من حديث عرفجة الاشجعي وزن أصحابنا الليلة فوزن أبو بكر فوزن ثم وزن عمر فوزن ثم وزن عثمان فخف وهو رجل صالح قلت عرفجة بن شريح الاشجعي صحابي نزل الكوفة وروى أيضا عن أبي بكر الصديق وعنه زياد بن علاقة وأبو حازم الاشجعي وأبو يعقوب العبدي وغيرهم وروى

وفي حديث آخر ان الله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل في منها خلق فقال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها الى الله السخاء وقال عليه السلام رأيت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فرجحت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بامتي فوضعت في كفة فرجح بهم

الطبرانى فى الكبير من حديث أسامة بن شريك وزن أصحابى الليلة فوزن أبو بكر ثم وزن عمر ثم وزن عثمان ورواه ابن قانع وابن منده من طريق رحمة بن مصعب عن شريك عن الاشعث بن سليم عن الاسود بن هلال قال كان فينا اعرابى يؤذن بالحيرة يقال له جبر فقال ان عثمان لن يموت حتى يلى هذه الامة فقيل له من أين تعلم فقال انى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر فلما سلم استقبلنا بوجهه فقال ان ناسا من أصحابنا وزنوا الليلة فوزن أبو بكر فوزن ثم وزن عمر فوزن ثم وزن عثمان فوزن قال ابن منده هذا حديث غريب بهذا الاسناد قال أبو موسى ذكره ابن منده فى آخر ترجمة جبر بن عتيك والصواب انه غيره قال الحافظ وكذلك أفرده أبو عمر وقال فيه جبر الاعرابى المحاربى (ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعنى نفسه) قال العراقى متفق عليه قلت رواه مسلم من حديث ابن مسعود بلفظ لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابن أبى قحافة خليلا ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل ورواه الطبرانى وابن عساكر من حديث أبى واقد كذلك وفى لفظ لمسلم لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخى وصاحبى وقالوا اتخذ الله خليلا ورواه أحمد والبخارى من حديث ابن الزبير لو كنت متخذا من أمتى خليلا دون ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخى فى الدين وصاحبى فى الغار ورواه البخارى كذلك من حديث ابن عباس والشيرازى فى الالقاب من حديث سعد ورواه ابن عساكر من حديث جابر لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن قولوا كما قال الله صاحبى وروى عبد الرزاق من حديث البراء لو كنت متخذا خليلا حتى ألقى الله سوى الله لاتخذت أبا بكر خليلا وروى أبو نعيم فى فضائل الصحابة من حديث ابن مسعود لو اتخذت خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا *(خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة) رسما وتعريفا (ينتفع بها قال سفيان) الثورى رحمه الله تعالى (المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم) فيما أمر به ونهى وهو دليل محبة الله تعالى فان من أحب الله فقد أحب رسوله ومن أحب رسوله اتبع سنته وطريقته (وقال غيره) المحبة (دوام الذكر) روى البيهقى فى الشعب عن أبى على الحافظ قال سئل سمنون عن المحبة فقال صفاء الودّ مع دوام الذكر وعن مالك بن دينار قال علامة حب الله دوام ذكره لان من أحب شيأ أكثر ذكره وقال الحليمى وقال بعضهم المحبة اللزوم فان من أحب شيأ ألزم قلبه ذكره فمحبة الله لزوم ذكره قال وهذا الذى فسر هذا القائل به المحبة من أنه اللزوم موافق لقول أهل اللسان لانهم يقولون أحب الجمل اذا برك فلزم مكانه وعن السرى بن المغلس قال قرأت فى بعض كلام الحكماء أبعد الناس من الملل والفترة من لم يفارق قلبه ذكر الله عز وجل وحسبك من صدق العبد دوام ذكر الله عز وجل عنده (وقال غيره) المحبة (ايثار المحبوب) ونقل القشيرى عن الكتانى قال المحبة الايثار للمحبوب ونقل عن غيره قال هى ايثار المحبوب على جميع المصحوب ونقل صاحب القوت عن بعض العلماء قال الايثار يشهد للحب فعلامة حبه ايثاره على نفسك (وقال بعضهم) المحبة (كراهية البقاء فى الدنيا) أى محبة الموت الذى هو سبب موصل الى لقاء الله تعالى وهو علامة محبة الله تعالى فان من أحبه أحب لامحالة لقاءه ولا يتم له ذلك مع البقاء فى الدنيا (وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة) أى ما تنتجه (فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد) قدس سره (حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة) أى بسوى الله تعالى من أهل ومال (وقال) ايضا (كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة) نقله القشيرى فى الرسالة يشير بذلك الى أعلى مقام فى المحبة وهو محبته لذات الجمال والكمال لالامر وراءه من الاحسان والافضال وانما كان هذا أفضل لتعلقها بالذات والصفات من كل وجه لانها أزلية أبدية لاتتغير ولا تنقضى بل هى فى الازدياد كما تقدم (وقال ذو النون) المصرى رحمه الله تعالى (قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذل لغير الله) يشير به الى أعلى مراتب المحبة وهو أن يغمر الحب قلبه فلا يحس بغيره ولا يلتفت الى سواه (وقيل

ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعنى نفسه *(خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها)* قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء فى الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذل لغير الله وقيل

للشبلي رحمه الله تعالى صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك) نقله القشيري في الرسالة يشير به الى ان المحب لما انكشف له من قرب الله وجماله وكماله فتقوى لذته و يزيد نعيمه اثر ذلك طولا في اللسان وانبساط القصور نظره عن طيب حاله فلو سكت هلك بخلاف العارف فانه أبدا يتطلع الى ماغاب عنه وما سيأتي فيكون غالب حاله السكون والقبض فلو تكلم كاد أن يهلك ومن هنا قولهم من عرف الله كل لسانه (وقال الشبلي رحمه الله تعالى) حين كان بالمارستان ودخل عليه جماعة فسألهم من أنتم قالوا نحن أحباؤك فرماهم بالحجارة فهربوا فقال كذبتم لو كنتم أحبائي ماهربتم ثم أنشد

(يا أيها السيد الكريم * حبك بين الحشا مقيم
يارافع النوم عن جفوني * أنت بما مربي عليم)

هكذا أنشده القشيري في الرسالة وقد تقدمت الاشارة اليه (ولغيره) في هذا المقام قيل هو الشبلي لما سيأتي

(عجبت لمن يقول ذكرت ربي * وهل أنسى فأذكر ما نسيت)

أي لان الذكر انما يكون بعد النسيان والغفلة أما دائم الذكر فلا يقول ذكرت فان الحاصل لا يطلب تحصيله ومن هنا قال الشيخ سعد الدين الكاشغري سألني الشيخ عبد الكريم الحضرمي وقال ما الذكر قلت لا اله الا الله فقال ما هذا ذكر هذا عبادة فقلت له فأنت فقال الذكر ان تعلم انك لا تقدر على وجدانه

(أموت اذا ذكرتك ثم أحيا * ولولا حسن ظني ما حييت * فأحيا بالمنى وأموت شوقا
فكم أحيا عليك وكم أموت * شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت
فليت خياله نصب لعيني * فان قصرت في نظري عميت)

وقرأت في آخر المسلسلات للحافظ أبي مسعود الاصبهاني أنشدني أحمد بن علي الحافظ قال أنشدني عبد الله بن يحيى الزمن أنشدني محمد بن علي الصوفي عن أبي بكر الشبلي

أموت اذا ذكرتك ثم أحيا * ولولا ما أؤمل ما حييت * وفي موتي حياتي ما كفاني
فكم أحيا عليك ولا أموت * شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت

انتهى وقال القشيري سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابن عبيد يقول كتب يحيى بن معاذ الى أبي يزيد سكرت من كثرة ما شربت من كاس محبته فكتب اليه أبو يزيد غيرك شرب بحور السموات والارض وما روي بعد ولسانه خارج يقول هل من مزيد وأنشدوا

عجبت لمن يقول ذكرت ربي * وهل أنسى فأذكر ما نسيت
شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت

وقال القشيري في باب الذكر كان الشبلي ينشد في مجلسه

ذكرتك لا اني نسيتك لمحة * وأيسر ما في الذكر ذكر لساني * وكدت بلا وجد أموت من الهوى
وهام على القلب بالخفقان * فلما أراني الوجد انك حاضري * شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم * ولاحظت معلوما بغير عيان

(وقالت) أم الخير (رابعة) بنت اسمعيل (العدوية) البصرية قدس سرها المتوفية سنة ١٣٥ (يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه) اعلم ان رابعة قدس سرها كانت رأسا في المعرفة والمحبة كما هو مشهور من حالها ولا يخفى عليها مقام المعية وانما قالت ما قالت وهي في مقام الاستغراق الذي هو من نتائج المحبة وغلب عليها الشوق الى المشاهدة والمحب في مقام القرب قد يتطلب من يأخذ بيده و يتعلق بالاذيال فنبهتها الخادمة على أن الوصول الى مقام المشاهدة لا يكون الا بعد المفارقة من هذا العالم فتمتنع عنه القواطع فما أدق نظرها رحمها الله تعالى (وقال) أبو عبد الله (ابن الجلاء) الدمشقي رحمه الله تعالى (أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام) ياعيسى (اني اذا اطلعت على سر عبد) وهو داخل القلب (فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي) يشير به الى أن المحبة تقتضي عدم المشاركة وان لا يكون في القلب

للشبلي رحمه الله تعالى صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي رحمه الله
يا أيها السيد الكريم
حبك بين الحشا مقيم
يارافع النوم عن جفوني
أنت بما مربي عليم
ولغيره
عجبت لمن يقول ذكرت الفي
وهل أنسى فاذكر ما نسيت
أموت اذا ذكرتك ثم أحيا
ولولا حسن ظني ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقا
فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأسا بعد كأس
فما نفد الشراب وما رويت
فليت خياله نصب لعيني
فان قصرت في نظري عميت
وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي

محل لسواه ولفظ القشيري في الرسالة وقيل أوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي (وقيل تكلم سمنون) بن حمزة المحب رحمه الله تعالى (يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فمات) قال القشيري سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت احمد بن علي يقول سمعت ابراهيم بن فاتك يقول سمعت سمنون وهو جالس في المسجد يتكلم في المحبة اذ جاء طير صغير قريب منه ثم قرب ثم لم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره الى الارض حتى سال منه الدم ثم مات وفيه دلالة على ان الحيوان يسمع ويفهم وانما يمتنع عليه الكلام الا على من أفهمه الله كلامه (وقال ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى مشيرا الى عظم مقام المحبة (الهي انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أحمد بن محمد بن مقسم حدثنا محمد بن سعيد صاحب الجنيد قال سمعت المنصوري يقول سمعت بشارا يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول اللهم انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة اذا أنت آنستني بذكرك ورزقتني حبك وسهلت علي طاعتك فاعط الجنة لمن شئت حدثنا أبو أحمد الحسين بن علي التميمي النيسابوري حدثنا محمد بن المسيب الارغياني حدثنا عبد الله بن خبيق حدثنا محمد بن بحر قال قال ابراهيم بن أدهم اللهم انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة فادونها اذا أنت وهبت لي حبك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك (وقال السري السقطي) رحمه الله تعالى (من أحب الله عاش) عيشة أبدية (ومن مال الى الدنيا طاش) عقله وتحير أمره (والعاقل عن عيوبه فتاش والاحمق) الذي نقص جوهر عقله (يغدو ويروح في لاش) أي في لا شئ تقدم ذلك في كتاب ذم الدنيا (وقيل لرابعة) العدوية قدس سرها (كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم فقالت اني والله أحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين) وحكي عن أبي سعيد الخراز قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اعذرني فان محبة الله شغلتني عن محبتك فقال يا مبارك من أحب الله فقد أحبني نقله القشيري (وسئل موسى عليه السلام عن أفضل الاعمال فقال الرضا عن الله) في أفعاله (والحب له) لجلاله وكماله (وقال أبو يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى (المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة) أي لا يميل بقلبه اليهما (انما يحب من مولاه مولاه) أي ذاته ويقصر نظره عليه (وقال الشبلي) رحمه الله تعالى (الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم) أشار بالجملة الاولى الى أوائل الحب فان المحب في أوائل امره اذا لاحظ جمال المحبوب يدهش ويغيب عن عقله فاذا لحقته العناية أصحاه من دهشه فيلتذ بما قام به من الحال وأشار بالجملة الثانية الى كمال مقام الحب وذلك عند تصاغره بالعبودية المحضة اجلالا لعظمته ومهابة لكبريائه لا يفارقه في هذا المقام الحيرة ولفظ القشيري في الرسالة سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول المحبة لذة ومواضع الحقيقة دهش انتهى والمعنى ان المحبة في أول أمرها لذة يلتذ بها المحب فاذا غلب على قلبه شغله بالله وغمره دهش (وقيل المحبة ان تمحوا أثرك عنك حتى لا يبقى فيك شئ راجع منك اليك) ويقرب منه قول أبي عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شئ وقول الشبلي سميت المحبة محبة لانها تمحو من القلب ما سوى المحبوب نقلهما القشيري (وقيل ان المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح) ولفظ القوت قال الجنيد المحبة نفسها قرب القلب من الله بالاستنارة والفرح انتهى والمراد بالقرب قرب مكانة لا قرب مكان وأشار بالاستبشار والفرح الى الانس الذي تنتجه المحبة فان المستأنس بالقرب يستبشر ويفرح لانه غير متطلع الى فائت وقد يكون اشارة الى مقام الصفاء الذي هو احدى منازلات العبد في سلوكه وهو ان يكون القلب خاليا عن سائر الكدورات فحينئذ يجد الرب تعالى القلب محلا قابلا للقرب فيملؤه من أنواره ومعرفته وتحفه فعند ذلك يميل القلب الى القرب من المحبوب بكمال المعرفة وينقض عليه انقضاض الطائر الجاف الكبد من عدم الماء اذا رآه في السماء وهو بغاية الفرح والاستبشار فعلى هذا يعلم يقينا ان محبة العبد لله تعالى هي الميل اليه بالفرح والابتهاج كما قال الجنيد المحبة هي الميل بلا نيل وأي نيل أشرف

وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال الدم منه فمات وقال ابراهيم ابن أدهم الهي انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال السري رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش والعاقل عن عيوبه فتاش وقيل لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم فقالت والله اني لاحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه السلام عن أفضل الاعمال فقال الرضا عن الله تعالى والحب له وقال أبو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة انما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة ان تمحوا أثرك عنك حتى لا يبقى فيك شئ راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح

من

وقال الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة المحب على أربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وأفضلها التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين يبقيان مع أهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهم وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عزوجل أحبه واذا أحبه

أقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال عليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال عبدالله بن محمد سمعت امرأة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة أنت من عملك قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به أفتراه يعذبني وأنا أحبه وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت أوصالهم من محبتي ياداود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي ياداود أحوج مايكون العبد الى اذا استغنى عني وارحم ما أكون بعبدي اذا أدبر

من الميل اليه والقرب منه (وقال) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (المحبة محو الارادات واحراق) وفي نسخة واحتراق (جميع الصفات والحاجات) و يقرب منه قول من قال هي محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته وقول الحلاج حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك وقول أبي يعقوب السوسي حقيقة المحبة ان ينسى العبد حظه من الله و ينسى حوائجه اليه كما في الرسالة (وسئل) ابو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (عن المحبة فقال) هي (عطف الله تعالى بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه) والمشاهدة تكون بالقلب كما ان الرؤية تكون بالبصر فاذا عطفه كذلك لا يميل الى غيره أبدا وهذا هو معنى قوله تعالى يحبهم (وقيل معاملة المحب على أربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وأفضلها التعظيم والمحبة لان هاتين تبقيان مع أهل الجنة في الجنة و يرفع عنهم غيرهما) وذلك لان أول التوحيد عند المحبين ان يعبدوا الله تعالى لوجهه حباله لا خوفا من ناره ولا رغبة في جنته فيكون الحبيب مرادهم والوصول اليه مناهم ثم يرجع لهم على التعظيم والاجلال فلا يرون نفوسهم تصلح للقائه فتخنس القلوب وترجع بالهيبة والرهبة فيعبدون الله عز وجل و يبقى الشوق والانس وسئل سهل الحب أفضل أو الحياء فقال الحب الذي يورث من الخوف الحياء منه افضل والحب الذي يورث منه الحياء افضل من الحياء وهو الشوق (وقال هرم بن حيان) العبدي رضي الله عنه له صحبة و يعد من كبار التابعين (المؤمن اذا عرف ربه عزوجل أحبه) فان المحبة ثمرة المعرفة (واذا أحبه أقبل اليه) بالعطف والرحمة (واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة) أي لم يمل قلبه اليها (ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة) أي الكسل عن القيام بالخدمة (وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة) وقد تقدم هذا القول (وقال عبدالله ابن محمد) البصري (سمعت امرأة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة أنت من عملك قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وأنا أحبه) روى البيهقي في الشعب عن أبي عثمان الحيري قال الشوق ثمرة الحب ومن أحب الله اشتاق للقائه وقال أيضا بقدر ما يصل الى قلب العبد من السرور بالله يشتاق اليه وعلى قدر شوقه يخاف من بعده وطرده وقولها افتراه يعذبني وأنا أحبه يستفاد من قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم (وأوحى الله الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت أوصالهم من محبتي ياداود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي ياداود أحوج مايكون العبد الى اذا استغنى عني وأرحم ما أكون بعبدي اذا أدبر عني وأجل مايكون عندي اذا رجع الي) نقله القشيري في الرسالة مختصرا (وقال أبو خالد) محمد بن عبدالله بن أحمد الزاهد الاصبهاني (الصفار) سكن نيسابور وقيل انه لم يرفع رأسه الى السماء نيفا وأربعين سنة وصنف كتبا في الزهد وروى عن أبي اسمعيل الترمذي وعنه الحاكم أبو عبدالله وأبو علي النيسابوري الحافظ مات سنة ٣٣٩ (لقي نبي من الانبياء عابدا) من العباد (فقال انكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق) ولا يخفى ان العمل على المحبة والشوق أفضل من العمل على الرجاء والخوف لرفعة مقام المحبة على غيره من المقامات (وقال الشبلي) رحمه الله تعالى (أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود ذكري للذاكرين) لانه تعالى قال فاذكروني أذكركم (وجنتي للمطيعين) فان الجنة لمن أطاع (وزيارتي للمشتاقين) الى أي زيادة النعيم (وأنا خاصة للمحبين) الذين يعبدوني خاصة لا لخوف من نار ولا طمعا في جنة (وأوحى الله تعالى

عني وأجل مايكون عندي اذا رجع الي وأبو خالد الصفار لقي نبي من الانبياء عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي رحمه الله أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين وأوحى الله تعالى

الى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبيبا صدق قوله ومن أنس بحبيبه رضي فعله ومن اشتاق اليه جد فى مسيره وكان الخوّاص رحمه الله
يضرب على صدره ويقول واشوقاه لمن يرانى ولا أراه وقال الجنيد رحمه الله بكى يونس عليه السلام حتى عمى وقام حتى انحنى

وصلى حتى اقعد وقال
وعزتك وجلالك لو كان
بينى و بينك بحر من نار
لخضته اليك شوقا منى
اليك وعن على بن أبي
طالب كرم الله وجهه
قال سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
سنته فقال المعرفة رأس
مالى والعقل أصل دينى
والحب أساسى والشوق
مركبي وذكر الله أنيسى
والثقة كنزى والحزن
رفيقى والعلم سلاحى
والصبر ردائى والرضا
غنيمتى والعجز فخرى
والزهد حرفتى واليقين
قوتى والصدق شفيعى
والطاعة حسبي والجهاد
خلقى وقرة عينى فى الصلاة
وقال ذوالنون سبحان
من جعل الارواح جنودا
مجندة فارواح العارفين
جلالية قدسية فلذلك
اشتاقوا الى الله تعالى
وأرواح المؤمنين روحانية
فلذلك حنوا الى الجنة
وأرواح الغافلين هوائية
فلذلك مالوا الى الدنيا
وقال بعض المشايخ رأيت
فى جبل اللكام رجلا
أسمر اللون ضعيف
البدن وهو يقفز من
حجر الى حجر وهو يقول
الشوق والهوى * صيرانى كما ترى ويقال الشوق نار الله أشعلها فى قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما فى قلوبهم من
من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف فى شرح المحبة والانس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله الموفق للصواب
تم كتاب المحبة والشوق والرضا والانس يتلوه كتاب النية والاخلاص والصدق

الى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبيبا صدق قوله ومن أنس بحبيب رضي فعله ومن اشتاق اليه جد فى سيره) (وكان) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (يضرب على صدره و يقول واشوقاه الى من يرانى ولا أراه وقال الجنيد) رحمه الله تعالى (بكى يونس عليه السلام حتى عمى وقام حتى انحنى) ظهره (وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بينى و بينك بحر من نار لخضته اليك شوقا منى اليك) و روى البيهقى فى الشعب عن عبدالله بن أبي عيسى قال كان رجل من أهل البصرة يقال له ضيغم تعبد قائما حتى اقعد ثم تعبد قاعدا حتى استلقى ثم تعبد وهو مستلق حتى أقعم فلما أجهد قال اجلسونى فرفع بصره الى السماء فقال سبحانك عجبا للخليقة كيف تحب أحدا سواك (وعن على بن أبي طالب) رضى الله عنه (قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالى والعقل أصل دينى والحب أساسى والشوق مركبي وذكر الله أنيسى والثقة) بالله تعالى (كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر ردائى والرضا) بالله تعالى (غنيمتى والعجز فخرى والزهد حرفتى واليقين قوتى والصدق شفيعى والطاعة حسبي والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلاة) قال العراقى ذكره القاضى عياض من حديث على ولم أجد له اسنادا اهـ قلت وسئل عنه الحافظ ابن حجر فى فتاويه فقال لا أصل له (وقال ذوالنون) المصرى رحمه الله تعالى (سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وأرواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا) والارواح البشرية لها مراتب خمسة وهى الروح الحساس والروح الخيالى والروح العقلى والروح الفكرى والروح القدسى والمرتبة الاخيرة هى المختصة بالعارفين وفيها تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السموات والارض بل من المعارف الربانية التى يقصر دونها الروح العقلى والفكرى وكل هذه الارواح نورانية لا ظلمة فيها (وقال بعض المشايخ رأيت فى جبل اللكام) بالضم وتخفيف الكاف من جبال الشام مأوى عباد الله الصالحين (رجلا أسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر وهو يقول الشوق والهوى * صيرانى كما ترى ويقال الشوق نار الله تعالى أشعلها فى قلوب أحبائه حتى يحرق بها ما فى قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات) فلا يكون لها مر بها أبدا (فهذا القدر كاف فى شرح المحبة والانس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والله الموفق للصواب) ولنذكر ما يتعلق بهذه المقامات مما فى الشعب للبيهقى وقوت القلوب وغيرهما قال البيهقى فى الشعب قد روينا عن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه مرفوعا قال حبك الشئ يعمى و يصم قال الحليمى قد يفهم من هذا ان من أحب الله تعالى لم يعتقد المصائب التى يقضيها عليه اساءة منه اليه ولم يستقل وظائف عبادته وتكاليفه المكتوبة عليه كما ان من أحب أحدا من جنسه لم يكد يبصر منه الا ما يستحسنه و يزيد اعجابا به ولا يصدق من خبر المخبرين عنه الا ما يتخذه سببا للولوع به والعلو فى محبته وعن عبدالله بن ابراهيم القرشى عن أبيه قال لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه يا عبدالله انى موصيك بحب الله عز وجل وحب طاعته وخوف الله وخوف معصيته فانك اذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك وانى مستوصيك الله يا بنى ثم استقبل القبلة فقال لا اله الا الله ثم شخص ببصره ومات وعن مالك بن دينار قال أوحى الله عز وجل الى بنى اسرائيل انى لا أقبل قولكم ولكن أقبل همكم وهوا كم من كان همه وهواه فى محبتى كان صمته عندى تقديسا وتسبيحا ووقارا وعن محمد بن سعيد الخوارزمى قال سمعت ذا النون وسئل عن المحبة قال أن تحب ما أحب الله وتبغض ما أبغض الله وتفعل الخير لله وترفض كل ما شغلك عن الله وان لا تخاف فى الله لومة لائم مع العطف للمؤمنين والغلظة على الكافرين واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدين وعن أبي يزيد حين سئل عن علامة من يحب الله عز وجل وعلامة

من يحبه الله عز وجل فقال من يحب الله فهو مشغول بعبادته ساجدا أو را كعا فان عجز عن ذلك استروح الى ذكر اللسان والثناء فان عجز استروح الى ذكر القلب والتفكر فاما من يحبه الله عز وجل أعطاه سخاء كسخاء البحر وشفقة كشفقة الشمس وتواضعا كتواضع الارض وعن يحيى بن معاذ الرازى قال المحبة لا تصح الا من جهة المحبوب وليس من أحب يحبه وعن ابراهيم بن على المديدى قال من المحال أن تعرفه ولا تحبه ومن المحال ان تحبه ثم لا تذكره ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره ومن المحال أن يوجدك طعم ذكره ولا يشغلك به عن سواه وعن سعيد بن عثمان قال سمعت ذا النون يقول من علامة المحب ترك ما يشغله عن الله حتى يكون الشغل كله بالله وحده وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحب أن لا يرى شيأ سوى محبوبه ولا ترى سواه لك ناصرا ولا معينا ولا تستغنى بغيره عنه وعن وهب بن أبى حفاظ الليثى قال قال لى راهب من الرهبان اذا استقرت المحبة فى القلب ذهل عن الاهل والولد وعن أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت راهبا فى دير خالد يقول للحسن بن شوذب لا يكون المحب لله محبا حتى يحبه بكل الكل فصاح الحسن بن شوذب وعن محمد بن أحمد المهدى قال سمعت على بن الموفق ما لا أحصيه وهو يقول اللهم ان كنت تعلم انى أعبدك خوفا من نارك فعذبنى بها وان كنت تعلم انى أعبدك حبا منى لجنتك وشوقا اليها فاحرمنيها وان كنت تعلم انما أعبدك حبا منى لك وشوقا الى وجهك الكريم فابحنيه مرة واصنع بى ما شئت وقال ضيغم الجلاب ان حبه شغل قلوب مريديه عن التلذذ بمحبة غيره فليس لهم فى الدنيا مع حبه لذة ولا يأملون فى الآخرة من كرامة الثواب أكثر عندهم من النظر الى وجهه وعن عبد الرحمن بن عبد ربه عن ذى النون قال من قتلته عبادته فديته جنته ومن قتله الشوق فديته النظر اليه وعن عبد الله بن سهل قال سمعت يحيى بن معاذ يقول كم بين من يريد الوليمة للوليمة وكم بين من يريد حضور الوليمة ليلقى الحبيب فى الوليمة ودخل سفيان الثورى على رابعة فقالت له يا سفيان ما تعدون السخاء فيكم قال اما عند أبناء الدنيا فالذى يجود بماله وأما عند أبناء الآخرة فهو الذى يجود بنفسه فقالت يا سفيان أخطأتم فيهما فقال فما السخاء عندك رحمك الله فقالت ان تعبدوه حبا له لا لطلب جزاء ولا مكافأة ثم أنشأت تقول

لولاك ما طابت الجنان ولا * طاب نعيم بجنة الخلد

قوم أرادوك للجنان فنا * لوها وقلبى سواك لم يرد

وعن ابراهيم بن الجنيد حدثنا اسمعيل بن عبد الرحمن الكوفى وكان من العباد قال لقينى بهلول المجنون يوما فقال لى أسألك قال قلت سل قال أى شئ السخاء قلت البذل والعطاء قال هذا السخاء فى الدنيا فما السخاء فى الدين قلت المسارعة الى طاعة السيد قال فتريد منه الجزاء قلت نعم بالواحد عشرة قال هذا فى الدين قبيح ولكن المسارعة الى طاعة سيدك أن لا يطالع على قلبك وأنت تريد منه شيأ سواه وعن جامع بن أحمد قال سمعت يحيى ابن معاذ يقول العارفون رجلان رجل مسرور بانه عبده ورجل مسرور بانه ربه فالاول يفرح بالله من نفسه لنفسه والآخر يفرح بالله من الله لله وقال هذا سرور الخبر فكيف سرور النظر وعن على بن محمد بن حاتم قال سمعت الجنيد يقول بت ليلة عند السرى فلما كان فى بعض الليل قال يا جنيد أنت نائم قلت لا قال الساعة أوقفنى الله بين يديه وقال يا سرى تدرى لم خلقت الخلق قلت لا قال خلقت الخلق فادعوا كلهم فى وادعوا محبتى فخلقت الدنيا فاشتغل بها من عشرة آلاف تسعة آلاف وبقى ألف فخلقت الجنة فاشتغل من الالف تسعمائة بالجنة وبقيت مائة فسلطت عليهم شيأ من البلايا فاشتغل عنى بالبلاء من المائة تسعون وبقيت عشرة فقلت لهم ما أنتم لا الدنيا أردتم ولا فى الجنة رغبتم ولا من البلاء هربتم فقالوا فانك لتعلم ما نريد فقال انى أنزل بكم من البلاء ما لا تطيقه الجبال الرواسى فتثبتون لذلك قالوا ألست الفاعل بنا قد رضينا قلت فانتم عبيدى حقا وسئل يحيى ابن معاذ عن أشهى المجالس والذها قال الجلوس فى ميدان التوحيد يشم من رائحته المعرفة و يسقى من كاس المحبة سبحان الله ما ألذه من مجلس وأعذبه من شراب قيل فاى الطعام اشهى قال لقمة من ذكر الله عز وجل فى فم الصبى بتوحيد الله رفعها من مائدة الرضا عن الله عند النظر لكرامة الله تعالى قيل فما عيد المؤمن قال

السرور بالايمان والنزهة بالقرآن قال الله عز وجل قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وقال السرى السرور بالله هو السرور والسرور بغير الله هو الغرور وعن أويس الاعور وقال رأيت ريحانة المجنونة ليلة تدعو وتقول فى دعائها أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك وعميت عينان لا يبكيان شوقا اليك وجفت كفان لا يبتهلان بالتضرع اليك ثم أنشأت تقول

يا حبيب القلوب أنت حبيبى * لم تزل أنت منيتى وسرورى

وقال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول كنت فى الطواف فرأيت واهان المجنون وهو يقول حبك قتلنى وشوقك أتلفنى والاتصال بك اسقمنى فبعدت قلوب تحب غيرك وثكلت خواطر أنست بسواك وقال ذو النون الانس بالله نور ساطع والانس بالناس سم قاطع وقال صالح المرى رأيت ريحانة المجنونة وقد كتبت من وراء جيبها

أنت أنسى ومنيتى وسرورى * قد أبى القلب أن يحب سواك

يا عزيزى ومنيتى واشتياقى * طال شوقى متى يكون لقاك

ليس سؤلى من الجنان نعيما * غير انى أريدها لاراك

واذا على صدر جيبها مكتوب

حسب المحب من المحب بعلمه * ان الحبيب ببابه مطروح

والقلب منه ان تنفس فى الدجا * بسهام لوعات الهوى مجروح

وعن على بن سهل قال الانس بالله ان يستوحش من الخلق الا من أهل ولاية الله فان الانس بهم هو الانس بالله تعالى وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا وكفى بخشية الله علما وبالاغترار بالله جهلا وعن ابراهيم الخواص قال لا تطمع فى لين القلب مع فضول الكلام ولا تطمع فى حب الله مع حب المال والشوق ولا تطمع فى الانس بالله مع الانس بالمخلوق وقال منصور بن عبد الله الاصبهانى سئل الشبلى ما علامة صحة المعرفة قال نسيان كل شئ سوى معروفه فقيل ما علامة صحة المحبة فقال العمى عن كل شئ سوى محبوبه وعن أبى عبد الرحمن السلمى قال سمعت على بن قتادة يقول سمعت على بن عبد الرحيم وسئل عن الفرق بين الحب والعشق فقال الحب لذة تعمى عن رؤية غير المحبوب فاذا تناهى سمى عشقا وقال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول الشوق أعلى الدرجات وأعلى المقامات اذا بلغها الانسان استبطأ الموت شوقا الى ربه وحبا للقائه والنظر اليه وقال أبو عثمان فى قوله تعالى ان أجل الله لآت هذه تعزية للمشتاقين معناه انى أعلم ان اشتياقكم الى غالب وانى أجلت للقائكم أجلا وعن قريب يكون وصولكم الى من تشتاقون وعن عبيد الله بن مسلم قال قال مالك بن دينار خرجت يوما الى المقابر فاذا شابان جالسان يكتبان شيأ فقلت لهما نشدتكما الله أما من كتبتما فقالا لا فسقط مالك مغشيا عليه ثم أفاق فقال نشدتكما بالله ما كتبتما فى أسفل سطر مالك بن دينار طفيلى يحب المحبين لله فلما كان الليل أتيت فى منامى فقال قد كتبت فهو المرء مع من أحب وقال أبو على الجوزجانى ثلاثة أشياء من عقد التوحيد الخوف والرجاء والمحبة فزيادة الخوف فى ترك الذنوب لرؤية المحبوب وزيادة الرجاء فى اكتساب الخير لرؤية الوعد وزيادة المحبة فى كثرة الذكر لرؤية المنة فالخائف لا يستريح من الهرب والراجى لا يستريح من الطلب والمحب لا يستريح من ذكر المحبوب فالخوف نار منور والرجاء نور منور والمحبة نور الانوار وقال أبو الحسن الوراق المحبة شعبة من الايمان بالله وهو أصل لجميع مراتب الاولياء وقال تتشعب المحبة من دوام ذكر احسان الله فمن ذكر على الدوام احسان الله اليه تنسم ريح المحبة عن قريب وقال أبو عبد الرحمن السلمى سمعت أبا الحسن الفارسى يقول سمعت ابن عطاء يقول فى معنى الحديث جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها فقال كيف لا يحبه وما انفكت من تواتر نعمته قط ولا تنفك أبدا ولكن ضعف اليقين وكدورة المعرفة ونقص الايمان حجبك عن محبته والميل اليه وقال أبو سعيد الخراز فى هذا الحديث واعجبا ممن لم ير محسنا غير الله كيف لا يميل بكليته اليه وقال أبو عمرو الزجاجى سألت الجنيد عن المحبة قال تريد الاشارة قلت لا قال

تريد

تريد الدعوى قلت لا قال فايش تريد قلت عين المحبة قال ان تحب ما يحب الله في عباده وتكره ما يكره الله في عباده وعن بشر بن السرى قال ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك وقال أحمد بن أبي الحوارى قلت لابي سليمان الداراني بم نال أهل الجنة المحبة من الله عز وجل قال بالعفاف وأخذ الكفاف وقال أبو عبد الله النباجي سال رجل الفضيل متى يبلغ الرجل غاية حب الله قال اذا كان عطاؤه اياك ومنعه سواء وقال عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شيأ من الاعمال يتقدم الصبر الا الرضا ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضا وهو رأس المحبة وقال بعض القراء رأيت عتبة الغلام ذات ليلة فما زال يقول حتى أصبح ان تعذبني فاني محب لك وان ترحمني فاني محب لك وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة التي لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفوة وقال الجنيد سمعت الحارث المحاسبي وسئل عن المحبة فقال ميلك الى الشئ بكليتك محبة له ثم ايثارك له على نفسك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبك وفيما قرأت على أبي عبد الرحمن السلمي قال وقال قوم المحبة موافقة الحبيب في المشهد والمغيب قال وسئل رويم عن المحبة فقال الموافقة في جميع الاحوال وانشد

ولو قال لي مت مت سمعا وطاعة * وقلت لداعي الموت أهلا ومرحبا

سمعت عبد الله بن يوسف الاصبهاني يقول سئل الحسن البوشنجي عن الحب فقال بذل المجهود مع معرفتك بالمحبوب والمحبوب مع بذل مجهودك يفعل ما يشاء وقال أبو عبد الله المغربي تفكر ابراهيم عليه السلام ليلة من الليالي في شأن آدم عليه السلام فقال يارب خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك ثم بذنب واحد ملأت أفواه الناس حتى يقولوا وعصى آدم ربه فاوحى الله اليه أن يا ابراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب شديد وقال وهيب أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك غير انه ليس لك عندي ذلك الود الذي كان وقال سعيد بن عثمان بن عباس سمعت ذا النون وقد قيل له متى يأنس العبد بربه فقال اذا خاف أنس بربه أما علمتم انه من واصل الذنوب نحى عن باب المحبوب وقال أيضا ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا اليه ما رجعوا فازهد في الدنيا ترا العجب وقال أيضا وجدت صخرة ببيت المقدس عليها أسطر مكتوبة فجئت الى من ترجمها فاذا هو كل عاص مستوحش وكل مطيع مستأنس وكل خائف هارب وكل راج طالب وكل قانع غني وكل محب ذليل ففكرت في هذه فاذا هي أصول لكل ما استعبد الله الخلق به وقال أحمد بن عيسى الكلابي سمعت يحيى بن معاذ الرازي ينشد

ان المليك قد اصطفى خداما * مشودين مواصلين كراما * ورزقوا المحبة والخشوع عليهم
فترى دموعهم تسيح سجاما * يحيون ليلهم بطول صلاتهم * لا يسأمون اذا الخلي ناما
قوم اذا رقد العيون رأيتهم * صفوا الشدة خوفهم أقداما * وتخالهم من طول سجودهم
يخشون من نار الاله ضراما * شغفوا بحب الله طول حياتهم * فتجنبوا لوداده الآثاما

وقال الجنيد قال رجل للسرى كيف أنت فأنشأ يقول

من لم يبت والحب حشو فؤاده * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وقال محمد بن العباس الضبي سمعت أبا بكر بن أبي عثمان يقول وقام في مجلسه رجل من أهل بغداد فقال يا أبا عثمان متى يكون الرجل صادقا في حب مولاه قال اذا خلا عن خلافه كان صادقا في حبه قال فوضع الرجل التراب على رأسه وصاح فقال كيف ادعى حبه ولم أخل طرفة عين من خلافه قال فبكى أبو عثمان وأهل المجلس قال فجعل أبو عثمان يبكي وهو يقول صادق في حبه مقصر في حقه اه سياق الشعب وقد تركت منه كثيرا مما أوردته في أثناء كلام المصنف وفي كتاب مصارع العشاق لابي محمد السراج في مصارع محبي الله عز وجل أنبأنا أبو القاسم الازجي سنة ٤٤٠ أنبأنا أبو الحسن علي بن جعفر السيرواني بمكة قال حكى عن الجنيد انه قال أعرف من قتلته المحبة ولم يعرف المحبة فقلنا له يقول الشيخ فقال قتله ما نبئ فيه أخبرنا أبو القاسم الازجي أخبرنا أبو الحسين علي بن الحسن بن جهضم بمكة سنة ٣٩٦ سمعت أحمد بن محمد يقول كان سهل يقول الناس ثلاثة صنوف صنف منهم

مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على بابه ينتظر الكرامة وصنف منهم مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابه ينتظر العفو وصنف منهم مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة مضطجع على بابه ينتظر العقوبة حدثنا أبو القاسم الازجى حدثنا على بن عبد الله بن الحسن الهمدانى بمكة حدثنا محمد بن عبد الله الشكلى حدثنى محمد بن جعفر القنطرى قال ذو النون بينا أنا أسير على ساحل البحر اذ بصرت بجارية عليها اطمار شعر واذا هى ناحلة ذابلة فدنوت منها لاسمع ما تقول فرأيتها متصلة الاحزان بالاشجان وعصفت الرياح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان فصرخت ثم سقطت الى الارض فلما أفاقت نحبت ثم قالت سيدى بك تقرب المتقربون فى الخلوات ولعظمتك سبحت الحيتان فى البحار الزاخرات وجلال قدسك تصافقت الامواج المتلاطمات أنت الذى سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهار وكل شئ عندك بمقدار لانك الله العلى القهار

يا مؤنس الابرار فى خلواتهم * يا خير من حلت به النزال
من ذاق حبك لا يزال متيما * فرح الفؤاد متيما بالبال
من ذاق حبك لا يرى متبسما * فى طول حزن فى الحشا اشعال

فقلت لها زيدينا من هذا فقالت اليك عنى ثم رفعت طرفها الى السماء وقالت

أحبك حبين حب الوداد * وحبا لانك أهل لذاك
فاما الذى هو حب الوداد * فحب شغلت به عن سواك
وأما الذى أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراك
فما الحمد فى ذا ولا ذاك لى * ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فاذا هى قد فارقت الدنيا فبقيت أتعجب مما رأيت منها فاذا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عن عينى فغسلنها ثم أقبلن بها فى أكفانها فقلن لى تقدم فصل عليها فتقدمت وصليت عليها وهن خلفى ثم احتملنها ومضين وأنشد محمد بن عبد الله ليحيى بن معاذ

أموت بدائى لا اصيب مداويا * ولا فرجا مما أرى من بلائيا
اذا كان داء العبد حب مليكه * فمن دونه يرجو طبيبا مداويا
مع الله يمضى دهره متلذذا * مطيعا تراه كان أو كان عاصيا
يقولون يحيى جن من بعد صحة * وما بى جنون بى خليلى ما بيا

أخبرنا القاضى أبو الحسن التوزى أخبرنا ابن يحيى حدثنا الحسين بن صفوان حدثنا ابن أبى الدنيا حدثنا محمد ابن الحسين حدثنى أبو معمر صاحب عبد الوارث قال نظرت رابعة الى رباح القيسى وهو يقبل صبيا من أهله ويضمه اليه فقالت أتحبه يا رباح قال نعم قالت ما كنت أحسب ان فى قلبك موضعا فارغا لمحبة غيره قال فصاح رباح وسقط مغشيا عليه ومن طريق أبى القاسم بن مروان سمعت أحمد بن عيسى الخراز يقول دعتنى امرأة لى غسل ولد لها فذكرت انه أوصى بذلك فلما كشفت عنه الثوب قبض على يدى فقلت يا سبحان الله حياة بعد موت فقال ان المحبين لله تعالى أحياء وان قبروا ومن طريق الحسن بن على بن يحيى بن سلام قال قيل ليحيى بن معاذ نروى عن رجل من أهل الخير قد كان أدرك الاوزاعى وسفيان انه سئل متى تقع الفراسة على الغائب قال اذا كان محبا لما أحب الله مبغضا لما أبغض وقعت فراسته على الغائب فقال يحيى

كل محبوب سوى الله سرف * وهموم وغموم وأسف
كل محبوب فعنه خلف * ما خلا الرحمن ما منه خلف
ان للحب دلالات اذا * ظهرت من صاحب الحب عرف
صاحب الحب حزين قلبه * دائم الغصة محزون دنف

أشعث الرأس خميص بطنه * أصفر الوجه والطرف ذرف
دائم التذكير من حب الذى * حبه غاية غايات الشرف
فاذا أمعن فى الحب له * وعلاه الشوق من داء كنف
باشر المحراب يشكو بثه * وامام الله مولاه وقف
قائما قدامه منتصبا * لهجا يتلو بآيات الصحف
راكعا طورا وطورا ساجدا * باكيا والدمع فى الارض يكف
أورد القلب على الحب الذى * فيه حب الله حقا فعرف
ثم جالت كفه فى شجر * ينبت الحب فسمى واقتطف
ان ذا الحب لمن يعنى له * لا لذى الدارذات لهو وطرف
لا ولا الفردوس لا بالفها * لا ولا الحوراء من فوق غرف

أخبرنا أبو الحسين النورى حدثنا أبو عبد الرحمن السلمى حدثنى على بن أحمد بن جعفر قال أنشدنا ابن فراس لسمنون المحب

وكان فؤادى خاليا قبل حبكم * وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبى هواك أجابه * فلست أراه عن فنائك يبرح
رميت ببين منك ان كنت كاذبا * وان كنت فى الدنيا بغيرك أفرح
فان شئت واصلنى وان شئت لم تصل * فلست أرى قلبى لغيرك يصلح

أخبرنا أبو بكر الخطيب حدثنا الحسن بن أبى بكر قال ذكر أبو عمر الزاهد أن سمنون المحب أنشده

يامن فؤادى عليه موقوف * وكل همى اليه مصروف
ياحسرتى حسرة أموت بها * ان لم يكن اليك معروف

أخبرنا أبو بكر الخطيب أخبرنا أبو نعيم أنشدنى عثمان بن محمد العثمانى أنشدنى أبو على الحسن بن أحمد الصوفى لسمنون

ولو قيل طأ فى النار اعلم انه * رضا لك أومدن لنا من وصالكا
لقدمت رجلى نحوها فوطئتها * سرورا لانى قد خطرت ببالكا

أخبرنا أبو بكر الاردستانى أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى قال قال منصور بن عبد الله دخل قوم على الشبلى فى مرضه الذى مات فيه فقالوا كيف تجدك يا أبا بكر فأنشأ يقول

ان سلطان حبه * قال لا أقبل الرشا فسلوه فديته * لم تعلى ٧ لحرشا

أخبرنا عبد العزيز بن على أخبرنا على بن عبد الله الهمدانى بمكة حدثنى محمد بن ابراهيم الاصبهانى بطرسوس سمعت أبا طالب يقول كنت مع سمنون وهو يتكلم فى شئ من المحبة وقناديل معلقة فرأيت القناديل تشقق بعضها بعضا حتى تكسرت وقال جعفر الخلدى حدثنا أحمد بن مسروق حدثنا محمد بن الحسين حدثنا عبد الله ابن الفرج العابد قال قلت لابى اسمعيل الموصلى وكان نصرانيا قد أسلم على يدى فتح الموصلى وحسن حاله أخبرنى ببعض أمر فتح فبكى ثم قال أخبرك عنه كان والله كهيئة الروحانيين معلق القلب هناك ليست له فى الدنيا راحة قلت على ذلك قال شهدت العيد ذات يوم بالموصل ورجع بعد ما تفرق الناس ورجعت معه فنظر الى الدخان يفور من نواحى المدينة فبكى ثم قال لقد قرب الناس قربانهم فليت شعرى مافعلت فى قربانى عندك أيها المحبوب ثم سقط مغشيا فجئت بماء فمسحت به وجهه فافاق ثم مضى حتى دخل بعض ازقة المدينة فرفع رأسه الى السماء ثم قال قد علمت طول غمى وحزنى وترددى فى ازقة الدنيا فحتى متى تحبسنى أيها المحبوب ثم سقط مغشيا عليه فجئت بماء فمسحت به وجهه فافاق فما عاش بعد ذلك الا أياما حتى مات رحمه الله تعالى اه وقال القشيرى فى رسالته فى باب المحبة فاما أقاويل الشيوخ فيه فقال بعضهم المحبة هى الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل ايثار المحبوب على جميع

المحبوب وقيل مواطاة القلب لمرادات الرب وقيل خوف ترك الحرمة مع اقامة الخدمة وقال أبو يزيد المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال سهل الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وسئل الجنيد عن المحبة فقال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب أشار بهذا الى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون الغالب على قلب المحب الا ذكر صفات المحبوب والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والاحساس بها وقال أبو علي الروذباري المحبة الموافقة وقال أبو عبد الله القرشي حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شئ وقال الشبلي سميت المحبة محبة لانها تمحو عن القلب ما سوى المحبوب وقال ابن عطاء المحبة اقامة العتاب على الدوام سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الشبلي يقول المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك وسمعته يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول وقد سئل عن المحبة فقال أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول وسمعته يقول سمعت النصرباذي يقول محبة توجب حقن الدماء ومحبة توجب سفك الدماء وسمعته يقول سمعت محمد بن علي العلوي يقول سمعت جعفرا يقول سمعت سمنون يقول ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من أحب فهم مع الله تعالى وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة ما لا ينقص بالجفاء ولا يزيد بالبر وقال ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده وقال الجنيد اذا صحت المحبة سقط شروط الادب وفي معناه سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق ينشد

اذا صفت المودة بين قوم * ودام ولاؤهم سمج الثناء

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا سعيد الارجاني يقول سمعت بندار بن الحسين يقول رؤي مجنون بني عامر في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وجعلني حجة على المحبين سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول قيل للنصرباذي ليس لك من المحبة شئ فقال صدقوا ولكن لي حسراتهم فهو داء احترق فيه وسمعته يقول قال النصرباذي المحبة في مجانبة السلو على كل حال ثم أنشد

ومن كان في طول الهوى ذاق سلوة * فاني من ليلى لها غير ذائق

وأكثر شئ نلته من وصالها * أماني لم تصدق كلمحة بارق

وقال محمد بن الفضل المحبة سقوط كل محبة من القلب الا محبة الحبيب ويقال المحبة تشويش في القلب يقع من المحبوب ويقال المحبة فتنة تقع في الفؤاد من المراد وأنشد ابن عطاء

غرست لاهل الحب غصنا من الهوى * ولم يك يدري ما الهوى أحد قبلي

فأورق أغصانا وأينع ضوءه * وأعقب لي مرا من الثمر الحلي

فكل جميع العاشقين هواهم * اذا نسبوه كان من ذلك الاصل

وقيل الحب أوله ختل وآخره قتل سمعت أبا علي الدقاق يقول في معنى قوله صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمي ويصم فقال يعمي عن الغير غيرة وعن المحبوب هيبة ثم أنشد

اذا ما بدا لي تعاظمته * فاصدر في حال من لم يرد

سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت ابراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحارث المحاسبي يقول المحبة ميلك الى الشئ بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه وسمعته يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت عباس بن عصام يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول لا تصح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر يا أنا وقيل المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب وقيل المحبة بذل المجهود والحبيب يفعل ما يشاء وقال النوري المحبة هتك الاستار وكشف الاسرار وقال أبو يعقوب السوسي لا تصح المحبة الا بالخروج عن رؤية المحبة الى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة ووجدت بخط الاستاذ أبي علي ان في بعض الكتب المنزلة ان الله يقول عبدي أنا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال ابن المبارك من أعطي شيأ من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع

وقيل المحبة ما يمحق أثرك وقيل المحبة سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذى يحصل عند الشهود لا يوصف وأنشدوا

فاسكر القوم دور كاس * وكان سكرى من المدير

وكان الاستاذ أبو على ينشد كثيرا

لى سكرتان وللندمان واحدة * شئ خصصت به من بينهم وحدى

وقال ابن عطاء المحبة اقامة العتاب على الدوام وكان للاستاذ أبى على جارية تسمى فيروز وكان يحبها اذ كانت تخدمه كثيرا فسمعته يقول كانت فيروز تؤذينى يوما وتستطيل على باسانها فقال أبو الحسن القارى لم تؤذين هذا الشيخ فقالت لانى أحبه وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب وحكى ان بعضهم عشق جارية فرحلت الجارية فخرج الرجل فى وداعها فدمعت احدى عينيه دون الاخرى فغمض التى لم تدمع أربعا وثمانين سنة لم يفتحها عقوبة لانها لم تبك على فراق حبيبه وفى معناه أنشدوا

بكت عينى غداة البين دمعا * وأخرى بالبكا بخلت علينا

فعاقبت التى بخلت بدمع * بان أغمضتها يوم التقينا

وقال بعضهم كنا عند ذى النون المصرى فتذاكرنا المحبة فقال كفوا عن هذه المسئلة لا تسمعها النفوس فتدعيها ثم أنشأ يقول

الخوف أولى بالمسئ * اذا تاله والحزن

والحب يجمل بالتقى * و بالنقى من الدرن

وقال يحيى بن معاذ من نشر المحبة عند غير أهلها فهو فى دعواه دعى وقيل ادعى رجل الاستهلاك فى محبة شاب فقال له الشاب كيف هذا وهذا أخى أحسن منى وجها وأتم جمالا فرفع الرجل رأسه يلتفت وكانا على سطح فألقاه من السطح وقال هذا جزاء من يدعى هوانا و ينظر الى سوانا وقال أبو بكر الكتانى جرت مسئلة فى المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سنا فقالوا له هات ما عندك يا عراقى فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر اليه بقلبه أحرق قلبه أنوار هيبته وصفا شربه من كأس وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه فان تكلم فبالله وان نطق فمن الله وان تحرك فبأمر الله وان سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله فبكى الشيوخ وقالوا ما على هذا مزيد جبرك الله يا تاج العارفين وقال أوحى الله الى داود عليه السلام يا داود انى حرمت على القلوب أن يدخلها حبى وحب غيرى أخبرنا حمزة بن يوسف السهمى أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم حدثنا هشيم بن همام حدثنا ابراهيم بن الحرث حدثنى عبد الرحمن بن عفان حدثنى محمد بن أيوب حدثنى أبو العباس خادم الفضيل قال احتبس بول الفضيل فرفع يده وقال اللهم بحبى لك الا أطلقته عنى قال فما برحنا حتى شفى وقيل قالت رابعة فى مناجاتها الهى تحرق بالنار قلبا يحبك فهتف بها هاتف ما كنا نفعل هكذا فلا تظنى بنا ظن السوء وقيل الحب حرفان حاء وباء فالاشارة فيه ان من أحب فليخرج عن روحه و بدنه و بالاجماع من اطلاقات القوم ان المحبة هى الموافقة وأشد الموافقات الموافقة بالقلب والمحبة توجب انتفاء المباينة فان المحب أبدا مع محبوبه سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت أبا عثمان الحيرى يقول سمعت أبا حفص يقول أكثر فساد الاحوال من ثلاثة أشياء فسق العارفين وخيانة المحبين وكذب المريدين قال أبو عثمان فسق العارفين اطلاق الطرف واللسان والسمع الى أسباب الدنيا ومنافعها وخيانة المحبين اختيارهم هواهم على رضا الله تعالى فيما يستقبلهم وكذب المريدين أن يكون ذكر الخلق ورؤيتهم يغلب عليهم على ذكر الله تعالى ورؤيته هذا ما أورده فى باب المحبة وقال فى باب الشوق سمعت الاستاذ أبا على يفرق بين الشوق والاشتياق و يقول الشوق يسكن باللقاء والرؤية والاشتياق لا يزول باللقاء وفى معناه أنشدوا

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته * حتى يعود اليه الطرف مشتاقا

سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت النصر اباذى يقول للخلق كلهم مقام الشوق وليس لهم مقام الاشتياق ومن دخل فى حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار وقيل جاء أحمد الاسود الى ابن المبارك فقال رأيت

فى المنام كأنك تموت الى سنة فاستعد للخروج فقال ابن المبارك لقد أحلتنا على أمد بعيد أعيش أنا الى سنة لقد كان لى أنس بهذا البيت الذى سمعته من هذا الثقفى يعنى أبا على رحمه الله تعالى

يامن شكا شوقه من طول فرقته * اصبر لعلك تلقى من تحب غدا

وقال يحيى بن معاذ علامة الشوق فطام الجوارح من الشهوات سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول خرج داود عليه السلام يوما الى بعض الصحارى منفردا فأوحى الله اليه مالى أراك وحدانيا فقال استأثر الشوق الى لقائك على قلبى فحال بينى و بين صحبة الخلق فأوحى الله اليه ارجع اليهم فانك ان أتيتنى بعبد آبق أثبتك فى اللوح المحفوظ جهبذا وقيل كانت عجوز قدم بعض أقاربها من السفر وأظهر قومها السرور والعجوز تبكى فقيل لها وما يبكيك قالت ذكرنى قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله عز وجل وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال احتراق الاحشاء وتلهب القلوب وتقطع الاكباد وسئل أيضا الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لان الشوق منها يتولد وقال بعضهم للشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشا يسنح على الفرقة فاذا وقع اللقاء طفئ واذا كان الغالب على الاسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق وقال فارس قلوب المشتاقين منورة بنور الله فاذا تحرك اشتياقهم أضاء النور ما بين السماء والارض فيعرضهم الله تعالى على الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون الى أشهدكم انى اليهم أشوق وسمعت الاستاذ أبا على يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم أسألك الشوق الى لقائك قال كان الشوق مائة جزء تسعة وتسعون له وجزء متفرق فى الناس فاراد أن يكون ذلك الجزء أيضا له فغار ان يكون شظية من الشوق لغيره وقيل شوق أهل القرب أتم من شوق المحجوبين ولهذا قيل

وأبرح ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الخيام من الخيام

وقيل ان المشتاقين يتحسون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من روح الوصول أحلى من الشهد سمعت ابن الحسين يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول الشوق أجل مقام العارف اذا تحقق فيه واذا تحقق فى الشوق لها عن كل شئ يشغله عمن يشتاق اليه وقيل أوحى الله الى داود عليه السلام قل لشبان بنى اسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيرى وأنا مشتاق اليكم ما هذا الجفاء سمعت الاستاذ أبا على يقول بكى شعيب عليه السلام حتى عمى فرد الله بصره عليه ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فاوحى الله اليه ان كان هذا البكاء لاجل الجنة فقد أبحتها لك وان كان لاجل النار فقد أعذتك منها فقال لا بل شوقا اليك فاوحى الله اليه لاجل ذلك أخدمتك نبيى وكليمى عشر سنين وقيل من اشتاق الى الله اشتاق اليه كل شئ وفى الخبر اشتاقت الجنة الى ثلاثة على وعمار وسلمان وسمعت الاستاذ أبا على يقول قال لنا بعض المشايخ أنا ادخل السوق والاشياء تشتاق الى وأنا عن جميعها حر سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن فرحان يقول سمعت الجنيد يقول وقد سئل من أى شئ يكون بكاء المحب اذا لقى المحبوب فقال انما يكون ذلك سرورا به ووجدا من شدة الشوق اليه ولقد بلغنى ان أخوين تعانقا فقال أحدهما واشوقاه وقال الآخر واوجداه فهذا ما يتعلق بالشوق وقال فى باب الرضا ما نصه قد تكلم الناس فى الرضا وكل عبر عن حاله وشربه فهم فى العبارة عنه مختلفون كما انهم فى الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون فاما شرط العلم والذى هو لا بد منه فالراضى بالله هو الذى لا يعترض على تقديره سمعت الاستاذ أبا على يقول ليس الرضا ان لا تحس بالبلاء انما الرضا ان لا تعترض على الحكم والقضاء وقال عبد الواحد بن زيد الرضا باب الله الاعظم وجنة الدنيا سمعت الاستاذ أبا على يقول قال تلميذ لاستاذه هل يعرف العبد ان الله راض عنه فقال لا كيف يعلم ذلك ورضاه غيب فقال التلميذ يعلم ذلك فقال كيف قال اذا وجدت قلبى راضيا عن الله علمت انه راض عنى فقال الاستاذ أحسنت يا غلام وقال النصرباذى من أراد ان يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه وقال محمد بن خفيف الرضا على قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به مدبرا والرضا عنه فيما يقضى وسمعت الاستاذ أبا على يقول طريق السالكين أطول هو طريق الرياضة وطريق الخواص أقرب لكنه أشق وهو ان يكون عملك بالرضا ورضاك بالقضاء وقال رويم

الرضا ان لو جعل الله جهنم عن يمينه ما سأل ان يحولها الى يساره وقال الواسطى استعمل الرضا جهدك ولا تدع
الرضا يستعملك فتكون محجوبا بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع أى لان السكون عندهم الى الاحوال
حجاب عن محوّل الاحوال فاذا استلذ رضاه وجد بقلبه راحة الرضا فحجب بحاله عن شهود حقه ولقد قال الواسطى
أيضا اياكم واستحلاء الطاعات فانها سموم قاتلة وقيل قال الشبلى بين يدى الجنيد لا حول ولا قوة الا بالله قال
الجنيد قولك ضيق صدر وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء وقال أبو سليمان الرضا ان لا تسأل الله الجنة ولا
تستعيذ به من النار وقال ذو النون ثلاثة من أعلام الرضا ترك الاختيار قبل القضاء وفقدان المرارة بعد القضاء
وهيجان الحب فى حشو البلاء سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن جعفر البغدادى يقول سمعت اسمعيل
ابن محمد الصفار يقول سمعت محمد بن يزيد المبرد يقول قيل للحسين بن على بن أبى طالب ان أباذر يقول الفقر
أحب الىّ من الغنى والسقم أحب الى من الصحة فقال رحم الله اباذر أما أنا فاقول من اتكل على حسن اختيار الله
له لم يتمن غير ما اختار الله له وقال أبو عمر الدمشقى الرضا ارتفاع الجزع فى أى حكم وقال ابن عطاء الرضا نظر القلب
الى قديم اختيار الله للعبد وهو ترك السخط وقال رويم الرضا استقبال الاحكام بالفرح وقال المحاسبى الرضا
سكون القلب تحت مجارى الاحكام وقال النورى الرضا سرور القلب بمر القضاء وقال الجريرى من رضى بدون
قدره رفعه الله فوق غايته وقال أبو تراب النخشبى ليس ينال الرضا من للدنيا فى قلبه مقدار وقال أبو عثمان
الحيرى منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته وما نقلنى الى غيره فسخطته اهـ ما قاله القشيرى فى الرسالة
ومما نقلته من كتاب قوت القلوب قال الرضا هو حال الموقن واليقين هو حقيقة الايمان والى هذا ندب النبى صلى
الله عليه وسلم ابن عباس فى وصيته له فقال اعمل لله باليقين فى الرضا فان لم يكن فان فى الصبر خيرا كثيرا فرفعه الى
أعلى المقامات ثم رده الى أوسطها كذلك قال لابن عمر اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ندبه الى
المشاهدة وهو الاحسان ثم رده الى الصبر والمجاهدة وهو الايمان وهو مكان العلم بان الله تعالى يراه وليس بعد
هذا مكان يوصف وكان سهل يقول أعرف فى الموتى مقبرة عظيمة ينظرون الى منازلهم من الجنان فى قبورهم
ويغدى عليهم ويراح برزقهم من الجنة وهم فى هموم وكروب فى البرزخ لو قسمت على أهل البصرة لماتوا جميعا
قيل وما كانت أعمالهم قال كانوا مسلمين الا انه لم يكن لهم من التوكل ولا من الرضا نصيب وقال لقمان فى وصيته
ومن يفوّض أمره ويرضى بقدر الله فقد أقام الايمان وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير وأقام الاخلاق
الصالحة التى تصلح للعبد أمره فمن الرضا سرور القلب بالمقدور فى جميع الامور وطيب النفس وسكونها فى كل
حال وطمأنينة القلب عند كل مفزع من أمور الدنيا وقناعة العبد بكل شئ من اغتباطه بقسمه من ربه وفرحه
بقيام الله مولاه عليه واستسلام الفعل للمولى فى كل ورضاه منه بادنى شئ وتسليمه له الاحكام والقضايا باعتقاد
حسن التدبير وكمال التقدير فيها وتسليم العبد لمولاه ما فى يده رضا بحكمه عليه وأن لا يشكو السيد الكريم
الى العبد اللئيم ولا يتبرم بفعل الحبيب ولا يفقد فى كل شئ حسن صنع القريب وذكر عند رابعة رحمها الله تعالى
عابد له عند الله تعالى منزلة وكان قوته ما ينقسم من مزبلة لبعض ملوكهم فقال رجل عندها فما يضر هذا اذا
كانت له منزلة أن يسأله فيجعل قوته فى غير هذا فقالت له اسكت يا بطال أما علمت ان أولياء الله هم أرضى عنه أن
يتخيروا عليه أن ينقلهم من معيشته حتى يكون هو الذى يختار لهم وقد قال أيضا أويس القرنى رحمه الله تعالى
فيمار وينا عنه وقال الاعمش قال لى أبو وائل يا سليمان نعم الرب ربنا لو أطعناه ما عصانا وقال الله تعالى فى
معناه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات أى يطيعهم ويستجيب لهم والاستجابة الطاعة وحكى لنا ان
بعض العارفين صحبه رجل فى الطريق فعبث بشئ فنحاه عن مكان الى مكان آخر فقال له العارف ماذا صنعت
أحدثت فى الملك عن غير ضرورة ولا سنة لا تصحبنى أبدا وأعمال طلاب الرضا من الله تعالى مضاعفة على أعمال
المجاهدين فى سبيل الله لان أعمال المجاهدين تضاعف الى سبعمائة ضعف وتضعيف طالبى الرضا لا يحصى قال الله
عز وجل يضاعف لمن يشاء وقال تعالى فيضاعفه له أضعافا كثيرة قيل الحسنة الى ألفى ألف حسنة وقد قال الله

تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قال وهو أصدق القائلين مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة فكم فى هذه الجنة من سنبلة وحبة فهؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم يضاعف لمن يشاء هم أهل الرضا عنه وهم الذين اقرضوا الله قرضا حسنا لاجله فضاعف لهم اضعافا كثيرة وهم الذين يغفر لهم لامحالة دخلوا فى قوله تعالى يغفر لمن يشاء فمن عقل عن الله تعالى حكمته كان مع الله فيما حكم مسلما له ما شهد لانه تعالى باختيار انشا الاشياء وبمشيئته بدأها وعنه يتصرف المقدور واليه عواقب الامور ولا يكون مع نفسه فيما تهوى ولا مع معتاده وعرفه فيما يعقل وقال بعض المريدين قلت لبعض أهل المعرفة انى كثير الغفلة قليل المسارعة الى مرضاته فاوص بشئ أعمله أدرك به ما يفوتنى من هذا فقال يا أخى ان استطعت أن تحبب الى أولياء الله وتتقرب من قلوبهم فافعل لعلهم به يحبونك فان الله ينظر الى قلوب أوليائه فى كل يوم سبعين نظرة فلعله ينظر اليك فى قلوبهم لمحبتهم لك فيحبوك حياة الدنيا والآخرة اذا لم تكن ممن ينظر اليه كفاحا وكذلك يقال ان الله تعالى ينظر الى قلوب الصديقين والشهداء مواجهة فهؤلاء الذين عرفوه به لقربهم منهم ولدوام نظرهم اليه فهو وجههم ثم ينظر الى قلوب قوم من قلوب قوم آخرين فهؤلاء الذين عرفوهم وأحبوه من محبتهم فهم وجههم اليه وأدلتهم عليه فيعطيهم نصيبا من نصيبهم كما أعطاهم شهادة ووجدا من علمهم وروينا عن بعض الجبابرة من العتاة فى فرط كرم الله وغاية حلمه ان جبارا من الملوك قحطت رعيته سنين فشكوا ذلك اليه فخرج بهم الى الصحراء فرفع رأسه الى السماء وقال يا ساكن السماء لتسقينا الغيث أو لنؤذينك فقال له وزراؤه كيف تؤذيه وهو فى السماء وأنت فى الارض فقال اقتل أولياءه من أهل الارض فيكون ذلك أذى له فارسل الله تعالى عليهم السماء بكرمه وجوده ومن حسن الادب والمعاملة اذا عملت صالحا فقل أنت استعملتنى وبحولك وقوتك وحسن توفيقك أطعتك لان جوارحى جنودك واذا عملت سيأ فقل ظلمت نفسى وبهواى وشهوتى اجترحت بجوارحى وهى صفاتى ثم تعتقد فى ذلك انه بقدره ومشيئته كان ماقضى فتكون بالمعنيين قد وافقت مرضاة مولاك وتكون فى الحالين عاملا ترضيه بالقول والعقود وينتفى عنك العجب فى أعمال برك ويصح منك المقت لنفسك واعترافك بظلمك وقد تغلب هذه المشاهدة على الجاهل فاذا عمل حسنا شهد نفسه ونظر الى حوله وقوته فاذا عمل سيأ لم يعترف بالذنب ولم يقر على نفسه بالظلم فلم تصح له توبة ولم يرض له عمل نعوذ بالله من مشاهدة الضلال هذا ما أورده فى باب الرضا وقال فى احكام المحبة ووصف أهلها اعلم أن المحبة من الله لعبده ليست كمحبة الخلق تكون حادثة لاحد سبع معان لطبع أو لحسن أو لنفع أو لوصف أو لهوى أو لرحم ماسة أو ليقرب ذلك الى الله تعالى فهذه حدود الشئ الذى شبهه الشئ والله تعالى عن جميع ذلك لا يوصف بشئ منه اذ ليس كمثله شئ فى كل شئ ولان هذه أسباب محدثة فى الخلق لمعان حادثة ومتولدة من المحبين لاسباب عليهم داخلة وقد تتغير لتغير الاوقات وتنقلب لانقلاب الاوصاف ومحبة الله تعالى سابقة للاسباب عن كلمة الحسنى قديمة قبل الحادثات عن عناية العلياء لا تتغير أبدا ولا تنقلب لاجل ما بدا القوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعنى الكلمة الحسنى وقيل المنزلة الحسنى فلا يجوز أن يسبقها سبق منهم بل سبقت كل سابقة بقول كقوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين وقال لهم قدم صدق عند ربهم وقال فى الآخر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ولا يصلح أن يكون قبل قدمه الصدق منهم قدم كما لا يصلح أن يكون قبل علمه به منهم علم لان علمه سبق العلوم ومحبته لاوليائه سبقت محبتهم اياه ومعاملتهم له ثم ينتهى مع ذلك خاصية حكم من أحكامه مزيد من فضل اقسامه خالصة لمخلصين ومؤثرة لمؤثرين بقدم صدق سابق لخالصين يؤل الى مقعد صدق عند صادق للسالكين ليس لذلك سبب معقول ولا لاجل عمل معمول بل يجرى بجرى سر القدر ولطف القادر وافشاء سر القدر كفر فلا يعلمه الا نبى أو صديق ولا يطلع عليه من يظهر وما ظهر فى الاخبار من الاسباب فانما هو طريق الاحباب ومقامات أهل القرب من أولى الالباب وانما هى تبصرة وذكرى للمنيبين وتزود وبلاغ للعابدين وانما تستبين المحبة وتظهر

للعبد

للعبد بحسن توفيقه وكلاءة عصمته ولطائف تعليمه من غرائب علمه وخفايا لطفه وفي سرعة ردهم اليه في كل شئ ووقوفهم عنده ونظرهم اليه دون كل شئ وكثرة استعماله لهم بحسن مرضاته وكشف اطلاعهم على معاني صفاته ولطيف تعريفه لهم مكنون أسراره وفتوحه لافكارهم عن بواطن انعامه واستخراجه منهم خالص شكره وحقيقة ذكره من عين اليقين فهذه طرقات المحبين له عن تشوق اطلاعه لهم فالمحبة مزيد ايثار من المحب الاول وهو الله سبحانه لعبده وأحكام تظهر من المحبوب وهو العبد في حسن معاملته أو حقيقة علم يهب له كما قال اخوة يوسف حين عرفوا محبة الله عليهم تالله لقد آثرك الله علينا ثم قالوا وان كنا لخاطئين فذكروا سالف خطاياهم وانه آثره بما لم يؤثرهم وقال الله تعالى في موهبته له آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين فذكر ما سلف من احسانه لما آثره وذكر بعض من ينتمي الى المحبة مقامه في المحبة عند بعض المحبين فقال له أرأيت هذا الذي تذكر محبته اهتممت بسواه قال نعم قال فهل رأيته في ليلة مرتين وثلاثا قال لا قال لولا اني استحي لاخبرتك ان محبتك معلولة تهتم بسوى حبيبك ولا تراه في نومك قال لكن أعرف من لا يدعي محبته وعلى ذلك ما أهتم بسواه منذ عرفه وربما رآه في ليلة سبع مرات وانما لم يهتم المحب بسواه من قبل انه لا ينساه فكيف يذكره من لا ينساه بل هو مذكور بذا كر لا ذاكر بتذكير أو تذكر وههنا افتضح المدعون وانكشف المستورون ان اهتم بغيره فقد نسيه والحبيب لا ينسى لانه لازم للهم مستشعر بالقلب ملاحظ في العين هو الناظر والمنظور وهو السامع والمسموع وهو الشاهد والمشهود وهو الواجد والموجود كما قال بعض المحبين

ليس في القلب والعيان جميعا * موضع فارغ لغير الحبيب

وهو سقمي وصحتي وشفائي * وبه العيش ما حييت يطيب

فمن كان هذا وصفه من العين والقلب والروح فمحال أن ينسى ومن استحال أن ينسى فكيف يحول ذكره عن القلب أم كيف يحول بغيره الهم كيف وقد روينا في الخبر المنافق لا يذكر حتى يذكر واذا ترك نسي ولا تكونوا كاليهود اذا قرئت عليهم التوراة مادوا لها فاذا رفعت لم يكن وراء ذلك شئ اهـ ما في القوت

(فصل) قد تقدم للمصنف رحمه الله تعالى في أثناء الفصل الرابع من هذا الكتاب ان المحبة ثمرة المعرفة فلزم أن نتكلم على مقام المعرفة ونذكر أقاويل الشيوخ فيه وقد ذكر صاحب القاموس منها جملة في كتاب البصائر والقشيري في الرسالة فلنذكر سياق البصائر أولا فانه مشتمل على أكثر ما أورده القشيري مع زيادة توضيح وبيان فاقول قال صاحب البصائر الفرق بين العلم والمعرفة عند المحققين ان المعرفة هي العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده بل لا يصفون بالمعرفة الا من كان عالما بالله وبالطريق الموصل اليه وبآفاتها وقواطعها وله حال مع الله يشهد له بالمعرفة فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه باسمائه وصفاته وأفعاله ثم صدق الله في معاملاته ثم أخلص له في قصوده ونياته ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ثم تطهر من أوساخه وادرانه ومخالفاته ثم صبر على أحكامه في نعمه وبلياته ثم دعا الله على بصيرة بدينه واعانه ثم جرد الدعوة اليه وحده بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبها بآراء الرجال وأذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم ولم يزن بها ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة واذا سمي به غيره فعلى الدعوى والاستعارة وقد تكلموا في المعرفة بآثارها وشواهدها فقال بعضهم من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته وقال أيضا المعرفة توجب السكينة وقيل علامتها أن يحس بقرب قلبه من الله عز وجل فيجده قريبا منه قال الشبلي ليس لعارف علاقة ولا لمحب شكوى ولا لعبد دعوى ولا لخائف قرار ولا لاحد من الله فرار وهذا كلام جيد فان المعرفة الصحيحة تقطع من القلب العلائق كلها وتعلقه بمعروفه فلا تبقى فيه علاقة لغيره ولا تمر به العلائق الا وهي مجتازة وقال أحمد بن عاصم من كان بالله أعرف كان من الله أخوف ويدل على هذا قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله صلى الله عليه وسلم أنا أعرفكم بالله وأشدكم لله خشية وقال آخر من عرف الله ضاقت عليه الارض بسعتها وقال غيره

من عرف الله اتسع عليه كل ضيق ولا تنافى بين هذين الكلامين فانه يضيق عليه كل مكان لا تساعه فيه على شانه ومطلوبه و يتسع له ماضاق على غيره لانه ليس فيه ولا هو مساكن له بقلبه فقلبه غير محبوس فيه والاول فى بداية المعرفة والثانى فى غايتها التى يصل اليها العبد وقال آخر من عرف الله تعالى صفا له العيش وطابت له الحياة وهابه كل شئ وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله وقال غيره من عرف الله قرت عينه بالله وقرت به كل عين ومن لم يعرف الله تقطع قلبه على الدنيا حسرات ومن عرف الله لم تبق له رغبة فيما سواه وعلامة العارف ان يكون قلبه مرآة اذا نظر فيها رأى فيها الغيب الذى دعى الى الايمان به فعلى قدر جلاء تلك المرآة يتراءى له فيها سبحانه والدار الآخرة والجنة والنار والملائكة والرسل كما قيل

اذا سكن الغدير على صفاء * فيشبه ان يحركه النسيم
بدت فيه السماء بلامراء * كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلى * يرى فى صفوها الله العظيم

ومن علامات المعرفة أن يبدو لك الشاهد وتفنى الشواهد وتنجلى العلائق وتنقطع العوائق و يجلس بين يدى الرب و يقوم و يضطجع على التأهب للقائه كما يجلس الذى قد شد أحماله وازمع السفر على تاهب له و يقوم على ذلك و يضطجع عليه ومن علامات العارف ان لا يطالب فلا يخاصم ولا يعاقب ولا يرى له على أحد حقا وان لا ياسف على فائت ولا يفرح بآت لانه ينظر فى الاشياء بعين الفناء والزوال وانها فى الحقيقة كالظلال والخيال وقال الجنيد لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالارض يطؤه البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شئ وكالمطر يسقى ما يحب وما لا يحب وقال يحيى بن معاذ يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيئين بكائه على نفسه وثنائه على ربه وهذا من أحسن ما قيل لانه يدل على معرفته بنفسه وعلى معرفته بربه وجماله وجلاله فهو شديد الازراء على نفسه لهج الثناء على ربه وقال أبو يزيد انما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ماله يريد تضييع حظوظهم والوقوف مع حقوق الله تعالى وقال الآخر لا يكون العارف عارفا حتى لو أعطى ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفة عين وهذا يحتاج الى شرح فان ما هو دون ذلك يشغل القلب لكن اذا كان اشغاله بغير الله لله فذلك اشتغال بالله وقال ابن عطاء المعرفة على ثلاثة اركان الهيبة والحياء والانس وقيل العارف ابن وقته وهذا من أحسن الكلام وأخصره فهو مشغول بوظيفة وقته عما مضى وصار فى العدم عما لم يدخل بعد فى الوجود فهمه عمارة وقته الذى هو مادة حياته الباقية ومن علاماته أنه يستوحش ممن يقطعه عنه ولهذا قيل العارف من أنس بالله فاوحشه من الخلق وافتقر الى الله فاغناه عنهم وذل لله فاعزه فيهم وتواضع لله فرفعه بينهم واستغنى بالله فاحوجهم اليه وقيل العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول يعنى ان العالم علمه أوسع من حاله وصفته والعارف حاله وصفته فوق كلامه وخبره وقال أبو سليمان الدارانى ان الله يفتح للعارف على فراشه ما لا يفتح له وهو قائم يصلى وقال ذو النون لكل شئ عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله وقال بعضهم رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين وهذا كلام ظاهره منكر يحتاج الى شرح فان العارف لا يرائى المخلوق طلبا للمنزلة فى قلبه وانما يكون ذلك منه نصيحة وارشادا وتعليما فهو يدعو الى الله بعلمه كما يدعو الى الله بقوله واخلاص المريد مقصور على نفسه وقال ذو النون الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين وسئل الجنيد عن العارف فقال لون الماء لون انائه وهذه كلمة رمز بها الى حقيقة العبودية وهو أنه يتلون فى أقسام العبودية فبينا تراه مصليا اذ رأيته ذاكرا أو قارئا ومتعلما ومعلما ومجاهدا وحاجا ومساعدا للضعيف ومعينا للملهوف فيضرب فى كل غنيمة بسهم فهو مع المنتسبين منتسب ومع المتعلمين متعلم ومع الغزاة غاز ومع المصلين مصل ومع المتصدقين متصدق وهكذا ينتقل فى منازل العبودية من عبودية الى عبودية وهو مستقيم على معبود واحد لا ينتقل عنه الى غيره وقال يحيى بن معاذ العارف كائن بائن وقد فسر كلامه على وجوه منها انه كائن مع الخلق بظاهره بائن عن نفسه ومنها انه كائن مع ابناء الآخرة بائن عن ابناء الدنيا ومنها انه كائن مع الله بموافقته بائن عن الناس بمخالفته

ومنها انه داخل فى الاشياء خارج عنها يعنى المريد لا يقدر على الدخول فيها والعارف داخل فيها خارج منها وقال
ذو النون علامة العارف ثلاثة لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عنه ظاهرا من
الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله وهذا أحسن ما قيل فى المعرفة وقال ليس بعارف من
وصف المعرفة عند ابناء الآخرة فكيف عند ابناء الدنيا يريد انه ليس من المعرفة وصف المعرفة لغير اهلها سواء
كانوا عبادا أو من ابناء الدنيا وسئل ذو النون عن العارف قال كان ههنا وذهب فسئل الجنيد عن معناه
فقال لا يحصره حال عن حال ولا يحجبه منزل عن الشغل فى المنازل فهو مع أهل كل منزل على الذى هم فيه يجد
مثل الذى يجدون وقال بعض السلف نوم العارف يقظة وأنفاسه تسبيح ونومه أفضل من صلاة الغافل وانما
كان نومه يقظة لان قلبه حى وعيناه تنامان وروحه ساجدة تحت العرش بين يدى ربها وانما كان نومه أفضل
من صلاة الغافل لان بدنه فى الصلاة واقف وقلبه يسبح فى حشوش الدنيا والامانى وقيل مجالسة العارف تدعوك
من ست الى ست من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الغفلة الى الذكر ومن الرغبة فى الدنيا
الى الرغبة فى الآخرة ومن الكبر الى التواضع ومن سوء الظن به الى النصيحة انتهى كلام صاحب البصائر
وزاد القشيرى فى الرسالة وقال الشبلى وقد سئل عن المعرفة أولها الله وآخرها الانهاية له وقال أبو حفص
الحداد منذ عرفت الله تعالى ما دخل قلبى حق ولا باطل وهذا فى ظاهره اشكال واجل ما يحتمله ان عند
القوم المعرفة توجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق عليه فلا يشهد غير الله ولا يرجع الى غيره كما
ان العاقل يرجع الى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسنح له من أمر ويستقبله من حال فالعارف رجوعه الى ربه
فاذا لم يكن مشتغلا بربه لم يكن راجعا الى قلبه وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له وفرق بين من عاش بقلبه
وبين من عاش بربه وسئل أبو يزيد عن المعرفة فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها
أذلة هذا معنى ما أشار اليه أبو حفص وقال أبو يزيد للخلق أحوال ولا حال للعارف لانه محيت رسومه
وفنيت هو يته لهو ية غيره وغيبت آثاره بآثار غيره وقال الواسطى لا تصح المعرفة وفى العبد استغناء
بالله وافتقار اليه أراد بهذا ان الافتقار والاستغناء بالله من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه لانها من صفاته
والعارف محى فى معروفه فكيف يصح له ذلك وهو لاستهلاكه فى وجوده أو لاستغراقه فى شهوده وان لم
يبلغ الوجود مختطف عن احساسه فكل وصف هوله ولهذا قال الواسطى أيضا من عرف الله انقطع به بل خرس
وانقمع وقال صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك هذه صفات الذين بعد مرماهم فاما من نزلوا عن هذا
الحد فقد تكلموا فى المعرفة وأكثروا وقيل من عرف الله ذهبت عنه رغبة الاشياء وكان بلا فصل ولا
وصل وقيل المعرفة توجب الحياء والتعظيم كما ان التوحيد يوجب الرضا والتسليم وقال ذو النون معاشرة
العارف كمعاشرة الله تعالى يحتملك ويحلم عنك تخلقا باخلاق الله عز وجل وسئل ابن يزدانيار متى يشاهد العارف
الحق فقال اذا بدأ الشاهد وفنيت الشواهد وذهبت الحواس واضمحل الاخلاص وقال الحلاج علامة
العارف أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة وقال سهل غاية المعرفة شيآن الدهش والحيرة وقال ذو النون
اعرف الناس بالله أشدهم تحيرا فيه وقال رجل للجنيد من أهل المعرفة أقوام يقولون بترك الحركات من باب
البر والتقوى فقال هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهو عندى عظيم والذى يسرق ويزنى أحسن حالا
من الذى يقول هذا ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة وقيل لابى يزيد بماذا نلت هذه المعرفة
فقال ببطن جائع وبدن عار وقال أيضا العارف طيار والزاهد سيار وقيل العارف تبكى عينه ويضحك قلبه
وقيل العالم يقتدى به والعارف يهتدى به وقال الشبلى العارف لا يكون لغيره لاحظا ولا لكلام غيره لافظا
ولا يرى لنفسه غير الله حافظا وقال أبو الطيب المسامرى المعرفة طلوع الحق على الاسرار بمواصلة الانوار وقال
أبو بكر الوراق سكرات العارف أنفع وكلامه أشهى وأطيب وسئل أبو يزيد عن العارف فقال لا يرى فى نومه
غير الله ولا فى يقظته غير الله وسئل أبو تراب النخشبى عن العارف فقال الذى لا يكدره شئ ويصفو به كل شئ وقال

أبو عثمان المغربي العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب وقال بعضهم المعرفة أمواج تغط وترفع وتحط وقال أبو سعيد الخراز المعرفة تأتي من عين الجود و بذل المجهود وقال محمد بن الفضل المعرفة حياة القلب مع الله انتهى وبه تم كتاب المحبة والشوق والانس والرضا والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما قال مؤلفه نجزت من تسويده في الثالثة من ليلة الاربعاء ثاني محرم الحرام افتتاح سنة ١٢٠١ أرانا الله خيرها وكفانا ضيرها

قال ذلك وكتبه أبو الفيض محمد مرتضى

الحسيني غفرت ذنوبه وسترت

عيوبه بمنه وكرمه آمين

حامدا لله ومصليا

ومسلما

(تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر أوله كتاب النية والاخلاص والصدق)

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت ﴾